الموسوعة الكبرى الثالثة

من

كليات رسائل النور

مجموعة اللمعات

تأليف

الإمام الجليل العلامة الشهير مولانا الإمام بديع الزمان
سعيد النورسي ذي النور والفيض القدسي
رضي الله تعالى عنه
١٢٩٢-١٣٧٩هـ/١٨٧٣-١٩٦٠م

عني بترجمتها عن التركية وتبييضها وتصحيحها

الملا محمد زاهد الملازكردي
عفا الله تعالى عنه
١٣٥٤-١٤٢٩هـ/١٩٣٦-٢٠٠٨م

شركة رسائل النور ناشرون

مَجْمُوعَةُ اللَّمَعَاتِ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْسُوعَاتِ النَّيِّرَةَ ، مُتَرْجَمَةٌ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالٰى ، عَلٰى نَصِّ كَلَامِ الْإِمَامِ الْمُؤَلِّفِ ؛ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ، بِدُونِ تَغْيِيرٍ وَتَصَرُّفٍ ، إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ ضَرُورَةُ النَّقْلِ مِنْ لُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ ، إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ . .

اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

نَعَمْ . . نَعَمْ . . نَعَمْ . . نَعَمْ . . نَعَمْ . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ ـ مُحَمَّدٌ غَالِبٌ ـ عُمَرُ عِرَاجِي ـ عَبْدُ اللهِ الْخَطِيبُ ـ أَحْمَدُ زَيْدٌ

اَلنَّاشِرُونَ :

شَرِكَةُ رَسَائِلِ النُّورِ . .

اَلْعَنَاوِينُ :

- اَلْكِتَابُ : مَجْمُوعَةُ اللَّمَعَاتِ مِنْ كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ . .
- اَلْمُؤَلِّفُ : اَلْإِمَامُ بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ؛ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .
- اَلْمُتَرْجِمُ وَالْمُحَقِّقُ وَالْمُدَقِّقُ : اَلْمَلّا مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلازْكَرْدِيُّ ؛ (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .
- كَاتِبُ الصَّفِّ وَمُحَرِّكُ الْكَلِمَاتِ : حُسَامٌ وَاكِدٌ . .
- اَلْمُنَسِّقُونَ : مُحَمَّدٌ غَالِبٌ الْفَارِسُ ـ أَحْمَدُ زَيْدٌ . .
- اَلْمُرَاقِبُ وَالْمُرَاجِعُ : حُسَامٌ وَاكِدٌ . .
- اَلْمُسَاعِدُونَ : أَحْمَدُ الْحَاجُّ ، مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ . . (وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِمَرْضَاتِهِ ؛ وَغَفَرَ لَهُمْ) . .
- نَوْعُ الْخَطِّ : اَلْعَرَبِيُّ النَّسْخِيُّ الْمُعَدَّلُ بِحُرُوفِ النُّورِ . .
- عَدَدُ السِّلْسِلَةِ : ـ ٣ ـ
- اَلطَّبْعَةُ الْأُولَى الْمُشَكَّلَةُ : سَنَةَ / ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م . .

- اَلْعُنْوَانُ[١] : كَامِدُ اللَّوْزِ ـ الْبِقَاعُ ـ لُبْنَانُ . . اَلْهَاتِفُ : ٠٠٩٦١/٧٠/٤٧١٨٣١
- اَلْعُنْوَانُ[٢] : اَلْمِيَّةُ وَمِيَّةُ ـ صَيْدَا ـ لُبْنَانُ . . اَلْهَاتِفُ : ٠٠٩٦١/٧٠/٧٦٨٧٧٤
- اَلْمَوْقِعُ الْإِلِكْتُرُونِيُّ : www.nour-arabic.com
- اَلْبَرِيدُ الْإِلِكْتُرُونِيُّ : nour@nour-arabic.com

حُقُوقُ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ ، وَالتَّسْجِيلِ وَالتَّصْوِيرِ ، وَالتَّنْمِيقِ وَالتَّزْيِينِ ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحِفْظِ وَالتَّخْزِينِ ، مَحْفُوظَةٌ لِشَرِكَةِ رَسَائِلِ النُّورِ . .

اَلْمَوْسُوعَةُ الْكُبْرَى الثَّالِثَةُ
مِنْ
كُلِّيَّاتِ رَسَائِلِ النُّورِ

مَجْمُوعَةُ اللَّمَعَاتِ

تأْلِيفُ

الْإِمَامِ الْجَلِيلِ، الْعَلّامَةِ الشَّهِيرِ، مَوْلانَا الْإِمَامِ بَدِيعِ الزَّمَانِ،
سَعِيدٍ النُّورْسِيِّ، ذِي النُّورِ وَالْفَيْضِ الْقُدُسِيِّ؛
رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ.
١٢٩٢ – ١٣٧٩هـ / ١٨٧٣ – ١٩٦٠م.

عُنِيَ بِتَرْجَمَتِهَا عَنِ التُّرْكِيَّةِ، وَبِتَبْيِيضِهَا وَتَصْحِيحِهَا،
الْمَلّا مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلازْكَرْدِيُّ؛
عَفَا عَنْهُ اللهُ الْمُبْدِئُ.
١٣٥٤ ـ ١٤٢٩هـ / ١٩٣٦ ـ ٢٠٠٨م.

مُحْتَوَيَاتُ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ النَّيِّرَةِ الثَّالِثَةِ :

ثَلاثُونَ لَمْعَةً لامِعَةً وَمُشْرِقَةً ؛ فِيهَا أَبْحَاثٌ شَرِيفَةٌ :

١ ـ أَسْرَارُ مُنَاجَاةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَوْرَادِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَسِرُّ الابْتِهَالِ وَالابْتِلاءِ . .

٢ ـ أَبْحَاثٌ لَطِيفَةٌ ، فِي سُنَنٍ سَنِيَّةٍ مُنِيفَةٍ . .

٣ ـ حِكْمَةُ الاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَحْزَابِهِ ، وَسِرُّ غَلَبَتِهِمْ أَحْيَاناً ، عَلٰى أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَتْبَاعِهِ . .

٤ ـ شَرْحُ حَقَائِقِ بَعْضِ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ ، وَأَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ ، مَعَ بَيَانِ بَعْضِ صَفَعَاتٍ مُشْفِقَةٍ ، عَلَى الْأَصْدِقَاءِ ، وَلَطَمَاتٍ زَاجِرَةٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ . .

٥ ـ مَعَارِفُ حَدْسِيَّةٌ نَاشِئَةٌ عَنِ الْحَرَكَاتِ الْفِكْرِيَّةِ ، وَالتَّرَقِّيَاتِ الْقَلْبِيَّةِ . .

٦ ـ بَعْضُ دَسَاتِيرَ اجْتِمَاعِيَّةٍ ، وَأَسَالِيبَ سُلُوكِيَّةٍ ، كَالاقْتِصَادِ وَالْإِخْلاصِ . .

٧ ـ بَرَاهِينُ قَطْعِيَّةٌ ، فِي إِثْبَاتِ مُحَالاتِ الْأَفْكَارِ الطَّبِيعِيَّةِ ، مَعَ بَعْضِ سُلُوكِيَّاتِ الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ . .

٨ ـ حِكْمَةُ لُزُومِ تَسَتُّرِ النِّسْوَانِ ، فِي نَظَرِ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ ، خِلافَ فَلْسَفَةِ عَقْلِيَّةِ الْإِنْسَانِ . .

٩ ـ أَدْوِيَةٌ نُورَانِيَّةٌ لِلْمَرْضٰى ، وَأَضْوَاءٌ وَرَجَايَا لِلْكُهُولِ الْبَائِسِينَ الْحَيَارٰى . .

١٠ ـ دِفَاعَاتٌ نُورِيَّةٌ ، عَنْ حَقَائِقِ رَسَائِلِ النُّورِ ، وَكَرَامَاتٌ لِبَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ ، لِتَسْلِيَةِ طُلّابِ النُّورِ . .

١١ ـ تَفَكُّرَاتٌ إِيمَانِيَّةٌ ، وَأَوْرَادٌ نُورَانِيَّةٌ ، مَعَ أَسْرَارِ بَعْضِ أَسْمَاءٍ إِلٰهِيَّةٍ قُدُسِيَّةٍ ، فِي بَيَانِ حَقَائِقَ إِيمَانِيَّةٍ ، وَحِجَجٍ نُورَانِيَّةٍ ، وَغَيْرِهَا مِنْ مَسَائِلَ مُهِمَّةٍ ، وَمَعَارِفَ قَيِّمَةٍ ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْعَارِفُونَ ؛ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْعَاقِلُونَ . .

اَلْمُتَرْجِمُ الْمُصَحِّحُ ، مَعَ أَصْحَابِهِ الْمُخْتَصِّينَ ، (عَفَا اللهُ تَعَالٰى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ) . .

فَاتِحَةُ اللَّمَعَاتِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَنَادٰى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . .

﴿إِذْ نَادٰى رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ . .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ . .

﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . . لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . .

يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي ❁ يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي ❁ . .

هٰذَا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلاثِينَ ، سِتُّ لَمَعَاتٍ تُظْهِرُ نُوراً مِنْ أَنْوَارٍ كَثِيرَةٍ ، لِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمَذْكُورَةِ ، الَّتِي لِقِرَاءَتِهَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً ، كُلَّ وَقْتٍ لاسِيَّمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ، فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ . .

اَللَّمْعَةُ الْأُولٰى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَنَادٰى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

إِنَّ مُنَاجَاةَ النَّبِيِّ يُونُسَ بْنِ مَتّٰى ، عَلٰى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، أَعْظَمُ مُنَاجَاةٍ ، وَأَهَمُّ وَسِيلَةٍ ، لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ . .

وَخُلاصَةُ قِصَّةِ النَّبِيِّ يُونُسَ (عليه السلام) الْمَشْهُورَةِ ؛ هِيَ : أَنَّهُ أُلْقِيَ فِي الْبَحْرِ ؛ فَابْتَلَعَهُ سَمَكٌ عَظِيمٌ ؛ وَكَانَ الْبَحْرُ عَاصِفاً ؛ وَاللَّيْلُ مَهِيباً وَمُظْلِماً ؛ وَهُوَ فِي وَضْعٍ مُنْقَطِعِ الْأَمَلِ ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَأَصْبَحَتْ مُنَاجَاةُ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، وَسِيلَةَ النَّجَاةِ لَهُ سَرِيعاً . .

وَالسِّرُّ الْعَظِيمُ لِهٰذِهِ الْمُنَاجَاةِ ، هُوَ : أَنَّ الْأَسْبَابَ سَقَطَتْ كُلِّيّاً فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ لِأَنَّهُ لا بُدَّ لِمَنْ يُعْطِيهِ النَّجَاةَ حِينَئِذٍ ، أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ نَافِذاً فِي السَّمَكِ وَالْبَحْرِ وَاللَّيْلِ وَجَوِّ السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّهَا اتَّفَقَتْ ضِدَّهُ ؛ فَمَنْ سَخَّرَ هٰؤُلاءِ الثَّلاثَةَ مَعاً لِأَمْرِهِ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْرِجَهُ إِلٰى سَاحِلِ السَّلامِ ؛ فَلَوْ كَانَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ خُدَّامَهُ وَأَعْوَانَهُ ؛ لَمَا نَفَعَهُ مِقْدَارَ خَمْسَةِ فُلُوسٍ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ رَأٰى عَيْنَ الْيَقِينِ : أَنَّهُ لا تَأْثِيرَ لِلْأَسْبَابِ ؛ وَلا مَلْجَأَ سِوٰى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ انْكَشَفَ لَهُ سِرُّ الْأَحَدِيَّةِ ، خِلالَ نُورِ التَّوْحِيدِ ؛ فَلِذٰلِكَ سَخَّرَتْ هٰذِهِ الْمُنَاجَاةُ ، اللَّيْلَ وَالْبَحْرَ وَالْحُوتَ دَفْعَةً ؛ فَصَيَّرَتْ بَطْنَ الْحُوتِ كَسَفِينَةٍ غَوَّاصَةٍ ، بِنُورِ التَّوْحِيدِ ؛ وَأَصْبَحَ الْبَحْرُ بَيْنَ

هَوْلِ أَمْوَاجٍ مُتَلاطِمَةٍ كَالْجِبَالِ ، صَحْرَاءَ آمِنَةً ، وَمُتَنَزَّهاً ، وَمَيْدَانَ تَجَوُّلٍ ، بِذٰلِكَ النُّورِ ؛ وَقَشَعَتِ السَّحَابَ ، عَنْ وَجْهِ السَّمَاءِ ؛ وَجَعَلَتِ الْقَمَرَ ، كَأَنَّهُ سِرَاجٌ فَوْقَ رَأْسِهِ ، بِذٰلِكَ النُّورِ ؛ وَإِنَّ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُهَدِّدُهُ وَتُضَايِقُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، أَظْهَرَتْ لَهُ وَجْهَ الصَّدَاقَةِ ، فِي كُلِّ جِهَةٍ ؛ حَتّٰى طَلَعَ إِلٰى سَاحِلِ السَّلَامِ ؛ وَشَاهَدَ ذٰلِكَ اللُّطْفَ الرَّبَّانِيَّ ، تَحْتَ شَجَرَةِ الْيَقْطِينِ . .

هٰذَا ، فَنَحْنُ فِي حَالٍ أَرْهَبَ مِنَ الْحَالِ الْأَوَّلِ لِيُونُسَ (عليه السلام) ؛ فَإِنَّ لَيْلَنَا ، هُوَ الْمُسْتَقْبَلُ ؛ وَمُسْتَقْبَلُنَا بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ، أَظْلَمُ وَأَفْزَعُ مِنْ لَيْلِهِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ وَإِنَّ بَحْرَنَا ، هُوَ كُرَةُ أَرْضِنَا الدَّوَّارَةُ ؛ وَيُوجَدُ فِي كُلِّ مَوْجَةٍ مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ ، أُلُوفُ جَنَائِزَ ؛ وَهُوَ أَهْوَلُ مِنْ بَحْرِهِ ، أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ وَإِنَّ حُوتَنَا ، هُوَ أَهْوَاءُ أَنْفُسِنَا ؛ وَهُوَ يَضْغَطُ عَلٰى حَيَاتِنَا الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَيَسْعٰى لِإِهْلَاكِهَا ؛ وَهٰذَا الْحُوتُ ، أَضَرُّ مِنْ حُوتِهِ ، أَلْفَ دَرَجَةٍ ؛ لِأَنَّ حُوتَهُ يُهْلِكُ حَيَاةَ مِئَةِ سَنَةٍ ؛ وَأَمَّا حُوتُنَا ، فَإِنَّهُ يَسْعٰى لِإِهْلَاكِ مِئَاتِ مَلَايِينِ السِّنِينَ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ فَإِذَا كَانَ هٰذَا ، هُوَ حَالَنَا الْحَقِيقِيَّ ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَصْرِفَ وُجُوهَنَا ، عَنْ كُلِّ الْأَسْبَابِ ، اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ يُونُسَ (عليه السلام) ؛ وَنَلْجَأَ مُبَاشَرَةً ، إِلٰى رَبِّنَا الَّذِي هُوَ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ ؛ وَنَقُولَ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ ؛ وَنَعْلَمَ عَيْنَ الْيَقِينِ : أَنَّ الَّذِي يَرُدُّ مَضَارَّ الْمُسْتَقْبَلِ وَالدُّنْيَا وَهَوَى النَّفْسِ ، الَّتِي اتَّفَقَتْ عَلَى الْإِضْرَارِ بِنَا ، بِسَبَبِ غَفْلَتِنَا وَضَلَالَتِنَا ، هُوَ الَّذِي يَكُونُ الْمُسْتَقْبَلُ تَحْتَ أَمْرِهِ ؛ وَالدُّنْيَا تَحْتَ حُكْمِهِ ؛ وَأَنْفُسُنَا تَحْتَ إِدَارَتِهِ . فَيَا لَلْعَجَبِ ! فَأَيُّ سَبَبٍ غَيْرِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَعْلَمُ أَدَقَّ خَوَاطِرِ قُلُوبِنَا وَأَخْفَاهَا ؛ وَيُضِيءُ لَنَا الْمُسْتَقْبَلَ ، بِإِنْشَاءِ الْآخِرَةِ ؛ وَيُنْجِينَا مِنْ مِئَاتِ آلَافِ أَمْوَاجٍ مُغْرِقَةٍ ، مِنْ أَمْوَاجِ الدُّنْيَا ؟ حَاشَاهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُغِيثُ أَيُّ شَيْءٍ ، بِأَيِّ جِهَةٍ ، غَيْرُ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ وَلَا يَكُونُ مُنْقِذاً إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ ، كَذٰلِكَ ؛ فَلْنَقُلْ نَحْنُ أَيْضاً ، بِسِرِّ تِلْكَ الْمُنَاجَاةِ : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ ؛ وَلْنَلْفِتْ نَظَرَ رَحْمَتِهِ ، إِلٰى مُسْتَقْبَلِنَا ، بِجُمْلَةِ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ﴾ ، وَإِلٰى دُنْيَانَا ، بِكَلِمَةِ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ، وَإِلٰى

أَنْفُسِنَا ، بِفِقْرَةِ ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ؛ لِيَتَنَوَّرَ مُسْتَقْبَلُنَا ، بِنُورِ الْإِيمَانِ ، وَضِيَاءِ الْقُرْآنِ ؛ وَتَنْقَلِبَ دَهْشَةُ لَيْلِنَا ، وَوَحْشَتُهُ ، بِالْأُنْسِ وَالتَّنَزُّهِ ؛ وَتَدْخُلَ دُنْيَانَا وَكُرَتُنَا ـ الَّتِي تَرْكَبُ عَلَيْهَا جَنَائِزُ لَا حَدَّ لَهَا ، فَوْقَ أَمْوَاجِ السِّنِينَ وَالْقُرُونِ ؛ وَتُلْقَى تِلْكَ الْجَنَائِزُ ، إِلَى الْعَدَمِ ، بِتَبَدُّلِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ دَائِماً ـ تَدْخُلَ فِي حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ ، الَّتِي أَصْبَحَتْ فِي حُكْمِ سَفِينَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، صُنِعَتْ فِي مَصْنَعِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَتَسِيرَ أَرْضُنَا فَوْقَ ذٰلِكَ الْبَحْرِ ، إِلَى أَنْ تَخْرُجَ إِلَى شَاطِئِ السَّلَامِ ؛ وَتَنْتَهِيَ وَظِيفَةُ حَيَاتِنَا ؛ وَتُفَرِّجَ عَوَاصِفُ ذٰلِكَ الْبَحْرِ وَزَلَازِلُهُ ، نَظَرَ الْعِبْرَةِ وَالتَّفَكُّرِ ؛ وَتُفَرِّحَهُ وَتُلَذِّذَهُ ، عِوَضاً عَنِ الْوَحْشَةِ وَالدَّهْشَةِ ، بِتَجْدِيدِ مَنَاظِرِ التَّنَزُّهِ ، كَأَلْوَاحِ السِّينَمَا ؛ وَلَا تَرْكَبَ أَنْفُسُنَا عَلَيْنَا ؛ بَلْ تُصْبِحَ مَرْكُوبَةً لَنَا ، بِذٰلِكَ السِّرِّ الْقُرْآنِيِّ ، وَالتَّأْدِيبِ الْفُرْقَانِيِّ ؛ وَتَصِيرَ وَسِيلَةً قَوِيَّةً ، لِتَحْصِيلِ حَيَاتِنَا الْأَبَدِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّ حُوتَ يُونُسَ (عليه السلام) ، اتَّخَذَ صُورَةَ مَرْكُوبٍ وَغَوَّاصَةٍ لَهُ ؛ وَبَحْرُهُ تَشَكَّلَ بِصُورَةِ صَحْرَاءَ طَيِّبَةٍ ؛ وَاللَّيْلُ تَصَوَّرَ بِصُورَةٍ لَطِيفَةٍ مُقْمِرَةٍ ، عَلَى أَثَرِ تِلْكَ الْمُنَاجَاةِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ ، بِاعْتِبَارِ جَامِعِيَّةِ مَاهِيَّتِهِ ؛ يَتَأَلَّمُ مِنَ الْحُمّٰى ؛ كَمَا يَتَأَلَّمُ مِنِ اهْتِزَازِ الْأَرْضِ ، وَمِنَ الزَّلْزَلَةِ الْكُبْرَى لِلْكَائِنَاتِ فِي الْقِيَامَةِ ؛ وَيَخَافُ مِنْ جُرْثُومٍ مِكْرُوبِيٍّ ؛ كَمَا يَخَافُ مِنْ نَجْمٍ مُذَنَّبٍ ، يَظْهَرُ مِنَ الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ ؛ وَيُحِبُّ بَيْتَهُ ؛ كَمَا يُحِبُّ الدُّنْيَا الْعَظِيمَةَ ؛ وَيُحِبُّ حَدِيقَتَهُ الصَّغِيرَةَ ؛ كَمَا يُحِبُّ بِاشْتِيَاقٍ ، الْجَنَّةَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ يَكُونُ مَعْبُودُ مِثْلِ هٰذَا الْإِنْسَانِ ، وَرَبُّهُ وَمَلْجَأُهُ ، وَمُنْقِذُهُ وَمَقْصُودُهُ ، هُوَ الَّذِي تَكُونُ الْكَائِنَاتُ كُلُّهَا ، فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِهِ ؛ وَالذَّرَّاتُ وَالسَّيَّارَاتُ ، تَحْتَ أَمْرِهِ ؛ فَمِثْلُ هٰذَا الْإِنْسَانِ ، يَحْتَاجُ دَائِماً أَنْ يَقُولَ مِثْلَ يُونُسَ (عليه السلام) : ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللَّمْعَةُ الثَّانِيَةُ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادٰى رَبَّهُٓ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ . .

إِنَّ مُنَاجَاةَ النَّبِيِّ أَيُّوبَ بَطَلِ الصَّبْرِ (عليه السلام) ، هٰذِهِ ، مُجَرَّبَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ ؛ وَلٰكِنَّنَا نَقُولُ فِي مُنَاجَاتِنَا ، بِصُورَةِ الِاقْتِبَاسِ عَنِ الْآيَةِ : ﴿رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ . .

وَخُلَاصَةُ قِصَّةِ النَّبِيِّ أَيُّوبَ (عليه السلام) الْمَشْهُورَةِ ، هِيَ : أَنَّهُ بَقِيَ مُدَّةً مَدِيدَةً ، بَيْنَ قُرُوحٍ وَجُرُوحٍ ؛ فَتَصَوَّرَ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ لِذٰلِكَ الْمَرَضِ ؛ فَتَحَمَّلَ بِكَمَالِ الصَّبْرِ ؛ وَبَقِيَ كَذٰلِكَ ؛ ثُمَّ لَمَّا أَضَرَّتِ الدِّيدَانُ الْمُتَوَلِّدَةُ مِنَ الْجُرُوحِ ، بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ؛ نَاجٰى رَبَّهُ ، لَا لِاسْتِرَاحَتِهِ ، بَلْ لِلْعُبُودِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِمُلَاحَظَةِ أَنَّهُ يَقَعُ الْخَلَلُ فِي وَظِيفَةِ الْعُبُودِيَّةِ ، لِإِضْرَارِهَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ اللَّذَيْنِ هُمَا مَحَلَّا الذِّكْرِ وَالْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَقَالَ : «يَا رَبِّ ! إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ؛ فَيُخِلُّ بِذِكْرِ لِسَانِي ، وَبِعُبُودِيَّةِ قَلْبِي» . فَتَقَبَّلَ اللّٰهُ تَعَالٰى ، تِلْكَ الْمُنَاجَاةَ النَّقِيَّةَ الْخَالِصَةَ لَهُ بِدُونِ غَرَضٍ ، عَلٰى وَجْهٍ خَارِقٍ ؛ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِكَمَالِ الْعَافِيَةِ ؛ وَجَعَلَهُ مَظْهَراً لِأَنْوَاعِ رَحْمَتِهِ . .

وَفِي هٰذِهِ اللَّمْعَةِ خَمْسُ نِكَاتٍ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : ﴾ أَنَّ لَنَا أَمْرَاضاً بَاطِنَةً رُوحِيَّةً وَقَلْبِيَّةً ، إِزَاءَ جُرُوحِ أَيُّوبَ (عليه السلام) ، وَأَمْرَاضِهِ الظَّاهِرَةِ ؛ فَلَوْ حُوِّلْنَا مَرَّةً ، بَاطِناً لِظَاهِرٍ ، وَظَاهِراً لِبَاطِنٍ ؛ لَشُوهِدْنَا أَزْيَدَ مَرَضاً وَجُرْحاً ، مِنْ أَيُّوبَ (عليه السلام) ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ نَفْعَلُهُ ، وَكُلَّ شُبْهَةٍ تَقَعُ فِي عُقُولِنَا ،

تَفْتَحُ قُرُوحاً فِي قُلُوبِنَا وَأَرْوَاحِنَا ؛ وَقَدْ كَانَتْ جُرُوحُ أَيُّوب (عليه السلام) ، تُهَدِّدُ حَيَاتَهُ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةَ . وَأَمَّا جُرُوحُنَا الْمَعْنَوِيَّةُ ، فَإِنَّهَا تُهَدِّدُ حَيَاتَنَا الْأَبَدِيَّةَ الْمَدِيدَةَ ؛ فَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى تِلْكَ الْمُنَاجَاةِ الْأَيُّوبِيَّةِ ، أَزْيَدَ احْتِيَاجٍ ، مِنْ ذٰلِكَ النَّبِيِّ (عليه السلام) أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَلَاسِيَّمَا أَنَّهُ كَمَا أَضَرَّتِ الدِّيدَانُ النَّاشِئَةُ عَنْ جُرُوحِهِ ، بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْجُرُوحَ الْوَارِدَةَ عَنِ الذُّنُوبِ ، وَإِنَّ الْوَسَاوِسَ وَالشُّبُهَاتِ الْحَاصِلَةَ عَنْ تِلْكَ الْجُرُوحِ ، تَمَسُّ بَاطِنَ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْإِيمَانِ ؛ فَتَجْرَحُ الْإِيمَانَ ـ نَعُوذُ بِاللهِ ـ وَتَضُرُّ بِالذَّوْقِ الرُّوحِيِّ لِلِّسَانِ الَّذِي هُوَ تَرْجُمَانُ الْإِيمَانِ ؛ فَتُنَحِّيهِ عَنِ الذِّكْرِ ؛ وَتُسْكِتُهُ مُسْتَكْرِهاً مِنْهُ . .

نَعَمْ : إِنَّ الذَّنْبَ يُسَوِّدُ الْقَلْبَ ؛ وَيُقَسِّيهِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ نُورُ الْإِيمَانِ ؛ فَإِنَّ فِي كُلِّ ذَنْبٍ ، طَرِيقاً يَذْهَبُ إِلَى الْكُفْرِ ؛ فَإِذَا لَمْ يُكَفَّرْ ذٰلِكَ الذَّنْبُ ، سَرِيعاً بِالِاسْتِغْفَارِ ؛ يَلْدَغُ الْقَلْبَ ، لَا كَدُودَةٍ ، بَلْ كَحَيَّةٍ صَغِيرَةٍ . .

فَمَثَلاً : إِنَّ إِنْسَاناً عَمِلَ ذَنْباً خَفِيّاً مُوجِباً لِلْخَجَلِ ، يَثْقُلُ عَلَيْهِ وُجُودُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ كَثِيراً ، حِينَمَا يَسْتَحِي عَنِ اطِّلَاعِ الْغَيْرِ عَلَيْهِ ؛ فَيَتَمَنَّى إِنْكَارَهُمْ بِأَمَارَةٍ صَغِيرَةٍ ؛ وَكَذَا إِذَا فَعَلَ إِنْسَانٌ ، ذَنْباً كَبِيراً يُنْتِجُ عَذَابَ جَهَنَّمَ ؛ كُلَّمَا سَمِعَ إِنْذَارَاتِ جَهَنَّمَ ؛ تُعْطِيهِ أَمَارَةٌ وَشُبْهَةٌ صَغِيرَةٌ ، اجْتِرَاءً عَلَى إِنْكَارِ جَهَنَّمَ ؛ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْ أَمَامَهَا مَكْمَناً ؛ لِأَنَّهُ يَتَمَنَّى عَدَمَ جَهَنَّمَ ، بِكُلِّ رُوحِهِ ؛ وَكَذَا إِنَّ إِنْسَاناً لَا يُؤَدِّي فَرِيضَةَ الصَّلَاةِ ؛ وَلَا يُوفِي بِوَظِيفَةِ الْعِبَادَةِ ، إِذَا تَأَثَّرَ عَنْ تَعْزِيرٍ لَقِيَهُ مِنْ آمِرٍ صَغِيرٍ لَهُ ، مِنْ تَرْكِهِ وَظِيفَةً صَغِيرَةً ؛ يُعْطِيهِ الْكَسَلُ الَّذِي يَفْعَلُهُ فِي فَرَائِضِهِ ، إِزَاءَ أَوَامِرَ مُكَرَّرَةٍ مِنْ سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، حَرَجاً شَدِيداً ؛ وَيَتَمَنَّى مِنْ ذٰلِكَ الْحَرَجِ ؛ فَيَقُولُ مَعْنًى : **«يَا لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْوَظِيفَةُ وَالْفَرِيضَةُ»** ؛ فَيَنْتَبِهُ مِنْ هٰذَا ، تَمَنِّي إِنْكَارٍ يُشْعِرُ بِعَدَاوَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ لِلّٰهِ تَعَالَى ؛ فَإِذَا خَطَرَتْ بِقَلْبِهِ ، شُبْهَةٌ تَعُودُ إِلَى وُجُودِهِ تَعَالَى ؛ يَمِيلُ إِلَيْهَا ؛ وَيَتَمَسَّكُ بِهَا كَدَلِيلٍ قَاطِعٍ ؛ **فَلَا يَعْلَمُ ذٰلِكَ الشَّقِيُّ ، أَنَّهُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ فِي الْإِنْكَارِ ، هَدَفاً لِمَحَارِجَ أَشَدَّ مِنْ ذٰلِكَ الْحَرَجِ ، مَلَايِينَ الْمَرَّاتِ ، بِسَبَبِ الْإِنْكَارِ ، عِوَضاً عَنْ حَرَجٍ جُزْئِيٍّ يَطْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ وَظِيفَةِ الْعِبَادَةِ ؛ فَيَهْرُبُ عَنْ لَذْعِ الذُّبَابِ ؛ وَيَرْضَى**

بِلَدْغِ الْحَيَّةِ ؛ وَهٰكَذَا ؛ فَقِسْ عَلٰى هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الثَّلَاثَةِ ؛ لِيُفْهَمَ سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿بَلْ رَانَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ﴾ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ إِنَّهُ لَا حَقَّ لِلْإِنْسَانِ ، لِلشَّكْوٰى فِي الْمَصَائِبِ وَالْأَمْرَاضِ ، بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ، فِي بَحْثِ سِرِّ الْقَدَرِ . .

اَلْوَجْهُ الْأَوَّلُ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، يَجْعَلُ لِبَاسَ الْبَدَنِ الَّذِي أَلْبَسَهُ عَلَى الْإِنْسَانِ ، مَظْهَراً لِصُنْعِهِ ؛ وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ مِقْيَاساً ؛ فَيَقُصُّ ذٰلِكَ اللِّبَاسَ ، عَلٰى ذٰلِكَ الْمِقْيَاسِ ؛ فَيُقَصِّرُهُ وَيُبَدِّلُهُ وَيُغَيِّرُهُ ؛ فَبِذٰلِكَ يُظْهِرُ جِلْوَاتِ أَسْمَائِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ فَكَمَا أَنَّ اسْمَ الشَّافِي يَطْلُبُ الْمَرَضَ ؛ فَإِنَّ اسْمَ الرَّزَّاقِ يَقْتَضِي الْجُوعَ ؛ وَهٰكَذَا ؛ فَإِنَّ مَالِكَ الْمُلْكِ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ . .

اَلْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ الْحَيَاةَ تَتَصَفّٰى وَتَتَقَوّٰى وَتَتَرَقّٰى بِالْمَصَائِبِ وَالْعِلَلِ ؛ وَتُنْتِجُ وَتَتَكَمَّلُ وَتُؤَدِّي الْوَظِيفَةَ الْحَيَاتِيَّةَ ، بِهَا ؛ وَإِنَّ الْحَيَاةَ الْمُتَنَاسِقَةَ ، عَلٰى فِرَاشِ الرَّاحَةِ ، أَقْرَبُ مِنَ الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ الْخَيْرُ الْمَحْضُ ، إِلَى الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ الشَّرُّ الْمَحْضُ ؛ وَتَذْهَبُ تِلْكَ الْحَيَاةُ إِلَى الْعَدَمِ . .

اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ : أَنَّ هٰذِهِ الدَّارَ الدُّنْيَا ، هِيَ مَيْدَانُ الِامْتِحَانِ ، وَدَارُ الْخِدْمَةِ ؛ وَلَيْسَتْ مَكَانَ اللَّذَّةِ وَالْأُجْرَةِ وَالْمُكَافَأَةِ . فَإِذَا كَانَتْ دَارَ الْخِدْمَةِ ، وَمَكَانَ الْعِبَادَةِ ؛ تُوَافِقُ الْأَمْرَاضُ وَالْمَصَائِبُ ، تِلْكَ الْخِدْمَةَ وَالْعُبُودِيَّةَ ؛ وَتُقَوِّيهِمَا ؛ إِنْ لَمْ تَكُنْ دِينِيَّةً ؛ وَصَبَرَ عَلَيْهَا ؛ وَلَا بُدَّ مِنَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا ، لَا الشَّكْوٰى مِنْهَا ، حَيْثُ تَجْعَلُ كُلَّ سَاعَةٍ ، فِي حُكْمِ يَوْمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ الْعِبَادَةَ قِسْمَانِ مُوجِبٌ وَسَالِبٌ . فَالْمُوجِبُ مِنْهَا مَعْلُومٌ . وَأَمَّا الْقِسْمُ السَّالِبُ ، فَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُصَابَ يُحِسُّ ضَعْفَهُ بِالْأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ ؛ فَيَتَوَجَّهُ إِلٰى رَبِّهِ الرَّحِيمِ ، مُلْتَجِئاً إِلَيْهِ ؛ وَيَذْكُرُهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ؛ فَبِذٰلِكَ يَعْمَلُ عِبَادَةً خَالِصَةً . وَهٰذِهِ الْعِبَادَةُ خَالِصَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الرِّيَاءُ ؛ فَإِنْ صَبَرَ وَتَذَكَّرَ ثَوَابَ الْمُصِيبَةِ ؛ وَشَكَرَ عَلَيْهَا ؛ تَصِيرُ حِينَئِذٍ كُلُّ سَاعَةٍ لَهُ ، فِي حُكْمِ يَوْمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ وَيُصْبِحُ عُمْرُهُ الْقَصِيرُ ، عُمْراً طَوِيلاً ؛ حَتّٰى إِنَّهُ

يُوجَدُ بَعْضٌ تُصْبِحُ دَقِيقَةٌ مِنْ دَقَائِقِهِ ، بِمَثَابَةِ عِبَادَةِ يَوْمٍ ؛ حَتّى إِنَّهُ كَانَ لِي أَخٌ أُخْرَوِيٌّ يُدْعٰى بِالْحَافِظِ «أَحْمَدَ الْمُهَاجِرِ» ؛ فَكُنْتُ أَحْزَنُ كَثِيراً ، عَلٰى مَرَضٍ هَائِلٍ لَهُ ؛ فَأُخْطِرَ عَلٰى قَلْبِي : أَنْ حَيِّهِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنْ دَقَائِقِهِ ، تُصْبِحُ فِي حُكْمِ عِبَادَةِ يَوْمٍ ؛ وَقَدْ كَانَ يَشْكُرُ فِي الصَّبْرِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ إِذَا تَذَكَّرَ حَيَاتَهُ الْمَاضِيَةَ ؛ يَرِدُ عَلٰى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، إِمَّا الْحُزْنُ ، أَوِ الْفَرَحُ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّهُ إِمَّا يَتَأَسَّفُ ؛ أَوْ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ . فَالَّذِي يُنْطِقُهُ بِالْأَسَفِ ، هُوَ آلَامٌ مَعْنَوِيَّةٌ تَنْشَأُ عَنْ زَوَالِ لَذَائِذِ الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، وَعَنْ فِرَاقِهَا ؛ لِأَنَّ زَوَالَ اللَّذَّةِ أَلَمٌ ؛ وَقَدْ تُنْتِجُ لَذَّةٌ فَانِيَةٌ ، أَلَماً دَائِماً ؛ وَتَذَكُّرُهَا يَحْفُرُ ذٰلِكَ الْأَلَمَ ؛ فَيَسِيلُ الْأَسَفُ ؛ وَأَنَّ اللَّذَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ الدَّائِمَةَ النَّاشِئَةَ عَنْ زَوَالِ الْآلَامِ الَّتِي قَضَاهَا فِي حَيَاتِهِ الْقَدِيمَةِ ، هِيَ الَّتِي تُنْطِقُ بِالْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ كَمَا بَيَّنَّا فِي مَقَالَةٍ أَوْ مَقَالَتَيْنِ ؛ وَمَعَ هٰذِهِ الْحَالَةِ الْفِطْرِيَّةِ ، إِذَا تَذَكَّرَ مَا هُوَ نَتِيجَةُ الْمَصَائِبِ ، مِنَ الثَّوَابِ وَأَجْرِ الْآخِرَةِ ؛ وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ يُصْبِحُ عُمْرُهُ الْقَصِيرُ ، بِمَثَابَةِ عُمْرٍ طَوِيلٍ ، بِسَبَبِ الْمُصِيبَةِ ؛ يَشْكُرُ عَلَيْهَا أَزْيَدَ مِنَ الصَّبْرِ ؛ وَعَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ سِوَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ» . وَيُوجَدُ قَوْلٌ مَشْهُورٌ ؛ وَهُوَ : أَنَّ زَمَانَ الْمُصِيبَةِ طَوِيلٌ ؛ نَعَمْ : إِنَّ زَمَنَ الْمُصِيبَةِ طَوِيلٌ ؛ وَلٰكِنْ لَا لِأَنَّهُ مُنَغِّصٌ ؛ كَمَا يُظَنُّ فِي عُرْفِ النَّاسِ ؛ بَلْ لِأَنَّهُ يُنْتِجُ نَتَائِجَ حَيَاتِيَّةً ، كَعُمْرٍ طَوِيلٍ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يُشَتِّتْ مَا أَعْطَاهُ اللّٰهُ تَعَالٰى ، مِنْ قُوَّةِ الصَّبْرِ ، فِي سَبِيلِ الْأَوْهَامِ ؛ تَكْفِي إِزَاءَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقَالَةِ الْحَادِيَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ وَلٰكِنَّهُ يُفَرِّقُ قُوَّةَ صَبْرِهِ ، إِلَى الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ، بِتَحَكُّمِ الْوَهْمِ ، وَبِغَفْلَةِ الْإِنْسَانِ ، وَبِتَوَهُّمِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ بَاقِيَةً ؛ فَلَا يَكْفِي صَبْرُهُ ، إِزَاءَ الْمُصِيبَةِ فِي الْحَالِ الْحَاضِرِ ؛ وَيَشْرَعُ بِالشَّكْوٰى ؛ حَتّى إِنَّهُ يَشْكُو اللّٰهَ تَعَالٰى ، إِلَى الْإِنْسَانِ ، حَاشَاهُ ؛ وَيَشْكُو شَكْوٰى جُنُونِيَّةً ؛ وَيُظْهِرُ الْجَزَعَ ، بِصُورَةٍ بَاطِلَةٍ ؛ إِذْ إِنَّ مُصِيبَةَ كُلِّ يَوْمٍ مَضٰى ، قَدْ ذَهَبَتْ مِحْنَتُهَا ؛ وَبَقِيَتْ رَاحَتُهَا ؛ وَزَالَ أَلَمُهَا ؛ وَبَقِيَ مَا فِي زَوَالِهَا مِنَ اللَّذَّةِ ؛ وَرَاحَ غُصَّتُهَا ؛

وَبقِيَ ثَوَابُهَا ؛ فَيَلْزَمُ الشُّكْرُ مُتَلَذِّذاً مِنْ هٰذَا الْحَالِ ، لَا الشَّكْوٰى مِنْهُ ؛ وَيَلْزَمُ أَنْ يُحِبَّ تِلْكَ الْأَيَّامَ ، لَا أَنْ يَغْضَبَ عَنْهَا ؛ فَإِنَّ عُمْرَهُ الْفَانِيَ الْمَاضِيَ يُصْبِحُ فِي حُكْمِ عُمْرٍ بَاقٍ وَسَعِيدٍ ، بِسَبَبِ الْمُصِيبَةِ ؛ فَتَصَوُّرُ مَا فِيهِ مِنَ الْآلَامِ ، وَتَفْرِيقُ بَعْضِ صَبْرِهِ إِلَيْهَا بِالْوَهْمِ ، جُنُونٌ . .

وَأَمَّا الْأَيَّامُ الْآتِيَةُ ، فَإِنَّهَا لَمْ تَأْتِ بَعْدُ ؛ فَتَصَوُّرُ الْمَرَضِ أَوِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي سَيُعَانِيهَا فِيهَا ، وَإِظْهَارُ الْجَزَعِ وَالشَّكْوٰى مِنْهَا ، مِنْ هٰذَا الْحِينِ ، حُمْقٌ ؛ فَكَمَا أَنَّ شُرْبَ الْمَاءِ ، وَأَكْلَ الطَّعَامِ ، مُتَتَالِياً بِزَعْمِ أَنَّهُ سَيَجُوعُ وَيَظْمَأُ غَداً وَبَعْدَ غَدٍ ، جُنُونٌ عَلٰى وَجْهِ الْحُمْقِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ تَفَكُّرَ الْمَصَائِبِ وَالْأَمْرَاضِ فِي الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ الَّتِي هِيَ مَعْدُومَةٌ الْآنَ ، وَالتَّأَلُّمَ بِهَا ، وَإِظْهَارَ الْجَزَعِ مِنْهَا ، مِنْ هٰذَا الْحِينِ ، وَالظُّلْمَ بِنَفْسِهِ عَلٰى نَفْسِهِ ، بِدُونِ أَيِّ اضْطِرَارٍ ، بَلَاهَةٌ تَسْلُبُ لِيَاقَةَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ فِي حَقِّهِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ كَمَا يَزِيدُ الشُّكْرُ النِّعْمَةَ ؛ كَذٰلِكَ الشَّكْوٰى تَزِيدُ الْمُصِيبَةَ ؛ وَتَسْلُبُ لِيَاقَةَ الرَّحْمَةِ . وَقَدِ ابْتُلِيَ إِنْسَانٌ مُبَارَكٌ ، فِي مَدِينَةِ «أَرْضُرُوْمَ» ، بِمَرَضٍ هَائِلٍ ؛ وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْأُولٰى مِنَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولٰى ؛ فَذَهَبْتُ إِلٰى عِيَادَتِهِ ؛ فَقَالَ لِي : لَقَدْ صَارَ مِئَةَ لَيْلَةٍ لَمْ أَضَعْ رَأْسِي عَلَى الْوِسَادَةِ ؛ فَلَمْ أَنَمْ ؛ وَشَكَا شَكْوٰى أَلِيمَةً ؛ فَتَأَلَّمْتُ لَهُ كَثِيراً ؛ فَسَنَحَ بِبَالِي فَجْأَةً ؛ فَقُلْتُ : يَا أَخِي ! إِنَّ أَيَّامَكَ الْمِئَةَ الْمَاضِيَةَ الْمُنَغَّصَةَ ، هِيَ الْآنَ ، بِمَثَابَةِ مِئَةِ يَوْمٍ ذَاتِ سُرُورٍ ؛ فَلَا تَذْكُرْهَا فَتَشْكُوَ مِنْهَا ؛ وَانْظُرْ إِلَيْهَا فَاشْكُرْ عَلَيْهَا . وَأَمَّا الْأَيَّامُ الْآتِيَةُ ، فَلَمْ تَجِئْ بَعْدُ ؛ فَتَوَكَّلْ عَلٰى رَحْمَةِ رَبِّكَ «الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» ؛ وَلَا تَبْكِ بِدُونِ أَنْ تُضْرَبَ ؛ وَلَا تَخْشَ مِنَ الْمَعْدُومِ ؛ وَلَا تُعْطِ الْعَدَمَ ، صِبْغَةَ الْوُجُودِ ؛ وَاذْكُرْ هٰذِهِ السَّاعَةَ فَقَطْ ؛ فَيَكْفِي لَهَا ، مَا فِيكَ مِنْ قُوَّةِ الصَّبْرِ ؛ وَلَا تَعْمَلْ كَمَا عَمِلَ قَائِدٌ مَجْنُونٌ ؛ حَيْثُ انْضَمَّتْ قُوَّةُ الْجَنَاحِ الْأَيْسَرِ مِنَ الْأَعْدَاءِ ، إِلٰى جَنَاحِهِ الْأَيْمَنِ ؛ فَأَصْبَحَتْ لَهُ قُوَّةً جَدِيدَةً ؛ وَلَمْ يَأْتِ بَعْدُ ، الْجَنَاحُ الْأَيْمَنُ مِنَ الْعَدُوِّ فِي جَنَاحِهِ الْأَيْسَرِ ؛ فَيَشْرَعُ يُفَرِّقُ قُوَّةَ الْمَرْكَزِ ، إِلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ ؛ وَيَتْرُكُ الْمَرْكَزَ ضَعِيفاً ؛ فَيُدَمِّرُ الْعَدُوُّ ، الْمَرْكَزَ بِأَدْنٰى قُوَّةٍ ؛ وَقُلْتُ : يَا أَخِي ! لَا تَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ هٰذَا الْقَائِدُ ؛ فَاحْشِدْ كُلَّ قُوَّتِكَ ، إِزَاءَ هٰذِهِ السَّاعَةِ ؛ وَاذْكُرْ رَحْمَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى ، وَأَجْرَ الْآخِرَةِ ، وَتَحْوِيلَ

عُمْرِكَ الْقَصِيرِ الْفَانِي ، إِلٰى صُورَةٍ طَوِيلَةٍ بَاقِيَةٍ ؛ وَاشْكُرِ اللهَ شُكْراً مُفَرِّحاً ، عِوَضاً عَنْ هٰذِهِ الشَّكْوَى الْأَلِيمَةِ ؛ فَفَرِحَ كُلَّ الْفَرَحِ ؛ وَقَالَ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ ، لَقَدْ هَبَطَ مَرَضِي مِنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الْوَاحِدِ» . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ ثَلَاثُ مَسَائِلَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : أَنَّ الْمُصِيبَةَ الْأَسَاسِيَّةَ الضَّارَّةَ ، هِيَ الْمُصِيبَةُ النَّازِلَةُ بِالدِّينِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنَ الِاسْتِغَاثَةِ وَالِالْتِجَاءِ إِلٰى بَابِهِ تَعَالٰى ، مِنْ مُصِيبَةِ الدِّينِ دَائِماً ؛ وَلٰكِنَّ الْمَصَائِبَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ دِينِيَّةً ، لَيْسَتْ مُصِيبَةً فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَمِنْهَا مَا هُوَ إِخْطَارٌ رَحْمَانِيٌّ ؛ فَكَمَا أَنَّ الرَّاعِيَ يَرْمِي بِالْحَجَرِ ، إِلٰى غَنَمِهِ الْمُعْتَدِيَةِ عَلٰى مَزْرَعَةِ الْغَيْرِ ؛ فَتُحِسُّ مِنْ ذٰلِكَ الْحَجَرِ ، أَنَّ هٰذَا إِنْذَارٌ لِلنَّجَاةِ مِنَ الضَّرَرِ ؛ فَتَرْجِعُ مَسْرُورَةً ؛ كَذٰلِكَ تُوجَدُ مَصَائِبُ ظَاهِرَةٌ كَثِيرَةٌ ، هِيَ إِيقَاظَاتٌ وَإِخْطَارَاتٌ إِلٰهِيَّةٌ ؛ وَبَعْضُهَا كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ ؛ وَقِسْمٌ مِنْهَا يُفَرِّقُ الْغَفْلَةَ ؛ وَيُعْلِمُ الْإِنْسَانَ ، عَجْزَهُ وَضَعْفَهُ الْبَشَرِيَّ ؛ وَيُنْتِجُ نَوْعاً مِنَ الْحُضُورِ . وَأَمَّا الْمَرَضُ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمُصِيبَةِ ، فَلَيْسَ ذٰلِكَ الْقِسْمُ ، مُصِيبَةً ؛ بَلْ هُوَ تَطْهِيرٌ وَالْتِفَاتٌ رَبَّانِيٌّ ؛ كَمَا سَبَقَ . وَفِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ ، مَا مَعْنَاهُ : أَنَّ الذُّنُوبَ تَسْقُطُ مِنْ رَجْفِ الْحُمّٰى ؛ كَمَا تَسْقُطُ الثِّمَارُ ، بِهَزِّ شَجَرَةٍ نَاضِجَةٍ ؛ وَأَنَّ النَّبِيَّ أَيُّوبَ (عليه السلام) لَمْ يَدْعُ فِي مُنَاجَاتِهِ ، لِرَاحَةِ نَفْسِهِ ؛ بَلْ لَمَّا أَصْبَحَ الْمَرَضُ ، مَانِعاً مِنْ ذِكْرِ اللِّسَانِ ، وَفِكْرِ الْقَلْبِ ؛ سَأَلَ الشِّفَاءَ ، لِلْعُبُودِيَّةِ . فَنَحْنُ نَنْوِي بِتِلْكَ الْمُنَاجَاةِ ، شِفَاءَ جِرَاحَاتِنَا الْمَعْنَوِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الذُّنُوبِ ؛ وَذٰلِكَ أَوَّلُ مَطْلَبِنَا ؛ وَلَنَا أَنْ نَتَضَرَّعَ إِلَى اللهِ تَعَالٰى ، لِلْأَمْرَاضِ الْمَادِّيَّةِ ؛ إِذَا كَانَتْ مَانِعَةً عَنِ الْعِبَادَةِ ؛ وَلٰكِنْ لَا نَطْلُبُ عَلٰى وَجْهِ الِاعْتِرَاضِ وَالتَّشَكِّي ؛ بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَجِئَ إِلَيْهِ مُسْتَمِدِّينَ مِنْهُ ، وَمُتَذَلِّلِينَ إِلَيْهِ ؛ فَإِذَا كُنَّا رَاضِينَ بِرُبُوبِيَّتِهِ ؛ يَلْزَمُ الرِّضَا بِمَا يُعْطِيهِ فِي جِهَةِ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةِ . وَأَمَّا التَّشَكِّي وَالتَّأَوُّهُ بِوَجْهٍ يُشْعِرُ بِالِاعْتِرَاضِ عَلٰى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ تَعَالٰى ؛ فَهُوَ نَوْعُ انْتِقَادٍ عَلَى الْقَدَرِ ، وَاتِّهَامٍ لِلرَّحْمَةِ . فَمَنِ انْتَقَدَ الْقَدَرَ ؛ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ ، عَلَى السِّنْدَانِ فَيَكْسِرُهُ ؛ وَمَنِ اتَّهَمَ الرَّحْمَةَ ؛ يُحْرَمُ عَنْ رَحْمَتِهِ تَعَالٰى . فَكَمَا أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْيَدِ الْمُنْكَسِرَةِ ، لِلِانْتِقَامِ بِهَا ، يَزِيدُ فِي كَسْرِهَا ؛

كَذٰلِكَ إِنَّ اسْتِقْبَالَ الْإِنْسَانِ الْمُبْتَلٰى بِالْمُصِيبَةِ ، لَهَا بِالْغَمِّ ، وَالشَّكْوٰى بِالِاعْتِرَاضِ ، يُضَاعِفُ الْمُصِيبَةَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا اسْتَكْبَرَ الْمُصِيبَةَ الْمَادِّيَّةَ ؛ تَتَكَبَّرُ ؛ وَكُلَّمَا اسْتَصْغَرَهَا ؛ تَتَصَاغَرُ . فَمَثَلاً : إِذَا لَمَسَ خَيَالٌ ، بَصَرَ الْإِنْسَانِ فِي اللَّيْلِ ؛ كُلَّمَا اهْتَمَّ بِهِ ؛ يَنْتَفِخُ ؛ وَإِذَا لَمْ يَهْتَمَّ بِهِ ؛ يَغِيبُ ؛ وَكَمَا أَنَّهُ كُلَّمَا مَسَّ النَّحْلَ ؛ تَهْجُمُ عَلَيْهِ كَثِيراً ؛ وَإِذَا تَخَلّٰى عَنْهَا ؛ تَفْتَرِقُ عَنْهُ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْمَصَائِبَ الْمَادِّيَّةَ ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهَا بِنَظَرِ الِاهْتِمَامِ وَالْكِبَرِ ؛ تَتَكَبَّرُ ؛ فَتَمْضِي عَنِ الْجَسَدِ ؛ وَتَثْبُتُ جُذُورُهَا ، فِي الْقَلْبِ ، بِسَبَبِ الْحُزْنِ ؛ وَتُنْتِجُ مُصِيبَةً مَعْنَوِيَّةً ؛ وَتَسْتَنِدُ إِلَيْهَا فَتَدُومُ ؛ فَمَتٰى أَزَاحَ ذٰلِكَ الْحُزْنَ ، بِسَبَبِ التَّوَكُّلِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ ؛ تَخِفُّ الْمُصِيبَةُ الْمَادِّيَّةُ ، كَشَجَرَةٍ قُطِعَتْ جُذُورُهَا ؛ فَتَيْبَسُ وَتَذْهَبُ جُفَاءً . .

وَقَدْ قُلْتُ فِي وَقْتٍ مَّا ، لِإِفَادَةِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، هٰكَذَا :

دَعِ الْعَوِيلَ ، أَيُّهَا الْبَائِسُ ! فَتَوَكَّلْ عَنِ الْبَلَاءِ ❁ إِذِ الْعَوِيلُ بَلَاءٌ فِي بَلَاءٍ ، فِي خَطَأٍ ؛ فَاعْلَمْ . .

فَإِنْ وَجَدْتَ مَنْ أَعْطَى الْبَلَاءَ ❁ فَبَلَاءٌ فِي صَفَاءٍ ، فِي عَطَاءٍ ؛ فَاعْلَمْ . .

بَيْنَمَا كَانَ الْبَلَاءُ فِي رَأْسِكَ ، مِلْءَ الدُّنْيَا ❁ مَاذَا تَصْرُخُ مِنْ بَلَاءٍ صَغِيرٍ ؟ فَتَعَالَ تَوَكَّلْ . .

وَاضْحَكْ فِي وَجْهِ الْبَلَاءِ بِالتَّوَكُّلِ ❁ كَيْ يَضْحَكَ هُوَ أَيْضاً ؛ فَكُلَّمَا يَضْحَكُ ؛ يَتَصَاغَرُ وَيَتَبَدَّلُ ❁ ؛ فَكَمَا أَنَّ الْمُعَادَاةَ تَعُودُ بِالضَّحِكِ ، إِلَى الْمُصَالَحَةِ ؛ وَالْخُصُومَةَ إِلَى الْمِزَاحِ ؛ وَيَتَصَاغَرُ الْعُدْوَانُ ؛ وَيَنْعَدِمُ بِالتَّبَسُّمِ إِزَاءَ خَصْمٍ رَهِيبٍ ؛ كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ أَمَامَ الْمُصِيبَةِ ، بِالتَّوَكُّلِ كَذٰلِكَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ حُكْماً ؛ فَقَدْ بَدَّلَتِ الْمُصِيبَةُ ، شَكْلَهَا ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ الَّذِي هُوَ زَمَانُ الْغَفْلَةِ ؛ فَالْبَلَاءُ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ ، وَفِي بَعْضِ النَّاسِ ، لَيْسَ بَلَاءً ؛ بَلْ يَكُونُ لُطْفاً إِلٰهِيّاً ؛ وَإِنِّي أَرَى الْمَرْضٰى ، سُعَدَاءَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ إِنْ لَمْ تَضُرَّ الْمُصِيبَةُ بِالدِّينِ ؛ فَلَا تُورِثُنِي الْمُصِيبَةُ ، فِكْراً مُعَارِضاً لِلْمَرَضِ وَالْمُصِيبَةِ ؛ وَلَا تُورِثُنِي حِسَّ التَّأَلُّمِ

لَهُمْ ؛ إِذْ أَيُّ شَابٍّ مَرِيضٍ أَتَانِي ، أَرٰى لَهُ تَعَلُّقاً بِالْآخِرَةِ ، وَفَرِيضَةِ الدِّينِ ، بَعْضَ التَّعَلُّقِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى أَمْثَالِهِ ؛ فَعَلِمْتُ مِنْ ذٰلِكَ ، أَنَّ ذٰلِكَ النَّوْعَ مِنَ الْمَرَضِ ، لَيْسَ مُصِيبَةً فِي حَقِّ مِثْلِهِ ؛ بَلْ نَوْعٌ مِنَ النِّعَمِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْمَرَضَ ؛ وَإِنْ أَوْرَثَ حَيَاتَهُ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةَ الْفَانِيَةَ ، مِحْنَةً ؛ إِلَّا أَنَّهُ يَنْفَعُ حَيَاتَهُ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَيُصْبِحُ فِي حُكْمِ نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ . فَإِذَا وَجَدَ الصِّحَّةَ ؛ لَا يُحَافِظُ عَلَى حَالَةِ الْمَرَضِ ؛ بَلْ يَخُوضُ فِي الْأَهْوَاءِ ، بِسُكْرِ الشَّبَابِ ، وَسَفَهِ الزَّمَانِ . .

خَاتِمَةٌ :

إِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، أَدْرَجَ فِي مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ ، عَجْزاً بِلَا حَدٍّ ، وَفَقْراً بِلَا نِهَايَةٍ ، لِإِظْهَارِ قُدْرَتِهِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، وَرَحْمَتِهِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَكَذَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، لِإِظْهَارِ مَا لَا يُحَدُّ مِنْ نُقُوشِ أَسْمَائِهِ ؛ كَأَنَّهُ جِهَازٌ يَتَلَذَّذُ بِجِهَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ كَمَا يَتَأَلَّمُ بِجِهَاتٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَتُوجَدُ فِي ذٰلِكَ الْجِهَازِ الْإِنْسَانِيِّ ، مِئَاتٌ مِنَ الْآلَاتِ ؛ فَلِكُلٍّ مِنْهَا ، أَلَمٌ آخَرُ ، وَلَذَّةٌ أُخْرٰى ، وَعَمَلٌ آخَرُ ، وَمُكَافَأَةٌ أُخْرٰى ؛ حَتّٰى إِنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلٰهِيَّةَ الْمُتَجَلِّيَةَ فِي الْإِنْسَانِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ الْعَالَمُ ، لَهَا جَلَوَاتٌ فِي الْإِنْسَانِ أَيْضاً ، الَّذِي هُوَ عَالَمٌ أَصْغَرُ ؛ فَكَمَا أَنَّ الْأُمُورَ النَّافِعَةَ فِي هٰذَا الْعَالَمِ الْأَصْغَرِ ، كَالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَاللَّذَّاتِ ، تُنْطِقُهُ بِالشُّكْرِ ؛ وَيَسُوقُ ذٰلِكَ الْجِهَازَ ، إِلٰى وَظَائِفِهِ ، بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَيُصْبِحُ الْإِنْسَانُ ، كَمَصْنَعٍ لِلشُّكْرِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّهُ تَعَالٰى ، يُحَرِّكُ سَائِرَ لَوَالِبِ ذٰلِكَ الْجِهَازِ ؛ وَيُهَيِّجُهَا بِالْمَصَائِبِ وَالْعِلَلِ وَالْأَسْقَامِ ، وَسَائِرِ الْعَوَارِضِ ، الْمُهَيِّجَةِ الْمُحَرِّكَةِ ؛ وَيَسْتَعْمِلُ مَعْدِنَ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ وَالْفَقْرِ ، الْمُنْدَرِجَةِ فِي مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ ؛ فَيُعْطِيهِ حَالَ الْتِجَاءٍ وَاسْتِمْدَادٍ بِأَلْسِنَةِ كُلِّ الْأَعْضَاءِ ، لَا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ ؛ كَأَنَّ الْإِنْسَانَ يُصْبِحُ بِتِلْكَ الْعَوَارِضِ ، قَلَماً مُتَحَرِّكاً يَتَضَمَّنُ أُلُوفَ أَقْلَامٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَيَكْتُبُ مُقَدَّرَاتِ حَيَاتِهِ ، فِي صَحِيفَةِ حَيَاتِهِ ، أَوْ فِي لَوْحِ الْمِثَالِ ؛ وَيَجْعَلُهَا إِعْلَانَاتٍ لِلْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُصْبِحُ الْإِنْسَانُ ، كَقَصِيدَةٍ مَنْظُومَةٍ سُبْحَانِيَّةٍ ؛ وَيُؤَدِّي وَظِيفَةَ فِطْرَتِهِ . .

اَللَّمْعَةُ الثَّالِثَةُ

قَدِ اخْتَلَطَ بَعْضُ الْحِسِّ وَالذَّوْقِ، بِهٰذِهِ اللَّمْعَةِ الثَّالِثَةِ؛ فَلَا تُوزَنُ بِمَوَازِينِ الْمَنْطِقِ؛ لِأَنَّ إِفْرَاطَ الْحِسِّ وَالذَّوْقِ، لَا يَسْتَمِعُ إِلَى دَسَاتِيرِ الْعَقْلِ؛ وَلَا يُرَاعِي مَوَازِينَ الْفِكْرِ..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

«يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي.. يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي»

إِنَّ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ الدَّالَّتَيْنِ عَلَى مَآلِ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ، تُفِيدَانِ حَقِيقَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ يَفْعَلُ بِهِمَا، بَعْضُ رُؤَسَاءِ النَّقْشِيَّةِ، خَتْمَةً خَاصَّةً بِهِمْ؛ وَيَقْبَلُونَهَا فِي حُكْمِ خَتْمَةٍ نَقْشِيَّةٍ مُخْتَصَرَةٍ. فَإِذَا أَفَادَتْ هَاتَانِ الْجُمْلَتَانِ، فَحْوَى تِلْكَ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ؛ نُبَيِّنُ بَعْضَ نِكَاتِ تَيْنِكَ الْحَقِيقَتَيْنِ الْمُهِمَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ تُفِيدَانِهِمَا..

﴿اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى:﴾ أَنَّ الْمَرَّةَ الْأُولَى مِنْ (يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي)، هِيَ بِمَثَابَةِ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ تُجَرِّدُ الْقَلْبَ؛ وَتَقْطَعُهُ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى؛ وَذٰلِكَ: أَنَّ الْإِنْسَانَ، بِاعْتِبَارِ جَامِعِيَّةِ مَاهِيَّتِهِ، ذُو صِلَةٍ بِأَكْثَرِ الْمَوْجُودَاتِ؛ وَكَذَا أُدْرِجَ فِي مَاهِيَّتِهِ الْجَامِعَةِ، اسْتِعْدَادُ مَحَبَّةٍ لَا حَدَّ لَهَا؛ فَلِذٰلِكَ يُضْمِرُ الْإِنْسَانُ، فِي نَفْسِهِ مَحَبَّةً إِزَاءَ عُمُومِ الْمَوْجُودَاتِ؛ فَيُحِبُّ الدُّنْيَا الْعَظِيمَةَ، كَبَيْتِهِ؛ وَيُحِبُّ الْجَنَّةَ الْأَبَدِيَّةَ، كَحَدِيقَتِهِ؛ فَتُصْبِحُ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا،

وَسِيلَةً لِعَذَابٍ مَعْنَوِيٍّ لا حَدَّ لَهُ . فَالْخَطِيئَةُ وَالتَّقْصِيرُ فِي مُعَانَاتِهِ لِذٰلِكَ الْعَذَابِ ، تَعُودُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ مَا فِي قَلْبِهِ ، مِنِ اسْتِعْدَادِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، أُعْطِيَ لِيُوَجِّهَهُ إِلَى صَاحِبِ جَمَالٍ بَاقٍ لا حَدَّ لَهُ ؛ فَيُسِيءُ اسْتِعْمَالَهَا ؛ وَيُقَصِّرُ فِيهَا ؛ حَيْثُ يَصْرِفُ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ ، عَلَى الْمَوْجُودَاتِ الْفَانِيَةِ ؛ فَيُقَاسِي جَزَاءَ الْخَطَأِ ، بِعَذَابِ الْفِرَاقِ . فَالْجُمْلَةُ الْأُولَى الْمُفِيدَةُ لِحَصْرِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْمَحْبُوبِ الْبَاقِي ، بِأَنْ يَتَبَرَّأَ عَنْ هٰذَا الْخَطَأِ ؛ وَيَقْطَعَ الْعَلاقَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَحْبُوبَاتِ الْفَانِيَةِ ؛ وَيَتْرُكَهَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ ، تُفِيدُ تِلْكَ الْجُمْلَةُ الْأُولٰى ، هٰذَا الْمَعْنٰى ؛ وَهُوَ : أَنَّكَ **أَيُّهَا الْبَاقِي** ! أَنْتَ وَحْدَكَ الْبَاقِي الْحَقِيقِيُّ ؛ وَمَا سِوَاكَ فَانٍ ؛ وَالْفَانِي لا يُصْبِحُ مَدَاراً لِعَلاقَةِ قَلْبٍ خُلِقَ لِلْأَبَدِ ، وَلِحُبٍّ بَاقٍ ، وَعِشْقٍ أَزَلِيٍّ وَأَبَدِيٍّ . فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَحْبُوبَاتُ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، فَانِيَةً تَتْرُكُنِي وَتُسَافِرُ ؛ فَإِنِّي أَتْرُكُهَا بِقَوْلِ **(يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي)** ، قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَنِي ؛ وَإِنِّي أَعْلَمُ وَأَعْتَقِدُ أَنَّكَ أَنْتَ الْبَاقِي وَحْدَكَ ؛ وَالْمَوْجُودَاتُ تَبْقٰى بِبَقَائِكَ . فَإِذاً إِنَّهَا تُحَبَّبُ بِحُبِّكَ ؛ وَإِلَّا ، فَلَيْسَتْ لائِقَةً بِعَلاقَةِ الْقَلْبِ ؛ هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ تِلْكَ الْجُمْلَةِ الْأُولٰى . فَفِي هٰذِهِ الْحَالَةِ يُعْرِضُ الْقَلْبُ عَمَّا لا حَدَّ لَهَا ، مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ ؛ وَيَرٰى عَلٰى حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، طَابَعَ الْفَنَاءِ ؛ وَيَقْطَعُ عَنْهَا عَلاقَةَ الْقَلْبِ ؛ فَتَحْصُلُ مِنْ ذٰلِكَ ، جِرَاحَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ عَدَدَ مَحْبُوبَاتِهِ ؛ فَتُصْبِحُ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ ، عِلاجاً وَتِرْيَاقاً لِتِلْكَ الْجِرَاحَاتِ الَّتِي لا تُحَدُّ : أَيْ أَنَّكَ **أَيُّهَا الْبَاقِي** ! إِذَا كُنْتَ بَاقِياً ؛ يَكْفِي بَقَاؤُكَ ؛ وَأَنْتَ كَافٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَإِذَا كُنْتَ مَوْجُوداً ؛ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُوداً . **نَعَمْ : إِنَّ مَا فِي الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ، الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْمَحَبَّةِ ، إِشَارَاتٌ إِلَى حُسْنِ الْبَاقِي الْحَقِيقِيِّ ، وَإِلٰى إِحْسَانِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالاتِهِ ، وَظِلالٌ ضَعِيفَةٌ لَهَا ، مَضَتْ عَنْ حُجُبٍ كَثِيرَةٍ ؛ بَلْ هِيَ ظِلالُ ظِلِّ جِلْوَةِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنٰى . .**

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ، عِشْقاً شَدِيداً إِزَاءَ الْبَقَاءِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَتَوَهَّمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُحِبُّهُ ، نَوْعَ بَقَاءٍ ؛ ثُمَّ يُحِبُّهُ بِجِهَةِ الْقُوَّةِ الْوَاهِمَةِ . فَإِذَا تَصَوَّرَ زَوَالَهُ ؛ أَوْ رَآهُ ؛ يَسْتَغِيثُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ . فَكُلُّ النِّيَاحَاتِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْفِرَاقِ ، مُتَرْجِمَةٌ لِلْبُكَاءِ الْوَارِدِ

عَنْ عِشْقِ الْبَقَاءِ ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ تَوَهُّمُ الْبَقَاءِ ؛ لا يُحِبُّ شَيْئاً ؛ حَتّى إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ وُجُودِ عَالَمِ الْبَقَاءِ وَالْجَنَّةِ الْأَبَدِيَّةِ ، هُوَ الدُّعَاءُ الْعَامُّ الْفِطْرِيُّ لِلْبَقَاءِ ، وَطَلَبُهُ الْقَوِيُّ النَّاشِئُ عَنْ ذٰلِكَ الْعِشْقِ الْمَوْجُودِ فِي هٰذِهِ الْمَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَتَقَبَّلَ الْبَاقِي الْجَلِيلُ ، ذٰلِكَ الطَّلَبَ الْفِطْرِيَّ الشَّدِيدَ الْمَتِينَ ، وَذَاكَ الدُّعَاءَ الْعُمُومِيَّ الْقَوِيَّ الْمُؤَثِّرَ ؛ فَخَلَقَ عَالَماً بَاقِياً ، لِلْإِنْسَانِ الْفَانِي ؛ وَكَذَا هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَقَبَّلَ الْفَاطِرُ الْكَرِيمُ ، وَالْخَالِقُ الرَّحِيمُ ، دُعَاءَ الْمَعِدَةِ الصَّغِيرَةِ ، بِلِسَانِ الْحَالِ ، وَدُعَاءَهَا الْجُزْئِيَّ ، لِبَقَاءٍ مُؤَقَّتٍ ، بِإِيجَادِ مَا لا يُحَدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ ؛ وَلا يَتَقَبَّلَ طَلَبَ كُلِّ نَوْعِ الْبَشَرِ ، طَلَباً شَدِيداً نَاشِئاً عَنِ احْتِيَاجٍ فِطْرِيٍّ عَظِيمٍ ، وَدُعَاءَهُمُ الْقَوِيَّ الْكُلِّيَّ ، الدَّائِمَ الْحَقَّ الصَّادِقَ ، الْقَوْلِيَّ وَالْحَالِيَّ ، الْعَائِدَ إِلَى الْبَقَاءِ ؟ حَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ؛ كَلّا لا يُمْكِنُ أَنْ لا يَتَقَبَّلَهُ ؛ وَلا يُنَاسِبُ ذٰلِكَ ، حِكْمَتَهُ وَعَدَالَتَهُ ، وَرَحْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ ، بِأَيِّ وَجْهٍ . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَاشِقاً لِلْبَقَاءِ ؛ تَكُونُ كُلُّ كَمَالاتِهِ وَلَذَائِذِهِ ، تَابِعَةً لِلْبَقَاءِ قَطْعاً . وَإِذَا كَانَ الْبَقَاءُ خَاصّاً بِالْبَاقِي الْجَلِيلِ ؛ وَكَانَتْ أَسْمَاؤُهُ بَاقِيَةً ؛ وَكَانَتْ مَرَايَا الْبَاقِي ، تَتَلَوَّنُ بِلَوْنِ الْبَاقِي ؛ وَتَتَّخِذُ حُكْمَهُ ؛ وَتُصْبِحُ مَظْهَراً لِنَوْعِ بَقَاءٍ ؛ يَكُونُ الْأَمْرُ الْأَلْزَمُ ، وَالْعَمَلُ الْأَهَمُّ ، لِلْإِنْسَانِ ، أَنْ يُحَصِّلَ الاتِّصَالَ بِذٰلِكَ الْبَاقِي ؛ وَيَتَمَسَّكَ بِأَسْمَائِهِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يُصْرَفُ فِي سَبِيلِ الْبَاقِي ، يَكُونُ مَظْهَراً لِنَوْعٍ مِنَ الْبَقَاءِ . . فَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تُفِيدُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ؛ وَتُدَاوِي بِهَا ، مَا لا حَدَّ لَهَا ، مِنْ جِرَاحَاتِ الْإِنْسَانِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّهَا تُسَكِّنُ مَا فِي فِطْرَتِهِ ، مِنَ الطَّلَبِ الشَّدِيدِ لِلْبَقَاءِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ أَنَّ تَأْثِيرَ الزَّمَانِ فِي فَنَاءِ الْأَشْيَاءِ وَزَوَالِهَا ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، مُخْتَلِفٌ غَايَةَ الاخْتِلافِ ؛ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَهِيَ مُتَدَاخِلَةٌ كَالدَّوَائِرِ الْمُتَدَاخِلَةِ ، تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهَا فِي جِهَةِ الزَّوَالِ ؛ فَكَمَا أَنَّ دَائِرَةَ السَّاعَةِ الْعَادَّةَ لِثَوَانِيهَا ، وَالدَّوَائِرَ الْعَادَّةَ لِلدَّقَائِقِ وَالسَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ ، يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فِي الظَّاهِرِ ؛ وَلٰكِنَّهَا مُتَخَالِفَةٌ فِي السُّرْعَةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ دَوَائِرَ الْجِسْمِ وَالنَّفْسِ ، وَالْقَلْبِ وَالرُّوحِ ، فِي الْإِنْسَانِ ، مُتَفَاوِتَةٌ أَيْضاً ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ بَقَاءَ الْجِسْمِ ، وَحَيَاتَهُ وَوُجُودَهُ ، هِيَ الْيَوْمُ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، بَلِ السَّاعَةُ الَّتِي هُوَ فِيهَا ؛ وَمَاضِيهِ

وَمُسْتَقْبَلُهُ مَعْدُومَانِ وَمَيِّتَانِ ؛ مَعَ أَنَّ دَائِرَةَ وُجُودِ الْقَلْبِ وَحَيَاتِهِ ، وَاسِعَةٌ مِنَ الْيَوْمِ الْحَاضِرِ ، إِلَى أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ ؛ وَأَنَّ دَائِرَةً عَظِيمَةً ، فِيمَا قَبْلَ الْيَوْمِ الْحَاضِرِ وَبَعْدَهُ بِسِنِينَ ، دَاخِلَةٌ فِي دَائِرَةِ حَيَاةِ الرُّوحِ وَوُجُودِهِ . فَبِنَاءً عَلَى هٰذَا الإِسْتِعْدَادِ ، يَتَضَمَّنُ الْعُمْرُ الْفَانِي ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، عُمْراً بَاقِياً ؛ وَيُنْتِجُ عُمْراً أَبَدِيّاً ؛ وَيُصْبِحُ بِمَثَابَةِ عُمْرٍ بَاقٍ لَا يَمُوتُ ؛ وَذٰلِكَ بِجِهَةِ الْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَالْعُبُودِيَّةِ السُّبْحَانِيَّةِ ، وَالْمَرْضِيَّاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مَدَارٌ لِلْحَيَاةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ ثَانِيَةً وَاحِدَةً فِي سَبِيلِ مَحَبَّةِ الْبَاقِي الْحَقِيقِيِّ ، وَمَعْرِفَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ ، سَنَةٌ ؛ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ فِي سَبِيلِهَا ؛ فَالسَّنَةُ ، ثَانِيَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ بَلْ إِنَّ ثَانِيَةً فِي سَبِيلِهَا ، سِنُونَ كَثِيرَةٌ ؛ وَإِنَّهَا لَا تَمُوتُ . وَمِئَةُ سَنَةٍ مِنْ عُمْرِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، تَصِيرُ فِي حُكْمِ ثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي جِهَةِ الدُّنْيَا . وَيُوجَدُ قَوْلٌ شَهِيرٌ ؛ وَهُوَ : «سَنَةُ الْفِرَاقِ ، سَنَةٌ ؛ وَسَنَةُ الْوِصَالِ ، سِنَةٌ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ ثَانِيَةً مِنَ الْفِرَاقِ ، مَدِيدَةٌ مِقْدَارَ سَنَةٍ ؛ وَأَنَّ سَنَةً مِنَ الْوِصَالِ ، قَصِيرَةٌ بِقَدَرِ ثَانِيَةٍ . وَإِنِّي أَقُولُ بِعَكْسِ هٰذِهِ الْفِقْرَةِ تَمَاماً : «إِنَّ ثَانِيَةً مِنَ الْوِصَالِ : أَيْ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، وَفِي دَائِرَةِ رِضَا الْبَاقِي الْجَلِيلِ ، لَيْسَتْ سَنَةً هٰكَذَا ، فَحَسْبُ ؛ بَلْ هِيَ نَافِذَةٌ دَائِمَةٌ لِلْوِصَالِ ؛ وَإِنَّ سَنَةً ، بَلْ أَلْفَ سَنَةٍ ، فِي فِرَاقِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالِ ، هِيَ فِي حُكْمِ ثَانِيَةٍ» . . وَيُوجَدُ هٰذَا الْقَوْلُ ، أَشْهَرَ مِنْ ذٰلِكَ الْقَوْلِ ؛ وَهُوَ : «أَرْضُ الْفَلَاةِ مَعَ الْأَعْدَاءِ فِنْجَانٌ ❁ سَمُّ الْخِيَاطِ مَعَ الْأَحْبَابِ مَيْدَانٌ» ؛ وَهُوَ يُؤَيِّدُ حُكْمَنَا . وَلِلْقَوْلِ الْأَوَّلِ الشَّهِيرِ ، مَعْنًى صَحِيحٌ ؛ وَهُوَ : أَنَّ وِصَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْفَانِيَةِ ، لَمَّا كَانَ فَانِياً ؛ كَانَ فِي حُكْمِ الْقَصِيرِ ؛ مَهْمَا كَانَ طَوِيلاً ؛ فَتَنْقَضِي سَنَتُهُ كَثَانِيَةٍ ؛ وَتُصْبِحُ خَيَالاً ذَا حَسْرَةٍ ، وَرُؤْيَا ذَاتَ أَسَفٍ . وَإِنَّ الْقَلْبَ الْإِنْسَانِيَّ الطَّالِبَ لِلْبَقَاءِ ، يَأْخُذُ فِي سَنَةٍ مِنْ هٰذَا الْوِصَالِ الْفَانِي ، ذَوْقاً مِقْدَارَ ذَرَّةٍ ، فِي ثَانِيَةٍ فَقَطْ . وَأَمَّا الْفِرَاقُ ، فَلَيْسَتْ ثَانِيَتُهُ سَنَةً ؛ بَلْ سَنَوَاتٌ ؛ لِأَنَّ مَيْدَانَ الْفِرَاقِ وَاسِعٌ . فَالْفِرَاقُ لِقَلْبٍ طَالِبٍ لِلْبَقَاءِ ؛ وَلَوْ كَانَ فِي ثَانِيَةٍ ، يُؤَثِّرُ تَخْرِيباً مِقْدَارَ أَعْوَامٍ ؛ لِأَنَّهُ يُذَكِّرُ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الْفِرَاقِ . وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ كُلُّهُمَا مُمْتَلِئَانِ بِالْفِرَاقِ ، لِلْمَحَبَّةِ الْمَادِّيَّةِ السُّفْلِيَّةِ . .

فَنَقُولُ بِمُنَاسَبَةِ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ : «أَيُّهَا النَّاسُ ! هَلْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَجْعَلُوا عُمْرَكُمُ الْفَانِي

الْقَصِيرَ بِلا فائِدَةٍ ، عُمْراً بَاقِياً مَدِيداً ، مُثْمِراً وَمُفِيداً ؟ فَإِذَا كَانَ طَلَبُ ذٰلِكَ ، مُقْتَضَى الإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَاصْرِفُوهُ فِي سَبِيلِ الْبَاقِي الْحَقِيقِيِّ ؛ لِأَنَّ مَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْبَاقِي ، يُصْبِحُ مَظْهَراً لِجِلْوَةِ الْبَقَاءِ . وَإِذَا كَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ ، يَطْلُبُ عُمْراً طَوِيلاً ؛ وَهُوَ عَاشِقٌ لِلْبَقَاءِ ، بِصُورَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ وَتُوجَدُ وَسِيلَةٌ لِتَبْدِيلِ هٰذَا الْعُمْرِ الْفَانِي ، بِعُمْرٍ بَاقٍ ؛ وَكَانَ مُمْكِناً ، أَنْ يُجْعَلَ فِي حُكْمِ عُمْرٍ طَوِيلٍ مَعْنًى ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ تَسْقُطْ إِنْسَانِيَّتُهُ ؛ يَتَحَرّٰى تِلْكَ الْوَسِيلَةَ ؛ وَيَجْتَهِدُ لِتَحْوِيلِ ذٰلِكَ الْإِمْكَانِ ، إِلَى الْفِعْلِ ؛ وَيَعْمَلُ مُوَافِقاً لِتِلْكَ الْوَسِيلَةِ ؛ وَهِيَ : أَنْ تَعْمَلُوا لِلّٰهِ ؛ وَتَجْتَمِعُوا لِلّٰهِ ؛ وَتَسْعَوْا لِلّٰهِ ؛ وَتَتَحَرَّكُوا لِلّٰهِ ، وَلِوَجْهِ اللّٰهِ ، وَلِأَجْلِ اللّٰهِ ، فِي دَائِرَةِ رِضَاهُ ؛ فَحِينَئِذٍ تُصْبِحُ دَقَائِقُ عُمْرِكُمْ ، فِي حُكْمِ السِّنِينَ» . وَلِلْإِشَارَةِ إِلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، يُعْلِنُ نَصُّ الْقُرْآنِ : أَنَّ لَيْلَةً وَاحِدَةً كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، هِيَ فِي حُكْمِ أَلْفِ شَهْرٍ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً وَبِضْعِ سِنِينَ ؛ وَكَذَا إِنَّ عِدَّةَ دَقَائِقَ مِنْ زَمَنِ الْمِعْرَاجِ الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، تُثْبِتُ وُجُودَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَتَدُلُّ عَلَى وُقُوعِهَا بِالْفِعْلِ ، بِسِرِّ بَسْطِ الزَّمَانِ الَّذِي هُوَ دُسْتُورٌ مُتَحَقِّقٌ بَيْنَ أَهْلِ الْوَلَايَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، وَمُشِيرٌ إِلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَإِنَّ عِدَّةَ سَاعَاتٍ مِنْ مُدَّةِ الْمِعْرَاجِ ، لَهَا سَعَةٌ وَإِحَاطَةٌ وَامْتِدَادٌ ، فِي حُكْمِ أُلُوفِ السِّنِينَ ؛ لِأَنَّهُ دَخَلَ عَالَمَ الْبَقَاءِ ، بِطَرِيقِ ذٰلِكَ الْمِعْرَاجِ ؛ وَعِدَّةُ دَقَائِقَ مِنْ عَالَمِ الْبَقَاءِ ، تَتَضَمَّنُ آلَافَ سِنِينَ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا . وَيُبْنٰى عَلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، مَا وَقَعَ بِكَثْرَةٍ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ ، مِنْ حَادِثَاتِ بَسْطِ الزَّمَانِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَرْوُونَ وَيُخْبِرُونَ أَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ ، أَدّٰى فِي دَقِيقَةٍ ، عَمَلَ يَوْمٍ ؛ وَبَعْضَهُمْ فَعَلَ فِي سَاعَةٍ ، وَظِيفَةَ سَنَةٍ ؛ وَبَعْضَهُمْ قَرَأَ فِي دَقِيقَةٍ ، خَتْمَةً قُرْآنِيَّةً . فَأَمْثَالُ هٰؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ ، لَا يَرْتَكِبُونَ الْكَذِبَ ، عَنْ عِلْمٍ . وَأَيْضاً إِنَّ حَقِيقَةَ بَسْطِ الزَّمَانِ ، الَّتِي شَاهَدُوهَا بِعَيْنِهَا ، بِتَوَاتُرٍ كَثِيرٍ لَا حَدَّ لَهُ ، لَا تَكُونُ مَدَارَ الشُّبْهَةِ ؛ وَيُرٰى فِي الرُّؤْيَا ، نَوْعٌ مِنْ هٰذَا الْبَسْطِ ، مُصَدَّقٌ لَدٰى كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَقَدْ يَلْزَمُ أَحْيَاناً ، يَوْمٌ بَلْ أَيَّامٌ فِي عَالَمِ الْيَقَظَةِ ، لِرُؤْيَا رَآهَا إِنْسَانٌ ، وَلِأَحْوَالٍ قَضَاهَا فِيهَا ، وَأَقْوَالٍ قَالَهَا ، وَلَذَائِذَ تَلَذَّذَهَا ، وَآلَامٍ قَاسَاهَا فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَتَدُلُّ آيَةُ ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ مَعَ

آيَةِ ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ عَلٰى طَيِّ الزَّمَانِ ؛ كَمَا تَدُلُّ آيَةُ ﴿إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ عَلٰى بَسْطِ الزَّمَانِ ..

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْإِنْسَانَ ؛ وَإِنْ كَانَ فَانِياً ؛ إِلَّا أَنَّهُ خُلِقَ لِلْبَقَاءِ ، وَلِيَكُونَ مِرْآةً لِذَاتٍ بَاقٍ ؛ وَكُلِّفَ بِأَدَاءِ أُمُورٍ تُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ بَاقِيَةً ؛ وَأُعْطِيَ صُورَةً تَكُونُ مَدَاراً لِجَلَوَاتِ أَسْمَاءِ ذَاتٍ بَاقٍ ، وَلِنُقُوشِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْبَاقِيَةِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَسَعَادَةُ مِثْلِ هٰذَا الْإِنْسَانِ ، وَوَظِيفَتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ ، هِيَ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِأَسْمَاءِ ذٰلِكَ الْبَاقِي السَّرْمَدِيِّ ، فِي دَائِرَةِ مَرْضِيَّاتِهِ ؛ وَيَتَوَجَّهَ إِلٰى ذٰلِكَ الْبَاقِي ، بِجَمِيعِ جِهَازَاتِهِ ، وَبِكُلِّ اسْتِعْدَادَاتِهِ ؛ فَيَذْهَبَ فِي طَرِيقِ الْأَبَدِ ؛ فَكَمَا يَقُولُ لِسَانُهُ : «يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي» ؛ فَلْيَقُلْ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ وَعَقْلُهُ ، وَجَمِيعُ لَطَائِفِهِ : «هُوَ الْبَاقِي ؛ هُوَ الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ ؛ هُوَ السَّرْمَدِيُّ ؛ هُوَ الدَّائِمُ ؛ هُوَ الْمَطْلُوبُ ؛ هُوَ الْمَحْبُوبُ ؛ هُوَ الْمَقْصُودُ ؛ هُوَ الْمَعْبُودُ» ..

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ ..

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ..

اَللَّمْعَةُ الرَّابِعَةُ

لَقَدْ وُجِدَ اسْمُ «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ» لاَئِقاً بِهٰذِهِ الرِّسَالَةِ..

إِنَّ مَسْأَلَةَ الإِمَامَةِ، مَعَ كَوْنِهَا مَسْأَلَةً فَرْعِيَّةً، وَقَعَتْ فِي مَرْتَبَةِ مَسْأَلَةٍ إِيمَانِيَّةٍ، لِزِيَادَةِ الاِهْتِمَامِ بِهَا؛ فَصَارَتْ مَدَارَ النَّظَرِ، فِي عِلْمِ الْكَلاَمِ، وَأُصُولِ الدِّينِ؛ فَنَاسَبَتْ بِتِلْكَ الْجِهَةِ، خِدْمَتَنَا الأَسَاسِيَّةَ الْعَائِدَةَ إِلَى الْقُرْآنِ وَالإِيمَانِ؛ فَلِذٰلِكَ بُحِثَ عَنْهَا، بَحْثاً جُزْئِيّاً..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞.. قُلْ لَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبٰى﴾..

نُشِيرُ بِمَقَامَيْنِ، إِلَى بَعْضِ حَقَائِقَ مِنَ الْحَقَائِقِ الْعَظِيمَةِ الْكَثِيرَةِ، مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ..

اَلْمَقَامُ الأَوَّلُ: أَرْبَعُ نِكَاتٍ..

اَلنُّكْتَةُ الأُولٰى: أَنَّهَا تُفِيدُ كَمَالَ شَفَقَةِ «الرَّسُولِ الأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ)، وَكَمَالَ رَحْمَتِهِ، إِزَاءَ أُمَّتِهِ. نَعَمْ: إِنَّ «الرَّسُولَ الأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ)، لَمَّا قَدِمَ إِلَى الدُّنْيَا

مِنْ جَدِيدٍ ؛ سَمِعَتْ أُمُّهُ مِنْ مُنَاجَاتِهِ : (أُمَّتِي ، أُمَّتِي) ؛ وَذٰلِكَ بِتَصْدِيقِ أَهْلِ الْكَشْفِ ؛ كَمَا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ رَأْفَتَهُ وَشَفَقَتَهُ ؛ وَيَقُولُ : (أُمَّتِي ، أُمَّتِي) ، بِالرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ ، حِينَمَا يَقُولُ كُلُّ أَحَدٍ ، مِنْ هَوْلِ الْمَحْشَرِ ، حَتَّى الْأَنْبِيَاءُ : (نَفْسِي نَفْسِي) ؛ وَكَذَا أَنَّ كُلَّ تَأْرِيخِ حَيَاتِهِ ، وَمَا نَشَرَهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الشَّفِيقَةِ ، تَدُلُّ عَلٰى كَمَالِ شَفَقَتِهِ وَرَأْفَتِهِ ؛ كَمَا أَنَّهُ أَظْهَرَ شَفَقَةً بِلَا حَدٍّ ، بِإِظْهَارِ عَلَاقَتِهِ بِجَمِيعِ سَعَادَةِ أُمَّتِهِ ، مِنْ كَمَالِ شَفَقَتِهِ ؛ وَذٰلِكَ بِإِظْهَارِهِ احْتِيَاجاً بِلَا حَدٍّ ، إِلٰى مَا لَا يُحَدُّ مِنْ صَلَوَاتِ أُمَّتِهِ ؛ فَتَرْكُ مُرَاعَاةِ سُنَّةٍ مِثْلِ «هٰذَا الْمُرْشِدِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ» مِنْ سُنَنِهِ السَّنِيَّةِ ، أَيُّ كُفْرَانٍ ، وَفِقْدَانِ وِجْدَانٍ ؛ فَقِسْ عَلَيْهِ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، أَظْهَرَ شَفَقَةً عَظِيمَةً ، إِزَاءَ بَعْضِ مَوَادَّ جُزْئِيَّةٍ خَاصَّةٍ ، فِي وَظِيفَةِ النُّبُوَّةِ الْكُلِّيَّةِ الْعَامَّةِ ؛ فَصَرْفُ تِلْكَ الشَّفَقَةِ الْعَظِيمَةِ ، عَلٰى تِلْكَ الْمَوَادِّ الْجُزْئِيَّةِ الْخُصُوصِيَّةِ ، لَا يُوَافِقُ أَهَمِّيَّةَ وَظِيفَةِ النُّبُوَّةِ ، أَهَمِّيَّةً فَائِقَةً عَلَى الْعَادَةِ ، حَسَبَ ظَاهِرِ الْحَالِ ؛ وَلٰكِنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ الْجُزْئِيَّةَ ، لِكَوْنِهَا مُمَثِّلَةً وَرَأْساً لِسِلْسِلَةٍ سَتَكُونُ مَدَاراً لِوَظِيفَةِ النُّبُوَّةِ الْكُلِّيَّةِ الْعُمُومِيَّةِ ، أُعْطِيَ مُمَثِّلُ تِلْكَ السِّلْسِلَةِ الْعَظِيمَةِ ، اهْتِمَاماً بَالِغاً عَلَى الْعَادَةِ ، بِحِسَابِ تِلْكَ السِّلْسِلَةِ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ مَا أَظْهَرَهُ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) مِنَ الشَّفَقَةِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَالِاهْتِمَامِ الْعَظِيمِ ، إِزَاءَ «الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ» (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالٰى عَنْهُمَا) فِي صِبْوَتِهِمَا ، لَيْسَتْ شَفَقَةً جِبِلِّيَّةً وَمَحَبَّةً نَاشِئَةً عَنْ حِسِّ الْقَرَابَةِ ؛ بَلْ ذٰلِكَ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ كُلّاً مِنْهُمَا ، رَأْسُ حَبْلٍ نُورَانِيٍّ ، مِنْ حِبَالِ وَظِيفَةِ النُّبُوَّةِ ، وَمَنْشَأٌ وَمُمَثِّلٌ وَفِهْرِسٌ لِجَمَاعَةٍ أَهَمَّ ، مِنْ جَمَاعَاتِ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) حَمَلَ «الْحَسَنَ» (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ) ، إِلٰى حُضْنِهِ ؛ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ، بِحِسَابِ الْكَثِيرِينَ مِنْ وَرَثَةِ النُّبُوَّةِ ، وَحَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، الْمُشَابِهِينَ بِالْمَهْدِيِّ ، مِثْلِ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ» ، الْمُتَسَلْسِلِينَ مِنْ سُلَالَةِ «الْحَسَنِ» ، وَالْمُنْحَدِرِينَ مِنْ نَسْلِهِ الْمُبَارَكِ الْمُنَوَّرِ ؛ وَرَأَى (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) بِنَظَرِ النُّبُوَّةِ ، مَا سَيَفْعَلُهُ أُولٰئِكَ السَّادَاتُ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، مِنْ خِدَمَاتِهِمُ الْقُدْسِيَّةِ ؛ فَقَدَّرَ تِلْكَ الْخِدَمَاتِ ؛ وَاسْتَحْسَنَهَا وَقَبَّلَ رَأْسَ «الْحَسَنِ» ، عَلَامَةً لِلتَّقْدِيرِ وَالتَّرْغِيبِ ؛ وَكَذَا أَنَّ مَا

أَظْهَرَهُ لِـ «الْحُسَيْن» (رضي الله عنه) ، مِنَ الاِهْتِمَامِ وَالشَّفَقَةِ الزَّائِدَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، فَهُوَ بِاسْمِ الْكَثِيرِينَ مِنَ الشُّرَفَاءِ وَالْمُنَوَّرِينَ الْمُمَاثِلِينَ لِلْمَهْدِيِّ ، مِثْلِ الْأَئِمَّةِ الرَّفِيعِ الشَّأْنِ ، وَوَرَثَةِ النُّبُوَّةِ الْحَقِيقِيِّينَ ، كَـ «زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، وَجَعْفَرِ الصَّادِقِ» ، الْوَارِدِينَ عَنْ سِلْسِلَةِ «الْحُسَيْن» (رضي الله عنه) النُّورَانِيَّةِ ؛ وَقَبَّلَ جِيدَهُ ؛ وَأَظْهَرَ كَمَالَ شَفَقَتِهِ لَهُ ، وَاهْتِمَامِهِ بِهِ ، بِاسْمِ أُولٰئِكَ الشُّرَفَاءِ ، وَبِحِسَابِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَوَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ «الذَّاتَ الْأَحْمَدِيّ» (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي تَفَرَّجَ بِقَلْبِهِ الْمُطَّلِعِ عَلَى الْغَيْبِ ، مِنْ عَصْرِ السَّعَادَةِ ، عَلَى مَيْدَانِ الْحَشْرِ فِي جَانِبِ الْأَبَدِ ؛ وَشَاهَدَ الْجَنَّةَ ، مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَنَظَرَ مِنْهَا ، إِلَى الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ ؛ وَرَأَى الْحَادِثَاتِ الْمُسْتَتِرَةَ فِي حُجُبِ ظُلُمَاتِ الْمَاضِي ، مِنْ قَبْلِ زَمَنِ آدَمَ ؛ حَتّٰى صَارَ مَظْهَراً لِرُؤْيَةِ «الذَّاتِ ذِي الْجَلَالِ» ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ لَا رَيْبَ أَنَّ نَظَرَهُ النُّورَانِيَّ ، وَبَصَرَهُ الْمُشَاهِدَ لِلاِسْتِقْبَالِ ، رَأَى وَرَاءَ «الْحَسَنِ وَالْحُسَيْن» ، الْأَقْطَابَ ، وَالْأَئِمَّةَ ، وَالْوَرَثَةَ ، وَالْمَهْدِيِّينَ ، الْمُتَسَلْسِلِينَ مِنْهُمَا ؛ فَقَبَّلَ رَأْسَهُمَا ، بِاسْمِهِمْ جَمِيعاً . نَعَمْ : إِنَّ لِـ «الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ» (رضي الله عنه) ، حَظّاً عَظِيماً ، مِنْ تَقْبِيلِ رَأْسِ «الْحَسَنِ» (رضي الله عنه) . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ أَنَّ مَعْنٰى قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبٰى﴾ ، عَلٰى قَوْلٍ ، هُوَ : أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عليه الصلاة والسلام) ، لَا يَسْأَلُ الْأَجْرَ ، إِزَاءَ إِجْرَاءِ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ؛ وَإِنَّمَا يَسْأَلُ الْمَوَدَّةَ لِآلِ الْبَيْتِ فَحَسْبُ . .

إِنْ قِيلَ : يُرٰى مِنْ هٰذَا ، أَنَّهُ طَلَبَ فَائِدَةً تَأْتِي مِنْ جِهَةِ الْقَرَابَةِ النَّسْلِيَّةِ ، حَسَبَ هٰذَا الْمَعْنٰى ؛ مَعَ أَنَّ وَظِيفَةَ الرِّسَالَةِ ، لَا تَجْرِي فِي جِهَةِ قَرَابَةِ النَّسْلِ ، بَلْ فِي نُقْطَةِ الْقُرْبِ الْإِلٰهِيِّ ، بِنَاءً عَلٰى سِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَيكُمْ﴾ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عليه الصلاة والسلام) ، رَأٰى بِنَظَرِهِ الْأَنِيسِ لِلْغَيْبِ ، أَنَّ آلَ بَيْتِهِ سَيُصْبِحُ فِي حُكْمِ شَجَرَةٍ نُورَانِيَّةٍ ، بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ وَظِيفَةَ الْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ ، فِي دَرْسِ الْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، فِي كُلِّ طَبَقَاتِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، سَيَخْرُجُونَ مِنْ

آلِ الْبَيْتِ ، عَلَى الْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَكَشَفَ أَنَّ دُعَاءَ الْأُمَّةِ فِي حَقِّ الْآلِ ، فِي التَّشَهُّدِ ؛ وَهُوَ : ﴿ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ ، وَعَلٰى آلِ مُحَمَّدٍ ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلٰى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلٰى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، فِي الْعَالَمِينَ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ ، سَيَكُونُ ذٰلِكَ الدُّعَاءُ مَقْبُولاً : أَيْ كَمَا أَنَّ الْهُدَاةَ الْمُنَوِّرِينَ ، فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، كَانُوا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنْ نَسْلِهِ ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ كَذٰلِكَ رَأٰى (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) أَنَّ أَقْطَابَ آلِ الْبَيْتِ الْمُحَمَّدِيِّ ، يَكُونُونَ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، فِي الْوَظَائِفِ الْعَظِيمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَفِي أَكْثَرِ طُرُقِهَا وَمَسَالِكِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ أُمِرَ بِأَنْ يَقُولَ : ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبٰى﴾ ؛ فَسَأَلَ مَوَدَّةَ الْأُمَّةِ ، لِآلِ بَيْتِهِ ؛ وَقَدْ قَالَ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فِي رِوَايَاتٍ مُكَرَّرَةٍ تُؤَيِّدُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ : «إِنِّي أَتْرُكُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا ؛ تَنْجُونَ ؛ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ ؛ وَالْآخَرُ آلُ بَيْتِي» ؛ لِأَنَّ مَنْبَعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمُحَافِظَ عَلَيْهَا ، وَالْمُكَلَّفَ بِالْتِزَامِهَا بِكُلِّ جِهَةٍ ، هُوَ آلُ الْبَيْتِ ؛ فَعَلٰى هٰذَا السِّرِّ أُعْلِنَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ الْحَدِيثِيَّةُ ، بِعُنْوَانِ «الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» ؛ فَإِذاً إِنَّ مُرَادَهُ مِنْ آلِ الْبَيْتِ ، بِاعْتِبَارِ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ، هُوَ «السُّنَّةُ السَّنِيَّةُ» ؛ فَمَنْ تَرَكَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ ؛ لَا يَكُونُ مِنْ آلِ الْبَيْتِ حَقِيقِيّاً ؛ كَمَا لَا يَكُونُ صَدِيقاً حَقِيقِيّاً لِآلِ الْبَيْتِ . .

وَأَيْضاً أَنَّ سِرَّ إِرَادَةِ جَمْعِ أُمَّتِهِ ، حَوْلَ آلِ الْبَيْتِ ، هُوَ : أَنَّهُ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلِمَ بِإِذْنِ اللهِ ، أَنَّهُ كُلَّمَا مَضَى الزَّمَانُ ؛ يَكْثُرُ آلُ الْبَيْتِ ؛ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ سَيَقَعُ فِي الضَّعْفِ ؛ فَتَلْزَمُ جَمَاعَةٌ مُتَسَانِدَةٌ كَثِيرَةٌ وَقَوِيَّةٌ ، فِي ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ لِتَكُونَ مَدَاراً وَمَرْكَزاً فِي التَّرَقِّيَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِعَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ فَطَلَبَ جَمْعَ أُمَّتِهِ ، حَوْلَ آلِ بَيْتِهِ . نَعَمْ : إِنَّ أَفْرَادَ آلِ الْبَيْتِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مُتَقَدِّمِينَ كَثِيراً ، عَلٰى غَيْرِهِمْ ، فِي شَأْنِ الِاعْتِقَادِ وَالْإِيمَانِ ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ سَابِقُونَ عَلٰى غَيْرِهِمْ بِكَثِيرٍ ، فِي التَّسْلِيمِ وَالِالْتِزَامِ وَالْوَلَاءِ لِلْإِسْلَامِ ؛ لِأَنَّهُمْ مُوَالُونَ لَهُ ، فِطْرَةً وَنَسْلاً وَطَبْعاً ؛ وَالْوَلَاءُ الطَّبِيعِيُّ ؛ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفاً وَمَهِيناً ؛ بَلْ وَلَوْ كَانَ بَاطِلاً ، لَا يُتْرَكُ ؛ فَأَيْنَ الْوَلَاءُ لِحَقِيقَةٍ قَوِيَّةٍ ، قَيِّمَةٍ وَحَقِيقِيَّةٍ ، رَبَطَتْ جَمِيعَ سِلْسِلَةِ أَجْدَادِهِ ؛ وَكَسَبَتْ لَهُمُ الشَّرَفَ ؛ وَفَدَوْا بِأَرْوَاحِهِمْ لَهَا ؟ فَهَلْ يَتْرُكُ الْوَلَاءَ لَهَا ، مَنْ فَهِمَ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ أَسَاسِيَّةٌ وَفِطْرِيَّةٌ كَذٰلِكَ ؟ فَأَهْلُ الْبَيْتِ يَقْبَلُونَ أَدْنٰى أَمَارَةٍ دَالَّةٍ

عَلٰى دِينِ الْإِسْلَامِ ، كَبُرْهَانٍ قَوِيٍّ ، بِجِهَةِ هٰذَا الِالْتِزَامِ الشَّدِيدِ ، وَالْإِسْلَامِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُمْ مُوَالُونَ لِلْإِسْلَامِ فِطْرَةً ؛ وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَيَلْتَزِمُهُ بَعْدَ التَّمَسُّكِ بِبُرْهَانٍ قَوِيٍّ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ نُشِيرُ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً ، بِمُنَاسَبَةِ النُّكْتَةِ الثَّالِثَةِ ، إِلٰى مَسْأَلَةٍ أَصْبَحَتْ مَدَاراً لِنِزَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، مَعَ الشِّيعَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهَا كَبُرَتْ إِلٰى دَرَجَةٍ دَخَلَتْ كُتُبَ الْعَقَائِدِ ؛ وَصَارَتْ فِي مَرْتَبَةِ الْأُصُولِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ وَهِيَ : أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، يَقُولُونَ : «إِنَّ عَلِيّاً (رضي الله عنه) ، رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ؛ وَالصِّدِّيقَ أَفْضَلُ مِنْهُ ؛ وَكَانَ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ ؛ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا أَوَّلاً» ؛ وَتَقُولُ الشِّيعَةُ : «إِنَّ حَقَّ الْخِلَافَةِ كَانَ لِعَلِيٍّ ؛ فَظُلِمَ عَلَيْهِ ؛ وَالْأَفْضَلُ مِنَ الْكُلِّ ، عَلِيٌّ» . . وَخُلَاصَةُ الدَّلَائِلِ الَّتِي يَأْتُونَ بِهَا ، عَلٰى دَعْوَاهُمْ ، هِيَ : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : «إِنَّ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي حَقِّ عَلِيٍّ ، وَكَوْنَهُ مَرْجِعاً لِلْأَوْلِيَاءِ وَالطُّرُقِ ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، بِعُنْوَانِ «سُلْطَانِ الْوِلَايَةِ» ، وَصِفَاتِهِ الْخَارِقَةَ فِي الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ، وَشِدَّةَ تَعَلُّقِ «النَّبِيِّ» (عليه الصلاة والسلام) ، بِهِ وَبِآلِ الْبَيْتِ الْمُتَسَلْسِلِ مِنْهُ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ الْأَفْضَلُ ؛ وَأَنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ حَقَّهُ ؛ فَاغْتُصِبَتْ مِنْهُ» . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ إِقْرَارَ «عَلِيٍّ» نَفْسِهِ مُكَرَّراً ، وَاتِّبَاعَهُ لِأُولٰئِكَ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَقِيَامَهُ فِي مَقَامِ الْمَشْيَخَةِ لَهُمْ ، أَزْيَدَ مِنْ عِشْرِينَ عَاماً ، تَنْقُضُ دَعْوَى الشِّيعَةِ هٰذِهِ ؛ وَكَذَا أَنَّ حَوَادِثَ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالْمُجَاهَدَاتِ مَعَ الْأَعْدَاءِ ، فِي خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَالْأَحْدَاثَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي عَهْدِ عَلِيٍّ ، تَجْرَحُ أَيْضاً ، دَعْوَى الشِّيعَةِ ، فِي جِهَةِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَإِذاً إِنَّ دَعْوَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، حَقٌّ . .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ الشِّيعَةَ قِسْمَانِ ؛ أَحَدُهُمَا شِيعَةُ الْوِلَايَةِ ؛ وَالْآخَرُ شِيعَةُ الْخِلَافَةِ ؛ وَلْيَكُنْ هٰذَا الْقِسْمُ الثَّانِي ، غَيْرَ مُحِقٍّ ، لِمَزْجِهِمِ الْغَرَضَ وَالسِّيَاسَةَ ، بِدَعْوَاهُمْ ؛ وَلٰكِنْ لَا غَرَضَ وَلَا سِيَاسَةَ ، فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ؛ مَعَ أَنَّ شِيعَةَ الْوِلَايَةِ الْتَحَقَتْ بِشِيعَةِ الْخِلَافَةِ ؛ فَإِنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ فِي أَهْلِ الطُّرُقِ ، يَرَوْنَ عَلِيّاً أَفْضَلَ ؛ فَيُصَدِّقُونَ دَعْوَى شِيعَةِ الْخِلَافَةِ ، فِي جِهَةِ السِّيَاسَةِ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُنْظَرَ إِلٰى عَلِيٍّ بِجِهَتَيْنِ ؛ إِحْدَاهُمَا : هِيَ جِهَةُ مَرْتَبَتِهِ وَكَمَالَاتِهِ

الشَّخْصِيَّةِ ؛ وَالثَّانِيَةُ : هِيَ جِهَةُ تَمْثِيلِهِ لِلشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِآلِ الْبَيْتِ ؛ وَالشَّخْصُ الْمَعْنَوِيُّ لِآلِ الْبَيْتِ ، يَعْكِسُ نَوْعاً مِنْ مَاهِيَّةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) ؛ فَبِاعْتِبَارِ الْجِهَةِ الْأُولٰى ، يُقَدِّمُ أَهْلُ الْحَقِيقَةِ كُلُّهُمْ ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمْ عَلِيٌّ ، (أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ) ؛ وَرَأَوْا مَقَامَهُمَا فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَالْقُرْبِ الْإِلٰهِيِّ أَعْلٰى ؛ وَفِي الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ ، يَكُونُ عَلِيٌّ ، مُمَثِّلاً لِلشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِآلِ الْبَيْتِ ؛ وَشَخْصُ آلِ الْبَيْتِ الْمَعْنَوِيُّ ، مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مُمَثِّلاً لِحَقِيقَةٍ مُحَمَّدِيَّةٍ ، لَا يُوَازَنُ . . فَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي تُثْنِي عَلٰى (عَلِيٍّ) ، ثَنَاءً بَالِغاً عَلَى الْعَادَةِ ، تَنْظُرُ إِلٰى هٰذِهِ الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ . وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، مِنْ رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ ، أَنَّهُ قَالَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عليه الصلاة والسلام) : مَا مَعْنَاهُ : «كُلُّ نَبِيٍّ ، نَسْلُهُ مِنْهُ ؛ وَنَسْلِي ، هُوَ نَسْلُ عَلِيٍّ» . وَسِرُّ زِيَادَةِ انْتِشَارِ الْأَحَادِيثِ الْمُثْنِيَةِ فِي حَقِّ شَخْصِ عَلِيٍّ ، أَزْيَدَ مِنْ سَائِرِ الْخُلَفَاءِ ، هُوَ : أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، نَشَرُوا الرِّوَايَاتِ فِي حَقِّهِ كَثِيراً ، إِزَاءَ تَهَاجُمِ الْخَوَارِجِ وَالْأُمَوِيِّينَ عَلَيْهِ ، وَتَنْقِيصِهِمْ إِيَّاهُ ، بِغَيْرِ حَقٍّ . وَأَمَّا سَائِرُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، فَلَمْ يُحْتَجْ إِلٰى نَشْرِ الْأَحَادِيثِ فِي حَقِّهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصِيرُوا عُرْضَةً لِمِثْلِ ذٰلِكَ الْاِعْتِرَاضِ وَالتَّنْقِيصِ كَثِيراً . .

وَأَيْضاً أَنَّهُ (عليه الصلاة والسلام) ، رَأٰى بِنَظَرِ النُّبُوَّةِ ، أَنَّ «عَلِيّاً» سَيُصْبِحُ هَدَفاً لِحَادِثَاتٍ أَلِيمَةٍ ، وَفِتَنٍ دَاخِلِيَّةٍ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَسَلّٰى عَلِيّاً ؛ وَأَرْشَدَ الْأُمَّةَ ، بِأَحَادِيثَ مُهِمَّةٍ ، مِثْلِ حَدِيثِ ﴿مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ﴾ ، إِنْقَاذاً لِعَلِيٍّ ، عَنِ الْيَأْسِ ، وَلِلْأُمَّةِ ، عَنْ سُوءِ الظَّنِّ فِي حَقِّهِ . وَإِنَّ مَحَبَّةَ شِيعَةِ الْوِلَايَةِ ، لِعَلِيٍّ بِالْإِفْرَاطِ ، وَتَفْضِيلَهُمْ لَهُ الْوَارِدَ مِنْ جِهَةِ الطَّرِيقَةِ ، لَا تَجْعَلُهُمْ مَسْؤُولِينَ فِي دَرَجَةِ شِيعَةِ الْخِلَافَةِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْوِلَايَةِ يَنْظُرُونَ بِاعْتِبَارِ الْمَسْلَكِ ، إِلٰى مُرْشِدِهِمْ ، بِالْمَحَبَّةِ فَقَطْ . وَمِنْ شَأْنِ الْمَحَبَّةِ ، الْغُلُوُّ ؛ فَيُحِبُّ أَنْ يَرٰى مَحْبُوبَهُ ، أَزْيَدَ مِنْ مَقَامِهِ ؛ وَيَرَاهُ كَذٰلِكَ ؛ فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْحَالِ ، مَعْذُورِينَ فِي غُلُوِّ مَحَبَّتِهِمْ ؛ وَلٰكِنْ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَتَعَدّٰى تَفْضِيلُهُمُ النَّاشِئُ عَنِ الْحُبِّ ، إِلٰى ذَمِّ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَعَدَاوَتِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ إِلٰى خَارِجِ الْأُصُولِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَأَمَّا شِيعَةُ الْخِلَافَةِ ، فَإِنَّهُمْ

لَا يَخْلُصُونَ عَنِ الْغَرَضِ وَالِاعْتِدَاءِ ، لِحُلُولِ أَغْرَاضِ السِّيَاسَةِ فِيهِمْ ؛ فَيَفْقِدُونَ حَقَّ الِاعْتِذَارِ ؛ فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ انْتِقَامَهُمْ عَنْ (عُمَرَ) ، فِي صُورَةِ حُبِّ (عَلِيٍّ) ؛ حَتّٰى صَدَقَتْ عَلَيْهِمْ جُمْلَةُ (لَا لِحُبِّ عَلِيٍّ ، بَلْ لِبُغْضِ عُمَرَ) ؛ لِأَنَّ الْقَوْمِيَّةَ الْإِيرَانِيَّةَ جُرِحَتْ بِيَدِ (عُمَرَ) (رضي الله عنه) ؛ كَمَا أَنَّ خُرُوجَ (عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ) ، عَلٰى (عَلِيٍّ) ، وَقِتَالَ «عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ» ، إِزَاءَ (الْحُسَيْنِ) قِتَالاً فَظِيعاً ، أَوْرَثَ الشِّيعَةَ ، غَيْظاً وَعَدَاوَةً شَدِيدَةً ، إِزَاءَ اسْمِ (عُمَرَ) . وَلَا حَقَّ لِشِيعَةِ الْوَلَايَةِ ، إِزَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، أَنْ يَنْتَقِدُوهُمْ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يُنَقِّصُونَ عَلِيّاً ؛ كَمَا يُحِبُّونَهُ جِدّاً ؛ وَلٰكِنْ يَحْتَرِزُونَ عَنْ غُلُوِّ الْحُبِّ ، الَّذِي يَعُدُّ بِالْحَدِيثِ ضَارّاً . وَإِنَّ مَا وَرَدَ مِنَ الثَّنَاءِ النَّبَوِيِّ ، فِي حَقِّ شِيعَةِ (عَلِيٍّ) ، رَاجِعٌ إِلٰى أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ لِأَنَّ شِيعَةَ (عَلِيٍّ) بِالْحُبِّ الْمُسْتَقِيمِ ، هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ . وَقَدْ صُرِّحَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «أَنَّ غُلُوَّ الْحُبِّ فِي حَقِّ (عَلِيٍّ) ، خَطَرٌ ؛ كَمَا أَنَّ إِفْرَاطَ الْمَحَبَّةِ فِي حَقِّ (عِيسٰى) (عليه السلام) خَطَرٌ لِلنَّصَارٰى» . .

فَإِنْ قَالَتْ شِيعَةُ الْوَلَايَةِ : إِنَّ تَرْجِيحَ «الصِّدِّيقِ» عَلٰى (عَلِيٍّ) ، بَعْدَ قَبُولِ فَضَائِلِ (عَلِيٍّ) الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، غَيْرُ مُمْكِنٍ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ إِذَا وُضِعَ (الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ) ، أَوِ (الْفَارُوقُ الْأَعْظَمُ) ، بِفَضَائِلِهِمَا الشَّخْصِيَّةِ ، فِي كَفَّةِ مِيزَانٍ ، مَعَ كَمَالَاتِهِمَا بِوَظِيفَةِ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِمَا ؛ وَوُضِعَ (عَلِيٌّ) فِي الْكَفَّةِ الْأُخْرٰى مِنَ الْمِيزَانِ ، بِفَضَائِلِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْخَارِقَةِ ، مَعَ مُجَاهَدَاتِ خِلَافَتِهِ الْمُعَرَّضَةِ لِسُوءِ الظُّنُونِ ، بِسَبَبِ وَقَائِعَ أَلِيمَةٍ دَاخِلِيَّةٍ ، دَخَلَهَا اضْطِرَاراً ، فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ ، لَا رَيْبَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ رَأَوْا ثِقَلَ كَفَّةِ (الصِّدِّيقِ) أَوِ (الْفَارُوقِ) أَوْ (ذِي النُّورَيْنِ) ؛ فَرَجَّحُوهُمْ عَلَيْهِ . .

وَأَيْضاً إِنَّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ ، أَعْلٰى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَلَايَةِ ، بِحَيْثُ تُرَجَّحُ جَلْوَةٌ مِنَ النُّبُوَّةِ ، مِقْدَارَ دِرْهَمٍ ، عَلٰى جَلْوَةٍ مِنَ الْوَلَايَةِ ، بِقَدْرِ رَطْلٍ ؛ كَمَا أُثْبِتَ فِي الْمَقَالَتَيْنِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ ، وَالرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ فَبِالنَّظَرِ إِلٰى هٰذِهِ الْجِهَةِ ، ظَلَّ نَجَاحُ (الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ) ، وَ (الْفَارُوقِ

الْأَعْظَمِ) فِي زَمَنِ خِلافَتِهِمَا ، دَلِيلاً لَدٰى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، عَلٰى أَنَّ حَظَّهُمَا فِي جِهَةِ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، وَتَأْسِيسِ أَحْكَامِ الرِّسَالَةِ ، زِيدَ مِنْ طَرَفِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَأَنَّ فَضَائِلَ (عَلِيٍّ) الشَّخْصِيَّةَ ، لَمْ تُسْقِطْ ذٰلِكَ الْحَظَّ الْوَافِرَ النَّاشِئَ مِنْ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، عَنِ الْحُكْمِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَصْبَحَ (عَلِيٌّ) فِي زَمَنِ خِلافَةِ (الشَّيْخَيْنِ الْمُكَرَّمَيْنِ) ، شَيْخَ الْإِسْلامِ لَهُمَا ؛ وَاحْتَرَمَهُمَا . فَيَا لَلْعَجَبِ ! كَيْفَ لا يُحِبُّ (الشَّيْخَيْنِ) ؛ وَلا يَحْتَرِمُهُمَا أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ وَيَحْتَرِمُونَ (عَلِيّاً) الَّذِي أَحَبَّهُمَا وَأَكْرَمَهُمَا ؟ .

فَلْنُوضِحْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ بِمِثَالٍ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ مِنْ إِرْثِ رَجُلٍ غَنِيٍّ وَمُثْرٍ ، وَاحِدٌ مِنْ أَوْلادِهِ ، أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ ذَهَباً ، مَعَ عِشْرِينَ رَطْلاً مِنَ الْفِضَّةِ ؛ وَآخَرُ ، خَمْسَةَ أَرْطَالٍ مِنَ الذَّهَبِ ، مَعَ خَمْسَةِ أَرْطَالٍ مِنْ فِضَّةٍ ؛ وَآخَرُ ، خَمْسَةَ أَرْطَالٍ مِنَ الذَّهَبِ ، مَعَ ثَلاثَةِ أَرْطَالٍ مِنَ الْفِضَّةِ ؛ فَإِنَّ الْآخَرَيْنِ ؛ وَإِنْ قَبَضَا قَلِيلاً ، مِنْ حَيْثُ الْكَمِّيَّةُ ؛ إِلّا أَنَّهُمَا قَبَضَا كَثِيراً ، مِنْ حَيْثُ الْكَيْفِيَّةُ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ زِيَادَةً قَلِيلَةً ، مِنْ حَظِّ (الشَّيْخَيْنِ) ، مِنْ ذَهَبِ حَقِيقَةِ الْأَقْرَبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الْمُتَجَلِّيَةِ فِي وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، وَتَأْسِيسِ أَحْكَامِ الرِّسَالَةِ ، تَغْلِبُ عَلٰى مِقْدَارٍ كَثِيرٍ ، مِنَ الْقُرْبِ الْإِلٰهِيِّ ، وَكَمَالاتِ الْوِلايَةِ ، النَّاشِئَتَيْنِ مِنَ الْفَضَائِلِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَجَوْهَرِ الْوِلايَةِ . فَلا بُدَّ فِي الْمُوَازَنَةِ ، مِنَ النَّظَرِ إِلٰى هٰذِهِ النِّقَاطِ . وَإِلّا ، فَإِذَا وُزِنَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ ، فِي نُقْطَةِ الْوِلايَةِ وَالْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ الشَّخْصِيَّةِ ؛ يَتَبَدَّلُ شَكْلُ الْحَقِيقَةِ . وَأَيْضاً إِنَّ (عَلِيّاً) لا يُوَازَنُ فِي جِهَةِ شَخْصِ آلِ الْبَيْتِ ، الْمَعْنَوِيِّ الْمُتَمَثِّلِ فِي ذَاتِهِ ، وَفِي نُقْطَةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْمُتَجَلِّيَةِ فِي تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، بِجِهَةِ الْوِرَاثَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ هُنَاكَ سِرُّ «النَّبِيِّ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، ذٰلِكَ السِّرُّ الْعَظِيمُ . .

وَأَمَّا شِيعَةُ الْخِلافَةِ ، فَلا حَقَّ لَهُمْ ، أَمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، سِوَى الْخَجَلِ ؛ لِأَنَّ هٰؤُلاءِ ، مَعَ ادِّعَائِهِمْ حُبَّ (عَلِيٍّ) حُبّاً زَائِداً عَلَى الْعَادَةِ ، يُنَقِّصُونَهُ ؛ وَيَقْتَضِي مَذْهَبُهُمْ ، أَنْ يَكُونَ عَلٰى سُوءِ الْأَخْلاقِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ (عَلِيّاً) تَمَاشٰى مَعَ (الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ) ؛ وَاتَّقٰى مِنْهُمَا ، حَسَبَ اصْطِلاحِ الشِّيعَةِ : أَيْ إِنَّهُ خَافَ مِنْهُمَا ؛ وَعَمِلَ مَعَهُمَا ، عَمَلَ الْمُرَائِي ؛ مَعَ

أَنَّهُمَا كَانَا غَيْرَ مُحِقَّيْنِ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ يُرى مِثْلُ هٰذَا الْبَطَلِ بَطَلِ الْإِسْلاَمِ ، وَصَاحِبِ عُنْوَانِ (أَسَدِ اللهِ) ، وَقَائِدِ الصِّدِّيقِينَ وَمُرْشِدِهِمْ ، مُتَّصِفاً بِالرِّيَاءِ وَالْخَوْفِ ، وَبِإِظْهَارِ الْحُبِّ ، تَصَنُّعاً لِمَنْ لَا يُحِبُّهُمْ ، وَبِالْمُمَاشَاةِ تَحْتَ الْخَوْفِ ، أَزْيَدَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَبِقَبُولِهِ تَبَعِيَّةَ الْمُبْطِلِينَ ؟ كَلَّا ؛ إِنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ حُبّاً لَهُ ؛ وَإِنَّ «عَلِيّاً» (رضي الله عنه) يَتَبَرَّأُ عَنْ ذٰلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْحُبِّ . .

وَأَمَّا مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ ، فَلاَ يَنْتَقِصُ عَلِيّاً ؛ وَلاَ يَتَّهِمُهُ بِسُوءِ الْخُلُقِ ؛ وَلاَ يُسْنِدُ الْخَوْفَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ الْبَطَلِ الْخَارِقِ فِي الشَّجَاعَةِ ؛ وَيَقُولُونَ : «لَوْلَا أَنَّ عَلِيّاً رَأَى الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ، مُحِقِّينَ ، لَمَا عَرَفَهُمْ ؛ وَلَا أَطَاعَهُمْ دَقِيقَةً وَاحِدَةً ؛ فَإِذاً إِنَّهُ رَآهُمْ مُحِقِّينَ وَرَاجِحِينَ عَلَيْهِ ؛ فَسَلَّمَ غَيْرَتَهُ وَشَجَاعَتَهُ ، لِسَبِيلِ الْحَقِّ» . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ وَأَنَّ الاِسْتِقَامَةَ ، هِيَ الْحَدُّ الْوَسَطُ الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ وَلٰكِنْ تَدَخَّلَ بَعْضُ أَفْكَارِ الْوَهَّابِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ ، تَحْتَ غِطَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ كَمَا أَنَّ مَفْتُونِي السِّيَاسَةِ ، وَبَعْضَ الْمُلْحِدِينَ يَنْتَقِدُونَ عَلِيّاً ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ لَمْ يُثْبِتْ لَيَاقَتَهُ بِالْخِلاَفَةِ ؛ وَلَمْ يُدِرْهَا حَيْثُ لَمْ يَعْرِفِ السِّيَاسَةَ ؛ حَاشَاهُ عَنْ ذٰلِكَ . فَالْعَلَوِيُّونَ يَتَّخِذُونَ حَالَةَ غَيْظٍ ، أَمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، مِنِ اتِّهَامِ هٰؤُلاَءِ اتِّهَاماً بَاطِلاً ؛ مَعَ أَنَّ دَسَاتِيرَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَأُصُولَ مَذْهَبِهِمْ ، لَا تَسْتَلْزِمُ هٰذَا الْفِكْرَ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ عَكْسَ ذٰلِكَ ؛ وَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَصِيرُونَ مَسْؤُولِينَ بِأَمْثَالِ هٰذِهِ الْأَفْكَارِ الْوَارِدَةِ مِنْ طَرَفِ الْخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ ؛ بَلْ إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُوَالُونَ لِعَلِيٍّ ، أَزْيَدَ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ ؛ وَيَذْكُرُونَ «عَلِيّاً» ، فِي كُلِّ خُطَبِهِمْ وَدَعَوَاتِهِمْ ، بِالثَّنَاءِ الْحَقِيقِ بِهِ ، وَلاَسِيَّمَا أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، يَعْلَمُونَهُ مُرْشِداً وَسُلْطَانَ الْوَلاَيَةِ . فَعَلَى الْعَلَوِيِّينَ أَنْ لَا يُجَابِهُوا أَهْلَ الْحَقِّ ، تَارِكِينَ الْخَوَارِجَ وَالْمُلْحِدِينَ الْمُسْتَحِقِّينَ بِعَدَاوَةِ الْعَلَوِيِّينَ وَأَهْلِ السُّنَّةِ ؛ حَتّى إِنَّ بَعْضَ الْعَلَوِيَّةِ يَتْرُكُونَ السُّنَّةَ ، عِنَاداً لِأَهْلِ السُّنَّةِ . .

فَمَهْمَا كَانَ ؛ فَقَدْ أَكْثَرْنَا الْكَلَامَ ، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ مَدَارَ الْبَحْثِ ، بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كَثِيراً . .

فَيَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ ! وَيَا أَيُّهَا الْعَلَوِيُّونَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا حُبَّ آلِ الْبَيْتِ ، مَسْلَكاً لَهُمْ ! أَزِيلُوا مِنْ بَيْنِكُمْ سَرِيعاً ، هٰذَا النِّزَاعَ الضَّارَّ الَّذِي لَا مَعْنٰى لَهُ ؛ وَلَا حَقَّ وَلَا حَقِيقَةَ فِيهِ . وَإِلَّا ؛ فَإِنَّ تَيَّارَ الزَّنْدَقَةِ ، الَّذِي يَحْكُمُ الْآنَ بِصُورَةٍ قَوِيَّةٍ ، يَجْعَلُ بَعْضَكُمْ أَدَاةً لِضَرْبِ الْآخَرِينَ ؛ وَيَسْتَعْمِلُهَا فِي سَحْقِهِمْ ؛ وَبَعْدَمَا يَغْلِبُ عَلٰى هٰؤُلَاءِ ، يَكْسِرُ تِلْكَ الْأَدَاةَ أَيْضاً ؛ وَإِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ مَسَائِلَ جُزْئِيَّةٍ تُفْضِي إِلَى الْافْتِرَاقِ ؛ وَقَدْ كَانَ بَيْنَكُمْ مِئَاتُ رَوَابِطَ قُدُسِيَّةٍ تَأْمُرُ بِالْأُخُوَّةِ وَالْاتِّحَادِ . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي :

يَبْحَثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ حَقَائِقِ آيَةِ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ﴾ الْآيَةَ . .
وَقَدْ أُلِّفَ هٰذَا الْمَقَامُ ؛ وَجُعِلَ اللَّمْعَةَ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالٰى عَنْهُ) . .

اَللَّمْعَةُ الْخَامِسَةُ

هِيَ الرِّسَالَةُ الْحَسْبِيَّةُ ، وَهِيَ اللَّمْعَةُ الْخَامِسَةُ مَعْنًى وَرُتْبَةً ، وَالشُّعَاعُ الرَّابِعُ صُورَةً وَمَقَاماً ، أُدْرِجَتْ فِي مَجْمُوعَةِ الشُّعَاعَاتِ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله تعالى عنه) ..

اَللَّمْعَةُ السَّادِسَةُ

لَمْ تُؤَلَّفْ بَعْدُ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله تعالى عنه) ..

اَللَّمْعَةُ السَّابِعَةُ

في بَيانِ سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ مِنْ إِخْبَارِ الْغَيْبِ ، لِلْآيَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي آخِرِ سُورَةِ (الْفَتْحِ) . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللّٰهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَآءَ اللّٰهُ﴾ إِلٰى آخِرِ السُّورَةِ . .

هٰذِهِ الْآيَاتُ الثَّلاثُ فِي آخِرِ سُورَةِ (الْفَتْحِ) ، لَهَا وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْإِعْجَازِ ؛ وَإِنَّ وَجْهَ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ ، مِنَ الْوُجُوهِ الْعَشَرَةِ الْكُلِّيَّةِ الْإِعْجَازِيَّةِ ، مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، يُرىٰ فِي هٰذِهِ الْآيَاتِ الثَّلاثِ ، بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ . .

﴿أَحَدُهَا :﴾ أَنَّ آيَةَ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللّٰهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، تُخْبِرُ إِخْبَاراً قَاطِعاً عَنْ فَتْحِ (مَكَّةَ) ، قَبْلَ وُقُوعِهِ ؛ وَقَدْ وَقَعَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَخْبَرَتْ بِهِ . .

﴿وَثَانِيهَا :﴾ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ ، يُفِيدُ وَيُخْبِرُ قَائِلاً : إِنَّ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ وَإِنْ تَرَائٰى ظَاهِراً ، ضَرَراً عَلَى الْإِسْلامِ ؛ وَشُوهِدَ قُرَيْشٌ غَالِبِينَ ، بَعْضَ غَلَبَةٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ سَيَكُونُ مَعَ ذٰلِكَ ، بِمَثَابَةِ فَتْحٍ عَظِيمٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ وَيَصِيرُ مَعْنًى ، مِفْتَاحاً لِسَائِرِ الْفُتُوحِ . وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ السَّيْفَ الْمَادِّيَّ ؛ وَإِنْ دَخَلَ غِلافَهُ ؛ وَلٰكِنْ خَرَجَ سَيْفُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، ذٰلِكَ السَّيْفُ الْأَلْمَاسِيُّ الْبَارِقُ ؛ فَفَتَحَ الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَطَ

بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، بِمُنَاسَبَةِ السِّلْمِ ؛ فَمَزَّقَتْ مَحَاسِنُ الْإِسْلاَمِ ، وَأَنْوَارُ الْقُرْآنِ ، سَتَائِرَ الْعِنَادِ والتَّعَصُّبَاتِ الْقَوْمِيَّةِ ؛ وَأَجْرَتْ أَحْكَامَهَا عَلَيْهِمْ . فَمَثَلاً : إِنَّ أَمْثَالَ «خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ» الَّذِي هُوَ دَاهِيَةُ حَرْبٍ ، وَ «عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ» الَّذِي هُوَ دَاهِيَةُ سِيَاسَةٍ ، مِمَّنْ لَا يَقْبَلُونَ الْغَلَبَةَ عَلَيْهِمْ ؛ غَلَبَهُمُ السَّيْفُ الْقُرْآنِيُّ الَّذِي بَرَقَ بِصُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ فَاسْتَسْلَمُوا لِلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، خُضَّعَ الرِّقَابِ لِلْإِسْلاَمِيَّةِ ؛ وَبَعْدَ الاِسْتِسْلاَمِ صَارَ «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ» ، بِشَكْلِ سَيْفٍ مِنْ سُيُوفِ اللهِ ؛ وَأَصْبَحَ سَيْفَ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلاَمِيَّةِ . .

سُؤَالٌ مُهِمٌّ : مَا هِيَ حِكْمَةُ مَغْلُوبِيَّةِ صَحَابَةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) الَّذِي هُوَ فَخْرُ الْكَوْنَيْنِ ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، إِزَاءَ الْمُشْرِكِينَ ، فِي نِهَايَةِ غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وَفِي بِدَايَةِ حُنَيْنٍ ؟ .

وَالْجَوَابُ : أَنَّهُ كَانَ حِينَئِذٍ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ ، رِجَالٌ كَثِيرُونَ أَمْثَالُ «خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ» ، سَيُعَادِلُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، أَكَابِرَ الصَّحَابَةِ الْمَوْجُودِينَ فِي صَفِّ الْأَصْحَابِ ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ فَكَافَأَتْهُمُ الْحِكْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، فِي الْمَاضِي ، مُكَافَأَةً مُعَجَّلَةً ، لِحَسَنَاتِهِمُ الْمُسْتَقْبَلَةِ ؛ لِئَلَّا تَنْكَسِرَ عِزَّتُهُمْ كُلِّيّاً ، فِي نَظَرِ مُسْتَقْبَلِهِمُ الْمُشْرِقِ الْمُشَرِّفِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تُكْسَرْ عِزَّتُهُمْ مِنْ أَصْلِهَا . فَإِذاً إِنَّ الصَّحَابَةَ فِي الْمَاضِي ، غُلِبُوا أَمَامَ الصَّحَابَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ حَتّٰى لَا يَدْخُلَ أُولاَئِكَ الصَّحَابَةُ الْمُسْتَقْبَلُونَ ، فِي الْإِسْلاَمِ ، بِخَوْفِ بَرْقِ السُّيُوفِ ، بَلْ بِشَوْقِ بَارِقَةِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَلِئَلَّا تَتَذَلَّلَ شَهَامَتُهُمُ الْفِطْرِيَّةُ . .

﴿ وَثَالِثُهَا : ﴾ أَنَّهَا تُخْبِرُ بِقَيْدِ (لَا تَخَافُونَ) ، أَنَّكُمْ سَتَطُوفُونَ الْكَعْبَةَ ، فِي أَمْنٍ مُطْلَقٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَقْوَامِ الْبَدَوِيَّةِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، أَعْدَاءً ؛ وَكَانَ حَوَالَيْ مَكَّةَ ، وَالْقِسْمُ الْأَكْثَرُ مِنْ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ ، أَعْدَاءً أَيْضاً ؛ فَتَدُلُّ بِإِخْبَارِهِ : بِأَنَّكُمْ لَتَطُوفُنَّ الْكَعْبَةَ ، فِي زَمَنٍ قَرِيبٍ ، بِدُونِ أَنْ تَحُسُّوا خَوْفاً ، عَلٰى **أَنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ سَتُوضَعُ تَحْتَ الْإِطَاعَةِ ؛ وَجَمِيعَ قُرَيْشٍ سَيَدْخُلُونَ الْإِسْلاَمَ ؛** وَتُخْبِرُ أَنَّهُ سَيُمَهَّدُ الْأَمْنُ التَّامُّ ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَتْ بِعَيْنِهِ . .

﴿وَرَابِعُهَا :﴾ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ، يُخْبِرُ بِكَمَالِ الْقَطْعِ ، أَنَّ الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، سَيَغْلِبُ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا ؛ مَعَ أَنَّ أَدْيَانَ النَّصَارٰى وَالْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ ، الَّتِي كَانَتْ لَهَا مِئَاتُ مَلَايِينَ مِنَ الْأَتْبَاعِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، كَانَتْ أَدْيَاناً رَسْمِيَّةً لِلدُّوَلِ الْفَاتِحَةِ مِثْلِ (حُكُومَةِ إِيرَانَ وَالصِّينِ وَرُومَا) ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ تُخْبِرُ الْآيَةُ بِأَنَّ الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ «مُحَمَّدٌ الْعَرَبِيُّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) الَّذِي كَانَ فِي حَالٍ لَمْ يَغْلِبْ تَمَاماً ، عَلٰى قَبِيلَتِهِ الصَّغِيرَةِ ؛ سَيَغْلِبُ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا ؛ وَيَكُونُ مُظَفَّراً عَلٰى جَمِيعِ الدُّوَلِ ؛ وَتُخْبِرُ ذٰلِكَ بِغَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْقَطْعِ ؛ وَلَقَدْ صَدَّقَ الْمُسْتَقْبَلُ ، ذٰلِكَ الْخَبَرَ الْغَيْبِيَّ ، بِامْتِدَادِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ ، مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الشَّرْقِيِّ ، إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ . .

﴿وَخَامِسُهَا :﴾ أَنَّ صَدْرَ آيَةِ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُٓ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرٰيهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ إِلٰى آخِرِهَا ؛ مَعَ أَنَّهُ يُخْبِرُ عَنِ السَّجَايَا الْعَالِيَةِ ، وَالْمَزَايَا الْغَالِيَةِ ، الَّتِي هِيَ السَّبَبُ لِكَوْنِ الصَّحَابَةِ ، أَعْلَى امْتِيَازاً بَيْنَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ ، يُفِيدُ بِمَعْنَاهُ الصَّرِيحِ ، الصِّفَاتِ الْخَاصَّةَ الْمُمْتَازَةَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا طَبَقَاتُ الصَّحَابَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُشِيرُ بِمَعْنَاهُ الْإِشَارِيِّ ، لَدٰى أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، إِلَى الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ سَيَقُومُونَ مَقَامَ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، بَعْدَ الْوَفَاةِ النَّبَوِيَّةِ ، بِتَرْتِيبِ الْخِلَافَةِ ؛ وَيُخْبِرُ عَنِ الصِّفَاتِ الْخَاصَّةِ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ مَدَارٍ لِامْتِيَازِ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يَدُلُّ عَلَى «الصِّدِّيقِ» الْمُشْتَهِرِ الْمُمْتَازِ بِالْمَعِيَّةِ الْمَخْصُوصَةِ ، وَالصُّحْبَةِ الْخَاصَّةِ ، وَبِالْوَفَاةِ أَوَّلاً ، وَدُخُولِهِ فِي مَعِيَّتِهِ أَيْضاً ؛ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ يَدُلُّ عَلٰى «عُمَرَ» (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) الَّذِي سَيُرْجِفُ بِفُتُوحَاتِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، دُوَلَ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ وَيُظْهِرُ بِعَدَالَتِهِ ، الشِّدَّةَ عَلَى الظَّالِمِينَ ، كَالصَّاعِقَةِ ؛ وَتُخْبِرُ بِلَفْظِ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عَنْ «عُثْمَانَ» (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) الَّذِي يُفْدِي رُوحَهُ ؛ وَيُسَلِّمُ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ ، مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ وَشَفَقَتِهِ ؛ لِئَلَّا تُصَبَّ الدِّمَاءُ ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، حِينَمَا كَانَ تَسْتَعِدُّ أَهَمُّ فِتْنَةٍ ، لِلْوُقُوعِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَيُرَجِّحُ شَهَادَتَهُ مَظْلُوماً ؛

وَهُوَ يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ ؛ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿تَرٰيهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾ يُخْبِرُ عَنْ حَالِ «عَلِيٍّ» فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، الَّذِي اخْتَارَ كَمَالَ الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ ، وَالْفَقْرِ وَالإِقْتِصَادِ ، مَعَ مُبَاشَرَتِهِ بِالسَّلْطَنَةِ وَالْخِلاَفَةِ ، بِكَمَالِ اللِّيَاقَةِ ، الْمُصَدَّقِ لَدٰى كُلِّ أَحَدٍ ، إِكْثَارُهُ وَدَوَامُهُ عَلَى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ؛ وَيُخْبِرُ أَنَّهُ لاَ يَكُونُ مَسْؤُولاً بِحُرُوبِهِ فِي تِلْكَ الْفِتَنِ ؛ وَأَنَّ نِيَّتَهُ وَمَطْلُوبَهُ ، هُوَ الْفَضْلُ الإِلٰهِيُّ . .

﴿وَسَادِسُهَا :﴾ أَنَّ فِقْرَةَ ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ﴾ ، إِخْبَارٌ غَيْبِيٌّ ، بِجِهَتَيْنِ . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهَا تُخْبِرُ عَنْ أَوْصَافِ الصَّحَابَةِ فِي التَّوْرَاةِ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الْغَيْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى إِنْسَانٍ أُمِّيٍّ مِثْلِ «النَّبِيِّ» (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) . نَعَمْ : إِنَّ فِي التَّوْرَاةِ ، كَمَا بُيِّنَ فِي الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ ، هٰذِهِ الْفِقْرَةَ فِي حَقِّ أَصْحَابِ «النَّبِيِّ» الَّذِي سَيَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ وَهِيَ : (أَنَّ عَلَمَ الْقُدْسِيِّينَ مَعَهُمْ) ؛ يَعْنِي أَنَّ أَصْحَابَهُ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ، وَأَهْلُ الصَّلاَحِ وَالْوِلاَيَةِ ؛ فَأَفَادَتْ وَصْفَهُمْ هٰذَا ، بِتَعْبِيرِ (الْقُدْسِيِّينَ) : أَيِ الْمُقَدَّسِينَ ؛ فَالتَّوْرَاةُ مَعَ أَنَّ فِيهَا مُحَرَّفَاتٍ كَذٰلِكَ ، بِسَبَبِ تَرْجَمَتِهَا إِلٰى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، تُصَدِّقُ بِآيَاتِهَا الْعَدِيدَةِ ، حُكْمَ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ﴾ . .

وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : مِنْ إِخْبَارِ الْغَيْبِ ، هِيَ : أَنَّهَا تُخْبِرُ بِتِلْكَ الْفِقْرَةِ ، أَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ سَيَطْلَعُونَ فِي الْعِبَادَةِ ، إِلٰى دَرَجَةٍ تَتَلَمَّعُ النُّورَانِيَّةُ الَّتِي فِي أَرْوَاحِهِمْ ، عَلٰى وُجُوهِهِمْ ؛ وَتُرٰى فِي جِبَاهِهِمْ ، سِكَكٌ مِنْ قَبِيلِ خَاتَمِ الْوِلاَيَةِ ، الَّذِي يَظْهَرُ عَلٰى جِبَاهِهِمْ ، مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ . نَعَمْ : إِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ أَثْبَتَ هٰذَا الإِخْبَارَ ، بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ ، بِالْوُضُوحِ وَالْقَطْعِ . نَعَمْ : إِنَّ أَشْخَاصاً كَثِيرِينَ مِثْلَ «زَيْنِ الْعَابِدِينَ» الَّذِي كَانَ يُصَلِّي لَيْلاً وَنَهَاراً ، أَلْفَ رَكْعَةٍ ، وَ«طَاوُوسِ الْيَمَنِيِّ» الَّذِي صَلّٰى صَلاَةَ الصُّبْحِ ، بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ ، أَرْبَعِينَ سَنَةً ، بَيْنَ تِلْكَ الْفِتَنِ الْعَجِيبَةِ ، وَالتَّطَوُّرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ ؛ قَدْ أَظْهَرُوا سِرَّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ﴾ . .

﴿ وَسَابِعُهَا : ﴾ أَنَّ فِقْرَةَ ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوٰى عَلٰى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ، هِيَ إِخْبَارٌ غَيْبِيٌّ ، بِوَجْهَيْنِ . .

اَلْأَوَّلُ : هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ إِخْبَارِ «الْإِنْجِيلِ» فِي حَقِّ الصَّحَابَةِ ، الَّذِي هُوَ غَيْبٌ بِالنَّظَرِ إِلَى النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ . نَعَمْ : إِنَّ فِي «الْإِنْجِيلِ» آيَاتٍ فِي أَوْصَافِ النَّبِيِّ الْآتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، مِثْلَ آيَةِ (مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ ؛ وَأُمَّتُهُ كَذٰلِكَ) ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ «عِيسٰى» (عليه السلام) ، بِدُونِ سَيْفٍ ؛ بَلْ يَأْتِي نَبِيٌّ صَاحِبُ سَيْفٍ ؛ وَيَكُونُ مَأْمُوراً بِالْجِهَادِ ؛ وَأَنَّ أَصْحَابَهُ أَيْضاً يَكُونُونَ أَصْحَابَ السَّيْفِ ؛ وَمَأْمُورِينَ بِالْجِهَادِ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ النَّبِيَّ صَاحِبَ الْقَضِيبِ الْحَدِيدِ ، يُصْبِحُ رَئِيسَ الْعَالَمِ ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْإِنْجِيلِ : (إِنِّي أَذْهَبُ حَتّٰى يَجِيءَ رَئِيسُ الْعَالَمِ) ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ سَيَأْتِي رَئِيسُ الْعَالَمِ ؛ فَإِذاً يُفْهَمُ مِنْ فِقْرَتَيِ الْإِنْجِيلِ هَاتَيْنِ ، أَنَّ الصَّحَابَةَ ؛ وَإِنْ كَانُوا فِي الْبِدَايَةِ ، يُرَوْنَ أَقِلَّاءَ وَضُعَفَاءَ ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ يَنْشَأُونَ وَيَنْمُونَ كَالنَّوٰى ؛ فَيَتَعَالَوْنَ وَيَسْتَغْلِظُونَ ؛ وَيَتَقَوَّوْنَ فَيُمَضِّغُونَ الْكُفَّارَ غَيْظَهُمْ ؛ وَيُنَغِّصُونَ عَلَيْهِمْ ؛ فَيُسَخِّرُونَ لَهُمْ حِينَئِذٍ ، نَوْعَ الْبَشَرِ ، بِسُيُوفِهِمْ ؛ فَيُثْبِتُونَ أَنَّ النَّبِيَّ الَّذِي هُوَ رَئِيسُهُمْ ، رَئِيسٌ لِلْعَالَمِ . فَتُفِيدُ تَانِكَ الْفِقْرَتَانِ مَآلَ هٰذِهِ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ (الْفَتْحِ) بِعَيْنِهِ . .

اَلْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ هٰذِهِ الْفِقْرَةَ تُخْبِرُ أَنَّ الصَّحَابَةَ ؛ وَإِنْ كَانُوا قَبِلُوا صُلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، مِنْ قِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ سَيَكْسِبُونَ بِالسُّرْعَةِ ، بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، انْكِشَافاً وَاحْتِشَاماً وَقُوَّةً ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَيَتَكَثَّرُونَ وَيَتَقَوَّوْنَ بِصُورَةٍ عَالِيَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَمُثْمِرَةٍ مُبَارَكَةٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى سَنَابِلِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، الْمَزْرُوعَةِ بِيَدِ الْقُدْرَةِ ، فِي مَزْرَعَةِ وَجْهِ الْأَرْضِ ، الَّتِي هِيَ قَصِيرَةٌ وَضَعِيفَةٌ ، نَاقِصَةٌ وَغَيْرُ مُبَارَكَةٍ ، بِسَبَبِ غَفْلَتِهِمْ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَيَتْرُكُونَ الْحُكُومَاتِ ، بَيْنَ غَيْظٍ يَنْشَأُ عَنِ الْغِبْطَةِ وَالْحَسَدِ . نَعَمْ : إِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ أَظْهَرَ هٰذَا الْإِخْبَارَ الْغَيْبِيَّ ، بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ جِدّاً . وَفِي هٰذَا الْإِخْبَارِ إِيمَاءٌ خَفِيٌّ ؛ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا أَثْنٰى عَلَى الصَّحَابَةِ ، بِأَوْصَافٍ مُهِمَّةٍ ؛

كَانَ اللاّزِمُ حِينَئِذٍ ، أَنْ يَعِدَهُمْ بِأَعْظَمِ مُكَافَأَةٍ ؛ فَأَشَارَ بِكَلِمَةِ ﴿مَغْفِرَةً﴾ ، إِلٰى أَنَّهُ سَتَقَعُ أَخْطَاءٌ مُهِمَّةٌ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، بِسَبَبِ الْفِتَنِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ؛ لِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ تَدُلُّ عَلٰى وُقُوعِ الْخَطَأِ ؛ وَأَنَّهُ يَكُونُ الْمَطْلَبُ الْأَهَمُّ ، وَالْإِحْسَانُ الْأَعْلٰى ، فِي نَظَرِ الصَّحَابَةِ ، حِينَئِذٍ ، هُوَ الْمَغْفِرَةَ ؛ وَيَكُونُ أَعْظَمُ الْمُكَافَأَةِ ، عَدَمَ الْمُجَازَاةِ بِالْعَفْوِ ؛ وَكَمَا أَنَّ كَلِمَةَ ﴿مَغْفِرَةً﴾ تَدُلُّ عَلٰى هٰذَا الْإِيمَاءِ اللَّطِيفِ ؛ كَذٰلِكَ هِيَ مُتَنَاسِبَةٌ مَعَ جُمْلَةِ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ؛ وَمَا فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ، لَيْسَ مَغْفِرَةً عَنِ الذُّنُوبِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ تُوجَدُ الْعِصْمَةُ ؛ وَلَا ذَنْبَ ؛ بَلْ هِيَ بُشْرٰى لِلنَّبِيِّ (ﷺ) بِالْمَغْفِرَةِ بِمَعْنًى لَائِقٍ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ ؛ وَهِيَ مَعَ تَبْشِيرِ الْمَغْفِرَةِ لِلصَّحَابَةِ فِي آخِرِهَا ، تَزِيدُ لَطَافَةً أُخْرٰى ، عَلٰى ذٰلِكَ الْإِيمَاءِ . .

هٰذَا وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبْعَةَ أَوْجُهٍ فَقَطْ ، مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْ وَجْهِ إِخْبَارِ الْغَيْبِ فَقَطْ ، مِنَ الْوُجُوهِ الْعَشَرَةِ ، مِنْ إِعْجَازِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الْمَذْكُورَةِ فِي آخِرِ سُورَةِ (الْفَتْحِ) . .

وَقَدْ أُشِيرَ إِلٰى لَمْعَةٍ مُهِمَّةٍ ، مِنْ لَمَعَاتِ الْإِعْجَازِ ، فِي أَوْضَاعِ حُرُوفِ هٰذِهِ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ ، فِي آخِرِ الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ الْبَاحِثَةِ عَنِ الْقَدَرِ وَجُزْءِ الِاخْتِيَارِ ؛ فَهٰذِهِ الْآيَةُ الْأَخِيرَةُ كَمَا تَنْظُرُ بِجُمَلِهَا إِلَى الصَّحَابَةِ ، تَنْظُرُ بِقُيُودِهَا أَيْضاً ، إِلٰى أَحْوَالِ الصَّحَابَةِ ؛ وَكَمَا تُفِيدُ أَوْصَافَ الصَّحَابَةِ بِأَلْفَاظِهَا ؛ تُشِيرُ أَيْضاً إِلٰى أَشْخَاصٍ فِي طَبَقَاتٍ شَهِيرَةٍ ، مِنَ الصَّحَابَةِ ، كَأَصْحَابِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَحُنَيْنٍ ، وَأَهْلِ الصُّفَّةِ ، وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، بِحُرُوفِهَا وَبِتَكْرَارِ أَعْدَادِ حُرُوفِهَا ؛ كَمَا تُفِيدُ أَسْرَاراً كَثِيرَةً أُخْرٰى ، بِجِهَةِ التَّوَافُقِ ، وَبِحِسَابِ الْأَبْجَدِيَّةِ ، الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنْ عِلْمِ الْجَفْرِ ، وَمِفْتَاحٌ لَهُ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

تَتِمَّةٌ :

يُبْحَثُ عَنْ هٰذِهِ الْآيَةِ الْآتِيَةِ نَبْذَةً ، بِمُنَاسَبَةِ إِخْبَارِ الْغَيْبِ ، الَّذِي أَفَادَتْهُ الْآيَةُ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ (الْفَتْحِ) ، بِمَعْنَاهَا الْإِشَارِيِّ ، مَعَ مَا تُفِيدُهُ هٰذِهِ الْآيَةُ ، مِنْ نَفْسِ الْخَبَرِ ، بِعَيْنِ الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰٓئِكَ رَفِيقاً﴾ . .

نُشِيرُ فِي بَيَانِ هٰذِهِ الْآيَةِ ، إِلٰى نُكْتَتَيْنِ مِنْ أُلُوفِ نِكَاتِهَا . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ؛ كَمَا يُفِيدُ الْحَقَائِقَ ، بِمَفَاهِيمِهِ وَمَعَانِيهِ الصَّرِيحَةِ ، يُفِيدُ مَعَانِيَ إِشَارِيَّةً كَثِيرَةً ، بِأَسَالِيبِهِ وَهَيْئَاتِهِ ؛ فَلِكُلِّ آيَةٍ ، طَبَقَاتٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْ مَعَانِيهَا . وَالْقُرْآنُ ، لِنُزُولِهِ مِنَ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ ، تَكُونُ جَمِيعُ مَعَانِيهِ مُرَادَةً ؛ وَلَا يَنْحَصِرُ فِي مَعْنًى أَوْ مَعْنَيَيْنِ ، كَالْكَلَامِ الْحَاصِلِ بِفِكْرِ الْإِنْسَانِ الْجُزْئِيِّ ، وَإِرَادَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ؛ فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ بُيِّنَ مَا لَا يُحَدُّ مِنْ حَقَائِقِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، مِنْ جَانِبِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ ؛ وَتُوجَدُ حَقَائِقُ كَثِيرَةٌ لَمْ يُبَيِّنْهَا الْمُفَسِّرُونَ بَعْدُ ، وَلَاسِيَّمَا أَنَّ فِي حُرُوفِهِ ، كَثِيراً مِنَ الْعُلُومِ الْمُهِمَّةِ ، فِي إِشَارَاتِهَا ، سِوٰى مَعَانِيهِ الصَّرِيحَةِ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ، تُفِيدُ بِتَعْبِيرِ ﴿مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰٓئِكَ رَفِيقاً﴾ : أَنَّ أَهْلَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، الَّذِينَ نَالُوا النِّعَمَ الْإِلٰهِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، بَيْنَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، هُمْ طَائِفَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَافِلَةُ الصِّدِّيقِينَ ، وَجَمَاعَةُ الشُّهَدَاءِ ، وَأَصْنَافُ الصَّالِحِينَ ، وَأَنْوَاعُ التَّابِعِينَ ؛ مَعَ أَنَّهَا تَدُلُّ صَرَاحَةً ، عَلٰى أَكْمَلِ أُولَائِكَ الْأَقْسَامِ الْخَمْسَةِ ، فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَتَدُلُّ بَعْدَ ذٰلِكَ ، عَلٰى أَئِمَّةِ تِلْكَ الْأَقْسَامِ الْخَمْسَةِ ؛

وَتُفِيدُ رُؤَسَاءَهَا الْمُتَقَدِّمِينَ ، بِذِكْرِ صِفَاتِهِمُ الْمَشْهُورَةِ ؛ كَمَا تُعَيِّنُ بِوَجْهٍ مَّا ، أَوْضَاعَ رُؤَسَاءِ تِلْكَ الطَّوَائِفِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، بِلَمْعَةِ إِعْجَازٍ ، مِنْ نَوْعِ إِخْبَارِ الْغَيْبِ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ لَفْظَ ﴿النَّبِيِّنَ﴾ يَنْظُرُ بِالصَّرَاحَةِ ، إِلَى «النَّبِيِّ» (عليه الصلاة والسلام) ؛ فَإِنَّ كَلِمَةَ ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ ، تَنْظُرُ إِلَى «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ؛ وَتُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الثَّانِي بَعْدَ «النَّبِيِّ» (عليه الصلاة والسلام) ؛ وَأَوَّلُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ؛ وَيُرَى اسْمُ «الصِّدِّيقِ» عُنْوَاناً مَخْصُوصاً بِهِ ، لَدَى الْأُمَّةِ ؛ وَيُشَاهَدُ فِي صَدْرِ الصِّدِّيقِينَ ؛ كَمَا أَنَّهَا تُفِيدُ بِكَلِمَةِ ﴿وَالشُّهَدَآءِ﴾ «عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيّاً» هٰؤُلاءِ الثَّلاثَةَ مَعاً ؛ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ؛ وَتُشِيرُ بِصُورَةٍ غَيْبِيَّةٍ ؛ وَتُفِيدُ أَنَّ هٰؤُلاءِ الثَّلاثَةَ ، يَنَالُونَ خِلافَةَ النُّبُوَّةِ بَعْدَ «الصِّدِّيقِ» ؛ وَيَصِيرُونَ شُهَدَاءَ ؛ وَتَزْدَادُ فَضِيلَةُ شَهَادَتِهِمْ ، عَلٰى سَائِرِ فَضَائِلِهِمْ ؛ وَتُشِيرُ بِكَلِمَةِ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ إِلٰى أَشْخَاصٍ مُمْتَازِينَ ، كَأَصْحَابِ الصُّفَّةِ وَبَدْرٍ وَالرِّضْوَانِ ؛ وَتُشَوِّقُ إِلَى اتِّبَاعِهِمْ بِجُمْلَةِ ﴿وَحَسُنَ أُولَٓئِكَ رَفِيقاً﴾ ؛ وَتَدُلُّ بِمَعْنَاهَا الصَّرِيحِ ، عَلٰى أَنَّ التَّبَعِيَّةَ فِي التَّابِعِينَ ، شَرِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ ؛ مَعَ أَنَّهَا تَدُلُّ بِمَعْنَاهَا الْإِشَارِيِّ ، عَلٰى أَنَّ «الْحَسَنَ» هُوَ خَامِسُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ؛ وَتَدُلُّ بِذٰلِكَ الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ، عَلٰى أَنَّ مُدَّةَ خِلافَتِهِ الَّتِي صَدَّقَتْ حُكْمَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : ﴿الْخِلافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً﴾ ، هِيَ مَعَ قِلَّتِهَا ، عَظِيمَةُ الشَّأْنِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْآيَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْ سُورَةِ (الْفَتْحِ) ، تَنْظُرُ إِلَى الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ؛ كَمَا أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ أَيْضاً ، تَنْظُرُ إِلَى قِسْمٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، بِصُورَةِ الْإِشَارَةِ ، مِنْ نَوْعِ إِخْبَارِ الْغَيْبِ ، تَأْيِيداً لَهَا . فَلَمَعَاتُ الْإِعْجَازِ ، مِنْ إِخْبَارِ الْغَيْبِ ، الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، كَثِيرَةٌ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ بِحَيْثُ لَا تُحْصٰى ؛ وَأَمَّا حَصْرُ أَهْلِ الظَّاهِرِ ، لِإِخْبَارِ الْغَيْبِ ، فِي أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ آيَةً ؛ فَهُوَ بِالنَّظَرِ الظَّاهِرِ ؛ وَأَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ ، فَتَزِيدُ عَلٰى أَلْفِ آيَةٍ . وَقَدْ يُوجَدُ الْإِخْبَارُ الْغَيْبِيُّ ، فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِأَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ أَوْ خَمْسَةٍ . .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . .

إيضَاحٌ ثَانٍ لِهٰذِهِ التَّتِمَّةِ (١) :

إِنَّ آيَةَ ﴿فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً﴾ ، الَّتِي تُؤَيِّدُ الْإِشَارَةَ الْغَيْبِيَّةَ لِآخِرِ سُورَةِ (الْفَتْحِ) هٰذَا ؛ وَتُبَيِّنُ أَهْلَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَمَنْ هُمُ الْمُرَادُونَ فِي آيَةِ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، فِي الْفَاتِحَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ وَتُظْهِرُ أَنْوَرَ قَافِلَةِ رُفَقَاءَ ، وَآنَسَهَا وَأَكْثَرَهَا وَأَجْذَبَهَا ، فِي طَرِيقِ أَبَدِ الْآبَادِ الطَّوِيلِ ؛ وَتَسُوقُ عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، أَهْلَ الْإِيمَانِ ، وَأَصْحَابَ الشُّعُورِ ، بِالشِّدَّةِ إِلَى الْاِلْتِحَاقِ بِتِلْكَ الْقَافِلَةِ ، وَالرَّفَاقَةِ لَهُمْ ، فِي جِهَةِ الْاِتِّبَاعِ بِهِمْ ؛ تُشِيرُ هٰذِهِ الْآيَةُ أَيْضاً ، كَالْآيَةِ الْأَخِيرَةِ ، مِنْ آخِرِ سُورَةِ (الْفَتْحِ) ، إِلَى الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَإِلَى «الْحَسَنِ» الْخَلِيفَةِ الْخَامِسِ (رضي الله عنه) ، بِمَعَانٍ إِشَارِيَّةٍ وَرَمْزِيَّةٍ يُعَبَّرُ عَنْهَا فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ ، بِمَعَارِضِ الْكَلَامِ ، وَمُسْتَتْبَعَاتِ التَّرَاكِيبِ ، غَيْرِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ ؛ وَتُخْبِرُ عَنْ أُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ ، فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ ؛ وَذٰلِكَ :

أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ ، كَمَا تُفِيدُ بِمَعْنَاهَا الصَّرِيحِ ، أَنَّ أَهْلَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، الَّذِينَ نَالُوا النِّعَمَ الْعَالِيَةَ الْإِلٰهِيَّةَ ، فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، هُمْ رَكْبُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَطَائِفَةُ الصِّدِّيقِينَ ، وَجَمَاعَةُ الشُّهَدَاءِ ، وَأَنْوَاعُ الصَّالِحِينَ ، وَأَصْنَافُ التَّابِعِينَ الْمُحْسِنِينَ ؛ وَأَنَّ أَكْمَلَ تِلْكَ الطَّوَائِفِ ، وَأَفْضَلَهَا يُوجَدُ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَتَدُلُّ مِنْ قَبِيلِ إِخْبَارِ الْغَيْبِ ، عَلٰى طَائِفَةِ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، الْمُتَسَلْسِلَةِ مِنْ سِرِّ وِرَاثَةِ نُبُوَّةِ «نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ» ، وَعَلٰى قَافِلَةِ الصِّدِّيقِينَ ، الْمُتَسَلْسِلَةِ عَنْ مَعْدِنِ صِدِّيقِيَّةِ «الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ» ، وَعَلٰى رَكْبِ الشُّهَدَاءِ ، الْمُرْتَبِطَةِ بِمَرْتَبَةِ شَهَادَةِ «الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ» ، وَعَلٰى جَمَاعَةِ الصَّالِحِينَ ، الْمَرْبُوطِينَ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، وَعَلٰى أَصْنَافِ التَّابِعِينَ الْمُمْتَثِلِينَ لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ ، وَالسَّالِكِينَ فِي رَفَاقَةِ الصَّحَابَةِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ؛ كَمَا تُخْبِرُ بِكَلِمَةِ ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ ، فِي جِهَةِ الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ، بِأَنَّ «أَبَا

---

(١) قَيَّدَ إِخْوَانِي كِلَا الْإِيضَاحَيْنِ ، حَيْثُ وَجَدُوهُمَا مُفِيدَيْنِ . وَإِلَّا فَيَكْفِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رحمه الله) . .

بَكْرٍ الصِّدِّيقَ» (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) سَيَقُومُ مَقَامَ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ وَيَظَلُّ خَلِيفَتَهُ بَعْدَهُ ؛ وَيَشْتَهِرُ لَدَى الْأُمَّةِ ، بِعُنْوَانِ «الصِّدِّيقِ» ؛ وَيَكُونُ رَئِيسَ قَافِلَةِ الصِّدِّيقِينَ ؛ وَتُخْبِرُ بِكَلِمَةِ ﴿الشُّهَدَآءِ﴾ ، عَنْ شَهَادَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الثَّلَاثَةِ ؛ وَأَنَّ ثَلَاثَةَ شُهَدَاءَ ، يُصْبِحُونَ خُلَفَاءَ بَعْدَ «الصِّدِّيقِ» ؛ لِأَنَّ ﴿الشُّهَدَآءَ﴾ جَمْعٌ ؛ وَأَقَلُّ الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ ؛ فَإِذاً إِنَّ «عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيّاً» (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) ، سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى رِئَاسَةِ الْإِسْلَامِ ، بَعْدَ «الصِّدِّيقِ» ؛ وَيُسْتَشْهَدُونَ ؛ فَوَقَعَتْ نَفْسُ الْخَبَرِ الْغَيْبِيِّ ؛ وَكَذَا تُخْبِرُ بِقَيْدِ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ : أَنَّهُ يَكْثُرُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْعِبَادَةِ ، الَّذِينَ ظَلُّوا مَظْهَراً لِثَنَاءِ التَّوْرَاةِ ، فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ، كَأَصْحَابِ الصُّفَّةِ ؛ مَعَ أَنَّ جُمْلَةَ ﴿وَحَسُنَ أُولَٓئِكَ رَفِيقاً﴾ ، تَدُلُّ عَلَى حُسْنِ رَفَاقَةِ تِلْكَ الْقَوَافِلِ الْأَرْبَعِ ، فِي طَرِيقِ الْأَبَدِ ؛ وَذٰلِكَ بِتَحْسِينِ تَبَعِيَّةِ التَّابِعِينَ ، الَّذِينَ رَافَقُوا الصَّحَابَةَ ؛ وَاتَّبَعُوهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُدَّةَ الْقَصِيرَةَ ، مِنْ خِلَافَةِ «الْحَسَنِ» ـ الَّذِي صَدَّقَ الْإِخْبَارَ الْغَيْبِيَّ النَّبَوِيَّ الْمُعْجِزَ ، فِي حَدِيثِ ﴿إِنَّ ابْنِي الْحَسَنَ هٰذَا ، سَيِّدٌ سَيُصْلِحُ اللّٰهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ﴾ ، وَالَّذِي صَالَحَ بَيْنَ جَيْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ ، وَجَمَاعَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ ؛ وَرَفَعَ النِّزَاعَ مِنْ بَيْنِهِمَا ـ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْمُدَّةُ ، قَصِيرَةً كَبِضْعَةِ أَشْهُرٍ ؛ إِلَّا أَنَّهَا ذَاتُ اهْتِمَامٍ ؛ وَتَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا ، بِحُكْمِ قَوْلِهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿إِنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً﴾ ، وَبِتَصْدِيقِهَا ذٰلِكَ الْإِخْبَارَ الْغَيْبِيَّ النَّبَوِيَّ ؛ وَتُشِيرُ بِالسِّرِّ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ ، فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ ، بِمُسْتَتْبَعَاتِ التَّرَاكِيبِ ، إِلَى اسْمِ «الْخَلِيفَةِ الْخَامِسِ» ، فِي كَلِمَةِ ﴿وَحَسُنَ﴾ ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى خَلِيفَةٍ خَامِسٍ لِلْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ؛ بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ، مِنْ نَوْعِ الْإِخْبَارِ الْغَيْبِيِّ . . فَتُوجَدُ فِيهَا أَسْرَارٌ كَثِيرَةٌ أُخْرَى ، كَالْإِخْبَارَاتِ الْإِشَارِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ ؛ وَلَمْ يُفْتَحِ الْبَابُ الْآنَ ؛ لِأَنَّهَا لَا تُوَافِقُ صَدَدَنَا . . وَلِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، آيَاتٌ كَثِيرَةٌ كُلٌّ مِنْهَا ، مِنْ قَبِيلِ إِخْبَارِ الْغَيْبِ ، بِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ . وَهٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْإِخْبَارَاتِ الْغَيْبِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، أُلُوفٌ . .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللَّمْعَةُ الثَّامِنَةُ

هِيَ الْكَرَامَةُ الْغَيْبِيَّةُ الْغَوْثِيَّةُ . .

سَتُدْرَجُ فِي مَجْمُوعَةٍ أُخْرٰى ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى . .

[وَقَدْ أُدْرِجَتْ بِفَضْلِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، فِي (مَجْمُوعَةِ الْكَرَامَاتِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَالْإِشَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله تعالى عنه) . .]

اَللَّمْعَةُ التَّاسِعَةُ

لَا يَرٰى كُلُّ أَحَدٍ ، مَا فِي «وَحْدَةِ الْوُجودِ» ، مِنْ أَخْطَاءٍ دَقِيقَةٍ ؛
وَلَيْسَ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ؛ فَلَا يَقْرَأَنَّ هٰذِهِ اللَّمْعَةَ . .

بِاسْمِهِ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ . .

أَخِيَ الْعَزِيزَ الصِّدِّيقَ ، الْخَالِصَ الْمُخْلِصَ ! .

إِنَّ السَّبَبَ لِعَدَمِ كِتَابَتِيَ الرَّسَائِلَ ، إِلٰى أَخِينَا «عَبْدِ الْمَجِيدِ» مُسْتَقِلاًّ ، هُوَ : أَنِّي أَرٰى مَا أَكْتُبُ لَكُمْ مِنَ الرَّسَائِلِ ، كَافِيَةً لَهُ ؛ وَإِنَّ «عَبْدَ الْمَجِيدِ» ، أَخٌ وَطَالِبٌ قَيِّمٌ لِي ، بَعْدَ «خُلُوصِيٍّ» ؛ فَيَحْضُرُ بِاسْمِهِ ، فِي دُعَائِي ، مَعَ «خُلُوصِيٍّ» ، وَأَحْيَاناً قَبْلَهُ ، كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ؛ وَيَسْتَفِيدُ أَوَّلاً ، مِنَ الرَّسَائِلِ الَّتِي أَكْتُبُهَا لَكُمْ ، «صَبْرِيٌّ» ، ثُمَّ «حَقِّيٌّ» الْفَاضِلُ ؛ فَلَا أَكْتُبُ لَهُمَا أَيْضاً ، رَسَائِلَ أُخْرٰى ؛ وَقَدْ جَعَلَكَ اللّٰهُ تَعَالٰى ، أَخاً كَبِيراً لَهُمْ مُبَارَكاً ؛ فَرَاسِلْ «عَبْدَ الْمَجِيدِ» ، بَدَلاً عَنِّي ؛ فَلَا يَحْزَنَنَّ ؛ فَإِنِّي أَذْكُرُهُ بَعْدَ «خُلُوصِيٍّ» ؛ وَلٰكِنَّهُ لَا يُوفِي بِوَظِيفَةِ تِلْمِيذِيَّتِهِ ، بِحَقِّهَا ؛ فَلِذٰلِكَ لَا أُرَاسِلُهُ بِالذَّاتِ . .

سُؤَالُكُمُ الْأَوَّلُ : هُوَ أَنَّ لَكُمْ ، سُؤَالاً مَحْرَماً ، فِي حَقِّ أَحَدِ أَجْدَادِكُمْ ، إِمْضَاؤُهُ ، (السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ) . .

يَا أَخِي ! لَيْسَ بِيَدِي الْإِجَابَةُ عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ ، جَوَاباً عِلْمِيّاً ، تَحْقِيقِيّاً وَكَشْفِيّاً ؛ وَلٰكِنِّي كُنْتُ أَقُولُ لِأَصْحَابِي : إِنَّ «خُلُوصِيّاً» لا يُشْبِهُ الْأَتْرَاكَ الْحَاضِرِينَ ، وَلَا الْأَكْرَادَ ؛ وَإِنِّي لَأَرٰى فِيهِ خَاصَّةً أُخْرٰى ؛ وَكَانَ رُفَقَائِي يُصَدِّقُونَنِي ؛ وَكُنَّا نَقُولُ : إِنَّ تَظَاهُرَ أَصَالَةٍ عَظِيمَةٍ ، فِي «خُلُوصِيٍّ» ، عَطَاءُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ ؛ بِسِرِّ قَاعِدَةِ (إِنَّ الْقَابِلِيَّةَ لَيْسَتْ شَرْطاً لِعَطَاءِ الْحَقِّ تَعَالٰى[1]) . . وَاعْلَمْ قَطْعاً أَنَّ لِـ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (ﷺ) نَوْعَيْنِ مِنَ الْآلِ . الْأَوَّلُ : آلُهُ النَّسَبِيُّ ؛ وَالْآخَرُ : آلُ شَخْصِهِ الْمَعْنَوِيِّ النُّورَانِيِّ ، فِي جِهَةِ الرِّسَالَةِ ؛ وَإِنَّكَ دَاخِلٌ قَطْعاً ، فِي هٰذَا الْآلِ الثَّانِي ، مَعَ قَنَاعَةٍ لِي ، بِلا دَلِيلٍ ، فِي دُخُولِكَ فِي الْآلِ الْأَوَّلِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّ تَوْقِيعَ جَدِّكَ لَيْسَ بِدُونِ سَبَبٍ . .

سُؤَالُكَ الثَّانِي : أَخِي الْعَزِيزَ ! خُلاصَتُهُ : أَنَّ «مُحْيِيَ الدِّينِ الْعَرَبِيَّ» قَالَ : «إِنَّ مَخْلُوقِيَّةَ الرُّوحِ ، عِبَارَةٌ عَنِ انْكِشَافِهِ» ؛ وَإِنَّكَ تُجْبِرُ ضَعِيفاً بَائِساً مِثْلِي ، بِذٰلِكَ السُّؤَالِ ، عَلَى الْمُبَارَزَةِ إِزَاءَ خَارِقَةٍ هَائِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَدَاهِيَةٍ فِي عِلْمِ الْأَسْرَارِ ، مِثْلِ «مُحْيِي الدِّينِ» ؛ وَلٰكِنِّي إِذَا كُنْتُ أُبَاحِثُهُ مُسْتَنِداً إِلَى نُصُوصِ الْقُرْآنِ ؛ أَطِيرُ أَعْلٰى مِنْ ذٰلِكَ النَّسْرِ ؛ وَإِنْ كُنْتُ ذُبَاباً ؛ وَلَعَلَّ «حَضْرَةَ مُحْيِي الدِّينِ» لا يَخْدَعُ ؛ وَلٰكِنَّهُ يَنْخَدِعُ ؛ وَإِنَّهُ هَادٍ ؛ وَلٰكِنْ لا يَكُونُ مَهْدِيّاً ، فِي كُلِّ كُتُبِهِ ؛ وَإِنَّ مَا يَرَاهُ ، صِدْقٌ ؛ وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ بِحَقِيقَةٍ ؛ وَقَدْ بُيِّنَتْ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ مَدَارُ سُؤَالِكُمْ ، فِي بَحْثِ الرُّوحِ ، فِي الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ . .

نَعَمْ : إِنَّ الرُّوحَ بِاعْتِبَارِ مَاهِيَّتِهِ ، قَانُونٌ أَمْرِيٌّ ؛ وَلٰكِنَّهُ نَامُوسٌ ذُو حَيَاةٍ ، أُلْبِسَ عَلَيْهِ الْوُجُودُ الْخَارِجِيُّ ، وَقَانُونٌ مَالِكٌ لِلْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ . وَقَدْ تَفَكَّرَ «حَضْرَةُ مُحْيِي الدِّينِ» فِي نُقْطَةِ مَاهِيَّتِهِ فَقَطْ ؛ حَيْثُ يَرَى الْأَشْيَاءَ ، خَيَالِيَّةً حَسَبَ مَشْرَبِ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْفَاضِلَ ، مَعَ كَشْفِيَّاتِهِ وَمُشَاهَدَاتِهِ الْخَارِقَةِ ، يُطَبِّقُ بَعْضَ الْآيَاتِ ، عَلٰى مَشْرَبِهِ وَمَشْهُودَاتِهِ ، بِصُورَةٍ مُتَكَلِّفَةٍ ، وَبِتَأْوِيلاتٍ ضَعِيفَةٍ ؛ بِاضْطِرَارٍ ، لِكَوْنِهِ صَاحِبَ مَشْرَبٍ مُهِمٍّ ، وَلِاخْتِيَارِهِ

---

(١) نَصُّ الْمَثَلِ الْفَارِسِيِّ : دَادِ حَقْ رَا ، قَابِلِيَّتْ ، شَرْطْ نِيسْتْ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رَحِمَهُ اللهُ) . .

مَسْلَكاً مُسْتَقِلّاً ؛ فَيَجْرَحُ صَرَاحَةَ الْآيَاتِ . وَلَقَدْ بُيِّنَ فِي سَائِرِ الرَّسَائِلِ ، الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْقُرْآنِيُّ ، وَالْمِنْهَاجُ الْقَوِيمُ ، لِأَهْلِ السُّنَّةِ ؛ وَإِنَّ لِذٰلِكَ الْفَاضِلِ الْقُدْسِيِّ ، مَقَاماً مَخْصُوصاً بِهِ ، وَمِنْ مَقْبُولِهِ ؛ وَلٰكِنَّهُ تَجَاوَزَ الْحُدُودَ ، فِي كَشْفِيَّاتِهِ الَّتِي لَا مِيزَانَ لَهَا ؛ وَخَالَفَ جُمْهُورَ الْمُحَقِّقِينَ ، فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ؛ فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ ، أَصْبَحَتْ طَرِيقَتُهُ الْمَخْصُوصَةُ بِهِ ، قَصِيرَةً لِلْغَايَةِ ؛ كَأَنَّهَا تَبْقَى مُنْحَصِرَةً فِي «صَدْرِ الدِّينِ الْقُنَوِيِّ» ؛ مَعَ كَوْنِهِ قُطْباً خَارِقاً عَالِياً ، وَفَرِيدَ دَوَرَانٍ كَذٰلِكَ ؛ وَتَنْدُرُ الاِسْتِفَادَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ ، مِنْ آثَارِهِ ؛ حَتّٰى إِنَّ كَثِيرِينَ مِنْ مُحَقِّقِي الْأَصْفِيَاءِ ، لَا يُرَوِّجُونَ مُطَالَعَةَ آثَارِهِ الْقَيِّمَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَهُمْ يَمْنَعُونَهَا . .

وَإِنَّ بَيَانَ أَسَاسِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَشْرَبِ «حَضْرَةِ مُحْيِي الدِّينِ» ، وَمَشْرَبِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، وَبَيَانَ مَأْخَذِهِمَا ، يَحْتَاجَانِ إِلٰى تَدْقِيقَاتٍ مَبْسُوطَةٍ ، وَأَنْظَارٍ وَاسِعَةٍ عَالِيَةٍ جِدّاً . . نَعَمْ : إِنَّ الْفَرْقَ دَقِيقٌ وَعَمِيقٌ ؛ وَالْمَأْخَذَ عَالٍ وَوَاسِعٌ ؛ بِحَيْثُ لَمْ يُؤَاخَذْ «حَضْرَةُ مُحْيِي الدِّينِ» مِنْ خَطَإِهِ ؛ وَبَقِيَ مَقْبُولاً ؛ وَإِلّا فَلَوْ شُوهِدَ ذٰلِكَ الْفَرْقُ ، وَذَاكَ الْمَأْخَذُ ، عِلْماً وَفِكْراً وَكَشْفاً ؛ لَكَانَ لَهُ سُقُوطاً كَبِيراً ، وَخَطَأً ثَقِيلاً لِلْغَايَةِ . وَلَمَّا كَانَ الْفَرْقُ عَمِيقاً كَذٰلِكَ ؛ نُبَيِّنُ ذٰلِكَ الْفَرْقَ ، وَذَاكَ الْمَأْخَذَ ، بِتَمْثِيلٍ مَّا ؛ وَنَسْعٰى لِبَيَانِ خَطَإِ «حَضْرَةِ مُحْيِي الدِّينِ» ، فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ فَحَسْبُ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ الشَّمْسَ تُرٰى فِي مِرْآةٍ مَثَلاً ؛ فَهٰذِهِ الْمِرْآةُ ، ظَرْفٌ لِلشَّمْسِ ، وَمَوْصُوفَةٌ لَهَا : أَيْ إِنَّ الشَّمْسَ تُوجَدُ فِي الْمِرْآةِ بِجِهَةٍ مَّا ؛ وَتُزَيِّنُهَا وَتُصْبِحُ صِبْغَةً لَامِعَةً وَصِفَةً لَهَا ، بِجِهَةٍ أُخْرٰى ؛ فَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْمِرْآةُ ، مِرْآةً مُصَوِّرَةً ؛ تُصَوِّرُ مِثَالَ الشَّمْسِ ، عَلَى الْوَرَقَةِ ، بِصُورَةٍ ثَابِتَةٍ ؛ فَحِينَئِذٍ تَكُونُ الشَّمْسُ الْمَشْهُودَةُ فِي الْمِرْآةِ ، غَيْرَ الشَّمْسِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ وَلَيْسَتْ بِشَمْسٍ ، بِجِهَةِ مَاهِيَّتِهَا الَّتِي تُرٰى عَلٰى وَرَقَةِ الصُّورَةِ ، وَبِجِهَةِ أَنَّهَا زَيَّنَتِ الْمِرْآةَ ؛ وَأَصْبَحَتْ فِي حُكْمِ صِفَتِهَا ؛ بَلْ هِيَ جَلْوَةُ الشَّمْسِ ، دَخَلَتْ فِي وُجُودٍ آخَرَ ؛ وَأَمَّا وُجُودُ الشَّمْسِ الْمَشْهُودَةِ فِي الْمِرْآةِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَيْنَ وُجُودِ الشَّمْسِ الْمَشْهُودَةِ فِي الْخَارِجِ ؛ إِلّا أَنَّهُ ، لِارْتِبَاطِهِ بِهَا ، وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهَا ، ظُنَّ عَيْنَ وُجُودِ الشَّمْسِ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا التَّمْثِيلِ ، يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ مِنْ حَيْثُ أَنْ تُقْبَلَ الْمِرْآةُ ظَرْفاً ؛ وَأَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ

مِنَ الشَّمْسِ ، وُجُودَهَا الْخَارِجِيَّ : «إِنَّهُ لَا شَيْءَ فِي الْمِرْآةِ ، إِلَّا الشَّمْسُ الْحَقِيقِيَّةُ» . وَإِنْ قِيلَ بِجِهَةِ عَكْسِهَا الْمُنْبَسِطِ الَّذِي أَصْبَحَ فِي حُكْمِ صِفَةِ الْمِرْآةِ ، وَبِجِهَةِ الصُّورَةِ الْمُنْتَقِلَةِ إِلَى وَرَقَةِ الْمُصَوِّرَةِ : «إِنَّهَا شَمْسٌ ، فَخَطَأٌ» ؛ وَإِنَّ الْقَوْلَ «بِأَنَّهُ لَا شَيْءَ فِيهَا ، غَيْرُ الشَّمْسِ ، غَلَطٌ» ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ الْعَكْسُ الْمُنْعَكِسُ عَلَى وَجْهِ الْمِرْآةِ الْمُتَلَأْلِئَةِ ، وَالرَّسْمُ الْمُرْتَسِمُ وَرَاءَهَا ؛ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا وُجُودٌ آخَرُ ؛ وَإِنَّ ذَيْنِكَ الْوُجُودَيْنِ ؛ وَإِنْ كَانَا مِنْ جَلَوَاتِ الشَّمْسِ ، إِلَّا أَنَّهُمَا لَيْسَا شَمْساً . .

هٰذَا ، فَذِهْنُ الْإِنْسَانِ ، وَخَيَالُهُ ، يُشْبِهَانِ هٰذَا الْمِثَالَ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ الْمَعْلُومَاتِ الْمَوْجُودَةَ فِي مِرْآةِ فِكْرِ الْإِنْسَانِ ، لَهَا وَجْهَانِ أَيْضاً ؛ فَهِيَ بِوَجْهٍ ، عِلْمٌ ؛ وَبِوَجْهٍ ، مَعْلُومٌ ؛ فَلَوْ جَعَلْنَا الذِّهْنَ ، ظَرْفاً لِذٰلِكَ الْمَعْلُومِ ؛ لَأَصْبَحَ حِينَئِذٍ ، ذٰلِكَ الْمَعْلُومُ ، مَوْجُوداً ذِهْنِيّاً ؛ وَوُجُودُهُ ، شَيْءٌ آخَرُ ؛ وَإِنْ جَعَلْنَا الذِّهْنَ ، مَوْصُوفاً بِحُصُولِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ يُصْبِحُ صِفَةً لِلذِّهْنِ ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ الشَّيْءُ ، حِينَئِذٍ عِلْماً ؛ وَلَهُ وُجُودٌ خَارِجِيٌّ ؛ وَيَصِيرُ وُجُوداً خَارِجِيّاً عَرَضِيّاً لَهُ ، مِثْلَ هٰذَا الْمَعْلُومِ ؛ وَإِنْ كَانَ وُجُودُ ذٰلِكَ الْمَعْلُومِ جَوْهَرِيّاً . .

فَبِنَاءً عَلَى هٰذَيْنِ التَّمْثِيلَيْنِ ، أَنَّ الْكَائِنَاتِ مِرْآةٌ ؛ وَمَاهِيَّةَ كُلِّ مَوْجُودٍ ، مِرْآةٌ أَيْضاً ؛ وَأَنَّهَا مُعَرَّضَةٌ لِلْإِيجَادِ الْإِلٰهِيِّ بِالْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ ، يَصِيرُ نَوْعَ مِرْآةٍ لِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ وَيُظْهِرُ نَقْشاً مِنْ نُقُوشِهِ . . فَالَّذِينَ كَانُوا عَلَى مَشْرَبِ «حَضْرَةِ مُحْيِي الدِّينِ» اكْتَشَفُوا الْعَالَمَ ، فِي جِهَةِ الْمِرْآتِيَّةِ وَالظَّرْفِيَّةِ فَقَطْ ، وَفِي نُقْطَةِ نَفْيِ الْوُجُودِ الْمِثَالِيِّ فِي الْمِرْآةِ ، وَعَلَى أَنَّ الْعَكْسَ عَيْنُ الْمُنْعَكِسِ ؛ فَلَمْ يَتَصَوَّرُوا سَائِرَ الْمَرَاتِبِ ؛ فَقَالُوا : «لَا مَوْجُودَ إِلَّا هُوَ» ؛ فَأَخْطَأُوا ؛ فَوَقَعُوا فِي دَرَجَةِ إِنْكَارِ قَاعِدَةِ (حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ ثَابِتَةٌ) تِلْكَ الْقَاعِدَةِ الْأَسَاسِيَّةِ . .

وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِيقَةِ : فَإِنَّهُمْ رَأَوْا بِسِرِّ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، وَبِنُصُوصِ الْقُرْآنِ الْقَاطِعَةِ : أَنَّ مَا فِي الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ النُّقُوشِ الْمَوْجُودَةِ بِالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، هِيَ آثَارُهُ تَعَالَى ؛ وَأَنَّ الْكُلَّ مِنْهُ تَعَالَى ؛ لَا أَنَّهُ الْكُلُّ ؛ وَأَنَّ لِلْأَشْيَاءِ وُجُوداً ؛ وَذٰلِكَ الْوُجُودُ ، ثَابِتٌ نَوْعَ ثُبُوتٍ ؛ وَأَنَّهُ ؛

وَإِنْ كَانَ ضَعِيفاً فِي حُكْمِ الْوَهْمِيِّ وَالْخَيَالِيِّ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى وُجُودِ الْوَاجِبِ ؛ إِلّا أَنَّهُ مَوْجُودٌ بِإِيجَادِ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ، وَبِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ؛ فَكَمَا أَنَّ فِي التَّمْثِيلِ ، كَانَ لِلشَّمْسِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمِرْآةِ ، وُجودٌ مِثَالِيٌّ غَيْرُ وُجُودِهَا الْخَارِجِيِّ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَكَانَ لِعَكْسِهَا الْمُنْبَسِطِ الْمُلَوِّنِ الْمُزَيِّنِ لِلْمِرْآةِ ، وُجُودٌ خَارِجِيٌّ عَرَضِيٌّ آخَرُ أَيْضاً ؛ وَكَانَ لِلصُّورَةِ الشَّمْسِيَّةِ الْمُنْتَقِشَةِ عَلٰى وَرَقَةِ الْمُصَوِّرَةِ ، وَرَاءَ الْمِرْآةِ ، وُجُودٌ خَارِجِيٌّ آخَرُ عَرَضِيٌّ أَيْضاً ، وَوُجُودٌ ثَابِتٌ بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ لِنُقُوشِ الْمَصْنُوعَاتِ الْمُتَظَاهِرَةِ بِجَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْقُدُسِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الْحَاصِلَةِ بِالْإِرَادَةِ وَالِاخْتِيَارِ وَالْقُدْرَةِ ، فِي مِرْآةِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي مَرَايَا مَاهِيَّاتِ الْأَشْيَاءِ ، وُجُوداً حَادِثاً غَيْرَ وُجُودِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ وَأُعْطِيَ ذٰلِكَ الْوُجُودُ ، ثَبَاتاً بِالْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ وَلٰكِنْ إِذَا قُطِعَ الِارْتِبَاطُ ؛ تَذْهَبُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا ، دَفْعَةً إِلَى الْفَنَاءِ ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ ، يَحْتَاجُ إِلٰى إِبْقَاءِ خَالِقِهِ ، كُلَّ آنٍ ، لِبَقَاءِ الْوُجُودِ ؛ وَإِنَّ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ ثَابِتَةً ؛ لٰكِنَّهَا ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ وَتَثْبِيتِهِ . فَقَوْلُ «حَضْرَةِ مُحْيِي الدِّينِ» : «إِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ ، وَمِنْ صِفَةِ الْإِرَادَةِ» ، مُخَالِفٌ لِظَوَاهِرِ نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَمَا أَنَّهُ الْتَبَسَ فِيهِ وَانْخَدَعَ ، بِنَاءً عَلَى التَّحْقِيقَاتِ الْمَذْكُورَةِ ؛ فَمَا رَأَى الْوُجُودَاتِ الضَّعِيفَةَ ؛ فَإِنَّ مَظَاهِرَ أَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ ، كَالْخَلّاقِ وَالرَّزَّاقِ ، مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، لَا تَكُونُ أَشْيَاءَ وَهْمِيَّةً وَخَيَالِيَّةً ؛ وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ حَقَائِقَ ؛ كَانَ لِمَظَاهِرِهَا ، حَقِيقَةٌ خَارِجِيَّةٌ أَيْضاً . .

سُؤَالُكُمُ الثَّالِثُ : هُوَ أَنَّكُمْ تَسْأَلُونَ دَرْساً يَكُونُ مِفْتَاحاً لِعِلْمِ الْجَفْرِ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّنَا لَمْ نَدْخُلْ هٰذِهِ الْخِدْمَةَ ، بِرَأْيِنَا وَتَدْبِيرِنَا ؛ فَإِنَّ اخْتِيَاراً خَيْراً لَنَا ، حَاكِمٌ عَلٰى عَمَلِنَا ، فَوْقَ اخْتِيَارِنَا . وَإِنَّ عِلْمَ الْجَفْرِ ، لِكَوْنِهِ مَشْغَلَةً جَالِبَةً لِلتَّطَلُّعِ وَالذَّوْقِ ، يَمْنَعُ الْوَظِيفَةَ الْحَقِيقِيَّةَ ؛ وَيَشْغَلُ عَنْهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَ أَسْرَارٍ كَانَتْ تُفْتَحُ بِذٰلِكَ الْمِفْتَاحِ ، إِزَاءَ أَسْرَارٍ قُرْآنِيَّةٍ ، عِدَّةَ مَرَّاتٍ ؛ فَلَمَّا كُنْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ، بِكَمَالِ الِاشْتِيَاقِ وَالذَّوْقِ ؛ كَانَتْ تَنْسَدُّ ؛ فَوَجَدْتُ فِي هٰذَا ، حِكْمَتَيْنِ . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ يُحْتَمَلُ الْوُقُوعُ فِي خِلَافِ الْأَدَبِ ، أَمَامَ حَذَرِ ﴿لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ

إِلَّا اللهُ﴾..

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ خِدْمَةَ دَرْسِ الْحَقَائِقِ الْأَسَاسِيَّةِ، الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ، لِلْأُمَّةِ، بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ، لَهَا مَزِيَّةٌ وَقِيمَةٌ فَوْقَ الْعُلُومِ الْخَفِيَّةِ، مِثْلِ «عِلْمِ الْجَفْرِ»، مِئَةَ دَرَجَةٍ؛ فَإِنَّ الْحُجَجَ الْقَاطِعَةَ، وَالْأَدِلَّةَ الْمُحْكَمَةَ، لَا تَفْسَحُ الْمَجَالَ، لِسُوءِ الِاسْتِعْمَالِ، فِي هٰذِهِ الْوَظِيفَةِ الْقُدُسِيَّةِ؛ وَلٰكِنَّ الْعُلُومَ الْخَفِيَّةَ غَيْرَ الْمَرْبُوطَةِ بِقَوَاعِدَ مُحْكَمَةٍ، مِثْلَ «عِلْمِ الْجَفْرِ»، يَقَعُ فِيهَا سُوءُ الِاسْتِعْمَالِ؛ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَسْتَغِلَّهَا الْمَاكِرُونَ الْخَدَعَةُ الْكَذَّابُونَ؛ وَمَتَى احْتِيجَ إِلَيْهِ لِخِدْمَةِ الْحَقَائِقِ؛ يُحْسَنُ مِنَ اللهِ تَعَالٰى، بِنَبْذَةٍ مِنْهُ، حَسَبَ الِاحْتِيَاجِ؛ فَالْأَسْهَلُ بَيْنَ مَفَاتِيحِ «عِلْمِ الْجَفْرِ»، بَلِ الْأَصْفٰى مِنْهَا، بَلِ الْأَجْمَلُ، هُوَ أَنْوَاعُ التَّوَافُقِ، الْوَارِدَةُ مِنِ اسْمِ «الْبَدِيعِ»، الَّتِي أَظْهَرَتْ جِلْوَتَهَا، فِي «لَفْظَةِ الْجَلَالَةِ» فِي الْقُرْآنِ؛ وَزَيَّنَتِ الْآثَارَ الَّتِي نَشَرْنَاهَا؛ وَقَدْ بُيِّنَتْ نَبْذَةٌ مِنْهَا، فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ رِسَالَةِ «الْكَرَامَةِ الْغَوْثِيَّةِ»؛ فَمِنْهَا: أَنَّ التَّوَافُقَ إِذَا دَلَّ عَلٰى شَيْءٍ، فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ؛ يَكُونُ إِشَارَةً فِي دَرَجَةِ الدَّلَالَةِ؛ وَقَدْ يَكُونُ تَوَافُقٌ وَاحِدٌ، فِي حُكْمِ الدَّلَالَةِ، بِبَعْضِ الْقَرَائِنِ.. فَمَهْمَا كَانَ؛ يَكْفِي الْآنَ، هٰذَا الْقَدَرُ؛ وَإِذَا وَقَعَ الِاحْتِيَاجُ الْحَقِيقِيُّ؛ سَيُعْلَمُ لَكُمْ..

سُؤَالُكُمُ الرَّابِعُ: أَيْ سُؤَالُ «عُمَرَ» الْفَاضِلِ، لَا سُؤَالُكَ؛ وَهُوَ: أَنَّ طَبِيباً شَقِيّاً، يَدَّعِي أَنَّهُ كَانَ لِعِيسٰى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، أَبٌ؛ وَكَأَنَّهُ يَسْتَشْهِدُ لِنَفْسِهِ، مِنْ آيَةٍ مَّا، بِتَأْوِيلٍ جُنُونِيٍّ[1]؛

---

(١) إِنَّ فَرْداً إِنْسَانِيّاً خَارِقاً أَصْبَحَ رَئِيسَ رُبعٍ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ؛ وَانْتَقَلَ بِجِهَةٍ مَّا، مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ، إِلٰى نَوْعِ الْمَلَائِكَةِ؛ وَتَرَكَ الْأَرْضَ؛ فَاتَّخَذَ السَّمَاوَاتِ وَطَناً؛ لَمَّا كَانَتْ أَوْضَاعُهُ الْخَارِقَةُ هٰذِهِ؛ تَقْتَضِي صُورَةً خَارِقَةً، مِنْ قَانُونِ التَّنَاسُلِ؛ يَكُونُ إِدْخَالُهُ فِي ذٰلِكَ الْقَانُونِ، بِوَجْهٍ مَشْبُوهٍ مَجْهُولٍ، غَيْرِ فِطْرِيٍّ، بَلْ بِوَجْهٍ أَدْنٰى، مِنْ وُجُوهِ قَانُونِ التَّنَاسُلِ؛ لَا يُنَاسِبُهُ أَصْلاً؛ كَمَا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ قَطْعاً؛ وَأَيْضاً أَنَّ صَرَاحَةَ الْقُرْآنِ، لَا تَحْمِلُ التَّأْوِيلَ؛ فَكَيْفَ تُهْدَمُ بِحِسَابِ تَعْمِيرِ قَانُونِ التَّنَاسُلِ، الْمُتَمَزِّقِ بِمِئَةِ جِهَةٍ، قَوَانِينُ قَوِيَّةٌ مِثْلُ قَانُونِ صَرَاحَةِ الْقُرْآنِ؛ وَقَانُونِ جِنْسِيَّةِ الْمَلَكِ، الَّذِي بَقِيَ فِي خَارِجِ قَانُونِ التَّنَاسُلِ؛ وَلَمْ يَنْخَرِقْ بِأَيِّ جِهَةٍ.. الْمُؤَلِّفُ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)..

وَقَدْ كَانَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الْمِسْكِينُ يَسْعٰى فِي زَمَنٍ مَّا ، لإِيجَادِ خَطٍّ ، بِحُرُوفٍ مُقَطَّعَةٍ ؛ وَكَانَ يَعْمَلُ بِحَرَارَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ فَعَلِمْتُ حِينَئِذٍ ، أَنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ، أَحَسَّ مِنْ أَطْوَارِ الزَّنَادِقَةِ ، أَنَّهُمْ سَيُبَاشِرُونَ بِإِزَالَةِ الْحُرُوفِ الإِسْلامِيَّةِ ؛ فَسَعٰى ذٰلِكَ الرَّجُلُ هَبَاءً ، بِزَعْمِهِ أَنَّهُ سَيَقْضِي خِدْمَةً ، أَمَامَ ذٰلِكَ السَّيْلِ ؛ وَأَنَّهُ شَعَرَ الآنَ ، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَفِي مَسْأَلَتِهِ الثَّانِيَةِ ، بِهُجُومِ الزَّنَادِقَةِ أَيْضاً ، إِزَاءَ الأُسُسِ الإِسْلامِيَّةِ ، هُجُوماً رَهِيباً ؛ فَأَظُنُّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ سَبِيلاً لِلسِّلْمِ ، بِمِثْلِ هٰذِهِ التَّأْوِيلاتِ الَّتِي لا مَعْنٰى لَهَا . وَلَمَّا كَانَ تَحَقُّقُ كَوْنِ «عِيسٰى» (عليه السلام) بِلا أَبٍ ، ثَابِتاً بِنُصُوصٍ قَاطِعَةٍ ، مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسٰى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ ؛ لا يُهْتَمُّ بِقَوْلِ مَنْ يَتَشَبَّثُونَ بِتَبْدِيلِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَتِينَةِ الأَسَاسِيَّةِ ، بِتَأْوِيلاتٍ وَاهِيَةٍ ؛ حَيْثُ يَحْسَبُونَ مُخَالَفَةَ قَانُونِ تَنَاسُلٍ ، غَيْرَ مُمْكِنٍ ؛ وَلا تُقَامُ لِقَوْلِهِمْ قِيمَةٌ ؛ **إِذْ لا يُوجَدُ قَانُونٌ أَصْلاً ، لَمْ يَكُنْ لَهُ شَوَاذٌّ وَنَوَادِرُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ أَفْرَادٌ خَرَجَتْ إِلٰى خَارِجِهِ ؛ وَلا تُوجَدُ قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ قَطْعاً ، لَمْ تُخَصَّصْ بِأَفْرَادٍ خَارِقَةٍ ؛ وَلا يُمْكِنُ أَنْ لا يَشُذَّ مِنْ قَانُونٍ ، فَرْدٌ مَّا ؛ وَلا يَخْرُجَ مِنْهُ مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ ؛ فَأَوَّلاً** : أَنَّ قَانُونَ التَّنَاسُلِ هٰذَا ، قَدْ خُرِقَ بِاعْتِبَارِ الْمَبْدَأِ ، بِمَبَادِئِ مِئَتَيْ أَلْفِ نَوْعٍ ، مِنَ الْحَيَوَانِ ؛ وَاخْتُتِمَ بِهَا ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ مِئَتَيْ أَلْفِ أَبٍ ، مِنْ آبَائِهَا الَّذِينَ هُمْ فِي حُكْمِ أَوَادِمِهَا ، خَرَقُوا قَانُونَ التَّنَاسُلِ ؛ وَلَمْ يُنْشَأُوا عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ ؛ وَأُعْطُوا الْوُجُودَ ، فِي خَارِجِ ذٰلِكَ الْقَانُونِ ؛ وَكَذَا أَنَّ مَا نَرٰى بِأَبْصَارِنَا ، مِنْ أَفْرَادٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، مِنَ الْقِسْمِ الْغَالِبِ ، مِنْ مِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، يُخْلَقُ فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، خَارِجاً عَنْ ذٰلِكَ الْقَانُونِ ، عَلٰى وُجُوهِ الأَوْرَاقِ ، وَفِيمَا تَعَفَّنَ مِنَ الْمَوَادِّ . فَيَا لَلْعَجَبِ ! كَمْ دَرَجَةً مِنَ السُّخْفِ ، ارْتَكَبَهَا عَقْلٌ تَمَسَّكَ أَمَامَ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِتَأْوِيلٍ مَّا ؛ وَلَمْ يَسَعْهُ شُذُوذُ فَرْدٍ ، فِي أَلْفٍ وَتِسْعِمِئَةِ سَنَةٍ ، مِنْ قَانُونٍ شُقَّ وَاخْتُرِقَ بِهٰذَا الْمِقْدَارِ مِنْ شَوَاذِّهِ ، فِي مَبْدَئِهِ ، بَلْ وَفِي كُلِّ عَامٍ ؟ فَقِسْ عَلَيْهَا . . وَإِنَّ مَا يُعَبِّرُ عَنْهُ أُولائِكَ الأَشْقِيَاءُ ، مِنَ الأُمُورِ ، بِالْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ ، هِيَ **قَوَانِينُ عَادَاتِ اللهِ** ، الَّتِي هِيَ جَلْوَةٌ كُلِّيَّةٌ ، مِنَ الأَمْرِ الإِلٰهِيِّ ، وَالإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ فَيُغَيِّرُ اللهُ تَعَالٰى ، تِلْكَ الْعَادَاتِ ، لِبَعْضِ الْحِكَمِ ؛ فَيُظْهِرُ بِذٰلِكَ ، أَنَّ إِرَادَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ يَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ،

وَعَلٰى كُلِّ قَانُونٍ ؛ فَيَخْرِقُ الْعَادَةَ ، فِي بَعْضِ أَفْرَادٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ ؛ وَيُبَيِّنُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، بِقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسٰى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ . .

اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : «لِعُمَرَ الْفَاضِلِ» فِي حَقِّ ذٰلِكَ الطَّبِيبِ . . إِنَّ ذٰلِكَ الطَّبِيبَ يَفْعَلُ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ ، بَلَاهَةً بِحَيْثُ تَكُونُ أَقْوَالُهُ ، أَسْفَلَ بِكَثِيرٍ ، مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهَا ، وَالِاهْتِمَامِ بِهَا ، وَالْإِجَابَةِ عَلَيْهَا ؛ فَهٰذَا الْبَائِسُ يُرِيدُ أَنْ يُصَالِحَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ . فَأَقُولُ حَسَبَ اسْتِفْسَارِ «عُمَرَ الْفَاضِلِ» فَقَطْ ، لَا إِزَاءَ بَحْثِهِ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ : «إِنَّ الْعِلَّةَ فِي الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، هِيَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْإِلٰهِيَّانِ ؛ وَأَمَّا الْمَصَالِحُ وَالْحِكَمُ ، فَهِيَ مُرَجِّحَاتٌ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ سَبَباً لِتَعَلُّقِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فِي جِهَةِ اسْمِ الْحَكِيمِ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ الْمُسَافِرَ يَقْصُرُ صَلَاتَهُ ؛ فَلِهٰذَا الْقَصْرِ عِلَّةٌ وَحِكْمَةٌ ؛ فَالْعِلَّةُ هِيَ السَّفَرُ ؛ وَالْحِكْمَةُ هِيَ الْمَشَقَّةُ ؛ فَإِذَا وُجِدَ السَّفَرُ ؛ تُقْصَرُ الصَّلَاةُ ؛ وَإِنْ لَمْ تُوجَدِ الْمَشَقَّةُ ؛ وَإِذَا لَمْ يُوجَدِ السَّفَرُ ؛ لَا تُقْصَرُ الصَّلَاةُ ؛ وَلَوْ وُجِدَتْ مِئَةُ مَشَقَّةٍ ، فِي دَارِهِ ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْمَشَقَّةِ فِي السَّفَرِ ، فِي الْجُمْلَةِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ، كَافٍ لِتَكُونَ حِكْمَةً لِقَصْرِ الصَّلَاةِ ؛ وَيَكْفِي أَيْضاً لِجَعْلِ السَّفَرِ ، عِلَّةً لَهُ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ الْقَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، لَا تَتَغَيَّرُ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ ، بِحَسَبِ الْحِكَمِ ؛ وَإِنَّمَا تَنْظُرُ إِلَى الْعِلَلِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ فَإِنَّ الْخِنْزِيرَ مَثَلاً ؛ كَمَا بَحَثَ عَنْهُ ذٰلِكَ الطَّبِيبُ ، لَا يُؤْكَلُ بِدُونِ ضَرَرٍ ، كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الْأَهْلِيَّةِ ، بِقَاعِدَةِ (أَنَّ مَنْ يَأْكُلُ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ ، يَتَخَنْزَرُ[1] بِجِهَةٍ مَّا) ، سِوَى مَا يَعْلَمُهُ ذٰلِكَ الطَّبِيبُ ، مِنْ

---

(١) وَإِنِّي لَأَسْأَلُ : يَا لَلْعَجَبِ ! أَلَيْسَ لِأَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، دَخْلٌ فِي تَوَغُّلِ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ ، تَوَغُّلَ الْخِنْزِيرِ ، فِي ظُلُمَاتِ الضَّلَالَةِ الْمَادِّيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ ، الْمُنَافِيَةِ كُلِّيّاً لِلتَّرَقِّيَاتِ الْحَضَارِيَّةِ ، وَالْكَمَالَاتِ الْفَنِّيَّةِ ، وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، مَعَ تَقَدُّمِهَا بِهٰذَا الْقَدَرِ فِي تِلْكَ التَّرَقِّيَاتِ وَالْكَمَالَاتِ وَالْعُلُومِ الْخَارِقَةِ ؟ . وَالدَّلِيلُ عَلٰى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَأَثَّرُ مِزَاجُهُ ، بِمَا يَتَغَذّٰى بِهِ ، مَا صَارَ فِي حُكْمِ الْمَثَلِ ، مِنْ (أَنَّ مَنْ أَكَلَ كُلَّ يَوْمٍ لَحْماً ، أَرْبَعِينَ يَوْماً ، يَتَأَثَّرُ بِقَسَاوَةِ الْقَلْبِ) . . الْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

أَضْرَارٍ وَأَمْرَاضٍ ؛ فَإِنَّهُ يُورِثُ أَضْرَاراً كَثِيرَةً ، أَزْيَدَ مِمَّا يَأْتِي مِنْ لَحْمِهِ ، مِنَ النَّفْعِ ؛ مَعَ أَنَّ مَا فِي لَحْمِهِ مِنَ الشَّحْمِ الْقَاسِي ، ضَارٌّ طِبّاً ، لِمَا عَدَا بِلادَ الإِفْرِنْجِ ، الَّتِي هِيَ بِلادُ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ ؛ كَمَا تَحَقَّقَ أَنَّهُ مُضِرٌّ مَعْنًى وَحَقِيقَةً . فَمِثْلُ هٰذِهِ الْحِكَمِ صَارَ حِكْمَةً لِتَحْرِيمِهِ ، وَلِتَعَلُّقِ النَّهْيِ بِهِ ؛ وَالْحِكْمَةُ لا يَلْزَمُ أَنْ تُوجَدَ فِي كُلِّ فَرْدٍ ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ ؛ فَلا تَتَبَدَّلُ الْعِلَّةُ ، بِتَبَدُّلِ تِلْكَ الْحِكْمَةِ ؛ وَإِذَا لَمْ تَتَبَدَّلِ الْعِلَّةُ ؛ لا تَتَبَدَّلُ الْحُكْمُ . فَعَلَى هٰذِهِ الْقَاعِدَةِ ، يُفْهَمُ أَنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ الْمِسْكِينَ ، تَكَلَّمَ بَعِيداً عَنْ رُوحِ الشَّرِيعَةِ ، أَيَّمَا بُعْدٍ ؛ فَلا يُهْتَمُّ بِكَلامِهِ ، بِاسْمِ الشَّرِيعَةِ ؛ فَإِنَّ لِلْخَالِقِ ، حَيَوَانَاتٍ عَلَى صُورَةِ فَلاسِفَةٍ سُفَهَاءَ . .

ذَيْلٌ لِجَوابِ السُّؤَالِ فِي حَقِّ «مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ» :

سُؤَالٌ : أَنَّ «مُحْيِيَ الدِّينِ الْعَرَبِيَّ» تَلَقَّى مَسْأَلَةَ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ، أَعْلَى مَرْتَبَةٍ ؛ كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ ، مِنْ أَهْلِ الْعِشْقِ أَيْضاً ، اتَّبَعُوهُ ؛ وَإِنَّكَ تَقُولُ : «إِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ بِأَعْلَى مَرْتَبَةٍ ؛ وَلَيْسَتْ حَقِيقِيَّةً ؛ وَإِنَّمَا هِيَ مَشْرَبُ أَهْلِ السُّكْرِ وَالاِسْتِغْرَاقِ ، وَأَصْحَابِ الشَّوْقِ وَالْعِشْقِ ، بِدَرَجَةٍ مَّا» ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَبَيِّنْ مُخْتَصَراً ، مَا هُوَ أَعْلَى مَرْتَبَةِ التَّوْحِيدِ الَّذِي بُيِّنَ بِصَرَاحَةِ الْقُرْآنِ ، وَبِسِرِّ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ . .

وَالْجَوَابُ : أَنَّ مُحَاكَمَةَ هٰذِهِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ ، بِقَاصِرِ فِكْرٍ عَاجِزٍ بَائِسٍ مَعْدُومٍ فِي عَدَمٍ مِثْلِي ، هِيَ فَوْقَ حَدِّي ، بِمِئَةِ دَرَجَةٍ ؛ وَإِنَّمَا أَذْكُرُ مُخْتَصَراً ، نُكْتَةً أَوْ نُكْتَتَيْنِ فَقَطْ ، وَرَدَتَا مِنْ فَيْضِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ لَعَلَّهَا تَكُونُ لَهَا فَائِدَةٌ ، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ . .

﴿ النُّكْتَةُ الأُولَى : ﴾ أَنَّ لِلتَّوَغُّلِ فِي مَشْرَبِ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ، أَسْبَاباً كَثِيرَةً يُبَيَّنُ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ مِنْهَا ، بِالاِخْتِصَارِ . .

اَلسَّبَبُ الْأَوَّلُ : أَنَّهُمْ لَمْ يُوَسِّعُوا أَذْهَانَهُمْ ، لِخَلَّاقِيَّةِ مَرْتَبَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فِي أَعْظَمِ الدَّرَجَةِ ؛ وَلَمْ يُمَكِّنُوا تَمَاماً ، فِي قُلُوبِهِمْ ، أَنَّهُ تَعَالَى يَأْخُذُ كُلَّ شَيْءٍ ، فِي قَبْضَةِ رُبُوبِيَّتِهِ بِالذَّاتِ ، بِسِرِّ الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يُخْلَقُ بِقُدْرَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ مُضْطَرَّةً لِلْقَوْلِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، هُوَ تَعَالَى ؛ أَوْ لَا شَيْءَ ، أَوْ خَيَالِيٌّ ، أَوْ تَظَاهُرُهُ ، أَوْ جِلْوَاتُهُ . .

اَلسَّبَبُ الثَّانِي : أَنَّ صِفَةَ الْعِشْقِ ، الَّتِي لَا تَطْلُبُ الْفِرَاقَ أَصْلاً ؛ وَتَفِرُّ عَنِ الْمُفَارَقَةِ ، بِالشِّدَّةِ ، وَتَرْجُفُ عَنْ الِافْتِرَاقِ ؛ وَتَخَافُ عَنِ الْبُعْدِ ، كَجَهَنَّمَ ؛ وَتَنْفُرُ عَنِ الزَّوَالِ ، بِغَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَتُحِبُّ الْوِصَالَ ، كَرُوحِهِ وَحَيَاتِهِ ؛ وَتَتَمَنَّى الْقُرْبَ ، كَالْجَنَّةِ ، بِاشْتِيَاقٍ لَا حَدَّ لَهُ ، تَعُدُّ الْفِرَاقَ وَالْبُعْدَ مَعْدُوماً ، بِالتَّعَلُّقِ بِجِلْوَةٍ مِنَ الْأَقْرَبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَيَظُنُّونَ اللِّقَاءَ وَالْوِصَالَ ، دَائِماً ، قَائِلِينَ : «لَا مَوْجُودَ إِلَّا هُوَ» ؛ فَيَتَصَوَّرُونَ بِسُكْرِ الْعِشْقِ ، وَبِمُقْتَضٰى شَوْقِ الْبَقَاءِ وَاللِّقَاءِ وَالْوِصَالِ ، أَنَّ فِي «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ، مَشْرَباً حَالِيّاً ذَا ذَوْقٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَاتَّخَذُوا مَسْأَلَةَ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ، مَلْجَأً لِلنَّجَاةِ عَنِ الْمُفَارَقَاتِ الرَّهِيبَةِ . فَإِذاً إِنَّ مَنْشَأَ السَّبَبِ الْأَوَّلِ ، صَدَرَ مِنْ عَدَمِ إِدْرَاكِ الْعَقْلِ ، إِلَى بَعْضِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ الْعَالِيَةِ الْوَاسِعَةِ لِلْغَايَةِ ، وَمِنْ عَدَمِ إِحَاطَتِهِ بِهَا ، وَمِنْ عَدَمِ انْكِشَافِ الْعَقْلِ بِتَمَامِهِ ، فِي نُقْطَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَإِنَّ مَنْشَأَ السَّبَبِ الثَّانِي ، وَرَدَ مِنِ انْكِشَافِ الْقَلْبِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَمِنِ انْبِسَاطِهِ وَتَوَسُّعِهِ خَارِقاً لِلْعَادَةِ ، فِي نُقْطَةِ الْعِشْقِ . .

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ التَّوْحِيدِ الْعُظْمَى ، الَّتِي رَآهَا أَوْلِيَاءُ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ الْعِظَامُ ، وَأَصْفِيَاءُ أَهْلِ الصَّحْوِ ، بِصَرَاحَةِ الْقُرْآنِ ، فَهِيَ عَالِيَةٌ جِدّاً ؛ وَتُفِيدُ الْمَرْتَبَةَ الْعُظْمٰى ، مِنْ مَرَاتِبِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْخَلَّاقِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلٰهِيَّةَ كُلَّهَا ، حَقِيقِيَّةٌ ؛ وَتَحْفَظُ الْأُسُسَ ؛ وَلَا تُفْسِدُ مُوَازَنَةَ أَحْكَامِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : «إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى ، مَعَ أَحَدِيَّتِهِ الذَّاتِيَّةِ ، وَتَنَزُّهِهِ عَنِ الْمَكَانِ ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، مَعَ جَمِيعِ شُؤُونِهِ ؛ وَعَيَّنَهَا بِعِلْمِهِ بِدُونِ وَاسِطَةٍ ؛ وَرَجَّحَهَا وَخَصَّصَهَا بِإِرَادَتِهِ ؛ وَأَثْبَتَهَا وَأَوْجَدَهَا بِقُدْرَتِهِ بِلَا تَوَسُّطٍ ؛ وَإِنَّهُ يُوجِدُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ؛

وَيُدَبِّرُهَا كَمَوْجُودٍ وَاحِدٍ ؛ وَيَخْلُقُ زَهْرَةً بِالسُّهُولَةِ ؛ كَمَا يَخْلُقُ الرَّبِيعَ الْعَظِيمَ ، بِتِلْكَ السُّهُولَةِ ؛ وَلا يَكُونُ شَيْءٌ ، مَانِعاً لِشَيْءٍ ؛ وَلا تَجَزُّؤَ فِي تَوَجُّهِهِ ؛ وَيُوجَدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فِي نَفْسِ الآنِ ، بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ ، فِي جِهَةِ التَّصَرُّفِ ؛ وَلا تَوْزِيعَ وَانْقِسَامَ فِي تَصَرُّفِهِ» . وَقَدْ أُوضِحَ هٰذَا السِّرُّ ؛ وَأُثْبِتَ بِتَمَامِهِ ، فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ ، وَفِي الْمَقْصَدِ الثَّانِي مِنَ الْمَوْقِفِ الثَّانِي مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ . .

وَإِنِّي أَذْكُرُ تَمْثِيلاً قَاصِراً ؛ لِأَنَّهُ لا يُنْظَرُ إِلَى الْقُصُورِ فِي التَّمْثِيلِ ، بِقَاعِدَةِ (أَنَّهُ لا مُشَاحَّةَ فِي التَّمْثِيلِ) ؛ حَتّى تُفْهَمَ دَرَجَةٌ مِنْ فَرْقِ الْمَشْرَبَيْنِ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّا نَفْتَرِضُ طَاؤُوساً خَارِقاً ، لا مِثْلَ لَهُ ، عَظِيماً وَمُزَيَّناً لِلْغَايَةِ ، يَطِيرُ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ؛ وَيَفْتَحُ جَنَاحَيْهِ الْوَاصِلَيْنِ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ ؛ وَيَقْبِضُهُمَا فِي آنٍ ؛ وَزُيِّنَ بِمِئَاتِ أُلُوفِ النُّقُوشِ ؛ وَأُدْرِجَتْ فِي كُلِّ رِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ ، صَنَائِعُ دَاهِيَةٌ لِلْغَايَةِ . .

وَالْآنَ يُوجَدُ رَجُلانِ مُتَفَرِّجَانِ ، يُرِيدَانِ الطَّيَرَانَ بِجَنَاحَيِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ، إِلٰى مَرَاتِبَ عَالِيَةٍ ، مِنْ هٰذَا الطَّائِرِ ، وَإِلٰى مُزَيَّنَاتِهِ الْخَارِقَةِ ؛ فَأَحَدُهُمَا يَنْظُرُ إِلٰى هَيْئَةِ هٰذَا الطَّاؤُوسِ ، وَإِلٰى هَيْكَلِهِ ، وَإِلٰى نُقُوشِ الْقُدْرَةِ ، فِي كُلِّ رِيشَةٍ مِنْ أَرْيَاشِهِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ؛ فَيُحِبُّهُ بِغَايَةِ الْعِشْقِ وَالشَّوْقِ ؛ وَيَتْرُكُ بَعْضَ التَّفَكُّرِ ؛ وَيَلْتَزِمُ الْعِشْقَ ؛ وَلٰكِنَّهُ يَرٰى أَنَّ تِلْكَ النُّقُوشَ الْمَحْبُوبَةَ ، تَتَحَوَّلُ وَتَتَبَدَّلُ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْمَحْبُوبَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَيَعْشَقُهَا ، تَغِيبُ وَتَزُولُ كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَقَدْ كَانَ مِنَ اللاّزِمِ ، أَنْ يَقُولَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ : إِنَّ هٰذَا الطَّاؤُوسَ ، نَقْشٌ مِنْ صُنْعِ نَقَّاشٍ مَالِكٍ لِلرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، مَعَ الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ وَلِلْخَلاّقِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ ، مَعَ الْأَحَدِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي لا يُوَسِّعُهَا فِي عَقْلِهِ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ بَدَلاً عَنْ ذٰلِكَ الاعْتِقَادِ ، تَسْلِيَةً لِنَفْسِهِ : إِنَّ مَا فِي هٰذَا الطَّائِرِ ، مِنَ الرُّوحِ ، عَالٍ بِحَيْثُ دَخَلَ صَانِعُهُ فِيهِ ؛ أَوْ صَارَ هُوَ إِيَّاهُ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الرُّوحَ ، مُتَّحِدٌ بِبَدَنِهِ ؛ وَبَدَنَهُ مُمْتَزِجٌ بِالصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُظْهِرُ كَمَالُ ذٰلِكَ الرُّوحِ ، وَعُلُوُّ ذٰلِكَ الْبَدَنِ ، هٰذِهِ الْجَلَوَاتِ هٰكَذَا ؛ وَيُظْهِرَانِ كُلَّ دَقِيقَةٍ ، نَقْشاً آخَرَ ، وَحُسْناً غَيْرَهُ ؛ وَلَيْسَتْ إِيجَاداً بِاخْتِيَارٍ حَقِيقِيٍّ ؛ بَلْ هِيَ جَلْوَةٌ وَتَظَاهُرٌ . .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الْآخَرُ ، فَيَقُولُ : إِنَّ هٰذِهِ النُّقُوشَ الْمُصَنَّعَةَ الْمَوْزُونَةَ وَالْمَنْظُومَةَ ، تَقْتَضِي بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، إِرَادَةً وَاخْتِيَاراً ، وَقَصْداً وَمَشِيئَةً ؛ وَلَيْسَتْ جَلْوَةً بِلَا إِرَادَةٍ ، وَلَا تَظَاهُراً بِلَا اخْتِيَارٍ . نَعَمْ : إِنَّ مَاهِيَّةَ الطَّاوُوسِ ، جَمِيلَةٌ وَعَالِيَةٌ ؛ وَلٰكِنْ لَا تَكُونُ فَاعِلَةً ، بَلْ مُنْفَعِلَةٌ ؛ وَلَا يَتَّحِدُ بِفَاعِلِهِ ، بِأَيِّ وَجْهٍ ؛ وَإِنَّ رُوحَهُ حَسَنٌ وَرَفِيعٌ ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ مُوجِداً وَمُتَصَرِّفاً ؛ بَلْ هُوَ مَظْهَرٌ وَمَدَارٌ ؛ لِأَنَّهُ يُرَى بِالْبَدَاهَةِ ، فِي كُلِّ رِيشٍ مِنْهُ ، صَنْعَةٌ بِحِكْمَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَنَقْشُ زِينَةٍ بِقُدْرَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ فَهٰذِهِ النُّقُوشُ وَالصَّنَائِعُ لَا تَكُونُ بِدُونِ إِرَادَةٍ وَاخْتِيَارٍ ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ الصَّنَائِعَ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِ الْحِكْمَةِ ، فِي كَمَالِ الْقُدْرَةِ ، وَعَلَى كَمَالِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالرَّحْمَةِ ، فِي كَمَالِ الِاخْتِيَارِ ، لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِ الْجَلْوَةِ وَنَحْوِهَا ؛ وَإِنَّ الْكَاتِبَ الَّذِي كَتَبَ هٰذَا الْكِتَابَ الْمُذَهَّبَ ، لَا يَكُونُ فِي دَاخِلِهِ ؛ وَلَنْ يَتَّحِدَ بِهِ ؛ بَلْ إِنَّ لِذٰلِكَ الْكِتَابِ ، تَمَاسّاً بِرِيشَةِ قَلَمِ ذٰلِكَ الْكَاتِبِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ تَكُونُ الْمُزَيَّنَاتُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ ، مِنْ ذٰلِكَ الطَّاوُوسِ الْمِثَالِيِّ الْمُسَمَّى بِالْكَائِنَاتِ ، مَكْتُوبَةً مُذَهَّبَةً لِخَالِقِ الطَّاوُوسِ . فَالْآنَ انْظُرْ إِلَى طَاوُوسِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَاقْرَأْ ذٰلِكَ الْمَكْتُوبَ ؛ وَقُلْ لِكَاتِبِهِ : ﴿مَا شَاءَ اللهُ ، تَبَارَكَ اللهُ ، سُبْحَانَ اللهِ﴾ . فَمَنْ ظَنَّ الْمَكْتُوبَ كَاتِباً ؛ أَوْ تَخَيَّلَ الْكَاتِبَ ، فِي دَاخِلِ الْمَكْتُوبِ ؛ أَوْ تَوَهَّمَ الْمَكْتُوبَ خَيَالِيّاً ؛ فَإِنَّهُ سَتَرَ عَقْلَهُ ، فِي غِطَاءِ الْعِشْقِ ؛ وَلَمْ يَرَ الصُّورَةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، لِلْحَقِيقَةِ قَطْعاً . .

وَإِنَّ أَهَمَّ جِهَةٍ تُسَبِّبُ مَشْرَبَ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ، مِنْ أَنْوَاعِ الْعِشْقِ ، هِيَ عِشْقُ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ عِشْقَ الدُّنْيَا الْمَجَازِيَّ ، حِينَمَا يَنْقَلِبُ بِالْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ ؛ يَتَحَوَّلُ إِلَى «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ؛ فَكَمَا أَنَّ عَاشِقاً ، يُحِبُّ شَخْصاً مَحْبُوباً مِنَ الْإِنْسَانِ ؛ ثُمَّ لَا يُوَطِّدُ زَوَالَهُ وَفَنَاءَهُ ، فِي قَلْبِهِ ؛ فَيُسَلِّي نَفْسَهُ ؛ وَيَتَعَلَّقُ بِحَقِيقَةٍ ؛ فَيَقُولُ : «إِنَّهُ مِرْآةٌ لِجَمَالِ الْمَعْبُودِ وَالْمَحْبُوبِ الْحَقِيقِيِّ» ؛ وَذٰلِكَ لِكَسْبِ بَقَاءٍ لِمَحْبُوبِهِ ، بِالْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ لَهُ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ مَنِ اتَّخَذَ الدُّنْيَا وَالْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةَ ، بِهَيْئَتِهِمَا الْمَجْمُوعَةِ ، مَحْبُوبَةً ؛ ثُمَّ لَمَّا انْقَلَبَتْ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ الْعَجِيبَةُ ، بِالْمَحَبَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، بِسَوْطِ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ الدَّائِمَيْنِ ، يَلْتَجِئُ إِلَى مَشْرَبِ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ،

لِإِنْقَاذِ مَحْبُوبَتِهِ تِلْكَ الْمَحْبُوبَةِ الْعَظِيمَةِ جِدّاً ، مِنَ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ؛ فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ إِيمَانٍ قَوِيٍّ وَرَفِيعٍ ، مِثْلَ «مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ» يَكُونُ ذٰلِكَ الْمَشْرَبُ ، مَرْتَبَةً مَقْبُولَةً نَيِّرَةً ذَاتَ أَذْوَاقٍ لَهُ ؛ وَإِلّا يُحْتَمَلُ أَنْ يَقَعَ فِي الْوَرَطَاتِ وَالْمَادِّيَّاتِ ؛ وَيَغْرَقَ فِي الْأَسْبَابِ .. وَأَمَّا وَحْدَةُ الشُّهُودِ ، فَلَا ضَرَرَ فِيهَا ؛ وَهِيَ مَشْرَبٌ عَالٍ لِأَصْحَابِ الصَّحْوِ أَيْضاً ..

﴿ اَللّٰهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقّاً ؛ وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ﴾ ..

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ..

اَللَّمْعَةُ الْعَاشِرَةُ

رِسَالَةُ صَفَعَاتِ الشَّفَقَةِ . .

﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُٓ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ . .

تُفَسِّرُ هٰذِهِ اللَّمْعَةُ ، سِرّاً مِنْ أَسْرَارِ هٰذِهِ الْآيَةِ ، بِبَيَانِ صَفَعَاتِ الشَّفَقَةِ ، الَّتِي ذَاقَهَا أَصْحَابِي فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، فِي عَاقِبَةِ سَهْوِهِمْ وَأَخْطَائِهِمْ ، بِمُقْتَضَى الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَتُبَيِّنُ سِلْسِلَةً مِنْ كَرَامَاتِ «خِدْمَةِ الْقُرْآنِ» ؛ وَنَبْذَةً مِنْ كَرَامَةِ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ» الَّذِي يَحْرُسُ حَوْلَ تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَيُعِينُ بِهِمَّتِهِ وَدُعَائِهِ ؛ حَتّٰى يَثْبُتَ الَّذِينَ دَخَلُوا هٰذِهِ الْخِدْمَةَ الْقُدُسِيَّةَ ، فِي جِدِّيَّتِهِمْ . .

وَكَرَامَةُ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، عَلٰى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ . .

اَلنَّوْعُ الْأَوَّلُ : هُوَ جِهَةُ اسْتِحْضَارِ تِلْكَ الْخِدْمَةِ ، وَسَوْقِ خُدَّامِهَا إِلَيْهَا . .

اَلنَّوْعُ الثَّانِي : هُوَ رَدُّ الْمَوَانِعِ ، وَدَفْعُ شَرِّ الْمُضِرِّينَ ، وَصَفْعُهُمْ . وَلِهٰذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ حَادِثَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَطَوِيلَةٌ ؛ فَنُؤَخِّرُهُمَا إِلٰى وَقْتٍ آخَرَ ؛ وَنَبْحَثُ عَنْ قِسْمٍ ثَالِثٍ أَخَفَّ ؛ وَهُوَ : أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مُخْلِصِينَ ، فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، حِينَمَا يَعْتَرِيهِمُ الْفُتُورُ ، يَذُوقُونَ صَفْعَةً

مُشْفِقَةً ؛ فَيَنْتَبِهُونَ وَيَدْخُلُونَ تِلْكَ الْخِدْمَةَ أَيْضاً . وَوَقَائِعُ هٰذَا الْقِسْمِ تَزِيدُ عَلٰى مِئَةٍ . وَقَدْ ذَاقَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ ، أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ ، مِنْ عِشْرِينَ حَادِثَةً ، صَفْعَةَ الشَّفَقَةِ ؛ وَسِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ مِنْهَا لَقِيَتْ صَفْعَةَ الزَّجْرِ . .

اَلْأَوَّلُ : هُوَ هٰذَا «السَّعِيدُ» الْبَائِسُ ؛ فَإِنِّي كُلَّمَا فَتَرْتُ فِي الْخِدْمَةِ ؛ فَقُلْتُ : مَاذَا عَلَيَّ ؛ وَاشْتَغَلْتُ بِأُمُورٍ تَعُودُ إِلٰى نَفْسِي خَاصَّةً ؛ ذُقْتُ صَفْعَةً ؛ وَأَقْتَنِعُ أَنِّي ذُقْتُهَا مِنْ إِهْمَالِي ؛ لِأَنَّ أَيَّ مَقْصِدٍ سَاقَنِي إِلَى الْإِغْفَالِ ، ذُقْتُ الصَّفْعَةَ بِعَكْسِهِ ؛ وَكَذَا أَنَّ سَائِرَ أَصْحَابِيَ الْمُخْلِصِينَ ، أَمْعَنُوا تَدْرِيجاً ، فِي صَفَعَاتِ الشَّفَقَةِ ، الَّتِي ذَاقُوهَا ؛ فَوَجَدُوا أَنَّهُمْ ذَاقُوا صَفَعَاتِ الشَّفَقَةِ مِثْلِي ؛ عَلٰى عَكْسِ مَا أَهْمَلُوهَا لَهُ ، مِنْ مَقَاصِدِهِمْ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ اعْتَقَدْنَا أَنَّ تِلْكَ الْوَقَائِعَ ، هِيَ مِنْ كَرَامَاتِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ . فَمَثَلاً : إِنَّ هٰذَا «السَّعِيدَ» الْبَائِسَ ، لَمَّا كُنْتُ مُشْتَغِلاً بِدَرْسِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، بِمَدِينَةِ «وَانٍ» ؛ لَمْ تَمَسَّنِيَ الْحُكُومَةُ الْمُتَوَسْوِسَةُ ؛ وَمَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَمَسَّنِي بِأَيِّ وَجْهٍ ، فِي زَمَنِ وَقْعَةِ «الشَّيْخِ سَعِيدٍ» ؛ وَمَتٰى قُلْتُ : مَا عَلَيَّ مِنْ شَيْءٍ ؛ وَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي ؛ وَاعْتَزَلْتُ بِمَكَانٍ شِبْهِ غَارٍ قَدِيمٍ ، فِي جَبَلِ «أَرَكْ» ، لِإِنْقَاذِ آخِرَتِي ؛ أَخَذُونِي حِينَئِذٍ ؛ وَنَفَوْنِي بِدُونِ سَبَبٍ ؛ وَجِيءَ بِي إِلٰى بَلْدَةِ «بُورْدُورَ» ؛ وَهُنَاكَ مَهْمَا وُجِدْتُ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ أَيْضاً ؛ بَقِيتُ أَنَا وَتَلامِذَتِيَ الْمُخْلِصُونَ ، مُسْتَقِلِّينَ عَنْ إِثْبَاتِ الْوُجُودِ كُلَّ مَسَاءٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُهْتَمُّ حِينَئِذٍ بِشَأْنِ الْمَنْفِيِّينَ ، بِالْإِمْعَانِ ؛ وَكَانُوا مُكَلَّفِينَ بِإِثْبَاتِ الْوُجُودِ كُلَّ مَسَاءٍ ؛ فَمَا ذَهَبْتُ لِإِثْبَاتِ الْوُجُودِ ، أَيَّ وَقْتٍ ؛ وَمَا عَرَفْتُ الْحُكُومَةَ ؛ فَشَكَانِي وَالِيهَا ، إِلٰى «فَوْزِي بَاشَا» ، حِينَمَا أَتٰى إِلَيْهَا ؛ فَقَالَ «فَوْزِي بَاشَا» : لَا تَمَسُّوهُ بِسُوءٍ ؛ وَاحْتَرِمُوهُ ؛ وَإِنَّ الَّذِي أَنْطَقَهُ بِهٰذَا الْكَلامِ ، هُوَ قُدُسِيَّةُ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ . وَلَمَّا غَلَبَ عَلَيَّ فِكْرُ إِنْقَاذِ نَفْسِي ، وَتَصَوُّرُ آخِرَتِي فَقَطْ ؛ فَنَشَأَ الْفُتُورُ مُؤَقَّتاً ، فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ ذُقْتُ الصَّفْعَةَ ، بِعَكْسِ مَقْصَدِي : أَيْ أُرْسِلْتُ مِنْ مَنْفًى إِلٰى آخَرَ ، إِلٰى «إِسْپَارْطَةَ» ؛ فَفِي «إِسْپَارْطَةَ» بَاشَرْتُ بِالْخِدْمَةِ أَيْضاً ؛ فَبَعْدَ عِشْرِينَ يَوْماً ، قَالُوا لِي بِإِنْذَارِ بَعْضِ الْخَائِفِينَ : لَعَلَّ الْحُكُومَةَ لَا تَسْتَطِيبُ عَنْ هٰذَا الْحَالِ ؛ فَلَوْ تَأَنَّيْنَا فَتْرَةً ؛ لَكَانَ أَوْلٰى ؛ فَتَقَوَّتْ عِنْدِي ثَانِياً ، خَاطِرَةُ تَفَكُّرِ نَفْسِي فَقَطْ ؛ فَقُلْتُ : الْحَذَرَ

أَنْ لا يَأْتِيَ النَّاسُ ؛ فَعُيِّنْتُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَنْفىٰ ، لِلنَّفْيِ إِلٰى «بَارْلَا» نَفْياً ثَالِثاً أَيْضاً ؛ وَمَتىٰ مَا عَرَضَ عَلَيَّ الْفُتُورُ ، فِي «بَارْلَا» ؛ وَتَقَوَّتْ لَدَيَّ خَاطِرَةُ تَصَوُّرِ نَفْسِي فَقَطْ ؛ تَسَلَّطَ عَلَيَّ حَيَّةٌ مِنْ حَيَّاتِ هٰؤُلاءِ ، مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَمِنْ مُنَافِقِيهِمْ . وَيُمْكِنُنِي أَنْ أَحْكِيَ ثَمَانِينَ حَادِثَةً مَضَتْ عَلَيَّ ، فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الثَّمَانِ . .

فَيَا إِخْوَانِي ! إِنِّي ذَكَرْتُ مَا نَزَلَ بِي ، مِنْ صَفَعَاتِ الشَّفَقَةِ ؛ وَإِنْ أَذِنْتُمْ لِي ؛ وَعَفَوْتُمْ عَنِّي ؛ أَذْكُرُ صَفَعَاتِ الشَّفَقَةِ النَّازِلَةَ بِكُمْ أَيْضاً ؛ فَلا تَغْضَبُوا ؛ وَإِنْ وُجِدَ غَاضِبٌ ؛ فَلا أُصَرِّحُ بِاسْمِهِ . .

اَلثَّانِي : «عَبْدُ الْمَجِيدِ» الَّذِي هُوَ شَقِيقِي وَأَوْلىٰ تِلْمِيذٍ فِدَائِيٍّ لِي وَأَعْلاهُ ؛ فَكَانَ لَهُ بَيْتٌ طَيِّبٌ ، بِمَدِينَةِ «وَانٍ» ؛ وَكَانَ عَيْشُهُ فِي مُسْتَوَاهُ ؛ وَهُوَ مُعَلِّمٌ ؛ فَلَمْ يَشْتَرِكِ الَّذِينَ تَشَبَّثُوا بِخِلافِ مُرَادِي ، بِذَهَابِي إِلٰى خَارِجِ الْحُدُودِ ، الَّذِي هُوَ أَرْوَجُ مَكَانٍ ، لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ الرَّأْيَ ؛ وَكَأَنَّهُ كَانَ ذٰلِكَ ، لِنَفْعِي بِاجْتِهَادِهِ ، ظَنّاً مِنْهُ أَنِّي لَوْ سَافَرْتُ إِلٰى خَارِجِ الْحُدُودِ ؛ لَمَا كَانَتْ خِدْمَةُ الْقُرْآنِ ، صَافِيَةً بِدُونِ سِيَاسَةٍ ؛ وَلَنَفَوْهُ مِنْ مَدِينَةِ «وَانٍ» ؛ فَذَاقَ صَفْعَةً مُشْفِقَةً ، بِعَكْسِ مَقْصَدِهِ ؛ فَفَارَقَ مَدِينَةَ «وَانٍ» ؛ وَتَرَكَ دَارَهُ الطَّيِّبَةَ ، وَوَطَنَهُ ؛ وَاضْطُرَّ لِلذَّهَابِ إِلٰى قَصَبَةِ «أَرْغَنِي» . .

اَلثَّالِثُ : «خُلُوصِيٌّ» الْكَرِيمُ الَّذِي هُوَ عُضْوٌ مُهِمٌّ جِدّاً ، لِلْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا ذَهَبَ مِنْ قَضَاءِ (أَكْرِي دِيرَ) إِلٰى بِلادِهِ ؛ كَانَتِ الْأَسْبَابُ الَّتِي تُؤَمِّنُ السَّعَادَةَ الدُّنْيَا ؛ وَتُذَوِّقُهَا تَمَاماً ، مَوْجُودَةً ؛ فَلِذٰلِكَ اسْتَعَدَّتْ دَائِرَةُ الْأَسْبَابِ ، لِظُهُورِ الْفُتُورِ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، الَّتِي هِيَ أُخْرَوِيَّةٌ مَحْضَةٌ بِدَرَجَةٍ مَّا ؛ لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلٰى وَالِدَيْهِ اللَّذَيْنِ لَمْ يَرَهُمَا مُنْذُ أَمَدٍ ؛ وَرَأَى وَطَنَهُ ؛ وَذَهَبَ عَلٰى وَجْهِ الشَّرَفِ وَالرُّتْبَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَبَسَّمَتْ إِلَيْهِ الدُّنْيَا ؛ وَتَرَاءَتْ لَهُ جَمِيلَةً ؛ مَعَ أَنَّ مَنْ يَكُونُ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، لا بُدَّ إِمَّا أَنْ تَغْضَبَ عَنْهُ الدُّنْيَا ؛ أَوْ يَغْضَبَ هُوَ عَنْهَا ؛ حَتّٰى يُوجَدَ فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِالْإِخْلاصِ وَالْجِدِّ . وَإِنَّ «خُلُوصِيّاً» وَإِنْ كَانَ قَلْبُهُ مَتِيناً

لَا يَتزَلْزَلُ ، إِلّا أَنَّ هٰذَا الْحَالَ سَاقَهُ إِلَى الْفُتُورِ ؛ فَذَاقَ صَفْعَةً مُشْفِقَةً ؛ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ ، سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ ؛ فَهَرَّبُوا مِنْهُ لَذَّةَ الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ فَأَغْضَبُوهُ عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَالدُّنْيَا عَنْهُ ؛ فَحِينَئِذٍ اعْتَنَقَ مَا فِي وَظِيفَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، مِنَ الْجِدِّ بِكُلِّ مَعْنَاهُ . .

اَلرَّابِعُ : الْحَافِظ «أَحْمَدُ الْمُهَاجِرُ» ؛ وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ : نَعَمْ إِنِّي أَعْتَرِفُ أَنِّي أَخْطَأْتُ فِي اجْتِهَادِي ، فِي جِهَةِ آخِرَتِي ، فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَوَقَعْتُ فِي مَطْلَبٍ يُورِثُ الْفُتُورَ لِلْخِدْمَةِ ؛ فَذُقْتُ صَفْعَةً مُشْفِقَةً ؛ وَلٰكِنْ شَدِيدَةً وَمُكَفِّرَةً ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ «أُسْتَاذِي» كَانَ غَيْرَ مُوَالٍ لِلْإِصْلَاحَاتِ الْجَدِيدَةِ(١) ؛ وَكَانَ مَسْجِدِي جَاراً لَهُ ؛ وَتَأْتِي الْأَهِلَّةُ الثَّلَاثَةُ ؛ فَإِنْ أَتْرُكِ الْمَسْجِدَ ؛ أُضِعْ ثَوَاباً كَثِيراً ؛ وَيَتَعَلَّمِ الْحَارَةُ ، تَرْكَ الصَّلَاةِ ؛ وَإِذَا لَمْ أَفْعَلِ الْأُسْلُوبَ الْجَدِيدَ ؛ أُمْنَعْ عَنِ الْإِمَامَةِ ؛ فَعَلٰى هٰذَا الِاجْتِهَادِ ، تَمَنَّيْتُ ارْتِحَالَ «أُسْتَاذِي» الَّذِي أُحِبُّهُ مِقْدَارَ رُوحِي ، إِلٰى بَلْدَةٍ أُخْرٰى مُؤَقَّتاً ؛ وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ بَدَّلَ مَكَانَهُ ؛ وَسَافَرَ إِلٰى مَكَانٍ آخَرَ ؛ لَعَرَضَ الْفُتُورُ مُؤَقَّتاً ، عَلٰى خِدْمَةِ الْقُرْآنِ . فَفِي تِلْكَ الْفَتَرَاتِ ذُقْتُ صَفْعَةً مُشْفِقَةً ؛ وَلٰكِنْ مُدْهِشَةً بِحَيْثُ أَصْبَحَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لَمْ يَعُدْ عَقْلِي إِلٰى رَأْسِي ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ أَنَّهُ أُخْطِرَ «لِأُسْتَاذِي» بِإِخْبَارِهِ الْقَاطِعِ : أَنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ ، هِيَ فِي حُكْمِ يَوْمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ وَنَرْجُو ذٰلِكَ ، مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالٰى ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ التَّمَنِّيَ لَمْ يَكُنْ مَبْنِيّاً عَلٰى غَرَضٍ مَّا ؛ وَإِنَّمَا نَشَأَ ذٰلِكَ التَّمَنِّي ، مِنْ جِهَةِ مَحْضِ تَفَكُّرِي فِي آخِرَتِي . .

اَلْخَامِسُ : «حَقِّيٌّ» الْفَاضِلُ ؛ وَهُوَ لَا يُوجَدُ الْآنَ هٰهُنَا ؛ فَلِذٰلِكَ أَقُولُ وِكَالَةً عَنْهُ ؛ كَمَا وَكِلْتُ عَنْ «خُلُوصِيٍّ» : إِنَّ «حَقِّيّاً» الْفَاضِلَ بَيْنَمَا كَانَ يُؤَدِّي وَظِيفَةَ التَّلَمُّذِ بِحَقِّهَا ، إِذْ جَاءَ قَائِمُ مَقَامٍ سَفِيهٌ ؛ فَأَخْفٰى مَا كَتَبَهُ ؛ لِئَلّا يَرِدَ عَلَيْهِ وَعَلٰى «أُسْتَاذِهِ» ضَرَرٌ ؛ وَتَرَكَ الْخِدْمَةَ النُّورِيَّةَ مُؤَقَّتاً ؛ فَإِذَا بِدَعْوٰى فُتِحَتْ أَمَامَهُ ؛ أَصْبَحَ فِيهَا مُكَلَّفاً بِدَفْعِ أَلْفِ لِيْرَةٍ ، فِي مَعْنٰى صَفْعَةٍ مُشْفِقَةٍ ؛ وَبَقِيَ سَنَةً ، تَحْتَ ذٰلِكَ التَّهْدِيدِ ؛ إِلٰى أَنْ جَاءَ ؛ فَاجْتَمَعْنَا هُنَا ؛

---

(١) وَهِيَ الْبِدَعُ الْمُخَالِفَةُ لِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، كَالْأَذَانِ التُّرْكِيِّ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

وَبَاشَرَ فِي رُجُوعِهِ ، بِوَظِيفَةِ تَلَمُّذِ الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَزَالَ حُكْمُ صَفْعَةِ الشَّفَقَةِ ؛ فَبَرِئَ مِنْهُ ؛ ثُمَّ فُتِحَتْ وَظِيفَةٌ لِلتَّلَامِذَةِ ، فِي شَأْنِ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ ، بِوَجْهٍ جَدِيدٍ[1] ؛ فَمُيِّزَتْ حِصَّةٌ «لِحَقِّيٍّ» الْفَاضِلِ ؛ الْحَقُّ أَنَّهُ الْتَزَمَ حِصَّتَهُ ؛ فَكَتَبَ جُزْءاً لَطِيفاً ؛ وَلٰكِنَّهُ ظَنَّ نَفْسَهُ ، مُضْطَرَّةً بِضَرُورَةِ بَلَاءِ الْمَعِيشَةِ ؛ فَبَاشَرَ سِرّاً ، بِوَكَالَةِ الدَّعَاوٰى ؛ فَذَاقَ فَجْأَةً ، صَفْعَةَ شَفَقَةٍ أُخْرٰى ؛ فَانْكَسَرَ مُؤَقَّتاً ، إِصْبَعُهُ الَّذِي يُمْسِكُ الْقَلَمَ ؛ فَأُنْذِرَ بِلِسَانِ الْمَعْنٰى : أَنَّهُ لَا تَصْلُحُ وَكَالَةُ الدَّعَاوٰى ، وَكِتَابَةُ الْقُرْآنِ مَعاً ، بِهٰذَا الْإِصْبَعِ ؛ فَتَحَيَّرْنَا لِإِصْبَعِهِ ؛ لِأَنَّا كُنَّا لَا نَعْلَمُ مُبَاشَرَتَهُ بِوَكَالَةِ الدَّعَاوٰى ؛ ثُمَّ عُلِمَ أَنَّ الْخِدْمَةَ الْقُرْآنِيَّةَ النَّقِيَّةَ الْقُدُسِيَّةَ ، لَا تَرْضٰى بِمُخَالَطَةِ الْأَصَابِعِ النَّظِيفَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِهَا ، بِأَمْرٍ آخَرَ . وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنِّي عَلِمْتُ «خُلُوصِيّاً» مِثْلَ نَفْسِي ؛ فَتَكَلَّمْتُ نِيَابَةً عَنْهُ ؛ وَإِنَّ «حَقِّيّاً» الْفَاضِلَ أَيْضاً ، مِثْلُهُ بِعَيْنِهِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِنِيَابَتِي ؛ فَلْيَكْتُبْ هُوَ نَفْسُهُ ، صَفْعَتَهُ . .

اَلسَّادِسُ : «بَكْرٌ» الْفَاضِلُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ حَاضِراً الْآنَ ؛ فَلِذَا أَقُولُ لِاعْتِمَادِي عَلٰى صَدَاقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ ؛ كَمَا وَكِلْتُ أَخِي «عَبْدَ الْمَجِيدِ» ، وَلِلِاسْتِنَادِ إِلٰى حُكْمِ خَوَاصِّ أَصْدِقَائِي كُلِّهِمْ ، مِثْلِ «الْحَافِظِ الشَّامِيِّ» ، وَ«سُلَيْمَانَ» الْفَاضِلِ : إِنَّ «بَكْراً» الْفَاضِلَ طَبَعَ الْمَقَالَةَ الْعَاشِرَةَ ؛ فَبَعَثْنَا إِلَيْهِ الْمَقَالَةَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ ، الْبَاحِثَةَ عَنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ؛ لِتُطْبَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الْحُرُوفُ الْجَدِيدَةُ ؛ وَكَتَبْنَا لَهُ أَنَّنَا ، كَمَا أَرْسَلْنَا ثَمَنَ طِبَاعَةِ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ ؛ سَنُرْسِلُ ثَمَنَ هٰذِهِ الْمَقَالَةِ أَيْضاً ؛ وَأَمَّا «بَكْرٌ» الْفَاضِلُ فَإِنَّهُ فَكَّرَ فِي فَقْرِ حَالِي ؛ وَتَصَوَّرَ أَنَّ ثَمَنَ الطَّبْعِ ، مِقْدَارُ أَرْبَعِمِئَةِ لِيرَةٍ ؛ فَإِنْ أَدْفَعْهُ مِنْ جَيْبِي ؛ فَلَعَلَّ «الْأُسْتَاذَ» لَا يَرْضٰى بِهِ ؛ هٰكَذَا خَدَعَتْهُ نَفْسُهُ ؛ فَلَمْ تُطْبَعْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ ؛ وَحَدَثَ ضَرَرٌ مُهِمٌّ ، بِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ وَقَعَتْ تِسْعُمِئَةِ لِيرَةٍ مِنْ مَالِهِ ، بِأَيْدِي السَّرَقَةِ ؛ فَذَاقَ صَفْعَةً مُشْفِقَةً وَمُدْهِشَةً ؛ وَلَعَلَّ مَا ضَاعَ ، مِنْ تِسْعِمِئَةِ لِيرَةٍ ، يُصْبِحُ فِي حُكْمِ الصَّدَقَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

---

(١) وَالْمُرَادُ مِنْهُ ، كِتَابَةُ الْقُرْآنِ ، بِوَجْهٍ يُظْهِرُ مُعْجِزَةَ التَّوَافُقِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَلسَّابِعُ : الْحَافِظُ «**تَوْفِيقٌ الشَّامِيُّ**» ؛ وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ : نَعَمْ إِنِّي أَعْتَرِفُ أَنِّي ذُقْتُ صَفْعَتَيْنِ ، بِسَبَبِ أَفْعَالِيَ الَّتِي أَوْرَثَتِ الْفُتُورَ لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَبِتَفَكُّرٍ خَاطِئٍ ؛ وَلَمْ تَبْقَ لِي شُبْهَةٌ أَنَّهُمَا جَاءَتَا مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ خَطِّيَ الْعَرَبِيَّ أُحْسِنَ بِهِ إِلَيَّ ، بِوَجْهٍ مُنَاسِبٍ لِلْقُرْآنِ ، بَعْضَ الْمُنَاسَبَةِ ؛ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ فَأَمَرَنِي أُسْتَاذِي أَوَّلاً ، بِكِتَابَةِ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ قَسَّمَ الْبَوَاقِيَ ، عَلٰى سَائِرِ رُفَقَائِي ؛ فَكَسَرَ شَوْقُ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ ، نِيَّتِي لِخِدْمَةِ تَبْيِيضِ الرَّسَائِلِ ، وَتَسْوِيدِهَا ؛ وَأَيْضاً أَنِّي وَقَعْتُ فِي طَوْرٍ مَغْرُورٍ ، بِأَنِّي أَتَفَوَّقُ عَلٰى سَائِرِ الرُّفَقَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ ؛ حَتّٰى إِنِّي حِينَمَا ذَكَرَ لِي أُسْتَاذِي ، تَدْبِيراً عَائِداً إِلَى الْخَطِّ ؛ قُلْتُ : إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ عَائِدٌ إِلَيَّ ؛ وَإِنِّي أَعْلَمُ هٰذَا ؛ وَلَا أَحْتَاجُ إِلٰى تَلَقِّي الدَّرْسِ ؛ وَهٰكَذَا تَكَلَّمْتُ عَلٰى وَجْهِ الْغُرُورِ ؛ فَعَلٰى خَطَإِي هٰذَا ، ذُقْتُ صَفْعَةً فَوْقَ الْعَادَةِ ، لَمْ تَكُنْ تَخْطُرُ بِبَالِي أَبَداً ؛ فَمَا أَدْرَكْتُ أَحَداً مِنْ إِخْوَتِي ، أَقَلَّ خَطّاً عَرَبِيّاً ؛ فَتَحَيَّرْنَا جَمِيعاً ؛ وَالْآنَ فَهِمْنَا أَنَّهَا صَفْعَةٌ . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنِّي أَعْتَرِفُ أَنَّ حَالَيْنِ مِنْ أَحْوَالِي ، كَانَا يُخِلَّانِ بِالْخِدْمَةِ بِكَمَالِ الْإِخْلَاصِ ، وَلِوَجْهِ اللهِ وَحْدَهُ ، فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَذُقْتُ صَفْعَةً شَدِيدَةً ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنِّي وَحِيدٌ ، وَفِي حُكْمِ الْغَرِيبِ ، فِي هٰذِهِ الْبِلَادِ ؛ وَأَيْضاً لَا شَكْوٰى ؛ أَنِّي لِعَدَمِ مُرَاعَاتِي لِأَهَمِّ دُسْتُورٍ مِنْ دَسَاتِيرِ أُسْتَاذِي ؛ وَهُوَ الِاقْتِصَادُ وَالْقَنَاعَةُ ، مُعَرَّضٌ لِفَقْرِ الْحَالِ ، وَمُبْتَلًى بِضَرُورَةِ الِاخْتِلَاطِ بِأُنَاسٍ مُعْجَبِينَ وَمُتَكَبِّرِينَ ؛ فَأُضْطَرُّ إِلَى الرِّيَاءِ وَالتَّبَصْبُصِ لَهُمْ ، بِوَجْهٍ غَيْرِ لَائِقٍ بِالْمُرُوءَةِ ؛ عَفَا اللهُ ؛ فَكَانَ أُسْتَاذِي يُوقِظُنِي وَيُذَكِّرُنِي وَيُؤَدِّبُنِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُنْقِذَنِي مِنْ ذٰلِكَ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ فَكَانَ الشَّيْطَانُ الْجِنِّيُّ وَالْإِنْسِيُّ ، يَسْتَفِيدَانِ مِنْ حَالِي هٰذَا الْمُنَافِي لِرُوحِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُورِثُ بُرُودَةً وَفُتُوراً فِي خِدْمَتِنَا أَيْضاً ؛ فَذُقْتُ إِزَاءَ قُصُورِي هٰذَا ، صَفْعَةً شَدِيدَةً ؛ وَلٰكِنْ مُشْفِقَةً ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ وَلَمْ تَبْقَ لِي شُبْهَةٌ أَنَّ هٰذِهِ الصَّفْعَةَ أَتَتْ مِنْ ذٰلِكَ التَّقْصِيرِ ؛ وَهِيَ أَنَّ هٰذِهِ ثَمَانِي سِنِينَ ، كُنْتُ مُخَاطَباً لِأُسْتَاذِي ، وَمُبَيِّضاً وَمُسَوِّداً لَهُ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ فَمَا اسْتَفَدْتُ مِنَ الْأَنْوَارِ ، مِقْدَارَ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ ؛ فَتَحَيَّرْنَا لِهٰذَا

الْحَالِ ؛ وَكُنْتُ أَنَا وَأُسْتَاذِي ، نَتَحَرَّى الْأَسْبَابَ ، قَائِلَيْنِ لِمَاذَا يَكُونُ هٰذَا الْحَالُ هٰكَذَا ؟ . وَالْآنَ قَدِ اعْتَقَدْنَا قَطْعاً : أَنَّ تِلْكَ الْحَقَائِقَ الْقُرْآنِيَّةَ ، أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءٌ لَا تَجْتَمِعُ مَعَ ظُلُمَاتِ التَّصَنُّعِ وَالتَّمَلُّقِ وَالتَّذَلُّلِ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَتْ خُلَاصَةُ حَقَائِقِ هٰذِهِ الْأَنْوَارِ ، تَتَبَاعَدُ عَنِّي ؛ وَتَتَظَاهَرُ لِي مُتَوَحِّشَةً ؛ وَتَتَوَحَّشُ عَنِّي ؛ أَحْسَنَ اللهُ تَعَالٰى إِلَيَّ ، بِالْإِخْلَاصِ اللَّائِقِ بِتِلْكَ الْخِدْمَةِ ؛ وَأَخْلَصَنِي مِنَ التَّصَنُّعِ وَالرِّيَاءِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ؛ وَأَرْجُو الدُّعَاءَ مِنْ إِخْوَتِي ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمْ أُسْتَاذِي . .

ذُو التَّقْصِيرِ الْكَثِيرِ : **الْحَافِظُ تَوْفِيقٌ الشَّامِيُّ** . .

اَلثَّامِنُ : «سَيْرَانِيٌّ» ؛ وَكَانَ هٰذَا الرَّجُلُ تِلْمِيذاً لِي ، مُدْرِكاً وَمُشْتَاقاً إِلَى النُّورِ ، مِثْلَ «خُسْرَوْ» ؛ وَإِنِّي اسْتَمْزَجْتُ أَفْكَارَ التَّلَامِذَةِ فِي «إِسْپَارْطَةَ» ، فِي حَقِّ التَّوَافُقَاتِ الَّتِي هِيَ رَزٌّ لِأَسْرَارِ الْقُرْآنِ ، وَمِفْتَاحٌ مُهِمٌّ لِعِلْمِ الْجَفْرِ ؛ فَاشْتَرَكَ غَيْرُهُ ، بِكَمَالِ الشَّوْقِ ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، فِي فِكْرٍ آخَرَ ، وَفِي تَطَلُّعٍ غَيْرِهِ ؛ فَلَمْ يَشْتَرِكْنَا مَعَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَمْنَعَنِي عَنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الَّتِي أَعْلَمُهَا قَطْعاً ؛ فَكَتَبَ إِلَيَّ رِسَالَةً مَسَّتْنِي جِدّاً ؛ فَتَأَوَّهْتُ قَائِلاً : لَقَدْ فَقَدْتُ تِلْمِيذِي هٰذَا ؛ فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ نَوَّرْتُ فِكْرَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَلَطَهُ مَعْنًى آخَرُ أَيْضاً ؛ فَذَاقَ صَفْعَةَ شَفَقَةٍ ؛ فَانْتَظَرَ قَرِيباً مِنْ سَنَةٍ ، فِي دَارِ خَلْوَةٍ : أَيْ فِي السِّجْنِ . .

اَلتَّاسِعُ : هُوَ «الْحَافِظُ زُهْدِيٌّ» ؛ فَهٰذَا الشَّخْصُ كَانَ فِي حُكْمِ النَّاظِرِ عَلَى التَّلَامِذَةِ فِي «آغْرُوسَ» ؛ فَلَمْ يَكْتَفِ بِالشَّرَفِ الْمَعْنَوِيِّ لِلتَّلَامِذَةِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا اتِّبَاعَ السُّنَّةِ ، وَاجْتِنَابَ الْبِدْعَةِ ، مَسْلَكاً لَهُمْ ؛ فَتَعَهَّدَ وَظِيفَةَ تَعْلِيمِ بِدْعَةٍ مُهِمَّةٍ ، بِأَمَلِ تَحْصِيلِ مَقَامٍ ، فِي نَظَرِ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَارْتَكَبَ خَطَأً مُنَافِياً لِمَسْلَكِنَا بِتَمَامِهِ ؛ فَذَاقَ صَفْعَةَ شَفَقَةٍ رَهِيبَةً جِدّاً ؛ وَأَصْبَحَ عُرْضَةً لِحَادِثٍ تَبَدَّدَ فِيهِ شَرَفُ أُسْرَتِهِ ؛ وَلٰكِنَّ «الْحَافِظَ زُهْدِيّاً الصَّغِيرَ» لَمْ يَكُنْ حَقِيقاً بِأَيِّ صَفْعَةٍ ؛ فَمَسَّهُ ذٰلِكَ الْحَادِثُ الْأَلِيمُ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ فَلَعَلَّ ذٰلِكَ الْحَادِثَ ، يُنْقِذُ قَلْبَهُ عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَيُصْبِحُ فِي حُكْمِ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ نَافِعَةٍ ؛ لِيُوَجِّهَ قَلْبَهُ بِتَمَامِهِ ، إِلَى الْقُرْآنِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

اَلْعَاشِرُ : رَجُلٌ اسْمُهُ «الْحَافِظُ أَحْمَدُ» ؛ وَهٰذَا الشَّخْصُ كَانَ يَدُومُ فِي كِتَابَةِ الرَّسَائِلِ ،

سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ ، بِوَجْهٍ مُشَوِّقٍ ؛ وَكَانَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا ؛ ثُمَّ اسْتَفَادَ أَهْلُ الدُّنْيَا ، مِنْ عَصَبٍ ضَعِيفٍ مِنْ أَعْصَابِهِ ؛ فَانْكَسَرَ ذٰلِكَ الشَّوْقُ ؛ فَخَالَطَ أَهْلَ الدُّنْيَا ؛ كَيْلَا يَجِدَ مِنْهُمْ ضَرَراً ، بِذٰلِكَ الْوَجْهِ ؛ وَيَنْفُذَ فِيهِمْ قَوْلُهُ ؛ وَيَفُوزَ بِمَقَامٍ ؛ وَيُحَصِّلَ سُهُولَةً لِضِيقِ عَيْشِهِ ؛ فَذَاقَ صَفْعَتَيْنِ إِزَاءَ فُتُورٍ وَضَرَرٍ عَرَضَا عَلٰى خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، بِتِلْكَ الصُّورَةِ ، وَمِنْ ذٰلِكَ الْوَجْهِ . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ ازْدَادَتْ عَلٰى أَهْلِهِ ، خَمْسَةُ أَفْرَادٍ أُخَرُ ، مَعَ عَيْشِهِ الضَّيِّقِ ؛ فَاكْتَسَبَ خَلَلُ حَالِهِ ، اهْتِمَاماً زَائِداً . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْحَسَّاسَ فِي جِهَةِ الشَّرَفِ وَالْحَمِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ كَانَ لَا يَحْتَمِلُ انْتِقَادَ أَحَدٍ ، وَاعْتِرَاضَهُ عَلَيْهِ ؛ جَعَلَهُ بَعْضُ الدَّسَّاسِينَ ، بِدُونِ خَبَرٍ مِنْهُ ، غِطَاءً لَهُمْ ؛ بِحَيْثُ أَصْبَحَ شَرَفُهُ هَبَاءً ؛ وَفَقَدَ مِنْهُ تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ ؛ وَحَوَّلَ تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ ، مِنَ النَّاسِ ، إِلٰى الِانْتِقَادِ عَلَيْهِ . وَمَهْمَا كَانَ ؛ عَفَا اللهُ عَنْهُ ؛ وَلَعَلَّهُ يَنْتَبِهُ مِنْ هٰذَا الْحَالِ ؛ فَيَرْجِعَ أَيْضاً إِلٰى قِسْمٍ مِنْ وَظِيفَتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

اَلْحَادِيَ عَشَرَ : لَمْ يُكْتَبْ بِظَنٍّ أَنَّهُ لَا يَرْضٰى . .

اَلثَّانِيَ عَشَرَ : هُوَ **«الْغَالِبُ»** ؛ **نَعَمْ :** إِنَّ هٰذَا الشَّخْصَ خَدَمَ كَثِيراً ، فِي تَبْيِيضِ الرَّسَائِلِ ، صَادِقاً وَمُحِبّاً ؛ وَلَمْ يُبْدِ الضَّعْفَ أَمَامَ أَيِّ مُشْكِلَةٍ ؛ فَكَانَ يَجِيءُ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ ؛ وَيَسْتَمِعُ بِكَمَالِ الشَّوْقِ ؛ وَيَسْتَنْسِخُهَا ؛ ثُمَّ اكْتَتَبَ لِنَفْسِهِ كُلَّ **«الْمَقَالَاتِ وَالْمَكْتُوبَاتِ»** ، إِزَاءَ ثَلَاثِينَ لِيرَةً ؛ فَكَانَ قَصْدُهُ ، أَنْ يَنْشُرَهَا فِي بِلَادِهِ ؛ وَأَنْ يُنَوِّرَ بِهَا أَبْنَاءَ وَطَنِهِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَنْشُرْ تِلْكَ الرَّسَائِلَ ، كَمَا تَصَوَّرَ ؛ وَتَرَكَهَا فِي الصُّنْدُوقِ ، فِي نَتِيجَةِ بَعْضِ الْمُلَاحَظَاتِ ؛ فَكَابَدَ فَجْأَةً ، الْغَمَّ وَالْغُصَّةَ سَنَةً ، مِنْ حَادِثَةٍ أَلِيمَةٍ ؛ فَوَجَدَ أَعْدَاءً كَثِيرَةً مُتَعَسِّفَةً وَظَالِمَةً ، بَدَلاً عَنْ عِدَّةِ أَعْدَاءٍ رَسْمِيَّةٍ تُعَادِيهِ بِنَشْرِ الرَّسَائِلِ ؛ وَفَقَدَ بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ . .

اَلثَّالِثَ عَشَرَ : هُوَ **«الْحَافِظُ خَالِدٌ»** ؛ وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ : نَعَمْ أَعْتَرِفُ أَنِّي حِينَمَا كُنْتُ أَدُومُ بِصُورَةٍ حَارَّةٍ ، فِي تَسْوِيدِ الْآثَارِ الَّتِي نَشَرَهَا أُسْتَاذِي ، فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وُجِدَتْ

إِمَامَةُ مَسْجِدٍ فِي حَارَتِنَا ؛ فَانْصَرَفْتُ عَنْ تِلْكَ الْخِدْمَةِ ؛ وَأَوْرَثْتُهَا فُتُوراً ، بِغَيْرِ عِلْمٍ ؛ وَذٰلِكَ بِنِيَّةِ لَفِّ الْعِمَامَةِ ، وَلُبْسِ زِيِّيَ الْعِلْمِيِّ الْقَدِيمِ ؛ فَذُقْتُ صَفْعَةَ شَفَقَةٍ ، بِعَكْسِ مَقْصَدِي ؛ فَمَا أَمْكَنَ أَنْ أَلُفَّ الْعِمَامَةَ ، بِصُورَةٍ فَائِقَةٍ عَلَى الْعَادَةِ ، رَغْمَ وَعْدِ الْمُفْتِي كَثِيراً ؛ مَعَ أَنِّي أَمَمْتُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، أَوْ تِسْعَةً ؛ فَلَمْ تَبْقَ لَنَا الشُّبْهَةُ بِأَنَّ هٰذِهِ الصَّفْعَةَ الْمُشْفِقَةَ ، وَرَدَتْ مِنْ ذٰلِكَ التَّقْصِيرِ . وَإِنِّي كُنْتُ مُخَاطَباً وَمُسَوِّداً لِأُسْتَاذِي ؛ فَعَانَى بِتَخَلُّفِي ، حَرَجاً فِي أَمْرِ التَّسْوِيدِ . فَمَهْمَا كَانَ ؛ نَشْكُرُ اللهَ أَنَّنَا عَرَفْنَا خَطَأَنَا ؛ وَعَلِمْنَا مَدَى قُدُسِيَّةِ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ ؛ وَاعْتَقَدْنَا بِأَنَّ مُرْشِداً مِثْلَ «الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ» يُوجَدُ وَرَاءَ أَظْهُرِنَا ، مِثْلَ مَلَكِ الصِّيَانَةِ . .

أَضْعَفُ الْعِبَادِ : «الْحَافِظ خَالِدٌ» . .

اَلرَّابِعَ عَشَرَ : ثَلَاثَةُ «مُصْطَفَيْنَ» ذَاقُوا ثَلَاثَ صَفَعَاتٍ صَغِيرَةٍ . .

أَوَّلُهُمْ : «مُصْطَفٰى شَاوِيش» ؛ فَكَانَ يَخْدُمُ مَسْجِدَنَا الصَّغِيرَ الْخُصُوصِيَّ ، وَمِدْفَأَتَهُ وَنِفْطَهُ ، إِلَى ثِقَابِهِ ، ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ كَانَ يَصْرِفُ عَلٰى نِفْطِهِ وَثِقَابِهِ ، مِنْ جَيْبِهِ ؛ عَلِمْنَاهُ فِيمَا بَعْدُ ؛ وَكَانَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، لَاسِيَّمَا فِي لَيَالِي الْجُمُعَةِ ، مَا لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ جِدّاً ؛ ثُمَّ اسْتَفَادَ أَهْلُ الدُّنْيَا ، مِنْ صَفْوَةِ قَلْبِهِ ؛ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ الْمُوَظَّفِينَ سَيَتَدَخَّلُونَ فِي عِمَامَةِ «الْحَافِظِ» أَحَدِ كُتَّابِ الْمَقَالَاتِ ؛ وَلْيُتْرَكِ الْأَذَانُ الْمَخْفِيُّ أَيْضاً ، فَتْرَةً ؛ وَقُلْ لِلْحَافِظِ : لِيَخْلَعْ عِمَامَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُجْبَرَ عَلَيْهِ ؛ فَلَمْ يَعْلَمْ «مُصْطَفٰى شَاوِيش» أَنَّ إِبْلَاغَ الْخَبَرِ الْعَائِدِ إِلَى خَلْعِ عِمَامَةِ إِنْسَانٍ مُوَاظِبٍ عَلٰى خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، ثَقِيلٌ عَلٰى أَمْثَالِهِ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ ؛ فَأَبْلَغَهُ كَلَامَهُمْ . فَرَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ : أَنَّ يَدَيْ «مُصْطَفٰى شَاوِيش» مُلَوَّثَتَانِ ؛ دَخَلَ غُرْفَتِي ؛ وَهُوَ خَلْفَ الْقَائِمِ الْمَقَامِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي : بِمَنِ اتَّصَلْتَ الْيَوْمَ ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُكَ مُلَوَّثَ الْيَدِ ، خَلْفَ الْقَائِمِ الْمَقَامِ ؛ فَتَأَوَّهَ قَائِلاً : إِنَّ الْمُخْتَارَ قَالَ لِي خَبَراً كَذَا ؛ وَقَالَ : اذْكُرْهُ لِلْكَاتِبِ ؛ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا وَرَاءَهُ . فَأَتَى فِي نَفْسِ الْيَوْمِ ، بِمَا يَقْرُبُ مِنْ أُوقِيَّةٍ مِنْ نِفْطِهِ ، إِلَى الْمَسْجِدِ ؛ وَبَقِيَ الْبَابُ مَفْتُوحاً ، ذٰلِكَ الْيَوْمَ ؛ وَلَمْ يَقَعْ ذٰلِكَ قَطُّ ؛ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ عَنَاقٌ ؛ وَجَاءَ رَجُلٌ كَبِيرٌ ؛ فَظَنَّ مَا فِي الْإِبْرِيقِ ، مِنْ نِفْطِهِ مَاءً ؛ وَاسْتَعْمَلَهُ

لِتَنْظِيفِ الْقَاذُورَاتِ الَّتِي تَرَكَهَا الْعَنَاقُ ، قَرِيباً مِنْ سَجَّادَتِي ؛ فَرَشَّ كُلَّ ذٰلِكَ النِّفْطِ ، عَلٰى جَمِيعِ جَوَانِبِ الْمَسْجِدِ ، ظَانّاً أَنَّهُ يُنَظِّفُهُ ؛ وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّهُ مَا أَحَسَّ بِرَائِحَتِهِ . فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ لِـ «مُصْطَفٰى شَاوِيشْ» بِلِسَانِ الْحَالِ : إِنَّهُ لَا يَلْزَمُنَا نِفْطُكَ ؛ وَإِنِّي لَا أَقْبَلُهُ . فَلِلْإِشَارَةِ إِلٰى ذٰلِكَ ، لَمْ تُحَسَّ الرَّائِحَةُ ، لِذٰلِكَ الرَّجُلِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ كَانَ لَا يُدْرِكُ الْجَمَاعَةَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ، وَفِي عِدَّةِ صَلَوَاتٍ مُهِمَّةٍ ، فِي ذٰلِكَ الْأُسْبُوعِ ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَجْهَدُ ذٰلِكَ الْمِقْدَارَ مِنَ الْجُهْدِ ؛ ثُمَّ وَجَدَ صَفْوَتَهُ الْأَصْلِيَّةَ ، بَعْدَ نَدَامَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ جِدِّيَّيْنِ . .

اَلْمُصْطَفَيَانِ الْآخَرَانِ : هُمَا «مُصْطَفٰى» مِنْ قَرْيَةِ (قُولَهْ أُونِي) ؛ وَهُوَ تِلْمِيذٌ مُهِمٌّ فَعَّالٌ قَيِّمٌ مِنْ تَلَامِذَتِي ، وَ «الْحَافِظْ مُصْطَفٰى» رَفِيقُهُ الْفِدَائِيُّ الصَّادِقُ حَقّاً ؛ وَكُنْتُ بَعَثْتُ إِلَيْهِمَا بِالْخَبَرِ بِأَنْ لَا يَأْتِيَا الْآنَ ؛ لِئَلَّا يُضَيِّقَ عَلَيْنَا ، أَهْلُ الدُّنْيَا ، بَعْدَ الْعِيدِ ؛ فَيُنْتِجَ فُتُوراً لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَإِنْ جَاءَا ؛ فَلْيَجِيئَا فُرَادٰى ؛ مَعَ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ، جَاؤُوا ثَلَاثَةَ رِجَالٍ دَفْعَةً ؛ فَنَوِيَ الذَّهَابُ قَبْلَ الْفَجْرِ ؛ إِذَا كَانَ الْجَوُّ صَحْواً ؛ فَمَا فَكَّرْنَا أَنَا وَ «مُصْطَفٰى شَاوِيشْ ، وَسُلَيْمَانُ» وَهُمْ ، تَدْبِيراً ؛ وَأُنْسِيَ لَنَا بِوَجْهٍ لَمْ يَقَعْ قَطُّ ؛ وَتَرَكَ كُلٌّ مِنَّا الْأَمْرَ لِلْآخَرِ ؛ وَتَرَكَ الِاحْتِيَاطَ ؛ فَسَافَرُوا قَبْلَ الْفَجْرِ ؛ فَصَفَعَتْهُمُ الْعَاصِفَةُ ، سَاعَتَيْنِ مُتَوَالِياً ؛ بِحَيْثُ خَشِيتُ أَنَّهُمْ لَا يَنْجُونَ مِنْ هٰذِهِ الْعَاصِفَةِ ؛ وَلَمْ تَقَعْ عَاصِفَةٌ كَذٰلِكَ ، فِي هٰذَا الشِّتَاءِ ، إِلَى الْآنِ ؛ وَمَا كُنْتُ تَأَلَّمْتُ لِأَحَدٍ ، هٰذَا الْمِقْدَارَ إِلَى الْيَوْمِ ؛ ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَبْعَثَ «سُلَيْمَانَ» مِنْ وَرَائِهِمْ ، جَرَاءَ تَرْكِهِ الِاحْتِيَاطَ ؛ لِيَعْرِفَ صِحَّتَهُمْ وَسَلَامَتَهُمْ ؛ فَقَالَ «مُصْطَفٰى شَاوِيشْ» : إِنَّهُ إِذَا سَافَرَ ؛ يَبْقٰى فِي الْعَاصِفَةِ أَيْضاً ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ أَذْهَبَ خَلْفَهُ ؛ وَأَطْلُبَهُ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ «عَبْدُ اللهِ شَاوِيشْ» مِنْ وَرَائِي أَيْضاً ؛ فَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ ، فِي هٰذَا الشَّأْنِ ؛ وَانْتَظَرْنَا . .

سُؤَالٌ : أَنَّكَ تَحْسِبُ مَا تُصِيبُ خَوَاصَّ أَصْدِقَائِكَ ، مِنَ الْمَصَائِبِ ، عِتَاباً فِي جِهَةِ فُتُورِهِمْ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَتَقُولُ : إِنَّهَا مِنْ أَثَرِ الصَّفْعَةِ ؛ مَعَ أَنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَكُمْ ؛ وَيُعَادُونَ خِدْمَةَ الْقُرْآنِ ، عَدَاوَةً حَقِيقِيَّةً ، يَبْقَوْنَ فِي السَّلَامَةِ ؛ فَلِمَاذَا تَقَعُ الصَّفْعَةُ عَلَى الصَّدِيقِ ؛ وَلَا يَنْزِلُ الضَّرَرُ بِالْعَدُوِّ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ خَطَايَا الْأَصْدِقَاءِ تُصْبِحُ فِي حُكْمِ نَوْعٍ مِنَ الظُّلْمِ عَلٰى خِدْمَتِنَا ؛ فَلِذٰلِكَ يُصَابُونَ فَوْراً ، بِسِرِّ **(أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَدُومُ ؛ وَالْكُفْرَ يَدُومُ)** ؛ فَيَذُوقُ الصَّدِيقُ صَفْعَةً مُشْفِقَةً ؛ فَإِنْ كَانَ عَاقِلاً ؛ يَنْتَبِهُ ؛ وَإِنْ كَانَ عَدُوّاً ، تَكُونُ ضِدِّيَّتُهُ وَمُمَانَعَتُهُ لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، عَلٰى حِسَابِ الضَّلَالَةِ ؛ وَيَكُونُ اعْتِدَاؤُهُ عَلٰى خِدْمَتِنَا ، عِلْماً أَوْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، بِحِسَابِ الزَّنْدَقَةِ ؛ فَلَا يَذُوقُونَ الصَّفْعَةَ فَوْراً ، عَلَى الْأَكْثَرِ ؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ يَدُومُ ؛ **فَكَمَا أَنَّ مُرْتَكِبِي الْجَرَائِمِ الصِّغَارِ يُجْزَوْنَ فِي النَّوَاحِي ؛ وَأَنَّ الْجِنَايَاتِ الْكَبِيرَةَ ، يُبْعَثُ بِهَا إِلَى الْمَحَاكِمِ الْكَبِيرَةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ خَطَايَا أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ الْمُخْلِصِينَ ، الصَّغِيرَةَ حُكْماً ، يُقْضٰى جَزَاءُ بَعْضٍ مِنْهَا ، فِي الدُّنْيَا فَوْراً ، لِاسْتِعْجَالِ تَطْهِيرِهِمْ . وَأَمَّا جِنَايَاتُ أَهْلِ الضَّلَالِ ؛ فَإِنَّهَا كَبِيرَةٌ بِحَيْثُ لَا يَتَّسِعُ جَزَاءَهَا ، الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةُ ؛ فَلِذٰلِكَ تُحَالُ عَلَى الْمَحْكَمَةِ الْكُبْرٰى فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ ، حَسَبَ مُقْتَضَى الْعَدْلِ ؛ فَمِنْ هُنَا لَا يُلَاقُونَ الْجَزَاءَ هٰهُنَا ، فِي الْأَكْثَرِ** . فَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : مِنْ أَنَّ **﴿الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ﴾** ، يُشِيرُ إِلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ أَيْضاً ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ هٰذَا الْمُؤْمِنَ ، لِكَوْنِهِ يُلَاقِي جَزَاءَ بَعْضِ خَطِيئَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ، تَكُونُ الدُّنْيَا دَارَ جَزَاءٍ فِي حَقِّهِ ؛ وَتَكُونُ سِجْناً وَجَهَنَّمَ لِلْمُؤْمِنِينَ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى آخِرَتِهِمُ السَّعِيدَةِ . وَلَمَّا كَانَ الْكُفَّارُ ، لَا يَخْرُجُونَ عَنْ جَهَنَّمَ ؛ تَكُونُ الدُّنْيَا جَنَّةً لَهُمْ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى آخِرَتِهِمْ ، حَيْثُ يَرَوْنَ بَعْضاً مِنْ مُكَافَأَةِ حَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا ؛ وَتُؤَخَّرُ سَيِّئَاتُهُمُ الْكَبِيرَةُ . وَإِلَّا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ سَعِيدٌ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً ، أَزْيَدَ مِنَ الْكَافِرِ بِكَثِيرٍ ، مَعْنًى وَفِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِ يُصْبِحُ فِي حُكْمِ جَنَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، فِي رُوحِ الْمُؤْمِنِ ؛ وَإِنَّ كُفْرَ الْكَافِرِ يُوقِدُ جَهَنَّماً مَعْنَوِيَّةً ، فِي مَاهِيَّةِ الْكَافِرِ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللَّمْعَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ

مِرْقَاةُ السُّنَّةِ ، وَتِرْيَاقُ مَرَضِ الْبِدْعَةِ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إِلٰى آخِرِهَا . .

إِنَّ الْمَقَامَ الْأَوَّلَ مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ ، رِسَالَةُ «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ» ؛ وَالْمَقَامَ الثَّانِي مِنْهَا ، هُوَ «مِرْقَاةُ السُّنَّةِ» . .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ . . ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ﴾ . .

سَتُبَيَّنُ إِجْمَالاً ، إِحْدٰى عَشْرَةَ نُكْتَةً ، مِنْ مِئَاتِ نِكَاتِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، قَالَ : ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي ؛ فَلَهُ أَجْرُ مِئَةِ شَهِيدٍ﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَنْ أَمْسَكَ بِسُنَّتِي ، عِنْدَ اخْتِلَالِ أُمَّتِي ، يُمْكِنُ أَنْ يَفُوزَ بِأَجْرٍ وَثَوَابِ مِئَةِ شَهِيدٍ . نَعَمْ : إِنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، قَيِّمٌ لِلْغَايَةِ مُطْلَقاً ، لَاسِيَّمَا فِي زَمَنِ اسْتِيلَاءِ الْبِدَعِ ، أَزْيَدُ قِيمَةً ، وَلَاسِيَّمَا فِي زَمَانِ فَسَادِ الْأُمَّةِ ؛ فَإِنَّ مُرَاعَاةَ أَدَبٍ صَغِيرٍ ، مِنْ آدَابِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، تُشْعِرُ بِتَقْوٰى أَهَمَّ ، وَبِإِيمَانٍ أَقْوٰى ؛ لِأَنَّ

اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، يُذَكِّرُ بِـ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) نَفْسِهِ ؛ فَتَنْقَلِبُ تِلْكَ الْخَاطِرَةُ ، مِنْ ذٰلِكَ الْإِخْطَارِ ، إِلٰى خَاطِرَةِ حُضُورٍ إِلٰهِيٍّ ؛ فَفِي الدَّقِيقَةِ الَّتِي تُرَاعَى السُّنَّةُ السَّنِيَّةُ ؛ وَلَوْ فِي أَصْغَرِ مُعَامَلَةٍ ؛ وَلَوْ فِي آدَابِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ ، تُصْبِحُ تِلْكَ الْمُعَامَلَةُ الْعَادِيَّةُ ، وَذٰلِكَ الْعَمَلُ الْفِطْرِيُّ ، عِبَادَةً مُثِيبَةً ، وَعَمَلاً شَرْعِيّاً ؛ لِأَنَّهُ يَتَفَكَّرُ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْعَادِيَّةِ ، فِي اتِّبَاعِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) ؛ وَيَتَصَوَّرُ أَنَّهَا أَدَبٌ مِنْ آدَابِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَيَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنَّهُ (عليه الصلاة والسلام) ، هُوَ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ ؛ فَيَتَوَجَّهُ قَلْبُهُ ، مِنْ ذٰلِكَ الْخُطُورِ ، إِلَى اللهِ تَعَالَى الشَّارِعِ الْحَقِيقِيِّ ؛ فَيَفُوزُ بِنَوْعٍ مِنَ الْحُضُورِ وَالْعِبَادَةِ . فَعَلٰى هٰذَا السِّرِّ أَنَّ مَنْ جَعَلَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، عَادَةً لَهُ ؛ يُحَوِّلُ عَادَاتِهِ ، إِلَى الْعِبَادَةِ ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَ جَمِيعَ عُمْرِهِ ، مُثْمِراً وَمُثِيباً . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ إِنَّ الْإِمَامَ الرَّبَّانِيَّ أَحْمَدَ الْفَارُوقِيَّ ، قَالَ : إِنِّي لَمَّا كُنْتُ أَقْطَعُ الْمَرَاتِبَ ، فِي السَّيْرِ الرُّوحَانِيِّ ، رَأَيْتُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، أَسَاساً لِلطَّرِيقَةِ ، أَشْرَقَ وَأَزْيَدَ احْتِشَاماً ، وَأَلْطَفَ وَأَسْلَمَ ، بَيْنَ طَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ؛ حَتّٰى إِنَّ عَوَامَّ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ ، يَتَرَاءَوْنَ أَزْيَدَ احْتِشَاماً ، مِنْ خَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ ، مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ . نَعَمْ : يَصْدُقُ «الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ مُجَدِّدُ الْأَلْفِ الثَّانِي» ؛ فَإِنَّ مَنِ اتَّخَذَ السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ أَسَاساً ، يَكُونُ مَظْهَراً لِمَقَامِ الْمَحْبُوبِيَّةِ ، تَحْتَ ظِلِّ «حَبِيبِ اللهِ» (عليه الصلاة والسلام) . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : ﴾ إِنَّ هٰذَا «السَّعِيدَ» الْفَقِيرَ ، حِينَمَا كَانَ يَسْعٰى لِلْخُرُوجِ عَنْ حَالِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، كَانَ عَقْلِي وَقَلْبِي يَتَدَحْرَجَانِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ ، فِي عَاصِفَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ هَائِلَةٍ ، مِنْ فِقْدَانِ الْمُرْشِدِ ، وَمِنْ غُرُورِ النَّفْسِ ؛ وَكَانَا يَتَمَوَّجَانِ بَيْنَ هُبُوطٍ وَصُعُودٍ ، مِنَ الثُّرَيَّا إِلَى الثَّرٰى أَحْيَاناً ، وَمِنَ الثَّرٰى إِلَى الثُّرَيَّا أَحْيَاناً أُخْرٰى ؛ فَشَاهَدْتُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، أَنَّ مَسَائِلَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، حَتّٰى آدَابَهَا الصَّغِيرَةَ ، هِيَ فِي حُكْمِ أَزْرَارِ الْأَنْوَارِ ، فِي الطُّرُقِ الْمُظْلِمَةِ الضَّارَّةِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، كَأَجْهِزَةِ الْحِكَكِ الَّتِي تُعَيِّنُ خَطَّ الْحَرَكَةِ فِي السُّفُنِ ؛ وَكَذَا أَنِّي لَمَّا كُنْتُ أَرَانِي وَقَدْ حُمِّلَ عَلَيَّ أَحْمَالٌ ثَقِيلَةٌ تَحْتَ اضْطِرَابَاتٍ كَثِيرَةٍ ، كُنْتُ أَجِدُ

خِفَّةً ؛ كُلَّمَا اتَّبَعْتُ الْمَسَائِلَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِذٰلِكَ الْحَالِ ، مِنَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ كَأَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ عَنِّي ، كُلَّ أَثْقَالِي ؛ وَكُنْتُ أَنْجُو بِالتَّسْلِيمِ إِلَيْهَا ، عَنِ الْمَخَاطِرِ وَالتَّرَدُّدِ وَالْوَسَاوِسِ ، مُتَرَدِّداً بِأَنَّهُ يَا لَلْعَجَبِ ! هَلِ الْعَمَلُ هٰكَذَا ، حَقٌّ وَمَصْلَحَةٌ ، أَمْ لا ؟ وَمَتٰى كُنْتُ أَكُفُّ عَنْهَا يَدِي ؛ أَرٰى أَنَّ الِاضْطِرَابَاتِ كَثِيرَةٌ ؛ وَأَنَّهُ تُوجَدُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ ، لا تُعْرَفُ إِلٰى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ وَالْحِمْلُ ثَقِيلٌ ؛ وَأَنَا كَلِيلٌ ؛ وَنَظَرِي قَاصِرٌ ؛ وَالطَّرِيقُ مُظْلِمٌ ؛ وَكُنْتُ كُلَّمَا أَتَمَسَّكُ بِالسُّنَّةِ ؛ أَشْعُرُ بِحَالَةٍ كَأَنَّهُ يَتَنَوَّرُ الطَّرِيقُ ؛ وَيُرَى السَّبِيلُ السَّالِمُ ؛ وَيَتَخَفَّفُ الْحِمْلُ ؛ وَتَزُولُ الِاضْطِرَابَاتُ ؛ فَصَدَّقْتُ فِي تِلْكَ الْأَزْمَانِ ، بِالْمُشَاهَدَةِ ، حُكْمَ «**الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ**» (رضي الله عنه) . .

﴿ **اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ :** ﴾ إِنِّي رَأَيْتُنِي فِي زَمَنٍ مَّا ، فِي عَالَمٍ عَجِيبٍ ، وَذٰلِكَ كَانَ فِي حَالَةٍ رُوحِيَّةٍ نَشَأَتْ عَنْ رَابِطَةِ الْمَوْتِ ، وَعَنِ التَّصْدِيقِ فِي قَضِيَّةِ «**الْمَوْتُ حَقٌّ**» ، وَعَنْ زَوَالِ الْعَالَمِ وَفَنَائِهِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنِّي جَنَازَةٌ أَقِفُ فَوْقَ رُؤُوسِ ثَلاثِ جَنَائِزَ مُهِمَّةٍ كَبِيرَةٍ . .

إِحْدَاهَا : هِيَ الْجَنَازَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِهَيْئَةِ مَجْمُوعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَيَاتِي ، الْمَدْفُونَةُ فِي قَبْرِ الزَّمَانِ الْمَاضِي ؛ وَأَنَا فِي حُكْمِ حَجَرٍ شَاهِدٍ عِنْدَ رَأْسِهَا . .

وَثَانِيَتُهَا : هِيَ الْجَنَازَةُ الْعَظِيمَةُ الْمَدْفُونَةُ فِي ضَرِيحِ الْمَاضِي ، لِهَيْئَةِ مَجْمُوعِ أَنْوَاعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَيَاةِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، فِي مَقْبَرَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ وَأَنَا عَلٰى وَجْهِ هٰذَا الْعَصْرِ الَّذِي هُوَ شَاهِدٌ عِنْدَ رَأْسِهَا ، نَمْلَةٌ تَمُوتُ سَرِيعاً ، وَنُقْطَةٌ تُمْحٰى فَوْراً . .

وَثَالِثَتُهَا : هِيَ الْجَنَازَةُ الْعَظِيمَةُ لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَصْبَحَ مَوْتُهَا فِي نَظَرِي ، فِي حُكْمِ الْوَاقِعِ ، لِكَوْنِهِ مُحَقَّقَ الْوُقُوعِ ؛ فَرَأَيْتُنِي فِي فَزَعٍ مِنْ سَكَرَاتِ تِلْكَ الْجَنَازَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَفِي بَهْتٍ وَحَيْرَةٍ مِنْ مَوْتِهَا ؛ مَعَ أَنَّ مَوْتِيَ الْمُتَحَقِّقَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، تَرَاءٰى كَأَنَّهُ يَقَعُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ فَتَوَلَّتْ عَنِّي جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ ، وَكُلُّ الْمَحْبُوبَاتِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ إِلٰى آخِرِهِ ؛ وَتَرَكَتْنِي وَحِيداً بِمَوْتِي ؛ وَكَانَ رُوحِي يُسَاقُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ ، فِي جَانِبِ الْأَبَدِ الْمُتَشَكِّلِ بِشَكْلِ بَحْرٍ لا حَدَّ لَهُ ؛ وَكَانَ يَلْزَمُ الْإِلْقَاءُ فِي ذٰلِكَ الْبَحْرِ ، ضَرُورَةً ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَجِيبَةِ جِدّاً ، وَالْحَزِينَةِ كَثِيراً ؛ إِذْ أَمَدَّتْنِي آيَةُ ﴿فَإِنْ

تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، بِمَدَدٍ وَارِدٍ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ؛ وَأَصْبَحَتْ فِي حُكْمِ سَفِينَةٍ آمِنَةٍ وَسَالِمَةٍ ؛ فَدَخَلَ الرُّوحُ تِلْكَ الْآيَةَ ، بِكَمَالِ الْأَمْنِ وَالسُّرُورِ . نَعَمْ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَعْنًى إِشَارِيّاً ، غَيْرَ الْمَعْنَى الصَّرِيحِ لِلْآيَةِ ، سَلَّانِي وَأَعْطَانِيَ السَّكِينَةَ ؛ فَوَجَدْتُ التَّسَلِّيَ . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ مَعْنَاهَا الصَّرِيحَ يَقُولُ «لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : فَإِنْ تَوَلّٰى أَهْلُ الضَّلَالَةِ ؛ وَأَعْرَضُوا عَنْ شَرِيعَتِكَ وَسُنَّتِكَ ؛ وَلَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَى الْقُرْآنِ ؛ فَلَا تَحْزَنْ ؛ وَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْشِئُ الْمُتَّبِعِينَ ، بَدَلاً عَنْكُمْ ؛ وَإِنَّ عَرْشَ سَلْطَنَتِهِ ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَلَا الْعُصَاةُ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْفُذُوا عَنْ أَقْطَارِهِ ؛ وَلَا الْمُسْتَمِدُّونَ يَبْقَوْنَ بِلَا مَدَدٍ ؛ فَكَذٰلِكَ تَقُولُ بِمَعْنَاهَا الْإِشَارِيِّ : «أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، وَيَا رَئِيسَ النَّاسِ وَمُرْشِدَهُمْ ! إِنْ تَرَكَتْكَ الْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا ؛ وَسَافَرَتْ إِلَى الْعَدَمِ ، فِي طَرِيقِ الْفَنَاءِ ؛ وَفَارَقَتْكَ ذَوُو الْحَيَاةِ ؛ وَاسْتَبَقَتْ فِي طَرِيقِ الْمَوْتِ ؛ وَتَرَكَكَ النَّاسُ ؛ وَدَخَلُوا فِي الْمَقْبَرَةِ ؛ وَلَمْ يُصْغِ إِلَيْكَ أَهْلُ الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالَةِ ؛ وَسَقَطُوا فِي الظُّلُمَاتِ ؛ فَلَا تَحْزَنْ ؛ وَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هُوَ مَوْجُوداً ؛ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُوداً» ؛ فَفِي ذٰلِكَ الْحَالِ لَمْ يَذْهَبِ الذَّاهِبُونَ ، إِلَى الْعَدَمِ ؛ وَإِنَّمَا يَذْهَبُونَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ بِلَادِهِ ؛ وَإِنَّ صَاحِبَ ذٰلِكَ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَبْعَثُ عِوَضاً عَنْهُمْ ، غَيْرَهُمْ مِنْ جُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ ؛ وَإِنَّ الَّذِينَ دَخَلُوا الْمَقْبَرَةَ ؛ لَمْ يَهْلِكُوا ؛ وَإِنَّمَا يُسَافِرُونَ إِلٰى عَالَمٍ آخَرَ ؛ وَإِنَّهُ سَيَبْعَثُ فِي مَكَانِهِمْ ، مُوَظَّفِينَ آخَرِينَ ؛ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْعَثَ عِبَادَهُ الْمُطِيعِينَ الَّذِينَ سَيَتَّبِعُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ ، بَدَلاً عَنِ الْوَاقِعِينَ فِي الضَّلَالِ ؛ فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّهُ يَكْفِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلَا يَعُوضُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ ، عَنِ الْتِفَاتٍ وَاحِدٍ مِنْ تَوَجُّهِهِ . فَاتَّخَذَتِ الْجَنَائِزُ الثَّلَاثُ الْهَائِلَةُ الَّتِي أَفْزَعَتْنِي ، شَكْلاً آخَرَ ، بِسَبَبِ هٰذَا الْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ ؛ يَعْنِي : أَفَادَ أَنَّ ذٰلِكَ الْحَالَ ، سَيْرٌ وَسَفَرٌ ، وَتَسْرِيحٌ وَتَوْظِيفٌ ، عَلٰى صُورَةِ سَيَرَانٍ ذِي حِكْمَةٍ ، وَجَوَلَانٍ ذِي عِبْرَةٍ ، وَسِيَاحَةٍ ذَاتِ وَظِيفَةٍ ، تَحْتَ رُبُوبِيَّةِ رَبٍّ ذِي جَلَالٍ ، حَكِيمٍ وَرَحِيمٍ ، وَتَحْتَ تَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ عَادِلٍ وَقَدِيرٍ ، وَفِي حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَتَحَرَّكُ الْكَائِنَاتُ ؛ فَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ

هٰكَذَا . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ آيَةَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ﴾ ، تُعْلِنُ هٰذِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةُ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ : أَنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ ، مُهِمٌّ وَلاَزِمٌ أَيَّ لُزُومٍ وَاهْتِمَامٍ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ، أَقْوىٰ قِيَاسٍ وَأَقْطَعُهُ ، مِنْ قِسْمِ «الْقِيَاسِ الاِسْتِثْنَائِيِّ» ، بَيْنَ «الْقِيَاسَاتِ الْمَنْطِقِيَّةِ» ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُ كَمَا يُقَالُ فِي الْمَنْطِقِ ، عَلىٰ وَجْهِ الْمِثَالِ لِلْقِيَاسِ الاِسْتِثْنَائِيِّ : «إِنْ كَانَتِ الشَّمْسُ طَالِعَةً ، فَالنَّهَارُ مَوْجُودٌ» ؛ فَيُقَالُ لِلنَّتِيجَةِ الْمُوجِبَةِ : «لٰكِنَّ الشَّمْسَ طَالِعَةٌ» ؛ فَيُنْتِجُ أَنَّ النَّهَارَ مَوْجُودٌ ؛ وَيُقَالُ لِلنَّتِيجَةِ السَّالِبَةِ : «لٰكِنَّ النَّهَارَ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ» ؛ فَيُنْتِجُ أَنَّ الشَّمْسَ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ . فَهَاتَانِ النَّتِيجَتَانِ الْمُوجِبَةُ وَالسَّالِبَةُ ، قَطْعِيَّتَانِ فِي الْمَنْطِقِ ؛ فَكَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ تَقُولُ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ ؛ تَتَّبِعُونَ حَبِيبَ اللّٰهِ ؛ وَإِذَا لَمْ تَتَّبِعُوهُ ؛ يُنْتِجُ أَنَّكُمْ لاَ تُحِبُّونَ اللّٰهَ ؛ وَإِذَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ ؛ يُنْتِجُ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ» . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ ؛ فَإِنَّهُ يُطِيعُهُ قَطْعاً ؛ وَلاَ رَيْبَ أَنَّ مَا هُوَ أَقْصَرُ ، وَأَكْثَرُ قَبُولاً ، وَأَزْيَدُ اسْتِقَامَةً ، بَيْنَ طُرُقِ الْإِطَاعَةِ ، هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي بَيَّنَهُ حَبِيبُ اللّٰهِ ؛ وَتَبِعَهُ . .

نَعَمْ : إِنَّ الْكَرِيمَ ذَا الْجَمَالِ ، الَّذِي مَلَأَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، بِهٰذَا الْمِقْدَارِ مِنَ النِّعَمِ ، مِنَ الضَّرُورِيِّ وَالْبَدِيهِيِّ ، أَنَّهُ يَطْلُبُ الشُّكْرَ ، مِنْ ذَوِي الشُّعُورِ ، إِزَاءَ تِلْكَ النِّعَمِ ؛ وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ الْكَرِيمَ ذَا الْجَلاَلِ ، الَّذِي زَيَّنَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنْ مُعْجِزَاتِ صَنْعَتِهِ ؛ يَجْعَلُ أَحَداً أَعْلَى امْتِيَازاً بَيْنَ ذَوِي الشُّعُورِ ، مُخَاطَباً وَتَرْجُمَاناً لَهُ ، وَمُبَلِّغاً وَإِمَاماً لِعِبَادِهِ ، قَطْعاً وَبِالْبَدَاهَةِ ؛ وَكَذٰلِكَ أَنَّ ذٰلِكَ الْجَمِيلَ ذَا الْكَمَالِ ، الَّذِي جَعَلَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، مَظْهَراً لِتَجَلِّيَاتِ جَمَالِهِ وَكَمَالاَتِهِ ، الَّتِي لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصىٰ ؛ يُعْطِي أَكْمَلَ كَيْفِيَّةٍ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ ، قَطْعاً وَبِالْبَدَاهَةِ ، لِشَخْصٍ أَجْمَعَ مِقْيَاساً ، وَأَكْمَلَ مَدَاراً ، لِجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ، وَأَسْمَائِهِ وَصَنْعَتِهِ ، الَّتِي يُحِبُّهَا وَيُرِيدُ إِظْهَارَهَا ؛ وَيَجْعَلُ عَلىٰ كُلِّ حَالٍ ، كَيْفِيَّتَهُ ، أُسْوَةً لِغَيْرِهِ ؛ وَيَسُوقُ كُلَّ أَحَدٍ ، إِلَى اتِّبَاعِهِ ؛ حَتّىٰ تُشَاهَدَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ ، فِي

غَيْرِهِ أَيْضاً . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ تَسْتَلْزِمُ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَتُنْتِجُهُ ؛ فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ حَظُّهُ وَافِراً مِنِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ وَوَيْلٌ لِمَنْ لَا يَقْدِرُهَا ؛ فَيَدْخُلُ الْبِدَعَ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : ﴾ أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، قَالَ : ﴿كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ﴾ ؛ يَعْنِي : أَنَّ اخْتِرَاعَ الْبِدَعِ – الَّتِي تُورِثُ حِسَّ رُؤْيَةِ دَسَاتِيرِ السُّنَّةِ ، نَاقِصَةً ، وَشُعُورَ عَدَمِ اسْتِحْسَانِهَا ، حَاشَاهَا ، بِمُخْتَلَقَاتٍ جَدِيدَةٍ ، بَعْدَمَا تَمَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ ؛ وَكَمُلَتْ دَسَاتِيرُ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ – ذٰلِكَ الِاخْتِرَاعُ ، ضَلَالٌ وَنَارٌ . .

وَإِنَّ السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ ، لَهَا مَرَاتِبُ ؛ فَقِسْمٌ مِنْهَا ، وَاجِبٌ لَا يُتْرَكُ ؛ وَقَدْ بُيِّنَ ذٰلِكَ الْقِسْمُ بِتَفْصِيلَاتِهِ ، فِي كُتُبِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ ؛ وَهِيَ مُحْكَمَاتٌ لَا تُبَدَّلُ بِأَيِّ وَجْهٍ ؛ وَقِسْمٌ مِنْهَا ، مِنْ نَوْعِ النَّوَافِلِ ؛ وَالنَّوَافِلُ قِسْمَانِ أَيْضاً ؛ قِسْمٌ مِنْهُمَا سُنَنٌ سَنِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِلْعِبَادَاتِ ؛ وَهِيَ مُبَيَّنَةٌ فِي كُتُبِ الشَّرِيعَةِ أَيْضاً ؛ وَتَغْيِيرُهَا بِدْعَةٌ ؛ وَالْقِسْمُ الْآخَرُ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْآدَابِ ؛ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ السَّنِيَّةِ ؛ وَلَا يُطْلَقُ عَلَى مُخَالَفَتِهَا الْبِدْعَةُ ؛ وَلٰكِنَّهَا نَوْعُ مُخَالَفَةٍ لِلْآدَابِ النَّبَوِيَّةِ ، وَتَرْكُ اسْتِفَادَةٍ مِنْ نُورِهَا ، وَمِنْ ذٰلِكَ الْأَدَبِ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَهٰذَا الْقِسْمُ ، هُوَ اتِّبَاعُ أَفْعَالِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الْمَعْلُومَةِ بِالتَّوَاتُرِ ، فِي مُعَامَلَاتِهِ الْفِطْرِيَّةِ ، وَفِي الْعُرْفِ وَالْعَادَاتِ ؛ فَتُوجَدُ سُنَنٌ سَنِيَّةٌ كَثِيرَةٌ تُبَيِّنُ دَسَاتِيرَ آدَابِ الْكَلَامِ ، وَالْحَالَاتِ الشَّبِيهَةِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ ؛ وَتَبْحَثُ عَنْ آدَابِ الْمُعَاشَرَةِ مَثَلاً ؛ وَيُعَبَّرُ عَنْ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ السُّنَنِ ، بِالْآدَابِ ؛ إِلَّا أَنَّ مَنِ اتَّبَعَ تِلْكَ الْآدَابَ ، يُحَوِّلُ عَادَاتِهِ ، إِلَى الْعِبَادَاتِ ؛ وَيَسْتَفِيدُ فَيْضاً مُهِمّاً ، عَنْ ذٰلِكَ الْأَدَبِ ؛ وَمُرَاعَاةُ أَصْغَرِ الْآدَابِ ، تُذَكِّرُ بِـ«الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ فَتُعْطِي الْقَلْبَ نُوراً . .

وَإِنَّ الْأَهَمَّ مِنْ بَيْنِ السُّنَنِ السَّنِيَّةِ ، هِيَ السُّنَنُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالشَّعَائِرِ الَّتِي هِيَ مَعَالِمُ الْإِسْلَامِ ؛ وَالشَّعَائِرُ عُبُودِيَّةٌ عَائِدَةٌ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ ، مِنْ قَبِيلِ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ ؛ فَتَسْتَفِيدُ مِنْهَا ،

تِلْكَ الْجَمْعِيَّةُ عُمُوماً ؛ كَمَا يَأْثَمُ بِتَرْكِهَا ، الْجَمَاعَةُ جَمِيعاً ؛ وَيُعْلَنُ هٰذَا النَّوْعُ مِنَ الشَّعَائِرِ ؛ وَلَا يَدْخُلُهُ الرِّيَاءُ ؛ وَهُوَ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ نَوْعِ النَّافِلَةِ ؛ فَهُوَ أَهَمُّ مِنَ الْفُرُوضِ الْعَيْنِيَّةِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ أَدَبٌ ؛ وَلَيْسَ مِنْهَا ، مَسْأَلَةٌ لَا يَكُونُ تَحْتَهَا نُورٌ وَأَدَبٌ ؛ وَقَدْ قَالَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي﴾ ؛ يَعْنِي : أَدَّبَنِي رَبِّي ؛ وَأَحْسَنَ إِلَيَّ ، بِالْأَدَبِ بِوَجْهٍ حَسَنٍ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ تَدَبَّرَ فِي السِّيَرِ النَّبَوِيَّةِ ؛ وَعَلِمَ السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ ؛ يَعْلَمُ قَطْعاً : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، جَمَعَ أَنْوَاعَ الْأَدَبِ ، فِي حَبِيبِهِ ؛ فَمَنْ تَرَكَ سُنَّتَهُ السَّنِيَّةَ ؛ يَتْرُكُ الْأَدَبَ ؛ وَتَصْدُقُ عَلَيْهِ قَاعِدَةُ (١) : (أَنَّ مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ ، يُحْرَمُ عَنْ لُطْفِ الرَّبِّ) ؛ وَيَقَعُ فِي وَقَاحَةٍ خَاسِرَةٍ . .

سُؤَالٌ : كَيْفَ يَكُونُ الْأَدَبُ ، أَمَامَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ، الَّذِي يَعْلَمُ وَيَرٰى كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَلَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ ؛ وَلَا تَغِيبُ عَنْهُ حَالَاتٌ مُوجِبَةٌ لِلْخَجَلِ ؟ . وَإِنَّ نَوْعاً مِنَ الْأَدَبِ ، هُوَ التَّسَتُّرُ ، وَسَتْرُ الْحَالَاتِ الْمُوجِبَةِ لِلاسْتِكْرَاهِ ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّسَتُّرُ عَنْ عَلَّامِ الْغُيُوبِ . .

اَلْجَوَابُ : أَوَّلاً : أَنَّ الصَّانِعَ ذَا الْجَلَالِ ، كَمَا يُرِيدُ إِظْهَارَ صَنْعَتِهِ جَمِيلَةً ، بِكَمَالِ الِاهْتِمَامِ ؛ وَيَضَعُ الْأَشْيَاءَ الْمُسْتَكْرَهَةَ ، تَحْتَ الْغِطَاءِ ؛ وَيَجْلِبُ إِمْعَانَ النَّظَرِ ، إِلٰى نِعَمِهِ ، بِجِهَةِ تَزْيِينِ تِلْكَ النِّعَمِ ؛ كَذٰلِكَ يُرِيدُ إِظْهَارَ مَخْلُوقَاتِهِ وَعِبَادِهِ ، جَمِيلَةً ، لِسَائِرِ ذَوِي الشُّعُورِ . وَتَظَاهُرُهَا عَلٰى أَحْوَالٍ سَيِّئَةٍ ، يُصْبِحُ نَوْعاً مِنَ الْعِصْيَانِ وَخِلَافِ الْأَدَبِ ، إِزَاءَ أَسْمَائِهِ مِثْلِ «الْجَمِيلِ وَالْمُزَيِّنِ ، وَاللَّطِيفِ وَالْحَكِيمِ» ؛ فَالْأَدَبُ فِي السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، هُوَ تَلَبُّسٌ بِحَالٍ مِنْ مَحْضِ الْأَدَبِ ، فِي حُدُودِ أَسْمَاءِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْجَلِيلِ . .

وَثَانِياً : كَمَا أَنَّ طَبِيباً مَّا ، يَنْظُرُ إِلٰى أَسْوَأِ عُضْوٍ ، مِنْ غَيْرِ مَحْرَمٍ ، فِي جِهَةِ الطِّبَابَةِ ؛ وَيُكْشَفُ لَهُ ، إِذَا حَصَلَتِ الضَّرُورَةُ ؛ وَلَا يُقَالُ : إِنَّهُ خِلَافُ الْأَدَبِ ؛ بَلْ يُقَالُ : إِنَّ أَدَبَ الطِّبِّ ، يَقْتَضِي كَذٰلِكَ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَنْظُرُ ذٰلِكَ الطَّبِيبُ ، بِعُنْوَانِ الرُّجُولِيَّةِ ، أَوْ بِاسْمِ الْوَاعِظِ ،

---

(١) اَلنَّصُّ الْفَارِسِيُّ : (بِي أَدَبْ ، مَحْرُومْ بَاشَدْ أَزْ لُطْفِ رَبّْ) . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . .

أَوْ بِصِفَةِ الْعَالِمِ ، إِلٰى تِلْكَ الْمَحَارِمِ ؛ وَلا يُفْتِي الْأَدَبُ ، بِكَشْفِهَا لَهُ ، بِذٰلِكَ الْعُنْوَانِ ؛ وَكَشْفُهَا لَهُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ، تَرْكُ الْحَيَاءِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ لِلصَّانِعِ الْجَلِيلِ ، أَسْمَاءً كَثِيرَةً ؛ وَلِكُلِّ اسْمٍ جَلْوَةٌ أُخْرٰى ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ اسْمَ الْغَفَّارِ ، يَقْتَضِي وُجُودَ الذُّنُوبِ ؛ وَاسْمَ السَّتَّارِ ، يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ الْأَخْطَاءِ ؛ كَمَا أَنَّ اسْمَ الْجَمِيلِ ، لَا يَرْضٰى بِرُؤْيَةِ الْقُبْحِ ؛ وَإِنَّ الْأَسْمَاءَ الْجَمَالِيَّةَ وَالْكَمَالِيَّةَ مِثْلَ اللَّطِيفِ وَالْكَرِيمِ ، وَالْحَكِيمِ وَالرَّحِيمِ ، تَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الْمَوْجُودَاتُ ، عَلٰى أَحْسَنِ صُوَرٍ ، وَفِي أَجْمَلِ أَحْوَالٍ مُمْكِنَةٍ ؛ وَتَقْتَضِي تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْجَمَالِيَّةُ وَالْكَمَالِيَّةُ ، أَنْ تَرٰى مَحَاسِنَهَا ، فِي أَنْظَارِ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ ، وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، بِأَوْضَاعِ الْمَوْجُودَاتِ الْجَمِيلَةِ ، وَبِآدَابِهَا الْحَسَنَةِ . فَالْآدَابُ فِي السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، إِشَارَاتٌ إِلٰى هٰذِهِ الْآدَابِ الْعَالِيَةِ ، وَدَسَاتِيرُ وَأَمْثِلَةٌ لَهَا . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ أَنَّ آيَةَ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، الْمُتَقَدِّمَةَ عَلٰى آيَةِ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، بَعْدَمَا تُبَيِّنُ كَمَالَ شَفَقَةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَنِهَايَةَ رَأْفَتِهِ ، إِزَاءَ أُمَّتِهِ ، تَقُولُ مَعَ هٰذِهِ الْآيَةِ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! وَأَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ! إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مِنْ خِلَافِ الْوِجْدَانِ وَالْعَقْلِ ، أَنْ تَصْرِفُوا بِوُجُوهِكُمْ ، عَنْ سُنَّةِ نَبِيٍّ رَؤُوفٍ يُرْشِدُكُمْ بِشَفَقَتِهِ الَّتِي لَا تُحَدُّ ؛ وَيَصْرِفُ جَمِيعَ قُوَّتِهِ ، لِنَفْعِكُمْ ؛ وَيُدَاوِي أَمْرَاضَكُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ وَيُعَالِجُهَا بِأَحْكَامِهِ وَسُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا ، بِكَمَالِ الشَّفَقَةِ ؛ وَأَنْ تُعْرِضُوا عَنْ أَحْكَامِهِ الَّتِي يُبَلِّغُهَا ، إِعْرَاضاً فِي دَرَجَةِ إِنْكَارِ شَفَقَتِهِ الْبَدِيهِيَّةِ ، وَاتِّهَامِ رَأْفَتِهِ الْمَشْهُودَةِ بِالْعَيْنِ ؛ وَيَا أَيُّهَا الرَّسُولُ الْمُشْفِقُ ، وَأَيُّهَا النَّبِيُّ الرَّؤُوفُ ! إِنَّهُمْ ، إِنْ لَمْ يَعْرِفُوا شَفَقَتَكَ الْعَظِيمَةَ ، وَرَأْفَتَكَ الْكَبِيرَةَ هٰذِهِ ؛ وَتَوَلَّوْا عَنْكَ ؛ وَلَمْ يُصْغُوا إِلَيْكَ ، مِنْ بَلَاهَتِهِمْ ؛ فَلَا تَحْزَنْ ؛ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ الْجَلِيلُ الَّذِي تَكُونُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، تَحْتَ أَمْرِهِ ؛ وَتَحَكُّمِ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، تَحْتَ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْمُحِيطِ ؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ حَوْلَكَ ، طَوَائِفَ مُطِيعَةً إِطَاعَةً حَقِيقِيَّةً ؛ وَيُسْمِعُهُمْ إِلَيْكَ ؛ وَيَجْعَلُ أَحْكَامَكَ ، مَقْبُولَةً لَدَيْهِمْ» . .

نَعَمْ : لَا مَسْأَلَةَ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَالسُّنَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، إِلَّا وَلَهَا حِكَمٌ مُتَعَدِّدَةٌ ؛

وَأَنَا «هٰذَا الْفَقِيرُ» أَدَّعِي هٰذِهِ الدَّعْوٰى ؛ وَإِنِّي مَعَ جَمِيعِ قُصُورِي وَعَجْزِي ، مُسْتَعِدٌّ لِإِثْبَاتِهَا ؛ وَأَيْضاً أَنَّ مَا أُلِّفَتْ إِلَى الْآنِ ، مِنْ سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ رِسَالَةً ، مِنْ «رَسَائِلِ النُّورِ» ، قَدْ أَصْبَحَتْ بِمَثَابَةِ سَبْعِينَ وَثَمَانِينَ شَاهِداً صَادِقاً ، عَلٰى أَنَّ مَسَائِلَ السُّنَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَالشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، ذَاتُ حِكْمَةٍ وَحَقِيقَةٍ ؛ فَلَوْ وُجِدَ الِاقْتِدَارُ ؛ وَأُلِّفَ فِي هٰذَا الْمَوْضُوعِ ؛ لَمَا أَوْفٰى بِتِلْكَ الْحِكَمِ ، سَبْعُونَ رِسَالَةً ، بَلْ وَلَا سَبْعَةُ آلَافِ رِسَالَةٍ ؛ وَكَذَا لَعَلَّ لِي ، أَلْفَ تَجْرِبَةٍ فِي شَخْصِي ، بِالْمُشَاهَدَةِ وَالذَّوْقِ ، أُعْلِنُ بِهَا : أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَسَائِلَ الشَّرِيعَةِ ، وَدَسَاتِيرَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، كُلٌّ مِنْهَا ، دَوَاءٌ نَافِعٌ فِي الْأَمْرَاضِ الرُّوحِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ ، وَلَاسِيَّمَا فِي الْأَمْرَاضِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ . وَإِنِّي أَنَا أَحْسَسْتُ بِالْمُشَاهَدَةِ ، أَنَّ الْمَسَائِلَ الْفَلْسَفِيَّةَ وَالْحِكَمِيَّةَ ، لَا تَسُدُّ مَسَدَّهَا ؛ وَأَشْعَرْتُ ذٰلِكَ ، لِغَيْرِي بِدَرَجَةٍ مَّا ، فِي الرَّسَائِلِ ؛ وَمَنْ يَتَرَدَّدُ فِي دَعْوَايَ هٰذِهِ ؛ فَلْيَرْجِعْ إِلٰى أَجْزَاءِ «رَسَائِلِ النُّورِ» ؛ وَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا ؛ فَلْيَقِسْ أَنَّ السَّعْيَ لِاتِّبَاعِ سُنَّةِ مِثْلِ هٰذَا النَّبِيِّ ، بِقَدَرِ الِاسْتِطَاعَةِ ، أَيُّ رِبْحٍ رَابِحٍ ، وَأَيَّةُ سَعَادَةٍ سَعِيدَةٍ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَنَافِعَةٍ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، بِأَيِّ مِقْدَارٍ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ أَنَّ اتِّبَاعَ كُلِّ نَوْعٍ ، مِنْ أَنْوَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، بِتَمَامِهِ وَبِالْفِعْلِ ، إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ لِأَخَصِّ الْخَوَاصِّ ؛ وَإِذَا لَمْ يُوجَدْ الِاتِّبَاعُ بِهِ ، بِالْفِعْلِ ؛ يَسْتَطِيعُ كُلُّ أَحَدٍ ، أَنْ يَطْلُبَهُ بِالنِّيَّةِ وَالْقَصْدِ ، وَالْوَلَاءِ وَالِالْتِزَامِ . .

فَفِي قِسْمَيِ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ ، تُوجَدُ الضَّرُورَةُ لِاتِّبَاعِهِمَا . . وَأَمَّا السُّنَّةُ السَّنِيَّةُ الْمُسْتَحَبَّةُ فِي الْعِبَادَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي تَرْكِهَا ذَنْبٌ ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ ، ضَيَاعَ ثَوَابٍ عَظِيمٍ ؛ وَفِي تَغْيِيرِهَا ، خَطَأً كَبِيراً . . وَأَمَّا السُّنَّةُ السَّنِيَّةُ فِي الْعَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ ، فَكُلَّمَا اتُّبِعَتْ ؛ تُصْبِحُ تِلْكَ الْعَادَاتُ ، عِبَادَاتٍ ؛ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا ؛ فَلَا عِتَابَ عَلَيْهِ ؛ وَلٰكِنَّهُ تَقِلُّ اسْتِفَادَتُهُ مِنْ أَنْوَارِ آدَابِ حَيَاةِ «حَبِيبِ اللهِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

وَإِنَّ الْمُحْدَثَاتِ الْجَدِيدَةَ بِدْعَةٌ ؛ وَالْبِدَعَ مَرْدُودَةٌ ؛ لِأَنَّهَا تُنَافِي سِرَّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ؛ وَلٰكِنْ إِذَا كَانَتْ مِنْ نَوْعِ أَوْرَادِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَذْكَارِهَا

وَمَشَارِبِهَا ؛ وَكَانَتْ أُصُولُهَا ، مَأْخُوذَةً مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؛ لَا تَكُونُ بِدْعَةً ، مَعَ كَوْنِهَا عَلٰى وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَفِي صُوَرٍ مُتَغَايِرَةٍ ، بِشَرْطِ أَنْ لَا تُخَالِفَ أُسُسَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ وَلَا تُغَيِّرَ أُصُولَهَا الْمُقَرَّرَةَ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ أَدْخَلَ قِسْماً مِنْ هٰذِهِ ، فِي الْبِدْعَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ سَمَّاهُ الْبِدْعَةَ الْحَسَنَةَ . وَإِنَّ الْإِمَامَ الرَّبَّانِيَّ مُجَدِّدَ الْأَلْفِ الثَّانِي ، يَقُولُ : كُنْتُ أَرٰى فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ الرُّوحَانِيِّ ، الْكَلِمَاتِ الْمَرْوِيَّةَ عَنِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عليه الصلاة والسلام) ، نَيِّرَةً تَتَلَأْلَأُ بِشُعَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ وَلَمَّا كُنْتُ أَرٰى أَحْوَالاً وَأَوْرَاداً قَوِيَّةً وَلَامِعَةً ، غَيْرَ مَرْوِيَّةٍ عَنْهُ ؛ كَانَ لَا يُوجَدُ عَلَيْهَا ، ذٰلِكَ النُّورُ ؛ وَكَانَ أَشْرَقُ هٰذَا الْقِسْمِ ، لَا يُوَازِي الْأَقَلَّ ، مِنَ الْأَوَّلِ ؛ فَعَلِمْتُ مِنْ هٰذَا ، أَنَّ شُعَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ إِكْسِيرٌ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ السُّنَّةَ تَكْفِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَ النُّورَ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلٰى طَلَبِ النُّورِ ، فِي خَارِجِهَا . . فَمِثْلُ هٰذَا الْبَطَلِ الَّذِي هُوَ بَطَلُ الْحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَةِ ، يَدُلُّ حُكْمُهُ هٰذَا ، عَلٰى أَنَّ السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ ، رُكْنُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، وَمَعْدِنُ الْكَمَالَاتِ وَمَنْبَعُهَا . . اَللّٰهُمَّ ارْزُقْنَا اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ آمِينَ . .

﴿رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَآ أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْعَاشِرَةُ : ﴾ أَنَّ فِي آيَةِ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ ، إِيجَازاً مُعْجِزاً ؛ لِأَنَّهُ أُدْرِجَتْ جُمَلٌ كَثِيرَةٌ ، فِي هٰذِهِ الْجُمَلِ الثَّلَاثِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ تَقُولُ : «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ؛ فَإِنَّكُمْ تُحِبُّونَهُ ؛ وَإِذَا أَحْبَبْتُمُوهُ ؛ فَإِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ مَا يُحِبُّهُ ؛ وَإِنَّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالٰى ، هُوَ أَنْ تَعْمَلُوا مِثْلَ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ ؛ وَإِنَّ التَّشَبُّهَ بِهِ ، هُوَ اتِّبَاعُهُ ؛ فَمَتٰى اتَّبَعْتُمُوهُ ؛ يُحْبِبْكُمُ اللهُ ؛ وَإِنَّكُمْ تُحِبُّونَ اللهَ ؛ لِيُحِبَّكُمْ هُوَ أَيْضاً» ؛ فَهٰذِهِ الْجُمَلُ كُلُّهَا ، إِنَّمَا هِيَ فَحْوٰى مُجْمَلَةٌ وَمُخْتَصَرَةٌ فَقَطْ ، لِهٰذِهِ الْآيَةِ . فَإِذاً إِنَّ الْمَقْصَدَ الْأَوْلٰى وَالْأَعْلٰى ، لِلْإِنْسَانِ ، هُوَ أَنْ يَكُونَ مَظْهَراً لِمَحَبَّةِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَيُبَيِّنُ بِنَصِّ هٰذِهِ الْآيَةِ ، أَنَّ طَرِيقَ ذٰلِكَ الْمَطْلَبِ الْأَعْلٰى ، هُوَ اتِّبَاعُ «حَبِيبِ اللهِ» ، وَالِاقْتِدَاءُ بِسُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ . .

فَفِي هٰذَا الْمَقَامِ ، إِذَا أُثْبِتَتْ ثَلَاثُ نِقَاطٍ ؛ تَتَظَاهَرُ الْحَقِيقَةُ السَّابِقَةُ ، بِتَمَامِهَا . .

اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى : أَنَّ الْبَشَرَ خُلِقَ فِطْرَةً ، عَلٰى مَحَبَّةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، إِزَاءَ خَالِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ لِأَنَّ فِي فِطْرَةِ الْبَشَرِ ، مَحَبَّةً إِزَاءَ الْجَمَالِ ، وَمَوَدَّةً إِزَاءَ الْكَمَالِ ، وَحُبّاً إِزَاءَ الْإِحْسَانِ ؛ فَيَتَزَايَدُ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ ، حَسَبَ دَرَجَاتِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْإِحْسَانِ ؛ وَتَرْقٰى إِلٰى نِهَايَةِ دَرَجَاتِ الْعِشْقِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ هٰذَا الْإِنْسَانَ الصَّغِيرَ ، يَسَعُ قَلْبُهُ الصَّغِيرُ ، مِقْدَارَ الْكَائِنَاتِ عِشْقاً . .

نَعَمْ : إِنَّ اسْتِنْسَاخَ مِقْدَارِ أَلْفِ كِتَابٍ فِي حُكْمِ مَكْتَبَةٍ ، فِي الْقُوَّةِ الْحَافِظَةِ الَّتِي هِيَ صُنْدُوقٌ لِلْقَلْبِ ، مِقْدَارَ عَدَسَةٍ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الْقَلْبَ يَسْتَوْعِبُ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَتَضَمَّنُ ذٰلِكَ الْمِقْدَارَ مِنَ الْمَحَبَّةِ . فَإِذَا كَانَ فِي الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، اسْتِعْدَادُ مَحَبَّةٍ كَذٰلِكَ ، لَا حَدَّ لَهَا ، إِزَاءَ الْإِحْسَانِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ؛ وَكَانَ لِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، جَمَالٌ مُقَدَّسٌ لَا يُحَدُّ ، ثَبَتَ تَحَقُّقُهُ بِالْبَدَاهَةِ ، بِآثَارِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَكَمَالٌ قُدُسِيٌّ بِلَا حَدٍّ ، تَحَقَّقَ ثُبُوتُهُ بِالضَّرُورَةِ ، بِنُقُوشِ صَنْعَتِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ فِي هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَإِحْسَانَاتٌ لَا حَدَّ لَهَا ، تَحَقَّقَ وُجُودُهَا بِالْيَقِينِ بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ ، بِمَا لَا يُحَدُّ مِنْ أَنْوَاعِ إِحْسَانِهِ وَإِنْعَامَاتِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ فِي جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهَا تَقْتَضِي مَحَبَّةً لَا حَدَّ لَهَا ، مِنَ الْبَشَرِ الَّذِي هُوَ أَجْمَعُ ذَوِي الشُّعُورِ مَاهِيَّةً ، وَأَزْيَدُهُمْ حَاجَةً ، وَأَكْثَرُهُمْ تَفَكُّراً ، وَأَشَدُّهُمُ اشْتِيَاقاً . .

نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ ، مُسْتَعِدٌّ لِمَحَبَّةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، إِزَاءَ ذٰلِكَ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ ؛ كَمَا أَنَّ ذٰلِكَ الْخَالِقَ ، أَحَقُّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، بِمَحَبَّةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، إِزَاءَ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ وَإِحْسَانِهِ ؛ حَتّٰى إِنَّ أَنْوَاعَ الْمَحَبَّةِ ، وَالْعَلَائِقَ الشَّدِيدَةَ فِي الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ ، تِجَاهَ حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ ، وَوُجُودِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَنَفْسِهِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، هِيَ تَرَشُّحَاتُ اسْتِعْدَادِ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ حِسِّيَّاتِ الْإِنْسَانِ ، الشَّدِيدَةَ الْمُتَنَوِّعَةَ ، هِيَ اسْتِحَالَةُ ذٰلِكَ الْاِسْتِعْدَادِ ، وَرَشَحَاتُهُ الْمُتَرَشِّحَةُ فِي أَشْكَالٍ أُخْرٰى . .

وَمَعْلُومٌ : أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَلَذَّذُ بِسَعَادَةِ نَفْسِهِ ؛ كَمَا يَتَلَذَّذُ بِسَعَادَةِ الَّذِينَ لَهُ عَلَاقَةٌ

بِهِمْ ؛ وَيُحِبُّ مَنْ يُنْقِذُهُ مِنَ الْبَلَاءِ ؛ كَمَا يُحِبُّ مَنْ يُنْقِذُ أَحْبَابَهُ أَيْضاً . فَعَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ الرُّوحِيَّةِ ، لَوْ تَفَكَّرَ الْإِنْسَانُ ، مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ الْعَائِدَةِ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، فِي هٰذَا الْإِحْسَانِ فَقَطْ ؛ وَهُوَ : أَنَّ خَالِقِي أَنْقَذَنِي مِنَ الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ ظُلُمَاتٌ أَبَدِيَّةٌ ؛ وَأَعْطَانِي فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، دُنْيَا جَمِيلَةً ؛ كَمَا أَنَّهُ سَيُنْقِذُنِي أَيْضاً ؛ إِذَا جَاءَ أَجَلِي ، عَنِ الْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ الَّذِي هُوَ إِعْدَامٌ أَبَدِيٌّ ؛ وَسَيُحْسِنُ إِلَيَّ ، بِعَالَمٍ أَبَدِيٍّ مُحْتَشِمٍ ، فِي عَالَمٍ بَاقٍ ؛ وَسَيُنْعِمُ عَلَيَّ ، بِحَوَاسَّ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ تَسْتَفِيدُ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ لَذَائِذِ ذٰلِكَ الْعَالَمِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ ؛ وَتَجُولُ مُتَنَزِّهَةً فِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ ؛ كَمَا أَنَّهُ سَيَجْعَلُ جَمِيعَ أَقَارِبِي وَأَحْبَابِي وَأَبْنَاءِ جِنْسِي ، الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ كَثِيراً ؛ وَلِي بِهِمْ عَلَاقَةٌ شَدِيدَةٌ ، مَظْهَراً لِإِحْسَانَاتٍ كَذٰلِكَ ، لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَتَعُودُ تِلْكَ الْإِحْسَانَاتُ ، إِلَيَّ بِجِهَةٍ مَّا ؛ لِأَنِّي أُصْبِحُ سَعِيداً وَمُتَلَذِّذاً بِسَعَادَاتِهِمْ ؛ فَلَوْ تَفَكَّرَ فِي ذٰلِكَ فَقَطْ ؛ لَقَالَ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، تَعَبُّدٌ إِزَاءَ الْإِحْسَانِ ، بِسِرِّ «أَنَّ الْإِنْسَانَ عَبْدُ الْإِحْسَانِ» ؛ فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبٌ مِقْدَارَ الْكَائِنَاتِ ، إِزَاءَ مِثْلِ هٰذِهِ الْإِحْسَانَاتِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ لَاقْتَضَى أَنْ يَمْتَلِئَ بِالْمَحَبَّةِ إِزَاءَ ذٰلِكَ الْإِحْسَانِ ؛ وَإِنِّي أُرِيدُ إِمْلَاءَهُ ؛ وَإِنِّي إِنْ لَمْ أَفْعَلْ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ بِالْفِعْلِ ؛ أَفْعَلُهَا بِالِاسْتِعْدَادِ وَالْإِيمَانِ ، وَبِالنِّيَّةِ وَالْقَبُولِ ، وَبِالتَّقْدِيرِ وَالِاشْتِيَاقِ ، وَبِالِالْتِزَامِ وَالْإِرَادَةِ ؛ وَهٰكَذَا فَلْتُقَسِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي يُظْهِرُهَا الْإِنْسَانُ ، إِزَاءَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ، عَلَى الْمَحَبَّةِ إِزَاءَ الْإِحْسَانِ ، الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا إِجْمَالاً . وَأَمَّا الْكَافِرُ ، فَإِنَّهُ يُعَادِي الْجَمَالَ وَالْكَمَالَ وَالْإِحْسَانَ ، بِجِهَةِ الْكُفْرِ ، عَدَاوَةً غَيْرَ مَحْدُودَةٍ ؛ بَلْ إِنَّهُ يُضْمِرُ عَدَاوَةً ظَالِمَةً مُحْتَقِرَةً ، لِلْكَائِنَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْمَحَبَّةَ لِلّٰهِ ، تَسْتَلْزِمُ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ ، هُوَ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ ، مَرْضِيَّاتِهِ ؛ وَمَرْضِيَّاتُهُ تَتَظَاهَرُ بِأَكْمَلِ صُورَةٍ ، فِي الذَّاتِ الْمُحَمَّدِيِّ . وَالتَّشَبُّهُ بِهِ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَفْعَالِ ، عَلَى وَجْهَيْنِ . .

أَحَدُهُمَا : هُوَ أَنَّ الْإِطَاعَةَ لِأَمْرِ اللهِ ، وَالْعَمَلَ فِي دَائِرَةِ مَرْضِيَّاتِهِ ، فِي جِهَةِ مَحَبَّةِ اللهِ ،

يَقْتَضِيَانِ ذٰلِكَ الاِتِّبَاعَ ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ الْأَكْمَلَ ، فِي هٰذَا الْعَمَلِ ، هُوَ الذَّاتُ الْمُحَمَّدِيُّ . .

وَثَانِيهِمَا : أَنَّ الذَّاتَ الْمُحَمَّدِيَّ ، لَمَّا كَانَ أَهَمَّ وَسِيلَةٍ لِلْإِحْسَانَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ يَكُونُ لَائِقاً بِمَحَبَّةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، بِحِسَابِ اللهِ تَعَالٰى . وَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَطْلُبُ فِطْرَةً ، التَّشَبُّهَ بِمَنْ يُحِبُّهُ ؛ إِنْ كَانَ التَّشَبُّهُ مُمْكِناً . فَمَنْ أَحَبَّ «حَبِيبَ اللهِ» ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَسْعٰى لِلتَّشَبُّهِ بِهِ ، بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ لِلّٰهِ تَعَالٰى ، رَحْمَةً بِلَا حَدٍّ ؛ كَمَا أَنَّ لَهُ ، مَحَبَّةً بِلَا حَدٍّ أَيْضاً ؛ فَإِنَّهُ يُحَبِّبُ ذَاتَهُ ، بِصُورَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، بِمَحَاسِنِ جَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ ، وَبِتَزْيِينِهَا ؛ كَمَا يُحِبُّ مَصْنُوعَاتِهِ ، لَاسِيَّمَا ذَوِي الشُّعُورِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، الَّذِينَ يُقَابِلُونَ تَحَبُّبَهُ ، بِالْمَحَبَّةِ . **وَمَنْ كَانَتْ جَمِيعُ لَطَائِفِ الْجَنَّةِ ، وَمَحَاسِنِهَا وَلَذَائِذِهَا وَنِعَمَاتِهَا ، جَلْوَةً مِنْ رَحْمَتِهِ ؛ يُعْلَمُ بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّ الْجُهْدَ لِجَلْبِ نَظَرِ مَحَبَّتِهِ ، أَيُّ مَقْصَدٍ عَالٍ . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ ؛ يُصْبِحُ مَظْهَراً لِمَحَبَّتِهِ تَعَالٰى ، بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ فَقَطْ ، بِنَصِّ كَلَامِهِ ؛ يَتَحَقَّقُ قَطْعاً أَنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، أَعْظَمُ مَقْصَدٍ إِنْسَانِيٍّ ، وَأَهَمُّ وَظِيفَةٍ بَشَرِيَّةٍ . .**

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : ﴾ ثَلَاثُ مَسَائِلَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : أَنَّ مَنْبَعَ سُنَّةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ : أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ وَأَحْوَالُهُ . وَهٰذِهِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ ، هِيَ عَلٰى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ؛ وَهِيَ الْفَرَائِضُ وَالنَّوَافِلُ وَعَادَاتُهُ الْحَسَنَةُ . وَفِي قِسْمِ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ ، تُوجَدُ ضَرُورَةُ الاِتِّبَاعِ ؛ وَفِي تَرْكِهِ عَذَابٌ وَعِقَابٌ ؛ وَكُلُّ فَرْدٍ ، مُكَلَّفٌ بِاتِّبَاعِهِ . وَإِنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ مُكَلَّفُونَ أَيْضاً ، فِي قِسْمِ النَّوَافِلِ ، بِالْأَمْرِ الاِسْتِحْبَابِيِّ ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ فِي تَرْكِهِ عَذَابٌ وَعِقَابٌ ؛ وَفِي فِعْلِهِ وَاتِّبَاعِهِ ، مَثُوبَاتٌ عَظِيمَةٌ ؛ وَتَغْيِيرُهُ وَتَبْدِيلُهُ ، بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ ، وَخَطَأٌ عَظِيمٌ . وَأَمَّا عَادَاتُهُ السَّنِيَّةُ ، وَحَرَكَاتُهُ الْمُسْتَحْسَنَةُ ، فَإِنَّ تَقْلِيدَهَا وَاتِّبَاعَهَا ، مُسْتَحْسَنٌ لِلْغَايَةِ ، حِكْمَةً وَمَصْلَحَةً ، بِاعْتِبَارِ الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالنَّوْعِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ ؛ لِأَنَّ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكَاتِهِ الْعَادِيَّةِ ، مَنَافِعَ حَيَوِيَّةً كَثِيرَةً ؛ كَمَا أَنَّ تِلْكَ الْآدَابَ وَالْعَادَاتِ ، تُصْبِحُ فِي حُكْمِ الْعِبَادَاتِ ، بِالاِتِّبَاعِ . .

نَعَمْ : إِذَا كَانَ الذَّاتُ الْأَحْمَدِيُّ ، (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، مَظْهَراً لِأَعْلٰى مَرَاتِبِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، بِاتِّفَاقِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ ؛ وَكَانَ شَخْصِيَّةً ، أَزْيَدَ اشْتِهَاراً ، وَأَعْلَى امْتِيَازاً ، بَيْنَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بِالِاتِّفَاقِ ؛ وَكَانَ أَكْمَلَ إِنْسَانٍ ، وَأَفْضَلَ مُرْشِدٍ ، بِدَلَالَةِ آلَافِ مُعْجِزَاتِهِ ، وَشَهَادَةِ كَمَالَاتِهِ ، وَبِشَهَادَةِ مَا أَسَّسَهُ مِنْ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، وَبِتَصْدِيقِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ الَّذِي أَصْبَحَ هُوَ ، مُبَلِّغاً وَتَرْجُمَاناً لَهُ ؛ وَكَانَتْ مَلَايِينُ أَهْلِ الْكَمَالِ ، رَاقِينَ فِي مَرَاتِبِ الْكَمَالَاتِ ؛ وَأَصْبَحُوا مَظْهَراً لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، بِثَمَرَةِ اتِّبَاعِهِ ؛ تَكُونُ حَرَكَاتُ ذٰلِكَ الذَّاتِ ، أَحْسَنَ أُسْوَةٍ يُقْتَدٰى بِهَا ، وَأَسْلَمَ دَلِيلٍ يُتْبَعُ أَثَرُهُ ، وَأَحْكَمَ قَوَانِينَ تُتَّخَذُ دَسَاتِيرَ . فَالسَّعِيدُ ، هُوَ الَّذِي ازْدَادَ حَظُّهُ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ . وَمَنْ لَمْ يَتْبَعِ السُّنَّةَ ؛ فَإِنْ تَكَاسَلَ ؛ فَذٰلِكَ خُسْرَانٌ عَظِيمٌ ؛ وَإِنْ رَآهَا بِدُونِ قِيمَةٍ ؛ فَهِيَ جِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ ؛ وَإِنْ كَانَ انْتِقَاداً يُشْعِرُ بِالتَّكْذِيبِ ؛ فَهُوَ ضَلَالٌ مُبِينٌ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ . وَيُرْوٰى بِالرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ : أَنَّ الْأَصْحَابَ الْكِرَامَ ، مِثْلَ عَائِشَةَ ، حِينَمَا كَانُوا يَصِفُونَ النَّبِيَّ ، يَقُولُونَ : «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ «مُحَمَّداً» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، كَانَ مِثَالَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي بَيَّنَهَا الْقُرْآنُ ؛ وَخُلِقَ فِطْرَةً ، عَلٰى تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ ؛ وَامْتَثَلَهَا قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ . فَمَنْ لَا يَهْتَمُّ بِسُنَّةِ مِثْلِ هٰذَا النَّبِيِّ الَّذِي يَلِيقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَأَقْوَالِهِ وَحَرَكَاتِهِ ، أَنْ يَكُونَ أُسْوَةً لِنَوْعِ الْبَشَرِ ؛ وَيُرِيدُ تَغْيِيرَهَا ، مِنَ الْغَافِلِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ؛ وَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ ؛ يَعْلَمُ الْمَجَانِينُ أَيْضاً ، أَنَّهُ شَقِيٌّ أَيَّ شَقَاءٍ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، لِكَوْنِهِ خُلِقَ فِطْرَةً ، عَلٰى أَعْدَلِ حَالٍ ، وَأَكْمَلِ صُورَةٍ ، قَدْ مَضَتْ حَرَكَاتُهُ وَسَكَنَاتُهُ ، عَلَى الِاعْتِدَالِ وَالِاسْتِقَامَةِ ؛ وَتَدُلُّ سِيَرُهُ السَّنِيَّةُ ، بِوَجْهٍ قَاطِعٍ ، عَلٰى أَنَّهُ سَلَكَ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ ، عَلَى الِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ ؛ وَاتَّقٰى عَنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ . نَعَمْ : إِنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، لِكَوْنِهِ امْتَثَلَ أَمْرَ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ بِكَمَالِهِ ؛ تُشَاهَدُ الِاسْتِقَامَةُ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ

وَأَحْوَالِهِ . فَمَثَلاً : إِنَّ قُوَّتَهُ الْعَقْلِيَّةَ تَحَرَّكَتْ دَائِماً ، فِي جِهَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ الْحَدُّ الْوَسَطُ ، وَمَدَارُ الِاسْتِقَامَةِ ، مُبَرَّأَةً عَنِ الْغَبَاوَةِ وَالسَّفْسَطَةِ ، اللَّتَيْنِ هُمَا إِفْرَاطُ تِلْكَ الْقُوَّةِ وَتَفْرِيطُهَا ، اللَّذَانِ هُمَا فِي حُكْمِ فَسَادِهَا ؛ كَمَا أَنَّ قُوَّتَهُ الْغَضَبِيَّةَ تَحَرَّكَتْ بِالشَّجَاعَةِ الْقُدُسِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْحَدُّ الْوَسَطُ ، وَمَدَارُ اسْتِقَامَةِ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ ، مُنَزَّهَةً عَنِ التَّخَوُّفِ وَالتَّهَوُّرِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا إِفْرَاطُ تِلْكَ الْقُوَّةِ وَتَفْرِيطُهَا وَفَسَادُهَا ؛ مَعَ أَنَّ قُوَّتَهُ الشَّهَوِيَّةَ اتَّخَذَتِ الْعِفَّةَ ، فِي أَعْظَمِ دَرَجَاتِ الْعِصْمَةِ ، دَلِيلاً لَهَا ؛ وَتَحَرَّكَتْ دَائِماً ، عَلَى الْعِفَّةِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ اسْتِقَامَةِ تِلْكَ الْقُوَّةِ ، مُصَفَّاةً عَنِ الْخُمُودِ وَالْفُجُورِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا فَسَادُ الْقُوَّةِ الشَّهَوِيَّةِ ، وَإِفْرَاطُهَا وَتَفْرِيطُهَا ؛ وَهٰكَذَا اخْتَارَ حَدَّ الِاسْتِقَامَةِ ، فِي جَمِيعِ سُنَنِهِ السَّنِيَّةِ ، وَأَحْوَالِهِ الْفِطْرِيَّةِ ، وَأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَاجْتَنَبَ عَنِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ ، وَالْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ ، الَّتِي هِيَ ظُلْمٌ وَظُلُمَاتٌ ؛ بَلْ إِنَّهُ اتَّخَذَ الِاقْتِصَادَ ، دَلِيلاً فِي كَلَامِهِ وَأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ ؛ وَاحْتَرَزَ قَطْعاً ، عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهَا . .

وَلَقَدْ أُلِّفَتْ أُلُوفُ مُجَلَّدَاتٍ مِنَ الْكُتُبِ ، فِي تَفَاصِيلِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَبِسِرِّ أَنَّ الْعَارِفَ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ ، اخْتَصَرْنَا مُكْتَفِينَ بِقَطْرَةٍ مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى جَامِعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَمَظْهَرِ سِرِّ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، الَّذِي قَالَ : ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي ، عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي ؛ فَلَهُ أَجْرُ مِئَةِ شَهِيدٍ﴾ . .

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰينَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدٰينَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ . .﴾

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللَّمْعَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ

فِي بَيَانِ نُكْتَتَيْنِ قُرْآنِيَّتَيْنِ ، بِمُنَاسَبَةِ سُؤَالَيْنِ جُزْئِيَّيْنِ ، «لِرَأْفَت» الْكَرِيمِ . .

بِاسْمِهِ ؛ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى إِخْوَانِكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . .

أَخِي الْعَزِيزَ الصِّدِّيقَ «رَأْفَت» الْكَرِيمَ ! . إِنَّ سُؤَالَيْكَ فِي زَمَنِي هٰذَا ، الَّذِي لَيْسَ مُوَافِقاً ، يُوقِعَانِنِي مَوْقِعاً مُشْكِلاً ؛ وَإِنَّ سُؤَالَيْكَ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ؛ وَإِنْ كَانَا جُزْئِيَّيْنِ ، إِلَّا أَنَّهُمَا ، لِمُنَاسَبَتِهِمَا بِنُكْتَتَيْنِ قُرْآنِيَّتَيْنِ ، وَلِتَمَاسِّ سُؤَالِكَ فِي حَقِّ كُرَةِ الْأَرْضِ ، بِاعْتِرَاضِ «عِلْمَي الْجُغْرَافِيَا وَالْفَلَكِ» ، عَلَى سَبْعِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ ، وَسَبْعِ طِبَاقِ السَّمَاوَاتِ ، أَصْبَحَا مُهِمَّيْنِ عَلَيَّ ؛ فَلِذٰلِكَ تُبَيَّنُ نُكْتَتَانِ إِجْمَالاً ، فِي بَيَانِ آيَتَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ ، بِوَجْهٍ عِلْمِيٍّ وَكُلِّيٍّ ، بِدُونِ النَّظَرِ إِلَى جُزْئِيَّةِ السُّؤَالَيْنِ ؛ فَتَسْتَفِيدُ مِنْهُمَا ، حَظّاً لِسُؤَالَيْكَ الْجُزْئِيَّيْنِ . .

اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى : نُقْطَتَانِ . .

اَلنُّقْطَةُ الْأُولَى : أَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ؛ وَيَخْرُجُ مِنْ خَزِينَةِ رَحْمَتِهِ ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ ، بِسِرِّ آيَةِ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ، وَآيَةِ ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ لَا يُوجَدَ الْمَوْتُ مِنَ الْجُوعِ ؛ لِأَنَّ رِزْقَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، تَحْتَ التَّعَهُّدِ الرَّبَّانِيِّ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ يَمُوتُونَ مِنَ الْجُوعِ ، وَمِنْ فَقْدِ الرِّزْقِ ظَاهِراً . .

وَحَلُّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، وَهٰذَا السِّرِّ ، هُوَ : أَنَّ التَّعَهُّدَ الرَّبَّانِيَّ ، حَقٌّ ؛ وَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَنْ يَمُوتُونَ مِنْ فَقْدِ الرِّزْقِ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّ الْحَكِيمَ الْجَلِيلَ يَدَّخِرُ بَعْضاً مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي يَبْعَثُهُ إِلٰى بَدَنِ ذِي الْحَيَاةِ ، عَلٰى صُورَةِ الشَّحْمِ وَالدَّسَمِ ، لِلِاحْتِيَاطِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَدَّخِرُ قِسْماً مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي يُرْسِلُهُ إِلٰى كُلِّ خَلِيَّةٍ مِنَ الْبَدَنِ ، فِي زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَيْضاً ؛ فَيَحْفَظُهُ فِي حُكْمِ ذَخِيرَةِ الِاحْتِيَاطِ ، عَلٰى أَنْ يُصْرَفَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَأْتِ الرِّزْقُ ، مِنَ الْخَارِجِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ هٰذَا الرِّزْقُ الِاحْتِيَاطِيُّ الْمُدَّخَرُ ؛ فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الْمَوْتَ لَيْسَ مِنْ فَقْدِ الرِّزْقِ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ بِمَرَضٍ نَاشِئٍ عَنْ تَرْكِ الْعَادَةِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنْ سُوءِ الِاعْتِيَادِ ، وَسُوءِ الِاخْتِيَارِ . **نَعَمْ : إِنَّ الرِّزْقَ الْفِطْرِيَّ الْمُدَّخَرَ بِصُورَةِ الشَّحْمِ ، فِي بَدَنِ ذِي الْحَيَاةِ ، يَدُومُ أَرْبَعِينَ يَوْماً كَامِلاً ، بِالْحَدِّ الْوَسَطِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَمْضِي مِنْ أَرْبَعِينَيْنِ ، فِي أَثَرِ مَرَضٍ ، أَوِ اسْتِغْرَاقٍ رُوحَانِيٍّ** ؛ حَتّٰى إِنَّ الصُّحُفَ كَتَبَتْ قَبْلَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً : أَنَّ رَجُلاً ، دَامَتْ حَيَاتُهُ ، بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ ، سَبْعِينَ يَوْماً ، فِي سِجْنِ **«لُنْدُنَ»** ، بِدُونِ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئاً ، بِسَبَبِ عِنَادٍ شَدِيدٍ . فَإِذَا كَانَ الرِّزْقُ الْفِطْرِيُّ ، يَدُومُ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، إِلٰى سَبْعِينَ وَثَمَانِينَ يَوْماً ؛ وَكَانَتْ جَلَوَاتُ اسْمِ الرَّزَّاقِ ، تُشَاهَدُ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ ، بِصُورَةٍ وَاسِعَةٍ ؛ وَكَانَتِ الْأَرْزَاقُ ، تَجْرِي مِنَ الثُّدِيِّ ؛ وَتَطْلُعُ بِرُؤُوسِهَا ، مِنَ الْأَشْجَارِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ ؛ فَإِذاً إِنَّ ذٰلِكَ الِاسْمَ لَيُدْرِكُ إِلٰى إِمْدَادِ ذٰلِكَ الْحَيِّ ، قَبْلَ أَنْ يَفْنَى الرِّزْقُ الْفِطْرِيُّ ؛ وَلَا يُخَلِّي السَّبِيلَ ، لِلْمَوْتِ بِالْجُوعِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ، مَا لَمْ يَتَدَخَّلِ اخْتِيَارُ الْبَشَرِ الشِّرِّيرِ ؛ وَلَمْ يُخَالِطْهُ . **فَإِذاً إِنَّ الْمَيِّتِينَ مِنَ الْجُوعِ ، إِنْ مَاتُوا قَبْلَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ فَلَيْسَ ذٰلِكَ مِنْ فَقْدِ الرِّزْقِ قَطْعاً ؛ بَلْ أَتٰى مِنْ عِلَّةٍ وَمَرَضٍ نَشَأَ مِنْ تَرْكِ الْعَادَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ سُوءِ الِاخْتِيَارِ ، بِسِرِّ «أَنَّ تَرْكَ الْعَادَاتِ ، مِنَ الْمُهْلِكَاتِ» ؛ فَإِذاً يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْمَوْتَ ، لَا يَكُونُ مِنَ الْجُوعِ . نَعَمْ :** يُرٰى بِالْمُشَاهَدَةِ ، أَنَّ الرِّزْقَ مُتَنَاسِبٌ مَعْكُوساً ، مَعَ الِاقْتِدَارِ وَالِاخْتِيَارِ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ الطِّفْلَ يُرْزَقُ بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلٰى تَحْرِيكِ فَمِهِ ، قَبْلَ أَنْ يُولَدَ ، حِينَمَا كَانَ مَحْرُوماً كُلِّيّاً ، عَنِ الِاقْتِدَارِ وَالِاخْتِيَارِ ، فِي رَحِمِ الْأُمِّ ؛ وَبَعْدَمَا يُولَدُ ، لَيْسَ لَهُ اقْتِدَارٌ وَاخْتِيَارٌ ؛ وَلٰكِنْ لَهُ دَرَجَةٌ

مِنَ الِاسْتِعْدَادِ ، وَحِسٌّ بِالْقُوَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُعْطَى رِزْقُهُ لِفَمِهِ ، مِنْ قَنَوَاتِ الثُّدِيِّ ، عَلٰى أَعْجَبِ فِطْرَةٍ ، وَأَلْطَفِ صُورَةٍ ، وَأَسْهَلِهَا هَضْماً ، وَأَكْمَلِهَا تَغَذِّياً ، بِالِاحْتِيَاجِ إِلٰى حَرَكَةٍ مِقْدَارَ مَا يُلْصِقُ فَمَهُ بِالثُّدِيِّ فَقَطْ ؛ ثُمَّ كُلَّمَا حَصَّلَ الطِّفْلُ ، عَلَاقَةً بِالِاقْتِدَارِ وَالِاخْتِيَارِ ؛ يَشْرَعُ ذٰلِكَ الرِّزْقُ السَّهْلُ الْجَمِيلُ ، بِالتَّدَلُّلِ إِزَاءَ الطِّفْلِ ، نَوْعَ تَدَلُّلٍ ؛ فَتَغُورُ تِلْكَ الْعُيُونُ ؛ وَيُرْسَلُ رِزْقُهُ ، مِنْ أَمَاكِنَ أُخْرٰى ؛ وَلٰكِنْ لَا يَكْفِي اقْتِدَارُهُ وَاخْتِيَارُهُ ، لِتَتَبُّعِ الرِّزْقِ ؛ فَيَبْعَثُ الرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ ، شَفَقَةَ وَالِدَيْهِ وَرَحْمَتَهُمَا ، مُعِينَةً لِاقْتِدَارِهِ وَاخْتِيَارِهِ . فَمَتٰى مَا تَكَمَّلَتِ الْقُوَّةُ وَالْإِرَادَةُ ؛ لَا يَعْدُو إِلَيْهِ رِزْقُهُ ؛ وَلَا يُسَاقُ إِلَيْهِ ؛ فَيَقِفُ الرِّزْقُ فِي مَكَانِهِ ؛ وَيَقُولُ : تَعَالَ اطْلُبْنِي ؛ وَجِدْنِي فَخُذْنِي . **فَإِذاً إِنَّ الرِّزْقَ يَتَنَاسَبُ مَعْكُوساً ، بِالْقُوَّةِ وَالْإِرَادَةِ** ؛ حَتّٰى إِنَّنَا قَدْ بَيَّنَّا فِي كَثِيرٍ مِنَ الرَّسَائِلِ : أَنَّ مَا لَا إِرَادَةَ وَلَا قُوَّةَ لَهَا ، مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، تَعِيشُ وَتَتَرَبّٰى بِأَحْسَنِ وَجْهٍ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ لِلْإِمْكَانِ أَنْوَاعاً وَأَقْسَاماً ، مِثْلَ **الْإِمْكَانِ الْعَقْلِيِّ ، وَالْإِمْكَانِ الْعُرْفِيِّ ، وَالْإِمْكَانِ الْعَادِيِّ** . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَادِثَةٌ مَّا ، دَاخِلَةً فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ الْعَقْلِيِّ ، تُرَدُّ ؛ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ دَاخِلَةً فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ الْعُرْفِيِّ ، تَكُونُ مُعْجِزَةً ؛ وَلٰكِنْ لَا يَتَيَسَّرُ أَنْ تَكُونَ كَرَامَةً ؛ وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ نَظِيرُهَا عُرْفاً وَقَاعِدَةً ؛ فَإِنَّمَا تُقْبَلُ بِبُرْهَانٍ قَاطِعٍ فِي دَرَجَةِ الشُّهُودِ . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، تَكُونُ الْأَحْوَالُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ ، مِنْ خَوَارِقِ **«السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ»** الَّذِي كَانَ لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، دَاخِلَةً فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ الْعُرْفِيِّ ؛ وَتَكُونُ كَرَامَةً لَهُ ؛ وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَادَةً لَهُ خَارِقَةً لِلْعَادَةِ . **نَعَمْ** : يُرْوٰى بِدَرَجَةِ التَّوَاتُرِ : أَنَّ **«السَّيِّدَ أَحْمَدَ الْبَدَوِيَّ»** كَانَ يُوجَدُ فِي أَحْوَالٍ عَجِيبَةٍ مُسْتَغْرِقَةٍ ؛ وَقَدْ حَدَثَ أَحْيَاناً ، أَكْلُهُ الطَّعَامَ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ وَلَمْ يَقَعْ كَذٰلِكَ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَإِنَّمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، مِنْ قَبِيلِ الْكَرَامَةِ ؛ وَيُوجَدُ احْتِمَالُ أَنَّ حَالَتَهُ الِاسْتِغْرَاقِيَّةَ ، كَانَتْ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَصْبَحَ ذٰلِكَ ، فِي حُكْمِ الْعَادَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ . وَلَقَدْ رُوِيَ هٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْخَوَارِقِ ، مَوْثُوقاً مِنْ كَثِيرِينَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، مِنْ قَبِيلِ **«السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ»** . فَإِذَا كَانَ الرِّزْقُ الْمُدَّخَرُ ، يَدُومُ أَزْيَدَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ كَمَا أَثْبَتْنَا فِي النُّقْطَةِ الْأُولٰى ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الْمِقْدَارُ مِنْ تَرْكِ الْأَكْلِ ،

مُمْكِناً عَادَةً ؛ وَرُوِيَ ذٰلِكَ الْحَالُ ، مَوْثُوقاً مِنْ أَفْرَادٍ خَارِقَةٍ ؛ فَلا يُنْكَرُ ذٰلِكَ قَطْعاً . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ أَنَّهُ تُبَيَّنُ بِمُنَاسَبَةِ السُّؤَالِ الثَّانِي ، مَسْأَلَتَانِ مُهِمَّتَانِ ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ تِلْكَ الْعُلُومِ ، لَمَّا لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَطَّلِعُوا إِلَى سَمَاءِ الْقُرْآنِ ؛ وَأَنْ يَكْتَشِفُوا سَبْعَ طَبَقَاتٍ مِنَ الْمَعَانِي ، فِي نُجُومِ الْآيَاتِ ، بِقَوَانِينَ قَاصِرَةٍ ، مِنْ قَوَانِينِ «عِلْمَيِ الْجُغْرَافِيَا وَالْفَلَكِ» ، وَبِدَسَاتِيرِهِمَا الضَّيِّقَةِ ، وَبِمَوَازِينِهِمَا الصَّغِيرَةِ ؛ اعْتَرَضُوا عَلَى الْآيَةِ ؛ بَلْ سَعَوْا لِإِنْكَارِهَا كَالْمَجَانِينِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْمُهِمَّةُ الْأُولٰى : دَائِرَةٌ حَوْلَ كَوْنِ الْأَرْضِ ، ذَاتَ سَبْعِ طِبَاقٍ ، كَالسَّمَاوَاتِ ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، تُرٰى لِفَلَاسِفَةِ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ ، غَيْرَ حَقِيقَةٍ ؛ وَلَا تَقْبَلُهَا فُنُونُهُمُ الْعَائِدَةُ إِلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ؛ فَيَجْعَلُونَ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَسِيلَةً ؛ فَيَعْتَرِضُونَ عَلٰى بَعْضِ الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَنَكْتُبُ بَعْضَ إِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ ، فِي حَقِّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ . .

اَلْأُولٰى : أَوَّلاً : أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ ، غَيْرُ أَفْرَادِ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى ، وَغَيْرُ مَا صَدَقَ عَلَيْهِ الْمَعْنٰى ، مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ ؛ فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، لِذٰلِكَ الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ ؛ لَا يُنْكَرُ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى ؛ وَقَدْ تُرٰى ظَاهِراً ، سَبْعَةُ أَفْرَادٍ مِنْ أَفْرَادٍ كَثِيرَةٍ ، لِمَعْنَاهَا الْكُلِّيِّ الْعَائِدِ إِلٰى طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، وَطِبَاقِ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ . .

وَثَانِياً : أَنَّهُ لَمْ تُذْكَرْ فِي صَرَاحَةِ الْآيَةِ ، سَبْعَةُ طِبَاقِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّ ظَاهِرَ آيَةِ ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، يُفِيدُ أَنَّهُ تَعَالٰى خَلَقَ الْأَرْضَ ؛ وَجَعَلَهَا مَسْكَناً لِمَخْلُوقَاتِهِ أَيْضاً ، كَتِلْكَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ؛ وَلَمْ يَقُلْ : إِنِّي خَلَقْتُهَا سَبْعَ طَبَقَاتٍ ؛ وَأَمَّا الْمِثْلِيَّةُ ، فَإِنَّهَا تَشْبِيهٌ بِهَا ، فِي كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً ، وَمَسْكَناً لِلْمَخْلُوقَاتِ . .

اَلثَّانِيَةُ : أَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ ، إِلَّا أَنَّهَا ، لِكَوْنِهَا فِي حُكْمِ مَشْهَرِ مَصْنُوعَاتٍ إِلٰهِيَّةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، وَبِمَثَابَةِ مَظْهَرِهَا وَمَحْشَرِهَا وَمَرْكَزِهَا ؛ تُقَابِلُ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، بِمَثَابَةِ قَلْبٍ وَمَرْكَزٍ مَعْنَوِيٍّ لَهَا ؛

كَمَا يُقَابِلُ الْقَلْبُ الْجَسَدَ ؛ فَفُهِمَتْ كُرَةُ الْأَرْضِ ، سَبْعَ طَبَقَاتٍ ، مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، إِشَارَةً إِلٰى أَنَّ لِلْأَرْضِ ، سَبْعَةَ أَقَالِيمَ ، عَلٰى مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ ؛ وَسَبْعَ قَارَّاتٍ مَعْرُوفَةٍ بِاسْمِ (أُورُوبَا ، أَفْرِيقَا ، أُوقْيَانُوسْيَا ، وَقِطْعَتَيْ آسِيَا وَأَمْرِيكَا) ؛ وَسَبْعَ قِطْعَاتٍ مَعْلُومَةٍ عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَعَلٰى وَجْهِ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ ، مِنْ قِطْعَةِ أَمْرِيكَا ، مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ ، مَعَ الْبِحَارِ ؛ وَسَبْعَ قِطْعَاتٍ مُتَّصِلَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ مِنْ مَرْكَزِهَا ، إِلٰى قِشْرِهَا الظَّاهِرِ ، ثَبَتَتْ حِكْمَةً وَفَنّاً ؛ وَسَبْعَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ عَنَاصِرَ كُلِّيَّةٍ مَشْهُورَةٍ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالطَّبَقَاتِ السَّبْعِ ؛ وَتَتَضَمَّنُ سَبْعِينَ عُنْصُراً ، مِنْ عَنَاصِرَ بَسِيطَةٍ جُزْئِيَّةٍ ظَلَّتْ وَسِيلَةً لِحَيَاةِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَسَبْعَ طَبَقَاتٍ ، وَسَبْعَةَ عَوَالِمَ ، مِنَ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الْمُسَمَّاةِ بِالْمَوَالِيدِ الثَّلَاثَةِ ، مَعَ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالنَّارِ وَالتُّرَابِ ، الْمُسَمَّاةِ بِالْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ ؛ وَسَبْعَةَ عَوَالِمَ مِنْ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ السَّبْعِ ، الثَّابِتَةِ بِشَهَادَةِ كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ ، وَأَصْحَابِ الشُّهُودِ ، الَّتِي هِيَ عَوَالِمُ وَمَسَاكِنُ لِلْجِنِّ وَالْعَفَارِيتِ ، وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَذَوِي الشُّعُورِ . وَلِلْإِشَارَةِ إِلٰى وُجُودِ سَبْعِ طَبَقَاتٍ[1] : أَيْ سَبْعِ كُرَاتٍ أَرْضِيَّةٍ أُخْرٰى ، تُشْبِهُ كُرَةَ أَرْضِنَا ؛ وَهِيَ مَقَرٌّ وَمَسْكَنٌ لِذَوِي الْحَيَاةِ أَيْضاً ، فُهِمَتْ كُرَةُ الْأَرْضِ ، سَبْعَ طَبَقَاتٍ ، مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَإِذاً يَتَحَقَّقُ وُجُودُ سَبْعِ طَبَقَاتٍ مِنَ الْأَرْضِ ، بِسَبْعَةِ أَنْوَاعٍ ، وَعَلٰى سَبْعَةِ وُجُوهٍ . وَالْمَعْنَى الْأَخِيرُ الثَّامِنُ ، أَهَمُّ بِالنَّظَرِ إِلٰى جِهَةٍ أُخْرٰى ؛ فَلَيْسَ دَاخِلاً فِي السَّبْعَةِ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَكِيمُ الْمُطْلَقُ ، لَا يُسْرِفُ ؛ وَلَا يَخْلُقُ أَشْيَاءً عَبَثاً ؛ وَكَانَ وُجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ ، لِأَجْلِ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَتَجِدُ الْكَمَالَ ، بِذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَتُعْمَرُ بِهِمْ ؛ وَتَنْجُو مِنَ الْعَبَثِ ، بِهِمْ ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الْحَكِيمُ الْمُطْلَقُ ، وَالْقَدِيرُ الْجَلِيلُ ، يَعْمُرُ عُنْصُرَ الْهَوَاءِ ، وَعَالَمَ الْمَاءِ ، وَطَبَقَةَ التُّرَابِ ، بِمَا لَا حَدَّ لَهُ ، مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَكَانَ الْمَاءُ

(١) وَلَقَدْ حَسُنَ جِدّاً ، تَوَافُقُ كَلِمَةِ «سَبْعٍ» ، سَبْعَ مَرَّاتٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

وَالْهَوَاءُ لَا يَمْنَعَانِ جَوَلَانَ الْحَيَوَانَاتِ ؛ كَمَا لَا يَمْنَعُ مِثْلُ التُّرَابِ وَالْحَجَرِ ، مِنَ الْمَوَادِّ الْكَثِيفَةِ ، سَيَرَانَ مَا يُشَابِهُ الْكَهْرَبَاءَ وَ «الشُّعَاعَ النَّافِذَ» مِنَ الْمَوَادِّ ؛ فَإِذاً لَا يَتْرُكُ ذٰلِكَ الْحَكِيمُ ذُو الْكَمَالِ ، وَالصَّانِعُ بِلَا زَوَالٍ ، الطَّبَقَاتِ الْكُلِّيَّةَ السَّبْعَ ، مِنْ كُرَةِ أَرْضِنَا ، الْمُتَّصِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، مِنْ مَرْكَزِهَا ، إِلٰى هٰذَا الْقِشْرِ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ مَسْكَنُنَا وَمَرْكَزُنَا ، وَلَا سَاحَاتِهَا وَعَوَالِمَهَا وَمَغَارَاتِهَا الْوَاسِعَةَ ، فَارِغَةً وَخَالِيَةً قَطْعاً ؛ وَإِنَّهُ عَمَرَهَا وَخَلَقَ مَخْلُوقَاتٍ ذَوَاتِ شُعُورٍ ، مُنَاسِبَةً بِعِمَارَةِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ ، وَمُوَافِقَةً لَهَا ؛ وَأَسْكَنَهَا فِيهَا قَطْعاً ؛ **فَإِذَا لَزِمَ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتُ ذَوَاتُ الشُّعُورِ ، مِنْ أَجْنَاسِ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَنْوَاعِ الرُّوحَانِيَّاتِ ، تَكُونُ أَشَدُّ الطَّبَقَاتِ كَثَافَةً وَصَلَابَةً ، بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ، كَالْبَحْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَسْمَاكِ ، وَكَالْهَوَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الطُّيُورِ ؛ حَتّٰى إِنَّ النَّارَ الْهَائِلَةَ فِي مَرْكَزِ الْأَرْضِ ، تَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ نِسْبَتُهَا لِتِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الشُّعُورِ ، كَنِسْبَةِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ إِلَيْنَا ؛ وَإِنَّ أُولَائِكَ الرُّوحَانِيِّينَ ذَوِي الشُّعُورِ ، لِكَوْنِهِمْ مِنَ النُّورِ ، تُصْبِحُ النَّارُ لَهُمْ ، كَالنُّورِ . .**

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهُ ذُكِرَ فِي «**الْمَكْتُوبِ الثَّامِنَ عَشَرَ**» ، تَمْثِيلٌ فِي بَيَانِ التَّفْصِيلَاتِ الَّتِي بَيَّنَهَا أَهْلُ الْكَشْفِ ، خَارِجَةً عَنْ طَوْرِ الْعَقْلِ ، فِي حَقِّ عَجَائِبِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ ؛ وَخُلَاصَتُهُ : أَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، نَوَاةٌ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وَكَشَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ، فِي عَالَمِ الْمِثَالِ وَالْبَرْزَخِ ، تُكَاتِفُ السَّمَاوَاتِ فِي الْعَظَمَةِ . وَإِنَّ مُشَاهَدَةَ أَهْلِ الْكَشْفِ ، لِلطَّبَقَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِالْعَفَارِيتِ ، فِي كُرَةِ الْأَرْضِ ، عَلٰى مَسَافَةِ أَلْفِ سَنَةٍ ، لَيْسَتْ فِي نَوَاةِ كُرَةِ الْأَرْضِ الْعَائِدَةِ إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ بَلْ هِيَ تَظَاهُرُ فُرُوعِهَا وَطَبَقَاتِهَا ، فِي عَالَمِ الْمِثَالِ . فَإِذَا كَانَ لِطَبَقَةٍ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ، لَا أَهَمِّيَّةَ لَهَا ظَاهِراً ، تَظَاهُرَاتٌ عَظِيمَةٌ كَذٰلِكَ ، فِي عَوَالِمَ أُخْرٰى ؛ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ لَهَا سَبْعَ طَبَقَاتٍ ، إِزَاءَ طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ . وَتُشِيرُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ ، إِلَى النِّقَاطِ الْمَذْكُورَةِ ، بِإِظْهَارِ هٰذِهِ الْأَرْضِ الصَّغِيرَةِ ، مُقَابِلَةً لِطَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، بِوَجْهٍ مُعْجِزٍ ، تَذْكِيراً لِتِلْكَ النِّقَاطِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْمُهِمَّةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ آيَاتٍ عَدِيدَةً ، مِثْلَ آيَةِ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، وَآيَةِ ﴿ثُمَّ اسْتَوٰى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوّٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ، تُبَيِّنُ أَنَّ السَّمَاءَ سَبْعُ سَمَاوَاتٍ . وَيُنَاسِبُ أَنْ نَكْتُبَ هُنَا ، خُلَاصَةً فَقَطْ ، مِنْ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي بَيَّنَّاهَا مُجْمَلَةً غَايَةَ الْإِجْمَالِ ، بِضَرُورَةِ الِاخْتِصَارِ ، فِي تَفْسِيرِ «إِشَارَاتِ الْإِعْجَازِ» ، عَلٰى جَبْهَةِ الْقِتَالِ ، فِي السَّنَةِ الْأُولٰى ، مِنَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولٰى ؛ وَهِيَ : أَنَّ الْحِكْمَةَ الْقَدِيمَةَ ، تَصَوَّرَتِ السَّمَاوَاتِ ، تِسْعَ سَمَاوَاتٍ ؛ فَقَبِلَتْ مَا يُسَمّٰى فِي لِسَانِ الشَّرْعِ ، بِالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ ، مَعَ السَّمَاوَاتِ ، بِصُورَةٍ عَجِيبَةٍ . وَإِنَّ الْبَيَانَاتِ الْمُشْرِقَةَ ، لِدُهَاةِ حُكَمَاءِ تِلْكَ الْحِكْمَةِ الْعَتِيقَةِ ، أَخَذَتْ نَوْعَ الْبَشَرِ ، تَحْتَ تَحَكُّمِهِمْ ، مُدَّةَ أَعْصَارٍ كَثِيرَةٍ ؛ حَتّٰى اضْطُرَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ ، إِلٰى تَوْفِيقِ ظَوَاهِرِ الْآيَاتِ ، عَلٰى مَذْهَبِهِمْ ؛ وَقَدْ سُدِلَ بِذٰلِكَ الْوَجْهِ ، نَوْعُ غِطَاءٍ ، أَمَامَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . . وَأَمَّا الْفَلْسَفَةُ الْجَدِيدَةُ الْمُسَمَّاةُ بِالْحِكْمَةِ الْجَدِيدَةِ ، فَقَدْ فَرَّطَتْ إِزَاءَ إِفْرَاطِ الْفَلْسَفَةِ الْقَدِيمَةِ ، فِي حَقِّ السَّمَاوَاتِ ، بِأَنَّهَا غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلْمُرُورِ وَالْعُبُورِ ، وَلِلْخَرْقِ وَالِالْتِيَامِ ؛ فَكَأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ وُجُودَ السَّمَاوَاتِ ؛ فَأَفْرَطَ الْأَوَّلُونَ ؛ وَفَرَّطَ الْآخِرُونَ ؛ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُبَيِّنُوا الْحَقِيقَةَ بِتَمَامِهَا . . وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الْقُدْسِيَّةُ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فَقَدْ تَرَكَتْ ذٰلِكَ الْإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ ، مُخْتَارَةً الْحَدَّ الْوَسَطَ ، فَتَقُولُ : إِنَّ الصَّانِعَ الْجَلِيلَ ، خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ؛ وَإِنَّ النُّجُومَ السَّيَّارَةَ ، تُسَبِّحُ وَتَسْبَحُ فِي السَّمَاءِ ، كَالْأَسْمَاكِ . وَقِيلَ فِي الْحَدِيثِ : «إِنَّ السَّمَاءَ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ السَّمَاءَ بَحْرٌ اسْتَقَرَّتْ أَمْوَاجُهُ . فَنُثْبِتُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ الْقُرْآنِيَّةَ ، بِسَبْعِ قَوَاعِدَ ، وَبِسَبْعَةِ وُجُوهٍ مِنَ الْمَعْنٰى ، عَلٰى وَجْهٍ مُخْتَصَرٍ . .

اَلْقَاعِدَةُ الْأُولٰى : أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فَنّاً وَحِكْمَةً : أَنَّ فَضَاءَ الْعَالَمِ ، هٰذِهِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، لَيْسَتْ فَرَاغاً بِدُونِ نِهَايَةٍ ؛ بَلْ هِيَ مُمْتَلِئَةٌ بِمَادَّةٍ يُطْلِقُونَ عَلَيْهَا «الْأَثِيرَ» . .

اَلْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فَنّاً وَعَقْلاً ، بَلْ مُشَاهَدَةً : أَنَّ رَابِطَةَ قَوَانِينِ الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ ، كَالْجَاذِبَةِ وَالدَّافِعَةِ ، وَنَاشِرَةَ الْقُوَى الْمَوْجُودَةِ فِي مَوَادَّ مِثْلِ الضِّيَاءِ وَالْحَرَارَةِ

وَالْكَهْرَبَاءِ ، وَنَاقِلَتَهَا ، هِيَ مَادَّةٌ مَوْجُودَةٌ مَالِئَةٌ لِتِلْكَ الْفَضَاءِ . .

اَلثَّالِثَةُ : أَنَّهُ ثَبَتَ تَجْرِبَةً : أَنَّ الْأَثِيرَ ، مَعَ بَقَائِهِ أَثِيراً ، يُوجَدُ عَلٰى أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَفِي صُوَرٍ مُتَغَايِرَةٍ ، كَسَائِرِ الْمَوَادِّ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ ، مِنْ أَشْيَاءٍ هَوَائِيَّةٍ وَمَائِعَةٍ وَجَامِدَةٍ ، كَالْبُخَارِ وَالْمَاءِ وَالْجَمَدِ ، تَتَكَوَّنُ مِنْ نَفْسِ الْمَادَّةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ تَكَوُّنَ سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ ، مِنَ الطَّبَقَاتِ ، مِنَ الْمَادَّةِ الْأَثِيرِيَّةِ ، لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ عَقْلِيٌّ ؛ كَمَا لَا يَكُونُ مَدَاراً لِلِاعْتِرَاضِ . .

اَلرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَوْ تُدُبِّرَ فِي الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ ؛ لَشُوهِدَ أَنَّهُ تُوجَدُ الْمُخَالَفَةُ بَيْنَ طَبَقَاتِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّةِ . فَمَثَلاً : إِنَّ الطَّبَقَةَ الْمَوْجُودَةَ فِي الدَّائِرَةِ الْعَظِيمَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِ «نَهْرِ السَّمَاءِ وَالْمَجَرَّةِ» ، وَالْمُعَبَّرِ عَنْهَا «بِدَرْبِ التَّبَّانَةِ» الَّتِي هِيَ عَلٰى شَكْلِ سَحَابَةٍ ، لَا تُشْبِهُ قَطْعاً ، بِطَبَقَةِ الْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ ؛ كَأَنَّ كَوَاكِبَ طَبَقَةِ الثَّوَابِتِ ، أَدْرَكَتْ وَنَضَجَتْ كَثَمَرَاتِ الصَّيْفِ ؛ وَأَنَّ النُّجُومَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا الْمَشْهُودَةَ عَلٰى شَكْلِ السَّحَابِ ، فِي تِلْكَ الْمَجَرَّةِ ؛ كَأَنَّهَا طَلَعَتْ مِنْ جَدِيدٍ ؛ وَتَشْرَعُ بِالنُّضُوجِ ؛ وَأَنَّ طَبَقَةَ الثَّوَابِتِ تُرٰى مُخَالَفَتُهَا لِطَبَقَةِ الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ ، بِحَدْسٍ صَادِقٍ . وَهٰكَذَا سَبْعُ مَنْظُومَاتٍ ، وَسَبْعُ طَبَقَاتٍ ، يُدْرَكُ بِالْحَدْسِ وَالْحِسِّ : أَنَّهَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضاً . .

اَلْخَامِسَةُ : أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ حَدْساً وَحِسّاً ، اسْتِقْرَاءً وَتَجْرِبَةً : أَنَّ مَادَّةً مَّا ، إِذَا وَقَعَ فِيهَا تَنْظِيمٌ وَتَشْكِيلٌ ؛ وَصُنِعَتْ مِنْ تِلْكَ الْمَادَّةِ ، مَصْنُوعَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ ؛ تَتَكَوَّنُ عَلٰى طَبَقَاتٍ وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ قَطْعاً . فَمَثَلاً : إِذَا بَدَأَ التَّشْكِيلُ مِنْ مَعْدِنِ الْأَلْمَاسِ ؛ يَتَوَلَّدُ مِنْ تِلْكَ الْمَادَّةِ ، أَنْوَاعُ الرَّمَادِ وَالْفَحْمِ وَالْمَاسِ ؛ وَإِذَا شَرَعَتِ النَّارُ ، بِالتَّشَكُّلِ مَثَلاً ؛ تَنْقَسِمُ إِلٰى طَبَقَاتِ اللَّهَبِ وَالدُّخَانِ وَالْجَمْرَةِ ؛ وَإِذَا مُزِجَ مُوَلِّدُ الْمَاءِ ، بِمُوَلِّدِ الْحُمُوضَةِ مَثَلاً ؛ يَتَشَكَّلُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَزْجِ ، طَبَقَاتٌ مِثْلُ الْمَاءِ وَالْجَمَدِ وَالْبُخَارِ . فَإِذاً يُفْهَمُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ التَّشْكِيلُ ، فِي مَادَّةٍ وَاحِدَةٍ ؛ تَنْقَسِمُ إِلٰى طَبَقَاتٍ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ الْفَاطِرَةَ ، لَمَّا شَرَعَتْ بِالتَّشْكِيلِ ، فِي مَادَّةِ الْأَثِيرِ ؛ خَلَقَتْ مِنْهَا سَبْعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ ، عَلٰى طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى ﴿فَسَوّٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ﴾ . .

اَلسَّادِسَةُ : أَنَّ هٰذِهِ الْأَمَارَاتِ الْمَذْكُورَةَ ، تَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ ، عَلٰى وُجُودِ السَّمَاوَاتِ ، وَعَلٰى تَعَدُّدِهَا . فَإِذَا كَانَتِ السَّمَاوَاتُ ، مُتَعَدِّدَةً قَطْعاً ؛ وَقَالَ **«الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ»** ، بِلِسَانِ **الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ :** إِنَّهَا سَبْعٌ ؛ فَهِيَ سَبْعٌ قَطْعاً . .

اَلسَّابِعَةُ : أَنَّ أَمْثَالَ **«السَّبْعِ وَالسَّبْعِينَ وَالسَّبْعِمِئَةِ»** مِنَ التَّعَابِيرِ ، تُفِيدُ الْكَثْرَةَ ، فِي **الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ** ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ **الطَّبَقَاتُ السَّبْعُ الْكُلِّيَّةُ** ، حَاوِيَةً عَلٰى طَبَقَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْقَدِيرَ ذَا الْجَلَالِ ، خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، مِنْ **مَادَّةِ الْأَثِيرِ** ؛ فَسَوَّاهُنَّ وَنَظَّمَهُنَّ بِنِظَامٍ عَجِيبٍ دَقِيقٍ ، فِي غَايَةِ الدِّقَّةِ ؛ وَزَرَعَ فِيهِنَّ النُّجُومَ . فَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، خُطْبَةً أَزَلِيَّةً تَتَكَلَّمُ مَعَ كُلِّ طَبَقَاتِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ جَمِيعاً ؛ تَأْخُذُ كُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، حِصَّتَهَا مِنْ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَتَكُونُ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ حَسَبَ التَّضَمُّنِ وَالْإِشَارَةِ ، مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ مُخْتَلِفَةٌ ؛ بِحَيْثُ تُشْبِعُ فَهْمَ كُلِّ طَبَقَةٍ . **نَعَمْ :** إِنَّ وُسْعَةَ الْخِطَابَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، فِي مَعَانِيهَا وَإِشَارَاتِهَا ؛ وَإِنَّ مُرَاعَاتَهَا وَمُمَاشَاتَهَا لِدَرَجَاتِ الْأَفْهَامِ ، مِنْ أَدْنَى الْعَوَامِّ ، إِلٰى أَخَصِّ الْخَوَاصِّ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ لِكُلِّ آيَةٍ وَجْهاً يَنْظُرُ إِلٰى كُلِّ طَبَقَةٍ . .

فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، فَهِمَتْ سَبْعُ طَبَقَاتٍ بَشَرِيَّةٍ ، سَبْعَ طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنَ الْمَعَانِي ، فِي الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ لِسَبْعِ سَمَاوَاتٍ . **وَذٰلِكَ : أَنَّ طَبَقَةً إِنْسَانِيَّةً قَاصِرَةَ النَّظَرِ ، وَضَيِّقَةَ الْفِكْرِ ، تَفْهَمُ مِنْ آيَةِ ﴿فَسَوّٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ﴾ ، طَبَقَاتِ الْهَوَاءِ النَّسِيمِ ؛ وَأَنَّ طَبَقَةً إِنْسَانِيَّةً أُخْرٰى ، سَفِهَتْ بِعِلْمِ الْفَلَكِ ، تَفْهَمُ مِنْهَا ، النُّجُومَ الْمَشْهُورَةَ عَلٰى أَلْسِنَةِ الْأَنَامِ ، بِالسَّيَّارَاتِ السَّبْعِ ؛ وَتَفْهَمُ مَدَارَهَا ؛ وَأَنَّ بَعْضاً آخَرَ مِنَ النَّاسِ ، يَفْهَمُ سَبْعَ كُرَاتٍ سَمَاوِيَّةٍ أُخْرٰى ، تُشْبِهُ كُرَتَنَا ؛ وَصَارَتْ مَقَرّاً لِذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَأَنَّ طَائِفَةً بَشَرِيَّةً أُخْرٰى ، تَفْهَمُ انْقِسَامَ الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ ، إِلٰى سَبْعِ طَبَقَاتٍ ؛ وَتَفْهَمُ سَبْعَ مَنْظُومَاتٍ شَمْسِيَّةٍ ، مَعَ مَنْظُومَتِنَا الشَّمْسِيَّةِ ؛ وَتَفْهَمُ طَائِفَةٌ أُخْرٰى ، انْقِسَامَ تَشَكُّلِ الْمَادَّةِ الْأَثِيرِيَّةِ ، إِلٰى سَبْعِ طَبَقَاتٍ ؛ وَأَنَّ طَائِفَةً أُخْرٰى وَاسِعَةَ الْفِكْرِ ، تَعُدُّ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ الْمَشْهُودَةِ الْمُذَهَّبَةِ**

بِالنُّجُومِ ، سَمَاءً وَاحِدَةً ؛ وَتَقَبَّلُهَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ؛ وَتَفْهَمُ وُجُودَ سِتِّ طَبَقَاتٍ أُخْرَى غَيْرِهَا ؛ وَأَنَّ الطَّبَقَةَ السَّابِعَةَ ، وَالطَّائِفَةَ السَّامِيَةَ ، مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، لَا تَرَى السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ ، مَحْصُورَةً فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ بَلْ تَفْهَمُ وُجُودَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، هِيَ ظُرُوفٌ مُحِيطَةٌ ، وَسُقُوفٌ مُحْتَوِيَةٌ ، عَلَى الْعَوَالِمِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَالْغَيْبِيَّةِ ، وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالْمِثَالِيَّةِ . وَهٰكَذَا تُوجَدُ مَعَانٍ جُزْئِيَّةٌ كَثِيرَةٌ أُخْرَى ، لِهٰذِهِ الْآيَةِ ، كَالطَّبَقَاتِ السَّبْعِ مِنَ الْمَعَانِي ، لِلطَّبَقَاتِ السَّبْعِ الْمَذْكُورَةِ ، فِي كُلِّيَّةِ هٰذِهِ الْآيَةِ ؛ فَيَأْخُذُ كُلٌّ ، حِصَّتَهُ ، عَلَى قَدَرِ فَهْمِهِ ؛ وَيَجِدُ كُلُّ أَحَدٍ ، رِزْقَهُ ، مِنْ تِلْكَ الْمَائِدَةِ السَّمَاوِيَّةِ . .

فَإِذَا كَانَتْ لِتِلْكَ الْآيَةِ ، أَفْرَادٌ صَادِقَةٌ كَثِيرَةٌ هٰكَذَا ، مِمَّا صَدَقَتْ تِلْكَ الْآيَةُ ، عَلَيْهَا ؛ تَكُونُ مُهَاجَمَةُ الْفَلَاسِفَةِ السُّفَهَاءِ ، فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، وَهُجُومُ فَلَكِيَّاتِهِمُ السَّقِيمَةِ ، هٰكَذَا ، عَلَى الْآيَةِ ، بِوَسِيلَةِ إِنْكَارِ السَّمَاوَاتِ ، شَبِيهاً بِرَمْيِ الصِّبْيَانِ الْحَمَاقَى الْأَشْقِيَاءِ ، الْحِجَارَةَ ، إِلَى الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاوَاتِ ، بِقَصْدِ إِسْقَاطِ كَوْكَبَةٍ مِنْهَا ؛ فَإِنَّهُ إِذَا صَدَقَ فَرْدٌ وَاحِدٌ ، مِمَّا صَدَقَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ ، مِنْ مَعْنَاهَا الْكُلِّيِّ ؛ يُصْبِحُ ذٰلِكَ الْمَعْنَى ، صَادِقاً وَحَقّاً ؛ حَتّٰى إِنَّ فَرْداً غَيْرَ مَوْجُودٍ فِي الْوَاقِعِ ؛ وَلٰكِنَّهُ مُتَدَاوَلٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ ، يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ دَاخِلاً فِي ذٰلِكَ الْكُلِّيِّ ، لِمُرَاعَاةِ أَفْكَارِ الْعَامَّةِ ؛ مَعَ أَنَّنَا رَأَيْنَا كَثِيراً مِنْ أَفْرَادِهِ الصَّادِقَةِ الْحَقِيقِيَّةِ . . فَالْآنَ انْظُرْ إِلَى هٰذَا الْجُغْرَافِيَا الْبَاطِلِ الْمُتَعَسِّفِ ، وَإِلَى هٰذِهِ الْفَلَكِيَّاتِ الْمَخْمُورَةِ السَّفِيهَةِ السَّكْرَانَةِ ؛ كَيْفَ أَخْطَأَ هٰذَانِ الْفَنَّانِ ؛ فَأَغْمَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَنِ الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ ، الْحَقِّ الْحَقِيقِيِّ الصَّادِقِ ؛ وَلَمْ يَرَوْا أَفْرَاداً كَثِيرَةً صَادِقَةً ، مِمَّا صَدَقَ هُوَ عَلَيْهَا ؛ فَتَوَهَّمُوا مَعْنَى الْآيَةِ ، فَرْداً عَجِيباً خَيَالِيّاً ؛ فَرَمَوْا بِالْأَحْجَارِ ، إِلَى الْآيَةِ ؛ وَكَسَرُوا رُؤُوسَهُمْ ؛ وَطَيَّرُوا إِيمَانَهُمْ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْأَفْكَارَ الْمَادِّيَّةَ الْمُلْحِدَةَ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ ، لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَطَّلِعَ إِلَى تِلْكَ الطَّبَقَاتِ السَّبْعِ ، مِنْ سَمَاءِ الْقُرْآنِ النَّازِلِ عَلَى الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، وَالْوُجُوهِ السَّبْعَةِ ، وَالْمُعْجِزَاتِ السَّبْعِ ، وَالْحَقَائِقِ السَّبْعِ ، وَالْأَرْكَانِ السَّبْعَةِ ؛ فَلَا تَعْلَمُ مَا فِي نُجُومِ الْآيَاتِ ، وَمَا لَيْسَ فِيهَا ؛ فَتُخْبِرُ أَخْبَاراً خَاطِئَةً كَاذِبَةً ؛ وَتَنْزِلُ عَلَيْهَا

مِنْ نُجومِ تِلْكَ الْآيَاتِ ، شُهُبٌ كَالتَّحْقِيقَاتِ الْمَذْكُورَةِ ؛ فَتُحْرِقُهَا . . نَعَمْ : لَا يُطْلَعُ إِلَىٰ تِلْكَ السَّمَاوَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِفَلْسَفَةِ الْفَلاسِفَةِ الشَّبِيهَةِ الْأَفْكَارِ بِالْجِنِّ ؛ بَلْ إِنَّمَا يُرْقَىٰ إِلَىٰ نُجُومِ الْآيَاتِ ، بِجَنَاحَيِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ، وَبِمِعْرَاجِ الْحِكْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ شَمْسِ سَمَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَقَمَرِ فَلَكِ النُّبُوَّةِ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ ، نُجُومِ الْهُدَىٰ ، لِمَنِ اهْتَدَىٰ . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ! زَيِّنْ قُلُوبَ كَاتِبِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَرُفَقَائِهِ ، بِنُجُومِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ؛ آمِينَ . .

اَللَّمْعَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ

مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلاثِينَ:

هِيَ حِكْمَةُ الاسْتِعَاذَةِ، فِي بَيَانِ سِرِّ (أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)..

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۝﴾..

سَيُكْتَبُ سِرُّ الاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، بِثَلاثَ عَشْرَةَ إِشَارَةً؛ وَقَدْ بُيِّنَ بَعْضُ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ، بِصُورَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ؛ وَأُثْبِتَتْ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ، كَالْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ؛ فَلِذٰلِكَ يُبْحَثُ عَنْهَا إِجْمَالاً فَقَطْ..

﴿ اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى: ﴾ سُؤَالٌ: وَهُوَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ لا دَخْلَ لَهُمْ فِي الْكَائِنَاتِ، فِي جِهَةِ الْإِيجَادِ؛ وَأَنَّ اللهَ تَعَالٰى، مُوَالٍ لِأَهْلِ الْحَقِّ، بِرَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ؛ وَأَنَّ مَحَاسِنَ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ، وَلَطَائِفَهُمَا الْجَذَّابَةَ، مُؤَيِّدَةٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ، وَمُشَوِّقَةٌ لَهُمْ؛ وَأَنَّ الْقَبَائِحَ الْمُسْتَكْرَهَةَ لِلضَّلالَةِ، تُنَفِّرُ أَهْلَ الضَّلالَةِ عَنْهَا؛ وَمَعَ ذٰلِكَ؛ فَمَا هُوَ حِكْمَةُ غَلَبَةِ الشَّيْطَانِ، مَرَّاتٍ كَثِيرَةً؟ وَمَا هُوَ سِرُّ الْتِجَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ، إِلَى اللهِ تَعَالٰى، مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ، كُلَّ وَقْتٍ؟.

اَلْجَوَابُ عَلَيْهِ: أَنَّ حِكْمَتَهَا وَسِرَّهُ، هُوَ: أَنَّ الضَّلالَةَ وَالشَّرَّ، سَلْبِيَّانِ وَعَدَمِيَّانِ، وَتَخْرِيبٌ وَإِفْسَادٌ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ؛ وَأَنَّ الْهِدَايَةَ وَالْخَيْرَ، إِيجَابِيَّانِ وَوُجُودِيَّانِ، وَتَعْمِيرٌ

وَإِعْمَارٌ ، عَلَى الْأَكْثَرِ الْمُطْلَقِ . .

وَمَعْلُومٌ لِكُلِّ أَحَدٍ : أَنَّ بِنَايَةً بَنَاهَا عِشْرُونَ شَخْصاً ، فِي عِشْرِينَ يَوْماً ، يُدَمِّرُهَا شَخْصٌ وَاحِدٌ ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . نَعَمْ : إِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ ، الَّتِي يَدُومُ وُجُودُهَا ، بِوُجُودِ كَافَّةِ الْأَعْضَاءِ الْأَصْلِيَّةِ ، وَالشَّرَائِطِ الْحَيَاتِيَّةِ ، مَخْصُوصَةٌ بِقُدْرَةِ الْخَالِقِ ذِي الْجَلَالِ ؛ مَعَ أَنَّ ظَالِماً مَّا ، يَجْعَلُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ ، مَظْهَراً لِلْمَوْتِ الَّذِي هُوَ عَدَمِيٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَيَاةِ ، بِقَطْعِ عُضْوٍ مِنْهُ ؛ فَلِذٰلِكَ أَصْبَحَ قَوْلُهُمْ : «اَلتَّخْرِيبُ أَسْهَلُ» ، فِي حُكْمِ ضُرُوبِ الْأَمْثَالِ . فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ ، يَغْلِبُ أَهْلُ الضَّلَالَةِ ، بِقُوَّةٍ ضَعِيفَةٍ فِي الْحَقِيقَةِ ، عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ الْأَقْوِيَاءِ ، أَحْيَاناً ؛ وَلٰكِنْ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، قَلْعَةٌ مُحْكَمَةٌ ، إِذَا تَحَصَّنُوا فِيهَا ؛ لَا يَسْتَطِيعُ أُولَائِكَ الْأَعْدَاءُ الْأَشِدَّاءُ ، أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْهُمْ ؛ وَيَعْمَلُوا مَا يَضُرُّهُمْ . وَإِنْ أَضَرُّوا بِهِمْ مُؤَقَّتاً ؛ يُتَلَافَى ذٰلِكَ الضَّرَرُ ، بِنَفْعٍ دَائِمٍ ، وَثَوَابٍ أَبَدِيٍّ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . . وَإِنَّ تِلْكَ الْقَلْعَةَ الْمَتِينَةَ ، وَذٰلِكَ الْحِصْنَ الْحَصِينَ ، هِيَ الشَّرِيعَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، وَالسُّنَّةُ الْأَحْمَدِيَّةُ ، (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ يَرِدُ سُؤَالٌ : وَهُوَ أَنَّ خَلْقَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ هُمْ شَرٌّ مَحْضٌ ؛ وَتَسْلِيطَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَوُقُوعَ كَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ فِي الْكُفْرِ ؛ وَدُخُولَهُمْ فِي جَهَنَّمَ ، بِسَبَبِ الشَّيَاطِينِ ؛ تُرَى قَبِيحَةً وَفَرِيعَةً لِلْغَايَةِ ؛ فَكَيْفَ تَسْمَحُ رَحْمَةُ الْجَمِيلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، بِهٰذِهِ الْمُصِيبَةِ الْهَائِلَةِ ؛ وَكَيْفَ يُجِيزُ جَمَالُ الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ ، وَالرَّحْمٰنِ بِالْحَقِّ ، حُصُولَ هٰذَا الْقُبْحِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ؟ . وَهٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ يَسْأَلُهَا الْكَثِيرُونَ ؛ وَتَرِدُ بِبَالِ الْكَثِيرِينَ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ فِي وُجُودِ الشَّيْطَانِ ، مَقَاصِدَ خَيْرِيَّةً كُلِّيَّةً ، وَكَمَالَاتٍ إِنْسَانِيَّةً كَثِيرَةً ، مَعَ شُرُورٍ جُزْئِيَّةٍ . نَعَمْ : مَهْمَا وُجِدَتْ مَرَاتِبُ ، مِنْ مَرْتَبَةِ نَوَاةٍ ، إِلٰى شَجَرَةٍ جَسِيمَةٍ ؛ تُوجَدُ مَرَاتِبُ أَزْيَدُ مِنْهَا ، فِي الْاِسْتِعْدَادِ الْمَوْجُودِ فِي مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ ؛ بَلْ إِنَّ لِذٰلِكَ الْاِسْتِعْدَادِ ، دَرَجَاتٍ مِنَ الذَّرَّةِ ، إِلَى الشَّمْسِ . فَانْكِشَافُ هٰذِهِ الْاِسْتِعْدَادَاتِ ، يَقْتَضِي حَرَكَةً ؛ وَيَطْلُبُ مُعَامَلَةً قَطْعاً ؛ وَإِنَّ حَرَكَةَ نَابِضِ التَّرَقِّي ، فِي تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ ، تَكُونُ بِالْمُجَاهَدَةِ ؛ وَإِنَّ الْمُجَاهَدَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِوُجُودِ الشَّيَاطِينِ ، وَالْأَشْيَاءِ الضَّارَّةِ . وَإِلَّا ؛ لَبَقِيَ مَقَامُ الْإِنْسَانِ ثَابِتاً ،

كَالْمَلاَئِكَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ لَمْ تَكُنْ تُوجَدُ فِي نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، أُلُوفُ أَصْنَافٍ فِي حُكْمِ الْأَنْوَاعِ ؛ وَذٰلِكَ تَرْكُ أَلْفِ خَيْرٍ ؛ كَيْلَا يَأْتِيَ شَرٌّ جُزْئِيٌّ ؛ وَهُوَ مُنَافٍ لِلْحِكْمَةِ وَالْعَدَالَةِ . وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ؛ وَإِنْ كَانُوا يَسْلُكُونَ الضَّلَالَةَ ، بِسَبَبِ الشَّيْطَانِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَهَمِّيَّةَ وَالْقِيمَةَ ، تَنْظُرُ بِالْأَكْثَرِيَّةِ ، إِلَى الْكَيْفِيَّةِ ؛ وَقَلَّمَا تَنْظُرُ إِلَى الْكَمِّيَّةِ ؛ أَوْ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَكَمَا أَنَّ شَخْصاً كَانَ لَهُ أَلْفٌ وَعَشْرُ نَوًى ، إِذَا جَعَلَ تِلْكَ النَّوى ، مَظْهَراً لِمُعَامَلَةٍ كِمْيَوِيَّةٍ ، تَحْتَ التُّرَابِ ؛ فَفَسَدَتْ أَلْفٌ مِنْهَا ؛ وَأَصْبَحَتْ عَشْرُ نَوًى مِنْهَا أَشْجَاراً ؛ فَإِنَّ النَّفْعَ الَّذِي تُنْتِجُهُ تِلْكَ النَّوَى الْعَشْرُ الَّتِي ظَلَّتْ أَشْجَاراً ، يُنَزِّلُ الضَّرَرَ الَّذِي أَنْتَجَهُ النَّوَى الْأَلْفُ الَّتِي فَسَدَتْ ، إِلٰى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ النَّفْعَ وَالشَّرَفَ الْوَارِدَ عَلَى نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ عَشَرَةِ أَشْخَاصٍ كَامِلِينَ ؛ يُشَرِّفُونَ ذٰلِكَ النَّوْعَ ؛ وَيُنَوِّرُونَهُ كَالنُّجُومِ ؛ يُسْقِطُ الضَّرَرَ الَّذِي يُورِثُهُ أَهْلُ الضَّلَالَةِ ، السُّفَلَاءُ فِي دَرَجَةٍ تُعَدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَشَرَاتِ ، لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ ، بِوُقُوعِهِمْ فِي الْكُفْرِ ، إِلَى دَرَكَةِ الْعَدَمِ ؛ وَلَا يُرِيهِ لِلْبَصَرِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَسْمَحُ الرَّحْمَةُ وَالْحِكْمَةُ وَالْعَدَالَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، بِوُجُودِ الشَّيْطَانِ ؛ وَأَعْطَتِ الْمَجَالَ لِتَسَلُّطِهِمْ . .

فَيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ! إِنَّ دِرْعَكُمْ إِزَاءَ هٰؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ الْأَشِدَّاءِ ، هُوَ التَّقْوَى الْمَصْنُوعَةُ فِي مَصْنَعِ الْقُرْآنِ ؛ وَإِنَّ كَمِينَكُمْ ، هُوَ سُنَّةُ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» ؛ وَإِنَّ سِلَاحَكُمْ ، هُوَ الِالْتِجَاءُ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالْحِفْظِ الْإِلٰهِيِّ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ أَنَّ مَا فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، مِنْ شَكَايَاهُ الْعَظِيمَةِ ، وَتَحْشِيدَاتِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَتَهْدِيدَاتِهِ الشَّدِيدَةِ ، إِزَاءَ أَهْلِ الضَّلَالِ ، لَا تُنَاسِبُ بِحَسَبِ ظَاهِرِ الْعَقْلِ ، بَلَاغَتَهُ الْعَادِلَةَ الْمُنَاسِبَةَ ، وَاعْتِدَالَهُ وَاسْتِقَامَتَهُ فِي أُسْلُوبِهِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَحْشُدُ الْجُيُوشَ ، إِزَاءَ رَجُلٍ عَاجِزٍ ؛ وَيُهَدِّدُهُ لِحَرَكَةٍ جُزْئِيَّةٍ لَهُ ؛ كَأَنَّهُ فَعَلَ آلَافَ الْجِنَايَاتِ ؛ وَيُعْطِيهِ مَقَاماً كَشَرِيكٍ مُتَجَاوِزٍ ؛ وَيَشْكُو مِنْهُ ؛ مَعَ أَنَّهُ مُفْلِسٌ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ . فَمَا هُوَ سِرُّ هٰذَا الْحَالِ ؛ وَمَا هِيَ حِكْمَتُهُ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ سِرَّهُ وَحِكْمَتَهُ ، هُوَ : أَنَّ الشَّيَاطِينَ وَأَتْبَاعَهُمْ ، لِكَوْنِهِمْ يَسْلُكُونَ

الضَّلاَلَة ، يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا تَدْمِيرَاتٍ كَثِيرَةً ، بِحَرَكَةٍ صَغِيرَةٍ ؛ وَأَنَّهُمْ يُورِثُونَ أَضْرَاراً كَثِيرَةً ، بِفِعْلٍ قَلِيلٍ ، لِحُقُوقِ مَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةٍ . فَكَمَا أَنَّ رَجُلاً فِي سَفِينَةِ سُلْطَانٍ ، تِجَارِيَّةٍ عَظِيمَةٍ ، يُسَبِّبُ بِحَرَكَةٍ قَلِيلَةٍ ، بَلْ بِتَرْكِ وَظِيفَةٍ صَغِيرَةٍ ، مَحْقَ ثَمَرَاتِ سَعْيِ كُلِّ الْمُوَظَّفِينَ الَّذِينَ لَهُمْ صِلَةٌ بِتِلْكَ السَّفِينَةِ ، وَإِبْطَالَ نَتَائِجِ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَيَشْكُو صَاحِبُ تِلْكَ السَّفِينَةِ ، صَاحِبُهَا الْعَزِيزُ ، شَكَايَا عَظِيمَةً ، مِنْ ذٰلِكَ الْعَاصِي ، بِحِسَابِ جَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِتِلْكَ السَّفِينَةِ ؛ وَيُهَدِّدُهُ تَهْدِيداً رَهِيباً ؛ وَلاَ يَنْظُرُ إِلٰى حَرَكَتِهِ الْجُزْئِيَّةِ ، بَلْ إِلَى النَّتَائِجِ الْهَائِلَةِ لِتِلْكَ الْحَرَكَةِ ؛ وَيَجْزِيهِ جَزَاءً فَزِيعاً ، لاَ بِاسْمِ ذٰلِكَ الْمَالِكِ الْعَزِيزِ ، بَلْ بِاسْمِ حُقُوقِ رَعِيَّتِهِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ شَكْوٰى سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، الْعَظِيمَة ، مِنْ أَهْلِ الضَّلاَلَةِ الَّذِينَ هُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، الْمَوْجُودِينَ مَعَ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، فِي سَفِينَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَإِنَّ تَهْدِيدَاتِهِ الْهَائِلَةَ لَهُمْ ، وَتَحْشِيدَاتِهِ الْمُهِمَّةَ ، إِزَاءَ تَدْمِيرَاتِهِمْ ، لِاعْتِدَائِهِمْ عَلٰى حُقُوقِ مَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، وَلِتَسَبُّبِهِمْ لِإِبْطَالِ نَتَائِجِ الْوَظَائِفِ الْعَالِيَةِ ، مِنْ وَظَائِفِ الْمَوْجُودَاتِ ، بِعِصْيَانِهِمْ وَخَطِيئَاتِهِمُ الْجُزْئِيَّةِ ظَاهِراً ، هِيَ مَحْضُ حِكْمَةٍ ، فِي عَيْنِ الْبَلاَغَةِ ، وَمُنَاسِبَةٌ وَمُوَافِقَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَمُطَابِقَةٌ لِمُقْتَضَى الْحَالِ ، الَّذِي هُوَ تَعْرِيفُ الْبَلاَغَةِ وَأَسَاسُهَا ، وَمُنَزَّهَةٌ عَنِ الْمُبَالَغَةِ الَّتِي هِيَ إِسْرَافُ الْكَلاَمِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ لَمْ يَلْجَأْ إِلٰى حِصْنٍ مَتِينٍ ، يَفْشَلُ إِزَاءَ مِثْلِ هٰؤُلاَءِ الْأَعْدَاءِ الْأَشِدَّاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ تَدْمِيرَاتٍ كَثِيرَةً ، بِحَرَكَةٍ قَلِيلَةٍ . .

فَيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ! إِنَّ ذٰلِكَ الْحِصْنَ السَّمَاوِيَّ الْفُولاَذِيَّ ، هُوَ الْقُرْآنُ ؛ فَادْخُلْهُ وَانْجُ . .

﴿ الْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ أَهْلَ التَّحْقِيقِ ، وَأَصْحَابَ الْكَشْفِ ، اتَّفَقُوا عَلٰى «أَنَّ الْعَدَمَ ، شَرٌّ مَحْضٌ ؛ وَأَنَّ الْوُجُودَ ، خَيْرٌ مَحْضٌ» . نَعَمْ : إِنَّ الْخَيْرَ وَالْمَحَاسِنَ وَالْكَمَالاَتِ ، تَسْتَنِدُ إِلَى الْوُجُودِ ؛ وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ ، بِالْأَكْثَرِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَإِنَّ أَسَاسَهَا ثُبُوتِيٌّ وَوُجُودِيٌّ ؛ وَإِنْ كَانَتْ سَلْبِيَّةً وَعَدَمِيَّةً صُورَةً ؛ وَإِنَّ أَسَاسَ كُلِّ الْقَبَائِحِ وَأَصْلَهَا ، كَالضَّلاَلَةِ وَالشَّرِّ ، وَالْمَصَائِبِ وَالْمَعَاصِي وَالْبَلاَيَا ، عَدَمٌ وَنَفْيٌ ؛ وَإِنَّ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ

وَالْقُبْح ، يَنْشَأُ عَنِ الْعَدَمِ ؛ وَإِنَّ أَسَاسَهَا عَدَمٌ وَنَفْيٌ ؛ وَإِنْ كَانَتْ تُرى مُثْبَتَةً وَوُجُودِيَّةً ، فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ؛ وَأَيْضاً ثَبَتَ بِالْمُشَاهَدَةِ : أَنَّ شَيْئاً مِثْلَ الْبِنَايَةِ ، يَتَقَرَّرُ وُجُودُهُ ، بِوُجودِ جَمِيعِ أَجْزَائِهِ ؛ مَعَ أَنَّ انْهِدَامَهُ وَعَدَمَهُ وَخَرَابَهُ ، تَحْصُلُ بِعَدَمِ رُكْنٍ مِنْهُ ؛ وَكَذَا أَنَّ الْوُجود يَقْتَضِي عِلَّةً مَوْجُودَةً ؛ وَيَسْتَنِدُ إِلَى سَبَبٍ مُحَقَّقٍ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَأَمَّا الْعَدَمُ ، فَيَصِحُّ أَنْ يَسْتَنِدَ إِلَى أَشْيَاءٍ عَدَمِيَّةٍ ؛ وَيُصْبِحُ شَيْءٌ عَدَمِيٌّ ، عِلَّةً لِشَيْءٍ مَعْدُومٍ .

فَبِنَاءً عَلَى هَاتَيْنِ الْقَاعِدَتَيْنِ : أَنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ آثاراً رَهِيبَةً ، مِنَ التَّدْمِيرِ ، وَأَنْوَاعاً مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ، وَالشَّرِّ وَالْمَهَالِكِ ، فِي الْكَائِنَاتِ ، لَيْسَ لَهُمْ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ التَّدَخُّلِ فِي الْإِيجَادِ وَالْخَلْقِ ؛ كَمَا لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الِاشْتِرَاكِ فِي الْمُلْكِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَلَا يَفْعَلُونَ تِلْكَ الْأُمُورَ بِاقْتِدَارٍ وَقُوَّةٍ ؛ بَلْ لَا يُوجَدُ الِاقْتِدَارُ وَالْفِعْلُ ، فِي كَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ بَلْ هُوَ تَرْكٌ وَعَطَالَةٌ ؛ وَيَفْعَلُونَ الشُّرُورَ ، بِعَدَمِ فِعْلِ الْخَيْرِ : أَيْ تُوجَدُ الشُّرُورُ ، بِعَدَمِ فِعْلِهِ ؛ لِأَنَّ الْمَهَالِكَ وَالشَّرَّ ، مِنْ أَنْوَاعِ التَّدْمِيرِ ؛ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ عِلَّتُهَا ، اقْتِدَاراً مَوْجُوداً ، وَإِيجَاداً فَاعِلاً ؛ بَلْ تُوجَدُ تَخْرِيبَاتٌ عَظِيمَةٌ ، بِأَمْرٍ عَدَمِيٍّ ، وَبِفَسَادِ شَرْطٍ فَقَطْ ؛ فَلِأَنَّ هٰذَا السِّرَّ لَمْ يَنْكَشِفْ عِنْدَ الْمَجُوسِ ، اعْتَقَدُوا أَنَّ فِي الْكَائِنَاتِ ، خَالِقَ خَيْرٍ ، اسْمُهُ «يَزْدَانْ» ، وَخَالِقَ شَرٍّ آخَرَ يُسَمّى «أَهْرِمَانْ» ؛ مَعَ أَنَّ إِلٰهَ الشَّرِّ ، الْمَوْهُومَ الَّذِي يَقُولُونَ لَهُ «أَهْرِمَانْ» ، هُوَ الشَّيْطَانُ الْمَعْلُومُ الَّذِي يُسَبِّبُ الشُّرُورَ ، بِجُزْءٍ مِنِ اخْتِيَارٍ ، وَبِكَسْبٍ بِلَا إِيجَادٍ . .

فَيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ! إِنَّ أَهَمَّ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَجْهِزَتِكُمُ التَّعْمِيرِيَّةِ ، إِزَاءَ هٰذِهِ التَّدْمِيرَاتِ الرَّهِيبَةِ لِلشَّيَاطِينِ ، هُوَ الِاسْتِغْفَارُ ، وَالِالْتِجَاءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، بِقَوْلِ (أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ؛ وَإِنَّ حِصْنَكُمْ ، هُوَ السُّنَّةُ السَّنِيَّةُ . .

﴿ الْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ مَغْلُوبِيَّةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، مَعَ وُجُودِ هٰذَا الْمِقْدَارِ مِنْ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ ، إِزَاءَ دَسَائِسِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ ، الضَّعِيفَةِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي لَا مُكَافَأَةَ عَلَيْهَا ؛ مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ، أَرْشَدَ الْبَشَرَ ؛ وَأَيْقَظَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ ؛ وَأَنْذَرَهُمْ وَبَشَّرَهُمْ كَثِيراً ؛ وَبَيَّنَ لَهُمْ فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ، مُكَافَأَةً عَظِيمَةً مِثْلَ الْجَنَّةِ ، وَمُجَازَاةً هَائِلَةً كَجَهَنَّمَ ؛ كَانَ

يُفَكِّرُنِي ذٰلِكَ كَثِيراً ، فِي زَمَنٍ مَّا ، بِأَنَّهُ يَا لَلْعَجَبِ ! كَيْفَ يُمْكِنُ عَدَمُ الاِهْتِمَامِ بِإِنْذَارَاتِ اللهِ تَعَالٰى ، إِنْذَارَاتٍ شَدِيدَةً كَذٰلِكَ ، مَعَ وُجُودِ الْإِيمَانِ ؟ وَكَيْفَ لَا يَزُولُ الْإِيمَانُ ؟ وَكَيْفَ يَغْتَرُّونَ بِدَسَائِسِ الشَّيْطَانِ ، الضَّعِيفَةِ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ ؛ فَيَعْصُونَ اللهَ تَعَالٰى ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضاً مِنْ أَصْحَابِي ؛ وَقَدْ سَمِعَ مِنِّي مِئَةَ دَرْسٍ مِنَ الْحَقِيقَةِ ، مَعَ تَصْدِيقِهَا قَلْباً ؛ وَكَانَ لَهُ حُسْنُ ظَنٍّ ، وَارْتِبَاطٌ زَائِدٌ بِي ، اغْتَرَّ بِالْتِفَاتِ رَجُلٍ خَبِيثٍ ، لَا قَلْبَ لَهُ ، الْتِفَاتاً مُرَائِياً لَا قِيمَةَ لَهُ ؛ فَبَلَغَ إِلٰى حَالٍ كَانَ يَمْدَحُهُ ؛ وَيَطْعَنُ عَلَيَّ ؛ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ ؛ فَهَلْ تُوجَدُ هٰذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ السُّقُوطِ فِي الْإِنْسَانِ ؟ وَكَيْفَ كَانَ إِنْسَاناً لَا حَقِيقَةَ لَهُ ؟ فَاغْتَبْتُ ذٰلِكَ الْبَائِسَ ؛ وَوَقَعْتُ فِي الْخَطِيئَةِ ؛ ثُمَّ انْكَشَفَتِ الْحَقِيقَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ؛ فَنَوَّرَتْ كَثِيراً مِنَ النِّقَاطِ الْمُظْلِمَةِ ؛ فَعَلِمْتُ ـ لِلّٰهِ الْحَمْدُ ـ بِذٰلِكَ النُّورِ : أَنَّ تَرْغِيبَاتِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَتَبْشِيرَاتِهِ الْعَظِيمَةَ ، هِيَ فِي مَحَلِّهَا اللَّائِقِ تَمَاماً ؛ وَأَنَّ اغْتِرَارَ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، بِالدَّسَائِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، لَيْسَ مِنْ فَقْدِ الْإِيمَانِ وَضَعْفِهِ ؛ وَأَنَّ مَنْ يَقْتَرِفُ الْكَبَائِرَ ، لَا يَقَعُ فِي الْكُفْرِ ؛ وَأَنَّ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَمَذْهَبَ بَعْضِ الْخَوَارِجِ ، قَدْ أَخْطَآ فِي الْحُكْمِ بِأَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبَائِرِ كَافِرٌ ؛ أَوْ يَبْقٰى بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ؛ وَأَنَّ فِدَاءَ صَاحِبِي ذٰلِكَ الْبَائِسِ ، مِئَةَ دَرْسٍ مِنَ الْحَقِيقَةِ ، بِالْتِفَاتِ امْرِئٍ ، لَيْسَ سُقُوطاً كَبِيراً ، وَهُبُوطاً رَهِيباً ؛ كَمَا تَصَوَّرْتُ ؛ فَشَكَرْتُ اللهَ تَعَالٰى ؛ وَنَجَوْتُ مِنْ تِلْكَ الْوَرْطَةِ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي بِالْإِنْسَانِ إِلٰى مَهَالِكَ مُهِمَّةٍ ، بِأَمْرٍ عَدَمِيٍّ جُزْئِيٍّ ؛ كَمَا قُلْنَا سَابِقاً ؛ وَكَذَا أَنَّ النَّفْسَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْإِنْسَانِ ، تُصْغِي إِلَى الشَّيْطَانِ دَائِماً ؛ وَأَنَّ الْقُوَّتَيْنِ الشَّهَوِيَّةَ وَالْغَضَبِيَّةَ ، هُمَا فِي حُكْمِ جِهَازَيْنِ نَاقِلٍ وَقَابِلٍ لِدَسَائِسِ الشَّيْطَانِ ؛ فَمِنْ هٰذَا ، يَتَوَجَّهُ اللهُ تَعَالٰى إِلٰى أَهْلِ الْإِيمَانِ ، بِتَجَلٍّ أَعْظَمَ ، بِاسْمَيْهِ مِثْلِ «الْغَفُورِ وَالرَّحِيمِ» ؛ وَيُبَيِّنُ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ : أَنَّ أَهَمَّ إِحْسَانِهِ لِلْأَنْبِيَاءِ ، هُوَ الْغُفْرَانُ ؛ وَيَدْعُوهُمْ إِلٰى الاِسْتِغْفَارِ ؛ وَيُظْهِرُ أَنَّ رَحْمَتَهُ الْوَاسِعَةَ الْمُحِيطَةَ بِالْكَائِنَاتِ ، هِيَ الْمَلْجَأُ وَالْمُتَحَصَّنُ ؛ وَذٰلِكَ بِتَكْرَارِ كَلِمَةِ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، تِلْكَ الْكَلِمَةِ الْقُدْسِيَّةِ ، فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ ، وَبِالْأَمْرِ بِذِكْرِهَا فِي كُلِّ أُمُورٍ مُبَارَكَةٍ ، وَبِجَعْلِ كَلِمَةِ

(أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ، كَمِيناً بِأَمْرِ ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ :﴾ أَنَّ أَخْطَرَ دَسِيسَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ ، هِيَ : أَنَّهُ يُلَبِّسُ تَخَيُّلَ الْكُفْرِ ، بِتَصْدِيقِ الْكُفْرِ ، عَلَى بَعْضِ أُنَاسٍ حَسَّاسٍ بَسِيطِ الْقَلْبِ ؛ وَيُظْهِرُ تَصَوُّرَ الضَّلَالَةِ ، بِصُورَةِ تَصْدِيقِ الضَّلَالَةِ ؛ وَيُرِي خَيَالَهُ ، خَوَاطِرَ شَنِيعَةً ، فِي حَقِّ ذَوَاتٍ مُقَدَّسَةٍ ، وَأَشْيَاءِ مُنَزَّهَةٍ ؛ وَيُرِي الْإِمْكَانَ الذَّاتِيَّ ، عَلَى صُورَةِ الْإِمْكَانِ الْعَقْلِيِّ ؛ وَيُعْطِيهِ شَكْلَ شَكٍّ مُنَافٍ لِمَا فِي الْإِيمَانِ ، مِنَ الْيَقِينِ ؛ فَيَتَوَهَّمُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ الْحَسَّاسُ : أَنَّهُ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ؛ وَيَظُنُّ أَنَّ يَقِينَهُ الْإِيمَانِيَّ زَالَ ؛ فَيَقَعُ فِي الْيَأْسِ ؛ وَيُصْبِحُ بِذٰلِكَ الْيَأْسِ ، مَسْخَرَةً لِلشَّيْطَانِ ؛ فَيَسْتَعْمِلُ الشَّيْطَانُ ، يَأْسَهُ وَعَصَبَهُ الضَّعِيفَ ، وَالْتِبَاسَهُ ذٰلِكَ ، كَثِيراً ؛ فَإِمَّا يُصْبِحُ مَجْنُوناً ؛ أَوْ يَقُولُ : فَلْيَكُنْ مَا كَانَ ؛ فَيَسْلُكُ الضَّلَالَةَ . . وَمَاهِيَّةُ هٰذِهِ الدَّسِيسَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، لَا أَسَاسَ لَهَا ؛ كَمَا بَيَّنَّا فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ ؛ وَنَبْحَثُ عَنْهَا هٰهُنَا إِجْمَالاً ؛ وَذٰلِكَ : فَكَمَا أَنَّ صُورَةَ الْحَيَّةِ ، فِي الْمِرْآةِ لَا تَلْدَغُ ، وَمِثَالَ النَّارِ لَا يُحْرِقُ ، وَعَكْسَ الْمَيْتَةِ لَا يُلَوِّثُ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ عُكُوسَ الْكُفْرِيَّاتِ وَالشِّرْكِ ، وَظِلَالَ الضَّلَالِ ، وَخَيَالَاتِ الْأَقْوَالِ الْخَبِيثَةِ الشَّتْمِيَّةِ ، فِي مِرْآةِ الْخَيَالِ أَوِ الْفِكْرِ ، لَا تُفْسِدُ الِاعْتِقَادَ ؛ وَلَا تُغَيِّرُ الْإِيمَانَ ؛ وَلَا تَنْقُضُ أَدَبَ الِاحْتِرَامِ ؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ الْمَشْهُورَةَ ، هِيَ : «أَنَّ تَخَيُّلَ الشَّتْمِ ، لَا يَكُونُ شَتْماً ؛ كَمَا أَنَّ تَخَيُّلَ الْكُفْرِ ، لَا يَكُونُ كُفْراً ؛ وَتَصَوُّرَ الضَّلَالِ ، لَا يَكُونُ ضَلَالاً» . وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الشَّكِّ فِي الْإِيمَانِ ، فَإِنَّ الِاحْتِمَالَاتِ النَّاشِئَةَ عَنِ الْإِمْكَانِ الذَّاتِيِّ ، لَا تُنَافِي ذٰلِكَ الْيَقِينَ ؛ وَلَا تُفْسِدُهُ ؛ فَإِنَّ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُقَرَّرَةِ فِي عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ : «أَنَّ الْإِمْكَانَ الذَّاتِيَّ لَا يُنَافِي الْيَقِينَ الْعِلْمِيَّ» ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ لَنَا يَقِيناً بِأَنَّ بُحَيْرَةَ «بَارْلَا» ، تُوجَدُ فِي مَكَانِهَا مَاءً ؛ مَعَ أَنَّهُ يُمْكِنُ فِي ذَاتِهَا ، أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْبُحَيْرَةُ ، قَدْ غَارَتْ فِي هٰذِهِ الدَّقِيقَةِ ؛ وَأَنَّ غَوْرَهَا ، مِنَ الْمُمْكِنَاتِ ؛ وَلَمَّا كَانَ هٰذَا الْإِمْكَانُ الذَّاتِيُّ ، لَمْ يَنْشَأْ عَنْ أَمَارَةٍ مَّا ؛ لَا يَكُونُ إِمْكَاناً ذِهْنِيّاً ؛ فَيَصِيرَ شَكّاً ؛ لِأَنَّ قَاعِدَةً مُقَرَّرَةً فِي عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ أَيْضاً ، هِيَ : «أَنَّهُ لَا عِبْرَةَ لِلِاحْتِمَالِ غَيْرِ النَّاشِئِ عَنْ دَلِيلٍ» ؛ يَعْنِي : أَنَّ احْتِمَالاً ذَاتِيّاً لَمْ يَنْشَأْ عَنْ أَمَارَةٍ مَّا ؛ لَا يَكُونُ إِمْكَاناً ذِهْنِيّاً ؛ فَيُورِثَ الشُّبْهَةَ ؛ وَتَكُونَ لَهُ قِيمَةٌ . فَالْإِنْسَانُ

الْبَائِسُ الْمَنْكُوبُ بِهٰذِهِ الدَّسِيسَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، يَظُنُّ أَنَّهُ يَفْقِدُ بِمِثْلِ هٰذِهِ الْإِمْكَانَاتِ الذَّاتِيَّةِ ، يَقِينَهُ بِالْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ ؛ فَمَثَلاً : يَرِدُ بِبَالِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْإِمْكَانَاتِ الذَّاتِيَّةِ ، فِي حَقِّ «النَّبِيِّ» (عليه الصلاة والسلام) ، بِاعْتِبَارِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ لَا تَضُرُّ بِجَزْمِ الْإِيمَانِ وَيَقِينِهِ ؛ وَلٰكِنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ أَضَرَّ بِهِ ؛ فَيَقَعُ فِي الضَّرَرِ ؛ وَكَذَا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَذْكُرُ أَحْيَاناً ، أَقْوَالاً سَيِّئَةً ، فِي حَقِّ اللهِ تَعَالٰى ، فِي جِهَةِ لُمَّتِهِ الَّتِي فَوْقَ الْقَلْبِ ؛ فَيَظُنُّ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ ، أَنَّ قَلْبَهُ فَسَدَ ، حَيْثُ يَقُولُ كَذٰلِكَ ؛ فَيَرْتَعِدُ ؛ مَعَ أَنَّ ارْتِعَادَهُ وَخَوْفَهُ ، وَعَدَمَ رِضَاهُ بِذٰلِكَ ، دَلِيلٌ عَلٰى أَنَّ تِلْكَ الْأَقْوَالَ ، لَا تَرِدُ مِنْ قَلْبِهِ ؛ بَلْ تَأْتِي مِنَ اللُّمَّةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ؛ أَوْ تُذَكِّرُ وَتُخَيَّلُ مِنْ جَانِبِ الشَّيْطَانِ ؛ وَكَذَا أَنَّ بَيْنَ لَطَائِفِ الْإِنْسَانِ ، لَطِيفَةً أَوْ لَطِيفَتَيْنِ لَمْ أُشَخِّصْهُمَا ، هُمَا لَا تَسْتَمِعَانِ إِلَى الِاخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ ؛ بَلْ لَا تَدْخُلَانِ تَحْتَ التَّكْلِيفِ أَيْضاً ؛ فَقَدْ تَحَكَّمُ تَانِكَ اللَّطِيفَتَانِ أَحْيَاناً ؛ فَلَا تُصْغِيَانِ إِلَى الْحَقِّ ؛ وَتَقَعَانِ فِي أُمُورٍ بَاطِلَةٍ ؛ فَحِينَئِذٍ يُلَقِّنُ الشَّيْطَانُ ، ذٰلِكَ الْمَرْءَ : بِأَنَّ اسْتِعْدَادَكَ لَيْسَ مُوَافِقاً لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَقَعُ هٰكَذَا ، فِي أُمُورٍ بَاطِلَةٍ ، بِلَا اخْتِيَارٍ ؛ فَإِذاً إِنَّ قَدَرَكَ حَكَمَ عَلَيْكَ بِالشَّقَاءِ ؛ فَيَقَعُ ذٰلِكَ الْمَرْءُ الْبَائِسُ ، فِي الْيَأْسِ ؛ وَيَسْلُكُ الْخَطَرَ . .

فَمَلْجَأُ الْمُؤْمِنِ إِزَاءَ دَسِيسَةِ الشَّيْطَانِ الْأُولٰى ، هُوَ الْحَقَائِقُ الْإِيمَانِيَّةُ ، وَالْمُحْكَمَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ ، الَّتِي تَعَيَّنَتْ حُدُودُهَا ، بِدَسَاتِيرِ الْمُحَقِّقِينَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَإِزَاءَ دَسِيسَتِهِ الْأَخِيرَةِ ، هُوَ الِاسْتِعَاذَةُ مَعَ عَدَمِ الِاهْتِمَامِ بِهَا ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا اهْتَمَّ بِهَا ؛ تَجْلِبُ نَظَرَ الدِّقَّةِ إِلَيْهَا ؛ فَتَتَكَبَّرُ وَتَنْتَفِخُ . وَالتِّرْيَاقُ وَالْعِلَاجُ لِمِثْلِ هٰذِهِ الْجِرَاحَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْمُؤْمِنِ ، هُوَ السُّنَّةُ السَّنِيَّةُ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ :﴾ سُؤَالٌ : وَهُوَ أَنَّ أَئِمَّةَ الْمُعْتَزِلَةِ ، لِكَوْنِهِمْ تَلَقَّوْا إِيجَادَ الشَّرِّ شَرّاً ؛ لَا يُسْنِدُونَ خَلْقَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ، إِلَى اللهِ تَعَالٰى ؛ وَكَأَنَّهُمْ يُقَدِّسُونَ اللهَ تَعَالٰى ، بِذٰلِكَ ؛ فَيَسْلُكُونَ الضَّلَالَ ، زَاعِمِينَ أَنَّ الْبَشَرَ خَالِقٌ لِأَفْعَالِهِ ؛ وَكَذَا يَزْعُمُونَ أَنَّ مُؤْمِناً عَمِلَ كَبِيرَةً مِنَ الْكَبَائِرِ ، يَزُولُ إِيمَانُهُ ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ ، وَالتَّصْدِيقَ بِجَهَنَّمَ ، لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَ فِعْلِ مِثْلِ تِلْكَ الْكَبِيرَةِ ؛ فَإِنَّ مَنْ وَقَى نَفْسَهُ ، عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الْقَانُونَ ، بِمَخَافَةِ سِجْنٍ جُزْئِيٍّ

فِي الدُّنْيَا ، إِذَا فَعَلَ الْكَبَائِرَ ؛ بِحَيْثُ لَا يَهْتَمُّ بِعَذَابٍ أَبَدِيٍّ مِنْ جَهَنَّمَ ، وَلَا بِغَضَبِ الْخَالِقِ ، يَدُلُّ ذٰلِكَ قَطْعاً ، عَلٰى عَدَمِ إِيمَانِهِ . .

اَلْجَوَابُ : عَلَى الشِّقِّ الْأَوَّلِ ، هُوَ : أَنَّ خَلْقَ الشَّرِّ لَيْسَ بِشَرٍّ ؛ بَلْ كَسْبُ الشَّرِّ شَرٌّ ؛ كَمَا أُوضِحَ فِي **رِسَالَةِ الْقَدَرِ** ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ وَالْإِيجَادَ يَنْظُرُ إِلٰى جَمِيعِ النَّتَائِجِ ؛ وَأَنَّ وُجُودَ شَرٍّ ، قَدْ يَكُونُ مُقَدِّمَةً لِنَتَائِجَ خَيْرِيَّةٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَيَكُونُ إِيجَادُ ذٰلِكَ الشَّرِّ خَيْراً ؛ وَيُصْبِحُ فِي حُكْمِ الْخَيْرِ ، بِاعْتِبَارِ النَّتِيجَةِ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ لِلنَّارِ مِئَةَ نَتِيجَةٍ خَيْرِيَّةٍ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ جَعَلُوا النَّارَ شَرّاً لَهُمْ ، بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ؛ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا : إِنَّ إِيجَادَ النَّارِ شَرٌّ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ لِإِيجَادِ الشَّيَاطِينِ ، نَتَائِجَ حَكِيمَةً كَثِيرَةً ، كَالتَّرَقِّيَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ . فَإِذَا أَصْبَحَ مَغْلُوباً لِلشَّيَاطِينِ ، بِاخْتِيَارِهِ السَّيِّئِ ، وَبِكَسْبِهِ الْخَاطِئِ ، لَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ خَلْقَ الشَّيْطَانِ شَرٌّ ؛ بَلْ إِنَّهُ جَعَلَهُ شَرّاً لَهُ بِكَسْبِهِ . **نَعَمْ :** إِنَّ الْكَسْبَ ، لِكَوْنِهِ مُبَاشَرَةً جُزْئِيَّةً ؛ يُصْبِحُ مَظْهَراً لِنَتِيجَةٍ شَرِّيَّةٍ خَاصَّةٍ ؛ فَيَصِيرُ ذٰلِكَ الْكَسْبُ شَرّاً ؛ وَلٰكِنَّ الْإِيجَادَ ، لِكَوْنِهِ يَنْظُرُ إِلٰى عُمُومِ النَّتَائِجِ ؛ لَا يَكُونُ إِيجَادُ الشَّرِّ شَرّاً ؛ بَلْ هُوَ خَيْرٌ . فَالْمُعْتَزِلَةُ ، لِكَوْنِهِمْ لَمْ يَفْهَمُوا هٰذَا السِّرَّ ؛ قَالُوا : إِنَّ خَلْقَ الشَّرِّ شَرٌّ ؛ وَإِيجَادَ الْقَبِيحِ قَبِيحٌ ؛ فَلَمْ يُسْنِدُوا إِيجَادَ الشَّرِّ ، إِلَى اللهِ تَعَالٰى ، تَقْدِيساً لَهُ ؛ فَوَقَعُوا فِي الضَّلَالَةِ ؛ فَأَوَّلُوا رُكْناً إِيمَانِيّاً ؛ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . .

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الشِّقِّ الثَّانِي ؛ وَهُوَ سُؤَالُهُمْ بِأَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ ، كَيْفَ يَبْقٰى مُؤْمِناً ؟ . **فَأَوَّلاً :** أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ خَطَأُهُمْ ، بِوَجْهٍ قَاطِعٍ ، فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّكْرَارِ . . **وَثَانِياً :** أَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ ، تُرَجِّحُ دِرْهَماً مِنْ لَذَّةٍ عَاجِلَةٍ حَاضِرَةٍ ، عَلٰى رَطْلٍ مِنْ لَذَّةٍ آجِلَةٍ غَائِبَةٍ ؛ كَمَا تَتَّقِي عَنْ خَوْفِ صَفْعَةٍ حَاضِرَةٍ ، أَزْيَدَ مِنْ عَذَابِ سَنَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَكَذَا أَنَّ الْحِسِّيَّاتِ إِذَا غَلَبَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ ؛ لَا تُصْغِي إِلٰى مُحَاكَمَةِ الْعَقْلِ ؛ وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ هَوَاهُ وَوَهْمُهُ ؛ فَيُرَجِّحُ أَقَلَّ لَذَّةٍ حَاضِرَةٍ ، لَا قِيمَةَ لَهَا ، عَلٰى مُكَافَأَةٍ عَظِيمَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَيَحْتَرِزُ عَنِ اضْطِهَادٍ حَاضِرٍ قَلِيلٍ ، أَزْيَدَ مِنْ عَذَابٍ آجِلٍ عَظِيمٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ لِأَنَّ الْوَهْمَ وَالْهَوٰى وَالْحِسَّ ، لَا تَرَى الْأَمَامَ ؛ بَلْ يُنْكِرُونَهُ ؛ وَإِذَا أَعَانَتْهَا النَّفْسُ ؛ يَسْكُتُ الْقَلْبُ وَالْعَقْلُ

اللَّذَانِ هُمَا مَحَلَّا الْإِيمَانِ ؛ وَيُصْبِحَانِ مَغْلُوبَيْنِ ؛ فَإِذاً إِنَّ ارْتِكَابَ الْكَبَائِرِ ، لا يَنْشَأُ عَنْ فَقْدِ الْإِيمَانِ ؛ بَلْ يَنْشَأُ عَنْ مَغْلُوبِيَّةِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ، بِسَبَبِ غَلَبَةِ الْحِسِّ وَالْهَوٰى وَالْوَهْمِ ؛ وَكَذَا أَنَّ طَرِيقَ السَّيِّئَاتِ وَالشَّهَوَاتِ ، لِكَوْنِهِ تَخْرِيباً ، يَسِيرٌ لِلْغَايَةِ ؛ كَمَا عُلِمَ فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ؛ فَيَسُوقُ فَوْراً الشَّيْطَانُ الْإِنْسِيُّ وَالْجِنِّيُّ ، الْإِنْسَانَ ، إِلٰى ذٰلِكَ الطَّرِيقِ . .

وَمِمَّا يُوجِبُ الْحَيْرَةَ ، أَنَّ نُوراً أَبَدِيّاً مِنْ عَالَمِ الْبَقَاءِ ، مِقْدَارَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ ، لا يُوَازِنُهُ مَا يَسْتَفِيدُهُ إِنْسَانٌ ، مِنَ الدُّنْيَا ، فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ ، مِنَ اللَّذَّةِ وَالنِّعْمَةِ ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ بَعْضَ أُنَاسٍ بَائِسِينَ ، يُرَجِّحُونَ لَذَّةَ هٰذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الَّتِي هِيَ مِقْدَارُ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ ، عَلٰى لَذَائِذِ ذٰلِكَ الْعَالَمِ الْبَاقِي ، الَّتِي تُوَازِنُ جَمِيعَ دُنْيَاهُ الْفَانِيَةِ هٰذِهِ ؛ فَيَسْلُكُونَ وَرَاءَ الشَّيْطَانِ . فَمِنْ هٰذِهِ الْأَسْرَارِ ، يَزْجُرُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، الْمُؤْمِنِينَ ، عَنِ الشَّرِّ ؛ وَيَسُوقُهُمْ إِلَى الْخَيْرِ ، بِالتَّهْدِيدِ وَالتَّرْغِيبِ ، بِتَكْرَارٍ وَإِصْرَارٍ كَثِيرٍ . .

وَإِنَّ إِرْشَادَاتِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، هٰذِهِ الْإِرْشَادَاتِ الشَّدِيدَةَ الْمُتَكَرِّرَةَ ، أَوْرَثَتْنِي فِي زَمَنٍ مَّا ، هٰذَا الْفِكْرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ التَّذْكِيرَاتِ وَالْإِيقَاظَاتِ الدَّائِمَةَ بِهٰذَا الْمِقْدَارِ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لا ثَبَاتَ وَلا حَقِيقَةَ لَهُمْ ؛ وَتُنْتِجُ حَالاً لا يُنَاسِبُ شَرَفَ الْإِنْسَانِ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّ أَمْراً وَاحِداً تَلَقَّاهُ مَأْمُورٌ ، عَنْ آمِرِهِ ، يَكْفِي لِإِطَاعَتِهِ ؛ فَإِذَا كَرَّرَ عَيْنَ الْأَمْرِ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ يَنْقَبِضُ ذٰلِكَ الْمَأْمُورُ جِدّاً ؛ فَيَقُولُ : إِنَّكَ تَتَّهِمُنِي ؛ وَإِنِّي لَسْتُ بِخَائِنٍ ؛ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يَأْمُرُ أَخْلَصَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُكَرِّراً عَلٰى وَجْهِ الْإِصْرَارِ . وَلَمَّا كَانَ هٰذَا الْفِكْرُ ، يَجْرَحُ ذِهْنِي ؛ كَانَ لِيَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاثَةٌ ، مِنْ رُفَقَاءَ صَادِقِينَ ؛ فَكُنْتُ أُوقِظُهُمْ وَأُذَكِّرُهُمْ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ كَيْلا يَغْتَرُّوا بِدَسَائِسِ الشَّيْطَانِ الْإِنْسِيِّ ؛ وَكَانُوا لا يَنْقَبِضُونَ ؛ وَلا يَقُولُونَ : إِنَّكَ تَتَّهِمُنَا ؛ وَلٰكِنِّي كُنْتُ أَقُولُ فِي قَلْبِي : إِنِّي أُسْخِطُ هٰؤُلاءِ ، بِإِخْطَارَاتِيَ الدَّائِمَةِ هٰذِهِ ؛ وَأَتَّهِمُهُمْ بِعَدَمِ الصَّدَاقَةِ وَالثَّبَاتِ ؛ ثُمَّ انْكَشَفَتْ لِي فَجْأَةً ، الْحَقِيقَةُ الَّتِي أُوضِحَتْ وَأُثْبِتَتْ فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ؛ فَعَلِمْتُ حِينَئِذٍ ، بِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ : أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، يَفْعَلُ ذٰلِكَ الْإِصْرَارَ ، وَتِلْكَ التَّكْرَارَاتِ ، فِي مَحَلِّهَا الْمُنَاسِبِ ، وَبِوَجْهٍ حَكِيمٍ وَمُطَابِقٍ لِمُقْتَضَى الْحَالِ ، بِلا إِسْرَافٍ ،

وَبِدُونِ اتِّهَامٍ ؛ وَأَنَّهَا عَيْنُ الْحِكْمَةِ ، وَمَحْضُ الْبَلاَغَةِ ؛ وَعَلِمْتُ أَيْضاً ، سِرَّ عَدَمِ انْقِبَاضِ أَصْحَابِي أُولاَئِكَ الصَّادِقِينَ . .

وَخُلاَصَةُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ ، هِيَ : أَنَّ الشَّيَاطِينَ لِكَوْنِهِمْ يَسُوقُونَ إِلَى جَانِبِ التَّخْرِيبِ ؛ يَفْعَلُونَ شُرُوراً كَثِيرَةً ، بِعَمَلٍ قَلِيلٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يَحْتَاجُ السَّالِكُونَ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ ، إِلَى احْتِيَاطٍ كَثِيرٍ ، وَإِلَى تَجَنُّبٍ شَدِيدٍ ، وَإِخْطَارَاتٍ مُكَرَّرَةٍ ، وَمُعَاوَنَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ الاِحْتِيَاجِ ، يُقَدِّمُ اللهُ تَعَالَى ، عَوْنَهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، بِأَلْفٍ وَوَاحِدٍ مِنْ أَسْمَائِهِ ، بِجِهَةِ تِلْكَ التَّكْرَارَاتِ ؛ وَيَمُدُّ أُلُوفاً مِنْ أَيْدِي الرَّحْمَةِ ، إِلَى إِمْدَادِهِمْ ؛ فَلاَ يَنْقُصُ شَرَفُهُمْ ؛ بَلْ يَقِيهِ ؛ وَلاَ يُنَزِّلُ قِيمَةَ الْإِنْسَانِ ، صَغِيرَةً ؛ بَلْ يُظْهِرُ شَرَّ الشَّيْطَانِ ، كَبِيراً . .

فَيَا أَهْلَ الْحَقِّ ، وَأَهْلَ الْهِدَايَةِ ! إِنَّ وَسِيلَةَ النَّجَاةِ عَمَّا ذُكِرَ ، مِنْ دَسَائِسِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، هِيَ : أَنْ تَجْعَلَ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، مَقَرّاً ؛ وَأَنْ تَدْخُلَ فِي حِصْنِ مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ؛ وَأَنْ تَجْعَلَ السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ دَلِيلاً ؛ فَتَجِدَ السَّلاَمَةَ . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ الثَّامِنَةُ : ﴾ يَرِدُ سُؤَالٌ : وَهُوَ أَنَّكُمْ أَثْبَتُّمْ فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ : أَنَّ طَرِيقَ الضَّلاَلَةِ ، لِكَوْنِهِ يَسِيراً وَتَخْرِيباً وَتَجَاوُزاً ؛ يَسْلُكُ الْأَكْثَرُونَ ، ذٰلِكَ الطَّرِيقَ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ قَدْ أَثْبَتُّمْ بِدَلاَئِلَ قَاطِعَةٍ ، فِي سَائِرِ الرَّسَائِلِ : أَنَّ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالضَّلاَلِ ، مُشْكِلٌ وَعَسِيرٌ ؛ بِحَيْثُ كَانَ اللاَّزِمُ ، أَنْ لاَ يَدْخُلَهُ أَحَدٌ أَصْلاً ؛ وَلَيْسَ بِقَابِلٍ لِلسُّلُوكِ ؛ وَأَنَّ طَرِيقَ الْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ ، هَيِّنٌ وَوَاضِحٌ ؛ بِحَيْثُ كَانَ اللاَّزِمُ ، أَنْ يَدْخُلَهُ كُلُّ أَحَدٍ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ الْكُفْرَ وَالضَّلاَلَ قِسْمَانِ ؛ قِسْمٌ مِنْهُمَا ، مَعَ كَوْنِهِ عَمَلِيّاً وَفَرْعِيّاً ، هُوَ نَفْيٌ وَإِنْكَارٌ لِأَحْكَامِ الْإِيمَانِ . فَهٰذَا الْوَجْهُ مِنَ الضَّلاَلَةِ ، سَهْلٌ وَعَدَمُ قَبُولِ الْحَقِّ ، وَتَرْكٌ وَعَدَمٌ ، وَعَدَمُ قَبُولٍ . فَهٰذَا ، هُوَ الْقِسْمُ الَّذِي بُيِّنَ فِي الرَّسَائِلِ : أَنَّهُ يَسِيرٌ . أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي : فَلَيْسَ عَمَلِيّاً وَفَرْعِيّاً ؛ بَلْ هُوَ حُكْمٌ اعْتِقَادِيٌّ وَفِكْرِيٌّ ؛ وَلَيْسَ نَفْياً لِلْإِيمَانِ فَقَطْ ؛ بَلْ هُوَ سُلُوكٌ إِلَى ضِدِّ الْإِيمَانِ ، وَفَتْحُ طَرِيقٍ إِلَيْهِ ؛ وَهٰذَا ، هُوَ قَبُولُ الْبَاطِلِ ، وَإِثْبَاتُ عَكْسِ الْحَقِّ . وَهٰذَا

الْقِسْمُ ، لَيْسَ نَفْياً وَنَقِيضاً لِلْإِيمَانِ فَقَطْ ؛ بَلْ ضِدٌّ لِلْإِيمَانِ ؛ وَلَيْسَ عَدَمَ قَبُولٍ ؛ فَيَكُونَ سَهْلاً ؛ بَلْ هُوَ قَبُولُ الْعَدَمِ ؛ وَإِنَّمَا يُقْبَلُ بِإِثْبَاتِ ذٰلِكَ الْعَدَمِ . وَإِنَّ إِثْبَاتَ الْعَدَمِ لَيْسَ يَسِيراً قَطْعاً ، بِقَاعِدَةِ «أَنَّ الْعَدَمَ لَا يُثْبَتُ» . فَهٰذَا ، هُوَ قِسْمُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ، الَّذِي بُيِّنَ فِي الرَّسَائِلِ : أَنَّهُ مُشْكِلٌ وَعَسِيرٌ فِي دَرَجَةِ الْاِمْتِنَاعِ ؛ بِحَيْثُ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَسْلُكَ هٰذَا الطَّرِيقَ ، مَنْ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الشُّعُورِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ لِهٰذَا الطَّرِيقِ ، آلَاماً هَائِلَةً ، وَظُلُمَاتٍ خَانِقَةً ؛ بِحَيْثُ مَنْ كَانَ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَقْلِ ؛ لَا يَكُونُ طَالِباً لِذٰلِكَ الطَّرِيقِ ؛ كَمَا أُثْبِتَ قَطْعاً ، فِي الرَّسَائِلِ . .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يَسْلُكُ أَكْثَرُ النَّاسِ ، هٰذَا الطَّرِيقَ الْمُشْكِلَ الْمُظْلِمَ الْأَلِيمَ بِهٰذَا الْقَدَرِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُمْ وَقَعُوا فِيهِ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْهُ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْقُوَى النَّبَاتِيَّةَ وَالْحَيَوَانِيَّةَ فِي الْإِنْسَانِ ، لَا تَرَى الْعَاقِبَةَ ؛ وَلَا تُفَكِّرُ فِيهَا ؛ وَأَنَّهَا غَلَبَتْ عَلَى اللَّطَائِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ عَنْهُ ؛ وَيَتَسَلَّوْنَ بِلَذَّةٍ فَانِيَةٍ حَاضِرَةٍ . .

سُؤَالٌ : إِنْ قِيلَ : إِنَّ فِي الضَّلَالَةِ ، أَلَماً وَخَوْفاً رَهِيباً ، بِحَيْثُ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَعِيشَ الْكَافِرُ أَصْلاً ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَتَلَذَّذَ عَنِ الْحَيَاةِ ؛ بَلْ يَلْزَمُ أَنْ يَهْلِكَ ؛ وَتَنْفَجِرَ أَحْشَاؤُهُ ، عَنْ ذٰلِكَ الْأَلَمِ ؛ لِأَنَّ إِنْسَاناً يَرَى أَمَامَ عَيْنِهِ دَائِماً ، مَوْتَهُ إِعْدَاماً أَبَدِيّاً ، وَفِرَاقاً سَرْمَدِيّاً ؛ وَيَرَى زَوَالَ الْمَوْجُودَاتِ ، وَمَوْتَ أَحْبَابِهِ ، وَجَمِيعِ مَحْبُوبَاتِهِ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، وَالْمُفَارَقَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، بِسَبَبِ الْكُفْرِ ، كَيْفَ يَعِيشُ وَيَتَلَذَّذُ عَنِ الْحَيَاةِ ؛ وَهُوَ مُشْتَاقٌ إِلٰى مَا لَا يُحَدُّ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَعَاشِقٌ لِلْحَيَاةِ ، بِاعْتِبَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ يَخْدَعُ نَفْسَهُ ، بِمَغْلَطَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ عَجِيبَةٍ ؛ فَيَظُنُّ أَنَّهُ يَعِيشُ وَيَسْتَفِيدُ لَذَّةً صُورِيَّةً . فَنُشِيرُ إِلٰى مَاهِيَّةِ تِلْكَ الْمَغْلَطَةِ ، بِمَثَلٍ مَشْهُورٍ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ يُقَالُ : إِنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّعَامَةِ : إِنَّ لَكِ جَنَاحَيْنِ ؛ فَطِيرِي ؛ فَقَصَّتْ جَنَاحَيْهَا ؛ وَقَالَتْ : إِنِّي جَمَلٌ ؛ فَمَا طَارَتْ ؛ وَلٰكِنَّهَا وَقَعَتْ فِي فَخِّ الصَّيَّادِ ؛ فَأَدْخَلَتْ رَأْسَهَا ، تَحْتَ الرَّمْلِ ؛ كَيْ لَا يَرَاهَا الصَّيَّادُ ؛ مَعَ أَنَّهَا تَرَكَتْ جُثَّتَهَا الْجَسِيمَةَ ، فِي الْخَارِجِ ؛ وَجَعَلَتْهَا هَدَفاً لِلصَّيَّادِ . ثُمَّ قَالُوا لَهَا : إِذَا كُنْتِ

تَقُولِينَ : إِنِّي جَمَلٌ ؛ فَاحْمِلِي حِمْلاً ؛ فَحِينَئِذٍ بَسَطَتْ جَنَاحَيْهَا ؛ وَقَالَتْ : إِنِّي طَائِرٌ ؛ فَنَجَتْ مِنْ مِحْنَةِ الْحِمْلِ ؛ وَلٰكِنْ أَصْبَحَتْ هَدَفاً لِهُجُومِ الصَّيَّادِينَ ، بِلَا حَامٍ وَلَا قُوتٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ الْكَافِرَ ، تَرَكَ الْكُفْرَ الْمُطْلَقَ ، إِزَاءَ إِعْلَانَاتِ الْقُرْآنِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ فَوَقَعَ فِي كُفْرٍ مَشْكُوكٍ . فَإِذَا قِيلَ لَهُ : إِنَّكَ إِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ الْمَوْتَ وَالزَّوَالَ ، إِعْدَاماً أَبَدِيّاً ؛ فَكَيْفَ يَعِيشُ وَيَتَلَذَّذُ مَنْ يَنْظُرُ كُلَّ وَقْتٍ ، إِلَى الْمِشْنَقِ الَّذِي يَشْنُقُهُ ؛ وَهُوَ أَمَامَ عَيْنِهِ ؟ فَيَقُولُ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، بِنَصِيبٍ أَخَذَهُ مِنْ وَجْهِ رَحْمَةِ الْقُرْآنِ الْعَامَّةِ ، وَمِنْ نُورِهِ الشَّامِلِ : إِنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ إِعْدَاماً ؛ وَإِنَّهُ يُوجَدُ احْتِمَالُ الْبَقَاءِ ؛ أَوْ يُدْخِلُ رَأْسَهُ ، تَحْتَ رَمْلِ الْغَفْلَةِ ، كَالنَّعَامَةِ ؛ كَيْلَا يَرَاهُ الْأَجَلُ ؛ وَلَا يَنْظُرَ إِلَيْهِ الْقَبْرُ ؛ وَلَا يَرْمِيَهُ زَوَالُ الْأَشْيَاءِ ، السَّهْمَ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ حِينَمَا يَرَى الْمَوْتَ وَالزَّوَالَ ، فِي مَعْنَى الْإِعْدَامِ ، بِوَاسِطَةِ ذٰلِكَ الْكُفْرِ الْمَشْكُوكِ ؛ فَإِنَّ إِخْبَارَاتِ الْقُرْآنِ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ، تِلْكَ الْإِخْبَارَاتِ الْقَاطِعَةَ الْعَائِدَةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، تُعْطِيهِ احْتِمَالاً لِلْبَقَاءِ ؛ فَيَتَعَلَّقُ ذٰلِكَ الْكَافِرُ ، بِذٰلِكَ الِاحْتِمَالِ ؛ فَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ ، ذٰلِكَ الْأَلَمَ الرَّهِيبَ ، كَالنَّعَامَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ إِذَا قِيلَ لَهُ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ يُسَارُ إِلَى عَالَمٍ بَاقٍ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَحَمُّلِ مَشَقَّةِ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ ، لِحُسْنِ الْعَيْشِ فِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ ؛ يَقُولُ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، بِجِهَةِ شَكِّ الْكُفْرِ : لَعَلَّهُ لَا يُوجَدُ ذٰلِكَ الْعَالَمُ ؛ فَلِمَاذَا أَعْمَلُ لِأَجْلِ الْمَعْدُومِ ؛ **يَعْنِي :** أَنَّهُ حِينَمَا يَنْجُو مِنْ آلَامِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، بِجِهَةِ احْتِمَالِ الْبَقَاءِ الَّذِي يُنْتِجُهُ ذٰلِكَ الْحُكْمُ الْقُرْآنِيُّ ؛ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مَشَقَّةُ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ ؛ فَيَتَعَلَّقُ إِزَاءَهَا ، بِاحْتِمَالِ الْكُفْرِ ؛ فَيَنْجُو عَنْ تِلْكَ الْمَشَقَّةِ ، بِجِهَةِ احْتِمَالِ الْعَدَمِ الَّذِي يُنْتِجُهُ الْكُفْرُ الْمَشْكُوكُ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ يَظُنُّ بِاعْتِبَارِ هٰذِهِ النُّقْطَةِ : أَنَّهُ يَسْتَفِيدُ اللَّذَّةَ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، أَزْيَدَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ؛ لِأَنَّهُ يَنْجُو عَنْ مَشَقَّةِ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ ، بِالِاحْتِمَالِ الْكُفْرِيِّ ؛ وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ ، الْآلَامَ الْأَبَدِيَّةَ ، بِالِاحْتِمَالِ الْإِيمَانِيِّ ؛ مَعَ أَنَّ حُكْمَ هٰذِهِ الْمَغْلَطَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، سَطْحِيٌّ وَمُؤَقَّتٌ . **فَإِذاً إِنَّ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، نَوْعَ جِهَةٍ مِنَ الرَّحْمَةِ ، فِي حَقِّ الْكُفَّارِ أَيْضاً ؛ فَيُنْقِذُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِدَرَجَةٍ مَّا ، عَنْ كَوْنِهَا جَهَنَّمَ لَهُمْ ؛ وَيُعْطِيهِمْ نَوْعاً مِنَ الشَّكِّ ؛ فَيَعِيشُونَ بِالشَّكِّ . وَإِلَّا لَكَابَدُوا عَذَابَ جَهَنَّمٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، تُذَكِّرُ**

بِجَهَنَّمِ الْآخِرَةِ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ وَلَاضْطُرُّوا إِلَى الانْتِحَارِ . .

فَيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ! ادْخُلُوا مُؤْمِنِينَ وَمُعْتَمِدِينَ ، تَحْتَ حِمَايَةِ الْقُرْآنِ الَّذِي يُنْقِذُكُمْ عَنِ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ، وَعَنْ جَهَنَّمَيْنِ دُنْيَوِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ ؛ وَادْخُلُوا دَائِرَةَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، مُسْلِمِينَ وَمُسْتَحْسِنِينَ ؛ وَاخْلُصُوا عَنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا ، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ . .

﴿ اَلْإِشَارَةُ التَّاسِعَةُ : ﴾ سُؤَالٌ : يُقَالُ : لِمَاذَا ظَلَّ أَهْلُ الْهِدَايَةِ ، الَّذِينَ هُمْ حِزْبُ اللهِ ؛ وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ ؛ وَعَلٰى مُقَدِّمَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَخْرُ الْعَالَمِ (ﷺ) ، مَغْلُوبِينَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً ، لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، الَّذِينَ هُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ نَالُوا ذٰلِكَ الْمِقْدَارَ ، مِنَ الْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْإِمْدَادِ السُّبْحَانِيِّ ؟ وَكَذَا لِمَاذَا كَانَ مُنَافِقُو الْمَدِينَةِ ، الَّذِينَ كَانُوا عَلٰى قُرْبٍ مِنْ نُبُوَّةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي جِوَارِ رِسَالَتِهِ الْمُشْرِقَةِ كَالشَّمْسِ ، وَبِجَنْبِ إِرْشَادِهِ بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْمُؤَثِّرِ كَالْإِكْسِيرِ الْأَعْظَمِ ، وَفِي جِوَارِ الْحَقَائِقِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَى جَذْباً ، مِنْ جَاذِبِيَّةِ الْكَائِنَاتِ الْعَامَّةِ ، يُصِرُّونَ عَلَى الضَّلَالَةِ ؛ وَلَا يَدْخُلُونَ فِي الْهِدَايَةِ ؟ وَمَا هِيَ حِكْمَةُ ذٰلِكَ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ يَلْزَمُ لِحَلِّ هٰذَا السُّؤَالِ الرَّهِيبِ ، ذِي الشِّقَّيْنِ ، مِنْ بَيَانِ أَسَاسٍ عَمِيقٍ ؛ وَهُوَ : أَنَّ لِخَالِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، الْخَالِقِ ذِي الْجَلَالِ ، قِسْمَيْنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ ، جَمَالِيّاً وَجَلَالِيّاً ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ الْجَمَالِيَّةَ وَالْجَلَالِيَّةَ ، تَقْتَضِي إِظْهَارَ أَحْكَامِهَا ، بِجَلَوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ مَزَجَ ذٰلِكَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ ، الْأَضْدَادَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَجَعَلَهَا مُتَقَابِلَةً ؛ وَأَعْطَاهَا وَضْعَ التَّجَاوُزِ وَالتَّدَافُعِ ؛ وَصَيَّرَهَا عَلٰى صُورَةِ مُبَارَزَةٍ نَافِعَةٍ حَكِيمَةٍ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ عَدّى بِبَعْضِ أَضْدَادٍ ، إِلٰى حُدُودِ بَعْضٍ آخَرَ ؛ فَأَوْقَعَ بَيْنَهَا اخْتِلَافَاتٍ وَتَغَيُّرَاتٍ ؛ فَبِذٰلِكَ جَعَلَ الْكَائِنَاتِ ، تَابِعَةً لِقَانُونِ التَّغَيُّرِ وَالتَّحَوُّلِ ، وَلِدُسْتُورِ التَّرَقِّي وَالتَّكَمُّلِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَتٰى بِقَانُونِ الْمُبَارَزَةِ ، إِلٰى أَعْجَبِ شَكْلٍ ، فِي نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، الَّذِي هُوَ ثَمَرَةٌ جَامِعَةٌ ، مِنْ ثَمَرَاتِ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ؛ وَفَتَحَ الْبَابَ لِمُجَاهَدَةٍ تَكُونُ مَدَاراً لِجَمِيعِ التَّرَقِّيَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَأَعْطٰى حِزْبَ الشَّيْطَانِ ، بَعْضَ أَجْهِزَةٍ ؛ لِيُبَارِزُوا بِهَا ، إِزَاءَ حِزْبِ

اللهِ ؛ فَلِهٰذَا السِّرِّ الدَّقِيق ، أَصْبَحَ الْأَنْبِيَاءُ مَغْلُوبِينَ ، إِزَاءَ أَهْلِ الضَّلَالِ ، مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ وَيَغْلِبُ أَهْلُ الضَّلَالِ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ؛ وَيُقَاوِمُونَ أَهْلَ الْحَقِّ ، الَّذِينَ هُمْ أَقْوِيَاءُ مَعْنًى . وَسِرُّ هٰذِهِ الْمُقَاوَمَةِ الْعَجِيبَةِ ، وَحِكْمَتُهَا ، هِيَ : أَنَّ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ، عَدَماً وَتَرْكاً هَيِّناً ، لَا يَقْتَضِي الْحَرَكَةَ ، وَتَخْرِيباً سَهْلاً وَيَسِيراً ، يَكْفِيهِ حَرَكَةٌ قَلِيلَةٌ ، وَتَجَاوُزاً يَضُرُّ بِالْكَثِيرِينَ ، بِعَمَلٍ قَلِيلٍ ؛ فَيَكْسِبُ لَهُمْ مَقَاماً مَّا ، فِي نَاحِيَةِ الْإِخَافَةِ ، وَمِنْ جِهَةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ لِلْقُوَى النَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ ، الَّتِي لَا تَرَى الْعَاقِبَةَ ؛ وَتُفْتَتَنُ بِالذَّوْقِ الْحَاضِرِ ، تَشَهِّياً وَتَلَذُّذاً وَحُرِّيَّةً تُعْرِضُ بِاللَّطَائِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، مِثْلِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ، عَنْ وَظَائِفِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْعَاقِبَةِ . .

وَأَمَّا أَهْلُ الْهِدَايَةِ ؛ وَعَلَى رَأْسِهِمْ ، أَهْلُ النُّبُوَّةِ ؛ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِمْ ، «حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (ﷺ) ؛ فَإِنَّ لِمَسْلَكِهِمُ الْقُدُسِيِّ ، أُسُساً مُهِمَّةً ، مِثْلَ كَوْنِهِ وُجُودِيّاً وَثُبُوتِيّاً ، وَتَعْمِيراً وَحَرَكَةً ، وَاسْتِقَامَةً فِي الْحُدُودِ ، وَتَفْكِيراً فِي الْعَاقِبَةِ ، وَعُبُودِيَّةً ، وَهَضْمَ حُرِّيَّةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، وَكَسْرَ فِرْعَوْنِيَّتِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ غَضَّ مُنَافِقُو ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، أَبْصَارَهُمْ كَالْخُفَّاشِ ، إِزَاءَ تِلْكَ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ ؛ فَاتَّبَعُوا قُوَّةً دَافِعَةً شَيْطَانِيَّةً ، تِجَاهَ تِلْكَ الْجَاذِبِيَّةِ الْعُظْمَى ؛ وَبَقُوا فِي الضَّلَالَةِ . .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (ﷺ) إِذَا كَانَ «حَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ؛ وَكَانَ مَا بِيَدِهِ حَقّاً ؛ وَمَا فِي لِسَانِهِ حَقِيقَةً ؛ وَكَانَ بَعْضُ الْجُنُودِ فِي جَيْشِهِ مَلَائِكَةً ؛ وَكَانَ يَسْقِي جَيْشاً ، بِمُدٍّ مِنَ الْمَاءِ ؛ وَيُعْطِي ضِيَافَةً تُشْبِعُ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، بِأَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ مِنَ الْقَمْحِ ، وَبِلَحْمِ عَنَاقٍ ؛ وَيَهْزِمُ جَيْشَ الْكُفَّارِ ، بِوُقُوعِ قَبْضَةِ تُرَابٍ ، فِي عَيْنِ كُلِّ كَافِرٍ ، مِنْ قَبْضَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِرَمْيِهِ تِلْكَ الْقَبْضَةَ ، إِلَى أَعْيُنِ جَيْشِ الْكُفَّارِ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ مِثْلُ هٰذَا الْقَائِدِ الرَّبَّانِيِّ ، الصَّاحِبِ لِأَلْفِ مُعْجِزَةٍ ، مِثْلِ هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ ، يُغْلَبُ فِي نِهَايَةِ غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وَفِي بِدَايَةِ حُنَيْنٍ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (ﷺ) ، بُعِثَ إِلَى نَوْعِ الْبَشَرِ ، قُدْوَةً وَإِمَاماً

وَدَلِيلاً ؛ كَيْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ ذٰلِكَ النَّوْعُ الْإِنْسَانِيُّ ، مَا فِي الْحَيَاةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ ، مِنَ الدَّسَاتِيرِ ؛ وَيَتَأَهَّلُوا لِإِطَاعَةِ قَوَانِينِ مَشِيئَةِ الْحَكِيمِ ذِي الْكَمَالِ ؛ وَيُوَفِّقُوا حَرَكَاتِهِمْ ، لِدَسَاتِيرِ حِكْمَتِهِ ؛ فَلَوِ اسْتَنَدَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (ﷺ) ، إِلَى الْمُعْجِزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ دَائِماً ، فِي حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ ؛ لَمَا كَانَ حِينَئِذٍ ، إِمَاماً مُطْلَقاً ، وَمُرْشِداً أَكْبَرَ ؛ فَلِهٰذَا السِّرِّ ، كَانَ يُظْهِرُ الْمُعْجِزَاتِ ، أَحْيَاناً قَلَائِلَ ، عِنْدَ الْحَاجَةِ ، لِتَصْدِيقِ دَعْوَاهُ ، وَلِكَسْرِ إِنْكَارِ الْمُنْكِرِينَ فَقَطْ ؛ وَكَانَ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، يُطِيعُ أَوَامِرَ اللهِ تَعَالٰى ، أَزْيَدَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؛ كَمَا كَانَ يُرَاعِي قَوَانِينَ عَادَاتِ اللهِ ، الْمُؤَسَّسَةَ بِالْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَالْمَشِيئَةِ السُّبْحَانِيَّةِ ؛ وَيُطِيعُهَا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَكَانَ يَلْبَسُ الدِّرْعَ ، إِزَاءَ الْعَدُوِّ ؛ وَيَأْمُرُ أَنْ يَدْخُلُوا الْكَمِينَ ؛ وَيُصْبِحُ مَجْرُوحاً ؛ وَيُقَاسِي الْمِحْنَةَ ؛ كَيْ يُظْهِرَ رِعَايَتَهُ وَإِطَاعَتَهُ ، لِقَوَانِينِ الْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَلِلشَّرِيعَةِ الْفِطْرِيَّةِ الْكُبْرٰى فِي الْكَائِنَاتِ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الْعَاشِرَةُ :﴾ أَنَّ أَهَمَّ دَسِيسَةٍ ، مِنْ دَسَائِسِ إِبْلِيسَ : أَنَّهُ يُنْكِرُ نَفْسَهُ ، لِمَنْ يَتَّبِعُونَهُ . فَنَتَكَلَّمُ بَعْضَ الْكَلَامِ ، إِزَاءَ هٰذِهِ الدَّسِيسَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ تَكَدَّرَتْ أَذْهَانُهُمْ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، لَاسِيَّمَا بِفَلْسَفَةِ الْمَادِّيِّينَ ؛ يُظْهِرُونَ التَّرَدُّدَ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْبَدِيهِيَّةِ ؛ فَنَقُولُ : إِنَّهُ كَمَا تُوجَدُ بِالْمُشَاهَدَةِ ، فِي النَّاسِ ، أَرْوَاحٌ خَبِيثَةٌ مُتَجَسِّدَةٌ ، تُؤَدِّي وَظِيفَةَ الشَّيْطَانِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ وُجُودَ أَرْوَاحٍ خَبِيثَةٍ غَيْرِ مُتَجَسِّدَةٍ مِنَ الْجِنِّ ، مَقْطُوعٌ بِهِ ، فِي دَرَجَةِ ذٰلِكَ الْقَطْعِ ؛ فَلَوْ لَبِسَتْ هِيَ ، أَجْسَاداً مَادِّيَّةً ؛ لَأَصْبَحَتْ عَيْنَ هٰؤُلَاءِ الْأُنَاسِ الْأَشْرَارِ ؛ وَلَوِ اسْتَطَاعَ هٰؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الْإِنْسِيُّونَ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِنْسَانِ ، أَنْ يَخْلَعُوا أَجْسَادَهُمْ ؛ لَصَارُوا أُولٰئِكَ الْأَبَالِيسَةَ الْجِنِّيِّينَ ؛ حَتّٰى إِنَّ مَذْهَباً بَاطِلاً ، حَكَمَ بِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ الشَّدِيدَةِ ، بِأَنَّ الْأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ الشِّرِّيرَةَ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِنْسَانِ ، تَصِيرُ شَيَاطِينَ ، بَعْدَمَا تَمُوتُ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَيْئاً أَعْلٰى ، إِذَا فَسَدَ ؛ يُصْبِحُ أَفْسَدَ مِنْ شَيْءٍ أَدْنٰى ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ اللَّبَنَ وَالرَّائِبَ ، إِذَا فَسَدَا ؛ يُؤْكَلَانِ أَيْضاً ؛ وَإِنَّ السَّمْنَ إِذَا تَغَيَّرَ ؛ لَا يُؤْكَلُ ؛ وَقَدْ يَصِيرُ مِثْلَ السُّمِّ ؛ **كَذٰلِكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ الْمَخْلُوقَاتِ ، بَلْ أَعْلَاهَا ، إِذَا تَفَسَّخَ ؛ يُصْبِحُ أَفْسَدَ**

حَيَوَانٍ مُتَفَسِّخٍ ؛ فَيَتَلَذَّذُ بِالشُّرُورِ ؛ وَيَفْتَخِرُ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاسِدَةِ ، فِي وَحَلِ الضَّلَالَةِ ؛ وَيَسْتَلِذُّ مِنْ أَضْرَارٍ وَجِنَايَاتٍ ، فِي ظُلُمَاتِ الظُّلْمِ ، كَحَشَرَاتٍ مُتَلَذِّذَةٍ بِرَائِحَةِ مَوَادَّ مُتَعَفِّنَةٍ ، وَكَحَيَّاتٍ تَتَلَذَّذُ مِنَ التَّسْمِيمِ وَاللَّدْغِ ؛ كَأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي مَاهِيَّةِ الشَّيْطَانِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ دَلِيلاً قَاطِعاً ، عَلَى وُجُودِ الشَّيْطَانِ الْجِنِّيِّ ، هُوَ وُجُودُ الشَّيْطَانِ الْإِنْسِيِّ . .

وَثَانِياً : أَنَّ وُجُودَ الرُّوحَانِيِّينَ وَالْمَلَائِكَةِ ، قَدْ أُثْبِتَ بِمِئَةِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ ، فِي الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ وَتُثْبِتُ تِلْكَ الدَّلَائِلُ كُلُّهَا ، وُجُودَ الشَّيَاطِينِ أَيْضاً . فَنُحِيلُ هٰذِهِ الْجِهَةَ ، عَلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ . .

وَثَالِثاً : كَمَا أَنَّ وُجُودَ الْمَلَائِكَةِ ، الَّذِينَ هُمْ فِي حُكْمِ نَاظِرِينَ وَمُمَثِّلِينَ لِقَوَانِينَ فِي أُمُورٍ خَيْرِيَّةٍ فِي الْكَائِنَاتِ ، ثَابِتٌ بِاتِّفَاقِ الْأَدْيَانِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ وُجُودَ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مُمَثِّلَةٌ لِأُمُورٍ شَرِّيَّةٍ ، وَمُبَاشِرَةٌ بِهَا ، وَمَدَارٌ لِقَوَانِينَ فِي تِلْكَ الْأُمُورِ ، قَطْعِيٌّ فِي نَظَرِ الْحِكْمَةِ وَالْحَقِيقَةِ ؛ بَلْ يَكُونُ وُجُودُ حِجَابٍ ذِي شُعُورٍ ، فِي الْأُمُورِ الشَّرِّيَّةِ ، أَلْزَمَ ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، لَا يَرَى الْحُسْنَ الْحَقِيقِيَّ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَلِذٰلِكَ جَعَلَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ ، وَاسِطَةً ظَاهِرَةً ، حِجَاباً ؛ كَيْلَا يَعْتَرِضَ الْإِنْسَانُ ، عَلَى اللهِ تَعَالَى ؛ وَلَا يَتَّهِمَ رَحْمَتَهُ ؛ وَلَا يَنْتَقِدَ حِكْمَتَهُ ؛ وَلَا يَشْتَكِيَ عَنْهُ ، بِدُونِ حَقٍّ ، فِي جِهَةِ الشَّرِّ وَالنُّقْصَانِ الظَّاهِرِيَّيْنِ ؛ كَيْ يَتَعَدّٰى الِاعْتِرَاضُ وَالِانْتِقَادُ وَالشَّكْوٰى ، إِلٰى تِلْكَ الْحُجُبِ ؛ وَلَا تَتَوَجَّهَ إِلَى الْخَالِقِ الْكَرِيمِ ، وَالْحَكِيمِ الْمُطْلَقِ ؛ فَكَمَا أَنَّهُ جَعَلَ الْأَمْرَاضَ ، حِجَاباً لِلْأَجَلِ ، لِإِنْقَاذِ عَزْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، عَنْ سُخْطِ الْعِبَادِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ ؛ كَذٰلِكَ جَعَلَ عَزْرَائِيلَ ، حِجَاباً لِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ ، كَيْلَا تَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، الشَّكَايَا مِنْ تِلْكَ الْحَالَاتِ الَّتِي تُتَوَهَّمُ بِدُونِ رَحْمَةٍ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ فَكَذٰلِكَ اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، اقْتِضَاءً أَقْطَعَ ، وُجُودَ الشَّيْطَانِ ؛ لِئَلَّا يَتَوَجَّهَ الِاعْتِرَاضُ وَالِانْتِقَادُ النَّاشِئُ عَنِ الشُّرُورِ وَالسَّيِّئَاتِ ، إِلَى الْخَالِقِ الْجَلِيلِ . .

وَرَابِعاً : أَنَّ الْعَالَمَ ، إِنْسَانٌ كَبِيرٌ ؛ كَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ ، عَالَمٌ صَغِيرٌ ؛ فَهٰذَا الإِنْسَانُ الصَّغِيرُ ، فِهْرِسٌ وَخُلاصَةٌ لِذٰلِكَ الإِنْسَانِ الْكَبِيرِ ؛ فَالْأُصُولُ الْكَبِيرَةُ لِلنَّمَاذِجِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْإِنْسَانِ ، تُوجَدُ فِي الإِنْسَانِ الْأَكْبَرِ ، بِالضَّرُورَةِ ؛ فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ وُجُودَ الْقُوَّةِ الْحَافِظَةِ فِي الْإِنْسَانِ ، دَلِيلٌ قَاطِعٌ ، عَلٰى وُجُودِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي الْعَالَمِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْقُوَّةَ الْوَاهِمَةَ الْمُفْسِدَةَ ، وَاللِّسَانَ الشَّيْطَانِيَّ الْمُتَكَلِّمَ بِإِلْقَاءَاتِهَا ، وَآلَةَ الْوَسْوَسَةِ الْمُسَمَّاةَ بِاللُّمَّةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، فِي زَاوِيَةٍ مِنْ قَلْبِ الْإِنْسَانِ ، الَّتِي يُشَاهِدُ كُلُّ أَحَدٍ فِي نَفْسِهِ ، حِسّاً وَحَدْساً ، أَنَّهَا أَصْبَحَتْ فِي حُكْمِ شَيْطَانٍ صَغِيرٍ ؛ وَتَتَحَرَّكُ مُضَادَّةً لِاخْتِيَارِ صَاحِبِهَا ، وَمُخَالِفَةً لِإِرَادَتِهِ ، دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ ، عَلٰى وُجُودِ كِبَارِ الشَّيَاطِينِ فِي الْعَالَمِ ؛ وَإِنَّ هٰذِهِ اللُّمَّةَ الشَّيْطَانِيَّةَ ، وَالْقُوَّةَ الْوَاهِمَةَ ، لِكَوْنِهِمَا أُذُناً وَلِسَاناً ، تُشْعِرَانِ بِوُجُودِ شَخْصٍ شِرِّيرٍ خَارِجِيٍّ ، يُنْطِقُ هٰذَا ؛ وَيَنْفُثُ فِي ذٰلِكَ . .

﴿اَلْإِشَارَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، يُفِيدُ إِفَادَةً مُعْجِزَةً : أَنَّ الْكَائِنَاتِ تَغِيظُ عَنْ شَرِّ أَهْلِ الضَّلالَةِ ؛ وَأَنَّ الْعَنَاصِرَ الْكُلِّيَّةَ تَغْضَبُ عَلَيْهِمْ ؛ وَأَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ تَكَادُ تَهِيجُ مِنْهُمْ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّهُ يُبَيِّنُ وَيُعْلِنُ هُجُومَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، بِالطُّوفَانِ النَّازِلِ عَلٰى قَوْمِ نُوحٍ ، وَغَضَبَ عُنْصُرِ الْهَوَاءِ ، عَنْ إِنْكَارِ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ ، وَغَلَيَانَ الْبَحْرِ وَعُنْصُرِ الْمَاءِ ، إِزَاءَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ، وَغَيْظَ عُنْصُرِ التُّرَابِ ، إِزَاءَ قَارُونَ ، وَغَيْظَ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ ، إِزَاءَ أَهْلِ الْكُفْرِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ؛ وَيُبَيِّنُ غَضَبَ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ ، إِزَاءَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلالَةِ ؛ فَيَزْجُرُ أَهْلَ الضَّلالَةِ وَالْعِصْيَانِ ، زَجْراً عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، وَبِأُسْلُوبٍ رَهِيبٍ . .

سُؤَالٌ : لِمَاذَا تَجْلِبُ أَعْمَالُ النَّاسِ الَّذِينَ لا قِيمَةَ لَهُمْ ، وَذُنُوبُهُمُ الَّتِي لا أَهَمِّيَّةَ لَهَا ، غَيْظَ الْكَائِنَاتِ هٰكَذَا ؟ .

وَالْجَوَابُ : أَنَّ الْكُفْرَ وَالضَّلالَةَ ، تَجَاوُزٌ رَهِيبٌ ، وَجِنَايَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ كَمَا أُثْبِتَ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ ، وَفِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ؛ وَذٰلِكَ ؛ لِأَنَّ أَعْظَمَ نَتِيجَةٍ مِنْ

نَتَائِجِ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ عُبُودِيَّةُ الْإِنْسَانِ ، وَمُقَابَلَتُهُ بِالْإِطَاعَةِ وَالْإِيمَانِ ، إِزَاءَ الرُّبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ، يَرُدُّونَ بِمَا فِي الْكُفْرِ مِنَ الْإِنْكَارِ ، تِلْكَ النَّتِيجَةَ الْعُظْمَى الَّتِي هِيَ الْعِلَّةُ الْغَائِيَّةُ لِلْمَوْجُودَاتِ ، وَالسَّبَبُ لِبَقَائِهَا ؛ فَيَكُونُ ذٰلِكَ نَوْعاً مِنَ التَّجَاوُزِ عَلٰى حُقُوقِ عُمُومِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ كَمَا أَنَّ إِنْكَارَهُمْ لِجَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي تَرْفَعُ قِيمَةَ الْمَصْنُوعَاتِ ، بِجِهَةِ مِرْآتِيَّتِهَا لَهَا ؛ وَتَتَظَاهَرُ جَلَوَاتُهَا ، فِي مَرَايَا جَمِيعِ الْمَصْنُوعَاتِ ، يَكُونُ تَزْيِيفاً إِزَاءَ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ كَمَا يَكُونُ تَحْقِيراً عَظِيماً ، إِزَاءَ تِلْكَ الْمَصْنُوعَاتِ ، بِتَنْزِيلِ قِيمَتِهَا جَمِيعاً ؛ وَأَيْضاً أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا ، هِيَ فِي مَرْتَبَةِ مَأْمُورٍ رَبَّانِيٍّ مُوَظَّفٍ بِوَظِيفَةٍ عَالِيَةٍ ؛ فَيُسْقِطُهُ الْإِنْكَارُ ، عَنِ الْقِيمَةِ ؛ وَيُرِيهِ فِي مَنْزِلَةِ مَخْلُوقٍ فَانٍ جَامِدٍ لَا مَعْنٰى لَهُ ؛ فَيَكُونُ ذٰلِكَ ، نَوْعاً مِنَ التَّحْقِيرِ ، إِزَاءَ حُقُوقِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ فَإِذاً إِنَّ أَنْوَاعَ الضَّلَالِ عَلٰى حَسَبِ دَرَجَاتِهَا ، تَضُرُّ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً ، بِالْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَبِالْمَقَاصِدِ السُّبْحَانِيَّةِ فِي بَقَاءِ الدُّنْيَا ؛ فَلِذٰلِكَ تَغِيظُ الْكَائِنَاتُ ، عَلٰى أَهْلِ الْعِصْيَانِ ، وَعَلٰى أَهْلِ الضَّلَالِ ؛ وَتَغْضَبُ الْمَوْجُودَاتُ عَلَيْهِمْ ؛ وَتَشْمَئِزُّ الْمَخْلُوقَاتُ عَنْهُمْ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْبَائِسُ الصَّغِيرُ الْجِرْمِ وَالْجِسْمِ ، وَكَبِيرُ الْجُرْمِ وَالظُّلْمِ ، وَعَظِيمُ الْعَيْبِ وَالذَّنْبِ ! إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَخْلُصَ عَنْ غَيْظِ الْكَائِنَاتِ ، وَعَنْ نَفْرَةِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَعَنْ غَضَبِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ فَهَا إِنَّ وَسِيلَةَ الْخَلَاصِ ، هِيَ الدُّخُولُ فِي دَائِرَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، الْقُدْسِيَّةِ ، وَالْاِتِّبَاعُ لِسُنَّةِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» السَّنِيَّةِ (عليه الصلاة والسلام) ؛ فَادْخُلْهَا وَاتَّبِعْهَا . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَرْبَعَةُ أَسْئِلَةٍ وَأَجْوِبَةٍ . .

اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : كَيْفَ يَكُونُ عَذَابٌ بِلَا حَدٍّ ، وَجَهَنَّمُ بِلَا نِهَايَةٍ ، عَدَالَةً إِزَاءَ ذُنُوبٍ مَعْدُودَةٍ ، فِي حَيَاةٍ مَحْدُودَةٍ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ قَطْعاً ، فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ، لَاسِيَّمَا فِي الْإِشَارَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ قَبْلَ هٰذِهِ الْإِشَارَةِ : أَنَّ جِنَايَةَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ، جِنَايَةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، وَاعْتِدَاءٌ عَلٰى

حُقُوقٍ لَا حَدَّ لَهَا . .

اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : أَنَّهُ قِيلَ فِي الشَّرِيعَةِ : إِنَّ جَهَنَّمَ ، جَزَاءُ الْعَمَلِ ؛ وَلٰكِنَّ الْجَنَّةَ ، فَضْلٌ إِلٰهِيٌّ ؛ فَمَا هُوَ سِرُّهُ وَحِكْمَتُهُ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهُ تَبَيَّنَ مِنَ الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ : أَنَّ الْإِنْسَانَ يُسَبِّبُ تَخْرِيبَاتٍ وَشُرُوراً هَائِلَةً ، بِتَشْكِيلِ أَمْرٍ عَدَمِيٍّ ، أَوْ بِتَثْبِيتِ أَمْرٍ اعْتِبَارِيٍّ ، بِجُزْءٍ اخْتِيَارِيٍّ ، وَكَسْبٍ جُزْئِيٍّ ، لَا إِيجَادَ لَهُ ؛ كَمَا أَنَّ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ ، مَيَّالَانِ دَائِماً ، إِلَى الشَّرِّ وَالضَّرَرِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَحْمِلُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ ، مَسْؤُولِيَّةَ السَّيِّئَاتِ الْحَاصِلَةِ مِنْ نَتِيجَةِ ذٰلِكَ الْكَسْبِ الصَّغِيرِ ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُ طَلَبَتْهَا ؛ وَأَنَّهُ هُوَ تَسَبَّبَ لَهَا ؛ وَإِنَّ الشَّرَّ ، لِكَوْنِهِ عَدَمِيّاً ، صَارَ الْعَبْدُ فَاعِلاً لَهُ ؛ وَاللهُ تَعَالَى خَلَقَهُ ؛ فَيَسْتَحِقُّ قَطْعاً ، لِتَحَمُّلِ مَسْؤُولِيَّةِ تِلْكَ الْجِنَايَةِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، بِعَذَابٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ . وَأَمَّا الْحَسَنَاتُ وَالْخَيْرَاتُ ، فَلَمَّا كَانَتْ وُجُودِيَّةً ؛ لَا يَكُونُ الْكَسْبُ الْإِنْسَانِيُّ ، وَالِاخْتِيَارُ الْجُزْئِيُّ ، عِلَّةً مُوجِدَةً لَهَا ؛ فَلَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهَا ، فَاعِلاً حَقِيقِيّاً ؛ وَإِنَّ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ لَيْسَتْ مَائِلَةً إِلَى الْحَسَنَاتِ ؛ بَلِ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ تَقْتَضِيهَا ؛ وَالْقُدْرَةُ الرَّبَّانِيَّةُ تُوجِدُهَا ؛ وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَكُونُ مَالِكاً لَهَا ، بِالْإِيمَانِ وَالطَّلَبِ وَالنِّيَّةِ فَقَطْ ؛ وَبَعْدَمَا أَصْبَحَ مَالِكاً لِتِلْكَ الْحَسَنَاتِ ؛ تَكُونُ شُكْراً لِنِعَمٍ إِلٰهِيَّةٍ سَابِقَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، مِثْلِ الْوُجُودِ وَالْإِيمَانِ ، مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أُنْعِمَتْ عَلَيْهِ أَوَّلاً ؛ وَتَنْظُرُ تِلْكَ الْحَسَنَاتُ ، إِلَى النِّعَمِ السَّابِقَةِ ؛ وَأَمَّا الْجَنَّةُ الَّتِي سَتُعْطَى بِالْوَعْدِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَهِيَ تُعْطَى بِالْفَضْلِ الرَّحْمَانِيِّ ؛ وَهِيَ مُكَافَأَةٌ فِي الظَّاهِرِ ، وَفَضْلٌ فِي الْحَقِيقَةِ . فَإِذاً إِنَّ السَّبَبَ فِي السَّيِّئَاتِ ، هُوَ النَّفْسُ ؛ فَهِيَ بِذَاتِهَا مُسْتَحِقَّةٌ بِالْمُجَازَاةِ ؛ وَأَمَّا فِي الْحَسَنَاتِ ، فَالسَّبَبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وَالْعِلَّةُ مِنْهُ ؛ وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَمْلِكُهَا بِالْإِيمَانِ فَقَطْ ؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ : أَطْلُبُ الْمُكَافَأَةَ ؛ وَإِنَّمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : إِنِّي أَرْجُو فَضْلَهُ . .

اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ الْبَيَانَاتِ السَّابِقَةِ : أَنَّ السَّيِّئَاتِ ، لِتَعَدُّدِهَا بِالِانْتِشَارِ وَالتَّجَاوُزِ ، كَانَ اللَّازِمُ ، أَنْ تُكْتَبَ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ ، أَلْفَ سَيِّئَةٍ ؛ وَلٰكِنَّ الْحَسَنَةَ ، لِكَوْنِهَا لَا

تَتَعَدَّدُ ؛ وَلَيْسَتْ بِإِيجَادِ الْعَبْدِ ، وَلَا بِطَلَبِ النَّفْسِ ، كَانَ اللَّازِمُ ، أَنْ لَا تُكْتَبَ ؛ أَوْ تُكْتَبَ وَاحِدَةً ؛ فَلِمَاذَا تُكْتَبُ السَّيِّئَةُ وَاحِدَةً ؛ وَالْحَسَنَةُ تُكْتَبُ عَشْراً ؛ وَأَحْيَاناً تُكْتَبُ أَلْفاً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، يُظْهِرُ بِذٰلِكَ الْوَجْهِ ، كَمَالَ رَحْمَتِهِ ، وَجَمَالَ رَحِيمِيَّتِهِ . .

اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ : هُوَ أَنَّ الْمُوَفَّقِيَّةَ الَّتِي يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ الضَّلَالَةِ ، وَالْقُوَّةَ الَّتِي يُظْهِرُونَهَا ، وَغَلَبَتَهُمْ عَلٰى أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُمْ يَسْتَنِدُونَ إِلٰى قُوَّةٍ وَحَقِيقَةٍ . فَإِذاً ، إِمَّا أَنَّ فِي أَهْلِ الْهِدَايَةِ ضَعْفاً ؛ وَإِمَّا أَنَّ فِيهِمْ حَقِيقَةً . .

اَلْجَوَابُ : كَلَّا ! إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ حَقِيقَةٌ ؛ وَلَا فِي أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ضَعْفٌ ؛ حَاشَاهُمْ ؛ وَلٰكِنَّ بَعْضَ الْعَوَامِّ الْقَاصِرِي النَّظَرِ ، الَّذِينَ لَا مُحَاكَمَةَ لَدَيْهِمْ ، يَقَعُونَ فِي التَّرَدُّدِ ؛ وَيَتَوَسْوَسُونَ ؛ وَيَطْرَءُ الْخَلَلُ ، عَلٰى عَقِيدَتِهِمْ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي أَهْلِ الْحَقِّ ، الْحَقُّ وَالْحَقِيقَةُ كَامِلاً ؛ لَكَانَ اللَّازِمُ ، أَنْ لَا تُوجَدَ الْمَغْلُوبِيَّةُ وَالذِّلَّةُ ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؛ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ قَوِيَّةٌ ؛ وَالْقُوَّةَ فِي الْحَقِّ ، بِقَاعِدَةِ «الْحَقُّ يَعْلُو ؛ وَلَا يُعْلٰى عَلَيْهِ» ، تِلْكَ الْقَاعِدَةِ الْأَسَاسِيَّةِ ؛ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لِأَهْلِ الضَّلَالِ ، أُولٰئِكَ الْغَالِبِينَ عَلٰى أَهْلِ الْحَقِّ ، قُوَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ ، وَنُقْطَةُ اسْتِنَادٍ ؛ لَلَزِمَ أَنْ لَا تَكُونَ الْغَالِبِيَّةُ وَالْمُوَفَّقِيَّةُ ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ مَجْمُوعَ هَيْئَةِ الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ، جَوَابٌ لِهٰذَا السُّؤَالِ ؛ لِأَنَّهُ أُثْبِتَ فِي تِلْكَ الْإِشَارَاتِ ، قَطْعاً : أَنَّ غَلَبَةَ أَهْلِ الضَّلَالِ ، لَمْ تَنْشَأْ عَنْ قُوَّتِهِمْ وَاقْتِدَارِهِمْ ؛ وَلَا أَنَّهُمْ وَجَدُوا نُقْطَةَ الِاسْتِنَادِ ؛ كَمَا أُثْبِتَ أَيْضاً ، فِي الْإِشَارَاتِ السَّابِقَةِ ، إِثْبَاتاً قَاطِعاً : أَنَّ مَغْلُوبِيَّةَ أَهْلِ الْحَقِّ ، لَمْ تَأْتِ عَنْ فَقْدِ الْقُوَّةِ ، وَعَدَمِ الْحَقِيقَةِ . وَنُشِيرُ هٰهُنَا ، إِلٰى بَعْضِ دَسَائِسِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُونَهَا ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّنِي بِنَفْسِي ، شَاهَدْتُ مُكَرَّراً : أَنَّ عَشَرَةً فِي الْمِئَةِ ، مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ ، كَانُوا يَغْلِبُونَ عَلٰى تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ ، مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ ؛ فَاغْتَمَمْتُ بِالْحَيْرَةِ ؛ فَتَدَبَّرْتُ وَعَلِمْتُ قَطْعاً : أَنَّ تِلْكَ الْقُوَّةَ لَا تَنْشَأُ عَنِ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ ؛ بَلْ إِنَّمَا تَنْشَأُ عَنِ الْفَسَادِ وَالدَّنَاءَةِ وَالتَّخْرِيبِ ، وَعَنْ الِاسْتِفَادَةِ مِن اخْتِلَافِ أَهْلِ الْحَقِّ ، وَعَنْ إِلْقَاءِ الِاخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ ، وَعَنْ إِمْسَاكِ أَعْصَابِهِمُ الضَّعِيفَةِ ، وَعَنْ تَلْقِيحِهَا ، وَعَنْ تَحْرِيكِ

الْحِسِّيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ، وَالْأَغْرَاضِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَعَنْ إِعْمَالِ مَا فِي مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ ، مِن اسْتِعْدَادَاتٍ خَبِيثَةٍ ، فِي حُكْمِ مَعَادِنَ ضَارَّةٍ ، وَعَنْ تَهْيِيجِ فِرْعَوْنِيَّةِ النَّفْسِ ، عَلٰى وَجْهِ الرِّيَاءِ ، بِاسْمِ الشَّأْنِ وَالشَّرَفِ ، وَعَنْ مَخَافَةِ كُلِّ أَحَدٍ ، مِنْ تَخْرِيبَاتِهِمُ الَّتِي تُخَالِفُ الْوِجْدَانَ ؛ فَيَغْلِبُونَ بِأَمْثَالِ تِلْكَ الدَّسَائِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، عَلٰى أَهْلِ الْحَقِّ مُؤَقَّتاً ؛ وَلٰكِنَّ تِلْكَ الْغَلَبَةَ الْمُؤَقَّتَةَ ، سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ جَهَنَّمَ لَهُمْ ، وَالْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْحَقِّ ؛ مَعَ أَنَّهَا لَا قِيمَةَ لَهَا ، مِنْ جِهَةِ النَّفْعِ لَهُمْ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، وَبِدُسْتُورِ «أَنَّ الْحَقَّ يَعْلُو ؛ وَلَا يُعْلٰى عَلَيْهِ» . وَإِنَّ الَّذِينَ لَا اقْتِدَارَ لَهُمْ ، يُشَاهَدُونَ فِي الضَّلَالَةِ ، مُقْتَدِرِينَ ؛ وَالَّذِينَ لَا قِيمَةَ لَهُمْ ، يَفُوزُونَ فِيهَا بِالشُّهْرَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَدْخُلُ أَشْخَاصٌ مُعْجَبُونَ وَمُتَشَهِّرُونَ وَمُرَاؤُونَ ، فِي حَالِ مُخَالِفٍ لِأَهْلِ الْحَقِّ ؛ وَذٰلِكَ لِإِظْهَارِ اقْتِدَارِهِمْ ، وَلَوْ بِشَيْءٍ قَلِيلٍ ، وَلِتَحْصِيلِ مَقَامٍ لَهُمْ ، مِنْ جِهَةِ الْإِخَافَةِ وَالْإِضْرَارِ ؛ كَيْ يُشَاهَدُوا ؛ وَيُلْفَتَ نَظَرُ الْإِعْجَابِ إِلَيْهِمْ ؛ وَتُسْنَدَ إِلَيْهِمْ تَخْرِيبَاتٌ لَا يُسَبِّبُونَهَا بِالِاقْتِدَارِ وَالْقُدْرَةِ ، بَلْ بِالتَّرْكِ وَالْعَطَالَةِ ؛ كَيْ يُبْحَثَ عَنْهُمْ ؛ كَمَا أَنَّ وَاحِداً مِنْ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ ، مِنْ مَجَانِينِ الشُّهْرَةِ ، لَوَّثَ الْمَسْجِدَ ؛ كَيْ يَبْحَثَ عَنْهُ كُلُّ أَحَدٍ ؛ وَقَدْ بُحِثَ عَنْهُ بِاللَّعْنَةِ عَلَيْهِ أَيْضاً ؛ فَأَرَاهُ عَصَبُ الِاشْتِهَارِ ، هٰذِهِ الشُّهْرَةَ اللَّاعِنَةَ طَيِّبَةً ؛ فَسَارَ ذٰلِكَ مَثَلاً . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْبَائِسُ الْمَخْلُوقَ لِعَالَمِ الْبَقَاءِ ، وَالْمَفْتُونَ بِالْعَالَمِ الْفَانِي ! تَدَبَّرْ وَاسْتَمِعْ إِلٰى سِرِّ آيَةِ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ﴾ ؛ وَانْظُرْ مَاذَا تَقُولُ ؟ إِنَّهَا تَقُولُ بِمَفْهُومِهَا الصَّرِيحِ : إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِالْإِنْسَانِ ، لَا تَبْكِي بِمَوْتِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، عَلٰى جَنَائِزِهِمْ ؛ يَعْنِي : أَنَّهَا تَفْرَحُ بِمَوْتِهِمْ ؛ وَتُفِيدُ بِمَفْهُومِهَا الْإِشَارِيِّ : أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَبْكِينَ بِمَوْتِ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، عَلٰى جَنَائِزِهِمْ ؛ وَلَا يَرْضَيْنَ بِفِرَاقِهِمْ ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، لَهَا عَلَاقَةٌ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَأَنَّهَا مَسْرُورَةٌ بِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَحْتَرِمُونَهَا ؛ وَيَقْدِرُونَ قَدْرَهَا ؛ وَلَا يَحْتَقِرُونَهَا ؛ وَلَا يُضْمِرُونَ الْعَدَاوَةَ لَهَا ، كَأَهْلِ الضَّلَالِ ؛ وَذٰلِكَ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ بِالْإِيمَانِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ! تَفَكَّرْ أَنَّكَ لَتَمُوتَنَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَابِعاً لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ جِيرَانَكَ، بَلْ أَقْرِبَاءَكَ، يُسَرُّونَ بِمَوْتِكَ، لِلْخَلَاصِ مِنْ شَرِّكَ؛ وَإِنْ كُنْتَ تَابِعاً لِلْقُرْآنِ، وَلِحَبِيبِ الرَّحْمٰنِ؛ وَاسْتَعَذْتَ بِاللهِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَحِينَئِذٍ تَبْكِي عَلَيْكَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْمَوْجُودَاتُ مَعْنًى، مُتَأَثِّرَةً مِنْ فِرَاقِكَ، حَسَبَ دَرَجَتِكَ؛ كَمَا تَبْكِي بِالنِّسْبَةِ إِلٰى دَرَجَةِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَتُشِيرُ إِلٰى أَنَّ لَكَ اسْتِقْبَالاً حَسَناً، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى دَرَجَتِكَ، فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ، الَّذِي تَدْخُلُهُ بِبَابِ الْقَبْرِ، بِمَأْتَمٍ رَفِيعٍ، وَتَشْيِيعٍ مُحْتَشِمٍ..

اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: ثَلَاثُ نِقَاطٍ..

اَلْأُولٰى: أَنَّ أَكْبَرَ دَسِيسَةٍ لِلشَّيْطَانِ، هُوَ أَنَّهُ يَخْدَعُ الْإِنْسَانَ الضَّائِقَ الْقَلْبِ، وَالنَّاقِصَ الْعَقْلِ، وَالْقَاصِرَ الْفِكْرِ، فِي جِهَةِ عَظَمَةِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ؛ فَيَقُولُ: «إِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ رَبّاً وَاحِداً، يُدِيرُ جَمِيعَ الذَّرَّاتِ وَالسَّيَّارَاتِ، وَالنُّجُومِ وَسَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ، بِجَمِيعِ أَحْوَالِهَا؛ وَيُدَبِّرُهَا فِي تَدْبِيرِ رُبُوبِيَّتِهِ»؛ فَكَيْفَ يُعْتَقَدُ مِثْلُ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ الْعَجِيبَةِ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا؛ وَكَيْفَ يَقْبَلُهُ الْفِكْرُ؟ فَيُوقِظُ حِسَّ إِنْكَارٍ، فِي جِهَةِ عَجْزِ الْإِنْسَانِ..

اَلْجَوَابُ: أَنَّ السِّرَّ الَّذِي يُفْحِمُ دَسِيسَةَ الشَّيْطَانِ هٰذِهِ، هُوَ لَفْظُ (اللهُ أَكْبَرُ)؛ وَأَنَّ جَوَابَهَا الْحَقِيقِيَّ أَيْضاً، هُوَ (اللهُ أَكْبَرُ)؛ نَعَمْ: إِنَّ تَكْرَارَ لَفْظِ (اللهُ أَكْبَرُ)، بِزِيَادَةِ الْكَثْرَةِ، فِي شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، إِنَّمَا هُوَ لِإِزَالَةِ هٰذِهِ الدَّسِيسَةِ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْإِنْسَانِ الْعَاجِزَةَ، وَقُدْرَتَهُ الضَّعِيفَةَ، وَفِكْرَهُ الضَّعِيفَ، إِنَّمَا تَرَى مِثْلَ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْعَظِيمَةِ بِلَا حَدٍّ؛ وَتُصَدِّقُهُ بِنُورِ (اللهُ أَكْبَرُ)؛ وَتَحْمِلُ تِلْكَ الْحَقَائِقَ، بِقُوَّةِ (اللهُ أَكْبَرُ)؛ وَإِنَّهَا تَتَّسِعُ فِي دَائِرَةِ (اللهُ أَكْبَرُ)؛ وَيَقُولُ لِقَلْبِهِ الْوَاقِعِ فِي الْوَسْوَاسِ: إِنَّ تَدْبِيرَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، وَتَدْوِيرَهَا الْمُنْتَظِمَ، يُرٰى بِالْمُشَاهَدَةِ؛ فَفِي هٰذَا طَرِيقَانِ..

اَلطَّرِيقُ الْأَوَّلُ مُمْكِنٌ؛ وَلٰكِنَّهُ عَظِيمٌ وَخَارِقٌ؛ وَإِنَّ مِثْلَ هٰذَا الْأَثَرِ الْخَارِقِ، وَالصُّنْعِ الْعَجِيبِ، إِنَّمَا يَكُونُ بِطَرِيقٍ عَجِيبٍ جِدّاً؛ وَذٰلِكَ الطَّرِيقُ، هُوَ أَنْ يَكُونَ بِرُبُوبِيَّةِ رَبٍّ أَحَدٍ صَمَدٍ، وَبِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، الَّذِي تُوجَدُ شُهَدَاءُ عَلٰى وُجُودِهِ، بِعَدَدِ

الْمَوْجُودَاتِ ، بَلْ بِعَدَدِ الذَّرَّاتِ . .

وَالطَّرِيقُ الثَّانِي ، هُوَ طَرِيقُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَيُّ جِهَةٍ مِنَ الْإِمْكَانِ أَصْلاً ؛ وَيُشْكِلُ فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ؛ وَلَا يَكُونُ مَعْقُولاً بِأَيٍّ وَجْهٍ ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ ، بَلْ وَفِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْهَا ، أُلُوهِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ ، وَعِلْمٌ مُحِيطٌ ، وَقُدْرَةٌ غَيْرُ مَحْدُودَةٍ ؛ كَيْ تُوجَدَ نُقُوشُ الصَّنْعَةِ ، الَّتِي تُرَى فِي الْمَوْجُودَاتِ ، بِالْمُشَاهَدَةِ ، تِلْكَ النُّقُوشُ الْمُكَمَّلَةُ الْمُزَيَّنَةُ بِالنِّظَامِ وَالِانْتِظَامِ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، وَبِالِامْتِيَازِ وَالْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ عَلَى مَا أُثْبِتَ قَطْعاً ، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ، مِثْلِ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَالْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ إِنْ لَمْ تُوجَدْ رُبُوبِيَّةٌ ذَاتُ عَظَمَةٍ وَكِبْرِيَاءٍ ، الَّتِي هِيَ لَائِقَةٌ كَامِلاً ، وَوَاقِعَةٌ فِي مَحَلِّهَا تَمَاماً ؛ تَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، مُتَابَعَةُ طَرِيقٍ مُمْتَنِعٍ غَيْرِ مَعْقُولٍ بِكُلِّ الْجِهَاتِ ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَيْضاً ، أَنْ يُكَلِّفَ الدُّخُولَ فِي الْمُحَالِ وَالِامْتِنَاعِ ، بِالْفِرَارِ مِنَ الْعَظَمَةِ اللَّائِقَةِ اللَّازِمَةِ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ دَسِيسَةً مُهِمَّةً ، مِنْ دَسَائِسِ الشَّيْطَانِ ، هِيَ : أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ الْإِنْسَانَ ، أَنْ يَعْتَرِفَ بِقُصُورِهِ ؛ كَيْ يَسُدَّ أَمَامَهُ ، بَابَ الِاسْتِعَاذَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ؛ وَكَذَا يُحَرِّكُ غُرُورَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ كَيْ تُدَافِعَ النَّفْسُ عَنْهَا ، كَالْمُحَامِي ؛ كَأَنَّهَا تُقَدِّسُ نَفْسَهَا ، عَنِ النَّقَائِصِ . نَعَمْ : إِنَّ نَفْساً تَسْتَمِعُ إِلَى الشَّيْطَانِ ، لَا تُرِيدُ أَنْ تَرَى قُصُورَهَا ؛ وَلَوْ رَأَتْهُ ؛ لَأَوَّلَتْهُ مِئَةَ تَأْوِيلٍ ؛ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ ، لِكَوْنِهِ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ ، بِنَظَرِ الرِّضَا ، لَا يَرَى عَيْبَهَا ، بِسِرِّ قَوْلِهِ : (وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ) ؛ وَلِأَنَّهُ لَا يَرَى عَيْبَهَا ؛ لَا يَعْتَرِفُ بِهِ ؛ فَلَا يَسْتَغْفِرُ وَلَا يَسْتَعِيذُ ؛ وَيَكُونُ مَسْخَرَةً لِلشَّيْطَانِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ نَبِيٌّ رَفِيعُ الشَّأْنِ ، مِثْلُ يُوسُفَ (عليه السلام) : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ؛ فَكَيْفَ يُؤْمَنُ مِنَ النَّفْسِ ؟ فَمَنِ اتَّهَمَ نَفْسَهُ ؛ يَرَى عَيْبَهَا ؛ وَمَنِ اعْتَرَفَ بِعَيْبِهَا ؛ يَسْتَغْفِرُ ؛ وَمَنِ اسْتَغْفَرَ ؛ يَسْتَعِيذُ ؛ وَمَنِ اسْتَعَاذَ ؛ يَنْجُو عَنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ . وَإِنَّ عَدَمَ رُؤْيَةِ قُصُورِهِ ، أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ الْقُصُورِ ؛ وَإِنَّ عَدَمَ الِاعْتِرَافِ

بِقُصُورِهِ ، نَقْصٌ كَبِيرٌ . وَإِذَا رَأَى قُصُورَهُ ؛ يَخْرُجُ ذٰلِكَ الْقُصُورُ ، عَنْ كَوْنِهِ قُصُوراً ؛ وَإِذَا اعْتَرَفَ بِهِ ؛ يَسْتَحِقُّ الْعَفْوَ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ دَسِيسَةً شَيْطَانِيَّةً تُفْسِدُ حَيَاةَ الْمُجْتَمَعِ ، هِيَ : أَنَّهُ يَسْتُرُ جَمِيعَ حَسَنَاتِ مُؤْمِنٍ ، بِسَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِ . فَالْمُتَعَسِّفُونَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ دَسِيسَةَ الشَّيْطَانِ هٰذِهِ ، يُعَادُونَ ذٰلِكَ الْمُؤْمِنَ ؛ مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ، حِينَمَا يَزِنُ أَعْمَالَ الْمُكَلَّفِينَ ، فِي مِيزَانِهِ الْأَكْبَرِ ، بِالْعَدْلِ الْمُطْلَقِ ، فِي الْحَشْرِ ؛ يَحْكُمُ بِجِهَةِ زِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، وَنَقْصِهِمَا ؛ وَكَذَا أَنَّهُ تَعَالَى ، يَسْتُرُ أَحْيَاناً ، كَثِيراً مِنْ سَيِّئَاتِهِ ، بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ لِأَنَّ أَسْبَابَ السَّيِّئَاتِ كَثِيرَةٌ ؛ وَوُجُودَهَا سَهْلٌ . فَإِذاً لا بُدَّ مِنَ التَّعَامُلِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، فِي جِهَةِ تِلْكَ الْعَدَالَةِ الْإِلٰهِيَّةِ . فَإِنْ زَادَتْ حَسَنَاتُ إِنْسَانٍ ، عَلَى سَيِّئَاتِهِ ، كَمِّيَّةً أَوْ كَيْفِيَّةً ؛ يَسْتَحِقُّ ذٰلِكَ الشَّخْصُ ، بِالْحُبِّ وَالاحْتِرَامِ ؛ بَلْ يَلْزَمُ النَّظَرُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِ ، بِنَظَرِ الْعَفْوِ ، بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ قَيِّمَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَى مِئَةَ حَسَنَاتِ شَخْصٍ ، مِنْ أَجْلِ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِتَلْقِينِ الشَّيْطَانِ ، وَبِمَا فِي فِطْرَتِهِ مِنْ عَصَبِ الظُّلْمِ ؛ فَيُعَادِي أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ ؛ وَيَقَعُ فِي الذُّنُوبِ ؛ فَكَمَا أَنَّ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، إِذَا وُضِعَ عَلَى الْبَصَرِ ؛ يَسْتُرُ جَبَلاً ؛ وَلا يُرِيهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتُرُ حَسَنَاتٍ مِثْلَ الْجِبَالِ ؛ وَيَنْسَاهَا بِسَيِّئَةٍ مِقْدَارَ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ ، بِعَصَبِ الْغَرَضِ ؛ فَيُعَادِي أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ ؛ وَيُصْبِحُ آلَةَ فَسَادٍ ، فِي حَيَاةِ مُجْتَمَعِ النَّاسِ . .

وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُفْسِدُ سَلامَةَ الْفِكْرِ ، بِدَسِيسَةٍ أُخْرَى ، مِنْ دَسَائِسِهِ ، تُشْبِهُ هٰذِهِ الدَّسِيسَةَ ؛ وَيُفْسِدُ بِهَا ، صِحَّةَ الْمُحَاكَمَةِ ، إِزَاءَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ؛ وَيُخِلُّ بِالاسْتِقَامَةِ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ حُكْمَ مِئَاتِ دَلائِلَ مُثْبِتَةٍ عَائِدَةٍ إِلَى حَقِيقَةٍ إِيمَانِيَّةٍ ، بِأَمَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى نَفْيِهَا ؛ مَعَ أَنَّهَا قَاعِدَةٌ مُقَرَّرَةٌ : أَنَّ مُثْبِتاً وَاحِداً ، يُرَجَّحُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّافِينَ ؛ وَأَنَّ حُكْمَ شَاهِدٍ مُثْبِتٍ لِدَعْوَى ؛ يُصْبِحُ رَاجِحاً عَلَى مِئَةِ نَافٍ . فَانْظُرْ إِلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، بِهٰذَا التَّمْثِيلِ ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ يُوجَدُ لِقَصْرٍ مَّا ، مِئَاتٌ مِنْ أَبْوَابٍ مُغْلَقَةٍ ؛ فَيُمْكِنُ الدُّخُولُ فِيهِ ، بِفَتْحِ بَابٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُفْتَحُ سَائِرُ الْأَبْوَابِ . وَإِذَا كَانَتِ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا مَفْتُوحَةً ؛ وَانْسَدَّ بَابٌ

أَوْ بَابَانِ ؛ فَلا يُقَالُ : إِنَّهُ لا يُمْكِنُ الدُّخولُ فِي ذٰلِكَ الْقَصْرِ . هٰذَا ، فَالْحَقَائِقُ الإِيمَانِيَّةُ ، هِيَ ذٰلِكَ الْقَصْرُ ؛ وَكُلُّ دَلِيلٍ ، مِفْتَاحٌ يُثْبِتُهَا وَيَفْتَحُ بَابَهَا ؛ فَبِبَقَاءِ بَابٍ وَاحِدٍ مُغْلَقاً ، لا تُنْكَرُ تِلْكَ الْحَقَائِقُ ؛ وَلا يُعْرَضُ عَنْهَا . وَأَمَّا الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّهُ يُرِي بَاباً بَقِيَ مَسْدُوداً ؛ وَذٰلِكَ بِنَاءً عَلٰى بَعْضِ الأَسْبَابِ ، إِمَّا بِوَاسِطَةِ الْغَفْلَةِ ، أَوْ بِسَبَبِ الْجَهَالَةِ ؛ فَيُسْقِطُ جَمِيعَ الدَّلائِلِ الْمُثْبِتَةِ ، عَنْ نَظَرِ الاِعْتِبَارِ ؛ فَيَخْدَعُهُ ؛ وَيَقُولُ : إِنَّهُ لا يُمْكِنُ الدُّخولُ فِي هٰذَا الْقَصْرِ ؛ بَلْ لَيْسَ بِقَصْرٍ ؛ وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ . .

فَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْمُبْتَلٰى بِدَسَائِسِ الشَّيْطَانِ ! إِنْ شِئْتَ سَلامَةَ الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ ، وَالشَّخْصِيَّةِ ، وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ ؛ وَأَرَدْتَ صِحَّةَ الْفِكْرِ ، وَاسْتِقَامَةَ النَّظَرِ ، وَسَلامَةَ الْقَلْبِ ؛ فَوَازِنْ أَعْمَالَكَ وَخَوَاطِرَكَ ، بِمِيزَانِ مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ ، وَبِقِسْطَاسِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ؛ وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، دَلِيلاً لَكَ ؛ وَقُلْ : (أَعُوذُ بِاللهِ ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ؛ وَالْتَجِئْ إِلَى اللهِ تَعَالٰى ، دَائِماً . .

هٰذَا ، فَهٰذِهِ الإِشَارَاتُ الثَّلاثَ عَشْرَةَ ، ثَلاثَةَ عَشَرَ مِفْتَاحاً ؛ فَافْتَحْ بِتِلْكَ الْمَفَاتِيحِ الثَّلاثَةَ عَشَرَ ، بَابَ تِلْكَ الْقَلْعَةِ الْمَتِينَةِ ، وَالْحِصْنِ الْحَصِينِ ، مِنْ سُورَةِ «النَّاس» الَّتِي هِيَ آخِرُ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، وَالَّتِي هِيَ مَعْدِنُ جُمْلَةِ (أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ) وَمُفَصَّلُهَا ؛ وَادْخُلْهَا وَاسْلَمْ . .

﴿ أَسْتَعِيذُ بِاللهِ ﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلٰهِ النَّاسِ ۞ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ اَلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۞﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَآ إِلّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۞﴾ . .

اَللَّمْعَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ

هِيَ مَقَامَانِ . .

اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : جَوابٌ عَلٰى سُؤَالَيْنِ . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . .

أَخِي الْعَزِيزَ الصِّدِّيقَ «رَأْفَت» الْكَرِيمِ ! يُوجَدُ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ ، جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالِكَ الَّذِي سَأَلْتَهُ فِي حَقِّ «الثَّوْرِ وَالْحُوتِ» . وَالْجَوَابُ حَسَبَ ذٰلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْأَسْئِلَةِ ، يُوجَدُ فِي الْغُصْنِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ فَقَدْ بُيِّنَتْ فِيهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قَاعِدَةً مُهِمَّةً ، تُسَمّٰى بِالْأُصُولِ الِاثْنَيْ عَشَرَ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْقَوَاعِدَ ، مَحَكَّاتٌ لِتَأْوِيلَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، فِي حَقِّ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأُسُسٌ مُهِمَّةٌ تَدْفَعُ الْأَوْهَامَ الْوَارِدَةَ عَلَى الْأَحَادِيثِ . .

وَالْآنَ يُوجَدُ بَعْضُ أَحْوَالٍ تَمْنَعُ عَنِ اشْتِغَالِي بِمَسَائِلَ عِلْمِيَّةٍ ، مَا عَدَا السُّنُوحَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُجِيبَ حَسَبَ الْأَسْئِلَةِ . فَإِنْ وُجِدَتْ سُنُوحَاتٌ قَلْبِيَّةٌ ؛ أَشْتَغِلُ بِهَا ضَرُورَةً . وَقَدْ يُجَابُ عَلٰى بَعْضِ أَسْئِلَةٍ ، لِتَوَافُقِهَا لِلسُّنُوحَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا أُجِيبُ الْجَوَابَ اللَّائِقَ ، عَلٰى كُلِّ أَسْئِلَتِكُمْ ؛ فَلَا تَنْقَبِضُوا . . فَلْأُجِبْ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، عَلٰى سُؤَالِكُمْ ، جَوَاباً قَصِيراً ؛ فَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ فِي سُؤَالِكُمْ هٰذِهِ الْمَرَّةَ : إِنَّ عُلَمَاءَ الدِّينِ يَقُولُونَ : «إِنَّ الْأَرْضَ

تَقُومُ عَلَى الثَّوْرِ وَالْحُوتِ» ؛ مَعَ أَنَّ عِلْمَ الْجُغْرَافِيَا ، يَرَى الْأَرْضَ تَسِيحُ كَكَوْكَبٍ فِي الْهَوَاءِ ؛ لَا ثَوْرَ وَلَا حُوتَ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهُ تُوجَدُ رِوَايَةٌ صَحِيحَةٌ تُسْنَدُ إِلَى أَمْثَالِ «ابْنِ عَبَّاسٍ» ؛ وَهِيَ : أَنَّهُمْ سَأَلُوا «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عليه الصلاة والسلام) : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَقُومُ الْأَرْضُ ؟ فَأَجَابَ : أَنَّهَا عَلَى الثَّوْرِ وَالْحُوتِ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً : عَلَى الثَّوْرِ ؛ وَمَرَّةً أُخْرَى : عَلَى الْحُوتِ . . وَطَابَقَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ ، بَيْنَ هٰذَا الْحَدِيثِ وَالْأَسَاطِيرِ الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْمَنْقُولَةِ مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ بَعْضاً مِنْ مُسْلِمِي عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، طَابَقُوا بَيْنَ الْحَدِيثِ وَبَيْنَ الْقِصَصِ الَّتِي رَأَوْهَا فِي حَقِّ الثَّوْرِ وَالْحُوتِ ، فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ؛ فَغَيَّرُوا مَعْنَى الْحَدِيثِ ، إِلَى وَجْهٍ عَجِيبٍ . .

فَالْآنَ نَذْكُرُ ثَلَاثَةَ أُسُسٍ ، وَثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ ، مُجْمَلَةٍ غَايَةَ الْإِجْمَالِ ، فِي حَقِّ سُؤَالِكُمْ هٰذَا . .

اَلْأَسَاسُ الْأَوَّلُ : أَنَّ بَعْضاً مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَمَا أَسْلَمُوا ؛ أَسْلَمَتْ مَعَهُمْ مَعْلُومَاتُهُمُ الْقَدِيمَةُ أَيْضاً ؛ مَعَ أَنَّ فِي تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ الْقَدِيمَةِ ، أَخْطَاءً . فَتِلْكَ الْأَخْطَاءُ عَائِدَةٌ إِلَيْهِمْ ، لَا إِلَى الْإِسْلَامِ . .

اَلْأَسَاسُ الثَّانِي : أَنَّ التَّشْبِيهَاتِ وَالتَّمْثِيلَاتِ ، كُلَّمَا انْتَقَلَتْ مِنَ الْخَوَاصِّ إِلَى الْعَوَامِّ : أَيْ وَقَعَتْ مِنْ يَدِ الْعِلْمِ ، بِيَدِ الْجَهْلِ ؛ تُتَلَقَّى حَقِيقَةً ، بِمُرُورِ الزَّمَانِ ؛ فَمَثَلاً : انْخَسَفَ الْقَمَرُ فِي صَبَاوَتِي ؛ فَقُلْتُ لِأُمِّي : لِمَاذَا انْخَسَفَ الْقَمَرُ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ ابْتَلَعَتْهُ الْحَيَّاتُ ؛ فَقُلْتُ : هَا هُوَ يُرَى ؛ قَالَتْ : إِنَّ الْحَيَّاتِ تُصْبِحُ كَالزُّجَاجِ ، فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا ؛ فَتَشِفُّ عَمَّا فِي بُطُونِهَا ؛ فَكُنْتُ أَتَذَكَّرُ خَاطِرَةَ الصَّبَاوَةِ هٰذِهِ ، زَمَناً كَثِيراً ؛ وَأَتَفَكَّرُ قَائِلاً : كَيْفَ تَسِيرُ خُرَافَةٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا ، بِهٰذَا الْقَدَرِ ، عَلَى أَلْسِنَةِ أَمْثَالِ «وَالِدَتِي» مِنْ أَشْخَاصٍ جِدِّيِّينَ ، إِلَى أَنْ طَالَعْتُ «فَنَّ الْفَلَكِيَّاتِ» ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ أَمْثَالَ وَالِدَتِي ، مِمَّنْ يَقُولُونَ كَذٰلِكَ ؛ تَلَقَّوْا تَشْبِيهَةً ، حَقِيقَةً ؛ لِأَنَّ الدَّائِرَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي يُطْلِقُونَ عَلَيْهَا «مِنْطَقَةَ الْبُرُوجِ» الَّتِي هِيَ مَدَارُ

لِدَرَجَاتِ الشَّمْسِ ؛ وَدَائِرَةَ الْقَمَرِ ، الْمَائِلَةَ ، تَشَكَّلَتَا عَلٰى شَكْلِ قَوْسَيْنِ ، بِتَقَاطُعِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرٰى ؛ فَوَضَعَ الْعُلَمَاءُ الْفَلَكِيُّونَ ، لِذَيْنِكَ الْقَوْسَيْنِ ، اسْمَ «التِّنِّينَيْنِ» ؛ وَهُوَ اسْمٌ لِثُعْبَانَيْنِ عَظِيمَيْنِ ، بِتَشْبِيهٍ لَطِيفٍ ؛ فَقَالُوا لِإِحْدٰى نُقْطَتَيِ التَّقَاطُعِ ، مِنْ تَيْنِكَ الدَّائِرَتَيْنِ : الرَّأْسَ ؛ وَلِلْأُخْرَى : الذَّنَبَ . فَإِذَا أَتَى الْقَمَرُ إِلَى الرَّأْسِ ؛ وَالشَّمْسُ إِلَى الذَّنَبِ ؛ تَقَعُ حَيْلُولَةُ الْأَرْضِ ، بِاصْطِلَاحِ الْفَلَكِيِّينَ : أَيْ تَقَعُ بَيْنَهُمَا ، كُرَةُ الْأَرْضِ تَمَاماً ؛ فَحِينَئِذٍ يَنْخَسِفُ الْقَمَرُ ؛ فَيُقَالُ بِالتَّشْبِيهِ السَّابِقِ : «إِنَّ الْقَمَرَ وَقَعَ فِي فَمِ التِّنِّينَيْنِ» . فَهٰذَا التَّشْبِيهُ الْعُلْوِيُّ الْعِلْمِيُّ ، لَمَّا انْتَقَلَ إِلَى لِسَانِ الْعَوَامِّ ، اتَّخَذَ بِمُرُورِ الزَّمَانِ ، شَكْلَ «تِنِّينٍ» جَسِيمٍ يَلْتَقِمُ الْقَمَرَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَلَكَيْنِ عَظِيمَيْنِ ، سُمِّيَا بِاسْمِ «الثَّوْرِ وَالْحُوتِ» ، بِتَشْبِيهٍ لَطِيفٍ قُدُسِيٍّ ، وَبِإِشَارَةٍ مُفِيدَةٍ ؛ فَلَمَّا انْتَقَلَ ذٰلِكَ التَّشْبِيهُ ، مِنْ لِسَانِ النُّبُوَّةِ ، الْقُدُسِيِّ الْعُلْوِيِّ ، إِلٰى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ ؛ انْقَلَبَ إِلَى الْحَقِيقَةِ ؛ فَاتَّخَذَ الْمَلَكَانِ ، صُورَةَ ثَوْرٍ كَبِيرٍ ، وَحُوتٍ هَائِلٍ ، فَوْقَ الْحَدِّ . .

اَلْأَسَاسُ الثَّالِثُ : كَمَا أَنَّ لِلْقُرْآنِ ، مُتَشَابِهَاتٍ تُدَرِّسُ الْعَوَامَّ ، مَسَائِلَ غَامِضَةً ، بِتَمْثِيلَاتٍ وَتَشْبِيهَاتٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ لِلْحَدِيثِ ، مُتَشَابِهَاتٍ تُفِيدُ حَقَائِقَ غَامِضَةً ، بِتَشْبِيهَاتٍ مَأْنُوسَةٍ ؛ فَمَثَلاً : سُمِعَ فِي وَقْتٍ مَّا ، دَوِيٌّ عَمِيقٌ ، فِي حُضُورِ «النَّبِيِّ» (ﷺ) ؛ فَقَالَ : «إِنَّهُ دَوِيُّ صَخْرَةٍ كَانَتْ تَتَدَحْرَجُ مُنْذُ سَبْعِينَ عَاماً ؛ فَوَقَعَتِ الْآنَ ، فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ» . فَجَاءَ أَحَدٌ ، بَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ ؛ فَقَالَ : إِنَّ الْمُنَافِقَ الشَّهِيرَ الَّذِي كَانَ عَلٰى رَأْسِ سَبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ ؛ مَاتَ ؛ فَأَعْلَنَ حَقِيقَةَ تَمْثِيلِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، ذٰلِكَ التَّمْثِيلِ الْبَلِيغِ . .

وَالْآنَ تُذْكَرُ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ ، لِجَوَابِ سُؤَالِكَ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، كَمَا عَيَّنَ لِنَظَارَةِ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ، عَلَى الْعَرْشِ وَالسَّمَاوَاتِ ، أَرْبَعَةَ مَلَائِكَةٍ ؛ هُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَالسَّمَاوَاتِ ؛ اسْمُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، النَّسْرُ ؛ وَاسْمُ آخَرَ ، الثَّوْرُ ؛ كَذٰلِكَ عَيَّنَ لِكُرَةِ الْأَرْضِ ، الَّتِي هِيَ أُخْتٌ صَغِيرَةٌ لِلسَّمَاوَاتِ ، وَرَفِيقَةٌ لِلسَّيَّارَاتِ ، مَلَكَيْنِ نَاظِرَيْنِ وَحَامِلَيْنِ لَهَا ؛ اسْمُ أَحَدِ الْمَلَكَيْنِ ، الثَّوْرُ ؛ وَاسْمُ الْآخَرِ ، الْحُوتُ . وَسِرُّ

تَسْمِيَتِهِمَا بِذَيْنِكَ الاِسْمَيْنِ ، هُوَ : أَنَّ الْأَرْضَ قِسْمَانِ مَاءٌ وَتُرَابٌ ؛ فَالَّذِي يَعْمُرُ قِسْمَ الْمَاءِ ، هُوَ السَّمَكُ ؛ وَالَّذِي يَعْمُرُ التُّرَابَ ، هُوَ الثَّوْرُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ وَعَلٰى كَتِفِهِ ، الزِّرَاعَةُ الَّتِي هِيَ مَدَارُ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ . فَالْمَلَكَانِ الْمُؤَكَّلَانِ عَلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ ، لِكَوْنِهِمَا قَائِدَيْنِ وَنَاظِرَيْنِ لَهَا ؛ يَلْزَمُ قَطْعاً أَنْ تَكُونَ لَهُمَا ، جِهَةُ مُنَاسَبَةٍ مَّا ، بِطَائِفَةِ السَّمَكِ ، وَبِنَوْعِ الثَّوْرِ ؛ بَلْ إِنَّ لِذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ ، تَمَثُّلاً عَلٰى صُورَةِ الثَّوْرِ وَالْحُوتِ ، فِي عَالَمِ الْمِثَالِ وَالْمَلَكُوتِ . «وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ» . .

فَلِلْإِشَارَةِ إِلٰى هٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ ، وَتِلْكَ النَّظَارَةِ[١] ، وَلِلْإِيمَاءِ إِلٰى ذَيْنِكَ النَّوْعَيْنِ الْمُهِمَّيْنِ ، مِنْ مَخْلُوقَاتِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ قَالَ اللِّسَانُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ النَّبَوِيُّ : (اَلْأَرْضُ عَلَى الثَّوْرِ وَالْحُوتِ) ؛ فَأَفَادَ بِجُمْلَةٍ قَصِيرَةٍ جَمِيلَةٍ ، حَقِيقَةً غَامِضَةً وَاسِعَةً ، تَحْتَوِي عَلٰى مِقْدَارِ صَحِيفَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ . .

اَلْوَجْهُ الثَّانِي : كَمَا أَنَّهُ إِذَا قِيلَ : «عَلٰى أَيِّ شَيْءٍ تَقُومُ هٰذِهِ الدَّوْلَةُ وَالسَّلْطَنَةُ ؟» ؛ يُقَالُ فِي جَوَابِهِ : «إِنَّهَا عَلَى السَّيْفِ وَالْقَلَمِ» : أَيْ إِنَّهَا تَسْتَنِدُ إِلٰى قُوَّةِ سَيْفِ الْجَيْشِ ، وَشَجَاعَتِهِ ، وَإِلٰى دِرَايَةِ قَلَمِ الْمَأْمُورِينَ ، وَعَدَالَتِهِ ؛ كَذٰلِكَ لَمَّا كَانَتْ كُرَةُ الْأَرْضِ ، مَسْكَنَ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَائِدَهُمْ ؛ وَكَانَ مَدَارُ تَعَيُّشِ الْقِسْمِ الْأَكْثَرِ ، مِنْ أَهْلِ السَّوَاحِلِ ، هُوَ السَّمَكَ ؛ وَكَانَتْ وَسِيلَةُ مَعِيشَةِ غَيْرِ أَهْلِ السَّوَاحِلِ ، بِالزِّرَاعَةِ ، وَعَلٰى كَاهِلِ الثَّوْرِ ؛ وَكَانَ السَّمَكُ أَيْضاً ، مَدَاراً مُهِمّاً لِتِجَارَتِهِمْ ؛ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : «إِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ تَقُومُ عَلَى الثَّوْرِ وَالْحُوتِ ؛ كَمَا أَنَّ الدَّوْلَةَ تَقُومُ عَلَى السَّيْفِ وَالْقَلَمِ» ؛ لِأَنَّهُ مَتٰى لَمْ يَعْمَلِ الثَّوْرُ ؛ وَلَمْ يَبِضِ السَّمَكُ ، مَلَايِينَ الْبَيْضِ دَفْعَةً ؛ لَا يَعِيشُ الْإِنْسَانُ ؛ وَتَهْوِي الْحَيَاةُ ؛ وَيُدَمِّرُ الْخَالِقُ

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، لِكَوْنِهَا سَفِينَةً رَبَّانِيَّةً فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْهَوَائِيِّ ، وَمَزْرَعَةً لِلْآخِرَةِ : أَيْ مَغْرِسَةَ شَتْلِهَا ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ ؛ يُنَاسِبُ اسْمُ الْحُوتِ ، الْمَلَكَ الَّذِي يُسَيِّرُ تِلْكَ السَّفِينَةَ الْعَظِيمَةَ الْجَامِدَةَ الَّتِي لَا شُعُورَ لَهَا ؛ وَيَعْمَلُ فِيهَا ، فِي ذٰلِكَ الْبَحْرِ ، عَمَلَ الْمَلَّاحِ ، بِأَمْرِ اللهِ ، بِالْاِنْتِظَامِ وَالْحِكْمَةِ ؛ وَيُنَاسِبُ اسْمُ الثَّوْرِ ، الْمَلَكَ النَّاظِرَ عَلٰى تِلْكَ الْمَزْرَعَةِ ، أَيَّمَا مُنَاسَبَةٍ ظَاهِرَةٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

الْحَكِيمُ ، الْأَرْضَ حِينَئِذٍ . فَأَجَابَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (ﷺ) ، جَوَاباً حَكِيماً رَفِيعاً ، وَمُعْجِزاً غَايَةَ الْإِعْجَازِ ، بِقَوْلِهِ : (الْأَرْضُ عَلَى الثَّوْرِ وَالْحُوتِ) ؛ وَدَرَّسَ بِكَلِمَتَيْنِ ، حَقِيقَةً وَاسِعَةً ، فِي بَيَانِ تَعَلُّقِ حَيَاةِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، بِحَيَاةِ جِنْسِ الْحَيَوَانِ ، أَيَّمَا تَعَلُّقٍ . .

اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ : أَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي نَظَرِ عِلْمِ الْفَلَكِ الْقَدِيمِ ؛ فَعَبَّرُوا عَنْ كُلِّ ثَلَاثِينَ دَرَجَةً ، مِنْ دَرَجَاتِ الشَّمْسِ ، بِبُرْجٍ ؛ فَإِذَا مُدَّتْ بَيْنَ النُّجُومِ الْمَوْجُودَةِ فِي تِلْكَ الْبُرُوجِ ، خُطُوطٌ فَرَضِيَّةٌ تَرْبِطُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ؛ يَحْصُلُ مِنْهَا حِينَئِذٍ ، وَضْعٌ تُظْهِرُ بَعْضُ تِلْكَ النُّجُومِ ، صُورَةَ الْأَسَدِ ؛ وَبَعْضُهَا ، صُورَةَ الْمِيزَانِ ؛ وَبَعْضُهَا ، صُورَةَ الثَّوْرِ ؛ وَبَعْضُهَا ، صُورَةَ الْحُوتِ ؛ فَسُمِّيَتْ تِلْكَ الْبُرُوجُ ، بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ ، بِنَاءً عَلَى تِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ . .

وَأَمَّا فِي نَظَرِ فَلَكِيَّاتِ هٰذَا الْعَصْرِ ، فَلَا تَسِيرُ الشَّمْسُ ؛ وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْبُرُوجُ ، خَالِيَةً مُعَطَّلَةً بِلَا عَمَلٍ ؛ وَتَسِيرُ كُرَةُ الْأَرْضِ ، بَدَلاً عَنِ الشَّمْسِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ يَلْزَمُ تَشْكِيلُ تِلْكَ الدَّوَائِرِ وَالْبُرُوجِ ، عَلَى مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، فِي مَدَارِ الْأَرْضِ السَّنَوِيِّ ، عِوَضاً عَنْ تِلْكَ الْبُرُوجِ الْخَالِيَةِ بِلَا عَمَلٍ ، وَعَنْ تِلْكَ الدَّوَائِرِ الْمُعَطَّلَةِ فِي السَّمَاءِ ؛ فَحِينَئِذٍ تَتَمَثَّلُ الْبُرُوجُ السَّمَاوِيَّةُ ، فِي الْمَدَارِ السَّنَوِيِّ لِلْأَرْضِ ؛ فَإِذاً ؛ تَكُونُ كُرَةُ الْأَرْضِ ، فِي ظِلِّ بُرْجٍ مِنَ الْبُرُوجِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَفِي مِثَالِهِ ، كُلَّ شَهْرٍ ؛ فَكَأَنَّ مَدَارَ الْأَرْضِ السَّنَوِيَّ ، هُوَ ، فِي حُكْمِ مِرْآةٍ تَتَمَثَّلُ فِيهَا الْبُرُوجُ السَّمَاوِيَّةُ . فَعَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، قَالَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (ﷺ) مَرَّةً : «عَلَى الثَّوْرِ» ؛ وَمَرَّةً أُخْرٰى : «عَلَى الْحُوتِ» ؛ كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقاً . .

نَعَمْ : إِنَّهُ قَالَ مَرَّةً : عَلَى «الثَّوْرِ» ؛ لِأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، كَانَتْ فِي مِثَالِ بُرْجِ الثَّوْرِ ، فِي زَمَنِ ذٰلِكَ السُّؤَالِ ؛ وَسُئِلَ عَنْهُ أَيْضاً ، بَعْدَ شَهْرٍ ؛ فَقَالَ : «عَلَى الْحُوتِ» ؛ لِأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ كَانَتْ حِينَئِذٍ ، فِي ظِلِّ بُرْجِ الْحُوتِ ؛ فَأَجَابَ بِوَجْهٍ يُنَاسِبُ لِسَانَ النُّبُوَّةِ ، الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، إِشَارَةً إِلٰى حَقِيقَةٍ غَامِضَةٍ ، تُعْلَمُ بَعْدَ عُصُورٍ كَثِيرَةٍ . فَإِذاً إِنَّهُ (ﷺ) قَالَ : «عَلَى الثَّوْرِ وَالْحُوتِ» ، لِلْإِشَارَةِ إِلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعَالِيَةِ ، الَّتِي سَتُعْلَمُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَلِلْإِيمَاءِ إِلٰى حَرَكَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَسِيَاحَتِهَا فِي وَظِيفَتِهَا ، وَلِلرَّمْزِ إِلٰى أَنَّ

الْبُرُوجَ السَّمَاوِيَّةَ ، مُعَطَّلَةٌ لَا ضَيْفَ فِيهَا ، بِاعْتِبَارِ الشَّمْسِ ؛ وَأَنَّ الْبُرُوجَ الْعَامِلَةَ حَقِيقَةً ، هِيَ فِي الْمَدَارِ السَّنَوِيِّ لِلْأَرْضِ ؛ وَأَنَّ الْمُوَظَّفَ السَّائِحَ فِي تِلْكَ الْبُرُوجِ ، هُوَ كُرَةُ الْأَرْضِ . «وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ» . .

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، مِنَ الْقِصَصِ الْعَجِيبَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ طَوْرِ الْعَقْلِ ، فِي حَقِّ الثَّوْرِ وَالْحُوتِ ؛ فَهِيَ إِمَّا إِسْرَائِيلِيَّاتٌ ، أَوْ تَمْثِيلَاتٌ ، أَوْ تَأْوِيلَاتُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ ؛ فَظُنَّتْ أَحَادِيثَ ، مِنْ جَانِبِ الَّذِينَ لَا إِمْعَانَ لَهُمْ ؛ وَأُسْنِدَتْ إِلَى «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : فِي حَقِّ «آلِ الْعَبَاءِ» ؛ أَخِي ! إِنَّ سُؤَالَكُمْ فِي حَقِّ «آلِ الْعَبَاءِ» ، الَّذِي بَقِيَ بِدُونِ جَوَابٍ ، تُذْكَرُ مِنْ حِكَمِهِ الْكَثِيرَةِ ، حِكْمَةٌ فَقَطْ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ لِسَتْرِ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، (عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ ، وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ) ، بِعَبَائِهِ الَّذِي كَانَ يَلْبَسُهُ ، وَلِدُعَائِهِ لَهُمْ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ ، بِآيَةِ ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ، أَسْرَاراً وَحِكَماً . . وَلَا نَبْحَثُ عَنِ الْأَسْرَارِ ؛ وَإِنَّمَا نَبْحَثُ عَنْ حِكْمَةٍ مِنْهَا فَقَطْ ، تَتَعَلَّقُ بِوَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ؛ وَهِيَ : أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، رَأَى بِنَظَرِ النُّبُوَّةِ ، الْمُؤَانِسِ لِلْغَيْبِ ، وَالْمُشَاهِدِ لِلِاسْتِقْبَالِ : أَنَّهُ سَتَقَعُ فِتَنٌ مُهِمَّةٌ ، بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، بَعْدَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ فَتُسْفَكُ الدِّمَاءُ ؛ وَشَاهَدَ أَنَّ أَفْضَلَ شَخْصِيَّاتٍ مُمْتَازَةٍ فِيهَا ، هُمْ أُولَائِكَ الشَّخْصِيَّاتُ الثَّلَاثُ تَحْتَ عَبَائِهِ ؛ فَسَتَرَ أُولَائِكَ الْأَشْخَاصَ الْأَرْبَعَةَ ، مَعَ نَفْسِهِ ، بِذٰلِكَ الْعَبَاءِ الَّذِي أَهْدَى لَهُمْ ، عُنْوَانَ (آلِ الْعَبَاءِ الْخَمْسَةِ) ؛ وَذٰلِكَ تَطْهِيراً وَتَبْرِئَةً «لِعَلِيٍّ» ، فِي نَظَرِ الْأُمَّةِ ، وَتَعْزِيَةً وَتَسْلِيَةً «لِلْحُسَيْنِ» ، وَتَحِيَّةً وَتَهْنِئَةً «لِلْحَسَنِ» ، وَإِعْلَاناً لِشَرَفِهِ وَفَائِدَتِهِ الْعَظِيمَةِ لِلْأُمَّةِ ، بِإِزَالَتِهِ فِتْنَةً مُهِمَّةً ، بِالصُّلْحِ ، وَإِعْلَاناً بِطَهَارَةِ ذُرِّيَّةِ «فَاطِمَةَ» ، وَبِشَرَافَتِهِمْ وَلِيَاقَتِهِمْ بِعُنْوَانِ «أَهْلِ الْبَيْتِ» ، ذٰلِكَ الْعُنْوَانِ الْعَالِي . نَعَمْ :

إنَّ «عَلِيّاً» ؛ وَإِنْ كَانَ خَلِيفَةً حَقّاً ، إلّا أَنَّ الدِّمَاءَ الَّتِي سُفِكَتْ ، لَهَا أَهَمِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ ؛ وَإِنَّ تَبْرِئَتَهُ وَبَرَاءَتَهُ فِي نَظَرِ الْأُمَّةِ ، مُهِمَّةٌ حَسَبَ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُبَرِّئُهُ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عليه الصلاة والسلام) ، بِهٰذَا الْوَجْهِ ؛ وَيَدْعُو إِلَى السُّكُوتِ ، الْخَوَارِجَ وَأَتْبَاعَ الْأُمَوِيِّينَ الْمُعْتَدِينَ عَلَيْهِ ، الَّذِينَ يَنْتَقِدُونَهُ وَيُخَطِّئُونَهُ وَيُضَلِّلُونَهُ . نَعَمْ : إِنَّ تَفْرِيطَ الْخَوَارِجِ ، وَتَضْلِيلَ أَتْبَاعِ الْأُمَوِيِّينَ الْمُفْرِطِينَ ، فِي حَقِّ «عَلِيٍّ» ، وَإِفْرَاطَ الشِّيعَةِ ، وَبِدْعَتَهُمْ وَتَبَرُّؤَهُمْ عَنِ «الشَّيْخَيْنِ» ، مَعَ حَادِثَةِ «الْحُسَيْنِ» تِلْكَ الْوَاقِعَةِ الْفَظِيعَةِ الْمُحْرِقَةِ لِلْأَكْبَادِ ، قَدْ وَقَعَتْ ضَارَّةً بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، أَضْرَاراً كَثِيرَةً . فَإِذاً أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عليه الصلاة والسلام) ، يُنْقِذُ «عَلِيّاً وَالْحُسَيْنَ» بِهٰذَا الْعَبَاءِ وَالدُّعَاءِ ، عَنِ الْمَسْؤُولِيَّةِ وَالتُّهْمَةِ ؛ وَيُنْقِذُ أُمَّتَهُ ، عَنْ سُوءِ الظَّنِّ فِي حَقِّهِمَا ؛ كَمَا يُهَنِّئُ فِي جِهَةِ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ ، «الْحَسَنَ» ، وَمَا أَحْسَنَ بِهِ إِلَى الْأُمَّةِ ، بِمَا فَعَلَهُ مِنَ الصُّلْحِ ؛ وَيُعْلِنُ أَنَّ ذُرِّيَّةَ «فَاطِمَةَ» وَنَسْلَهَا الْمُبَارَكَ ، سَيَفُوزُونَ بِشَرَفٍ عَالٍ ؛ وَيَتَّخِذُونَ عُنْوَانَ «أَهْلِ الْبَيْتِ» ، فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ «فَاطِمَةَ» سَتَكُونُ كَرِيمَةً مِنْ حَيْثُ ذُرِّيَّتُهَا ، كَوَالِدَةِ مَرْيَمَ ، الَّتِي قَالَتْ : ﴿إِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ..

﴿ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلٰى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَبْرَارِ ، وَعَلٰى أَصْحَابِهِ الْمُجَاهِدِينَ الْمُكَرَّمِينَ الْأَخْيَارِ ، آمِينَ ﴾ ..

اَلْمَقَامُ الثَّانِي مِنَ اللَّمْعَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ :

فِي بَيَانِ سِتَّةِ أَسْرَارٍ مِنْ آلافِ أَسْرَارِ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ..

إِخْطَارٌ : إِنَّ نُوراً مُشْرِقاً ، مِنْ أَنْوَارِ الْبَسْمَلَةِ ، فِي جِهَةِ الرَّحْمَةِ ، ظَهَرَ لِعَقْلِيَ الْخَامِدِ مِنْ بَعِيدٍ ؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أُقَيِّدَهُ لِنَفْسِي ، عَلٰى وَجْهِ الْمُذَكِّرَةِ ؛ وَطَلَبْتُ أَنْ أَضْبِطَ ذٰلِكَ النُّورَ ؛ وَأَصِيدَهُ بِتَسْوِيرِ دَائِرَةٍ حَوْلَهُ ، عَلٰى مِقْدَارِ عِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سِرّاً ؛ وَلٰكِنْ مَا وُفِّقْتُ الْآنَ تَمَاماً ، لِمُرَادِي ذٰلِكَ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ فَنَزَلَتْ تِلْكَ الْأَسْرَارُ ، مِنَ الْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ ، إِلَى

الْخَمْسَةِ وَالسِّتَّةِ ؛ وَإِنِّي حِينَمَا أَقُولُ : «أَيُّهَا الإِنْسَانُ !» ، أَقْصِدُ بِهِ نَفْسِي .. وَهٰذَا الدَّرْسُ ، مَعَ كَوْنِهِ خَاصّاً بِنَفْسِي ، أُحِيلُهُ عَلَى تَصْوِيبِ إِخْوَانِيَ الْمُدَقِّقِينَ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ «الْمَقَامَ الثَّانِيَ» مِنَ اللَّمْعَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ ؛ لَعَلَّهُ يَكُونُ وَسِيلَةً لِاسْتِفَادَةِ أَشْخَاصٍ مُتَنَاسِبِينَ مَعِيَ ، رُوحاً ؛ وَأَنْفُسُهُمْ أَيْقَظُ مِنْ نَفْسِي . وَإِنَّ هٰذَا الدَّرْسَ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ ، أَزْيَدَ مِنَ الْعَقْلِ ؛ وَإِنَّهُ نَاظِرٌ إِلَى الذَّوْقِ ، أَزْيَدَ مِنَ الدَّلِيلِ ..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالَتْ يَآ أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۝﴾ .. وَيُذْكَرُ فِي هٰذَا الْمَقَامِ بَعْضُ أَسْرَارٍ ..

﴿اَلسِّرُّ الْأَوَّلُ :﴾ أَنِّي «أَنَا هٰذَا الْفَقِيرُ» ، رَأَيْتُ جِلْوَةً مِنْ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ؛ وَذٰلِكَ : أَنِّي رَأَيْتُ أَنَّ فِي سِيمَا الْكَائِنَاتِ ، وَفِي سِيمَا الْأَرْضِ ، وَفِي سِيمَا الإِنْسَانِ ، ثَلَاثَ سِكَكٍ لِلرُّبُوبِيَّةِ ، مُتَدَاخِلَةٍ يُظْهِرُ بَعْضُهَا ، مِثَالَ الْآخَرِ ..

إِحْدَاهَا : سِكَّةُ الْأُلُوهِيَّةِ ، تِلْكَ السِّكَّةُ الْكُبْرَى الْمُتَظَاهِرَةُ مِنَ «التَّعَاوُنِ وَالتَّسَانُدِ ، وَالتَّعَانُقِ وَالتَّجَاوُبِ» فِي هَيْئَةِ مَجْمُوعِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَيَنْظُرُ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ﴾ إِلَيْهَا ..

وَثَانِيَتُهَا : سِكَّةُ الرَّحْمَانِيَّةِ ، تِلْكَ السِّكَّةُ الْكُبْرَى الْمُتَظَاهِرَةُ مِنَ «التَّشَابُهِ وَالتَّنَاسُبِ ، وَالانْتِظَامِ وَالانْسِجَامِ ، وَاللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ» فِي تَدْبِيرِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيْوَانَاتِ ، وَفِي تَرْبِيَتِهَا وَإِدَارَتِهَا ، فِي سِيمَا كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ فَيَنْظُرُ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ﴾ إِلَيْهَا ..

ثُمَّ سِكَّةُ الرَّحِيمِيَّةِ ، تِلْكَ السِّكَّةُ الْعُلْيَا الْمُتَظَاهِرَةُ مِنْ «لَطَائِفِ الرَّأْفَةِ ، وَدَقَائِقِ الشَّفَقَةِ ، وَشُعَاعَاتِ الرَّحْمَةِ الإِلٰهِيَّةِ» ؛ فَيَنْظُرُ ﴿الرَّحِيمُ﴾ فِي ﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ إِلَيْهَا ..

فَإِذاً إِنَّ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، عُنْوَانٌ قُدْسِيٌّ ، لِثَلَاثِ سِكَكٍ ، مِنْ سِكَكِ الْأَحَدِيَّةِ ، وَخَيْطٌ قَوِيٌّ ، وَخَطٌّ مُشْرِقٌ لَهَا ، يُشَكِّلُ سَطْراً نَيِّراً ، فِي صَحِيفَةِ الْعَالَمِ : أَيْ أَنَّ

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، يَتَّصِلُ رَأْسُهُ ، بِالْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ ثَمَرَةُ الْكَائِنَاتِ ، وَنُسْخَةٌ مُصَغَّرَةٌ لِلْعَالَمِ ، بِنُزُولِهِ مِنَ الْأَعْلٰى ؛ وَيَرْبِطُ الْفَرْشَ بِالْعَرْشِ ؛ وَيُصْبِحُ طَرِيقاً لِعُرُوجِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْعَرْشِ . .

﴿اَلسِّرُّ الثَّانِي :﴾ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، يُظْهِرُ جِلْوَةَ الْأَحَدِيَّةِ ، فِي الْوَاحِدِيَّةِ دَائِماً ؛ كَيْلَا يُغْرِقَ الْعُقُولَ ، فِي تِلْكَ الْوَاحِدِيَّةِ الْمُتَظَاهِرَةِ فِي كَثْرَةِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ تُحِيطُ بِضِيَائِهَا ، بِأَشْيَاءٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَيَلْزَمُ لِمُلَاحَظَةِ ذَاتِ الشَّمْسِ ، فِي مَجْمُوعِ ضِيَائِهَا ، تَصَوُّرٌ وَاسِعٌ ، وَنَظَرٌ مُحِيطٌ ؛ فَتُظْهِرُ الشَّمْسُ ، ذَاتَهَا بِوَاسِطَةِ عَكْسِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ شَفَّافٍ ؛ وَيُظْهِرُ كُلُّ شَفَّافٍ ، حَسَبَ قَابِلِيَّتِهِ ، خَوَاصَّ الشَّمْسِ ، مِثْلَ ضِيَائِهَا وَحَرَارَتِهَا مَعَ جِلْوَتِهَا الذَّاتِيَّةِ ؛ لِئَلَّا تُنْسٰى ذَاتُ الشَّمْسِ ؛ وَتُحِيطُ كُلُّ كَيْفِيَّةٍ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الشَّمْسِ ، كَالضِّيَاءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَالْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ فِي الضِّيَاءِ ، بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ الْمُقَابِلَةِ لَهَا ؛ كَمَا يُظْهِرُ كُلُّ شَفَّافٍ ، حَسَبَ قَابِلِيَّتِهِ ، الشَّمْسَ بِكُلِّ صِفَاتِهَا ؛ كَذٰلِكَ ـ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى ؛ وَلَا خَطَأَ فِي التَّمْثِيلِ ـ إِنَّ لِلْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، جِلْوَةً بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لَاسِيَّمَا فِي ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَخَاصَّةً فِي مِرْآةِ مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَوْجُودَاتِ ، يُحِيطُ أَيْضاً بِالْمَوْجُودَاتِ ، بِجِهَةِ الْوَحْدَةِ وَالْوَاحِدِيَّةِ ؛ فَيَضَعُ سِكَّةَ الْأَحَدِيَّةِ فِي الْوَاحِدِيَّةِ ، أَمَامَ النَّظَرِ ؛ كَيْلَا يُغْرِقَ الْعُقُولَ ، فِي الْوَاحِدِيَّةِ ؛ وَلِئَلَّا تَنْسَى الْقُلُوبُ ، الذَّاتَ الْأَقْدَسَ . وَإِنَّ مَا يَدُلُّ عَلٰى ثَلَاثِ عُقَدٍ مُهِمَّةٍ ، مِنْ تِلْكَ السِّكَّةِ ، هُوَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ . .

﴿اَلسِّرُّ الثَّالِثُ :﴾ أَنَّ مَا عَمَرَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، هِيَ الرَّحْمَةُ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ وَأَنَّ مَا أَضَاءَ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْمُظْلِمَةَ ، هِيَ الرَّحْمَةُ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَأَنَّ الَّتِي تُرَبِّي هٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُضْطَرِبَةَ بَيْنَ مَا لَا يُحَدُّ مِنَ الْحَاجَاتِ ، هِيَ الرَّحْمَةُ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَأَنَّ الَّتِي تُوَجِّهُ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا ، إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ وَتُشْخِصُهَا إِلَيْهِ ، وَتُجْرِيهَا إِلَى عَوْنِهِ ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ؛ كَمَا تَتَوَجَّهُ شَجَرَةٌ ، بِجَمِيعِ هَيْئَاتِهَا ، إِلٰى ثَمَرَتِهَا ، هِيَ الرَّحْمَةُ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَأَنَّ مَا

مَلأَ هٰذِهِ الْفَضَاءَ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، وَمَلأَ هٰذَا الْعَالَمَ الْفَارِغَ الْخَالِيَ ؛ وَنَوَّرَهُمَا وَعَمَرَهُمَا ، **هِيَ الرَّحْمَةُ بِالْمُشَاهَدَةِ** ؛ وَأَنَّ مَا رَشَّحَ هٰذَا الإِنْسَانَ الْفَانِيَ ، لِلأَبَدِ ؛ وَجَعَلَهُ مُخَاطَباً وَخَلِيلاً لِخَالِقٍ أَزَلِيٍّ وَأَبَدِيٍّ ، **هِيَ الرَّحْمَةُ بِالْبَدَاهَةِ** . .

فَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ ! إِذَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ ، حَقِيقَةً مَحْبُوبَةً قَوِيَّةً ، وَجَاذِبَةً مُمَدِّدَةً هٰكَذَا ؛ فَقُلْ : ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ ؛ وَتَمَسَّكْ بِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ ؛ وَتَخَلَّصْ مِنَ الْوَحْشَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَمِنْ آلاَمِ الْحَاجَاتِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ؛ وَاقْتَرِبْ إِلٰى عَرْشِ سُلْطَانِ الأَزَلِ وَالأَبَدِ ؛ وَكُنْ مُخَاطَباً لِذٰلِكَ السُّلْطَانِ ، وَخَلِيلاً وَحَبِيباً لَهُ ، بِشَفَقَةِ **تِلْكَ الرَّحْمَةِ** ، وَبِشَفَاعَتِهَا . .

نَعَمْ : إِنَّ جَمْعَ أَنْوَاعِ الْكَائِنَاتِ ، حَوْلَ الإِنْسَانِ ، فِي دَائِرَةِ الْحِكْمَةِ ، وَسَوْقَهَا بِكَمَالِ الانْتِظَامِ وَالْعِنَايَةِ ، إِلٰى جَمِيعِ حَاجَاتِهِ ، إِنَّمَا هُوَ أَحَدُ الأَمْرَيْنِ ، بِالْبَدَاهَةِ : فَإِمَّا أَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ ، يَعْرِفُ الإِنْسَانَ ؛ وَيُطِيعُهُ وَيَعْدُو إِلٰى عَوْنِهِ بِنَفْسِهِ . وَهٰذَا بَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ كَمَا يُنْتِجُ مُحَالاتٍ كَثِيرَةً ؛ لأَنَّهُ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، أَنْ تُوجَدَ قُدْرَةُ أَقْوَى سُلْطَانٍ مُطْلَقٍ ، فِي عَاجِزٍ مُطْلَقٍ ، مِثْلِ الإِنْسَانِ ؛ وَإِمَّا أَنَّ هٰذِهِ الإِعَانَةَ ، تَكُونُ بِعِلْمِ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، وَرَاءَ حِجَابِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِذاً إِنَّ أَنْوَاعَ الْكَائِنَاتِ لَيْسَتْ هِيَ تَعْرِفُ الإِنْسَانَ ؛ بَلْ إِنَّهَا دَلائِلُ عَلٰى مَعْرِفَةِ مَنْ يَعْلَمُ الإِنْسَانَ ، وَعَلٰى عِلْمِ مَنْ يَعْرِفُهُ وَيَرْحَمُهُ . .

فَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ ! احْمِلْ عَقْلَكَ إِلٰى رَأْسِكَ ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ لا يَعْلَمَكَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ الَّذِي جَعَلَ الْمَخْلُوقَاتِ ، تَمُدُّ إِلَيْكَ بِأَيْدِي الإِعَانَةِ ، مُتَوَجِّهَةً إِلَيْكَ ، وَمُلَبِّيَةً لِحَاجَاتِكَ ؛ وَأَنْ لا يَعْرِفَكَ وَلا يَرَاكَ ذٰلِكَ الْخَالِقُ ؟ فَإِذَا كَانَ يَعْلَمُكَ وَيُعْلِمُ لَكَ مَعْرِفَتَهُ بِكَ ، رَحْمَةً بِكَ ؛ فَاعْرِفْهُ أَنْتَ أَيْضاً ؛ وَأَعْلِمْ مَعْرِفَتَكَ بِهِ ، بِالاحْتِرَامِ ؛ وَاعْلَمْ قَطْعاً : أَنَّ الَّذِي سَخَّرَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةَ ؛ وَبَعَثَهَا لإِمْدَادِ مَخْلُوقٍ صَغِيرٍ فَانٍ ، وَفَقِيرٍ مُطْلَقٍ ، وَعَاجِزٍ مُطْلَقٍ ، وَضَعِيفٍ مُطْلَقٍ ، مِثْلِكَ ، إِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةُ الرَّحْمَةِ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ ؛ فَمِثْلُ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ ، تَقْتَضِي مِنْكَ شُكْراً كُلِّيّاً خَالِصاً ، وَاحْتِرَاماً جِدِّيّاً صَافِياً ؛ فَاذْكُرْ ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ ، الَّذِي هُوَ عُنْوَانٌ لِذٰلِكَ الشُّكْرِ

الْخَالِصِ ، وَتَرْجُمَانٌ لِذٰلِكَ الاِحْتِرَامِ الصَّافِي ؛ وَاجْعَلْهُ وَسِيلَةً لِوُصُولِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ ، وَشَفِيعاً فِي بَابِ الرَّحْمٰنِ. نَعَمْ : إِنَّ وُجُودَ الرَّحْمَةِ وَتَحَقُّقَهَا ، ظَاهِرٌ ظُهُورَ الشَّمْسِ ؛ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ نَقْشاً مَرْكَزِيّاً يَحْصُلُ مِنِ انْتِظَامِ الْخُيُوطِ ، وَمِنْ أَوْضَاعِ الْحِبَالِ الْوَارِدَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْخُيُوطَ النَّيِّرَةَ الْمُمْتَدَّةَ مِنْ جَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ ، فِي الدَّائِرَةِ الْكُبْرٰى لِلْكَائِنَاتِ ، تَنْسُجُ خَاتَماً مِنَ الرَّحِيمِيَّةِ ، وَنَقْشاً مِنَ الشَّفَقَةِ ، وَطَابَعاً مِنَ الْعِنَايَةِ ، فِي سِكَّةٍ مِنَ الرَّحْمَةِ ، فِي سِيمَا الْكَائِنَاتِ ؛ بِحَيْثُ تُظْهِرُ نَفْسَهَا لِلْعُقُولِ ، أَشْرَقَ مِنَ الشَّمْسِ. نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنَ الْجَمِيلَ ـ الَّذِي نَظَّمَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَالْعَنَاصِرَ وَالْمَعَادِنَ ، وَالنَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، كَخُيُوطِ نَقْشٍ أَعْظَمَ ، بِشُعَاعَاتِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ ؛ وَجَعَلَهَا خَادِمَةً لِلْحَيَاةِ ؛ وَأَظْهَرَ شَفَقَتَهُ ، بِشَفَقَاتِ جَمِيعِ الْوَالِدَاتِ النَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ ، شَفَقَاتِهَا الْغِذَائِيَّةِ الْحُلْوَةِ لِلْغَايَةِ ؛ وَسَخَّرَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، لِلْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَأَظْهَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، نَقْشَ رُبُوبِيَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ ، نَقْشاً أَعْظَمَ ، جَمِيلاً وَحُلْواً لِلْغَايَةِ ؛ وَأَظْهَرَ بِذٰلِكَ ، قِيمَةَ الْإِنْسَانِ ؛ وَأَرٰى أَشْرَقَ رَحْمَتِهِ ـ جَعَلَ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنُ الْجَمِيلُ ، رَحْمَتَهُ ، إِزَاءَ اسْتِغْنَائِهِ الْمُطْلَقِ ، شَفِيعاً لِلْإِنْسَانِ وَذَوِي الْحَيَاةِ ، الَّذِينَ هُمْ بَيْنَ احْتِيَاجٍ مُطْلَقٍ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِنْ كُنْتَ إِنْسَاناً ؛ فَقُلْ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ؛ تَجِدْ ذٰلِكَ الشَّفِيعَ. نَعَمْ : إِنَّ الَّذِي يُرَبِّي أَرْبَعَمِئَةِ أَلْفِ طَائِفَةٍ ، مِنْ طَوَائِفِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الْمُخْتَلِفَةِ الْمُتَغَايِرَةِ ، بِدُونِ نِسْيَانٍ وَلَا الْتِبَاسٍ ، فِي أَوْقَاتِهَا الْمُعَيَّنَةِ ؛ وَيُدِيرُهَا بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ ، وَبِالْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ؛ وَيَضَعُ خَاتَمَ الْأَحَدِيَّةِ ، عَلٰى سِيمَا كُرَةِ الْأَرْضِ ، إِنَّمَا هُوَ الرَّحْمَةُ بِالْبَدَاهَةِ ، بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ وَإِنَّ وُجُودَ تِلْكَ الرَّحْمَةِ ، قَطْعِيٌّ قَطْعِيَّةَ وُجُودِ الْمَوْجُودَاتِ ، فِي سِيمَا كُرَةِ الْأَرْضِ هٰذِهِ ؛ كَمَا أَنَّ لِتَحَقُّقِهَا ، دَلَائِلَ عَدَدَ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ. نَعَمْ : كَمَا يُوجَدُ خَاتَمُ رَحْمَةٍ ، وَسِكَّةُ أَحَدِيَّةٍ كَذٰلِكَ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ تُوجَدُ أَيْضاً سِكَّةُ رَحْمَةٍ كَذٰلِكَ ، فِي سِيمَا مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ لَيْسَتْ أَدْنٰى مِنْ سِكَّةِ الرَّحْمَةِ ، فِي سِيمَا كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَمِنْ سِكَّةِ الرَّحْمَةِ الْعُظْمٰى ، فِي سِيمَا الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِنَّ لِمَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ ، جَامِعِيَّةً

فِي حُكْمِ نُقْطَةٍ مِحْوَرِيَّةٍ لِجَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ..

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ! هَلْ يُمْكِنُ لِمَنْ أَعْطَاكَ هٰذِهِ السِّيمَا؛ وَوَضَعَ **سِكَّةَ رَحْمَةٍ، وَخَاتَمَ أَحَدِيَّةٍ** كَذٰلِكَ، فِي تِلْكَ السِّيمَا، أَنْ يَتْرُكَكَ سُدًى؛ وَلَا يَهْتَمَّ بِكَ؛ وَلَا يَنْظُرَ إِلٰى حَرَكَاتِكَ بِالْإِمْعَانِ؛ وَيَجْعَلَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَيْكَ، عَبَثاً؛ وَيَجْعَلَ شَجَرَةَ الْخِلْقَةِ، شَجَرَةً لَا قِيمَةَ لَهَا، فَاسِدَةَ الثَّمَرَةِ، وَمُتَفَسِّخَتَهَا؛ وَيُنْكِرَ حِكْمَتَهُ الْمَشْهُودَةَ كَالضِّيَاءِ، وَرَحْمَتَهُ الظَّاهِرَةَ كَالشَّمْسِ، اللَّتَيْنِ لَا تَقْبَلَانِ الشُّبْهَةَ، بِأَيِّ جِهَةٍ؛ وَلَا قُصُورَ لَهُمَا، بِأَيِّ وَجْهٍ؟ حَاشَاهُ..

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ! اعْلَمْ أَنَّ لِلْوُصُولِ إِلٰى عَرْشِ **تِلْكَ الرَّحْمَةِ**، مِعْرَاجاً؛ وَهُوَ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾؛ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَدٰى قِيمَةِ هٰذَا الْمِعْرَاجِ؛ فَانْظُرْ إِلٰى رُؤُوسِ مِئَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سُورَةً، مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ، وَإِلٰى أَوَائِلِ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُبَارَكَةِ، وَإِلٰى مَبَادِئِ كُلِّ الْأُمُورِ الْمُبَارَكَةِ. **وَإِنَّ أَقْطَعَ حُجَّةٍ عَلٰى عَظَمَةِ قَدْرِ الْبَسْمَلَةِ، هِيَ: أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْ عِظَامِ الْمُجْتَهِدِينَ، مِثْلِ «الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ» (رضي الله عنه)، قَالُوا: «إِنَّ الْبَسْمَلَةَ، مَعَ كَوْنِهَا آيَةً وَاحِدَةً، نَزَلَتْ فِي الْقُرْآنِ، مِئَةً وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَرَّةً»..**

﴿**اَلسِّرُّ الرَّابِعُ:**﴾ أَنَّ تَجَلِّيَ الْوَاحِدِيَّةِ، فِي الْكَثْرَةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، لَا يَكْفِي كُلَّ أَحَدٍ، بِخِطَابِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فَيَتَشَتَّتُ الْفِكْرُ؛ وَلَا بُدَّ لِتَفَكُّرِ ذَاتِ الْأَحَدِيَّةِ، وَرَاءَ الْوَحْدَةِ، فِي مَجْمُوعِ الْكَثْرَةِ، وَلِلتَّكَلُّمِ بِـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، مِنْ وُجُودِ قَلْبٍ فِي وُسْعَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ. فَعَلٰى هٰذَا السِّرِّ، يُظْهِرُ **سِكَّةَ الْأَحَدِيَّةِ**، بِصُورَةٍ ظَاهِرَةٍ، فِي الْجُزْئِيَّاتِ؛ كَمَا يُظْهِرُ **سِكَّةً مِنَ الْأَحَدِيَّةِ، فِي خَاتَمِ الرَّحْمَانِيَّةِ**، فِي كُلِّ نَوْعٍ، لِتَفَكُّرِ ذَاتِ الْأَحَدِ، وَلِإِظْهَارِ **سِكَّةِ الْأَحَدِيَّةِ**؛ حَتّٰى يَقُولَ كُلُّ أَحَدٍ، فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ، بِلَا كُلْفَةٍ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ وَيُخَاطِبَ الذَّاتَ الْأَقْدَسَ؛ وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ. فَلِإِفَادَةِ هٰذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ، يَبْحَثُ **الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ**، فَجْأَةً، عَنْ أَصْغَرِ دَائِرَةٍ، وَعَنْ أَدَقِّ جُزْئِيٍّ، بَيْنَمَا هُوَ يَبْحَثُ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فِي أَعْظَمِ دَائِرَةِ الْكَائِنَاتِ؛ لِيُظْهِرَ **خَاتَمَ الْأَحَدِيَّةِ**، بِوَجْهٍ ظَاهِرٍ؛ فَمَثَلاً: إِنَّهُ يَفْتَحُ الْبَحْثَ عَنِ الْإِنْسَانِ، وَعَنْ صَوْتِهِ، وَعَنْ

دَقَائِقِ النِّعْمَةِ وَالْحِكْمَةِ ، فِي سِيمَاهُ ، بَيْنَ الْبَحْثِ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ حَتّٰى لَا يَتَشَتَّتَ الْفِكْرُ ؛ وَلَا يَغْرَقَ الْقَلْبُ ؛ وَيَجِدَ الرُّوحُ ، مَعْبُودَهُ ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ آيَةَ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ ، تُبَيِّنُ الْحَقِيقَةَ الْمَذْكُورَةَ ، بِوَجْهٍ مُعْجِزٍ . نَعَمْ : إِنَّ لِسِكَّةِ الْوَحْدَةِ ، فِي الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، وَفِي الْكَثْرَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، أَنْوَاعاً وَمَرَاتِبَ ، مِنْ أَكْبَرِ السِّكَّةِ ، إِلٰى أَصْغَرِهَا ، كَدَوَائِرَ مُتَدَاخِلَةٍ ؛ وَلٰكِنَّ تِلْكَ الْوَحْدَةَ ، مَهْمَا كَانَتْ وَحْدَةً ؛ فَهِيَ أَيْضاً ، وَحْدَةٌ فِي الْكَثْرَةِ ؛ لَا تُفِيدُ الْخِطَابَ الْحَقِيقِيَّ تَمَاماً ؛ فَلِذٰلِكَ يَلْزَمُ أَنْ تُوجَدَ وَرَاءَ الْوَحْدَةِ ، سِكَّةُ الْأَحَدِيَّةِ ؛ حَتّٰى لَا يَتَذَكَّرَ الْكَثْرَةَ ؛ وَيَفْتَحَ الطَّرِيقَ لِلْقَلْبِ ، إِزَاءَ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، بِدُونِ تَوَسُّطٍ ؛ وَكَذَا وَضَعَ عَلٰى سِكَّةِ الْأَحَدِيَّةِ تِلْكَ ، خَاتَمَ الرَّحِيمِيَّةِ ، وَسِكَّةَ الرَّحْمَةِ ، الَّتِي هِيَ نَقْشٌ جَذَّابٌ ، وَنُورٌ لَمَّاعٌ ، وَحُلْوٌ عَذُوبٌ ، وَجَمَالٌ مَحْبُوبٌ ، وَحَقِيقَةٌ قَوِيَّةٌ ؛ لِتُوَجِّهَ الْأَنْظَارَ ، إِلٰى تِلْكَ السِّكَّةِ ؛ وَتَجْذِبَ الْقُلُوبَ إِلَيْهَا . نَعَمْ : إِنَّ قُوَّةَ تِلْكَ الرَّحْمَةِ ، هِيَ الَّتِي تَجْذِبُ أَنْظَارَ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَتَجْلِبُهَا إِلَيْهَا ؛ وَتُوصِلُ إِلٰى سِكَّةِ الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَتُفَكِّرُ فِي الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةِ ، وَمِنْ ذٰلِكَ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ ، مَظْهَراً لِلْخِطَابِ الْحَقِيقِيِّ ، فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ؛ فَـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا فِهْرِسٌ لِلْفَاتِحَةِ ، وَخُلَاصَةٌ مُجْمَلَةٌ لِلْقُرْآنِ ؛ أَصْبَحَ عُنْوَاناً وَتَرْجُمَاناً ، لِهٰذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ الْمَذْكُورِ . فَمَنْ أَخَذَ هٰذَا الْعُنْوَانَ بِيَدِهِ ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيرَ فِي طَبَقَاتِ الرَّحْمَةِ ؛ وَمَنْ أَنْطَقَ هٰذَا التَّرْجُمَانَ ؛ يَتَعَلَّمُ أَسْرَارَ الرَّحْمَةِ ؛ وَيَرٰى أَنْوَارَ الرَّحِيمِيَّةِ وَالشَّفَقَةِ . .

﴿اَلسِّرُّ الْخَامِسُ :﴾ أَنَّهُ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ شَرِيفٍ : ﴿إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلٰى صُورَةِ الرَّحْمٰنِ﴾ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ . . وَفَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، هٰذَا الْحَدِيثَ ، بِوَجْهٍ عَجِيبٍ ، لَا يُنَاسِبُ الْعَقَائِدَ الْإِيمَانِيَّةَ ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ الْعِشْقِ مِنْهُمْ ، نَظَرُوا إِلَى السِّيمَا الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ ، بِنَظَرِ صُورَةٍ مَّا لِلرَّحْمٰنِ ؛ وَلِأَنَّ فِي أَكْثَرِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ سُكْراً ؛ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِشْقِ اسْتِغْرَاقاً وَالْتِبَاساً ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُوا مَعْذُورِينَ فِي تَلَقِّيَاتِهِمْ

الْمُخَالِفَةِ لِلْحَقِيقَةِ ، إِلَّا أَنَّ مَنْ كَانَ عَقْلُهُ بِرَأْسِهِ ، لَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْبَلَ مُرَادَهُمُ الْمُنَافِيَ لِأُصُولِ الْعَقَائِدِ ، قَبُولاً فِكْرِيّاً ؛ وَإِنْ قَبِلَهُ ؛ أَخْطَأَ . نَعَمْ : إِنَّ الذَّاتَ الْأَقْدَسَ الْإِلٰهِيَّ الَّذِي يُدَبِّرُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مُنْتَظِمَةً كَقَصْرٍ وَبَيْتٍ ؛ وَيُدَوِّرُ النُّجُومَ كَالذَّرَّاتِ ؛ وَيُسَيِّرُهَا بِالْحِكْمَةِ وَالسُّهُولَةِ ؛ وَيَسْتَخْدِمُ الذَّرَّاتِ ، كَمُوَظَّفِينَ مُنْتَظِمِينَ ؛ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَنَظِيرٌ ، وَضِدٌّ وَنِدٌّ ؛ كَمَا لَا يَكُونُ لَهُ صُورَةٌ وَمِثْلٌ ، وَمِثَالٌ وَشَبِيهٌ أَيْضاً ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ؛ وَلٰكِنْ يُنْظَرُ إِلٰى شُؤُونَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، بِالْمَثَلِ وَالتَّمْثِيلِ ، بِسِرِّ آيَةِ ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ؛ فَإِذاً يُوجَدُ الْمَثَلُ وَالتَّمْثِيلُ ، فِي جِهَةِ الشُّؤُونَاتِ . .

وَمِنَ الْمَقَاصِدِ الْكَثِيرَةِ لِهٰذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الْمَذْكُورِ : أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ عَلٰى صُورَةٍ تُظْهِرُ اسْمَ الرَّحْمٰنِ ، بِتَمَامِهِ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ اسْمَ الرَّحْمٰنِ الْمُتَظَاهِرَ مِنْ شُعَاعَاتِ الْأَسْمَاءِ الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ ، يُرٰى عَلٰى سِيمَا الْكَائِنَاتِ ، وَالْمُتَظَاهِرَ بِمَا لَا يُحَدُّ مِنْ جَلَوَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، يُرٰى عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ كَذٰلِكَ يُظْهِرُ ذٰلِكَ الِاسْمُ ، جِلْوَتَهُ الْأَتَمَّ أَيْضاً ، عَلٰى صُورَةِ الْإِنْسَانِ الْجَامِعَةِ ، فِي مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، كَسِيمَا الْأَرْضِ ، وَسِيمَا الْكَائِنَاتِ ؛ كَمَا بَيَّنَّا سَابِقاً ؛ هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ ؛ وَكَذَا يُشِيرُ إِلٰى أَنَّ الْمَظَاهِرَ مِثْلَ الْإِنْسَانِ وَذَوِي الْحَيَاةِ ، الَّذِينَ هُمْ مَرَايَا الذَّاتِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، وَدَلَائِلُهُ ، هِيَ قَطْعِيَّةُ الدَّلَالَةِ عَلٰى ذٰلِكَ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَوَاضِحَةُ الدَّلَالَةِ وَظَاهِرُهَا ، بِحَيْثُ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ – وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ – : إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ ، صُورَةَ الرَّحْمٰنِ ، إِشَارَةً إِلٰى وُضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَكَمَالِ الْمُنَاسَبَةِ ؛ كَمَا يُقَالُ لِمِرْآةٍ مُشْرِقَةٍ عَكَسَتْ تِمْثَالَ الشَّمْسِ ، وَعَكْسَهَا : إِنَّ تِلْكَ الْمِرْآةَ شَمْسٌ ، إِشَارَةً إِلٰى إِشْرَاقِهَا ، وَوُضُوحِ دَلَالَتِهَا . . وَالْقِسْمُ الْمُعْتَدِلُ مِنْ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، قَالُوا بِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ : «لَا مَوْجُودَ إِلَّا هُوَ» ، عُنْوَاناً لِوُضُوحِ هٰذِهِ الدَّلَالَةِ ، وَلِكَمَالِ هٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ . .

اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمٰنُ يَا رَحِيمُ ! بِحَقِّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، اِرْحَمْنَا كَمَا يَلِيقُ

بِرَحِيمِيَّتِكَ ؛ وَفَهِّمْنَا أَسْرَارَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ؛ كَمَا يَلِيقُ بِرَحْمَانِيَّتِكَ ؛ آمِينَ . .

﴿اَلسِّرُّ السَّادِسُ :﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْبَائِسُ الْمُضْطَرِبُ بَيْنَ عَجْزٍ بِلَا حَدٍّ ، وَفَقْرٍ بِلَا نِهَايَةٍ ! اعْلَمْ بِهٰذَا ، أَنَّ الرَّحْمَةَ ، أَيَّةُ وَسِيلَةٍ قَيِّمَةٍ ، وَأَيُّ شَفِيعٍ مُشَفَّعٍ ؛ وَهُوَ : أَنَّ تِلْكَ الرَّحْمَةَ ، وَسِيلَةٌ إِلٰى سُلْطَانٍ ذِي جَلَالٍ ، تَخْدُمُ النُّجُومُ وَالذَّرَّاتُ مَعاً ، فِي جَيْشِهِ ، بِكَمَالِ الْانْتِظَامِ وَالْإِطَاعَةِ ؛ وَأَنَّ لِذٰلِكَ الذَّاتِ ذِي الْجَلَالِ ، وَسُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، اسْتِغْنَاءً ذَاتِيّاً ؛ وَهُوَ فِي اسْتِغْنَاءٍ مُطْلَقٍ ، وَغَنِيٌّ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ لَا احْتِيَاجَ لَهُ إِلَى الْكَائِنَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ أَصْلاً ؛ وَأَنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، تَحْتَ أَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَفِي نِهَايَةِ الْإِطَاعَةِ لَهُ ، وَتَحْتَ هَيْبَةِ عَظَمَتِهِ ، وَفِي التَّذَلُّلِ إِزَاءَ جَلَالِهِ ؛ فَالرَّحْمَةُ تَرْقَى بِكَ ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِلٰى حُضُورِ ذٰلِكَ الْمُسْتَغْنِي عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَالسُّلْطَانِ السَّرْمَدِيِّ ؛ وَتَجْعَلُكَ خَلِيلاً وَمُخَاطَباً لَهُ ؛ وَتَهَبُ لَكَ حَالَةَ عَبْدٍ حَبِيبٍ ؛ فَكَمَا أَنَّكَ بَعِيدٌ عَنِ الشَّمْسِ ؛ لَا تَصِلُ إِلَيْهَا ؛ وَلَا تَقْتَرِبُ مِنْهَا ، بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ وَلٰكِنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ ، تُعْطِي يَدَكَ ، جِلْوَتَهَا وَعَكْسَهَا ، بِوَاسِطَةِ مِرْآتِكَ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّنَا ؛ وَإِنْ كُنَّا بَعِيدِينَ بِلَا نِهَايَةٍ ، عَنْ ذٰلِكَ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، وَعَنْ تِلْكَ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ ؛ وَلَا نَقْتَرِبُ مِنْهَا ، إِلَّا أَنَّ ضِيَاءَ رَحْمَتِهِ ، تُقَرِّبُهُ إِلَيْنَا . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِنَّ مَنْ وَجَدَ هٰذِهِ الرَّحْمَةَ ، يَجِدُ خَزِينَةَ نُورٍ أَبَدِيَّةً ؛ وَإِنَّ وَسِيلَةَ وُجُودِ تِلْكَ الْخَزِينَةِ ، إِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) وَاتِّبَاعُهُ ، ذٰلِكَ الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ أَشْرَقُ مِثَالٍ وَمُمَثِّلٍ لِلرَّحْمَةِ ، وَأَبْلَغُ لِسَانٍ وَدَلَّالٍ لِتِلْكَ الرَّحْمَةِ ، الْمُسَمّٰى فِي الْقُرْآنِ بِعُنْوَانِ «رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» ؛ وَإِنَّ الْوَسِيلَةَ لِلْوُصُولِ إِلٰى هٰذِهِ الرَّحْمَةِ الْمُجَسَّمَةِ الَّتِي هِيَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، إِنَّمَا هِيَ الصَّلَوَاتُ . نَعَمْ : إِنَّ مَعْنَى الصَّلَاةِ ، هُوَ الرَّحْمَةُ ؛ وَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ الدُّعَاءُ بِالرَّحْمَةِ لِتِلْكَ الرَّحْمَةِ الْمُجَسَّمَةِ الْحَيَّةِ ، هِيَ الْوَسِيلَةُ لِلْوُصُولِ إِلٰى تِلْكَ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَاجْعَلِ الصَّلَوَاتِ ، وَسِيلَةً لَكَ ، لِلْوُصُولِ إِلٰى تِلْكَ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ؛ وَاتَّخِذْ ذٰلِكَ الرَّسُولَ ، وَسِيلَةً لِرَحْمَةِ الرَّحْمٰنِ ؛ وَإِنَّ إِتْيَانَ الْأُمَّةِ كُلِّهَا ، بِالصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ ، بِكَثْرَةٍ لَا حَدَّ

لَهَا ، فِي حَقِّ تِلْكَ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، يُثْبِتُ بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ : أَنَّ الرَّحْمَةَ ، أَيَّةُ هَدِيَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ قَيِّمَةٍ ؛ وَأَنَّ لَهَا ، أَيَّ دَائِرَةٍ وَاسِعَةٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ حَاجِبَ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، وَدُرَّتَهَا الثَّمِينَةَ ، هِيَ الذَّاتُ الْأَحْمَدِيَّةُ ، (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ كَمَا أَنَّ أَعْلٰى مِفْتَاحِهَا ، هُوَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ؛ وَأَنَّ أَسْهَلَ مِفْتَاحٍ لَهَا ، هُوَ الصَّلَوَاتُ . .

اَللّٰهُمَّ بِحَقِّ أَسْرَارِ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى مَنْ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ؛ كَمَا يَلِيقُ بِرَحْمَتِكَ وَبِحُرْمَتِهِ ، وَعَلٰى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ؛ وَارْحَمْنَا رَحْمَةً تُغْنِينَا بِهَا ، عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ مِنْ خَلْقِكَ آمِينَ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللَّمْعَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ

هِيَ كَاشِفَةُ «الْمَقَالاَتِ وَالْمَكْتُوبَاتِ ، وَاللَّمَعَاتِ» إِلَى «اللَّمْعَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ» ؛ وَقَدْ نُشِرَتْ مُسْتَقِلَّةً ؛ فَلَمْ تُدْرَجْ هٰهُنَا ؛ وَسَتُكْتَبُ كَاشِفَةُ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ ، فِي آخِرِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تُكْتَبْ هُنَا . .

اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَللَّمْعَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ

بِاسْمِهِ ؛ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . .

إِخْوَانِي الْأَعِزَّةَ الصِّدِّيقِينَ : «الشَّيْخَ صَبْرِي ، الْحَافِظَ عَلِي ، مَسْعُودْ ، مُصْطَفَيْنَ ، خُسْرَوْ ، رَأْفَتْ ، بَكِرْ الْكَرِيمَ ، رُشْدِي ، لُطْفِيِّينَ ، الْحَافِظَ أَحْمَدْ ، الشَّيْخَ مُصْطَفٰى» وَغَيْرَهُمْ ! .

أَحْسَسْتُ خَاطِرَةً فِي بَالِي ، لِبَيَانِ أَرْبَعِ مَسَائِلَ صَغِيرَةٍ وَمُهِمَّةٍ ، أَصْبَحَتْ مَدَاراً لِلسُّؤَالِ ؛ فَأُبَيِّنُهَا عَلٰى وَجْهٍ مُخْتَصَرٍ ، مِنْ قَبِيلِ الْمَعْلُومَاتِ لَكُمْ . .

﴿اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ :﴾ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ ، مِثْلَ «چَاپْرَازْ زَادَهْ عَبْدِ اللهِ الْفَاضِلِ» مِنْ إِخْوَانِنَا ، أَخْبَرُوا رِوَايَةً عَنْ أَهْلِ الْكَشْفِ : «أَنَّهُ كَانَ يَقَعُ فَرَجٌ وَفُتُوحٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي هٰذَا» ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرِ الْفَرَجُ ؛ فَسَأَلُونِي : لِمَاذَا يُخْبِرُ أَهْلُ الْوَلَايَةِ وَالْكَشْفِ ، هٰكَذَا خِلَافَ الْوَاقِعِ ؟ .

وَمُخْتَصَرُ جَوَابِيَ الَّذِي أَجَبْتُهُ فَجْأَةً ، مِنْ قَبِيلِ السُّنُوحَاتِ ، هُوَ : أَنَّهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : أَنَّ الْبَلَاءَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً ؛ فَبَيْنَمَا يَجِيءُ ، إِذْ تُقَابِلُهُ صَدَقَةٌ فَتَصْرِفُهُ . وَيَدُلُّ سِرُّ هٰذَا الْحَدِيثِ ، عَلٰى أَنَّ الْمُقَدَّرَاتِ إِذَا كَانَتْ تَقَعُ بِبَعْضِ الشُّرُوطِ ؛ تَتَأَخَّرُ بِتَأَخُّرِهَا . فَإِذاً إِنَّ الْمُقَدَّرَاتِ الَّتِي اطَّلَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْكَشْفِ ، لَمْ تَكُنْ مُطْلَقَةً ؛ بَلْ كَانَتْ مُقَيَّدَةً بِبَعْضِ الشُّرُوطِ ؛ فَبِانْعِدَامِ وُقُوعِ تِلْكَ الشُّرُوطِ ، لَا تَقَعُ تِلْكَ الْحَادِثَةُ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ كُتِبَتْ

تِلْكَ الْحَادِثَةُ ، مُقَدَّرَةً كَالْأَجَلِ الْمُعَلَّقِ ، فِي لَوْحِ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ ، الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ دَفْتَرٍ مَّا لِلَّوْحِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَقَلَّمَا يَطْلَعُ الْكَشْفُ ، إِلَى اللَّوْحِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَلَا يَطْلَعُ أَكْثَرُهُ إِلَىٰ هُنَالِكَ . . فَبِنَاءً عَلَىٰ هٰذَا السِّرِّ ، لَمْ يَقَعْ فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ الْمَاضِي ، وَفِي عِيدِ الْأَضْحَىٰ هٰذَا ، وَفِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، مَا أُخْبِرَ عَنْهَا ، مِنَ الْأَخْبَارِ ، بِنَاءً عَلَىٰ الِاسْتِخْرَاجِ ، أَوْ مِنْ قَبِيلِ الْكَشْفِيَّاتِ ، لِانْعِدَامِ وُجُودِ شَرَائِطِهَا الْمُعَلَّقَةِ هِيَ عَلَيْهَا . وَإِنَّ تِلْكَ الْأَخْبَارَ لَا تُكَذِّبُ الْمُخْبِرِينَ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُقَدَّرَةً بِشُرُوطٍ ؛ فَلَمْ تَقَعْ لِانْعِدَامِ وُقُوعِ شُرُوطِهَا . نَعَمْ : إِنَّ دُعَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، الْخَالِصَ عَلَى الْأَكْثَرِ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، لِرَفْعِ الْبِدَعِ ، كَانَ شَرْطاً وَسَبَباً مُهِمّاً لَهُ ؛ وَلٰكِنَّ الْبِدَعَ دَخَلَتِ الْمَسَاجِدَ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ؛ فَسَدَّتْ أَمَامَ الْقَبُولِ ؛ فَلَمْ يَأْتِ الْفَرَجُ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ فَكَمَا أَنَّ الصَّدَقَةَ تَرْفَعُ الْبَلَاءَ ، بِسِرِّ الْحَدِيثِ السَّابِقِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ دُعَاءَ الْأَكْثَرِينَ ، الْخَالِصَ ، يَجْذِبُ الْفَرَجَ الْعَامَّ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ لَمْ تُوجَدِ الْقُوَّةُ الْجَاذِبَةُ ؛ فَلَمْ تُعْطَ الْفُتُوحُ . .

﴿اَلسُّؤَالُ الْمُهِمُّ الثَّانِي :﴾ أَنَّهُ كَانَ اللَّازِمُ ، الْمُبَاشَرَةَ بِتَدْبِيرٍ يُنْتِجُ الْفَرَجَ ، بِاحْتِمَالٍ قَوِيٍّ ، لِي وَلِكَثِيرِينَ مِنْ إِخْوَانِيَ الْمُقَرَّبِينَ ، تِجَاهَ حَالَةٍ سِيَاسِيَّةٍ مُهَيِّجَةٍ ، فِي هٰذَيْنِ الشَّهْرَيْنِ ؛ فَلَمْ أَهْتَمَّ بِتِلْكَ الْحَالَةِ أَصْلاً ؛ بَلْ عَلَىٰ عَكْسِ ذٰلِكَ ، وَقَعْتُ فِي فِكْرَةٍ مُفِيدَةٍ لِلَّذِينَ يُؤْذُونَنِي مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَبَقِيَ بَعْضُ النَّاسِ ، فِي حَيْرَةٍ عَلَىٰ حَيْرَةٍ ؛ وَقَالُوا : كَيْفَ تَرَى السِّيَاسَةَ الَّتِي يُتَابِعُهَا هٰؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءُ الْمُبْتَدِعُونَ ؛ وَبَعْضُهُمْ مُنَافِقُونَ ، الَّذِينَ يُؤْذُونَكَ ؟ فَلَا تَتَدَخَّلُ فِيهَا . .

وَمُخْتَصَرُ مَا أَجَبْتُ بِهِ : هُوَ أَنَّ أَهَمَّ وَرْطَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، هُوَ فَسَادُ الْقُلُوبِ ، وَتَزَلْزُلُ الْإِيمَانِ ، بِضَلَالٍ نَاشِئٍ عَنِ الْفَنِّ وَالْفَلْسَفَةِ ؛ وَأَنَّ الْوَسِيلَةَ الْوَحِيدَةَ لِهٰذَا الْحَالِ ، هُوَ النُّورُ ، وَإِرَاءَةُ النُّورِ ؛ حَتّٰى تَصْلُحَ الْقُلُوبُ ؛ وَيَنْجُوَ الْإِيمَانُ . فَلَوْ عُمِلَ بِهِرَاوَةِ السِّيَاسَةِ ؛ وَظُفِرَ بِالْغَلَبَةِ ؛ لَنَزَلَ أُولٰئِكَ الْكَافِرُونَ ، إِلَىٰ دَرَكَةِ الْمُنَافِقِينَ . وَالْمُنَافِقُ أَضَرُّ مِنَ الْكَافِرِ . فَإِذاً إِنَّ الْهِرَاوَةَ ، لَا تُصْلِحُ الْقُلُوبَ ، فِي مِثْلِ هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ الْكُفْرُ ، فِي الْقَلْبِ ؛ وَيَسْتَتِرُ فِيهِ ؛ فَيَنْقَلِبُ إِلَى النِّفَاقِ ؛ وَكَذَا إِنَّ عَاجِزاً مِثْلِي ، لَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَسْتَعْمِلَ النُّورَ وَالْهِرَاوَةَ كِلَيْهِمَا ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَلِذٰلِكَ اضْطُرِرْتُ لِالْتِزَامِ النُّورِ ، بِكُلِّ قُوَّتِي . فَمِنْ ثَمَّةَ ، لَا بُدَّ مِنْ عَدَمِ الِالْتِفَاتِ إِلَى هِرَاوَةِ السِّيَاسَةِ ، بِأَيِّ شَكْلٍ كَانَتْ . وَأَمَّا مُقْتَضَى الْجِهَادِ الْمَادِّيِّ ، فَلَيْسَتْ تِلْكَ الْوَظِيفَةُ فِينَا الْآنَ . نَعَمْ : تَلْزَمُ الْهِرَاوَةُ ، حَسَبَ أَهْلِهَا ، لِسَدِّ تَجَاوُزِ الْكَافِرِ أَوِ الْمُرْتَدِّ ؛ وَلٰكِنْ لَنَا يَدَانِ ؛ فَلَوْ كَانَتْ لَنَا مِئَةُ يَدٍ ؛ لَمَا كَفَتْ إِلَّا لِلنُّورِ ؛ وَلَيْسَتْ لَنَا يَدٌ تُمْسِكُ الْهِرَاوَةَ . .

﴿اَلسُّؤَالُ الْمُهِمُّ الثَّالِثُ :﴾ أَنَّ الْحَمِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي هِيَ نُقْطَةُ الِاسْتِنَادِ الْحَقِيقِيَّةُ ، لِلْحُكُومَةِ فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، وَمَنْبَعُ قُوَّتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ، تُصْبِحُ وَسِيلَةً لِإِحْيَاءِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَلِدَفْعِ الْبِدَعِ نَوْعاً مَّا ، بِتَهَيُّجِ تِلْكَ الْحَمِيَّةِ ، بِمُعَارَضَةِ الْأَجَانِبِ لِهٰذِهِ الْحُكُومَةِ ، مِثْلِ مُعَارَضَةِ «بَرِيطَانِيَا وَإِيطَالِيَا» فِي هٰذِهِ الْفَتْرَةِ الْقَرِيبَةِ ؛ مَعَ أَنَّكَ قَدْ عَارَضْتَ الْحَرْبَ بِشِدَّةٍ ؛ وَدَعَوْتَ اللهَ ، أَنْ تُحَلَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ ، بِالْأَمْنِ ؛ وَوَالَيْتَ حُكُومَةَ الْمُبْتَدِعِينَ ؛ فَهٰذَا مُوَالَاةٌ لِلْبِدَعِ بِالتَّبَعِ . .

اَلْجَوَابُ : نَحْنُ نَطْلُبُ الْفَرَجَ وَالسُّرُورَ وَالْفُتُوحَاتِ ؛ وَلٰكِنْ لَا بِسُيُوفِ الْكُفَّارِ ؛ فَسُحْقاً لَهُمْ وَلِسُيُوفِهِمْ ؛ وَلَا يَلْزَمُ لَنَا مَا يَأْتِي مِنْ سُيُوفِهِمْ ، مِنَ الْفَائِدَةِ ؛ فَإِنَّ أُولَائِكَ الْأَجَانِبَ الْمُتَمَرِّدِينَ ، هُمُ الَّذِينَ سَلَّطُوا الْمُنَافِقِينَ ، عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَخَرَّجُوا الزَّنَادِقَةَ ؛ وَكَذَا أَنَّ مُصِيبَةَ الْحَرْبِ ، ضَرَرٌ مُهِمٌّ عَلَى خِدْمَتِنَا الْقُرْآنِيَّةِ ؛ فَإِنَّ أَفْدَى إِخْوَانِنَا ، وَأَعْلَاهُمْ قِيمَةً ، أَكْثَرُهُمْ تَحْتَ سِنِّ الْخَمْسِ وَالْأَرْبَعِينَ ؛ فَيُضْطَرُّونَ لِلذَّهَابِ إِلَى التَّجَنُّدِ ، تَارِكِينَ لِلْوَظِيفَةِ الْقُدُسِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، بِسَبَبِ الْحَرْبِ . فَلَوْ كَانَتْ لِي نُقُودٌ ؛ لَدَفَعْتُ الْبَدَلَ النَّقْدِيَّ ، بِحُسْنِ رِضَائِي ؛ وَلَوْ كَانَ أَلْفَ لِيرَةٍ ، لِإِنْقَاذِ كُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ أَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ ، مِنْ إِخْوَانِنَا الْقَيِّمِينَ ، عَنِ التَّجَنُّدِ . وَإِنِّي أُحِسُّ ضَرَرَنَا ، بِمِقْدَارِ مِئَةِ أَلْفِ لِيرَةٍ ، فِي تَمَسُّكِ مِئَاتٍ ، مِنْ إِخْوَانِنَا الْقَيِّمِينَ هٰكَذَا ، بِهِرَاوَةِ الْجِهَادِ الْمَادِّيِّ ، تَارِكِينَ لِلْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ النُّورِيَّةِ ؛ حَتَّى إِنَّ تَجَنُّدَ «ذَكَائِيٍّ» ، فِي هٰذِهِ السَّنَةِ أَوِ السَّنَتَيْنِ ، يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَضَاعَ مِقْدَارَ أَلْفِ لِيرَةٍ ، مِنْ فَائِدَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ . وَمَهْمَا يَكُنْ ؛ فَإِنَّ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ؛ كَمَا يُكَنِّسُ جَوَّ السَّمَاءِ ، الْمَالِئَ بِالسَّحَابِ ؛ وَيُنَظِّفُهُ

فِي دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَيُظْهِرُ الشَّمْسَ الْمُضِيئَةَ ، عَلٰى وَجْهِ السَّمَاءِ الْمُشْرِقِ ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْشَعَ هٰذِهِ السُّحُبَ الْمُظْلِمَةَ بِلا غَيْثٍ ؛ وَيُظْهِرَ حَقَائِقَ الشَّرِيعَةِ ، كَالشَّمْسِ ؛ وَيُعْطِينَا رَخِيصاً بِدُونِ اضْطِرَابٍ ؛ وَنَرْجُو مِنْ رَحْمَتِهِ ، أَنْ لا يَبِيعَنَا غَالِياً ؛ وَأَنْ يَهَبَ الْعَقْلَ ، لِرُؤُوسِ الرُّؤَسَاءِ ؛ وَالْإِيمَانَ ، لِقُلُوبِهِمْ ، فَحَسْبُ ؛ فَحِينَئِذٍ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بِنَفْسِهِ . .

اَلسُّؤَالُ الْمُهِمُّ الرَّابِعُ : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِذَا كَانَ مَا بِأَيْدِيكُمْ نُوراً ، لا هِرَاوَةً ؛ فَلا يُعَارَضُ إِزَاءَ النُّورِ ؛ وَلا يُهْرَبُ مِنَ النُّورِ ؛ وَلا يَأْتِي الضَّرَرُ ، مِنْ إِظْهَارِ النُّورِ ؛ فَلِمَاذَا تُوصُونَ أَصْحَابَكُمْ بِالِاحْتِيَاطِ ؛ وَتَمْنَعُونَ إِظْهَارَ رَسَائِلَ نَيِّرَةٍ كَثِيرَةٍ ، لِلنَّاسِ ؟ .

وَمُخْتَصَرُ فَحْوَى الْجَوَابِ عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ : هُوَ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، سُكَارٰى لا يَقْرَأُونَ النُّورَ . وَإِذَا قَرَأُوهُ ؛ لا يَفْهَمُونَ ؛ وَيُؤَوِّلُونَهُ خَطَأً ؛ فَيَعْتَرِضُونَ عَلَيْهِ ؛ فَلا بُدَّ أَنْ لا يُظْهَرَ لَهُمْ ؛ حَتّٰى يَفِيقُوا ؛ لِئَلّا يَقْدَحُوا فِيهِ ؛ وَكَذَا يُوجَدُ كَثِيرُونَ مِمَّنْ لا وِجْدَانَ لَهُمْ ؛ يُنْكِرُونَ النُّورَ ؛ أَوْ يُغْمِضُونَ عُيُونَهُمْ ، بِجِهَةِ الْغَرَضِ ، أَوِ الطَّمَعِ ، أَوِ الْخَوْفِ ؛ فَلِذٰلِكَ أُوصِي إِخْوَانِي ، أَنْ لا يُعْطُوا الْحَقَائِقَ ، لِأَيْدِي غَيْرِ أَهْلِهَا ؛ وَأَنْ لا يَقَعُوا[1] فِي أُمُورٍ تُحَرِّكُ أَوْهَامَ أَهْلِ الدُّنْيَا . .

---

(١) لَطِيفَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لِمَسْأَلَةٍ جِدِّيَّةٍ ؛ وَهِيَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَيَّ ، صَبَاحَ أَمْسِ ، «مُحَمَّدٌ» الَّذِي هُوَ خَتَنُ صَدِيقٍ لِي ؛ فَقَالَ مُبَشِّراً وَمُبْتَهِجاً : إِنَّهُمْ طَبَعُوا كِتَاباً مِنْ كُتُبِكَ ، فِي مَدِينَةِ «إِسْپَارْطَةَ» ؛ يَقْرَأُهُ كَثِيرُونَ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ لَيْسَ الطَّبْعَ الْمَحْذُورَ ؛ بَلْ إِنَّهُ قُبِضَ فِي التَّحَرِّي ، عَلٰى بَعْضِ نُسَخٍ ، مَعَ الْمُسْتَنْسِخِ . وَالْحُكُومَةُ لا تَعْتَرِضُ عَلَيْهِ شَيْئاً ؛ وَكَذَا قُلْتُ لَهُ : إِيَّاكَ وَأَنْ تَقُولَ هٰذَا الْخَبَرَ ، لِمُنَافِقَيْنِ صَدِيقَيْنِ لَكَ ؛ فَإِنَّهُمَا يَتَحَرَّيَانِ شَيْئاً مِثْلَ هٰذَا ؛ يَجْعَلُونَهُ وَسِيلَةً . . فَيَا إِخْوَانِي ! إِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ ؛ وَإِنْ كَانَ خَتَنَ صَدِيقِي ؛ فَيُعَدُّ صَدِيقاً لِي أَيْضاً ، بِتِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ ، إِلّا أَنَّهُ صَدِيقٌ لِلْمُدِيرِ الْمُنَافِقِ ، وَلِلْمُعَلِّمِ بِلا وِجْدَانٍ ، بِمُنَاسَبَةِ كَوْنِهِ حَلّاقاً . وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ الْخَبَرَ ، وَاحِدٌ مِنْ إِخْوَانِنَا هُنَالِكَ ، بِدُونِ عِلْمٍ . وَقَدْ حَسُنَ أَنْ جَاءَنِي أَوَّلاً ؛ فَأَخْبَرَنِي ؛ فَنَبَّهْتُهُ ؛ وَسُدَّ أَمَامَ الْفَسَادِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

خَاتِمَةٌ

إِنِّي الْيَوْمَ أَخذْتُ رِسالَةً ، مِنْ «رَأْفَتَ» الْكَرِيمِ ؛ وَقَدْ كُنْتُ فِي زَمَنٍ مَّا ، عَلٰى أَمَلِ أَنَّهُ سَيَتْرُكُ الْأَسْئِلَةَ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ سُؤَالاً أَيْضاً ؛ وَإِنِّي أُعَانِي الْمِحْنَةَ ، فِي الِاسْتِنْسَاخِ ؛ وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَأَقُولُ بِمُنَاسَبَةِ سُؤَالِهِ فِي حَقِّ اللِّحْيَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ : إِنَّهُ ثَبَتَ بِالْحَدِيثِ : أَنَّ الشَّعَرَاتِ الَّتِي سَقَطَتْ عَنْ لِحْيَةِ السَّعَادَةِ ، مَحْدُودَةٌ . وَقَدْ فَكَّرَنِي كَثِيراً ، وُجُودُ شَعَرَاتِ لِحْيَةِ السَّعَادَةِ ، فِي آلَافِ الْأَمَاكِنِ ؛ وَهِيَ بِمِقْدَارٍ قَلِيلٍ ، كَعَدَدٍ بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ ، أَوْ بَيْنَ الْخَمْسِينَ وَالسِّتِّينَ ؛ فَحِينَئِذٍ خَطَرَ بِبَالِي : أَنَّ لِحْيَةَ السَّعَادَةِ ، لَيْسَتْ عِبَارَةً عَنْ شَعَرَاتِ اللِّحْيَةِ الشَّرِيفَةِ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ لَمْ يُضَيِّعُوا شَعْرَةً مِنْ رَأْسِهِ الْمُبَارَكِ ؛ كُلَّمَا حَلَّقَ ؛ حَافَظُوا عَلٰى تِلْكَ الْأَشْعَارِ النَّيِّرَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي تَعِيشُ دَائِماً ؛ فَهِيَ آلَافٌ ؛ وَتُسَاوِي الْأَشْعَارَ الْمَوْجُودَةَ الْآنَ ؛ وَكَذَا وَرَدَ بِبَالِي حِينَئِذٍ : أَنَّهُ هَلْ ثَبَتَ بِالسَّنَدِ الصَّحِيحِ ، أَنَّ هٰذَا الشَّعْرَ الْمَوْجُودَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ، هُوَ شَعْرُ حَضْرَةِ الرِّسَالَةِ ؛ حَتّٰى تَكُونَ زِيَارَتُهُ ، مَقْبُولَةً ؟ . فَسَنَحَ بِبَالِي فَجْأَةً : أَنَّ زِيَارَةَ تِلْكَ الشَّعَرَاتِ ، وَسِيلَةٌ وَسَبَبٌ لِإِتْيَانِ الصَّلَوَاتِ عَلَى «الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، وَمَدَارٌ لِلْحُرْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ . وَإِنَّ التَّوَسُّلَ لَا يَنْظُرُ إِلٰى ذَاتِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ بَلْ يَنْظُرُ إِلٰى كَوْنِهِ وَسِيلَةً ؛ فَلِذٰلِكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ شَعْرَةٌ مَّا ، مِنْ لِحْيَةِ السَّعَادَةِ حَقِيقَةً ؛ وَقَدْ تُلُقِّيَتْ كَذٰلِكَ ، حَسَبَ ظَاهِرِ الْحَالِ ؛ وَتُؤَدِّي وَظِيفَةَ التَّوَسُّلِ ؛ وَتُصْبِحُ وَسِيلَةً لِلْحُرْمَةِ وَالتَّوَجُّهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ؛ فَلَا يَلْزَمُ تَعْيِينُ ذَاتِ تِلْكَ الشَّعْرَةِ ، وَتَشْخِيصُهَا بِالسَّنَدِ الْقَطْعِيِّ ؛ وَيَكْفِي أَنْ لَا يُوجَدَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ ، عَلٰى عَكْسِهِ فَقَطْ ؛ لِأَنَّ تَلَقِّيَ الْعَامَّةِ ، وَقَبُولَ الْأُمَّةِ ، يُصْبِحُ فِي حُكْمِ نَوْعٍ مِنَ الْحُجَّةِ . وَإِنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ التَّقْوٰى ؛ وَإِنِ اعْتَرَضُوا فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْأُمُورِ ، بِجِهَةِ التَّقْوٰى ، أَوْ الِاحْتِيَاطِ ، أَوِ الْعَزِيمَةِ ؛ فَإِنَّمَا يَعْتَرِضُونَ خُصُوصِيّاً ؛ وَإِنْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ الْبِدْعَةَ ؛ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي نَوْعِ الْبِدْعَةِ الْحَسَنَةِ ؛ لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ لِلصَّلَوَاتِ . وَيَقُولُ «رَأْفَتُ» الْكَرِيمُ : إِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ صَارَتْ مَدَاراً

لِلتَّنَازُعِ بَيْنَ الْإِخْوَانِ. فَأُوصِي إِخْوَانِي، أَنْ لا يَتَنَازَعُوا فِيمَا يُسَبِّبُ الاِنْشِقَاقَ وَالاِفْتِرَاقَ؛ وَأَنْ يَتَعَلَّمُوا الْمُبَاحَثَةَ بِدُونِ نِزَاعٍ، عَلٰى صُورَةِ مُدَاوَلَةِ الْأَفْكَارِ فَقَطْ..

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾..

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ..

إِخْوَانِيَ الْأَعِزَّةَ الصِّدِّيقِينَ «إِبْرَاهِيمْ، شُكْرِي، الْحَافِظَ حُسَيْن، وَالْحَافِظَ رَجَبْ، السِّنِرْكَنْدِيِّينَ الْفُضَلاَءَ»! . إِنَّ الْمُلْحِدِينَ يَعْتَرِضُونَ مُنْذُ الْقَدِيمِ، عَلَى الْمَسَائِلِ الثَّلاثِ الَّتِي أَرْسَلْتُمُوهَا مَعَ «الْحَافِظِ تَوْفِيقٍ»..

اَلْأُولٰى: أَنَّ آيَةَ ﴿حَتّٰى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ تَقُولُ عَلٰى ظَاهِرِ الْمَعْنَى الَّذِي تُفِيدُهُ: إِنَّهُ رَأٰى غُرُوبَ الشَّمْسِ، فِي عَيْنِ مَاءٍ، ذَاتِ حَرَارَةٍ وَوَحَلٍ.. الثَّانِيَةُ: هِيَ أَيْنَ سَدُّ ذِي الْقَرْنَيْنِ؟. الثَّالِثَةُ: فِي حَقِّ نُزُولِ عِيسٰى (عليه السلام)، وَقَتْلِهِ الدَّجَّالَ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ..

وَإِنَّ أَجْوِبَةَ هٰذِهِ الْأَسْئِلَةِ طَوِيلَةٌ؛ فَنَقُولُ بِإِشَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فَقَطْ: إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ، لِكَوْنِهَا تُفِيدُ الْمَعَانِيَ، عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبِحَسَبِ ظَاهِرِ النَّظَرِ، وَبِوَجْهٍ يَفْهَمُ الْكُلُّ؛ فَإِنَّهَا كَثِيراً مَّا تُبَيِّنُ الْمَعَانِيَ، عَلٰى صُورَةِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ؛ فَقَوْلُهُ تَعَالٰى: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، يَعْنِي: أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ رَأَى الشَّمْسَ، تَغْرُبُ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي كَانَ يُرٰى كَعَيْنٍ مُتَوَحِّلَةٍ وَدَافِئَةٍ، أَوْ فِي عَيْنِ جَبَلٍ مُتَفَجِّرٍ مُلْتَهِبٍ وَمُدْخِنٍ؛ يَعْنِي: أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ رَأٰى فِي ظَاهِرِ النَّظَرِ، غُرُوبَ الشَّمْسِ الظَّاهِرِيَّ، فِي قِسْمٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الَّذِي تَرَاءٰى لَهُ مِنْ بَعِيدٍ، عَلٰى صُورَةِ حَوْضَةِ عَيْنٍ كَبِيرَةٍ، وَرَاءَ الْبُخَارِ، حِينَمَا تَسَخَّنَ الْوَحَلُ الَّذِي حَوْلَهُ؛ وَتَبَخَّرَ بِشِدَّةِ حَرَارَةِ الصَّيْفِ؛ أَوْ رَأٰى فِي النَّظَرِ الظَّاهِرِ، اسْتِتَارَ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ السَّمَاءِ، فِي عَيْنٍ مُلْتَهِبَةٍ انْفَتَحَتْ مِنْ زَمَنٍ جَدِيدٍ، عَلٰى رَأْسِ جَبَلٍ مُتَفَجِّرٍ فَوَّارٍ، يَخْلِطُ الْحِجَارَةَ وَالتُّرَابَ وَمِيَاهَ الْمَعَادِنِ، بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ

الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ . .

نَعَمْ : إِنَّ بَلاَغَةَ إِفَادَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، عَلٰى وَجْهِ الإِعْجَازِ ، تُدَرِّسُ بِهٰذِهِ الْجُمْلَةِ ، مَسَائِلَ كَثِيرَةً . . فَأَوَّلاً تُبَيِّنُ أَنَّ سِيَاحَةَ **ذِي الْقَرْنَيْنِ** ، إِلٰى جَانِبِ الْمَغْرِبِ ، صَادَفَتْ زَمَانَ شِدَّةِ الْحَرَارَةِ ، وَجَانِبَ الْوَحَلِ ، وَأَوَانَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَوَقْتَ فَوَرَانِ جَبَلٍ مُتَفَجِّرٍ ؛ وَتُشِيرُ بِذٰلِكَ ، إِلٰى مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ذَاتِ عِبَرٍ ، مِثْلِ الاِسْتِيلاَءِ عَلٰى قَارَّةِ أَفْرِيقِيَا كُلِّهَا . . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَرَكَةَ الْمَشْهُودَةَ لِلشَّمْسِ ، ظَاهِرِيَّةٌ ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْحَرَكَةِ الْخَفِيَّةِ لِكُرَةِ الأَرْضِ ؛ وَهِيَ تُخْبِرُ عَنْهَا ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةَ الْغُرُوبِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْعَيْنَ تَشْبِيهٌ ؛ فَإِنَّ بَحْراً كَبِيراً ، يُرىٰ مِنْ بَعِيدٍ ، كَحَوْضٍ صَغِيرٍ ؛ وَإِنَّ تَشْبِيهَ بَحْرٍ يُرىٰ وَرَاءَ أَوْحَالٍ وَأَبْخِرَةٍ وَأَدْخِنَةٍ تَخْرُجُ عَنِ الْحَرَارَةِ ، بِعَيْنٍ بَيْنَ حَمَأٍ ، تَشْبِيهٌ ذُو مَغْزًى ؛ وَإِنَّ ذِكْرَ كَلِمَةِ **(الْعَيْنِ)** الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْيَنْبُوعِ وَالشَّمْسِ وَالْبَصَرِ ، فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، مُنَاسِبٌ غَايَةَ الْمُنَاسَبَةِ ، لَدىٰ أَسْرَارِ الْبَلاَغَةِ(١) ؛ وَكَمَا أَنَّ الشَّمْسَ تُرىٰ كَذٰلِكَ ، فِي نَظَرِ **ذِي الْقَرْنَيْنِ** ، بِجِهَةِ الْبُعْدِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ قَوْلَ الْقُرْآنِ ذٰلِكَ الْخِطَابِ السَّمَاوِيِّ النَّازِلِ عَنِ الْعَرْشِ الأَعْظَمِ ، وَالآمِرِ عَلَى الأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ : إِنَّ الشَّمْسَ الْمُسَخَّرَةَ الَّتِي تُؤَدِّي وَظِيفَةَ السِّرَاجِ ، فِي مَضِيفَةٍ رَحْمَانِيَّةٍ ، تَخْتَفِي فِي عَيْنٍ رَبَّانِيَّةٍ ، مِثْلِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ ، يُنَاسِبُ ذٰلِكَ الْقَوْلُ ، عَظَمَةَ الْقُرْآنِ وَعُلُوَّهُ ؛ وَيُفِيدُ بِأُسْلُوبِهِ الْمُعْجِزِ : أَنَّ الْبَحْرَ ، عَيْنٌ دَافِئَةٌ ، وَبَصَرٌ دَاخِنَةٌ ؛ وَأَنَّهُ يُرىٰ كَذٰلِكَ ، لِلْعُيُونِ السَّمَاوِيَّةِ . .

الْحَاصِلُ : أَنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ ، بِعَيْنٍ حَمِئَةٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى «ذِي الْقَرْنَيْنِ» ، إِنَّمَا هُوَ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ رَأىٰ ذٰلِكَ الْبَحْرَ الْكَبِيرَ ، كَعَيْنٍ مَّا ، بِجِهَةِ الْبُعْدِ .

---

(١) حَتّٰى إِنَّ التَّعْبِيرَ «بِالْعَيْنِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ، يُخْطِرُ بِالرَّمْزِ ، مَعْنًى لَطِيفاً لَدىٰ أَسْرَارِ الْبَلاَغَةِ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّهُ يُخْطِرُ بِكَلِمَةٍ مُعْجِزَةٍ : أَنَّ عَيْنَ الشَّمْسِ ، بَعْدَمَا تَفَرَّجَ وَجْهُ السَّمَاءِ بِهَا ، عَلٰى جَمَالِ الرَّحْمَةِ ، فِي وَجْهِ الأَرْضِ ؛ وَأَنَّ عَيْنَ الْبَحْرِ ، عَقِبَ أَنْ تَنَزَّهَتِ الأَرْضُ أَيْضاً بِهَا ، عَلَى الْعَظَمَةِ الإِلٰهِيَّةِ ، فِي السَّمَاءِ ، تَنْسَدُّ إِحْدىٰ تَيْنِكَ الْعَيْنَيْنِ ، فِي الأُخْرىٰ ؛ وَتَسُدَّانِ حِينَئِذٍ ، الْعُيُونَ عَلٰى وَجْهِ الأَرْضِ ؛ وَيُشِيرُ ذٰلِكَ ، إِلٰى إِشَارَةِ عُطْلَةِ وَظَائِفِ الْعُيُونِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

وَأَمَّا نَظَرُ الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ بِجِهَةِ قُرْبِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، لاَ يَنْظُرُ حَسَبَ نَظَرِ «ذِي الْقَرْنَيْنِ» ، الَّذِي هُوَ مِنْ قَبِيلِ غَلَطِ الْحِسِّ ؛ بَلْ إِنَّ الْقُرْآنَ ، لِكَوْنِهِ يَنْزِلُ نَاظِراً إِلَى السَّمَاوَاتِ ، قَدْ يَرٰى كُرَةَ الْأَرْضِ مَيْدَاناً ؛ وَأَحْيَاناً يَرَاهَا قَصْراً ؛ وَقَدْ يَرَاهَا مَهْداً ؛ وَأَحْيَاناً يَرَاهَا صَحِيفَةً . فَتَعْبِيرُهُ عَنِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ الْغَرْبِيِّ ، الْعَظِيمِ الْمُتَبَخِّرِ الْمُتَدَخِّنِ ، بِالْعَيْنِ ، يَدُلُّ عَلٰى عَظَمَتِهِ وَعُلُوِّهِ . .

سُؤَالُكُمُ الثَّانِي : هُوَ أَيْنَ سَدُّ ذِي الْقَرْنَيْنِ ؛ وَمَنْ هُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنِّي كُنْتُ كَتَبْتُ مُنْذُ الْقَدِيمِ ، رِسَالَةً فِي بَيَانِ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ فَأُفْحِمَ بِهَا مُلْحِدُو ذٰلِكَ الْعَهْدِ . وَالْآنَ لاَ تُوجَدُ تِلْكَ الرِّسَالَةُ عِنْدِي ؛ وَقَدْ عَطَّلَتْ قُوَّتِيَ الْحَافِظَةَ ، الْأَشْغَالُ ؛ فَلاَ تُعِينُنِي ؛ وَأَيْضاً قَدْ بُحِثَ عَنْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، نَبْذَةً مَا ، فِي الْغُصْنِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ فَلِذٰلِكَ نُشِيرُ إِلٰى نُكْتَتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثِ نِكَاتٍ فَقَطْ ، مِنْ نِكَاتِ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً . .

وَهِيَ : أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ هٰذَا ، لَيْسَ «إِسْكَنْدَرَ الرُّومِيَّ» ؛ بَلْ هُوَ أَحَدُ مُلُوكِ الْيَمَنِ ، بِنَاءً عَلٰى بَيَانِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، وَبِإِشَارَةِ عُنْوَانِ «ذِي الْقَرْنَيْنِ» ، حَيْثُ إِنَّ لِمُلُوكِ الْيَمَنِ ، أَسْمَاءً مُبْتَدِئَةً بِكَلِمَةِ «ذُو» ، مِثْلَ «ذُو الْيَزَنِ» ؛ وَكَانَ فِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ وَأَخَذَ الدَّرْسَ ، مِنَ الْخِضْرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . وَأَمَّا «إِسْكَنْدَرُ الرُّومِيُّ» ، فَإِنَّهُ جَاءَ قَبْلَ الْمِيلاَدِ ، بِثَلاَثِمِئَةِ عَامٍ تَقْرِيباً ؛ وَتَلَقَّى الدَّرْسَ ، مِنْ «آرِسْطُو» . .

وَإِنَّ تَارِيخَ الْبَشَرِ يَصْعَدُ بِصُورَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، إِلٰى ثَلاَثَةِ آلاَفِ سَنَةٍ . وَإِنَّ نَظَرَ هٰذَا التَّارِيخِ النَّاقِصِ الْقَاصِرِ ، لاَ يَحْكُمُ مُسْتَقِيماً ، فِيمَا قَبْلَ زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ فَإِمَّا يَكُونُ شَبِيهاً بِالْخُرَافَاتِ ؛ أَوْ يَسْلُكُ عَلٰى وَجْهِ الْإِنْكَارِ ، أَوْ بِغَايَةِ الاِخْتِصَارِ . وَسَبَبُ اشْتِهَارِ «ذِي الْقَرْنَيْنِ الْيَمَنِيِّ» هٰذَا ، بِإِسْكَنْدَرَ ، فِي التَّفَاسِيرِ ، هُوَ : إِمَّا أَنَّ «إِسْكَنْدَرَ» ، اسْمٌ لِذِي الْقَرْنَيْنِ ذٰلِكَ ؛ وَهُوَ إِسْكَنْدَرُ الْكَبِيرُ ، وَإِسْكَنْدَرُ الْقَدِيمُ ؛ وَإِمَّا أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْحَادِثَاتِ الْجُزْئِيَّةَ ، فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ ، رُؤُوسٌ لِحَادِثَاتٍ كُلِّيَّةٍ ؛ فَكَمَا أَنَّ إِسْكَنْدَرَ الْكَبِيرَ

الَّذِي هُوَ ذُو الْقَرْنَيْنِ ، أَسَّسَ بِنَاءَ السَّدِّ الصِّينِيِّ الشَّهِيرِ ، بِإِرْشَادَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ ؛ لِيَكُونَ حَائِلاً بَيْنَ الْمِلَلِ الْمَظْلُومَةِ ، وَالْأَقْوَامِ الظَّالِمَةِ ، وَمَانِعاً لِغَارَاتِ الْغَدَّارِينَ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْفَاتِحِينَ ، وَأَقْوِيَاءِ السَّلَاطِينِ ، كَإِسْكَنْدَرَ الرُّومِيِّ ، تَبِعُوا أَثَرَ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَاكَ ، فِي الْجِهَةِ الْمَادِّيَّةِ ؛ وَإِنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبَعْضَ الْأَقْطَابِ ، الَّذِينَ هُمْ سَلَاطِينُ مَعْنَوِيُّونَ ، فِي الْعَالَمِ الْمَعْنَوِيِّ الْإِنْسَانِيِّ ، اقْتَدَوْا بِهِ فِي الْجِهَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْإِرْشَادِيَّةِ ؛ فَأَسَّسُوا السُّدُودَ بَيْنَ الْجِبَالِ(١) الَّتِي هِيَ وَسَائِلُ مُهِمَّةٌ ، تُنْقِذُ الْمَظْلُومِينَ عَنِ الظَّالِمِينَ ؛ ثُمَّ أَسَّسُوا الْقِلَاعَ ، عَلٰى رُؤُوسِ الْجِبَالِ ؛ فَإِمَّا أَنَّهُمْ أَسَّسُوهَا بِالذَّاتِ بِقُوَّتِهِمُ الْمَادِّيَّةِ ؛ وَإِمَّا بِإِرْشَادِهِمْ وَتَدْبِيرِهِمْ ؛ ثُمَّ أَسَّسُوا الْأَسْوَارَ ، حَوْلَ الْبُلْدَانِ ؛ وَالْحُصُونَ فِي وَسَطِهَا ، إِلٰى أَنْ صَنَعُوا الْوَسِيلَةَ الْأَخِيرَةَ ، مِنْ مَدَافِعِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، وَالسُّفُنِ الْحَرْبِيَّةِ ، مِثْلِ الْقَلْعَةِ السَّيَّارَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ بَنٰى سَدّاً مُمْتَدّاً بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، قَرِيباً مِنْ سِلْسِلَةِ جِبَالِ «حِمَلَايَا» ؛ وَهُوَ السَّدُّ الصِّينِيُّ الَّذِي هُوَ أَشْهَرُ سَدٍّ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، يَتَّخِذُ مَسَافَةً مَدِيدَةً مِقْدَارَ أَيَّامٍ ؛ وَذٰلِكَ لِتَوْقِيفِ اعْتِدَاءِ أَقْوَامٍ وَحْشِيَّةٍ ، وَمِلَلٍ مُغِيرَةٍ ، عَلٰى أَقْوَامٍ مَظْلُومَةٍ ، فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ . وَإِنَّ أُولٰٓئِكَ الْأَقْوَامَ الْوَحْشِيَّةَ ، هُمْ «يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ» ، بِلِسَانِ الْقُرْآنِ ؛ وَيُقَالُ لَهُمْ بِتَعْبِيرٍ آخَرَ ، فِي لِسَانِ التَّارِيخِ : «الْمَنْجُورُ وَالْمَنْغُولُ» الَّذِينَ شَرَّدُوا وَدَمَّرُوا عَالَمَ الْبَشَرِيَّةِ ، عِدَّةَ مَرَّاتٍ ؛ وَخَرَجُوا مِنْ وَرَاءِ جِبَالِ «حِمَلَايَا» تِلْكَ ؛ وَهَدَّمُوا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ؛ وَصَارَ ذٰلِكَ السَّدُّ ، مَانِعاً فِي أَزْمِنَةٍ كَثِيرَةٍ ، لِكَثِيرٍ مِنْ هَجَمَاتِ تِلْكَ الْأَقْوَامِ الْوَحْشِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّهُ بُنِيَتْ سُدُودٌ أَيْضاً ، بِهِمَّةِ مُلُوكِ إِيرَانَ الْقَدِيمَةِ ، الشَّبِيهَةِ بِذِي الْقَرْنَيْنِ ، لِتَوْقِيفِ هُجُومِ أَقْوَامٍ تَاتَارِيَّةٍ ، مُغِيرَةٍ وَحْشِيَّةٍ ، فِي جِبَالِ الْقَفْقَاسِ ، فِي جِهَةِ مَضِيقِ «بَابِ الْأَبْوَابِ» . . وَتُوجَدُ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ ، سُدُودٌ كَثِيرَةٌ ؛ فَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، لِتَكَلُّمِهِ مَعَ عُمُومِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، يَذْكُرُ حَادِثَةً جُزْئِيَّةً ظَاهِراً ؛

---

(١) وَيُوجَدُ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، كَثِيرٌ مِنْ سُدُودٍ صِنَاعِيَّةٍ ، تَشَكَّلَتْ بِشَكْلِ الْجِبَالِ ، عَلٰى مُرُورِ الْأَزْمَانِ ؛ وَصَارَتْ بِحَيْثُ لَا تُعْرَفُ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

فَيُذَكِّرُ جَمِيعَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُشْبِهُ تِلْكَ الْحَادِثَةَ ؛ فَمِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ ، تَخْتَلِفُ الرِّوَايَاتُ ، وَأَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ ، فِي بَيَانِ السَّدِّ وَمَأْجُوجَ ؛ وَكَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ يَنْتَقِلُ مِنْ حَادِثَةٍ ، إِلٰى حَادِثَةٍ بَعِيدَةٍ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ جِهَةِ الْمُنَاسَبَاتِ الْكَلَامِيَّةِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَتَفَكَّرْ فِي تِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ ؛ يَظُنُّ زَمَانَي الْحَادِثَتَيْنِ ، مُتَقَارِبَيْنِ ؛ فَإِخْبَارُ الْقُرْآنِ ، عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ ، مُنْتَقِلاً مِنْ خَرَابِ السَّدِّ ، لَيْسَ مِنْ جِهَةِ قُرْبِ الزَّمَانِ ؛ بَلْ هُوَ مِنْ جِهَةِ الْمُنَاسَبَاتِ الْكَلَامِيَّةِ ؛ يَعْنِي : كَمَا أَنَّ هٰذَا السَّدَّ سَيَخْرَبُ ؛ كَذٰلِكَ الدُّنْيَا سَتَخْرَبُ ؛ وَكَمَا أَنَّ الْجِبَالَ الَّتِي هِيَ سُدُودٌ فِطْرِيَّةٌ وَإِلٰهِيَّةٌ ، مَتِينَةٌ ؛ كَذٰلِكَ هٰذَا السَّدُّ أَيْضاً ، مَتِينٌ كَالْجَبَلِ ؛ لَا يُدَكُّ إِلَّا بِخَرَابِ الدُّنْيَا ؛ وَإِنَّ تَقَلُّبَاتِ الْأَزْمَانِ ؛ وَإِنْ هَدَّمَتْهُ إِلَّا أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُ ، يَبْقٰى سَالِماً ؛ هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْهُ . نَعَمْ : إِنَّ السَّدَّ الصِّينِيَّ الَّذِي هُوَ فَرْدٌ فِي كُلِّيَّةِ «سَدِّ ذِي الْقَرْنَيْنِ» ؛ مَعَ أَنَّهُ عَاشَ آلَافَ السِّنِينَ ؛ يَقِفُ فِي الْمَيْدَانِ ؛ وَيُقْرَأُ سَطْراً طَوِيلاً ، مِنَ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ ، ذَا مَغْزًى ، سَطْراً مُتَحَجِّراً مُجَسَّماً ، مَكْتُوباً فِي صَحِيفَةِ الْأَرْضِ ، بِيَدِ الْإِنْسَانِ . .

سُؤَالُكُمُ الثَّالِثُ : وَهُوَ أَنَّ عِيسٰى (عليه السلام) ، يَقْتُلُ الدَّجَّالَ ؛ إِنَّ لَكُمْ جَوَاباً كَافِياً مُخْتَصَراً غَايَةَ الِاخْتِصَارِ ، فِي الْمَكْتُوبِ الْأَوَّلِ ، وَالْمَكْتُوبِ الْخَامِسَ عَشَرَ . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .

اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ . .

أَخَوَيَّ الْعَزِيزَيْنِ الْفِدَائِيَّيْنِ الصِّدِّيقَيْنِ الْوَفِيَّيْنِ «الشَّيْخ صَبْرِي ، وَالْحَافِظ عَلِي» ! .

إِنَّ سُؤَالَكُمَا فِي حَقِّ الْآيَةِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ لُقْمَانَ ، فِي حَقِّ «الْمُغَيَّبَاتِ الْخَمْسِ» ، يَقْتَضِي جَوَاباً مُهِمّاً لِلْغَايَةِ ؛ لٰكِنَّ حَالَتِيَ الرُّوحِيَّةَ ، وَأَحْوَالِيَ الْمَادِّيَّةَ لَا تَسْمَحَانِ بِذٰلِكَ الْجَوَابِ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ إِلَّا أَنَّنَا نُشِيرُ إِشَارَةً مُجْمَلَةً غَايَةَ الْإِجْمَالِ ، إِلٰى نُقْطَةٍ أَوْ نُقْطَتَيْنِ تَتَعَلَّقَانِ بِسُؤَالِكُمَا . وَفَحْوٰى سُؤَالِكُمَا ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ اعْتُرِضَ عَلٰى كَيْفِيَّةِ الْجَنِينِ فِي رَحِمِ

الْأُمِّ ، وَعَلٰى وَقْتِ نُزُولِ الْمَطَرِ ، مِنَ «الْمُغَيَّبَاتِ الْخَمْسِ» ، بِصُورَةِ الاِنْتِقَادِ ، مِنْ جَانِبِ أَهْلِ الْإِلْحَادِ ؛ فَقَالُوا : إِنَّ وَقْتَ نُزُولِ الْمَطَرِ يُكْشَفُ فِي الْمَرَاصِدِ بِآلَةٍ ؛ فَيَعْلَمُهُ غَيْرُ اللهِ ؛ وَإِنَّهُ يُعْرَفُ الْجَنِينُ فِي رَحِمِ الْأُمِّ ، مُذَكَّراً أَوْ مُؤَنَّثاً ، بِشُعَاعِ الْجِهَازِ الْمُشِعِّ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الاِطِّلَاعَ عَلَى «الْمُغَيَّبَاتِ الْخَمْسِ» ، مُمْكِنٌ . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ وَقْتَ نُزُولِ الْمَطَرِ ، لِكَوْنِهِ غَيْرَ مَرْبُوطٍ بِقَاعِدَةٍ مَّا ؛ فَهُوَ مَرْبُوطٌ **بِالْمَشِيئَةِ الْخَاصَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ** ، وَتَابِعٌ لِلْإِرَادَةِ الْخُصُوصِيَّةِ ، فِي خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، بِدُونِ الْوَاسِطَةِ . وَمِنْ أَسْرَارِ حِكْمَتِهِ : أَنَّ أَهَمَّ حَقِيقَةٍ ، وَأَغْلٰى مَاهِيَّةٍ ، فِي الْكَائِنَاتِ ، هِيَ «**الْوُجُودُ وَالْحَيَاةُ وَالرَّحْمَةُ**» ؛ فَلِذٰلِكَ تَنْظُرُ هٰذِهِ الْأَشْيَاءُ ، إِلَى **الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْمَشِيئَةِ الْخَاصَّةِ** ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ ، وَلَا حِجَابٍ . وَفِي سَائِرِ الْمَصْنُوعَاتِ ، تُصْبِحُ الْأَسْبَابُ الظَّاهِرَةُ ، حِجَاباً لِتَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ ؛ وَتَحْجُبُ الْقَوَاعِدُ وَالْقَوَانِينُ الْمُطَّرِدَةُ ، **الْإِرَادَةَ وَالْمَشِيئَةَ** ، بَعْضَ الْحِجَابِ ؛ وَلٰكِنْ لَمْ تُوضَعْ تِلْكَ الْحُجُبُ ، عَلَى «**الْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ وَالرَّحْمَةِ**» ؛ لِأَنَّ سِرَّ حِكْمَةِ الْحُجُبِ ، لَا يَجْرِي فِي تِلْكَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ . فَإِذَا كَانَتِ **الْحَقِيقَةُ الْأَهَمُّ** فِي الْوُجُودِ ، هِيَ **الْحَيَاةَ وَالرَّحْمَةَ** ؛ فَالْغَيْثُ مَنْشَأُ الْحَيَاةِ ، وَمَدَارُ الرَّحْمَةِ ، بَلْ **عَيْنُ الرَّحْمَةِ** ؛ فَإِذاً لَنْ تَكُونَ الْوَسَائِطُ ، حِجَاباً عَلَيْهِ ؛ وَلَنْ تَسْتُرَ الْقَاعِدَةُ وَالتَّنَاسُقُ ، **الْمَشِيئَةَ الْخَاصَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ** ؛ كَيْ يُضْطَرَّ كُلُّ أَحَدٍ ، كُلَّ وَقْتٍ ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَى **الشُّكْرِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، وَالسُّؤَالِ وَالدُّعَاءِ** . فَلَوْ كَانَ الْغَيْثُ ، دَاخِلاً فِي قَاعِدَةٍ مَّا ؛ لَاعْتَمَدَ الْإِنْسَانُ ، عَلٰى تِلْكَ الْقَاعِدَةِ ؛ فَانْسَدَّ بَابُ الشُّكْرِ وَالرَّجَاءِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ ، أَيَّ مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُدْعَا لِطُلُوعِ الشَّمْسِ ؛ وَلَا يُشْكَرُ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّهُ لَا يُعَدُّ مِنَ الْغَيْبِ ؛ لِأَنَّ عِلْمَ الْبَشَرِ ، يَعْلَمُ طُلُوعَ الشَّمْسِ غَداً ، بِطَرِيقِ تِلْكَ الْقَاعِدَةِ ؛ وَلٰكِنَّ جُزْئِيَّاتِ الْغَيْثِ ، لَيْسَتْ تَابِعَةً لِقَاعِدَةٍ مَّا ؛ فَلِذٰلِكَ يُضْطَرُّ الْإِنْسَانُ ، كُلَّ وَقْتٍ ، لِلِالْتِجَاءِ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، بِالرَّجَاءِ وَالدُّعَاءِ ؛ وَأَنَّ الْعِلْمَ الْبَشَرِيَّ لَا يُعَيِّنُ وَقْتَ النُّزُولِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَلَقَّاهُ نِعْمَةً خَاصَّةً ، مِنْ مَحْضِ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ فَيَشْكُرُ عَلَيْهِ شُكْراً حَقِيقِيّاً . فَهٰذِهِ الْآيَةُ تُدْخِلُ وَقْتَ نُزُولِ الْغَيْثِ ، فِي «**الْمُغَيَّبَاتِ الْخَمْسِ**» ، مِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ . **وَأَمَّا جِسُّ**

مُقَدِّمَاتِ غَيْثٍ ، بِآلَةٍ مَّا فِي الْمَرَاصِدِ ، فَلَيْسَ ذٰلِكَ ، عِلْمَ الْغَيْبِ ؛ بَلْ هُوَ عِلْمٌ فِي صُورَةِ الِاطِّلَاعِ عَلَى بَعْضِ مُقَدِّمَاتِهِ ، حِينَ خُرُوجِهِ مِنَ الْغَيْبِ ، وَتَقَرُّبِهِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ كَمَا أَنَّ أَخْفَى أُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ ، يُعْلَمُ بِنَوْعٍ مِنَ الْحِسِّ قَبْلَ الْوُقُوعِ ، حِينَ وُقُوعِهِ ، أَوْ بَعْدَ قُرْبِهِ مِنَ الْوُقُوعِ ؛ فَلَيْسَ ذٰلِكَ ، عِلْماً بِالْغَيْبِ ؛ بَلْ هُوَ عِلْمٌ بِالْمَوْجُودِ ، أَوْ بِالْمُقَرَّبِ إِلَى الْوُجُودِ ؛ حَتّٰى إِنِّي أُحِسُّ أَحْيَاناً ، بِمَا سَيَأْتِي مِنَ الْغَيْثِ ، قَبْلَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً ، بِجِهَةِ حَسَّاسِيَّةٍ مَّا فِي أَعْصَابِي . فَإِذاً إِنَّ لِلْغَيْثِ ، مُقَدِّمَاتٍ وَمَبَادِئَ ؛ تُظْهِرُ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ ، نَفْسَهَا ، مِنْ قَبِيلِ الرُّطُوبَةِ ؛ وَتُعْلِمُ بِقُدُومِ الْغَيْثِ ، عَقِبَهَا . فَهٰذَا الْحَالُ يَكُونُ وَسِيلَةً ، كَالْقَاعِدَةِ نَفْسِهَا ، لِوُصُولِ عِلْمِ الْبَشَرِ ، إِلَى أُمُورٍ خَرَجَتْ عَنِ الْغَيْبِ ؛ وَلَمْ تَدْخُلِ الشَّهَادَةَ بَعْدُ ؛ وَلٰكِنَّ الْعِلْمَ بِوَقْتِ نُزُولِ الْغَيْثِ الَّذِي لَمْ تَدُسْ قَدَمُهُ ، عَالَمَ الشَّهَادَةِ ؛ وَلَمْ يَخْرُجْ بَعْدُ ، عَنِ الرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ ، بِالْمَشِيئَةِ الْخَاصَّةِ ؛ فَإِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِعِلْمِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ . .

بَقِيَتِ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ ؛ وَهِيَ مَعْرِفَةُ ذَكَرِ الْجَنِينِ وَأُنْثَاهُ ، فِي رَحِمِ الْأُمِّ ، بِشُعَاعِ الْجِهَازِ الْمُشِعِّ ؛ وَذٰلِكَ لَا يُنَافِي مَعْنَى آيَةِ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ، ذٰلِكَ الْمَعْنَى الْغَيْبِيَّ ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ لَيْسَتْ عَائِدَةً إِلَى كَيْفِيَّةِ الذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنَّ الِاسْتِعْدَادَ الْعَجِيبَ الْخَاصَّ بِذٰلِكَ الطِّفْلِ ، وَمَبَادِئَ الْمُقَدَّرَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مَدَارٌ لِمَا سَيَكْتَسِبُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، مِنَ الْأَحْوَالِ ، إِلَى سِكَّةِ الصَّمَدِيَّةِ الْعَجِيبَةِ فِي سِيمَاهُ ، كُلُّهَا مُرَادَةٌ ؛ فَالْعِلْمُ بِالطِّفْلِ ، عَلَى ذٰلِكَ الْوَجْهِ ، مَخْصُوصٌ بِعِلْمِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ؛ فَلَوِ اتَّحَدَتْ مِئَاتُ آلَافِ أَفْكَارٍ بَشَرِيَّةٍ شَبِيهَةٍ بِالْجِهَازِ الْمُشِعِّ ؛ لَمَا اكْتَشَفَتْ أَيْضاً ، سِيمَاهُ الْوَجْهِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ فَقَط ، الَّتِي هِيَ عَلَامَاتٌ فَارِقَةٌ لِذٰلِكَ الطِّفْلِ ، تِجَاهَ عُمُومِ أَفْرَادِ الْبَشَرِ ؛ فَأَيْنَ لَهَا أَنْ تَكْتَشِفَ السِّيمَا الْمَعْنَوِيَّةَ فِي اسْتِعْدَادِهِ ، الَّتِي هِيَ أَعْجَبُ مِنْ سِكَّةِ السِّيمَا الْوَجْهِيَّةِ ، مِئَةَ مَرَّةٍ . وَلَقَدْ قُلْنَا أَوَّلاً : إِنَّ الْوُجُودَ وَالْحَيَاةَ وَالرَّحْمَةَ ، أَهَمُّ الْحَقَائِقِ ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِنَّ لَهُمَا الْمَقَامَ الْأَهَمَّ ؛ فَلِذٰلِكَ تَنْظُرُ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الْحَيَاتِيَّةُ الْجَامِعَةُ ، بِجَمِيعِ دَقَائِقِهَا وَلَطَائِفِهَا ، إِلَى الْإِرَادَةِ الْخَاصَّةِ ، وَالرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ ، وَالْمَشِيئَةِ الْخَاصَّةِ . وَمِنْ أَسْرَارِهِ : أَنَّ الْحَيَاةَ

بِجَمِيعِ جِهَازَاتِهَا وَجِهَاتِهَا ، مَنْشَأٌ وَمَدَارٌ لِلشُّكْرِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالتَّسْبِيحِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يُوضَعْ عَلَيْهَا ، التَّنَاسُقُ وَالْقَاعِدَةُ ، الْحَاجِبَانِ لِلْإِرَادَةِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا الْوَسَائِطُ الظَّاهِرَةُ الْحَاجِبَةُ لِلرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ . وَإِنَّ فِي سِيمَا الْأَجِنَّةِ فِي رَحِمِ الْأُمِّ ، الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، جَلْوَتَيْنِ لِلّٰهِ تَعَالٰى . .

إِحْدَاهُمَا تَدُلُّ عَلٰى وَحْدَتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ وَصَمَدِيَّتِهِ ؛ فَيَشْهَدُ ذٰلِكَ الطِّفْلُ ، عَلٰى وَحْدَةِ خَالِقِهِ وَصَانِعِهِ ، بِجِهَةِ كَوْنِهِ مُوَافِقاً وَمُطَابِقاً لِسَائِرِ النَّاسِ ، فِي الْأَعْضَاءِ الْأَسَاسِيَّةِ ، وَفِي أَنْوَاعِ الْجِهَازَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَيُنَادِي ذٰلِكَ الْجَنِينُ ، بِهٰذَا اللِّسَانِ ، بِأَنَّ مَنْ أَعْطَانِي هٰذِهِ السِّيمَا وَالْأَعْضَاءَ ؛ فَهُوَ الصَّانِعُ لِجَمِيعِ مَنْ يُشْبِهُونَنِي فِي جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ ، مِنَ النَّاسِ ؛ وَهُوَ الصَّانِعُ لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ أَيْضاً . فَلِسَانُ الْجَنِينِ هٰذَا ، فِي رَحِمِ الْأُمِّ ، لَيْسَ غَيْبِيّاً ؛ وَهُوَ مَعْلُومٌ ؛ وَيُعْلَمُ بِكَوْنِهِ تَابِعاً لِلْقَاعِدَةِ وَالاِطِّرَادِ وَالنَّوْعِيَّةِ ؛ وَهُوَ غُصْنٌ وَلِسَانٌ دَخَلَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ . .

وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ أَنَّهُ يُنَادِي وَيَدُلُّ عَلَى اخْتِيَارِ صَانِعِهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ الْخَاصَّةِ ، بِلِسَانِ سِيمَاهُ الاِسْتِعْدَادِيَّةِ الْخَاصَّةِ ، وَسِيمَاهُ الْوَجْهِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ ، بِأَنَّهُ لَيْسَ تَحْتَ قَيْدٍ أَصْلاً ؛ وَلٰكِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ يَأْتِي مِنْ غَيْبِ الْغَيْبِ ؛ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ ، أَنْ يَرَى هٰذَا ؛ وَيُحِيطَ بِهِ ، قَبْلَ الْوُجُودِ ، سِوَى الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَلَا يُعْلَمُ بِمُشَاهَدَةِ جِهَازٍ مِنْ أَلْفِ أَجْهِزَةِ هٰذِهِ السِّيمَا ، حِينَمَا كَانَ فِي رَحِمِ الْأُمِّ . .

اَلْحَاصِلُ أَنَّ فِي سِيمَا اسْتِعْدَادِ الْجَنِينِ ، وَفِي سِيمَا وَجْهِهِ ، دَلِيلَ الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَحُجَّةَ الاِخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ . . وَلَئِنْ وَفَّقَنَا اللّٰهُ تَعَالٰى ؛ فَسَيُكْتَبُ بَعْضُ نِكَاتٍ فِي «الْمُغَيَّبَاتِ الْخَمْسِ» . وَالْآنَ لَمْ يَسْمَحْ وَقْتِي وَحَالِي ، بِأَزْيَدَ مِنْ هٰذَا ؛ فَأَخْتِمُ الْكَلَامَ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

بِاسْمِهِ ؛ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . .
اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . .

أَخِي الْعَزِيزَ الصِّدِّيقَ الْمُهْتَمَّ «رَأْفَت» الْكَرِيمَ ! إِنَّكَ تَسْأَلُ فِي رِسَالَتِكَ ، عَنِ اللَّطَائِفِ الْعَشْرِ ؛ وَإِنَّ الْأَوَانَ لَيْسَ زَمَنَ دَرْسِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَإِنَّهُ تُوجَدُ مُؤَلَّفَاتُ مُحَقِّقِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ ، فِي حَقِّ اللَّطَائِفِ الْعَشْرِ ؛ وَإِنَّ وَظِيفَتَنَا الْآنَ ، هِيَ اسْتِخْرَاجُ الْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، لَا نَقْلُ الْمَسَائِلِ الْمَوْجُودَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا أُعْطِي التَّفَاصِيلَ ؛ وَإِنَّمَا أَقُولُ هٰذَا الْقَدَرَ فَقَطْ : وَهُوَ أَنَّ الْإِمَامَ الرَّبَّانِيَّ عَبَّرَ عَنِ اللَّطَائِفِ الْعَشْرِ ، بِـ «الْقَلْبِ وَالرُّوحِ ، وَالسِّرِّ وَالْخَفِيِّ وَالْأَخْفٰى» ؛ وَذَكَرَ أَنَّ لِلْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ فِي الْإِنْسَانِ ، لَطَائِفَ إِنْسَانِيَّةً ، كُلٌّ مِنْهَا مُنَاسِبٌ لِذٰلِكَ الْعُنْصُرِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ ؛ فَبَحَثَ إِجْمَالاً ، عَنْ تَرَقِّيَاتِ كُلِّ لَطِيفَةٍ ، وَعَنْ أَحْوَالِهَا فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ ، فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ . وَإِنِّي أَرٰى بِنَفْسِي ، أَنَّ فِي مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ الْجَامِعَةِ ، وَفِي اسْتِعْدَادِ حَيَاتِهِ ، لَطَائِفَ كَثِيرَةً اشْتَهَرَتْ عَشْرٌ مِنْهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ الْحُكَمَاءَ ، وَعُلَمَاءَ الظَّاهِرِ أَيْضاً ، جَعَلُوا تِلْكَ اللَّطَائِفَ الْعَشْرَ ، أُسُساً لِحِكْمَتِهِمْ ، فِي صُورَةٍ أُخْرٰى ، بِاسْمِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْخَمْسِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي هِيَ نَوَافِذُ أَوْ نَمَاذِجُ لِتِلْكَ اللَّطَائِفِ الْعَشْرِ ؛ حَتّٰى إِنَّ لَطَائِفَ الْإِنْسَانِ الْعَشْرَ الَّتِي اشْتَهَرَتْ بَيْنَ الْعَوَامِّ وَالْخَوَاصِّ ، مُتَنَاسِبَةٌ مَعَ اللَّطَائِفِ الْعَشْرِ لِأَهْلِ الطَّرِيقَةِ ؛ فَمَثَلاً : إِذَا أُلْحِقَتْ لَطَائِفُ مِثْلُ «الْوِجْدَانِ وَالْأَعْصَابِ ، وَالْحِسِّ وَالْعَقْلِ وَالْهَوٰى ، وَالْقُوَّةِ الشَّهَوِيَّةِ ، وَالْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ» ، بِـ «الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالسِّرِّ» ، تُظْهِرُ اللَّطَائِفَ الْعَشْرَ ، فِي صُورَةٍ أُخْرٰى . وَتُوجَدُ لَطَائِفُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ هٰذِهِ اللَّطَائِفِ ، مِثْلُ «السَّائِقَةِ وَالشَّائِقَةِ ، وَالْحِسِّ قَبْلَ الْوُقُوعِ» . . فَلَوْ كُتِبَتِ الْحَقِيقَةُ ، فِي حَقِّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ لَطَالَتْ كَثِيراً ؛ فَاضْطُرِرْتُ إِلٰى قَطْعِ التَّفْصِيلِ ، لِقِصَرِ وَقْتِي . .

وَأَمَّا سُؤَالُكَ الثَّانِي : وَهُوَ بَحْثُ «الْمَعْنَى الِاسْمِيِّ ، وَالْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ» ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ أُوضِحَتْ فِي أَوَائِلِ جَمِيعِ كُتُبِ «عِلْمِ النَّحْوِ» ؛ كَمَا تُوجَدُ بَيَانَاتٌ كَافِيَةٌ لَهَا ،

بِالتَّمْثِيلاتِ ، فِي «رَسَائِلِ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ» ، الْمُسَمَّاةِ بِـ«الْمَقَالاتِ وَالْمَكْتُوبَاتِ» . وَالْإِيضَاحُ الزَّائِدُ لِإِنْسَانٍ ذَكِيٍّ مُدَقِّقٍ مِثْلِكَ ، يَكُونُ لَغْواً ؛ فَإِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْمِرْآةِ ؛ فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا ، لِأَجْلِ الزُّجَاجِ ؛ تَرَى الزُّجَاجَ قَصْداً ؛ وَيُمَاسُّ «رَأْفَتُ» ، النَّظَرَ ثَانِياً وَبِالتَّبَعِ ؛ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ ، أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْمِرْآةِ ، لِلنَّظَرِ إِلَى سِيمَاكَ الْمُبَارَكَةِ ؛ تَرَى «رَأْفَتَ» الْمَحْبُوبَ ؛ وَتَقُولُ : ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ؛ وَيُلاقِي زُجَاجُ الْمِرْآةِ ، النَّظَرَ ثَانِياً وَبِالتَّبَعِ . فَزُجَاجُ الْمِرْآةِ ، فِي الصُّورَةِ الْأُولَى ، مَعْنًى اسْمِيٌّ ؛ وَيَكُونُ «رَأْفَتُ» ، مَعْنًى حَرْفِيّاً ؛ وَفِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ ، يَكُونُ زُجَاجُ الْمِرْآةِ ، مَعْنًى حَرْفِيّاً : أَيْ لا يُنْظَرُ إِلَيْهِ لِنَفْسِهِ ؛ وَيُنْظَرُ إِلَيْهِ لِمَعْنًى آخَرَ ؛ وَهُوَ الْعَكْسُ الْمَوْجُودُ فِيهِ ؛ وَالْعَكْسُ ، مَعْنًى اسْمِيٌّ : أَيْ أَنَّهُ دَاخِلٌ بِجِهَةٍ مَّا ، فِي تَعْرِيفِ الاسْمِ ؛ وَهُوَ (مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى فِي نَفْسِهِ) . وَأَمَّا الْمِرْآةُ فَيَصْدُقُ عَلَيْهَا ، تَعْرِيفُ الْحَرْفِ ؛ وَهُوَ (مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى فِي غَيْرِهِ) . فَكُلُّ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ ، حُرُوفٌ ، بِنَظَرِ الْقُرْآنِ ؛ فَتُفِيدُ مَعْنًى غَيْرِهَا ، بِالْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ : أَيْ تُعْلِمُ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى . وَأَمَّا الْفَلْسَفَةُ الَّتِي لا رُوحَ لَهَا ، فَتَنْظُرُ إِلَيْهَا ، بِالْمَعْنَى الاسْمِيِّ ، عَلَى الْأَكْثَرِ ؛ فَتَغُورُ فِي وَحَلِ الطَّبِيعَةِ . .

وَمَهْمَا يَكُنْ ؛ فَلا وَقْتَ لِيَ الْآنَ ، لِلتَّكَلُّمِ كَثِيراً ؛ حَتَّى إِنِّي لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكْتُبَ الْقِسْمَ الْأَسْهَلَ الْأَهَمَّ الْأَخِيرَ ، مِنَ الْكَاشِفِ . .

اَللَّمْعَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ

عِبَارَةٌ عَنْ سَبْعَ عَشْرَةَ مُذَكِّرَةً(١) جاءَتْ مِنَ «الزَّهْرَةِ» . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْمُقَدِّمَةُ :

إِنِّي كُنْتُ قَيَّدْتُ بَعْض لَمَعاتٍ تَوْحِيدِيَّةٍ تَظَاهَرَتْ بِالْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، فِي حَرَكَةٍ فِكْرِيَّةٍ ، وَسِيَاحَةٍ قَلْبِيَّةٍ ، وَانْكِشَافَاتٍ رُوحِيَّةٍ ، فِي الْمَعْرِفَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، قَبْلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ؛ قَيَّدْتُهَا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، عَلٰى صُورَةِ الْمُذَكِّرَاتِ ، فِي رَسَائِلَ مِثْلِ «الزَّهْرَةِ وَالشُّعْلَةِ ، وَالْحَبَّةِ وَالشَّمَّةِ ، وَالذَّرَّةِ وَالْقَطْرَةِ» ؛ وَبَقِيَتِ اسْتِفَادَةُ الْآخَرِينَ مِنْهَا ، مَحْدُودَةً ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلٰى صُورَةِ خَوَاطِرَ وَإِخْطَارَاتٍ ، لِنَفْسِي وَحْدَهَا ؛ لِأَنَّهَا كُتِبَتْ عَلٰى أُسْلُوبِ إِظْهَارِ سِنٍّ فَقَطْ ، مِنْ حَقِيقَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَعَلٰى طِرَازِ إِرَاءَةِ شُعَاعٍ فَقَطْ ، مِنْ نُورٍ لَامِعٍ ، وَلَاسِيَّمَا أَنَّ الْقِسْمَ الْغَالِبَ مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِي ، وَأَزْيَدِهِمُ امْتِيَازاً ، لَمْ يَقْرَؤُوا اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ ؛ فَاضْطُرِرْتُ بِاقْتِرَاحِ هٰؤُلَاءِ ، وَبِإِلْحَاحِهِمْ ، أَنْ أَكْتُبَ تِلْكَ الْمُذَكِّرَاتِ وَاللَّمَعَاتِ ، بِاللِّسَانِ التُّرْكِيِّ ، بِإِيضَاحِ بَعْضٍ مِنْهَا ، وَبِالْاقْتِصَارِ عَلٰى مَآلٍ مُخْتَصَرٍ مِنْ بَعْضِهَا . وَإِنَّ هٰذِهِ الْمُذَكِّرَاتِ وَالرَّسَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ ، لِكَوْنِهَا

---

(١) لَعَلَّ الْمَنْوِيَّ ، كَانَ عَدَدَ السَّبْعَ عَشْرَةَ ، لِأَجْلِ التَّوَافُقِ ؛ لٰكِنَّ الْمُدَوَّنَ ، خَمْسَ عَشْرَةَ مُذَكِّرَةً . .
اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفي عنه) . .

أَوَّلَ مَا رَآهُ «سَعِيدٌ الْجَدِيدُ» ، مِنْ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ ، بِصُورَةِ نَوْعٍ مِنَ الشُّهُودِ ، كُتِبَتْ فَحْوَاهَا ، بِدُونِ تَغْيِيرٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يُذْكَرُ بَعْضُ جُمَلٍ هٰهُنَا أَيْضاً ، مَعَ ذِكْرِهَا فِي سَائِرِ الْمَقَالاَتِ ؛ وَلِذٰلِكَ أَيْضاً لاَ يُوضَحُ بَعْضٌ مِنْهَا ، مَعَ كَوْنِهِ مُجْمَلاً لِلْغَايَةِ ؛ حَتّٰى لاَ تَفُوتَ لَطَافَتُهُ الْأَصْلِيَّةُ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الْأُولٰى :

إِنِّي كُنْتُ قُلْتُ خِطَاباً لِنَفْسِي : أَيُّهَا السَّعِيدُ الْغَافِلُ ! اعْلَمْ أَنَّ مَا لاَ يُرَافِقُكَ بَعْدَ فَنَاءِ هٰذَا الْعَالَمِ ؛ وَيُفَارِقُكَ بِخَرَابِ الدُّنْيَا ؛ لاَ يَلِيقُ أَنْ تُعَلِّقَ قَلْبَكَ بِهِ ، وَلاَسِيَّمَا أُمُورٍ فَانِيَةٍ ؛ تَتْرُكُكَ مُحَوِّلَةً ظَهْرَهَا إِلَيْكَ ، بِانْقِرَاضِ عَصْرِكَ ، وَلاَسِيَّمَا مَا لاَ يُصَاحِبُكَ فِي سَفَرِ الْبَرْزَخِ ، وَلاَسِيَّمَا مَا لاَ يُشَيِّعُكَ إِلٰى بَابِ الْقَبْرِ ، وَلاَسِيَّمَا مَا يُفَارِقُكَ فِي سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ، بِفِرَاقٍ أَبَدِيٍّ ، مُعَلِّقاً إِثْمَهُ بِرَقَبَتِكَ ، وَلاَسِيَّمَا مَا يَتْرُكُكَ فِي آنِ حُصُولِهِ ، بِالرَّغْمِ مِنْكَ ؛ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ ، أَنْ تُعَلِّقَ قَلْبَكَ بِهَا ؛ فَإِنْ كَانَ لَكَ عَقْلٌ ؛ فَاتْرُكِ الْأُمُورَ الَّتِي لاَ تَقْدِرُ عَلٰى رَفَاقَتِكَ فِي سَفَرِ الْأَبَدِ ؛ وَتَضْمَحِلُّ وَتَفْنٰى تَحْتَ اصْطِدَامَاتِ التَّقَلُّبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَفِي الْأَطْوَارِ الْبَرْزَخِيَّةِ ، وَالاِنْقِلاَبَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ وَلاَ تَهْتَمَّ بِهَا ؛ وَلاَ تَغْتَمَّ مِنْ زَوَالِهَا ؛ فَانْظُرْ إِلٰى مَاهِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّ بَيْنَ لَطَائِفِكَ ، لَطِيفَةً لاَ تَرْضٰى بِغَيْرِ الْأَبَدِ وَالْأَبَدِيِّ ؛ وَلاَ تَتَوَجَّهُ إِلٰى غَيْرِهِ ؛ وَلاَ تَتَنَازَلُ إِلٰى مَا سِوَاهُ ؛ وَلَوْ أَعْطَيْتَهَا الدُّنْيَا ؛ لَمَا أَوْفَتْ بِاحْتِيَاجِهَا الْفِطْرِيِّ ذَاكَ ؛ فَتِلْكَ اللَّطِيفَةُ ، هِيَ سُلْطَانُ حَوَاسِّكَ وَلَطَائِفِكَ ؛ فَأَطِعْ سُلْطَانَكَ ذَاكَ الْمُطِيعَ لِأَمْرِ الْفَاطِرِ الْحَكِيمِ ؛ وَأَفْلِحْ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّانِيَةُ :

إِنِّي رَأَيْتُ فِي رُؤْيَا حَقِيقِيَّةٍ ، أَنِّي أَقُولُ لِلنَّاسِ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ مِنْ دَسَاتِيرِ الْقُرْآنِ ، أَنْ لاَ تَظُنَّ شَيْئاً مِمَّا سِوَى اللهِ تَعَالٰى ، أَكْبَرَ مِنْكَ ؛ بِحَيْثُ تَعْبُدُهُ ؛ وَلاَ تَجْعَلَ نَفْسَكَ ، أَكْبَرَ مِنْ شَيْءٍ أَصْلاً ؛ بِحَيْثُ تَتَكَبَّرُ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ ، كَمَا تَتَسَاوٰى فِي جِهَةِ الْبُعْدِ عَنْ كَوْنِهَا مَعْبُودَةً ؛ تَتَّحِدُ فِي نِسْبَةِ كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّالِثَةُ :

اِعْلَمْ أَيُّهَا السَّعِيدُ الْغَافِلُ ! أَنَّكَ تَرَى الدُّنْيَا الْمُؤَقَّتَةَ ، دَائِمَةً وَغَيْرَ مَيِّتَةٍ ، مِنْ قَبِيلِ غَلَطِ الْحِسِّ ؛ وَأَنَّكَ ، إِذَا تَنْظُرُ إِلَى مَا حَوْلَكَ ، وَإِلَى الدُّنْيَا ؛ تَرَاهَا ثَابِتَةً وَمُسْتَمِرَّةً بَعْضَ الِاسْتِمْرَارِ ؛ فَتَظُنُّ بِذٰلِكَ النَّظَرِ ، نَفْسَكَ الْفَانِيَةَ ، ثَابِتَةً أَيْضاً ؛ فَلِذٰلِكَ لَا تَخَافُ إِلَّا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ ؛ كَأَنَّكَ تَعِيشُ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ ؛ فَتَخَافُ مِنْهَا فَقَطْ ؛ فَاحْمِلْ عَقْلَكَ إِلَى رَأْسِكَ ؛ فَإِنَّكَ وَدُنْيَاكَ الْخُصُوصِيَّةَ ، مَعْرُوضَانِ دَائِماً لِضَرْبَةِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ؛ وَإِنَّ مَغْلَطَتَكَ وَغَلَطَ حِسِّكَ هٰذَا ، يُشْبِهُ هٰذَا الْمِثَالَ ؛ وَهُوَ أَنَّ إِنْسَاناً إِذَا جَعَلَ مِرْآتَهُ الَّتِي بِيَدِهِ ، إِزَاءَ مَنْزِلٍ أَوْ مَدِينَةٍ أَوْ حَدِيقَةٍ ؛ يُرَى فِي تِلْكَ الْمِرْآةِ ، مَنْزِلٌ وَمَدِينَةٌ وَحَدِيقَةٌ مِثَالِيَّةٌ ؛ فَإِذَا طَرَأَ عَلَى الْمِرْآةِ ، أَدْنَى حَرَكَةٍ وَتَغَيُّرٍ يَسِيرٍ ؛ يَقَعُ فِي ذٰلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْمَدِينَةِ وَالْحَدِيقَةِ الْخَيَالِيَّةِ ، هَرْجٌ وَمَرْجٌ ؛ وَيَخْتَلِطُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ؛ وَلَا يَنْفَعُكَ دَوَامُ الْمَنْزِلِ وَالْمَدِينَةِ وَالْحَدِيقَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَبَقَاؤُهَا فِي الْخَارِجِ ؛ فَإِنَّ الْمَنْزِلَ وَالْمَدِينَةَ وَالْحَدِيقَةَ الْعَائِدَةَ إِلَيْكَ ، الْمَوْجُودَةَ فِي الْمِرْآةِ الَّتِي بِيَدِكَ ، إِنَّمَا هِيَ بِالْمِقْيَاسِ وَالْمِيزَانِ الَّذِي يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ الْمِرْآةُ ؛ فَحَيَاتُكَ وَعُمْرُكَ مِرْآةٌ ؛ وَعِمَادُ دُنْيَاكَ ، وَمِرْآتُهَا وَمَرْكَزُهَا ، هِيَ عُمْرُكَ وَحَيَاتُكَ ؛ وَإِنَّ مَوْتَ ذٰلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْمَدِينَةِ وَالْحَدِيقَةِ مُمْكِنٌ ؛ وَخَرَابَهَا مُحْتَمَلٌ ، فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ تَكُونُ هِيَ ، عَلَى حَالٍ يُمْكِنُ أَنْ تَنْهَدِمَ عَلَى رَأْسِكَ ، كُلَّ آنٍ ؛ وَتَقُومَ قِيَامَتُكَ كُلَّ دَقِيقَةٍ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا تَحْمِلْ عَلَى حَيَاتِكَ وَدُنْيَاكَ هَاتَيْنِ ، مَا لَا تَحْمِلَانِهِ ؛ وَلَا تَرْفَعَانِهِ مِنَ الْأَثْقَالِ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الرَّابِعَةُ :

اِعْلَمْ أَنَّ مِنْ عَادَاتِ الْفَاطِرِ الْحَكِيمِ ، عَلَى الْأَكْثَرِ ، أَنَّهُ يُعِيدُ الْأَشْيَاءَ الْمُهِمَّةَ الْقَيِّمَةَ ، بِعَيْنِهَا : أَيْ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ ، يَتَجَدَّدُ بِأَمْثَالِهَا فِي زَمَنِ تَبَدُّلِ الْفُصُولِ ، وَتَحَوُّلِ الْعُصُورِ . وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الْقَيِّمَةُ الْمُهِمَّةُ ؛ فَإِنَّهُ يُعِيدُهَا بِعَيْنِهَا . فَهٰذِهِ الْقَاعِدَةُ الَّتِي هِيَ مِنْ عَادَاتِ اللهِ تَعَالَى ، تُرَى مُطَّرِدَةً عَلَى الْأَكْثَرِ ، فِي الْحَشْرِ الْيَوْمِيِّ وَالسَّنَوِيِّ وَالْعَصْرِيِّ جَمِيعاً . فَبِنَاءً عَلَى هٰذِهِ

الْقَاعِدَةِ الثَّابِتَةِ ، نَقُولُ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ أَكْمَلُ ثَمَرَةِ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ، هُوَ الْإِنْسَانَ ؛ وَكَانَ الْأَهَمُّ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَالْأَغْلَى بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ ، هُوَ الْإِنْسَانَ ؛ وَكَانَ فَرْدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ، فِي حُكْمِ نَوْعٍ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، بِاتِّفَاقِ الْفُنُونِ ، وَشَهَادَةِ الْعُلُومِ ، يُحْكَمُ بِحَدْسٍ قَطْعِيٍّ ، بِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنَ الْبَشَرِ ، سَيُعَادُ بِعَيْنِهِ وَجِسْمِهِ ، وَبِاسْمِهِ وَرَسْمِهِ ، فِي الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ الْأَكْبَرِ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الْخَامِسَةُ :

إِنَّ «سَعِيداً الْجَدِيدَ» ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْفُضَ ذِهْنَهُ ؛ وَيَطْرَحَ عَنْهُ ، الْفَلْسَفَةَ الْمُزَخْرَفَةَ ، وَالْحَضَارَةَ السَّفِيهَةَ ، اضْطِرَاراً ؛ لِأَنَّ فُنُونَ أُورُوبَّا ، وَمَدَنِيَّتَهَا ، انْقَلَبَتَا إِلَى الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ ؛ فَأَصْبَحَتَا مَدَاراً لِزِيَادَةِ الْمُشْكِلَاتِ ، فِي السِّيَاحَةِ الْقَلْبِيَّةِ ؛ حِينَمَا كَانَ «السَّعِيدُ الْجَدِيدُ» ، يَسِيرُ فِي تِلْكَ الْحَرَكَاتِ الْفِكْرِيَّةِ ؛ لِأَنَّ فُنُونَ أُورُوبَّا ، وَمَدَنِيَّتَهَا ، تَمَكَّنَتَا فِي فِكْرِ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، بَعْضَ تَمَكُّنٍ ؛ اضْطُرَّ فِي هٰذِهِ الْمُذَكِّرَةِ ، إِلَى الْمُحَاوَرَةِ الْآتِيَةِ ، الْقَصِيرَةِ مِنْ جِهَةٍ ، وَالطَّوِيلَةِ مِنْ جِهَةٍ ، مَعَ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِأُورُوبَّا ، لِإِسْكَاتِ الْحِسِّيَّاتِ النَّفْسِيَّةِ ، الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ فِي رُوحِهِ ، لِفَضْلِ أُورُوبَّا . . وَلَا يُفْهَمْ خَطَأً ؛ فَإِنَّ أُورُوبَّا ، اثْنَتَانِ . .

إِحْدَاهُمَا : هِيَ أُورُوبَّا الَّتِي تَتْبَعُ الْعُلُومَ الَّتِي تَخْدُمُ الْعَدْلَ وَالْحَقَّ ؛ وَتُرَاعِي الصَّنَائِعَ النَّافِعَةَ لِحَيَاةِ مُجْتَمَعِ الْبَشَرِ ؛ وَذٰلِكَ بِالْفَيْضِ الَّذِي اسْتَفَادَتْهُ مِنَ الدِّينِ الْعِيسَوِيِّ الْحَقِيقِيِّ ؛ فَلَا أُخَاطِبُ ذٰلِكَ الْقِسْمَ ؛ بَلْ أُخَاطِبُ الْقِسْمَ الثَّانِيَ الْفَاسِدَ مِنْ أُورُوبَّا ، الَّذِي يَزْعُمُ مَسَاوِيَ الْحَضَارَةِ ، مَحَاسِنَ ؛ فَيَسُوقُ الْبَشَرَ ، إِلَى السَّفَهِ وَالضَّلَالِ ، بِظُلْمَةِ الْفَلْسَفَةِ الطَّبِيعِيَّةِ . .

وَذٰلِكَ أَنِّي قُلْتُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، فِي تِلْكَ السِّيَاحَةِ الرُّوحِيَّةِ ، لِشَخْصِ أُورُوبَّا ، الْمَعْنَوِيِّ الَّذِي أَخَذَ بِيَدِهِ ، الْفَلْسَفَةَ الضَّارَّةَ الْبَاطِلَةَ ، وَالْحَضَارَةَ السَّفِيهَةَ الْمُضِرَّةَ ، مَا عَدَا مَحَاسِنَ الْمَدَنِيَّةِ ، وَالْعُلُومَ النَّافِعَةَ : «اعْلَمِي يَا أُورُوبَّا الثَّانِيَةُ ! إِنَّكِ أَخَذْتِ بِيَدِكِ الْيُمْنَى ، فَلْسَفَةً مُضِلَّةً سَقِيمَةً ؛ وَبِيَدِكِ الْيُسْرَى ، حَضَارَةً مُضِرَّةً سَفِيهَةً ؛ فَتَدَّعِينَ أَنَّ سَعَادَةَ الْبَشَرِ ، بِهَاتَيْنِ ؛ (تَبَّتْ يَدَاكِ ؛ وَتَبَّرَتْ رَأْسُكِ ، هَدِيَّتَاكِ الْخَبِيثَتَانِ) ، أَيَّتُهَا الرُّوحُ

الشَّقِيَّةُ ، النَّاشِرَةَ لِلْكُفْرِ وَالْكُفْرَانِ !» أَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ أُصِيبَ بِمَصَائِبَ هَائِلَةٍ ، فِي رُوحِهِ وَوِجْدَانِهِ ، وَعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ ؛ وَوَقَعَ فِي الْعَذَابِ ، أَنْ تَكُونَ سَعَادَتُهُ ، بِوُجُودِهِ بِجِسْمِهِ ، فِي زِينَةٍ وَثَرْوَةٍ خَادِعَةٍ ، بِصُورَةٍ ظَاهِرَةٍ ؟ وَهَلْ يُقَالُ لَهُ : إِنَّهُ سَعِيدٌ بِذٰلِكَ ؟ . أَلَا تَرٰى أَنَّ إِنْسَاناً يَئِسَ عَنْ أَمْرٍ جُزْئِيٍّ ؛ أَوِ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُ ، عَنْ أَمَلٍ وَهْمِيٍّ ؛ أَوِ انْكَسَرَ خَيَالُهُ ، مِنْ عَمَلٍ غَيْرِ جِدِّيٍّ ؛ تَظَلُّ الْخَيَالَاتُ الْحُلْوَةُ ، مُرَّةً لَهُ ؛ وَتُعَذِّبُهُ الْأَحْوَالُ الْعَذْبَةُ ؛ وَتَضِيقُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا ؛ وَتُصْبِحُ سِجْناً لَهُ ، بِسَبَبِ ذٰلِكَ ؛ مَعَ أَنَّ إِنْسَاناً ذَاقَ بِشَآمَتِكِ ، ضَرْبَةَ الضَّلَالَةِ ، فِي أَعْمَقِ زَوَايَا قَلْبِهِ ، وَفِي قَعْرِ رُوحِهِ ؛ وَانْقَطَعَتْ جَمِيعُ آمَالِهِ ، مِنْ جِهَةِ تِلْكَ الضَّلَالَةِ ؛ وَتَنْشَأُ جَمِيعُ آلَامِهِ مِنْهَا ؛ فَأَيَّ سَعَادَةٍ تُؤَمِّنِينَ لِمِثْلِ هٰذَا الْبَائِسِ ؟ . فَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ يُقَالُ لِإِنْسَانٍ يُوجَدُ جِسْمُهُ فِي جَنَّةٍ كَاذِبَةٍ زَائِلَةٍ ؛ وَيُعَذَّبُ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ فِي جَهَنَّمَ : إِنَّهُ سَعِيدٌ ؟ . فَإِنَّكِ خَدَعْتِ هٰكَذَا ، الْبَشَرَ الْبَائِسَ ؛ وَتُعَذِّبِينَهُ عَذَابَ جَهَنَّمَ ، فِي جَنَّةٍ كَاذِبَةٍ . .

فَيَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ لِنَوْعِ الْبَشَرِ ! انْظُرِي إِلٰى هٰذَا التَّمْثِيلِ ؛ فَاعْلَمِي أَنَّكِ إِلٰى أَيْنَ تَسُوقِينَ بِنَوْعِ الْبَشَرِ ؟ فَمَثَلاً : إِنَّ أَمَامَنَا ، طَرِيقَيْنِ نَسْلُكُ مِنْ أَحَدِهِمَا ؛ فَنَرٰى عَلٰى كُلِّ خُطْوَةٍ ، إِنْسَاناً عَاجِزاً بَائِساً ، يَهْجُمُ عَلَيْهِ الظَّلَمَةُ ؛ فَيَغْتَصِبُونَ مَالَهُ وَمَتَاعَهُ ؛ وَيَهْدِمُونَ دَارَهُ ؛ وَأَحْيَاناً يَجْرَحُونَهُ ؛ بِحَيْثُ تَبْكِي السَّمَاءُ ، لِحَالِهِ الْأَلِيمِ ؛ فَإِلٰى أَيْنَ يُنْظَرُ ؛ يُرَى الْحَالُ ، عَلٰى هٰذَا الْمِنْوَالِ ؛ وَقَدْ عَمَّ ذٰلِكِ الطَّرِيقَ ، مَأْتَمٌ عُمُومِيٌّ ؛ لِأَنَّ الْأَصْوَاتَ الَّتِي تُسْمَعُ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ ، هِيَ صِيَاحُ الظَّالِمِينَ ، وَبُكَاءُ الْمَظْلُومِينَ ؛ فَيُبْتَلٰى ذٰلِكِ الْإِنْسَانُ ، بِأَلَمٍ لَا حَدَّ لَهُ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَأَلَّمُ بِأَلَمِ الْغَيْرِ ، بِجِهَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّ الْوِجْدَانَ لَا يَحْتَمِلُ هٰذِهِ الدَّرَجَةَ مِنَ التَّأَلُّمِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُضْطَرُّ مَنْ يَسْلُكُ ذٰلِكِ الطَّرِيقَ ، إِلٰى أَحَدِ شَيْئَيْنِ ؛ فَإِمَّا أَنَّهُ يَتَجَرَّدُ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَيَلْتَزِمُ وَحْشَةً لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَيَحْمِلُ قَلْباً لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ ، هَلَاكُ الْكُلِّ ، مَعَ سَلَامَتِهِ ؛ أَوْ أَنَّهُ يُبْطِلُ مُقْتَضَى الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ . .

فَيَا أُورُوبَّا الْفَاسِدَةَ بِالسَّفَهِ وَالضَّلَالِ ، وَالْمُبْتَعِدَةَ عَنِ الدِّينِ الْعِيسَوِيِّ ! . لَقَدْ أَهْدَيْتِ هٰذِهِ الْحَالَةَ الْجَهَنَّمِيَّةَ ، إِلٰى رُوحِ الْبَشَرِ ، بِدَهَائِكِ الْأَعْوَرِ مِثْلِ الدَّجَّالِ ؛ ثُمَّ أَدْرَكْتِ

أَنَّ هٰذَا دَاءٌ بِلا دَوَاءٍ ؛ يُلْقِي بِالْإِنْسَانِ ، مِنْ أَعْلٰى عِلِّيِّينَ ، إِلٰى أَسْفَلِ سَافِلِينَ ؛ وَيُنَزِّلُهُ إِلٰى دَرَكَةِ أَشْقَى الْحَيَوَانَاتِ . فَالْعِلاجُ الَّذِي وَجَدْتِهِ لِهٰذِهِ الْعِلَّةِ ، هُوَ مَلاهِيكِ الْجَذَّابَةُ ، وَمُزَخْرَفَاتُكِ وَمُشْتَهَيَاتُكِ الْمُنَوِّمَةُ ، الَّتِي تَخْدُمُ إِبْطَالَ الْحِسِّ ، إِلٰى حِينٍ ؛ **(تَبًّا عِلاجُكِ ، رَأْسَكِ)** ؛ وَلْيَتَبَّرَنَّهُ ؛ فَمَا فَتَحْتِهِ مِنَ الطَّرِيقِ ، وَمَا أَهْدَيْتِهِ إِلَى الْبَشَرِ ، مِنَ السَّعَادَةِ ، يُشْبِهُ هٰذَا الْمِثَالَ . .

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الثَّانِي : الَّذِي أَهْدَاهُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، بِهَدْيِهِ ، إِلَى الْبَشَرِ ؛ فَهُوَ هٰكَذَا : وَهُوَ أَنَّنَا نَرَى فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَمَكَانٍ وَبَلَدٍ ، مِنْ ذٰلِكَ الطَّرِيقِ ، عَسَاكِرَ مُسْتَقِيمِينَ ، مِنْ عَسَاكِرِ سُلْطَانٍ عَادِلٍ ؛ يَجُولُونَ فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ فَأَحْيَاناً يُسَرِّحُ الْمُوَظَّفُونَ ، بَعْضَ أُولٰئِكَ الْعَسَاكِرِ ، بِأَمْرِ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ ؛ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُمْ ، أَسْلِحَتَهُمْ وَخُيُولَهُمْ وَأَجْهِزَتَهُمُ السُّلْطَانِيَّةَ ؛ وَيُعْطُونَهُمْ تَذْكِرَةَ الْإِذْنِ . وَأُولٰئِكَ الْجُنُودُ الْمُسَرَّحُونَ ، وَإِنْ كَانُوا يَحْزَنُونَ ظَاهِراً ، عَنْ تَسْلِيمِ أَسْلِحَتِهِمْ وَخُيُولِهِمُ الَّتِي اسْتَأْنَسُوهَا ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَفْرَحُونَ فِي الْحَقِيقَةِ ، بِالتَّسْرِيحِ ؛ وَيُسَرُّونَ غَايَةَ السُّرُورِ ، بِجِهَةِ رُجُوعِهِمْ إِلٰى عَاصِمَةِ السُّلْطَانِ ، وَزِيَارَتِهِمْ لَهُ ؛ وَقَدْ يُلاقِي مُوَظَّفُو التَّسْرِيحِ ، مُجَنَّداً غِرّاً ؛ وَلا يَعْرِفُهُمُ الْمُجَنَّدُ ؛ فَيَقُولُونَ لَهُ : **سَلِّمْ إِلَيْنَا سِلاحَكَ** ؛ فَيَقُولُ الْمُجَنَّدُ : إِنِّي مُجَنَّدُ السُّلْطَانِ ؛ وَأَنَا فِي خِدْمَتِهِ ؛ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛ فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ . فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِإِذْنِهِ وَرِضَائِهِ ؛ فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ ؛ فَأَظْهِرُوا أَمْرَهُ ؛ وَإِلَّا فَتَنَحَّوْا عَنِّي ؛ فَإِنِّي لَوْ بَقِيتُ وَحِيداً ؛ وَكُنْتُمْ أُلُوفاً ؛ لَقَاتَلْتُكُمْ أَيْضاً ، لا لِنَفْسِي ؛ لِأَنَّ نَفْسِي لَيْسَتْ مِلْكِي ؛ وَإِنَّمَا هِيَ لِسُلْطَانِي ؛ بَلْ لِأَنَّ مَا عِنْدِي ، مِنْ نَفْسِي وَسِلاحِي ، وَدِيعَةُ مَالِكِي ؛ فَلا أَخْضَعُ لَكُمْ بِرَأْسِي ، لِمُحَافَظَةِ الْوَدِيعَةِ ، وَلِحِمَايَةِ شَرَفِ سُلْطَانِي ، وَلِوِقَايَةِ عِزَّتِهِ . فَهٰذَا الْحَالُ ، مِثَالٌ وَاحِدٌ ، مِنْ آلافِ الْأَحْوَالِ الَّتِي هِيَ مَدَارٌ لِلسُّرُورِ وَالسَّعَادَةِ ، فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ الثَّانِي ؛ فَقِسْ عَلَيْهِ سَائِرَ الْأَحْوَالِ ؛ وَيُوجَدُ فِي جَمِيعِ سَفَرِ ذٰلِكَ الطَّرِيقِ الثَّانِي ، حُشُودٌ وَاسْتِنْفَارٌ عَسْكَرِيٌّ ؛ مَعَ السُّرُورِ وَالاحْتِفَالِ ، تُسَمّٰى بِالتَّوَلُّدِ ؛ وَيُرَى فِيهِ تَسْرِيحٌ عَسْكَرِيٌّ ، مَعَ الْفَرَحِ وَالْغِنَاءِ ، يُسَمّٰى بِالْمَمَاتِ . **فَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ أَهْدٰى هٰذَا الطَّرِيقَ ، إِلَى الْبَشَرِ** ؛ فَمَنْ قَبِلَ هٰذِهِ الْهَدِيَّةَ قَبُولاً تَامّاً ؛ يَسْلُكُ هٰذَا الطَّرِيقَ الثَّانِيَ الذَّاهِبَ إِلٰى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا ؛

فَلا يَحْزَنُ عَلٰى مَا مَضٰى ؛ وَلا يَخَافُ عَمَّا يَأْتِي . .

فَيَا أُورُوبَّا الثَّانِيَةُ الْفَاسِدَةُ ! إِنَّ مِنْ أُسُسِكِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي لا أَسَاسَ لَهَا ؛ أَنَّكِ تَزْعُمِينَ أَنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، مِنْ أَكْبَرِ مَلَكٍ ، إِلٰى أَصْغَرِ سَمَكٍ ، مَالِكٌ لِنَفْسِهِ ؛ وَيَعْمَلُ لِذَاتِهِ ؛ وَيَسْعٰى لِلَذَّتِهِ ؛ وَأَنَّ لَهُ حَقَّ حَيَاةٍ ؛ وَأَنَّ غَايَةَ هِمَّتِهِ ، وَهَدَفَ مَقْصَدِهِ ، تَحْصِيلُ حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ ؛ وَظَنَنْتِ جَلَوَاتِ قَانُونِ التَّعَاوُنِ الْعُمُومِيِّ ، الْمُتَظَاهِرَةَ مِنْ سَبْقِ النَّبَاتَاتِ ، إِلٰى مَدَدِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَمِنْ عَدْوِ الْحَيَوَانِ ، إِلٰى عَوْنِ الْإِنْسَانِ ، بِذٰلِكِ الدُّسْتُورِ الَّذِي يُمْتَثَلُ فِي أَرْكَانِ الْعَالَمِ ، بِكَمَالِ الْإِطَاعَةِ ، مِنْ دَسَاتِيرِ كَرَمِ الْخَالِقِ الْكَرِيمِ ؛ ظَنَنْتِ تِلْكَ الْجَلَوَاتِ الرَّحِيمَةَ الْكَرِيمَةَ ، جِدَالاً ؛ فَحَكَمْتِ حُمْقاً ، بِأَنَّ الْحَيَاةَ ، جِدَالٌ ؛ فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِنَّ سَبْقَ ذَرَّاتِ الطَّعَامِ ، بِكَمَالِ الِاشْتِيَاقِ ، ذٰلِكِ السَّبْقَ الَّذِي هُوَ مِنْ جَلَوَاتِ دُسْتُورِ التَّعَاوُنِ ، لِتَغْذِيَةِ خَلايَا الْبَدَنِ ؛ كَيْفَ يَكُونُ جِدَالاً ؛ وَكَيْفَ يَكُونُ صِدَاماً ؟ كَلّا ؛ إِنَّ ذٰلِكِ الْإِمْدَادَ ، وَذٰلِكِ السَّبْقَ ، تَعَاوُنٌ بِأَمْرِ رَبٍّ كَرِيمٍ . .

وَأَيْضاً إِنَّ أَسَاساً فَاسِداً ، مِنْ أُسُسِكِ ، هُوَ : أَنَّكِ تَزْعُمِينَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مَالِكٌ لِنَفْسِهِ . وَالدَّلِيلُ الْقَاطِعُ ، عَلٰى أَنَّهُ لا شَيْءَ ، مَالِكٌ لِنَفْسِهِ أَصْلاً ، هُوَ : أَنَّ الْأَشْرَفَ بَيْنَ الْأَسْبَابِ ، وَأَوْسَعَهَا إِرَادَةً ، فِي جِهَةِ الِاخْتِيَارِ ، هُوَ الْإِنْسَانُ ؛ مَعَ أَنَّ مَا أُعْطِيَ لِيَدِ اخْتِيَارِ هٰذَا الْإِنْسَانِ ؛ وَدَخَلَ فِي دَائِرَةِ اقْتِدَارِهِ ، مَا هُوَ إِلّا جُزْءٌ مَشْكُوكٌ ، مِنْ مِئَةِ جُزْءٍ ، مِنْ أَظْهَرِ أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ، كَالْأَكْلِ وَالْكَلامِ وَالْفِكْرِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكاً لِجُزْءٍ وَاحِدٍ ، مِنْ مِئَةِ جُزْءٍ ، مِنْ أَظْهَرِ أَفْعَالِهِ ، كَيْفَ يُقَالُ : إِنَّهُ مَالِكٌ لِنَفْسِهِ ؟ . فَإِذَا كَانَ الْأَشْرَفُ وَالْأَوْسَعُ اخْتِيَاراً ، مَغْلُولَ الْأَيْدِي هٰكَذَا ، عَنِ التَّمَلُّكِ وَالتَّصَرُّفِ الْحَقِيقِيِّ ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؛ يَثْبُتُ أَنَّ مَنْ قَالَ : إِنَّ سَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ ، مَالِكَةٌ لِأَنْفُسِهَا ؛ فَهُوَ أَزْيَدُ حَيَوَانِيَّةً ، مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَأَشَدُّ جُمُوداً ، وَأَفْقَدُ شُعُوراً مِنَ الْجَمَادَاتِ . .

وَإِنَّ مَا أَلْقَاكِ إِلٰى هٰذَا الْخَطَإِ ؛ وَأَهْوَاكِ إِلٰى هٰذِهِ الْوَرْطَةِ ، هُوَ دَهَاؤُكِ الْأَعْوَرُ : أَيْ ذَكَاؤُكِ الْمَشْؤُومُ الْفَائِقُ ؛ فَنَسِيتِ رَبَّكِ الَّذِي هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، بِذٰلِكِ الدَّهَاءِ الْأَعْوَرِ ؛

فَاسْتَنَدْتِ إِلٰى طَبِيعَةٍ مَوْهُومَةٍ ؛ وَأَسْنَدْتِ آثَارَهُ ، إِلَى الْأَسْبَابِ ؛ وَقَسَّمْتِ مُلْكَ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ، عَلٰى طَوَاغِيتِ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ ؛ فَيَلْزَمُ فِي هٰذِهِ الْجِهَةِ ، وَفِي نَظَرِ دَهَائِكَ ، أَنْ يُقَاوِمَ كُلُّ ذِي حَيَاةٍ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ عَلٰى حِدَتِهِ ، مَا لَا يُحَدُّ مِنَ الْأَعْدَاءِ ؛ وَأَنْ يَسْعٰى لِتَحْصِيلِ مَا لَا يَتَنَاهٰى ، مِنَ الْحَاجَاتِ ؛ فَيُضْطَرُّ إِلَى الْمُقَاوَمَةِ إِزَاءَ أُولٰئِكَ الْأَعْدَاءِ وَالْحَاجَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، **بِاقْتِدَارٍ مِثْلِ ذَرَّةٍ ، وَبِاخْتِيَارٍ كَخَيْطٍ دَقِيقٍ ، وَبِشُعُورٍ شِبْهِ لَمْعَةٍ زَائِلَةٍ ، وَبِحَيَاةٍ كَشُعْلَةٍ تَنْطَفِئُ سَرِيعاً ، وَبِعُمْرٍ مِثْلِ دَقِيقَةٍ تَنْقَضِي فَوْراً** ؛ مَعَ أَنَّ رَأْسَ مَالِ ذٰلِكَ الْحَيِّ الْبَائِسِ ، لَا يَكْفِي وَاحِداً مِنْ آلَافِ مَطَالِبِهِ ؛ فَإِذَا ابْتُلِيَ بِمُصِيبَةٍ ؛ لَا يَرْجُو الْمَدَدَ إِلَّا مِنَ الْأَسْبَابِ الصُّمِّ الْعُمْيِ ؛ فَيُصْبِحُ مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَمَا دُعَآءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ .. وَإِنَّ دَهَاءَكِ الْمُظْلِمَ ، قَلَبَ نَهَارَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، بِاللَّيْلِ ؛ وَنَوَّرْتِ ذٰلِكَ اللَّيْلَ الضَّيِّقَ الشَّدِيدَ الْمُظْلِمَ ، بِسُرُجٍ مُؤَقَّتَةٍ كَاذِبَةٍ ، لِلِاسْتِئْنَاسِ بِذٰلِكَ اللَّيْلِ ؛ وَتِلْكَ السُّرُجُ لَا تَبْتَسِمُ فِي وَجْهِ الْبَشَرِ ، بِالسُّرُورِ ؛ بَلْ تَضْحَكُ تِلْكَ الْأَضْوَاءُ ؛ وَتَتَلَاهٰى مُسْتَهْزِئَةً بِضَحِكِ الْبَشَرِ ، ضَحِكاً سَفِيهاً ، فِي حَالِهِ الْأَلِيمِ الَّذِي يُبْكٰى عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، مُصَابٌ ضَعِيفٌ مَعْرُوضٌ لِهُجُومِ الظَّالِمِينَ ، فِي نَظَرِ تَلَامِذَتِكِ ؛ وَإِنَّ الدُّنْيَا ، مَنَاحَةٌ عَامَّةٌ ؛ وَإِنَّ الْأَصْوَاتَ فِي الدُّنْيَا ، نِيَاحَاتٌ نَاشِئَةٌ عَنِ الْمَوْتِ وَالْآلَامِ ؛ وَإِنَّ تِلْمِيذَكِ الَّذِي دَرَسَ مِنْكِ كَامِلاً ، يُصْبِحُ فِرْعَوْناً ؛ وَلٰكِنَّهُ فِرْعَوْنٌ ذَلِيلٌ ، يَعْبُدُ أَخَسَّ شَيْءٍ ؛ وَيَظُنُّ كُلَّ شَيْءٍ نَافِعٍ ، رَبّاً لَهُ ؛ وَأَيْضاً إِنَّ تِلْمِيذَكِ مُتَمَرِّدٌ ؛ وَلٰكِنَّهُ مُتَمَرِّدٌ مِسْكِينٌ ، يَقْبَلُ نِهَايَةَ الذِّلَّةِ ، لِلَذَّةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَيُظْهِرُ دَنَاءَةً ؛ بِحَيْثُ يُقَبِّلُ قَدَمَ الشَّيْطَانِ ، لِنَفْعٍ خَبِيثٍ ؛ وَجَبَّارٌ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّهُ جَبَّارٌ مُرَاءٍ عَاجِزٌ فِي ذَاتِهِ ، غَايَةَ الْعَجْزِ ، لِعَدَمِ وُجُودِهِ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ فِي قَلْبِهِ ؛ وَغَايَةُ هِمَّتِهِ ، تَسْكِينُ شَهَوَاتِهِ النَّفْسِيَّةِ ؛ وَدَسَّاسٌ أَيْضاً ، يَسْعٰى لِتَسْكِينِ حِرْصِهِ وَغُرُورِهِ ؛ وَيَتَحَرّٰى نَفْعَ نَفْسِهِ ، تَحْتَ غِطَاءِ الْحَمِيَّةِ وَالْفِدَاءِ ؛ وَلَا يُحِبُّ شَيْئاً جِدّاً ، سِوٰى نَفْسِهِ ؛ وَيُفْدِي نَفْسَهُ ، بِكُلِّ شَيْءٍ ..

وَأَمَّا تِلْمِيذُ الْقُرْآنِ ، الْمُخْلِصُ الْكَامِلُ ؛ فَإِنَّهُ عَبْدٌ ؛ وَلٰكِنَّهُ عَبْدٌ عَزِيزٌ ، لَا يَتَنَازَلُ إِلَى الْعُبُودِيَّةِ لِأَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَلَا يَجْعَلُ أَكْبَرَ نَفْعٍ ، وَأَعْظَمَهُ ، مِثْلَ الْجَنَّةِ ، غَايَةَ

لِلْعُبُودِيَّةِ ؛ وَإِنَّهُ حَلِيمٌ وَسَلِيمٌ ؛ وَلٰكِنَّهُ حَلِيمٌ عَالِي الْهِمَّةِ ، لا يَتَنَزَّلُ إِلَى التَّذَلُّلِ لِغَيْرِ فَاطِرِهِ ذِي الْجَلالِ ، بِدُونِ إِذْنِهِ وَأَمْرِهِ ؛ وَفَقِيرٌ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّهُ فَقِيرٌ مُسْتَغْنٍ بِالثَّوَابِ الَّذِي ادَّخَرَهُ لَهُ ، مَالِكُهُ الْكَرِيمُ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَضَعِيفٌ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّهُ ضَعِيفٌ قَوِيٌّ ، اسْتَنَدَ إِلَى قُوَّةِ سَيِّدِهِ الَّذِي لا نِهَايَةَ لِقُدْرَتِهِ ؛ فَالْقُرْآنُ لا يَجْعَلُ الْجَنَّةَ الْأَبَدِيَّةَ أَيْضاً ، غَايَةَ الْمَقْصَدِ ، لِتِلْمِيذِهِ الْحَقِيقِيِّ ؛ فَهَلْ يَجْعَلُ هٰذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ الزَّائِلَةَ ، غَايَةَ الْمَقْصَدِ لَهُ ؟ . فَافْهَمْ دَرَجَةَ هِمَّةِ التِّلْمِيذَيْنِ . . وَأَيْضاً لَكَ أَنْ تَزِنَ حَمِيَّةَ تَلامِذَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَفِدَاءَهُمْ ، مَعَ طُلّابِ الْفَلْسَفَةِ السَّقِيمَةِ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ طَالِبَ الْفَلْسَفَةِ ، يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ ؛ وَيُحَاكِمُهُ لِنَفْسِهِ . .

وَأَمَّا تِلْمِيذُ الْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّهُ يَتَلَقَّى الصَّالِحِينَ ، فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ ، إِخْوَاناً لَهُ ؛ فَيَدْعُو لَهُمْ ، عَلٰى وَجْهٍ صَمِيمٍ ؛ وَيُسْعَدُ بِسَعَادَتِهِمْ ؛ وَيَشْعُرُ فِي رُوحِهِ ، بِعَلاقَةٍ شَدِيدَةٍ لَهُمْ ؛ وَكَذَا يَتَلَقّى أَعْظَمَ الْأَشْيَاءِ مِثْلَ الْعَرْشِ وَالشَّمْسِ ، مَأْمُوراً مُسَخَّراً ، وَمَخْلُوقاً عَابِداً مِثْلَهُ . وَقِسْ عُلُوَّ رُوحَيِ التِّلْمِيذَيْنِ ، وَانْبِسَاطَهُمَا ، مِنْ هٰذَا الْوَجْهِ أَيْضاً ؛ وَهُوَ : أَنَّ الْقُرْآنَ يُعْطِي أَرْوَاحَ تَلامِيذِهِ ، انْبِسَاطاً وَعُلُوّاً ؛ بِحَيْثُ يُعْطِي أَيْدِيَهُمْ ، سُبْحَةَ ذَرَّاتِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ عَالَماً ، يُظْهِرُ جَلَوَاتِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ اسْماً ، مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بَدَلاً عَنِ السُّبْحَةِ التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ عَدَداً ؛ وَيَقُولُ لَهُمْ : «اتْلُوا أَوْرَادَكُمْ بِهٰذِهِ السُّبْحَةِ» ؛ فَانْظُرْ إِلَى الْجِيلانِيِّ ، وَالرِّفَاعِيِّ ، وَالشَّاذِلِيِّ ، مِنْ تَلامِذَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَاسْتَمِعْ إِلَيْهِمْ ، عِنْدَمَا يَقْرَؤُونَ أَوْرَادَهُمْ ؛ كَيْفَ أَخَذُوا بِأَيْدِيهِمْ ، سِلْسِلَةَ الذَّرَّاتِ ، وَأَعْدَادَ الْقَطَرَاتِ ، وَأَنْفَاسَ الْمَخْلُوقَاتِ ؟ فَيَتْلُونَ بِهَا أَوْرَادَهُمْ ؛ وَيَذْكُرُونَ اللهَ ؛ وَيُسَبِّحُونَ لَهُ بِهَا . فَانْظُرْ إِلَى التَّرْبِيَةِ الْمُعْجِزَةِ ، لِلْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، كَيْفَ يَتَعَالَى هٰذَا الْإِنْسَانُ الصَّغِيرُ الَّذِي يُغْلَبُ لِجُرْثُومٍ حَقِيرٍ ؛ وَيَدُورُ رَأْسُهُ ؛ وَيُغْشَى عَلَيْهِ ، بِأَدْنَى كَرْبٍ ، وَبِغَمٍّ صَغِيرٍ ؛ وَكَيْفَ تَنْبَسِطُ لَطَائِفُهُ ؛ بِحَيْثُ يَسْتَقْصِرُ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، فِي كَوْنِهَا سُبْحَةً لِوِرْدِهِ ؛ وَيَسْتَصْغِرُ الْجَنَّةَ ، فِي كَوْنِهَا غَايَةً لِذِكْرِهِ وَأَوْرَادِهِ ؟ مَعَ أَنَّهُ لا يُكَبِّرُ نَفْسَهُ ، عَلٰى أَدْنٰى مَخْلُوقٍ ، مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالٰى ؛ فَيَجْمَعُ نِهَايَةَ التَّوَاضُعِ ، فِي نِهَايَةِ الْعِزَّةِ . .

فَلَكَ أَنْ تَقِيسَ دَرَجَةَ دَنَاءَةِ تَلامِذَةِ الْفَلْسَفَةِ ، وَسَفَالَتِهِمْ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى هٰذَا الْحَالِ . فَالْحَقَائِقُ الَّتِي يَرَاهَا خَطَأً ، الدَّهَاءُ الأَعْوَرُ ، لِلْفَلْسَفَةِ السَّقِيمَةِ الْأُورُوبَّائِيَّةِ ؛ يَرَاهَا هٰكَذَا ، هُدَى الْقُرْآنِ الْمُشِيرِ بِيَدَيْهِ ، إِلَى السَّعَادَتَيْنِ ، وَالنَّاظِرِ إِلَى الْعَالَمَيْنِ ، بِعَيْنَيْهِ الْمُشْرِقَتَيْنِ وَالْمُؤَانِسَتَيْنِ لِلْغَيْبِ ، وَالنَّاظِرَتَيْنِ إِلَى الدَّارَيْنِ ؛ وَيَقُولُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِنَّ مَا بِيَدِكَ ، مِنْ نَفْسِكَ وَمَالِكَ ، لَيْسَ مُلْكاً لَكَ ؛ بَلْ هُوَ أَمَانَةٌ ؛ وَمَالِكُ تِلْكَ الْأَمَانَةِ ، قَدِيرٌ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، رَحِيمٌ وَكَرِيمٌ ، يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْكَ ، مَا عِنْدَكَ مِنْ مُلْكِهِ ؛ حَتّٰى يَحْفَظَهُ لَكَ ؛ فَلَا يَضِيعَ ؛ وَيُعْطِيَكَ ثَمَناً مُهِمّاً ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَإِنَّكَ عَسْكَرِيٌّ مُوَظَّفٌ وَمَأْمُورٌ ؛ فَاسْعَ بِاسْمِهِ ؛ وَاعْمَلْ بِحِسَابِهِ ؛ وَهُوَ الَّذِي يَبْعَثُ إِلَيْكَ ، مَا تَحْتَاجُهُ مِنَ الرِّزْقِ ؛ وَيَحْفَظُكَ عَمَّا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّ غَايَةَ حَيَاتِكَ هٰذِهِ ، وَنَتِيجَتَهَا ، هِيَ أَنْ تَكُونَ مَظْهَراً لِأَسْمَاءِ ذٰلِكَ الْمَالِكِ ، وَشُؤُونِهِ ؛ وَإِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ ؛ فَقُلْ : ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ : أَيْ إِنِّي فِي خِدْمَةِ مَالِكِي ؛ فَإِنْ جِئْتِ أَيَّتُهَا الْمُصِيبَةُ ! بِإِذْنِهِ وَرِضَائِهِ ؛ فَمَرْحَباً بِكِ وَأَهْلاً ؛ فَإِنَّنَا سَنَرْجِعُ وَنَذْهَبُ إِلَى حُضُورِهِ ، فِي وَقْتٍ مَّا ؛ وَإِنَّنَا مُشْتَاقُونَ إِلَيْهِ ؛ فَإِذَا كَانَ يُعْتِقُنَا عَنْ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ ، فِي زَمَنٍ مَّا ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَلْيَكُنْ ذٰلِكِ الْعِتْقُ وَالْإِطْلَاقُ ، بِيَدِكِ ، أَيَّتُهَا الْمُصِيبَةُ ! فَأَنَا رَاضٍ ؛ وَإِنْ أَرَادَ اخْتِبَارِي فِي الِاهْتِمَامِ بِحِفْظِ الْأَمَانَةِ ؛ وَأَمَرَكِ بِذٰلِكِ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَأْذَنُ بِتَسْلِيمِ الْأَمَانَةِ إِلَيْكِ ؛ وَلَا يَرْضٰى بِذٰلِكِ ؛ فَإِنِّي لَا أُسَلِّمُ أَمَانَةَ مَالِكِي ، إِلٰى غَيْرِ الْأَمِينِ ؛ مَا اسْتَطَعْتُ . . فَانْظُرْ إِلٰى مِثَالٍ وَاحِدٍ ، مِنَ الْأَلْفِ ، مِنْ دَرَجَاتِ دُرُوسِ الْهُدَى الْقُرْآنِيِّ ، وَالدَّهَاءِ الْفَلْسَفِيِّ . نَعَمْ : إِنَّ حَقِيقَةَ حَالِ الطَّرَفَيْنِ ، تَجْرِي عَلَى الْمِنْوَالِ الْمُبَيَّنِ سَابِقاً ، إِلَّا أَنَّ دَرَجَاتِ النَّاسِ ، فِي الْهِدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ مُتَفَاوِتَةٌ ؛ وَمَرَاتِبَ الْغَفْلَةِ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَلَا يَشْعُرُ كُلُّ أَحَدٍ ، بِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ بِتَمَامِهَا ، فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ ؛ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ تُبْطِلُ الْحِسَّ ؛ وَقَدْ أَبْطَلَتِ الْحِسَّ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، بِحَيْثُ لَا يُحِسُّ الْمُتَمَدِّنُونَ ، مَرَارَةَ هٰذَا الْأَلَمِ الْأَلِيمِ ؛ وَلٰكِنْ يَتَمَزَّقُ حِجَابُ تِلْكَ الْغَفْلَةِ ، بِتَزَايُدِ الْحَسَّاسِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَبِإِيقَاظِ الْمَوْتِ الَّذِي يُشْهِدُ كُلَّ يَوْمٍ ، ثَلَاثِينَ أَلْفَ جَنَازَةٍ . .

فَأَلْفُ وَيْلٍ وَأَسَفٍ ، لِمَنْ يَسْلُكُونَ الضَّلَالَةَ ، بِسَبَبِ طَوَاغِيتِ الْأَجَانِبِ ، وَفُنُونِهِمُ

الطَّبِيعِيَّةِ ، وَلِمَنْ يَتَّبِعُونَهُمْ مُقَلِّدِينَ بِهِمْ ، عَلٰى عَمًى . .

فَيَا شُبَّانَ هٰذَا الْوَطَنِ ! لَا تَجْتَهِدُوا لِتَقْلِيدِ الْإِفْرَنْجِ ؛ أَلَا فَبِأَيِّ عَقْلٍ تَأْمَنُونَهُمْ ؛ وَتَتَّبِعُونَ سَفَاهَاتِهِمْ وَأَفْكَارَهُمُ الْبَاطِلَةَ ، بَعْدَمَا صَنَعَتْ بِكُمْ أُورُوبَّا ، مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ؟ . لَا ؛ وَلَا ؛ فَإِنَّ الْمُقَلِّدِينَ عَلَيْهِمْ سَفَهاً ؛ لَا يَتَّبِعُونَهُمْ ؛ بَلْ يَلْتَحِقُونَ بِصَفِّهِمْ ، مِنْ غَيْرِ شُعُورٍ ؛ وَإِنَّكُمْ تُعْدِمُونَ بِذٰلِكَ ، أَنْفُسَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ؛ أَلَا فَانْتَبِهُوا أَنَّكُمْ مَهْمَا تَبِعْتُمُوهُمْ سَفَهاً ؛ تُكَذِّبُونَ فِي دَعْوَى الْحَمِيَّةِ ؛ لِأَنَّ اتِّبَاعَكُمْ عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، اسْتِخْفَافٌ بِحَمِيَّتِكُمْ ، وَاسْتِهْزَاءٌ بِالشَّعْبِ . «هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ ، إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ» . .

اَلْمُذَكِّرَةُ السَّادِسَةُ :

اِعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْبَائِسُ ، الَّذِي يَخْشٰى مِنْ كَثْرَةِ الْكُفَّارِ ؛ وَيُفْسِدُ عَقِيدَتَهُ ، عَنِ اتِّفَاقِهِمْ فِي إِنْكَارِ بَعْضِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ : أَنَّ الْقِيمَةَ وَالْعِبْرَةَ لَيْسَتْ فِي الْكَمِّيَّةِ وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ إِنْسَاناً ؛ يَنْقَلِبُ إِلٰى حَيَوَانٍ شَيْطَانٍ ؛ وَإِنَّ بَعْضَ الْإِفْرَنْجِ وَالْمُتَفَرْنِجِينَ ، كُلَّمَا ارْتَقٰى فِي الِاخْتِرَاصَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ ؛ يَتَّخِذُ مَرْتَبَةَ حَيَوَانِيَّةٍ أَشَدَّ ؛ وَأَنْتَ تَرَى الْحَيَوَانَاتِ كَثِيرَةً بِلَا حَدٍّ ، بِاعْتِبَارِ الْكَمِّيَّةِ وَالْعَدَدِ ؛ وَالْإِنْسَانُ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ؛ مَعَ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَصْبَحَ سُلْطَاناً وَخَلِيفَةً وَحَاكِماً عَلٰى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ . فَالْكُفَّارُ الْمُضِرُّونَ ، وَالسُّفَهَاءُ السَّالِكُونَ عَلٰى مَسْلَكِهِمْ ، نَوْعٌ خَبِيثٌ مِنْ حَيَوَانَاتِ اللهِ تَعَالٰى ؛ فَخَلَقَهُمُ الْفَاطِرُ الْحَكِيمُ ، لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا ؛ وَجَعَلَهُمْ مِقْيَاساً لِإِعْلَامِ دَرَجَاتِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا ، عَلٰى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَيُسَلِّمُهُمْ فِي الْعَاقِبَةِ ، إِلٰى جَهَنَّمَ الَّتِي يَسْتَحِقُّونَهَا ؛ فَلَا قُوَّةَ فِي إِنْكَارِ الْكُفَّارِ ، وَفِي نَفْيِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، لِحَقِيقَةٍ إِيمَانِيَّةٍ ؛ لِأَنَّ اتِّفَاقَهُمْ غَيْرُ قَوِيٍّ ، بِسِرِّ النَّفْيِ ؛ فَإِنَّ أَلْفَ نَافٍ ، فِي حُكْمِ وَاحِدٍ ؛ فَمَثَلاً : لَوْ نَفٰى جَمِيعُ أَهَالِي «إِسْطَنْبُول» ، الْهِلَالَ ، لِعَدَمِ رُؤْيَتِهِمْ فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ ؛ لَسَقَطَ نَفْيُ ذٰلِكَ الْجَمِّ الْغَفِيرِ ، وَاتِّفَاقُهُمْ ، بِإِثْبَاتِ شَاهِدَيْنِ . فَإِذَا كَانَتْ مَاهِيَّةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ، نَفْياً وَإِنْكَاراً ، جَهْلاً وَعَدَماً ؛ فَلَا قِيمَةَ لِاتِّفَاقِ

الْكُفَّارِ بِالْكَثْرَةِ ؛ فَإِنَّ حُكْمَ مُؤْمِنَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ ، يَسْتَنِدَانِ إِلَى الشُّهُودِ ؛ يَغْلِبُ فِي الْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ الْحَقَّةِ ، الثُّبُوتِيَّةِ الْمُثْبَتَةِ ؛ وَيُرَجَّحُ عَلَى اتِّفَاقِ مَنْ لَا حَدَّ لَهُمْ ، مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ . وَسِرُّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، هُوَ : أَنَّ دَعْوَى النَّافِينَ ؛ وَهِيَ وَاحِدَةٌ صُورَةً ، هِيَ مُتَعَدِّدَةٌ ؛ فَلَا تَتَّحِدُ فَتَتَقَوّٰى ؛ وَأَنَّ دَعْوَى الْمُثْبِتِينَ تَتَّحِدُ ؛ وَيَتَّخِذُ بَعْضُهَا ، قُوَّةً عَنْ بَعْضٍ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَرَ **هِلَالَ رَمَضَانَ** ، فِي السَّمَاءِ ، يَقُولُ : إِنَّ الْهِلَالَ لَا يُوجَدُ فِي نَظَرِي ؛ وَلَا يُرٰى عِنْدِي ؛ وَيَقُولُ آخَرُ أَيْضاً : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي نَظَرِي ؛ وَيَقُولُ آخَرُ : كَذٰلِكَ ؛ فَكُلٌّ يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي نَظَرِي ؛ وَإِنَّ أَنْظَارَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ؛ وَالْأَسْبَابَ الْمَانِعَةَ لِلرُّؤْيَةِ مُتَغَايِرَةٌ ؛ فَلِذٰلِكَ تَخْتَلِفُ دَعَاوَاهُمْ ؛ وَلَا يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَلٰكِنَّ الْمُثْبِتَ ، لَا يَقُولُ : إِنَّهُ يُوجَدُ الْهِلَالُ ، فِي نَظَرِي وَبَصَرِي ؛ بَلْ يَقُولُ : إِنَّ الْهِلَالَ يُوجَدُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ وَيُرٰى فِي وَجْهِ السَّمَاءِ ؛ فَيَقُولُ الْمُشَاهِدُونَ كُلُّهُمْ ، عَيْنَ الدَّعْوٰى ؛ وَهِيَ أَنَّهُ يُوجَدُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِذاً إِنَّ الدَّعَاوٰى كُلَّهَا ، مُتَّحِدَةٌ . وَأَمَّا النَّافُونَ ، فَلِكَوْنِ أَنْظَارِهِمْ مُخْتَلِفَةً ، تَخْتَلِفُ دَعْوَاهُمْ ؛ فَلَا يَحْكُمُونَ بِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، لَا يُثْبَتُ ؛ فَإِنَّهُ تَلْزَمُ الْإِحَاطَةُ بِهَا ؛ وَمِنْ قَوَاعِدِ الْأُصُولِ : **أَنَّ الْعَدَمَ الْمُطْلَقَ ، لَا يُثْبَتُ إِلَّا بِمُشْكِلَاتٍ عَظِيمَةٍ . نَعَمْ :** إِنَّ شَيْئاً مَّا ، إِذَا قُلْتَ : إِنَّهُ يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا ؛ تَكْفِي إِرَاءَةُ ذٰلِكَ الشَّيْءِ فَقَطْ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ ؛ وَنَفَيْتَهُ ؛ يَلْزَمُ أَنْ تُنْخَلَ جَمِيعُ الدُّنْيَا وَتُعْرَضَ ؛ كَيْ يُثْبَتَ ذٰلِكَ النَّفْيُ ؛ فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، يَكُونُ نَفْيُ أَهْلِ الْكُفْرِ ، لِحَقِيقَةٍ مَّا ، كَحَلِّ مَسْأَلَةٍ ، أَوِ الْمُرُورِ مِنْ ثُقْبَةٍ ضَيِّقَةٍ ، أَوِ الْخَطْوِ عَلٰى خَنْدَقٍ ؛ حَيْثُ يَسْتَوِي فِيهِ الْأَلْفُ ، وَالْوَاحِدُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ التَّعَاوُنُ فِيهِ . وَأَمَّا الْمُثْبِتُونَ ، فَإِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلٰى حَقِيقَةِ الْحَالِ ، وَنَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَيَتَّحِدُ مُدَّعَاهُمْ ؛ وَيَتَعَاوَنُ قُوَّتُهُمْ ؛ فَيُشْبِهُ رَفْعَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ كُلَّمَا تَنَاوَلَتْهَا الْأَيْدِي ؛ يَكُونُ رَفْعُهَا أَسْهَلَ ؛ وَيَتَقَوّٰى بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ السَّابِعَةُ :

أَيُّهَا الْعَمِيلُ الشَّقِيُّ ، الَّذِي يُشَوِّقُ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَى الدُّنْيَا بِالشِّدَّةِ ؛ وَيَسُوقُهُمْ إِلٰى

صَنَائِعِ الْأَجَانِبِ وَرُقِيِّهِمْ ، بِالْإِجْبَارِ ! احْذَرْ ؛ كَيْلَا تَنْقَطِعَ رَابِطَةُ بَعْضِ هٰذَا الشَّعْبِ الْمَرْبُوطِ بِالدِّينِ . فَإِنِ انْقَطَعَتْ رَابِطَةُ بَعْضِهِمْ ، عَنِ الدِّينِ ، تَحْتَ هِرَاوَاتٍ هٰكَذَا ، عَلٰى وَجْهِ الْحُمْقِ وَالْعَمٰى ؛ أَضَرَّ أُولَائِكَ الْمُلْحِدُونَ حِينَئِذٍ ، فِي الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، بِمَثَابَةِ سُمٍّ قَاتِلٍ ؛ لِأَنَّ الْمُرْتَدَّ يُصْبِحُ سُمّاً فِي حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ ، لِفَسَادِ وِجْدَانِهِ بِالْكُلِّيَّةِ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ جَاءَ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ : أَنَّهُ لَا حَقَّ حَيَاةٍ ، لِلْمُرْتَدِّ . وَالْكَافِرُ إِنْ كَانَ ذِمِّيّاً أَوْ مُسَالِماً ؛ لَهُ حَقُّ الْحَيَاةِ ؛ وَذٰلِكَ دُسْتُورٌ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ شَهَادَةَ كَافِرٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، مَقْبُولَةٌ فِي مَذْهَبِ الْحَنَفِيَّةِ ؛ وَلٰكِنَّ الْفَاسِقَ ، مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ ؛ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . .

فَيَا أَيُّهَا الْفَاسِقُ الشَّقِيُّ ! لَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْفُسَّاقِ ؛ وَلَا تَقُلْ : إِنَّ أَفْكَارَ الْأَكْثَرِينَ ، مَعِي ؛ فَإِنَّ الْفَاسِقَ لَمْ يَطْلُبِ الْفِسْقَ بِالذَّاتِ ؛ وَلَمْ يَدْخُلْهُ اخْتِيَاراً ؛ بَلْ وَقَعَ فِيهِ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ عَنْهُ ؛ وَلَا يُوجَدُ فَاسِقٌ لَا يَتَمَنّٰى أَنْ يَكُونَ صَالِحاً ؛ وَأَنْ يَكُونَ آمِرُهُ وَرَئِيسُهُ مُتَدَيِّناً ، إِلّا إِنْ فَسَدَ وِجْدَانُهُ بِالرِّدَّةِ ؛ الْعِيَاذُ بِاللهِ مِنْهَا ؛ وَيَتَلَذَّذُ بِالتَّسْمِيمِ ، كَالْحَيَّاتِ . .

وَيَا مَجْنُونَ الرَّأْسِ ، وَفَاسِدَ الْقَلْبِ ! أَتَزْعُمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يُحِبُّونَ الدُّنْيَا ؛ أَوْ لَا يُفَكِّرُونَ فِيهَا ؛ فَيَقَعُونَ فِي فَقْرِ الْحَالِ ؛ وَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْإِيقَاظِ ؛ كَيْلَا يَنْسَوْا نَصِيبَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ؟ كَلّا ؛ فَإِنَّ ظَنَّكَ غَلَطٌ ؛ وَتَقْدِيرَكَ خَطَأٌ ؛ بَلِ اشْتَدَّ الْحِرْصُ ؛ فَلِذٰلِكَ يَقَعُونَ فِي فَقْرِ الْحَالِ ؛ لِأَنَّ الْحِرْصَ فِي الْمُؤْمِنِ ، سَبَبٌ لِلْخُسْرَانِ وَالسَّفَالَةِ ؛ وَقَدْ سَارَ قَوْلُهُمْ : (الْحَرِيصُ خَائِبٌ خَاسِرٌ) ، فِي حُكْمِ ضُرُوبِ الْأَمْثَالِ . نَعَمْ : إِنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي تَدْعُو الْإِنْسَانَ ؛ وَتَسُوقُهُ إِلَى الدُّنْيَا ، كَثِيرَةٌ ؛ وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهَا ، نَفْسُهُ وَهَوَاهُ وَاحْتِيَاجُهُ ، وَحَوَاسُّهُ وَحِسِّيَّاتُهُ ، وَشَيْطَانُهُ وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا الصُّورِيَّةُ ، وَأَمْثَالُكَ مِنْ رُفَقَاءِ سُوءٍ ؛ وَهٰكَذَا تُوجَدُ لَهَا دَوَاعٍ كَثِيرَةٌ ؛ مَعَ أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ ، وَالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الْمَدِيدَةِ ، قَلِيلٌ . فَإِنْ كَانَ فِيكَ ، مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْحَمِيَّةِ لِهٰذَا الشَّعْبِ الْبَائِسِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَا تَدَّعِيهِ مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، كَذِباً ؛ يَلْزَمُ إِمْدَادُ الْأَقَلِّينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ؛ أَمْ تَظُنُّ أَنَّ فَقْرَ هٰذَا الشَّعْبِ ، طَرَأَ عَنْ زُهْدٍ نَاشِئٍ عَنِ الدِّينِ ، وَعَنْ عَطَالَةٍ وَارِدَةٍ عَنْ تَرْكِ الدُّنْيَا ؟ إِنَّكَ تُخْطِئُ فِي هٰذَا الظَّنِّ ؛ أَفَلَا تَرٰى أَنَّ

الشُّعُوبَ الَّتِي وَقَعَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ أُورُوبَّا ، كَالْمَجُوسِ وَالْبَرَاهِمَةِ فِي الصِّينِ وَالْهِنْدِ ، وَالزُّنُوجِ فِي أَفْرِيقِيَا ، أَفْقَرُ مِنَّا ؟ وَكَذَا أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُتْرَكُ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، مَا يَزِيدُ عَنِ الْقُوتِ الضَّرُورِيِّ ؛ فَإِمَّا يَسْرِقُهُ ظَلَمَةُ كُفَّارِ أُورُوبَّا ، أَوْ مُنَافِقُو آسِيَا ؛ وَإِمَّا يَغْتَصِبُونَهُ بِدَسَائِسِهِمْ . فَإِنْ كَانَتْ غَايَتُكُمْ فِي سَوْقِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، هٰكَذَا إِجْبَاراً ، إِلَى الْمَدَنِيَّةِ السَّاقِطَةِ الْمِيمِ ؛ هِيَ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ ، وَسُهُولَةَ الْإِدَارَةِ فِي الْبِلَادِ ؛ فَاعْلَمُوا قَطْعاً ، أَنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتَسُوقُونَ إِلَى طَرِيقٍ خَاطِئٍ ؛ لِأَنَّ إِدَارَةَ مِئَةِ فَاسِقٍ تَزَلْزَلَ اعْتِقَادُهُمْ ؛ وَفَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ ، وَتَأْمِينَ الْأَمْنِ بَيْنَهُمْ ، أَزْيَدُ إِشْكَالاً ، مِنْ إِدَارَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ ؛ فَبِنَاءً عَلَى هٰذِهِ الْأُسُسِ ، لَا يَحْتَاجُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ ، إِلَى السَّوْقِ وَالتَّشْوِيقِ إِلَى الدُّنْيَا وَإِلَى الْحِرْصِ ؛ وَلَا يُؤَسَّسُ أَمْنُهُمْ وَرُقِيُّهُمْ بِهٰذَا ؛ بَلْ إِنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَنْظِيمِ الْمَسَاعِي ، وَتَأْسِيسِ الْأَمْنِ بَيْنَهُمْ ، وَإِلَى تَسْهِيلِ دُسْتُورِ التَّعَاوُنِ ؛ وَهٰذَا الِاحْتِيَاجُ ، إِنَّمَا يَكُونُ بِأَوَامِرِ الدِّينِ الْقُدُسِيَّةِ ، وَبِالتَّقْوَى وَالصَّلَابَةِ الدِّينِيَّةِ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّامِنَةُ :

اِعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْكَسْلَانُ ، الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَا فِي السَّعْيِ وَالْعَمَلِ ، مِنَ اللَّذَّةِ وَالسَّعَادَةِ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَدْرَجَ مِنْ كَرَمِهِ ، مُكَافَأَةَ الْخِدْمَةِ ، فِي نَفْسِ الْخِدْمَةِ ؛ وَوَضَعَ أُجْرَةَ الْعَمَلِ ، فِي نَفْسِ الْعَمَلِ . فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ ، تَمْتَثِلُ الْمَوْجُودَاتُ ، حَتَّى الْجَامِدَاتُ أَيْضاً ، عَلَى تَقْدِيرٍ مَّا ، الْأَوَامِرَ الرَّبَّانِيَّةَ ، بِكَمَالِ الشَّوْقِ ، وَبِنَوْعٍ مِنَ اللَّذَّةِ ، فِي وَظَائِفِهَا الْخَاصَّةِ بِهَا ، الْمُعَبَّرِ عَنْهَا ، بِالْأَوَامِرِ التَّكْوِينِيَّةِ ؛ وَيَعْمَلُ كُلُّ شَيْءٍ ، مِنَ النَّحْلَةِ وَالذُّبَابَةِ وَالدَّجَاجَةِ ، إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، عَمَلَهُ ، بِكَمَالِ اللَّذَّةِ ؛ فَإِذاً إِنَّ فِي خِدْمَاتِهَا لَذَّةً ؛ فَلِذٰلِكَ تُؤَدِّي وَظَائِفَهَا ، مُكَمَّلَةً بِدُونِ التَّفَكُّرِ فِي الْعَوَاقِبِ وَالنَّتَائِجِ ؛ حَيْثُ لَا عَقْلَ لَهَا . .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّ اللَّذَّةَ مُمْكِنَةٌ فِي ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ الشَّوْقُ وَاللَّذَّةُ ، فِي الْجَمَادَاتِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْجَمَادَاتِ تَطْلُبُ شَرَفاً وَمَقَاماً ؛ وَتَتَحَرَّى كَمَالاً وَجَمَالاً وَانْتِظَاماً ،

بِحِسَابِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي تَتَجَلّٰى فِيهَا ، لَا بِحِسَابِ أَنْفُسِهَا ؛ وَتَتَنَوَّرُ وَتَرْتَقِي بِصَيْرُورَتِهَا مَعَاكِسَ وَمَرَايَا لِأَسْمَاءِ نُورِ الْأَنْوَارِ ، فِي امْتِثَالِ تِلْكَ الْوَظَائِفِ الْفِطْرِيَّةِ لَهَا ؛ فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الْمَاءِ ، وَذَرَّةً مِنَ الزُّجَاجِ ؛ وَهِيَ ، لَا ضِيَاءَ وَلَا قِيمَةَ لَهَا فِي ذَاتِهَا ؛ إِذَا تَوَجَّهَتْ بِقَلْبِهَا ، إِلَى الشَّمْسِ ؛ تَصِيرُ تِلْكَ الْقَطْرَةُ وَالْقِطْعَةُ الَّتِي لَا قِيمَةَ وَلَا ضِيَاءَ لَهَا ، نَوْعَ عَرْشٍ لِلشَّمْسِ ؛ وَتَبْتَسِمُ فِي وَجْهِكَ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، إِنَّ الذَّرَّاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، تَصْعَدُ مِنْ دَرَجَةٍ أَدْنٰى ، إِلٰى دَرَجَةٍ أَعْلٰى ، مِنَ الظُّهُورِ وَالتَّنَوُّرِ ، كَتِلْكَ الْقَطْرَةِ وَذَرَّةِ الزُّجَاجَةِ ، بِكَوْنِهَا مَرَايَا ، فِي جِهَةِ الْخِدْمَةِ ، لِأَسْمَاءِ الذَّاتِ ذِي الْجَلَالِ ، صَاحِبِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ ؛ فَإِذَا اتَّخَذَتْ مَقَاماً عَالِياً وَنَيِّراً ، فِي جِهَةِ الْوَظِيفَةِ ؛ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهَا تُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظَائِفَ ، بِغَايَةِ اللَّذَّةِ ؛ لَوْ كَانَتِ اللَّذَّةُ ، مُمْكِنَةً وَقَابِلَةً : أَيْ لَوْ كَانَتْ ذَاتَ حِصَصٍ ، مِنَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ . وَأَظْهَرُ دَلِيلٍ عَلٰى وُجُودِ اللَّذَّةِ ، فِي الْوَظِيفَةِ ، هُوَ خِدَمَاتُ أَعْضَائِكَ وَحَوَاسِّكَ ؛ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ؛ فَإِنَّ فِي خِدَمَاتِ كُلٍّ مِنْهَا ، الَّتِي تُؤَدِّيهَا لِبَقَاءِ الشَّخْصِ وَالنَّوْعِ ، لَذَائِذَ مُخْتَلِفَةً ؛ وَتَصِيرُ نَفْسُ الْخِدْمَةِ ، فِي حُكْمِ تَلَذُّذٍ لَهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ تَرْكَ الْخِدْمَةِ ، نَوْعُ عَذَابٍ لِذٰلِكَ الْعُضْوِ ؛ وَكَذَا أَنَّ أَظْهَرَ دَلِيلٍ عَلٰى ذٰلِكَ ، هُوَ الْأَحْوَالُ الْفِدَائِيَّةُ الْجَرِيئَةُ ، الَّتِي تُبْدِيهَا الْحَيَوَانَاتُ ، فِي وَظَائِفِهَا ، مِثْلُ الدِّيكِ وَالدَّجَاجَةِ ذَاتِ الْفُرُوجِ ؛ فَإِنَّ الدِّيكَ ، مَعَ كَوْنِهِ جَائِعاً ، يُرَجِّحُ الدَّجَاجَاتِ ، عَلٰى نَفْسِهِ ؛ فَيَدْعُوهُنَّ إِلٰى مَا وَجَدَهُ مِنَ الرِّزْقِ ؛ فَلَا يَأْكُلُهُ ؛ وَيُطْعِمُهُنَّ . وَيُشَاهَدُ مِنْ ذٰلِكَ الْحَالِ ، أَنَّهُ يُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظِيفَةَ ، بِاشْتِيَاقٍ وَافْتِخَارٍ وَتَلَذُّذٍ . فَإِذاً إِنَّ فِي تِلْكَ الْخِدْمَةِ ، لَذَّةً أَزْيَدَ مِنَ الْأَكْلِ ؛ وَكَذَا أَنَّ الدَّجَاجَةَ الرَّاعِيَةَ لِفَرَارِيجِهَا ، تُفْدِي رُوحَهَا لَهَا ؛ فَتَصُولُ عَلَى الْكَلْبِ لِأَجْلِهَا ؛ وَأَنَّهَا تَتْرُكُ نَفْسَهَا جَائِعَةً ؛ وَتُشْبِعُ فَرَارِيجَهَا ؛ فَإِذاً إِنَّهَا تَأْخُذُ لَذَّةً فِي تِلْكَ الْخِدْمَةِ ، تَزِيدُ عَلٰى أَلَمِ الْوَجَعِ ؛ وَتُرَجَّحُ عَلٰى أَلَمِ الْمَوْتِ ؛ وَأَنَّ الْوَالِدَاتِ الْحَيَوَانِيَّةَ تَحْمِي أَوْلَادَهَا بِاللَّذَّةِ ؛ وَهِيَ صَغِيرَةٌ ؛ وَذٰلِكَ ، لِوُجُودِ وَظِيفَتِهَا ؛ وَبَعْدَمَا كَبُرَتْ أَوْلَادُهَا ؛ تَرْتَفِعُ الْوَظِيفَةُ ؛ وَتَزُولُ اللَّذَّةُ ؛ فَتَضْرِبُ وَلَدَهَا ؛ وَتَأْخُذُ الْحَبَّةَ ، مِنْ يَدِهَا ؛ وَلٰكِنَّ الْوَالِدَاتِ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، تَدُومُ وَظَائِفُهَا بَعْضَ الدَّوَامِ ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي الْإِنْسَانِ ، نَوْعُ طُفُولَةٍ

دَائِماً ؛ وَيَحْتَاجُ إِلَى الشَّفَقَةِ ، كُلَّ وَقْتٍ ، بِاعْتِبَارِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ . فَانْظُرْ إِلٰى ذُكُورِ كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ الرُّعَاةِ كَالدِّيكِ ، وَإِلٰى أُمَّهَاتِهَا كَالدَّجَاجَةِ ؛ وَافْهَمْ أَنَّ هٰؤُلَاءِ لَا تُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظِيفَةَ ، بِحِسَابِهَا وَبِاسْمِهَا ، لِكَمَالِهَا ؛ لِأَنَّهَا تُفْدِي بِحَيَاتِهَا ؛ إِذَا لَزِمَتْ ؛ بَلْ إِنَّهَا تُؤَدِّي الْوَظَائِفَ ، بِحِسَابِ الْمُنْعِمِ الْكَرِيمِ ، وَبِاسْمِ الْفَاطِرِ الْجَلِيلِ ، الَّذِي وَظَّفَهَا بِتِلْكَ الْوَظَائِفِ ؛ وَأَدْرَجَ فِيهَا اللَّذَّةَ بِرَحْمَتِهِ ؛ وَكَذَا أَنَّ دَلِيلاً عَلٰى وُجُودِ الْأُجْرَةِ ، فِي نَفْسِ الْخِدْمَةِ ، هُوَ امْتِثَالُ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارِ ، لِأَوَامِرِ الْفَاطِرِ الْجَلِيلِ ، بِوَجْهٍ يُشْعِرُ بِالشَّوْقِ وَاللَّذَّةِ ؛ لِأَنَّ تَزَيُّنَهَا بِالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي تَنْشُرُهَا ، وَبِالْحُلِيِّ الَّتِي تَجْلِبُ أَنْظَارَ الْمُشْتَرِينَ إِلَيْهَا ، وَفِدَاءَهَا بِأَنْفُسِهَا ، لِسَنَابِلِهَا وَثِمَارِهَا ، إِلٰى أَنْ تَفْنٰى ؛ تُعْلِنُ لِأَهْلِ التَّدَبُّرِ : أَنَّ لَهَا مِنِ امْتِثَالِهَا لِأَمْرِ اللّٰهِ ، لَذَّةً تُهْلِكُ لَهَا أَنْفُسَهَا وَتُفْنِيهَا . فَانْظُرْ إِلَى الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، كَشَجَرَةِ التِّينِ ، وَشَجَرَةِ الْجَوْزِ الْهِنْدِيِّ ، الَّتِي تَحْمِلُ عَلٰى رَأْسِهَا ، مُعَلَّبَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ اللَّبَنِ ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُبُ بِلِسَانِ الْحَالِ ، عَنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، أَلْطَفَ غِذَاءٍ مِثْلِ اللَّبَنِ ؛ فَتَأْخُذُهُ وَتُطْعِمُهُ ثِمَارَهَا ؛ وَهِيَ تَأْكُلُ الطِّينَ ؛ وَإِنَّ شَجَرَةَ الرُّمَّانِ تَأْخُذُ شَرَاباً صَافِياً ، مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ وَتُطْعِمُهُ ثَمَرَتَهَا ؛ وَهِيَ تَقْنَعُ بِمَاءٍ كَدِرٍ حَمِيءٍ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُرٰى فِي الْحُبُوبَاتِ أَيْضاً ، اشْتِيَاقٌ ظَاهِرٌ ، فِي وَظِيفَةِ التَّسَنْبُلِ ؛ فَكَمَا أَنَّ مَنْ سُجِنَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ ، يَطْلُبُ بِاشْتِيَاقٍ ، الْخُرُوجَ إِلٰى بُسْتَانٍ وَمَكَانٍ وَاسِعٍ ؛ كَذٰلِكَ يُشَاهَدُ فِي الْحُبُوبَاتِ ، اشْتِيَاقٌ وَحَالٌ مُسِرٌّ ، فِي وَظِيفَةِ التَّسَنْبُلِ . **فَمِنْ هٰذَا الدُّسْتُورِ الْمَدِيدِ ذِي الْأَسْرَارِ ، الْجَارِي فِي الْكَائِنَاتِ ، وَالْمُعَبَّرِ عَنْهُ ، بِسُنَّةِ اللّٰهِ ، يُعَانِي الْكُسَالٰى وَالْعَاطِلُونَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ بِالِاسْتِرَاحَةِ ؛ وَيَسْتَلْقُونَ فِي فِرَاشِ الرَّاحَةِ ، يُعَانُونَ الْمِحْنَةَ وَالْمَشَقَّةَ ، أَزْيَدَ مِنَ السَّاعِينَ الْعَامِلِينَ ؛ لِأَنَّ الْعَاطِلِينَ يَشْتَكُونَ دَائِماً عَنْ عُمْرِهِمْ ؛ فَيَطْلُبُونَ انْقِضَاءَهُ فَوْراً ، بِالْمَلَاهِي . وَأَمَّا السَّاعِي وَالْعَامِلُ ، فَهُوَ شَاكِرٌ وَحَامِدٌ ؛ وَلَا يَطْلُبُ زَوَالَ عُمْرِهِ . وَقَوْلُهُمْ : (الْمُسْتَرِيحُ الْعَاطِلُ ، شَاكٍ مِنْ عُمْرِهِ ؛ وَالسَّاعِي الْعَامِلُ ، شَاكِرٌ) ، دُسْتُورٌ كُلِّيٌّ . وَبِذٰلِكَ السِّرِّ أَيْضاً سَارَتْ جُمْلَةُ «الرَّاحَةُ فِي الْمِحْنَةِ ؛ وَالْمِحْنَةُ فِي الرَّاحَةِ» ، ضَرْبَ مَثَلٍ . نَعَمْ :** إِذَا نُظِرَ بِالتَّدَبُّرِ إِلَى الْجَمَادَاتِ ؛ يُرٰى أَنَّ مَا لَمْ يَنْكَشِفْ ؛ وَبَقِيَ نَاقِصاً ،

فِي جِهَةِ الاِسْتِعْدَادِ ، وَالْقَبُولِ بِالْقُوَّةِ ، يَنْبَسِطُ بِجُهْدٍ وَسَعْيٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَيَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ ، إِلٰى حَالِ الْفِعْلِ ؛ وَيُرٰى فِي ذٰلِكَ طَوْرٌ ، بِدُسْتُورِ السُّنَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ ؛ يُشِيرُ ذٰلِكَ الطَّوْرُ ، إِلٰى أَنَّ فِي تِلْكَ الْوَظِيفَةِ الْفِطْرِيَّةِ شَوْقاً ؛ وَفِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ لَذَّةً . فَإِذَا كَانَ لِذٰلِكَ الْجَامِدِ ، نَصِيبٌ مِنَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ ؛ يَكُونُ الشَّوْقُ عَائِداً إِلَيْهِ . وَإِلَّا يَعُودُ إِلٰى مَا هُوَ نَاظِرٌ وَمُمَثِّلٌ لِذٰلِكَ الْجَامِدِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ بِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ : إِنَّ الْمَاءَ اللَّطِيفَ النَّحِيفَ ، إِذَا تَلَقّٰى أَمْرَ الاِنْجِمَادِ ؛ يَمْتَثِلُ ذٰلِكَ الْأَمْرَ ، بِشَوْقٍ شَدِيدٍ يَشُقُّ الْحَدِيدَ وَيُمَزِّقُهُ ؛ فَإِذاً إِنَّ الْمَاءَ فِي الْإِنَاءِ الْحَدِيدِ الْمَسْدُودِ الْفَمِ ، حِينَمَا يُبَلَّغُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ ، بِلِسَانِ الْبُرُودَةِ تَحْتَ الصِّفْرِ ، بِقَوْلِهَا : «تَوَسَّعْ» ؛ يَشُقُّ إِنَاءَهُ ؛ وَيُمَزِّقُ الْحَدِيدَ ، بِشِدَّةِ الشَّوْقِ ؛ وَيَصِيرُ هُوَ نَفْسُهُ جَمَداً ؛ وَهٰكَذَا قِسْ كُلَّ شَيْءٍ ، عَلٰى هٰذَا ؛ فَكُلُّ سَعْيٍ وَحَرَكَةٍ فِي الْكَائِنَاتِ ، مِنْ دَوَرَانِ الشُّمُوسِ ، وَسَيْرِهَا وَسِيَاحَتِهَا ، إِلَى اهْتِزَازِ الذَّرَّاتِ ، وَتَحَوُّلِهَا وَدَوَرَانِهَا كَالْمَوْلَوِيِّ ؛ يَجْرِي عَلٰى قَانُونِ الْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَيَصْدُرُ عَنْ يَدِ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيَظْهَرُ بِالْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ الْمُتَضَمِّنِ لِلْإِرَادَةِ وَالْأَمْرِ وَالْعِلْمِ ؛ حَتّٰى إِنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ ، وَكُلَّ مَوْجُودٍ ، وَكُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، يُشْبِهُ مُجَنَّداً ؛ فَكَمَا أَنَّ لِذٰلِكَ الْمُجَنَّدِ ، وَظَائِفَ وَنِسَباً مُخْتَلِفَةً ، فِي الْجَيْشِ وَفِي الدَّوَائِرِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ ، وَكُلَّ ذِي حَيَاةٍ أَيْضاً ، كَذٰلِكَ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ لِذَرَّةٍ فِي عَيْنِكَ نِسَباً ؛ وَلَهَا وَظَائِفَ حَسَبَ تِلْكَ النِّسَبِ ؛ وَفَوَائِدَ حَسَبَ تِلْكَ الْوَظَائِفِ ، فِي خَلِيَّةِ الْعَيْنِ ، وَفِي الْعَيْنِ ، وَفِي أَعْصَابِ الْوَجْهِ ، وَفِي شَرَايِينِ الْبَدَنِ ؛ وَهٰكَذَا فَقِسْ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهَا ؛ فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا ، يَشْهَدُ كُلُّ شَيْءٍ ، عَلٰى وُجُودِ قَدِيرٍ أَزَلِيٍّ ، بِجِهَتَيْنِ . .

إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلٰى وُجُودِ ذٰلِكَ الْقَدِيرِ ، بِلِسَانِ الْعَجْزِ الْمُطْلَقِ ، فِي أَدَائِهِ وَظَائِفَ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، بِآلَافِ الدَّرَجَاتِ . .

وَالثَّانِيَةُ : هِيَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَشْهَدُ عَلٰى ذٰلِكَ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ ، بِتَوْفِيقِ حَرَكَاتِهِ ، مَعَ دَسَاتِيرَ تُشَكِّلُ نِظَامَ الْعَالَمِ ، وَمَعَ قَوَانِينَ تُدِيمُ مُوَازَنَةَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ لِأَنَّ جَامِداً مِثْلَ الذَّرَّةِ ، وَحَيَوَاناً صَغِيراً كَالنَّحْلَةِ ، لَا يَعْلَمَانِ النِّظَامَ وَالْمِيزَانَ اللَّذَيْنِ هُمَا مَسْأَلَتَانِ دَقِيقَتَانِ

وَمُهِمَّتَانِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ؛ فَأَيْنَ ذَرَّةٌ جَامِدَةٌ ، وَحَيَوَانٌ صَغِيرٌ مِثْلُ النَّحْلَةِ ؛ وَأَيْنَ قِرَاءَةُ الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ الْمُهِمَّةِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ الَّذِي يَكُونُ بِيَدِ مَوْلًى ذِي جَلَالٍ ، يَفْتَحُ طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ ؛ وَيَسُدُّهَا وَيَطْوِيهَا كَصَفَحَاتِ السِّجِلِّ ؟ . فَإِنْ جُنِنْتَ وَتَوَهَّمْتَ أَنَّ فِي الذَّرَّةِ عَيْناً تَقْرَأُ الْحُرُوفَ الدَّقِيقَةَ ، مِنْ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ؛ يُمْكِنُ أَنْ تَسْعٰى لِرَدِّ شَهَادَةِ تِلْكَ الذَّرَّةِ . **نَعَمْ : إِنَّ الْفَاطِرَ الْحَكِيمَ ، يُجْمِلُ دَسَاتِيرَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ؛ وَيُدْرِجُهَا فِي لَذَّةٍ خَاصَّةٍ ، وَفِي احْتِيَاجٍ مَخْصُوصٍ ، بِشَكْلٍ جَمِيلٍ ، وَبِوَجْهٍ مُخْتَصَرٍ . فَإِذَا عَمِلَ كُلُّ شَيْءٍ ، بِلَذَّةٍ خَاصَّةٍ ، وَبِاحْتِيَاجٍ مَخْصُوصٍ كَذٰلِكَ ؛ يَمْتَثِلُ دَسَاتِيرَ ذٰلِكَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ؛** فَمَثَلاً : إِنَّ الْبَعُوضَ الْحَادَّ الْخُرْطُومِ ، إِذَا وُلِدَ ؛ يَخْرُجُ عَنْ بَيْتِهِ ؛ وَلَا يَقِفُ ؛ فَيُهَاجِمُ عَلٰى وَجْهِ الْإِنْسَانِ ؛ وَيَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ الطَّوِيلَةِ ؛ وَيُفَجِّرُ مَاءَ الْحَيَاةِ ؛ فَيَشْرَبُهُ ؛ وَيُظْهِرُ فِي الْفَرِّ عَنِ الْكَرِّ ، مَهَارَةً كَأَرْكَانِ الْحَرْبِ ؛ فَيَا لَلْعَجَبِ ! مَنْ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ هٰذَا الْمَخْلُوقَ الصَّغِيرَ ، غَيْرَ الْمُدَرَّبِ ، الْآتِيَ إِلَى الدُّنْيَا ، عَنْ جَدِيدٍ ، هٰذِهِ الصَّنْعَةَ ، وَفَنَّ الْحَرْبِ ، وَصَنْعَةَ تَفْجِيرِ الْمَاءِ ، وَمِنْ أَيْنَ تَعَلَّمَ ؟ . وَإِنِّي : أَيْ هٰذَا «**السَّعِيدَ الْبَائِسَ**» ، أَعْتَرِفُ أَنَّنِي لَوْ كُنْتُ فِي مَكَانِ ذٰلِكَ الْبَعُوضِ صَاحِبِ الْخُرْطُومِ ؛ لَمَا تَعَلَّمْتُ هٰذِهِ الصَّنْعَةَ ، وَحَرْبَ الْكَرِّ وَالْفَرِّ ، وَخِدْمَةَ تَفْجِيرِ الْمَاءِ ، إِلَّا بِدُرُوسٍ طَوِيلَةٍ ، وَبِتَجَارِبَ عَدِيدَةٍ كَثِيرَةٍ . فَقِسْ عَلٰى هٰذَا الْبَعُوضِ ، الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي هِيَ مَظْهَرٌ لِلْإِلْهَامِ ، كَالنَّحْلِ وَالْعَنْكَبُوتِ ، وَالْبُلْبُلِ الَّذِي يَصْنَعُ وَكْرَهُ كَالْجَوْرَبِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ تَقِيسَ النَّبَاتَاتِ أَيْضاً ، عَلَى الْحَيَوَانَاتِ نَفْسِهَا . **نَعَمْ : إِنَّ الْجَوَادَ الْمُطْلَقَ (جَلَّ جَلَالُهُ) ، أَعْطٰى تَذْكِرَةً مَكْتُوبَةً بِمِدَادِ اللَّذَّةِ ، وَبِحِبْرِ الِاحْتِيَاجِ ، بِيَدِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَوَدَّعَ فِيهَا إِلَيْهِ ، مَنْهَجَ الْأَوَامِرِ التَّكْوِينِيَّةِ ، وَفِهْرِسَ خِدَمَاتِهِ . فَانْظُرْ إِلٰى ذٰلِكَ الْحَكِيمِ الْجَلِيلِ ، كَيْفَ كَتَبَ مَا يَعُودُ إِلٰى وَظِيفَةِ النَّحْلِ ، مِنْ دَسَاتِيرِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، فِي وَرَقَةٍ ؛ وَوَضَعَهَا فِي صُنْدُوقَةٍ فِي رَأْسِ النَّحْلِ ؛ وَإِنَّ مِفْتَاحَ تِلْكَ الصُّنْدُوقَةِ ، لَذَّةٌ خَاصَّةٌ بِالنَّحْلِ الْمُوَظَّفِ ؛ فَيَفْتَحُ بِهَا الصُّنْدُوقَ ؛ وَيَقْرَأُ مَنْهَجَهُ ؛ وَيَفْهَمُ الْأَمْرَ ؛ فَيَتَحَرَّكُ ؛ وَيُظْهِرُ سِرَّ آيَةِ ﴿وَأَوْحٰى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾** . .

فَإِنْ سَمِعْتَ هٰذِهِ الْمُذَكِّرَةَ الثَّامِنَةَ كُلَّهَا ؛ وَفَهِمْتَهَا جَمِيعاً ؛ تَعْلَمُ بِحَدْسٍ إِيمَانِيٍّ ، سِرّاً مِنْ أَسْرَارِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، وَحَقِيقَةً مِنْ حَقَائِقِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ، وَدُسْتُوراً مِنْ دَسَاتِيرِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، وَنُكْتَةً مِنْ نِكَاتِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ التَّاسِعَةُ :

اِعْلَمْ أَنَّ النُّبُوَّةَ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، خُلَاصَةٌ وَأَسَاسٌ لِلْخَيْرِ وَالْكَمَالَاتِ فِي الْبَشَرِ ؛ وَأَنَّ الدِّينَ الْحَقَّ ، مُجْمَلُ السَّعَادَةِ ؛ وَأَنَّ الْإِيمَانَ ، حُسْنٌ مُنَزَّهٌ وَمُجَرَّدٌ . فَإِذَا كَانَ يُشَاهَدُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ حُسْنٌ لَامِعٌ ، وَخَيْرٌ عَالٍ وَوَاسِعٌ ، وَحَقٌّ ظَاهِرٌ ، وَكَمَالٌ فَائِقٌ ؛ يَكُونُ الْحَقُّ وَالْحَقِيقَةُ ، فِي النُّبُوَّةِ ، وَبِيَدِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَيَكُونُ الضَّلَالُ وَالشَّرُّ وَالْخُسْرَانُ ، فِي مُخَالِفِهَا . فَانْظُرْ إِلٰى هٰذَا الْحُسْنِ فَقَطْ ، مِنْ آلَافِ مَحَاسِنِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ النَّبِيَّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، يُوَحِّدُ قُلُوبَ الْمُوَحِّدِينَ ، فِي صَلَاةِ الْعِيدِ وَالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ وَيَجْمَعُ أَلْسِنَتَهُمْ ، فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِجِهَةِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ بِحَيْثُ يُقَابِلُ هٰذَا الْإِنْسَانُ ، عَظَمَةَ خِطَابِ الْمَعْبُودِ الْأَزَلِيِّ ، بِأَصْوَاتٍ وَدَعَوَاتٍ وَأَذْكَارٍ ، تَخْرُجُ عَنْ قُلُوبٍ وَأَلْسِنَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَتَتَسَانَدُ تِلْكَ الْأَصْوَاتُ وَالدَّعَوَاتُ وَالْأَذْكَارُ ، مُتَعَاوِنَةً وَمُتَّفِقَةً ؛ وَتُظْهِرُ إِزَاءَ أُلُوهِيَّةِ الْمَعْبُودِ الْأَزَلِيِّ ، عُبُودِيَّةً عَلٰى صُورَةٍ وَاسِعَةٍ ؛ كَأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ نَفْسَهَا ، تَذْكُرُ ذٰلِكَ الذِّكْرَ ؛ وَتَدْعُو ذٰلِكَ الدُّعَاءَ ؛ وَتُصَلِّي بِأَقْطَارِهَا ؛ وَتَمْتَثِلُ بِأَطْرَافِهَا ، أَمْرَ ﴿أَقِيمُوا الصَّلٰوةَ﴾ ، النَّازِلَ بِالْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ ، مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ ؛ فَيُصْبِحُ هٰذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي هُوَ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ وَصَغِيرٌ كَالذَّرَّةِ ، بَيْنَ الْكَائِنَاتِ ، عَبْداً مَحْبُوباً لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَخَلِيفَةَ الْأَرْضِ وَسُلْطَانَهَا ، وَنَتِيجَةَ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ وَغَايَتَهَا ، بِجِهَةِ عَظَمَةِ عُبُودِيَّتِهِ ، بِسِرِّ هٰذَا الِاتِّحَادِ . نَعَمْ : إِنَّ أَصْوَاتَ مِئَاتِ الْمَلَايِينِ مِنَ النَّاسِ ، الَّذِينَ يُكَبِّرُونَ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، دُبُرَ الصَّلَوَاتِ ، وَلَاسِيَّمَا فِي صَلَوَاتِ الْأَعْيَادِ ؛ لَوِ اجْتَمَعَتْ مُتَّحِدَةً ،

فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ أَيْضاً ؛ كَمَا تَتَّحِدُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ لَأَصْبَحَ قَوْلُ أُولاَئِكَ الْمُوَحِّدِينَ : (اللهُ أَكْبَرُ) ، بِاتِّحَادِهِمْ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، بِمَثَابَةِ تَكْبِيرَةٍ عَظِيمَةٍ ، لِكُرَةِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّهُ تُسَاوِي تِلْكَ التَّكْبِيرَةُ ، تَكْبِيرَةَ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ لَوْ أَصْبَحَتْ بِكُلِّيَّتِهَا ، إِنْسَاناً كَبِيراً ؛ وَقَالَتْ : (اللهُ أَكْبَرُ) ، بِصَوْتٍ كَبِيرٍ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى كِبَرِهَا ؛ فَكَأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ ، تُصْبِحُ مَظْهَراً لِزَلْزَلَتِهَا الْكُبْرٰى ، بِأَذْكَارِ عَالَمِ الْإِسْلاَمِ وَتَسْبِيحَاتِهِمْ ، فِي صَلَوَاتِ الْأَعْيَادِ ؛ فَتُكَبِّرُ بِأَقْطَارِهَا وَأَطْرَافِهَا ؛ وَتَنْوِي بِصَمِيمِ قَلْبِ الْكَعْبَةِ الْمُكَرَّمَةِ الَّتِي هِيَ قِبْلَتُهَا ؛ وَتُكَبِّرُ بِفَمِ مَكَّةَ ، وَبِلِسَانِ عَرَفَاتٍ ؛ فَتَتَمَثَّلُ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ ، فِي هَوَاءِ كُهُوفِ أَفْوَاهِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ؛ وَتَصْدُرُ مِنْهَا تَكْبِيرَاتٌ لاَ حَدَّ لَهَا ، بِانْعِكَاسِ تَكْبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كَمَا يُصَوِّتُ ذٰلِكَ الذِّكْرُ ، وَتِلْكَ التَّكْبِيرَةُ الْمَقْبُولَةُ ، السَّمَاوَاتِ أَيْضاً ؛ وَتَنْعَكِسُ مُتَمَوِّجَةً فِي عَوَالِمِ الْبَرْزَخِ . .

فَنَحْنُ نَحْمَدُ وَنُسَبِّحُ وَنُكَبِّرُ ، بِعَدَدِ ذَرَّاتِ الْأَرْضِ ، الذَّاتَ ذَا الْجَلاَلِ ، الَّذِي جَعَلَ هٰذِهِ الْأَرْضَ ، هٰكَذَا سَاجِدَةً وَعَابِدَةً لَهُ ، وَمَسْجِداً لِعِبَادِهِ ، وَمَهْداً لِمَخْلُوقَاتِهِ ، وَمُسَبِّحَةً وَمُكَبِّرَةً لَهُ ؛ وَنَحْمَدُهُ بِعَدَدِ مَوْجُودَاتِهَا ، عَلٰى أَنْ جَعَلَنَا أُمَّةً لِرَسُولِهِ الْأَكْرَمِ (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) ، الَّذِي عَلَّمَنَا هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الْعَاشِرَةُ :

اِعْلَمْ أَيُّهَا «السَّعِيدُ» الْغَافِلُ الْمُشَوَّشُ ! أَنَّ النَّظَرَ وَالْوُصُولَ إِلٰى نُورِ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالٰى ، وَرُؤْيَةَ جَلَوَاتِ اللهِ ، فِي مَرَايَا الْآيَاتِ وَالشَّوَاهِدِ ، وَالتَّفَرُّجَ عَلَيْهَا ، بِمَسَامَّاتِ الْبَرَاهِينِ وَالدَّلاَئِلِ ، تَقْتَضِي أَنْ لاَ تَجُسَّ كُلَّ نُورٍ يَمُرُّ عَلَيْكَ ؛ وَيَرِدُ عَلٰى قَلْبِكَ ؛ وَيُرٰى لِعَقْلِكَ ، بِأَصَابِعِ الاِنْتِقَادِ ؛ وَلاَ تَنْتَقِدَهُ بِيَدِ التَّرَدُّدِ ؛ وَلاَ تَمُدَّ يَدَكَ ، لِإِمْسَاكِ نُورٍ أَضَاءَ لَكَ ؛ بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَتَجَرَّدَ عَنْ أَسْبَابِ الْغَفْلَةِ ؛ وَتَتَوَجَّهَ إِلٰى تِلْكَ الْأَنْوَارِ ؛ وَتَقِفَ ؛ فَإِنِّي شَاهَدْتُ شَوَاهِدَ مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَبَرَاهِينَهَا ، عَلٰى ثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ . .

فَنَوْعٌ مِنْهَا ، كَالْمَاءِ ، يُرٰى وَيُحَسُّ ؛ وَلٰكِنْ لاَ يُمْسَكُ بِالْأَصَابِعِ ؛ فَتَجَرَّدْ فِي هٰذَا

الْقِسْمِ ، عَنِ الْخَيَالَاتِ ؛ وَخُضْ فِيهِ بِكُلِّيَّتِكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُجَسُّ بِأَصَابِعِ الاِنْتِقَادِ ؛ فَإِذَا جُسَّ ؛ يَهْرُبُ ؛ وَلَا يَتَّخِذُ مَاءُ الْحَيَاةِ ذَاكَ ، الْإِصْبعَ ، مَكَاناً لَهُ . .

وَالنَّوْعُ الثَّانِي : كَالْهَوَاءِ ، يُحَسُّ ؛ وَلٰكِنْ لَا يُرىٰ ؛ وَلَا يُمْسَكُ ؛ فَتَوَجَّهْ إِلَى نَسِيمِ الرَّحْمَةِ ذَاكَ ، بِوَجْهِكَ وَفَمِكَ ؛ وَقَابِلْهُ وَلَا تَمُدَّ إِلَيْهِ يَدَ الاِنْتِقَادِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تُمْسِكُهُ ؛ وَتَنَفَّسْهُ بِرُوحِكَ . وَإِذَا فَحَصْتَهُ بِيَدِ التَّرَدُّدِ ؛ وَأَلْقَيْتَ إِلَيْهِ يَدَ الاِنْتِقَادِ ؛ يَجْرِي وَيَسِيلُ ؛ وَلَا يَتَّخِذُ يَدَكَ ، مَسْكَناً لَهُ ؛ وَلَا يَرْضَى بِهَا . .

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّالِثُ : فَهُوَ كَالنُّورِ ، يُرىٰ ؛ وَلٰكِنْ لَا يُحَسُّ ؛ وَلَا يُمْسَكُ ؛ فَقَابِلْهُ بِبَصَرِ قَلْبِكَ ، وَبِنَظَرِ رُوحِكَ ؛ وَوَجِّهْ إِلَيْهِ عَيْنَكَ ؛ وَانْظُرْ ؛ فَلَعَلَّهُ يَأْتِي بِنَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ النُّورَ لَا يُمْسَكُ بِالْيَدِ ؛ وَلَا يُصَادُ بِالْأَصَابِعِ ؛ بَلْ إِنَّمَا يُصَادُ ذٰلِكَ النُّورُ ، بِنُورِ الْبَصِيرَةِ . وَإِذَا مَدَدْتَ إِلَيْهِ بِيَدِكَ الْحَرِيصَةِ الْمَادِّيَّةِ ؛ وَوَزَنْتَهُ بِالْمَوَازِينِ الْمَادِّيَّةِ ؛ يَخْتَفِي ؛ إِنْ لَمْ يَنْطَفِئْ ؛ لِأَنَّ مِثْلَ ذٰلِكَ النُّورِ ، لَا يَرْضَى بِالْحَبْسِ فِي الْمَادِّيِّ ؛ كَمَا لَا يَدْخُلُ الْقَيْدَ ؛ وَلَا يَقْبَلُ الْكَثِيفَ ، مَالِكاً وَسَيِّداً لَهُ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :

اِعْلَمْ أَنَّ فِي إِفَادَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، شَفَقَةً وَرَحْمَةً كَثِيرَةً ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْمُخَاطَبِينَ ، هُمْ جُمْهُورُ الْعَوَامِّ ؛ وَأَذْهَانُهُمْ بَسِيطَةٌ ؛ وَأَنْظَارُهُمْ لَا تَرَى أَشْيَاءَ دَقِيقَةً ؛ فَلِذٰلِكَ يُكَرِّرُ الْقُرْآنُ ، مَا كُتِبَ عَلَى صَفَحَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِنَ الْآيَاتِ ؛ وَيُقرِئُ تِلْكَ الْحُرُوفَ الْكَبِيرَةَ ، بِالسُّهُولَةِ ، رِعَايَةً لِبَسَاطَةِ أَفْكَارِهِمْ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّهُ يُدَرِّسُ مَا يُقْرَأُ وَيُشَاهَدُ بِالْبَدَاهَةِ ، مِنَ الْآيَاتِ ، كَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِنْزَالِ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ ، وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ ؛ وَقَلَّمَا يُحَوِّلُ النَّظَرَ ، إِلَى الْآيَاتِ الدَّقِيقَةِ ، الْمَسْطُورَةِ بِالْأَحْرُفِ الصَّغِيرَةِ ، فِي تِلْكَ الْحُرُوفِ الْكَبِيرَةِ ؛ حَتَّى لَا يَشُقَّ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَذَا أَنَّ فِي أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ ، جَزَالَةً وَسَلَاسَةً ، وَحَالَةً فِطْرِيَّةً ؛ كَأَنَّ الْقُرْآنَ ، حَافِظٌ يَتْلُو مَا سُطِرَتْ بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ ، عَلَى صَفَحَاتِ الْكَائِنَاتِ ، مِنَ

الْآيَاتِ ؛ وَكَأَنَّهُ قِرَآءَةُ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ ، وَتِلاوَةُ نِظَامَاتِهَا ؛ وَيَقْرَأُ شُؤُونَ النَّقَّاشِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَيَكْتُبُ أَفْعَالَهُ . فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرى هٰذِهِ الْجَزَالَةَ الْبَيَانِيَّةَ ؛ فَاسْتَمِعْ بِقَلْبٍ مُتَيَقِّظٍ وَمُتَدَبِّرٍ ، إِلٰى أَمْثَالِ سُورَةِ (عَمَّ) ؛ وَآيَةِ : ﴿قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ :

اِعْلَمُوا يَا أَحْبَابِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ إِلٰى هٰذِهِ الْمُذَكِّرَاتِ ! أَنَّ سَبَبَ كِتَابَتِي أَحْيَاناً ، عَلٰى خِلافِ الْعَادَةِ ، تَضَرُّعَ قَلْبِي ، وَابْتِهَالَهُ وَمُنَاجَاتَهُ أَمَامَ رَبِّيَ ، اللّازِمِ إِخْفَاؤُهَا ، هُوَ الرَّجَاءُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالٰى ، أَنْ يَتَقَبَّلَ نُطْقَ كِتَابِي ، بَدَلاً عَنْ لِسَانِي ، حِينَمَا يُسْكِتُ الْمَوْتُ لِسَانِي . نَعَمْ : إِنَّ تَوْبَةَ لِسَانِيَ الْفَانِي ، وَنَدَامَتَهُ فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ ، لا تَكْفِي أَنْ تَكُونَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِيَ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ؛ وَإِنَّ لِسَانَ الْكِتَابِ الثَّابِتَ الدَّائِمَ بَعْضَ دَوَامٍ ، أَنْفَعُ لِهٰذَا الْعَمَلِ . وَقَدْ كُتِبَتْ هٰذِهِ الْمُنَاجَاةُ وَالتَّضَرُّعُ الْعَرَبِيُّ ، حِينَمَا انْتَبَهْتُ بِصَبَاحِ الشَّيْبِ ، عَنْ نَوْمِ غَفْلَةِ الشَّبَابِ ؛ وَانْقَلَبَ ضَحِكُ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» بِبُكَاءِ «السَّعِيدِ الْجَدِيدِ» ، عَلٰى أَثَرِ عَاصِفَةٍ رُوحِيَّةٍ مُضْطَرِبَةٍ ، قَبْلَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً(١) . . وَمَآلُ قِسْمٍ مِنْهَا بِالتُّرْكِيَّةِ هٰكَذَا :(٢)

يَا رَبِّيَ الرَّحِيمَ ، وَيَا إِلٰهِيَ الْكَرِيمَ ! قَدْ ضَاعَ بِسُوءِ اخْتِيَارِي ، عُمْرِي وَشَبَابِي ؛ وَمَا بَقِيَ مِنْ ثَمَرَاتِهِمَا ، إِلّا آثَامٌ مُؤْلِمَةٌ مُذِلَّةٌ ، وَآلامٌ مُضِرَّةٌ وَمُضِلَّةٌ ، وَوَسَاوِسُ مُزْعِجَةٌ وَمُعْجِزَةٌ ؛ وَأَنَا ، بِهٰذَا الْحِمْلِ الثَّقِيلِ ، وَالْقَلْبِ الْعَلِيلِ ، وَالْوَجْهِ الْخَجِيلِ ، مُتَقَرِّبٌ بِالْمُشَاهَدَةِ ، بِكَمَالِ السُّرْعَةِ ، بِلَا انْحِرَافٍ ، وَبِلا اخْتِيَارٍ ، كَآبَائِي وَأَحْبَابِي ، وَأَقَارِبِي وَأَقْرَانِي ، إِلٰى بَابِ الْقَبْرِ بَيْتِ الْوَحْدَةِ وَالانْفِرَادِ ، فِي طَرِيقِ أَبَدِ الْآبَادِ ، لِلْفِرَاقِ الْأَبَدِيِّ ، مِنْ هٰذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ الْهَالِكَةِ بِالْيَقِينِ ، وَالْآفِلَةِ الرَّاحِلَةِ بِالْمُشَاهَدَةِ ، وَلاسِيَّمَا الْغَدَّارَةِ الْمَكَّارَةِ ، لِمِثْلِي ذِي النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ . .

فَيَا رَبِّيَ الرَّحِيمَ ، وَيَا رَبِّيَ الْكَرِيمَ ! أَرَانِي عَنْ قَرِيبٍ ، لَبِسْتُ كَفَنِي ؛ وَرَكِبْتُ

---

(١) وَالْآنَ صَارَ أَرْبَعِينَ عَاماً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . . (٢) وَقَدْ تَرْجَمْنَا الْمُتَرْجَمَ أَيْضاً . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (رضي الله عنه) . .

تَابُوتِي ؛ وَوَدَّعْتُ أَحْبَابِي ؛ وَتَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ قَبْرِي ؛ فَأُنَادِي فِي بَابِ رَحْمَتِكَ : الْأَمَانَ الْأَمَانَ ، يَا حَنَّانُ ، يَا مَنَّانُ ! نَجِّنِي مِنْ خَجَالَةِ الْعِصْيَانِ ؛ آهٍ ! كَفَنِي عَلَى عُنُقِي ؛ وَأَنَا قَائِمٌ عِنْدَ رَأْسِ قَبْرِي ؛ أَرْفَعُ رَأْسِي إِلَى بَابِ رَحْمَتِكَ ؛ أُنَادِي : الْأَمَانَ الْأَمَانَ ، يَا رَحْمٰنُ ، يَا حَنَّانُ ! خَلِّصْنِي مِنْ خَجَالَةِ الْعِصْيَانِ ؛ آهٍ ! أَنَا مُلْتَفٌّ بِكَفَنِي ، وَسَاكِنٌ فِي قَبْرِي ؛ وَتَرَكَنِي الْمُشَيِّعُونَ ؛ وَأَنَا مُنْتَظِرٌ لِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ، وَمُشَاهِدٌ بِأَنْ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى ، إِلَّا إِلَيْكَ ؛ وَأُنَادِي : الْأَمَانَ الْأَمَانَ ، مِنْ ضِيقِ الْمَكَانِ ، وَمِنْ وَحْشَةِ الْعِصْيَانِ ، وَمِنْ قُبْحِ وَجْهِ الْآثَامِ ؛ يَا رَحْمٰنُ ، يَا حَنَّانُ ، يَا مَنَّانُ ، يَا دَيَّانُ ! نَجِّنِي مِنْ رَفَاقَةِ الذُّنُوبِ وَالْعِصْيَانِ . .

إِلٰهِي ! رَحْمَتُكَ مَلْجَئِي وَوَسِيلَتِي ؛ وَإِلَيْكَ أَرْفَعُ بَثِّي وَحُزْنِي وَشِكَايَتِي ؛ يَا خَالِقِي الْكَرِيمَ ، وَيَا رَبِّيَ الرَّحِيمَ ، وَيَا سَيِّدِي ، يَا مَوْلَايَ ! مَخْلُوقُكَ وَمَصْنُوعُكَ ، وَعَبْدُكَ الْعَاصِي الْعَاجِزُ ، الْغَافِلُ الْجَاهِلُ ، الْعَلِيلُ الذَّلِيلُ ، الْمُسِيءُ الْمُسِنُّ ، الشَّقِيُّ الْآبِقُ ، قَدْ عَادَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، إِلَى بَابِكَ ، مُلْتَجِئاً إِلَى رَحْمَتِكَ ، مُعْتَرِفاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطِيئَاتِ ، مُبْتَلًى بِالْأَوْهَامِ وَالْأَسْقَامِ مُتَضَرِّعاً ؛ فَإِنْ تَقْبَلْ وَتَغْفِرْ وَتَرْحَمْ ؛ فَأَنْتَ لِذَاكَ أَهْلٌ ؛ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ؛ وَإِلَّا فَأَيُّ بَابٍ يُقْصَدُ ، غَيْرُ بَابِكَ ؛ وَأَنْتَ الرَّبُّ الْمَقْصُودُ ، وَالْحَقُّ الْمَعْبُودُ ؛ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحْدَكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ . .

آخِرُ الْكَلَامِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَوَّلُ الْكَلَامِ فِي الْآخِرَةِ ، وَفِي الْقَبْرِ : «أَشْهَدُ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ؛ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ :

خَمْسُ مَسَائِلَ أَصْبَحَتْ مَدَارَ الِالْتِبَاسِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : أَنَّ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ وَيَسْعَوْنَ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ ، كَانَ اللَّازِمُ عَلَيْهِمْ ، أَنْ يَتَصَوَّرُوا وَظَائِفَهُمْ فَقَطْ ؛ فَقَدْ يَتَصَوَّرُونَ أَحْيَاناً شَأْنَ اللهِ تَعَالَى ؛ فَيَبْنُونَ أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِ ؛ فَيَقَعُونَ فِي الْخَطَأِ . .

وَجَاءَ فِي «رِسَالَةِ أَدَبِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا» : أَنَّ الشَّيْطَانَ اعْتَرَضَ فِي زَمَنٍ مَّا ، عَلٰى «عِيسٰى» (عليه السلام) ؛ وَقَالَ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ الْأَجَلُ وَكُلُّ شَيْءٍ ، بِالْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَأَلْقِ بِنَفْسِكَ عَنْ هٰذَا الْمَكَانِ الْعَالِي ؛ تَنْظُرْ كَيْفَ تَمُوتُ ؟ . فَقَالَ «عِيسٰى» (عليه السلام) : إِنَّ لِلّٰهِ أَنْ يَخْتَبِرَ عَبْدَهُ ؛ وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْتَبِرَ رَبَّهُ ؛ يَعْنِي : أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يَمْتَحِنُ عَبْدَهُ ؛ وَيَقُولُ : إِذَا فَعَلْتَ كَذَا ؛ أَفْعَلُ كَذَا ؛ فَأَرَاكَ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَهُ ؟ وَلٰكِنْ لَا يَحِقُّ لِلْعَبْدِ ؛ وَلَا حَدَّ لَهُ ، أَنْ يُجَرِّبَ اللّٰهَ تَعَالٰى ؛ وَيَقُولَ : إِنْ فَعَلْتُ كَذَا ؛ فَهَلْ تَفْعَلُ كَذَا ؟ فَإِنَّ هٰذَا النَّوْعَ مِنَ الِامْتِحَانِ ، أَمَامَ رُبُوبِيَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، عَلٰى وَجْهِ التَّجْرِبَةِ ، سُوءُ أَدَبٍ ، وَمُنَافٍ لِلْعُبُودِيَّةِ . فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ ، هٰذِهِ ؛ فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُ ؛ وَلَا يَتَدَخَّلَ فِي شَأْنِ اللّٰهِ تَعَالٰى . .

وَمِمَّا اشْتَهَرَ : أَنَّ السُّلْطَانَ «جَلَالَ الدِّينِ الْخَوَارِزْمِيَّ» ، مِنْ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ ، الَّذِي غَلَبَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً ، عَلٰى جَيْشِ جَنْكِيزَ ، كَانَ يَذْهَبُ إِلَى الْقِتَالِ ؛ فَقَالَ لَهُ وُزَرَاؤُهُ وَأَتْبَاعُهُ : إِنَّكَ سَتَظْفَرُ ؛ وَإِنَّ اللّٰهَ يَجْعَلُكَ غَالِباً عَلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ : إِنِّي مُكَلَّفٌ بِالسَّعْيِ فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ ، بِأَمْرِ اللّٰهِ ؛ وَإِنِّي لَا أَتَدَخَّلُ فِي شَأْنِهِ تَعَالٰى ؛ فَإِمَّا أَنَّهُ يَجْعَلُنِي مُظَفَّراً ، أَوْ مَغْلُوباً ؛ فَذٰلِكَ شَأْنُهُ تَعَالٰى . . وَقَدْ أَصْبَحَ مُظَفَّراً ، مَرَّاتٍ عَدِيدَةً ، بِوَجْهٍ عَجِيبٍ ؛ حَيْثُ فَهِمَ سِرَّ التَّفْوِيضِ هٰذَا . نَعَمْ : يَلْزَمُ أَنْ لَا يَتَصَوَّرَ الْإِنْسَانُ ، مَا يَعُودُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى ، مِنَ النَّتَائِجِ ، فِي أَفْعَالِهِ الَّتِي يَفْعَلُهَا بِمَا فِي يَدِهِ ، مِنْ جُزْءِ الِاخْتِيَارِ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ بَعْضَ إِخْوَانِنَا ، يَزِيدُ الْتِحَاقُ النَّاسِ بِرِسَالَةِ النُّورِ ، فِي شَوْقِهِمْ ؛ وَيُثِيرُ غَيْرَتَهُمْ . وَإِذَا لَمْ يَسْتَمِعُوا لَهَا ؛ تَنْكَسِرُ قُوَّةُ الضُّعَفَاءِ الْمَعْنَوِيَّةُ ؛ وَتَنْطَفِئُ أَشْوَاقُهُمْ ؛ مَعَ أَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عليه الصلاة والسلام) ، الَّذِي هُوَ الْأُسْتَاذُ الْمُطْلَقُ ، وَمُقْتَدَى الْكُلِّ ، وَالْمُرْشِدُ الْأَكْمَلُ ، جَعَلَ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ ، دَلِيلاً مُطْلَقاً لِنَفْسِهِ ؛ فَبَلَّغَ بِأَزْيَدِ سَعْيٍ وَجِدٍّ وَغَيْرَةٍ ، مَعَ إِعْرَاضِ النَّاسِ ، وَعَدَمِ اسْتِمَاعِهِمْ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ : أَنَّ إِسْمَاعَ النَّاسِ ، وَهَدْيَهُمْ إِلَى الْحَقِّ ، هُوَ شَأْنُ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ فَكَانَ لَا يَتَدَخَّلُ فِي شَأْنِهِ تَعَالٰى . . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا تَتَدَخَّلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً ، يَا إِخْوَانِي ! فِي شَأْنِهِ تَعَالٰى ،

بِبِنَاءِ أَعْمَالِكُمْ ، عَلٰى شَأْنٍ لَا يَعُودُ إِلَيْكُمْ ؛ وَلَا تَتَّخِذُوا حَالَةَ التَّجْرِبَةِ ، أَمَامَ خَالِقِكُمْ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ تَنْظُرُ إِلٰى أَمْرِ اللهِ ، وَرِضَائِهِ تَعَالٰى ؛ وَأَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْعُبُودِيَّةِ ، هُوَ الْأَمْرُ الْإِلٰهِيُّ ؛ وَنَتِيجَتُهَا ، هِيَ رِضَاءُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ ؛ وَثَمَرَاتُهَا وَفَوَائِدُهَا ، أُخْرَوِيَّةٌ ؛ وَلٰكِنَّ الْفَوَائِدَ الرَّاجِعَةَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَالثَّمَرَاتِ الْوَارِدَةَ بِنَفْسِهَا ، بِدُونِ الطَّلَبِ ، بِشَرْطِ أَنْ لَا تَكُونَ عِلَّةً غَائِيَّةً ؛ وَلَا تُطْلَبَ قَصْداً ؛ لَا تُنَافِي الْعُبُودِيَّةَ ؛ بَلْ تُصْبِحُ فِي حُكْمِ الْمُرَجِّحِ وَالْمُشَوِّقِ ، لِلضُّعَفَاءِ ؛ وَإِنْ ظَلَّتْ تِلْكَ الْفَوَائِدُ وَالْمَنَافِعُ الْعَائِدَةُ إِلَى الدُّنْيَا ، عِلَّةً أَوْ جُزْءَ عِلَّةٍ ، لِتِلْكَ الْعُبُودِيَّةِ ، وَلِذٰلِكَ الْوِرْدِ أَوِ الذِّكْرِ ؛ فَإِنَّهَا تُبْطِلُ بَعْضاً مِنْ تِلْكَ الْعُبُودِيَّةِ ؛ بَلْ تَجْعَلُ ذٰلِكَ الْوِرْدَ ذَا الْخَوَاصِّ ، عَقِيماً ؛ فَلَا يُنْتِجُ . فَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ هٰذَا السِّرَّ ، يَنْوُونَ بَعْضَ تِلْكَ الْفَوَائِدِ ، مَقْصُوداً بِالذَّاتِ ؛ وَيَقْرَؤُونَ «الْأَوْرَادَ الْبَهَائِيَّةَ» مَثَلاً ، الَّتِي لَهَا مِئَةُ خَوَاصَّ وَفَوَائِدَ ؛ أَوْ يَقْرَؤُونَ «الْجَوْشَنَ الْكَبِيرَ» الَّذِي لَهُ أَلْفُ خَاصَّةٍ ؛ فَلَا يَرَوْنَ تِلْكَ الْفَوَائِدَ ؛ وَلَنْ يَرَوْهَا ؛ وَلَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَرَوْهَا ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْفَوَائِدَ لَا تَكُونُ عِلَّةً لِتِلْكَ الْأَوْرَادِ ؛ وَلَا تُقْصَدُ مِنْهَا بِالذَّاتِ ؛ لِأَنَّهَا تَتَرَتَّبُ بِدُونِ طَلَبٍ ، عَلٰى ذٰلِكَ الْوِرْدِ الْخَالِصِ ، عَلٰى صُورَةِ الْفَضْلِ . فَإِذَا نَوَاهَا ؛ يَبْطُلُ إِخْلَاصُهُ نَوْعاً مَّا ؛ بَلْ يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ عُبُودِيَّةً ؛ وَيَسْقُطُ عَنِ الْقِيمَةِ ؛ وَلٰكِنْ بَقِيَ شَيْءٌ ؛ وَهُوَ : أَنَّ الضُّعَفَاءَ يَحْتَاجُونَ لِقِرَاءَةِ مِثْلِ هٰذِهِ الْأَوْرَادِ ذَوَاتِ الْخَوَاصِّ ، إِلٰى مُشَوِّقٍ وَمُرَجِّحٍ ؛ فَإِذَا تَصَوَّرَ تِلْكَ الْفَوَائِدَ ؛ وَنَهَضَ إِلَى الشَّوْقِ ؛ فَقَرَأَ تِلْكَ الْأَوْرَادَ ، لِرِضَاءِ اللهِ ، وَلِلْآخِرَةِ فَقَطْ ؛ فَلَا يَضُرُّ ؛ وَإِنَّهُ مَقْبُولٌ . وَلِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ بِهٰذِهِ الْحِكْمَةِ ، يَقَعُ كَثِيرُونَ ، فِي الشُّبْهَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذٰلِكَ ، لِعَدَمِ وُجُودِهِمُ الْفَوَائِدَ الْمَرْوِيَّةَ عَنِ الْأَقْطَابِ وَالْأَسْلَافِ الصَّالِحِينَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ : «طُوبٰى لِمَنْ عَرَفَ حَدَّهُ ؛ وَلَمْ يَتَجَاوَزْ طَوْرَهُ» ؛ يَعْنِي : بُشْرٰى لِمَنْ يَعْرِفُ نَفْسَهُ ؛ وَلَا يَتَجَاوَزُ عَنْ حَدِّهِ ؛ فَكَمَا أَنَّ لِلشَّمْسِ جَلَوَاتٍ ، مِنْ ذَرَّةِ زُجَاجٍ ، وَمِنْ قَطْرَةِ مَاءٍ ، وَمِنْ حَوْضٍ ، وَمِنَ الْبَحْرِ وَالْقَمَرِ ، إِلَى الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ ؛ فَكُلٌّ مِنْهَا يَأْخُذُ عَكْسَ الشَّمْسِ وَمِثَالَهَا ، حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ ؛ وَيَعْرِفُ حَدَّهُ ؛ فَتَقُولُ قَطْرَةُ مَاءٍ ،

حَسَبَ قَبُولِهَا : إِنَّ فِيَّ ، عَكْساً مِنَ الشَّمْسِ ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ لَهَا أَنْ تَقُولَ : إِنَّنِي أَيْضاً ، مِرْآةٌ مِثْلُ الْبَحْرِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ فِي مَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، مَرَاتِبَ كَذٰلِكَ ، حَسَبَ تَنَوُّعِ جِلْوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالٰى ، كَالشَّمْسِ ، جِلْوَاتٌ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْعَرْشِ ؛ فَالْقَلْبُ عَرْشٌ ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ لَهُ ، أَنْ يَقُولَ : إِنَّنِي مِثْلُ الْعَرْشِ . فَالَّذِي يَسْلُكُ عَلٰى صُورَةِ الْفَخْرِ وَالدَّلَالِ ، فَإِنَّهُ عِوَضاً عَنْ أَنْ يَعْرِفَ عَجْزَهُ وَفَقْرَهُ ، وَقُصُورَهُ وَنَقْصَهُ ، الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الْعُبُودِيَّةِ ؛ وَأَنْ يَسْجُدَ بِالتَّضَرُّعِ ، أَمَامَ الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ؛ يَجْعَلُ قَلْبَهُ الشَّبِيهَ بِالذَّرَّةِ ، مُعَادِلاً لِلْعَرْشِ ؛ وَيُلَبِّسُ مَقَامَهُ الشَّبِيهَ بِقَطْرَةٍ ، بِمَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، الشَّبِيهَةِ بِالْبَحْرِ ؛ فَيَقَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالتَّصَنُّعِ ، وَالتَّكَلُّفِ وَالرِّيَاءِ ، مِمَّا لَا مَعْنٰى لَهُ ؛ لِيَجْعَلَ نَفْسَهُ ، لَائِقَةً بِتِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَلِيَحْفَظَهَا فِي ذٰلِكَ الْمَقَامِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : ﴿هَلَكَ النَّاسُ إِلَّا الْعَالِمُونَ ؛ وَهَلَكَ الْعَالِمُونَ إِلَّا الْعَامِلُونَ ؛ وَهَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ ؛ وَالْمُخْلِصُونَ عَلٰى خَطَرٍ عَظِيمٍ﴾ ؛ يَعْنِي أَنَّ وَسِيلَةَ النَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ ، هِيَ الْإِخْلَاصُ . وَتَحْصِيلُ الْإِخْلَاصِ ، مُهِمٌّ جِدّاً ؛ وَإِنَّ ذَرَّةَ عَمَلٍ بِإِخْلَاصٍ ، رَاجِحَةٌ عَلٰى أَرْطَالٍ مِنْ غَيْرِ الْخَالِصِ ؛ وَلْيَتَفَكَّرْ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي يُحَصِّلُ الْإِخْلَاصَ فِي أَعْمَالِهِ ، هُوَ مَحْضُ أَمْرِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَأَنَّ نَتِيجَتَهُ ، هِيَ رِضَاءُ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَدَخَّلَ فِي شَأْنِ اللهِ تَعَالٰى . . وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِخْلَاصٌ ؛ حَتّٰى إِنَّ ذَرَّةً مِنَ الْحُبِّ الْخَالِصِ ، تُرَجَّحُ عَلٰى أَرْطَالٍ مِنَ الْحُبِّ الرَّسْمِيِّ الْمَأْجُورِ ؛ وَقَدْ عَبَّرَ شَخْصٌ ، عَنْ هٰذَا الْحُبِّ الْخَالِصِ ، بِقَوْلِهِ : (وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ❁ ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغٰى عَلَيْهِ ثَوَابُ) ؛ يَعْنِي : أَنِّي لَا أَطْلُبُ عَلَى الْحُبِّ ، رِشْوَةً وَأُجْرَةً ، وَمُقَابَلَةً وَمُكَافَأَةً ؛ لِأَنَّ الْحُبَّ الَّذِي تُطْلَبُ عَلَيْهِ مُكَافَأَةٌ وَثَوَابٌ ، هُوَ ضَعِيفٌ لَا دَوَامَ لَهُ ؛ حَتّٰى إِنَّ الْحُبَّ الْخَالِصَ ، أُودِعَ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ، وَفِي جَمِيعِ الْأُمَّهَاتِ . وَشَفَقَةُ كُلِّ الْوَالِدَاتِ ، مَظْهَرٌ لِهٰذَا الْحُبِّ الْخَالِصِ بِتَمَامِ مَعْنَاهُ . وَالدَّلِيلُ عَلٰى أَنَّ الْأُمَّهَاتِ لَا تَطْلُبُ مُكَافَأَةً ؛ وَلَا تَسْأَلُ رِشْوَةً ، عَلٰى مَحَبَّتِهَا لِأَوْلَادِهَا ، بِسِرِّ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ، هُوَ فِدَاؤُهَا لَهَا بِأَرْوَاحِهَا ، بَلْ بِسَعَادَتِهَا الْأُخْرَوِيَّةِ .

وَالدَّجَاجَةُ ، مَعَ أَنَّ كُلَّ رَأْسِ مَالِهَا ، هُوَ حَيَاتُهَا ؛ تُقَطِّعُ رَأْسَهَا ، بِأَنْيَابِ الْكَلْبِ ، لِإِنْقَاذِ فَرُّوجِهَا ، عَنْ فَمِهِ ؛ وَذٰلِكَ بِمُشَاهَدَةِ «خُسْرَوْ» . .

اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ لَا تُقْبَلَ النِّعَمُ الْوَارِدَةُ بِأَيْدِي الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ ، بِحِسَابِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ السَّبَبُ ، مُخْتَاراً كَالْحَيَوَانِ وَالشَّجَرِ مَثَلاً ؛ يُعْطِي تِلْكَ النِّعْمَةَ بِحِسَابِ اللهِ تَعَالٰى ، بِدُونِ تَوَسُّطٍ . فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ السَّبَبُ ، يَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ ؛ وَيُعْطِيكَ تِلْكَ النِّعْمَةَ ؛ فَقُلْ أَنْتَ أَيْضاً : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ ؛ وَخُذْهَا بِحِسَابِ اللهِ تَعَالٰى . وَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ السَّبَبُ ، صَاحِبَ اخْتِيَارٍ ؛ فَلْيَقُلْ هُوَ : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ ؛ ثُمَّ اقْبَلْ مِنْهُ . وَإِلَّا فَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ مَعْنًى إِشَارِيّاً لِآيَةِ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ ، سِوٰى مَعْنَاهَا الصَّرِيحِ ، هُوَ : (أَنْ لَا تَأْكُلُوا النِّعَمَ الَّتِي لَا تُذَكِّرُ الْمُنْعِمَ الْحَقِيقِيَّ ؛ وَلَمْ تُعْطَ بِاسْمِهِ) . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَلْيَقُلِ الْمُعْطِي وَالْآخِذُ كِلَاهُمَا : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ . فَإِنْ لَمْ يَقُلِ الْمُعْطِي : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ ؛ وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْقَبُولِ ؛ فَقُلْ : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ ؛ وَانْظُرْ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ ، إِلٰى يَدِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَقَبِّلْهَا بِالشُّكْرِ ؛ وَخُذْ مِنْهَا : أَيِ انْظُرْ مِنَ النِّعْمَةِ ، إِلَى الْإِنْعَامِ ؛ وَتَصَوَّرْ مِنَ الْإِنْعَامِ ، الْمُنْعِمَ الْحَقِيقِيَّ . وَهٰذَا التَّصَوُّرُ شُكْرٌ . ثُمَّ إِنْ شِئْتَ ؛ فَادْعُ لِتِلْكَ الْوَاسِطَةِ الظَّاهِرِيَّةِ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ أُرْسِلَتْ إِلَيْكُمْ ، عَلٰى يَدِهَا . وَإِنَّ الَّذِي غَرَّ مُعْتَقِدِي الْأَسْبَابِ الظَّاهِرِيَّةِ ، هُوَ وُرُودُ شَيْئَيْنِ ، أَوْ وُجُودُهُمَا مَعاً ؛ وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالِاقْتِرَانِ ؛ فَيُظَنُّ أَحَدُهُمَا ، عِلَّةً لِلْآخَرِ ؛ وَكَذَا أَنَّ عَدَمَ شَيْءٍ ، قَدْ يَكُونُ عِلَّةً لِعَدَمِ نِعْمَةٍ ؛ فَيُتَوَهَّمُ مِنْ ذٰلِكَ ، أَنَّ وُجُودَ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ، عِلَّةٌ لِوُجُودِ تِلْكَ النِّعْمَةِ ؛ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ عِلَّتُهَا ؛ فَيُعْطِي امْتِنَانَهُ وَشُكْرَهُ ، لِذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ فَيَقَعُ فِي الْخَطَأِ ؛ لِأَنَّ وُجُودَ نِعْمَةٍ مَّا ، يَتَرَتَّبُ عَلٰى كُلِّ مُقَدِّمَاتِهَا وَشَرَائِطِهَا ؛ مَعَ أَنَّ عَدَمَ تِلْكَ النِّعْمَةِ يَحْدُثُ بِعَدَمِ شَرْطٍ وَاحِدٍ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ شَخْصاً لَمْ يَفْتَحْ مَنْفَذَ الْجَدْوَلِ الَّذِي يَسْقِي حَدِيقَةً ؛ يُصْبِحُ سَبَباً وَعِلَّةً لِجَفَافِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ ، وَلِانْعِدَامِ تِلْكَ النِّعْمَةِ ؛ وَلٰكِنَّ وُجُودَ نِعَمِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ ، يَتَوَقَّفُ عَلٰى وُجُودِ مِئَاتِ الشُّرُوطِ ، مَا عَدَا خِدْمَةَ ذٰلِكَ الشَّخْصِ ؛ مَعَ أَنَّ تِلْكَ النِّعَمَ تُوجَدُ بِالْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، اللَّتَيْنِ

هُمَا الْعِلَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ. فَافْهَمْ ظُهُورَ خَطَإِ هٰذِهِ الْمَغْلَطَةِ، أَيَّمَا ظُهُورٍ؛ وَاعْرِفْ خَطَأَ مُعْتَقِدِي الْأَسْبَابِ، أَيَّ خَطَإٍ. نَعَمْ: إِنَّ الاقْتِرَانَ، غَيْرُ الْعِلَّةِ؛ فَإِنَّ نِعْمَةً مَّا تَأْتِي إِلَيْكَ؛ وَلٰكِنَّ نِيَّةَ إِنْسَانٍ مَّا، لِلْإِحْسَانِ إِلَيْكَ، أَصْبَحَتْ مُقَارِنَةً لِتِلْكَ النِّعْمَةِ؛ وَلَمْ تَكُنْ عِلَّةً لَهَا. وَإِنَّمَا الْعِلَّةُ هِيَ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ. نَعَمْ: لَوْ لَمْ يَنْوِ ذٰلِكَ الشَّخْصُ، فِعْلَ الْإِحْسَانِ؛ لَمَا أَتَتْ إِلَيْكَ تِلْكَ النِّعْمَةُ؛ وَلَأَصْبَحَ عَدَمُ النِّيَّةِ، عِلَّةً لِعَدَمِ النِّعْمَةِ؛ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ الْمَيْلَ، لَا يَكُونُ عِلَّةً لِوُجُودِ تِلْكَ النِّعْمَةِ؛ بَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ شَرْطاً وَاحِداً مِنْ مِئَاتِ الشُّرُوطِ، بِنَاءً عَلٰى تِلْكَ الْقَاعِدَةِ الْمَذْكُورَةِ. فَمَثَلاً: إِنَّ بَعْضَ أَفْرَادٍ أَصْبَحُوا مَظْهَراً لِنِعَمِ اللهِ تَعَالٰى، مِنْ بَيْنِ طَلَبَةِ رِسَالَةِ النُّورِ، مِثْلِ (خُسْرَوْ، وَرَأْفَتْ)؛ الْتَبَسَ عَلَيْهِمُ الاقْتِرَانُ بِالْعِلَّةِ؛ فَكَانُوا يُظْهِرُونَ زِيَادَةَ امْتِنَانٍ، لِأُسْتَاذِهِمْ؛ مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى، قَارَنَ بَيْنَ نِعْمَةِ الاسْتِفَادَةِ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُمْ، فِي دَرْسِ الْقُرْآنِ، وَبَيْنَ نِعْمَةِ الْإِفَادَةِ الَّتِي أَحْسَنَ بِهَا، إِلٰى أُسْتَاذِهِمْ. وَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَوْلَا جَاءَ أُسْتَاذُنَا، إِلٰى هُنَا؛ لَمَا أَخَذْنَا هٰذَا الدَّرْسَ. فَإِذاً إِنَّ إِفَادَتَهُ، عِلَّةٌ لِاسْتِفَادَتِنَا؛ وَإِنِّي أَقُولُ: يَا إِخْوَانِي! إِنَّ النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيَّ، وَالنِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ، جَاءَتَا مَعاً. وَعِلَّةُ النِّعْمَتَيْنِ، هِيَ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ. وَإِنِّي أَيْضاً، كَانَ الْتَبَسَ عَلَيَّ الاقْتِرَانُ، بِالْعِلَّةِ، مِثْلَكُمْ؛ فَكُنْتُ أَشْعُرُ فِي زَمَنٍ مَّا، بِامْتِنَانٍ كَثِيرٍ، مِنْ كَثِيرِينَ مِنْ طَلَبَةِ رِسَالَةِ النُّورِ، الَّذِينَ أَقْلَامُهُمْ كَسُيُوفٍ أَلْمَاسِيَّةٍ مِثْلَكُمْ؛ وَأَقُولُ: لَوْلَا هٰؤُلَاءِ؛ كَيْفَ كَانَ يَخْدُمُ بَائِسٌ نِصْفُ أُمِّيٍّ مِثْلِي؟. ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى، أَحْسَنَ إِلَيَّ، بِالتَّوْفِيقِ فِي هٰذِهِ الْخِدْمَةِ، بَعْدَ النِّعْمَةِ الْقُدُسِيَّةِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ، بِوَاسِطَةِ الْأَقْلَامِ؛ فَاقْتَرَنَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرٰى؛ وَلَا تَكُونُ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا، عِلَّةً لِلْأُخْرٰى؛ وَإِنِّي لَا أَشْكُرُكُمْ؛ بَلْ أُحَيِّيكُمْ؛ وَادْعُوا أَنْتُمْ لِي؛ وَحَيُّونِي بَدَلَ الِامْتِنَانِ لِي. وَيُفْهَمُ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الرَّابِعَةِ، مَا لِلْغَفْلَةِ مِنْ دَرَجَاتٍ..

اَلْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: كَمَا أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ شَخْصٌ، مَالَ جَمَاعَةٍ؛ يَكُونُ ظُلْماً؛ أَوِ اغْتَصَبَ أَحَدٌ، أَوْقَافاً تَعُودُ إِلَى الْجَمَاعَةِ؛ يَظْلِمُ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ إِعْطَاءَ نَتِيجَةٍ حَصَلَتْ بِسَعْيِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ إِعْطَاءَ شَرَفٍ وَفَضِيلَةٍ تَرَتَّبَتْ عَلٰى حَسَنَاتِ الْجَمَاعَةِ، لِرَئِيسِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ،

أَوْ لِأُسْتَاذِهَا ، ظُلْمٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَعَلٰى ذٰلِكَ الْأُسْتَاذِ ، أَوِ الرَّئِيسِ ؛ لِأَنَّهُ يُثِيرُ التَّكَبُّرَ ؛ وَيَسُوقُهُ إِلَى الْعُجْبِ ؛ فَيَظُنُّ نَفْسَهُ سُلْطَاناً ؛ وَهُوَ حَاجِبٌ ؛ وَيَظْلِمُ نَفْسَهُ أَيْضاً ؛ بَلْ يَفْتَحُ الطَّرِيقَ ، إِلٰى شِرْكٍ خَفِيٍّ . نَعَمْ : إِنَّ نَقِيبَ كَتِيبَةٍ فَتَحَتْ حِصْناً ؛ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ فَيْأَهَا وَظَفَرَهَا وَشَرَفَهَا . نَعَمْ : لَا بُدَّ أَنْ لَا يُظَنَّ الْأُسْتَاذُ وَالْمُرْشِدُ ، مَصْدَراً وَمَنْبَعاً ؛ بَلْ يَلْزَمُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَظْهَرٌ وَمَعْكِسٌ ؛ فَمَثَلاً : إِنَّ الْحَرَارَةَ وَالضِّيَاءَ ، تَأْتِيَانِكَ بِتَوَسُّطِ مِرْآةٍ مَّا ؛ فَنَسِيتَ الشَّمْسَ ؛ وَتَلَقَّيْتَ الْمِرْآةَ مَصْدَراً ، بَدَلاً مِنَ الِامْتِنَانِ لِلشَّمْسِ ؛ فَذَاكَ جُنُونٌ . نَعَمْ : لَا بُدَّ مِنْ حِفْظِ الْمِرْآةِ ، لِأَنَّهَا مَظْهَرٌ . فَرُوحُ الْمُرْشِدِ وَقَلْبُهُ ، مِرْآةٌ تُصْبِحُ مَعْكِساً لِلْفَيْضِ الْوَارِدِ عَنِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَتَصِيرُ وَسِيلَةً لِانْعِكَاسِ ذٰلِكَ الْفَيْضِ ، إِلٰى مُرِيدِهِ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ لَا يُعْطٰى مَقَاماً أَزْيَدَ مِنْ كَوْنِهِ وَسِيلَةً ؛ حَتّٰى إِنَّ أُسْتَاذاً يُظَنُّ مَصْدَراً ، قَدْ لَا يَكُونُ مَصْدَراً وَلَا مَظْهَراً ؛ بَلْ إِنَّ الْفُيُوضَاتِ الَّتِي اسْتَفَاضَهَا مُرِيدُهُ ، فِي طَرِيقٍ آخَرَ ، بِصَفْوَةِ إِخْلَاصِهِ ، وَقُوَّةِ ارْتِبَاطِهِ ، وَحَصْرِ النَّظَرِ عَلَيْهِ ؛ يَرَاهَا وَارِدَةً عَنْ مِرْآةِ رُوحِ أُسْتَاذِهِ ؛ وَذٰلِكَ كَمَا أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ ، يُمْعِنُ النَّظَرَ إِلٰى زُجَاجِ مِرْآةٍ مَّا ، بِوَاسِطَةِ التَّنْوِيمِ الْمَغْنَاطِيسِيِّ ، إِلٰى أَنْ تُفْتَحَ نَافِذَةٌ فِي خَيَالِهِ ، مُقَابِلَ عَالَمِ الْمِثَالِ ؛ فَيُشَاهِدُ فِي تِلْكَ الْمِرْآةِ ، غَرَائِبَ كَثِيرَةً ؛ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ فِيهَا ؛ بَلْ فُتِحَتِ النَّافِذَةُ لِخَيَالِهِ ، فِي خَارِجِ الْمِرْآةِ ، بِسَبَبِ إِمْعَانِ النَّظَرِ إِلَى الْمِرْآةِ ؛ فَيَرَاهَا فِيهَا . فَلِذٰلِكَ قَدْ يَكُونُ مُرِيدٌ خَالِصٌ لِشَيْخٍ نَاقِصٍ ، أَكْمَلَ مِنْ شَيْخِهِ ؛ وَيَعُودُ يُرْشِدُ شَيْخَهُ ؛ وَيَظَلُّ شَيْخَ شَيْخِهِ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ :

وَهِيَ أَرْبَعَةُ رُمُوزٍ صِغَارٍ ، فِي التَّوْحِيدِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمُعْتَقِدُ بِالْأَسْبَابِ ! إِذَا رَأَيْتَ قَصْراً عَجِيباً مَبْنِيّاً مِنْ جَوَاهِرَ غَرِيبَةٍ ؛ وَهُوَ يُبْنٰى ؛ وَيُوجَدُ بَعْضُ جَوَاهِرَ تُصْرَفُ فِي بِنَائِهِ ، فِي «الصِّينِ» فَقَطْ ؛ وَبَعْضٌ آخَرُ ، فِي «الْأَنْدَلُسِ» ؛ وَبَعْضٌ مِنْهَا ، فِي «الْيَمَنِ» ؛ وَقِسْمٌ مِنْهَا ، لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِ «سِيبِيرْيَا» ؛ وَرَأَيْتَ تِلْكَ الْحِجَارَةَ الْمُجَوْهَرَةَ ، تُجْلَبُ بِالسُّهُولَةِ ، مِنَ الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ ،

وَمِنَ الْغَرْبِ وَالْجَنُوبِ ، فِي وَقْتِ بِنَاءِ الْبِنَايَةِ ، فِي نَفْسِ الْيَوْمِ ؛ وَتُبْنَى الْبِنَايَةُ ؛ فَهَلْ يَبْقٰى لَكَ شُبْهَةٌ : أَنَّ الصَّانِعَ الْبَانِيَ لِذٰلِكَ الْقَصْرِ ، حَاكِمٌ مُعْجِزٌ ، يَحْكُمُ عَلٰى كَافَّةِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؟ . هٰذَا ، فَكُلُّ حَيَوَانٍ ، قَصْرٌ إِلٰهِيٌّ كَذٰلِكَ ، وَلاَسِيَّمَا الْإِنْسَانُ ؛ فَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ تِلْكَ الْقُصُورِ ، وَمِنْ أَعْجَبِ تِلْكَ الصُّرُوحِ . وَإِنَّ جَوَاهِرَ هٰذَا الْقَصْرِ الْمُسَمّٰى بِالْإِنْسَانِ ، جَاءَ بَعْضٌ مِنْهَا ، مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ؛ وَبَعْضُهَا ، مِنْ عَالَمِ الْمِثَالِ ، وَمِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ؛ وَبَعْضٌ آخَرُ ، مِنْ عَالَمِ الْهَوَاءِ ، وَمِنْ عَالَمِ النُّورِ ، وَمِنْ عَالَمِ الْعَنَاصِرِ ؛ كَمَا أَنَّ حَاجَاتِهِ امْتَدَّتْ إِلَى الْأَبَدِ ؛ وَآمَالَهُ انْتَشَرَتْ فِي أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ وَرَوَابِطَهُ وَعَلاَئِقَهُ انْتَشَرَتْ فِي أَدْوَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَهُوَ صَرْحٌ عَجِيبٌ ، وَقَصْرٌ غَرِيبٌ كَذٰلِكَ . فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَظُنُّ نَفْسَهُ ، إِنْسَاناً ! إِذَا كَانَتْ مَاهِيَّتُكَ هٰكَذَا ؛ فَإِنَّمَا يَكُونُ الَّذِي صَنَعَكَ ، مَوْلًى ذَا جَلاَلٍ ، يَتَصَرَّفُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، كَمَنْزِلَيْنِ ، وَفِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، كَصَحِيفَتَيْنِ ، وَفِي الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، كَأَمْسٍ وَغَدٍ ؛ فَإِذاً ، إِنَّمَا يَكُونُ مَعْبُودُ الْإِنْسَانِ ، وَمَلْجَأُهُ وَمُنْقِذُهُ ، هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؛ وَيَكُونُ مَالِكاً لِزِمَامِ الدُّنْيَا وَالْعُقْبٰى . .

اَلرَّمْزُ الثَّانِي : أَنَّ بَعْضَ الْبُلْهِ لاَ يَعْرِفُونَ الشَّمْسَ ؛ فَلِذٰلِكَ إِذَا رَأَى الشَّمْسَ فِي مِرْآةٍ ؛ يَشْرَعُ يُحِبُّ الْمِرْآةَ ؛ وَيَسْعٰى لِحِفْظِهَا ، بِحِسٍّ شَدِيدٍ ؛ كَيْلاَ يَغِيبَ مَا فِيهَا ، مِنَ الشَّمْسِ . فَمَتٰى فَهِمَ ذٰلِكَ الْأَبْلَهُ ؛ وَأَدْرَكَ أَنَّ الشَّمْسَ لاَ تَمُوتُ بِمَوْتِ الْمِرْآةِ ؛ وَلاَ تَفْنٰى بِانْكِسَارِهَا ؛ يُحَوِّلُ كُلَّ حُبِّهِ ، إِلَى الشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَفْهَمُ أَنَّ الشَّمْسَ الْمَشْهُودَةَ فِي الْمِرْآةِ ، لَيْسَتْ تَابِعَةً لِلْمِرْآةِ ؛ وَلاَ بَقَاؤُهَا ، مُتَوَقِّفاً عَلٰى بَقَائِهَا ؛ بَلِ الشَّمْسُ ، هِيَ الَّتِي تُمْسِكُ تِلْكَ الْمِرْآةَ ، عَلٰى ذٰلِكَ الْوَجْهِ ؛ وَتَمُدُّ تَلَأْلُؤَهَا وَنُورَهَا ؛ وَلَيْسَ بَقَاءُ الشَّمْسِ ، تَابِعاً لَهَا ؛ بَلْ إِنَّ بَقَاءَ تَلَأْلُؤِ تِلْكَ الْمِرْآةِ ، تَلَأْلُؤاً حَيَوِيّاً ، تَابِعٌ لِجَلْوَةِ الشَّمْسِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِنَّ قَلْبَكَ وَهُوِيَّتَكَ وَمَاهِيَّتَكَ ، مِرْآةٌ ؛ وَإِنَّ مَا فِي فِطْرَتِكَ وَقَلْبِكَ مِنْ حُبٍّ شَدِيدٍ لِلْبَقَاءِ ، لَيْسَ لِتِلْكَ الْمِرْآةِ ، وَلاَ لِمَاهِيَّتِكَ وَقَلْبِكَ ؛ بَلْ هُوَ حُبُّكَ إِزَاءَ جَلْوَةِ الْبَاقِي الْجَلِيلِ الَّذِي تُوجَدُ جَلْوَتُهُ فِي تِلْكَ الْمِرْآةِ ، حَسَبَ الْاِسْتِعْدَادِ ؛ فَتُحَوِّلُ

وَجْهَ ذٰلِكَ الْحُبِّ ، إِلٰى مَكَانٍ آخَرَ ، بِسَبَبِ الْبَلَاهَةِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَقُلْ : (يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي) ؛ يَعْنِي : إِذَا كُنْتَ مَوْجُوداً وَبَاقِياً ؛ فَلْيَفْعَلِ الْفَنَاءُ وَالْعَدَمُ بِنَا ، مَا شَاءَ ؛ فَلَا قِيمَةَ لَهُ . .

اَلرَّمْزُ الثَّالِثُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! إِنَّ أَعْجَبَ حَالَةٍ أَوْدَعَهَا الْفَاطِرُ الْحَكِيمُ فِي مَاهِيَّتِكَ ، هُوَ : أَنَّهُ لَا تَسَعُكَ الدُّنْيَا أَحْيَاناً ؛ فَتَأَفَّفُ كَالْمَسْجُونِ الْمُخْتَنِقِ فِي السِّجْنِ ؛ وَتَطْلُبُ مَكَاناً أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا ؛ مَعَ أَنَّكَ تَدْخُلُ أَحْيَاناً ، فِي أَمْرٍ كَذَرَّةٍ ؛ وَتَتَمَكَّنُ فِي خَاطِرَةٍ ، وَفِي دَقِيقَةٍ ؛ وَيَتَمَكَّنُ فِي تِلْكَ الذَّرَّةِ ، قَلْبُكَ وَفِكْرُكَ اللَّذَانِ لَا يَتَمَكَّنَانِ فِي الدُّنْيَا الْكَبِيرَةِ ؛ وَتَجُولُ بِأَشَدِّ حِسِّيَّاتِكَ ، فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ وَالْخَاطِرَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّهُ أَعْطَى مَاهِيَّتَكَ ، جِهَازَاتٍ وَلَطَائِفَ مَعْنَوِيَّةً ، لَوِ ابْتَلَعَ بَعْضُهَا الدُّنْيَا ؛ لَمَا شَبِعَ ؛ وَلَا يَسَعُ بَعْضُهَا ذَرَّةً ؛ وَذٰلِكَ كَمَا لَا تَحْمِلُ الْعَيْنُ شَعْرَةً ؛ وَيَحْمِلُ الرَّأْسُ حَجَراً مِقْدَارَ رَطْلٍ . فَتِلْكَ اللَّطِيفَةُ لَا تَحْمِلُ ثِقْلَةً بِقَدَرِ شَعْرَةٍ : أَيْ لَا تَحْمِلُ حَالَةً صَغِيرَةً تَنْشَأُ عَنِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالَةِ ؛ فَتَنْطَفِئُ أَحْيَاناً وَتَمُوتُ ؛ فَاتَّقِ ؛ وَدُسْ بِالْحَذَرِ ؛ وَاخْشَ عَنِ الْغَرَقِ ؛ وَلَا تَغْرَقْ فِي لُقْمَةٍ وَكَلِمَةٍ ، وَفِي حَبَّةٍ وَلَمْعَةٍ ، وَفِي إِشَارَةٍ وَقُبْلَةٍ ؛ وَلَا تُغْرِقْ فِيهَا لَطَائِفَكَ الَّتِي تَبْلَعُ كُلَّ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ أَشْيَاءٍ صَغِيرَةٍ ؛ تَبْتَلِعُ أَشْيَاءً كَبِيرَةً ، فِي جِهَةٍ مَّا ؛ فَكَمَا أَنَّ قِطْعَةَ زُجَاجٍ صَغِيرَةً ، تَدْخُلُهَا السَّمَاءُ ؛ وَتَغْرَقُ فِيهَا بِنُجُومِهَا ؛ وَأَنَّ قُوَّتَكَ الْحَافِظَةَ الصَّغِيرَةَ كَالْخَرْدَلَةِ ؛ يَدْخُلُ فِيهَا أَكْثَرُ صَفَحَاتِ أَعْمَالِكَ ، وَأَغْلَبُ صَحَائِفِ عُمْرِكَ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كَثِيراً مِنْ أَشْيَاءٍ صَغِيرَةٍ جُزْئِيَّةٍ ، تَبْلَعُ أَشْيَاءً كَبِيرَةً كَذٰلِكَ ؛ وَتَسْتَوْعِبُهَا فِي جِهَةٍ . .

اَلرَّمْزُ الرَّابِعُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْعَابِدُ لِلدُّنْيَا ! إِنَّ دُنْيَاكَ الَّتِي تَتَصَوَّرُهَا وَاسِعَةً كَثِيراً ، هِيَ فِي حُكْمِ قَبْرٍ ضَيِّقٍ ؛ وَلٰكِنَّ جُدْرَانَ مَنْزِلِكَ ذٰلِكَ الْمَنْزِلِ الضَّيِّقِ كَالْقَبْرِ ، لِكَوْنِهَا مِنَ الزُّجَاجِ ، يَنْعَكِسُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ؛ فَيَتَّسِعُ مِقْدَارَ مَدَى الْبَصَرِ ؛ وَيُرَى وَاسِعاً بِقَدَرِ بَلَدٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ ضَيِّقٌ كَالْقَبْرِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الزَّمَانَ الْمَاضِيَ الَّذِي هُوَ الْجِدَارُ الْأَيْمَنُ ، لِتِلْكَ الدُّنْيَا ، وَالْمُسْتَقْبَلَ الَّذِي هُوَ جِدَارُهَا الْأَيْسَرُ ؛ مَعَ أَنَّهُمَا مَعْدُومَانِ وَغَيْرُ مَوْجُودَيْنِ ؛ يَنْعَكِسُ أَحَدُهَا

فِي الْآخَرِ ؛ وَيَبْسُطَانِ جَنَاحَيِ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ الضَّيِّقِ الْقَصِيرِ ؛ فَتَخْتَلِطُ الْحَقِيقَةُ بِالْخَيَالِ ؛ فَتُظَنُّ دُنْيَا مَعْدُومَةٌ ، مَوْجُودَةً ؛ فَكَمَا أَنَّ خَطّاً مَّا ، يُرٰى شِبْهَ سَطْحٍ بِسُرْعَةِ الْحَرَكَةِ ؛ وَحَقِيقَةُ وُجُودِهِ ، خَطٌّ دَقِيقٌ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ دُنْيَاكَ ضَيِّقَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ ؛ وَلٰكِنِ اتَّسَعَتْ جُدْرَانُهَا ، بِغَفْلَتِكَ وَوَهْمِكَ وَخَيَالِكَ ؛ فَإِذَا مَا تَحَرَّكْتَ بِتَحْرِيكِ مُصِيبَةٍ مَّا ، فِي تِلْكَ الدُّنْيَا الضَّيِّقَةِ ؛ تَضْرِبُ بِرَأْسِكَ ، عَلَى الْجِدَارِ الَّذِي تَظُنُّهُ بَعِيداً جِدّاً ؛ فَيُطَيِّرُ الْخَيَالَ الَّذِي بِرَأْسِكَ ؛ وَيُهَرِّبُ نَوْمَكَ ؛ فَحِينَئِذٍ تَرٰى دُنْيَاكَ الْوَاسِعَةَ تِلْكَ ، أَضْيَقَ مِنَ الْقَبْرِ ، وَأَصْعَبَ مِنَ الْجِسْرِ ؛ وَزَمَانَكَ وَعُمْرَكَ ، يَمْضِيَانِ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ ؛ وَحَيَاتَكَ ، تَجْرِي أَعْجَلَ مِنَ النَّهْرِ . فَإِذَا كَانَتْ حَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَحَيَاةُ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ هٰكَذَا ؛ فَاخْرُجْ عَنِ الْحَيَوَانِيَّةِ ؛ وَاتْرُكِ الْجِسْمَانِيَّةَ ؛ وَادْخُلْ دَرَجَةَ حَيَاةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ ؛ تَجِدْ عَالَماً مِنْ نُورٍ ، وَدَائِرَةً مِنْ حَيَاةٍ ، أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي تَتَوَهَّمُهَا وَاسِعَةً . فَمِفْتَاحُ ذٰلِكَ الْعَالَمِ ، هُوَ إِعْمَالُ الرُّوحِ ، وَإِنْطَاقُ الْقَلْبِ ، بِكَلِمَةِ «لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» ، تِلْكَ الْكَلِمَةِ الْقُدُسِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلٰى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالٰى ، وَعَلٰى أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : ثَلَاثُ مَسَائِلَ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : هِيَ آيَةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ ، الْمُشِيرَةُ إِلَى التَّجَلِّي الْأَتَمِّ ، مِنْ تَجَلِّيَاتِ اسْمِ الْحَفِيظِ . فَإِنْ شِئْتَ الدَّلِيلَ عَلٰى حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ هٰذِهِ ؛ وَنَظَرْتَ إِلٰى صَحَائِفِ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ ، هٰذَا الَّذِي كُتِبَ عَلٰى مِسْطَرِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ؛ يُمْكِنُكَ أَنْ تَرٰى بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ، الْجَلْوَةَ الْعُظْمٰى ، لِاسْمِ الْحَفِيظِ ، وَالنَّظِيرَةَ الْكُبْرٰى ، لِهٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ . .

فَمِنْهَا : هِيَ أَنْ تَأْخُذَ قَبْضَةً مِنْ مُخْتَلَفِ بُذُورِ الْأَشْجَارِ وَالْأَزْهَارِ وَالنَّبَاتَاتِ ؛ فَادْفِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةَ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ صُنْدُوقِ الْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ ، الْمُخْتَلِفَةِ الْأَنْوَاعِ ، وَالْمُتَغَايِرَةِ الْأَجْنَاسِ ؛ وَازْرَعْهَا فِي الظَّلَامِ ، وَفِي تُرَابٍ مُظْلِمٍ بَسِيطٍ وَجَامِدٍ ؛ ثُمَّ اسْقِهَا بِمَاءٍ بَسِيطٍ بِلَا مِيزَانٍ ، لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ ؛ وَيَجْرِي حَيْثُ مَا صَرَفْتَ وَجْهَهُ ؛ ثُمَّ ائْتِ فِي

فَصْلِ الرَّبِيعِ الَّذِي هُوَ عَرْصَةُ الْحَشْرِ السَّنَوِيِّ ؛ وَانْظُرْ إِلٰى زَمَانِ صَيْحَةِ **مَلَكِ الرَّعْدِ** ، الشَّبِيهِ **بِإِسْرَافِيلَ** ، عَلَى الْغَيْثِ فِي الرَّبِيعِ ، مِنْ قَبِيلِ **نَفْخِ الصُّورِ** ، وَإِلٰى وَقْتِ تَبْشِيرِهِ **بِنَفْخِ الرُّوحِ** ، لِلنَّوَى الْمَدْفُونَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ ؛ وَتَدَبَّرْ فِي تِلْكَ الْبُذَيْرَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ الْمُخْتَلِطَةِ الْمُمْتَزِجَةِ ، فِي نِهَايَةِ التَّشَابُهِ وَالاِخْتِلَاطِ وَالاِمْتِزَاجِ ، كَيْفَ تَمْتَثِلُ الْأَوَامِرَ التَّكْوِينِيَّةَ الْوَارِدَةَ مِنَ الْفَاطِرِ الْحَكِيمِ ، بِكَمَالِ الاِمْتِثَالِ ، بِدُونِ خَطَإٍ ، تَحْتَ تَجَلِّي اسْمِ الْحَفِيظِ ؛ وَتَعْمَلُ عَلٰى وِفْقِ تِلْكَ الْأَوَامِرِ ؛ بِحَيْثُ يُرٰى فِي حَرَكَاتِهَا ، لَمَعَانُ شُعُورٍ وَقَصْدٍ وَإِرَادَةٍ ، وَعِلْمٍ وَكَمَالِ حِكْمَةٍ ؛ **لِأَنَّكَ تَرٰى أَنَّ تِلْكَ الْبُذَيْرَاتِ الْمُتَشَابِهَةَ ، تَتَمَايَزُ وَيَفْتَرِقُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ؛ فَمَثَلاً : أَصْبَحَتْ هٰذِهِ الْبُذَيْرَةُ ، شَجَرَةَ تِينٍ ؛ فَشَرَعَتْ تَنْشُرُ نِعَمَ الْفَاطِرِ الرَّحِيمِ ؛ وَتَنْثُرُهَا عَلٰى رُؤُوسِنَا ؛ وَتَمُدُّهَا بِأَيْدِي الْأَغْصَانِ ؛ وَأَزْهَرَتْ هٰذِهِ الْبُذَيْرَاتُ الشَّبِيهَةُ بِهَا صُورَةً ، أَزْهَاراً مِثْلَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ ، وَدَوَّارِ الشَّمْسِ ؛ فَتَزَيَّنَتْ لَنَا ؛ وَتَبَسَّمَ فِي وُجُوهِنَا ؛ وَتَتَحَبَّبُ إِلَيْنَا ؛ وَأَثْمَرَتْ بَعْضُ بُذَيْرَاتٍ هٰهُنَا ، هٰذِهِ الثِّمَارَ اللَّطِيفَةَ ؛ وَأَصْبَحَتْ سَنَابِلَ وَأَشْجَاراً ، تَفْتَحُ الاِشْتِهَاءَ ، بِأَلْوَانِهَا وَرَوَائِحِهَا وَطُعُومِهَا الطَّيِّبَةِ ؛ فَتَدْعُونَا إِلٰى أَنْفُسِهَا ؛ وَتَفْدِي بِأَنْفُسِهَا ، لِمُشْتَرِيهَا ؛ حَتّٰى تَرْتَقِيَ عَنْ مَرْتَبَةِ الْحَيَاةِ النَّبَاتِيَّةِ ، إِلٰى مَرْتَبَةِ الْحَيَاةِ الْحَيَوَانِيَّةِ ؛ وَهٰكَذَا قِسْ ؛ فَتَنْكَشِفُ تِلْكَ الْبُذَيْرَاتُ ؛ بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْقَبْضَةُ ، فِي حُكْمِ حَدِيقَةٍ مَالِئَةٍ بِأَشْجَارٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَزْهَارٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، لَا خَطَأَ وَلَا قُصُورَ فِيهَا ؛ وَتُظْهِرُ سِرَّ قَوْلِهِ تَعَالٰى :** ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرٰى مِنْ فُطُورٍ﴾ ؛ فَيُحَافِظُ كُلُّ بَذْرٍ ، عَلَى الْإِرْثِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللّٰهُ ، بِإِحْسَانِهِ وَبِجَلْوَةِ اسْمِ الْحَفِيظِ ، مِنْ مَالِ أَبِيهِ وَأَصْلِهِ ؛ وَيُظْهِرُهُ بِدُونِ الْتِبَاسٍ وَنَقْصٍ . فَهٰذَا الْحِفْظُ الْخَارِقُ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ، إِشَارَةٌ قَاطِعَةٌ ، إِلٰى أَنَّ الْحَفِيظَ الَّذِي يَفْعَلُ هٰذَا الْحِفْظَ ، سَيُظْهِرُ التَّجَلِّيَ الْأَكْبَرَ ، مِنَ الْحَفِيظِيَّةِ ، فِي الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ . **نَعَمْ : إِنَّ جَلْوَةَ الْحَفِيظِيَّةِ ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، بِدُونِ قُصُورٍ وَلَا خَطَإٍ ، فِي هٰذِهِ الْأَطْوَارِ الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ الَّتِي لَا قِيمَةَ لَهَا ، حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلٰى أَنَّ أَفْعَالَ النَّاسِ ــ الَّذِينَ هُمْ حَمَلَةُ الْأَمَانَةِ الْكُبْرٰى ، وَخُلَفَاءُ الْأَرْضِ ، الَّذِينَ لَهُمْ أَثَرٌ أَبَدِيٌّ ، وَقِيمَةٌ عَظِيمَةٌ ، ــ وَآثَارَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ ، وَحَسَنَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ ،**

تُحْفَظُ بِكَمَالِ الِاعْتِنَاءِ ؛ وَسَتُحَاسَبُ حِسَابَهَا ؛ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ؟ كَلَّا ؛ بَلِ الْإِنْسَانُ مَبْعُوثٌ إِلَى الْأَبَدِ ، وَمُرَشَّحٌ لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالشَّقَاوَةِ الدَّائِمَةِ ؛ وَسَيَرَى الْحِسَابَ ، عَنْ كُلِّ عَمَلِهِ ، صَغِيراً وَكَبِيراً ، قَلِيلاً وَكَثِيراً ؛ فَإِمَّا أَنَّهُ يَرَى التَّلْطِيفَ ؛ أَوْ يَذُوقُ الصَّفْعَةَ . .

هٰذَا ، فَالشَّوَاهِدُ عَلٰى جَلْوَةِ الْحَفِيظِيَّةِ الْكُبْرٰى ، وَعَلٰى حَقِيقَةِ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ ، لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى . وَالشَّاهِدُ الَّذِي بَيَّنَّاهُ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، قَطْرَةٌ مِنَ الْبَحْرِ ، وَذَرَّةٌ مِنَ الْجَبَلِ . .[١]

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

(١) لَمْ يَكْمُلْ عَدَدُ الْمُذَكِّرَاتِ ، عَلٰى سَبْعَ عَشْرَةَ مُذَكِّرَةً ، كَمَا كَانَ مَنْوِيّاً وَمُتَوَافِقاً مَعَ عَدَدِ (اللَّمْعَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ) ؛ وَلَعَلَّهَا لَمْ تَتَيَسَّرْ لِلْمُؤَلِّفِ الْكَرِيمِ . وَاللهُ أَعْلَمُ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷻ) . .

اَللَّمْعَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ

[اَلْكَرَامَةُ الْعَلَوِيَّةُ الْأُولٰى ..]

سَتُنْشَرُ فِي مَجْمُوعَةٍ أُخْرٰى ؛ وَهِيَ (مَجْمُوعَةُ الْإِشَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَالْكَرَامَاتِ الْغَيْبِيَّةِ)، أَوْ (مَجْمُوعَةُ سِكَّةِ التَّصْدِيقِ الْغَيْبِيِّ)، أَوْ غَيْرُهُمَا .. وَاللهُ أَعْلَمُ .. فَلَمْ تُدْرَجْ هٰهُنَا ..

اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) ..

اَللَّمعَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ

في الاقْتِصَادِ وَالْقَنَاعَةِ ، وَفِي الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا . .﴾

إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تُلْقِي دَرْساً مُهِمّاً ، مِنَ الْحِكْمَةِ ، عَلٰى صُورَةِ الْأَمْرِ الْقَاطِعِ بِالاِقْتِصَادِ ، وَالنَّهْيِ الصَّرِيحِ عَنِ الْإِسْرَافِ . . وَفِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، سَبْعُ نِكَاتٍ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ الْخَالِقَ الرَّحِيمَ ، يَطْلُبُ الشُّكْرَ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي مَنَحَهَا نَوْعَ الْبَشَرِ . وَالْإِسْرَافُ ضِدُّ الشُّكْرِ ، وَاسْتِخْفَافٌ خَاسِرٌ إِزَاءَ النِّعْمَةِ . وَأَمَّا الاِقْتِصَادُ ، فَهُوَ احْتِرَامٌ رَابِحٌ ، لِلنِّعْمَةِ . نَعَمْ : إِنَّ الاِقْتِصَادَ شُكْرٌ مَعْنَوِيٌّ وَاحْتِرَامٌ ، إِزَاءَ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي النِّعَمِ ، وَسَبَبٌ لِلْبَرَكَةِ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، وَمَدَارٌ لِصِحَّةِ الْبَدَنِ كَالْحِمْيَةِ ، وَسَبَبٌ لِلْعِزَّةِ ، يُنْقِذُ الْإِنْسَانَ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ الضِّمْنِيِّ ، وَسَبَبٌ مَتِينٌ لِإِدْرَاكِ مَا فِي النِّعْمَةِ ، مِنَ اللَّذَّةِ ، وَلِتَذَوُّقِ اللَّذَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي النِّعَمِ الَّتِي تُرَى بِدُونِ لَذَّةٍ ظَاهِراً . وَأَمَّا الْإِسْرَافُ ، فَلِمُخَالَفَتِهِ لِلْحِكَمِ الْمَذْكُورَةِ ، لَهُ نَتَائِجُ وَخِيمَةٌ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ الْفَاطِرَ الْحَكِيمَ ، خَلَقَ بَدَنَ الْإِنْسَانِ ، عَلٰى صُورَةِ قَصْرٍ مُكَمَّلٍ ، وَعَلٰى مِثَالِ بَلَدٍ مُنَظَّمٍ ؛ وَجَعَلَ الْقُوَّةَ الذَّائِقَةَ فِي الْفَمِ ، كَحَاجِبٍ ؛ وَالْأَعْصَابَ

وَالْعُرُوقَ ، كَأَسْلاكِ الْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ ؛ وَهِيَ وَسِيلَةٌ لِلْمُخَابَرَةِ بِالْقُوَّةِ الذَّائِقَةِ ، مَعَ الْمَعِدَةِ الَّتِي فِي مَرْكَزِ الْبَدَنِ ؛ فَتُخْبِرُهَا الْقُوَّةُ الذَّائِقَةُ ، بِتِلْكَ الْعُرُوقِ ، عَنِ الْمَادَّةِ الْوَارِدَةِ إِلَى الْفَمِ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا ، لُزُومٌ لِلْبَدَنِ وَالْمَعِدَةِ ؛ تَقُولُ الْمَعِدَةُ : إِنَّهَا مَحْذُورَةٌ ؛ فَيَطْرَحُهَا الْفَمُ ، إِلَى الْخَارِجِ ؛ وَأَحْيَاناً تَكُونُ ضَارَّةً وَمُرّاً ، مَعَ عَدَمِ نَفْعِهَا لِلْبَدَنِ ؛ فَيُلْقِيهَا إِلَى الْخَارِجِ ؛ وَيَبْصُقُ فِي وَجْهِهَا . هٰذَا ، فَإِذَا كَانَتِ الْقُوَّةُ الذَّائِقَةُ فِي الْفَمِ ، حَاجِباً ؛ وَالْمَعِدَةُ فِي جِهَةِ تَدْبِيرِ الْجَسَدِ ، سَيِّداً وَحَاكِماً ؛ فَالْهَدِيَّةُ الَّتِي تَرِدُ إِلَى ذٰلِكَ الْقَصْرِ ، أَوْ إِلَى ذٰلِكَ الْبَلَدِ ؛ وَتُهْدٰى إِلَى حَاكِمِ الْقَصْرِ ؛ لَوْ كَانَ لَهَا مِئَةُ دَرَجَةٍ مِنَ الْقِيمَةِ ، تُنَاسِبُ الْحَاجِبَ ، خَمْسُ دَرَجَاتٍ مِنْهَا فَقَطْ ، مِنْ قَبِيلِ الْعَطِيَّةِ ؛ وَلَا يُزَادُ عَلَيْهَا ؛ **كَيْلَا يَغْتَرَّ الْحَاجِبُ ؛ وَلَا يَسْكَرَ ؛ فَيَنْسَى الْخِدْمَةَ ؛ وَيُدْخِلَ فِي الْقَصْرِ ، مُخَرِّبِينَ يَزِيدُونَ فِي إِعْطَاءِ الْهَدِيَّةِ لَهُ** . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ، نَفْتَرِضُ الْآنَ ، لُقْمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا ، مِنْ مَادَّةٍ مُغَذِّيَةٍ مِثْلِ الْجُبْنِ وَالْبَيْضِ ، بِدِرْهَمٍ ؛ وَالْأُخْرٰى مِنْ أَعْلَى الْحُلْوِيَاتِ ، بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ . فَهَاتَانِ اللُّقْمَتَانِ ، مُتَسَاوِيَتَانِ ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، بِاعْتِبَارِ الْبَدَنِ ، قَبْلَ دُخُولِهِمَا فِي الْفَمِ ؛ وَمُتَسَاوِيَتَانِ أَيْضاً ، فِي تَغْذِيَةِ الْجَسَدِ ، بَعْدَ مُرُورِهِمَا عَنِ الْحُلْقُومِ ؛ بَلْ قَدْ يُغَذِّي جُبْنٌ بِدِرْهَمٍ ، أَحْسَنَ تَغْذِيَةٍ ؛ إِلَّا أَنَّ بَيْنَهُمَا ، فَرْقاً مِقْدَارَ نِصْفِ دَقِيقَةٍ ، فِي جِهَةِ إِذَاقَةِ الْقُوَّةِ الذَّائِقَةِ فِي الْفَمِ . فَالصُّعُودُ مِنْ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ ، إِلٰى عَشَرَةِ دَرَاهِمَ ، لِنِصْفِ دَقِيقَةٍ ، إِسْرَافٌ ضَارٌّ ، لَا طَائِلَ فِيهِ ؛ فَلْيُقَسْ عَلَيْهِ . وَالْآنَ إِذَا كَانَتِ الْهَدِيَّةُ الْوَارِدَةُ إِلَى الْحَاكِمِ ، بِدِرْهَمٍ ؛ يُسْكِرُ الْحَاجِبَ ، إِعْطَاءُ الْهَدِيَّةِ لَهُ ، أَزْيَدَ مِنْهَا ، تِسْعَ مَرَّاتٍ ؛ فَيَقُولُ : إِنِّي أَنَا الْحَاكِمُ . فَمَنْ أَعْطَاهُ الْهَدِيَّةَ وَاللَّذَّةَ زَائِدَةً ؛ يُدْخِلُهُ الْقَصْرَ ؛ وَيُفْسِدُهُ وَيُحْرِقُهُ ؛ فَيَضْطَرُّهُ لِيَسْتَغِيثَ وَيَقُولَ : فَلْيَأْتِ الطَّبِيبُ ؛ وَلْيُسَكِّنْ حَرَارَتِي ؛ وَلْيُطْفِئْ نَارِي . هٰذَا فَالِاقْتِصَادُ وَالْقَنَاعَةُ ، تَوْفِيقُ الْعَمَلِ ، لِلْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَيَجْعَلُ الْقُوَّةَ الذَّائِقَةَ ، فِي حُكْمِ الْحَاجِبِ ؛ وَيُعْطِيهَا الْهَدِيَّةَ حَسَبَ ذٰلِكَ . وَأَمَّا الْإِسْرَافُ ، فَلِكَوْنِهِ عَمَلاً مُضَادّاً لِتِلْكَ الْحِكْمَةِ ، يَذُوقُ الصَّفْعَةَ فَوْراً ؛ وَيُفْسِدُ الْمَعِدَةَ ؛ وَيَفْقِدُ الِاشْتِهَاءَ الْحَقِيقِيَّ ؛ وَيُطْعِمُهُ بِاشْتِهَاءٍ كَاذِبٍ مُصْطَنَعٍ ، يَنْشَأُ عَنْ تَنَوُّعِ الْأَطْعِمَةِ ؛ وَيُسَبِّبُ فُقْدَانَ الْهَضْمِ ؛ فَيُمْرِضُهُ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ لَقَدْ قُلْنَا فِي النُّكْتَةِ الثَّانِيَةِ السَّابِقَةِ : إِنَّ الْقُوَّةَ الذَّائِقَةَ حَاجِبٌ . نَعَمْ : إِنَّهَا ، لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ ، وَلِمَنْ لَمْ يَرْتَقُوا رُوحاً ؛ وَلَمْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَ الشُّكْرِ ، فِي حُكْمِ الْحَاجِبِ ؛ فَلا بُدَّ أَنْ لا يَدْخُلَ فِي الْإِسْرَافِ ؛ وَلا يَخْرُجَ عَنْ دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ ، إِلٰى عَشْرِ دَرَجَاتٍ مِنَ الثَّمَنِ لِتَلَذُّذِهَا ؛ وَلٰكِنَّ الْقُوَّةَ الذَّائِقَةَ لِأَهْلِ الشُّكْرِ ، وَأَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، وَأَصْحَابِ الْقَلْبِ ، هِيَ فِي حُكْمِ نَاظِرٍ وَمُفَتِّشٍ لِمَطَابِخِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي الْمُوَازَنَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ ؛ وَتُوجَدُ فِي تِلْكَ الْقُوَّةِ الذَّائِقَةِ ، مُوَيْزِينَاتٌ بِعَدَدِ الْأَطْعِمَةِ ؛ تَزِنُ أَنْوَاعَ النِّعَمِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتَعْرِفُهَا وَتُخْبِرُ الْجَسَدَ وَالْمَعِدَةَ ، بِصُورَةِ شُكْرٍ مَعْنَوِيٍّ . فَعَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، لَا تَنْظُرُ الْقُوَّةُ الذَّائِقَةُ ، إِلَى الْجَسَدِ الْمَادِّيِّ فَقَطْ ؛ بَلْ لَهَا حِكَمٌ وَمَقَامٌ ، فَوْقَ الْمَعِدَةِ ، بِجِهَةِ كَوْنِهَا تَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْعَقْلِ أَيْضاً ؛ فَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يُرَاعِيَ لَذَّتَهَا ، بِشَرْطِ أَنْ لَا يُسْرِفَ ؛ وَأَنْ يُوفِيَ بِوَظِيفَةِ الشُّكْرَانِ ؛ وَأَنْ يَعْرِفَ أَنْوَاعَ النِّعَمِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُدْرِكَهَا ، وَبِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ مَشْرُوعَةً ؛ وَلَا تَكُونَ وَسِيلَةً لِلذُّلِّ وَالسُّؤَالِ ؛ وَلَهُ أَنْ يُرَجِّحَ الْأَطْعِمَةَ اللَّذِيذَةَ ؛ لِيَسْتَعْمِلَ اللِّسَانَ الْحَامِلَ لِتِلْكَ الْقُوَّةِ الذَّائِقَةِ ، فِي الشُّكْرِ . .

حَادِثَةٌ وَكَرَامَةٌ غَوْثِيَّةٌ ، تُشِيرُ إِلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ : وَهِيَ أَنَّهُ كَانَ لِعَجُوزٍ لَطِيفَةٍ ، ابْنٌ وَحِيدٌ ، فِي تَرْبِيَةِ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ ، الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ» (رضي الله عنه) ؛ فَذَهَبَتْ تِلْكَ الْعَجُوزُ الْمُحْتَرَمَةُ ؛ وَنَظَرَتْ إِلٰى حُجْرَةِ وَلَدِهَا ؛ فَرَأَتْ أَنَّهُ يَأْكُلُ قِطْعَةَ خُبْزٍ أَسْوَدَ يَابِسٍ ؛ فَجَذَبَ شَفَقَةَ وَالِدَتِهِ ، بِضَعْفِهِ مِنْ تِلْكَ الرِّيَاضَةِ ؛ فَأَشْفَقَتْ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلٰى «حَضْرَةِ الْغَوْثِ» ، لِلشَّكْوٰى ؛ فَرَأَتْ أَنَّ «حَضْرَةَ الْغَوْثِ» يَأْكُلُ دَجَاجَةً مَشْوِيَّةً ؛ فَقَالَتْ مِنْ دَلِّهَا : أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ ! إِنَّ وَلَدِي يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ ؛ وَأَنْتَ تَأْكُلُ الدَّجَاجَةَ ؛ فَقَالَ «الْغَوْثُ الْأَعْظَمُ» (رضي الله عنه) ، لِلدَّجَاجَةِ : «قُومِي بِإِذْنِ اللّٰهِ» ؛ فَاجْتَمَعَتْ عِظَامُ تِلْكَ الدَّجَاجَةِ الْمَشْوِيَّةِ ؛ وَأَصْبَحَتْ دَجَاجَةً ؛ وَطَارَتْ عَنْ إِنَاءِ الطَّعَامِ ، حَيَّةً . وَقَدْ نُقِلَ ذٰلِكَ ، كَرَامَةً لِمِثْلِ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ» (رضي الله عنه) ، الْمُشْتَهِرِ لَدَى الْعَالَمِ ، بِمَظْهَرِيَّتِهِ لِكَرَامَاتٍ خَارِقَةٍ ، بِالتَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ ، مِنْ ثِقَاتٍ كَثِيرَةٍ أُمَنَاءَ . فَقَالَ «الْغَوْثُ» : (إِذَا بَلَغَ ابْنُكِ ، إِلٰى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؛

فَلْيَأْكُلِ الدَّجَاجَةَ حِينَئِذٍ) . وَمَعْنٰى كَلاَمِ «الْغَوْثِ» هٰذَا : أَنَّهُ إِذَا أَصْبَحَ رُوحُ ابْنِكَ ، حَاكِماً عَلٰى جَسَدِهِ ؛ وَقَلْبُهُ ، عَلٰى نَفْسِهِ ؛ وَعَقْلُهُ ، عَلٰى مَعِدَتِهِ ؛ وَطَلَبَ اللَّذَّةَ ، لِلشُّكْرِ ؛ فَلَهُ حِينَئِذٍ ، أَنْ يَأْكُلَ الْأَطْعِمَةَ اللَّذِيذَةَ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ :﴾ أَنَّ الْمُقْتَصِدَ لَا يُعَانِي مِحْنَةَ الْعِيَالِ ، وَكُلْفَةَ الْعَيْشِ كَثِيراً ، بِسِرِّ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ؛ وَهُوَ ﴿لَا يَعُولُ مَنِ اقْتَصَدَ﴾ ، بِمَعْنٰى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ بَلَاءَ عَيْشِ الْعِيَالِ . نَعَمْ : إِنَّ الِاقْتِصَادَ سَبَبٌ لِلْبَرَكَةِ ، وَمَدَارٌ لِحُسْنِ الْعَيْشِ قَطْعاً . وَيُوجَدُ لِهٰذَا ، دَلَائِلُ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى . . فَمِنْهَا : أَنِّي أَقُولُ ، بِمُشَاهَدَتِي فِي نَفْسِي ، وَبِشَهَادَةِ مَنْ يَخْدُمُونَنِي وَيُرَافِقُونَنِي : إِنِّي رَأَيْتُ أَحْيَاناً ، الْبَرَكَةَ عَشَرَةَ أَضْعَافٍ ، بِسَبَبِ الِاقْتِصَادِ ؛ وَرَآهَا أَصْحَابِي ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَ رُؤَسَاءَ نُفُوا مَعِي ، إِلٰى مَدِينَةِ (بُورْدُور) ، قَبْلَ تِسْعِ سِنِينَ ، سَعَوْا كَثِيراً ، لِأَقْبَلَ زَكَاتَهُمْ كَيْلَا أَقَعَ فِي الذُّلِّ وَالسَّفَالَةِ ، مِنْ فَقْدِ النُّقُودِ ؛ فَقُلْتُ لِؤُلَائِكَ الرُّؤَسَاءِ الْأَغْنِيَاءِ : إِنَّ نُقُودِي ؛ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً جِدّاً ؛ وَلٰكِنْ عِنْدِي اقْتِصَادٌ ؛ وَإِنِّي تَعَلَّمْتُ الْقَنَاعَةَ ؛ وَأَنَا أَغْنٰى مِنْكُمْ ؛ فَرَدَدْتُ تَكْلِيفَهُمُ الْمُصِرَّ الْمُكَرَّرَ . وَمِنَ الْعَجِيبِ : أَنَّ بَعْضَ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضُوا عَلَيَّ زَكَاتَهُمْ ، اقْتَرَضُوا بَعْدَ سَنَتَيْنِ ، مِنْ تَرْكِ الِاقْتِصَادِ . وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ، قَدْ كَفَتْنِي تِلْكَ الدَّرَاهِمُ الْقَلِيلَةُ بِبَرَكَةِ الِاقْتِصَادِ ، سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَهُمْ ؛ فَمَا صَبَّتْ مَاءَ وَجْهِي ؛ وَمَا أَجْبَرَتْنِي عَلٰى عَرْضِ الْحَاجَةِ ، عَلَى النَّاسِ ؛ وَمَا أَفْسَدَتْ مَسْلَكِي مِنَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ ، الَّذِي هُوَ دُسْتُورٌ لِحَيَاتِي . نَعَمْ : مَنْ لَمْ يَقْتَصِدْ ، يَكُونُ مُرَشَّحاً لِلسُّقُوطِ فِي الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالسَّفَالَةِ مَعْنًى . وَإِنَّ الدَّرَاهِمَ الَّتِي هِيَ وَسِيلَةُ الْإِسْرَافَاتِ ، غَالِيَةٌ جِدّاً ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَقَدْ يُقْبَضُ عَنْهَا أَحْيَاناً ، الْعِزُّ وَالشَّرَفُ ، رِشْوَةً ؛ وَقَدْ تُقْبَضُ عَنْهَا الْمُقَدَّسَاتُ الدِّينِيَّةُ أَحْيَاناً ؛ ثُمَّ يُعْطٰى بَعْضَ دَرَاهِمَ مَنْحُوسَةٍ . فَإِذاً إِنَّهُ يَقْبِضُ مِقْدَارَ مِئَةِ دِرْهَمٍ مَادِّيٍّ مِنَ الْمَالِ ، بِمِقْدَارِ مِئَةِ دِينَارٍ ، مِنْ ضَرَرٍ مَعْنَوِيٍّ . فَإِنِ اقْتَصَدَ وَاقْتَصَرَ عَلَى الْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ ؛ يَجِدُ رِزْقَهُ مِقْدَارَ مَا يَعِيشُ بِهِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ، وَبِصَرَاحَةِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا﴾ ،

لِأَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ تَتَعَهَّدُ الرِّزْقَ . . نَعَمْ : إِنَّ الرِّزْقَ نَوْعَانِ :

أَحَدُهُمَا : رِزْقٌ حَقِيقِيٌّ ، يَعِيشُ بِهِ ؛ فَهٰذَا الرِّزْقُ ، تَحْتَ تَعَهُّدٍ رَبَّانِيٍّ ، بِحُكْمِ هٰذِهِ الْآيَةِ . فَإِذَا لَمْ يَتَدَخَّلْ فِيهِ سُوءُ اخْتِيَارِ الْبَشَرِ ؛ يَجِدُ ذٰلِكَ الرِّزْقَ الضَّرُورِيَّ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَلَا يُضْطَرُّ إِلَى الْفِدَاءِ بِدِينِهِ وَلَا بِعِرْضِهِ ، وَلَا بِعِزِّهِ . .

وَثَانِيهِمَا : رِزْقٌ مَجَازِيٌّ ، تُصْبِحُ حَاجَاتٌ غَيْرُ ضَرُورِيَّةٍ ، فِي حُكْمِ الْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ ، بِسُوءِ الاسْتِعْمَالِ ؛ وَيَتَعَلَّمُهَا بِآفَةِ الْعَادَةِ ؛ فَلَا يَتْرُكُهَا . فَهٰذَا الرِّزْقُ ، لِكَوْنِهِ لَيْسَ تَحْتَ التَّكَفُّلِ الرَّبَّانِيِّ ، يَكُونُ تَحْصِيلُهُ ، غَالِياً جِدّاً ، لَاسِيَّمَا فِي هٰذَا الزَّمَانِ ؛ فَإِنَّهُ يَقْبِضُ ذٰلِكَ الْمَالَ النَّحِسَ الْأَبْتَرَ أَحْيَاناً ؛ بِحَيْثُ يَفْدِي بِعِزَّتِهِ ؛ وَيَقْبَلُ الذُّلَّ ؛ وَيَقَعُ أَحْيَاناً ، فِي حَالَةِ الْمَسْكَنَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ بِحَيْثُ يُقَبِّلُ أَقْدَامَ الْأَرْذَالِ ؛ وَيَفْدِي أَحْيَاناً ، بِمُقَدَّسَاتِهِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي هِيَ نُورُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ . وَأَيْضاً إِنَّ التَّأَلُّمَ الْوَارِدَ عَلٰى أَهْلِ الْوِجْدَانِ ، بِسَبَبِ الرِّقَّةِ الْجِنْسِيَّةِ ، النَّاشِئَ عَنْ آلَامِ الْمُحْتَاجِينَ وَالْجَائِعِينَ ، فِي زَمَنِ الْفَقْرِ وَالضَّرُورَةِ هٰذَا ، يُؤْلِمُ لَذَّتَهُ الَّتِي يَسْتَفِيدُهَا بِتِلْكَ الدَّرَاهِمِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِصُورَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ ؛ إِنْ كَانَ لَهُ وِجْدَانٌ . فَلَا بُدَّ فِي مِثْلِ هٰذَا الزَّمَانِ الْعَجِيبِ ، أَنْ يَكْتَفِيَ بِدَرَجَةِ الضَّرُورَةِ ، فِي الْأَمْوَالِ الْمُشْتَبَهِ فِيهَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْخُذَ عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ ، بِالِاضْطِرَارِ ، إِلَّا مِقْدَارَ الضَّرُورَةِ ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَأْخُذَ مَا يَزِيدُ عَلَيْهِ ، بِسِرِّ قَاعِدَةِ (إِنَّ الضَّرُورَاتِ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا) . نَعَمْ : إِنَّ الشَّخْصَ الْمُضْطَرَّ ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ لَحْمِ الْمَيْتَةِ ، مِقْدَارَ مَا يَشْبَعُ ؛ بَلْ يَأْكُلُ بِحَيْثُ لَا يَمُوتُ . وَأَيْضاً لَا يُؤْكَلُ الطَّعَامُ كَثِيراً بِكَمَالِ اللَّذَّةِ ، بِحَضْرَةِ مِئَةِ جَائِعٍ . .

وَاقِعَةٌ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الِاقْتِصَادَ سَبَبٌ لِلْعِزَّةِ وَالْكَمَالِ : وَهِيَ أَنَّ «حَاتَماً الطَّائِيَّ» الْمُشْتَهِرَ فِي الْعَالَمِ بِالسَّخَاءِ ، أَقَامَ مَرَّةً ، ضِيَافَةً مُهِمَّةً ؛ وَأَهْدٰى إِلَى ضُيُوفِهِ هَدَايَا كَثِيرَةً ؛ فَيَنْطَلِقُ حِينَئِذٍ ، إِلَى الصَّحْرَاءِ لِلسِّيَاحَةِ ؛ فَيَرَى شَيْخاً فَقِيراً ؛ حَمَلَ عَلٰى ظَهْرِهِ ، حِمْلاً مِنَ الشَّوْكِ وَالْحَطَبِ ، يَشُوكُ جِسْمَهُ وَيُدْمِيهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَاتَمُ : إِنَّ حَاتَماً الطَّائِيَّ يُقِيمُ ضِيَافَةً

مُهِمَّةً ، مَعَ الْهَدَايَا ؛ فَاذْهَبْ إِلَيْهِ ؛ تَأْخُذْ خَمْسَمِئَةِ دِرْهَمٍ ، عِوَضاً عَنْ هٰذَا الْحِمْلِ الشَّائِكِ ، بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ ؛ فَقَالَ ذٰلِكَ الشَّيْخُ الْمُقْتَصِدُ : إِنِّي أَرْفَعُ حِمْلِي هٰذَا ؛ وَأَحْمِلُهُ مَعَ عِزَّتِي ؛ وَلَا أَقْبَلُ مِنَّةَ حَاتَمِ الطَّائِيِّ . ثُمَّ سَأَلُوا الْحَاتَمَ : مَنْ وَجَدْتَهُ أَسْخٰى وَأَعَزَّ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُ ذٰلِكَ الشَّيْخَ الَّذِي لَقِيتُهُ فِي الصَّحْرَاءِ ، أَعَزَّ وَأَعْلٰى وَأَجْوَدَ مِنِّي . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، يُشْعِرُ مِنْ كَرَمِهِ ، الْأَفْقَرَ ، كَالْأَغْنٰى ؛ وَالْمِسْكِينَ ، كَالسُّلْطَانِ ، بِلَذَّةِ نِعَمِهِ . نَعَمْ : إِنَّ اللَّذَّةَ الَّتِي يَذُوقُهَا فَقِيرٌ ، عَنْ قِطْعَةِ خُبْزٍ يَابِسٍ أَسْوَدَ ، بِسَبَبِ الْاِقْتِصَادِ وَالْجُوعِ ، أَزْيَدُ مِنْ لَذَّةٍ يَذُوقُهَا سُلْطَانٌ أَوْ غَنِيٌّ ، عَمَّا يَأْكُلُهُ مِنْ أَعْلٰى حُلْوِيَاتٍ ، مَعَ فُقْدَانِ الْاِشْتِهَاءِ ، وَبِالْمَلَلِ النَّاشِئِ عَنِ الْإِسْرَافِ . .

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالْحَيْرَةِ : أَنَّ بَعْضَ الْمُسْرِفِينَ الْمُبَذِّرِينَ ، يَتَّهِمُونَ مِثْلَ هٰؤُلَاءِ الْمُقْتَصِدِينَ ، بِالْخِسَّةِ ؛ حَاشَاهُمْ ؛ فَإِنَّ الْاِقْتِصَادَ ، هُوَ الْعِزَّةُ وَالْجُودُ ؛ وَإِنَّ الْخِسَّةَ وَالذِّلَّةَ ، هِيَ بَاطِنُ تَلَذُّذِ أَهْلِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ ، عَلٰى صُورَةِ سَخَاءٍ ظَاهِرِيٍّ . .

حَادِثَةٌ تُؤَيِّدُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، حَدَثَتْ فِي حُجْرَتِي ، هٰذِهِ السَّنَةَ : وَهِيَ أَنَّ وَاحِداً مِنْ طُلَّابِي ، أَلَحَّ عَلَيَّ أَنْ أَقْبَلَ هَدِيَّةً ، أُوقِيَّتَيْنِ وَنِصْفاً مِنَ الْعَسَلِ ، عَلٰى وَجْهٍ مُخَالِفٍ لِقَاعِدَتِي وَدُسْتُورِ حَيَاتِي . فَمَهْمَا سُقْتُ قَاعِدَتِي ، إِلَى الْأَمَامِ ؛ لَمْ يَقْتَنِعْ ؛ فَقُلْتُ بِاضْطِرَارٍ ، لِثَلَاثَةِ إِخْوَانٍ عِنْدِي : خُذُوهَا ؛ وَذٰلِكَ لِأُطْعِمَهُمْ بِهَا ؛ وَلْيَأْكُلِ الثَّلَاثَةُ مِنْ ذٰلِكَ الْعَسَلِ بِالْاِقْتِصَادِ ، ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، فِي **شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ الشَّرِيفَيْنِ** ؛ وَلِيَفُوزَ الْمُتَصَدِّقُ ، بِالثَّوَابِ ؛ وَلِئَلَّا يَبْقَوْا بِدُونِ حَلَاوَةٍ ؛ وَكَانَ لِي أُوقِيَّةٌ مِنَ الْعَسَلِ أَيْضاً . فَأُولَائِكَ الثَّلَاثَةُ مِنْ أَصْحَابِي ؛ وَإِنْ كَانُوا مُسْتَقِيمِينَ ، وَمِمَّنْ يَقْدِرُونَ قَدْرَ الْاِقْتِصَادِ ، إِلَّا أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ ؛ فَقَدْ أَكْرَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ وَذَوَّقَ كُلٌّ ، نَفْسَ الْآخَرِ ؛ وَرَجَّحَهَا عَلٰى نَفْسِهِ ؛ فَنَسُوا الْاِقْتِصَادَ ، بِهٰذِهِ الْخَصْلَةِ الْقَيِّمَةِ مِنْ جِهَةٍ ؛ فَأَنْفَدُوا أُوقِيَّتَيْنِ وَنِصْفاً ، مِنَ الْعَسَلِ ، فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ ؛ فَقُلْتُ مُتَبَسِّماً : إِنِّي كُنْتُ حَالَيْتُكُمْ بِذٰلِكَ الْعَسَلِ ، ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ فَنَزَّلْتُمْ ثَلَاثِينَ يَوْماً ، إِلٰى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؛ هَنِيئاً لَكُمْ ؛ وَلٰكِنِّي صَرَفْتُ الْأُوقِيَّةَ الْوَاحِدَةَ ، مِنْ عَسَلِي ، بِالْاِقْتِصَادِ ؛ وَأَكَلْتُ مِنْهَا ،

فِي كُلِّ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ ؛ وَكَذَا أَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ إِخْوَانِي أُولاَئِكَ ، مِلْعَقَةً فِي وَقْتِ الْإِفْطَارِ(١) ؛ وَأَصْبَحَتْ وَسِيلَةً لِثَوَابٍ عَظِيمٍ ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ وَلَعَلَّ الَّذِينَ شَاهَدُوا حَالِي ، ظَنُّوهُ خِسَّةً ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَحْسَبُوا حَالَ إِخْوَتِي أُولاَئِكَ ، فِي اللَّيَالِي الثَّلاَثِ ، سَخَاوَةً ؛ وَلٰكِنَّنَا رَأَيْنَا فِي جِهَةِ الْحَقِيقَةِ ، أَنَّ ثَوَاباً عَالِياً ، وَبَرَكَةً عَظِيمَةً ، وَعِزَّةً رَفِيعَةً ، اخْتَفَتْ تَحْتَ تِلْكَ الْخِسَّةِ الظَّاهِرَةِ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ السَّخَاءَ وَالْإِسْرَافَ ، لَوْ لَمْ يُعْرَضْ عَنْهُ ؛ لَكَانَتْ تَحْتَهُ مَسْكَنَةٌ ؛ وَلَأَنْتَجَ حَالَةً أَدْنٰى مِنَ الْخِسَّةِ بِكَثِيرٍ ، مِثْلَ النَّظَرِ إِلٰى يَدِ غَيْرِهِ ، عَلٰى وَجْهِ الطَّمَعِ وَالاِنْتِظَارِ . .

﴿اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ :﴾ أَنَّ الاِقْتِصَادَ وَالْخِسَّةَ ، بَيْنَهُمَا فَرْقٌ كَبِيرٌ ؛ فَكَمَا أَنَّ التَّوَاضُعَ ، خَصْلَةٌ مَمْدُوحَةٌ تُشْبِهُ صُورَةً ، بِالتَّذَلُّلِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْأَخْلاَقِ السَّيِّئَةِ ؛ وَتُغَايِرُهُ مَعْنًى ؛ وَأَنَّ الْوَقَارَ خَصْلَةٌ مَمْدُوحَةٌ تُشْبِهُ صُورَةً ، بِالتَّكَبُّرِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْخَصَائِلِ الْقَبِيحَةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الاِقْتِصَادَ الَّذِي هُوَ مِنَ الْأَخْلاَقِ النَّبَوِيَّةِ الْعَالِيَةِ ، بَلْ وَمِنْ وَسَائِلِ نِظَامِ الْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي الْكَائِنَاتِ ؛ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهُ أَصْلاً ، مَعَ الْخِسَّةِ الَّتِي هِيَ خَلِيطَةُ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ ، وَالْبُخْلِ وَالسَّفَالَةِ ؛ وَإِنَّمَا لَهُ مُشَابَهَةٌ بِهَا ، صُورَةً فَقَطْ . .

حَادِثَةٌ تُؤَيِّدُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ : وَهِيَ أَنَّ «عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ» (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا) ، الَّذِي هُوَ مِنَ الْعَبَادِلَةِ الْأَرْبَعَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَأَهَمُّ أَوْلاَدِ «الْفَارُوقِ الْأَعْظَمِ» خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ، وَأَعْظَمُ أَوْلاَدِهِ ، وَمِنَ الْمُمْتَازِينَ بَيْنَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ ، نَاقَشَ ذٰلِكَ الشَّخْصُ الْمُبَارَكُ ، نِقَاشاً شَدِيداً ، فِي السُّوقِ ، فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، مِنْ مَسْأَلَةٍ بِمِقْدَارِ دِرْهَمٍ ؛ وَذٰلِكَ ، لِلاِقْتِصَادِ وَلِلْحِفْظِ عَلَى الْأَمْنِ وَالاِسْتِقَامَةِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ التِّجَارَةِ ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهِ صَحَابِيٌّ ؛ فَتَوَهَّمَ نِقَاشَ «ابْنِ عُمَرَ» الَّذِي هُوَ خَلِيفَةُ وَجْهِ الْأَرْضِ ، ذِي الشَّأْنِ ، بِسَبَبِ دِرْهَمٍ ، خِسَّةً عَجِيبَةً ؛ فَوَقَعَ خَلْفَ ذٰلِكَ الْإِمَامِ ؛ وَأَرَادَ أَنْ يَفْهَمَ أَحْوَالَهُ ؛ فَرَأَى أَنَّ «عَبْدَ اللهِ» دَخَلَ دَارَهُ الْمُبَارَكَةَ ؛ وَرَأَى بِالْبَابِ

---

(١) أَيْ كَانَ بِمِلْعَقَةِ الشَّايِ الْكَبِيرَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَحِمَهُ اللهُ) . .

فَقِيراً ؛ فَوَقَفَ عِنْدَهُ قَلِيلاً ؛ وَفَارَقَهُ وَذَهَبَ ؛ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَابِ دَارِهِ الثَّانِي ؛ فَرَأَى هُنَاكَ فَقِيراً أَيْضاً ؛ وَوَقَفَ فَتْرَةً عِنْدَهُ ؛ فَفَارَقَهُ وَذَهَبَ ؛ فَاغْتَمَّ ذٰلِكَ الصَّحَابِيُّ النَّاظِرُ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ ؛ فَذَهَبَ وَسَأَلَ الْفَقِيرَيْنِ : مَاذَا صَنَعَ الْإِمَامُ ، حَيْثُ وَقَفَ عِنْدَكُمَا ؟ . فَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا : أَعْطَانِي دِينَاراً ؛ فَقَالَ ذٰلِكَ الصَّحَابِيُّ : يَا سُبْحَانَ اللهِ ! إِنَّهُ يُنَاقِشُ فِي السُّوقِ هٰكَذَا ، لِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُعْطِي فِي دَارِهِ ، مِئَتَيْ دِرْهَمٍ ، بِكَمَالِ رِضَاءِ النَّفْسِ ، بِدُونِ أَنْ يُعْلِمَ أَحَداً ؛ فَتَصَوَّرَ كَذٰلِكَ وَرَاحَ ؛ وَرَأَى «عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ» (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا) . وَقَالَ : أَيُّهَا الْإِمَامُ ! احْلُلْ مُشْكِلَتِي هٰذِهِ ؛ وَهِيَ أَنَّكَ فَعَلْتَ بِالسُّوقِ كَذَا ؛ وَصَنَعْتَ فِي بَيْتِكَ هٰكَذَا ؛ فَقَالَ فِي جَوَابِهِ : إِنَّ مَا فِي السُّوقِ ، حَالَةٌ نَشَأَتْ مِنَ الاقْتِصَادِ ، وَكَمَالِ الْعَقْلِ ، وَمِنْ حِفْظِ الصِّدْقِ وَالْأَمْنِ ، الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، وَرُوحُهُمَا ؛ وَلَيْسَ ذٰلِكَ الْحَالُ خِسَّةً . وَأَمَّا الْحَالُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِي ؛ فَهُوَ حَالَةٌ نَشَأَتْ مِنْ شَفَقَةِ الْقَلْبِ ، وَكَمَالِ الرُّوحِ ؛ فَلَيْسَ ذٰلِكَ خِسَّةً ؛ وَلَا هٰذَا إِسْرَافاً . .

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ أَبُو حَنِيفَةَ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ، إِشَارَةً إِلَى هٰذَا السِّرِّ : «لَا إِسْرَافَ فِي الْخَيْرِ ؛ كَمَا لَا خَيْرَ فِي الْإِسْرَافِ» ؛ يَعْنِي : كَمَا لَا يُوجَدُ الْإِسْرَافُ فِي الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ؛ وَلٰكِنْ لِلْمُسْتَحِقِّينَ بِهِمَا ؛ كَذٰلِكَ لَا خَيْرَ فِي الْإِسْرَافِ أَصْلاً . .

﴿اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ :﴾ أَنَّ الْإِسْرَافَ يُنْتِجُ الْحِرْصَ ؛ وَالْحِرْصُ يُنْتِجُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءٍ . .

اَلنَّتِيجَةُ الْأُولَى : هِيَ انْعِدَامُ الْقَنَاعَةِ ؛ وَهُوَ يَهْدِمُ شَوْقَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ ؛ وَيَجْعَلُهُ يَشْكُو ، بَدَلَ أَنْ يَشْكُرَ ؛ وَيُلْقِيهِ فِي الْكَسَلِ ؛ وَيَتْرُكُ الْمَالَ الْقَلِيلَ الْحَلَالَ الْمَشْرُوعَ (١) ؛ فَيَطْلُبُ مَالاً غَيْرَ مَشْرُوعٍ ، لَا مِحْنَةَ فِيهِ ؛ وَيَفْدِي بِعِزَّتِهِ ، بَلْ بِعِرْضِهِ ، فِي ذٰلِكَ السَّبِيلِ . .

---

(١) فَمِنْ عَدَمِ الاقْتِصَادِ ، يَكْثُرُ الْمُسْتَهْلِكُونَ ؛ وَيَقِلُّ الْمُسْتَحْصِلُونَ ؛ فَيُشْخِصُ كُلٌّ ، بَصَرَهُ ، إِلَى بَابِ الْحُكُومَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَتَنَاقَصُ الصَّنْعَةُ وَالتِّجَارَةُ وَالزِّرَاعَةُ ، الَّتِي هِيَ مَدَارُ حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ ؛ فَيَنْخَفِضُ ذٰلِكَ الْقَوْمُ وَيَسْقُطُ ؛ وَيُصْبِحُ فَقِيراً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَلنَّتِيجَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ الْخَيْبَةُ وَالْخُسْرَانُ ، وَتَفْوِيتُ مَقْصُودِهِ ، وَصَيْرُورَتُهُ عُرْضَةً لِلاِسْتِثْقَالِ ، وَبَقَاؤُهُ مَحْرُوماً عَنِ التَّسْهِيلِ وَالْعَوْنِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْمَثَلُ ؛ وَهُوَ : (أَنَّ الْحَرِيصَ خَائِبٌ خَاسِرٌ) ؛ يَعْنِي : أَنَّ الْحِرْصَ سَبَبُ الْخُسْرَانِ ، وَعَدَمِ التَّوْفِيقِ ؛ وَإِنَّ تَأْثِيرَ الْحِرْصِ وَالْقَنَاعَةِ ، يَجْرِي فِي عَالَمِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، بِدُسْتُورٍ وَاسِعٍ جِدّاً . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الْقَنَاعَةَ الْفِطْرِيَّةَ لِلْأَشْجَارِ الْمُحْتَاجَةِ إِلَى الرِّزْقِ ، تَسُوقُ رِزْقَهَا إِلَيْهَا ؛ كَمَا أَنَّ عَدْوَ الْحَيَوَانَاتِ ، إِلٰى رِزْقِهَا ، بِالْحِرْصِ ، بَيْنَ الْمِحْنَةِ وَالنُّقْصَانِ ، يَدُلُّ عَلَى الضَّرَرِ الْكَبِيرِ لِلْحِرْصِ ، وَالنَّفْعِ الْعَظِيمِ لِلْقَنَاعَةِ . .

وَكَذَا أَنَّ قَنَاعَةَ جَمِيعِ الْأَطْفَالِ الضُّعَفَاءِ ، بِلِسَانِ حَالِهَا ، وَنَبَعَانَ غِذَاءٍ لَطِيفٍ مِثْلِ اللَّبَنِ لَهُمْ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَافْتِرَاسَ السِّبَاعِ بِالْحِرْصِ عَلٰى رِزْقِهَا النَّاقِصِ الْمُلَوَّثِ ، تُثْبِتُ دَعْوَانَا ، بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ . .

وَكَذَا أَنَّ حَالَةَ قَنَاعَةِ الْأَسْمَاكِ ، كَانَتْ وَسِيلَةً لِأَرْزَاقِهَا الْمُكَمَّلَةِ ؛ وَأَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الذَّكِيَّةَ مِثْلَ الثَّعْلَبِ وَالْقِرْدِ ، تَبْقٰى ضَعِيفَةً وَغَيْرَ سَمِينَةٍ ، لِعَدَمِ تَحْصِيلِهَا الْمِقْدَارَ الْكَافِيَ ، مِنَ الرِّزْقِ ، مَعَ طَلَبِهَا وَرَاءَ رِزْقِهَا ، بِالْحِرْصِ ؛ فَيَدُلُّ ذٰلِكَ أَيْضاً ، عَلٰى أَنَّ الْحِرْصَ ، سَبَبُ الْمِحْنَةِ ؛ وَأَنَّ الْقَنَاعَةَ ، مَدَارُ الرَّاحَةِ . .

وَكَذَا أَنَّ قَوْمَ الْيَهُودِ يَجِدُونَ رِزْقَهُمْ ، بِالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَبِوَجْهٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ ، مِقْدَارَ مَا يَعِيشُونَ بِهِ فَقَطْ ؛ وَذٰلِكَ بِالْحِرْصِ وَبِتَدْوِيرِ الرِّبَا وَالْحِيَلِ ؛ وَأَنَّ أَهْلَ الصَّحْرَاءِ مِنَ الْبَدَوِيِّينَ ، يَجِدُونَ رِزْقَهُمُ الْكَافِيَ ؛ وَيَعِيشُونَ بِالْعِزَّةِ ، عَلٰى وَجْهِ الْقَنَاعَةِ ؛ فَيُثْبِتُ ذٰلِكَ أَيْضاً ، دَعْوَانَا الْمَذْكُورَةَ ، إِثْبَاتاً قَاطِعاً . .

وَكَذَا أَنَّ وُقُوعَ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأُدَبَاءِ ، فِي حَالِ الْفَقْرِ ، بِسَبَبِ حِرْصٍ يُنْتِجُهُ ذَكَاؤُهُمْ ؛ وَأَنَّ غِنٰى كَثِيرِينَ مِنَ الْبُلْهِ وَالضُّعَفَاءِ ، بِحَالَةِ قَنَاعَتِهِمُ الْفِطْرِيَّةِ ، يُثْبِتَانِ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ : أَنَّ الرِّزْقَ الْحَلَالَ ، يَأْتِي حَسَبَ الْعَجْزِ وَالِافْتِقَارِ ؛ وَلَيْسَ بِالِاقْتِدَارِ وَالِاخْتِيَارِ ؛ بَلْ إِنَّ ذٰلِكَ الرِّزْقَ يَتَنَاسَبُ مَعْكُوساً مَعَ الِاقْتِدَارِ وَالِاخْتِيَارِ ؛ لِأَنَّ الصِّبْيَانَ ، كُلَّمَا يَنْشَأُ

اقْتِدَارُهُمْ وَاخْتِيَارُهُمْ ، يَنْقُصُ رِزْقُهُمْ ؛ وَيَبْعُدُ عَنْهُمْ ؛ وَيَثْقُلُ عَلَيْهِمْ . وَإِنَّ الْقَنَاعَةَ بِسِرِّ حَدِيثِ ﴿الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنٰى﴾ ، كَنْزٌ لِحُسْنِ الْعَيْشِ ، وَلِرَاحَةِ الْحَيَاةِ . وَأَمَّا الْحِرْصُ ، فَهُوَ مَعْدِنٌ لِلْخَسَارَةِ وَالسَّفَالَةِ . .

اَلنَّتِيجَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ الْحِرْصَ يَهْدِمُ الْإِخْلَاصَ ؛ وَيُخِلُّ بِالْعَمَلِ الْأُخْرَوِيِّ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا وُجِدَ حِرْصٌ وَاحِدٍ ، مِنْ أَهْلِ التَّقْوٰى ؛ يَطْلُبُ تَوَجُّهَ النَّاسِ ؛ وَمَنْ يُرَاعِي تَوَجُّهَ النَّاسِ ؛ لَا يَجِدُ الْإِخْلَاصَ التَّامَّ . وَهٰذِهِ النَّتِيجَةُ ، أَهَمُّ كَثِيراً ، وَمَحَلُّ تَدَبُّرٍ كَثِيرٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْإِسْرَافَ يُنْتِجُ انْعِدَامَ الْقَنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ انْعِدَامَ الْقَنَاعَةِ يَنْقُصُ شَوْقَ الْعَمَلِ ؛ وَيُلْقِيهِ فِي الْكَسَلِ ؛ وَيَفْتَحُ بَابَ الشَّكْوٰى عَنْ حَيَاتِهِ ؛ وَيَجْعَلُهُ يَشْتَكِي دَائِماً[1] ؛ فَيَنْقُضُ الْإِخْلَاصَ ؛ وَيَفْتَحُ بَابَ الرِّيَاءِ ؛ وَيَكْسِرُ عِزَّتَهُ ؛ وَيُرِيهِ طَرِيقَ السُّؤَالِ . وَأَمَّا الِاقْتِصَادُ ، فَيُنْتِجُ الْقَنَاعَةَ ؛ وَالْقَنَاعَةُ تُنْتِجُ الْعِزَّةَ ، بِسِرِّ حَدِيثِ ﴿عَزَّ مَنْ قَنِعَ ؛ ذَلَّ مَنْ طَمِعَ﴾ ؛ وَتُشَجِّعُهُ أَيْضاً ، عَلَى السَّعْيِ وَالْعَمَلِ ؛ وَتَزِيدُ شَوْقَهُ ؛ وَتَسْتَخْدِمُهُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ يَوْماً ، مَثَلاً ؛ يَعْمَلُ الْيَوْمَ الثَّانِيَ أَيْضاً ، بِسَبَبِ الْقَنَاعَةِ بِأَجْرٍ جُزْئِيٍّ يَأْخُذُهُ مَسَاءً . وَأَمَّا الْمُسْرِفُ ، فَلِكَوْنِهِ لَا يَقْنَعُ ؛ لَا يَعْمَلُ الْيَوْمَ الثَّانِيَ . وَلَوْ عَمِلَ ؛ لَعَمِلَ بِدُونِ شَوْقٍ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْقَنَاعَةَ النَّاشِئَةَ عَنْ الِاقْتِصَادِ ، تَفْتَحُ بَابَ الشُّكْرِ ؛ وَتَسُدُّ بَابَ الشَّكْوٰى ؛ وَيُصْبِحُ شَاكِراً فِي حَيَاتِهِ دَائِماً ؛ وَأَيْضاً أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ إِقْبَالَ النَّاسِ ، فِي جِهَةِ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ ، بِسَبَبِ الْقَنَاعَةِ ؛ فَيَفْتَحُ بَابَ الْإِخْلَاصِ ؛ وَيَسُدُّ بَابَ الرِّيَاءِ . .

وَإِنِّي قَدْ شَاهَدْتُ مَضَارَّ هَائِلَةً ، لِلْإِسْرَافِ وَعَدَمِ الِاقْتِصَادِ ، فِي دَائِرَةٍ وَاسِعَةٍ ؛ وَذٰلِكَ : أَنِّي أَتَيْتُ إِلَى بَلَدٍ مُبَارَكٍ ، قَبْلَ تِسْعِ سِنِينَ ؛ وَمَا رَأَيْتُ مَنَابِعَ ثَرْوَةِ ذٰلِكَ الْبَلَدِ ، بِسَبَبِ الشِّتَاءِ ؛ فَقَالَ لِي مُفْتِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ **(رَحِمَهُ اللّٰهُ)** ، عِدَّةَ مَرَّاتٍ : إِنَّ أَهْلَ بَلَدِنَا فُقَرَاءُ ؛

---

[1] **نَعَمْ** : إِذَا اجْتَمَعْتَ بِأَيِّ مُسْرِفٍ ؛ تَسْمَعُ مِنْهُ الشَّكَايَا ؛ وَيَشْكُو لِسَانُهُ ؛ مَهْمَا كَانَ غَنِيّاً . وَإِذَا اجْتَمَعْتَ بِأَفْقَرِ إِنْسَانٍ ؛ وَلٰكِنَّهُ قَانِعٌ ؛ تَسْمَعُ مِنْهُ الشُّكْرَ . . **اَلْمُؤَلِّفُ** ، (رضي الله عنه) . .

فَأَثَّرَ هٰذَا الْقَوْلُ ، فِي رِقَّتِي ؛ فَكُنْتُ أَتَأَلَّمُ لِأَهَالِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ دَائِماً ، إِلٰى مَا بَعْدَ خَمْسِ سِنِينَ ، أَوْ سِتِّ سَنَوَاتٍ ؛ فَأَتَيْتُ إِلٰى ذٰلِكَ الْبَلَدِ أَيْضاً ، فِي الصَّيْفِ ، بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى حَدَائِقِهَا ؛ فَخَطَرَ بِبَالِي ، قَوْلُ الْمُفْتِي الْمَرْحُومِ ؛ فَقُلْتُ : يَا سُبْحَانَ اللهِ ! إِنَّ مَحْصُولَاتِ جِنَانِ هٰذَا الْبَلَدِ ، فَوْقَ حَاجَاتِهِ بِكَثِيرٍ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ هٰذَا الْبَلَدِ ، أَغْنِيَاءَ جِدّاً ؛ فَتَحَيَّرْتُ مِنْ ذٰلِكَ ؛ وَعَلِمْتُ بِخَاطِرَةٍ مِنَ الْحَقِيقَةِ ، لَا تَخْدَعُنِي ؛ وَهِيَ دَلِيلِي فِي فَهْمِ الْحَقَائِقِ : أَنَّ الْبَرَكَةَ ارْتَفَعَتْ بِسَبَبِ الْإِسْرَافِ ، وَانْعِدَامِ الِاقْتِصَادِ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ الْمُفْتِي الْمَرْحُومُ ، يَقُولُ : إِنَّ أَهْلَ بَلَدِنَا فُقَرَاءُ ، مَعَ ذٰلِكَ الْمِقْدَارِ مِنْ مَنَابِعِ الثَّرْوَةِ . نَعَمْ : إِنَّ دَفْعَ الزَّكَاةِ ، وَفِعْلَ الِاقْتِصَادِ ، سَبَبَانِ لِلْبَرَكَةِ فِي الْمَالِ ، بِالتَّجْرِبَةِ ؛ كَمَا أَنَّ الْإِسْرَافَ مَعَ مَنْعِ الزَّكَاةِ ، سَبَبَانِ لِرَفْعِ الْبَرَكَةِ ؛ وَتَدُلُّ عَلٰى ذٰلِكَ ، حَادِثَاتٌ لَا حَدَّ لَهَا . .

إِنَّ أَفْلَاطُونَ حُكَمَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَشَيْخَ الْأَطِبَّاءِ ، وَأُسْتَاذَ الْفَلَاسِفَةِ ، الدَّاهِيَةَ الشَّهِيرَ «أَبَا عَلِيٍّ ابْنَ سِينَا» فَسَّرَ آيَةَ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ، فِي جِهَةِ الطِّبِّ فَقَطْ ؛ فَقَالَ :

جَمَعْتُ الطِّبَّ فِي الْبَيْتَيْنِ جَمْعاً ❁ وَحُسْنُ الْقَوْلِ فِي قَصْرِ الْكَلَامِ
فَقَلِّلْ إِنْ أَكَلْتَ وَبَعْدَ أَكْلٍ ❁ تَجَنَّبْ ؛ فَالشِّفَاءُ فِي الِانْهِضَامِ
وَلَيْسَ عَلَى النُّفُوسِ أَشَدُّ حَالاً ❁ مِنْ إِدْخَالِ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ

يَعْنِي : أَنِّي جَمَعْتُ عِلْمَ الطِّبِّ ، فِي سَطْرَيْنِ ؛ وَأَنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ ، فِي اخْتِصَارِهِ ؛ فَإِذَا أَكَلْتَ ؛ فَكُلْ قَلِيلاً ؛ وَبَعْدَمَا أَكَلْتَ ، لَا تَأْكُلْ إِلٰى أَرْبَعِ سَاعَاتٍ أَوْ خَمْسٍ ؛ فَإِنَّ الشِّفَاءَ ، فِي الْهَضْمِ : أَيْ كُلْ مِقْدَارَ مَا تَهْضِمُهُ هَيِّناً ؛ وَأَنَّ أَثْقَلَ حَالٍ ، وَأَشَدَّهُ سَآمَةً ، عَلَى النَّفْسِ وَالْمَعِدَةِ ، هُوَ أَكْلُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ (١) . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

---

(١) يَعْنِي : أَنَّ الْأَضَرَّ بِالْبَدَنِ ، هُوَ أَكْلُ الطَّعَامِ ، بِدُونِ فَصْلِ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، أَوْ خَمْسٍ ، أَوْ مَلْءُ الْمَعِدَةِ ، بِأَطْعِمَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، لِلتَّنَعُّمِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَللَّمَعَةُ الْعِشْرُونَ

[في حَقِّ الْإِخْلَاصِ..]

[وقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ اللَّمْعَةُ ، النُّقْطَةَ الْأُولٰى ، مِنَ الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ خَمْسِ نِقَاطٍ ، مِنَ الْمَسَائِلِ السَّبْعِ ، لِلْمُذَكِّرَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ ، مِنَ اللَّمْعَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ.. فَبِنَاءً عَلٰى أَهَمِّيَّتِهَا صَارَتِ اللَّمْعَةَ الْعِشْرِينَ] ..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلّٰهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ ..

وَ﴿هَلَكَ النَّاسُ إِلَّا الْعَالِمُونَ ؛ وَهَلَكَ الْعَالِمُونَ إِلَّا الْعَامِلُونَ ؛ وَهَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ ؛ وَالْمُخْلِصُونَ عَلٰى خَطَرٍ عَظِيمٍ﴾ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ ..

إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ مَعَ هٰذَا الْحَدِيثِ ، يَدُلَّانِ عَلٰى أَنَّ الْإِخْلَاصَ ، أَسَاسٌ مُهِمٌّ ، فِي الْإِسْلَامِ . وَإِنَّا نُبَيِّنُ عَلٰى وَجْهِ الِاخْتِصَارِ ، خَمْسَ نِقَاطٍ فَقَطْ ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهَا ، مِنْ نِكَاتِ مَسْأَلَةِ الْإِخْلَاصِ هٰذِهِ ..

﴿اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى :﴾ سُؤَالٌ مُهِمٌّ وَهَائِلٌ ؛ يُقَالُ : لِمَاذَا يَتَّفِقُ أَهْلُ الدُّنْيَا ، وَأَهْلُ الْغَفْلَةِ ، حَتّٰى أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَأَهْلُ النِّفَاقِ ، بِدُونِ حَسَدٍ ؛ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ ، وَأَهْلَ الْوِفَاقِ ، الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ الدِّيَانَةِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ ، وَأَرْبَابُ الطَّرِيقَةِ ، يَخْتَلِفُونَ مُتَحَاسِدِينَ ؟(١) وَقَدْ

---

(١) تَنْبِيهٌ : إِنَّ مِنْ حُسْنِ حَظِّ مَدِينَةِ «إِسْپَارْطَة» الْمُبَارَكَةِ هٰذِهِ ، الَّذِي هُوَ مَدَارُ الشُّكْرَانِ ، أَنَّهُ لَا =

كَانَ الِاتِّفَاقُ ، حَقَّ أَهْلِ الْوِفَاقِ ؛ وَالْخِلَافُ ، لَازِمَ أَهْلِ النِّفَاقِ ؛ فَلِمَاذَا انْتَقَلَ هٰذَا الْحَقُّ ، إِلٰى هُنَالِكَ ؛ وَأَتٰى هٰذَا الْبَاطِلُ ، إِلٰى هٰهُنَا ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّنَا نَذْكُرُ سَبْعَةَ أَسْبَابٍ ، مِنَ الْأَسْبَابِ الْكَثِيرَةِ لِهٰذِهِ الْحَادِثَةِ الْمُدْهِشَةِ ، الْأَلِيمَةِ الْفَجِيعَةِ ، الَّتِي تُبْكِي أَهْلَ الْحَمِيَّةِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْلِ الْحَقِّ ، لَمْ يَنْشَأْ عَنِ انْعِدَامِ الْحَقِيقَةِ ؛ كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِهِمْ أَهْلَ الْحَقِيقَةِ ؛ بَلْ إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا ، وَأَصْحَابَ السِّيَاسَةِ ، وَالْجَمْعِيَّاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَالطَّوَائِفَ الَّتِي تَشْتَغِلُ بِخَدَمَاتٍ خَاصَّةٍ ، وَوَظَائِفَ مُعَيَّنَةٍ ، تَعُودُ إِلٰى طَبَقَاتِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، كَأَهْلِ الْمَدَارِسِ ؛ قَدْ تَعَيَّنَتْ وَظَائِفُهُمْ وَتَمَايَزَتْ ؛ وَتَبَيَّنَتْ أُجُورُهُمُ الْمَادِّيَّةُ ، الَّتِي يَقْبِضُونَهَا عَلٰى تِلْكَ الْوَظَائِفِ ، فِي جِهَةِ الْعَيْشِ ؛ وَافْتَرَقَتْ أُجُورُهُمُ الْمَعْنَوِيَّةُ ، الَّتِي يَأْخُذُونَهَا مِنْ تَوَجُّهِ[1] النَّاسِ ، فِي جِهَةِ الشَّأْنِ وَالشَّرَفِ ، وَحُبِّ الْجَاهِ ؛ فَلَا يُوجَدُ اشْتِرَاكٌ يُنْتِجُ التَّزَاحُمَ وَالنِّزَاعَ وَالتَّحَاسُدَ ؛ فَلِذٰلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَّفِقَ هٰؤُلَاءِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ ؛ مَهْمَا سَلَكُوا مَسْلَكاً فَاسِداً . .

وَأَمَّا أَهْلُ الدِّينِ ، وَأَصْحَابُ الْعِلْمِ ، وَأَرْبَابُ الطَّرِيقَةِ ، فَإِنَّ وَظِيفَةَ كُلٍّ مِنْ هٰؤُلَاءِ ،

= يُرَى اخْتِلَافُ مَنْ فِيهَا ، مِنْ أَهْلِ التَّقْوٰى ، وَأَهْلِ الْعِلْمِ ، وَأَصْحَابِ الطَّرِيقَةِ ، عَلٰى وَجْهِ التَّحَاسُدِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى سَائِرِ الْأَمَاكِنِ . وَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يُوجَدِ الِاتِّفَاقُ وَالْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّانِ اللَّازِمَانِ ؛ فَلَا تُوجَدُ الْمُخَالَفَةُ وَالتَّحَاسُدُ الْمُضِرَّانِ أَيْضاً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(١) **إِخْطَارٌ** : إِنَّ تَوَجُّهَ النَّاسِ لَا يُسْأَلُ ؛ بَلْ يُعْطٰى . وَإِذَا أُعْطِيَ ؛ فَلَا يُسْتَطَابُ بِهِ . وَإِذَا اسْتُطَابَ مِنْهُ ؛ يَضِيعُ الْإِخْلَاصُ ؛ وَيَدْخُلُ فِي الرِّيَاءِ . وَلَيْسَ تَوَجُّهُ النَّاسِ ، مَعَ طَلَبِ الشَّأْنِ وَالشَّرَفِ ، بِأَجْرٍ وَثَوَابٍ ؛ بَلْ هُوَ جَزَاءٌ وَعِتَابٌ ، نَشَأَ عَنِ انْعِدَامِ الْإِخْلَاصِ . **نَعَمْ** : إِنَّ تَوَجُّهَ النَّاسِ ، وَالشَّأْنَ وَالشَّرَفَ الَّذِي يَضُرُّ بِالْإِخْلَاصِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، يَتَّخِذُ شَكْلاً أَلِيماً ، مِثْلَ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْقَبْرِ ، إِزَاءَ لَذَّةٍ جُزْئِيَّةٍ فَانِيَةٍ ، إِلٰى بَابِ الْقَبْرِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا بُدَّ أَنْ لَا يُطْلَبَ تَوَجُّهُ النَّاسِ ؛ بَلْ يَلْزَمُ أَنْ يُتَوَحَّشَ وَيُهْرَبَ مِنْهُ . فَلْتَرِنَّ أَسْمَاعُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الِاشْتِهَارَ ؛ وَيَعْدُونَ وَرَاءَ الشَّأْنِ وَالشَّرَفِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

تَنْظُرُ إِلَى عُمُومِ النَّاسِ ؛ كَمَا أَنَّ أُجُورَهُمُ الْعَاجِلَةَ ، لَمْ تَتَعَيَّنْ وَلَمْ تَتَخَصَّصْ ؛ وَأَنَّ حِصَّةَ كُلٍّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِ الْمُجْتَمَعِ ، وَتَوَجُّهِ النَّاسِ ، وَحُسْنِ الْقَبُولِ ، لَمْ تَتَخَصَّصْ وَلَمْ تَتَمَيَّزْ ؛ فَيَتَرَشَّحُ كَثِيرُونَ ، لِمَقَامٍ وَاحِدٍ ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَتَطَاوَلَ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ، إِلَى كُلِّ أَجْرٍ مَادِّيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ ؛ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ ، التَّزَاحُمُ وَالتَّحَاسُدُ ؛ فَيُبْدَلُ الْوِفَاقُ ، بِالنِّفَاقِ ؛ وَالِاتِّفَاقُ ، بِالِاخْتِلَافِ . .

هٰذَا ، فَعِلَاجُ هٰذَا الْمَرَضِ الْمُدْهِشِ ، وَدَوَاؤُهُ ، هُوَ الْإِخْلَاصُ ؛ وَذٰلِكَ : بِأَنْ يَصِيرَ مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ﴾ ، بِتَرْجِيحِ الْتِزَامِ الْحَقِّ ، عَلَى الْتِزَامِ النَّفْسِ ، وَبِتَغْلِيبِ قَدْرِ الْحَقِّ ، عَلَى قَدْرِ النَّفْسِ وَالتَّكَبُّرِ ؛ وَأَنْ يُصْبِحَ مَظْهَراً لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ ، بِالِاسْتِغْنَاءِ[١] عَنِ الْأَجْرِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ ، الْوَارِدِ مِنَ النَّاسِ ؛ وَأَنْ يَظَلَّ مُوَفَّقاً لِلْإِخْلَاصِ ، بِالْعِلْمِ بِأَنَّ كَسْبَ حُسْنِ الْقَبُولِ ، وَحُسْنِ التَّأْثِيرِ ، وَإِقْبَالِ النَّاسِ ، هُوَ شَأْنُ اللهِ تَعَالَى ، وَإِحْسَانُهُ ؛ وَلَيْسَ ذٰلِكَ ، دَاخِلاً فِي التَّبْلِيغِ الَّذِي هُوَ عَمَلُهُ ؛ وَلَيْسَ لَازِماً لَهُ ؛ وَلَيْسَ مُكَلَّفاً بِهِ . .

اَلسَّبَبُ الثَّانِي : أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، مِنْ ذِلَّتِهِمْ ؛ وَأَنَّ اخْتِلَافَ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، مِنْ عِزَّتِهِمْ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا ، وَأَهْلَ الضَّلَالِ ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْغَفْلَةِ ، ضُعَفَاءُ وَأَذِلَّاءُ ، لِعَدَمِ اسْتِنَادِهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ؛ وَأَنَّهُمْ لِتَذَلُّلِهِمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى التَّقْوِيَةِ ؛ وَيَتَمَسَّكُونَ فِي هٰذَا الِاحْتِيَاجِ ، بِعَوْنِ غَيْرِهِمْ وَاتِّفَاقِهِمْ ، تَمَسُّكاً صَمِيماً . حَتّٰى إِنَّهُمْ ، وَلَوْ كَانَ مَسْلَكُهُمْ

---

(١) وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ سَجِيَّةَ إِيثَارِ الصَّحَابَةِ ، الَّتِي هِيَ مَظْهَرٌ لِثَنَاءِ الْقُرْآنِ ، دَلِيلاً لِنَفْسِهِ ؛ وَذٰلِكَ : بِأَنْ يُؤْثِرَ غَيْرَهُ ، عَلَى نَفْسِهِ ، فِي قَبُولِ الْهَدِيَّةِ وَالصَّدَقَةِ ؛ وَأَنْ يَعْلَمَ مَا يَرِدُ إِزَاءَ خِدْمَةِ الدِّينِ مِنَ النَّفْعِ ، إِحْسَاناً إِلٰهِيّاً مَحْضاً ، بِدُونِ سُؤَالٍ وَطَلَبٍ قَلْباً ؛ وَأَنْ لَا يَمْتَنَّ عَنِ النَّاسِ ؛ وَلَا يَأْخُذَهُ مُقَابِلَ خِدْمَةِ الدِّينِ ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ لَا يُطْلَبَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ ، عَلَى خِدْمَةِ الدِّينِ ؛ كَيْلَا يَفِرَّ الْإِخْلَاصُ ؛ وَإِنَّهُمْ ، وَإِنْ كَانَ حَقُّهُمْ أَنْ تُؤَمِّنَ الْأُمَّةُ مَعَايِشَهُمْ ؛ وَإِنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ لِلزَّكَاةِ ، إِلَّا أَنَّ هٰذَا الْحَقَّ لَا يُطْلَبُ ؛ بَلْ يُعْطَى بِدُونِ الطَّلَبِ . وَإِذَا أُعْطِيَ ؛ لَا يُقَالُ : إِنَّهُ أَجْرُ خِدْمَتِي ؛ فَيَنْجُو عَنْ هٰذَا الْخَطَرِ الْهَائِلِ ؛ وَيَفُوزُ بِالْإِخْلَاصِ ، بِإِيثَارِ نَفْسِ غَيْرِهِ ، عَلَى نَفْسِهِ ، مِمَّنْ هُوَ أَوْلَى وَأَحَقُّ مِنْهُ ، قَانِعاً حَسَبَ الْإِمْكَانِ ، وَبِمَظْهَرِيَّتِهِ لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

ضَلالاً ؛ يُحَافِظُونَ عَلَى الِاتِّفَاقِ أَيْضاً ؛ فَكَأَنَّهُمْ يَلْتَزِمُونَ الْحَقَّ ، فِي ذٰلِكَ الْبَاطِلِ ؛ وَيُخْلِصُونَ فِي ذٰلِكَ الضَّلالِ ، وَيَتَعَصَّبُونَ تَعَصُّباً دِينِيّاً ، فِي ذٰلِكَ الْإِلْحَادِ ؛ وَيَتَّفِقُونَ فِي ذٰلِكَ النِّفَاقِ ؛ فَيُوَفَّقُونَ لِأَنَّ إِخْلاصاً صَمِيماً ، لا يَبْقَى بِدُونِ نَتِيجَةٍ ؛ وَلَوْ كَانَ فِي الشَّرِّ . نَعَمْ : مَنْ طَلَبَ بِالْإِخْلاصِ ، مَا شَاءَ ، يَمْنَحُهُ اللهُ تَعَالٰى(١) . .

وَأَمَّا أَهْلُ الْهِدَايَةِ وَالدِّيَانَةِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَالطَّرِيقَةِ ، فَإِنَّ لَهُمْ عِزَّةً مَعْنَوِيَّةً تَنْشَأُ عَنْ مَسْلَكِهِمْ ؛ حَيْثُ يَسْتَنِدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ؛ وَيَتَصَوَّرُ كُلٌّ مِنْهُمْ ، رَبَّهُ فَقَطْ ؛ وَيَسْلُكُونَ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ ، مُعْتَمِدِينَ عَلٰى تَوْفِيقِ رَبِّهِمْ . وَإِذَا شَعَرَ أَحَدٌ بِضَعْفٍ ؛ يَرْجِعُ إِلٰى رَبِّهِ ؛ وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ ، بَدَلاً عَنِ النَّاسِ ؛ وَلا يَشْعُرُ تَمَاماً ، بِاحْتِيَاجِهِ إِلٰى مُعَاوَنَةِ الْمُخَالِفِ لِظَاهِرِ مَشْرَبِهِ ؛ وَلا يَرَى احْتِيَاجَهُ إِلَى اتِّفَاقِهِ ، لِاخْتِلافِ الْمَشَارِبِ ؛ بَلْ إِذَا وُجِدَ فِيهِ الْعُجْبُ وَالْكِبْرُ ؛ يَتَوَهَّمُ نَفْسَهُ مُحِقَّةً ؛ وَمُخَالِفَهُ مُبْطِلاً ؛ فَيَقَعُ بَيْنَهُمْ الِاخْتِلافُ وَالتَّحَاسُدُ ، بَدَلَ الِاتِّفَاقِ وَالتَّحَابِّ ؛ فَيُفَوِّتُ الْإِخْلاصَ ؛ وَيُصْبِحُ عَمَلُهُ ، شَذَرَ مَذَرَ . .

هٰذَا ، فَالْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ لِكَيْلا يَرَى مَا يُنْتِجُهُ هٰذَا السَّبَبُ الْمُدْهِشُ ، مِنْ نَتَائِجَ وَخِيمَةٍ ، هِيَ تِسْعَةُ أُمُورٍ . .

أَوَّلاً : أَنْ يَعْمَلَ عَمَلاً إِيجَابِيّاً ؛ وَذٰلِكَ : بِأَنْ يَعْمَلَ عَلٰى حُبِّ مَسْلَكِهِ ؛ وَلا يَتَدَخَّلَ عَدَاوَةُ الْمَسَالِكِ الْأُخْرٰى ، وَانْتِقَاصُ الْآخَرِينَ ، فِي فِكْرِهِ وَعَمَلِهِ ؛ وَلا يَشْتَغِلَ بِهِمْ . .

وَثَانِياً : بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَوَّرَ وُجُودَ رَوَابِطَ كَثِيرَةٍ لِلْوَحْدَةِ ، مِمَّا تَكُونُ وَسِيلَةً لِلْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالِاتِّفَاقِ ؛ فَيَتَّفِقُ مَعَهُ فِي أَيِّ مَشْرَبٍ كَانَ ، فِي دَائِرَةِ الْإِسْلامِ . .

وَثَالِثاً : أَنْ يَجْعَلَ دُسْتُورَ الْإِنْصَافِ ، دَلِيلاً لَهُ ؛ وَهُوَ أَنَّ مِنْ حَقِّ صَاحِبِ كُلِّ مَسْلَكٍ ، فِي جِهَةِ عَدَمِ تَدَخُّلِهِ فِي مَسْلَكِ الْآخَرِينَ ، أَنْ يَقُولَ : «إِنَّ مَسْلَكِي حَقٌّ ، أَوْ أَحْسَنُ» ؛ وَإِلَّا ؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ : «إِنَّ الْحَقَّ هُوَ مَسْلَكِي ؛ وَالْحَسَنَ هُوَ مَشْرَبِي

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ دُسْتُورَ (مَنْ طَلَبَ وَجَدَّ ؛ وَجَدَ) ، دُسْتُورٌ لِلْحَقِيقَةِ ؛ وَتَشْمُلُ كُلِّيَّتُهُ وَوُسْعَتُهُ ، مَسْلَكَنَا أَيْضاً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

فَقَطْ» ، مِمَّا يُومِئُ إِلٰى بُطْلاَنِ مَسْلَكِ غَيْرِهِ ، أَوْ إِلٰى قُبْحِهِ . .

وَرَابِعاً : أَنْ يَتَفَكَّرَ أَنَّ الاِتِّفَاقَ مَعَ أَهْلِ الْحَقِّ ، سَبَبٌ لِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالٰى ، وَوَسِيلَةٌ لِعِزَّةِ الدِّيَانَةِ . .

وَخَامِساً : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَقْوٰى مُقَاوَمَةٍ فَرْدِيَّةٍ ، تَقَعُ مَغْلُوبَةً أَمَامَ شَخْصٍ مَعْنَوِيٍّ مَتِينٍ ، عَلٰى صُورَةِ الْجَمَاعَةِ ، بِسَبَبِ التَّسَانُدِ ، حِينَمَا يُهَاجِمُ أَهْلُ الضَّلاَلَةِ وَالْبَاطِلِ ، بِدَهَاءِ ذٰلِكَ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ فَيُخْرِجُ هُوَ أَيْضاً ، شَخْصاً مَعْنَوِيّاً ، بِاتِّفَاقِ[1] جَانِبِ أَهْلِ الْحَقِّ ؛ وَيُحَافِظُ بِهِ عَلَى الْحَقِّ ، إِزَاءَ شَخْصِ الضَّلاَلَةِ ذٰلِكَ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ الْمُدْهِشِ . .

وَسَادِساً : أَنْ يَتْرُكَ نَفْسَهُ ؛ وَسَابِعاً : أَنْ يَتْرُكَ كِبْرَهُ ؛ وَثَامِناً : أَنْ يَتْرُكَ عِزَّتَهُ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا خَطَأً . .

وَتَاسِعاً : أَنْ يَتْرُكَ حِسِّيَّاتِهِ الْحَاسِدَةَ ، الَّتِي لاَ قِيمَةَ لَهَا ؛ لِيُنْقِذَ الْحَقَّ ، عَنْ صَوْلَةِ الْبَاطِلِ . . فَبِذٰلِكَ يَفُوزُ بِالْإِخْلاَصِ ؛ وَيُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ بِحَقِّهَا . .

اَلسَّبَبُ الثَّالِثُ : أَنَّ اخْتِلاَفَ أَهْلِ الْحَقِّ ، لَيْسَ مِنَ السَّفَالَةِ ، وَمِنْ فُقْدَانِ الْهِمَّةِ . وَلاَ أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الضَّلاَلَةِ ، مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ؛ بَلْ إِنَّ اخْتِلاَفَ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، يَكُونُ مِنْ سُوءِ اسْتِعْمَالِ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ؛ وَاتِّفَاقَ أَهْلِ الضَّلاَلِ ، يَكُونُ مِنْ ضَعْفٍ وَعَجْزٍ يَنْشَآنِ عَنْ فُقْدَانِ الْهِمَّةِ . وَإِنَّ الَّذِي يَسُوقُ أَهْلَ الْهِدَايَةِ ، مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، إِلٰى سُوءِ الاِسْتِعْمَالِ ؛ وَمِنْ ذٰلِكَ ، إِلٰى الاِخْتِلاَفِ وَالتَّحَاسُدِ بِالتَّبَعِ ، إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ جِهَةِ حِرْصِ الثَّوَابِ ، وَعَدَمِ الْقَنَاعَةِ فِي

---

(١) حَتّٰى إِنَّهُ ثَبَتَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ الْمُتَدَيِّنِينَ الْحَقِيقِيِّينَ مِنَ الْعِيسَوِيِّينَ ، يَتَّفِقُونَ مَعَ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ فَيُقَاوِمُونَ الزَّنْدَقَةَ الَّتِي هِيَ عَدُوُّهُمُ الْمُشْتَرَكُ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ أَهْلَ الدِّيَانَةِ ، وَأَهْلَ الْحَقِيقَةِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، لَيْسُوا مُحْتَاجِينَ إِلٰى الاِتِّفَاقِ الصَّمِيمِ ، مَعَ إِخْوَانِهِمْ ، وَأَهْلِ دِينِهِمْ وَمَسْلَكِهِمْ فَقَطْ ؛ بَلْ يَحْتَاجُونَ إِلٰى الاِتِّفَاقِ مَعَ الرُّوحَانِيِّينَ الْمُتَدَيِّنِينَ حَقِيقِيّاً ، مِنَ النَّصَارٰى أَيْضاً ، أَمَامَ الْمُلْحِدِينَ الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءٌ مُشْتَرَكَةٌ لَهُمْ ، بِدُونِ أَنْ يَجْعَلُوا مَا بَيْنَهُمْ ، مِنَ النِّقَاطِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الاِخْتِلاَفِ ، وَسِيلَةً لِلنِّزَاعِ وَالْخِلاَفِ مُؤَقَّتاً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْعَمَلِ الْأُخْرَوِيِّ ؛ وَذٰلِكَ يُعَدُّ خَصْلَةً مَمْدُوحَةً ، بِالنَّظَرِ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يَقُولُ : فَلْأَفُزْ أَنَا ، بِهٰذَا الثَّوَابِ ؛ وَلْأُرْشِدْ أَنَا ، هٰؤُلَاءِ النَّاسَ ؛ وَلْيَسْتَمِعُوا إِلٰى قَوْلِي ؛ فَيَتَّخِذُ حَالَةَ حَسَدٍ ، إِزَاءَ أَخِيهِ الْحَقِيقِيِّ ، فِي جَانِبٍ مُخَالِفٍ لَهُ ، الَّذِي يَحْتَاجُ هُوَ ، إِلٰى مَحَبَّتِهِ وَمُعَاوَنَتِهِ وَأُخُوَّتِهِ ؛ فَيَقُولُ : فَلِمَاذَا تَذْهَبُ طُلَّابِي إِلَيْهِ ؟ وَلِمَاذَا لَا تُوجَدُ تَلَامِذَتِي ، مِقْدَارَ تَلَامِذَتِهِ ؟ فَتَجِدُ نَفْسُهُ ، فُرْصَةً مِنْ ذٰلِكَ ؛ فَتُمِيلُهُ إِلٰى حُبِّ الْجَاهِ ؛ وَتُهَرِّبُ الْإِخْلَاصَ ؛ وَتَفْتَحُ بَابَ الرِّيَاءِ . .

هٰذَا ، فَعِلَاجُ هٰذَا الْخَطَأِ ، وَهٰذَا الْجُرْحِ ، وَهٰذَا الْمَرَضِ الرُّوحَانِيِّ الْمُدْهِشِ : هُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ رِضَاءَ اللهِ تَعَالٰى ، يُكْتَسَبُ بِالْإِخْلَاصِ ، لَا بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ ، وَلَا بِزِيَادَةِ التَّوْفِيقِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ يَعُودُ إِلَى الشَّأْنِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَلَا يُطْلَبُ ؛ بَلْ قَدْ يُعْطٰى أَحْيَاناً . نَعَمْ : قَدْ تَكُونُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، سَبَبَ النَّجَاةِ ، وَوَسِيلَةَ الرِّضَا أَحْيَاناً ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُعْتَبَرَ بِقِيمَةِ الْكَمِّيَّةِ ؛ وَلَا تُجْعَلَ مَدَارَ النَّظَرِ كَذٰلِكَ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَحْيَاناً إِرْشَادُ شَخْصٍ ، مَدَاراً لِرِضَاءِ اللهِ تَعَالٰى ، بِقَدَرِ إِرْشَادِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْإِخْلَاصَ ، وَالْتِزَامَ الْحَقِّ ، هُوَ أَنْ يَكُونَ مُوَالِياً لِاسْتِفَادَةِ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ أَيْنَ ، وَمِمَّنْ كَانَتْ . وَإِلَّا ؛ فَإِنَّ مِنْ حِيلَةِ النَّفْسِ وَالْغُرُورِ ، أَنْ يَقُولَ : فَلْيَدْرُسُوا مِنِّي ؛ وَلْيُحَصِّلُوا لِيَ الثَّوَابَ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْحَرِيصُ لِلثَّوَابِ ، وَيَا مَنْ لَا يَقْتَنِعُ فِي أَعْمَالِ الْآخِرَةِ ! لَقَدْ جَاءَ بَعْضُ أَنْبِيَاءَ لَمْ يَتْبَعْهُمْ سِوٰى أَفْرَادٍ مَحْدُودَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ أَخَذُوا مَا لَا حَدَّ لَهُ ، مِنْ أَجْرِ كُلْفَةِ النُّبُوَّةِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ فَإِذاً إِنَّ الْأَثَرَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ ، بَلْ بِتَحْصِيلِ رِضَاءِ اللهِ تَعَالٰى . فَمَنْ أَنْتَ ؟ حَتّٰى تَعْتَرِضَ عَلٰى شَأْنِ اللهِ تَعَالٰى ؛ فَتَنْسٰى شَأْنَكَ ؛ وَتَقُولَ بِمِثْلِ هٰذَا الْحِرْصِ : فَلْيَسْتَمِعْ إِلَيَّ كُلُّ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ جَمْعَ النَّاسِ حَوْلَكَ ، وَتَحْصِيلَ قَبُولِهِمْ لَكَ ، هُوَ مِنْ شُؤُونِهِ تَعَالٰى ؛ فَأَدِّ عَمَلَكَ ؛ وَلَا تَعْتَرِضْ عَلٰى أَفْعَالِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ ؛ وَيُحَصِّلُونَ الثَّوَابَ ، لِلْقَائِلِينَ ، لَيْسُوا النَّاسَ فَقَطْ ؛ فَإِنَّ مَلَائِكَةَ اللهِ ، وَرُوحَانِيَّاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ مِنْ ذَوِي الشُّعُورِ ، مَلَأُوا الْعَوَالِمَ ؛ وَعَمَرُوا كُلَّ النَّوَاحِي ؛ فَإِذَا

كُنْتَ تُرِيدُ الثَّوَابَ كَثِيراً ؛ فَاتَّخِذِ الْإِخْلَاصَ أَسَاساً ؛ وَتَصَوَّرْ رِضَاءَ اللهِ تَعَالٰى وَحْدَهُ ؛ حَتّٰى تَحْيَا مَا تَخْرُجُ عَنْ فَمِكَ ، مِنْ أَفْرَادِ الْكَلِمَاتِ الْمُبَارَكَةِ ، فِي الْهَوَاءِ ؛ وَتَذْهَبَ إِلٰى آذَانِ ذَوَاتِ شُعُورٍ ، لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَتُنَوِّرَهَا بِالْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ ؛ وَتُكْسِبَ لَكَ الثَّوَابَ أَيْضاً ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ» ، مَثَلاً ؛ تُسْتَنْسَخُ مِنْ هٰذَا الْكَلَامِ ، بِإِذْنِ اللهِ تَعَالٰى ، فِي الْهَوَاءِ ، مَلَايِينُ كَلِمَاتٍ صِغَارٍ وَكِبَارٍ ، مِنْ كَلِمَةِ «الْحَمْدُ لِلّٰهِ» ؛ وَإِنَّ النَّقَّاشَ الْأَزَلِيَّ لَا يَعْبَثُ وَلَا يُسْرِفُ ؛ فَلِذٰلِكَ خَلَقَ آذَاناً لَا حَدَّ لَهَا ، مِقْدَارَ مَا تَسْمَعُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمُبَارَكَةَ الْكَثِيرَةَ ؛ فَإِنْ حَيِيَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ ، فِي الْهَوَاءِ ، بِالْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ ؛ تَدْخُلُ فِي آذَانِ الرُّوحَانِيِّينَ ، كَالثِّمَارِ اللَّذِيذَةِ ؛ وَإِنْ لَمْ يُحْيِ الْإِخْلَاصُ وَرِضَاءُ اللهِ تَعَالٰى ، تِلْكَ الْكَلِمَاتِ ، فِي الْهَوَاءِ ؛ فَلَا يُسْتَمَعُ إِلَيْهَا ؛ وَيَنْحَصِرُ الثَّوَابُ ، عَلَى الْكَلِمَةِ فِي الْفَمِ وَحْدَهَا . . فَلْتَرِنَّ آذَانُ الْحُفَّاظِ الَّذِينَ يَنْقَبِضُونَ عَنْ قِلَّةِ الْمُسْتَمِعِينَ إِلَيْهِمْ ، مِنْ عَدَمِ حُسْنِ أَصْوَاتِهِمْ كَثِيراً . .

اَلسَّبَبُ الرَّابِعُ : أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، عَلٰى وَجْهِ التَّحَاسُدِ ، لَيْسَ مِنْ قِصَرِ النَّظَرِ ، وَلَا مِنْ عَدَمِ التَّفَكُّرِ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، اتِّفَاقاً صَمِيماً ، لَيْسَ مِنْ عُلُوِّ النَّظَرِ ، وَلَا مِنْ تَفَكُّرِ الْعَاقِبَةِ ؛ بَلْ إِنَّ أَهْلَ الْهِدَايَةِ لَا يَغْتَرُّونَ بِحِسِّيَّاتِ النَّفْسِ الْعَمْيَاءِ ، بِسَبَبِ تَأْثِيرِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ؛ وَلَا يَحْفَظُونَ الِاسْتِقَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ ، مَعَ كَوْنِهِمْ تَابِعِينَ لِمُيُولِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ ، الْبَعِيدَةِ الْمَدٰى ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يُحَافِظُونَ عَلٰى ذٰلِكَ الْمَقَامِ الْعَالِي ؛ فَيَقَعُونَ فِي الِاخْتِلَافِ . وَأَمَّا أَهْلُ الضَّلَالَةِ ، فَإِنَّهُمْ يَتَّفِقُونَ شَدِيداً ، عَلٰى وَجْهٍ صَمِيمٍ ، لِمَصْلَحَةٍ عَاجِلَةٍ ، وَلَذَّةٍ حَاضِرَةٍ ، بِتَأْثِيرِ النَّفْسِ وَالْهَوٰى ، وَبِمُقْتَضَى الْحِسِّيَّاتِ الْعَمْيَاءِ الَّتِي لَا تُدْرِكُ الْعَاقِبَةَ ؛ وَتُرَجِّحُ دِرْهَماً مِنَ اللَّذَّةِ الْحَاضِرَةِ ، عَلٰى رَطْلٍ مِنَ اللَّذَّةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ . نَعَمْ : إِنَّ عُبَّادَ النَّفْسِ السُّفَلَاءَ الَّذِينَ لَا قَلْبَ لَهُمْ ، يَتَّفِقُونَ وَيَتَّحِدُونَ صَمِيماً ، حَوْلَ لَذَّةٍ حَاضِرَةٍ ، وَمَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ . .

وَإِنَّ أَهْلَ الْهِدَايَةِ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى الْكَمَالَاتِ ، وَالثَّمَرَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَالْمُسْتَقْبَلِيَّةِ ،

بِدَسَاتِيرَ عَالِيَةٍ ، مِنْ دَسَاتِيرِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ ؛ فَكَانَ يُمْكِنُ اسْتِقَامَةٌ أَسَاسِيَّةٌ ، وَإِخْلاصٌ تَامٌّ ، وَاتِّحَادٌ صَمِيمٌ ، وَاتِّفَاقٌ فِدَائِيٌّ جِدّاً ؛ وَلٰكِنَّهُمْ يَفْقِدُونَ الاتِّفَاقَ الَّذِي هُوَ مَنْبَعٌ عَالٍ ، مِنْ مَنَابِعِ الْقُوَّةِ ؛ وَذٰلِكَ : مِنْ أَجْلِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ ، لِعَدَمِ تَجَرُّدِهِمْ عَنِ الْكِبْرِ ؛ فَيَنْتَقِضُ الْإِخْلاصُ ؛ وَتَخْتَلُّ الْخِدْمَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ ؛ وَلا يُحَصَّلُ رِضَاءُ اللهِ تَعَالٰى هَيِّناً . .

وَعِلاجُ هٰذَا الْمَرَضِ الْمُهِمِّ ، وَدَوَاؤُهُ : هُوَ أَنْ يَفْتَخِرَ بِصُحْبَةِ السَّالِكِينَ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ ، بِسِرِّ **الْحُبِّ فِي اللهِ** ؛ وَأَنْ يَسْلُكَ وَرَاءَهُمْ ؛ وَيَتْرُكَ شَرَفَ الْإِمَامَةِ لَهُمْ ؛ وَيَتَّقِي عَنِ التَّكَبُّرِ ، بِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ السَّالِكُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ ، أَيّاً كَانَ ، أَفْضَلَ مِنْهُ ؛ فَيَفُوزَ بِالْإِخْلاصِ ؛ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ دِرْهَمَ عَمَلٍ ذِي إِخْلاصٍ ، أَرْجَحُ عَلٰى أَرْطَالِ أَعْمَالٍ بِدُونِ إِخْلاصٍ ؛ وَيَخْتَارَ كَوْنَهُ تَابِعاً ، عَلٰى كَوْنِهِ مَتْبُوعاً ، الَّذِي هُوَ خَطَرٌ وَسَبَبٌ لِلْمَسْؤُولِيَّةِ ؛ فَبِذٰلِكَ يَنْجُو عَنْ ذٰلِكَ الْمَرَضِ ؛ وَيَكْسِبُ الْإِخْلاصَ ؛ وَيُؤَدِّي خِدْمَتَهُ الْأُخْرَوِيَّةَ ، بِحَقِّهَا . .

اَلسَّبَبُ الْخَامِسُ : أَنَّ اخْتِلافَ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، وَانْعِدَامَ اتِّفَاقِهِمْ ، لَيْسَ مِنْ ضَعْفِهِمْ ؛ كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الضَّلالَةِ قَوِيّاً ، لَيْسَ مِنْ قُوَّتِهِمْ ؛ بَلْ إِنَّ انْعِدَامَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، يَأْتِي مِنْ قُوَّةٍ تَنْشَأُ عَنْ نُقْطَةِ اسْتِنَادٍ ، تَرِدُ مِنَ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ ؛ كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، وَأَهْلِ الضَّلالَةِ ، يَنْشَأُ عَنْ ضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ ؛ حَيْثُ لا يَجِدُونَ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ لِقُلُوبِهِمْ ؛ فَيَتَّفِقُونَ اتِّفَاقاً شَدِيداً ؛ لِأَنَّ الضُّعَفَاءَ يَحْتَاجُونَ إِلٰى الاتِّفَاقِ ؛ وَأَنَّ الْأَقْوِيَاءَ لا يَشْعُرُونَ بِالاحْتِيَاجِ إِلٰى الاتِّفَاقِ كَامِلاً ؛ فَيَضْعُفُ اتِّفَاقُهُمْ ؛ وَذٰلِكَ كَالْأُسُودِ وَالثَّعَالِبِ ؛ حَيْثُ لا يَحْتَاجُونَ إِلٰى الاتِّفَاقِ ؛ فَيَعِيشُونَ فُرَادٰى ؛ وَإِنَّ الْمَعْزَ الْوُحُوشَ تُشَكِّلُ قِطَعاً ، لِتَحَفُّظِهَا عَنِ الذِّئَابِ . فَإِذاً إِنَّ جَمْعِيَّةَ الضُّعَفَاءِ ، وَشَخْصَهُمُ الْمَعْنَوِيَّ ، قَوِيَّانِ(١) ؛ كَمَا أَنَّ جَمْعِيَّةَ الْأَقْوِيَاءِ ، وَشَخْصَهُمُ الْمَعْنَوِيَّ ، ضَعِيفَانِ . .

---

(١) وَإِنَّ أَشَدَّ جَمْعِيَّةٍ ، وَأَزْيَدَهَا تَأْثِيراً ، بَلْ أَقْوَاهَا فِي جِهَةٍ مَّا ، بَيْنَ جَمْعِيَّاتِ أُورُوپَّا ، هِيَ جَمْعِيَّةُ حُقُوقِ النِّسَاءِ وَحُرِّيَّتِهِنَّ ، ذٰلِكَ الْجِنْسِ اللَّطِيفِ الضَّعِيفِ النَّحِيفِ ، الَّتِي تُوجَدُ بِأَمْرِيكَا ؛ وَأَيْضاً أَنَّ جَمْعِيَّةَ الْأَرْمَنِ الضَّعِيفِ الْقَلِيلِ بَيْنَ الشُّعُوبِ ، تُبْدِي حَالَةً فِدَائِيَّةً كَثِيرَةً ؛ وَذٰلِكَ يُؤَيِّدُ مُدَّعَانَا هٰذَا . . **اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه)** . .

وَتُشِيرُ إِلٰى هٰذَا السِّرِّ ، إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ ، وَنُكْتَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ظَرِيفَةٌ ؛ حَيْثُ قَالَ : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وَ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ ؛ فَذَكَرَ الْفِعْلَ الْمُذَكَّرَ ؛ وَهُوَ (قَالَ) ، لِجَمَاعَةِ الْإِنَاثِ ، مَعَ كَوْنِهَا مُؤَنَّثَةً ضِعْفَيْنِ ؛ وَعَبَّرَ عَنْ جَمَاعَةِ الذُّكُورِ ، بِفِعْلِ الْمُؤَنَّثِ ؛ وَهُوَ (قَالَتْ) ؛ فَيُشِيرُ بِذٰلِكَ إِشَارَةً لَطِيفَةً ، إِلٰى أَنَّ جَمْعِيَّةَ النِّسَاءِ اللَّيِّنَةِ ، الْحَلِيمَةِ الضَّعِيفَةِ ، تَتَصَلَّبُ وَتَتَشَدَّدُ وَتَتَقَوّٰى ؛ فَتَكْتَسِبُ نَوْعاً مِنْ رُجُولِيَّةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ تَقْتَضِي فِعْلَ الْمُذَكَّرِ ؛ فَوَقَعَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ ، حَسَناً فِي غَايَةِ الْحُسْنِ ، بِلَفْظِ الْمُذَكَّرِ . وَأَمَّا الرِّجَالُ ، وَلَاسِيَّمَا لَوْ كَانُوا أَعْرَاباً بَدَوِيِّينَ ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلٰى قُوَّتِهِمْ ؛ فَتَصِيرُ جَمْعِيَّتُهُمْ ضَعِيفَةً ؛ وَيَتَّخِذُونَ حَالَةَ الْاِحْتِيَاطِ وَاللِّينِ ؛ فَيَتَلَبَّسُونَ بِخَاصِّيَّةِ نَوْعٍ مِنْ أُنُوثَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ تَقْتَضِي فِعْلَ الْمُؤَنَّثِ ؛ فَتَعْبِيرُ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ ، بِفِعْلِ الْمُؤَنَّثِ ، يَكُونُ فِي مَحَلِّهِ الْمُنَاسِبِ . نَعَمْ : إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَا يَطْلُبُونَ مُعَاوَنَةَ غَيْرِهِمْ وَنُصْرَتَهُمْ ؛ فَلَا يَعْرِضُونَ احْتِيَاجَهُمْ عَلَيْهِمْ ؛ وَذٰلِكَ بِسَبَبِ التَّوَكُّلِ وَالتَّسْلِيمِ النَّاشِئَيْنِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللّٰهِ ، الَّذِي هُوَ نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ ، قَوِيَّةٌ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ ؛ فَإِذَا طَلَبُوا الْعَوْنَ ؛ فَلَا يَرْتَبِطُونَ بِهِمْ بِغَايَةِ الْفِدَاءِ . وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا وَقَعُوا فِي الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ، لِتَغَافُلِهِمْ عَنْ نُقْطَةِ اسْتِنَادِهِمُ الْحَقِيقِيَّةِ ، فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ ؛ فَيَشْعُرُونَ بِاحْتِيَاجِهِمْ إِلَى الْأَعْوَانِ ؛ فَيَتَّفِقُونَ جِدّاً ، بَلْ فِدَاءً . هٰذَا ، فَأَهْلُ الْحَقِّ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيمَا فِي الْاِتِّفَاقِ ، مِنْ قُوَّةِ الْحَقِّ ؛ وَلَمْ يَطْلُبُوهَا ؛ فَوَقَعُوا فِي الْاِخْتِلَافِ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةٌ ضَارَّةٌ بَاطِلَةٌ . وَأَمَّا أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْبَاطِلِ ، فَإِنَّهُمْ شَعَرُوا بِسَبَبِ عَجْزِهِمْ ، بِالْقُوَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْاِتِّفَاقِ ؛ فَحَصَّلُوا الْاِتِّفَاقَ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةٌ مُهِمَّةٌ لِلْمَقَاصِدِ . .

هٰذَا ، فَدَوَاءُ مَرَضِ اخْتِلَافِ أَهْلِ الْحَقِّ هٰذَا ، وَعِلَاجُ هٰذَا الْاِخْتِلَافِ الْبَاطِلِ : هُوَ أَنْ يَجْعَلَ النَّهْيَ الْإِلٰهِيَّ الشَّدِيدَ ، فِي آيَةِ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ، وَالْأَمْرَ الْإِلٰهِيَّ الْحَكِيمَ لِلْغَايَةِ ، حَسَبَ الْحَيَاةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ ، فِي آيَةِ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى﴾ ، نَهْجَ الْعَمَلِ ؛ وَأَنْ يَتَصَوَّرَ أَنَّ الْاِخْتِلَافَ يَضُرُّ بِالْإِسْلَامِ أَيَّ ضَرَرٍ ؛ وَيُسَهِّلُ غَلَبَةَ أَهْلِ الضَّلَالِ ، عَلٰى أَهْلِ الْحَقِّ ، أَيَّ تَسْهِيلٍ ؛ وَأَنْ يَتْبَعَ رَكْبَ أَهْلِ الْحَقِّ أُولَائِكَ ،

فِدَاءً وَصَمِيماً ، بِكَمَالِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ؛ وَيَنْسٰى نَفْسَهُ ؛ فَبِذٰلِكَ يَنْجُو عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ ؛ وَيَحْصُلُ عَلَى الْإِخْلَاصِ . .

اَلسَّبَبُ السَّادِسُ : أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْلِ الْحَقِّ ، لَيْسَ مِنْ فُقْدَانِ الْمُرُوءَةِ ، وَلَا مِنْ عَدَمِ الْهِمَّةِ ، وَعَدَمِ الْحَمِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ الْغَافِلِينَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَأَهْلِ الضَّلَالِ ، اتِّفَاقاً صَمِيماً ، فِي أُمُورٍ تَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْهِمَّةِ ؛ بَلْ إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَتَصَوَّرُونَ عَلَى الْأَكْثَرِ ، مَا تَعُودُ إِلَى الْآخِرَةِ ، مِنَ الْفَوَائِدِ ؛ فَبِذٰلِكَ تَنْقَسِمُ حَمِيَّتُهُمْ وَهِمَّتُهُمْ وَمُرُوءَتُهُمْ ، إِلٰى تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْكَثِيرَةِ الْمُهِمَّةِ ؛ فَلَا يَقْوَى اتِّفَاقُهُمْ مَعَ أَهْلِ مَسْلَكِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَصْرِفُونَ وَقْتَهُمُ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْمَالِ الْحَقِيقِيِّ ، لِمَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ لِأَنَّ الْمَسَائِلَ كَثِيرَةٌ ؛ وَالدَّائِرَةَ وَاسِعَةٌ . وَأَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا الْغَافِلُونَ ، فَإِنَّهُمْ يُلَاحِظُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَقَطْ ؛ فَيَعْتَنِقُونَ مَسَائِلَ عَائِدَةً إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، بِصُورَةٍ شَدِيدَةٍ ، بِأَرْوَاحِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ ، وَبِكُلِّ حِسِّيَّاتِهِمْ ؛ فَيَتَّحِدُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، اتِّحَاداً قَوِيّاً ، مَعَ مَنْ يَنْصُرُهُ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ ؛ وَيَحْصُرُ وَقْتَهُ الَّذِي هُوَ بِقِيمَةِ خَمْسِمِئَةِ دِينَارٍ ، فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ مِنْ مَسَائِلَ لَا تَزِنُ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ، فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَلَا يَدْفَعُ لَهَا أَهْلُ الْحَقِّ ، عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ؛ وَذٰلِكَ كَيَهُودِيٍّ جَوْهَرِيٍّ مَجْنُونٍ يَدْفَعُ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، لِزُجَاجَةٍ تَزِنُ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ؛ فَيُوَفَّقُ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ ؛ لِأَنَّ إِعْطَاءَ هٰذَا الْمِقْدَارِ مِنَ الثَّمَنِ ، لَهَا ، وَالِاعْتِنَاقَ بِهَا ، بِحِسِّيَّاتٍ شَدِيدَةٍ ، إِخْلَاصٌ صَمِيمٌ ؛ وَلَوْ كَانَ فِي سَبِيلِ الْبَاطِلِ ؛ فَيَغْلِبُ عَلٰى أَهْلِ الْحَقِّ ؛ فَيَقَعُونَ فِي الذُّلِّ وَتَحْتَ التَّحَكُّمِ ، وَفِي التَّصَنُّعِ وَالرِّيَاءِ ؛ وَيَفْقِدُونَ الْإِخْلَاصَ ، عَلٰى أَثَرِ هٰذِهِ الْغَلَبَةِ ؛ وَيُضْطَرُّونَ إِلَى التَّبَصْبُصِ لِبَعْضِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَا مُرُوءَةَ عِنْدَهُمْ ؛ وَلَا هِمَّةَ وَلَا حَمِيَّةَ لَهُمْ . .

فَيَا أَهْلَ الْحَقِّ ، وَيَا أَهْلَ الشَّرِيعَةِ ، وَأَرْبَابَ الْحَقِيقَةِ ، وَأَصْحَابَ الطَّرِيقَةِ الْمُحِقِّينَ !

لَا تَنْظُرُوا أَمَامَ هٰذَا الْمَرَضِ الْمُدْهِشِ مِنَ الِاخْتِلَافِ ، إِلٰى قُصُورِ الْآخَرِينَ ؛ وَغُضُّوا عُيُونَكُمْ ، إِزَاءَ عُيُوبِهِمْ ؛ وَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِ الْفُرْقَانِ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ ؛ وَاتْرُكُوا الْمُنَازَعَاتِ الدَّاخِلِيَّةَ ، فِي زَمَنِ مُهَاجَمَةِ الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ ؛ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ إِنْقَاذَ أَهْلِ

الْحَقِّ ، عَنِ الذُّلِّ وَالسُّقُوطِ ، أَعْلٰى خَدَمَاتٍ أُخْرَوِيَّةٍ وَأَهَمُّهَا ؛ وَافْعَلُوا مَا تَأْمُرُ بِهِ مِئَاتٌ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، أَمْراً شَدِيداً ، مِنَ التَّعَاوُنِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ ؛ وَاتَّفِقُوا مَعَ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمَسْلَكِكُمْ ، بِكُلِّ حِسِّيَّاتِكُمْ ، أَشَدَّ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا : أَيْ لَا تَقَعُوا فِي الِاخْتِلَافِ ؛ وَلَا تَخَلَّفُوا فَتُضْعِفُوا الِاتِّفَاقَ ، قَائِلِينَ إِنَّنَا نَصْرِفُ أَوْقَاتَنَا الْمُهِمَّةَ ، فِي أُمُورٍ قَيِّمَةٍ ، كَالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ ؛ وَلَا نَصْرِفُهَا لِمِثْلِ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ الصِّغَارِ ؛ فَإِنَّ مَا تَظُنُّونَهُ صَغِيراً ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَبِيراً جِدّاً ، فِي هٰذَا الْجِهَادِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ فَكَمَا أَنَّ حِرَاسَةَ جُنْدِيٍّ ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، بَيْنَ شَرَائِطَ خَاصَّةٍ وَمُهِمَّةٍ ، قَدْ تُصْبِحُ أَحْيَاناً ، فِي حُكْمِ عِبَادَةِ سَنَةٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ يَوْماً قَيِّماً ، مِنْ أَيَّامِكُمُ الَّتِي تَصْرِفُونَهَا فِي مَسْأَلَةٍ صَغِيرَةٍ ، مِنْ مَسَائِلِ الْجِهَادِ الْمَعْنَوِيِّ ، فِي هٰذَا الزَّمَنِ الَّذِي غُلِبَ فِيهِ أَهْلُ الْحَقِّ ؛ يُمْكِنُ أَنْ يُقَوَّمَ أَلْفَ دَرَجَةٍ ، كَسَاعَةِ ذٰلِكَ الْجُنْدِيِّ ؛ وَأَنْ يَكُونَ يَوْمُكُمْ ، كَأَلْفِ يَوْمٍ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ لِوَجْهِ اللهِ ؛ فَلَا يُنْظَرُ إِلٰى صِغَرِ ذٰلِكَ الْأَمْرِ وَكِبَرِهِ ، وَلَا إِلٰى قِيمَتِهِ ، وَعَدَمِ قِيمَتِهِ ؛ فَإِنَّ الذَّرَّةَ تَكُونُ كَنَجْمٍ ، فِي سَبِيلِ الْإِخْلَاصِ ، وَرِضَاءِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَلَا يُنْظَرُ إِلٰى مَاهِيَّةِ الْوَسِيلَةِ ؛ وَإِنَّمَا يُنْظَرُ إِلٰى نَتِيجَتِهَا ؛ فَإِذَا كَانَتْ نَتِيجَتُهَا ، رِضَاءَ اللهِ ؛ وَرَوْنَقُهَا ، الْإِخْلَاصَ ؛ لَمْ تَكُنْ مَسْأَلَةً صَغِيرَةً ؛ بَلْ هِيَ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ . .

اَلسَّبَبُ السَّابِعُ : أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، وَشِقَاقَهُمْ ، لَا يَنْشَأُ عَنِ الْحَسَدِ وَحِرْصِ الدُّنْيَا ؛ كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَأَهْلِ الْغَفْلَةِ أَيْضاً ، لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ وَعُلُوِّ الْجَنَابِ ؛ بَلْ إِنَّ أَهْلَ الْحَقِيقَةِ لَا يُحَافِظُونَ تَمَاماً ، عَلٰى عُلُوِّ الْجَنَابِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، النَّاشِئَيْنِ عَنِ الْحَقِيقَةِ ، وَعَلَى الْمُسَابَقَةِ الْمَمْدُوحَةِ ، فِي سَبِيلِ الْحَقِّ ؛ وَيُسِيؤُونَ اسْتِعْمَالَهَا بَعْضَ إِسَاءَةٍ ، بِسَبَبِ دُخُولِ غَيْرِ أَهْلِهَا ؛ فَيَقَعُونَ فِي اخْتِلَافٍ عَلٰى وَجْهِ التَّحَاسُدِ ؛ فَحَصَلَ لَهُمْ وَلِجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِ ، ضَرَرٌ مُهِمٌّ . .

وَأَمَّا أَهْلُ الْغَفْلَةِ ، وَأَهْلُ الضَّلَالَةِ ، فَإِنَّهُمْ يَتَّحِدُونَ خَالِصاً ، مَعَ رُفَقَائِهِمْ مُطْلَقاً ؛ وَلَوْ كَانَ دَنِيئاً وَخَائِناً وَمُضِرّاً ؛ وَذٰلِكَ بِسَبَبِ ذِلَّتِهِمْ وَعَدَمِ مُرُوءَتِهِمْ وَحَمِيَّتِهِمْ ؛ لِئَلَّا يُفَوِّتُوا مَنَافِعَ يُفْتَنُونَ بِهَا ؛ وَلَا يُسْخِطُوا رِفَاقَهُمْ وَرُؤَسَاءَهُمْ ، الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ لِلْمَصَالِحِ ؛ وَكَذَا

أَنَّ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَ الْمَنَافِعِ ، يَتَّفِقُونَ صَمِيماً ، مَعَ شُرَكَائِهِمْ ، عَلٰى أَيِّ شَكْلٍ كَانَ ؛ فَيَسْتَفِيدُونَ فِي نَتِيجَةِ الْإِخْلَاصِ . .

فَيَا أَهْلَ الْحَقِّ ، وَأَصْحَابَ الْحَقِيقَةِ ، الَّذِينَ ابْتُلُوا بِالْمُصِيبَةِ ؛ وَوَقَعُوا فِي الِاخْتِلَافِ ! إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ سَبَباً لِذِلَّةِ أَهْلِ الْحَقِّ وَمَسْكَنَتِهِمْ ؛ حَيْثُ فَوَّتُّمُ الْإِخْلَاصَ ؛ وَلَمْ تَحْصُرُوا غَايَةَ مَقْصُودِكُمْ ، فِي رِضَاءِ اللهِ تَعَالٰى ، فِي زَمَنِ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُوجَدَ الْحَسَدُ وَالْغِبْطَةُ ، فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْآخِرَةِ ؛ وَلَا يُوجَدُ فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَسَبَبُ الْحَسَدِ وَالْغِبْطَةِ ، هُوَ التَّزَاحُمُ وَالتَّنَازُعُ وَالتَّسَابُقُ ، النَّاشِئَةُ عَنْ تَطَاوُلِ أَيْدٍ كَثِيرَةٍ ، إِلٰى شَيْءٍ وَاحِدٍ ، وَشُخُوصِ أَبْصَارٍ كَثِيرَةٍ ، إِلٰى مَقَامٍ وَاحِدٍ ، وَعَنْ طَلَبِ مِعَدٍ كَثِيرَةٍ ، خُبْزاً وَاحِداً ؛ فَبِذٰلِكَ يَقَعُونَ فِي الْغِبْطَةِ ، ثُمَّ فِي الْحَسَدِ ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا لَا تَفِي بِمَطَالِبِ الْإِنْسَانِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، لِكَوْنِهَا ضَيِّقَةً وَفَانِيَةً ؛ وَلِأَنَّ كَثِيرِينَ يَكُونُونَ فِي الدُّنْيَا طَالِبِينَ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ فَيَقَعُونَ فِي التَّحَاسُدِ ؛ وَلٰكِنَّ الْآخِرَةَ لَا يُوجَدُ فِيهَا التَّحَاسُدُ ، وَلَا مَا يَكُونُ سَبَبَ التَّحَاسُدِ ؛ يَدُلُّ عَلٰى ذٰلِكَ ، إِشَارَةُ الْحَدِيثِ إِلٰى أَنَّ جَنَّةً مِقْدَارَ مَسَافَةِ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ(١) ، تُعْطٰى إِنْسَاناً وَاحِداً فِي الْآخِرَةِ ؛

---

(١) سُؤَالٌ أَهَمُّ مِنْ جَانِبٍ مُهِمٍّ : وَهُوَ أَنَّهُ وَرَدَ فِي الرِّوَايَةِ : أَنَّ إِنْسَاناً وَاحِداً ، يُعْطٰى فِي الْجَنَّةِ ، مَسَافَةَ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ ؛ فَكَيْفَ تَسَعُ حَوْصَلَةُ الْعَقْلِ الدُّنْيَوِيِّ ، هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ؟ .

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : هُوَ ، كَمَا أَنَّ لِكُلِّ أَحَدٍ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، دُنْيَا خُصُوصِيَّةً وَمُؤَقَّتَةً ، مِقْدَارَ الدُّنْيَا ؛ وَعِمَادُ تِلْكَ الدُّنْيَا ، حَيَاتُهُ ؛ وَهُوَ يَسْتَفِيدُ مِنْ دُنْيَاهُ تِلْكَ ، بِحَوَاسِّهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ؛ فَيَقُولُ : إِنَّ الشَّمْسَ سِرَاجِي ؛ وَالنُّجُومَ مَشَاعِلِي ؛ وَلَا يَمْنَعُ وُجُودُ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَذَوِي الْأَرْوَاحِ ، مَالِكِيَّةَ ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ ؛ كَمَا يَعْمُرُ دُنْيَاهُ الْخَاصَّةَ ؛ وَيُزَيِّنُهَا بِالْعَكْسِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ؛ وَلٰكِنْ أَعْلٰى مِنْهُ بِأَلْفِ دَرَجَةٍ ، إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، جَنَّةً خَاصَّةً بِهِ ، فِي سَعَةِ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ ، مِنَ الْجَنَّةِ الْعَامَّةِ ، سِوٰى حَدِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلٰى آلَافِ قَصْرٍ وَحُورٍ ؛ فَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا ، بِصُورَةٍ لَائِقَةٍ بِالْجَنَّةِ وَبِالْأَبَدِيَّةِ ، بِحَوَاسِّهِ وَحِسِّيَّاتِهِ الَّتِي انْكَشَفَتْ بِالنِّسْبَةِ لِدَرَجَتِهِ ؛ وَإِنَّ اشْتِرَاكَ الْآخَرِينَ لَا يُورِثُ مَالِكِيَّتَهُ وَاسْتِفَادَتَهُ نَقْصاً ؛ كَمَا يُقَوِّيهَا وَيُزَيِّنُ جَنَّتَهُ الْخُصُوصِيَّةَ الْوَاسِعَةَ . . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ إِنْسَاناً ، يَسْتَفِيدُ بِفَمِهِ ، وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَذَوْقِهِ وَذَائِقَتِهِ ، وَبِسَائِرِ حَوَاسِّهِ ، عَنْ حَدِيقَةٍ عَلٰى مَسَافَةِ سَاعَةٍ ، =

وَأَنَّهُ يُعْطَى سَبْعِينَ أَلْفَ قَصْرٍ وَحُورٍ ؛ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يَرْضَى عَنْ حِصَّتِهِ ، بِكَمَالِ الرِّضَا . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَلا يَصِحُّ التَّحَاسُدُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْأَعْمَالُ ، مَحَلَّ التَّحَاسُدِ أَيْضاً . فَمَنْ حَسَدَ ؛ فَهُوَ إِمَّا مُرَاءٍ يَطْلُبُ نَتَائِجَ الدُّنْيَا ، فِي صُورَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، أَوْ صَدِيقٌ جَاهِلٌ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ تَنْظُرُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ ؛ وَلا يُدْرِكُ أَنَّ الْإِخْلَاصَ أَسَاسُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَرُوحُهَا ؛ فَيَتَّهِمُ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالٰى ، بِإِضْمَارِ عَدَاوَةٍ إِزَاءَ أَوْلِيَاءِ اللهِ ، فِي صُورَةِ الْحَسَدِ . .

حَادِثَةٌ تُؤَيِّدُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ : وَهِيَ أَنَّ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُتَقَدِّمِينَ ، كَانَ لَهُ عَدَاوَةٌ إِزَاءَ شَخْصٍ ؛ فَوُصِفَ عِنْدَهُ ، عَدُوُّهُ ، بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، بَلْ بِالْوَلَايَةِ ، عَلٰى وَجْهِ الثَّنَاءِ ؛ فَلَمْ يَحْسُدْهُ وَلَمْ يَنْقَبِضْ عَنْ ذٰلِكَ ؛ ثُمَّ قَالَ وَاحِدٌ : إِنَّ عَدُوَّكَ ذٰلِكَ ، جَرِيءٌ وَقَوِيٌّ ؛ فَرَأَيْنَاهُ انْتَبَهَ فِيهِ عَصَبُ حَسَدٍ وَغَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ فَقُلْنَا لَهُ : إِنَّ لِلْوَلَايَةِ وَالصَّلَاحِ ، قُوَّةً وَرِفْعَةً مِثْلَ جَوَاهِرِ حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَمَا حَسَدْتَهُ فِي هٰذِهِ الْجِهَةِ ؛ وَإِنَّ الْقُوَّةَ وَالْجُرْأَةَ ، مَعَ وُجُودِهِمَا فِي الثَّوْرِ وَالسَّبُعِ ، نِسْبَتُهُمَا إِلَى الْوَلَايَةِ وَالصَّلَاحِ ، كَنِسْبَةِ زُجَاجَةٍ عَادِيَّةٍ ، إِلَى الْجَوْهَرِ ؛ فَقَالَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ : إِنَّنَا شَخَصْنَا أَبْصَارَنَا ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، إِلٰى نُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَمَقَامٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنَّ مِرْقَاتَنَا لِلصُّعُودِ إِلَيْهِمَا ، هِيَ أُمُورٌ مِثْلُ الْقُوَّةِ وَالْجُرْأَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ حَسَدْتُهُ فِيهَا ؛ وَأَمَّا مَقَامَاتُ الْآخِرَةِ ، فَلَا حَدَّ لَهَا ؛ فَهُوَ هُنَا عَدُوِّي ؛ وَهُنَاكَ ، أَخِيَ الْمُخْلِصُ الْحَبِيبُ . .

= وَعَنْ مُتَنَزَّهٍ مِقْدَارَ يَوْمٍ ، وَعَنْ بِلَادٍ فِي مَسَافَةِ شَهْرٍ ، وَعَنْ سِيَاحَةٍ فِي مَسِيرَةِ سَنَةٍ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ يَسْتَفِيدُ الْمُؤْمِنُ عَنِ الْجَنَّةِ ؛ وَلٰكِنَّ قُوَّتَهُ الشَّامَّةَ وَالذَّائِقَةَ الْمُسْتَفِيدَتَيْنِ فِي هٰذِهِ الدِّيَارِ الْفَانِيَةِ ، عَنْ حَدِيقَةٍ بِمَسَافَةِ سَاعَةٍ فَقَطْ ، تَسْتَفِيدَانِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ الْبَاقِيَةِ ، عَيْنَ الاِسْتِفَادَةِ ، مِنْ حَدِيقَةٍ فِي مَسَافَةِ سَنَةٍ ؛ وَإِنَّ قُوَّةً بَاصِرَةً وَسَامِعَةً تَسْتَفِيدَانِ هُنَا عَنْ مَسِيرَةِ سَنَةٍ فَقَطْ ، تَسْتَفِيدَانِ هُنَاكَ ، عَنِ السِّيَاحَةِ فِي مَسِيرَةِ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ ، عَلٰى وَجْهٍ لَائِقٍ بِتِلْكَ الدِّيَارِ الْمُحْتَشِمَةِ الْمُزَيَّنَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ؛ فَكُلُّ مُؤْمِنٍ ، يَذُوقُ وَيَتَلَذَّذُ وَيَسْتَفِيدُ كَذٰلِكَ ، بِنِسْبَةِ دَرَجَتِهِ ، بِحَوَاسِّهِ الَّتِي انْبَسَطَتْ وَانْكَشَفَتْ بِالنِّسْبَةِ لِخَيْرَاتِهِ وَحَسَنَاتِهِ الَّتِي كَسَبَهَا فِي الدُّنْيَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

فَيَا أَهْلَ الْحَقِيقَةِ وَالطَّرِيقَةِ ! إِنَّ خِدْمَةَ الْحَقِّ ، تُشْبِهُ حَمْلَ خَزِينَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَحِرَاسَةَ دَفِينَةٍ ثَقِيلَةٍ ؛ فَكُلَّمَا مُدَّتْ أَيْدٍ قَوِيَّةٌ ، إِلَى إِعَانَةِ الْحَامِلِينَ لِتِلْكَ الدَّفِينَةِ ، عَلَى أَكْتَافِهِمْ ؛ يَفْرَحُونَ وَيُسَرُّونَ كَثِيراً ؛ فَكَانَ اللاَّزِمُ ، أَنْ تُقَدَّرَ قُوَّةُ أُولٰئِكَ الْوَارِدِينَ ، وَإِعَانَتُهُمْ وَتَأْثِيرُهُمْ ، الَّتِي تَزِيدُ كَثِيراً ، عَلَى قُوَّةِ الْحَامِلِينَ ، مُفْتَخِرِينَ بِهِمْ ، مَعَ مَحَبَّةٍ خَالِصَةٍ لَهُمْ ، فَضْلاً عَنِ الْحَسَدِ ؛ فَلِمَاذَا يُنْظَرُ إِلَى أُولٰئِكَ الْإِخْوَانِ الْحَقِيقِيِّينَ ، وَالْأَعْوَانِ الْفِدَائِيِّينَ ، بِنَظَرِ الْحَسَدِ ؟ فَيَفُوتُ الْإِخْلاَصُ ، بِذٰلِكَ الْحَالِ ؛ وَتُصْبِحُونَ مُتَّهَمِينَ فِي خِدْمَتِكُمْ ؛ وَتَبْقَوْنَ فِي نَظَرِ أَهْلِ الضَّلاَلِ ، عُرْضَةً لِتُهَمٍ هَائِلَةٍ أَدْنَى مِنْكُمْ وَمِنْ مَسْلَكِكُمْ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ، «كَتَحْصِيلِ الدُّنْيَا بِالدِّينِ ، وَتَأْمِينِ الْمَعِيشَةِ ، بِعِلْمِ الْحَقِيقَةِ ، وَالتَّحَاسُدِ فِي سَبِيلِ الطَّمَعِ وَالْحِرْصِ» . .

وَالْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ ، لِدَفْعِ هٰذَا الْمَرَضِ : هُوَ أَنَّ يَتَّهِمَ نَفْسَهُ ؛ وَيُوَالِيَ دَائِماً ، أَهْلَ مَسْلَكِهِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ ، لاَ نَفْسَهُ ؛ وَأَنْ يَتَّخِذَ قَاعِدَةَ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ هٰذِهِ ، الْمُتَدَاوَلَةَ بَيْنَ (عُلَمَاءِ فَنِّ الْآدَابِ ، وَعِلْمِ الْمُنَاظَرَةِ) ، دَلِيلاً لَهُ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ ، إِنِ الْتَزَمَ فِي مُنَاظَرَةِ مَسْأَلَةٍ مَا ، أَنْ يَظْهَرَ قَوْلُهُ ، حَقّاً ؛ وَفَرِحَ لِظُهُورِهِ مُحِقّاً ؛ وَسُرَّ عَلَى كَوْنِ خَصْمِهِ ، مُخْطِأً وَمُبْطِلاً ؛ فَذٰلِكَ اعْتِسَافٌ ؛ وَأَنَّهُ يَتَضَرَّرُ ؛ لِأَنَّهُ ، إِذَا ظَهَرَ مُحِقّاً ؛ لاَ يَتَعَلَّمُ فِي تِلْكَ الْمُنَاظَرَةِ ، شَيْئاً لاَ يَعْلَمُهُ ؛ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَضَرَّرَ بِاحْتِمَالِ الْغُرُورِ ؛ وَإِنْ ظَهَرَ الْحَقُّ ، عَلَى يَدِ خَصْمِهِ ؛ يَتَعَلَّمُ مَسْأَلَةً لاَ ضَرَرَ فِيهَا ؛ وَلاَ يَعْلَمُهَا ؛ فَيَنْتَفِعُ بِهَا ؛ وَيَنْجُو عَنِ الْغُرُورِ . . فَإِذاً إِنَّ الْمُحِقَّ الْمُنْصِفَ ، يَهْضِمُ قَدْرَ النَّفْسِ ، لِقَدْرِ الْحَقِّ ؛ وَإِذَا رَأَى الْحَقَّ ، بِيَدِ خَصْمِهِ ؛ يَقْبَلُهُ بِالرِّضَا ؛ وَيَلْتَزِمُهُ وَيَفْرَحُ بِهِ أَيْضاً . فَإِذَا اتَّخَذَ أَهْلُ الدِّينِ ، وَأَصْحَابُ الْحَقِيقَةِ ، وَأَرْبَابُ الطَّرِيقَةِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ ، هٰذِهِ الْقَاعِدَةَ ، دَلِيلاً لَهُمْ ؛ يَفُوزُونَ بِالْإِخْلاَصِ ؛ وَيُوَفَّقُونَ فِي خِدْمَتِهِمُ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ وَيَنْجُونَ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ، عَنْ هٰذَا السُّقُوطِ الْفَزِيعِ ، وَعَنْ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ الْحَاضِرَةِ . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ . .

اَللَّمْعَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ

[في حقِّ الْإِخْلاصِ..]

وَهِيَ كَانَتِ الْمَسْأَلَةَ الرَّابِعَةَ، مِنَ الْمَسَائِلِ السَّبْعِ، مِنَ الْمُذَكِّرَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ، مِنَ اللَّمْعَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ؛ فَأَصْبَحَتِ النُّقْطَةَ الثَّانِيَةَ، لِلَّمْعَةِ الْعِشْرِينَ، بِمُنَاسَبَةِ الْإِخْلاصِ؛ وَظَلَّتِ اللَّمْعَةَ الْحَادِيَةَ وَالْعِشْرِينَ؛ فَدَخَلَتْ فِي اللَّمَعَاتِ، بِنَاءً عَلٰى تَنَوُّرِهَا..

وَلَا أَقَلَّ أَنْ تُقْرَأَ هٰذِهِ اللَّمْعَةُ، كُلَّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً، مَرَّةً وَاحِدَةً..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ.. وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ.. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّٰيهَا ۝.. وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾..

يَا إِخْوَتِي فِي الْآخِرَةِ، وَيَا أَصْحَابِي فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ! اعْلَمُوا؛ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ: أَنَّ الْإِخْلاصَ، أَصْفٰى عُبُودِيَّةٍ، وَأَسْمٰى سَجِيَّةٍ، وَأَكْرَمُ وَسِيلَةٍ لِلْمَقَاصِدِ، وَأَقْرَبُ دُعَاءٍ مَعْنَوِيٍّ، إِلَى الْقَبُولِ، وَأَقْصَرُ سَبِيلٍ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَأَقْوٰى نُقْطَةٍ لِلاسْتِنَادِ، وَأَعْلٰى شَفِيعٍ مُشَفَّعٍ، وَأَهَمُّ أَسَاسٍ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا، وَلَاسِيَّمَا فِي الْخَدَمَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ. فَإِذَا كَانَتْ فِي الْإِخْلاصِ، أَنْوَارٌ كَثِيرَةٌ، وَقُوًى وَفِيرَةٌ، مِثْلُ الْخَوَاصِّ الْمَذْكُورَةِ؛ وَقَدْ وُضِعَتْ عَلٰى كَوَاهِلِنَا، مِنْ جَانِبِ الْإِحْسَانِ الْإِلٰهِيِّ، وَظِيفَةٌ إِيمَانِيَّةٌ قُدُسِيَّةٌ عَمِيمَةٌ، وَخِدْمَةٌ قُرْآنِيَّةٌ ثَقِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، بَيْنَ بِدَعٍ وَضَلالاتٍ صَائِلَةٍ، وَتَحْتَ اضْطِهَادَاتٍ هَائِلَةٍ، وَإِزَاءَ أَعْدَاءٍ مُدْهِشَةٍ، فِي

هٰذَا الزَّمَانِ الرَّهِيبِ ؛ فَإِنَّنَا نَكُونُ مُكَلَّفِينَ بِالْإِخْلَاصِ ، وَمُضْطَرِّينَ إِلٰى تَحْصِيلِهِ بِكُلِّ قُوَّتِنَا ، وَمُحْتَاجِينَ غَايَةَ الِاحْتِيَاجِ ، إِلٰى تَمْكِينِ سِرِّ الْإِخْلَاصِ فِينَا ، أَزْيَدَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ . وَإِلَّا تَضِيعُ بَعْضُ الْخِدْمَةِ الْقُدُسِيَّةِ الَّتِي حَصَّلْنَاهَا إِلَى الْآنِ ؛ وَلَا تَدُومُ ؛ وَنُصْبِحُ مَسْؤُولِينَ عَنْ ذٰلِكَ ، وَمَعْرُوضِينَ لِلنَّهْيِ الْإِلٰهِيِّ الشَّدِيدِ الْمُهَدِّدِ ، فِي آيَةِ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ ؛ وَنَصِيرُ مُعْتَدِينَ عَلٰى حُقُوقِ كُلِّ إِخْوَتِنَا فِي هٰذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَمُتَعَرِّضِينَ لِحُرْمَةِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، وَمُنْتَهِكِينَ لِقُدُسِيَّةِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، بِنَقْضِ الْإِخْلَاصِ ، ضَرَراً لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ لِبَعْضِ حِسِّيَّاتٍ سُفْلِيَّةٍ ، وَمَنَافِعَ جُزْئِيَّةٍ ثَقِيلَةٍ ، ذَاتِ ضَرَرٍ وَكَدَرٍ ، لَا مَعْنٰى وَلَا لُزُومَ لَهَا ، عَلٰى وَجْهِ الْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ . .

فَيَا إِخْوَتِي ! إِنَّ أُمُوراً خَيْرِيَّةً عَظِيمَةً وَمُهِمَّةً ، تَكُونُ لَهَا مَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مُضِرَّةٌ ؛ فَتَشْتَغِلُ الشَّيَاطِينُ كَثِيراً ، بِخُدَّامِ تِلْكَ الْخِدْمَةِ ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الِاسْتِنَادِ إِلٰى قُوَّةِ الْإِخْلَاصِ ، أَمَامَ هٰذِهِ الْمَوَانِعِ ، وَهٰؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ ؛ فَاجْتَنِبُوا عَنْ أَسْبَابٍ تَنْقُضُ الْإِخْلَاصَ ، كَاجْتِنَابِكُمْ عَنِ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُعْتَمَدُ عَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، بِمَا قَالَ يُوسُفُ (عليه السلام) : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ؛ فَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْكِبْرُ وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ ؛ وَلْتَكُنِ الدَّسَاتِيرُ الْآتِيَةُ ، دَلِيلاً لَكُمْ ، لِتَحْصِيلِ الْإِخْلَاصِ ، وَلِلْحِفْظِ عَلَيْهِ ، وَلِدَفْعِ الْمَوَانِعِ . .

﴿اَلدُّسْتُورُ الْأَوَّلُ لَكُمْ :﴾ هُوَ أَنْ يَكُونَ فِي عَمَلِكُمْ ، رِضَاءُ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ فَإِنْ رَضِيَ هُوَ ؛ فَسَخِطَ أَهْلُ الدُّنْيَا كُلُّهُمْ ؛ فَلَا قِيمَةَ لَهُ ؛ وَإِنْ قَبِلَ هُوَ ؛ فَرَدَّهُ جَمِيعُ الْخَلْقِ ؛ فَلَا تَأْثِيرَ لَهُ ؛ فَبَعْدَمَا رَضِيَ وَقَبِلَ ؛ إِنْ شَاءَ وَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ؛ يُرْضِي الْخَلْقَ ؛ وَيَتَقَبَّلُ بِهِمْ ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا فِي طَلَبِ ذٰلِكَ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يُجْعَلَ رِضَاءُ اللّٰهِ تَعَالٰى ، وَحْدَهُ بِدُونِ تَوَسُّطٍ ، أَسَاسَ الْمَقْصَدِ ، فِي هٰذِهِ الْخِدْمَةِ . .

﴿اَلدُّسْتُورُ الثَّانِي لَكُمْ :﴾ هُوَ أَنْ لَا تَنْتَقِدُوا إِخْوَانَكُمُ الَّذِينَ فِي هٰذِهِ الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَلَا تُهَيِّجُوا عَصَبَ الْغِبْطَةِ فِيهِمْ ، مِنْ قَبِيلِ التَّفَاخُرِ عَلَيْهِمْ ، بِالْفَضِيلَةِ ؛ لِأَنَّهُ

كَمَا أَنَّ يَدَ إِنْسَانٍ ، لَا تَحْسُدُ يَدَهُ الْأُخْرٰى ؛ وَعَيْنَهُ لَا تَنْتَقِدُ عَيْنَهُ الْأُخْرٰى ؛ وَأُذُنَهُ لَا تَعْتَرِضُ عَلٰى أُذُنِهِ الْأُخْرٰى ؛ وَالْقَلْبَ لَا يَرٰى عَيْبَ الرُّوحِ ؛ بَلْ يُكَمِّلُ بَعْضُهَا ، نَقْصَ الْبَعْضِ ؛ وَيَسْتُرُ بَعْضُهَا ، عَيْبَ الْآخَرِ ؛ وَيُعِينُ حَاجَتَهُ ؛ وَيَنْصُرُ خِدْمَتَهُ . وَإِلَّا ؛ فَتَنْطَفِئُ حَيَاةُ بَدَنِ ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ ؛ وَتَهْرُبُ رُوحُهُ ؛ وَيَتَمَزَّقُ جِسْمُهُ ؛ وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ آلَاتِ مَصْنَعٍ مَّا ، لَا يُعَارِضُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَلَا يَتَقَدَّمُ وَاحِدٌ ، عَلٰى آخَرَ ؛ وَلَا يَتَحَكَّمُ عَلَيْهِ ؛ وَلَا يَرٰى بَعْضٌ ، نَقْصَ الْآخَرِ ؛ فَيَنْتَقِدَهُ ؛ فَيَكْسِرَ شَوْقَهُ لِلسَّعْيِ ؛ فَيُعَطِّلَهُ ؛ بَلْ تَتَعَاوَنُ بِكُلِّ اسْتِعْدَادِهَا ، لِتَوْجِيهِ حَرَكَةِ كُلٍّ مِنْهَا ، إِلَى الْمَقْصَدِ الْعُمُومِيِّ ؛ وَتَتَحَرَّكُ إِلٰى غَايَةِ خِلْقَتِهَا ، بِتَسَانُدٍ وَاتِّفَاقٍ حَقِيقِيَّيْنِ . فَإِنْ تَدَخَّلَ فِيهَا مِقْدَارُ ذَرَّةٍ ، مِنَ التَّعَرُّضِ وَالتَّحَكُّمِ ؛ يُفْسِدُ ذٰلِكَ الْمَصْنَعَ ؛ وَيَجْعَلُهُ عَقِيماً بِدُونِ نَتِيجَةٍ ؛ فَيَكْسِرُهُ صَاحِبُهُ ؛ وَيُمَزِّقُهُ مِنْ أَصْلِهِ ؛ فَكَذٰلِكَ ، إِنَّنَا وَإِيَّاكُمْ ، يَا طُلَّابَ رِسَالَةِ النُّورِ ، وَيَا خُدَّامَ الْقُرْآنِ ! أَعْضَاءُ شَخْصٍ مَعْنَوِيٍّ لَائِقٍ بِاسْمِ «إِنْسَانٍ كَامِلٍ» كَذٰلِكَ ، وَبِمَثَابَةِ آلَاتِ مَصْنَعٍ يُنْتِجُ سَعَادَةَ الْأَبَدِ ، فِي الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، وَخُدَّامٌ يَعْمَلُونَ فِي سَفِينَةٍ رَبَّانِيَّةٍ ، تُخْرِجُ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، إِلٰى دَارِ السَّلَامِ ، الَّتِي هِيَ سَاحِلُ السَّلَامِ . فَإِذاً إِنَّنَا مُحْتَاجُونَ وَمُضْطَرُّونَ بَتَاتاً ، إِلَى التَّسَانُدِ وَالِاتِّحَادِ الْحَقِيقِيَّيْنِ ، بِتَحْصِيلِ سِرِّ الْإِخْلَاصِ الَّذِي يُنْتِجُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَفْرَادٍ ، أَلْفاً وَمِئَةً وَإِحْدٰى عَشْرَةَ قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً . نَعَمْ : إِذَا لَمْ تَتَّحِدْ ثَلَاثُ أَلِفَاتٍ ؛ تَكُونُ لَهَا ثَلَاثُ قِيَمٍ ؛ وَإِذَا اتَّحَدَتْ بِسِرِّ الْعَدَدِيَّةِ ؛ تَتَقَوَّمُ بِمِئَةٍ وَإِحْدٰى عَشْرَةَ قِيمَةً ؛ وَإِذَا كَانَتْ أَرْبَعَةٌ فِي أَرْبَعَةٍ ، مُتَفَرِّقَةً ؛ كَانَتْ لَهَا سِتَّ عَشْرَةَ قِيمَةً ؛ وَإِذَا تَوَافَقَتْ بِسِرِّ الْأُخُوَّةِ ، وَاتِّحَادِ الْمَقْصَدِ ، وَاتِّفَاقِ الْعَمَلِ ؛ وَتَكَاتَفَتْ فَوْقَ خَطٍّ وَاحِدٍ ؛ تَكُونُ حِينَئِذٍ ، فِي قُوَّةِ أَرْبَعَةِ آلَافٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَفِي قِيمَتِهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ قُوَّةَ سِتَّةَ عَشَرَ أَخاً فِدَائِيّاً ، وَقِيمَتَهُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ ، تَفُوقُ عَلٰى أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، بِسِرِّ الْإِخْلَاصِ الْحَقِيقِيِّ ؛ وَتَشْهَدُ عَلٰى ذٰلِكَ ، وَقَائِعُ تَارِيخِيَّةٌ كَثِيرَةٌ . وَسِرُّ هٰذَا السِّرِّ : هُوَ أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ بِعُيُونِ سَائِرِ الْإِخْوَانِ ؛ وَأَنْ يَسْمَعَ بِآذَانِهِمْ ، فِي اتِّفَاقٍ صَمِيمٍ حَقِيقِيٍّ ؛ فَكَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، مِنْ عَشَرَةِ أَفْرَادٍ مُتَّحِدَةٍ حَقِيقِيّاً ، يَنْظُرُ بِعِشْرِينَ عَيْناً ؛ وَيَتَفَكَّرُ بِعَشَرَةِ عُقُولٍ ؛ وَيَسْمَعُ بِعِشْرِينَ أُذُناً ؛ وَيَعْمَلُ

بِعِشْرِينَ يَداً ؛ فَلَهُمْ قِيمَةٌ وَقُوَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ كَذٰلِكَ(١) . .

﴿اَلدُّسْتُورُ الثَّالِثُ لَكُمْ :﴾ هُوَ أَنْ تَعْلَمُوا جَمِيعَ قُوَّتِكُمْ ، فِي الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصِ . نَعَمْ : إِنَّ الْقُوَّةَ فِي الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصِ ؛ وَإِنَّ الْمُبْطِلِينَ أَيْضاً ، يَكْتَسِبُونَ قُوَّتَهُمْ ، عَنِ الصَّدَاقَةِ وَالْإِخْلَاصِ الَّذِي يُظْهِرُونَهُ فِي بَاطِلِهِمْ . . نَعَمْ : إِنَّ دَلِيلاً عَلَى كَوْنِ الْقُوَّةِ ، فِي الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصِ ، هُوَ خِدْمَتُنَا هٰذِهِ ؛ فَإِنَّ جُزْءاً مِنَ الْإِخْلَاصِ فِيهَا ، يُثْبِتُ هٰذِهِ الدَّعْوٰى ؛ وَيُصْبِحُ دَلِيلاً لِنَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ الْخِدْمَةَ الْعِلْمِيَّةَ وَالدِّينِيَّةَ الَّتِي فَعَلْنَاهَا فِي «إِسْطَنْبُولَ» وَفِي وَطَنِي نَفْسِهِ ، أَزْيَدَ مِنْ عِشْرِينَ عَاماً ، قَدْ فُعِلَ هٰهُنَا فِي سَبْعَةٍ أَوْ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ ، مَا يَزِيدُ عَلَيْهَا ، مِئَةَ دَرَجَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ؛ مَعَ أَنَّ أَعْوَانِي فِي «إِسْطَنْبُولَ» وَفِي وَطَنِي ، كَانُوا أَزْيَدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، بَلْ أَلْفَ دَرَجَةٍ ، مِنْ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَعِي هٰهُنَا . فَالْقُوَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي أَظْهَرَتْ تَوْفِيقاً أَزْيَدَ مِنَ الْخِدْمَةِ الْقَدِيمَةِ ، بِمِئَةِ دَرَجَةٍ ، فِي الْخِدْمَةِ الَّتِي فَعَلْتُهَا هٰهُنَا مَعَكُمْ ، بَيْنَ سَبْعِ أَوْ ثَمَانِي سِنِينَ ، تَحْتَ اضْطِهَادَاتِ الْمَأْمُورِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ ، وَتَحْتَ تَرَصُّدَاتِهِمْ ؛ وَأَنَا نِصْفُ أُمِّيٍّ ، وَغَرِيبٌ وَوَحِيدٌ بِدُونِ قَرِيبٍ ، لَمْ تَبْقَ لِي شُبْهَةٌ قَطْعاً : أَنَّ تِلْكَ الْقُوَّةَ جَاءَتْ عَمَّا لَدَيْكُمْ مِنَ الْإِخْلَاصِ ؛ وَكَذَا أَعْتَرِفُ أَنَّكُمْ أَنْقَذْتُمُونِي بِإِخْلَاصِكُمُ الصَّمِيمِ ، بَعْضَ إِنْقَاذٍ ، عَنْ رِيَاءٍ كَانَ يَغُرُّ نَفْسِي ، تَحْتَ غِطَاءِ الْوَقَارِ وَالشَّرَفِ ؛ وَإِنَّكُمْ تُوَفَّقُونَ تَمَاماً لِلْإِخْلَاصِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ وَتُجْبِرُونَنِي عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِخْلَاصِ التَّامِّ ؛

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ التَّسَانُدَ وَالِاتِّحَادَ الْخَالِصَيْنِ بِسِرِّ الْإِخْلَاصِ ، وَسِيلَةٌ لِمَنَافِعَ لَا حَدَّ لَهَا ؛ كَمَا أَنَّهُمَا أَهَمُّ مَكْمَنٍ ، وَنُقْطَةُ اسْتِنَادٍ ، أَمَامَ الْمَخَاوِفِ ، بَلِ الْمَوْتِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ لَهُ ، فِي سَبِيلِ رِضَاءِ اللهِ تَعَالَى ، وَفِي أُمُورٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْآخِرَةِ ، أَرْوَاحاً بِعَدَدِ إِخْوَانِهِ ، بِسِرِّ الْأُخُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ . فَإِذَا جَاءَ الْمَوْتُ ؛ يَقْبِضُ رُوحاً مِنْهَا ؛ فَيَقُولُ : إِنْ مَاتَتْ وَاحِدَةٌ ؛ فَلْتَحْيَ سَائِرُ أَرْوَاحِي ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ ، تُدِيمُ لِي حَيَاةً مَعْنَوِيَّةً ، بِتَحْصِيلِهَا الثَّوَابَ لِي ، كُلَّ وَقْتٍ ؛ فَلَا أَمُوتُ ؛ فَيَسْتَقْبِلُ الْمَوْتَ مُتَبَسِّماً ؛ وَيَقُولُ : إِنِّي أَعِيشُ بِجِهَةِ الثَّوَابِ ، بِسَبَبِ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ ؛ وَإِنَّمَا أَمُوتُ بِجِهَةِ الْآثَامِ فَقَطْ ؛ فَيَنَامُ بِالرَّاحَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

وَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيّاً (رضي الله عنه)، يَلْتَفِتُ إِلَيْكُمْ بِكَرَامَتِهِ تِلْكَ الْكَرَامَةِ الشَّبِيهَةِ بِالْمُعْجِزَةِ؛ وَأَنَّ الْغَوْثَ الْأَعْظَمَ يَلْتَفِتُ إِلَيْكُمْ بِكَرَامَتِهِ الْغَيْبِيَّةِ الْخَارِقَةِ تِلْكَ؛ وَيُسَلِّيَانِكُمْ بِالْحِمَايَةِ؛ وَيَسْتَحْسِنَانِ خِدْمَتَكُمْ ضِمْناً، بِنَاءً عَلَى سِرِّ الْإِخْلَاصِ هٰذَا. نَعَمْ: لَا تَشُكُّوا أَصْلاً: أَنَّ تَوَجُّهَهُمَا هٰذَا، يَأْتِي مَبْنِيّاً عَلَى إِخْلَاصِكُمْ. فَإِنْ نَقَضْتُمْ هٰذَا الْإِخْلَاصَ، عَلَى عِلْمٍ؛ فَإِنَّكُمْ تَذُوقُونَ صَفَعَاتِهِمَا. وَاذْكُرُوا مَا فِي «اللَّمْعَةِ الْعَاشِرَةِ» مِنَ الصَّفَعَاتِ الْمُشْفِقَةِ. فَإِذَا شِئْتُمْ أَنْ تَجِدُوا أَمْثَالَ هٰؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ الْمَعْنَوِيِّينَ، ظُهَرَاءَ وَرَاءَكُمْ، وَأَسَاتِذَةً فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ؛ فَاكْتَسِبُوا الْإِخْلَاصَ التَّامَّ؛ وَآثِرُوا أَنْفُسَ إِخْوَانِكُمْ، عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فِي الشَّرَفِ وَالْمَقَامِ وَالتَّوَجُّهِ، بَلْ وَفِيمَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ، كَالْمَنَافِعِ الْمَادِّيَّةِ؛ وَذٰلِكَ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ حَتَّى إِنَّ إِعْلَامَ أَلْطَفِ حَقِيقَةٍ إِيمَانِيَّةٍ وَأَحْسَنِهَا، لِمُؤْمِنٍ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا؛ وَذٰلِكَ أَخْلَصُ نَفْعٍ بِدُونِ ضَرَرٍ؛ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَطِيبُوا أَدَاءَهَا بِصَاحِبٍ غَيْرِ رَاغِبٍ فِيهِ؛ إِنْ أَمْكَنَ ذٰلِكَ؛ كَيْلَا يَطْرَأَ عُجْبٌ، عَلَى أَنْفُسِكُمْ. فَإِنْ تَمَنَّيْتُمْ قَائِلِينَ: لَيْتَنِي أَذْكُرُ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ الطَّيِّبَةَ؛ فَأَفُوزَ بِهٰذَا الثَّوَابِ؛ وَكَانَ لَكُمْ رَغْبَةٌ فِي ذٰلِكَ؛ فَإِنَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَأْسٌ وَإِثْمٌ، إِلَّا أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَطْرَأَ ضَرَرٌ، عَلَى سِرِّ الْإِخْلَاصِ بَيْنَكُمْ..

﴿اَلدُّسْتُورُ الرَّابِعُ لَكُمْ:﴾ هُوَ أَنْ تَتَصَوَّرُوا مَزَايَا إِخْوَانِكُمْ، فِي ذَوَاتِكُمْ؛ وَسَجَايَاهُمْ، فِي أَنْفُسِكُمْ؛ وَتَفْتَخِرُوا بِشَرَفِهِمْ شَاكِرِينَ عَلَيْهِ. وَتُوجَدُ فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، اصْطِلَاحَاتُ الْفَنَاءِ فِي الشَّيْخِ، وَالْفَنَاءِ فِي الرَّسُولِ. وَإِنِّي لَسْتُ بِصُوفِيٍّ؛ وَلٰكِنَّ دُسْتُورَهُمْ هٰذَا، دُسْتُورٌ جَمِيلٌ فِي مَسْلَكِنَا، بِصُورَةِ الْفَنَاءِ فِي الْإِخْوَانِ؛ وَيُقَالُ لِهٰذَا بَيْنَ الْإِخْوَانِ، التَّفَانِي؛ وَذٰلِكَ يَعْنِي: أَنْ يَفْنَى بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؛ بِأَنْ يَنْسَى حِسِّيَّاتِهِ النَّفْسِيَّةَ؛ وَيَعِيشَ فِكْراً، بِمَزَايَا إِخْوَانِهِ وَبِحِسِّيَّاتِهِمْ؛ لِأَنَّ أَسَاسَ مَسْلَكِنَا، هُوَ الْأُخُوَّةُ؛ وَلَيْسَ مَا هُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ، وَبَيْنَ الشَّيْخِ وَالْمُرِيدِ؛ بَلْ إِنَّمَا هِيَ وَسَائِطُ الْأُخُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ. فَإِنْ تَوَسَّطَ بَيْنَنَا شَيْءٌ؛ فَإِنَّمَا يَتَوَسَّطُ أُسْتَاذِيَّةٌ؛ فَمَسْلَكُنَا خَلِيلِيٌّ؛ فَيَكُونُ مَشْرَبُنَا الْخُلَّةَ.

وَالْخُلَّةُ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ خَلِيلاً أَقْرَب ، وَصَاحِباً أَفْدٰى ، وَرَفِيقاً أَجْمَلَ تَقْدِيراً ، وَأَخاً أَكْمَلَ مُرُوءَةً . وَإِنَّ أُسَّ أَسَاسِ هٰذِهِ الْخُلَّةِ ، هُوَ الْإِخْلَاصُ الصَّمِيمُ . فَمَنْ نَقَضَ هٰذَا الْإِخْلَاصَ الصَّمِيمَ ؛ فَإِنَّهُ يَهْوِي عَنْ قِمَّةِ بُرْجِ هٰذِهِ الْخُلَّةِ الرَّفِيعَةِ جِدّاً ؛ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَرْدِيَ فِي حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ ؛ وَلَا يَجِدَ بَيْنَهُمَا مُتَمَسَّكاً . نَعَمْ : إِنَّ الطَّرِيقَ يُرَى اثْنَيْنِ ؛ فَالَّذِينَ انْفَصَلُوا الْآنَ ، عَنْ مَسْلَكِنَا هٰذَا الَّذِي هُوَ الْجَادَّةُ الْكُبْرَى الْقُرْآنِيَّةُ ، يُحْتَمَلُ أَنْ يُعِينُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، قُوَّةَ الْإِلْحَادِ الَّذِي هُوَ عَدُوُّنَا . وَإِنَّ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دَائِرَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، الْقُدْسِيَّةِ ، بِطَرِيقِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، سَيُقَدِّمُونَ الْقُوَّةَ دَائِماً ، لِلْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالنُّورِ ؛ وَلَنْ يَسْقُطُوا فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحُفَرِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

فَيَا أَصْحَابِي فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ! إِنَّ سَبَباً أَشَدَّ تَأْثِيراً ، لِتَحْصِيلِ الْإِخْلَاصِ وَحِفْظِهِ ، هُوَ «رَابِطَةُ الْمَوْتِ» . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ مَا يُفْسِدُ الْإِخْلَاصَ ؛ وَيَسُوقُ إِلَى الدُّنْيَا وَالرِّيَاءِ ، هُوَ «طُولُ الْأَمَلِ» ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَا يُنَفِّرُ عَنِ الرِّيَاءِ ؛ وَيُحَصِّلُ الْإِخْلَاصَ ، هُوَ «رَابِطَةُ الْمَوْتِ» ؛ وَذٰلِكَ يَعْنِي أَنْ يَتَصَوَّرَ مَوْتَهُ ؛ وَيُلَاحِظَ الدُّنْيَا فَانِيَةً ؛ فَيَخْلُصَ عَنْ دَسَائِسِ النَّفْسِ . نَعَمْ : إِنَّ أَهْلَ الطَّرِيقَةِ ، وَأَصْحَابَ الْحَقِيقَةِ ، اتَّخَذُوا «رَابِطَةَ الْمَوْتِ» ، أَسَاساً فِي سُلُوكِهِمْ ، بِمَا دَرَسُوهُ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وَ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ؛ فَأَزَالُوا بِتِلْكَ الرَّابِطَةِ ، تَوَهُّمَ الْأَبَدِيَّةِ ، الَّذِي هُوَ مَنْشَأُ «طُولِ الْأَمَلِ» ؛ وَإِنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ فَرْضاً وَخَيَالاً ، أَنَّهُمْ مَاتُوا ؛ وَيَتَخَيَّلُونَ ذٰلِكَ ؛ وَيَفْتَرِضُونَ أَنَّهُمْ يُغَسَّلُونَ وَيُوضَعُونَ فِي الْقَبْرِ ؛ فَيَتَفَكَّرُونَ شَيْئاً فَشَيْئاً ، إِلَى أَنْ تَتَأَثَّرَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ ، عَنْ ذٰلِكَ التَّخَيُّلِ وَالتَّصَوُّرِ ؛ فَتُعْرِضَ عَنْ آمَالِهَا الطَّوِيلَةِ ، نَوْعَ إِعْرَاضٍ . وَفَوَائِدُ هٰذِهِ الرَّابِطَةِ ، كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ وَفِي الْحَدِيثِ : ﴿أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ﴾ أَوْ كَمَا قَالَ : أَيِ اذْكُرُوا الْمَوْتَ كَثِيراً ، الَّذِي يَهْدِمُ اللَّذَّاتِ وَيُمَرِّرُهَا ؛ هٰكَذَا يُدَرِّسُ هٰذِهِ الرَّابِطَةَ ؛ وَلٰكِنَّ مَسْلَكَنَا ، لَيْسَ بِطَرِيقَةٍ ؛ بَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ ؛ فَلِذٰلِكَ لَسْنَا مُضْطَرِّينَ أَنْ نَفْعَلَ هٰذِهِ الرَّابِطَةَ ، بِصُورَةٍ فَرْضِيَّةٍ وَخَيَالِيَّةٍ ، كَأَهْلِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَلَا يُوَافِقُ ذٰلِكَ ، مَسْلَكَ الْحَقِيقَةِ ؛ بَلْ وَلَيْسَتْ إِتْيَاناً بِالزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ ،

إِلَى الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ، بِصُورَةِ التَّفَكُّرِ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ بَلْ هِيَ الْمُشَاهَدَةُ نَظَراً ، وَالذَّهَابُ فِكْراً ، مِنَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ، إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ ، فِي جِهَةِ الْحَقِيقَةِ . **نَعَمْ :** لَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلٰى جَنَازَتِهِ الَّتِي هِيَ ثَمَرَةٌ وَحِيدَةٌ ، عَلٰى شَجَرَةِ عُمْرِهِ الْقَصِيرِ هٰذَا ، بِدُونِ لُزُومٍ إِلَى الْخَيَالِ وَالْفَرْضِ أَصْلاً ؛ فَيَرٰى بِذٰلِكَ ، مَوْتَ شَخْصِهِ فَقَطْ ؛ كَمَا أَنَّهُ إِنْ ذَهَبَ قَلِيلاً ، إِلٰى مَا وَرَاءَهَا ؛ يَرٰى مَوْتَ عَصْرِهِ ؛ وَإِنْ ذَهَبَ إِلٰى مَا وَرَاءَهُ ، نَبْذَةً أُخْرٰى ؛ يُشَاهِدُ مَوْتَ الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ فَيَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِلْإِخْلَاصِ الْأَتَمِّ . .

وَالسَّبَبُ الثَّانِي : هُوَ أَنْ يَكْتَسِبَ نَوْعاً مِنَ الْحُضُورِ ، بِالْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ، وَبِاللَّمَعَاتِ الْوَارِدَةِ عَنِ التَّفَكُّرِ الْإِيمَانِيِّ فِي الْمَصْنُوعَاتِ ، الْمُنْتِجِ لِمَعْرِفَةِ الصَّانِعِ ؛ وَأَنَّ يَتَصَوَّرَ **الْخَالِقَ الرَّحِيمَ** ، حَاضِراً وَنَاظِراً ؛ وَلَا يَطْلُبَ تَوَجُّهَ مَا سِوَاهُ ؛ وَأَنْ يَتَفَكَّرَ أَنَّ النَّظَرَ إِلٰى غَيْرِهِ ، وَالِاسْتِمْدَادَ مِنْهُ ، فِي حُضُورِهِ تَعَالٰى ، مُخَالِفٌ لِأَدَبِ ذٰلِكَ الْحُضُورِ ؛ فَبِذٰلِكَ يَنْجُو مِنْ ذٰلِكَ الرِّيَاءِ ؛ وَيَفُوزُ بِالْإِخْلَاصِ . وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنَّ فِي هٰذَا ، دَرَجَاتٍ وَمَرَاتِبَ كَثِيرَةً ؛ فَمَا اسْتَطَاعَ كُلُّ أَحَدٍ ، أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهُ ، حَسَبَ حِصَّتِهِ ؛ فَهُوَ رِبْحٌ بِذٰلِكَ الْقَدَرِ . . وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي «**رِسَالَةِ النُّورِ**» ، حَقَائِقُ كَثِيرَةٌ تُحَصِّلُ الْإِخْلَاصَ ، وَتُنْقِذُ عَنِ الرِّيَاءِ ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُهَا إِلَيْهَا ؛ وَنَخْتَصِرُ الْكَلَامَ هٰهُنَا ؛ وَنَذْكُرُ مُخْتَصَراً ، سَبَبَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ ، مِنْ أَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ، تَنْقُضُ الْإِخْلَاصَ ؛ وَتَسُوقُ الْإِنْسَانَ ، إِلَى الرِّيَاءِ . .

أَوَّلُهَا : أَنَّ التَّحَاسُدَ الْوَارِدَ مِنْ جِهَةِ النَّفْعِ الْمَادِّيِّ ، يَنْقُضُ الْإِخْلَاصَ شَيْئاً فَشَيْئاً ؛ وَيُخِلُّ بِنَتِيجَةِ الْخِدْمَةِ ؛ وَيُفَوِّتُ ذٰلِكَ النَّفْعَ الْمَادِّيَّ أَيْضاً . **نَعَمْ :** إِنَّ هٰذَا الشَّعْبَ قَدْ رَبّٰى فِكْرَةَ احْتِرَامٍ وَإِعَانَةٍ دَائِماً ، أَمَامَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِلْحَقِيقَةِ وَالْآخِرَةِ ؛ فَاشْتَغَلَ بِتَدَارُكِ حَاجَاتِهِمُ الْمَادِّيَّةِ ، بِنِيَّةِ الِاشْتِرَاكِ بِالْفِعْلِ ، بِجِهَةٍ مَّا ، فِي حَقِيقَةِ إِخْلَاصِهِمْ ، وَفِي خَدَمَاتِهِمُ الصَّادِقَةِ ؛ فَاحْتَرَمُوهُمْ وَأَعَانُوهُمْ بِالْمَنَافِعِ الْمَادِّيَّةِ ، كَالصَّدَقَاتِ وَالْهَدَايَا ؛ لِئَلَّا يُضَيِّعُوا أَوْقَاتَهُمْ ؛ وَلٰكِنَّ هٰذِهِ الْإِعَانَةَ وَالْمَنَافِعَ لَا تُسْأَلُ ؛ بَلْ تُعْطٰى ؛ وَلَا تُطْلَبُ بِلِسَانِ الْحَالِ ، بِتَوَقُّعِهَا وَطَلَبِهَا قَلْباً ؛ بَلْ تُعْطٰى مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ . وَإِلَّا يَخْتَلُّ الْإِخْلَاصُ ؛ وَيَقْتَرِبُ مِنْ نَهْيِ آيَةِ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا

بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ ؛ فَيَحْبَطُ بَعْضُ عَمَلِهِ . فَتَوَقُّعُ هٰذَا النَّفْعِ الْمَادِّيِّ ، وَانْتِظَارُهُ يُوقِظُ فِيمَا بَعْدُ ، عَصَبَ التَّحَاسُدِ أَمَامَ أَخِيهِ الْحَقِيقِيِّ ، وَرَفِيقِهِ الْجِدِّيِّ ، فِي تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْخَاصَّةِ ؛ وَذٰلِكَ بِجِهَةِ طَمَعِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ؛ لِئَلَّا يَخْتَطِفَ غَيْرُهُ ذٰلِكَ النَّفْعَ ؛ فَيَنْتَقِضُ الْإِخْلَاصُ ؛ وَتَفْقِدُ الْخِدْمَةُ قُدُسِيَّتَهَا ؛ وَيَتَّخِذُ حَالَةً ثَقِيلَةً ، فِي نَظَرِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَيَفْقِدُ النَّفْعَ الْمَادِّيَّ أَيْضاً . وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنَّ هٰذَا الْعَجِينَ يُسْرِفُ الْمَاءَ كَثِيراً ؛ فَأَخْتَصِرُ الْكَلَامَ ؛ وَأَذْكُرُ مِثَالَيْنِ فَقَطْ ، يُقَوِّيَانِ سِرَّ الْإِخْلَاصِ وَالِاتِّفَاقَ الصَّمِيمَ ، بَيْنَ إِخْوَانِيَ الْحَقِيقِيِّينَ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا ، بَلْ وَبَعْضَ أَهْلِ السِّيَاسَةِ ، وَجَمْعِيَّاتِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَعَوَامِلَهَا الْمُهِمَّةَ ، اتَّخَذُوا **قَاعِدَةَ اشْتِرَاكِ الْأَمْوَالِ** ، قُدْوَةً لَهُمْ ، لِتَحْصِيلِ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ ؛ فَيَكْتَسِبُونَ قُوَّةً وَفَائِدَةً خَارِقَتَيْنِ ، مَعَ كُلِّ أَضْرَارِهَا وَاسْتِعْمَالَاتِهَا السَّيِّئَةِ ؛ مَعَ أَنَّ الْأَمْوَالَ لَا تَتَغَيَّرُ مَاهِيَّتُهَا بِالِاشْتِرَاكِ ، مَعَ أَضْرَارِهِ الْكَثِيرَةِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي حُكْمِ الْمَالِكِ لِلْكُلِّ ، بِجِهَةٍ مَّا ، فِي النَّظَارَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ . وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنَّ **قَاعِدَةَ اشْتِرَاكِ الْأَمْوَالِ** هٰذِهِ ، إِذَا دَخَلَتْ فِي أَعْمَالِ الْآخِرَةِ ؛ تَكُونُ وَسِيلَةً لِلنَّفْعِ الْعَظِيمِ ، بِدُونِ الضَّرَرِ ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَمْوَالِ تَتَضَمَّنُ سِرَّ وُقُوعِهَا تَمَاماً ، بِيَدِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أُولَائِكَ الشُّرَكَاءِ ؛ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةَ أَشْخَاصٍ ، أَتَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِالنِّفْطِ ؛ وَوَاحِدٌ بِالْفَتِيلِ ؛ وَوَاحِدٌ بِالسِّرَاجِ ؛ وَآخَرُ بِالثِّقَابِ ، بِنِيَّةِ الِاشْتِرَاكِ ؛ وَأَوْقَدُوا السِّرَاجَ ؛ فَيُصْبِحُ كُلٌّ مِنْهُمْ ، مَالِكاً لِسِرَاجٍ كَامِلٍ . وَإِذَا كَانَتْ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ أُولَائِكَ الشُّرَكَاءِ ، مِرْآةٌ كَبِيرَةٌ فِي حَائِطٍ ؛ يَدْخُلُ فِي مِرْآةِ كُلٍّ مِنْهُمْ ، سِرَاجٌ مَعَ الْغُرْفَةِ ، بِلَا نُقْصَانٍ ، وَبِدُونِ تَجَزُّؤٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ الْمَجْمُوعَ الْحَاصِلَ مِنْ تَشْرِيكِ الْمَسَاعِي ، بِسِرِّ الِاتِّحَادِ ، وَمِنَ التَّسَانُدِ ، بِسِرِّ الْأُخُوَّةِ ، وَمِنَ الِاشْتِرَاكِ بِسِرِّ الْإِخْلَاصِ ، وَكُلَّ النُّورِ الْحَاصِلِ مِنْ ذٰلِكَ الِاشْتِرَاكِ فِي الْأَمْوَالِ الْأُخْرَوِيَّةِ ، يَدْخُلَانِ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِ كُلٍّ بِتَمَامِهِمَا ؛ وَذٰلِكَ وَاقِعٌ وَمَشْهُودٌ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، وَمِنْ مُقْتَضَى وُسْعَةِ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ الْإِلٰهِيِّ . .

فَيَا إِخْوَانِي ! إِنَّ النَّفْعَ الْمَادِّيَّ لَنْ يَسُوقَكُمْ إِلَى التَّحَاسُدِ ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ؛ وَلٰكِنْ يُمْكِنُ

أَنْ تَغْتَرُّوا كَبَعْضِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، فِي جِهَةِ النَّفْعِ الْأُخْرَوِيِّ ؛ وَلٰكِنْ أَيْنَ ثَوَابٌ فَرْدِيٌّ جُزْئِيٌّ ؛ وَأَيْنَ الثَّوَابُ وَالنُّورُ الْمُتَظَاهِرَانِ فِي جِهَةِ اشْتِرَاكِ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ الْمِثَالِ الْمَذْكُورِ؟ .

اَلْمِثَالُ الثَّانِي : أَنَّ أَهْلَ الصَّنْعَةِ يَكْتَسِبُونَ ثَرْوَةً مُهِمَّةً ، فِي جِهَةِ **اشْتِرَاكِ الصَّنْعَةِ** ، لِزِيَادَةِ إِنْتَاجِ الصَّنْعَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ عَشَرَةَ أَشْخَاصٍ كَانُوا يَصْنَعُون إِبَرَ الْخِيَاطَةِ ، عَمِلُوا لِصُنْعِهَا مُتَفَرِّقِينَ ؛ فَأَصْبَحَتْ ثَمَرَةُ تِلْكَ الصَّنْعَةِ الْفَرْدِيَّةِ ، ثَلَاثَ إِبَرٍ فَقَطْ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، مِنْ ذٰلِكَ الْعَمَلِ الْفَرْدِيِّ ؛ ثُمَّ اتَّحَدَتْ أُولٰئِكَ الْأَفْرَادُ الْعَشَرَةُ ، بِقَاعِدَةِ **تَشْرِيكِ الْمَسَاعِي** ؛ فَأَتَى وَاحِدٌ بِالْحَدِيدِ ؛ وَأَشْعَلَ وَاحِدٌ الْمَوْقِدَ ؛ وَوَاحِدٌ يَفْتَحُ الثُّقْبَةَ ؛ وَوَاحِدٌ يُدْخِلُهُ فِي الْمَوْقِدِ ؛ وَآخَرُ يُحَدِّدُ رَأْسَهَا ؛ وَهٰكَذَا اشْتَغَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ ، فِي صُنْعِ الْإِبَرِ ، بِعَمَلٍ جُزْئِيٍّ فَقَطْ ؛ فَلَمْ يَضِعِ الْوَقْتُ ، لِكَوْنِ الْخِدْمَةِ الَّتِي اشْتَغَلَ بِهَا جُزْئِيَّةً ؛ فَحَصَّلَ مَلَكَةً فِي تِلْكَ الْخِدْمَةِ ؛ وَأَدّٰى عَمَلَهُ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ؛ ثُمَّ قَسَّمُوا ثَمَرَةَ تِلْكَ الصَّنْعَةِ الَّتِي كَانَتْ بِقَاعِدَةِ **تَقْسِيمِ الْأَعْمَالِ ، وَتَشْرِيكِ الْمَسَاعِي** ؛ فَرَأَوْا أَنَّهُ وَقَعَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ ، كُلَّ يَوْمٍ ، ثَلَاثُمِئَةِ إِبْرَةٍ ، عِوَضاً عَنْ ثَلَاثِ إِبَرٍ ؛ فَسَارَتْ هٰذِهِ الْحَادِثَةُ ، بَيْنَ صُنَّاعِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، مَثَلاً دَائِراً عَلٰى أَلْسِنَتِهِمْ ، لِسَوْقِ النَّاسِ إِلٰى **تَشْرِيكِ الْمَسَاعِي** . .

فَيَا إِخْوَتِي ! إِذَا كَانَتِ النَّتَائِجُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْمَوَادِّ الْكَثِيفَةِ ؛ تُفِيدُ بِالِاتِّحَادِ وَالِاتِّفَاقِ ، مِثْلَ مَجْمُوعِ هٰذِهِ الْفَوَائِدِ الْعَظِيمَةِ ؛ فَلَكُمْ أَنْ تَقِيسُوا أَنَّ تَمَلُّكَ كُلٍّ ، لِمِثْلِ ثَوَابِ الْكُلِّ ، وَانْعِكَاسَهُ بِفَضْلِ اللهِ ، فِي مِرْآةِ كُلٍّ ، انْعِكَاساً عَامّاً ، فِي الْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَالنُّورَانِيَّةِ ، بِدُونِ احْتِيَاجٍ إِلَى التَّجَزُّؤِ وَالِانْقِسَامِ ، أَيُّ رِبْحٍ عَظِيمٍ يَا لَهُ مِنْ رِبْحٍ ! وَإِنَّ هٰذَا الرِّبْحَ الْعَظِيمَ ، لَا يُفَوَّتُ بِسَبَبِ الْحَسَدِ ، وَتَرْكِ الْإِخْلَاصِ . .

اَلْمَانِعُ الثَّانِي الَّذِي يَنْقُضُ الْإِخْلَاصَ : هُوَ أَنْ يُعْطِيَ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ مَقَاماً ؛ وَيُثِيرَ كِبْرَهُ ، بِجَلْبِ نَظَرِ الْإِمْعَانِ إِلٰى نَفْسِهِ ، وَبِتَحْصِيلِ إِقْبَالِ الْعَامَّةِ عَلَيْهِ ، تَحْتَ غِطَاءِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ ، بِبَاعِثِ حُبِّ الشُّهْرَةِ ، النَّاشِئِ عَنْ حُبِّ الْجَاهِ ؛ وَذٰلِكَ أَهَمُّ مَرَضٍ رُوحِيٍّ ؛ كَمَا أَنَّهُ يَفْتَحُ الْبَابَ لِلْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالشِّرْكِ الْخَفِيِّ ؛ وَيَضُرُّ بِالْإِخْلَاصِ . .

فَيَا إِخْوَتِي ! إِنَّ مَسْلَكَنَا فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، هُوَ مَسْلَكُ الْحَقِيقَةِ وَالْأُخُوَّةِ ؛ وَإِنَّ سِرَّ تِلْكَ الْأُخُوَّةِ ، هُوَ أَنْ يُفْنِيَ ذَاتَهُ(١) ، بَيْنَ الْإِخْوَانِ ؛ وَأَنْ يُؤْثِرَ أَنْفُسَهُمْ ، عَلٰى نَفْسِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا بُدَّ أَنْ لَا يُؤَثِّرَ بَيْنَنَا التَّحَاسُدُ النَّاشِئُ عَنْ هٰذَا النَّوْعِ ، مِنْ حُبِّ الْجَاهِ ؛ فَإِنَّهُ مُنَافٍ لِمَسْلَكِنَا كُلِّيّاً ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ شَرَفُ الْإِخْوَانِ ، يَرْجِعُ إِلٰى كُلِّ فَرْدٍ ، عَلَى الْعُمُومِ ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْفِدَاءُ بِذٰلِكَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ ، لِاشْتِهَارٍ جُزْئِيٍّ ، وَشَرَفٍ ذَاتِيٍّ ، عَلٰى وَجْهِ الْعُجْبِ وَالْحَسَدِ ، بَعِيداً عَنْ طُلّابِ رِسَالَةِ النُّورِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ . نَعَمْ : إِنَّ قُلُوبَ طُلّابِ رِسَالَةِ النُّورِ ، وَعُقُولَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ ، لَا تَنْزِلُ إِلٰى مِثْلِ هٰذِهِ الْأُمُورِ الدَّنِيئَةِ الضَّارَّةِ السُّفْلِيَّةِ ، إِلّا أَنَّهُ تُوجَدُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ ، فِي كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَقَدْ تَمَسُّ الْحِسِّيَّاتُ النَّفْسِيَّةُ ، الْأَعْصَابَ أَحْيَاناً ؛ فَتُجْرِي حُكْمَهَا بَعْضَ إِجْرَاءٍ ، عَلٰى رَغْمِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالرُّوحِ ؛ وَإِنِّي لَا أَتَّهِمُ قُلُوبَكُمْ وَأَرْوَاحَكُمْ وَعُقُولَكُمْ ؛ وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، بِنَاءً عَلَى التَّأْثِيرِ الَّذِي أَنْتَجَتْهُ رِسَالَةُ النُّورِ ؛ وَلٰكِنَّ النَّفْسَ وَالْهَوٰى ، وَالْحِسَّ وَالْوَهْمَ ، تَغُرُّ الْإِنْسَانَ أَحْيَاناً ؛ فَلِذٰلِكَ تُوقَظُونَ أَحْيَاناً ، إِيقَاظاً شَدِيداً . وَهٰذِهِ الشِّدَّةُ تَنْظُرُ إِلَى النَّفْسِ وَالْهَوٰى ، وَالْحِسِّ وَالْوَهْمِ ؛ فَاحْتَاطُوا لِأَنْفُسِكُمْ . نَعَمْ : لَوْ كَانَ مَسْلَكُنَا مَشْيَخَةً ؛ لَكَانَ الْمَقَامُ وَاحِداً ؛ أَوْ وُجِدَتْ مَقَامَاتٌ مَحْدُودَةٌ ؛ فَيَتَرَشَّحُ اسْتِعْدَادَاتٌ عَدِيدَةٌ ، لِذٰلِكَ الْمَقَامِ ؛ وَأَمْكَنَ أَنْ يُوجَدَ عُجْبٌ مَمْزُوجٌ بِالْغِبْطَةِ ؛ وَلٰكِنَّ مَسْلَكَنَا أُخُوَّةٌ ؛ فَلَا يَكُونُ الْأَخُ ، وَالِداً لِأَخِيهِ ؛ وَلَا يَتَزَيَّا بِزِيِّ الْمُرْشِدِ لَهُ . وَالْمَقَامَاتُ فِي الْأُخُوَّةِ وَاسِعَةٌ ، لَا تَكُونُ مَدَاراً لِمُزَاحَمَةٍ عَلٰى وَجْهِ الْغِبْطَةِ ؛ فَإِنْ كَانَ يُوجَدُ شَيْءٌ ؛ يَكُونُ الْأَخُ عَوْناً وَظَهِيراً لِأَخِيهِ ؛ يُكْمِلُ خِدْمَتَهُ . وَالدَّلِيلُ عَلٰى أَنَّهُ تَنْشَأُ نَتَائِجُ ضَارَّةٌ خَطِرَةٌ جِدّاً ، فِي مَسَالِكِ الْإِرْشَادِ وَالْأُبُوَّةِ ، بِجِهَةِ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَحِرْصِ الثَّوَابِ ، الْمَمْزُوجَيْنِ بِالْغِبْطَةِ ، هُوَ النَّتَائِجُ الْوَخِيمَةُ الَّتِي يُنْتِجُهَا الِاخْتِلَافُ وَالْحَسَدُ ، مَعَ ذٰلِكَ الْمِقْدَارِ مِنْ كَمَالَاتِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، وَمَنَافِعِهِمُ

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ السَّعِيدَ ، هُوَ الَّذِي يُلْقِي بِذَاتِهِ وَنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ قَبِيلِ قِطْعَةٍ مِنَ الْجَمَدِ ، إِلٰى حَوْضٍ عَظِيمٍ عَذْبٍ نَابِعٍ عَنْ كَوْثَرِ الْقُرْآنِ ؛ وَيُذِيبُهَا فِيهِ ؛ لِيَفُوزَ بِذٰلِكَ الْحَوْضِ الْعَظِيمِ . . الْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

الْعَظِيمَةِ الْمُهِمَّةِ ؛ فَلَا تُقَاوِمُ قُوَّتُهُمْ تِلْكَ الْقُوَّةَ الْقُدُسِيَّةَ الْعَظِيمَةَ ، رِيَاحَ الْبِدَعِ . .

اَلْمَانِعُ الثَّالِثُ : هُوَ الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ ؛ وَقَدْ أُوضِحَ هٰذَا الْمَانِعُ ، مَعَ بَعْضِ مَوَانِعَ أُخْرٰى ، بِتَمَامِهَا ، فِي «الْهَجَمَاتِ السِّتِّ» ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُهَا عَلَيْهَا . .

وَنَرْجُو مِنْ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ ، جَاعِلِينَ أَسْمَاءَهُ الْحُسْنٰى ، شُفَعَاءَ لَنَا ، أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلْإِخْلَاصِ التَّامِّ . آمِينَ . .

اَللّٰهُمَّ بِحَقِّ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلَصِينَ الْمُخْلِصِينَ ؛ آمِينَ آمِينَ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

رِسَالَةٌ خَاصَّةٌ بِبَعْضِ إِخْوَانِي :

إِنِّي أُبَيِّنُ نُكْتَةً وَاحِدَةً لِحَدِيثَيْنِ شَرِيفَيْنِ ، لِإِخْوَانِيَ الَّذِينَ يَسْأَمُونَ مِنَ الْكِتَابَةِ ؛ وَيُرَجِّحُونَ سَائِرَ الْأَوْرَادِ ، فِي الْأَهِلَّةِ الثَّلَاثِ الَّتِي هِيَ أَشْهُرُ الْعِبَادَةِ ، عَلٰى كِتَابَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُعَدَّ عِبَادَةً ، بِخَمْسَةِ أَوْجُهٍ[1] . .

أَوَّلُهُمَا : حَدِيثُ ﴿يُوزَنُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ ، بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ﴾ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ ؛ يَعْنِي : يُوزَنُ مَا يَصْرِفُهُ عُلَمَاءُ الْحَقِيقَةِ مِنَ الْمِدَادِ ، بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ ؛ وَأَنَّهُ فِي قِيمَتِهَا فِي الْمَحْشَرِ . .

وَثَانِيهِمَا : حَدِيثُ ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي ، عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي ؛ فَلَهُ أَجْرُ مِئَةِ شَهِيدٍ﴾ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، وَالْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ وَعَمِلَ لَهُمَا ، فِي

---

(١) وَهِيَ : (١) أَنَّهَا مُجَاهَدَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ضِدَّ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ؛ وَهِيَ أَهَمُّ جِهَادٍ . . (٢) وَخِدْمَةٌ لِنَشْرِ الْحَقِيقَةِ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِعَانَةِ لِأُسْتَاذِهِ ، فِي جِهَةِ ذٰلِكَ النَّشْرِ . . (٣) وَخِدْمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، فِي جِهَةِ الْإِيمَانِ . . (٤) وَتَحْصِيلٌ لِلْعِلْمِ ، بِالْقَلَمِ . . (٥) وَأَدَاءٌ لِعِبَادَةِ التَّفَكُّرِ ، الَّتِي تَصِيرُ سَاعَةٌ مِنْهَا ، فِي حُكْمِ عِبَادَةِ سَنَةٍ أَحْيَانًا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

زَمَنِ اسْتِيلاءِ الْبِدَعِ وَالضَّلالاتِ ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَفُوزَ بِثَوَابِ مِئَةِ شَهِيدٍ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الصُّوفِيِّ الْمَشَارِبِ ، وَيَا أَيُّهَا الْعَاجِزُونَ عَنِ الْكِتَابَةِ ، بِعِرْقِ الْكَسَلِ ! إِنَّ مَجْمُوعَ هٰذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ دِرْهَماً مِنَ الْمِدَادِ الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ مَاءِ الْحَيَاةِ ، أَوِ النُّورِ الْأَسْوَدِ ، السَّائِلِ عَنِ الْأَقْلامِ الْخَالِصَةِ الْمُبَارَكَةِ ، الَّتِي تَخْدُمُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ ، وَأَسْرَارَ الشَّرِيعَةِ ، وَالسُّنَّةَ السَّنِيَّةَ ، فِي مِثْلِ هٰذَا الزَّمَانِ ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمَ الْمَحْشَرِ ، بِمَثَابَةِ مِئَةِ دِرْهَمٍ مِنْ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ ؛ فَاعْمَلُوا لِتَحْصِيلِهِ . .

فَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّ فِي الْحَدِيثِ ، لَفْظَ «الْعَالِمِ» ؛ وَبَعْضٌ مِنَّا ، كَاتِبٌ فَقَطْ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ مَنْ قَرَأَ هٰذِهِ الرَّسَائِلَ وَالدُّرُوسَ ، عَلٰى وَجْهِ الْفَهْمِ وَالْقَبُولِ ، فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَالِماً مُهِمّاً ، مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ . وَإِذَا لَمْ يَفْهَمْهَا ؛ فَإِنَّ لِطُلّابِ رِسَالَةِ النُّورِ ، شَخْصاً مَعْنَوِيّاً ؛ فَلا شَكَّ أَنَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ ، عَالِمٌ عَظِيمٌ وَمُهِمٌّ ، لِهٰذَا الزَّمَانِ ؛ وَأَنَّ أَقْلامَكُمْ ، أَصَابِعُ ذٰلِكَ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ . وَإِنَّكُمْ قَدِ ارْتَبَطْتُمْ بِهٰذَا الْفَقِيرِ ، حَيْثُ مَنَحْتُمُوهُ وَصْفَ عَالِمٍ ، فِي جِهَةِ التَّدْرِيسِ وَالِاتِّبَاعِ ؛ فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ ، مَبْنِيّاً عَلٰى حُسْنِ ظَنِّكُمْ ، مَعَ عَدَمِ لِيَاقَتِي بِهِ فِي نَظَرِي ؛ فَتُعَدُّ أَقْلامُكُمْ قَلَمِي ، لِكَوْنِي أُمِّيّاً ، وَبِدُونِ قَلَمٍ ؛ فَتَأْخُذُونَ الْأَجْرَ الْمَذْكُورَ فِي الْحَدِيثِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَللَّمْعَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ

هِيَ الْإِشَارَاتُ الثَّلاثُ . .

وَقَدْ كانَتِ الْمَسْأَلَةَ الثَّالِثَةَ ، مِنَ الْمُذَكِّرَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ ، مِنَ اللَّمْعَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ ؛ فَاخْتَلَطَتْ بِاللَّمَعاتِ ، بِناءً عَلٰى شِدَّةِ الْأَسْئِلَةِ وَشُمُولِهَا ، وَعَلٰى قُوَّةِ الْأَجْوِبَةِ وَلَمَعانِهَا ؛ فَصَارَتِ اللَّمْعَةَ الثَّانِيَةَ وَالْعِشْرِينَ ، مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحادِي وَالثَّلاثِينَ ؛ فَلْتُعْطِ اللَّمَعاتُ ، الْمَكانَ لِهٰذِهِ اللَّمْعَةِ . .

وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ مَخْصُوصَةٌ بِأَخَصِّ إِخْوانِنَا ، وَأَخْلَصِهِمْ وَأَصْدَقِهِمْ . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

إِنَّ هٰذِهِ الرِّسالَةَ الصَّغِيرَةَ الْمُحَرَّمَةَ غايَةَ التَّحْرِيمِ ، الَّتِي أَلَّفْتُهَا حِينَمَا كُنْتُ بِناحِيَةِ «بارْلا» ، مِنْ وِلايَةِ «إِسْپارْطَةَ» ، قَبْلَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عاماً ؛ وَكانَتْ مَخْصُوصَةً بِأَخْلَصِ إِخْوانِي ، وَأَخَصِّهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ ، أُقَدِّمُهَا إِلٰى والِي «إِسْپارْطَةَ» الْعادِلِ ، وَإِلٰى عَدْلِيَّتِهَا وَأَمْنِيَّتِهَا الْعامَّةِ ؛ لِأَنَّ لَهَا تَعَلُّقاً بِشِعْبِ «إِسْپارْطَةَ» وَبِحُكُومَتِهَا . وَإِذا كانَ مُناسِباً ؛ فَلْتُكْتَبْ عِدَّةُ نُسَخٍ ، بِالْآلَةِ الْكاتِبَةِ ، بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ أَوِ الْقَدِيمَةِ ؛ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ يَتَرَصَّدُونَنِي وَيَتَحَرَّوْنَ أَسْرارِي ، مُنْذُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، أَوْ ثَلاثِينَ سَنَةً ؛ أَنَّهُ لا سِرَّ لَنا مَخْفِيّاً أَصْلاً ؛ وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ أَخْفٰى أَسْرارِنَا ، هِيَ هٰذِهِ الرِّسالَةُ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ۝﴾ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، ثَلاثُ إِشَارَاتٍ . .

اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى :

سُؤَالٌ مُهِمٌّ رَاجِعٌ إِلٰى ذَاتِي ، وَإِلٰى رِسَالَةِ النُّورِ : يُقَالُ مِنْ جَانِبِ كَثِيرِينَ : «لِمَاذَا يَتَدَخَّلُ أَهْلُ الدُّنْيَا ، فِي أُمُورِ آخِرَتِكَ ، فِي كُلِّ فُرْصَةٍ ؛ مَعَ أَنَّكَ لَمْ تُخَالِطْ دُنْيَاهُمْ ؛ وَالْحَالُ أَنَّ قَانُونَ أَيَّةِ حُكُومَةٍ ، لا يَتَدَخَّلُ فِي الْمُنْعَزِلِينَ وَتَارِكِي الدُّنْيَا ؟.»

اَلْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّ جَوَابَ «السَّعِيدِ الْجَدِيدِ» ، عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ ، هُوَ السُّكُوتُ ؛ وَيَقُولُ : فَلْيُجِبْ عَنِّيَ الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ ؛ وَمَعَ هٰذَا ؛ فَإِنَّ عَقْلِيَّةَ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، الَّتِي اسْتَعَارَهَا مِنْهُ «السَّعِيدُ الْجَدِيدُ» ، اضْطِرَاراً ، تَقُولُ : إِنَّ الَّذِي يُجِيبُ عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ ، هُوَ حُكُومَةُ مُحَافَظَةِ «إِسْپَارْطَة» ، وَشَعْبُ هٰذِهِ الْمُحَافَظَةِ ؛ لِأَنَّ هٰذِهِ الْحُكُومَةَ ، وَهٰذَا الشَّعْبَ ، أَزْيَدُ مِنِّي تَعَلُّقاً بِمَا تَحْتَ هٰذَا السُّؤَالِ ، مِنَ الْمَعْنٰى . فَإِذَا كَانَتْ حُكُومَةٌ لَهَا آلافُ أَفْرَادٍ ، وَشَعْبٌ لَهُ مِئَاتُ آلافِ نَسَمَةٍ ، مُضْطَرِّينَ لِلتَّفَكُّرِ وَالدِّفَاعِ عَنِّي ، فِي مَكَانِي ؛ فَلِمَاذَا أُدَافِعُ وَأُحَاوِرُ بِدُونِ لُزُومٍ ، مَعَ الْمُدَّعِينَ ؛ فَإِنَّهُ أَصْبَحَ تِسْعَ سِنِينَ ؛ وَأَنَا بِهٰذِهِ الْمُحَافَظَةِ ؛ وَأُحَوِّلُ ظَهْرِي ، إِلٰى دُنْيَاهُمْ ، أَزْيَدَ تَحْوِيلٍ ؛ كُلَّمَا مَضَى الزَّمَانُ ؛ وَلَمْ يَبْقَ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِي مَسْتُوراً ؛ وَقَدْ وَقَعَتْ أَخْفٰى رَسَائِلِي ، وَأَزْيَدُهَا مَحْرَمَةً ، بِأَيْدِي الْحُكُومَةِ ، وَبَعْضِ النُّوَّابِ ؛ فَإِنْ كَانَتْ لِي حَالَةُ تَدَخُّلٍ فِي الدُّنْيَا ، وَتَشَبُّثٍ وَفِكْرٍ لِلْإِخْلالِ ، يُوقِعُ أَهْلَ الدُّنْيَا ، فِي الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ ؛ فَسَكَتَتِ الْحُكُومَةُ الَّتِي فِي هٰذِهِ الْوِلايَةِ وَأَقْضِيَتِهَا ؛ وَلَمْ تَمَسَّنِي مَعَ تَحَرُّزِ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ ، وَتَجَسُّسِهَا تِسْعَ سِنِينَ ؛ وَمَعَ أَنِّي أُبَيِّنُ أَسْرَارِي ، لِلَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَيَّ ، بِدُونِ التَّجَنُّبِ ؛ فَإِنْ

كَانَتْ لِي خَطِيئَةٌ تَضُرُّ بِسَعَادَةِ الشَّعْبِ ، وَمُسْتَقْبَلِ الْوَطَنِ ؛ فَإِنَّهَا تَجْعَلُهُمْ مَسْؤُولِينَ ، مِن أَمِيرِ الْمَخْفَرِ ، إِلَى الْوَالِي ، مُنْذُ تِسْعِ سِنِينَ ؛ فَهُمْ مُضْطَرُّونَ أَنْ يُدَافِعُوا عَنِّي ؛ وَيَجْعَلُوا الْقُبَّةَ حَبَّةً ، إِزَاءَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْحَبَّةَ قُبَّةً ، فِي حَقِّي ؛ لِيُنْقِذُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْمَسْؤُولِيَّةِ . فَإِذاً إِنِّي أُحِيلُ عَلَيْهِمُ الْجَوَابَ عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ . .

وَأَمَّا اضْطِرَارُ شَعْبِ هٰذِهِ الْوِلَايَةِ عَلَى الْعُمُومِ ، إِلَى الدِّفَاعِ عَنِّي أَزْيَدَ مِنِّي ، فَذٰلِكَ : أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ تِسْعَ سِنِينَ ، اجْتَهَدْنَا بِمِئَاتٍ مِنْ رَسَائِلَ أَظْهَرَتْ تَأْثِيرَهَا مَادَّةً وَبِالْفِعْلِ ، لِهٰذَا الشَّعْبِ الْأَخِ الصَّدِيقِ الْمُبَارَكِ ، وَلِحَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَلِقُوَّةِ إِيمَانِهِ ، وَسَعَادَةِ حَيَاتِهِ ؛ وَلَمْ يَقَعْ ضَرَرٌ وَلَا خَلَلٌ ، عَنْ تِلْكَ الرَّسَائِلِ ، عَلٰى أَحَدٍ أَصْلاً ؛ وَلَمْ تُشَاهَدْ عَنْهَا أَيَّةُ أَمَارَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْغَرَضِ ؛ وَفَازَتْ وِلَايَةُ «إِسْپَارْطَة» هٰذِهِ ، بِوَاسِطَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ، بِمَقَامٍ مُبَارَكٍ ، فِي جِهَةِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ ، وَصَلَابَةِ الدِّينِ ، مِنْ قَبِيلِ بَرَكَةِ «الشَّامِ الشَّرِيفَةِ» فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ، وَمِنْ نَوْعِ مُبَارَكَةِ «الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الْمِصْرِيِّ» تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الْعُمُومِيَّةِ ، لِعَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ فَصَارَتْ قُوَّةُ الْإِيمَانِ فِيهَا ، حَاكِمَةً عَلٰى عَدَمِ التَّقَيُّدِ بِالدِّينِ ؛ وَأَصْبَحَ اشْتِيَاقُ الْعِبَادَةِ ، غَالِباً عَلَى السَّفَاهَةِ ؛ وَأَظْفَرَتْ «رِسَالَةُ النُّورِ» لِهٰذِهِ الْوِلَايَةِ ، بِمَزِيَّةٍ دِينِيَّةٍ ، فَوْقَ كُلِّ الْوِلَايَاتِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُضْطَرُّ كُلُّ مَنْ بِهٰذِهِ الْوِلَايَةِ مِنَ النَّاسِ ؛ وَإِنْ كَانَ مُلْحِداً ، أَنْ يُدَافِعَ عَنِّي وَعَنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَإِنَّ حَقِّيَ الْجُزْئِيَّ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ ، لَا يَسُوقُنِي إِلَى الدِّفَاعِ ، بَيْنَ حُقُوقِ دِفَاعِهِمُ الْمُهِمَّةِ جِدّاً ؛ وَقَدْ أَدّٰى عَاجِزٌ مِثْلِي ، خِدْمَتَهُ ؛ وَاجْتَهَدَ آلَافُ طُلَّابٍ ؛ وَيَجْتَهِدُونَ عِوَضاً عَنْهُ ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ وَإِنَّ إِنْسَاناً يَكُونُ لَهُ آلَافُ مُحَامِينَ كَذٰلِكَ ، لَا يُدَافِعُ بِنَفْسِهِ ، عَنْ دَعْوَاهُ . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ :

جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالٍ مُنْتَقِدٍ : يُقَالُ مِنْ طَرَفِ أَهْلِ الدُّنْيَا : «لِمَاذَا سَخِطْتَ عَنَّا ؛ فَمَا رَاجَعْتَنَا وَلَوْ مَرَّةً ؛ وَسَكَتَّ ؛ وَإِنَّكَ تَشْتَكِي عَنَّا ، شَكْوٰى شَدِيدَةً ؛ فَتَقُولُ : إِنَّكُمْ

تَظْلِمُونَنِي ؛ مَعَ أَنَّ لَنَا ، نِظَاماً وَدَسَاتِيرَ خَاصَّةً بِنَا ، مِنْ مُقْتَضَيَاتِ هٰذَا الْعَصْرِ ؛ وَإِنَّكَ لَا تَقْبَلُ إِجْرَاءَ هٰذِهِ الدَّسَاتِيرِ ، عَلٰى نَفْسِكَ ؛ فَمَنْ أَجْرَى الْقَانُونَ ، لَا يَصِيرُ ظَالِماً ؛ وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْهُ ؛ يَعْصِي» . .

فَمِنْهَا : أَنَّ دُسْتُورَ «رَفْعِ التَّحَكُّمِ وَالتَّغَلُّبِ» ، الْمَبْنِيَّ عَلٰى أَسَاسِ الْمُسَاوَاةِ ، فِي عَصْرِ الْحُرِّيَّةِ هٰذَا ، وَفِي دَوْرِ الْجُمْهُورِيَّاتِ ، هٰذَا الَّذِي شَرَعْنَا فِيهِ عَنْ جَدِيدٍ ، قَدْ أَصْبَحَ فِي حُكْمِ قَانُونٍ أَسَاسِيٍّ لَنَا ؛ مَعَ أَنَّكَ تَكْسِبُ تَوَجُّهَ الْعَامَّةِ ، بِصِفَةِ الْعَالِمِ أَحْيَاناً ، وَبِصُورَةِ الشَّيْخِ أَحْيَاناً ، وَبِوَصْفِ الزَّاهِدِ أَحْيَاناً ؛ فَتَجْذِبُ نَظَرَ الْإِمْعَانِ ، إِلٰى نَفْسِكَ ؛ وَتَسْعٰى لِتَحْصِيلِ قُوَّةٍ وَمَقَامٍ اجْتِمَاعِيٍّ ، فِي خَارِجِ نُفُوذِ الْحُكُومَةِ ؛ يُفْهَمُ ذٰلِكَ ، بِدَلَالَةِ ظَاهِرِ حَالِكَ ، وَأَحْدَاثِ حَيَاتِكَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ؛ فَهٰذَا الْحَالُ يُسْتَحْسَنُ بَيْنَ تَحَكُّمِ الطَّبَقَةِ الْمُسْتَبِدَّةِ الْبُرْجُوَازِيَّةِ بِالتَّعْبِيرِ الْجَدِيدِ ؛ وَلٰكِنَّ دَسَاتِيرَ الْاشْتِرَاكِيَّةِ وَالْإِبَاحِيَّةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ بِغَلَبَةِ طَبَقَتِنَا نَحْنُ الْعَوَامِّ ، وَبِانْتِبَاهِهَا ، هِيَ أَنْفَعُ لِأُمُورِنَا ؛ فَلِذٰلِكَ قَبِلْنَاهَا ؛ مَعَ أَنَّ أَحْوَالَكَ تَثْقُلُ عَلَيْنَا ؛ وَتُخَالِفُ نِظَامَاتِنَا ؛ فَلِذٰلِكَ لَا حَقَّ لَكَ ، فِي الشَّكْوٰى عَمَّا نُعْطِيكَ مِنَ التَّضْيِيقِ . .

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّ مَنْ فَتَحَ دَرْباً فِي حَيَاةِ مُجْتَمَعِ الْبَشَرِ ، إِنْ لَمْ يُوَافِقْ مَا فِي الْكَائِنَاتِ ، مِنْ قَانُونِ الْفِطْرَةِ ؛ فَلَنْ يُوَفَّقَ فِي أُمُورِ الْخَيْرَاتِ ؛ وَتُصْبِحُ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ ، عَلٰى حِسَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا وُجِدَتْ ضَرُورَةُ تَوْفِيقِ الْعَمَلِ ، مَعَ قَانُونِ الْفِطْرَةِ ؛ فَإِنَّ قَانُونَ الْمُسَاوَاةِ الْمُطْلَقَةِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يُجْرٰى بِتَبْدِيلِ فِطْرَةِ الْبَشَرِ ، وَبِرَفْعِ الْحِكْمَةِ الْأَسَاسِيَّةِ ، فِي خَلْقِ نَوْعِ الْبَشَرِ . نَعَمْ : إِنَّنِي أَيْضاً ، مِنْ طَبَقَةِ الْعَوَامِّ ، نَسَباً وَحَيَاةً ، وَمِنَ الَّذِينَ قَبِلُوا مَسْلَكَ مُسَاوَاةِ الْحُقُوقِ ، مَشْرَباً وَفِكْراً ، وَمِمَّنْ سَعَوْا بِالْمُعَارَضَةِ مُنْذُ الْقَدِيمِ ، إِزَاءَ اسْتِبْدَادِ طَبَقَةِ الْخَوَاصِّ الَّذِينَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُوَازِيُّونَ ، وَإِزَاءَ تَحَكُّمِهِمْ ، شَفَقَةً وَعَدَالَةً ، بِسِرِّ الْعَدَالَةِ النَّابِعَةِ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ؛ فَلِذٰلِكَ ، فَإِنِّي مُوَالٍ بِكُلِّ قُوَّتِي ، لِلْعَدَالَةِ التَّامَّةِ ، وَمُعَارِضٌ لِلظُّلْمِ وَالتَّغَلُّبِ وَالْاسْتِبْدَادِ وَالتَّحَكُّمِ ؛ وَلٰكِنَّ فِطْرَةَ نَوْعِ الْبَشَرِ ،

وَسِرَّ حِكْمَتِهَا ، مُضَادَّتَانِ لِقَانُونِ مُطْلَقِ الْمُسَاوَاةِ ؛ لِأَنَّ الْفَاطِرَ الْحَكِيمَ ، كَمَا يَسْتَنْتِجُ مَحْصُولَاتٍ كَثِيرَةً ، مِنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ ؛ وَيَسْتَنْسِخُ كُتُباً كَثِيرَةً ، مِنْ صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَيُؤَدِّي وَظَائِفَ كَثِيرَةً ، بِشَيْءٍ وَاحِدٍ ، لِإِظْهَارِ كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ؛ كَذٰلِكَ يُؤَدِّي بِنَوْعِ الْبَشَرِ ، وَظَائِفَ آلَافِ الْأَنْوَاعِ ؛ فَمِنْ هٰذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ ، خَلَقَ اللهُ تَعَالٰى ، نَوْعَ الْإِنْسَانِ ، عَلٰى فِطْرَةٍ تُثْمِرُ أُلُوفَ أَنْوَاعٍ ؛ وَتُظْهِرُ طَبَقَاتٍ مِقْدَارَ سَائِرِ آلَافِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ ؛ وَلَمْ يُوضَعْ حَدٌّ عَلٰى قُوَاهُ وَلَطَائِفِهِ وَحَوَاسِّهِ ، كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ؛ وَتُرِكَتْ مُطْلَقَةً ؛ وَأَعْطَاهُ اسْتِعْدَاداً يَسِيرُ فِي مَقَامَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَلِذٰلِكَ يُصْبِحُ فِي حُكْمِ آلَافِ أَنْوَاعٍ ؛ وَهُوَ نَوْعٌ وَاحِدٌ ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ ، صَارَ فِي حُكْمِ خَلِيفَةِ الْأَرْضِ ، وَنَتِيجَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَسُلْطَانِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ هٰذَا ، فَخَمِيرَةُ تَنَوُّعِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَأَهَمُّ نَابِضِهِ ، هِيَ فَضِيلَةٌ ذَاتُ إِيمَانٍ حَقِيقِيٍّ ، تَحْصُلُ بِالْمُسَابَقَةِ ؛ وَلَا يُمْكِنُ رَفْعُ الْفَضِيلَةِ ، إِلَّا بِتَبْدِيلِ الْمَاهِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَإِخْمَادِ الْعَقْلِ ، وَمَوْتِ الْقَلْبِ ، وَمَحْوِ الرُّوحِ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذَا الْكَلَامَ الْكَامِلَ :(١) «لَيْسَ مُمْكِناً ، مَحْوُ الْحُرِّيَّةِ ، بِالظُّلْمِ وَالْغَدْرِ ❁ اعْمَلْ ؛ تَرْفَعِ الْإِدْرَاكَ ، عَنِ الْآدَمِيَّةِ ؛ إِنْ كُنْتَ مُقْتَدِراً» ، كَانَ حَقِيقاً ، أَنْ يُثَارَ فِي وَجْهِ هٰذَا الْعَصْرِ الْغَدَّارِ الْحَامِلِ لِاسْتِبْدَادٍ هَائِلٍ ، تَحْتَ غِطَاءِ هٰذِهِ الْحُرِّيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ أُثِيرَ خَطَأً ، فِي وَجْهِ رَجُلٍ مُهِمٍّ ، لَمْ يَسْتَحِقَّ تِلْكَ الصَّفْعَةَ . فَأَقُولُ أَنَا ، بَدَلاً عَنْ هٰذَا الْقَوْلِ ، لِلصَّدْمِ عَلٰى وَجْهِ هٰذَا الْعَصْرِ :(٢) «لَيْسَ مُمْكِناً ، مَحْوُ الْحَقِيقَةِ ، بِالظُّلْمِ وَالْغَدْرِ ❁ اعْمَلْ ؛ تَرْفَعِ الْقَلْبَ ، عَنِ الْآدَمِيَّةِ ؛ إِنْ كُنْتَ مُقْتَدِراً» ، أَوْ(٣) «لَيْسَ مُمْكِناً ، مَحْوُ

---

(١) اَلنَّصُّ التُّرْكِيُّ : نَه مُمْكِنْ ظُلْمْ اِيلَه ، بِيدَادْ اِيلَه ، إِمْحَاي حُرِّيَّتْ ❁ چَالِشْ إِدْرَاكِي قَالْدِرْ ، مُقْتَدِرْسَكْ ، آدَمِيَّتْدَنْ . .

(٢) اَلنَّصُّ التُّرْكِيُّ : نَه مُمْكِنْ ظُلْمْ اِيلَه ، بِيدَادْ اِيلَه ، إِمْحَاي حَقِيقَتْ ❁ چَالِشْ قَلْبِي قَالْدِرْ ، مُقْتَدِرْسَكْ ، آدَمِيَّتْدَنْ . .

(٣) اَلنَّصُّ التُّرْكِيُّ : نَه مُمْكِنْ ظُلْمْ اِيلَه ، بِيدَادْ اِيلَه ، إِمْحَاي فَضِيلَتْ ❁ چَالِشْ وِجْدَانِي قَالْدِرْ ، مُقْتَدِرْسَكْ ، آدَمِيَّتْدَنْ . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله عنه) . .

الْفَضِيلَةِ ، بِالظُّلْمِ وَالْغَدْرِ ❁ اعْمَلْ ؛ تَرْفَعِ الْوِجْدَانَ ، عَنِ الْآدَمِيَّةِ ؛ إِنْ كُنْتَ مُقْتَدِراً» . نَعَمْ : إِنَّ الْفَضِيلَةَ الْمُتَلَبِّسَةَ بِالْإِيمَانِ ، لَا تَكُونُ وَسِيلَةً لِلتَّحَكُّمِ ؛ كَمَا لَا تَكُونُ سَبَباً لِلاِسْتِبْدَادِ أَيْضاً ؛ فَإِنَّ التَّحَكُّمَ وَالتَّغَلُّبَ ، رَذِيلَةٌ ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ أَهَمَّ مَشْرَبِ أَهْلِ الْفَضِيلَةِ ، التَّدَخُّلُ فِي حَيَاةِ مُجْتَمَعِ الْبَشَرِ ، بِالْعَجْزِ وَالْفَقْرِ وَالتَّوَاضُعِ ؛ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ : قَدْ مَضَتْ حَيَاتُنَا ؛ وَتَمْضِي عَلٰى هٰذَا الْمَشْرَبِ ؛ وَلَا أَدَّعِي بِصُورَةِ الْفَخْرِ : أَنَّهُ تُوجَدُ عِنْدِيَ الْفَضِيلَةُ ؛ وَلٰكِنْ أَقُولُ بِنِيَّةِ الشُّكْرِ ، فِي صُورَةِ تَحْدِيثِ النِّعْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ : «إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى ، أَحْسَنَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ، فَضِيلَةَ فَهْمِ عُلُومِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، وَالْعَمَلِ لَهَا ؛ فَصَرَفْتُ بِتَوْفِيقِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، هٰذَا الْإِحْسَانَ الْإِلٰهِيَّ ، لِسَعَادَةِ هٰذَا الشَّعْبِ الْمُسْلِمِ ، وَلِنَفْعِهِ ، فِي جَمِيعِ حَيَاتِي ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ وَسِيلَةً لِلتَّحَكُّمِ وَالتَّغَلُّبِ ، فِي وَقْتٍ مَّا أَصْلاً ؛ كَمَا أَنَّ إِقْبَالَ النَّاسِ ، وَحُسْنَ قَبُولِ الْخَلْقِ ، الْمَرْغُوبَيْنِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، مَنْفُورَانِ لِي ، بِنَاءً عَلٰى سِرٍّ مُهِمٍّ ؛ وَأَفِرُّ عَنْهُمَا ؛ وَأَرَاهُمَا ضَارَّيْنِ بِي ، لِتَضْيِيعِهِمَا عِشْرِينَ عَاماً ، مِنْ حَيَاتِي ؛ وَلٰكِنِّي أَرٰى ذٰلِكَ ، أَمَارَةً لِقَبُولِهِمْ «رِسَالَةَ النُّورِ» ؛ فَلَا أُسْخِطُهُمْ . .

فَيَا أَهْلَ الدُّنْيَا ! إِنَّ هٰذَا الْمِقْدَارَ مِنْ تَرَصُّدِكُمْ وَتَضْيِيقِكُمُ الَّذِي يُفْعَلُ بِي دَائِماً ، كَمُتَغَلِّبٍ قَدِيمٍ ، وَإِنْسَانٍ يُضْمِرُ فِكْرَ الاِسْتِبْدَادِ وَالتَّحَكُّمِ ؛ وَيَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ دَائِماً ، بِأَيِّ قَانُونٍ ، وَبِأَيَّةِ مَصْلَحَةٍ ؟ مَعَ أَنِّي لَمْ أُخَالِطْ دُنْيَاكُمْ أَصْلاً ؛ وَلَيْسَتْ لِي جِهَةُ مُنَاسَبَةٍ مَعَ نَظَامَاتِكُمْ ؛ وَلَيْسَتْ لِي نِيَّةٌ وَطَلَبٌ لِلدُّنْيَا أَصْلاً ، مِنْ جَدِيدٍ ، بِشَهَادَةِ هٰذِهِ السِّنِينَ التِّسْعِ ، مِنْ حَيَاتِي فِي الْأَسْرِ . فَهٰذَا الْمِقْدَارُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ السَّيِّئَةِ الَّتِي أُعَامَلُ بِهَا ، لَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَسْخَطُ عَنْهَا ؛ بَلْ يَسْخَطُ عَنْهَا نَوْعُ الْبَشَرِ ؛ بَلْ وَتَسْخَطُ الْكَائِنَاتُ ؛ لَوْ عَلِمَتْ ؛ مَعَ أَنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْمُعَامَلَاتِ الَّتِي تَفُوقُ الْقَانُونَ ؛ وَلَيْسَتْ مَظْهَراً لِتَصْوِيبِ فَرْدٍ أَصْلاً ، لَا تَسْمَحُ بِهَا أَيَّةُ حُكُومَةٍ فِي الدُّنْيَا . .

اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ :

سُؤَالٌ عَلٰى وَجْهِ الْمُغَالَطَةِ وَالْجِنَّةِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْحُكْمِ يَقُولُ : إِنَّكَ ، إِذَا

كُنْتَ تُقِيمُ بِهٰذَا الْوَطَنِ ؛ فَلِمَاذَا تُنْقِذُكَ عَنْ **قَوَانِينِ جُمْهُورِيَّةِ هٰذَا الْوَطَنِ** ، تَحْتَ غِطَاءِ الْعُزْلَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَلْزَمُ الِانْقِيَادُ لِتِلْكَ الْقَوَانِينِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ : أَنَّكَ تَتَلَبَّسُ بِمَزِيَّةٍ وَفَضِيلَةٍ فِي خَارِجِ الْوَظِيفَةِ ؛ فَتَتَحَكَّمُ عَلٰى بَعْضِ الشَّعْبِ ؛ وَتُجْرِي بِهَا نُفُوذَكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَهٰذَا مُنَافٍ فِي **قَانُونِ الْحُكُومَةِ الْحَاضِرَةِ** ، لِدُسْتُورٍ يَسْتَنِدُ إِلٰى أَسَاسِ **الْمُسَاوَاةِ** ، مِنْ دَسَاتِيرِ الْجُمْهُورِيَّةِ ؛ فَلِمَاذَا تَأْذَنُ بِتَقْبِيلِ يَدِكَ ؛ وَتَتَلَبَّسُ بِحَالٍ مُعْجَبٍ ؛ فَتَقُولُ : فَلْيَسْتَمِعِ النَّاسُ إِلَيَّ ؛ مَعَ أَنَّكَ غَيْرُ مُوَظَّفٍ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الَّذِينَ يُنَفِّذُونَ الْقَانُونَ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يُنَفِّذُوهُ عَلٰى غَيْرِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ يُنَفِّذُوهُ أَوَّلاً عَلٰى أَنْفُسِهِمْ ؛ وَإِنَّكُمْ تَنْقُضُونَ دُسْتُورَكُمْ وَقَانُونَكُمْ ؛ وَتُعَارِضُونَهُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ ، بِإِجْرَاءِ دُسْتُورٍ عَلٰى غَيْرِكُمْ ، لَمْ تُجْرُوهُ عَلٰى أَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ تُرِيدُونَ تَطْبِيقَ قَانُونِ الْمُسَاوَاةِ الْمُطْلَقَةِ هٰذَا ، عَلَيَّ ؛ وَلَمْ تُطَبِّقُوهُ عَلَيْكُمْ ؛ فَأَقُولُ : مَتٰى طَلَعَ مُجَنَّدٌ إِلٰى مَقَامِ مُشِيرٍ ، فِي الْمُجْتَمَعِ ؛ وَاشْتَرَكَهُ فِي الِاحْتِرَامِ وَالتَّوَجُّهِ الَّذِي يُظْهِرُهُ الشَّعْبُ ، أَمَامَ ذٰلِكَ الْمُشِيرِ ؛ وَأَصْبَحَ مَظْهَراً لِذٰلِكَ التَّوَجُّهِ وَالِاحْتِرَامِ مِثْلَهُ ؛ أَوْ أَصْبَحَ ذٰلِكَ الْمُشِيرُ عَادِيّاً ؛ وَاتَّخَذَ حَالَةً خَامِدَةً مِثْلَ ذٰلِكَ الْمُجَنَّدِ ؛ وَلَمْ تَبْقَ لِذٰلِكَ الْمُشِيرِ ، أَيَّةُ قِيمَةٍ أَصْلاً ، فِي خَارِجِ الْوَظِيفَةِ ؛ وَأَيْضاً إِنْ تَسَاوٰى أَذْكٰى رَئِيسٍ مِنْ أَرْكَانِ الْحَرْبِ ، ظَفَّرَ جَيْشاً ؛ تَسَاوٰى مَعَ جُنْدِيٍّ أَبْلَهَ ، فِي إِقْبَالِ الْعَامَّةِ ، وَاحْتِرَامِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ ؛ فَلَكُمْ حِينَئِذٍ أَنْ تَقُولُوا لِي ، بِحُكْمِ قَانُونِكُمْ هٰذَا : لَا تُطْلِقْ عَلَيْكَ اسْمَ الْعَالِمِ ؛ وَلَا تَقْبَلْ الِاحْتِرَامَ ؛ وَأَنْكِرْ فَضِيلَتَكَ ؛ وَاخْدُمْ خَادِمَكَ ؛ وَكُنْ رَفِيقَ السَّائِلِينَ . .

فَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّ هٰذَا الِاحْتِرَامَ وَالْمَقَامَ وَالْإِقْبَالَ ، مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا كَانَ حَاضِراً عَلٰى رَأْسِ الْوَظِيفَةِ ، وَخَاصٌّ بِالْمُوَظَّفِينَ ؛ وَإِنَّكَ إِنْسَانٌ غَيْرُ مُوَظَّفٍ ؛ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْبَلَ احْتِرَامَ الشَّعْبِ ، كَالْمُوَظَّفِينَ . .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ ، عِبَارَةً عَنْ جَسَدٍ فَقَطْ ؛ وَيَبْقٰى فِي الدُّنْيَا دَائِماً لَا يَمُوتُ ؛ وَيُغْلَقُ بَابُ الْقَبْرِ ؛ وَيُقْتَلُ الْمَوْتُ ؛ وَتَبْقَى الْوَظِيفَةُ حِينَئِذٍ ، مَخْصُوصَةً بِمُوَظَّفِي

الْإِدَارَةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ ؛ يَكُونُ فِي كَلَامِكُمْ مَعْنًى أَيْضاً ؛ وَلٰكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ ، عِبَارَةً عَنِ الْجَسَدِ فَقَطْ ؛ وَلَا يُقْطَعُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ ، وَالْعَقْلُ وَالدِّمَاغُ ، لِتَغْذِيَةِ الْجَسَدِ ؛ وَلَا يُطْعَمُ الْجَسَدُ إِيَّاهَا ؛ وَلَا تُمْحَى ؛ وَهِيَ تَطْلُبُ التَّغَذِّيَ أَيْضاً ؛ وَلَا يُسَدُّ بَابُ الْقَبْرِ ؛ وَيَكُونُ تَفَكُّرُ الْمُسْتَقْبَلِ ، فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْقَبْرِ ، أَهَمَّ مَسْأَلَةِ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَلَا تَنْحَصِرُ الْوَظَائِفُ الْمُسْتَنِدَةُ إِلَى إِطَاعَةِ الشَّعْبِ وَاحْتِرَامِهِ ، فِي الْوَظَائِفِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ ، الَّتِي تَعُودُ إِلَى حَيَاةِ الشَّعْبِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَقَطْ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ مَنْحَ الْوَثَائِقِ لِلسَّيَّاحِينَ ، لِأَجْلِ السِّيَاحَةِ وَظِيفَةٌ ؛ كَذٰلِكَ مَنْحُ الْوَثَائِقِ لِلسَّائِحِينَ إِلَى جَانِبِ الْأَبَدِ ، وَإِعْطَاءُ النُّورِ لَهُمْ ، فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ الْمُظْلِمِ ، وَظِيفَةٌ أَيْضاً لَيْسَتْ وَظِيفَةٌ ، أَهَمُّ بِقَدْرِهَا . وَإِنْكَارُ مِثْلِ هٰذِهِ الْوَظِيفَةِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ بِإِنْكَارِ الْمَوْتِ ، وَبِتَكْذِيبِ شَهَادَاتِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ شَاهِدٍ ، وَبِإِنْكَارِ شَهَادَةِ هٰؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ دَعْوَى أَنَّ «الْمَوْتَ حَقٌّ» ؛ وَيُوَقِّعُونَ عَلَيْهَا ، بِخَوَاتِمِ جَنَائِزِهِمْ ، كُلَّ يَوْمٍ . فَإِذَا وُجِدَتْ وَظَائِفُ مَعْنَوِيَّةٌ تَسْتَنِدُ إِلَى الْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَكَانَ أَهَمُّ تِلْكَ الْوَظَائِفِ ، الْإِيمَانَ وَدَرْسَهُ وَتَقْوِيَتَهُ ، ذٰلِكَ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ وَرَقَةُ جَوَازِ السَّفَرِ ، لِلسِّيَاحَةِ فِي طَرِيقِ الْأَبَدِ ، وَمِشْعَلُ الْقَلْبِ ، فِي ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ ، وَمِفْتَاحُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ يُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظِيفَةَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ؛ لَا يَعُدُّ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ ، مِنَ الْفَضِيلَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، وَالنِّعْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مُنْعَدِماً عَلَى صُورَةِ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ ؛ وَلَنْ يَرْدِيَ إِلَى دَرَكَةِ السُّفَهَاءِ وَالْفُسَّاقِ ؛ وَلَنْ يُلَوِّثَ نَفْسَهُ ، بِبِدَعِ السُّفَلَاءِ وَبِسَفَهِهِمْ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ . هٰذَا ، فَالْعُزْلَةُ الَّتِي لَا تَقْدُرُونَهَا ؛ وَتَظُنُّونَهَا غَيْرَ مُسَاوَاةٍ ، إِنَّمَا هِيَ لِهٰذِهِ . فَأَقُولُ مَعَ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَلَيْسَ أَمَامَ أَمْثَالِكُمْ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ يُزْعِجُونَنِي بِالتَّعْذِيبِ ؛ وَتَقَدَّمُوا فِي الْكِبْرِ وَفِي نَقْضِ قَانُونِ الْمُسَاوَاةِ هٰذَا ، إِلَى دَرَجَةِ التَّفَرْعُنِ ؛ لِأَنَّ التَّوَاضُعَ أَمَامَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، يُظَنُّ تَذَلُّلاً ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ عَدَمِ التَّوَاضُعِ لَهُمْ ؛ بَلْ إِنَّمَا أَقُولُ لِأَهْلِ الْإِنْصَافِ ، وَلِلْقِسْمِ الْمُتَوَاضِعِ وَالْعَادِلِ : إِنَّنِي أَعْرِفُ قُصُورِي وَعَجْزِي ؛ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ فَلَسْتُ أَطْلُبُ مَقَامَ احْتِرَامٍ ، مُتَكَبِّراً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ بَلْ أَرَى كُلَّ وَقْتٍ ، عَدَمِي وَقُصُورِيَ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ ؛ فَأَتَسَلَّى بِالِاسْتِغْفَارِ ؛ وَإِنِّي أَطْلُبُ

الدُّعَاءَ مِنَ النَّاسِ ، لَا الِاحْتِرَامَ ؛ وَأَظُنُّ أَنَّ أَصْحَابِي كُلَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَسْلَكِي هٰذَا ؛ إِلَّا أَنِّي أُحَافِظُ فِي وَقْتِ الدَّرْسِ ، عَلٰى عِزَّةِ الْعِلْمِ وَوَقَارِهِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ ذٰلِكَ الْمَقَامُ ؛ وَذٰلِكَ لِشَرَفِ الْقُرْآنِ ، وَبِحِسَابِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، فِي وَقْتِ دَرْسِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ ، وَفِي أَثْنَاءِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَأَتَلَبَّسُ مُؤَقَّتاً بِتِلْكَ الْحَالَةِ الْعَزِيزَةِ ، لِعَدَمِ الْخُضُوعِ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ؛ وَأَظُنُّ أَنَّهُ لَا حَدَّ لِقَوَانِينِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، أَنْ تُعَارِضَ هٰذِهِ النِّقَاطَ . .

نَوْعٌ مِنْ مُعَامَلَةٍ هِيَ مَطْمَحٌ لِلْحَيْرَةِ :

مَعْلُومٌ : أَنَّ أَهْلَ الْمَعَارِفِ يُوازَنُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فِي جِهَةِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ . فَإِذَا وُجِدَ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ ، فِي أَيِّ مَكَانٍ ، وَفِي أَيِّ إِنْسَانٍ ، يُرَبِّي إِزَاءَهُ صَدَاقَةً وَاحْتِرَاماً ، بِاعْتِبَارِ الْمَسْلَكِ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ إِذَا أَتٰى حَكِيمُ حُكُومَةٍ عَدُوَّةٍ ، إِلٰى هٰذَا الْوَطَنِ ؛ يَزُورُهُ أَهْلُ الْمَعَارِفِ ، احْتِرَاماً لِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ؛ وَيَحْتَرِمُونَهُ ؛ مَعَ أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ، الَّذِي لَقِيَ عَدَمَ الِاحْتِرَامِ ، مِنْ أَهْلِ الْمَعَارِفِ ، فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، أَجَابَ ذٰلِكَ الْعَارِفُ ، جَوَاباً نَالَ التَّقْدِيرَ ، بِسِتِّ كَلِمَاتٍ ، عَلٰى سِتَّةِ أَسْئِلَةٍ ، حِينَمَا سَأَلَهَا الْمَجْلِسُ الْعِلْمِيُّ الْأَعْلَى الْبِرِيطَانِيُّ ، الْمَشِيخَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ؛ وَطَلَبُوا مِنْهَا الْجَوَابَ بِسِتِّمِئَةِ كَلِمَةٍ ؛ وَعَارَضَ أَهَمَّ أُسُسِ الْأَجَانِبِ ، وَأَعْظَمَ أُصُولِ الْحُكَمَاءِ ؛ وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَعِلْمِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَتَحَدّٰى فَلَاسِفَةَ أُورُوبَّا ، مُسْتَنِداً إِلٰى قُوَّةِ مَا اسْتَفَاضَهُ عَنِ الْقُرْآنِ ، مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ؛ وَدَعَا الْعُلَمَاءَ وَأَهْلَ مَدَارِسِ الْعُلُومِ الْكَوْنِيَّةِ ، إِلَى الْمُنَاظَرَةِ فِي «إِسْطَنْبُول» ، قَبْلَ الْحُرِّيَّةِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ؛ فَأَجَابَ عَلٰى أَسْئِلَتِهِمْ ، الْجَوَابَ الصَّوَابَ ، بِلَا نُقْصَانٍ ، بِدُونِ أَنْ يَسْأَلَ سُؤَالاً أَصْلاً ؛ وَحَصَرَ[1] حَيَاتَهُ كُلَّهَا ، عَلٰى سَعَادَةِ هٰذَا الشَّعْبِ ؛ وَنَشَرَ مِئَاتِ رَسَائِلَ ،

---

(١) يَقُولُ «السَّعِيدُ الْجَدِيدُ» : إِنِّي لَا أَشْتَرِكُ «السَّعِيدَ الْقَدِيمَ» فِي هٰذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي يَقُولُهَا مُفْتَخِراً ، فِي هٰذَا الْمَقَامِ ؛ وَقَدْ سَمَحْتُ لَهُ بِالْكَلَامِ فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسْكِتَهُ ؛ فَلْيُظْهِرْ شَيْئاً مِنْ فَخْرِهِ ، أَمَامَ الْمُتَكَبِّرِينَ ؛ فَلِذٰلِكَ أَسْكُتُ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

بِلِسَانِ ذٰلِكَ الشَّعْبِ ؛ وَهُوَ اللِّسَانُ التُّرْكِيُّ ؛ وَنَوَّرَ ذٰلِكَ الشَّعْبَ بِهَا ؛ فَالَّذِي اضْطَهَدَ ذٰلِكَ الْعَارِفَ الَّذِي هُوَ صَدِيقُهُمْ وَأَخُوهُمْ فِي الدِّينِ وَالْوَطَنِ ، أَزْيَدَ اضْطِهَادٍ ؛ وَأَضْمَرَ الْعَدَاوَةَ فِي حَقِّهِ ؛ بَلْ لَمْ يَحْتَرِمْهُ ، هُوَ بَعْضُ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ ، وَقِسْمٌ قَلِيلٌ مِنْ عُلَمَاءِ الرُّسُومِ ؛ فَتَعَالَ ؛ مَاذَا تَقُولُ لِهٰذَا الْحَالِ ؟ هَلْ هُوَ حَضَارَةٌ أَوْ ثَقَافَةٌ ؟ أَوْ وَطَنِيَّةٌ ، أَوْ قَوْمِيَّةٌ ، أَمْ جُمْهُورِيَّةٌ ؟ كَلَّا وَكَلَّا ؛ لَيْسَ شَيْئاً مِنْهَا ؛ بَلْ هُوَ قَدَرٌ إِلٰهِيٌّ أَظْهَرَ ذٰلِكَ الْقَدَرُ الْإِلٰهِيُّ ، الْعَدَاوَةَ مِنْ مَكَانٍ كَانَ ذٰلِكَ الْعَارِفُ ، يَأْمُلُ الصَّدَاقَةَ مِنْهُ ؛ كَيْ يَفُوزَ بِالْإِخْلَاصِ ؛ وَلَا يَدْخُلَ عِلْمُهُ فِي الرِّيَاءِ ، بِسَبَبِ الِاحْتِرَامِ . .

خَاتِمَةٌ وَاعْتِدَاءٌ هُوَ مَحَلُّ حَيْرَةٍ ، وَمَدَارُ شُكْرَانٍ عِنْدِي :

إِنَّ هٰؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرِينَ فَوْقَ الْعَادَةِ ، مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، لَهُمْ حَسَّاسِيَّةٌ فِي أَمْرِ التَّكَبُّرِ ؛ لَوْ كَانَتْ عَلٰى وَجْهِ الشُّعُورِ ؛ لَكَانَتْ مُعَامَلَةً فِي دَرَجَةِ الْكَرَامَةِ ، أَوْ فِي دَرَجَةِ دَهَاءٍ عَظِيمٍ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُمْ يُعَارِضُونَ بِالشِّدَّةِ ، مَا لَا أَشْعُرُ بِهِ ، مِنْ تَكَبُّرِي ؛ فَكَأَنَّهُمْ يُحِسُّونَ بِمِيزَانِ حَسَّاسِيَّةِ كِبْرِهِمْ ، بِجُزْءٍ مِنْ حَالَةِ التَّكَبُّرِ ، عَلٰى وَجْهِ الرِّيَاءِ ، مِمَّا لَا تَشْعُرُ بِهِ نَفْسِي وَعَقْلِي ، فِيَّ . وَلِي فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الثَّمَانِي وَالتِّسْعِ ، ثَمَانِي تَجَارِبَ أَوْ تِسْعٌ ؛ فَكُنْتُ أَتَصَوَّرُ الْقَدَرَ الْإِلٰهِيَّ ، بَعْدَ وُقُوعِ مُعَامَلَاتِهِمُ الظَّالِمَةِ عَلَيَّ ؛ وَأَقُولُ : لِمَاذَا سَلَّطَ هٰؤُلَاءِ عَلَيَّ ؟ وَكُنْتُ أَتَحَرَّى دَسَائِسَ نَفْسِي ؛ فَكُنْتُ أَفْهَمُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، أَنَّهُ إِمَّا مَالَتْ نَفْسِي إِلَى التَّكَبُّرِ ، مَيْلاً فِطْرِيّاً بِدُونِ الشُّعُورِ ؛ أَوْ أَنَّهُ غَرَّتْنِي نَفْسِي عَلٰى عِلْمٍ ؛ فَحِينَئِذٍ كُنْتُ أَقُولُ : إِنَّ الْقَدَرَ الْإِلٰهِيَّ عَدَلَ فِي حَقِّي ، بَيْنَ ظُلْمِ أُولٰئِكَ الظَّالِمِينَ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ إِخْوَانِي أَرْكَبُونِي فِي هٰذَا الصَّيْفِ ، عَلٰى حِصَانٍ جَمِيلٍ ؛ فَذَهَبْنَا إِلٰى مُتَنَزَّهٍ ؛ فَبِانْتِبَاهِ اشْتِهَاءِ فَرَحٍ عَلٰى وَجْهِ الرِّيَاءِ ، فِي نَفْسِي بِدُونِ الشُّعُورِ ، عَارَضَ أَهْلُ الدُّنْيَا ، ذٰلِكَ الِاشْتِهَاءَ ، بِالشِّدَّةِ ؛ فَلَمْ يَقْطَعُوا ذٰلِكَ الِاشْتِهَاءَ الْخَفِيَّ فَقَطْ ؛ بَلْ قَطَعُوا كَثِيراً مِنْ أَهْوَائِي . .

حَتّى إِنَّ مِنْهَا : أَنَّ نَفْسِي أَرَادَتْ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، بَعْدَ رَمَضَانَ ، أَنْ تَتَّخِذَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، حَالَةَ تَكَبُّرٍ ، عَلٰى وَجْهِ الرِّيَاءِ ؛ فَكَأَنَّهَا تَفْتَخِرُ تَحْتَ حِجَابِ الشُّكْرِ ، بَيْنَ احْتِرَامِ الزَّائِرِينَ ، وَحُسْنِ ظَنِّهِمْ ، وَبَيْنَ إِخْلاصِ إِخْوَانِي وَتَقْوَاهُمْ ، بَعْدَ الْتِفَاتِ إِمَامٍ قُدُسِيٍّ عَظِيمٍ إِلَيْنَا ، الْتِفَاتاً مَعْنَوِيّاً ، بِكَرَامَتِهِ الْغَيْبِيَّةِ ، فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ ؛ فَمَسَّنِي فَجْأَةً ، هٰؤُلاءِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، بِحَسَّاسِيَّةٍ لا حَدَّ لَهَا ، بَلْ بِوَجْهٍ كَانُوا يُحِسُّونَ ذَرَّاتِ الرِّيَاءِ . .

فَشَكَرْتُ اللهَ تَعَالٰى ؛ حَيْثُ أَصْبَحَ ظُلْمُ هٰؤُلاءِ ، وَسِيلَةَ إِخْلاصٍ لِي . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ . .

﴿ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۝ ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ يَا حَافِظُ ، يَا خَيْرَ الْحَافِظِينَ ! .

احْفَظْنِي وَاحْفَظْ رُفَقَائِي ، مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ ، وَمِنْ شَرِّ أَهْلِ الضَّلالَةِ ، وَأَهْلِ الطُّغْيَانِ ؛ آمِينَ آمِينَ . .

اَللَّمْعَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ

﴿رِسَالَةُ الطَّبيعَةِ..﴾

وَكَانَتِ الْمُذَكِّرَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ، مِنَ اللَّمْعَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ؛ فَصَارَتِ اللَّمْعَةَ الثَّالِثَةَ وَالْعِشْرِينَ، بِنَاءً عَلٰى أَهَمِّيَّتِهَا؛ فَإِنَّهَا تَقْتُلُ فِكْرَ الْكُفْرِ الْوَارِدِ عَنِ الطَّبِيعَةِ، بِحَيْثُ لَا يَحْيَا؛ وَتَهْدِمُ أَسَاسَ الْكُفْرِ، شَذَرَ مَذَرَ..

﴿إِخْطَارٌ:﴾ لَقَدْ بُيِّنَ فِي هٰذِهِ الْمُذَكِّرَةِ: أَنَّ بَاطِنَ الْمَذْهَبِ الَّذِي يَذْهَبُ عَلَيْهِ الْقِسْمُ الْمُنْكِرُ مِنَ الطَّبِيعِيِّينَ، خُرَافَةٌ وَمَسْلَكٌ شَنِيعٌ، وَبَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ، بِتِسْعِ مُحَالَاتٍ مُتَضَمِّنَةٍ لِتِسْعِينَ مُحَالاً عَلَى الْأَقَلِّ؛ وَقَدْ أُوضِحَتْ بَعْضُ تِلْكَ الْمُحَالَاتِ، فِي رَسَائِلَ أُخْرٰى؛ فَطُوِيَتْ هُنَا، بَعْضُ مَرَاقِيهَا؛ لِأَنَّهَا فِي غَايَةِ الاخْتِصَارِ؛ فَلِذٰلِكَ يَرِدُ بِالْبَالِ أَنَّ هٰؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةَ الْعُقَلَاءَ الْمَشَاهِيرَ، كَيْفَ قَبِلُوا دَفْعَةً وَاحِدَةً، خُرَافَةً وَاضِحَةً ظَاهِرَةً هٰكَذَا؛ فَيَسْلُكُونَ فِي هٰذَا الطَّرِيقِ؟. نَعَمْ: إِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا بَاطِنَ مَسْلَكِهِمْ؛ وَإِنَّ حَقِيقَةَ مَسْلَكِهِمْ، وَلَازِمَهُ وَمُقْتَضَاهُ، هِيَ مَا بُيِّنَ فِي رَأْسِ كُلِّ مُحَالٍ مَذْكُورٍ، مِنْ أَنَّهَا، هِيَ خُلَاصَةُ مَذْهَبِهِمُ الشَّنِيعِ الْمُسْتَكْرَهِ[1] غَيْرِ الْمَعْقُولِ، وَلَازِمُهُ وَمُقْتَضَاهُ الضَّرُورِيُّ. فَمَنْ

(١) وَسَبَبُ تَأْلِيفِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ، هُوَ: أَنَّ بَعْضَ الْمُلْحِدِينَ يُزَيِّفُونَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ، بِوَجْهٍ شَنِيعٍ مُتَجَاوِزٍ، غَايَةَ الشَّنَاعَةِ وَالتَّجَاوُزِ؛ وَيَقُولُونَ لِمَا لَا تُدْرِكُهُ عُقُولُهُمُ الْفَاسِدَةُ: إِنَّهَا خُرَافَةٌ؛ وَيَرْبِطُونَ الْإِلْحَادَ بِالطَّبِيعَةِ؛ وَيَهْجُمُونَ عَلَى الْقُرْآنِ؛ فَأَوْرَثَ ذٰلِكَ الْهُجُومُ، حِدَّةً شَدِيدَةً لِلْقَلْبِ؛ فَأَذَاقَتْ أُولَائِكَ الْمُلْحِدِينَ، وَأَصْحَابَ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ، الَّذِينَ حَوَّلُوا وُجُوهَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، صَفَعَاتٍ غَلِيظَةً شَدِيدَةً. وَإِلَّا فَإِنَّ مَسْلَكَ رِسَالَةِ النُّورِ، نَزَاهَةٌ وَلَطَافَةٌ وَقَوْلٌ لَيِّنٌ.. الْمُؤَلِّفُ، (رحمه الله)..

كَانَ لَهُ شُبْهَةٌ ؛ فَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِلْإِثْبَاتِ وَالْبَيَانِ ، مُفَصَّلاً بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ بَدِيهِيَّةٍ . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ، تُفِيدُ بِالِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ : أَنَّهُ لَا شَكَّ فِي اللهِ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُشَكَّ فِيهِ ؛ فَتَدُلُّ بِذٰلِكَ ، عَلٰى وُجُودِ اللهِ تَعَالٰى وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، بِدَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ . .

إِخْطَارٌ مُقَدَّمٌ عَلٰى إِيضَاحِ هٰذَا السِّرِّ :

إِنِّي سَافَرْتُ إِلٰى «أَنْقَرَهْ» ، قَبْلَ هٰذَا ، بِاثْنَيْ عَشَرَ عَاماً ، سَنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ فِكْرَةَ زَنْدَقَةٍ هَائِلَةً لِلْغَايَةِ ، تَسْعٰى دَسَّاسَةً بَيْنَ أَفْكَارِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، الَّذِينَ ابْتَهَجُوا مِنْ غَلَبَةِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ ، عَلَى الْيُونَانِ ؛ وَتَعْمَلُ لِلدُّخُولِ بَيْنَ تِلْكَ الْأَفْكَارِ الْقَوِيَّةِ ، وَلِإِفْسَادِهَا وَتَسْمِيمِهَا ؛ فَقُلْتُ مُتَأَوِّهاً : إِنَّ هٰذَا الثُّعْبَانَ ، سَيَضُرُّ بِأَرْكَانِ الْإِيمَانِ ؛ فَاسْتَمْدَدْتُ حِينَئِذٍ ، مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُفْهِمُ وُجُودَ اللهِ ، وَوَحْدَانِيَّتَهُ تَعَالٰى ، بِالْبَدَاهَةِ ؛ فَكَتَبْتُ بُرْهَاناً قَوِيّاً ، أُخِذَ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، فِي رِسَالَةٍ عَرَبِيَّةٍ ، بِحَيْثُ تُمَزِّقُ رَأْسَ تِلْكَ الزَّنْدَقَةِ ؛ وَطَبَعْتُهَا فِي مَطْبَعَةِ (الْيَوْمِ الْجَدِيدِ) «بِأَنْقَرَهْ» ؛ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ الْبُرْهَانَ الْقَوِيَّ ، لَمْ يُظْهِرْ تَأْثِيرَهُ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْعَرَبِيَّةَ ، كَانُوا قَلِيلِينَ ، وَالَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِالِاهْتِمَامِ ، كَانُوا نَادِرِينَ ؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ بِصُورَةٍ مُجْمَلَةٍ وَمُخْتَصَرَةٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَانْكَشَفَ ذٰلِكَ الْفِكْرُ الْإِلْحَادِيُّ ؛ وَتَقَوّٰى مَعَ الْأَسَفِ . . فَسَأُبَيِّنُ ذٰلِكَ الْبُرْهَانَ ، بِالِاضْطِرَارِ ، بِدَرَجَةٍ مِنَ الْبَيَانِ ، بِاللِّسَانِ التُّرْكِيِّ . وَقَدْ أُوضِحَ بَعْضُ أَجْزَاءِ ذٰلِكَ الْبُرْهَانِ ، فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ ، إِيضَاحاً تَامّاً ؛ فَيُكْتَبُ هٰهُنَا إِجْمَالاً ؛ وَتَتَّحِدُ الْبَرَاهِينُ الْمُتَعَدِّدَةُ الْمُنْتَشِرَةُ فِي سَائِرِ الرَّسَائِلِ ، بَعْضَ اتِّحَادٍ ، فِي هٰذَا الْبُرْهَانِ ؛ فَيَصِيرُ كُلٌّ مِنْهَا ، جُزْءاً مِنْ هٰذَا . .

اَلْمُقَدِّمَةُ :

اِعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ! أَنَّهُ تُوجَدُ كَلِمَاتٌ هَائِلَةٌ ، تَخْرُجُ عَنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ ؛ وَتُشْعِرُ بِالْإِلْحَادِ ؛ فَيَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ الْإِيمَانِ ، بِدُونِ عِلْمٍ . . وَسَنُبَيِّنُ ثَلاثَ كَلِمَاتٍ ، مِنْ مُهِمَّاتِهَا . .

اَلْأُولَى : أَوْجَدَتْهُ الْأَسْبَابُ ؛ أَيْ أَنَّ الْأَسْبَابَ تُوجِدُ هٰذَا الشَّيْءَ . .

وَالثَّانِيَةُ : تَشَكَّلَ بِنَفْسِهِ ؛ أَيْ أَنَّهُ يَتَشَكَّلُ بِنَفْسِهِ ؛ وَيُوجَدُ ؛ فَيَنْقَضِي . .

وَالثَّالِثَةُ : اقْتَضَتْهُ الطَّبِيعَةُ ؛ أَيْ أَنَّهُ طَبِيعِيٌّ ، تَقْتَضِيهِ الطَّبِيعَةُ ، وَتُوجِدُهُ . .

نَعَمْ : إِذَا كَانَتِ الْمَوْجُودَاتُ ، مَوْجُودَةً لَا تُنْكَرُ ؛ وَيُوجَدُ كُلُّ مَوْجُودٍ ، ذَا صَنْعَةٍ وَحِكْمَةٍ ؛ وَلَيْسَتْ قَدِيمَةً ؛ وَتُوجَدُ عَنْ جَدِيدٍ ؛ فَإِمَّا أَنْ تَقُولَ ، أَيُّهَا الْمُلْحِدُ ! إِنَّ أَسْبَابَ الْعَالَمِ ، تُوجِدُ هٰذَا الْمَوْجُودَ ، وَهٰذَا الْحَيَوَانَ مَثَلاً ؛ يَعْنِي : أَنَّ ذٰلِكَ الْمَوْجُودَ ، يُوجَدُ حِينَ اجْتِمَاعِ الْأَسْبَابِ ؛ أَوْ إِنَّهُ يَتَشَكَّلُ بِنَفْسِهِ ؛ أَوْ إِنَّهُ يُوجَدُ بِتَأْثِيرِ الطَّبِيعَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ ؛ وَإِمَّا إِنَّهُ يُوجَدُ بِقُدْرَةِ قَدِيرٍ ذِي جَلالٍ . . فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ عَقْلاً ، طَرِيقٌ آخَرُ غَيْرُ هٰذِهِ الطُّرُقِ الْأَرْبَعَةِ ؛ فَلَمَّا أُثْبِتَ قَطْعاً ، كَوْنُ الطُّرُقِ الثَّلاثَةِ الْأُولَى ، مُحَالَةً وَبَاطِلَةً ، مُمْتَنِعَةً وَغَيْرَ مُمْكِنَةٍ ؛ يَثْبُتُ بِالضَّرُورَةِ وَبِالْبَدَاهَةِ ، الطَّرِيقُ الرَّابِعُ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ الْوَحْدَانِيَّةِ ، بِلَا شَكٍّ وَلَا شُبْهَةٍ . .

﴿أَمَّا الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ :﴾ الَّذِي هُوَ تَشْكِيلُ الْأَشْيَاءِ ، وَوُجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ ، بِاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الْعَالَمِ ؛ فَنَذْكُرُ مِنْ مُحَالاتِهِ الْكَثِيرَةِ ، ثَلاثَةَ مُحَالاتٍ فَقَطْ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّهُ تُوجَدُ فِي صَيْدَلِيَّةٍ مَّا ، مِئَاتُ قَنَانِيَّ مُمْتَلِئَةٍ بِمَوَادَّ مُخْتَلِفَةٍ غَايَةَ الِاخْتِلافِ ؛ فَأُرِيدَ مِنْ تِلْكَ الْأَدْوِيَةِ ، مَعْجُونٌ ذُو حَيَاةٍ ؛ وَلَزِمَ أَيْضاً تَرْكِيبُ تِرْيَاقٍ خَارِقٍ ذِي حَيَاةٍ مِنْهَا ؛ فَأَتَيْنَا إِلَى تِلْكَ الصَّيْدَلِيَّةِ ؛ وَرَأَيْنَا فِيهَا بِكَثْرَةٍ ، أَفْرَادَ ذٰلِكَ الْمَعْجُونِ وَالتِّرْيَاقِ الْحَيَّيْنِ ؛ وَتَفَحَّصْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْمَعَاجِينِ ؛ فَنَرَى أَنَّهُ أُخِذَتْ أَجْزَاءٌ ، عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ ، مِنْ تِلْكَ الْقَنَانِيِّ ، فِي مَقَادِيرَ مُخْتَلِفَةٍ ، بِمِيزَانٍ مَخْصُوصٍ ؛ فَأُخِذَ عَنْ هٰذِهِ ، دِرْهَمٌ أَوْ دِرْهَمَانِ ،

وَعَنْ أُخرى ، ثَلاثَةُ دَرَاهِمَ أَوْ أَرْبَعَةٌ ، وَعَنْ غَيْرِهَا ، سِتَّةُ دَرَاهِمَ أَوْ سَبْعَةٌ ؛ وَهٰكَذَا . . فَلَوْ أُخِذَ عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، دِرْهَمٌ ، إِمَّا نَاقِصاً أَوْ زَائِداً ؛ لَمَا أَصْبَحَ ذٰلِكَ الْمَعْجُونُ ، ذَا حَيَاةٍ ؛ وَلَا أَظْهَرَ خَاصِّيَّتَهُ ؛ وَكَذَا فَتَّشْنَا ذٰلِكَ التِّرْيَاقَ الْحَيَّ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ أُخِذَتْ عَنْ كُلِّ قَنِينَةٍ ، مَادَّةٌ بِمِيزَانٍ مَخْصُوصٍ ، بِحَيْثُ لَوْ نَقَصَ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ ؛ أَوْ زَادَ ؛ لَفَقَدَتْ خَاصَّتَهَا . وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْقَنَانِيُّ ، أَزْيَدَ مِنَ الْخَمْسِينَ ؛ فَأُخِذَتْ أَجْزَاؤُهَا ، عَلٰى مَقَادِيرَ مُخْتَلِفَةٍ ؛ كَأَنَّهَا أُخِذَتْ عَنْ كُلٍّ مِنْهَا ، بِمِيزَانٍ مَخْصُوصٍ . فَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ يُمْكِنُ وَيُحْتَمَلُ بِأَيِّ جِهَةٍ ، أَنْ يَسِيلَ عَنْ كُلِّ قَنِينَةٍ ، ذٰلِكَ الْمِقْدَارُ الْمَأْخُوذُ عَنْهَا وَحْدَهُ ، مِنْ تِلْكَ الْمَقَادِيرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنِ الْقَنَانِيِّ ؛ وَذٰلِكَ بِتَقَلُّبِ الْقَنَانِيِّ ، بِتَصَادُفٍ غَرِيبٍ ، أَوْ بِتَصَادُمِ هَوَاءٍ عَاصِفٍ ؛ وَأَنْ تَجْرِيَ تِلْكَ الْمَقَادِيرُ ؛ وَتَجْتَمِعَ مَعاً ؛ فَتُشَكِّلَ ذٰلِكَ الْمَعْجُونَ ؟ . فَيَا عَجَباً ! هَلْ يُوجَدُ شَيْءٌ أَزْيَدُ مِنْ هٰذَا ، خُرَافَةً وَمُحَالاً وَبُطْلَاناً ؟ فَلَوْ دَخَلَ الْحِمَارُ ، فِي حِمَارِيَّةٍ مُضَاعَفَةٍ ؛ ثُمَّ أَصْبَحَ إِنْسَاناً ؛ لَفَرَّ عَنْ هٰذَا الْفِكْرِ ؛ وَقَالَ : إِنِّي لَا أَقْبَلُهُ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كُلَّ حَيَوَانٍ ، مَعْجُونٌ ذُو حَيَاةٍ ؛ وَإِنَّ كُلَّ نَبَاتٍ ، شَبِيهٌ بِتِرْيَاقٍ حَيٍّ رُكِّبَ مِنْ مَوَادَّ أُخِذَتْ عَنْ أَجْزَاءٍ كَثِيرَةِ التَّعَدُّدِ ، وَعَنْ مَوَادَّ كَثِيرَةِ الِاخْتِلَافِ ، بِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَإِنْ أُسْنِدَ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْعَنَاصِرِ ؛ وَحُكِمَ بِأَنَّ الْأَسْبَابَ أَوْجَدَتْهُ ؛ يَكُونُ بَاطِلاً وَمُحَالاً وَبَعِيداً عَنِ الْعَقْلِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ، مِثْلَ وُجُودِ الْمَعْجُونِ ، بِتَقَلُّبِ الْقَنَانِيِّ فِي الصَّيْدَلِيَّةِ ، بِعَيْنِهِ . .

الْحَاصِلُ : أَنَّ الْمَوَادَّ الْحَيَوِيَّةَ الَّتِي تُؤْخَذُ بِمِيزَانِ قَدَرِ الْحَكِيمِ الْأَزَلِيِّ ، وَبِمِيزَانِ قَضَائِهِ ، فِي صَيْدَلِيَّةِ الْعَالَمِ الْكُبْرٰى هٰذِهِ ، تُوجَدُ بِحِكْمَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَبِعِلْمٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ ، وَبِإِرَادَةٍ شَامِلَةٍ لِكُلِّ شَيْءٍ . . فَالشَّقِيُّ الَّذِي يَحْكُمُ بِأَنَّهَا صُنْعُ الْأَسْبَابِ وَالطَّبَائِعِ وَالْعَنَاصِرِ ، الْكُلِّيَّةِ الْعَمْيَاءِ الصَّمَّاءِ ، السَّائِلَةِ كَالسَّيْلِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ لَهُوَ أَزْيَدُ حُمْقاً ، مِنْ أَحْمَقَ سَكْرَانَ ، وَمِنْ مَجْنُونٍ ذِي هَذَيَانٍ ، الَّذِي يَقُولُ : إِنَّ ذٰلِكَ التِّرْيَاقَ الْعَجِيبَ ، خَرَجَ بِنَفْسِهِ عَنِ الْقَنَانِيِّ ؛ وَوُجِدَ مِنْ تَقَلُّبِهَا . نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الْكُفْرَ ، هَذَيَانٌ عَلٰى وَجْهِ الْحُمْقِ وَالسُّكْرِ وَالْجُنُونِ . .

اَلْمُحَالُ الثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُسْنَدْ كُلُّ شَيْءٍ، إِلَى الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ، الْوَاحِدِ الْأَحَدِ؛ بَلْ أُسْنِدَ إِلَى الْأَسْبَابِ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِأَسْبَابِ الْعَالَمِ، وَعَنَاصِرِهِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً، تَدَخُّلٌ فِي وُجُودِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ؛ مَعَ أَنَّ اجْتِمَاعَ الْأَسْبَابِ الْمُتَبَايِنَةِ الْمُتَضَادَّةِ، بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ، وَبِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ، وَاتِّفَاقٍ تَامٍّ، فِي جِسْمِ مَخْلُوقٍ صَغِيرٍ، مِثْلِ الذُّبَابِ، ذٰلِكَ مُحَالٌ ظَاهِرٌ، بِحَيْثُ إِنَّ مَنْ لَهُ شُعُورٌ مِقْدَارَ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ؛ يَقُولُ: إِنَّ هٰذَا مُحَالٌ لَا يُمْكِنُ. **نَعَمْ:** إِنَّ جِسْمَ ذُبَابٍ صَغِيرٍ، ذُو عَلَاقَةٍ بِأَكْثَرِ عَنَاصِرِ الْكَائِنَاتِ وَأَسْبَابِهَا؛ بَلْ هُوَ خُلَاصَتُهَا. فَإِنْ لَمْ يُسْنَدْ إِلَى الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ؛ يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الْمَادِّيَّةُ، حَاضِرَةً بِذَاتِهَا عِنْدَ بَدَنِهِ؛ بَلْ يَلْزَمُ أَنْ تَدْخُلَ فِي جِسْمِهِ الصَّغِيرِ؛ بَلْ يُوجِبُ أَنْ تَدْخُلَ فِي خَلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ خَلَايَا عَيْنِهِ الَّتِي هِيَ مِثَالٌ صَغِيرٌ لِجِسْمِهِ؛ لِأَنَّ السَّبَبَ إِذَا كَانَ مَادِّيّاً؛ يَلْزَمُ وُجُودُهُ عِنْدَ الْمُسَبَّبِ، وَفِي بَاطِنِهِ؛ فَيَلْزَمُ فِي هٰذَا الْحَالِ، أَنْ يُقْبَلَ أَنَّ أَرْكَانَ الْعَالَمِ، وَعَنَاصِرَهُ وَطَبَائِعَهُ، تُوجَدُ مَادَّةً، فِي تِلْكَ الْخَلِيَّةِ الَّتِي لَا تَسَعُ أَصَابِعَ ذُبَابَيْنِ، الدَّقِيقَةَ كَرَأْسِ الْإِبْرَةِ؛ وَأَنَّهَا تَعْمَلُ فِي تِلْكَ الْخَلِيَّةِ. فَالسُّوفَسْطَائِيُّونَ الْبُلْهُ أَيْضاً، يَسْتَحْيُونَ عَنْ مِثْلِ هٰذَا الْمَسْلَكِ..

اَلْمُحَالُ الثَّالِثُ: أَنَّ مَوْجُوداً لَهُ وَحْدَةٌ، لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ وَاحِدٍ، وَعَنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ؛ وَذٰلِكَ، بِالْقَاعِدَةِ الْمُقَرَّرَةِ الَّتِي هِيَ: «أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنِ الْوَاحِدِ»؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ ذٰلِكَ الْمَوْجُودَ الْوَاحِدَ، إِذَا كَانَ مَظْهَراً لِحَيَاةٍ جَامِعَةٍ، وَلِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ، وَانْتِظَامٍ كَامِلٍ غَايَةَ الْكَمَالِ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ أَيْدٍ مُتَعَدِّدَةٍ، تَكُونُ أَسْبَابَ اخْتِلَافٍ وَتَنَازُعٍ؛ بَلْ خَرَجَ عَنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ قَدِيرَةٍ وَحَكِيمَةٍ غَايَةَ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ. هٰذَا، مَعَ أَنَّ إِسْنَادَ ذٰلِكَ الْمَوْجُودِ الْوَاحِدِ، الْمَوْزُونِ الْمُنْتَظِمِ، إِلَى أَيْدِي الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ، الصُّمِّ الْعُمْيِ، الْمُخْتَلِطَةِ الْمُعْتَدِيَةِ، الْجَاهِلَةِ الْجَامِدَةِ، الَّتِي لَا حَدَّ وَلَا شُعُورَ لَهَا، بَيْنَ طُرُقِ إِمْكَانَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا؛ وَيَزْدَادُ صَمَمُهَا وَعَمْيُهَا، بِالاِجْتِمَاعِ وَالاِخْتِلَاطِ؛ يَكُونُ إِسْنَادُهُ إِلَى أَيْدِيهَا الْمُخْتَلِطَةِ، بَعِيداً عَنِ الْعَقْلِ، مِثْلَ قَبُولِ مِئَةِ مُحَالٍ، دَفْعَةً وَاحِدَةً؛ فَلْنَقْطَعِ النَّظَرَ، عَنْ هٰذَا الْمُحَالِ أَيْضاً؛ فَإِنَّ تَأْثِيرَ الْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْمُبَاشَرَةِ وَالتَّمَاسِّ؛ **مَعَ**

أَنَّ تَماسَّ تِلْكَ الْأَسْبابِ الطَّبِيعِيَّةِ ، إِنَّما هُوَ بِظاهِرِ الْمَوْجُودَاتِ الْحَيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّ بَاطِنَ ذٰلِكَ الْحَيِّ الَّذِي لَا تَنَالُهُ أَيْدِي تِلْكَ الْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ ؛ وَلَا تَمَسُّهُ ، أَلْطَفُ مِنْ ظَاهِرِهِ ، وَأَكْمَلُ صَنْعَةً ، وَأَزْيَدُ انْتِظاماً مِنْهُ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ . وَإِنَّ ذَوِي الْحَيَاةِ الصَّغِيرَةِ ، وَالْحُوَيْنَاتِ الْحَقِيرَةَ ، الَّتِي لَا تَتَّسِعُ فِيهَا الْأَسْبَابُ الْمَادِّيَّةُ ، بِأَيْدِيهَا وَأَدَوَاتِهَا ، بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ بَلْ لَا تَمَسُّ ظَاهِرَهَا ، تَمَاماً أَيْضاً ، هِيَ أَبْدَعُ خِلْقَةً ، وَأَعْجَبُ صَنْعَةً ، مِنْ أَكْبَرِ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ فَإِسْنَادُهَا مَعَ هٰذَا الْحَالِ ، إِلَى تِلْكَ الْأَسْبَابِ الْعُمْيِ الصُّمِّ ، الْمُتَضَادَّةِ الْجَسِيمَةِ ، الْبَعِيدَةِ الْغَلِيظَةِ ، الْجَاهِلَةِ الْجَامِدَةِ ، إِنَّمَا يَكُونُ بِمِئَةِ دَرَجَةٍ مِنَ الْعَمٰى ، وَبِأَلْفِ دَرَجَةٍ مِنَ الصَّمَمِ . .

﴿ أَمَّا الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : ﴾ الَّتِي هِيَ جُمْلَةُ (تَشَكَّلَ بِنَفْسِهِ) ؛ فَلَهَا أَيْضاً ، مُحَالَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَإِنَّهَا مُمْتَنِعَةٌ وَبَاطِلَةٌ ، بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَنُبَيِّنُ مِنْ مُحَالَاتِهَا ، ثَلَاثَةَ مُحَالَاتٍ ، لِأَجْلِ الْمِثَالِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّ كِبْرَكَ ، أَيُّهَا الْمُنْكِرُ الْعَنِيدُ ! قَدْ حَمَّقَكَ بِحَيْثُ تَحْكُمُ حُكْماً مَّا ، بِقَبُولِ مِئَةِ مُحَالٍ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ لِأَنَّكَ مَوْجُودٌ ؛ وَلَسْتَ مَادَّةً بَسِيطَةً جَامِدَةً ، بِدُونِ تَغَيُّرٍ ؛ بَلْ إِنَّكَ كَجِهَازٍ مُنْتَظِمٍ غَايَةَ الِانْتِظَامِ ، وَمُتَجَدِّدٍ دَائِماً ، وَكَقَصْرٍ عَجِيبٍ مُتَحَوِّلٍ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَتَعْمَلُ الذَّرَّاتُ ، فِي جِسْمِكَ دَائِماً ؛ وَلَهُ عَلَاقَةٌ وَمُبَايَعَةٌ مَعَ الْكَائِنَاتِ ، لَاسِيَّمَا بِمُنَاسَبَةِ الرِّزْقِ ، وَخَاصَّةً بِاعْتِبَارِ بَقَاءِ النَّوْعِ ؛ وَتَهْتَمُّ الذَّرَّاتُ الْعَامِلَةُ فِي جِسْمِكَ ؛ لِئَلَّا تَقْطَعَ تِلْكَ الْعَلَاقَةَ ؛ وَلَا تُفْسِدَ تِلْكَ الْمُنَاسَبَةَ ؛ وَتُلْقِي أَقْدَامَهَا ، بِاحْتِيَاطٍ كَذٰلِكَ ؛ كَأَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَتَرَى مُنَاسَبَاتِكَ فِيهَا ؛ وَتَتَّخِذُ وَضْعاً كَذٰلِكَ ؛ وَإِنَّكَ تَسْتَفِيدُ عَنِ الْكَائِنَاتِ ، بِحَوَاسِّكَ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، حَسَبَ ذٰلِكَ الْوَضْعِ الْعَجِيبِ . فَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ أَنَّ تِلْكَ الذَّرَّاتِ الْمَوْجُودَةَ فِي بَدَنِكَ ، مَأْمُورَاتٌ صِغَارٌ ، مِنْ مَأْمُورَاتِ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ؛ تَتَحَرَّكُ بِقَانُونِهِ ؛ أَوْ أَنَّهَا جَيْشٌ مِنْ جُيُوشِهِ ، أَوْ رُؤُوسُ قَلَمِ الْقَدَرِ ؛ وَكُلَّ ذَرَّةٍ رِيشَةٌ ؛ وَأَنَّهَا نِقَاطُ قَلَمِ الْقُدْرَةِ ؛ وَكُلَّ ذَرَّةٍ نُقْطَةٌ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، لِكُلِّ ذَرَّةٍ تَعْمَلُ فِي عَيْنِكَ ، بَصَرٌ يَرَى كُلَّ جَوَانِبِ مَجْمُوعِ جَسَدِكَ ، مَعَ أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ تُعْطَى بَصَراً يَرَى جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الَّتِي تُنَاسِبُهَا

أَنْتَ ؛ وَأَنْ تُعْطِي عَقْلاً مِقْدَارَ مِئَةِ دَاهِيَةٍ ، يَعْلَمُ مَعَادِنَ أَرْزَاقِكَ ، وَمَنَابِعَ عَنَاصِرِكَ ؛ وَيَعْرِفُ أَصْلَكَ وَنَسْلَكَ ، وَمَاضِيَكَ وَمُسْتَقْبَلَكَ ؛ فَإِعْطَاءُ عِلْمٍ وَشُعُورٍ مِقْدَارَ عَقْلِ أَلْفِ أَفْلاطُونَ ، لِذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ مِثْلِكَ الَّذِي لاَ عَقْلَ لَهُ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ ، فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْمَسَائِلِ ، اخْتِرَاعُ خُرَافَةٍ هِيَ أَلْفُ دَرَجَةٍ مِنَ الْجُنُونِ . .

اَلْمُحَالُ الثَّانِي : أَنَّ بَدَنَكَ يُشْبِهُ قَصْراً خَارِقاً ؛ لَهُ أَلْفُ قُبَّةٍ ؛ تَسَانَدَتِ الْأَحْجَارُ ، فِي كُلِّ قُبَّةٍ مِنْهَا ، رَأْساً إِلَى رَأْسٍ ؛ وَأُوقِفَتْ فِي الْهَوَاءِ ، بِدُونِ عَمَدٍ ؛ بَلْ إِنَّ بَدَنَكَ ، أَعْجَبُ مِنْ قَصْرٍ كَذٰلِكَ ، أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ فَإِنَّ قَصْرَ بَدَنِكَ ، مُتَجَدِّدٌ دَائِماً ، بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ؛ وَإِنَّ كُلَّ عُضْوٍ فِي جِسْمِكَ ، عَلٰى حِدَتِهِ ، بِمَثَابَةِ مَنْزِلٍ ذِي قُبَّةٍ ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ ، وَاللَّطَائِفِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْخَارِقَةِ ؛ وَقَدْ تَسَانَدَتِ الذَّرَّاتُ ، رَأْساً إِلٰى رَأْسٍ ، بِكَمَالِ الْمُوَازَنَةِ وَالِانْتِظَامِ ، كَالْحِجَارَةِ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ ؛ فَتُظْهِرُ بِنَايَةً خَارِقَةً ، وَصَنْعَةً فَائِقَةً عَلَى الْعَادَةِ ، وَمُعْجِزَاتٍ عَجِيبَةً ، مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُدْرَةِ ، كَالْعَيْنِ وَاللِّسَانِ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هٰذِهِ الذَّرَّاتُ ، مَأْمُورَاتٍ تَابِعَةً لِأَمْرِ صَانِعِ هٰذَا الْعَالَمِ ؛ تَكُونُ حِينَئِذٍ كُلُّ ذَرَّةٍ ، حَاكِماً مُطْلَقاً ، عَلٰى كُلِّ الذَّرَّاتِ فِي ذٰلِكَ الْجَسَدِ ، وَمَحْكُوماً مُطْلَقاً ، لِكُلٍّ مِنْهَا ، وَمِثْلاً لِكُلٍّ مِنْهَا ، وَضِدّاً لَهُ ، فِي جِهَةِ الْحُكْمِ ؛ وَتَكُونُ مَصْدَراً وَمَنْبَعاً لِأَكْثَرِ الصِّفَاتِ الْمَخْصُوصَةِ بِالْوَاجِبِ الْوُجُودِ وَحْدَهُ ؛ وَتَكُونُ مُقَيَّدَةً غَايَةَ التَّقْيِيدِ ، وَمُطْلَقَةً غَايَةَ الْإِطْلاَقِ ؛ عَلٰى أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الشُّعُورِ ، يُدْرِكُ أَنَّ إِسْنَادَ مَصْنُوعٍ وَاحِدٍ فِي غَايَةِ الِانْتِظَامِ ، مِمَّا لاَ يَكُونُ إِلَّا أَثَرَ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، بِسِرِّ الْوَحْدَةِ ، إِلٰى تِلْكَ الذَّرَّاتِ الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، مُحَالٌ ظَاهِرٌ جِدّاً ، بَلْ أَلْفُ مُحَالٍ . .

اَلْمُحَالُ الثَّالِثُ : أَنَّ جِسْمَكَ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوباً بِقَلَمِ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ، الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ وَكَانَ مَطْبُوعاً وَمَنْسُوباً إِلَى الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ أَنْ تُوجَدَ قَوَالِبُ ، بِعَدَدِ أُلُوفِ مُرَكَّبَاتٍ شَبِيهَةٍ بِدَوَائِرَ مُتَدَاخِلَةٍ ، مِنْ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلاَيَا يَدِكَ ، إِلٰى أُلُوفِ مُرَكَّبَاتٍ فِي بَدَنِكَ ؛ لِأَنَّ هٰذَا الْكِتَابَ الَّذِي بِأَيْدِينَا مَثَلاً ، إِنْ كَانَ مَكْتُوباً ؛ يَسْتَنِدُ قَلَمٌ وَاحِدٌ ، إِلٰى

عِلْمِ كَاتِبِهِ ؛ فَيَكْتُبُ جَمِيعَهُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوباً ؛ وَلَمْ يُسْنَدْ إِلَى قَلَمِهِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ وُجِدَ بِنَفْسِهِ ؛ أَوْ أُسْنِدَ إِلَى الطَّبِيعَةِ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ ، قَلَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كَالْكِتَابِ الْمَطْبُوعِ ؛ كَيْ يُطْبَعَ ؛ كَمَا تُوجَدُ فِي الْمَطْبَعَةِ ، حُرُوفٌ مِنْ حَدِيدٍ ، بِعَدَدِ الْحُرُوفِ ؛ ثُمَّ تُنْشَأُ تِلْكَ الْحُرُوفُ ؛ فَيَلْزَمُ حِينَئِذٍ وُجُودُ أَقْلَامٍ ، بِعَدَدِ الْحُرُوفِ ، بَدَلَ قَلَمٍ وَاحِدٍ ؛ بَلْ إِنْ كُتِبَتْ صَحِيفَةٌ وَاحِدَةٌ ، بِخَطٍّ دَقِيقٍ ، بِقَلَمٍ صَغِيرٍ ، فِي حَرْفٍ كَبِيرٍ ، مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ ؛ كَمَا يَكُونُ كَذٰلِكَ أَحْيَاناً ، تَلْزَمُ آلَافُ أَقْلَامٍ ، لِحَرْفٍ وَاحِدٍ ؛ بَلْ إِنْ تَدَاخَلَتْ وَاتَّخَذَتْ شَكْلاً عَلَى وَضْعٍ مُنْتَظِمٍ ، كَجَسَدِكَ ؛ تَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، فِي كُلِّ دَائِرَةٍ ، لِكُلِّ جُزْءٍ ، قَوَالِبُ بِعَدَدِ تِلْكَ الْمُرَكَّبَاتِ . فَإِنْ قُلْتَ لِهٰذَا الْوَجْهِ الَّذِي يُوجَدُ فِيهِ مِئَةُ مُحَالٍ : إِنَّهُ مُمْكِنٌ ؛ فَإِنَّهُ ، إِذَا لَمْ تَسْتَنِدْ هٰذِهِ الْحُرُوفُ الْحَدِيدِيَّةُ ، الْمُصَنَّعَةُ الْمُنْتَظِمَةُ ، وَهٰذِهِ الْأَقْلَامُ وَالْقَوَالِبُ الْمُكَمَّلَةُ ، إِلَى قَلَمٍ وَاحِدٍ أَيْضاً ، لِأَجْلِ صُنْعِهَا ؛ تَلْزَمُ حُرُوفٌ وَقَوَالِبُ وَأَقْلَامٌ ، لِتِلْكَ الْحُرُوفِ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَلِتِلْكَ الْقَوَالِبِ وَالْأَقْلَامِ ، بِعَدَدِهَا ؛ لِأَنَّهَا أَيْضاً مَصْنُوعَةٌ وَمُنْتَظِمَةُ الصَّنْعَةِ ؛ وَهٰكَذَا يَتَسَلْسَلُ ؛ مَهْمَا تَسَلْسَلَ ؛ هٰذَا ، فَافْهَمْ أَنْتَ أَيْضاً ، أَيُّهَا الْمُعَانِدُ الْمُعَطِّلُ : أَنَّ هٰذَا ، فِكْرٌ فِيهِ مُحَالَاتٌ وَخُرَافَاتٌ ، عَدَدَ ذَرَّاتِكَ ؛ فَاسْتَحْيِ عَنْهُ ؛ وَأَعْرِضْ عَنْ هٰذَا الضَّلَالِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ هِيَ (اقْتَضَتْهُ الطَّبِيعَةُ) ؛ أَيِ الطَّبِيعَةُ تَقْتَضِيهِ وَتُوجِدُهُ . فَلِهٰذَا الْحُكْمِ ، مُحَالَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ نَذْكُرُ مِنْهَا ثَلَاثَةً ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّ مَا يُشَاهَدُ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، لَاسِيَّمَا فِي ذَوِي الْحَيَاةِ ، مِنَ الْإِيجَادِ الْحَكِيمِ ، وَالصَّنْعَةِ الْبَصِيرَةِ ؛ إِنْ لَمْ تُسْنَدْ إِلَى قَلَمِ قَدَرِ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ ، وَقُدْرَتِهَا ؛ بَلْ أُسْنِدَتْ إِلَى الْقُوَّةِ وَالطَّبِيعَةِ الْعَمْيَاءِ وَالصَّمَّاءِ ، الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا ؛ يَلْزَمُ أَنْ تَضَعَ الطَّبِيعَةُ لِلْإِيجَادِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ، أَجْهِزَةً وَمَطَابِعَ مَعْنَوِيَّةً لَا حَدَّ لَهَا ؛ أَوْ تُدْرِجَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، قُدْرَةً تَخْلُقُ الْكَائِنَاتِ ، وَحِكْمَةً تُدِيرُهَا ؛ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ جَلَوَاتِ الشَّمْسِ وَعُكُوسَهَا ، تُرَى فِي الْقَطَرَاتِ ، وَقِطَعِ الزُّجَاجَاتِ الصَّغِيرَةِ كَالذَّرَّاتِ ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنْ لَمْ تُسْنَدْ تِلْكَ الشُّمَيْسَاتُ الْمِثَالِيَّةُ وَالْعَكْسِيَّةُ ، إِلَى الشَّمْسِ الْوَاحِدَةِ فِي السَّمَاءِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ يُقْبَلَ وُجُودُ شَمْسٍ خَارِجِيَّةٍ ، طَبِيعِيَّةٍ

وَفِطْرِيَّةٍ ، مَالِكَةٍ لِخَوَاصِّ الشَّمْسِ ، صَغِيرَةٍ ظَاهِراً ، وَعَمِيقَةٍ مَعْنًى ، فِي ذَرَّةِ قِطْعَةِ زُجَاجٍ ، لَا تَسَعُ رَأْسَ ثِقَابٍ ؛ كَمَا يَلْزَمُ قَبُولُ شُمُوسٍ طَبِيعِيَّةٍ ، عَدَدَ ذَرَّاتِ الزُّجَاجِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ وَذَوِي الْحَيَاةِ ، إِذَا لَمْ تُسْنَدْ بِلَا تَوَسُّطٍ ، إِلَى جَلْوَةِ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ تُقْبَلَ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ ، لَاسِيَّمَا فِي كُلِّ ذِي حَيَاةٍ ، قُوَّةٌ وَطَبِيعَةٌ تَحْمِلَانِ قُدْرَةً وَإِرَادَةً بِلَا حَدٍّ ، وَعِلْماً وَحِكْمَةً بِلَا نِهَايَةٍ ؛ كَأَنْ يُقْبَلَ فِيهِ إِلٰهٌ ؛ وَهٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْفِكْرِ ، أَفْحَشُ مُحَالَاتٍ فِي الْكَائِنَاتِ ، بُطْلَاناً وَخَرَافَةً . **فَمَنْ يُسْنِدُ صَنْعَةَ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، إِلَى طَبِيعَةٍ مَوْهُومَةٍ مُتَوَجِّهَةٍ إِلَى ذُبَابَةٍ مَّا ، لَا قِيمَةَ وَلَا شُعُورَ لَهَا ؛ يُثْبِتُ أَنَّهُ أَدْنَى مِنَ الْحَيَوَانِ شُعُوراً ، وَأَزْيَدُ مِنْهُ وَحْشَةً ، مِئَةَ مَرَّةٍ . .**

اَلْمُحَالُ الثَّانِي : أَنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْحَكِيمَةَ الْمُصَنَّعَةَ ، وَالْمَوْزُونَةَ الْمُنْتَظِمَةَ لِلْغَايَةِ ، إِنْ لَمْ تُسْنَدْ إِلَى ذَاتِ حَكِيمٍ وَقَدِيرٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ بَلْ أُسْنِدَتْ إِلَى الطَّبِيعَةِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ تُوجِدَ الطَّبِيعَةُ ، فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنَ التُّرَابِ ، أَجْهِزَةً وَمَطَابِعَ بِعَدَدِ جَمِيعِ مَطَابِعِ أُورُوبَّا وَمَصَانِعِهَا ، عَلَى مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ؛ كَيْ يُصْبِحَ ذٰلِكَ الْجُزْءُ مِنَ التُّرَابِ ، وَسِيلَةً لِتَشْكِيلِ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنَ الْأَزْهَارِ ، وَلِإِنْتَاجِ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الْأَثْمَارِ ، الَّتِي أَصْبَحَ ذٰلِكَ الْجُزْءُ مِنَ التُّرَابِ ، مَنْشَأً وَمَصْنَعاً لَهَا ؛ لِأَنَّ كَأْسَةَ تُرَابٍ تُؤَدِّي خِدْمَةَ مَزْهَرَةٍ لِلْأَزْهَارِ ، يُشَاهَدُ فِيهَا بِالْفِعْلِ ، اسْتِعْدَادٌ يُصَوِّرُ أَشْكَالَ جَمِيعِ الْأَزْهَارِ الْكَثِيرَةِ الِاخْتِلَافِ ؛ وَيُشَكِّلُ هَيْئَاتِ تِلْكَ الْأَزْهَارِ ، الَّتِي تُزْرَعُ بُذُورُهَا فِيهَا بِالتَّنَاوُبِ ؛ فَإِنْ لَمْ تُسْنَدْ إِلَى الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ؛ فَحِينَئِذٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِكُلِّ زَهْرَةٍ ، جِهَازٌ طَبِيعِيٌّ مَعْنَوِيٌّ آخَرُ ، فِي ذٰلِكَ التُّرَابِ ؛ لَا يُوجَدُ هٰذَا الْحَالُ ؛ لِأَنَّ مَوَادَّ الْبُذُورِ ، مُتَسَاوِيَةٌ كَالنُّطَفِ وَالْبَيْضَاتِ ؛ فَإِنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ خَلِيطَةٍ مِنْ مُوَلِّدِ الْمَاءِ ، وَمُوَلِّدِ الْحُمُوضَةِ ، وَالْكَرْبُونِ وَالْآزُوتِ ، كَعَجِينٍ بِلَا شَكْلٍ وَلَا انْتِظَامٍ ؛ مَعَ أَنَّ الْهَوَاءَ وَالْمَاءَ ، وَالْحَرَّ وَالضِّيَاءَ ، كُلٌّ مِنْهَا بَسِيطٌ ، لَا شُعُورَ لَهُ ؛ يَجْرِي إِلَى كُلِّ جَانِبٍ ، جَرْيَ السَّيْلِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَقْتَضِي نُشُوءُ تِلْكَ الْأَزْهَارِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، مِنْ ذٰلِكَ التُّرَابِ ، مُصَنَّعَةً وَمُنْتَظِمَةً لِلْغَايَةِ ، وَمُخْتَلِفَةَ الْأَشْكَالِ ؛ يَقْتَضِي بِالْبَدَاهَةِ وَبِالضَّرُورَةِ ، أَنْ يُوجَدَ فِي ذٰلِكَ التُّرَابِ فِي

الْكَأْسِ ، مَطَابِعُ وَمَصَانِعُ مَعْنَوِيَّةٌ ، عَلٰى مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، تَكُونُ بِمِقْدَارِ أُورُوبَّا مَعْنًى ؛ كَيْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَنْسُجَ هٰذَا الْمِقْدَارَ ، مِنْ أَقْمِشَةٍ ذَاتِ حَيَاةٍ ، وَآلَافاً مِنْ مَنْسُوجَاتٍ مُخْتَلِفَةِ النُّقُوشِ ؛ **فَقِسْ عَلٰى هٰذَا ؛ لِتَعْلَمَ كَيْفَ شَذَّ فِكْرُ كُفْرِ الطَّبِيعِيِّينَ ، عَنْ دَائِرَةِ الْعَقْلِ ؟ وَأَبْصِرْ أَنَّ السُّكَارَى الْحَمْقٰى ، عَلٰى صُورَةِ النَّاسِ ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ الطَّبِيعَةَ مُوجِدَةً ؛ كَيْفَ تَبَاعَدُوا عَنِ الْعَقْلِ وَالْفَنِّ اللَّذَيْنِ يَدَّعُونَهُمَا قَائِلِينَ : إِنَّنَا عُقَلَاءُ وَمُتَفَنِّنُونَ ؟ وَكَيْفَ اتَّخَذُوا خُرَافَةً مُمْتَنِعَةً غَيْرَ مُمْكِنَةٍ بِأَيِّ جِهَةٍ ، مَسْلَكاً لَهُمْ ؟ فَاضْحَكْ وَابْصُقْ . .**

فَإِنْ قُلْتَ : إِذَا أُسْنِدَتِ الْمَوْجُودَاتُ إِلَى الطَّبِيعَةِ ؛ تَقَعُ أَمْثَالُ هٰذِهِ الْمُحَالَاتِ الْعَجِيبَةِ ؛ وَتُوجَدُ مُشْكِلَاتٌ فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ؛ فَيَا عَجَباً ! كَيْفَ تَرْتَفِعُ تِلْكَ الْمُشْكِلَاتُ ؛ وَيَنْقَلِبُ ذٰلِكَ الِامْتِنَاعُ الْمُتَعَذِّرُ ، بِذٰلِكَ الْوُجُوبِ الْمُتَيَسِّرِ ؛ إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَى الْأَحَدِ الصَّمَدِ ؟ .

أُجِيبَ : بِأَنَّهُ ، كَمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مِنْ أَصْغَرِ ذَرَّةٍ جَامِدَةٍ مِنَ الزُّجَاجِ ، إِلٰى سَطْحِ بَحْرٍ أَكْبَرَ ، يُظْهِرُ بِغَايَةِ السُّهُولَةِ ، جَلْوَةَ انْعِكَاسِ الشَّمْسِ ، وَفَيْضَهَا وَتَأْثِيرَهَا ، بِشُمَيْسَاتٍ مِثَالِيَّةٍ ، بِكَمَالِ السُّهُولَةِ ، وَبِدُونِ كُلْفَةٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَوْ قُطِعَتْ نِسْبَتُهَا عَنِ الشَّمْسِ ؛ لَلَزِمَ حِينَئِذٍ أَنْ يُقْبَلَ بِصُعُوبَةٍ فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ، وُجُودُ شَمْسٍ طَبِيعِيَّةٍ بِذَاتِهَا ، فِي كُلِّ ذَرَّةٍ ، وُجُوداً خَارِجِيّاً ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي **الْمُحَالِ الْأَوَّلِ** ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ ، إِذَا أُسْنِدَ إِلَى الْأَحَدِ الصَّمَدِ ، بِدُونِ تَوَسُّطٍ ؛ فَإِنَّهُ يُوصِلُ إِلَيْهِ ، كُلَّ مَا يَلْزَمُ لَهُ ، بِانْتِسَابٍ وَجَلْوَةٍ ، وَبِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ ، فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ فَإِنْ قُطِعَ ذٰلِكَ الِانْتِسَابُ ؛ وَعَادَ ذٰلِكَ الِانْتِظَامُ ، إِلٰى فَسَادِ النِّظَامِ ؛ وَبَقِيَ كُلُّ شَيْءٍ بِرَأْسِهِ ؛ وَتُرِكَ لِلطَّبِيعَةِ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ أَنْ يُفْتَرَضَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْعَمْيَاءَ ، فِي ذِي حَيَاةٍ مِثْلِ الذُّبَابِ ، الَّتِي تُنْشِئُ جِهَازَ جِسْمِهِ الْخَارِقَ ، الَّذِي هُوَ مِثَالٌ صَغِيرٌ لِلْكَائِنَاتِ ، بِمِئَةِ أَلْفِ مُشْكِلَةٍ وَصُعُوبَةٍ ، فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ؛ أَنَّهَا صَاحِبَةُ قُدْرَةٍ وَحِكْمَةٍ ، تَخْلُقُ الْكَائِنَاتِ وَتُدَبِّرُهَا ؛ وَهٰذَا لَيْسَ مُحَالاً وَاحِداً ، بَلْ آلَافُ مُحَالَاتٍ . .

الْحَاصِلُ : كَمَا أَنَّ شَرِيكَ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَنَظِيرَهُ ، مُمْتَنِعٌ وَمُحَالٌ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ تَدَخُّلَ الْغَيْرِ ، فِي رُبُوبِيَّتِهِ ، وَفِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ ، مُمْتَنِعٌ وَمُحَالٌ ، كَالشَّرِيكِ

الذَّاتِيِّ . .

وَأَمَّا مَا فِي هٰذَا الْمُحَالِ الثَّانِي ، مِنَ الْإِشْكَالِ : فَحَلُّهُ ، أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، إِنْ أُسْنِدَتْ إِلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ تَسْهُلُ وَتَهُونُ كَشَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ كَمَا أُثْبِتَ فِي رَسَائِلَ عَدِيدَةٍ ؛ وَإِنْ أُسْنِدَتْ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ؛ فَقَدْ أُثْبِتَ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ : أَنَّ شَيْئاً وَاحِداً ، يُشْكِلُ بِقَدَرِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ . .

وَخُلاَصَةُ بُرْهَانٍ مِنْهَا : هِيَ ، كَمَا أَنَّ إِنْسَاناً مَّا ، إِذَا انْتَسَبَ إِلٰى سُلْطَانٍ مَّا ، بِجِهَةِ التَّجَنُّدِ أَوِ الْخِدْمَةِ ؛ يَصِيرُ ذٰلِكَ الْخَادِمُ أَوِ الْعَسْكَرِيُّ ، وَسِيلَةً لِأَعْمَالٍ تَزِيدُ عَلٰى قُوَّتِهِ الذَّاتِيَّةِ ، مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ، بِقُوَّةِ ذٰلِكَ الِانْتِسَابِ ؛ وَيَأْسِرُ أَحْيَاناً مَلِكاً ، بِاسْمِ سُلْطَانِهِ ؛ وَذٰلِكَ ، لِأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ أَجْهِزَةَ مَا يُؤَدِّيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَلَا قُوَّةَ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْآثَارِ ؛ وَلَا يُضْطَرُّ إِلٰى حَمْلِهَا ؛ بَلْ إِنَّ خَزَائِنَ السُّلْطَانِ ، وَالْجَيْشَ الَّذِي هُوَ وَرَاءَهُ ، نُقْطَةُ اسْتِنَادِهِ ، تَحْمِلُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْقُوَّةَ وَالْأَجْهِزَةَ ، بِمُنَاسَبَةِ ذٰلِكَ الِانْتِسَابِ ؛ فَإِذاً ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَا يُؤَدِّيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، خَارِقَةً كَعَمَلِ سُلْطَانٍ مَّا ؛ وَأَنْ يَكُونَ مَا يُظْهِرُهُ مِنَ الْآثَارِ ، فَائِقَةً كَأَثَرِ جَيْشٍ مَّا ؛ وَذٰلِكَ ، كَمَا أَنَّ النَّمْلَ يُدَمِّرُ قَصْرَ فِرْعَوْنَ ؛ وَالذُّبَابَ يَقْتُلُ النُّمْرُوذَ ، بِذٰلِكَ الِانْتِسَابِ ؛ وَأَنَّ نَوَاةَ[1] صَنَوْبَرٍ كَبُرَّةٍ ، تُوصِلُ جَمِيعَ أَجْهِزَةِ شَجَرِ الصَّنَوْبَرِ الْجَسِيمِ ، بِذٰلِكَ الِانْتِسَابِ . فَإِنْ قُطِعَ ذٰلِكَ الِانْتِسَابُ ؛ وَأُطْلِقَ عَنْ تِلْكَ الْخِدْمَةِ ؛ يُضْطَرُّ إِلٰى حَمْلِ أَجْهِزَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَفْعَلُهَا ، وَإِلٰى حَمْلِ قُوَّتِهَا ، فِي ظَهْرِهِ وَرُسُغِهِ ؛ فَحِينَئِذٍ يُؤَدِّي الْعَمَلَ ، مِقْدَارَ مَا فِي رُسُغِهِ الصَّغِيرِ

---

(١) نَعَمْ : إِنْ وُجِدَ ذٰلِكَ الِانْتِسَابُ ؛ تَأْخُذُ تِلْكَ النَّوَاةُ ، الْأَمْرَ مِنَ الْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَتُصْبِحُ مَظْهَراً لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ الْخَارِقَةِ . وَإِنْ قُطِعَ ذٰلِكَ الِانْتِسَابُ ؛ يَقْتَضِي خَلْقُ تِلْكَ النَّوَاةِ ، أَجْهِزَةً وَاقْتِدَاراً وَصَنْعَةً ، أَزْيَدَ مِنْ خَلْقِ شَجَرِ الصَّنَوْبَرِ الْجَسِيمِ ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ شَجَرُ الصَّنَوْبَرِ الْمُجَسَّمِ ، الَّذِي هُوَ أَثَرُ الْقُدْرَةِ بِالْجَبَلِ ، مَوْجُوداً بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ وَأَجْهِزَتِهِ ، فِي الشَّجَرَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَثَرُ الْقَدَرِ ، فِي تِلْكَ النَّوَاةِ ؛ لِأَنَّ مَصْنَعَ ذٰلِكَ الشَّجَرِ الْجَسِيمِ ، هُوَ تِلْكَ النَّوَاةُ ؛ فَالشَّجَرَةُ الْقَدَرِيَّةُ الَّتِي فِيهَا ، تَتَظَاهَرُ فِي الْخَارِجِ بِالْقُدْرَةِ ؛ فَتُصْبِحُ شَجَرَةَ صَنَوْبَرٍ مُجَسَّمٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

مِنَ الْقُوَّةِ ، وَعَدَدَ مَا عَلٰى ظَهْرِهِ مِنَ الْمُعَدَّاتِ ؛ فَإِذَا طُولِبَ عَنْهُ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ ، مَا كَانَ يُؤَدِّيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، بِغَايَةِ السُّهُولَةِ ، فِي الْحَالَةِ الْأُولٰى ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَحْمِلَ عَلٰى ظَهْرِهِ ، مَصْنَعَ سُلْطَانٍ لِلْمُعَدَّاتِ الْحَرْبِيَّةِ ؛ وَفِي رُسْغِهِ ، قُوَّةَ جَيْشٍ . فَالْمُضْحِكُونَ الَّذِينَ يَحْكُونَ الْأَسَاطِيرَ وَالْخُرَافَاتِ الْعَجِيبَةَ ، لِإِضْحَاكِ النَّاسِ ، هُمْ أَيْضاً يَسْتَحْيُونَ عَنْ هٰذَا الْخَيَالِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ إِسْنَادَ كُلِّ مَوْجُودٍ ، إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، لَهُ سُهُولَةٌ فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَأَنَّ إِسْنَادَهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ ، فِي جِهَةِ الْإِيجَادِ ، مُشْكِلٌ فِي دَرَجَةِ الْاِمْتِنَاعِ ، وَخَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ الْعَقْلِ . .

اَلْمُحَالُ الثَّالِثُ : نَذْكُرُ **مِثَالَيْنِ** يُوضِحَانِ هٰذَا الْمُحَالَ ؛ وَقَدْ بُيِّنَا فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ . .

اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ : أَنَّ رَجُلاً وَحْشِيّاً فِي غَايَةِ الْوَحْشَةِ ، دَخَلَ قَصْراً أُسِّسَ وَبُنِيَ فِي صَحْرَاءَ خَالِيَةٍ ؛ وَكُمِّلَ وَزُيِّنَ بِجَمِيعِ آثَارِ التَّمَدُّنِ ؛ وَنَظَرَ إِلٰى مَا فِيهِ ؛ فَرَأٰى أُلُوفَ أَشْيَاءٍ مُصَنَّعَةٍ وَمُنْتَظِمَةٍ ؛ فَيَظُنُّ مِنْ وَحْشَتِهِ وَحَمَاقَتِهِ ، أَنَّهُ لَا يَتَدَخَّلُ فِيهِ أَحَدٌ فِي الْخَارِجِ ؛ وَأَنَّ وَاحِداً مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ فِي دَاخِلِ الْقَصْرِ ، صَنَعَ ذٰلِكَ الْقَصْرَ مَعَ مُشْتَمَلَاتِهِ ؛ فَيَشْرَعُ كَذٰلِكَ فِي الطَّلَبِ ؛ فَيَنْظُرُ إِلٰى أَيِّ شَيْءٍ ، لَا يَرٰى عَقْلُهُ الْوَحْشِيُّ ، ذٰلِكَ الشَّيْءَ ، قَابِلاً لِيَصْنَعَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ ؛ ثُمَّ يَرٰى كِتَاباً كُتِبَ فِيهِ مَنْهَجُ تَشْكِيلِ ذٰلِكَ الْقَصْرِ ، وَفِهْرِسُ الْمَوْجُودَاتِ ، وَقَوَانِينُ التَّدْبِيرِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْكِتَابَ الَّذِي لَا يَدَ وَلَا عَيْنَ وَلَا مِطْرَقَةَ لَهُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْتِعْدَادٌ ، كَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فِيهِ ؛ كَيْ يُشَكِّلَ ذٰلِكَ الْقَصْرَ وَيُزَيِّنَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ بَقِيَ مُضْطَرّاً ؛ فَرَأٰى هٰذَا الْكِتَابَ ، مُتَنَاسِباً مَعَ مَجْمُوعِ ذٰلِكَ الْقَصْرِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عُنْوَانٌ لِقَوَانِينَ عِلْمِيَّةٍ ؛ فَقَالَ بِاضْطِرَارٍ : إِنَّ هٰذَا الْكِتَابَ ، هُوَ الَّذِي شَكَّلَ ذٰلِكَ الْقَصْرَ ؛ وَنَظَّمَهُ وَزَيَّنَهُ ؛ وَصَنَعَ هٰذِهِ الْأَشْيَاءَ ؛ وَعَلَّقَهَا وَمَكَّنَهَا ؛ فَحَوَّلَ وَحْشَتَهُ ، إِلٰى هَذَيَانِ الْحَمَاقٰى وَالسُّكَارٰى ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً ، حَامِلاً لِفِكْرِ الطَّبِيعِيِّينَ ، وَسَالِكاً إِلٰى إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ ، يَدْخُلُ فِي قَصْرِ هٰذَا الْعَالَمِ ، الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ فِي الْمِثَالِ ، وَأَجْمَلُ مِنْهُ انْتِظَاماً ، بِدَرَجَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَامْتَلَأَتْ جَمِيعُ جَوَانِبِهِ ، بِمُعْجِزَاتِ الْحِكْمَةِ ؛ فَلَا

يَتفكَّرُ أَنَّهُ أَثَرُ صَنْعَةِ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، الْخَارِجِ عَنْ دَائِرَةِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُعْرِضُ عَنْهُ ؛ فَيَرٰى مَجْمُوعَةً لِقَوَانِينِ الْعَادَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَفِهْرِسَةً لِلصَّنْعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، تَكُونُ بِمَثَابَةِ لَوْحِ مَحْوٍ وَإِثْبَاتٍ ، فِي دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ ، لِلْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَتَكُونُ كِتَاباً مُتَبَدِّلاً وَمُتَغَيِّراً ، لِإِجْرَاءَاتِ قَوَانِينِ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَسُمِّيَتْ خَطَأً وَغَلَطاً ، بِالطَّبِيعَةِ ؛ وَيَقُولُ : إِنَّهُ إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْأَشْيَاءُ ، تَقْتَضِي سَبَباً ؛ فَلَا شَيْءَ تُرٰى مُنَاسَبَتُهُ بِهَا ، مِثْلَ هٰذَا الْكِتَابِ ؛ وَإِنْ كَانَ الْعَقْلُ ، لَا يَقْبَلُ بِأَيِّ وَجْهٍ ، أَنْ يَفْعَلَ هٰذَا الْكِتَابُ الَّذِي لَا عَيْنَ وَلَا شُعُورَ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ ، إِيجَاداً يَكُونُ مِنْ شَأْنِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَيَقْتَضِي قُدْرَةً لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَلٰكِنِّي إِذَا كُنْتُ لَا أَقْبَلُ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ ؛ فَأَقُولُ : إِنَّ الْأَنْسَبَ ، أَنَّ هٰذَا الْكِتَابَ ، صَنَعَ هٰذَا الْقَصْرَ ؛ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَهُ . .

وَنَحْنُ نَقُولُ : أَيُّهَا السَّكْرَانُ الْأَحْمَقُ ، الْمُتَحَمِّقُ عَنْ أَحْمَقِ الْحَمَاقٰى ! أَخْرِجْ رَأْسَكَ ، عَنْ وَحَلِ الطَّبِيعَةِ ؛ وَانْظُرْ إِلَى مَا وَرَاءَكَ ؛ وَأَبْصِرْ صَانِعاً جَلِيلاً ، تَشْهَدُ لَهُ الْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، بِأَلْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِهَا ؛ وَاشْهَدْ جِلْوَةَ النَّقَّاشِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي بَنٰى ذٰلِكَ الْقَصْرَ ؛ وَكَتَبَ مَنْهَجَهُ ، فِي ذٰلِكَ الْكِتَابِ ؛ وَانْظُرْ إِلَى كَلَامِهِ ؛ وَاسْتَمِعْ لِقُرْآنِهِ ؛ وَأَفْلِحْ عَنْ تِلْكَ الْهَذَيَانَاتِ . .

اَلْمِثَالُ الثَّانِي : أَنَّ رَجُلاً وَحْشِيّاً غَايَةَ الْوَحْشَةِ ، يَدْخُلُ دَائِرَةَ مُعَسْكَرٍ مُحْتَشِمٍ ؛ فَيَرٰى تَدْرِيبَاتٍ عَامَّةً ، وَحَرَكَاتٍ مُنْتَظِمَةً ، لِجَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ؛ وَيُشَاهِدُ أَنَّ كَتِيبَةً وَمَجْمُوعَةً وَفِرْقَةً ، تَقُومُ وَتَذْهَبُ وَتَسْكُنُ بِحَرَكَةٍ مُجَدَّدٍ ؛ وَتُطْلِقُ النَّارَ بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ؛ وَلَا يَفْهَمُ عَقْلُهُ الْوَحْشِيُّ الْغَبِيُّ ، قِيَادَةَ قَائِدٍ ، بِنِظَامَاتِ الدَّوْلَةِ ، وَبِقَانُونِ السُّلْطَانِ ؛ وَيُنْكِرُ ذٰلِكَ ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَخَيَّلُ أَنَّ أُولَائِكَ الْجُنُودَ ، مُرْتَبِطٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ بِالْحِبَالِ ؛ وَيَتَصَوَّرُ أَنَّ ذٰلِكَ الْحَبْلَ الْخَيَالِيَّ ، أَيُّ حَبْلٍ خَارِقٍ ؛ فَيَبْقٰى فِي الْحَيْرَةِ ؛ ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَدْخُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِي جَامِعٍ عَظِيمٍ ، مِثْلِ (أَيَا صُوفْيَا) ؛ وَيَرٰى أَنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ الْمُسْلِمَةَ ، تَقُومُ وَتَرْكَعُ ، وَتَسْجُدُ وَتَجْلِسُ ، بِصَوْتِ رَجُلٍ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الشَّرِيعَةَ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الْقَوَانِينِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَلَا يَفْهَمُ الدَّسَاتِيرَ الْمَعْنَوِيَّةَ الْوَارِدَةَ عَنْ أَوَامِرِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَخَيَّلُ أَنَّ تِلْكَ

الْجَمَاعَةَ ، مَرْبُوطَةٌ بِحِبَالٍ مَادِّيَّةٍ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْحِبَالَ الْعَجِيبَةَ ، أَسَرَتْهُمْ وَتَلْعَبُ بِهِمْ ؛ فَيَخْرُجُ يَذْهَبُ بِفِكْرٍ سُخْرِيٍّ يُضْحِكُ سِبَاعَ حَيَوَانَاتٍ عَلَىٰ صُورَةِ أُنَاسٍ وُحُوشٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ مُنْكِراً حَامِلاً لِفِكْرَةِ الطَّبِيعَةِ الْمُنْكَرَةِ ، الَّتِي هِيَ مَحْضُ وَحْشَةٍ ، يَدْخُلُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ مُعَسْكَرٌ مُحْتَشِمٌ ، لِجُنُودِ سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَيَدْخُلُ فِي هٰذَا الْكَوْنِ الَّذِي هُوَ مَسْجِدٌ مُنْتَظِمٌ ، لِعِبَادِ ذٰلِكَ الْمَعْبُودِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَيَتَصَوَّرُ الْقَوَانِينَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، مِنْ أَنْظِمَةِ الْكَوْنِ ، الْوَارِدَةَ عَنْ حِكْمَةِ ذٰلِكَ السُّلْطَانِ الْأَزَلِيِّ ، مَوَادَّ مَادِّيَّةً ؛ وَيَتَخَيَّلُ أَحْكَامَ الْقَوَانِينِ الِاعْتِبَارِيَّةِ ، لِسَلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَالدَّسَاتِيرَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، لِلشَّرِيعَةِ الْفِطْرِيَّةِ الْكُبْرٰى ، لِلْمَعْبُودِ الْأَزَلِيِّ ، الَّتِي لَهَا وُجُودٌ عِلْمِيٌّ فَقَطْ ؛ يَتَخَيَّلُهَا مَوْجُودَاتٍ خَارِجِيَّةً ، وَمَوَادَّ مَادِّيَّةً ؛ وَيُقِيمُ تِلْكَ الْقَوَانِينَ الْوَارِدَةَ عَنِ الْعِلْمِ وَالْكَلَامِ ، الْمَوْجُودَةَ وُجُوداً عِلْمِيّاً فَقَطْ ، مَقَامَ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُعْطِي بِأَيْدِيهَا الْإِيجَادَ ؛ ثُمَّ يُطْلِقُ عَلَيْهَا «اسْمَ الطَّبِيعَةِ» ؛ وَيَتَلَقَّى الْقُوَّةَ الَّتِي هِيَ جِلْوَةٌ فَقَطْ ، مِنَ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، صَاحِبَ قُدْرَةٍ ، وَقَدِيراً مُسْتَقِلّاً . فَهٰذِهِ الْوَحْشَةُ ، أَدْنٰى مِنْ وَحْشَةِ الْوَحْشِيِّ الْمَذْكُورِ فِي الْمِثَالِ الْمَذْكُورِ ، أَلْفَ مَرَّةٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ ذٰلِكَ الْأَمْرَ الْمَوْهُومَ بِلَا حَقِيقَةٍ ، الَّذِي يُسَمِّيهِ الطَّبِيعِيُّونَ ، بِالطَّبِيعَةِ ، إِنْ وُجِدَ ، وَكَانَ ذَا حَقِيقَةٍ خَارِجِيَّةٍ ؛ فَإِنَّمَا يَكُونُ صَنْعَةً ؛ وَلَنْ يَكُونَ صَانِعاً ؛ وَإِنَّهُ نَقْشٌ ؛ وَلَنْ يَكُونَ نَقَّاشاً ؛ وَأَحْكَامٌ ؛ وَلَنْ يَكُونَ حَاكِماً ؛ وَشَرِيعَةٌ فِطْرِيَّةٌ ؛ وَلَنْ يَكُونَ شَارِعاً ؛ وَمَخْلُوقٌ حِجَابٌ لِلْعِزَّةِ ؛ وَلَنْ يَكُونَ خَالِقاً ؛ وَفِطْرَةٌ مُنْفَعِلَةٌ ؛ وَلَنْ يَكُونَ فَاطِراً فَاعِلاً ؛ وَقَانُونٌ ؛ وَلَيْسَ بِقُدْرَةٍ ؛ وَلَنْ يَكُونَ قَادِراً ؛ وَمِسْطَرٌ ؛ وَلَنْ يَكُونَ مَصْدَراً . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ إِذَا وُجِدَتِ الْمَوْجُودَاتُ ؛ وَلَمْ يُتَخَيَّلْ لِوُجُودِهَا ، طَرِيقٌ سِوٰى هٰذِهِ الطُّرُقِ الْأَرْبَعَةِ ، بِالتَّقْسِيمِ الْعَقْلِيِّ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ هٰذِهِ **الْمُذَكِّرَةِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ** ؛ وَقَدْ أُثْبِتَ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، بُطْلَانُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الطُّرُقِ الثَّلَاثَةِ ، مِنْ تِلْكَ الطُّرُقِ الْأَرْبَعِ ، بِثَلَاثِ مُحَالَاتٍ ظَاهِرَةٍ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَثْبُتُ بِالضَّرُورَةِ وَبِالْبَدَاهَةِ ، **الطَّرِيقُ الرَّابِعُ** الَّذِي هُوَ **طَرِيقُ الْوَحْدَةِ** ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ الرَّابِعَ ، هُوَ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي

الصَّدْرِ ، بِدَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ ، بِدُونِ شَكٍّ وَلَا شُبْهَةٍ ، مِنْ أُلُوهِيَّةِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَمِنْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَخْرُجُ مِنْ يَدِ قُدْرَتِهِ ، بِدُونِ تَوَسُّطٍ ؛ وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِهِ . .

فَيَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْبَائِسُ ، الْعَابِدَ لِلْأَسْبَابِ ، وَالْخَاضِعَ لِلطَّبِيعَةِ ! إِنَّهُ إِذَا كَانَتْ طَبِيعَةُ كُلِّ شَيْءٍ ، مَخْلُوقَةً كَكُلِّ شَيْءٍ ؛ لِأَنَّهَا مُصَنَّعَةٌ ؛ وَتَحْدُثُ عَنْ جَدِيدٍ ؛ وَكَانَ السَّبَبُ الظَّاهِرُ ، لِكُلِّ مُسَبَّبٍ ، مَصْنُوعاً أَيْضاً مِثْلَهُ ؛ وَكَانَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ ، مُحْتَاجاً إِلٰى آلَاتٍ وَأَجْهِزَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛ فَإِذاً يُوجَدُ قَدِيرٌ مُطْلَقٌ ، يُحْدِثُ تِلْكَ الطَّبِيعَةَ ؛ وَيَخْلُقُ ذٰلِكَ السَّبَبَ ؛ وَأَيُّ حَاجَةٍ لِذٰلِكَ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ ، أَنْ يُشْرِكَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِيجَادِهِ ، وَسَائِطَ عَاجِزَةً ؟ . حَاشَاهُ ؛ بَلْ إِنَّهُ خَلَقَ الْمُسَبَّبَ ، مَعَ السَّبَبِ ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ ؛ وَجَعَلَ الْأَسْبَابَ وَالطَّبِيعَةَ ، حِجَاباً عَلٰى يَدِ قُدْرَتِهِ ؛ لِتَكُونَ مَرْجِعاً لِنَقَائِصَ وَمَظَالِمَ وَقُصُورَاتٍ ظَاهِرَةٍ ، فِي الْأَشْيَاءِ ؛ وَذٰلِكَ : بِأَنْ أَعْطَاهُمَا سَبَبِيَّةً وَمُقَارَنَةً بَيْنَهُمَا ، بِتَرْتِيبٍ وَتَنْظِيمٍ ، لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ وَجَلْوَةِ أَسْمَائِهِ ؛ فَحَافَظَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ ، عَلٰى عِزَّتِهِ ؛ فَيَا لَلْعَجَبِ ! هَلِ الْهَيِّنُ ، هُوَ أَنْ يَصْنَعَ صَانِعٌ مَّا ، آلَاتِ السَّاعَةِ ؛ ثُمَّ يُرَتِّبَهَا وَيُنَظِّمَهَا بِتِلْكَ الْآلَاتِ ؛ أَمْ هُوَ ، أَنْ يَصْنَعَ جِهَازاً خَارِقاً ، فِي تِلْكَ الْآلَاتِ ؛ ثُمَّ يُسْنِدَ صُنْعَ السَّاعَةِ ، إِلَى الْأَيْدِي الْجَامِدَةِ ، لِذٰلِكَ الْجِهَازِ ؛ كَيْ تَصْنَعَ السَّاعَةَ ؟ فَيَا عَجَباً ! أَلَيْسَ هٰذَا الثَّانِي ، خَارِجاً عَنِ الْإِمْكَانِ ؟ فَقُلْ أَنْتَ ؛ وَكُنْ حَكَماً بِعَقْلِكَ ذٰلِكَ الْعَقْلِ الْمُتَعَسِّفِ ؛ أَوْ إِنَّ كَاتِباً ، أَتٰى بِالْمِدَادِ وَالْقَلَمِ وَالْوَرَقِ ؛ فَهَلِ السَّهْلُ ، هُوَ أَنْ يَكْتُبَ هُوَ نَفْسُهُ بِهِ ، ذٰلِكَ الْكِتَابَ ؛ أَمْ أَنْ يُحْدِثَ فِي ذٰلِكَ الْوَرَقِ وَالْمِدَادِ وَالْقَلَمِ ، آلَةً كَاتِبَةً مَخْصُوصَةً بِذٰلِكَ الْكِتَابِ فَقَطْ ، الَّتِي هِيَ أَصْعَبُ مِنْ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ، وَأَزْيَدُ مِنْهُ صَنْعَةً ؛ ثُمَّ يَقُولَ لِتِلْكَ الْآلَةِ غَيْرِ الْعَاقِلَةِ : اكْتُبِي أَنْتِ ؛ وَلَا يَتَدَخَّلَ هُوَ فِيهَا ؟ فَيَا عَجَباً ! أَلَيْسَ ذٰلِكَ ، أَزْيَدَ إِشْكَالاً ، مِنَ الْكِتَابَةِ ، مِئَةَ مَرَّةٍ ؟ .

فَإِنْ قُلْتَ : نَعَمْ إِنَّ إِيجَادَ آلَةٍ كَاتِبَةٍ ، لِكِتَابٍ وَاحِدٍ ، أَصْعَبُ مِئَةَ مَرَّةٍ ، مِنْ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ؛ وَلٰكِنْ عَسٰى أَنْ تُوجَدَ سُهُولَةٌ ، حَيْثُ تَكُونُ تِلْكَ الْآلَةُ ، وَاسِطَةً لِكِتَابَةِ نُسَخٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْ نَفْسِ ذٰلِكَ الْكِتَابِ . .

أُجِيبَ : بِأَنَّ النَّقَّاشَ الْأَزَلِيَّ ، أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ مَا لَا يَتَنَاهٰى ، مِنْ جَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ ، عَلٰى أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، بِتَجْدِيدِهَا كُلَّ وَقْتٍ ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَخَلَقَ تَشَخُّصَ الْأَشْيَاءِ ، وَسِيمَاهَا الْمَخْصُوصَةَ ، عَلٰى وَجْهٍ لَا يَكُونُ مَكْتُوبٌ صَمَدَانِيٌّ ، وَكِتَابٌ رَبَّانِيٌّ ، عَيْنَ الْكُتُبِ الْأُخْرٰى نَفْسِهَا ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ سِيمَا أُخْرٰى ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِيُفِيدَ مَعَانِيَ أُخْرٰى . فَإِنْ كَانَتْ لَكَ عَيْنٌ ؛ فَانْظُرْ إِلٰى سِيمَا الْإِنْسَانِ ؛ وَأَبْصِرْ أَنَّ لِكُلِّ سِيمَا ، عَلَامَاتٍ فَارِقَةً ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى جَمِيعِ السِّيمَا ، إِزَاءَ كُلٍّ مِنْهَا ، مِنْ زَمَنِ آدَمَ ، إِلَى الْآنِ ، بَلْ إِلَى الْأَبَدِ ، مَعَ الِاتِّفَاقِ فِي الْأَعْضَاءِ الْأَسَاسِيَّةِ ، فِي هٰذِهِ السِّيمَا الصَّغِيرَةِ ؛ وَذٰلِكَ ثَابِتٌ قَطْعاً ؛ فَلِهٰذَا تَكُونُ كُلُّ سِيمَا ، كِتَاباً آخَرَ ، يَقْتَضِي لِتَنْظِيمِ الصَّنْعَةِ ، طَائِفَةً أُخْرٰى مِنْ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ ، وَتَرْتِيباً وَتَأْلِيفاً آخَرَ ؛ وَيَقْتَضِي مَصْنَعاً آخَرَ مِنْ أَصْلِهِ ، لِإِتْيَانِ مَوَادِّهِ ، وَلِتَمْكِينِهَا ، وَلِإِدْرَاجِ كُلِّ مَا يَلْزَمُ لِوُجُودِهِ ، فِيهِ ؛ فَلْنَنْظُرْ إِلَى الطَّبِيعَةِ ، بِنَظَرِ الْمَطْبَعَةِ ، بِفَرْضِ الْمُحَالِ ، إِلَّا أَنَّهَا تَحْتَاجُ أَيْضاً ، إِلٰى قُدْرَةِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ ، الْمُحْدِثِ لِتِلْكَ الْمَطْبَعَةِ ، وَإِلٰى إِرَادَتِهِ ؛ لِيُحْدِثَ مَا يُوجَدُ فِي جِسْمٍ ذِي حَيَاةٍ ، مِنَ الْمَوَادِّ الَّتِي يَكُونُ إِيجَادُهَا ، أَصْعَبَ مِنْ إِيجَادِ التَّنْظِيمِ وَالطَّبْعِ ، مَا عَدَا ذٰلِكَ التَّنْظِيمَ الْعَائِدَ إِلَى الْمَطْبَعَةِ : أَيْ إِدْخَالَ انْتِظَامِهَا الْمُعَيَّنِ ، فِي الْقَالَبِ . فَإِذاً إِنَّ احْتِمَالَ كَوْنِ الطَّبِيعَةِ مَطْبَعَةً ، وَافْتِرَاضَهَا كَذٰلِكَ ، خُرَافَةٌ لَا مَعْنٰى لَهَا كُلِّيّاً ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الصَّانِعَ الْجَلِيلَ الْقَادِرَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، خَلَقَ الْأَسْبَابَ ؛ وَيَخْلُقُ الْمُسَبَّبَاتِ أَيْضاً ؛ وَرَبَطَ الْمُسَبَّبَاتِ ، بِالْأَسْبَابِ ؛ وَعَيَّنَ بِإِرَادَتِهِ ، طَبِيعَةَ الْأَشْيَاءِ ، الَّتِي هِيَ مَعْكَسٌ وَمِرْآةٌ فَقَطْ ، لِجَلْوَةٍ مِنْ جَلَوَاتِ الشَّرِيعَةِ الْفِطْرِيَّةِ الْكُبْرٰى الْإِلٰهِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قَوَانِينِ عَادَاتِ اللّٰهِ ، الْعَائِدَةِ إِلٰى تَنْظِيمِ حَرَكَاتِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَوْجَدَ بِقُدْرَتِهِ ، الْوَجْهَ الْمُظْهَرَ لِلْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ ، مِنْ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ ؛ وَخَلَقَ الْأَشْيَاءَ ، عَلٰى تِلْكَ الطَّبِيعَةِ ؛ وَمَزَجَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ؛ فَيَا لَلْعَجَبِ ! أَقَبُولُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَعْقُولَةِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَاتِ ، وَالَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ بَرَاهِينَ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، أَسْهَلُ ؟ فَيَا عَجَباً ! أَلَيْسَ ذٰلِكَ ، لَازِماً فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؟ أَمْ إِنَّ إِسْنَادَ الْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ اللَّازِمَةِ لِوُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، إِلٰى تِلْكَ الْمَوَادِّ الْبَسِيطَةِ

الْمَصْنُوعَةِ الْجَامِدَةِ ، الَّتِي لَا شُعُورَ لَهَا ؛ وَتُسَمُّونَهَا بِالسَّبَبِ وَالطَّبِيعَةِ ، وَاسْتِصْنَاعَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ الْحَكِيمَةِ الْبَصِيرَةِ ، بِتِلْكَ الْمَوَادِّ نَفْسِهَا ، أَهْوَنُ ؟ فَيَا عَجَباً ! أَلَيْسَ ذٰلِكَ ، فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ، وَخَارِجاً عَنِ الْإِمْكَانِ ؟ . فَنُحِيلُهُ عَلٰى إِنْصَافِ عَقْلِكَ الَّذِي لَا إِنْصَافَ لَهُ . .

فَيَقُولُ الْمُنْكِرُ الطَّبِيعِيُّ : إِنَّكَ إِذَا دَعَوْتَنِي إِلَى الْإِنْصَافِ ؛ فَأَقُولُ : إِنِّي أَعْتَرِفُ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي سَلَكْنَاهُ خَطَأً ، إِلَى الْآنِ ، مَسْلَكٌ مُسْتَحِيلٌ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، وَمُضِرٌّ لِلْغَايَةِ ، وَشَنِيعٌ فِي نِهَايَةِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ مَنْ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الشُّعُورِ ، يَفْهَمُ مِنْ تَحْقِيقَاتِكُمُ السَّابِقَةِ : أَنَّ إِسْنَادَ الْإِيجَادِ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ، مُمْتَنِعٌ وَمُحَالٌ ؛ وَأَنَّ إِسْنَادَ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَى الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، بِدُونِ تَوَسُّطٍ ، وَاجِبٌ وَضَرُورِيٌّ ؛ فَأُؤمِنُ قَائِلاً : الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى الْإِيمَانِ . .

وَلٰكِنْ لِي شُبْهَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ ؛ فَإِنِّي أَقْبَلُ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، هُوَ الْخَالِقُ ؛ وَلٰكِنَّ تَدَخُّلَ بَعْضِ أَسْبَابٍ جُزْئِيَّةٍ ، فِي إِيجَادِ أَشْيَاءٍ لَا قِيمَةَ لَهَا ، وَكَسْبَهَا جُزْءاً مِنَ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ ، مَاذَا يَضُرُّ بِسَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ ؟ وَهَلْ يَطْرَأُ النَّقْصُ ، عَلٰى سَلْطَنَتِهِ ؟ .

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّ شَأْنَ الْحَاكِمِيَّةِ ، رَدُّ تَدَخُّلِ الْغَيْرِ ؛ كَمَا أَثْبَتْنَا بِغَايَةِ الْقَطْعِ ، فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ ؛ بَلْ إِنَّ أَدْنَى حَاكِمٍ وَمَأْمُورٍ ، لَا يَقْبَلُ تَدَخُّلَ ابْنِهِ ، فِي دَائِرَةِ حَاكِمِيَّتِهِ ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ الْمُتَدَيِّنِينَ ، قَتَلُوا أَبْنَاءَهُمُ الْمَعْصُومِينَ ، بِتَوَهُّمِ تَدَخُّلِهِمْ فِي حَاكِمِيَّتِهِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا خُلَفَاءَ ؛ فَيَدُلُّ ذٰلِكَ ، عَلٰى أَنَّ قَانُونَ رَدِّ التَّدَخُّلِ هٰذَا ، يَحْكُمُ فِي الْحَاكِمِيَّةِ ، أَيَّ حُكْمٍ أَسَاسِيٍّ . وَإِنَّ قَانُونَ مَنْعِ الِاشْتِرَاكِ ، الَّذِي يَقْتَضِيهِ الِاسْتِقْلَالُ فِي الْحُكْمِ ، مِنْ مُدِيرَيْنِ فِي نَاحِيَةٍ ، إِلٰى مَلِكَيْنِ فِي مَمْلَكَةٍ وَاحِدَةٍ ، قَدْ أَظْهَرَ قُوَّتَهُ ، بِاخْتِلَالٍ وَفِتَنٍ عَجِيبَةٍ جِدّاً ، فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِنَّ ظِلّاً مِنْ ظِلَالِ الْآمِرِيَّةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ ، فِي النَّاسِ الْعَاجِزِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ إِلَى الْمُعَاوَنَةِ ، إِذَا رَدَّ التَّدَخُّلَ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ ؛ وَمَنَعَ تَدَخُّلَ غَيْرِهِ ؛ وَلَمْ يَقْبَلِ الِاشْتِرَاكَ فِي حَاكِمِيَّتِهِ ؛ وَسَعٰى بِنِهَايَةِ التَّعَصُّبِ ، لِحِفْظِ اسْتِقْلَالِهِ فِي مَقَامِهِ ؛ فَانْظُرْ إِلٰى ذٰلِكَ ؛ ثُمَّ قِسْ عَلَيْهِ

الْحَاكِمِيَّةَ الْمُطْلَقَة ، فِي دَرَجَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَالْآمِرِيَّةَ الْمُطْلَقَة ، فِي دَرَجَةِ الْأُلُوهِيَّةِ ؛ وَالِاسْتِقْلَالَ الْمُطْلَقَ ، فِي دَرَجَةِ الْأَحَدِيَّةِ ؛ وَالِاسْتِغْنَاءَ الْمُطْلَق ، فِي دَرَجَةِ الْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ، فِي مَوْلًى ذِي جَلَالٍ ؛ تَفْهَمْ أَنَّ رَدَّ التَّدَخُّلِ ، وَمَنْعَ الِاشْتِرَاكِ ، وَطَرْدَ الشَّرِيكِ ، لَازِمٌ ضَرُورِيٌّ ، وَمُقْتَضًى وَاجِبٌ لَهَا ، بِأَيِّ دَرَجَةٍ . .

أَمَّا الشِّقُّ الثَّانِي مِنْ شُبْهَتِكَ : وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ أَسْبَابٍ ، إِذَا صَارَ مَرْجِعاً لِبَعْضِ عِبَادَاتِ بَعْضِ جُزْئِيَّاتٍ ؛ فَأَيُّ نَقْصٍ يَطْرَأُ عَلَى عِبَادَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى ذٰلِكَ الْمَعْبُودِ الْمُطْلَقِ ، الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؟ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ خَالِقَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، ذٰلِكَ الْخَالِقَ الْحَكِيمَ ، خَلَقَهَا بِمَثَابَةِ شَجَرَةٍ ؛ وَجَعَلَ ذَوِي الشُّعُورِ ، أَكْمَلَ ثَمَرَاتِهَا ؛ وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ ، بَيْنَ ذَوِي الشُّعُورِ ، أَجْمَعَ ثِمَارِهَا ؛ فَذٰلِكَ الْحَاكِمُ الْمُطْلَقُ ، وَالْآمِرُ الْمُسْتَقِلُّ ، وَذٰلِكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الَّذِي خَلَقَ الْكَائِنَاتِ ، لِتَعَرُّفِهِ وَتَوَدُّدِهِ ، هَلْ يُسَلِّمُ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ ثَمَرَةُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَشُكْرَ الْإِنْسَانِ وَعِبَادَتَهُ الَّتِي هِيَ أَهَمُّ نَتِيجَتِهِ ، بَلْ نَتِيجَةُ خِلْقَتِهِ ، وَغَايَةُ فِطْرَتِهِ ، وَثَمَرَةُ حَيَاتِهِ ، إِلَى أَيْدِي الْآخَرِينَ ؟ وَهَلْ يَجْعَلُ نَتِيجَةَ الْخِلْقَةِ ، وَثَمَرَةَ الْكَائِنَاتِ ، عَبَثاً ؟ وَذٰلِكَ ، ضِدٌّ لِحِكْمَتِهِ كُلِّيّاً ، حَاشَاهُ ؛ وَهَلْ يَرْضَى وَيَسْمَحُ أَصْلاً ، بِتَسْلِيمِ عِبَادَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ ، إِلَى الْآخَرِينَ ؛ بِحَيْثُ يُنْكِرُ رُبُوبِيَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ ؟ كَلَّا ؛ وَهَلْ يَسْتَنْكِرُ مَقَاصِدَهُ الْعَالِيَةَ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُنْسِي نَفْسَهُ ، بِتَسْلِيمِ شُكْرِ أَكْمَلِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَامْتِنَانِهِمْ وَتَحَبُّبِهِمْ ، وَتَعَرُّفِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ ، إِلَى الْأَسْبَابِ الْأُخْرَى ؛ مَعَ أَنَّهُ يُظْهِرُ بِأَفْعَالِهِ ، أَنَّهُ يُعَرِّفُ نَفْسَهُ ؛ وَيُحَبِّبُهَا بِدَرَجَةٍ لَا حَدَّ لَهَا . . فَقُلْ أَنْتَ أَيُّهَا الصَّاحِبُ الَّذِي أَعْرَضَ عَنِ اعْتِقَادِ الطَّبِيعَةِ ! . وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّكَ أَظْهَرْتَ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَفِي كَوْنِهِ هُوَ الْمَعْبُودَ بِالْحَقِّ ؛ وَأَنَّهُ لَا حَقِيقَ بِالْعِبَادَةِ غَيْرُهُ ، دَلِيلَيْنِ قَوِيَّيْنِ وَمُشْرِقَيْنِ ، بِحَيْثُ يَكُونُ إِنْكَارُهُمَا ، مُكَابَرَةً كَإِنْكَارِ الشَّمْسِ وَالضِّيَاءِ ؛ مَعَ أَنَّهُ قَدْ حُلَّتْ شُبْهَتَايَ هَاتَانِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ . .

خَاتِمَةُ اللَّمْعَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ :

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي آمَنَ ؛ وَتَرَكَ فِكْرَ كُفْرِ الطَّبِيعَةِ ، يَحْمَدُ اللهَ ؛ وَيَقُولُ : إِنَّهُ لَمْ تَبْقَ لِي شُبْهَةٌ ؛ وَلٰكِنْ لِي ، بَعْضُ أَسْئِلَةٍ مُوجِبَةٍ لِهَمِّي . .

اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : أَنَّنَا نَسْمَعُ مِنْ كَثِيرِينَ مِنَ الْكَسَالٰى ، وَمِنْ تَارِكِي الصَّلاةِ ، يَقُولُونَ : فَأَيُّ احْتِيَاجٍ لِلهِ تَعَالٰى ، إِلٰى عِبَادَتِنَا ؛ حَتّٰى يَزْجُرَ فِي الْقُرْآنِ ، تَارِكَ الْعِبَادَةِ ، بِإِصْرَارٍ وَشِدَّةٍ ؛ وَيُهَدِّدَهُ بِجَزَاءٍ مُدْهِشٍ كَجَهَنَّمَ ؛ وَكَيْفَ يُنَاسِبُ ذٰلِكَ ، إِفَادَةَ الْقُرْآنِ ، الْعَادِلَةَ الْمُعْتَدِلَةَ الْمُسْتَقِيمَةَ ؛ حَيْثُ يُظْهِرُ نِهَايَةَ الشِّدَّةِ ، إِزَاءَ خَطَإٍ جُزْئِيٍّ لَا قِيمَةَ لَهُ ؟ .

اَلْجَوَابُ عَلَيْهِ : نَعَمْ إِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلٰى عِبَادَتِكَ ، بَلْ وَلَا إِلٰى أَيِّ شَيْءٍ أَصْلاً ؛ وَلٰكِنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعِبَادَةِ ؛ وَأَنْتَ مَرِيضٌ مَعْنًى . وَقَدْ أَثْبَتْنَا فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ : أَنَّ الْعِبَادَةَ ، بِمَثَابَةِ الْأَدْوِيَةِ لِجِرَاحَاتِكَ الْمَعْنَوِيَّةِ . فَيَا عَجَباً ! إِذَا قَالَ مَرِيضٌ ، لِحَكِيمٍ مُشْفِقٍ يُلِحُّ عَلَيْهِ فِي إِشْرَابِ الْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ لِمَرَضِهِ : أَيُّ حَاجَةٍ لَكَ ، حَيْثُ تُصِرُّ عَلَيَّ هٰكَذَا ؛ تَعْلَمُ أَنَّ ذٰلِكَ كَلَامٌ لَا مَعْنٰى لَهُ . .

وَأَمَّا تَهْدِيدَاتُ الْقُرْآنِ الشَّدِيدَةُ ، وَعِقَابَاتُهُ الْمُدْهِشَةُ ، فِي حَقِّ تَرْكِ الْعِبَادَةِ ، فَهِيَ : أَنَّهُ كَمَا أَنَّ سُلْطَاناً ، يَجْزِي رَجُلاً عَادِيّاً ، جَزَاءً شَدِيداً ، عَلٰى خَطَإٍ أَضَرَّ بِحُقُوقِ رَعَايَاهُ ؛ وَذٰلِكَ لِحِفْظِ حُقُوقِهِمْ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ إِنْسَاناً تَرَكَ الْعِبَادَةَ وَالصَّلاةَ ، يَظْلِمُ ظُلْماً مَعْنَوِيّاً ؛ وَيَعْتَدِي اعْتِدَاءً مُهِمّاً ، عَلٰى حُقُوقِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ رَعَايَا سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّ كَمَالَاتِ الْمَوْجُودَاتِ ، تَتَظَاهَرُ بِالتَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ ، فِي وُجُوهِهَا الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى الصَّانِعِ . فَمَنْ تَرَكَ الْعِبَادَةَ ، لَا يَرٰى عِبَادَاتِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَلَنْ يَرَاهَا ؛ بَلْ يُنْكِرُهَا ؛ فَحِينَئِذٍ يَحْتَقِرُ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي هِيَ عَلٰى مَقَامٍ رَفِيعٍ ، فِي جِهَةِ التَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ ، وَالَّتِي هِيَ مَكْتُوبَاتٌ صَمَدَانِيَّةٌ ، وَمَرَايَا لِأَسْمَاءٍ رَبَّانِيَّةٍ ؛ وَيُنْكِرُ كَمَالَاتِهَا ؛ وَيَعْتَدِي عَلَيْهَا ؛

لِأَنَّهُ يُنَزِّلُهَا عَنْ مَقَامِهَا الرَّفِيعِ ؛ وَيَظُنُّهَا عَلٰى حَالَةٍ لَا قِيمَةَ وَلَا خِدْمَةَ لَهَا ؛ وَيَظُنُّهَا جَامِدَةً وَذَلِيلَةً . **نَعَمْ :** إِنَّ كُلَّ أَحَدٍ ، يَرَى الْكَائِنَاتِ بِمِرْآةِ نَفْسِهِ ؛ وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ ، عَلٰى صُورَةِ مِيزَانٍ وَمِقْيَاسٍ لِلْكَائِنَاتِ ؛ وَأَعْطٰى كُلَّ إِنْسَانٍ ، عَالَماً خَاصّاً ، مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ ؛ فَيُظْهِرُ لَوْنَ ذٰلِكَ الْعَالَمِ ، حَسَبَ اعْتِقَادِ قَلْبِ ذٰلِكَ الْإِنْسَانِ . فَمَثَلاً : إِنَّ إِنْسَاناً حَزِيناً آيِساً يَبْكِي ، يَرَى الْمَوْجُودَاتِ ، عَلٰى صُورَةِ الْبَاكِيَةِ وَالْآيِسَةِ ؛ وَإِنَّ إِنْسَاناً مَسْرُوراً مُسْتَبْشِراً ، يَضْحَكُ مِنْ كَمَالِ سُرُورِهِ ، يَرَى الْكَائِنَاتِ ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَعْبُدُ وَيُسَبِّحُ مُخْلِصاً وَمُتَفَكِّراً ، يَرَى تَسْبِيحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَعِبَادَاتِهَا الْمَوْجُودَةَ الْمُحَقَّقَةَ فِي الْحَقِيقَةِ ؛ وَيَشْهَدُهَا نَوْعَ شُهُودٍ ؛ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ التَّارِكَ لِلْعِبَادَةِ ، بِالْغَفْلَةِ أَوْ بِالْإِنْكَارِ ، يَتَوَهَّمُ الْمَوْجُودَاتِ ، عَلٰى صُورَةٍ خَاطِئَةٍ ، مُخَالِفَةٍ وَمُضَادَّةٍ لِحَقِيقَةِ كَمَالَاتِهَا بِتَمَامِهَا ؛ وَيَعْتَدِي مَعْنًى ، عَلٰى حُقُوقِهَا ؛ وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ التَّارِكَ لِلصَّلَاةِ ، لِكَوْنِهِ لَيْسَ مَالِكاً لِنَفْسِهِ ، يَظْلِمُ نَفْسَهُ الَّتِي هِيَ عَبْدٌ لِمَالِكِهِ ؛ فَيُهَدِّدُهُ مَالِكُهُ تَهْدِيداً مُدْهِشاً ، لِيَنْتَقِمَ حَقَّ عَبْدِهِ ، عَنْ نَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ تَرْكَهُ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ غَايَةُ فِطْرَتِهِ ، وَنَتِيجَةُ خِلْقَتِهِ ، يُصْبِحُ بِمَثَابَةِ اعْتِدَاءٍ ، إِزَاءَ الْمَشِيئَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَالْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُصَادَمُ بِالْجَزَاءِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ تَارِكَ الْعِبَادَةِ ، يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؛ وَأَنَّ نَفْسَهُ ، عَبْدُ اللهِ وَمَمْلُوكُهُ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ تَرْكَ الْعِبَادَةِ ، اعْتِدَاءٌ وَظُلْمٌ ، إِزَاءَ حُقُوقِ كَمَالَاتِ الْكَائِنَاتِ . نَعَمْ : إِنَّ الْكُفْرَ احْتِقَارٌ لِلْمَوْجُودَاتِ ؛ كَمَا أَنَّ تَرْكَ الْعِبَادَةِ ، إِنْكَارٌ لِكَمَالَاتِ الْكَائِنَاتِ ، وَاعْتِدَاءٌ إِزَاءَ الْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ أَيْضاً ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَحِقُّ جَزَاءً شَدِيداً ، وَتَهْدِيداً مُدْهِشاً ؛ فَلِإِفَادَةِ هٰذَا الِاسْتِحْقَاقِ ، وَتِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ ، اخْتَارَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، ذٰلِكَ الْوَجْهَ الشَّدِيدَ ، مِنَ الْبَيَانِ ، بِوَجْهٍ مُعْجِزٍ يُطَابِقُ مُقْتَضَى الْحَالِ ؛ وَذٰلِكَ حَقِيقَةُ الْبَلَاغَةِ ، بِالْكَمَالِ . .

اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي أَعْرَضَ عَنِ الطَّبِيعَةِ ؛ وَآمَنَ ، يَقُولُ : إِنَّ اتِّبَاعَ كُلِّ شَيْءٍ ، فِي كُلِّ جِهَةٍ ، لِلْمَشِيئَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِهِ ، وَفِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ، حَقِيقَةٌ عَظِيمَةٌ جِدّاً ، لَا تَسَعُهَا الْأَذْهَانُ

الضَّيِّقَةُ ، بِجِهَةِ عَظَمَتِهَا ؛ مَعَ أَنَّ هٰذَا الْبَذْلَ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَاتِ ، الَّذِي نُشَاهِدُهُ بِأَبْصَارِنَا ، وَهٰذِهِ السُّهُولَةَ وَالْيُسْرَ فِي مُنْتَهَى الدَّرَجَاتِ ، فِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ ، فِي طَرِيقِ الْوَحْدَةِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ بِبَرَاهِينِكُمُ السَّابِقَةِ ، وَهٰذِهِ السُّهُولَةَ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، الَّتِي بُيِّنَتْ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ؛ وَدَلَّتْ عَلَيْهَا صَرَاحَةُ آيَاتٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، تَدُلُّ هٰذِهِ الْأُمُورُ ، عَلَىٰ أَنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْعَظِيمَةَ ، مَسْأَلَةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَعْقُولَةٌ جِدّاً ؛ فَمَا هُوَ سِرُّ هٰذَا الْيُسْرِ ، وَمَا هِيَ حِكْمَتُهُ ؟ .

اَلْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّ ذٰلِكَ السِّرَّ ، قَدْ بُيِّنَ بِوَجْهٍ مُقْنِعٍ قَاطِعٍ ، وَوَاضِحٍ غَايَةَ الْوُضُوحِ ، فِي بَيَانِ كَلِمَةِ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، الَّتِي هِيَ **الْكَلِمَةُ الْعَاشِرَةُ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ** ، وَلَاسِيَّمَا فِي **ذَيْلِ ذٰلِكَ الْمَكْتُوبِ** ؛ فَقَدْ أُثْبِتَ فِيهِ بِأَزْيَدِ وُضُوحٍ : أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا ، حِينَمَا تُسْنَدُ إِلَى الصَّانِعِ الْوَاحِدِ ؛ تَسْهُلُ كَمَوْجُودٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنْ لَمْ تُسْنَدْ إِلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ؛ يُشْكِلُ إِيجَادُ مَخْلُوقٍ وَاحِدٍ ، بِقَدَرِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَتَصْعُبُ نَوَاةٌ ، بِقَدَرِ شَجَرَةٍ ؛ وَإِذَا أُسْنِدَتْ إِلَىٰ صَانِعِهَا الْحَقِيقِيِّ ؛ تَهُونُ الْكَائِنَاتُ ؛ وَتَسْهُلُ كَشَجَرَةٍ ؛ وَالشَّجَرَةُ كَنَوَاةٍ ؛ وَالْجَنَّةُ كَرَبِيعٍ ؛ وَالرَّبِيعُ كَزَهْرَةٍ . .

وَإِنَّنَا نُشِيرُ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً ، إِلَىٰ دَلِيلٍ أَوْ دَلِيلَيْنِ بُيِّنَا فِي سَائِرِ الرَّسَائِلِ تَفْصِيلاً ، مِنْ مِئَاتِ دَلَائِلَ تُبَيِّنُ حِكْمَةَ الْبَذْلِ وَالرُّخْصِ بِلَا حَدٍّ ، الَّذِي يُرَى بِالْمُشَاهَدَةِ ، وَحِكْمَةَ كَثْرَةِ وُجُودِ الْأَفْرَادِ ، مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بِالْيُسْرِ ، وَحِكْمَةَ مَجِيءِ الْمَوْجُودَاتِ الْقَيِّمَةِ الْمُصَنَّعَةِ الْمُنْتَظِمَةِ ، إِلَى الْوُجُودِ ، بِالسُّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ وَالْكَثْرَةِ ؛ وَتَكُونُ مَدَاراً لِهٰذِهِ الْأَسْرَارِ . . فَمَثَلاً : كَمَا أَنَّ مِئَاتِ جُنُودٍ ، إِذَا فُوِّضَتْ إِلَىٰ إِدَارَةِ ضَابِطٍ ؛ يَكُونُ أَسْهَلَ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، مِنْ تَفْوِيضِ مُجَنَّدٍ ، إِلَىٰ إِدَارَةِ مِئَةِ ضَابِطٍ ؛ وَكَمَا أَنَّ مُعَدَّاتِ جَيْشٍ ، إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَىٰ مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ، وَقَانُونٍ وَمَصْنَعٍ وَاحِدٍ ، وَإِلَىٰ أَمْرِ سُلْطَانٍ وَاحِدٍ ؛ تَسْهُلُ كَمِّيَّةً ، بِقَدَرِ مُعَدَّاتِ مُجَنَّدٍ وَاحِدٍ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا فُوِّضَتْ أَجْهِزَةُ جُنْدِيٍّ وَاحِدٍ ، إِلَىٰ مَرَاكِزَ وَمَصَانِعَ عَدِيدَةٍ ، وَإِلَىٰ قَادَةٍ

مُتَعَدِّدِينَ ؛ تُشْكِلُ بِقَدرِ مُعَدَّاتِ جَيْشٍ ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ لِأَجْهِزَةِ جُنْدِيٍّ وَاحِدٍ ، مَا يَلْزَمُ لِمُعَدَّاتِ جَمِيعِ الْجَيْشِ ، مِنَ الْمَصَانِعِ ؛ وَكَذَا أَنَّ شَجَرَةً تُثْمِرُ آلافَ ثَمَرَاتٍ ، يُرىٰ بِالْمُشَاهَدَةِ ، أَنَّهَا تَسْهُلُ مِقْدَارَ ثَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ لِأَنَّ مَوَادَّ حَيَاتِهَا ، تُعْطَى بِقَانُونٍ وَاحِدٍ ، وَفِي مَرْكَزٍ وَاحِدٍ ، وَفِي عِرْقٍ وَاحِدٍ ، بِجِهَةِ سِرِّ الْوَحْدَةِ ؛ وَإِنْ سِيرَ مِنَ الْوَحْدَةِ إِلَى الْكَثْرَةِ ؛ وَأُعْطِيَتْ مَوَادَّ الْحَيَاةِ ، اللّازِمَةَ لِكُلِّ ثَمَرَةٍ ، مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَةٍ ؛ تُشْكِلُ كُلُّ ثَمَرَةٍ ، مِقْدَارَ شَجَرَةٍ ؛ بَلْ تَصْعُبُ نَوَاةٌ هِيَ مِثَالٌ وَخُلاصَةٌ لِشَجَرَةٍ ، بِقَدَرِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْمَوَادِّ اللّازِمَةِ لِحَيَاةِ شَجَرَةٍ ، تَلْزَمُ لِنَوَاةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَهٰكَذَا تُوجَدُ مِئَاتُ أَمْثِلَةٍ مِثْلُ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ ، تَدَلُّ عَلٰى أَنَّ آلافَ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي تَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ ، بِسُهُولَةٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، فِي طَرِيقِ الْوَحْدَةِ ، تُصْبِحُ أَسْهَلَ مِنْ مَوْجُودٍ وَاحِدٍ ، فِي طَرِيقِ الشِّرْكِ وَالْكَثْرَةِ . فَهٰذِهِ الْحَقِيقَةُ أُثْبِتَتْ فِي رَسَائِلَ أُخْرىٰ ، بِدَرَجَةِ كَوْنِ الاِثْنَيْنِ فِي الاِثْنَيْنِ ، أَرْبَعَةً ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، عَلٰى تِلْكَ الرَّسَائِلِ ؛ وَلٰكِنْ نُبَيِّنُ هٰهُنَا ، سِرّاً مُهِمّاً لِلْغَايَةِ مِنْ أَسْرَارِ هٰذِهِ السُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ ، بِاعْتِبَارِ الْعِلْمِ وَالْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ، وَالْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَهُوَ : أَنَّكَ مَوْجُودٌ وَاحِدٌ ؛ فَإِنْ أَسْنَدْتَ وُجُودَكَ ، إِلَى الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَإِنَّهُ يَخْلُقُكَ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، بِأَمْرٍ وَاحِدٍ ، مِنَ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ ، فِي آنٍ وَاحِدٍ ، كَإِيقَادِ ثِقَابٍ ؛ وَإِنْ لَمْ تُسْنِدْ نَفْسَكَ إِلَيْهِ ؛ بَلْ أَسْنَدْتَهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ لِخَلْقِكَ ، أَنْ تُنْخَلَ الْكَائِنَاتُ وَالْعَنَاصِرُ ، بِمُنْخُلٍ دَقِيقٍ ؛ وَتُجْمَعَ الْمَوَادُّ الْمَوْجُودَةُ فِي بَدَنِكَ ، مِنْ أَقْطَارِ الْعَالَمِ ، بِمَقَايِيسَ حَسَّاسَةٍ ؛ حَيْثُ إِنَّكَ ثَمَرَةٌ وَخُلاصَةٌ مُهِمَّةٌ ، لِلْكَائِنَاتِ ، وَقَائِمَةٌ وَفِهْرِسَةٌ صَغِيرَةٌ لَهَا ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الْمَادِّيَّةَ ، تَجْمَعُ فَتُرَكِّبُ فَقَطْ . وَمُصَدَّقٌ لَدَى أَهْلِ الْعَقْلِ أَجْمَعِينَ : أَنَّ الْأَسْبَابَ لا تَخْلُقُ مِنَ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ ، مَا لا يُوجَدُ عِنْدَهَا ؛ فَإِذاً إِنَّهَا تُضْطَرُّ أَنْ تَجْمَعَ جِسْمَ ذِي حَيَاةٍ صَغِيرٍ ، مِنْ أَقْطَارِ الْعَالَمِ . فَافْهَمْ مَا فِي الْوَحْدَةِ وَالتَّوْحِيدِ ، مِنَ السُّهُولَةِ ، وَمَا فِي الشِّرْكِ وَالضَّلالَةِ ، مِنَ الْمُشْكِلاتِ . .

وَثَانِيهِمَا : أَنَّهُ تُوجَدُ سُهُولَةٌ بِلا حَدٍّ ، فِي جِهَةِ الْعِلْمِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ الْقَدَرَ ، نَوْعٌ مِنَ

الْعِلْمِ ؛ فَيُعَيِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، مِقْدَاراً يَكُونُ بِمَثَابَةِ قَالَبٍ مَخْصُوصٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ وَيُصْبِحُ ذٰلِكَ الْمِقْدَارُ الْقَدَرِيُّ ، فِي حُكْمِ مِقْياسٍ وَمِنْهَاجٍ ، لِوُجُودِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ فَتُوجِدُهُ الْقُدْرَةُ ، عَلٰى ذٰلِكَ الْمِقْدَارِ الْقَدَرِيِّ ، حِينَ الْإِيجَادِ ، بِغَايَةِ السُّهُولَةِ ؛ وَإِذَا لَمْ يُسْنَدْ ذٰلِكَ الشَّيْءُ ، إِلَى الْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ، صَاحِبِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ الْمُحِيطِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ؛ فَلَا تَقَعُ آلَافُ مُشْكِلَاتٍ ، بَلْ مِئَةُ مُحَالٍ ؛ كَمَا مَرَّ سَابِقاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُوجَدْ ذٰلِكَ الْمِقْدَارُ الْقَدَرِيُّ الْعِلْمِيُّ ؛ يَلْزَمُ اسْتِعْمَالُ آلَافِ قَوَالِبَ خَارِجِيَّةٍ وَمَادِّيَّةٍ ، فِي جِسْمِ حَيَوَانٍ صَغِيرٍ ؛ هٰذَا ، فَافْهَمْ سِرّاً مِنْ أَسْرَارِ السُّهُولَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، فِي الْوَحْدَةِ ، وَمِنَ أَسْرَارِ الْمُشْكِلَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، فِي الشِّرْكِ وَالضَّلَالَةِ ؛ وَاعْلَمْ مَا تُفِيدُهُ آيَةُ ﴿وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، مِنْ حَقِيقَةٍ عَالِيَةٍ صَادِقَةٍ حَقِيقِيَّةٍ . .

اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : أَنَّ الْمُهْتَدِيَ الصَّدِيقَ الْآنَ ، وَالْعَدُوَّ قَدِيماً ، يَقُولُ : إِنَّ الْفَلَاسِفَةَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا كَثِيراً ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، يَقُولُونَ : إِنَّهُ لَا يُحْدَثُ شَيْءٌ مَّا مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَلَا يُعْدَمُ شَيْءٌ أَصْلاً ؛ وَإِنَّمَا الَّذِي يُشْغِلُ مَصْنَعَ الْكَائِنَاتِ ، هُوَ تَرْكِيبٌ وَتَحْلِيلٌ . .

اَلْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّ أَسْبَقَ الْفَلَاسِفَةِ تَقَدُّماً ، الَّذِينَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الْمَوْجُودَاتِ ، بِنُورِ الْقُرْآنِ ، نَظَرُوا إِلَيْهَا ؛ فَرَأَوْا تَشَكُّلَ وُجُودِ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، بِوَاسِطَةِ الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ، مُشْكِلاً فِي دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ ، عَلٰى مَا أَثْبَتْنَاهُ سَابِقاً ؛ فَانْقَسَمُوا إِلٰى قِسْمَيْنِ . .

فَقِسْمٌ مِنْهُمْ ، صَارُوا سُوفَسْطَائِيِّينَ ؛ وَاسْتَقَالُوا عَنِ الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ خَاصَّةُ الْإِنْسَانِ ؛ وَسَقَطُوا إِلٰى أَسْفَلَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْحَمَاقٰى ؛ فَأَنْكَرُوا أَنْفُسَهُمْ ؛ وَأَنْكَرُوا الْكَائِنَاتِ ؛ فَوَقَعُوا فِي الْجَهْلِ الْمُطْلَقِ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّهُمْ رَأَوْا إِنْكَارَ وُجُودِ الْكَائِنَاتِ ، بَلْ وَإِنْكَارَ وُجُودِ أَنْفُسِهِمْ ، أَهْوَنَ مِنْ كَوْنِ الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ، مُوجِدَةً فِي مَسْلَكِ الضَّلَالَةِ . .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي نَظَرُوا ؛ فَرَأَوْا أَنَّ لِإِيجَادِ ذُبَابَةٍ وَنَوَاةٍ ، مَشَاكِلَ لَا حَدَّ لَهَا ، فِي جِهَةِ كَوْنِ الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ، مُوجِدَةً فِي مَسْلَكِ الضَّلَالَةِ ؛ وَأَنَّهُ يَقْتَضِي اقْتِدَاراً خَارِجاً عَنْ طَوْرِ الْعَقْلِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُنْكِرُونَ الْإِيجَادَ ضَرُورَةً ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْوُجُودُ مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَيَرَوْنَ

الْإِعْدَامَ مُحَالاً ؛ فَيَحْكُمُونَ بِأَنَّ الْمَوْجُودَ لَا يَنْعَدِمُ ؛ وَإِنَّمَا يَتَخَيَّلُونَ وَضْعاً اعْتِبَارِيّاً ، عَلٰى صُورَةِ تَرْكِيبٍ وَتَحْلِيلٍ ، وَاجْتِمَاعٍ وَافْتِرَاقٍ ، بِحَرَكَاتِ الذَّرَّاتِ ، وَبِرِيَاحِ الصُّدْفَةِ فَقَطْ . . فَتَعَالَ أَبْصِرِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، أَعْلَى الْعُقَلَاءِ ؛ أَنَّهُمْ فِي أَسْفَلِ دَرَجَاتِ الْحُمْقِ وَالْجَهْلِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الضَّلَالَةَ كَيْفَ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ ، أَدْنٰى وَأَجْهَلَ وَسُخْرِيّاً ؟ فَاعْتَبِرْ . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! أَمَا تَسْتَطِيعُ قُدْرَةٌ أَزَلِيَّةٌ تُوجِدُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، أَرْبَعَمِئَةَ أَلْفِ نَوْعٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ؛ وَخَلَقَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ؛ وَتُنْشِئُ عَالَماً مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، أَعْلٰى صَنْعَةً وَحِكْمَةً ، مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ ، فِي سِتَّةِ أَسَابِيعَ ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ؛ أَمَا تَسْتَطِيعُ تِلْكَ الْقُدْرَةُ ، أَنْ تُعْطِيَ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْعِلْمِيَّةَ ، الْمُتَعَيَّنَةَ مَقَادِيرُهَا وَمَقَايِيسُهَا ، فِي دَائِرَةِ عِلْمٍ أَزَلِيٍّ ، الَّتِي هِيَ مَعْدُومَاتٌ خَارِجِيَّةٌ ، اَنْ تُعْطِيَهَا وُجُوداً خَارِجِيّاً ، بِغَايَةِ السُّهُولَةِ ، كَمَادَّةٍ يُطْلٰى بِهَا ، لِإِظْهَارِ خَطِّ مَكْتُوبٍ بِمِدَادٍ لَا يُرِيهِ لِلْبَصَرِ ؛ فَإِنْكَارُ الْإِيجَادِ ، وَاسْتِبْعَادُ إِعْطَاءِ الْوُجُودِ ، عَنْ تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، أَزْيَدُ حُمْقاً وَجَهْلاً مِنْ حُمْقِ السُّوفَسْطَائِيِّينَ ، وَمِنْ جَهْلِ ذٰلِكَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ؛ فَإِنَّ نُفُوسَ هٰؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ ، الْمُتَفَرْعِنَةَ الْعَاجِزَةَ الْمُطْلَقَةَ ، الَّتِي لَا يُوجَدُ بِأَيْدِيهَا ، شَيْءٌ سِوٰى جُزْءٍ مِنَ الِاخْتِيَارِ ، لَا تُعْدِمُ وَلَا تُفْنِي شَيْئاً مَّا ؛ وَلَا تُوجِدُ ذَرَّةً وَمَادَّةً أَصْلاً ، مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَإِنَّ الْأَسْبَابَ وَالطَّبِيعَةَ الَّتِي يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا ، لَا يَتَأَتّٰى مِنْ أَيْدِيهَا ، الْإِيجَادُ مِنَ الْعَدَمِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَقُولُونَ مِنْ حُمْقِهِمْ : إِنَّ الْمَوْجُودَ لَا يُوجَدُ مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَلَا يُعْدَمُ عَنِ الْوُجُودِ ؛ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَشْمَلُوا بِهٰذَا الدُّسْتُورِ الْخَاطِئِ الْبَاطِلِ ، عَلَى الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ . . نَعَمْ : إِنَّ لِلْقَدِيرِ الْجَلِيلِ ، نَوْعَيْنِ مِنَ الْإِيجَادِ . .

أَحَدُهُمَا : بِالْإِبْدَاعِ وَالِاخْتِرَاعِ : أَيْ إِنَّهُ يُعْطِي الْوُجُودَ ، مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَيُوجِدُ كُلَّ مَا يَلْزَمُ لِلْمَوْجُودِ ، مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَيُعْطِيهِ لِيَدِهِ . .

وَالْآخَرُ : بِالصُّنْعِ وَالْإِنْشَاءِ : أَيْ إِنَّهُ يُنْشِئُ بَعْضَ الْمَوْجُودَاتِ ، عَنْ عَنَاصِرِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَذٰلِكَ لِحِكَمٍ كَثِيرَةٍ دَقِيقَةٍ ، كَإِظْهَارِ كَمَالِ حِكْمَتِهِ ، وَجَلَوَاتِ كَثِيرٍ مِنْ أَسْمَائِهِ ؛ فَيُرْسِلُ إِلَيْهَا ،

الْمَوَادَّ وَالذَّرَّاتِ التَّابِعَةَ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِهِ ؛ وَيَسْتَخْدِمُهَا فِيهَا ، بِقَانُونِ الرَّزَّاقِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ لِلْقَادِرِ الْمُطْلَقِ ، نَوْعَيْنِ مِنَ الْإِيجَادِ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِبْدَاعِ وَالْإِنْشَاءِ ؛ وَإِنَّ إِعْدَامَ الْمَوْجُودِ ، وَإِيجَادَ الْمَعْدُومِ ، قَانُونٌ أَسْهَلُ وَأَهْوَنُ عَلَيْهِ ، بَلْ قَانُونٌ دَائِمٌ وَعَامٌّ ، مِنْ قَوَانِينِهِ . . فَلْيَنْعَدِمْ مَنْ يَقُولُ إِزَاءَ قُدْرَةٍ تُوجِدُ فِي رَبِيعٍ ، أَشْكَالَ ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتِ الْحَيَاةِ ، وَصِفَاتِهَا ، بَلْ جَمِيعَ كَيْفِيَّاتِهَا وَأَحْوَالِهَا ، مَا عَدَا ذَرَّاتِهَا ، عَنِ الْعَدَمِ : إِنَّهَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُوجِدَ الْمَعْدُومَ . .

يَقُولُ الرَّجُلُ الَّذِي تَرَكَ الطَّبِيعَةَ ؛ وَنَفَذَ إِلَى الْحَقِيقَةِ : إِنِّي أَشْكُرُ لِلّٰهِ تَعَالٰى ؛ وَأَحْمَدُهُ وَأُثْنِي عَلَيْهِ ، بِعَدَدِ الذَّرَّاتِ ، عَلٰى أَنِّي فُزْتُ بِكَمَالِ الْإِيمَانِ ؛ وَنَجَوْتُ عَنِ الضَّلَالِ وَالْأَوْهَامِ ؛ وَلَمْ تَبْقَ لِي شُبْهَةٌ أَصْلاً . .

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى دِينِ الْإِسْلَامِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ ﴾ . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ . .

يَقُولُ الْمُتَرْجِمُ الْمُفْتَقِرُ ، إِلٰى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْمُقْتَدِرِ : لَقَدْ تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالٰى ، تَصْحِيحُ وَتَنْقِيحُ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْعَالِيَةِ ، عَلٰى يَدَيْهِ ، بَعْدَ الْعَصْرِ ، مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ ، الْخَامِسَ عَشَرَ ، مِنْ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ الْحَرَامِ ، لِسَنَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَتِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، مِنَ الْهِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، الْمُوَافِقَةِ لِلرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ ، مِنْ كَانُونَ الثَّانِي ، لِعَامِ أَلْفَيْنِ وَثَمَانِيَةٍ ، مِنَ الْمِيلَادِ الْمُبَارَكِ ؛ وَكَمُلَ بِرَحْمَتِهِ تَعَالٰى ، تَنْظِيمُهَا وَتَحْقِيقُهَا ، فِي ضِمْنِ مَجْمُوعَةِ (اللَّمَعَاتِ) النُّورِيَّةِ ، لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى . وَذٰلِكَ فِي بَيْتِ النُّورِ ، بِمَدِينَةِ (صَيْدَا) الْمُبَارَكَةِ . . وَمِنَ اللهِ تَعَالٰى التَّوْفِيقُ وَالسَّدَادُ . .

اَلْمُتَرْجِمُ الْعَاجِزُ الْفَقِيرُ ، عَفَا عَنْهُ اللهُ الرَّحِيمُ الْقَدِيرُ ، آمِينَ . .

اَللَّمْعَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

﴿فِي حَقِّ التَّسَتُّرِ..﴾

وَكَانَتْ هٰذِهِ الرِّسَالَةُ، الْمَسْأَلَةَ الثَّالِثَةَ، مِنَ الْمُذَكِّرَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ؛ فَأَصْبَحَت اللَّمْعَةَ الرَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ، بِنَاءً عَلٰى قِيمَتِهَا..

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٓا اَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِاَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَٓاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾..

إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ تَأْمُرُ بِالتَّسَتُّرِ؛ وَالْمَدَنِيَّةُ السَّفِيهَةُ، تَسْلُكُ مُخَالِفَةً لِحُكْمِ الْقُرْآنِ هٰذَا؛ وَلَا تَرَى التَّسَتُّرَ، أَمْراً فِطْرِيّاً؛ وَتَقُولُ: إِنَّهُ إِسَارَةٌ لَهَا..[1]

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ: أَنَّنَا نُبَيِّنُ أَرْبَعَ حِكَمٍ فَقَطْ، مِنَ الْحِكَمِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلٰى أَنَّ

---

(١) جُزْءٌ مِنْ دِفَاعِ لَائِحَةِ التَّمْيِيزِ، الَّتِي كَانَتْ تِجَاهَ الْمَحْكَمَةِ؛ وَأَفْحَمَتِ الْمَحْكَمَةَ؛ وَذٰلِكَ: أَنِّي أَقُولُ لِمَحْكَمَةِ الْعَدْلِ: «إِنَّ قَرَاراً بَاطِلاً، حَكَمَ عَلٰى إِنْسَانٍ فَسَّرَ أَقْدَسَ دُسْتُورٍ إِلٰهِيٍّ حَقِيقِيٍّ، فِي حَيَاةِ مُجْتَمَعِ ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنَ النَّاسِ، فِي كُلِّ عَصْرٍ، فِي أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، مُسْتَنِداً إِلَى اتِّفَاقِ ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ تَفْسِيرٍ، وَإِلٰى تَصْدِيقِهَا، وَمُقْتَدِياً بِاعْتِقَادِ أَجْدَادِنَا السَّالِفِينَ، فِي أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً؛ إِنْ وُجِدَ الْعَدْلُ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ يَرُدُّ ذٰلِكَ الْقَرَارَ؛ وَيَنْقُضُ هٰذَا الْحُكْمَ الْبَتَّةَ».. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

حُكْمَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ هٰذَا ، فِطْرِيٌّ تَمَاماً ؛ وَأَنَّ مُخَالِفَهُ ، غَيْرُ فِطْرِيٍّ . .

اَلْحِكْمَةُ الْأُولٰى :

أَنَّ التَّسَتُّرَ فِطْرِيٌّ لِأَجْلِ النِّسَاءِ ؛ تَقْتَضِيهِ فِطْرَتُهُنَّ ؛ لِأَنَّ النِّسَاءَ ضَعِيفَاتٌ وَلَطِيفَاتٌ ، حَسَبَ الْفِطْرَةِ ؛ فَتَحْتَاجُ الْمَرْأَةُ ، إِلٰى حِمَايَةِ زَوْجٍ يَحْمِيهَا وَأَوْلَادَهَا الَّتِي تُحِبُّهَا أَكْثَرَ مِنْ نَفْسِهَا ؛ وَتَحْتَاجُ إِلٰى إِعَانَتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُوجَدُ لَهَا ، مَيْلٌ فِطْرِيٌّ ؛ لِتُحَبِّبَ نَفْسَهَا إِلٰى زَوْجِهَا ؛ وَلَا تُنَفِّرَهُ عَنْهَا ؛ وَلَا تُصْبِحَ عُرْضَةً لِلِاسْتِثْقَالِ ؛ وَكَذَا أَنَّ سِتّاً أَوْ سَبْعاً مِنْ عَشْرِ نِسْوَةٍ ، إِمَّا عَجُوزٌ أَوْ غَيْرُ جَمِيلَةٍ ؛ فَلَا تُحِبُّ أَنْ تُظْهِرَ شَيْبَهَا أَوْ قُبْحَهَا ، لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ وَإِمَّا أَنَّهَا حَاسِدَةٌ ؛ تُرِيدُ التَّسَتُّرَ ؛ لِئَلَّا تَقَعَ قَبِيحَةً ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى مَنْ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا ؛ وَإِمَّا تَخَافُ عَنْ الِاعْتِدَاءِ وَالِاتِّهَامِ ؛ فَتَطْلُبُ التَّسَتُّرَ فِطْرَةً ؛ لِئَلَّا تُصْبِحَ هَدَفاً لِلتَّعَرُّضِ ؛ وَلَا تَكُونَ مُتَّهَمَةً بِالْخِيَانَةِ ، فِي نَظَرِ زَوْجِهَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُ إِذَا أُمْعِنَ النَّظَرُ ؛ يُرىٰ أَنَّ أَكْثَرَ اللَّاتِي يَتَحَفَّظْنَ ، هُنَّ الْعَجَائِزُ ؛ وَلَا تُوجَدُ مِنَ الْعَشْرِ ، إِلَّا اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ تَكُونُ شَابَّةً ؛ وَلَا تَخْجَلُ عَنْ تَبَرُّجِهَا . وَمَعْلُومٌ : أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْقَبِضُ وَيَتَأَثَّرُ عَنْ أَنْظَارِ أُنَاسٍ لَا يُحِبُّهُمْ وَيَسْتَثْقِلُهُمْ ؛ وَإِذَا وُجِدَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فِي الْعَشَرَةِ ، مِنْ رِجَالٍ أَجَانِبَ تَسْتَلِذُّ عَنْ نَظَرِهِمْ ، امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ حَلَّتْ فِي زِيِّ الْعُرْيَةِ ؛ فَإِنَّهَا تَسْتَثْقِلُ عَنْ سَبْعَةٍ أَوْ ثَمَانِيَةٍ ؛ وَكَذَا أَنَّ امْرَأَةً جَمِيلَةً لَمْ تَفْحُشْ وَلَمْ تَفْسُدْ ؛ تَشْمَئِزُّ قَطْعاً ، عَنْ أَنْظَارٍ كَرِيهَةٍ جُرِّبَ تَأْثِيرُهَا الْمَادِّيُّ ؛ بَلْ تُسَمِّمُهَا لِكَوْنِهَا لَطِيفَةً وَسَرِيعَةَ التَّأَثُّرِ ؛ حَتّٰى إِنَّنَا نَسْمَعُ أَنَّ كَثِيراً مِنَ النِّسَاءِ ، فِي أُورُوبَّا الَّتِي هِيَ بِلَادُ الْعُرْيَةِ ، تَشْمَئِزُّ عَنْ هٰذَا النَّظَرِ الْحَادِّ ؛ فَيَشْتَكِينَ إِلَى الشُّرْطَةِ ، قَائِلَاتٍ : إِنَّ هٰؤُلَاءِ الْأَرَاذِلَ ، يَحْبِسُونَنَا فِي سِجْنِ الْبَصَرِ ؛ فَيُضْغَطُونَنَا . فَإِذاً إِنَّ رَفْعَ الْحَضَارَةِ لِلتَّسَتُّرِ ، مُخَالِفٌ لِلْفِطْرَةِ ؛ وَإِنَّ أَمْرَ الْقُرْآنِ بِالتَّسَتُّرِ ، مَعَ كَوْنِهِ فِطْرِيّاً ؛ يُنْقِذُ النِّسَاءَ اللَّائِي هُنَّ مَعْدِنُ الشَّفَقَةِ ؛ وَيَصْلُحْنَ أَنْ يَكُنَّ رَفِيقَاتٍ أَبَدِيَّةً قَيِّمَةً ؛ يُنْقِذُهُنَّ عَنِ السُّقُوطِ وَالذِّلَّةِ ، وَالسَّفَالَةِ وَالْإِسَارَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ فِي النِّسَاءِ ، تَخَشِّياً وَتَخَوُّفاً فِطْرِيّاً ، إِزَاءَ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ . فَالتَّخَوُّفُ يَقْتَضِي التَّسَتُّرَ

فِطْرَةً ؛ فَإِنَّهُ يُحْتَمَلُ تَحَمُّلُ حِمْلِ وَلَدٍ ثَقِيلٍ ، فِي ثَمَانِيَةٍ أَوْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ ، بِكُلْفَةٍ تُؤْلِمُ جِدّاً ، ذَوْقاً غَيْرَ مَشْرُوعٍ ، ثَمَانِيَ أَوْ تِسْعَ دَقَائِقَ ، مَعَ مُعَانَاةِ بَلاءِ ذٰلِكَ الذَّوْقِ غَيْرِ الْمَشْرُوعِ ، بِتَرْبِيَةِ وَلَدٍ بِلا حَامٍ ، ثَمَانِيَ أَوْ تِسْعَ سَنَوَاتٍ . وَلِكَثْرَةِ وُقُوعِ ذٰلِكَ ، تَخَافُ فِطْرَتُهَا ، عَنْ غَيْرِ الْمَحْرَمِ ، بِالشِّدَّةِ ؛ وَتَقْتَضِي جِبِلَّتُهَا ، التَّجَنُّبَ ؛ وَتَأْمُرُ خِلْقَتُهَا الضَّعِيفَةُ ، بِالتَّسَتُّرِ ؛ كَيْلا تَفْتَحَ اشْتِهَاءَ غَيْرِ الْمَحْرَمِ ؛ وَلا تَفْسَحَ الْمَجَالَ ، لِاعْتِدَائِهِ ؛ وَتُنْذِرُهَا فِطْرَتُهَا إِنْذَاراً قَوِيّاً ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ كَمِينَهَا وَحِصْنَهَا ، هُوَ حِجَابُهَا . .

وَإِنَّ الْتِفَافَ صَابِغٍ عَادِيٍّ ، مِنْ صُبَّاغِ الْأَحْذِيَةِ ، بِزَوْجَةِ رَجُلٍ كَبِيرٍ حَسَبَ رُتْبَةِ الدُّنْيَا ، عَارِيَةِ السَّاقَيْنِ ، الْتِفَافاً فِعْلِيّاً ، أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاسِ ، نَهَاراً ، فِي السُّوقِ ، فِي مَرْكَزِ عَاصِمَةِ الْحُكُومَةِ ، عَلٰى مَا سَمِعْتُ ؛ يَضْرِبُ صَفْعَةً ، عَلٰى وُجُوهِ الْمُعَارِضِينَ لِلتَّسَتُّرِ ، تِلْكَ الْوُجُوهِ الْمَاجِنَةِ . .

اَلْحِكْمَةُ الثَّانِيَةُ :

أَنَّ الْمُنَاسَبَةَ وَالْمَحَبَّةَ ، وَالْعَلاقَةَ الشَّدِيدَةَ الْأَسَاسِيَّةَ ، بَيْنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ ، لا تَنْشَأُ عَنِ احْتِيَاجِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَطْ . نَعَمْ : إِنَّ الزَّوْجَةَ لَيْسَتْ رَفِيقَةَ حَيَاةِ زَوْجِهَا ، رِفَاقَةً مَخْصُوصَةً بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحْدَهَا ؛ بَلْ إِنَّهَا رَفِيقَتُهُ فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ أَيْضاً ؛ فَإِذَا كَانَتْ رَفِيقَتَهُ فِيهَا أَيْضاً ؛ فَلا بُدَّ أَنْ لا تَجْذِبَ أَنْظَارَ الْآخَرِينَ ، إِلٰى مَحَاسِنِهَا ، مَا عَدَا نَظَرَ زَوْجِهَا الَّذِي هُوَ خَلِيلُهَا وَرَفِيقُهَا الْأَبَدِيُّ ؛ وَأَنْ لا تُسْخِطَهُ وَلا تُغِيرَهُ عَلَيْهَا ؛ وَإِذَا كَانَتْ عَلاقَةُ زَوْجِهَا الْمُؤْمِنِ ، بِهَا ، لَيْسَتْ مَحَبَّةً حَيَوَانِيَّةً مُؤَقَّتَةً ، مَخْصُوصَةً بِعَهْدِ الْجَمَالِ فَقَطْ ؛ وَلا مُنْحَصِرَةً عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحْدَهَا ؛ بَلْ إِنَّهُ ذُو عَلاقَةٍ بِهَا ، بِاحْتِرَامٍ أَسَاسِيٍّ ، وَمَحَبَّةٍ جِدِّيَّةٍ ، فِي جِهَةِ كَوْنِهَا رَفِيقَةَ حَيَاةٍ لَهُ ، فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ أَيْضاً ، بِنَاءً عَلٰى سِرِّ الْإِيمَانِ ؛ وَكَذَا أَنَّهُ لا يَحْمِلُ ذٰلِكَ الِاحْتِرَامَ وَالْمَحَبَّةَ الْجِدِّيَّةَ ، فِي عَهْدِ الشَّبَابِ وَالْجَمَالِ وَحْدَهُ ، بَلْ فِي وَقْتِ الشَّيْبِ وَالْقُبْحِ أَيْضاً ؛ فَإِذاً إِنَّ مِنْ مُقْتَضَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، أَنْ تَحْصُرَ هِيَ ، مَحَبَّتَهَا عَلَيْهِ ؛ وَأَنْ

تُخَصِّصَ مَحَاسِنَهَا بِنَظَرِهِ أَيْضاً ، إِزَاءَ ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ وَإِلّا ؛ تَظْفَرُ قَلِيلاً ؛ وَلٰكِنْ تَفْقِدُ كَثِيراً . وَيَلْزَمُ فِي الشَّرْعِ ، أَنْ يَكُونَ الزَّوْجُ ، كُفُؤاً لِلزَّوْجَةِ ؛ بِأَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا ، مُنَاسِباً بِالْآخَرِ ؛ وَأَهَمُّ هٰذَا الْكَفَاءِ وَالتَّكَافُؤِ ، أَنْ يَكُونَ فِي جِهَةِ الدِّيَانَةِ . .

فَطُوبَى لِذٰلِكَ الزَّوْجِ الَّذِي يَنْظُرُ إِلٰى دِيَانَةِ زَوْجَتِهِ ؛ فَيُقَلِّدُهَا وَيُصْبِحُ مُتَدَيِّناً ؛ لِئَلّا يَفْقِدَ رَفِيقَتَهُ فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ أَيْضاً . وَالسَّعِيدَةُ ، هِيَ الزَّوْجَةُ الَّتِي تَنْظُرُ إِلٰى دِيَانَةِ زَوْجِهَا ؛ فَتَدْخُلُ فِي التَّقْوٰى ؛ لِئَلّا تَفْقِدَ رَفِيقَهَا الْأَبَدِيَّ ؛ وَوَيْلٌ لِذٰلِكَ الزَّوْجِ الَّذِي يَخُوضُ السَّفَهَ الَّذِي يُفْقِدُ أَبَدِيّاً ، زَوْجَتَهُ الصَّالِحَةَ ؛ وَأَيَّةُ شَقِيَّةٍ ، تِلْكَ الزَّوْجَةُ الَّتِي لَا تُقَلِّدُ زَوْجَهَا الْمُتَّقِيَ ؛ فَتَفْقِدُ رَفِيقَهَا الْأَبَدِيَّ الْمُبَارَكَ ذَاكَ ؛ وَآلَافُ وَيْلٍ لِذَيْنِكَ الزَّوْجَيْنِ الشَّقِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ يُقَلِّدُ كُلٌّ مِنْهُمَا ، فِسْقَ الْآخَرِ وَسَفَهَهُ ؛ وَيُعِينُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، فِي إِلْقَائِهِ النَّارَ . .

اَلْحِكْمَةُ الثَّالِثَةُ :

أَنَّ سَعَادَةَ حَيَاةِ أُسْرَةٍ مَّا ، تَدُومُ بِمَحَبَّةٍ خَالِصَةٍ ، وَاحْتِرَامٍ صَمِيمٍ ، وَبِأَمْنٍ مُتَقَابَلٍ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ ؛ وَأَنَّ التَّبَرُّجَ وَالْعُرْيَةَ وَرَفْعَ التَّسَتُّرِ ، تَنْقُضُ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ وَالِاحْتِرَامَ الْمُتَقَابَلَ ؛ وَتُفْسِدُ ذٰلِكَ الْأَمْنَ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّهُ لَا تُوجَدُ مِنْ عَشْرِ نِسَاءٍ دَخَلْنَ فِي شَكْلِ الْعُرْيَةِ ، إِلّا وَاحِدَةٌ لَا تَسْعٰى لِتَحَبُّبِهَا إِلَى الْأَجْنَبِيِّ ؛ حَيْثُ لَا تَرٰى أَحْسَنَ مِنْ زَوْجِهَا ؛ وَإِنَّ تِسْعاً مِنْهُنَّ يَجِدْنَ أَوْلٰى مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ ؛ وَإِنَّ وَاحِداً مِنَ الْعِشْرِينَ ، لَا يَرٰى أَجْمَلَ مِنْ زَوْجَتِهِ ؛ فَحِينَئِذٍ يُمْكِنُ أَنْ يُنْتِجَ رَفْعُ التَّسَتُّرِ ، إِيقَاظَ حِسٍّ دَنِيءٍ وَشَنِيعٍ ، مَعَ زَوَالِ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الْخَالِصَةِ ، وَالِاحْتِرَامِ الْمُتَقَابَلِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَحْمِلُ حَسَبَ الْفِطْرَةِ ، حِسّاً شَهَوِيّاً ، إِزَاءَ مَحَارِمِهِ مِثْلِ الْأُخْتِ ؛ لِأَنَّ سِيمَا الْمَحَارِمِ ، تَكْسِرُ الْمُيُولَ النَّفْسِيَّةَ الشَّهْوَانِيَّةَ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُشْعِرُ بِالشَّفَقَةِ وَالْمَحَبَّةِ الْمَشْرُوعَةِ ، فِي جِهَةِ الْمَحْرَمِيَّةِ وَالْقَرَابَةِ ؛ وَلٰكِنَّ كَشْفَ الْأَعْضَاءِ الَّتِي لَا يَجُوزُ كَشْفُهَا شَرْعاً ، لِلْمَحَارِمِ أَيْضاً ، كَالسَّاقِ ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَبَباً لِإِيقَاظِ حِسٍّ

شَنِيعٍ لِلْغَايَةِ ، حَسَبَ النُّفُوسِ الدَّنِيئَةِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ سِيمَا الْمَحْرَمِ ، تُخْبِرُ عَنِ الْمَحْرَمِيَّةِ ؛ وَلَا تُشْبِهُ غَيْرَ الْمَحْرَمِ ؛ وَلٰكِنَّ الْمَحْرَمَ الْمَكْشُوفَةَ السَّاقِ مَثَلاً ، مُتَسَاوِيَةٌ مَعَ غَيْرِ الْمَحْرَمِ ؛ وَلَا تُوجَدُ عَلَامَةٌ فَارِقَةٌ تُخْبِرُ عَنِ الْمَحْرَمِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُمْكِنُ إِيقَاظُ نَظَرٍ شَهَوِيٍّ حَيَوَانِيٍّ ، فِي بَعْضِ سَفَلَةِ الْمَحَارِمِ . وَمِثْلُ هٰذَا النَّظَرِ ، سُقُوطٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ ؛ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ . .

اَلْحِكْمَةُ الرَّابِعَةُ :

أَنَّهُ مَعْلُومٌ : أَنَّ كَثْرَةَ النَّسْلِ ، مَطْلُوبَةٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَلَا يُوجَدُ أَيُّ قَوْمٍ وَحُكُومَةٍ ، لَا تَكُونُ طَالِبَةً لِكَثْرَةِ النَّسْلِ ؛ حَتّٰى إِنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، قَالَ : ﴿تَنَاكَحُوا تَكَاثَرُوا ؛ فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ﴾ ، أَوْ كَمَا قَالَ : أَيْ تَزَوَّجُوا فَتَكَاثَرُوا ؛ فَإِنِّي أَفْتَخِرُ بِكَثْرَتِكُمْ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ مَعَ أَنَّ رَفْعَ التَّسَتُّرِ ، لَا يُكْثِرُ الِازْدِوَاجَ ؛ بَلْ يُقَلِّلُهُ جِدّاً ؛ لِأَنَّ أَسْفَهَ شَابٍّ مُعَاصِرٍ ، يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَةُ حَيَاتِهِ عَفِيفَةً ؛ وَلَا يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُعَاصِرَةً مِثْلَهُ : أَيْ عَارِيَةً مُتَبَرِّجَةً ؛ فَلِذٰلِكَ يَبْقٰى عَزَباً ؛ بَلْ يَسْلُكُ إِلَى الْفُجُورِ ؛ وَلَيْسَتِ الْمَرْأَةُ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّهَا لَا تَأْخُذُ زَوْجَهَا ، تَحْتَ الْحِصَارِ ، بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ مَأْمُورَةٌ بِحِفْظِ كُلِّ أَمْوَالِ زَوْجِهَا ، وَأَوْلَادِهِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ لَهُ ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مُدِيرَةٌ دَاخِلِيَّةٌ ، فِي حَيَاةِ الْأُسْرَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ أُسُّ أَسَاسِ سَجَايَاهَا ، الصَّدَاقَةَ وَالْأَمَانَةَ ؛ وَأَمَّا الْعُرْيَةُ وَالتَّبَرُّجُ ، فَيَنْقُضُ هٰذِهِ الصَّدَاقَةَ ؛ وَيُضِيعُ الْأَمَانَةَ ، فِي نَظَرِ زَوْجِهَا ؛ فَتُعَانِيهِ عَذَاباً وِجْدَانِيّاً ؛ حَتّٰى إِنَّ الْجَسَارَةَ وَالسَّخَاوَةَ اللَّتَيْنِ هُمَا خَصْلَتَانِ طَيِّبَتَانِ فِي الرِّجَالِ ، إِذَا وُجِدَتَا فِي النِّسَاءِ ؛ تَكُونَانِ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ ؛ وَتُعَدَّانِ خَصْلَتَيْنِ خَبِيثَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُمَا تَضُرَّانِ بِهٰذِهِ الصَّدَاقَةِ وَالْأَمَانَةِ ؛ وَلٰكِنَّ زَوْجَهَا ، لَيْسَتْ خِدْمَتُهُ ، الْخِزَانَةَ وَالصَّدَاقَةَ لَهَا ؛ بَلْ هِيَ الْحِمَايَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالِاحْتِرَامُ لَهَا ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يَدْخُلُ ذٰلِكَ الرَّجُلُ ، تَحْتَ حِصَارِ زَوْجَتِهِ ؛ فَلَهُ أَنْ يَنْكِحَ نِسْوَةً أُخْرٰى . .

وَإِنَّ بِلَادَنَا لَا تُقَاسُ عَلٰى أُورُوبَّا ؛ لِأَنَّهُ يُحَافَظُ هُنَاكَ ، بَعْضَ حِفَاظٍ ، عَلَى الْعِفَّةِ بَيْنَ التَّبَرُّجِ وَالْعُرْيَةِ ، بِكَثِيرٍ مِنْ وَسَائِلَ شَدِيدَةٍ ، مِثْلِ الْمُبَارَزَةِ بِالسِّلَاحِ ، إِلَى الْمَيْدَانِ ؛

وَيُسَمّى بِالصِّرَاعِ الْمُسَلَّحِ ؛ فَإِنَّ النَّاظِرَ بِنَظْرَةٍ خَبِيثَةٍ ، إِلٰى زَوْجَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ عِزَّةِ النَّفْسِ ، يُعَلِّقُ كَفَنَهُ بِعُنُقِهِ أَوَّلاً ؛ ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ وَكَذَا أَنَّ الطَّبَائِعَ فِي أُورُوبَّا تِلْكَ الْمَمَالِكِ الْبَارِدَةِ ، بَارِدَةٌ وَجَامِدَةٌ كَتِلْكَ الْبِلَادِ ؛ وَأَمَّا آسِيَا هٰذِهِ ؛ أَيْ قَارَّةُ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ فَهِيَ بِلَادٌ حَارَّةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى أُورُوبَّا ؛ وَمَعْلُومٌ : أَنَّ لِلْمُحِيطِ ، تَأْثِيراً عَلٰى أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِ ؛ فَلَعَلَّ التَّبَرُّجَ وَالْعُرْيَةَ ، لَا تَكُونُ وَسِيلَةً لِكَثْرَةِ الْإِسْرَافِ ، وَسُوءِ الِاسْتِعْمَالِ ، لِتَحْرِيكِ الشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ ، وَلِفَتْحِ الِاشْتِهَاءِ ، فِي أُولٰئِكَ النَّاسِ الْبَارِدَةِ الطَّبَائِعِ ، فِي تِلْكَ الدِّيَارِ الْبَارِدَةِ ؛ وَلٰكِنَّ الْعُرْيَةَ وَالتَّبَرُّجَ الَّذِي يُهَيِّجُ دَائِماً ، الشَّهَوَاتِ النَّفْسِيَّةَ ، فِي أُنَاسٍ مُتَحَسِّسِينَ وَمُتَأَثِّرِينَ سَرِيعاً ، فِي مَمَالِكَ حَارَّةٍ ، يَكُونُ سَبَباً لِسُقُوطِ الْقُوَّةِ ، وَضَعْفِ النَّسْلِ ، وَلِكَثْرَةِ الْإِسْرَافِ ، وَسُوءِ الِاسْتِعْمَالِ ؛ فَيَظُنُّ نَفْسَهُ مُضْطَرَّةً فِي كُلِّ بِضْعَةِ أَيَّامٍ ، إِلٰى إِسْرَافٍ مَّا ، عِوَضاً عَنِ احْتِيَاجٍ فِطْرِيٍّ ، فِي شَهْرٍ أَوْ فِي عِشْرِينَ يَوْماً ؛ فَحِينَئِذٍ يَمِيلُ إِلَى الْفَحْشَاءِ أَيْضاً ؛ إِنْ كَانَ مَغْلُوباً لِنَفْسِهِ ؛ حَيْثُ يُضْطَرُّ إِلٰى الِاعْتِزَالِ عَنِ الزَّوْجَةِ ، بِسَبَبِ عَوَارِضَ مِثْلِ الْحَيْضِ ، مِقْدَارَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً ، فِي كُلِّ شَهْرٍ ..

إِنَّ النِّسَاءَ الْمَدَنِيَّاتِ ، لَيْسَ لَهُنَّ أَنْ يَنْظُرْنَ إِلَى الْقَرَوِيَّاتِ وَالْبَدَوِيَّاتِ ؛ فَيَرْفَعْنَ الْحِجَابَ ؛ فَإِنَّ النِّسَاءَ الشَّغِيلَاتِ الْعَفِيفَاتِ ، الْخَشَانَ بَعْضَ الْخُشُونَةِ ، اللَّاتِي يَجْذِبْنَ قَلِيلاً ، إِمْعَانَ النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَدَنِيَّاتِ ، لَا يَكُونُ كَشْفُهُنَّ الْجُزْئِيُّ ، بِسَبَبِ الْعَمَلِ ، وَتَعَبِ الْبَدَنِ ، وَبِمَشْغَلَةِ بَلَاءِ الْمَعِيشَةِ ، فِي الْقُرٰى وَالْبَوَادِي ، وَسِيلَةً لِتَهْيِيجِ الشَّهَوَاتِ النَّفْسِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّ السُّفَهَاءَ وَالْعَاطِلِينَ ، يُوجَدُونَ قَلِيلاً ، فِي الْقُرٰى وَالْبَوَادِي ؛ فَلَا تُوجَدُ فِيهَا مَفْسَدَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ عَشْرِ مَفَاسِدَ تَكُونُ فِي الْمُدُنِ ؛ فَإِذاً لَا تُقَاسُ الْمَدَنِيَّاتُ ، عَلَى الْقَرَوِيَّاتِ ..

مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ أُخْطِرَتْ فَجْأَةً :

يُفْهَمُ مِنْ رِوَايَاتِ الْأَحَادِيثِ : أَنَّ أَشَدَّ مَا يَلْعَبُ فِي فِتْنَةِ آخِرِ الزَّمَانِ ، لُعْبَةً مُدْهِشَةً ، هِيَ طَائِفَةُ النِّسَاءِ ، وَفِتْنَتُهَا . نَعَمْ : كَمَا أَنَّهُ يُنْقَلُ فِي التَّوَارِيخِ : أَنَّ طَائِفَةً مُجَنَّدَةً مُرَكَّبَةً مِنْ نِسَاءٍ مُحَارِبَاتٍ يُسَمَّيْنَ بِـ «آمَازُونَ» ، حَارَبَتْ حُرُوباً خَارِقَةً ، فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ أَفْزَعَ فِرَقٍ سُلِّمَتْ إِلٰى قِيَادَةِ الشَّيْطَانِ ، بِدَسِيسَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، فِي حَرْبِ ضَلَالَةِ الزَّنْدَقَةِ ، تِجَاهَ الْإِسْلَامِ ، هِيَ النِّسَاءُ الْكَاشِفَاتُ السِّيقَانِ ، وَالْكَاسِيَاتُ الْعَارِيَاتُ ؛ فَيَتَعَرَّضْنَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَيُهَاجِمْنَ عَلَيْهِمْ ، بِسَكَاكِينَ هَائِلَةٍ ، مِنْ سِيقَانِهِنَّ الْمَكْشُوفَةِ ؛ وَيَسْعَيْنَ لِسَدِّ طَرِيقِ النِّكَاحِ ، وَلِتَوْسِيعِ سَبِيلِ الْمَعَاهِرِ ؛ وَيَأْسِرْنَ دَفْعَةً ، نُفُوسَ كَثِيرِينَ ؛ وَيَجْرَحْنَ قُلُوبَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ بِالْكَبَائِرِ ؛ بَلْ يَقْتُلْنَ بَعْضاً مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ ؛ وَتُصْبِحُ تِلْكَ السِّيقَانُ ذَوَاتُ السَّكَاكِينِ ، حَطَبَ جَهَنَّمَ ؛ فَتَحْتَرِقُ أَوَّلاً ، تِلْكَ السِّيقَانُ ، جَزَاءَ عَرْضِهَا عَلٰى شَهَوَاتِ غَيْرِ الْمَحَارِمِ ، بِضْعَ سِنِينَ ، جَزَاءً كَامِلاً ؛ وَإِنَّهَا لِإِضَاعَتِهَا الصَّدَاقَةَ وَالْأَمَانَةَ فِي الدُّنْيَا ، لَا تَجِدُ زَوْجاً مُنَاسِباً ؛ تَطْلُبُهُ خِلْقَةً ؛ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِطْرَةً ؛ وَإِذَا وَجَدَتْهُ ، تَجِدُهُ بَلَاءً نَازِلاً عَلَيْهَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُنَّ يُصْبِحْنَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ الْأَخِيرِ ، بِدُونِ قِيمَةٍ وَاهْتِمَامٍ ، وَبِلَا صَاحِبٍ ، بِحَيْثُ يَمْلِكُ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، أَرْبَعِينَ امْرَأَةً ؛ وَذٰلِكَ مِنْ عَدَمِ الرَّغْبَةِ فِي النِّكَاحِ ، نَتِيجَةً لِهٰذَا الْحَالِ ؛ هٰكَذَا يُفْهَمُ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ . .

فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ هٰذِهِ ؛ وَكَانَتْ كُلُّ جَمِيلَةٍ ؛ تُحِبُّ جَمَالَهَا ؛ وَتُرِيدُ حِفْظَهُ بِقَدَرِ الْإِمْكَانِ ؛ وَلَا تَطْلُبُ فَنَاءَهُ ؛ وَكَانَ الْجَمَالُ ، نِعْمَةً تَزْدَادُ مَعْنًى ؛ إِذَا شُكِرَ عَلَيْهَا ؛ وَتَتَغَيَّرُ وَتَقْبُحُ ؛ إِذَا لَمْ يُشْكَرْ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهَا ، إِنْ كَانَ لَهَا عَقْلٌ ؛ تَفِرُّ الْبَتَّةَ ، بِكُلِّ قُوَّتِهَا ، عَنْ تَبْدِيلِ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، إِلٰى صُورَةٍ تَكُونُ سَبَباً لِلْعَذَابِ ، بِكُفْرَانِ تِلْكَ النِّعْمَةِ ، وَعَنْ تَقْبِيحِهِ وَتَسْمِيمِهِ ، وَعَنْ كَسْبِ الْمَعَاصِي ، وَاكْتِسَابِهَا بِهِ ؛ وَتَشْكُرُ عَلٰى تِلْكَ النِّعْمَةِ ، بِاسْتِعْمَالِهَا عَلٰى وَجْهٍ مَشْرُوعٍ ، لِإِبْقَاءِ ذٰلِكَ الْجَمَالِ الْفَانِي الْمُؤَقَّتِ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ أَوْ

عَشَرَةً . وَإِلَّا ؛ تَبْقٰى عُرْضَةً لِلاسْتِثْقَالِ ؛ وَتَبْكِي آيِسَةً فِي الشَّيْبِ ، زَمَناً مَدِيداً ؛ وَتَرٰى تِلْكَ السِّيقَانَ الَّتِي كَسَبَتْ وَاكْتَسَبَتْ ذُنُوباً كَثِيرَةً ، عَلٰى صُورَةِ الْحَيَّاتِ ، فِي الْقَبْرِ ؛ وَتُقَاسِي فِي جَهَنَّمَ ، عَذَابَ احْتِرَاقِ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ قَبِيحَةً . .

وَإِنْ زُيِّنَ ذٰلِكَ الْجَمَالُ ، بِزِينَةِ آدَابِ الْقُرْآنِ ، فِي دَائِرَةِ تَرْبِيَةِ الْإِسْلَامِ ؛ يُصْبِحُ ذٰلِكَ الْجَمَالُ الْفَانِي ، جَمَالاً بَاقِياً مَعْنًى ؛ وَيُوهَبُ لَهَا فِي الْجَنَّةِ ، عَلٰى وَجْهٍ أَحْلٰى وَأَجْلٰى مِنْ جَمَالِ الْحُورِ ؛ وَذٰلِكَ ثَابِتٌ قَطْعاً فِي الْحَدِيثِ ؛ وَإِنْ كَانَ لِتِلْكَ الْجَمِيلَةِ عَقْلٌ ؛ فَإِنَّهَا لَا تُفَوِّتُ مِنْ يَدِهَا ، هٰذِهِ النَّتِيجَةَ الْجَمِيلَةَ الْمُشْرِقَةَ الْأَبَدِيَّةَ . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

﴿ مُحَاوَرَةٌ مَعَ أَخَوَاتِيَ الْأُخْرَوِيَّاتِ ، مِنْ طَائِفَةِ النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ : ﴾

إِنِّي لَمَّا جِئْتُ مَرَّةً ثَالِثَةً ، إِلٰى وِلَايَةِ «إِسْپَارْطَةَ» الْمُبَارَكَةِ ، وَ«الْمَدْرَسَةِ الزَّهْرَاءِ» الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَقَدْ كُنْتُ أَرٰى مِنْ طَائِفَةِ النِّسَاءِ ، فِي بَعْضِ الْوِلَايَاتِ ، عَلَاقَتَهُنَّ بِوَجْهٍ صَمِيمٍ حَارٍّ ، إِزَاءَ الْأَنْوَارِ ؛ وَعَلِمْتُ اعْتِمَادَهُنَّ عَلٰى دُرُوسِيَ الْعَائِدَةِ إِلَى الْأَنْوَارِ ، اعْتِمَاداً أَزْيَدَ مِنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ؛ سَمِعْتُ أَنَّ تِلْكَ الطَّائِفَةَ مِنْ أَخَوَاتِيَ الْأُخْرَوِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ ، تَنْتَظِرُ مِنِّي دَرْساً ؛ كَأَنَّهُ يَكُونُ لَهُنَّ ، دَرْسٌ مِنْ جَانِبِي ، فِي الْمَسَاجِدِ ، عَلٰى صُورَةِ الْوَعْظِ ؛ مَعَ أَنَّنِي مَرِيضٌ بِأَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَرَضِ ، وَمُخْتَلُّ الْحَالِ ؛ حَتّٰى إِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّكَلُّمِ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ ، فَقَدْ سَنَحَ بِقَلْبِي ، هٰذِهِ اللَّيْلَةَ ، بِإِخْطَارٍ شَدِيدٍ : «أَنَّكَ كَتَبْتَ لِلشُّبَّانِ ، (دَلِيلَ الشَّبِيبَةِ) ، بِاقْتِرَاحِهِمْ قَبْلَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً ؛ وَاسْتُفِيدَ مِنْهُ كَثِيراً ؛ مَعَ أَنَّ طَائِفَةَ النِّسَاءِ ، تَحْتَاجُ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، إِلٰى دَلِيلٍ كَذٰلِكَ ، أَزْيَدَ مِنَ الشُّبَّانِ» ؛ فَأُبَيِّنُ لِتِلْكَ الْأَخَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ ، وَلِأَوْلَادِيَ الْمَعْنَوِيَّاتِ الْفَتَيَاتِ ، تِجَاهَ هٰذَا الْإِخْطَارِ ، بَعْضَ مَسَائِلَ لَازِمَةٍ ، بِثَلَاثِ نِكَاتٍ ، فِي غَايَةِ الِاخْتِصَارِ ، مَعَ عَجْزِي وَضَعْفِي ، وَاخْتِلَالِ حَالِي لِلْغَايَةِ . .

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : أَنَّ أَهَمَّ أَسَاسٍ مِنْ أُسُسِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، هُوَ الشَّفَقَةُ ؛ فَلِذٰلِكَ تَكُونُ لِطَائِفَةِ النِّسَاءِ ، عَلاَقَةٌ فِطْرِيَّةٌ بِـ«رِسَالَةِ النُّورِ» ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُنَّ أَبْطَالُ الشَّفَقَةِ ؛ وَتُحَسُّ هٰذِهِ الْعَلاَقَةُ الْفِطْرِيَّةُ ، فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ وَإِنَّ هٰذَا الْفِدَاءَ الْمَوْجُودَ فِي الشَّفَقَةِ ، يُفِيدُ إِخْلاَصاً حَقِيقِيّاً ، وَمَعْنَى فِدَاءٍ بِدُونِ عِوَضٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يَكُونُ لَهُ اهْتِمَامٌ كَبِيرٌ ، الْآنَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ . نَعَمْ : إِنَّ فِدَاءَ وَالِدَةٍ بِرُوحِهَا ، بِدُونِ طَلَبِ أَجْرٍ ، لِإِنْقَاذِ وَلَدِهَا مِنَ الْخَطَرِ ، وَتَضْحِيَتَهَا بِنَفْسِهَا لِأَوْلاَدِهَا ، بِإِخْلاَصٍ حَقِيقِيٍّ ، بِاعْتِبَارِ خِدْمَتِهَا الْفِطْرِيَّةِ ، يَدُلاَّنِ عَلٰى أَنَّ فِي النِّسَاءِ ، بُطُولَةً عَالِيَةً لِلْغَايَةِ ؛ فَيُمْكِنُ بِانْكِشَافِ هٰذِهِ الْبُطُولَةِ ، أَنْ تُنْقِذَ حَيَاةَ أَوْلاَدِهَا الْأَبَدِيَّةَ ، وَحَيَاتَهَا الدُّنْيَوِيَّةَ ؛ وَلٰكِنَّ تِلْكَ السَّجِيَّةَ الْقَوِيَّةَ الْقَيِّمَةَ ، لاَ تَنْكَشِفُ ؛ أَوْ تُسْتَعْمَلُ سَيِّئاً ، بِبَعْضِ تَيَّارَاتٍ خَبِيثَةٍ . . وَمِنْ مِئَاتِ أَمْثِلَتِهَا : أَنَّ تِلْكَ الْوَالِدَةَ الْمُشْفِقَةَ ، تَتَّخِذُ كُلَّ فِدَاءٍ ، نُصْبَ عَيْنِهَا ؛ كَيْلاَ يَقَعَ وَلَدُهَا فِي الْخَطَرِ ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ وَلِيَسْتَفِيدَ وَيَجِدَ الْفَائِدَةَ مِنْهَا ؛ فَتُرَبِّيهِ كَذٰلِكَ ؛ وَتَقُولُ : «فَلْيَصِرِ ابْنِي سُلْطَاناً» ؛ فَتَأْخُذُهُ عَنْ مَدْرَسَةِ الْحُفَّاظِ ؛ وَتُرْسِلُهُ إِلٰى أُورُوبَّا ؛ فَتُعْطِي جَمِيعَ أَمْوَالِهَا ؛ وَلٰكِنَّهَا لاَ تَتَصَوَّرُ وُقُوعَ حَيَاةِ ذٰلِكَ الْوَلَدِ ، الْأَبَدِيَّةِ ، فِي الْخَطَرِ ؛ وَإِنَّهَا تَسْعٰى لِإِنْقَاذِهِ عَنْ حَبْسِ الدُّنْيَا ؛ وَلاَ تَنْظُرُ إِلٰى وُقُوعِهِ فِي سِجْنِ جَهَنَّمَ ؛ وَتَجْعَلُ ذٰلِكَ الْوَلَدَ الْمَعْصُومَ ، مُدَّعِياً عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ ؛ وَكَانَ اللاَّزِمُ ، أَنْ يَكُونَ شَفِيعاً لَهَا ؛ وَذٰلِكَ مُضَادٌّ لِلشَّفَقَةِ الْفِطْرِيَّةِ تَمَاماً ؛ وَسَيَشْتَكِي ذٰلِكَ الْوَلَدُ ، قَائِلاً : «فَلِمَاذَا كُنْتِ سَبَباً لِهَلاَكِي هٰذَا ، حَيْثُ لَمْ تُقَوِّي إِيمَانِي» ؛ وَإِنَّهُ لاَ يُقَابِلُ حَقَّ شَفَقَةِ وَالِدَتِهِ ، الْخَارِقَةِ ، بِلاَئِقِهِ ؛ بَلْ يُقَصِّرُ فِي حَقِّهَا ، فِي الدُّنْيَا كَثِيراً ؛ حَيْثُ لَمْ يَتَلَقَّ تَرْبِيَةً إِسْلاَمِيَّةً . . وَإِنْ لَمْ تَسْتَعْمِلْ شَفَقَتَهَا الْحَقِيقِيَّةَ ، سَيِّئَةً ؛ وَعَمِلَتْ بِسِرِّ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ، لِإِنْقَاذِ وَلَدِهَا الْبَائِسِ عَنْ جَهَنَّمَ ، ذٰلِكَ السِّجْنِ الْمُؤَبَّدِ ، وَعَنِ الْمَوْتِ فِي الضَّلاَلِ ، ذٰلِكَ الْإِعْدَامِ الْأَبَدِيِّ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْوَلَدَ ، سَيُوصِلُ الْأَنْوَارَ ، إِلٰى رُوحِ وَالِدَتِهِ ، بِحَسَنَاتِهِ كُلَّ وَقْتٍ ، مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ؛ لِأَنَّ مِثْلَ ثَوَابِ جَمِيعِ الْحَسَنَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الْوَلَدُ ، يَقَعُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِ وَالِدَتِهِ ؛ كَمَا سَيَكُونُ ذٰلِكَ الْوَلَدُ ، شَفِيعاً لَهَا ، بِرُوحِهِ وَحَيَاتِهِ ، لاَ مُدَّعِياً عَلَيْهَا ، فِي الْآخِرَةِ ؛ وَيُصْبِحُ وَلَداً مُبَارَكاً لَهَا ،

فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ أَوَّلَ أُسْتَاذٍ لِلْإِنْسَانِ ، وَأَزْيَدَ مُعَلِّمٍ تَأْثِيراً لَهُ ، هُوَ وَالِدَتُهُ ؛ وَإِنِّي أُبَيِّنُ بِهٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ ، هٰذَا الْمَعْنَى الَّذِي شَعَرْتُ بِهِ ، فِي نَفْسِي قَطْعاً ؛ وَأُحِسُّهُ دَائِماً ؛ وَهُوَ : أَنِّي أُقْسِمُ أَنَّ الدَّرْسَ الْأَصْلِيَّ الَّذِي لَا يَتَزَلْزَلُ ؛ وَكَأَنَّهُ يُجَدِّدُ لِي ، دَرْسَهُ كُلَّ وَقْتٍ ، هُوَ مَا تَلَقَّيْتُهُ عَنْ وَالِدَتِي الْمَرْحُومَةِ ، مِنْ تَلْقِينَاتٍ وَدُرُوسٍ مَعْنَوِيَّةٍ ؛ مَعَ أَنِّي تَلَقَّيْتُ الدَّرْسَ ، مِنْ ثَمَانِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، فِي ثَمَانِينَ عَاماً ، مِنْ عُمُرِي هٰذَا ؛ فَتِلْكَ الدُّرُوسُ الَّتِي أَخَذْتُهَا عَنْ أُمِّي ، قَدْ تَمَكَّنَتْ فِي فِطْرَتِي ؛ بَلْ أَصْبَحَتْ مِثْلَ النَّوٰى ، فِي وُجُودِيَ الْمَادِّيِّ ؛ فَأَرٰى أَنَّ سَائِرَ دُرُوسِي ، يُبْنٰى عَلٰى تِلْكَ الدُّرُوسِ نَفْسِهَا . فَإِذاً إِنَّ دَرْسَ وَالِدَتِي الْمَرْحُومَةِ ، وَتَلْقِينَهَا لِفِطْرَتِي وَرُوحِي ، فِي السِّنِّ الْوَاحِدَةِ مِنْ عُمْرِي ، أُشَاهِدُهَا بُذُوراً أَسَاسِيَّةً ، بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْعَظِيمَةِ ، الَّتِي أَرَاهَا الْآنَ ، فِي هٰذِهِ السِّنِّ الثَّمَانِينَ ، مِنْ عُمْرِي . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الشَّفَقَةَ الَّتِي هِيَ أَهَمُّ أَسَاسٍ مِنَ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ ، لِمَسْلَكِي وَمَشْرَبِي ؛ وَالرِّقَّةَ وَالرَّحْمَةَ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ حَقِيقَةٍ مِنْ حَقَائِقِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، أَرٰى يَقِيناً : أَنِّي أَخَذْتُهَا عَنْ شَفَقَةِ وَالِدَتِيَ الْمُشْفِقَةِ ، وَعَنْ أَحْوَالِهَا وَدُرُوسِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ شَفَقَةَ الْوَالِدَةِ ، الْمُتَضَمِّنَةَ لِفِدَاءٍ وَإِخْلَاصٍ حَقِيقِيَّيْنِ ، تُسْتَعْمَلُ سَيِّئَةً ؛ فَلَا تَتَصَوَّرُ آخِرَةَ وَلَدِهَا الْمَعْصُومِ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ خَزِينَةِ الْجَوَاهِرِ ؛ وَتَصْرِفُ وَجْهَ ذٰلِكَ الْوَلَدِ الْمَعْصُومِ ، إِلَى الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ الزُّجَاجَاتِ الْفَانِيَةِ الْمُؤَقَّتَةِ . فَإِظْهَارُ الشَّفَقَةِ لَهُ ، بِهٰذَا الْوَجْهِ ، سُوءُ اسْتِعْمَالٍ لَهَا . نَعَمْ : إِنَّ صَوْلَةَ دَجَاجَةٍ حَامِلَةٍ لِمِثَالٍ صَغِيرٍ مِنْ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ، عَلَى الْأَسَدِ ، وَفِدَاءَهَا بِرُوحِهَا ، لِإِنْقَاذِ فَرْخِهَا عَنْهُ ، تَدُلُّ عَلٰى بُطُولَةِ النِّسَاءِ هٰذِهِ ، بِجِهَةِ الشَّفَقَةِ ، حَيْثُ يَفْدِينَ بِأَرْوَاحِهِنَّ ، مِنْ غَيْرِ طَلَبِ أَجْرٍ وَعِوَضٍ أَصْلاً ، وَبِدُونِ فَائِدَةٍ ذَاتِيَّةٍ ، وَمَعْنٰى رِيَاءٍ قَطْعاً . .

وَالْآنَ ، إِنَّ الْأَسَاسَ الْأَهَمَّ وَالْأَلْزَمَ ، لِتَرْبِيَةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَعْمَالِ الْآخِرَةِ ، هُوَ الْإِخْلَاصُ ؛ وَيُوجَدُ ذٰلِكَ الْإِخْلَاصُ الْحَقِيقِيُّ ، فِي هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْبُطُولَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الشَّفَقَةِ ؛ فَإِنْ شَرَعَتْ هَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ ، بِالْإِنْكِشَافِ فِي تِلْكَ الطَّائِفَةِ الْمُبَارَكَةِ ؛

تَكُونَانِ وَسِيلَةً لِسَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ ، فِي دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ ؛ مَعَ أَنَّ بُطُولَةَ الرِّجَالِ ، لَا تَكُونُ بِدُونِ عِوَضٍ ؛ بَلْ تَقْتَضِي الْمُقَابَلَةَ بِمِئَةِ جِهَاتٍ ؛ فَلَا أَقَلَّ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْفَخْرَ وَالشَّرَفَ ؛ وَلٰكِنَّ طَائِفَةَ النِّسَاءِ الْمُبَارَكَةَ الْبَائِسَةَ ، تَدْخُلُ فِي الرِّيَاءِ ، بِوَجْهٍ آخَرَ ، وَعَلٰى شَكْلٍ آخَرَ ، يَنْشَأُ عَنِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ ؛ وَذٰلِكَ لِلْخَلَاصِ عَنْ شَرِّ الْأَزْوَاجِ الظَّالِمِينَ ، وَعَنْ تَحَكُّمِهِمْ ، مَعَ الْأَسَفِ . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : أَنِّي كُنْتُ هٰذِهِ السَّنَةَ فِي الْعُزْلَةِ ؛ وَتَجَنَّبْتُ عَنِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَنَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، لِأَجْلِ بَعْضِ إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِيَ النُّورِيِّينَ ؛ فَسَمِعْتُ الشَّكَايَا ، عَنْ أَكْثَرِ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ بِي ، مِنْ حَيَاتِهِمُ الْعَائِلِيَّةِ ؛ فَتَأَسَّفْتُ وَقُلْتُ : إِنَّ دُنْيَا صَغِيرَةً لِلْإِنْسَانِ ، وَلَاسِيَّمَا لِلْمُسْلِمِ ، وَنَوْعاً مِنْ جَنَّتِهِ ، وَمَا يَتَحَصَّنُ فِيهِ ، هِيَ حَيَاتُهُ الْعَائِلِيَّةُ ؛ أَوَ شَرَعَتْ هٰذِهِ الْحَيَاةُ أَيْضاً ، بِالْفَسَادِ ؟ . فَتَحَرَّيْتُ سَبَبَهُ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ ، كَمَا أَنَّ جَمْعِيَّةً أَوْ جَمْعِيَّتَيْنِ ، كَانَتَا تَعْمَلَانِ لِإِضْلَالِ الشُّبَّانِ ، وَسَوْقِهِمْ إِلَى السَّفَهِ ، بِشَهَوَاتِ الشَّبِيبَةِ ، وَلِلْإِضْرَارِ بِحَيَاةِ مُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِ ، وَلِإِضْرَارِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالتَّالِي ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنِّي شَعَرْتُ أَنَّ بَعْضَ جَمْعِيَّاتٍ ، تَعْمَلُ تَحْتَ الْغِطَاءِ ، بِوَجْهٍ مُؤَثِّرٍ ، لِسَوْقِ الْقِسْمِ الْغَافِلِ ، مِنْ طَائِفَةِ النِّسَاءِ الْبَائِسَةِ ، إِلَى الطُّرُقِ الْخَاطِئَةِ أَيْضاً ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ ضَرْبَةً هَائِلَةً ، تَأْتِي عَنْ تِلْكَ الْجِهَةِ ، عَلٰى هٰذَا الشَّعْبِ الْمُسْلِمِ . .

وَإِنِّي لَأُبَيِّنُ لَكُنَّ أَنْتُنَّ أَخَوَاتِي ، وَأَوْلَادِيَ الْمَعْنَوِيَّةَ مِنْ فَتَيَاتِكُنَّ : أَنَّ الْوَسِيلَةَ الْوَحِيدَةَ لِإِنْقَاذِ سَعَادَةِ دُنْيَا النِّسَاءِ ، كَسَعَادَةِ آخِرَتِهِنَّ ، وَلِإِنْقَاذِ سَجَايَاهُنَّ الْعَالِيَةِ ، فِي فِطْرَتِهِنَّ ، عَنِ الْفَسَادِ ، لَيْسَتْ إِلَّا تَرْبِيَةَ الدِّينِ ، فِي دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ . . وَإِنَّكُنَّ لَتَسْمَعْنَ أَنَّ تِلْكَ الطَّائِفَةَ الْبَائِسَةَ ، دَخَلَتْ أَيَّ حَالٍ ، فِي رُوسِيَا . .

وَقَدْ قِيلَ فِي جُزْءٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» : إِنَّ زَوْجاً عَاقِلاً ، لَا يَبْنِي مَحَبَّتَهُ وَمَوَدَّتَهُ لِرَفِيقَتِهِ ، عَلٰى حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا الظَّاهِرِ الْفَانِي ، فِي خَمْسِ سِنِينَ أَوْ عَشْرِ سِنِينَ ؛ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ مَحَبَّتَهُ ، عَلٰى شَفَقَتِهَا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مَحَاسِنِ النِّسَاءِ ، وَأَدْوَمُ جَمَالِهِنَّ ، وَعَلٰى حُسْنِ

سِيرَتِهَا الْخَاصَّةِ بِالْمَرْأَةِ ؛ كَيْ تَدُومَ مَحَبَّةُ زَوْجِهَا لَهَا ؛ كُلَّمَا شَابَتْ تِلْكَ الْبَائِسَةُ ؛ لِأَنَّ رَفِيقَتَهُ لَيْسَتْ رَفِيقَةً مُؤَقَّتَةً مُعِينَةً لَهُ ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَطْ ؛ بَلْ هِيَ رَفِيقَةٌ دَائِمَةٌ مَحْبُوبَةٌ إِلَيْهِ ، فِي حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَحَابَّا بِأَزْيَدِ مَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ ؛ كُلَّمَا شَابَا . وَإِنَّ تِلْكَ الْحَيَاةَ الْعَائِلِيَّةَ الْمُعَرَّضَةَ لِفِرَاقٍ أَبَدِيٍّ ، بَعْدَ رِفَاقَةٍ مُؤَقَّتَةٍ حَيَوَانِيَّةٍ ، تَحْتَ غِطَاءِ تَرْبِيَةِ الْحَضَارَةِ الْحَاضِرَةِ ، تُفْسِدُ تِلْكَ الْحَيَاةَ مِنْ أَسَاسِهَا . .

وَكَذَا قِيلَ فِي جُزْءٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» : إِنَّ السَّعِيدَ ، هُوَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يُقَلِّدُ زَوْجَتَهُ الصَّالِحَةَ ؛ فَيَصِيرُ هُوَ أَيْضاً صَالِحاً ؛ لِئَلَّا يَفْقِدَ رَفِيقَتَهُ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَإِنَّ السَّعِيدَةَ ، هِيَ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَرٰى زَوْجَهَا مُتَدَيِّناً ؛ فَتُصْبِحُ هِيَ مُتَدَيِّنَةً تَامَّةً أَيْضاً ؛ لِئَلَّا تُضِيعَ خَلِيلَهَا وَرَفِيقَهَا الْأَبَدِيَّ ؛ فَتَفُوزُ بِسَعَادَتِهَا الْأُخْرٰى ، فِي ضِمْنِ سَعَادَتِهَا الدُّنْيَا . وَإِنَّ الشَّقِيَّ ، هُوَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يُقَلِّدُ زَوْجَتَهُ الَّتِي دَخَلَتْ فِي السَّفَهِ ؛ وَلَا يَعْمَلُ لِاتِّقَائِهَا عَنْهُ ؛ فَيُشَارِكُهَا أَيْضاً . وَإِنَّ الشَّقِيَّةَ ، هِيَ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَنْظُرُ إِلٰى فِسْقِ زَوْجِهَا ؛ فَتُقَلِّدُهُ بِصُورَةٍ أُخْرٰى . . فَوَيْلٌ لِذَيْنِكَ الزَّوْجَيْنِ اللَّذَيْنِ يُعِينُ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ، فِي إِلْقَائِهِ فِي النَّارِ : أَيْ يُشَوِّقُ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ، إِلٰى زَخَارِفِ الْحَضَارَةِ . .

فَمَعْنٰى جُمَلِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، الَّتِي تَكُونُ بِهٰذَا الْمَآلِ ، هُوَ : أَنَّ سَبَبَ انْكِشَافِ حَيَاةِ الْأُسْرَةِ ، وَسَعَادَتِهَا الدُّنْيَا وَالْأُخْرٰى ، وَانْكِشَافِ السَّجَايَا السَّامِيَةِ فِي النِّسَاءِ ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، إِنَّمَا يَكُونُ بِالْآدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فِي دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ فَقَطْ ؛ وَإِنَّ الْجِهَةَ الْمُهِمَّةَ فِي حَيَاةِ الْعَائِلَةِ الْآنَ ، هِيَ : أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا رَأَتْ فِي زَوْجِهَا ، سُوءًا وَخِيَانَةً ؛ تُفْسِدُ هِيَ أَيْضاً ، لِمُعَانَدَةِ زَوْجِهَا ، الصَّدَاقَةَ وَالْأَمَانَةَ الَّتِي هِيَ مِهْنَتُهَا الْعَائِلِيَّةُ ؛ فَيَفْسُدُ مَصْنَعُ تِلْكَ الْحَيَاةِ الْعَائِلِيَّةِ ، مِنْ أَسَاسِهِ ، كَفَسَادِ إِطَاعَةِ الْجَيْشِ ؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَسْعٰى تِلْكَ الْمَرْأَةُ ، لِإِصْلَاحِ فَسَادِ زَوْجِهَا ، بِقَدَرِ الْإِمْكَانِ ؛ لِتُنْقِذَ رَفِيقَهَا الْأَبَدِيَّ . وَإِلَّا ؛ فَإِنْ سَعَتْ هِيَ أَيْضاً ، لِعَرْضِ نَفْسِهَا عَلَى الْآخَرِينَ ، وَلِتَحَبُّبِهَا إِلَيْهِمْ ، بِالْعُرْيَةِ وَالتَّبَرُّجِ ؛ فَإِنَّهَا تَخْسَرُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ ؛ لِأَنَّ الزَّوْجَةَ الَّتِي تَتْرُكُ الصَّدَاقَةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، تَرٰى جَزَاءَهَا فِي الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ ذٰلِكَ : لِأَنَّ فِطْرَتَهَا

تَخَافُ وَتَشْمَئِزُّ عَنْ نَظَرِ الْأَجَانِبِ ؛ وَتَجْتَنِبُ عَنْهُمْ ؛ وَتَسْتَثْقِلُ نَظَرَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، مِنْ عِشْرِينَ رَجُلاً غَيْرَ مَحْرَمٍ . وَأَمَّا الرَّجُلُ ، فَإِنَّمَا يَسْتَثْقِلُ وَاحِدَةً ؛ وَيَحْتَرِزُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا ، مِنْ مِئَةِ امْرَأَةٍ غَيْرِ مَحْرَمَةٍ . فَالْمَرْأَةُ تُقَاسِي الْعَذَابَ ، مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ ؛ كَمَا تَدْخُلُ تَحْتَ تُهْمَةِ الْخِيَانَةِ ؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْفَظَ حُقُوقَهَا ، مَعَ ضَعْفِهَا . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ النِّسَاءَ لَا يُشْبِهْنَ الرِّجَالَ ، فِي الْبُطُولَةِ وَالْإِخْلَاصِ ، بِاعْتِبَارِ الشَّفَقَةِ ؛ كَمَا أَنَّ الرِّجَالَ لَا يُدْرِكُونَهُنَّ فِي تِلْكَ الْبُطُولَةِ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ أُولَائِكَ النِّسَاءَ الْمَعْصُومَاتِ ، لَا يُدْرِكْنَ الرِّجَالَ ، فِي السَّفَهِ ، بِأَيِّ وَجْهٍ ؛ فَلِذٰلِكَ يَخَفْنَ شَدِيداً ، بِفِطْرَتِهِنَّ وَخِلْقَتِهِنَّ الضَّعِيفَةِ ، عَنْ غَيْرِ الْمَحَارِمِ ؛ وَيَرَيْنَ أَنْفُسَهُنَّ ، مُضْطَرَّةً إِلَى التَّحَفُّظِ تَحْتَ الْحِجَابِ ؛ ذٰلِكَ : لِأَنَّ الرَّجُلَ ، إِذَا دَخَلَ فِي السَّفَهِ ، لِلذَّوْقِ وَاللَّذَّةِ ثَمَانِيَ دَقَائِقَ ؛ فَإِنَّمَا يَخْسَرُ مِقْدَارَ ثَمَانِي لَيْرَاتٍ ؛ وَلٰكِنَّ الْمَرْأَةَ تَحْمِلُ فِي بَطْنِهَا ، حِمْلاً ثَقِيلاً ، ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، جَزَاءَ ثَمَانِي دَقَائِقَ ، مِنْ ذَوْقِ السَّفَهِ ؛ وَتَدْخُلُ تَحْتَ مِحْنَةِ تَرْبِيَةِ ذٰلِكَ الْوَلَدِ الَّذِي لَا حَامِيَ لَهُ ، ثَمَانِيَ سِنِينَ ، فِي الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ فَلِذٰلِكَ لَا تُدْرِكُ الرِّجَالَ ، فِي السَّفَهِ ؛ وَتُقَاسِي جَزَاءَهُ ، أَزْيَدَ مِنْهُ ، مِئَةَ ضِعْفٍ . وَيَدُلُّ هٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي لَا تَنْدُرُ ، عَلٰى أَنَّ طَائِفَةَ النِّسَاءِ الْمُبَارَكَةَ ، مَنْشَأٌ لِلْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ ، مِنْ حَيْثُ فِطْرَتُهُنَّ ؛ كَمَا أَنَّ اسْتِعْدَادَهُنَّ لِذَوْقِ الدُّنْيَا بِمَثَابَةِ الْعَدَمِ ، فِي الْفِسْقِ وَالسَّفَهِ . فَإِذاً إِنَّهُنَّ نَوْعٌ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ مُبَارَكَةٍ ، مَخْصُوصَةٍ بِقَضَاءِ حَيَاةٍ عَائِلَةٍ سَعِيدَةٍ ، فِي دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ . . **فَقَهْراً عَلٰى جَمْعِيَّاتٍ تُفْسِدُ هٰؤُلَاءِ الْمُبَارَكَاتِ . عَصَمَ اللّٰهُ تَعَالٰى ، أَخَوَاتِي هٰؤُلَاءِ ، عَنْ شُرُورِ أُولَائِكَ السُّفَهَاءِ . آمِينَ . .**

يَا أَخَوَاتِي ! إِنِّي أَقُولُ لَكُنَّ ، قَوْلِي هٰذَا ، مَحْرَماً : فَاعْمَلْنَ لِتَدَارُكِ نَفَقَتِكُنَّ ، بِالْعَمَلِ مِنْ قَبِيلِ أَعْمَالِ النِّسَاءِ الْقَرَوِيَّاتِ الْمَعْصُومَاتِ ، لِتَدَارُكِ مُؤْنَتِهِنَّ ، مَعَ مَا فِي فِطْرَتِكُنَّ ، مِنْ الِاقْتِصَادِ وَالْقَنَاعَةِ ؛ وَلَا تَسْعَيْنَ لِبَيْعِكُنَّ ؛ وَذٰلِكَ ، أَفْضَلُ مِنَ الدُّخُولِ تَحْتَ تَحَكُّمِ زَوْجٍ سَفِيهٍ خَسِيسٍ ، إِفْرَنْجِيِّ الْمَشْرَبِ ، بِسَبَبِ بَلَاءِ الْمَعِيشَةِ . وَإِنْ وَقَعَ زَوْجٌ غَيْرُ مُنَاسِبٍ ، نَصِيباً لِإِحْدَاكُنَّ ؛ فَلْتَرْضَ بِقِسْمَتِهَا ؛ وَلْتَقْتَنِعْ بِهَا ؛ وَإِنَّهُ سَيَصْلُحُ بِرِضَائِهَا وَقَنَاعَتِهَا ؛ إِنْ

شَاءَ اللهُ . وَإِلّا ؛ فَإِنَّهَا تُرَافِعُ إِلَى الْمَحَاكِمِ لِلتَّطْلِيقِ ؛ كَمَا أَسْمَعُ الْآنَ ؛ وَهٰذَا لَا يَلِيقُ بِعِزِّنَا الْإِسْلَامِيِّ ، وَشَرَفِنَا الْقَوْمِيِّ . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : يَا أَخَوَاتِيَ الْعَزِيزَاتِ ! اعْلَمْنَ قَطْعاً : أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» ، قَدْ أَثْبَتَتْ بِالْأَحْدَاثِ ، وَبِمِئَاتٍ مِنَ الدَّلَائِلِ الْمَتِينَةِ : أَنَّ فِي الْأَذْوَاقِ وَاللَّذَائِذِ الْخَارِجَةِ عَنِ الدَّائِرَةِ الْمَشْرُوعَةِ ، آلَاماً وَمِحَناً أَزْيَدَ مِنْهَا ، عَشَرَةَ أَضْعَافٍ . وَإِنَّكُنَّ تَجِدْنَ التَّفَاصِيلَ الطَّوِيلَةَ ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الْمَقَالَاتِ السَّادِسَةَ وَالسَّابِعَةَ وَالثَّامِنَةَ ، وَ«دَلِيلَ الشَّبِيبَةِ» ، تُبَيِّنُ لَكُنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ بِتَمَامِهَا ، بَدَلاً عَنِّي ؛ فَلِذٰلِكَ عَلَيْكُنَّ أَنْ تَكْتَفِينَ وَتَقْنَعْنَ بِمَا فِي الدَّائِرَةِ الْمَشْرُوعَةِ ، مِنَ الذَّوْقِ ؛ وَإِنَّ الْمُصَاحَبَةَ النَّزِيهَةَ ، مَعَ أَوْلَادِكُنَّ الْمَعْصُومَةِ ، فِي بُيُوتِكُنَّ ، أَزْيَدُ ذَوْقاً ، مِنْ مِئَاتِ السِّينَمَا . .

وَكَذَا فَاعْلَمْنَ قَطْعاً : أَنَّ «رِسَالَةَ النُّورِ» أَثْبَتَتْ بِمِئَاتٍ مِنْ دَلَائِلَ قَاطِعَةٍ : أَنَّ اللَّذَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، إِنَّمَا هِيَ فِي الْإِيمَانِ ، وَفِي دَائِرَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَأَنَّ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، لَذَّةً مَعْنَوِيَّةً ؛ وَأَنَّ فِي السَّفَهِ وَالضَّلَالِ ، آلَاماً أَلِيمَةً كَرِيهَةً ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ حَتّى إِنَّنِي أَنَا رَأَيْتُ عَيْنَ الْيَقِينِ ، بِأَحْدَاثٍ وَتَجَارِبَ كَثِيرَةٍ : أَنَّ فِي الْإِيمَانِ ، نَوَاةً مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَأَنَّ فِي السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالَةِ ، نَوَاةً مِنْ جَهَنَّمَ . وَقَدْ كُتِبَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ مُكَرَّرَةً ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَوَقَعَتْ بِأَيْدِي أَشَدِّ الْمُعَانِدِينَ وَالْمُعَارِضِينَ ؛ فَلَمْ تَجْرَحِ الْمَحَاكِمُ ، وَلَا الْخُبَرَاءُ الرَّسْمِيُّونَ ، تِلْكَ الْحَقِيقَةَ . .

وَالْآنَ ، فَلْتُدَرِّسِ الْمَقَالَاتُ الصُّغْرَى ، وَدَلِيلُ الشَّبِيبَةِ ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهَا ، «رِسَالَةُ التَّسَتُّرِ» ، بَدَلاً عَنِّي ، لِأَمْثَالِكُنَّ مِنْ أَخَوَاتِيَ الْمَعْصُومَاتِ الْمُبَارَكَاتِ ، وَلِصِغَارِكُنَّ اللَّاتِي هُنَّ بِمَثَابَةِ أَوْلَادِي . .

وَإِنِّي سَمِعْتُ أَنَّكُنَّ طَلَبْتُنَّ أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْكُنَّ ، دَرْساً فِي الْمَسْجِدِ ؛ وَلٰكِنَّ مَرَضِي ،

وَكَثِيراً مِنَ الْأَسْبَابِ ، مَعَ تَشَتُّتِ حَالِي ، لَا تَسْمَحُ بِهٰذَا الْحَالِ . .

وَإِنِّي عَزَمْتُ أَنْ أَجْعَلَ أَخَوَاتِي كُلَّهُنَّ ، اللَّاتِي يَقْرَأْنَ وَيَقْبَلْنَ دَرْسِي هٰذَا الَّذِي كَتَبْتُهُ لَكُنَّ ، شَرَائِكَ فِي دَعَوَاتِي وَمَكَاسِبِيَ الْمَعْنَوِيَّةِ كُلِّهَا ، كَتَلَامِذَةِ النُّورِ ؛ وَإِنْ حَصَلْتُنَّ عَلٰى بَعْضٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَقَرَأْتُنَّهَا أَوِ اسْتَمَعْتُنَّ إِلَيْهَا ، بَدَلاً عَنِّي ؛ فَإِنَّكُنَّ تُصْبِحْنَ حِينَئِذٍ ، صَاحِبَاتِ حِصَصٍ مِنْ أَدْعِيَةِ جَمِيعِ إِخْوَانِكُنَّ مِنْ «طَلَبَةِ النُّورِ» ، وَمِنْ مَكَاسِبِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ أَيْضاً ، بِمُوجَبِ قَاعِدَتِنَا . وَإِنِّي أَرَدْتُ الْآنَ ، أَنْ أَكْتُبَ أَزْيَدَ مِنْ هٰذَا ؛ وَلٰكِنِّي مَرِيضٌ وَضَعِيفٌ وَهَرِمٌ كَثِيراً ؛ وَلِي وَظَائِفُ مِثْلُ التَّصْحِيحِ ؛ فَلِذٰلِكَ اكْتَفَيْتُ الْآنَ ، بِهٰذَا الْقَدَرِ . .

اَلْبَاقِي هُوَ الْبَاقِي . .

أَخُوكُمُ الْمُحْتَاجُ إِلٰى دُعَائِكُمْ : سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَللَّمْعَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دَوَاءً . .

مَرْهَمٌ وَتَسْلِيَةٌ لِلْمَرْضٰى ، وَوَصْفَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَعِيَادَةٌ لَهُمْ ، كُتِبَتْ فِي مَقَامِ (عُوفِيتَ) . .

﴿إِخْطَارٌ وَاعْتِذَارٌ :﴾ إِنَّ هٰذِهِ الْوَصْفَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ أُلِّفَتْ بِسُرْعَةٍ[١] ، فَوْقَ جَمِيعِ مَا كَتَبْنَاهُ ؛ كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُوجَدِ الْوَقْتُ ، لِتَدْقِيقِهَا وَتَصْحِيحِهَا ، عَلٰى خِلَافِ الْجَمِيعِ ؛ فَعُرِضَتْ عَلٰى نَظَرِ الْإِمْعَانِ ، مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ ، بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ، كَتَأْلِيفِهَا ؛ فَبَقِيَتْ مُشَوَّشَةً كَالْمُسَوَّدَةِ الْأُولٰى ؛ وَلَمْ نَرَ اللُّزُومَ لِتَدْقِيقِهَا عَنْ جَدِيدٍ ؛ لِئَلَّا تُغَيَّرَ بِالدِّقَّةِ وَالصَّنْعَةِ ، الْخَوَاطِرُ الْوَارِدَةُ عَلَى الْقَلْبِ ، بِصُورَةٍ فِطْرِيَّةٍ . .

فَعَلَى الْقُرَّاءِ ، وَلَاسِيَّمَا الْمَرْضٰى ، أَنْ لَا يَسْخَطُوا عَنْ بَعْضِ عِبَارَاتٍ غَيْرِ طَيِّبَةٍ ، أَوْ عَنْ كَلِمَاتٍ وَإِفَادَاتٍ ثَقِيلَةٍ ؛ وَلَا يَنْقَبِضُوا عَنْهَا ؛ وَأَنْ يَدْعُوا لِي . .

---

(١) وَقَدْ أُلِّفَتْ هٰذِهِ الرِّسَالَةُ ، خِلَالَ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، وَنِصْفِ سَاعَةٍ . .
رُشْدِيٌّ ، رَأْفَتْ ، خُسْرَوْ ؛ (رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالٰى) . . نَعَمْ . . نَعَمْ . . نَعَمْ . .
سَعِيدٌ ؛ (رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ) . . نَعَمْ . .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ اَلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ ..
وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ ﴾ ..

نُبَيِّنُ إِجْمَالاً ، فِي هٰذِهِ اللَّمْعَةِ ، خَمْسَةً وَعِشْرِينَ دَوَاءً ، يَكُونُ عِلاَجاً نَافِعاً ، وَتَسَلِّياً حَقِيقِيّاً ، لِلْمَرْضٰى وَأَصْحَابِ الْمَصَائِبِ ، الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ قِسْماً وَاحِداً ، مِنْ عَشَرَةِ أَقْسَامٍ ، مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ..

﴿اَلدَّوَاءُ الْأَوَّلُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْبَائِسُ ! لاَ تَحْزَنْ وَاصْبِرْ ؛ فَإِنَّ مَرَضَكَ لَيْسَ لَكَ دَاءً ؛ بَلْ هُوَ نَوْعٌ مِنْ دَوَاءٍ ؛ لِأَنَّ الْعُمْرَ رَأْسُ مَالٍ يَزُولُ ؛ فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ ثَمَرُهُ ، يَضِيعُ ؛ وَإِذَا كَانَ بِالرَّاحَةِ وَالْغَفْلَةِ ؛ يَزُولُ فَوْراً جِدّاً ؛ وَإِنَّ الْمَرَضَ يَجْعَلُ رَأْسَ مَالِكَ ، مُثْمِراً بِأَرْبَاحٍ كَبِيرَةٍ ؛ وَلاَ يَفْسَحُ الْمَجَالَ ، لِانْقِضَاءِ الْعُمْرِ سَرِيعاً ؛ فَيُمْسِكُهُ وَيُطَوِّلُهُ إِلٰى أَنْ يُعْطِيَ ثَمَرَاتِهِ ؛ ثُمَّ يَتْرُكُهُ لِيَزُولَ . وَلِلْإِشَارَةِ إِلٰى طُولِ الْعُمْرِ بِالْمَرَضِ ، سَارَ هٰذَا الْقَوْلُ ، مَثَلاً عَلَى الْأَلْسُنِ ؛ وَهُوَ : «أَنَّ زَمَانَ الْمُصِيبَةِ ، طَوِيلٌ جِدّاً ؛ وَزَمَانَ الصَّفَاءِ ، يَكُونُ قَصِيراً جِدّاً» ..

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّانِي :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْجَزُوعُ ! اصْبِرْ ؛ بَلِ اشْكُرْ ؛ فَإِنَّ مَرَضَكَ هٰذَا ، يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَ دَقَائِقَ عُمْرِكَ ، فِي حُكْمِ سَاعَاتٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ قِسْمَانِ ؛ أَحَدُهُمَا : هُوَ الْعِبَادَةُ الْإِيجَابِيَّةُ ؛ وَهِيَ الْعِبَادَاتُ الْمَعْلُومَةُ ، كَالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ ؛ وَالْآخَرُ : هُوَ الْعِبَادَاتُ السَّلْبِيَّةُ ؛ بِأَنْ يُحِسَّ الْمُصَابُ ، ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ ، بِسَبَبِ الْأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ ؛ فَيَلْتَجِئَ إِلٰى خَالِقِهِ الرَّحِيمِ ؛ وَيَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ ؛ فَيُصْبِحَ مَظْهَراً لِعِبَادَةٍ خَالِصَةٍ ، بِدُونِ رِيَاءٍ . نَعَمْ : تُوجَدُ رِوَايَاتٌ صَحِيحَةٌ : بِأَنَّ مَا مَضٰى بِالْمَرَضِ ، مِنَ الْعُمْرِ ، يُعَدُّ عِبَادَةً لِلْمُؤْمِنِ ، بِشَرْطِ أَنْ لاَ يَشْتَكِيَ مِنَ اللهِ تَعَالٰى ؛ حَتّٰى إِنَّ دَقِيقَةً مِنْ مَرَضِ بَعْضِ الْمَرْضَى الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ ، تَصِيرُ فِي حُكْمِ سَاعَةٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ وَإِنَّ دَقِيقَةً مِنْ مَرَضِ بَعْضِ الْكَامِلِينَ ، تُصْبِحُ بِمَثَابَةِ يَوْمٍ

مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ هٰكَذَا ثَبَتَ بِرِوَايَاتٍ صَحِيحَةٍ ، وَكَشْفِيَّاتٍ صَادِقَةٍ ؛ فَاشْكُرْ وَلَا تَشْتَكِ مِنْ مَرَضٍ يَجْعَلُ دَقِيقَةً مِنْ عُمْرِكَ ، فِي حُكْمِ أَلْفِ دَقِيقَةٍ ؛ فَيُكْسِبُ لَكَ عُمْراً طَوِيلاً . .

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّالِثُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الضَّجُورُ ! إِنَّ ارْتِحَالَ الْوَارِدِينَ ، وَشَيْبَ الشُّبَّانِ ، وَتَقَلُّبَهُمْ فِي الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ دَائِماً ، شَاهِدٌ عَلٰى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَرِدْ إِلَى الدُّنْيَا ، لِلتَّذَوُّقِ وَالتَّلَذُّذِ ؛ وَكَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ ؛ مَعَ أَنَّهُ أَكْمَلُ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَأَعْلَاهُمْ وَأَغْنَاهُمْ جِهَازاً ؛ بَلْ إِنَّهُ فِي حُكْمِ السُّلْطَانِ لَهُمْ ، يَقْضِي حَيَاةً شَاقَّةً مُنَغَّصَةً ، فِي أَدْنٰى دَرَجَةٍ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ ، بِسَبَبِ تَصَوُّرِ اللَّذَائِذِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْبَلَايَا الْآتِيَةِ . فَإِذاً إِنَّ الْإِنْسَانَ ، لَمْ يَأْتِ إِلَى الدُّنْيَا ؛ لِيَقْضِيَ الْعُمْرَ بِالصَّفَاءِ وَالرَّاحَةِ ؛ وَلِيَعِيشَ عِيشَةً رَاضِيَةً ؛ بَلْ إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي بِيَدِهِ رَأْسُ مَالٍ عَظِيمٍ ، جَاءَ لِيَعْمَلَ بِالتِّجَارَةِ هٰهُنَا ، لِسَعَادَةِ حَيَاةٍ دَائِمَةٍ وَأَبَدِيَّةٍ ؛ وَإِنَّ رَأْسَ الْمَالِ الَّذِي أُعْطِيَ لِيَدِهِ ، هُوَ الْعُمْرُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَرَضُ ؛ فَإِنَّ الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ تُورِثُ الْغَفْلَةَ ؛ وَتُرِي الدُّنْيَا طَيِّبَةً ؛ وَتُنْسِي الْآخِرَةَ ؛ فَلَا يُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَ الْقَبْرَ وَالْمَوْتَ ؛ فَيَصْرِفُ رَأْسَ مَالِ عُمْرِهِ ، هَبَاءً لَا طَائِلَ فِيهِ . أَمَّا الْمَرَضُ ، فَإِنَّهُ يَفْتَحُ عَيْنَهُ دَفْعَةً ؛ وَيَقُولُ لِوُجُودِهِ وَجِسْمِهِ : إِنَّكَ لَسْتَ حَيّاً لَا يَمُوتُ ؛ وَلَسْتَ مُرْسَلَ الرَّأْسِ ؛ وَإِنَّ لَكَ خِدْمَةً ؛ فَدَعِ الْغُرُورَ ؛ وَاذْكُرْ مَنْ خَلَقَكَ ؛ وَاعْلَمْ ذَهَابَكَ إِلَى الْقَبْرِ ؛ وَاسْتَعِدَّ كَذٰلِكَ . فَالْمَرَضُ بِهٰذَا الْاِعْتِبَارِ ، مُرْشِدٌ مُوقِظٌ ، وَنَاصِحٌ لَا يَخْدَعُ أَصْلاً ؛ فَلَا تَشْتَكِ مِنْ هٰذَا الْمَرَضِ ؛ بَلِ اشْكُرْ لَهُ ، مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ ؛ فَإِنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ كَثِيراً ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الرَّابِعُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْمُشْتَكِي ! إِنَّ حَقَّكَ ، هُوَ الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ ، لَا الشَّكْوٰى ؛ لِأَنَّ جِسْمَكَ وَأَعْضَاءَكَ وَأَجْهِزَتَكَ ، لَيْسَتْ مِلْكاً لَكَ ؛ وَأَنَّكَ لَمْ تَصْنَعْهَا ؛ وَلَمْ تَشْتَرِهَا مِنْ مَصَانِعَ أُخْرٰى . فَإِذاً إِنَّهَا مِلْكُ الْغَيْرِ ؛ وَمَالِكُ الْمُلْكِ ، يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ ، كَمَا يَشَاءُ . .

فَكَمَا أَنَّ صَانِعاً حَاذِقاً وَغَنِيّاً لِلْغَايَةِ ، يُلْبِسُ عَلٰى رَجُلٍ مِسْكِينٍ ، فِي مُدَّةِ سَاعَةٍ ، إِزَاءَ أُجْرَةٍ ، قَمِيصاً مُصَنَّعاً ، وَحُلَّةً مُرَصَّعَةً خَاطَهَا ؛ لِيَجْعَلَ ذٰلِكَ الْفَقِيرَ ، مِقْيَاساً ، لِإِظْهَارِ

صَنْعَتِهِ الْجَمِيلَةِ ، وَثَرْوَتِهِ الْقَيِّمَةِ ؛ فَيُطَرِّزُهَا عَلَيْهِ ؛ وَيُحَوِّلُهَا مِنْ حَالٍ إِلٰى حَالٍ ؛ وَيَقُصُّهَا وَيُغَيِّرُهَا ؛ وَيُطَوِّلُهَا وَيُقَصِّرُهَا ؛ لِيُظْهِرَ أَنْوَاعَ صَنْعَتِهِ الْخَارِقَةِ ؛ فَيَا عَجَباً ! هَلْ يَحِقُّ لِهٰذَا الْمِسْكِينِ الْأَجِيرِ ، أَنْ يَقُولَ لِذٰلِكَ الصَّانِعِ : إِنَّكَ تُتْعِبُنِي وَتُزْعِجُنِي مِنْ ذٰلِكَ الْحَالِ الَّذِي تُورِثُنِي بِالْقِيَامِ وَالاِنْحِنَاءِ ؛ وَإِنَّكَ تُفْسِدُ حُسْنِي ، بِقَصِّ هٰذَا الْقَمِيصِ الَّذِي أَجْمَلَنِي ؛ وَتُغَيِّرُ جَمَالِي ، بِتَقْصِيرِهِ ؟ وَهَلْ لَهُ أَنْ يَقُولَ لِذٰلِكَ الصَّانِعِ : إِنَّكَ تَظْلِمُنِي وَتُعَسِّفُنِي ؟ كَمَا ذُكِرَ فِي الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ الصَّانِعَ الْجَلِيلَ ، يُحَوِّلُ قَمِيصَ الْجِسْمِ الَّذِي أَلْبَسَهُ عَلَيْكَ ، أَيُّهَا الْمَرِيضُ ! مُرَصَّعاً بِالْحَوَاسِّ النَّيِّرَةِ ، كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ ؛ وَيُقَلِّبُكَ بَيْنَ حَالَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَيُغَيِّرُكَ فِي أَوْضَاعٍ كَثِيرَةٍ ، لِإِظْهَارِ نُقُوشِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنٰى ؛ فَكَمَا أَنَّكَ تَعْلَمُ اسْمَهُ الرَّزَّاقَ ، بِالْجُوعِ ؛ فَاعْلَمِ اسْمَهُ الشَّافِيَ أَيْضاً ، بِالْمَرَضِ ؛ وَإِنَّ الْآلَامَ وَالْمَصَائِبَ تُظْهِرُ أَحْكَامَ قِسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنٰى ؛ فَلِذٰلِكَ تُوجَدُ فِيهَا ، لَمَعَاتٌ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَشُعَاعَاتٌ مِنَ الرَّحْمَةِ ؛ وَتُوجَدُ فِي تِلْكَ الشُّعَاعَاتِ ، مَحَاسِنُ كَثِيرَةٌ ؛ فَإِنِ انْكَشَفَ الْحِجَابُ ؛ تَجِدُ مَعَانِيَ جَمِيلَةً مَحْبُوبَةً ، وَرَاءَ حِجَابِ الْمَرَضِ ، الَّذِي تَتَوَحَّشُ عَنْهُ ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الْخَامِسُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْمُبْتَلٰى بِالْمَرَضِ ! إِنَّنِي اعْتَقَدْتُ بِتَجْرِبَتِي ، أَنَّ الْمَرَضَ ، إِحْسَانٌ إِلٰهِيٌّ ، وَعَطَاءٌ رَحْمَانِيٌّ ، لِلْبَعْضِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ . وَإِنَّ هٰذِهِ ، ثَمَانِي أَوْ تِسْعُ سِنِينَ ، زَارَنِي بَعْضُ الشَّبَابِ ، بِمُنَاسَبَةِ الْمَرَضِ ، لِأَجْلِ الدُّعَاءِ ، مَعَ عَدَمِ لِيَاقَتِي ؛ فَتَدَبَّرْتُ أَنَّ أَيَّ شَابٍّ مَرِيضٍ رَأَيْتُهُ ؛ يَشْرَعُ فِي تَذَكُّرِ آخِرَتِهِ ؛ وَلَا يُوجَدُ فِيهِ سُكْرُ الشَّبَابِ ؛ وَيُنْقِذُ نَفْسَهُ ، بَعْضَ إِنْقَاذٍ ، عَنِ الشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ ، بَيْنَ الْغَفْلَةِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى سَائِرِ الشُّبَّانِ ؛ وَكُنْتُ أَرٰى أَنَّ أَمْرَاضَهُمُ الدَّاخِلَةَ تَحْتَ تَحَمُّلِهِمْ ، إِحْسَانٌ إِلٰهِيٌّ ؛ وَأَقُولُ : يَا أَخِي ! إِنِّي لَسْتُ مُعَارِضاً لِمَرَضِكَ هٰذَا ؛ وَلَا أَشْعُرُ بِشَفَقَةٍ لَكَ ، لِأَجْلِ الْمَرَضِ ؛ فَلَا أَتَأَلَّمُ فَأَدْعُو لَكَ . فَاجْتَهِدْ لِلصَّبْرِ ، إِلٰى أَنْ يُوقِظَكَ الْمَرَضُ تَمَاماً ؛ وَبَعْدَمَا يُتِمُّ الْمَرَضُ عَمَلَهُ ، يَشْفِيكَ الْخَالِقُ الرَّحِيمُ ؛ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ؛ وَكَذَا كُنْتُ أَقُولُ : إِنَّ بَعْضاً مِنْ أَمْثَالِكَ ، يَقَعُ فِي الْغَفْلَةِ ، بِسَبَبِ بَلَاءِ الصِّحَّةِ ؛ فَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ ؛ وَلَا يَذْكُرُ الْقَبْرَ ؛ وَيَنْسَى اللّٰهَ تَعَالٰى ؛ فَيُفْسِدُ حَيَاتَهُ

الْأَبَدِيَّة ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَيُزَلْزِلُهَا ؛ بَلْ يَهْدِمُهَا بِذَوْقِ سَاعَةٍ ، مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ذَوْقاً ظَاهِراً ؛ وَإِنَّكَ تَرَى بِعَيْنِ الْمَرَضِ ، قَبْرَكَ الَّذِي هُوَ مَنْزِلُكَ الَّذِي سَتَذْهَبُ إِلَيْهِ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ وَتَرَى مَا وَرَاءَهُ ، مِنْ مَنَازِلَ أُخْرَوِيَّةٍ ؛ فَتَعْمَلُ حَسَبَ ذٰلِكَ . فَإِذاً إِنَّ الْمَرَضَ ، صِحَّةٌ لَكَ ؛ وَإِنَّ الصِّحَّةَ فِي بَعْضِ أَمْثَالِكَ ، مَرَضٌ لَهُمْ . .

﴿اَلدَّوَاءُ السَّادِسُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْمُشْتَكِي عَنِ الْأَلَمِ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ عُمْرِكَ ؛ فَتَصَوَّرْ عُمْرَكَ الْمَاضِيَ ؛ وَتَذَكَّرْ أَيَّامَكَ اللَّذِيذَةَ الصَّافِيَةَ ، وَأَوْقَاتَكَ الْأَلِيمَةَ الْمُتَكَدِّرَةَ ؛ فَإِنَّكَ إِمَّا تَقُولُ بَخٍ ؛ أَوْ تَقُولُ آهٍ : أَيْ إِنَّ قَلْبَكَ أَوْ لِسَانَكَ ، إِمَّا يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ وَالشُّكْرُ لَهُ ؛ أَوْ يَقُولُ : وَاحَسْرَتَاهُ ! وَا أَسَفَاهُ ! فَتَدَبَّرْ فَإِنَّ الَّذِي يُنْطِقُكَ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ، هُوَ تَصَوُّرُ زَوَالِ مَا مَضَى عَلَيْكَ ، مِنَ الْآلَامِ وَالْمَصَائِبِ ؛ فَيَحْفِزُ لَذَّةً مَعْنَوِيَّةً ؛ فَيَشْكُرُ قَلْبُكَ ؛ لِأَنَّ زَوَالَ الْأَلَمِ لَذَّةٌ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْآلَامَ وَالْمَصَائِبَ ، أَوْرَثَتْ بِزَوَالِهَا ، لَذَّةً فِي الرُّوحِ ؛ فَإِذَا احْتُفِرَتْ بِالتَّصَوُّرِ ؛ تَسِيلُ عَنِ الرُّوحِ لَذَّةٌ ؛ فَيَتَقَطَّرُ الشُّكْرُ ؛ وَأَنَّ مَا يُكَلِّمُكَ بِالْحَسْرَةِ وَالْأَسَفِ ، هُوَ تِلْكَ الْحَالَاتُ اللَّذِيذَةُ الصَّافِيَةُ ، الَّتِي قَضَيْتَهَا فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ؛ فَأَوْرَثَتْ بِزَوَالِهَا ، أَلَماً دَائِماً فِي رُوحِكَ ؛ فَمَتَى تَصَوَّرْتَهَا ؛ يُحْفَرُ ذٰلِكَ الْأَلَمُ أَيْضاً ؛ فَيُسِيلُ الْأَسَفَ وَالْحَسْرَةَ . فَإِذَا كَانَتْ لَذَّةُ يَوْمٍ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ ؛ قَدْ تُحَمِّلُ أَلَماً مَعْنَوِيّاً ، فِي سَنَةٍ ؛ وَكَانَتْ فِي زَوَالِ الْأَلَمِ الْوَارِدِ بِمَرَضِ يَوْمٍ مُؤَقَّتٍ ، لَذَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ نَاشِئَةٌ عَنِ الْخَلَاصِ وَالنَّجَاةِ مِنْهُ ، مَعَ لَذَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ، مِنْ لَذَّةِ ثَوَابِ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَتَصَوَّرْ نَتِيجَةَ هٰذَا الْمَرَضِ الْمُؤَقَّتِ الْحَاضِرِ ، النَّازِلِ عَلَيْكَ ؛ وَتَصَوَّرْ مَا فِي بَاطِنِهِ ، مِنَ الثَّوَابِ ؛ وَقُلْ : يَا نَفْسِي ! سَيَمْضِي هٰذَا الْمَرَضُ أَيْضاً ؛ وَاشْكُرْ بَدَلاً عَنِ الشَّكْوَى . .

﴿اَلدَّوَاءُ السَّادِسُ[١] :﴾ يَا أَخِي الَّذِي يَذْكُرُ أَذْوَاقَ الدُّنْيَا ؛ فَيُقَاسِي الاضْطِرَاب

---

(١) إِنَّ هٰذِهِ اللَّمْعَةَ تَخَطَّرَتْ فِي صُورَةٍ فِطْرِيَّةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ كُتِبَ دَوَاءَانِ ، فِي الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ ؛ فَتَرَكْنَاهَا كَذٰلِكَ ؛ لِئَلَّا يُخِلَّ بِفِطْرِيَّتِهَا ؛ وَلَعَلَّ فِيهِ سِرّاً ؛ فَمَا غَيَّرْنَاهَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

عَنِ الْمَرَضِ ! إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، دَائِمَةً ؛ وَلَمْ يَكُنِ الْمَوْتُ ، فِي سَبِيلِنَا ؛ وَلَمْ تَهُبَّ رِيَاحُ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ؛ وَلَمْ يُوجَدْ فَصْلُ الشِّتَاءِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْعَاصِفِ الْقَاسِي ؛ لَتَأَلَّمْتُ أَنَا أَيْضاً ، مَعَكَ لِحَالِكَ ؛ وَلٰكِنَّ الدُّنْيَا ، إِذَا كَانَتْ تَقُولُ لَنَا يَوْماً مَّا : اخْرُجُوا إِلَى الْبَابِ ؛ وَتَسُدُّ أُذُنَهَا ، عَنْ صُرَاخِنَا ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نُعْرِضَ عَنْ عِشْقِهَا ، مِنَ الْآنِ ، بِإِيقَاظِ هٰذَا الْمَرَضِ ، قَبْلَ أَنْ تَطْرُدَنَا هِيَ ، إِلَى الْبَابِ ؛ وَأَنْ نَسْعٰى لِتَرْكِهَا قَلْباً ، قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَنَا . نَعَمْ : إِنَّ الْمَرَضَ يُخْطِرُ لَنَا هٰذَا الْمَعْنٰى ؛ وَيَقُولُ : إِنَّ جِسْمَكَ لَيْسَ مِنَ الْحَجَرِ وَالْحَدِيدِ ؛ بَلْ رُكِّبَ مِنْ مَوَادَّ مُخْتَلِفَةٍ قَابِلَةٍ لِلتَّبَدُّدِ دَائِماً ؛ فَاتْرُكِ الْغُرُورَ ؛ وَافْهَمْ عَجْزَكَ ؛ وَاعْرِفْ مَالِكَكَ ؛ وَاعْلَمْ مِهْنَتَكَ ؛ وَتَعَلَّمْ مَا جِئْتَ لِأَجْلِهِ إِلَى الدُّنْيَا ؛ وَيُخْطِرُ ذٰلِكَ إِخْطَاراً خَفِيّاً ، لِسَمْعِ الْقَلْبِ ؛ وَأَيْضاً إِذَا كَانَ ذَوْقُ الدُّنْيَا وَلَذَّتُهَا ، لَا تَدُومُ ، سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ غَيْرَ مَشْرُوعَةٍ ؛ وَتُصْبِحُ آلَاماً وَذُنُوباً ؛ وَأَنَّهَا لَا دَوَامَ لَهَا ؛ فَلَا تَبْكِ بِوَسِيلَةِ الْمَرَضِ ، عَلٰى فَقْدِكَ ذٰلِكَ الذَّوْقَ ؛ وَتَصَوَّرْ جِهَةَ الثَّوَابِ الْأُخْرَوِيِّ ، وَالْعِبَادَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي الْمَرَضِ ؛ وَاعْمَلْ لِتَذُوقَ مِنْهُ ، عَلٰى عَكْسِهِ . .

﴿ اَلدَّوَاءُ السَّابِعُ : ﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الَّذِي فَقَدَ لَذَّةَ الصِّحَّةِ ! إِنَّ مَرَضَكَ لَا يُفَوِّتُ لَذَّةَ النِّعْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ فِي الصِّحَّةِ ؛ بَلْ يُذِيقُهَا وَيَزِيدُهَا بِالْعَكْسِ ؛ لِأَنَّ شَيْئاً مَّا ، إِذَا دَامَ ، يَفْقِدُ تَأْثِيرَهُ ؛ حَتّٰى إِنَّ أَهْلَ الْحَقِيقَةِ ، يَقُولُونَ مُتَّفِقِينَ : إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ تُعْرَفُ بِأَضْدَادِهَا ؛ أَيْ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يُعْرَفُ بِضِدِّهِ ؛ فَمَثَلاً إِذَا لَمْ تَكُنِ الظُّلْمَةُ ؛ لَا تُعْرَفُ الضِّيَاءُ ؛ وَتَبْقٰى بِلَا لَذَّةٍ ؛ وَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْبُرُودَةُ ؛ لَا تُفْهَمُ الْحَرَارَةُ ؛ وَتَبْقٰى بِدُونِ ذَوْقٍ ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْجُوعُ ؛ لَا يُورِثُ الطَّعَامُ لَذَّةً ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ حَرَارَةُ الْمَعِدَةِ ؛ لَا يُورِثُ شُرْبُ الْمَاءِ ، ذَوْقاً ؛ وَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْعِلَّةُ ؛ فَلَا ذَوْقَ لِلْعَافِيَةِ ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَرَضُ ؛ فَلَا لَذَّةَ لِلصِّحَّةِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ تَجْهِيزُ الْفَاطِرِ الْحَكِيمِ ، لِلْإِنْسَانِ ، بِأَجْهِزَةٍ كَثِيرَةٍ ؛ بِحَيْثُ يَعْرِفُ وَيَذُوقُ بِهَا ، مَا لَا يُحَدُّ ، مِنْ أَنْوَاعِ النِّعَمِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ تَعَالٰى ، يُرِيدُ إِشْعَارَ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَإِذَاقَةَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ نِعَمِهِ ، لِلْإِنْسَانِ ؛ وَيُرِيدُ سَوْقَ الْإِنْسَانِ ، إِلَى الشُّكْرِ دَائِماً ؛

فَلا شَكَّ أَنَّهُ تَعَالٰى ، يُعْطِي الْأَمْرَاضَ وَالْعِلَلَ وَالْبَلايَا ؛ كَمَا أَعْطَى الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ ؛ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ هٰذَا الْمَرَضُ ، فِي رَأْسِكَ ، أَوْ فِي يَدِكَ ، أَوْ فِي مِعِدَتِكَ ؛ فَهَلْ كُنْتَ تَشْعُرُ بِالنِّعْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ اللَّذِيذَةِ الطَّيِّبَةِ ، فِي صِحَّتِهَا ؟ فَتَشْكُرُ عَلَيْهَا ، كَلَّا ؛ مَا كُنْتَ تَشْكُرُ عَلَيْهَا ؛ بَلْ لا تَذْكُرُهَا ؛ وَلَصَرَفْتَ تِلْكَ الصِّحَّةَ ، بِالْغَفْلَةِ بِدُونِ الشُّعُورِ ؛ بَلْ صَرَفْتَهَا لِلسَّفَاهَةِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّامِنُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الَّذِي يَذْكُرُ آخِرَتَهُ ! إِنَّ الْمَرَضَ يَغْسِلُ أَقْذَارَ الذُّنُوبِ ؛ وَيُنَظِّفُهَا كَالصَّابُونِ ؛ وَثَبَتَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ الْأَمْرَاضَ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضاً ، مَا مَعْنَاهُ : أَنَّ ارْتِجَافَ الْمَرِيضِ الْمُؤْمِنِ ، يُسْقِطُ الذُّنُوبَ ؛ كَمَا تَسْقُطُ ثَمَرَاتُ شَجَرَةٍ نَاضِجَةٍ ، بِالْهَزِّ . وَالذُّنُوبُ أَمْرَاضٌ دَائِمَةٌ ، فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ وَهِيَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْضاً ، أَمْرَاضٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، لِلْقَلْبِ وَالْوِجْدَانِ وَالرُّوحِ ؛ وَإِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ عَلَى الْمَرَضِ ؛ وَلَمْ تَشْتَكِ مِنْهُ ؛ تَنْجُو عَنْ أَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ دَائِمَةٍ ، بِهٰذَا الْمَرَضِ الْمُؤَقَّتِ ؛ وَإِنْ كُنْتَ لا تَذْكُرُ الذُّنُوبَ ؛ أَوْ لا تَعْلَمُ الْآخِرَةَ ؛ أَوْ لا تَعْرِفُ اللهَ تَعَالٰى ؛ فَإِنَّ فِيكَ ، مَرَضاً هَائِلاً أَكْبَرَ مِنْ هٰذَا الْمَرَضِ الصَّغِيرِ فِيكَ ، مِلْيُونَ مَرَّةٍ ؛ فَاسْتَغِثْ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ قَلْبَكَ وَرُوحَكَ وَنَفْسَكَ ، لَهَا عَلاقَةٌ بِمَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ كُلِّهَا ؛ فَتُقْطَعُ تِلْكَ الْعَلائِقُ دَائِماً ، بِالزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ؛ وَتُفْتَحُ فِيكَ جِرَاحَاتٌ لا حَدَّ لَهَا ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّكَ لا تَعْلَمُ الْآخِرَةَ ؛ فَتَتَخَيَّلُ الْمَوْتَ ، إِعْدَاماً أَبَدِيّاً ؛ فَكَأَنَّ لَكَ ، بَدَناً مَرِيضاً مِقْدَارَ الدُّنْيَا ، بَيْنَ الْقُرُوحِ وَالْجُرُوحِ ؛ فَلا بُدَّ أَوَّلاً ، أَنْ تُصَحِّحَ اعْتِقَادَكَ ؛ وَأَنْ تَطْلُبَ عِلاجَ الْإِيمَانِ ، الَّذِي هُوَ تِرْيَاقٌ شَافٍ ، وَعِلاجٌ نَاجِعٌ ، لِمَا لا يُحَدُّ مِنْ أَمْرَاضِ بَدَنِكَ ، هٰذَا الْبَدَنِ الْمَعْنَوِيِّ الْكَبِيرِ ، الْمَرِيضِ الْجَرِيحِ بِمَا لا حَدَّ لَهَا ، مِنَ الْجِرَاحَاتِ ؛ وَإِنَّ الطَّرِيقَ الْأَقْصَرَ فِي الْحُصُولِ عَلٰى هٰذَا الْعِلاجِ ، هُوَ مَعْرِفَةُ قُدْرَةِ قَدِيرٍ ذِي جَلالٍ ، وَمَعْرِفَةُ رَحْمَتِهِ ، بِنَافِذَةِ عَجْزِكَ وَضَعْفِكَ ، اللَّذَيْنِ أَرَاكَهُمَا هٰذَا الْمَرَضُ الْمَادِّيُّ ، تَحْتَ غِطَاءِ الْغَفْلَةِ الَّتِي شَقَّهَا هٰذَا الْمَرَضُ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ ؛ تَكُونُ الدُّنْيَا ، مَالِئَةً بِالْبَلاءِ ، عَلٰى رَأْسِهِ ؛ وَمَنْ يَعْرِفُ اللهَ ؛ فَدُنْيَاهُ مُمْتَلِئَةٌ بِالنُّورِ وَالسُّرُورِ

الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَيُحِسُّ ذٰلِكَ ، بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ ، حَسَبَ دَرَجَتِهِ ؛ وَيَذُوبُ أَلَمُ الْأَمْرَاضِ الْمَادِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ ؛ وَيَضْمَحِلُّ ذٰلِكَ الْأَلَمُ ، تَحْتَ السُّرُورِ وَالشِّفَاءِ ، وَاللَّذَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ النَّاشِئَةِ عَنْ هٰذَا الْإِيمَانِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ التَّاسِعُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْعَارِفُ بِخَالِقِهِ ! إِنَّ مَا فِي الْأَمْرَاضِ ، مِنَ الْخَوْفِ وَالتَّوَحُّشِ وَالْأَلَمِ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْمَرَضَ قَدْ يَكُونُ وَسِيلَةً لِلْمَوْتِ أَحْيَاناً . وَالْمَوْتُ ، هَائِلٌ فِي نَظَرِ الْغَفْلَةِ ، وَفِي جِهَتِهِ الظَّاهِرَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ تُخَوِّفُ الْأَمْرَاضُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لِلْمَوْتِ ؛ وَتُورِثُ الْحَذَرَ . .

فَاعْلَمْ أَوَّلاً ؛ وَآمِنْ قَطْعاً : أَنَّ الْأَجَلَ مُقَدَّرٌ لَا يَتَغَيَّرُ ؛ فَقَدْ مَاتَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ بَكَوْا عَلَى الْمَرْضَى الثِّقَالِ ؛ وَكَانُوا صِحَاحاً ؛ وَشُفِيَ أُولٰئِكَ الْمَرْضَى ؛ وَعَاشُوا . .

وَثَانِياً : أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ هَائِلاً ؛ كَمَا يُرَى صُورَةً ؛ وَقَدْ أَثْبَتْنَا بِوَجْهٍ قَاطِعٍ لَا شَكَّ ، وَلَا شُبْهَةَ فِيهِ ، بِمَا مَنَحَهُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، مِنَ النُّورِ : أَنَّ الْمَوْتَ ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، تَسْرِيحٌ عَنْ كُلْفَةِ خِدْمَةِ الْحَيَاةِ ، وَعُطْلَةٌ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي هِيَ تَعْلِيمٌ وَتَدْرِيبٌ فِي ابْتِلَاءٍ ، فِي مَيْدَانِ الدُّنْيَا ، وَوَسِيلَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَى أَحْبَابِهِ وَأَقْرِبَائِهِ الَّذِينَ ذَهَبَتْ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ مِنْهُمْ ، إِلَى الْعَالَمِ الْآخَرِ ، وَوَاسِطَةٌ لِلدُّخُولِ فِي وَطَنِهِ الْحَقِيقِيِّ ، وَفِي مَقَامِ سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيِّ ، وَدَعْوَةٌ مِنْ سِجْنِ الدُّنْيَا ، إِلَى رَوْضِ الْجِنَانِ ، وَنَوْبَةٌ لِأَخْذِ الْأُجْرَةِ ، إِزَاءَ خِدْمَتِهِ ، مِنْ فَضْلِ الْخَالِقِ الرَّحِيمِ . فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ ، هِيَ مَاهِيَّةَ الْمَوْتِ ، فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُنْظَرَ إِلَيْهِ ، بِنَظَرِ الْفَزَعِ ؛ بَلْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ بِنَظَرِ مُقَدِّمَةِ رَحْمَةٍ وَسَعَادَةٍ . .

وَأَيْضاً أَنَّ خَوْفَ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ اللّٰهِ ، عَنِ الْمَوْتِ ، لَيْسَ مِنْ هَوْلِهِ ؛ بَلْ هُوَ ، لِأَجْلِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي يَكْسِبُونَهَا عَنْ إِدَامَةِ وَظِيفَةِ الْحَيَاةِ ؛ فَيَطْمَعُ أَنْ يَكْسِبَ الْخَيْرَ أَكْثَرَ . نَعَمْ : إِنَّ الْمَوْتَ بَابُ الرَّحْمَةِ ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَجُبُّ ظُلُمَاتٍ أَبَدِيَّةٍ ، لِأَهْلِ الضَّلَالِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الْعَاشِرُ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الَّذِي يَحْزَنُ بِدُونِ لُزُومٍ ! إِنَّكَ تَحْزَنُ مِنْ

ثِقَلِ الْمَرَضِ ؛ وَذٰلِكَ الْحُزْنُ يُثْقِلُ مَرَضَكَ ؛ وَإِنْ أَرَدْتَ خِفَّةَ الْمَرَضِ ؛ فَاجْتَهِدْ لِتَرْكِ الْحُزْنِ : أَيِ اذْكُرْ فَوَائِدَ الْمَرَضِ ، وَثَوَابَهُ ، وَسُرْعَةَ مُرُورِهِ ؛ فَأَزِلِ الْحُزْنَ ؛ وَاقْطَعْ جِذْرَ الْمَرَضِ . نَعَمْ : إِنَّ الْحُزْنَ يُضَاعِفُ الْمَرَضَ ؛ فَيُورِثُ قَلْبَكَ ، مَرَضاً مَعْنَوِيّاً ، تَحْتَ الْمَرَضِ الْمَادِّيِّ ؛ وَيَسْتَنِدُ إِلَيْهِ الْمَرَضُ الْمَادِّيُّ ؛ فَيَدُومُ . فَإِنْ زَالَ ذٰلِكَ الْحُزْنُ ، بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ، وَبِتَذَكُّرِ حِكْمَةِ الْمَرَضِ ؛ يُقْطَعُ جِذْرٌ مُهِمٌّ مِنْ ذٰلِكَ الْمَرَضِ الْمَادِّيِّ ؛ وَيُخَفَّفُ الْمَرَضُ ؛ وَيَزُولُ بَعْضُهُ ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ دِرْهَماً مِنَ الْمَرَضِ الْمَادِّيِّ ، يَتَكَبَّرُ أَحْيَاناً بِالْأَوْهَامِ ، مِقْدَارَ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ ، بِسَبَبِ الْحُزْنِ ؛ وَتَزُولُ بِقَطْعِ الْحُزْنِ ، تِسْعَةُ أَعْشَارِ ذٰلِكَ الْمَرَضِ . وَإِنَّ الْحُزْنَ ؛ كَمَا يَزِيدُ الْمَرَضَ ؛ يَكُونُ فِي حُكْمِ الاتِّهَامِ لِلْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالانْتِقَادِ عَلَى الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالشَّكْوٰى مِنَ الْخَالِقِ الرَّحِيمِ ؛ فَيَذُوقُ الصَّفْعَةَ ؛ وَيَزِيدُ مَرَضُهُ ، بِعَكْسِ مَقْصُودِهِ . نَعَمْ : فَكَمَا أَنَّ الشُّكْرَ يَزِيدُ النِّعْمَةَ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ الشَّكْوٰى تَزِيدُ الْمَرَضَ وَالْمُصِيبَةَ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْحُزْنَ نَفْسَهُ مَرَضٌ . وَعِلَاجُهُ ، مَعْرِفَةُ حِكْمَةِ الْمَرَضِ . فَإِذَا عَرَفْتَ حِكْمَتَهُ وَفَائِدَتَهُ ؛ فَاطْلِ الْحُزْنَ ، بِذٰلِكَ الْمَرْهَمِ ؛ وَأَفْلِحْ ؛ وَقُلْ : بَخٍ ، بَدَلاً عَنْ وَاهٍ ؛ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ، فِي مَقَامِ «وَا أَسَفَاهْ !» . .

﴿الدَّوَاءُ الْحَادِي عَشَرَ :﴾ أَيُّهَا الْأَخُ الْمَرِيضُ الْجَزُوعُ ! إِنَّ الْمَرَضَ يُورِثُكَ لَذَّةً رُوحِيَّةً ، فِي ثَوَابِهِ ، وَلَذَّةً مَعْنَوِيَّةً ، فِي زَوَالِهِ ، مِنْ أَوَّلِ مَرَضِكَ ، إِلٰى هٰذَا الْيَوْمِ ، مَعَ إِيرَاثِهِ لَكَ ، أَلَماً حَاضِراً . وَإِنَّ الْمَرَضَ بَعْدَ هٰذَا الْيَوْمِ ، بَلْ بَعْدَ هٰذِهِ السَّاعَةِ ، مَعْدُومٌ . فَالْأَلَمُ مِنَ الْمَعْدُومِ ، مَعْدُومٌ الْبَتَّةَ . وَإِذَا لَمْ يُوجَدِ الْأَلَمُ ؛ لَا يَكُونُ التَّأَثُّرُ ؛ وَإِنَّكَ تَتَوَهَّمُهُ خَطَأً ؛ فَيَطْرَأُ عَلَيْكَ الْجَزَعُ ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ الْمَادِّيَّ ، مِنْ زَمَنِ الْمَرَضِ السَّابِقِ عَلٰى هٰذَا الْيَوْمِ ، ذَهَبَ كُلُّهُ ، مَعَ ذَهَابِ أَلَمِهِ مَعَهُ أَيْضاً ؛ وَبَقِيَ مَا فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ ، وَمَا فِي زَوَالِهِ مِنَ اللَّذَّةِ ؛ فَكَانَ اللَّازِمُ ، أَنْ يُعْطِيَكَ الرِّبْحَ وَالسُّرُورَ ؛ فَتَصَوُّرُهُمَا ، وَالتَّأَلُّمُ مِنْهُمَا ، وَالْجَزَعُ عَلَيْهِمَا ، جُنُونٌ . وَإِنَّ الْأَيَّامَ الْآتِيَةَ ، لَمْ تَأْتِ بَعْدُ ؛ فَتَصَوُّرُهَا مِنْ هٰذَا الْآنِ ، بِالتَّوَهُّمِ مِنْ أَلَمٍ مَعْدُومٍ ، مِنْ مَرَضٍ مَعْدُومٍ ، فِي يَوْمٍ مَعْدُومٍ ، وَإِعْطَاءُ لَوْنِ الْوُجُودِ ، لِثَلَاثِ مَرَاتِبَ مِنَ الْعَدَمِ ، بِالتَّأَلُّمِ وَإِظْهَارِ الْجَزَعِ ؛

إِنْ لَمْ يَكُنْ جُنوناً ؛ فَمَا هُوَ ؟ . فَإِذَا كَانَتْ أَزْمِنَةُ الْمَرَضِ ، قَبْلَ هٰذِهِ السَّاعَةِ ، تُورِثُ السُّرُورَ ؛ وَكَانَ مَا بَعْدَ هٰذِهِ السَّاعَةِ ، مَعْدُوماً ؛ وَالْمَرَضُ فِيهِ مَعْدُوماً ؛ وَالْأَلَمُ مَعْدُوماً ؛ فَلَا تُفَرِّقْ هٰكَذَا ، جَمِيعَ مَا أَعْطَاكَ اللهُ تَعَالٰى ، مِنْ قُوَّةِ الصَّبْرِ ، إِلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ ؛ وَاحْشُدْهَا أَمَامَ مَا فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ ، مِنَ الْأَلَمِ ؛ وَقُلْ : يَا صَبُورُ ! وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّانِيَ عَشَرَ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْمَحْرُومُ عَنْ عِبادَتِهِ وَأَوْرَادِهِ ، بِسَبَبِ الْمَرَضِ ، وَالْمَحْزُونَ عَنْ ذٰلِكَ الْحِرْمَانِ ! فَاعْلَمْ أَنَّهُ ثَبَتَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ مُؤْمِناً تَقِيّاً ، يَفُوزُ فِي زَمَنِ الْمَرَضِ أَيْضاً ، بِثَوَابِ وِرْدِهِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِسَبَبِ الْمَرَضِ ؛ وَأَنَّ مَرِيضاً يُؤَدِّي الْفَرَائِضَ بِقَدَرِ الاِسْتِطَاعَةِ ؛ يَقُومُ الْمَرَضُ مَقَامَ سَائِرِ السُّنَنِ ، عَلٰى وَجْهٍ خَالِصٍ ، فِي زَمَنِ ذٰلِكَ الْمَرَضِ الثَّقِيلِ ؛ وَذٰلِكَ يَكُونُ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ ، وَبِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْمَرَضَ يُشْعِرُ الْإِنْسَانَ ، بِمَا فِيهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ ؛ فَيَجْعَلُهُ دَاعِياً بِلِسَانِ ذٰلِكَ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ ، حَالاً وَقَالاً ؛ وَإِنَّ اللهَ تَعَالٰى ، أَعْطَى الْإِنْسَانَ ، عَجْزاً بِغَيْرِ حَدٍّ ، وَضَعْفاً بِلَا نِهَايَةٍ ؛ لِيَدْعُوَ اللهَ ؛ وَيَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ ؛ وَيَلْتَجِئَ إِلَى بَابِهِ دَائِماً . وَالْمَرَضُ يَكُونُ سَبَباً لِلتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ الْخَالِصِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ قِيمَةِ الْإِنْسَانِ ، وَحِكْمَةُ خِلْقَتِهِ ، بِسِرِّ آيَةِ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ ، مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ ؛ لَا أَنْ يَشْتَكِيَ مِنْهُ ؛ وَأَنْ لَا يَسُدَّ بِكَسْبِ الْعَافِيَةِ ، قَنَاةَ الدُّعَاءِ ، الَّتِي فَتَحَهَا الْمَرَضُ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّالِثَ عَشَرَ :﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْبَائِسُ الْمُشْتَكِيَ عَنِ الْمَرَضِ ! إِنَّ الْمَرَضَ دَفِينَةٌ مُهِمَّةٌ ، وَهَدِيَّةٌ إِلٰهِيَّةٌ قَيِّمَةٌ ، لِلْبَعْضِ ؛ فَكُلُّ مَرِيضٍ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَوَّرَ مَرَضَهُ مِنْ ذٰلِكَ النَّوْعِ . فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْأَجَلِ ، غَيْرَ مُعَيَّنٍ ؛ وَسَتَرَ اللهُ تَعَالَى ، الْأَجَلَ بِحِكْمَتِهِ ، لِإِنْقَاذِ الْإِنْسَانِ ، عَنِ الْيَأْسِ الْمُطْلَقِ ، وَالْغَفْلَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَلِإِمْسَاكِ الْإِنْسَانِ ، بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، وَفِي مَرْكَزِ الْحِفْظِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَأَمْكَنَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْتُ ، كُلَّ وَقْتٍ ؛ فَإِنْ أَخَذَ الْإِنْسَانَ ، بَيْنَ الْغَفْلَةِ ؛ احْتَمَلَ أَنْ يَضُرَّ كَثِيراً ، بِحَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ . فَالْمَرَضُ يُفَرِّقُ

الْغَفْلَة ؛ وَيُفَكِّرُ فِي الْآخِرَةِ ؛ وَيُذَكِّرُ الْمَوْتَ ؛ فَيَسْتَعِدُّ الْإِنْسَانُ كَذٰلِكَ ؛ فَقَدْ يَكُونُ رِبْحُهُ ، بِحَيْثُ يَفُوزُ فِي عِشْرِينَ يَوْماً ، بِمَرْتَبَةٍ لَا يَفُوزُ بِهَا عِشْرِينَ عَاماً .. فَمِنْ ذٰلِكَ : أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِنَا ، شَابَّانِ رَحِمَهُمَا اللهُ ، أَحَدُهُمَا «صَبْرِيٌّ» ، مِنْ قَرْيَةِ «إِيلَامَا» ؛ وَالْآخَرُ «مُصْطَفٰى وَزِيرْ زَادَهْ» ، مِنْ قَرْيَةِ «إِسْلَامْ كُويِي» ؛ فَهٰذَانِ الرَّجُلَانِ ، مَعَ أَنَّهُمَا كَانَا غَيْرَ كَاتِبَيْنِ ، بَيْنَ تَلَامِذَتِي ، كُنْتُ أَرَاهُمَا بِالْحَيْرَةِ ، فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، فِي الْإِخْلَاصِ ، وَفِي خِدْمَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَكُنْتُ لَا أَعْلَمُ حِكْمَتَهُ ؛ وَبَعْدَ أَنْ تُوُفِّيَا ، عَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ فِي كِلَيْهِمَا ، مَرَضٌ أَهَمُّ ؛ فَكَانَا عَلٰى تَقْوٰى أَهَمَّ ، وَعَلٰى خِدْمَةٍ أَقْوَمَ ، وَعَلٰى حَالٍ أَنْفَعَ لِلْآخِرَةِ ، بِإِرْشَادِ ذٰلِكَ الْمَرَضِ ، عَلٰى خِلَافِ سَائِرِ الشَّبَابِ الْغَافِلِينَ التَّارِكِينَ لِلْفَرَائِضِ ؛ وَأَصْبَحَتْ مَشَقَّةُ سَنَتَيْنِ مِنْ مَرَضِهِمَا ، وَسِيلَةً لِمَلَايِينِ سِنِينَ ، مِنْ سَعَادَةِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ لَهُمَا ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ وَإِنِّي أَفْهَمُ الْآنَ ، أَنَّ الدُّعَاءَ الَّذِي كُنْتُ أَدْعُوهُ لِصِحَّتِهِمَا أَحْيَاناً ، أَصْبَحَ دُعَاءً عَلَيْهِمَا ، بِاعْتِبَارِ الدُّنْيَا ؛ وَعَسٰى أَنْ يُتَقَبَّلَ ذٰلِكَ الدُّعَاءُ ، لِصِحَّتِهِمَا الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ . فَهٰذَانِ الرَّجُلَانِ وَجَدَا رِبْحاً مِقْدَارَ مَا يُكْتَسَبُ بِتَقْوٰى فِي عَشْرِ سِنِينَ ، عَلٰى مَا أَعْتَقِدُ ؛ فَلَوْ أَمِنَا بِصِحَّتِهِمَا وَشَبَابِهِمَا ؛ وَأَلْقَيَا بِأَنْفُسِهِمَا ، إِلَى الْغَفْلَةِ وَالسَّفَاهَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ الْمَوْتُ ، يَتَرَصَّدُهُمَا ؛ فَأَخَذَهُمَا بَيْنَ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ ؛ لَجَعَلَا قَبْرَيْهِمَا ، وَكْرَ الْعَقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ ، بَدَلاً عَنْ دَفِينَةِ تِلْكَ الْأَنْوَارِ . فَإِذَا كَانَ لِلْمَرَضِ ، مَنَافِعُ كَذٰلِكَ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يَشْتَكِيَ مِنْهُ ؛ بَلْ يَشْكُرَ عَلَيْهِ ، مَعَ الصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ ؛ وَيَأْمَنَ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالٰى ..

﴿اَلدَّوَاءُ الرَّابِعَ عَشَرَ :﴾ **أَيُّهَا الْمَرِيضُ الَّذِي طَرَأَ الْحَائِلُ ، عَلٰى عَيْنِهِ !** إِنَّكَ ، إِنْ عَلِمْتَ مَا تَحْتَ الْحَائِلِ النَّازِلِ عَلٰى بَصَرِ الْمُؤْمِنِ ، مِنْ نُورٍ وَبَصَرٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ لَقُلْتَ : **شُكْراً لِرَبِّيَ الرَّحِيمِ ، مِئَةَ أَلْفِ شُكْرٍ ..**

وَأَذْكُرُ لِإِيضَاحِ هٰذَا الدَّوَاءِ ، حَادِثاً ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ ابْيَضَّتْ عَيْنَا خَالَةِ «سُلَيْمَانَ الْبَارْلَاوِيِّ» الَّذِي خَدَمَنِي ثَمَانِيَ سِنِينَ ، بِكَمَالِ الصَّدَاقَةِ ، بِدُونِ إِزْعَاجٍ ؛ فَكَانَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، تُحْسِنُ الظَّنَّ بِي ، أَكْثَرَ مِنْ حَدِّي ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَأَخَذَتْنِي بِبَابِ الْمَسْجِدِ ؛

وَقَالَتِ : ادْعُ لِكَشْفِ بَصَرِي ؛ فَجَعَلْتُ صَلاحَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْمَجْذُوبَةِ الْمُبَارَكَةِ ، شَفِيعاً لِدُعَائِي ؛ وَتَضَرَّعْتُ قَائِلاً : يَا رَبِّ اكْشِفْ عَنْ بَصَرِهَا ، بِحُرْمَةِ صَلاحِهَا ؛ فَجَاءَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، طَبِيبٌ لِلْعُيُونِ ، مِنْ مُحَافَظَةِ «بُورْدُور» ؛ وَكَشَفَ عَنْ عَيْنَيْهَا ؛ وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، انْسَدَّتْ عَيْنَاهَا أَيْضاً ؛ فَتَأَثَّرْتُ كَثِيراً ؛ وَدَعَوْتُ كَثِيراً ؛ وَعَسٰى أَنْ يُتَقَبَّلَ ذٰلِكَ الدُّعَاءُ ، لِآخِرَتِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ . وَإِلَّا ، لَكَانَ ذٰلِكَ الدُّعَاءُ ، دُعَاءً عَلَيْهَا خَاطِئاً فِي حَقِّهَا جِدّاً ؛ لِأَنَّ أَجَلَهَا بَقِيَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ فَتُوُفِّيَتْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ رَحِمَهَا اللهُ تَعَالٰى ؛ فَفَازَتْ تِلْكَ الْمَرْحُومَةُ ، بِالتَّفَرُّجِ عَلٰى رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، فِي قَبْرِهَا ، أَرْبَعِينَ أَلْفَ يَوْمٍ ، بَدَلاً عَنِ النَّظَرِ بِعَيْنِ الشَّيْبِ الرَّقِيقِ ، إِلٰى حَدَائِقِ «بَارْلَا» الْحَزِينَةِ ، أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ فَإِنَّهَا كَانَ إِيمَانُهَا قَوِيّاً ، وَصَلاحُهَا مَتِيناً . نَعَمْ : إِنَّ مُؤْمِناً إِذَا غُشِيَ بَصَرُهُ ؛ وَدَخَلَ الْقَبْرَ مَغْشِيَّ الْبَصَرِ ؛ يَتَفَرَّجُ عَلٰى عَالَمِ النُّورِ ، أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ ، حَسَبَ دَرَجَتِهِ ؛ فَكَمَا أَنَّنَا نَرٰى فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، أَشْيَاءً كَثِيرَةً ، لَا يَرَاهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَضِرَّاءُ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ أُولٰئِكَ الْأَضِرَّاءَ ، إِنْ ذَهَبُوا بِالْإِيمَانِ ؛ يَرَوْنَ فِي الْقَبْرِ أَزْيَدَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ ، بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ ؛ فَيَرَوْنَ حَدَائِقَ الْجَنَّةِ ؛ وَيَتَفَرَّجُونَ عَلَيْهَا كَالسِّينَمَا ، حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ قَبِيلِ النَّظَرِ بِنَظَّارَاتٍ تُقَرِّبُ مَا هُوَ أَبْعَدُ . فَمِثْلُ هٰذَا الْبَصَرِ النَّيِّرِ جِدّاً ، الَّذِي يُبْصِرُ الْجَنَّةَ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ؛ وَيَتَفَرَّجُ عَلَيْهَا ؛ وَهُوَ تَحْتَ التُّرَابِ ؛ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَهُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ ، تَحْتَ حِجَابِ عَيْنِكَ هٰذِهِ . فَطَبِيبُ الْعُيُونِ ، الَّذِي يَكْشِفُ ذٰلِكَ الْحِجَابَ عَنْ بَصَرِكَ ؛ وَيُبْصِرُكَ بِذٰلِكَ الْبَصَرِ ، هُوَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الْخَامِسَ عَشَرَ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الَّذِي يَتَأَوَّهُ وَيَئِنُّ ! لَا تَنْظُرْ إِلٰى صُورَةِ الْمَرَضِ ؛ فَتَقُولَ : آهٍ ؛ وَانْظُرْ إِلٰى مَعْنَاهُ ؛ فَقُلْ : بَخٍ ؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَى الْمَرَضِ ، شَيْئاً حَسَناً ؛ لَمَا أَعْطَى الْخَالِقُ الرَّحِيمُ ، أَحَبَّ عِبَادِهِ ، الْأَمْرَاضَ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : ﴿أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً ، الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ ، الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ﴾ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ ؛ يَعْنِي : أَنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يُصَابُونَ وَيُبْتَلَوْنَ بِالْبَلاءِ وَالْمِحَنِ ، هُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ وَأَكْمَلُهُمْ ؛ وَهُمْ

الْأَنْبِيَاءُ ؛ وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمْ أَيُّوبُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلاَمُ ، ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ ، ثُمَّ أَهْلُ الصَّلاَحِ ؛ فَإِنَّهُمْ نَظَرُوا إِلٰى مَا عَانَوْهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، بِنَظَرِ الْعِبَادَاتِ الْخَالِصَةِ ، وَالْهَدَايَا الرَّحْمَانِيَّةِ ؛ فَشَكَرُوا بَيْنَ الصَّبْرِ ؛ وَرَأَوْهَا مِنْ قَبِيلِ عَمَلِيَّاتٍ جِرَاحِيَّةٍ تَأْتِي عَنْ رَحْمَةِ الْخَالِقِ الرَّحِيمِ . .

فَيَا أَيُّهَا الْمَرِيضُ الَّذِي يَتَأَوَّهُ وَيَصْرَخُ ! إِنْ شِئْتَ أَنْ تَلْتَحِقَ بِهٰذَا الرَّكْبِ الْمُنَوَّرِ ؛ فَاشْكُرْ بَيْنَ الصَّبْرِ . وَإِلَّا فَإِنْ شَكَوْتَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَكَ إِلٰى رَكْبِهِمْ ؛ وَتَسْقُطُ فِي حُفْرَةِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ؛ وَتَسْلُكُ فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ . نَعَمْ : إِنَّ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، مَا إِذَا خُتِمَ بِالْمَوْتِ ؛ يُنْتِجُ دَرَجَةً مِنَ الْوِلَايَةِ ، كَالشَّهَادَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ . فَمِنْهُ : أَنَّ الْمُتَوَفّٰى بِأَمْرَاضٍ تَنْشَأُ عَنِ الْوِلَادَةِ[1] ، وَبِوَجَعِ الْبَطْنِ ، وَبِالْغَرَقِ وَالْحَرْقِ وَالطَّاعُونِ ؛ يَكُونُ شَهِيداً مَعْنَوِيّاً ؛ كَمَا أَنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ أَمْرَاضٍ مُبَارَكَةٍ ، تُحَصِّلُ بِالْمَوْتِ ، دَرَجَةَ الْوِلَايَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ الْمَرَضَ يُخَفِّفُ عِشْقَ الدُّنْيَا وَعَلَاقَتَهَا ؛ فَيُخَفِّفُ الْفِرَاقَ الْمُرَّ الْأَلِيمَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ؛ وَيُحَبِّبُهُ أَحْيَاناً . .

﴿اَلدَّوَاءُ السَّادِسَ عَشَرَ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْمُشْتَكِي عَنِ الِانْقِبَاضِ ! إِنَّ الْمَرَضَ يُلَقِّنُ الرَّحْمَةَ وَالِاحْتِرَامَ ، اللَّذَيْنِ هُمَا أَهَمُّ الْخَصَائِلِ وَأَجْمَلُهَا ، فِي حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ ؛ لِأَنَّهُ يُنْقِذُ الْإِنْسَانَ ، عَنِ الِاسْتِغْنَاءِ السَّائِقِ إِلَى الْوَحْشَةِ وَالظُّلْمِ ؛ لِأَنَّ نَفْساً أَمَّارَةً تَكُونُ فِي اسْتِغْنَاءٍ نَاشِئٍ عَنِ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ ، لَا تَشْعُرُ بِالِاحْتِرَامِ لِكَثِيرٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأُخُوَّةِ ، الَّتِي تَلِيقُ بِالِاحْتِرَامِ ؛ وَلَا تُحِسُّ بِالرَّحْمَةِ لِلْمَرْضٰى وَالْمُصَابِينَ اللَّائِقِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ؛ وَذٰلِكَ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغٰى ۝ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنٰى﴾ . فَمَتٰى عَلِمَ الْمَرِيضُ ، عَجْزَهُ وَفَقْرَهُ ، فِي ذٰلِكَ الْمَرَضِ ؛ يَحْتَرِمُ إِخْوَانَهُ اللَّائِقِينَ بِالِاحْتِرَامِ ؛ وَيُحِسُّ بِالِاحْتِرَامِ ، إِزَاءَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعُودُونَهُ أَوْ يُعِينُونَهُ ؛ وَيَشْعُرُ بِالرَّحْمَةِ وَبِالشَّفَقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الرِّقَّةِ الْجِنْسِيَّةِ ، لِلْمُصَابِينَ ، تِلْكَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ اللَّتَيْنِ هُمَا مِنْ أَهَمِّ الْخَصَائِلِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَيَقِيسُهُمْ

---

(١) إِنَّ زَمَنَ تَحْصِيلِ هٰذَا الْمَرَضِ ، لِلشَّهَادَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، يَدُومُ إِلٰى أَرْبَعِينَ يَوْماً ، مِنْ مُدَّةِ النِّفَاسِ . .
اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

عَلٰى نَفْسِهِ ؛ فَيُشْفِقُ عَلَيْهِمْ وَيَتَأَلَّمُ لَهُمْ ، بِكُلِّ مَعْنَاهُ ؛ وَإِذَا أَمْكَنَهُ يُعِينُهُمْ ؛ فَلَا أَقَلَّ أَنَّهُ يَدْعُو لِلْمَرِيضِ ؛ أَوْ يَعُودُهُ لِلسُّؤَالِ عَنْ حَالِهِ ؛ وَتِلْكَ سُنَّةٌ شَرْعاً ؛ فَيَكْسِبُ الثَّوَابَ . .

﴿اَلدَّوَاءُ السَّابِعَ عَشَرَ:﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْمُشْتَكِيَ عَنْ تَرْكِ الْخَيْرَاتِ ، بِسَبَبِ الْمَرَضِ ! اشْكُرْ ؛ فَإِنَّ الْمَرَضَ ، هُوَ الَّذِي فَتَحَ لَكَ بَابَ أَخْلَصِ الْخَيْرَاتِ ؛ وَإِنَّهُ أَهَمُّ وَسِيلَةٍ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُحَصِّلُ الثَّوَابَ دَائِماً لِلْمَرِيضِ ، وَلِمَنْ يَخْدُمُونَهُ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالٰى . نَعَمْ : إِنَّ الْخِدْمَةَ لِلْمَرْضٰى ، لَهَا ثَوَابٌ مُهِمٌّ ، لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَإِنَّ السُّؤَالَ عَنْ حَالِ الْمَرْضٰى ، وَعِيَادَتَهُمْ ، بِشَرْطِ عَدَمِ تَضْيِيقِهِمْ ، سُنَّةٌ سَنِيَّةٌ ؛ وَتَكُونُ كَفَّارَةً لِلذُّنُوبِ . وَفِي الْحَدِيثِ ، مَا مَعْنَاهُ : خُذُوا دُعَاءَ الْمَرْضٰى ؛ فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مَقْبُولٌ ؛ وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمَرِيضُ ، مِنَ الْأَقَارِبِ ؛ وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ الْوَالِدَ وَالْوَالِدَةَ ؛ فَإِنَّ الْخِدْمَةَ لَهُمْ ، عِبَادَةٌ مُهِمَّةٌ وَمَثُوبَةٌ عَظِيمَةٌ ؛ وَإِنَّ تَطْيِيبَ قُلُوبِ الْمَرْضٰى ، وَتَسْلِيَتَهُمْ ، تُصْبِحُ فِي حُكْمِ صَدَقَةٍ مُهِمَّةٍ . إِنَّ السَّعِيدَ ، هُوَ الْوَلَدُ الَّذِي يُفَرِّحُ قَلْبَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، الَّذِي يَتَأَثَّرُ سَرِيعاً ؛ وَيَأْخُذُ دُعَاءَهُمُ الْخَيْرَ ، فِي زَمَنِ مَرَضِهِمَا . نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الْوَلَدَ الصَّالِحَ الَّذِي يُقَابِلُ بِكَمَالِ الِاحْتِرَامِ ، وَشَفَقَةِ الْوَلَدِيَّةِ ، شَفَقَةَ وَالِدَيْهِ اللَّذَيْنِ هُمَا أَلْيَقُ حَقِيقَةٍ بِالِاحْتِرَامِ ، فِي حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ ، تُبَارِكُهُ الْمَلَائِكَةُ ؛ وَيَقُولُونَ لَهُ : «مَا شَاءَ اللهُ ؛ وَبَارَكَ اللهُ» ، أَمَامَ لَوْحَةِ الْوَفَاءِ ، تِلْكَ اللَّوْحَةِ الدَّالَّةِ عَلٰى عُلُوِّ الْإِنْسَانِ ، وَفَضْلِ ذٰلِكَ الْوَلَدِ ؛ وَيَسْتَحْسِنُونَ تِلْكَ اللَّوْحَةَ . نَعَمْ : تُوجَدُ فِي زَمَنِ الْمَرَضِ ، لَذَائِذُ تَنْشَأُ عَنِ الرَّحْمَةِ وَالتَّأَلُّمِ وَالشَّفَقَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْفَرَحِ وَاللَّذَّةِ ، الَّتِي تَتَظَاهَرُ حَوْلَهُ ؛ فَتُنَزِّلُ أَلَمَ الْمَرَضِ ، إِلٰى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؛ وَإِنَّ قَبُولَ دُعَاءِ الْمَرِيضِ ، مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ . وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُو لِلشِّفَاءِ عَنْ مَرَضٍ يُقَالُ لَهُ : مَرَضُ «الْكَتِفِ» ؛ وَكَانَ فِي بَدَنِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرَضَ أُعْطِيَ لِأَجْلِ الدُّعَاءِ . وَإِنَّ الدُّعَاءَ لَا يَرْفَعُ الدُّعَاءَ(١) : أَيْ لَا يَرْفَعُ

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ بَعْضَ الْأَمْرَاضِ ، سَبَبٌ لِوُجُودِ الدُّعَاءِ . فَإِذَا أَصْبَحَ الدُّعَاءُ ، سَبَباً لِعَدَمِ الْمَرَضِ ؛ يَصِيرُ وُجُودُ الدُّعَاءِ سَبَباً لِعَدَمِ نَفْسِهِ ؛ وَهٰذَا لَا يُمْكِنُ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

نَفْسَهُ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ نَتِيجَةَ الدُّعَاءِ ، أُخْرَوِيَّةٌ ؛ وَأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ فَيَفْهَمُ الْمَرِيضُ ، عَجْزَهُ ، بِالْمَرَضِ ؛ فَيَلْتَجِئُ إِلَى بَابِهِ تَعَالَى ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِي ، تَرْكُ الدُّعَاءِ ، لِعَدَمِ قَبُولِ دُعَائِي ظَاهِراً ؛ مَعَ أَنِّي كُنْتُ أَدْعُو لِلشِّفَاءِ ، ثَلاثِينَ عَاماً ؛ لِأَنَّ الْمَرَضَ ، وَقْتُ الدُّعَاءِ ؛ وَالشِّفَاءُ لَيْسَ نَتِيجَةَ الدُّعَاءِ ؛ بَلْ إِذَا شَفَاهُ **الْحَكِيمُ الرَّحِيمُ** ؛ فَإِنَّمَا يَشْفِيهِ مِنْ فَضْلِهِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الدُّعَاءَ إِذَا لَمْ يُتَقَبَّلْ كَمَا نَدْعُو ؛ لا يُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُتَقَبَّلْ ؛ فَإِنَّ **الْخَالِقَ الْحَكِيمَ** ، هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ ؛ فَيُعْطِي مَا هُوَ خَيْرٌ لِنَفْعِنَا ؛ فَيَصْرِفُ أَحْيَاناً ، دُعَاءَنَا الْعَائِدَ إِلَى الدُّنْيَا ؛ يَصْرِفُهُ لِنَفْعِنَا ، إِلَى الْآخِرَةِ ؛ فَيَتَقَبَّلُهُ كَذٰلِكَ ؛ وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنَّ دُعَاءً كَسَبَ الْخُلُوصَ ، بِسِرِّ الْمَرَضِ ، وَلاسِيَّمَا مَا يَنْشَأُ عَنِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ، وَالتَّذَلُّلِ وَالاحْتِيَاجِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْقَبُولِ جِدّاً . وَالْمَرَضُ وَسِيلَةٌ لِمِثْلِ هٰذَا الدُّعَاءِ الْخَالِصِ ؛ فَلْيَسْتَفِدِ الْمَرِيضُ الْمُتَدَيِّنُ وَالْمُؤْمِنُونَ الْخَادِمُونَ لِلْمَرِيضِ ، مِنْ هٰذَا الدُّعَاءِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّامِنَ عَشَرَ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الَّذِي تَرَكَ الشُّكْرَ ؛ وَسَلَكَ الشَّكْوَى !

إِنَّ الشَّكْوَى يَأْتِي عَنْ حَقٍّ ؛ وَلَمْ يَضِعْ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِكَ ؛ كَيْ تَشْكُوَ ؛ بَلْ إِنَّكَ لَمْ تُؤَدِّ كَثِيراً مِنْ أَنْوَاعِ شُكْرٍ يَحِقُّ عَلَيْكَ ؛ وَكَأَنَّكَ تَطْلُبُ الْحَقَّ ، بِغَيْرِ حَقٍّ ، بِدُونِ أَنْ تَدْفَعَ حَقَّ اللهِ ؛ فَتَشْكُو كَذٰلِكَ ؛ وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُمْ صِحَاحٌ ، فِي مَرَاتِبَ أَعْلَى مِنْكَ ؛ كَيْ تَشْكُوَ ؛ بَلْ إِنَّكَ مُكَلَّفٌ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَرْضَى بَائِسِينَ ، أَدْنَى مِنْكَ فِي الصِّحَّةِ ؛ كَيْ تَشْكُرَ ؛ فَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ مُنْكَسِرَةً ؛ فَانْظُرْ إِلَى الَّذِينَ هُمْ مَقْطُوعَةُ الْأَيْدِي ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِحْدَى عَيْنَيْكَ ؛ فَانْظُرْ إِلَى عُمْيٍ لَيْسَ لَهُمْ عَيْنَانِ ؛ فَاشْكُرِ اللهَ تَعَالَى . **نَعَمْ** : لا حَقَّ لِأَحَدٍ ، أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ ، فِي النِّعْمَةِ ؛ فَيَشْتَكِيَ . وَحَقُّ كُلِّ أَحَدٍ فِي الْمُصِيبَةِ ، أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ ، فِي الْمُصِيبَةِ ؛ فَيَشْكُرَ . وَقَدْ أُوضِحَ هٰذَا السِّرُّ ، فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ ، بِتَمْثِيلٍ مَّا ؛ وَإِجْمَالُهُ : أَنَّ إِنْسَاناً فَاضِلاً ، يَصْعَدُ بِمِسْكِينٍ ، إِلَى رَأْسِ مَنَارَةٍ ؛ وَيُعْطِيهِ فِي كُلِّ مِرْقَاةٍ ، إِحْسَاناً وَهَدِيَّةً أُخْرَى ؛ وَيُعْطِيهِ عَلَى رَأْسِ الْمَنَارَةِ نَفْسِهِ ، أَكْبَرَ هَدِيَّةٍ ؛ فَمَعَ أَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ ذٰلِكَ الْبَائِسِ ، الشُّكْرَ وَالامْتِنَانَ ، إِزَاءَ تِلْكَ الْهَدَايَا الْمُتَنَوِّعَةِ ؛ فَإِذَا نَسِيَ ذٰلِكَ النَّذِيلُ ، جَمِيعَ

تِلْكَ الْهَدَايَا الَّتِي وَجَدَهَا فِي تِلْكَ الْمَرَاقِي ؛ أَوْ عَدَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْعَدَمِ ؛ فَلَمْ يَشْكُرْ عَلَيْهَا ؛ وَنَظَرَ إِلَى الْأَعْلٰى ؛ فَشَرَعَ فِي الشَّكْوٰى ؛ وَقَالَ : يَا لَيْتَ هٰذِهِ الْمَنَارَةَ ، كَانَتْ أَطْوَلَ ؛ فَأَطْلَعَ إِلَى الْأَعْلٰى ؛ وَلِمَاذَا لَمْ تَكُنْ أَعْلٰى مِثْلَ ذٰلِكَ الْجَبَلِ ، أَوْ كَالْمَنَارَةِ الْأُخْرٰى ؛ يَكُونُ ذٰلِكَ ، ظُلْماً وَكُفْرَانَ نِعْمَةٍ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ إِنْسَاناً مَّا ؛ مَعَ أَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ ؛ فَلَمْ يُصْبِحْ حَجَراً ؛ وَلَا صَارَ شَجَراً ؛ وَلَمْ يَبْقَ حَيَوَاناً ؛ وَأَصْبَحَ إِنْسَاناً ؛ وَصَارَ مُسْلِماً ؛ وَوَجَدَ الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ ، زَمَناً كَثِيراً ؛ وَفَازَ بِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ ، مِنَ النِّعْمَةِ ؛ فَإِذَا اشْتَكٰى مِنَ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَاعْتَرَضَ عَلٰى رُبُوبِيَّتِهِ ؛ حَيْثُ لَمْ يَسْتَحِقَّ بِبَعْضِ النِّعَمِ ، كَالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ ، بِسَبَبِ بَعْضِ الْمَوَانِعِ ؛ أَوْ فَوَّتَهَا مِنْ يَدِهِ ، بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ ، أَوْ بِسُوءِ اسْتِعْمَالِهِ ؛ أَوْ لَمْ تَنَلْهَا يَدُهُ ؛ فَأَظْهَرَ الْجَزَعَ ؛ وَقَالَ : يَا لَلْأَمَانِ ! مَاذَا فَعَلْتُ ؛ فَنَزَلَ عَلَيَّ مِثْلُ هٰذَا الْبَلَاءِ ؛ فَإِنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْحَالَةِ ، مَرَضٌ مَعْنَوِيٌّ أَشَدُّ مُصِيبَةً ، مِنَ الْمَرَضِ الْمَادِّيِّ ؛ فَهُوَ يَزِيدُ مَرَضَهُ ، بِشِكَايَتِهِ ، كَالضَّرْبِ بِالْيَدِ الْمَكْسُورَةِ . فَالْعَاقِلُ ، هُوَ الَّذِي يُسْلِمُ لِلّٰهِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ؛ وَيَصْبِرُ حَتّٰى يَقْضِيَ ذٰلِكَ الْمَرَضُ ، خِدْمَتَهُ ؛ فَيَذْهَبَ . .

﴿اَلدَّوَاءُ التَّاسِعَ عَشَرَ :﴾ أَنَّ الْجَمِيلَ الْجَلِيلَ ، يُبَيِّنُ بِتَعْبِيرِهِ الصَّمَدَانِيِّ ، بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، أَنَّ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ جَمِيلَةٌ ؛ وَإِنَّ أَجْمَعَ مَرَايَا الصَّمَدِيَّةِ ، وَأَجْمَلَهَا وَأَلْطَفَهَا ، هِيَ الْحَيَاةُ ؛ فَإِنَّ مِرْآةَ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ ؛ وَإِنَّ الْمِرْآةَ الَّتِي تُظْهِرُ مَحَاسِنَ الْجَمِيلِ ، تَتَجَمَّلُ ؛ فَكَمَا أَنَّ مَا يُصِيبُ تِلْكَ الْمِرْآةَ ، مِنْ ذٰلِكَ الْجَمِيلِ ، جَمِيلٌ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَا يُصِيبُ الْحَيَاةَ ، مِنْ مُصِيبَةٍ مَّا ؛ فَهُوَ جَمِيلٌ فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ نُقُوشاً جَمِيلَةً ، مِنْ نُقُوشِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى . فَالْحَيَاةُ إِذَا مَضَتْ عَلٰى نَسَقٍ وَاحِدٍ ، فِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ دَائِماً ؛ تَكُونُ مِرْآةً نَاقِصَةً ؛ بَلْ تُشْعِرُ بِالْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ وَالْاِنْعِدَامِ ، بِجِهَةٍ مَّا ؛ فَتُورِثُ الْاِنْقِبَاضَ ؛ وَتُنَزِّلُ قِيمَةَ الْحَيَاةِ ؛ وَتُقَلِّبُ لَذَّةَ الْعُمْرِ ، إِلٰى ضِيقِ الصَّدْرِ ؛ فَيُرِيدُ أَنْ يَقْضِيَ وَقْتَهُ سَرِيعاً ؛ فَيُلْقِي نَفْسَهُ ، إِلَى السَّفَهِ أَوِ اللَّهْوِ ، مِنَ الْاِنْقِبَاضِ ؛ وَيُعَادِي عُمْرَهُ الْقَيِّمَ ، مِثْلَ مُدَّةِ السِّجْنِ ؛ فَيُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَهُ وَيَقْضِيَهُ سَرِيعاً ؛ وَلٰكِنَّ حَيَاةً تَكُونُ فِي التَّحَوُّلِ وَالْحَرَكَةِ وَالتَّقَلُّبِ بَيْنَ أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ ، تُؤْذِنُ بِقِيمَتِهَا ؛

وَتُعْلِنُ أَهَمِّيَّةَ الْعُمْرِ وَلَذَّتَهُ ؛ فَلا يُرِيدُ الإِنْسَانُ ، مُرُورَ عُمْرِهِ ؛ وَلَوْ كَانَ فِي الْمَشَقَّةِ وَالْمُصِيبَةِ ؛ وَلا يَضْجَرُ مِنَ الانْقِبَاضِ ، قَائِلاً : يَا لَلْأَمَانِ ! أَلَمْ تَغْرُبِ الشَّمْسُ ؛ أَوْ أَلَمْ يَنْتَهِ اللَّيْلُ . نَعَمْ : فَاسْأَلْ غَنِيّاً عَاطِلاً ، فِي فِرَاشِ الاسْتِرَاحَةِ ؛ وَعِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ ؛ وَقُلْ لَهُ : فِي أَيِّ حَالٍ أَنْتَ ؟ تَسْمَعْ عَنْهُ كَلِمَاتٍ أَلِيمَةً ، مِثْلَ قَوْلِهِ : يَا لَلْأَمَانِ ! لا يَمْضِي الْوَقْتُ ؛ تَعَالَ نَلْعَبِ النَّرْدَ ؛ أَوْ نَجِدْ لَهْواً ، لِإِمْرَارِ الْوَقْتِ ؛ أَوْ تَسْمَعْ عَنْهُ ، شَكَايَا نَاشِئَةً عَنْ طُولِ الْأَمَلِ ، مِثْلَ قَوْلِهِ : إِنِّي يَنْقُصُنِي هٰذَا الشَّيْءُ ؛ وَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ هٰذَا الْعَمَلَ . وَاسْأَلْ مُصَاباً أَوْ عَامِلاً وَفَقِيراً ، فِي حَالٍ شَاقٍّ ؛ وَقُلْ لَهُ : فِي أَيِّ حَالٍ أَنْتَ ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ ؛ إِنْ كَانَ عَاقِلاً : شُكْراً لِرَبِّي أَنِّي سَالِمٌ ؛ وَأَنِّي أَعْمَلُ ؛ يَا لَيْتَ الشَّمْسَ لَمْ تَغْرُبْ فَوْراً ؛ فَأَقْضِيَ هٰذَا الْعَمَلَ ؛ وَإِنَّ الْوَقْتَ يَمْضِي سَرِيعاً ؛ وَالْعُمْرَ لا يَقِفُ فَيَزُولَ ؛ وَإِنِّي أُقَاسِي الْمِحْنَةَ حَقِيقَةً ؛ وَلٰكِنَّ هٰذَا سَيَمْضِي أَيْضاً ؛ وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَمْضِي هٰكَذَا سَرِيعاً ؛ فَيَقُولُ ذٰلِكَ ؛ وَيُعْلِنُ بِتَأَسُّفِهِ عَلٰى مُضِيِّ الْعُمْرِ : أَنَّ الْعُمْرَ قَيِّمٌ مَعْنًى . فَإِذاً إِنَّهُ يَفْهَمُ لَذَّةَ الْعُمْرِ ، وَقِيمَةَ الْحَيَاةِ ، بِالْمَشَقَّةِ وَالْعَمَلِ . وَأَمَّا الرَّاحَةُ وَالصِّحَّةُ ، فَإِنَّهُمَا تَجْعَلانِ الْعُمْرَ أَلِيماً ؛ فَلِذٰلِكَ يَتَمَنّٰى مُضِيَّهُ . فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ الْمَرِيضُ ! أَنَّ أَصْلَ الْمَصَائِبِ وَالشُّرُورِ ، حَتَّى الذُّنُوبِ ، وَخَمِيرَتَهَا هِيَ الْعَدَمُ ؛ وَأَنَّ الْعَدَمَ شَرٌّ وَظُلْمَةٌ ؛ وَأَنَّ مِثْلَ التَّنَاسُقِ وَالاسْتِرَاحَةِ وَالسُّكُوتِ وَالسُّكُونِ وَالتَّوَقُّفِ ، مِنَ الْحَالاتِ ، لِكَوْنِهَا قَرِيبَةً مِنَ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ ، تُشْعِرُ بِمَا فِي الْعَدَمِ ، مِنَ الظُّلْمَةِ ؛ فَتُورِثُ الانْقِبَاضَ . وَأَمَّا الْحَرَكَةُ وَالتَّحَوُّلُ ؛ فَهُوَ وُجُودٌ ؛ وَيُشْعِرُ بِالْوُجُودِ . وَالْوُجُودُ نُورٌ وَخَيْرٌ مَحْضٌ ؛ كَمَا أُثْبِتَ فِي رَسَائِلَ أُخْرٰى ، بِالتَّفْصِيلِ ، بِوَجْهٍ قَاطِعٍ . فَإِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ ، هِيَ هٰذِهِ ؛ فَإِنَّ مَا فِيكَ مِنَ الْمَرَضِ ، أُرْسِلَ إِلٰى بَدَنِكَ ضَيْفاً ، لِخَدَمَاتٍ كَثِيرَةٍ ، مِثْلِ تَصْفِيَةِ الْحَيَاةِ الْقَيِّمَةِ ، وَتَقْوِيَتِهَا وَإِعْلائِهَا ، وَتَوْجِيهِ سَائِرِ الْأَجْهِزَةِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي جِسْمِكَ ، إِلٰى ذٰلِكَ الْعُضْوِ الْمَرِيضِ ، مُتَعَاوِنَةً حَوْلَهُ ، وَإِظْهَارِ نُقُوشٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْ نُقُوشِ أَسْمَاءِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ ؛ فَيُؤَدِّي ذٰلِكَ الْمَرَضُ ، خِدْمَتَهُ سَرِيعاً ؛ وَيَذْهَبُ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ وَيَقُولُ لِلْعَافِيَةِ : تَعَالَ وَابْقَ بَدَلاً عَنِّي دَائِماً ؛ وَاقْضِ خِدْمَتَكَ ؛ وَإِنَّ هٰذَا بَيْتُكَ ؛ فَاسْكُنْ فِيهِ بِالْعَافِيَةِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الْعِشْرُونَ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الطَّالِبُ لِدَائِهِ دَوَاءً ! إِنَّ الْمَرَضَ قِسْمَانِ ؛ قِسْمٌ حَقِيقِيٌّ ؛ وَقِسْمٌ وَهْمِيٌّ . .

أَمَّا الْحَقِيقِيُّ ، فَإِنَّ الشَّافِيَ الْحَكِيمَ الْجَلِيلَ ، خَلَقَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً ؛ وَادَّخَرَهَا فِي صَيْدَلِيَّتِهِ الْكُبْرَى ، الَّتِي هِيَ كُرَةُ الْأَرْضِ ؛ فَتِلْكَ الْأَدْوِيَةُ تَقْتَضِي الْأَمْرَاضَ . وَتَنَاوُلُ الْعِلَاجِ ، وَاسْتِعْمَالُهُ لِلتَّدَاوِي ، مَشْرُوعٌ ؛ وَلٰكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ التَّأْثِيرَ وَالشِّفَاءَ ، مِنَ اللهِ تَعَالٰى ؛ فَكَمَا أَعْطَى الدَّاءَ ؛ يُعْطِي الشِّفَاءَ . وَإِنَّ الاِعْتِنَاءَ بِوَصَايَا الطَّبِيبِ الْمُتَدَيِّنِ الْحَاذِقِ ، عِلَاجٌ أَهَمُّ ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَمْرَاضِ ، يَنْشَأُ عَنْ سُوءِ الاِسْتِعْمَالِ ، وَتَرْكِ الْحِمْيَةِ ، وَعَنِ الْإِسْرَافِ وَالسَّيِّئَاتِ ، وَعَنِ السَّفَاهَةِ ، وَتَرْكِ الاِهْتِمَامِ . فَالْحَكِيمُ الْمُتَدَيِّنُ ، يَنْصَحُ وَيُذَكِّرُ وَصَايَا فِي دَائِرَةٍ مَشْرُوعَةٍ ؛ وَيُسَلِّي الْمَرِيضَ ؛ وَيَمْنَعُهُ عَنِ الْإِسْرَافِ ، وَسُوءِ الاِسْتِعْمَالِ الْبَتَّةَ ؛ فَيَعْتَمِدُ الْمَرِيضُ ، عَلٰى ذٰلِكَ التَّسْلِيَةِ ، وَتِلْكَ الْوَصَايَا ؛ فَيُخَفِّفُ مَرَضَهُ ؛ وَيُورِثُ ذٰلِكَ ، فَرَحاً عِوَضاً عَنِ الاِنْقِبَاضِ . .

أَمَّا الْقِسْمُ الْوَهْمِيُّ ، مِنَ الْمَرَضِ ، فَإِنَّ عِلَاجَهُ الَّذِي يَكُونُ تَأْثِيرُهُ أَشَدَّ ، هُوَ عَدَمُ الاِهْتِمَامِ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا يَهْتَمُّ بِهِ ؛ يَتَكَبَّرُ ؛ وَإِذَا لَمْ يُبَالِ بِهِ ؛ يَتَصَاغَرُ وَيَتَفَرَّقُ ؛ فَكَمَا أَنَّ أَحَداً ، كُلَّمَا خَالَطَ النَّحْلَ ؛ تَهْجُمُ عَلَيْهِ ؛ وَإِذَا لَمْ يُبَالِ بِهَا ؛ تَتَفَرَّقُ ؛ وَكَذَا أَنَّهُ كُلَّمَا اهْتَمَّ بِخَيَالٍ نَاشِئٍ عَنْ خَيْطٍ يَتَحَرَّكُ لِعَيْنِهِ ، فِي الظُّلْمَةِ ؛ يَتَكَبَّرُ ذٰلِكَ الْخَيَالُ ؛ بَلْ إِنَّهُ يُهَرِّبُهُ أَحْيَاناً كَالْمَجْنُونِ ؛ وَإِذَا لَمْ يَهْتَمَّ بِهِ ؛ يَرٰى أَنَّهُ خَيْطٌ عَادِيٌّ ، لَيْسَ حَيَّةً ؛ فَيَضْحَكُ لِمَا بِرَأْسِهِ ، مِنَ الْخَوْفِ . وَهٰذَا الْمَرَضُ الْوَهْمِيُّ ، إِذَا دَامَ كَثِيراً ؛ يَنْقَلِبُ إِلَى الْحَقِيقَةِ ؛ وَهُوَ مَرَضٌ سَيِّئٌ ، فِي أُنَاسٍ وَهَّامِينَ وَعَصَبِيِّينَ ؛ فَيَجْعَلُ الْحَبَّةَ قُبَّةً ؛ وَيَنْقُضُ قُوَّتَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ وَلَاسِيَّمَا إِذَا صَادَفَ حُكَمَاءَ نَاقِصِينَ لَا رَحْمَةَ لَهُمْ ، أَوْ أَطِبَّاءَ لَا إِنْصَافَ لَهُمْ ؛ يَزِيدُونَ فِي تَحْرِيكِ أَوْهَامِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ غَنِيّاً ؛ يَذْهَبُ مَالُهُ . وَإِلَّا فَإِمَّا يَذْهَبُ عَقْلُهُ أَوْ صِحَّتُهُ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ :﴾ أَيُّهَا الْأَخُ الْمَرِيضُ ! إِنَّ فِي مَرَضِكَ ، أَلَماً مَادِّيّاً ؛ وَلٰكِنَّهُ تُحِيطُ بِكَ لَذَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ مُهِمَّةٌ ، تُزِيلُ تَأْثِيرَ ذٰلِكَ الْأَلَمِ الْمَادِّيِّ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ وُجِدَ

وَالِدُكَ وَأَقَارِبُكَ ؛ فَإِنَّهُ تَنْتَبِهُ حَوْلَكَ ، مِنْ جَدِيدٍ ، تِلْكَ الشَّفَقَاتُ الْقَدِيمَةُ اللَّذِيذَةُ الَّتِي نَسِيتَهَا مُنْذُ أَمَدٍ ؛ فَتَرىٰ أَيْضاً تِلْكَ الْأَنْظَارَ الْحُلْوَةَ الَّتِي رَأَيْتَهَا فِي زَمَنِ الصِّبَاوَةِ ؛ مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنْ أَنْوَاعِ الصَّدَاقَةِ حَوْلَكَ ، الَّتِي بَقِيَتْ مَخْفِيَّةً وَمَسْتُورَةً ، سَتَنْظُرُ أَيْضاً إِلَيْكَ ، بِالْمَحَبَّةِ ، بِجَاذِبَةِ الْمَرَضِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُصْبِحُ أَلَمُكَ الْمَادِّيُّ ، رَخِيصاً جِدّاً ، إِزَاءَ تِلْكَ الشَّفَقَةِ وَالصَّدَاقَةِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّكَ أَصْبَحْتَ سَيِّداً لِسَادَاتِكَ ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ كُنْتَ تَخْدُمُهُمْ بِالِافْتِخَارِ ؛ وَتَسْعٰى لِتَحْصِيلِ الْتِفَاتِهِمْ ؛ صَارُوا خُدَّاماً لَكَ ، مُشْفِقِينَ عَلَيْكَ ؛ وَأَيْضاً إِنَّكَ وَجَدْتَ مِنَ الْعَدَمِ ، كَثِيرِينَ مِنْ أَحِبَّاءَ مُعِينِينَ ، وَأَصْدِقَاءَ مُشْفِقِينَ ، حَيْثُ جَذَبْتَ إِلَيْكَ ، مَا فِي الْإِنْسَانِ ، مِنَ الشَّفَقَةِ النَّوْعِيَّةِ ، وَالرِّقَّةِ الْجِنْسِيَّةِ ؛ وَأَيْضاً إِنَّكَ تَلَقَّيْتَ مِنْ أَجْلِ الْمَرَضِ ، أَمْرَ التَّعْطِيلِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَدَمَاتِ الشَّاقَّةِ ؛ فَتَسْتَرِيحُ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسُوقَكَ أَلَمُكَ الْجُزْئِيُّ ، إِلَى الشُّكْرِ ، لَا إِلَى الشَّكْوىٰ ، أَمَامَ هٰذِهِ اللَّذَائِذِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، الْبَتَّةَ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ :﴾ أَيُّهَا الْأَخُ الْمُبْتَلىٰ بِأَمْرَاضٍ ثَقِيلَةٍ كَالشَّلَلِ !

أُبَشِّرُكَ أَوَّلاً ، أَنَّ الشَّلَلَ يُعَدُّ مَرَضاً مُبَارَكاً ، لِلْمُؤْمِنِ ؛ وَقَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ، عَنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ، مِنْ زَمَنٍ مَدِيدٍ ؛ فَمَا عَلِمْتُ سِرَّهُ ؛ وَيَرِدُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلىٰ قَلْبِي ، هٰكَذَا : وَهُوَ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ تَعَالَى ، اخْتَارُوا أَسَاسَيْنِ ، لِلْوُصُولِ إِلَى اللهِ ، وَالْخَلَاصِ عَنْ مَهَالِكِ الدُّنْيَا ، الْمَعْنَوِيَّةِ الْعَظِيمَةِ ، وَلِتَحْصِيلِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ . .

أَحَدُهُمَا : هُوَ رَابِطَةُ الْمَوْتِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُمْ عَمِلُوا لِحَيَاتِهِمُ الْأَبَدِيَّةِ ، بِتَصَوُّرِ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ ؛ كَمَا أَنَّهُ هُوَ أَيْضاً ، فِيهَا ضَيْفٌ فَانٍ مُوَظَّفٌ . .

وَثَانِيهِمَا : أَنَّهُمْ سَعَوْا لِإِمَاتَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، بِالرِّيَاضِيَّاتِ وَالْأَرْبَعِينِيَّاتِ ، لِلْخَلَاصِ عَنْ مَهَالِكِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، وَالْحِسِّيَّاتِ الْعَمْيَاءِ ؛ وَإِنَّكَ ، أَيُّهَا الْأَخُ الَّذِي فَقَدَ صِحَّةَ نِصْفِ بَدَنِهِ ! قَدْ أُوتِيتَ بِدُونِ اخْتِيَارٍ ، أَسَاسَيْنِ قَصِيرَيْنِ وَيَسِيرَيْنِ ، هُمَا سَبَبَانِ لِلسَّعَادَةِ ؛ فَإِنَّ كَيْفِيَّةَ بَدَنِكَ ، تُذَكِّرُ دَائِماً ، زَوَالَ الدُّنْيَا ، وَفَنَاءَ الْإِنْسَانِ ؛ فَلَا تُغْرِقُكَ الدُّنْيَا ؛ وَلَا تُغْمِضُ الْغَفْلَةُ بَصَرَكَ ؛ وَلَا تَخْدَعُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ ، بِالْمُشْتَهَيَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، وَالشَّهَوَاتِ الرَّذِيلَةِ ، مَنْ هُوَ عَلىٰ

حَالِ نِصْفِ إِنْسَانٍ ؛ فَيَنْجُو سَرِيعاً ، عَنْ بَلَاءِ تِلْكَ النَّفْسِ ؛ فَالْمُؤْمِنُ يَسْتَفِيدُ بِسِرِّ الْإِيمَانِ ، وَبِالتَّوَكُّلِ وَالتَّسْلِيمِ ، مِنْ ذٰلِكَ الْمَرَضِ الثَّقِيلِ ، مِثْلِ الشَّلَلِ ، فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ ، كَأَرْبَعِينِيَّاتِ أَهْلِ الْوَلَايَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ يُصْبِحُ ذٰلِكَ الْمَرَضُ الثَّقِيلُ ، رَخِيصاً جِدّاً . .

﴿اَلدَّوَاءُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ :﴾ أَيُّهَا الْمَرِيضُ الْمِسْكِينُ ، الْغَرِيبُ الْوَحِيدُ ! إِنَّ الْغُرْبَةَ وَالْوَحْدَةَ ، مَعَ مَرَضِكَ ، إِذَا أَرَقَّتِ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ ، أَمَامَكَ ؛ وَجَذَبَتْ نَظَرَ الشَّفَقَةِ إِلَيْكَ ؛ فَيَا لَلْعَجَبِ ! أَلَا تَجْذِبُ إِلَيْكَ ، نَظَرَ رَحْمَةِ خَالِقِكَ الرَّحِيمِ ، الَّذِي يُقَدِّمُ نَفْسَهُ إِلَيْنَا ، بِصِفَتَيِ «الرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ» ، فِي أَوَائِلِ جَمِيعِ سُوَرِ الْقُرْآنِ ؛ وَيُرَبِّي بِلَمْعَةٍ مِنْ شَفَقَتِهِ ، جَمِيعَ الْأَطْفَالِ ، بِشَفَقَةِ جَمِيعِ الْوَالِدَاتِ ، تِلْكَ الشَّفَقَةِ الْخَارِقَةِ ؛ وَيَمْلَأُ بِجَلْوَةٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَجْهَ الْأَرْضِ ، بِالنِّعَمِ فِي كُلِّ رَبِيعٍ ؛ وَتَكُونُ الْجَنَّةُ ، بِجَمِيعِ مَحَاسِنِهَا ، فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، جَلْوَةً مِنْ رَحْمَتِهِ ؟ . نَعَمْ : إِنَّ انْتِسَابَكَ إِلَيْهِ ، وَمَعْرِفَتَكَ بِهِ ، وَتَضَرُّعَكَ إِلَيْهِ ، بِلِسَانِ عَجْزِ الْمَرَضِ ، وَمَرَضَكَ وَوَحْدَتَكَ فِي غُرْبَتِكَ هٰذِهِ ، تَجْذِبُ إِلَيْكَ نَظَرَ رَحْمَتِهِ ، بَدَلاً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ . فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ الْخَالِقُ مَوْجُوداً ؛ وَيَنْظُرُ إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مَوْجُودٌ لَكَ ؛ وَإِنَّمَا الَّذِي بَقِيَ فِي الْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ حَقِيقَةً ، هُوَ الَّذِي لَا يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ ، بِالْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ ؛ أَوْ لَا يَهْتَمُّ بِانْتِسَابِهِ إِلَيْهِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ :﴾ أَيُّهَا الْمُمَرِّضُونَ الَّذِينَ يَخْدُمُونَ الصِّبْيَانَ الْمَرْضَى الْمَعْصُومِينَ ، وَالشِّيبَ الَّذِينَ هُمْ فِي حُكْمِ الْأَطْفَالِ الْمَعْصُومِينَ ! إِنَّ أَمَامَكُمْ ، تِجَارَةً أُخْرَوِيَّةً مُهِمَّةً ؛ فَاكْتَسِبُوا تِلْكَ التِّجَارَةَ ، بِالْاِشْتِيَاقِ وَالْاِهْتِمَامِ . وَإِنَّ أَمْرَاضَ الْأَطْفَالِ الْمَعْصُومِينَ ، تَمْرِينٌ وَرِيَاضَةٌ لِأَبْدَانِهِمُ اللَّطِيفَةِ ، وَحُقْنَةٌ وَتَرْبِيَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ، لِتَحْصِيلِ الْمُقَاوَمَةِ إِزَاءَ أَحْدَاثِ الدُّنْيَا ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَمَعَ كَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْحِكَمِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، تَكُونُ وَسِيلَةً لِحَيَاتِهِمُ الرُّوحِيَّةِ ، وَمَدَاراً لِتَصْفِيَةِ حَيَاتِهِمُ الْمَادِّيَّةِ ؛ وَتَكُونُ حُقْنَةً مَعْنَوِيَّةً ، لِتَرَقِّيهِمُ الْمَعْنَوِيِّ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، أَوْ فِي الْآخِرَةِ ، بَدَلاً عَنْ كَفَّارَةِ الذُّنُوبِ لِلْأَكَابِرِ ؛ وَإِنَّ الثَّوَابَ النَّاشِئَ عَنْ هٰذَا النَّوْعِ مِنْ أَمْرَاضِ الصِّبْيَانِ ، يَدْخُلُ فِي صَحَائِفِ

آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ ، وَلاسِيَّمَا فِي صَحَائِفِ حَسَنَاتِ الْوَالِدَةِ الَّتِي تُرَجِّحُ صِحَّةَ الطِّفْلِ ، عَلٰى صِحَّتِهَا ، بِسِرِّ الشَّفَقَةِ ؛ هٰكَذَا ثَبَتَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ . وَأَمَّا تَمْرِيضُ الشِّيبِ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ عَنْهُ الثَّوَابَ ؛ مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ ، وَبِأَحْدَاثٍ تَأْرِيخِيَّةٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ تَلَقِّيَ أَدْعِيَةِ أُولٰئِكَ الشِّيبِ ، لاسِيَّمَا إِذَا كَانُوا آبَاءً وَأُمَّهَاتٍ ، وَتَفْرِيحَ قُلُوبِهِمْ ، وَالْخِدْمَةَ لَهُمْ بِالْوَفَاءِ ، تَكُونُ وَسِيلَةً لِلسَّعَادَةِ ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، وَلِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ أَيْضاً . وَكَمَا أَنَّ وَلَداً سَعِيداً أَطَاعَ وَالِدَيْهِ الْهَرِمَيْنِ ، تَمَامَ الْإِطَاعَةِ ، يَرٰى نَفْسَ الْحَالِ ، عَنْ أَوْلَادِهِ ؛ فَقَدْ ثَبَتَ بِحَادِثَاتٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ وَلَداً شَقِيّاً ، إِنْ عَقَّ أَبَوَيْهِ ؛ يَرٰى جَزَاءَهُ ، بِمَخَاطِرَ كَثِيرَةٍ ، فِي الدُّنْيَا ، مَا عَدَا عَذَابَ الْآخِرَةِ . نَعَمْ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ لا يَقُومُ بِخِدْمَةِ أَقَارِبِهِ فَحَسْبُ ؛ بَلْ إِنَّهُ إِذَا صَادَفَ الشِّيبَ وَالْعَجَزَةَ ؛ وَاحْتَاجَ إِلَيْهِ الشَّائِبُ الْمَرِيضُ الْمُحْتَرَمُ ؛ فَإِنَّ مُقْتَضَى الْإِسْلامِ ، أَنْ يَخْدُمَهُمْ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ ؛ حَيْثُ إِنَّ بَيْنَهُمْ ، أُخُوَّةً حَقِيقِيَّةً ، بِسِرِّ الْإِيمَانِ . .

﴿اَلدَّوَاءُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ :﴾ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَرْضٰى ! إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ تِرْيَاقاً نَافِعاً قُدْسِيّاً ، وَدَوَاءً لَذِيذاً حَقِيقِيّاً ، لِكُلِّ دَاءٍ ؛ فَازْدَادُوا فِي انْكِشَافِ إِيمَانِكُمْ ؛ أَيِ اسْتَعْمِلُوا الْإِيمَانَ ذٰلِكَ التِّرْيَاقَ الْقُدْسِيَّ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ ، مِنَ الْعِلاجِ ؛ اسْتَعْمِلُوهُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَبِالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ . نَعَمْ : إِنَّ أَهْلَ الْغَفْلَةِ ، كَأَنَّ لَهُمْ بَدَناً مَعْنَوِيّاً مَرِيضاً ، كَبِيراً مِثْلَ الدُّنْيَا ، بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِمْ لَهَا ، وَعَلَاقَتِهِمْ بِهَا ؛ فَالْإِيمَانُ يُعْطِي الشِّفَاءَ دَفْعَةً ، لِبَدَنِهِمْ ذٰلِكَ الْبَدَنِ الْمَعْنَوِيِّ ، الْجَسِيمِ بِقَدَرِ الدُّنْيَا ، وَالْمَرِيضِ بَيْنَ قُرُوحٍ وَجُرُوحٍ ، بِضَرَبَاتِ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ ؛ فَيُنْقِذُهُ عَنِ الْجِرَاحَاتِ ؛ وَيَشْفِيهِ شِفَاءً حَقِيقِيّاً . وَقَدْ أَثْبَتْنَا ذٰلِكَ إِثْبَاتاً قَاطِعاً ، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ جِدّاً . وَإِنِّي أَخْتَصِرُ لِئَلّا أُوجِعَ رُؤُوسَكُمْ . وَإِنَّ عِلاجَ الْإِيمَانِ ، يَظْهَرُ تَأْثِيرُهُ ، بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ ، بِقَدَرِ الْإِمْكَانِ . وَالْغَفْلَةُ وَالسَّفَاهَةُ ، وَالشَّهَوَاتُ النَّفْسِيَّةُ ، وَاللَّهْوِيَّاتُ الْغَيْرُ الْمَشْرُوعَةِ ، تَمْنَعُ تَأْثِيرَ ذٰلِكَ التِّرْيَاقِ . وَإِذَا كَانَ الْمَرَضُ ، يُزِيلُ الْغَفْلَةَ ؛ وَيَقْطَعُ الِاشْتِهَاءَ ؛ وَيَمْنَعُ عَنِ السُّلُوكِ إِلَى لَذَائِذَ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ ؛ فَاسْتَفِيدُوا مِنْهُ ؛ وَاسْتَعْمِلُوا مِنْ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ ، وَمِنْ أَدْوِيَتِهِ الْقُدْسِيَّةِ ، بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَبِالدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ . .

شَفَاكُمُ اللهُ تَعَالٰى ؛ وَجَعَلَ أَمْرَاضَكُمْ ، كَفَّارَةً لِلذُّنُوبِ ؛ آمِينَ آمِينَ آمِينَ . .

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰينَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ اَنْ هَدٰينَا اللهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، طِبِّ الْقُلُوبِ وَدَوَائِهَا ، وَعَافِيَةِ الْأَبْدَانِ وَشِفَائِهَا ، وَنُورِ الْأَبْصَارِ وَضِيَائِهَا ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ . .

ذَيْلُ اللَّمْعَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ : هُوَ الْمَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ . .

وَقَدْ أُدْرِجَ فِي مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ ؛ فَلَمْ يُدْرَجْ هُنَا . .

اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

اَللَّمْعَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

جَامِعَةٌ لِسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ رَجاءً وَضِيَاءً وَتَسَلِّياً، فِي حَقِّ الشَّيبِ [1]..

إِخْطَارٌ: إِنِّي كَتَبْتُ فِي أَوَّلِ كُلِّ رَجَاءٍ، عِلَّتِي الْمَعْنَوِيَّةَ، بِوَجْهٍ أَلِيمٍ لِلْغَايَةِ، وَفِي دَرَجَةٍ تُؤَثِّرُ فِيكُمْ؛ وَذٰلِكَ لِيُظْهِرَ تَأْثِيرَ الْعِلاجِ الْوَارِدِ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، تَأْثِيراً زَائِداً عَلَى الْعَادَةِ..

إِنَّ هٰذِهِ اللَّمْعَةَ الْخَاصَّةَ بِالشَّيبِ، لَمْ تُحَافِظْ عَلَى حُسْنِ الإِفَادَةِ، بِثَلاثِ جِهَاتٍ، أَوْ أَرْبَعٍ..

اَلْأُولٰى: أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلٰى تَرْجَمَةِ حَيَاتِي؛ فَسَافَرْتُ خَيَالاً، إِلٰى تِلْكَ الْأَزْمِنَةِ؛ وَكَتَبْتُهَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تُحَافِظْ عَلَى انْتِظَامِ الْإِفَادَةِ..

اَلثَّانِيَةُ: أَنَّهَا كُتِبَتْ تَحْتَ ضَرُورَةِ السُّرْعَةِ، وَفِي وَقْتٍ شَعَرْتُ بِالتَّعَبِ، بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ؛ فَلِذٰلِكَ وَقَعَ التَّشْوِيشُ، فِي الْإِفَادَةِ..

اَلثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لا يُوجَدُ الْكَاتِبُ عِنْدِي دَائِماً؛ وَالَّذِي يَكُونُ عِنْدِي، لَهُ أَرْبَعُ أَوْ خَمْسُ وَظَائِفَ عَائِدَةٍ إِلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ نَجِدِ الْوَقْتَ، لِلتَّصْحِيحِ الْكَامِلِ؛ فَمِنْ ثَمَّةَ بَقِيَتْ بِدُونِ انْتِظَامٍ..

اَلرَّابِعَةُ: أَنِّي أَنَا وَالْكَاتِبَ، كُنَّا تَعِبَيْنِ بَعْدَ التَّأْلِيفِ؛ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَتَأَمَّلَ فِي

---

(١) وَالْمُؤَلَّفَةُ مِنْهَا، سِتَّةَ عَشَرَ رَجَاءً وَضِيَاءً. وَلَعَلَّ أَحَدَ الْمَسْعُودِينَ، يُؤَلِّفُ الْبَوَاقِي.. اَلْمُتَرْجِمُ، (عفا الله عنه)..

الْمَعْنٰى؛ فَاكْتُفِيَ بِتَصْحِيحٍ نَاقِصٍ؛ فَلِذٰلِكَ تُوجَدُ فِي أُسْلُوبِ الْإِفَادَةِ، نَقَائِصُ الْبَتَّةَ؛ فَالْمَرْجُوُّ مِنَ الشِّيبِ الْعُلَاةِ الْهِمَمِ، أَنْ يَنْظُرُوا إِلٰى نَقَائِصِي فِي الْإِفَادَةِ، بِنَظَرِ التَّسَامُحِ؛ وَأَنْ يُدْخِلُونَا فِي أَدْعِيَتِهِمْ، حِينَمَا يَفْتَحُونَ إِلٰى بَابِهِ تَعَالٰى، أَيْدِيَهُمُ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي لَا تُرْجِعُهَا رَحْمَةُ اللهِ، فَارِغَةً.. سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ)..

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كٓهيٰعٓصٓ ۞ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۞ إِذْ نَادٰى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞﴾..

إِنَّ هٰذِهِ اللَّمْعَةَ، سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ رَجَاءً[1]..

اَلرَّجَاءُ الْأَوَّلُ:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ الشِّيبُ الْمُحْتَرَمُونَ، الَّذِينَ بَلَغُوا إِلٰى سِنِّ الْكَمَالِ!. إِنِّي أَيْضاً، شَائِبٌ مِثْلُكُمْ؛ وَإِنِّي سَأَكْتُبُ بَعْضَ حَالَاتٍ مَضَتْ عَلَيَّ، رَاجِياً أَنْ أُشْرِكَكُمْ فِي نُورِ تَسَلِّي أَنْوَاعِ رَجَاءٍ، وَجَدْتُهَا حِيناً بَعْدَ حِينٍ، فِي زَمَنِ الشَّيْبِ؛ وَإِنَّ أَبْوَابَ الرَّجَاءِ، الَّتِي وَجَدْتُهَا؛ وَالضِّيَاءِ الَّتِي رَأَيْتُهَا، وُجِدَتْ وَفُتِحَتْ حَسَبَ اسْتِعْدَادِيَ النَّاقِصِ الْمُشَوَّشِ الْبَتَّةَ؛ وَإِنَّ اسْتِعْدَادَاتِكُمُ الصَّافِيَةَ الْخَالِصَةَ، سَتُلَمِّعُ مَا رَأَيْتُهَا مِنَ الضِّيَاءِ؛ وَتُقَوِّي مَا وَجَدْتُهُ مِنَ الرَّجَاءِ، أَزْيَدَ مِنِ اسْتِعْدَادِي؛ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَمَنْبَعُ ذٰلِكَ الرَّجَاءِ وَالضِّيَاءِ بِأَنْوَاعِهِمَا، وَمَعْدِنُهَا وَنَبْعُهَا، هُوَ الْإِيمَانُ..

---

(١) نَعَمْ: هٰكَذَا كَانَ مَنْوِيّاً عِنْدَ الْمُؤَلِّفِ الْكَرِيمِ؛ فَلَمْ يَتَيَسَّرِ الْمَنْوِيُّ.. اَلْمُتَرْجِمُ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ)..

اَلرَّجَاءُ الثَّانِي :

إِنِّي لَمَّا طَعَنْتُ فِي الشَّيْبِ ؛ نَظَرْتُ يَوْماً ، إِلَى الدُّنْيَا ، فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ ، فِي وَقْتِ الْعَصْرِ ، عَلٰى رَأْسِ جَبَلٍ عَالٍ ؛ فَاعْتَوَرَتْنِي فَجْأَةً ، حَالَةٌ حَزِينَةٌ وَرَقِيقَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَمُظْلِمَةٌ بِجِهَةٍ مَّا ؛ فَرَأَيْتُ أَنِّي شِبْتُ ؛ وَشَابَ النَّهَارُ ؛ وَشَابَتِ السَّنَةُ ؛ وَشَابَتِ الدُّنْيَا ؛ فَهَزَّنِيَ الشَّيْبُ هَزّاً قَوِيّاً ، بِسَبَبِ تَقَرُّبِ زَمَانِ الْفِرَاقِ عَنْ أَحْبَابِي ، وَالِافْتِرَاقِ عَنِ الدُّنْيَا ، بَيْنَ هٰذِهِ الْمَشِيبَاتِ ؛ فَتَجَلَّتِ الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ فَجْأَةً ، بِحَيْثُ حَوَّلَتْ ذٰلِكَ الْفِرَاقَ ، وَالْحُزْنَ الرَّقِيقَ ، إِلٰى رَجَاءٍ قَوِيٍّ ، وَنُورٍ مُشْرِقٍ ، مِنَ التَّسَلِّي . نَعَمْ : يَا أَمْثَالِي مِنَ الشِّيبِ ! إِنَّ خَالِقَنَا الرَّحِيمَ ، الَّذِي يُقَدِّمُ نَفْسَهُ إِلَيْنَا ، بِصِفَتَيِ «الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» ، فِي مِئَةِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ وَيُرْسِلُ رَحْمَتَهُ دَائِماً ، إِلٰى مَدَدِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الرَّحْمَةَ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ وَيَمْلَأُ الرَّبِيعَ ، كُلَّ سَنَةٍ ، مِنَ الْغَيْبِ ، بِنِعَمٍ وَهَدَايَا لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَيُوصِلُهَا إِلَيْنَا ، نَحْنُ الْمُحْتَاجِينَ إِلَى الرِّزْقِ ؛ وَيُظْهِرُ جَلْوَةَ رَحْمَتِهِ ، أَزْيَدَ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى دَرَجَةِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ؛ إِنَّ رَحْمَةَ ذٰلِكَ الْخَالِقِ الرَّحِيمِ ، أَكْبَرُ رَجَاءٍ ، وَأَقْوٰى ضِيَاءٍ ، فِي شَيْبِنَا هٰذَا ؛ وَتُوجَدُ هٰذِهِ الرَّحْمَةُ ، بِالِانْتِسَابِ إِلٰى ذٰلِكَ الرَّحْمٰنِ ، بِالْإِيمَانِ وَبِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، وَالْإِطَاعَةِ لَهُ . .

اَلرَّجَاءُ الثَّالِثُ :

إِنِّي نَظَرْتُ إِلٰى نَفْسِي ، فِي زَمَنٍ مَّا ، حِينَمَا انْتَبَهْتُ بِصَبَاحِ الْمَشِيبِ ، عَنْ نَوْمِ لَيْلَةِ الشَّبَابِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ بَدَنِي يَمْشِي إِلَى الْقَبْرِ ؛ كَأَنَّهُ يَعْدُو إِلٰى حَضِيضٍ ؛ وَأَنَّ جِسْمِيَ الَّذِي هُوَ بَيْتُ رُوحِي ، يَنْهَدِمُ بِسُقُوطِ حَجَرٍ مِنْهُ ، كُلَّ يَوْمٍ ؛ كَمَا قَالَ «نِيَازِيُّ الْمِصْرِيُّ» : «يَسْقُطُ كُلَّ يَوْمٍ ، حَجَرٌ مِنْ بِنَاءِ عُمْرِي ، عَلَى الْأَرْضِ ؛ وَيَنَامُ الرُّوحُ غَافِلاً ؛ وَبِنَاؤُهُ يَنْهَدِمُ ؛ وَلَا خَبَرَ لَهُ[1]» ؛ وَشَرَعَتْ بِالِانْفِصَامِ ، آمَالِي وَأَمَانِيَّ الَّتِي أَوْثَقَتْنِي قَوِيّاً بِالدُّنْيَا ؛

---

(١) نَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : « گُونْدَه بِرْطَاش بِنَايِ عُمْرِ مَنْ دُوشْدِي يَره ❁ جَانْ يَاتَارْ غَافِلْ ، بِنَاسِي أُولْدِي وِيرَانْ ، بِي خَبَرْ ❁ » . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

وَشَعَرْتُ بِقُرْبِ زَمَنِ الْمُفارَقَةِ عَنْ أَصْدِقَائِي وَأَحِبَّائِي ، الَّذِينَ لا حَدَّ لَهُمْ ؛ فَتَحَرَّيْتُ دَوَاءً لِتِلْكَ الْجِرَاحَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْعَمِيقَةِ جِدّاً ، الَّتِي تُرى بِدُونِ دَوَاءٍ ؛ فَمَا وَجَدْتُهُ ؛ وَقُلْتُ أَيْضاً ، مِثْلَ «نِيَازِيِّ الْمِصْرِيِّ» : «إِنَّ قَلْبِي يَطْلُبُ الْبَقَاءَ ، بِكُلِّ قُوَّتِهِ ؛ مَعَ أَنَّ الْحِكْمَةَ الْإِلٰهِيَّةَ ، تَطْلُبُ انْهِدَامَ جَسَدِي ؛ فَوَقَعْتُ فِي دَاءٍ بِلا دَوَاءٍ ، لَمْ يَجِدْ لَهُ الْوَسِيلَةَ ، لُقْمَانُ الْحَكِيمُ ، أَيْضاً [1] » ؛ فَحِينَئِذٍ إِذَا بِنُورِ «النَّبِيِّ ذِي الشَّأْنِ» ، الَّذِي هُوَ لِسَانُ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَمِثَالُهَا وَتِمْثَالُهَا ، وَدَلّالُهَا وَمُمَثِّلُهَا ، وَبِشَفَاعَتِهِ وَهَدِيَّةِ هِدَايَتِهِ ، الَّتِي جَاءَ بِهَا لِلْبَشَرِ ، أَصْبَحَتْ تِرْيَاقاً وَمَرْهَماً نَاجِعاً ، لِتِلْكَ الْجِرَاحَةِ الَّتِي كُنْتُ أَظُنُّهَا بِدُونِ دَوَاءٍ ، وَبِغَيْرِ حَدٍّ ؛ فَحَوَّلَتْ يَأْسِي الْمُظْلِمَ ، إِلٰى رَجَاءٍ مُنَوَّرٍ . نَعَمْ : أَيُّهَا الشِّيبُ وَالشِّيبَاتُ الْمُحْتَرَمُونَ الَّذِينَ شَعَرُوا مِثْلِي بِشَيْبِهِمْ ! . إِنَّنَا نَرْتَحِلُ ؛ فَلا فَائِدَةَ فِي الاغْتِرَارِ ؛ وَلا يُوقِفُونَنَا هُنَا ، بِأَنْ نُغْمِضَ أَعْيُنَنَا ؛ فَإِنَّهُ يُوجَدُ الاسْتِنْفَارُ ؛ وَلٰكِنَّ بِلادَ الْبَرْزَخِ ، الَّتِي تُرى لَنَا مُفَرِّقَةً وَمُظْلِمَةً بِظُلُمَاتِ الْأَوْهَامِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْغَفْلَةِ ، وَالنَّاشِئِ بَعْضُهَا ، عَنْ أَهْلِ الضَّلالَةِ ، هِيَ مَجْمَعُ الْأَحْبَابِ ، وَعَالَمُ الْوِصَالِ إِلٰى أَصْدِقَائِنَا كُلِّهِمْ ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمْ ، شَفِيعُنَا «حَبِيبُ اللهِ» (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) . نَعَمْ : إِنَّنَا نَرْتَحِلُ إِلٰى عَالَمٍ ارْتَحَلَ إِلَيْهِ ذٰلِكَ «الرَّسُولُ الْكَرِيمُ» الَّذِي هُوَ مَدَارٌ لِلْمَقَاصِدِ الْعَالِيَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَسَبَبٌ لِتَعَالِي قِيمَةِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَسُلْطَانٌ لِثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنَ النَّاسِ ، وَمُرَبٍّ لِأَرْوَاحِهِمْ ، وَمُعَلِّمٌ لِعُقُولِهِمْ ، وَمَحْبُوبٌ إِلٰى قُلُوبِهِمْ ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فِي أَلْفٍ وَثَلاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَيُزَادُ عَلٰى صَحِيفَةِ حَسَنَاتِهِ كُلَّ يَوْمٍ ، مِثْلُ حَسَنَاتٍ تَفْعَلُهَا أُمَّتُهُ ، بِسِرِّ قَاعِدَةِ «أَنَّ السَّبَبَ كَالْفَاعِلِ» ، وَالَّذِي قَالَ بِالرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَالْكَشْفِ الصَّادِقِ ، حِينَمَا أَتَى إِلَى الدُّنْيَا : «أُمَّتِي أُمَّتِي» ؛ كَمَا سَيَقُولُ : «أُمَّتِي أُمَّتِي» ؛ وَيَعْدُو بِشَفَاعَتِهِ ، إِلٰى مَدَدِ أُمَّتِهِ ، فِي الْمَحْشَرِ ، حِينَمَا يَقُولُ كُلُّ أَحَدٍ : «نَفْسِي نَفْسِي» ؛ وَنَرْتَحِلُ إِلٰى عَالَمٍ تَنَوَّرَ بِمَا لا حَدَّ لَهُ ، مِنْ نُجُومِ الْأَصْفِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، حَوْلَ تِلْكَ الشَّمْسِ . . فَالْوَسِيلَةُ لِلدُّخُولِ

---

(١) نَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : «دِلْ بَقَاسِي ، حَقْ فَنَاسِي إِيسْتَدِي مُلْكِ تَنِمْ ❁ بِرْدَوَاسِزْ دَرْدَه دُوشْدُمْ ، آه كِه لُقْمَانْ بِي خَبَرْ ❁» . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللهُ عَنْهُ) . .

تَحْتَ شَفَاعَةِ ذٰلِكَ «الرَّسُولِ الْكَرِيمِ» ، وَلِلاسْتِفَادَةِ مِنْ نُورِهِ ، وَالنَّجَاةِ عَنْ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ ، إِنَّمَا هِيَ اتِّبَاعُ سُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ . .

اَلرَّجَاءُ الرَّابِعُ :

إِنَّ صِحَّةَ بَدَنِي ، الَّتِي تُدِيمُ الْغَفْلَةَ ، اخْتَلَّتْ فِي زَمَنٍ مَّا ، مِنْ طَعْنِي فِي الشَّيْبِ ؛ فَهَجَمَ عَلَيَّ الْمَرَضُ ، مَعَ الشَّيْبِ مُتَّفِقَيْنِ ؛ فَضَرَبَا رَأْسِي ، إِلٰى أَنْ أَفَرَّا نَوْمِي ؛ وَلَمْ تَكُنْ لِي عَلاَئِقُ تَرْبِطُنِي بِالدُّنْيَا ، كَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ ثَمَرَاتِ رَأْسِ مَالِ عُمْرِيَ الَّذِي ضَيَّعْتُهُ بِغَفْلَةِ الشَّبَابِ ، ذُنُوبٌ وَخَطِيئَاتٌ ؛ فَاسْتَصْرَخْتُ وَقُلْتُ مِثْلَ «نِيَازِيِّ الْمِصْرِيِّ» : «مَا اتَّجَرْتُ تِجَارَةً مَّا ؛ وَصَارَ نَقْدُ الْعُمْرِ هَبَاءً ؛ وَأَتَيْتُ إِلَى الطَّرِيقِ ؛ وَلٰكِنِ ارْتَحَلَ الرَّكْبُ كُلُّهُ ، بِدُونِ خَبَرٍ مِنِّي ؛ فَبَكَيْتُ وَأَنَّتُ ؛ وَسَلَكْتُ الطَّرِيقَ ، وَحِيداً وَغَرِيباً ؛ وَالْبَصَرُ بَاكٍ ، وَالصَّدْرُ مُحْتَرِقٌ ؛ وَالْعَقْلُ مُتَحَيِّرٌ ؛ وَلاَ خَبَرَ لِي[١]» ؛ وَكُنْتُ حِينَئِذٍ فِي الْغُرْبَةِ ؛ فَشَعَرْتُ بِحُزْنٍ يَائِسٍ ، وَأَسَفٍ نَادِمٍ ، وَحَسْرَةٍ مُسْتَمِدَّةٍ ؛ فَإِذَا بِالْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ أَمَدَّنِي ؛ وَفَتَحَ لِي بَابَ رَجَاءٍ قَوِيٍّ ، يُزِيلُ يَأْساً فَوْقَ حَالِي ، مِئَةَ ضِعْفٍ ؛ وَأَعْطَانِي ضِيَاءَ تَسَلٍّ حَقِيقِيٍّ ، تُفَرِّقُ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ . فَيَا أَيُّهَا الشِّيبُ وَالشِّيبَاتُ الْمُحْتَرَمُونَ ، الَّذِينَ شَرَعَتْ عَلاَئِقُهُمْ بِالدُّنْيَا ، بِالِانْقِطَاعِ ؛ وَتَوَجَّهَتْ حِبَالُهُمُ الَّتِي تَرْبِطُهُمْ بِالدُّنْيَا ، إِلَى الِانْفِصَامِ ، مِثْلِي ! . هَلْ يُمْكِنُ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ صَانِعٌ ذُو جَلاَلٍ ، خَلَقَ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، كَبَلَدٍ مُنْتَظِمٍ ، وَأَكْمَلِ قَصْرٍ ؛ وَأَنْ لاَ يَجْتَمِعَ بِأَهَمِّ ضُيُوفِهِ وَأَحِلاَّئِهِ ، فِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ ، وَذَاكَ الْقَصْرِ ؟ . فَإِذَا كَانَ بَنَى هٰذَا الْقَصْرَ ، عَلٰى عِلْمٍ ؛ وَنَظَّمَهُ وَزَيَّنَهُ بِإِرَادَةٍ وَاخْتِيَارٍ ؛ فَإِنَّ الْعَلِيمَ ، يَتَكَلَّمُ ؛ كَمَا أَنَّ الْبَانِيَ يَعْلَمُ ؛ وَإِذَا صَنَعَ لَنَا هٰذَا الْقَصْرَ ، وَهٰذَا الْبَلَدَ ، مَضِيفاً وَمَتْجَراً جَمِيلاً ؛ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ كِتَابٌ وَدَفْتَرٌ ، يُبَيِّنُ مُنَاسَبَاتِهِ بِنَا ، وَمَطَالِبَهُ مِنَّا ؛ فَذٰلِكَ الْكِتَابُ الْقُدْسِيُّ الْأَكْمَلُ ، هُوَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ

---

(١) نَصُّ الْبَيْتَيْنِ التُّرْكِيَّيْنِ : «بِرْ تِجَارَتْ يَا پْمَادِمْ ؛ نَقْدِ عُمْرْ أُولْدِي هَبَا ❁ يُولَه گَلْدِمْ ، لٰكِنْ كُوچْمِشْ جُمْلَه كَرْوَانْ ، بِي خَبَرْ ❁ آغْلاَ يُوبْ ؛ نَا لاَنْ اِيدُوبْ ؛ دُوشْدُمْ يُولَه ، تَنْهَا غَرِيبْ ❁ دِيدَه گِرْيَانْ ، سِينَه بِرْيَانْ ، عَقْلِ حَيْرَانْ ، بِي خَبَرْ ❁» . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (ﷺ) . .

الْبَيَانِ، بِأَرْبَعِينَ وَجْهاً، الَّذِي يَنْشُرُ النُّورَ؛ وَيَدُورُ عَلٰى أَلْسِنَةِ مِئَةِ مِلْيُونٍ، عَلَى الْأَقَلِّ، فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ؛ وَيُثْمِرُ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ، عَشْرَ مَثُوبَاتٍ، وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ، عَلَى الْأَقَلِّ، وَأَحْيَاناً عَشَرَةَ آلافٍ، وَأَحْيَاناً ثَلاثِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَثَمَرَةٍ وَنُورٍ، مِنْ أَنْوَارِ الْبَرْزَخِ، وَثَمَرَاتِ الْجَنَّةِ، بِسِرِّ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ، كِتَابٌ يُنَاظِرُهُ فِي هٰذَا الْمَقَامِ؛ وَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ، أَنْ يُظْهِرَ مِثْلَهُ. فَإِذَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ الَّذِي بِأَيْدِينَا، كَلامَ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْشُورَ ذٰلِكَ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ، وَمَعْدِنَ رَحْمَتِهِ، الْوَارِدَ مِنْ نُقْطَةِ رُبُوبِيَّتِهِ الْمُطْلَقَةِ، وَمِنْ جِهَةِ عَظَمَةِ أُلُوهِيَّتِهِ، وَمِنْ جَانِبِ إِحَاطَةِ رَحْمَتِهِ؛ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ، دَوَاءً لِكُلِّ دَاءٍ، وَضِيَاءً لِكُلِّ ظُلْمَةٍ، وَرَجَاءً لِكُلِّ يَأْسٍ. فَمِفْتَاحُ هٰذِهِ الْخَزِينَةِ الْأَبَدِيَّةِ، هُوَ الْإِيمَانُ وَالتَّسْلِيمُ، وَاسْتِمَاعُهُ وَقَبُولُهُ وَتِلاوَتُهُ..

اَلرَّجَاءُ الْخَامِسُ:

إِنَّ رُوحِي طَلَبَتْ فِي زَمَنِ مَبْدَأِ شَيْبِي، اسْتِرَاحَةً بِالْوَحْدَةِ؛ وَذٰلِكَ بِتَشَهِّي عُزْلَةٍ، فِي «تَلِّ يُوشَعَ»، بِجَانِبِ مَضِيقِ «إِسْطَنْبُولَ»؛ فَنَظَرْتُ يَوْماً، عَلَى ذٰلِكَ التَّلِّ الْمُرْتَفِعِ، إِلَى الْأَطْرَافِ، وَإِلٰى دَائِرَةِ الْأُفُقِ؛ فَرَأَيْتُ بِإِخْطَارِ الشَّيْبِ، لَوْحَةً حَزِينَةً وَرَقِيقَةً، مِنَ الزَّوَالِ وَالْفِرَاقِ؛ فَسَيَّرْتُ نَظَرِي، مِنَ الْمَقَامِ الْأَعْلٰى، فِي الْغُصْنِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ؛ وَهُوَ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ، مِنْ شَجَرَةِ عُمْرِي، إِلَى الطَّبَقَاتِ السُّفْلٰى، مِنْ حَيَاتِي؛ فَرَأَيْتُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَعَلٰى كُلِّ غُصْنٍ، فِي تِلْكَ الطَّبَقَاتِ السُّفْلٰى، جَنَائِزَ لا حَدَّ لَهَا، مِنْ أَحْبَابِي وَأَصْدِقَائِي وَأَقَارِبِي؛ فَتَصَوَّرْتُ الْأَحْبَابَ الرَّاحِلِينَ؛ وَأَنَنْتُ بَيْنَ تَأَلُّمٍ مَعْنَوِيٍّ رَقِيقٍ؛ يَنْشَأُ عَنْ ذٰلِكَ الْفِرَاقِ وَالِافْتِرَاقِ؛ وَقُلْتُ كَـ«الْفُضُولِيِّ الْبَغْدَادِيِّ»: «أَبْكِي كُلَّمَا أَذْكُرُ وِصَالَهَا؛ فَأَسْتَصْرِخُ إِلٰى أَنْ يَبْقَى النَّفَسُ فِي جِسْمِيَ الْيَابِسِ(١)»؛ فَتَحَرَّيْتُ بَابَ تَسَلٍّ وَنُورٍ وَرَجَاءٍ؛

(١) نَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ: «وَصْلِنِي يَادْ أَيْلَدِكْچه آغْلارِمْ ❁ تَانَفَسْ وَارْسَه قُورُو جِسْمِدَه؛ فَرْيَادْ أَيْلَرِمْ».. اَلْمُتَرْجِمُ، (ﷺ)..

فَإِذَا بِنُورِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، أَدْرَكَ اسْتِمْدَادِي ؛ فَأَعْطَى نُوراً لَا يَنْطَفِئُ ، وَرَجَاءً لَا يَنْقَطِعُ . نَعَمْ : يَا إِخْوَانِي الشِّيبَ ، وَأَخَوَاتِي الشِّيبَاتِ مِثْلِي ! إِنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْآخِرَةُ ، مَوْجُودَةً وَبَاقِيَةً ؛ وَكَانَتْ أَحْسَنَ مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَكَانَ خَالِقُنَا ، حَكِيماً وَرَحِيماً ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَشْتَكِيَ وَلَا نَتَلَهَّفَ مِنَ الشَّيْبِ ؛ بَلْ نَفْرَحَ بِهِ ، بِالْعَكْسِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ الشَّيْبَ عَلَامَةٌ لِبُلُوغِ الْإِنْسَانِ إِلَى سِنِّ الْكَمَالِ ، بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالْإِيمَانِ ، وَعَلَامَةٌ لِتَسْرِيحِهِ عَنْ وَظِيفَةِ الْحَيَاةِ ، وَلِلسَّفَرِ إِلَى عَالَمِ الرَّحْمَةِ ، لِلِاسْتِرَاحَةِ . نَعَمْ : إِنَّ مِئَةً وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفاً ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَى أَفْرَادِ نَوْعِ الْبَشَرِ امْتِيَازاً ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ ، يُخْبِرُونَ مُتَّفِقِينَ بِالْإِجْمَاعِ وَالتَّوَاتُرِ ، مُسْتَنِداً بَعْضُهُمْ إِلَى الشُّهُودِ ؛ وَبَعْضُهُمْ إِلَى حَقِّ الْيَقِينِ ، عَنْ وُجُودِ الْآخِرَةِ ، وَسَوْقِ النَّاسِ إِلَيْهَا ، وَعَنْ إِتْيَانِ خَالِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، بِالْآخِرَةِ الَّتِي وَعَدَهَا وَعْداً قَاطِعاً ؛ كَمَا أَنَّ مِئَةً وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مِلْيُوناً ، مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ صَدَّقُوا عَلَى صُورَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ، بِالْكَشْفِ وَالشُّهُودِ ، مَا أَخْبَرَهُ الْأَنْبِيَاءُ ، يُثْبِتُونَ بِشَهَادَاتِهِمْ لِوُجُودِ تِلْكَ الْآخِرَةِ ، أَنَّ بَعْدَ هٰذَا الْعَالَمِ الْفَانِي ، عَالَمَ بَقَاءٍ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ جَمِيعَ أَسْمَاءِ صَانِعِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، الْحَكِيمِ ، تُثْبِتُ تِلْكَ الدَّعْوَى ، بِدَلَالَتِهَا عَلَى وُجُودِ الْآخِرَةِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهَا تَقْتَضِي بِالْبَدَاهَةِ ، بِجَلَوَاتِهَا الَّتِي تُظْهِرُهَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، عَالَماً بَاقِياً ؛ كَمَا أَنَّ قُدْرَةً أَزَلِيَّةً بِلَا حَدٍّ ، وَحِكْمَةً مُقْتَصِدَةً بِلَا عَدٍّ ، اللَّتَيْنِ تُحْيِيَانِ بِأَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فِي الرَّبِيعِ ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، مَا لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، مِنْ جَنَائِزِ أَشْجَارٍ مَيِّتَةٍ وَاقِفَةٍ عَلَى الْأَقْدَامِ ؛ وَتَجْعَلَانِ تِلْكَ الْأَمْوَاتَ ، مَظْهَراً لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ؛ وَتَحْشُرَانِ ثَلَاثَمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، مِنْ مِلَلِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَطَوَائِفِ النَّبَاتَاتِ ؛ وَتَنْشُرَانِ تِلْكَ الْأَنْوَاعَ ، أَمْثِلَةً لِلْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ، مِئَاتِ آلَافِ مِثَالٍ ، وَأَنَّ رَحْمَةً بَاقِيَةً ، وَعِنَايَةً دَائِمَةً ، اللَّتَيْنِ تُنْفِقَانِ بِكَمَالِ الشَّفَقَةِ ، عَلَى وَجْهٍ خَارِقٍ ، عَلَى جَمِيعِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، الْمُحْتَاجِينَ إِلَى الرِّزْقِ ؛ وَتُظْهِرَانِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى ، مِنْ أَنْوَاعِ الزِّينَةِ وَالْمَحَاسِنِ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ ، تُثْبِتُ هٰذِهِ الصِّفَاتُ الْأَرْبَعُ ، بِاسْتِلْزَامِهَا وُجُودَ الْآخِرَةِ بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّ بَعْدَ هٰذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، دَاراً بَاقِيَةً أُخْرَى ؛ وَكَمَا أَنَّ عِشْقَ الْبَقَاءِ ، وَشَوْقَ الْأَبَدِيَّةِ ، وَآمَالَ

السَّرْمَدِيَّةِ ، الدَّائِمَةَ الثَّابِتَةَ الشَّدِيدَةَ ، فِي الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ ثَمَرَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَحَبُّ مَصْنُوعٍ لِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَزْيَدُ مَخْلُوقٍ صِلَةً بِمَوْجُودَاتِ الْكَائِنَاتِ ، تُثْبِتُ تِلْكَ الْآمَالُ وَالْعِشْقُ وَالشَّوْقُ ، إِثْبَاتاً قَاطِعاً ، بِإِشَارَتِهَا وَدَلَالَتِهَا بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّ بَعْدَ هٰذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، دَارَ سَعَادَةٍ ، بِحَيْثُ تَسْتَلْزِمُ(١) هٰذِهِ الدَّلَائِلُ الْمَذْكُورَةُ ، قَبُولَ وُجُودِ الْآخِرَةِ ، بِالْبَدَاهَةِ ، بِقَدَرِ وُجُودِ الدُّنْيَا . فَإِذَا كَانَ أَهَمُّ دَرْسٍ يُدَرِّسُهُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ لَنَا ، هُوَ الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ ؛ وَكَانَ ذٰلِكَ الْإِيمَانُ ، قَوِيّاً بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؛ وَكَانَ فِي ذٰلِكَ الْإِيمَانِ ، رَجَاءٌ وَتَسَلٍّ ؛ بِحَيْثُ لَوْ طَرَأَتْ مِئَةُ أَلْفِ شَيْبٍ ، عَلٰى إِنْسَانٍ وَاحِدٍ ؛ لَقَاوَمَهُ هٰذَا التَّسَلِّي النَّاشِئُ عَنْ هٰذَا الْإِيمَانِ ؛ فَعَلَيْنَا نَحْنُ الشِّيبَ ، أَنْ نَقُولَ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كَمَالِ الْإِيمَانِ» ؛ وَأَنْ نَفْرَحَ بِشَيْبِنَا . .

اَلرَّجَاءُ السَّادِسُ :

إِنِّي فِي زَمَنٍ مَّا ، تَوَحَّشْتُ عَنِ النَّاسِ ، فِي أَسْرٍ أَلِيمٍ ، مِنْ أَسْرِي ؛ فَأَقَمْتُ وَحْدِي ، بِتَلِّ الصَّنَوْبَرِ ، فِي مَصِيفِ «بَارْلَا» ؛ فَكُنْتُ أَتَحَرّٰى فِي الْوَحْدَةِ نُوراً ؛ فَبِتُّ لَيْلَةً ، فِي غُرْفَةٍ مَكْشُوفَةِ السَّقْفِ ، فَوْقَ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ، مِنَ الصَّنَوْبَرِ ، عَلٰى أَوْجِ ذٰلِكَ التَّلِّ الشَّامِخِ ؛ فَأَخْطَرَ لِيَ الشَّيْبُ ، ثَلَاثَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مُتَدَاخِلَةٍ ، مِنَ الْغُرْبَةِ ؛ فَكَانَتِ اللَّيْلَةُ ، صَامِتَةً بِلَا صَوْتٍ وَهَمْسٍ ، سِوٰى صَوْتٍ حَزِينٍ ، نَاشِئٍ عَنْ هَمْهَمَةِ الْأَشْجَارِ ، وَخَشْخَشَتِهَا ؛ فَمَسَّ ذٰلِكَ ،

---

(١) نَعَمْ : يُرٰى يُسْرُ إِخْبَارِ أَمْرٍ ثُبُوتِيٍّ ، وَعُسْرُ الْإِنْكَارِ وَالنَّفْيِ ، فِي هٰذَا التَّمْثِيلِ ؛ وَهُوَ : أَنَّ وَاحِداً يَقُولُ : إِنَّهُ تُوجَدُ عَلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ ، حَدِيقَةٌ خَارِقَةٌ ؛ ثَمَرَاتُهَا مُعَلَّبَاتُ اللَّبَنِ ؛ وَآخَرُ يَقُولُ : إِنَّهَا لَيْسَتْ مَوْجُودَةً . فَالْمُثْبِتُ ، يُثْبِتُ دَعْوَاهُ سَهْلاً ، بِإِرَاءَةِ بَعْضِ ثَمَرَاتِهَا ، أَوْ مَوْضِعِهَا فَقَطْ . وَأَمَّا الْمُنْكِرُ ، فَإِنَّمَا يُثْبِتُ دَعْوَاهُ ، بِرُؤْيَةِ كُرَةِ الْأَرْضِ وَإِرَاءَتِهَا ، لِإِثْبَاتِ نَفْيِهِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ الْمُخْبِرِينَ عَنِ الْجَنَّةِ ، تَكْفِي شَهَادَةُ شَاهِدَيْنِ صَادِقَيْنِ مِنْهُمْ ، عَلٰى ثُبُوتِهَا ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِرَاءَتِهِمْ مِئَاتِ أُلُوفِ تَرَشُّحَاتِهَا وَثِمَارِهَا وَآثَارِهَا . وَالَّذِي يُنْكِرُهَا ، إِنَّمَا يُثْبِتُ إِنْكَارَهَا ؛ وَيُظْهِرُ عَدَمَهَا ، بَعْدَ التَّفَرُّجِ عَلٰى كَائِنَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَعَلٰى زَمَانٍ أَبَدِيٍّ بِلَا حَدٍّ ، وَبَعْدَ أَنْ يَنْخُلَهُمَا . فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الشِّيبُ ! . مَدٰى قُوَّةِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

رِقَّتِي وَشَيْبِي وَغُرْبَتِي ، مَسّاً شَدِيداً ؛ فَأَخْطَرَ لِيَ الشَّيْبُ ، أَنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ ، تَبَدَّلَ بِهٰذَا الْقَبْرِ الْأَسْوَدِ ؛ وَلَبِسَتِ الدُّنْيَا ، كَفَنَهَا الْأَسْوَدَ ؛ كَذٰلِكَ سَيَتَبَدَّلُ نَهَارُ عُمرِكَ ، بِلَيْلِ الشَّيْبِ ؛ وَنَهَارُ الدُّنْيَا ، بِلَيْلِ الْبَرْزَخِ ؛ وَصَيْفُ الْحَيَاةِ ، بِشِتَاءِ الْمَوْتِ ؛ هٰكَذَا قَالَ لِأُذُنِ قَلْبِي ؛ فَقَالَتْ نَفْسِي بِاضْطِرَارٍ : نَعَمْ إِنِّي تَغَرَّبْتُ عَنْ وَطَنِي ؛ كَمَا أَنَّ غُرْبَةً نَاشِئَةً عَنْ مُفَارَقَتِي مِنْ أَحْبَابِيَ الرَّاحِلِينَ فِي مُدَّةِ عُمْرِي خِلَالَ هٰذِهِ السِّنِينَ الْخَمْسِينَ ، وَعَنْ بَقَائِي وَرَاءَهُمْ ، بَاكِياً عَلَيْهِمْ ، هِيَ أَزْيَدُ حُزْناً وَأَلَماً ، مِنْ غُرْبَةِ الْوَطَنِ هٰذِهِ ؛ وَإِنِّي أَقْتَرِبُ إِلٰى غُرْبَةٍ أُخْرٰى ، أَشَدَّ حُزْناً وَأَلَماً مِنَ الْغُرْبَةِ الْحَزِينَةِ ، فِي كَيْفِيَّةِ هٰذَا الْجَبَلِ وَاللَّيْلِ ، كَيْفِيَّةٍ غَرِيبَةٍ ؛ فَإِنَّ الشَّيْبَ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ قَدْ قَرُبَ زَمَنُ الْفِرَاقِ عَنِ الدُّنْيَا كُلِّهَا ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ فَتَحَرَّيْتُ مِنْ كَيْفِيَّةِ هٰذِهِ الْغُرْبَةِ فِي الْغُرْبَةِ ، وَالْحُزْنِ فِي الْحُزْنِ ، نُوراً وَرَجَاءً ؛ **فَأَدْرَكَ الْإِيمَانُ بِاللهِ ، إِلٰى مَدَدِي ، فَجْأَةً ؛ فَأَعْطٰى أُنْساً ، لَوْ تَضَاعَفَتِ الْوَحْشَةُ الْمُضَاعَفَةُ الَّتِي أَنَا فِيهَا ، أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ لَكَفَاهَا ذٰلِكَ الْأُنْسُ وَالتَّسَلِّي . نَعَمْ : أَيُّهَا الشَّيْبُ وَالشَّيَّابَاتُ ! . إِنَّهُ إِذَا كَانَ لَنَا ، خَالِقٌ رَحِيمٌ ؛ فَلَا غُرْبَةَ لَنَا ؛ وَإِذَا كَانَ هُوَ مَوْجُوداً ؛ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ ، مَوْجُوداً لَنَا ؛ وَإِذَا كَانَ هُوَ مَوْجُوداً ؛ تَكُونُ مَلَائِكَتُهُ ، مَوْجُودَةً أَيْضاً . فَإِذاً إِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، لَيْسَتْ فَارِغَةً ؛ فَالْجِبَالُ الْخَالِيَةُ ، وَالصَّحَارِي الْفَارِغَةُ ، مَمْلُوءَةٌ بِعِبَادِ اللهِ تَعَالٰى ؛ وَإِنَّ أَحْجَارَهَا وَأَشْجَارَهَا ، مَا عَدَا عِبَادَهُ ذَوِي الشُّعُورِ ، تُصْبِحُ بِنُورِهِ وَبِحِسَابِهِ تَعَالٰى ، بِمَثَابَةِ رُفَقَاءَ مُؤَانِسِينَ ، يَتَكَلَّمُونَ مَعَنَا ؛ وَيُؤَانِسُونَنَا بِلِسَانِ الْحَالِ . نَعَمْ :** إِنَّ الدَّلَائِلَ وَالشَّوَاهِدَ الشَّاهِدَةَ عَلٰى وُجُودِهِ تَعَالٰى ، بِعَدَدِ مَوْجُودَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَبِعَدَدِ حُرُوفِ كِتَابِ الْعَالَمِ ، هٰذَا الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، وَالدَّالَّةَ عَلٰى رَحْمَتِهِ تَعَالٰى ، عَدَدَ أَجْهِزَةِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، وَأَطْعِمَتِهِمْ وَنِعَمِهِمْ ، الَّتِي تَكُونُ وَسِيلَةً لِلشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، **تَدُلُّنَا تِلْكَ الدَّلَائِلُ وَالشَّوَاهِدُ ، عَلٰى بَابِ خَالِقِنَا وَصَانِعِنَا وَحَامِينَا ، الرَّحِيمِ الْكَرِيمِ ، الْأَنِيسِ الْوَدُودِ ؛ وَإِنَّ أَشْفَعَ شَفِيعٍ مُشَفَّعٍ بِذٰلِكَ الْبَابِ ، هُوَ الْعَجْزُ وَالضَّعْفُ ؛ وَإِنَّ الزَّمَانَ الْمُوَافِقَ تَمَاماً ، لِلْعَجْزِ وَالضَّعْفِ ، هُوَ الشَّيْبُ ؛ فَيَلْزَمُ الرِّضَا بِالشَّيْبِ الَّذِي هُوَ شَفِيعٌ مُشَفَّعٌ ، لِمِثْلِ هٰذَا الْبَابِ ، لَا السُّخْطُ عَنْهُ ..**

اَلرَّجَاءُ السَّابِعُ :

إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا بِـ«أَنْقَرَةَ» ، ظَنُّونِي «سَعِيداً الْقَدِيمِ» ؛ فَدَعَوْنِي إِلَيْهَا ، فِي بِدَايَةِ شَيْبِي ، حِينَمَا انْقَلَبَ ضَحِكُ «السَّعِيدِ الْقَدِيمِ» ، بِبُكَاءِ «سَعِيدِ الْجَدِيدِ» ؛ فَذَهَبْتُ إِلَيْهَا .. وَصَعَدْتُ فِي أَوَاخِرِ فَصْلِ الْخَرِيفِ ، عَلٰى رَأْسِ «قَلْعَةِ أَنْقَرَةَ» الْعَتِيقَةِ الَّتِي شَابَتْ وَانْهَدَمَتْ أَكْثَرَ مِنِّي ؛ فَتَراءَتْ لِي تِلْكَ الْقَلْعَةُ ، عَلٰى صُورَةِ حَادِثَاتٍ تَأْرِيخِيَّةٍ مُتَحَجِّرَةٍ ؛ فَأَرَانِي شَيْبِي ، وَشَيْبُ فَصْلِ السَّنَةِ ، وَشَيْبُ الْقَلْعَةِ ، وَشَيْبُ الْبَشَرِ ، وَشَيْبُ «الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ الْعُثْمَانِيَّةِ» ، وَوَفَاةُ سَلْطَنَةِ الْخِلَافَةِ ، وَشَيْبُ الدُّنْيَا ، أَوْدِيَةَ الزَّمَانِ الْمَاضِي ، وَجِبَالَ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا ، بَيْنَ حَالَةٍ ذَاتِ فُرْقَةٍ وَرِقَّةٍ وَحُزْنٍ ؛ فَشَعَرْتُ فِي «أَنْقَرَةَ» بِأَسْوَدِ حَالَةٍ[1] رُوحِيَّةٍ ، بَيْنَ ظُلُمَاتِ أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةِ مَشِيبَاتٍ مُتَدَاخِلَةٍ ، أَحَاطَتْ بِي ؛ فَلِذٰلِكَ تَحَرَّيْتُ نُوراً وَتَسَلِّياً وَرَجَاءً ؛ فَنَظَرْتُ إِلَى الْيَمِينِ : أَيِ الزَّمَانِ الْمَاضِي السَّالِفِ ؛ وَكُنْتُ أَطْلُبُ التَّسَلِّيَ ؛ فَتَراءٰى لِيَ الزَّمَانُ الْمَاضِي ، بِصُورَةِ قَبْرٍ أَكْبَرَ ، لِأَبِي وَأَجْدَادِي وَنَوْعِي ؛ فَأَوْرَثَ الْوَحْشَةَ بَدَلَ التَّسَلِّي ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى شِمَالِي : أَيِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَأَنَا أَطْلُبُ الدَّوَاءَ ؛ فَرَأَيْتُهُ يُرٰى عَلٰى صُورَةِ قَبْرٍ مُظْلِمٍ كَبِيرٍ ، لِي وَلِأَمْثَالِي وَلِلنَّسْلِ الْآتِي ؛ فَأَوْرَثَ الدَّهْشَةَ بَدَلَ الْأُنْسِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى يَوْمِيَ الْحَاضِرِ ، مُتَوَحِّشاً عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ ؛ فَتَرَاءٰى ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَاضِرُ ، لِنَظَرِيَ الْغَافِلِ الشَّبِيهِ بِالتَّأْرِيخِ ، عَلٰى صُورَةِ تَابُوتٍ يَحْمِلُ جَنَازَةَ جِسْمِيَ الْمُضْطَرِبِ بَيْنَ حَالَةِ الْمَوْتِ ، وَحَرَكَةِ الْمَذْبُوحِ ؛ ثُمَّ لَمَّا يَئِسْتُ مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ أَيْضاً ؛ رَفَعْتُ رَأْسِي ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى ذُرْوَةِ شَجَرَةِ عُمُرِي ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ ، ثَمَرَةً وَاحِدَةً ؛ وَهِيَ جَنَازَتِي ؛ تَقِفُ فَوْقَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ؛ وَتَنْظُرُ إِلَيَّ ؛ وَتَوَحَّشْتُ عَنْ تِلْكَ الْجِهَةِ أَيْضاً ؛ فَخَفَضْتُ رَأْسِي ، إِلَى الْأَسْفَلِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى أَسْفَلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَإِلٰى جِذْرِهَا ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ مَا فِي الْأَسْفَلِ ، مِنَ

---

(١) فَكَتَبْتُ مَا سَنَحَ بِقَلْبِي ، مِنْ هٰذِهِ الْحَالَةِ الرُّوحِيَّةِ ، عَلٰى صُورَةِ مُنَاجَاةٍ فَارِسِيَّةٍ ؛ وَطُبِعَتْ فِي «رِسَالَةِ الْحُبَابِ» ، بِـ«أَنْقَرَةَ» ، ذٰلِكَ الْوَقْتِ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

التُّرَابِ ، هُوَ تُرَابُ مَبْدَأِ خِلقَتِي ، مَعَ تُرَابِ عِظَامِي ، يُدَاسُ تَحْتَ الْأَقْدَامِ ، مُمْتَزِجاً أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ ؛ فَزَادَ ذٰلِكَ ، دَاءً عَلٰى دَائِي ، لَا دَوَاءً ؛ ثُمَّ نَظَرْتُ بِاضْطِرَارٍ ، إِلٰى وَرَائِي ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ بِلَا أَسَاسٍ ، تُسَافِرُ مُتَدَحْرِجَةً فِي أَوْدِيَةِ الْعَدَمِ ، وَظُلُمَاتِ الْفَنَاءِ ؛ فَازْدَادَ سُمّاً ، عَلٰى دَائِي ؛ وَكُنْتُ أَتَحَرّىٰ لَهُ الدَّوَاءَ ؛ فَلَمَّا لَمْ أَرَ الْخَيْرَ ، فِي تِلْكَ الْجِهَةِ أَيْضاً ؛ نَظَرْتُ إِلٰى أَمَامِي ؛ وَأَرْسَلْتُ نَظَرِي ، إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ بَابَ الْقَبْرِ ، يُرىٰ مَفْتُوحاً ، عَلٰى طَرِيقِي نَفْسِهِ ؛ وَفَتَحَ فَاهُ ؛ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ ؛ وَيُرىٰ مِنْ وَرَائِهِ ، مِنْ بَعِيدٍ ، الطَّرِيقُ الذَّاهِبُ إِلٰى جَانِبِ الْأَبَدِ ، وَالرَّكْبُ السَّالِكُ فِيهِ ؛ وَلَيْسَ بِيَدِي شَيْءٌ ، يَكُونُ سِلَاحَ الدِّفَاعِ ، وَنُقْطَةَ الِاسْتِنَادِ ، إِزَاءَ أَهْوَالٍ تَرِدُ عَنْ هٰذِهِ الْجِهَاتِ ، سِوىٰ جُزْءٍ جُزْئِيٍّ مِنَ الِاخْتِيَارِ ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ الْجُزْءَ الِاخْتِيَارِيَّ الَّذِي هُوَ سِلَاحٌ إِنْسَانِيٌّ وَحِيدٌ ، إِزَاءَ أُولَائِكَ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ لَا حَدَّ لَهُمْ ، وَتِجَاهَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الضَّارَّةِ الَّتِي لَا عَدَّ لَهَا ؛ لَا يَتَأَتّٰى مِنْ يَدِهِ شَيْءٌ سِوَى الْكَسْبِ ، لِكَوْنِهِ نَاقِصاً وَقَاصِراً ، عَاجِزاً وَغَيْرَ مُوجِدٍ ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفُذَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي ؛ كَيْ يُسْكِتَ الْأَحْزَانَ الْوَارِدَةَ عَلَيَّ مِنْهُ ؛ وَلَا يَقْتَدِرُ أَنْ يَحُلَّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ كَيْ يَمْنَعَ الْأَهْوَالَ النَّاشِئَةَ عَنْهُ ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لَهُ ، لِآلَامِي وَآمَالِيَ الْعَائِدَةِ إِلَى الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَإِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَرْتَجِفُ بَيْنَ الدَّهْشَةِ وَالْوَحْشَةِ ، وَالْيَأْسِ وَالظُّلْمَةِ ، الْوَارِدَةِ مِنْ هٰذِهِ الْجِهَاتِ السِّتِّ ؛ فَإِذَا بِأَنْوَارِ الْإِيمَانِ ، الْمُتَلَأْلِئَةِ فِي سَمَاءِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، أَمَدَّتْنِي ؛ فَأَضَاءَتْ تِلْكَ الْجِهَاتِ السِّتَّ ؛ وَنَوَّرَتْهَا بِحَيْثُ لَوْ تَضَاعَفَتْ تِلْكَ الْوَحْشَةُ وَالظُّلُمَاتُ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ لَكَانَ ذٰلِكَ النُّورُ ، كَافِياً وَوَافِياً لَهَا ؛ فَحَوَّلَ تِلْكَ الْأَهْوَالَ كُلَّهَا ، فَرْداً فَرْداً ، إِلَى التَّسَلِّي ؛ وَقَلَبَ تِلْكَ التَّوَحُّشَاتِ ، وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً ، بِالْأُنْسِ ..

وَذٰلِكَ : أَنَّ الْإِيمَانَ شَقَّ صُورَةَ الْقَبْرِ الْأَكْبَرِ ، قَبْرِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ الْمَاضِي الْمُتَوَحِّشِ ؛ وَأَرَاهُ بِعَيْنِ الْيَقِينِ ، وَبِحَقِّ الْيَقِينِ : أَنَّهُ مَجْلِسٌ مُنَوَّرٌ ، وَمَجْمَعُ أَحْبَابٍ أَنِيسٌ ..

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ أَرىٰ بِعِلْمِ الْيَقِينِ ، الزَّمَانَ الْمُسْتَقْبَلَ الَّذِي كَانَ يُرىٰ بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ، عَلٰى صُورَةِ قَبْرٍ أَكْبَرَ ؛ أَرَاهُ بِصُورَةِ مَجْلِسِ ضِيَافَةٍ رَحْمَانِيَّةٍ ، فِي قُصُورِ السَّعَادَةِ الطَّيِّبَةِ ..

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ كَسَرَ شَكْلَ تَابُوتِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَالزَّمَانِ الْحَاضِرِ ، الَّذِي يُرٰى لِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ، عَلٰى كَيْفِيَّةِ تَابُوتٍ ؛ فَأَرَاهُ بِالْمُشَاهَدَةِ ، عَلٰى صُورَةِ دُكَّانٍ وَمَتْجَرٍ أُخْرَوِيٍّ ، وَمَضِيفٍ مُشْرِقٍ رَحْمَانِيٍّ . .

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ أَرٰى بِعِلْمِ الْيَقِينِ ، أَنَّ الثَّمَرَةَ الْوَحِيدَةَ ، لِشَجَرَةِ عُمْرِيَ ، الَّتِي تُشَاهَدُ عَلٰى رَأْسِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، فِي صُورَةِ الْجَنَازَةِ ، لَيْسَتْ جَنَازَةً ؛ بَلْ إِنَّ رُوحِيَ الْمَظْهَرَ لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ ، وَالْمُرَشَّحَ لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ ، خَرَجَ عَنْ وَكْرِهِ الْقَدِيمِ ، لِلسِّيَاحَةِ فِي النُّجُومِ . .

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ أَرٰى بِسِرِّهِ ، أَنَّ تُرَابَ مَبْدَأِ خِلْقَتِي ، مَعَ عِظَامِي ، لَيْسَ عِظَاماً رَمِيماً ، لَا قِيمَةَ لَهَا ، تَحْتَ الْأَقْدَامِ ؛ بَلْ إِنَّ ذٰلِكَ التُّرَابَ ، بَابُ الرَّحْمَةِ ، وَغِطَاءُ قَاعَةِ الْجَنَّةِ . .

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ أَرٰى بِسِرِّ الْقُرْآنِ ، كَيْفِيَّةَ الدُّنْيَا الْمُتَدَحْرِجَةِ وَرَائِي ، فِي الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ وَالظُّلْمَةِ ، بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ، بِأَنَّ تِلْكَ الدُّنْيَا الْمُتَدَحْرِجَةَ فِي الظُّلُمَاتِ ظَاهِراً ، هِيَ بَعْضُ مَكْتُوبَاتٍ صَمَدَانِيَّةٍ ، وَصَحَائِفُ نُقُوشٍ سُبْحَانِيَّةٍ ، انْتَهَتْ وَظِيفَتُهَا ؛ وَأَفَادَتْ مَعْنَاهَا ؛ وَتَرَكَتْ نَتَائِجَهَا بَدَلاً عَنْهَا ، فِي الْوُجُودِ ؛ وَأَعْلَمَ بِعِلْمِ الْيَقِينِ ، مَا هِيَ مَاهِيَّةُ الدُّنْيَا . .

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ أَرٰى بِنُورِ الْقُرْآنِ ، بِحَيْثُ يُقْنِعُ قَنَاعَةً تَامَّةً ، أَنَّ الْقَبْرَ الَّذِي فَتَحَ عَيْنَهُ ، فِي الْأَمَامِ ؛ وَيَنْظُرُ إِلَيَّ ؛ وَأَنَّ الطَّرِيقَ الذَّاهِبَ وَرَاءَهُ ، إِلَى الْأَبَدِ ، لَيْسَ فَمَ الْبِئْرِ ؛ بَلْ هُوَ بَابُ عَالَمِ النُّورِ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ الطَّرِيقَ ، لَيْسَ طَرِيقاً يَذْهَبُ إِلَى الْفَنَاءِ ، وَإِلٰى دِيَارِ الْعَدَمِ ؛ بَلْ يَذْهَبُ إِلَى الْوُجُودِ ، وَإِلٰى عَالَمِ النُّورِ ، وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَصْبَحَ الْإِيمَانُ ، دَوَاءً وَعِلاجاً لِعِلَلِي . .

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ ، يُعْطِي وَثِيقَةً ، بِيَدِ ذٰلِكَ الْجُزْءِ الْجُزْئِيِّ ، مِنْ الاخْتِيَارِ الَّذِي بِيَدِهِ كَسْبٌ جُزْئِيٌّ جِدّاً ؛ لِيَسْتَنِدَ إِلٰى قُدْرَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ ؛ وَلِيَنْتَسِبَ إِلٰى رَحْمَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ،

إزَاءَ تِلْكَ الْأَعْدَاءِ وَالظُّلُمَاتِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، بَدَلاً عَنْ ذٰلِكَ الْجُزْءِ الاخْتِيَارِيِّ ؛ بَلْ إنَّ الْإِيمَانَ يُصْبِحُ وَثِيقَةً ، بِيَدِ ذٰلِكَ الْجُزْءِ الاخْتِيَارِيِّ . .

وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ الْجُزْءَ الاخْتِيَارِيَّ الَّذِي هُوَ سِلاَحُ الْإِنْسَانِ ؛ وَإِنْ كَانَ عَاجِزاً وَقَاصِراً وَنَاقِصاً فِي ذَاتِهِ ، إلَّا أَنَّهُ كَمَا أَنَّ مُجَنْداً إذَا اسْتَعْمَلَ قُوَّتَهُ الْجُزْئِيَّةَ ، بِحِسَابِ الدَّوْلَةِ ؛ يُؤَدِّي أَعْمَالاً أَزْيَدَ مِنْ قُوَّتِهِ أُلُوفَ الدَّرَجَاتِ ؛ كَذٰلِكَ إنَّ ذٰلِكَ الْجُزْءَ الاخْتِيَارِيَّ الْجُزْئِيَّ ، إذَا اسْتُعْمِلَ بِسِرِّ الْإِيمَانِ ، فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَبِاسْمِهِ تَعَالَى ؛ يُكْسِبُ جَنَّةً فِي سِعَةِ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ . .

وَكَذَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَأْخُذُ زِمَامَ ذٰلِكَ الْجُزْءِ الاخْتِيَارِيِّ ، الَّذِي كَانَ لا يَنْفُذُ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ؛ يَأْخُذُهُ عَنْ يَدِ الْجِسْمِ ؛ وَيُسَلِّمُهُ إلَى الْقَلْبِ وَالرُّوحِ . وَدَائِرَةُ حَيَاةِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ ، لَيْسَتْ مُنْحَصِرَةً فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، كَالْجِسْمِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَدْخُلُ سَنَوَاتٌ كَثِيرَةٌ ، مِنَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ، فِي دَائِرَةِ حَيَاتِهِمَا ؛ فَيَخْرُجُ ذٰلِكَ الْجُزْءُ الاخْتِيَارِيُّ ، عَنِ الْجُزْئِيَّةِ ؛ وَيَكْتَسِبُ الْكُلِّيَّةَ ؛ فَيَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ الْجُزْءُ ، أَنْ يَدْخُلَ فِي أَعْمَقِ أَوْدِيَةِ الزَّمَانِ الْمَاضِي ؛ فَيَدْفَعَ ظُلُمَاتِ أَحْزَانِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ ؛ كَمَا أَنَّهُ يَطْلَعُ إلَى أَبْعَدِ جِبَالِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَيُزِيلُ الْأَهْوَالَ ، بِنُورِ الْإِيمَانِ . .

فَيَا أَيُّهَا الشِّيبُ ، وَالْأَخَوَاتُ الشِّيبَاتُ ، الَّذِينَ يُعَانُونَ مِحْنَةَ الشَّيْبِ ، مِثْلِي ! إنَّنَا إذَا كُنَّا أَهْلَ الْإِيمَانِ ؛ وَكَانَ فِي الْإِيمَانِ ، هٰذَا الْقَدَرُ مِنَ الْكُنُوزِ الْمُشْرِقَةِ ، اللَّذِيذَةِ الْمَحْبُوبَةِ الْحُلْوَةِ ؛ وَكَانَ شَيْبُنَا ، يَسُوقُنَا إلَى دَاخِلِ هٰذِهِ الْكُنُوزِ ، أَكْثَرَ مِنَ الشَّبَابِ ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ لا نَشْتَكِيَ عَنْ شَيْبٍ ، مَعَهُ إيمَانٌ ؛ بَلْ نَشْكُرَ عَلَيْهِ آلافَ شُكْرٍ . .

اَلرَّجَاءُ الثَّامِنُ :

إنَّ تَحَوُّلاَتِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى ، وَاضْطِرَابَاتِ أَسْرِي فِيهَا ، الَّتِي تُضَاعِفُ نَوْمَ الشَّبِيبَةِ ، وَإنَّ كَيْفِيَّةَ شَرَفٍ وَشُهْرَةٍ مُهِمَّةٍ ، حِينَمَا جِئْتُ إلَى «إسْطَنْبُولَ» أَخِيراً ، وَسُكْرَ

الشَّبَابِ ؛ حَيْثُ أَظْهَرُوا لِي ، حُسْنَ تَوَجُّهٍ وَإِقْبَالٍ ، أَزْيَدَ مِنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ، مِنَ الْخَلِيفَةِ ، وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ، وَرَئِيسِ الْأَرْكَانِ ، إِلَى طُلَّابِ الْمَدَارِسِ ، وَإِنَّ الْحَالَةَ الرُّوحِيَّةَ الَّتِي أَنْتَجَتْهَا تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ ، ضَاعَفَتْ نَوْمَةَ الشَّبِيبَةِ الْعَمِيقَةَ ، بِحَيْثُ رَأَيْتُنِي عَلَى حَالَةٍ عَجِيبَةٍ ، مُتَمَسِّكاً بِالدُّنْيَا ؛ كَأَنَّهَا دَائِمَةٌ ؛ وَأَنَا لَا أَمُوتُ فِيهَا ؛ وَذٰلِكَ حِينَمَا وَقَعَتْ فِي شَعْرِي ، شَعَرَاتٌ بِيضٌ هِيَ عَلَامَةُ الشَّيْبِ ؛ فَذَهَبْتُ حِينَئِذٍ ، إِلَى «جَامِعِ بَايَزِيدَ» الْمُبَارَكِ ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» ، لِلِاسْتِمَاعِ إِلَى الْحُفَّاظِ الْمُخْلِصِينَ ، فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ؛ فَأَعْلَنَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، بِخِطَابِهِ الْعَالِي السَّمَاوِيِّ ، بِأَلْسِنَةِ الْحُفَّاظِ ، إِعْلَاناً قَوِيّاً ، قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ، الَّذِي يُخْبِرُ عَنْ فَنَاءِ الْبَشَرِ ، وَمَوْتِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَدَخَلَ فِي أُذُنِي ، إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ فِي دَاخِلِ قَلْبِي ؛ فَمَزَّقَ طَبَقَاتِ تِلْكَ الْغَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَالسُّكْرِ الْغَلِيظَةَ ؛ فَخَرَجْتُ عَنِ الْجَامِعِ ؛ وَفِي رَأْسِي نَارٌ دَاخِنَةٌ وَعَاصِفَةٌ ، دَامَتْ بِضْعَةَ أَيَّامٍ ، بِتَسْمِيمِ ذٰلِكَ النَّوْمِ الْقَدِيمِ الْمُتَمَكِّنِ فِي رَأْسِي ، مُنْذُ أَمَدٍ مَدِيدٍ ؛ وَرَأَيْتُنِي كَسَفِينَةٍ شَوَّشَتْ حُكَّهَا ؛ وَكُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى شَعْرِي ، فِي الْمِرْآةِ ؛ كَانَتِ الشَّعَرَاتُ الْبِيضُ ، تَقُولُ لِيَ : احْذَرْ ؛ فَتَوَضَّحَتِ الْكَيْفِيَّةُ ، بِإِنْذَارِ تِلْكَ الشَّعَرَاتِ الْبِيضِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الشَّبَابَ الَّذِي أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ كَثِيراً ؛ وَأُفْتَتَنُ بِأَذْوَاقِهِ ، يَسْتَوْدِعُنِي ؛ وَأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الَّتِي تَعَلَّقْتُ بِمَحَبَّتِهَا كَثِيراً ، تَشْرَعُ بِالِانْطِفَاءِ ؛ وَأَنَّ الدُّنْيَا الَّتِي ارْتَبَطْتُ بِهَا شَدِيداً ، بِحَيْثُ عَشِقْتُهَا ، تُشَيِّعُنِي وَتُذَكِّرُنِي بِذَهَابِي عَنِ الْمَضِيفِ ؛ وَهِيَ أَيْضاً تَسْتَعِدُّ لِلسَّفَرِ ، مُسْتَوْدِعَةً إِيَّايَ ؛ وَكَانَ يُفْتَحُ لِلْقَلْبِ ، فِي كُلِّيَّةِ آيَةِ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ، مِنْ إِشَارَةِ الْآيَةِ ، هٰذَا الْمَعْنَى ؛ وَهُوَ : أَنَّ نَوْعَ الْإِنْسَانِ ، نَفْسٌ تَمُوتُ عَلَى أَنْ تَحْيَا ؛ وَأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ أَيْضاً ، نَفْسٌ تَمُوتُ لِتَدْخُلَ فِي صُورَةٍ بَاقِيَةٍ ؛ وَأَنَّ الدُّنْيَا أَيْضاً ، نَفْسٌ تَمُوتُ لِتَدْخُلَ فِي صُورَةِ الْآخِرَةِ ؛ فَنَظَرْتُ إِلَى حَالِي ، فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الشَّبَابَ الَّذِي هُوَ مَدَارُ الْأَذْوَاقِ ، يُسَافِرُ ؛ وَيَأْتِي مَكَانَهُ ، الشَّيْبُ الَّذِي هُوَ مَنْشَأُ الْأَحْزَانِ ؛ وَأَنَّ الْحَيَاةَ النَّيِّرَةَ اللَّامِعَةَ ، تُسَافِرُ ؛ وَيَسْتَعِدُّ لِلْمَجِيءِ إِلَى مَكَانِهَا ، الْمَوْتُ الْمُدْهِشُ الْمُظْلِمُ ظَاهِراً ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الدُّنْيَا الَّتِي تُظَنُّ دَائِمَةً وَمَحْبُوبَةً كَثِيراً ، الَّتِي هِيَ مَعْشُوقَةُ الْغَافِلِينَ ، تَبْلُغُ

إِلَى الزَّوَالِ بِالسُّرْعَةِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى أَذْوَاقِ الْمَقَامِ الاِجْتِمَاعِيِّ الَّذِي وَجَدْتُهُ بِـ «إِسْطَنْبُولَ» أَكْثَرَ مِنْ حَدِّي ؛ لِأَخْدَعَ نَفْسِي ؛ وَأُدْخِلَ رَأْسِي فِي الْغَفْلَةِ أَيْضاً ؛ فَلَمْ تَكُنْ لِتِلْكَ الْأَذْوَاقِ ، فَائِدَةٌ أَصْلاً ؛ وَأَنَّ تَوَجُّهَهُمْ وَالْتِفَاتَهُمْ وَتَسْلِيَتَهُمْ ، إِنَّمَا تَأْتِي إِلَى بَابِ الْقَبْرِ الْقَرِيبِ مِنِّي ؛ وَتَنْطَفِئُ هُنَاكَ ؛ وَرَأَيْتُ مَا تَحْتَ غِطَاءِ الشَّرَفِ وَالشُّهْرَةِ ، الَّذِي هُوَ غَايَةٌ مَّا لِخَيَالِ الْمُتَشَهِّرِينَ ، رَأَيْتُهُ فِي صُورَةِ رِيَاءٍ ثَقِيلٍ ، وَعُجْبٍ بَارِدٍ ، وَغَفْلَةٍ مُؤَقَّتَةٍ ؛ فَعَلِمْتُ مِنْ ذٰلِكَ ، أَنَّ هٰذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي غَرَّتْنِي إِلَى الْآنِ ، لَا تُفِيدُ تَسَلِّياً قَطُّ ؛ وَلَا يُوجَدُ فِيهَا نُورٌ أَصْلاً ؛ فَشَرَعْتُ فِي الاِسْتِمَاعِ إِلَى الْحُفَّاظِ ، فِي «جَامِعِ بَايَزِيدَ» أَيْضاً ؛ لِأَسْمَعَ دَرْسَ الْقُرْآنِ السَّمَاوِيَّ ، لِلاِنْتِبَاهِ الْكَامِلِ ؛ فَسَمِعْتُ حِينَئِذٍ ، بَشَائِرَ مِنْ ذٰلِكَ الدَّرْسِ السَّمَاوِيِّ ، بِأَوَامِرَ قُدُسِيَّةٍ ، مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ؛ فَتَحَرَّيْتُ بِالْفَيْضِ الَّذِي أَخَذْتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ ، النُّورَ وَالرَّجَاءَ وَالتَّسَلِّيَ ، لَا مِنَ الْخَارِجِ ، بَلْ فِي النِّقَاطِ الَّتِي أَخَذْتُ مِنْهَا الدَّهْشَةَ وَالْوَحْشَةَ وَالْيَأْسَ ؛ فَلِلّٰهِ مِئَاتُ آلَافِ الشُّكْرِ ؛ حَيْثُ وَجَدْتُ الدَّوَاءَ ، فِي نَفْسِ الدَّاءِ ؛ وَالنُّورَ ، فِي عَيْنِ الظُّلْمَةِ ؛ وَالتَّسَلِّيَ ، فِي عَيْنِ الدَّهْشَةِ . .

فَنَظَرْتُ أَوَّلاً ، إِلَى وَجْهِ الْمَوْتِ الَّذِي يُخَوِّفُ كُلَّ أَحَدٍ ؛ وَيُتَوَهَّمُ أَفْزَعَ ؛ فَرَأَيْتُ بِنُورِ الْقُرْآنِ ، أَنَّ لِثَامَ الْمَوْتِ ؛ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ مُظْلِماً وَقَبِيحاً ، إِلَّا أَنَّ سِيمَاهُ الْأَصْلِيَّةَ ، جَمِيلَةٌ وَمُشْرِقَةٌ لِلْمُؤْمِنِ . وَقَدْ أَثْبَتْنَا هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ؛ وَأَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ إِعْدَاماً وَلَا فِرَاقاً ؛ بَلْ إِنَّهُ مُقَدِّمَةُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَمَبْدَأُهَا ؛ وَإِنَّهُ تَسْرِيحٌ وَتَعْطِيلٌ عَنْ كُلْفَةِ خِدْمَةِ الْحَيَاةِ ، وَتَبْدِيلُ مَكَانٍ ، وَوِصَالٌ إِلَى رَكْبِ الْأَحْبَابِ الرَّاحِلِينَ إِلَى عَالَمِ الْبَرْزَخِ ؛ وَهٰكَذَا رَأَيْتُ سِيمَا الْمَوْتِ ، الْحَقِيقِيَّةَ الْجَمِيلَةَ ، بِحَقَائِقَ مِثْلِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ؛ كَمَا أَوْضَحْنَا فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ، كَالْمَقَالَةِ الثَّامِنَةِ ، وَالْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِ الْمَوْتِ ، لَا مُتَخَوِّفاً بَلْ مُشْتَاقاً إِلَيْهِ بِجِهَةٍ مَّا ؛ وَفَهِمْتُ سِرّاً مِنْ أَسْرَارِ رَابِطَةِ الْمَوْتِ ، لَدَى أَهْلِ الطَّرِيقَةِ . .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الشَّبَابِ الَّذِي يُبْكِي كُلَّ أَحَدٍ ، بِزَوَالِهِ ؛ وَيَجْعَلُ كُلَّ أَحَدٍ ، مَفْتُوناً

بِهِ ، وَمُشْتَاقاً إِلَيْهِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى شَبَابِيَ الَّذِي مَضَى وَيَمْضِي بِالْغَفْلَةِ وَالْمَعْصِيَةِ ؛ فَرَأَيْتُ فِي حِجَابِهِ وَلِبَاسِهِ الْجَمِيلِ الْمُزَخْرَفِ ، وَجْهاً قَبِيحاً ، سَفِيهاً وَسَكْرَاناً ؛ فَلَوْلا عَلِمْتُ مَاهِيَّتَهُ ؛ لَأَبْكَانِي مِئَةَ سَنَةٍ ؛ لَوْ بَقِيتُ فِي الدُّنْيَا ، بَدَلاً عَنْ أَنَّهُ أَضْحَكَنِي وَأَسْكَرَنِي بِضْعَ سِنِينَ ؛ كَمَا أَنَّ وَاحِداً مِنَ الَّذِينَ كَانُوا كَذٰلِكَ ؛ قَالَ بَاكِياً : «فَيا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْماً ❁ فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ» ؛ يَعْنِي : لَيْتَ شَبَابِي عَادَ يَوْماً ؛ فَأَذْكُرَ لَهُ ، شَاكِياً إِلَيْهِ ، الْأَحْوَالَ الْحَزِينَةَ الَّتِي فَعَلَهَا بِيَ الشَّيْبُ . نَعَمْ : إِنَّ الشِّيبَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مَاهِيَّةَ الشَّبَابِ ، مِثْلَ هٰذَا الرَّجُلِ ، يَذْكُرُونَ شَبَابَهُمْ ؛ فَيَبْكُونَ عَلَيْهِ ، بِالتَّأَسُّفِ وَالتَّحَسُّرِ ؛ وَالْحَالُ أَنَّ الشَّبَابَ ، إِنْ كَانَ فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَلْبِ وَالْحُضُورِ وَمِنَ الَّذِينَ كَانَ عُقُولُهُمْ ، بِرُؤُوسِهِمْ ؛ وَقُلُوبُهُمْ فِي مَحَلِّهَا ؛ وَصُرِفَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْخَيْرَاتِ ، وَتِجَارَةِ الْآخِرَةِ ؛ يَكُونُ أَقْوَى وَسِيلَةٍ لِتِجَارَةِ الْآخِرَةِ ، وَوَاسِطَةٍ طَيِّبَةٍ لِلْخَيْرَاتِ ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ الشَّبَابُ ، نِعْمَةً إِلٰهِيَّةً ، ذَاتَ قِيمَةٍ وَذَوْقٍ ، لِلَّذِينَ يَعْرِفُونَ خِدْمَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ ؛ فَلا يَسْتَعْمِلُونَهُ سَيِّئاً ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ ، اسْتِقَامَةٌ وَعِفَّةٌ وَتَقْوَى ؛ فَلَهُ مَهَالِكُ كَثِيرَةٌ ؛ وَيُفْسِدُ سَعَادَتَهُ الْأَبَدِيَّةَ ، وَحَيَاتَهُ الْأُخْرَوِيَّةَ ، بِسَبَبِ هَيَجَانَاتِهِ ؛ بَلْ يُفْسِدُ حَيَاتَهُ الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ بَلْ إِنَّهُ يُعَانِي الْغَمَّ وَالْحُزْنَ ، فِي شَيْبِهِ ، سِنِينَ كَثِيرَةً ، عِوَضاً عَنْ ذَوْقِ الشَّبَابِ ، سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ . فَإِذَا كَانَ الشَّبَابُ ، يُصْبِحُ ضَارّاً فِي أَكْثَرِ النَّاسِ ؛ فَعَلَيْنَا نَحْنُ الشِّيبَ ، أَنْ نَشْكُرَ اللهَ تَعَالَى ؛ حَيْثُ نَجَوْنَا عَنْ مَضَارِّ الشَّبَابِ ، وَعَنْ مَهَالِكِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّبَابَ سَتَذْهَبُ لَذَّاتُهُ أَيْضاً ، كَكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِنْ كَانَ مَصْرُوفاً فِي الْعِبَادَةِ وَالْخَيْرِ ؛ تَبْقَى ثَمَرَاتُ ذٰلِكَ الشَّبَابِ ، فِي مَحَلِّهِ ؛ وَتُصْبِحُ وَسِيلَةً لِتَحْصِيلِ شَبَابٍ ، فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ . .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا الَّتِي يُبْتَلَى بِهَا أَكْثَرُ النَّاسِ ؛ وَيَعْشَقُونَهَا ؛ فَرَأَيْتُ بِنُورِ الْقُرْآنِ : أَنَّ لِلدُّنْيَا ، ثَلاثَةَ وُجُوهٍ كُلِّيَّةٍ مُتَدَاخِلَةٍ . أَحَدُهَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَهُوَ مِرْآتُهَا ؛ وَالثَّانِي يَنْظُرُ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ مَزْرَعَتُهَا ؛ وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ يَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ وَهُوَ مَلْعَبَةُ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ لِكُلِّ أَحَدٍ ، دُنْيَا جَسِيمَةً ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ حَتَّى كَأَنَّ طَبَقَاتِ الدُّنْيَا ، تَدَاخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، عَدَدَ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ ؛ وَلٰكِنَّ عِمَادَ الدُّنْيَا الْخَاصَّةِ بِكُلِّ أَحَدٍ ، هُوَ

حَيَاتُهُ ؛ فَمَتَى انْكَسَرَ جِسْمُهُ ، تَنْهَدِمُ دُنْيَاهُ ، عَلٰى رَأْسِهِ ؛ وَتَقُومُ قِيَامَتُهُ ؛ وَإِنَّ أَهْلَ الْغَفْلَةِ لَا يَعْلَمُونَ حَالَ دُنْيَاهُمُ الَّتِي تَنْهَدِمُ هٰكَذَا فَوْراً ؛ فَيَظُنُّونَهَا دَائِمَةً ، كَالدُّنْيَا الْعَامَّةِ ؛ فَيَعْشَقُونَهَا ؛ وَإِنَّ لِي أَيْضاً ، دُنْيَا خَاصَّةً ، تَخْرَبُ وَتَنْهَدِمُ سَرِيعاً ، كَدُنْيَا الْآخَرِينَ ؛ فَتَفَكَّرْتُ أَنَّهُ مَا هِيَ فَائِدَةُ دُنْيَايَ الْخَاصَّةِ ، مَعَ عُمْرِيَ الْقَصِيرِ هٰذَا ؟ فَرَأَيْتُ بِنُورِ الْقُرْآنِ : أَنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، لِي وَلِكُلِّ أَحَدٍ ، مَتْجَرٌ مُؤَقَّتٌ ، وَمَضِيفٌ يُمْلَأُ وَيُفْرَغُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَسُوقٌ بُنِيَتْ عَلَى الطَّرِيقِ ، لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، لِلَّذِينَ يَحُلُّونَ وَيَرْحَلُونَ ، وَكِتَابٌ مُتَجَدِّدٌ ، لِلنَّقَّاشِ الْأَزَلِيِّ ، يُثْبِتُهُ وَيَمْحُوهُ بِالْحِكْمَةِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ رَبِيعٍ ، مَكْتُوبٌ مُذَهَّبٌ ؛ وَكُلَّ صَيْفٍ ، قَصِيدَةٌ مَنْظُومَةٌ لَهُ ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّهَا مَرَايَا تُظْهِرُ جَلَوَاتِ أَسْمَاءِ الصَّانِعِ الْجَلِيلِ ؛ وَتُجَدِّدُهَا ، وَحَدِيقَةُ غَرْسٍ لِلْآخِرَةِ ، وَمَزْهَرٌ لِلرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَمَصْنَعٌ مُؤَقَّتٌ مَخْصُوصٌ بِإِعْمَالِ الْأَلْوَاحِ الَّتِي سَتُعْرَضُ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ ؛ وَرَأَيْتُهَا فِي تِلْكَ الْمَاهِيَّةِ ؛ فَشَكَرْتُ مِئَاتِ آلافِ شُكْرٍ ، لِلْخَالِقِ الْجَلِيلِ الَّذِي خَلَقَ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، عَلٰى هٰذِهِ الصُّورَةِ ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَحَبَّةَ ، أُعْطِيَهَا نَوْعُ الْإِنْسَانِ ، لِوَجْهَيِ الدُّنْيَا ، الْبَاطِنَيْنِ الْجَمِيلَيْنِ النَّاظِرَيْنِ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْآخِرَةِ ؛ فَيَسْتَعْمِلُهَا سَيِّئاً ؛ وَيَصْرِفُهَا فِي وَجْهِهَا الْفَانِي الْقَبِيحِ الضَّارِّ الْغَافِلِ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ أَصْبَحُوا مَظْهَراً لِسِرِّ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ؛ وَهُوَ : ﴿ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ﴾ . .

فَيَا أَيُّهَا الشِّيبُ وَالشِّيبَاتُ ! . إِنِّي رَأَيْتُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، بِنُورِ الْقُرْآنِ ، وَبِإِخْطَارِ الشَّيْبِ ، وَبِفَتْحِ الْإِيمَانِ لِبَصَرِي ؛ وَأَثْبَتُّهَا فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ، بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ ؛ وَرَأَيْتُ لِي ضِيَاءً مُشْرِقاً ، وَرَجَاءً قَوِيّاً ، وَتَسَلِّياً حَقِيقِيّاً ؛ وَفَرِحْتُ بِشَيْبِي ؛ وَسُرِرْتُ عَنْ زَوَالِ شَبَابِي ؛ فَلَا تَبْكُوا ؛ وَاشْكُرُوا أَنْتُمْ أَيْضاً . وَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ مَوْجُوداً ؛ وَكَانَتِ الْحَقِيقَةُ ، هٰكَذَا ؛ فَلْيَبْكِ أَهْلُ الْغَفْلَةِ ؛ وَلْيَبْكِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ . .

اَلرَّجَاءُ التَّاسِعُ :

إِنِّي كُنْتُ فِي وِلَايَةِ «قُوسْتُورْمَا» النَّائِيَةِ جِدّاً ، عَنِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ ، مِنْ رُوسْيَا ، بِالْأَسْرِ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولٰى ؛ وَكَانَ هُنَالِكَ ، مَسْجِدٌ صَغِيرٌ لِلتَّاتَارِ ، عَلٰى شَطِّ نَهْرٍ

«فولْغا» الْمَشْهُورِ ؛ فَكُنْتُ أَنْقَبِضُ بَيْنَ أَصْحَابِي مِنَ الضُّبَّاطِ الْأَسْرَى هُنَاكَ ؛ فَأَرَدْتُ الْعُزْلَةَ ؛ وَكُنْتُ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسِيرَ بِدُونِ الْإِذْنِ ، فِي خَارِجِ السِّجْنِ ؛ فَقَبِلَتْنِي حَيُّ التَّاتَارِ ، بِالْكَفَالَةِ ، إِلَى ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ الصَّغِيرِ ، عَلَى شَطِّ نَهْرِ «فُولْغَا» ؛ فَكُنْتُ أَبِيتُ وَحْدِي ، فِي الْمَسْجِدِ ؛ وَأَبْقَى يَقْظَاناً كَثِيراً ، فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الطَّوِيلَةِ جِدّاً ، الْقَرِيبَةِ مِنَ الرَّبِيعِ ، مِنْ لَيَالِي تِلْكَ الْقَارَّةِ الشَّمَالِيَّةِ ؛ فَأَيْقَظَنِي مُؤَقَّتاً ، عَنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ ، هُبُوبُ الرِّيحِ الْمُشْعِرُ بِالْفِرَاقِ ، وَصَوْتُ الْمَطَرِ الرَّقِيقُ ، وَتَمَوُّجُ نَهْرِ «فُولْغَا» الْحَزِينُ ، فِي تِلْكَ اللَّيَالِي السَّوْدَاءِ ، وَالْغُرْبَةِ الْمُظْلِمَةِ ؛ وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لا أَعْلَمُنِي كَهْلاً بَعْدُ ؛ وَلٰكِنْ مَنْ شَهِدَ الْحَرْبَ الْعَالَمِيَّةَ ؛ فَهُوَ هَرِمٌ ؛ وَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ يَصْدُقُ عَلَيْهَا ، سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ ؛ فَمِنْ حَيْثُ إِنَّ تِلْكَ الْأَيَّامَ تُشِيبُ الْوِلْدَانَ ؛ وَجَدْتُنِي فِي حَالَةٍ كَأَنِّي فِي سِنِّ الثَّمَانِينَ ؛ وَقَدْ كُنْتُ فِي سِنِّ الْأَرْبَعِينَ ؛ فَعَرَضَ عَلَيَّ ، يَأْسٌ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْوَطَنِ ، فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَالْغُرْبَةِ الْحَزِينَةِ ، وَالْحَالَةِ الْحَزِينَةِ ؛ فَنَظَرْتُ إِلَى عَجْزِي وَوَحْدَتِي ؛ فَانْقَطَعَ أَمَلِي ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، إِذْ جَاءَ الْإِمْدَادُ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَذَكَرَ لِسَانِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَقَالَ قَلْبِي بَاكِياً : «إِنِّي غَرِيبٌ وَوَحِيدٌ ، ضَعِيفٌ وَعَاجِزٌ ، أَقُولُ : يَا لَلْأَمَانِ ! وَأَطْلُبُ الْعَفْوَ ؛ وَأَرْجُو الْمَدَدَ ، مِنْ بَابِكَ ، يَا إِلٰهِي ! .(١) » ؛ وَتَذَكَّرَ رُوحِيَ الْأَحْبَابَ الْقُدَمَاءَ فِي وَطَنِي ؛ وَتَخَيَّلْتُ مَوْتِي ، فِي تِلْكَ الْغُرْبَةِ ؛ فَقُلْتُ كَـ «نِيَازِيٍّ الْمِصْرِيِّ» : «إِنِّي مَضَيْتُ عَنْ غَمِّ الدُّنْيَا ؛ وَفَتَحْتُ الْجَنَاحَ لِلْفَقْرِ ؛ وَأَطِيرُ بِالشَّوْقِ ، كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَأَصِيحُ أَقُولُ : الْحَبِيبَ الْحَبِيبَ ! .(٢) » ؛ فَكَانَ رُوحِي تَتَحَرَّى الْأَحْبَابَ ؛ وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَإِنَّ ضَعْفِي وَعَجْزِي ، أَصْبَحَا شَفِيعاً وَوَسِيلَةً عَظِيمَةً ، بِبَابِهِ تَعَالٰى ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ

---

(١) نَصُّ الْمُنَاجَاةِ الْفَارِسِيَّةِ : «غَرِيبَمْ ، بِي كَسَمْ ، ضَعِيفَمْ ، نَاتُوَانَمْ ؛ اَلْأَمَانْ گُويَمْ ؛ عَفُو جُويَمْ ؛ مَدَدْ خواهَمْ زِدَرْگَاهَتْ إِلٰهِي !» . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ) . .

(٢) نَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : «دُنْيَا غَمِنْدَنْ گِيچُوبْ ۞ يُوقْلُغَه قَنَادْ آچُوبْ ۞ شَوْقْ إِيلَه هَرْدَمْ أُوچُوبْ ۞ چَاغِيرِرِمْ دُوسْتْ دُوسْتْ» . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ) . .

الطَّوِيلَةِ ، الْحَزِينَةِ الرَّقِيقَةِ ، ذَاتِ الْغُرْبَةِ وَالْفِرَاقِ ؛ فَإِنِّي إِلَى الْآنِ ، مُتَحَيِّرٌ أَيْضاً ؛ إِذْ فَرَرْتُ وَحْدِي ، بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ ، بِصُورَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْمَأْمُولِ ، فِي مَسَافَةِ سَنَةٍ ؛ لَوْ سِيرَ مَشْياً ؛ وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ اللُّغَةَ الرُّوسِيَّةَ ؛ فَنَجَوْتُ بِصُورَةٍ خَارِقَةٍ ؛ وَذٰلِكَ : بِالْعِنَايَةِ الْإِلٰهِيَّةِ الْوَارِدَةِ لِضَعْفِي وَعَجْزِي ؛ فَسِرْتُ إِلٰى «فَارْشُوَا» وَ «آوِسْتُرِيَا» ، إِلٰى أَنْ جِئْتُ إِلٰى «إِسْطَنْبُولَ» ؛ وَكَانَتِ النَّجَاةُ بِسُهُولَةٍ ، بِهٰذِهِ الصُّورَةِ ، خَارِقَةً جِدّاً ؛ وَقَدْ قَضَيْتُ تِلْكَ السِّيَاحَةَ الْفِرَارِيَّةَ الطَّوِيلَةَ ، بِسُهُولَةٍ وَتَسْهِيلٍ كَثِيرٍ ؛ لَمْ يُوَفَّقْ لَهَا ، أَشْجَعُ أُنَاسٍ وَأَذْكَاهُمْ ، الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ الرُّوسِيَّةَ ؛ وَلٰكِنَّ كَيْفِيَّةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فِي الْمَسْجِدِ ، عَلٰى شَطِّ نَهْرِ «فُولْغَا» ، أَلْهَمَتْنِي هٰذَا الْقَرَارَ ؛ وَهُوَ أَنِّي قُلْتُ : سَأَقْضِي بَقِيَّةَ عُمْرِي ، فِي الْكُهُوفِ ؛ وَإِنَّهُ يَكْفِي الِاخْتِلَاطُ بِحَيَاةِ مُجْتَمَعِ هٰؤُلَاءِ النَّاسِ ؛ فَإِذَا كُنْتُ سَأُسَافِرُ أَخِيراً ، إِلَى الْقَبْرِ وَحِيداً ؛ فَإِنِّي أَخْتَارُ الْوَحْدَةَ ، مِنْ هٰذَا الْحِينِ ، لِلْأُنْسِ بِالْوَحْدَةِ ؛ وَلٰكِنَّ كَثْرَةَ الْأَحْبَابِ الْمُخْلِصِينَ ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» ، وَحَيَاةَ «إِسْطَنْبُولَ» ، الدُّنْيَوِيَّةَ الْمُزَخْرَفَةَ ، لَاسِيَّمَا الْأُمُورِ الَّتِي لَا نَتِيجَةَ لَهَا ، مِثْلِ الشَّأْنِ وَالشَّرَفِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَيَّ ، أَكْثَرَ مِنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ، أَنْسَتْنِي قَرَارِي ذٰلِكَ ، مُؤَقَّتاً ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ فَكَأَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، مِنْ لَيَالِي الْغُرْبَةِ ، كَانَتْ سَوَادَ عَيْنِ حَيَاتِي ، ذٰلِكَ السَّوَادَ الْمُنِيرَ ؛ وَأَنَّ نَهَارَ «إِسْطَنْبُولَ» الْأَبْيَضَ الْمُشْرِقَ ، كَانَ بَيَاضَ عَيْنِ حَيَاتِي ، ذٰلِكَ الْبَيَاضَ الْمُظْلِمَ ؛ فَلَمْ يَرَ الْأَمَامَ ؛ فَنَامَتْ أَيْضاً ، إِلٰى أَنْ فَتَحَ «الْغَوْثُ الْجِيلَانِيُّ» (رضي الله عنه) ، عَيْنَيَّ ثَانِياً ، بِكِتَابِهِ «فُتُوحُ الْغَيْبِ» ، بَعْدَ سَنَتَيْنِ . .

فَيَا أَيُّهَا الشِّيبُ وَالشِّيبَاتُ ! . اعْلَمُوا أَنَّ الضَّعْفَ وَالْعَجْزَ فِي الشَّيْبِ ، وَسِيلَةٌ لِجَذْبِ رَحْمَةِ اللهِ وَعِنَايَتِهِ ؛ وَقَدْ شَاهَدْتُ ذٰلِكَ ، فِي نَفْسِي ، بِحَادِثَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَمَا أَنَّ جَلَوَاتِ الرَّحْمَةِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، تَدُلُّ عَلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، بِوَجْهٍ ظَاهِرٍ غَايَةَ الظُّهُورِ ؛ لِأَنَّ أَعْجَزَ الْحَيَوَانَاتِ وَأَضْعَفَهَا ، هِيَ الْأَطْفَالُ ؛ مَعَ أَنَّهَا ، هِيَ الْمَظْهَرُ لِأَحْلٰى جَلَوَاتِ الرَّحْمَةِ ، وَأَجْمَلِهَا ؛ وَإِنَّ جَلْوَةَ الرَّحْمَةِ ، تَسْتَخْدِمُ وَالِدَةَ فَرْخٍ فِي وَكْرٍ فَوْقَ رَأْسِ شَجَرٍ ، كَمُجَنَّدٍ مُطِيعٍ ؛ وَذٰلِكَ لِأَجْلِ عَجْزِهِ ؛ فَتَطُوفُ وَالِدَتُهُ ، فِي النَّوَاحِي ؛ وَتَأْتِي بِرِزْقِهِ ؛ فَمَتٰى نَسِيَ

ذٰلِكَ الْفَرْخُ ، عَجْزَهُ ، بِتَقَوِّي جَنَاحَيْهِ ؛ تَقُولُ لَهُ وَالِدَتُهُ : اذْهَبْ وَاطْلُبْ رِزْقَكَ ؛ فَلا تُبَالِي بِهِ بَعْدُ . فَكَمَا أَنَّ سِرَّ الرَّحْمَةِ هٰذَا يَجْرِي فِي حَقِّ الْأَطْفَالِ ؛ كَذٰلِكَ يَجْرِي فِي حَقِّ الشِّيبِ الَّذِينَ أَصْبَحُوا بِمَثَابَةِ الْأَطْفَالِ ، فِي جِهَةِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ؛ وَلِيَ تَجَارِبُ تُعْطِينِي الْقَنَاعَةَ التَّامَّةَ ، بِأَنَّهُ كَمَا تُرْسَلُ أَرْزَاقُ الْأَطْفَالِ ، مِنْ قَنَوَاتِ الثُّدِيِّ ، بِوَجْهٍ خَارِقٍ ، مِنْ جَانِبِ الرَّحْمَةِ ، بِنَاءً عَلٰى عَجْزِهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ أَرْزَاقَ الشِّيبِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْعِصْمَةَ ، تُرْسَلُ فِي صُورَةِ الْبَرَكَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ عَمُودَ بَرَكَةِ بَيْتٍ ، هُوَ مَنْ فِيهِ مِنَ الشِّيبِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ حُرَّاسَ بَيْتٍ عَنِ الْبَلَايَا ، هُمُ الشِّيبُ وَالشِّيبَاتُ الْمَعْصُومَةُ الْمُنْعَطِفَةُ الْأَظْهُرِ ، فِي ذٰلِكَ الْبَيْتِ ؛ وَيُثْبِتُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، جُزْءٌ(١) مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ؛ وَهُوَ : ﴿وَلَوْلَا الشُّيُوخُ الرُّكَّعُ ؛ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْبَلَاءُ صَبّاً﴾ ؛ يَعْنِي : لَوْلَا شُيُوخُكُمُ الْمُعْوَجَّةُ الْأَظْهُرِ ؛ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْبَلَاءُ ، كَالسَّيْلِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الضَّعْفُ وَالْعَجْزُ ، وَسِيلَةً لِجَذْبِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ؛ وَكَانَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، يَدْعُو الْأَوْلَادَ ، إِلَى الشَّفَقَةِ وَالِاحْتِرَامِ لِلْأَبَوَيْنِ الْهَرِمَيْنِ ، بِصُورَةٍ مُعْجِزَةٍ ، فِي خَمْسِ جِهَاتٍ ، بِآيَةِ ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَآ أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ۝﴾ ؛ وَكَانَ دِينُ الْإِسْلَامِ ، يَأْمُرُ بِالِاحْتِرَامِ وَالرَّحْمَةِ لِلشِّيبِ ؛ وَكَانَتْ فِطْرَةُ الْإِنْسَانِ ، تَقْتَضِي الِاحْتِرَامَ وَالرَّحْمَةَ عَلَى الشِّيبِ ؛ فَإِنَّنَا نَحْنُ الشِّيبَ ، نَتَلَقّٰى أَذْوَاقاً رُوحَانِيَّةً مُهِمَّةً ، مَعْنَوِيَّةً دَائِمَةً ، تَنْشَأُ عَنْ حُرْمَةٍ وَرَحْمَةٍ تَرِدَانِ عَنِ الرِّقَّةِ الْجِنْسِيَّةِ ، وَالْعِنَايَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بَدَلاً عَنْ ذَوْقٍ مَادِّيٍّ مُؤَقَّتٍ ، بِاشْتِهَاءِ الشَّبِيبَةِ ؛ فَحِينَئِذٍ عَلَيْنَا أَنْ لَا نُبَدِّلَ شَيْبَنَا هٰذَا ، بِمِئَةِ شَبِيبَةٍ . نَعَمْ : إِنِّي أُومِنُكُمْ أَنَّهُمْ إِنْ أَعْطَوْنِي عَشْرَ سِنِينَ ، مِنْ شَبَابِ «سَعِيدٍ الْقَدِيمِ» ؛ فَإِنِّي لَا أُعْطِي عَنْهَا الْآنَ ، سَنَةً وَاحِدَةً ، مِنْ شَيْبِ «سَعِيدٍ الْجَدِيدِ» ؛ وَإِنِّي رَاضٍ عَنْ شَيْبِي ؛ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَرْضَوْا عَنْ شَيْبِكُمْ أَيْضاً . .

---

(١) وَتَمَامُ الْحَدِيثِ : ﴿وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ الرُّتَّعُ ، وَالصِّبْيَانُ الرُّضَّعُ . .﴾ إِلَى آخِرِهِ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

اَلرَّجَاءُ الْعَاشِرُ :

إِنَّ الْغَفْلَةَ غَلَبَتْ عَلَيَّ أَيْضاً ، سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» ، بَعْدَ زَمَنٍ مِنَ الْمَجِيءِ عَنِ الْأَسْرِ ؛ وَقَدْ رَفَعَ الْجَوُّ السِّيَاسِيُّ ، نَظَرِي عَنْ نَفْسِي ؛ وَفَرَّقَهُ عَلَى الْآفَاقِ ؛ فَكُنْتُ جَالِساً يَوْماً مَّا ، عَلٰى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ يَنْظُرُ إِلَى الْوَادِي ، مِنْ مَقْبَرَةِ «السُّلْطَانِ أَيُّوب» فِي «إِسْطَنْبُولَ» ؛ فَنَظَرْتُ إِلٰى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْآفَاقِ ؛ فَإِذَا بِحَالَةٍ خَيَالِيَّةٍ تُخُيِّلَتْ لِي ؛ كَأَنِّي أَرٰى أَنَّ دُنْيَايَ الْخُصُوصِيَّةَ ، تَمُوتُ ؛ وَيُقْبَضُ رُوحُهَا مِنْ جِهَةٍ مَّا ؛ فَقُلْتُ : وَاعَجَباً ! أَكِتَابَاتُ هٰذِهِ الْمَقْبَرَةِ ، عَلٰى حِجَارَتِهَا ، تُخَيِّلُ لِي مِثْلَ هٰذَا الْخَيَالِ ؟ فَصَرَفْتُ عَنْهَا نَظَرِي ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ ، لَا إِلَى الْبَعِيدِ ؛ فَأُخْطِرَ لِقَلْبِي : أَنَّهُ تُوجَدُ فِي هٰذِهِ الْمَقْبَرَةِ ، مِئَةُ «إِسْطَنْبُولَ» ؛ لِأَنَّهُ فُرِغَتْ «إِسْطَنْبُولُ» ، إِلٰى هُنَا مِئَةَ مَرَّةٍ ؛ وَإِنَّكَ لَنْ تَنْجُوَ عَنْ حُكْمِ حَاكِمٍ قَدِيرٍ ، أَفْرَغَ جَمِيعَ أَهَالِي «إِسْطَنْبُولَ» ، إِلٰى هُنَا ؛ وَلَا تَبْقٰى مُسْتَثْنًى مِنْ حُكْمِهِ ؛ فَتَذْهَبُ أَنْتَ أَيْضاً ؛ فَخَرَجْتُ عَنِ الْمَقْبَرَةِ ؛ وَدَخَلْتُ بِهٰذَا الْخَيَالِ الْهَائِلِ ، فِي غُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ ، بِمَحْفَلِ جَامِعِ «السُّلْطَانِ أَيُّوب» ، هٰذِهِ الْمَرَّةَ ؛ كَمَا كُنْتُ أَدْخُلُهَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ وَفَكَّرْتُ أَنِّي مُسَافِرٌ بِثَلَاثِ جِهَاتٍ ؛ فَإِنِّي مُسَافِرٌ فِي هٰذَا الْمَنْزِلِ الصَّغِيرِ ؛ كَمَا أَنِّي مُسَافِرٌ فِي «إِسْطَنْبُولَ» ؛ وَمُسَافِرٌ فِي الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ فَعَلَى الْمُسَافِرِ ، أَنْ يُفَكِّرَ فِي طَرِيقِهِ ؛ فَإِنِّي كَمَا سَأَخْرُجُ عَنْ هٰذِهِ الْغُرْفَةِ ؛ كَذٰلِكَ سَأَخْرُجُ يَوْماً مَّا ، عَنْ «إِسْطَنْبُولَ» ؛ وَيَوْماً آخَرَ ، عَنِ الدُّنْيَا أَيْضاً ؛ فَوَقَعَ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ ، عَلٰى رَأْسِي وَقَلْبِي ، غَمٌّ أَلِيمٌ ، وَحُزْنٌ رَقِيقٌ ذُو فِرَاقٍ ؛ فَإِنِّي لَا أَفْقِدُ صَدِيقاً أَوْ صَدِيقَيْنِ فَقَطْ ؛ بَلْ أَفْتَرِقُ عَنْ آلَافِ أَحْبَابِي ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ ؛ كَمَا سَأَفْتَرِقُ عَنْ «إِسْطَنْبُولَ» أَيْضاً ، الَّتِي أُحِبُّهَا كَثِيراً ؛ وَأَفْتَرِقُ عَنْ مِئَاتِ آلَافِ أَحْبَابِي فِي الدُّنْيَا ؛ كَمَا سَأَفْتَرِقُ عَنْ تِلْكَ الدُّنْيَا أَيْضاً ، الَّتِي ابْتُلِيتُ بِهَا ؛ وَأُحِبُّهَا كَثِيراً ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ أَتَفَكَّرُ فِي ذٰلِكَ ، إِذْ ذَهَبْتُ إِلٰى ذٰلِكَ الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ ، مِنَ الْمَقْبَرَةِ ؛ وَقَدْ كُنْتُ أَذْهَبُ أَحْيَاناً ، إِلَى السِّينَمَا لِلْعِبْرَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ رَأَيْتُ فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ ، الَّذِينَ أَرَاهُمْ فِي «إِسْطَنْبُولَ» مِنَ النَّاسِ ؛

رَأَيْتُهُمْ حِينَئِذٍ ، فِي حَالَةِ جَنَائِزَ تَمْشِي عَلَى الْأَقْدَامِ ؛ كَمَا يَعْرِضُونَ الْأَمْوَاتَ ، فِي صُورَةِ الْمَاشِينَ عَلَى الْأَقْدَامِ بِعَيْنِهِمْ ؛ حَيْثُ يَأْتُونَ بِظِلَالِ الزَّمَانِ الْمَاضِي ، إِلَى الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ، فِي السِّينَمَا ؛ فَقَالَ خَيَالِي : إِذَا كَانَ بَعْضٌ مِمَّنْ فِي هٰذِهِ الْمَقْبَرَةِ ، يُرى فِي السِّينَمَا ؛ كَأَنَّهُ يَمْشِي ؛ فَأَبْصِرِ الَّذِينَ سَيَدْخُلُونَ هٰذِهِ الْمَقْبَرَةَ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ كَأَنَّهُمْ دَخَلُوهَا ؛ فَهُمْ جَنَائِزُ يَمْشُونَ ؛ فَإِذَا بِتِلْكَ الْحَالَةِ الْحَزِينَةِ ، انْقَلَبَتْ إِلٰى حَالَةٍ ذَاتِ نَشْوَةٍ وَسُرُورٍ ، بِنُورِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَبِإِرْشَادِ «حَضْرَةِ الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ» ؛ وَذٰلِكَ : أَنَّ النُّورَ الْوَارِدَ عَنِ الْقُرْآنِ ، إِزَاءَ ذٰلِكَ الْحَالِ الْحَزِينِ ، أَخْطَرَ لِي : أَنَّهُ كَانَ لَكَ ، فِي غُرْبَتِكَ فِي «قُوسْتُورْمَا» ، بِالشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ ، صَدِيقٌ أَوْ صَدِيقَانِ ، مِنَ الضُّبَّاطِ الْأَسْرٰى ؛ وَكُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَصْدِقَاءَكَ هٰؤُلَاءِ ، سَيُسَافِرُونَ إِلٰى «إِسْطَنْبُولَ» ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَإِذَا قَالَ لَكَ أَحَدٌ : أَتُسَافِرُ إِلٰى «إِسْطَنْبُولَ» ؛ أَمْ تَبْقَى هٰهُنَا ؛ فَإِنْ كَانَ لَكَ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَقْلِ ؛ تَقْبَلُ الْبَتَّةَ السَّفَرَ إِلٰى «إِسْطَنْبُولَ» ، بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ ؛ لِأَنَّ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، مِنْ أَحْبَابِكَ الْوَاحِدِ وَالْأَلْفِ ، هُمْ بِـ «إِسْطَنْبُولَ» ؛ وَبَقِيَ هٰهُنَا وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ مِنْهُمْ ؛ وَهُمْ أَيْضاً سَيُسَافِرُونَ إِلَيْهَا ؛ فَالسَّفَرُ إِلٰى «إِسْطَنْبُولَ» ، لَيْسَ لَكَ فِرَاقاً حَزِيناً ، وَلَا افْتِرَاقاً أَلِيماً ؛ وَقَدْ جِئْتَ إِلَيْهَا ؛ أَفَلَا سُرِرْتَ ؟ وَقَدْ نَجَوْتَ عَنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الطَّوِيلَةِ الْمُظْلِمَةِ جِدّاً ، فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ ، وَعَنْ شِتَائِهَا الْعَاصِفَةِ الْبَارِدَةِ جِدّاً ؛ وَأَتَيْتَ إِلٰى «إِسْطَنْبُولَ» هٰذِهِ الشَّبِيهَةِ بِجَنَّةِ الدُّنْيَا ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنْ أَحْبَابِكَ ، مِنْ صِبَاكَ ، إِلٰى سِنِّكَ هٰذَا ؛ ارْتَحَلُوا إِلَى الْمَقْبَرَةِ الَّتِي أَدْهَشَتْكَ ؛ وَبَقِيَ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، صَدِيقٌ أَوْ صَدِيقَانِ مِنْ أَصْدِقَائِكَ ؛ وَهُمَا سَيُسَافِرَانِ أَيْضاً إِلَيْهَا ؛ فَمَوْتُكَ فِي الدُّنْيَا ، لَيْسَ فِرَاقاً ؛ بَلْ هُوَ وِصَالٌ وَإِدْرَاكٌ إِلٰى أُولٰئِكَ الْأَحْبَابِ ؛ وَأُخْطِرَ لِي : أَنَّهُمْ ، أَيْ أُولٰئِكَ الْأَرْوَاحَ الْبَاقِيَةَ ، تَرَكُوا أَوْكَارَهُمُ الْعَتِيقَةَ ، تَحْتَ التُّرَابِ ؛ فَيَسِيرُ بَعْضٌ مِنْهُمْ ، فِي الْكَوَاكِبِ ؛ وَبَعْضٌ مِنْهُمْ ، فِي طَبَقَاتِ عَالَمِ الْبَرْزَخِ . نَعَمْ : إِنَّ الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ ، قَدْ أَثْبَتَا هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ بِحَيْثُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِدُونِ قَلْبٍ ، وَبِلَا رُوحٍ كُلِّيّاً ؛ أَوْ لَمْ يُغْرِقِ الضَّلَالُ قَلْبَهُ ؛ يَلْزَمُ أَنْ

يُؤْمِنَ بِهِ ، كَالْمُشَاهَدَةِ ؛ لِأَنَّ صَانِعاً كَرِيماً وَرَحِيماً زَيَّنَ هٰذِهِ الدُّنْيَا هٰكَذَا ، بِأَنْوَاعِ لُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَيُظْهِرُ رُبُوبِيَّتَهُ الْمُكْرِمَةَ الْمُشْفِقَةَ ؛ وَيُحَافِظُ عَلٰى أَدْنٰى مَا لَا قِيمَةَ لَهُ ، مِنْ أَشْيَاءٍ جُزْئِيَّةٍ كَالْبُذُورِ ؛ لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُعْدِمُ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ مَصْنُوعُهُ الْأَكْمَلُ وَالْأَجْمَعُ ، الْأَهَمُّ وَالْأَحَبُّ ، بَيْنَ مَصْنُوعَاتِهِ ؛ وَلَا يُهْلِكُهُ وَلَا يُضِيعُهُ هٰكَذَا ، بِغَيْرِ رَحْمَةٍ ، وَبِدُونِ عَاقِبَةٍ ، الْبَتَّةَ وَبِالْبَدَاهَةِ ؛ كَمَا يُرٰى ظَاهِراً ؛ بَلْ يَزْرَعُ(١) الْخَالِقُ الرَّحِيمُ ، مَصْنُوعَهُ الْمَحْبُوبَ ذَاكَ ، مُؤَقَّتاً ، تَحْتَ التُّرَابِ الَّذِي هُوَ بَابٌ لِلرَّحْمَةِ ؛ لِيَتَسَنْبَلَ فِي حَيَاةٍ أُخْرٰى ، كَالْبُذُورِ الَّتِي يَزْرَعُهَا مُزَارِعٌ ، فِي التُّرَابِ ؛ فَبَعْدَ أَنْ تَلَقَّيْتُ هٰذَا الْإِخْطَارَ الْقُرْآنِيَّ ، أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْمَقْبَرَةُ ، آنَسَ إِلَيَّ ، مِنْ «إِسْطَنْبُول» ؛ وَطَابَتْ لِيَ الْخَلْوَةُ وَالْعُزْلَةُ ، أَزْيَدَ مِنَ الصُّحْبَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ ؛ فَوَجَدْتُ لِي دَارَ خَلْوَةٍ ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُسَمّٰى بِـ (صَارِي يَرْ) : أَيِ الْأَرْضُ الصَّفْرَاءُ ، فِي جَانِبِ الْمَضِيقِ ؛ فَأَصْبَحَ «الْغَوْثُ الْأَعْظَمُ» (رضي الله عنه) ، أُسْتَاذاً وَطَبِيباً وَمُرْشِداً لِي ، بِكِتَابِهِ «فُتُوح الْغَيْبِ» ؛ كَمَا أَصْبَحَ «الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ» (رضي الله عنه) ، فِي حُكْمِ أَنِيسٍ وَمُشْفِقٍ وَمُعَلِّمٍ ، بِمَكْتُوبَاتِهِ ؛ فَسُرِرْتُ حِينَئِذٍ كَثِيراً ، عَنْ دُخُولِي فِي الشَّيْبِ ، وَمِنْ إِعْرَاضِي عَنِ الْأَذْوَاقِ الْمَدَنِيَّةِ ، وَمِنْ تَجَرُّدِي عَنِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ وَشَكَرْتُ اللهَ تَعَالٰى . .

هٰذَا ، فَيَا أَيُّهَا الطَّاعِنِينَ فِي الشَّيْبِ ، مِثْلِي ، وَالذَّاكِرِينَ الْمَوْتَ كَثِيراً ، بِإِخْطَارِ الشَّيْبِ ! . عَلَيْنَا أَنْ نَرٰى الشَّيْبَ وَالْمَوْتَ وَالْمَرَضَ ، طَيِّبَةً ؛ بَلْ نُسَرَّ مِنْهَا بِجِهَةٍ مَّا ، بِسَبَبِ نُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدَرِّسُهُ الْقُرْآنُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عِنْدَنَا ، نِعْمَةٌ قَيِّمَةٌ لَا حَدَّ لَهَا ، مِثْلُ الْإِيمَانِ ؛ فَالشَّيْبُ طَيِّبٌ ؛ وَالْمَرَضُ طَيِّبٌ ؛ وَالْمَوْتُ لَذِيذٌ ؛ وَإِنْ وُجِدَ شَيْءٌ غَيْرُ طَيِّبٍ ؛ فَهُوَ الذَّنْبُ وَالسَّفَاهَةُ ، وَالْبِدْعَةُ وَالضَّلَالَةُ . .

---

(١) وَقَدْ أُثْبِتَتْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةُ ، فِي سَائِرِ الرَّسَائِلِ ، لَاسِيَّمَا فِي الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ ، وَالتَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ، فِي دَرَجَةِ كَوْنِ الِاثْنَيْنِ فِي الِاثْنَيْنِ ، أَرْبَعَةً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

اَلرَّجَاءُ الْحَادِيَ عَشَرَ :

إِنِّي بَعْدَمَا جِئْتُ مِنَ الْأَسْرِ ، كُنْتُ أَنَا ، وَابْنُ أَخِيَ ، الْمَرْحُومُ «عَبْدُ الرَّحْمٰنِ» ؛ رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ؛ نُقِيمُ مَعاً ، فِي صَرْحٍ عَلٰى تَلِّ (چَامْلِيجَهْ) : أَيْ تَلِّ الصَّنَوْبَرَةِ ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» ؛ وَكَانَتْ حَيَاتِي هٰذِهِ ؛ تُعَدُّ أَسْعَدَ حَيَاةٍ لِأَمْثَالِنَا ، فِي جِهَةِ الدُّنْيَا ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنِّي كُنْتُ نَجَوْتُ عَنِ الْأَسْرِ ؛ وَكَانَ يَتَيَسَّرُ لِي نَشْرُ الْعِلْمِ ، بِأَعْلٰى وَجْهٍ مُنَاسِبٍ بِمَسْلَكِيَ الْعِلْمِيِّ ، فِي «دَارِ الْحِكْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» ؛ وَكَانَ الْعِزُّ وَالشَّرَفُ الْمُتَوَجِّهُ إِلَيَّ ، أَزْيَدَ مِنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ؛ وَكُنْتُ أُقِيمُ بِـ (چَامْلِيجَهْ) ؛ وَهِيَ أَجْمَلُ الْمَوَاقِعِ بِـ «إِسْطَنْبُولَ» ؛ وَكَانَتْ كُلُّ حَوَائِجِي ، مُكَمَّلَةً ؛ وَكَانَ مَعِي ، وَلَدٌ مَعْنَوِيٌّ ، وَكَاتِبٌ وَخَادِمٌ ، وَتِلْمِيذٌ فِدَائِيٌّ وَذَكِيٌّ لِلْغَايَةِ ، مِثْلُ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ابْنِ أَخِيَ الْمَرْحُومِ ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ أَعْلَمُنِي أَسْعَدَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، فِي الدُّنْيَا ؛ إِذْ نَظَرْتُ فِي الْمِرْآةِ ؛ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ بِيضاً ، فِي رَأْسِي وَلِحْيَتِي ؛ فَإِذَا بِالِانْتِبَاهِ الرُّوحِيِّ ، الَّذِي كَانَ فِي الْمَسْجِدِ ، بِقُوسْتُورْمَا ، فِي الْأَسْرِ ، بَدَأَ بِالتَّيَقُّظِ أَيْضاً ؛ فَشَرَعْتُ بِتَأْثِيرِ ذٰلِكَ الِانْتِبَاهِ ، فِي تَدْقِيقِ الْأَسْبَابِ وَالْحَالَاتِ الَّتِي ظَنَنْتُهَا مَدَاراً لِلسَّعَادَةِ الدُّنْيَا ؛ وَارْتَبَطْتُ بِهَا قَلْباً ؛ فَأَيُّهَا بَحَثْتُهُ ؛ وَجَدْتُهُ فَاسِداً ، لَا يَلِيقُ بِعَلَاقَةِ الْقَلْبِ ؛ وَيَخْدَعُ الْإِنْسَانَ ؛ وَرَأَيْتُ فِي تِلْكَ الْآوِنَةِ ، عَدَمَ وَفَاءٍ لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ، وَعَدَمَ صَدَاقَةٍ لَا يُؤْمَلُ ، فِي (صَاحِبٍ) ظَنَنْتُهُ أَصْدَقَ ؛ فَنَشَأَ عَنْ ذٰلِكَ ، تَوَحُّشٌ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ فَقُلْتُ لِقَلْبِي : يَا عَجَباً ! هَلِ انْخَدَعْتُ أَنَا كُلِّيّاً ، حَيْثُ كُنْتُ أَرَى الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ ، يَنْظُرُونَ بِالْغِبْطَةِ ، إِلٰى حَالِنَا الَّذِي يُتَوَجَّعُ لَهُ ، فِي نَظَرِ الْحَقِيقَةِ ؟ أَمْ أَصْبَحَ هٰؤُلَاءِ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، مَجَانِينَ ؟ أَوْ أَنَا أَصِيرُ مَجْنُوناً الْآنَ ؟ حَيْثُ أَرَى هٰؤُلَاءِ النَّاسَ الطَّالِبِينَ لِلدُّنْيَا ، مَجَانِينَ . .

فَمَهْمَا كَانَ ؛ فَقَدْ رَأَيْتُ أَوَّلاً ، فَنَاءَ الْأَشْيَاءِ الْفَانِيَةِ ، الَّتِي كُنْتُ مُتَعَلِّقاً بِهَا ؛ وَذٰلِكَ : بِجِهَةِ الِانْتِبَاهِ الشَّدِيدِ ، الَّذِي أَوْرَثَهُ الشَّيْبُ ؛ وَنَظَرْتُ إِلٰى نَفْسِي أَيْضاً ؛ فَرَأَيْتُهَا فِي نِهَايَةِ الْعَجْزِ ؛ فَحِينَئِذٍ قَالَ رُوحِي ، بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، الطَّالِبُ لِلْبَقَاءِ ، وَالْمَفْتُونُ بِالْفَانِيَاتِ ، بِتَوَهُّمِ

الْبَقَاءِ : إِنِّي إِذَا كُنْتُ فَانِياً جِسْمِيّاً ؛ فَأَيُّ خَيْرٍ يَأْتِي مِنْ هٰذِهِ الْفَانِيَاتِ ؛ وَإِذَا كُنْتُ عَاجِزاً ؛ فَمَاذَا أَتَوَقَّعُهُ عَنْ هٰؤُلاَءِ الْعَجَزَةِ ؛ فَلاَ بُدَّ مِنْ قَدِيرٍ أَزَلِيٍّ ، وَبَاقٍ سَرْمَدِيٍّ ، يَجِدُ الْوَسِيلَةَ لِعِلَّتِي ؛ هٰكَذَا شَرَعْتُ بِالتَّحَرِّي ؛ فَرَاجَعْتُ حِينَئِذٍ ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي حَصَّلْتُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَبَدَأْتُ بِتَحَرِّي رَجَاءٍ وَتَسَلٍّ مِنْهُ ؛ وَقَدْ كُنْتُ ظَنَنْتُ الْعُلُومَ الْفَلْسَفِيَّةَ ، مَدَارَ التَّنَوُّرِ ، وَمَعْدِنَ التَّكَمُّلِ ، خَطَأً جِدّاً ؛ فَمَلَأْتُ حَوْصَلَتِي ، بِتِلْكَ الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ ، مَعَ الْعُلُومِ الْإِسْلاَمِيَّةِ ، إِلٰى ذٰلِكَ الْحِينِ ، مَعَ الْأَسَفِ ؛ وَالْحَالُ أَنَّ تِلْكَ الْمَسَائِلَ الْفَلْسَفِيَّةَ ، قَدْ وَسَّخَتْ رُوحِي كَثِيراً ؛ وَأَصْبَحَتْ عَوَائِقَ فِي رُقِيِّي الْمَعْنَوِيِّ . فَإِذَا **بِالْحِكْمَةِ الْقُدْسِيَّةِ ، فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** ، أَمَدَّتْنِي بِرَحْمَةِ اللهِ وَكَرَمِهِ تَعَالٰى ؛ فَطَهَّرَتْ تِلْكَ **الْحِكْمَةُ الْقُدْسِيَّةُ** ، أَوْسَاخَ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْفَلْسَفِيَّةِ ؛ وَغَسَلَتْهَا ؛ كَمَا بَيَّنَّا فِي كَثِيرٍ مِنَ **الرَّسَائِلِ** . .

فَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ : أَنَّ **الظُّلُمَاتِ الرُّوحِيَّةَ** النَّاشِئَةَ عَنْ **عُلُومِ الْحِكْمَةِ** ، كَانَتْ تُغْرِقُ رُوحِي ، فِي الْكَائِنَاتِ ؛ فَإِلٰى أَيِّ جِهَةٍ نَظَرْتُ ؛ وَطَلَبْتُ مِنْهَا **النُّورَ** ، مَا وَجَدْتُ **النُّورَ** ، فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ ؛ وَمَا تَنَفَّسْتُ بِهَا ، إِلٰى أَنْ فَرَّقَ **التَّوْحِيدُ** الَّذِي يَرِدُ عَنِ **الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** ؛ وَيُدَرَّسُ بِجُمْلَةِ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ فَرَّقَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ كُلَّهَا ، **كَنُورٍ مُشْرِقٍ** ؛ فَتَنَفَّسْتُ بِالرَّاحَةِ ؛ وَلٰكِنَّ **النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ** ، اسْتَنَدَا إِلَى الدَّرْسِ الَّذِي تَلَقَّيَاهُ عَنْ **أَهْلِ الضَّلاَلَةِ وَالْفَلْسَفَةِ** ؛ فَهَجَمَا عَلَى **الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ** ؛ وَأَنْتَجَتِ **الْمُنَاظَرَاتُ النَّفْسِيَّةُ** ، فِي هٰذَا الْهُجُومِ ، بِظَفَرِ **الْقَلْبِ ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ** . وَكُتِبَ بَعْضُ تِلْكَ الْمُنَاظَرَاتِ ، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ؛ فَأَكْتَفِي بِهَا . .

وَأُبَيِّنُ هٰهُنَا بُرْهَاناً وَاحِداً ، مِنْ آلاَفِ الْبَرَاهِينِ ، لِإِظْهَارِ ظَفَرٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، مِنْ آلاَفِ ظَفَرِ **الْقَلْبِ** ؛ كَيْ يُؤَثِّرَ تَنْظِيفاً ، فِي أَرْوَاحِ بَعْضِ شِيبٍ ، أَلْهَوْا أَنْفُسَهُمْ ؛ وَأَمْرَضُوا قُلُوبَهُمْ ؛ وَأَوْسَخُوا أَرْوَاحَهُمْ ، فِي شَبَابِهِمْ ، بِمَسَائِلَ بَعْضُهَا ضَلاَلٌ ؛ وَبَعْضُهَا عَبَثٌ ، يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ **الْحِكْمَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ ، أَوِ الْعُلُومِ الْحَضَارِيَّةِ** ، لِيَنْجُوا عَنْ شَرِّ **النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ** ، فِي حَقِّ **التَّوْحِيدِ** . .

وَذٰلِكَ: أَنَّ نَفْسِي قَالَتْ بِاسْمِ وِكَالَةِ الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ: «إِنَّ مَا فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَهَا تَدَخُّلٌ بِطَبِيعَتِهَا، فِي هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ؛ وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ، يَنْظُرُ إِلٰى سَبَبٍ مَّا؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تُطْلَبَ الثَّمَرَةُ، عَنِ الشَّجَرَةِ؛ وَالْحُبُوبُ، عَنِ التُّرَابِ؛ فَمَا هُوَ مَعْنَى الطَّلَبِ مِنَ اللهِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، فِي أَصْغَرِ شَيْءٍ وَأَحْقَرِهِ»؛ فَانْكَشَفَ حِينَئِذٍ، بِنُورِ الْقُرْآنِ، سِرُّ التَّوْحِيدِ، بِهٰذَا الْوَجْهِ الْآتِي؛ فَقَالَ قَلْبِي، لِنَفْسِيَ الْمُتَفَلْسِفَةِ: «إِنَّ الشَّيْءَ الْأَصْغَرَ وَالْأَحْقَرَ، كَأَكْبَرِ الْأَشْيَاءِ وَأَعْظَمِهَا، يَرِدُ بِدُونِ تَوَسُّطٍ، عَنْ قُدْرَةِ خَالِقِ كُلِّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ؛ وَيَخْرُجُ عَنْ خَزِينَتِهِ؛ وَلَنْ يَكُونَ بِصُورَةٍ أُخْرىٰ؛ وَأَمَّا الْأَسْبَابُ، فَهِيَ حِجَابٌ؛ وَذٰلِكَ: لِأَنَّ مَا نَظُنُّهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، أَحْقَرَ وَأَصْغَرَ، قَدْ يَكُونُ أَحْيَاناً، أَعْظَمَ مِنْ أَكْبَرِهَا، فِي جِهَةِ الْخِلْقَةِ وَالصَّنْعَةِ؛ فَالذُّبَابُ إِنْ لَمْ يَسْبِقِ الدَّجَاجَ صَنْعَةً؛ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا. فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ؛ فَإِمَّا أَنْ يُقَسَّمَ جَمِيعُهَا، عَلَى الْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ؛ أَوْ يُسْنَدَ كُلُّهَا دَفْعَةً إِلٰى إِلٰهٍ وَاحِدٍ، بِدُونِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ؛ فَهٰذَا الشِّقُّ وَاجِبٌ وَضَرُورِيٌّ؛ كَمَا أَنَّ الشِّقَّ الْأَوَّلَ مُحَالٌ؛ وَذٰلِكَ: لِأَنَّهَا إِذَا أُسْنِدَتْ إِلٰى إِلٰهٍ وَاحِدٍ، أَيْ إِلٰى قَدِيرٍ أَزَلِيٍّ؛ وَكَانَ عِلْمُهُ الْمُتَحَقِّقُ وُجُودُهُ قَطْعاً، بِانْتِظَامَاتِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَحِكَمِهَا؛ يُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ وَكَانَ مِقْدَارُ كُلِّ شَيْءٍ، يَتَعَيَّنُ فِي عِلْمِهِ؛ وَكَانَتِ الْمَصْنُوعَاتُ الْمُصَنَّعَةُ بِلَا نِهَايَةٍ، تَأْتِي بِالْمُشَاهَدَةِ، مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، كُلَّ وَقْتٍ، بِسُهُولَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا؛ وَكَانَ لِذٰلِكَ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ، قُدْرَةٌ لَا حَدَّ لَهَا؛ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ؛ وَأَثْبَتْنَاهُ بِدَلَائِلَ قَوِيَّةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ، لَاسِيَّمَا فِي الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ وَفِي آخِرِ اللَّمْعَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ: أَنَّهُ يَخْلُقُ بِأَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، كَإِيقَادِ ثِقَابٍ، كَائِناً مَّا كَانَ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ السُّهُولَةَ وَالْيُسْرَ الْخَارِقَ لِلْعَادَةِ، يَنْشَأُ عَنْ تِلْكَ الْإِحَاطَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَعَنْ عَظَمَةِ الْقُدْرَةِ؛ فَمَثَلاً: كَمَا أَنَّ كِتَاباً مَكْتُوباً بِمِدَادٍ لَا يُرىٰ بِالْبَصَرِ؛ إِذَا طُلِيَ بِمَادَّةٍ مَخْصُوصَةٍ بِإِظْهَارِ ذٰلِكَ الْخَطِّ؛ يُظْهِرُ ذٰلِكَ الْكِتَابُ الْكَبِيرُ، وُجُودَهُ دَفْعَةً؛ وَيُقْرِئُ نَفْسَهُ، لِكُلِّ عَيْنٍ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ الصُّورَةَ الْمَخْصُوصَةَ بِكُلِّ شَيْءٍ، تَتَعَيَّنُ بِمِقْدَارٍ مُعَيَّنٍ، فِي **الْعِلْمِ الْمُحِيطِ**، لِذٰلِكَ

الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَيُطْلِي ذٰلِكَ الْقَدِيرُ الْمُطْلَقُ ، تِلْكَ الْمَاهِيَّةَ الْعِلْمِيَّةَ ، بِقُوَّتِهِ الَّتِي هِيَ جَلْوَةٌ مِنَ الْقُدْرَةِ ، بِغَايَةِ السُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ ، كَالْمَادَّةِ الَّتِي يُطْلٰى بِهَا الْخَطُّ ؛ وَيُعْطِي ذٰلِكَ الشَّيْءَ ، وُجُوداً خَارِجِيّاً ؛ وَيُظْهِرُهُ لِلْبَصَرِ ؛ وَيُقْرِئُ نُقُوشَ حِكْمَتِهِ ، بِأَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، وَبِإِرَادَتِهِ النَّافِذَةِ . وَإِذَا لَمْ تُسْنَدْ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ دَفْعَةً ، إِلٰى ذٰلِكَ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ، وَالْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، أَنْ يُجْمَعَ بَدَنُ شَيْءٍ أَصْغَرَ ، كَالذُّبَابِ ، مِنْ أَكْثَرِ أَنْوَاعِ الْعَالَمِ ، بِمِيزَانٍ مَخْصُوصٍ ؛ مَعَ أَنَّ ذٰلِكَ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ بِأَنْ تَعْلَمَ الذَّرَّاتُ الَّتِي تَعْمَلُ فِي بَدَنِ ذٰلِكَ الذُّبَابِ الصَّغِيرِ ، سِرَّ خِلْقَةِ ذٰلِكَ الذُّبَابِ ، وَكَمَالَ صَنْعَتِهِ ، بِجَمِيعِ دَقَائِقِهَا ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الْمَادِّيَّةَ وَالطَّبِيعِيَّةَ ، لَا تَخْلُقُ مِنَ الْعَدَمِ ، بِالْبَدَاهَةِ وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ أَهْلِ الْعَقْلِ ؛ فَإِذاً إِنَّهَا إِنْ أَوْجَدَتْ ؛ فَإِنَّمَا تَجْمَعُ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ وَإِذَا كَانَتْ تَجْمَعُ ؛ وَكَانَ فِي ذِي الْحَيَاةِ ، أَيّاً كَانَ ، أَمْثِلَةٌ مِنْ أَكْثَرِ الْعَنَاصِرِ وَالْأَنْوَاعِ ؛ كَأَنَّهُ بِمَثَابَةِ خُلَاصَةٍ وَنَوَاةٍ لِلْكَائِنَاتِ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ ، أَنْ تَنْخُلَ الْأَسْبَابُ ، نَوَاةً ، مِنْ كُلِّ شَجَرَةٍ ، وَذَا حَيَاةٍ ، مِنْ كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ ، بِمُنْخُلٍ دَقِيقٍ ؛ وَأَنْ تَقِيسَهَا بِمِقْيَاسٍ حَسَّاسٍ ؛ فَتَجْمَعَهَا مِنْهَا ؛ وَإِذَا كَانَتِ الْأَسْبَابُ الطَّبِيعِيَّةُ ، جَاهِلَةً وَجَامِدَةً ، لَيْسَ لَهَا عِلْمٌ ؛ كَيْ تُقَدِّرَ خِطَّةً وَفِهْرِساً ، وَمِقْيَاساً وَمِنْهَاجاً ؛ فَتُذِيبَ بِحَسَبِهَا ، مَا تَأْتِي مِنَ الذَّرَّاتِ ، فِي الْقَالَبِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَتَصُبَّهَا فِيهِ ؛ كَيْلَا تَفْتَرِقَ الذَّرَّاتُ ؛ وَلَا تُفْسِدَ نِظَامَهَا ؛ مَعَ أَنَّهُ يُرٰى بَعِيداً عَنِ الْعَقْلِ وَالِاحْتِمَالِ وَالْإِمْكَانِ ، أَنْ يُعْطٰى ذُو حَيَاةٍ ، بَدَناً مُنْتَظِماً ؛ وَتُوَقَّفَ ذَرَّاتُ الْعَنَاصِرِ الْجَارِيَةِ كَالسَّيْلِ ، فِي حَالَةِ الْكُتْلَةِ ؛ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، مُنْتَظِمَةً بِلَا قَالَبٍ وَلَا مِقْدَارٍ ، بِدُونِ تَفَرُّقٍ ؛ وَأَنْ تُوَقَّفَ تِلْكَ الذَّرَّاتُ ، فِي مِقْدَارٍ وَشَكْلٍ مُعَيَّنٍ ، بَيْنَ مَا لَا حَدَّ لَهَا ، مِنْ مَقَادِيرَ وَأَشْكَالٍ ، لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى ؛ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَكْلُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهَيْئَتُهُ ، عَلٰى وُجُوهٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ عَمًى ؛ يَرٰى ذٰلِكَ الْبَتَّةَ . .

نَعَمْ : لَوِ اجْتَمَعَتِ الْأَسْبَابُ الْمَادِّيَّةُ كُلُّهَا ؛ وَكَانَ لَهَا اخْتِيَارٌ ؛ لَمَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَجْمَعَ بَدَنَ ذُبَابٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، وَجِهَازَاتِ ذٰلِكَ الْبَدَنِ ، بِمِيزَانٍ مَخْصُوصٍ ، بِنَاءً عَلٰى هٰذِهِ

الْحَقِيقَةِ ، وَبِسِرِّ هٰذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَهِيَ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ؛ وَلَوْ جَمَعَتْهُ ؛ لَمَا وَفَّقَتْهُ فِي مِقْدَارِهِ الْمُعَيَّنِ ؛ وَلَوْ وَفَّقَتْهُ فِيهِ ؛ لَمَا اسْتَخْدَمَتْ مُنْتَظِماً ، ذَرَّاتٍ مُتَجَدِّدَةً دَائِماً ، تَجِيءُ إِلَى ذٰلِكَ الْبَدَنِ ؛ وَتَعْمَلُ فِيهِ . فَإِذاً إِنَّ الْأَسْبَابَ ، لَا تَمْلِكُ هٰذِهِ الْأَشْيَاءَ ، بِالْبَدَاهَةِ ؛ فَمَالِكُهَا الْحَقِيقِيُّ ، غَيْرُ هٰذِهِ الْأَسْبَابِ . نَعَمْ : إِنَّ لَهَا ، مَالِكاً حَقِيقِيّاً ، يَخْلُقُ جَمِيعَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، هَيِّناً بِقَدَرِ إِحْيَاءِ ذُبَابٍ وَاحِدٍ ؛ وَيُنْشِئُ رَبِيعاً ، فِي سُهُولَةِ زَهْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِسِرِّ آيَةِ ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْجَمْعِ ؛ فَإِنَّهُ مَالِكٌ لِأَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ؛ وَأَنَّهُ يَخْلُقُ مِنَ الْعَدَمِ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، مَا لَا يُحَدُّ مِنْ صِفَاتِ الْمَوْجُودَاتِ الرَّبِيعِيَّةِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، وَمِنْ أَحْوَالِهَا وَأَشْكَالِهَا ، سِوٰى مَادَّتِهَا الْعُنْصُرِيَّةِ ؛ وَأَنَّهُ تَعَيَّنَ فِي عِلْمِهِ ، خِطَّةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِقْيَاسُهُ وَفِهْرِسُهُ وَمَنْهَجُهُ ؛ وَلِأَنَّ جَمِيعَ الذَّرَّاتِ ، تَتَحَرَّكُ فِي دَائِرَةِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ؛ فَيَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ ، بِنِهَايَةِ السُّهُولَةِ ، كَإِيقَادِ الثِّقَابِ ؛ وَلَا يُشَوِّشُ شَيْءٌ مَّا ، حَرَكَتَهُ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ ؛ فَكَمَا أَنَّ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَاتِ ، جَيْشٌ مُطِيعٌ لَهُ ؛ فَإِنَّ الذَّرَّاتِ ، هِيَ فِي حُكْمِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ، مِنْ جُيُوشِهِ . فَإِذَا كَانَتِ الْمَوْجُودَاتُ ، تَتَحَرَّكُ بِالِاسْتِنَادِ إِلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ وَتَعْمَلُ بِدَسَاتِيرِ ذٰلِكَ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْآثَارَ ، تَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ ، حَسَبَ تِلْكَ الْقُدْرَةِ . وَإِلَّا فَلَا تَتَصَاغَرُ تِلْكَ الْآثَارُ ، بِالنَّظَرِ إِلَى ذَوَاتِهَا الصَّغِيرَةِ ، الَّتِي لَا قِيمَةَ لَهَا ؛ فَإِنَّ ذُبَاباً ، يَقْتُلُ نُمْرُوذاً ؛ وَالنَّمْلَ يُدَمِّرُ قَصْرَ فِرْعَوْنَ ؛ وَبَذْرَ الصَّنَوْبَرِ كَالذَّرَّةِ ، يَحْمِلُ عَلٰى عَاتِقِهِ ، حِمْلَ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ جَسِيمَةٍ كَالْجَبَلِ ، بِالِانْتِسَابِ إِلٰى قُوَّةِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ ؛ كَمَا أَثْبَتْنَا هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الرَّسَائِلِ ؛ بِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ مُجَنَّداً ، يَصِيرُ مَظْهَراً لِآثَارٍ أَزْيَدَ مِنْ قُوَّتِهِ ، مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ، كَأَسْرِهِ مَلِكاً ؛ وَذٰلِكَ فِي جِهَةِ الِانْتِسَابِ إِلَى السُّلْطَانِ ، بِوَثِيقَةِ التَّجَنُّدِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يُصْبِحُ مَظْهَراً لِمُعْجِزَاتِ الصَّنْعَةِ ، فَوْقَ الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ ، مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ، بِانْتِسَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ ، بِصَنْعَةٍ وَسُهُولَةٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَاتِ ، يَدُلُّ عَلٰى

أَنَّهُ أَثَرُ قَدِيرٍ أَزَلِيٍّ ، ذِي عِلْمٍ مُحِيطٍ . وَإِلّا فَلا يَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ ، بَيْنَ مِئَةِ أَلْفِ مُحَالٍ ؛ بَلْ يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ ؛ وَيَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ الامْتِنَاعِ ؛ وَيَخْرُجُ عَنْ صُورَةِ الْمُمْكِنِ ؛ وَيَدْخُلُ فِي مَاهِيَّةِ الْمُمْتَنِعِ ؛ وَلَنْ يَأْتِي شَيْءٌ أَصْلاً ، إِلَى الْوُجُودِ ؛ بَلْ يَكُونُ إِتْيَانُهُ إِلَى الْوُجُودِ ، مُحَالاً . فَبِهٰذَا الْبُرْهَانِ الظَّاهِرِ غَايَةَ الظُّهُورِ ، وَالْعَمِيقِ غَايَةَ الْعُمْقِ ، وَالْقَوِيِّ الدَّقِيقِ لِلْغَايَةِ ، سَكَتَتْ نَفْسِيَ الَّتِي هِيَ وَكِيلَةُ أَهْلِ الضَّلالَةِ ، وَأَصْحَابِ الْفَلْسَفَةِ ، وَتِلْمِيذَةٌ مُؤَقَّتَةٌ لِلشَّيْطَانِ ؛ فَآمَنَتْ إِيمَاناً تَامّاً ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ وَقَالَتْ : نَعَمْ : لا بُدَّ لِي ، مِنْ رَبٍّ وَخَالِقٍ ، يَعْلَمُ أَصْغَرَ خَوَاطِرِ قَلْبِي ، وَأَخْفَى تَضَرُّعِي ؛ كَمَا يُوفِي بِأَخْفَى احْتِيَاجِ رُوحِي ؛ وَيُبَدِّلُ الدُّنْيَا الْجَسِيمَةَ ، بِالْآخِرَةِ ؛ وَيَقْلَعُ هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ وَيُؤَسِّسُ الْآخِرَةَ ، فِي مَكَانِهَا ؛ لِيُعْطِيَنِي السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ؛ وَيَكُونُ مَالِكاً لِقُدْرَةٍ تَخْلُقُ الذُّبَابَ ؛ كَمَا تُوجِدُ السَّمَاوَاتِ ؛ وَتُسَمِّرُ الشَّمْسَ ، عَلَى وَجْهِ السَّمَاءِ ، كَعَيْنٍ لَهَا ؛ كَمَا تُمَكِّنُ ذَرَّةً ، فِي حَدَقَةِ عَيْنِي ؛ وَإِلّا فَمَنْ لَمْ يَخْلُقِ الذُّبَابَ ، لا يَتَدَخَّلُ فِي خَاطِرَاتِ قَلْبِي ؛ وَلا يَسْمَعُ تَضَرُّعَ رُوحِي ؛ وَمَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ ، لا يُعْطِينِي السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ . فَإِذاً إِنَّ رَبِّي ، هُوَ الَّذِي يُصْلِحُ خَاطِرَاتِ قَلْبِي ؛ وَيُبَدِّلُ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ؛ كَمَا يَمْلَأُ الْجَوَّ ، بِالسَّحَابِ ؛ وَيُفْرِغُهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَيَصْنَعُ الْجَنَّةَ ؛ وَيَفْتَحُ لِي بَابَهَا ؛ وَيَقُولُ لِيَ : ادْخُلْهَا . .

فَيَا إِخْوَانِيَ الشِّيبَ ، الَّذِينَ صَرَفُوا بَعْضَ أَعْمَارِهِمْ ، مِثْلَ نَفْسِي ، فِي الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ الْأَجْنَبِيَّةِ ، الَّتِي لا نُورَ فِيهَا ؛ وَذٰلِكَ فِي نَتِيجَةِ الشَّقَاءِ ! . افْهَمُوا مِنْ ﴿لَآ إِلٰهَ إِلّا هُوَ﴾ ، ذٰلِكَ الْمَنْشُورِ الْمُقَدَّسِ الْجَارِي عَلَى لِسَانِ الْقُرْآنِ دَائِماً ، أَنَّهُ أَيُّ رُكْنٍ إِيمَانِيٍّ قُدُسِيٍّ ، قَوِيٍّ وَحَقِيقِيٍّ ، لا يَتَغَيَّرُ وَلا يَتَشَقَّقُ وَلا يَتَزَلْزَلُ بِأَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً ؛ وَأَنَّهُ كَيْفَ يُفَرِّقُ جَمِيعَ الظُّلُمَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَيُدَاوِي كُلَّ الْجِرَاحَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ . . وَلَمْ يَكُنْ دَرْجُ هٰذِهِ الْحَادِثَةِ الطَّوِيلَةِ ، بَيْنَ أَبْوَابِ رَجَاءِ شَيْبِي ، بِاخْتِيَارِي ؛ وَلَمْ أَكُنْ أَطْلُبُ ذٰلِكَ ؛ بَلْ كُنْتُ أَحْتَرِزُ عَنْهُ ؛ فَأَقُولُ : إِنَّهَا تُمِلُّ ؛ وَلٰكِنْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ : إِنَّهَا اسْتُنْسِخَتْ بِي ، بِدُونِ اخْتِيَارِي . .

وَمَهْمَا كَانَ ؛ فَأَرْجِعُ إِلَى الصَّدَدِ ؛ وَهُوَ أَنَّهُ طَرَأَتْ عَلَيَّ ، كَرَاهَةٌ عَنْ أَذْوَاقِ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» ، تِلْكَ الْحَيَاةِ الْمُتَلَأْلِئَةِ الْمُتَزَيِّنَةِ الطَّيِّبَةِ ظَاهِراً ؛ وَذٰلِكَ فِي نَتِيجَةِ تِلْكَ الشَّعَرَاتِ الْبِيضِ ، فِي رَأْسِي وَلِحْيَتِي ، وَعَلٰى أَثَرِ تَرْكِ وَفِيٍّ صَدَاقَتَهُ ؛ فَطَلَبَتِ النَّفْسُ ، أَذْوَاقاً مَعْنَوِيَّةً ، عِوَضاً عَنْ تِلْكَ الْأَذْوَاقِ الَّتِي تُفْتَنُ بِهَا ؛ وَطَلَبَتْ نُوراً وَتَسَلِّياً ، فِي هٰذَا الشَّيْبِ الَّذِي يُرٰى فِي نَظَرِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، بَارِداً وَثَقِيلاً ، وَغَيْرَ طَيِّبٍ ؛ فَوَجَدْتُ فِي نُورِ التَّوْحِيدِ ، وَفِي ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، أَذْوَاقاً إِيمَانِيَّةً طَيِّبَةً ، دَائِمَةً حَقِيقِيَّةً ، عِوَضاً عَنْ تِلْكَ الْأَذْوَاقِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي لَا حَقِيقَةَ وَلَا عَاقِبَةَ لَهَا ، وَلَا ذَوْقَ فِيهَا ؛ **فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ؛ وَلَهُ مِئَاتُ آلَافِ شُكْرٍ** ؛ كَمَا رَأَيْتُ الشَّيْبَ الَّذِي يُرٰى فِي نَظَرِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ ، بَارِداً وَثَقِيلاً ؛ رَأَيْتُهُ مُنَوَّراً وَحَارّاً ، وَخَفِيفاً جِدّاً ، بِنُورِ التَّوْحِيدِ . .

فَيَا أَيُّهَا الشِّيبُ وَالشِّيبَاتُ ! . إِنَّهُ إِذَا كَانَ عِنْدَكُمُ الْإِيمَانُ ؛ وَكَانَ فِيكُمُ الصَّلَاةُ وَالتَّضَرُّعُ اللَّذَانِ يَبْسُطَانِ الْإِيمَانَ ؛ وَيُنَوِّرَانِهِ ؛ فَلَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلٰى شَيْبِكُمْ ، بِنَظَرِ شَبَابٍ أَبَدِيٍّ ؛ لِأَنَّكُمْ تَكْتَسِبُونَ بِهِ شَبَاباً أَبَدِيّاً . وَأَمَّا الشَّيْبُ الْأَلِيمُ الْمُظْلِمُ ، الْخَبِيثُ الثَّقِيلُ الْبَارِدُ حَقِيقَةً ؛ فَهُوَ شَيْبُ أَهْلِ الضَّلَالِ ، بَلْ وَشَبَابُهُمْ ؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْكُوا وَيَقُولُوا : وَا أَسَفَا ! وَاحَسْرَتَاهْ ! وَإِمَّا إِنَّكُمْ **أَيُّهَا الشِّيبُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ** ! فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَشْكُرُوا قَائِلِينَ : **الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ** . .

اَلرَّجَاءُ الثَّانِيَ عَشَرَ :

إِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ فِي زَمَنٍ مَّا ، مَمْنُوعاً عَنِ الِاخْتِلَاطِ وَالْمُرَاسَلَةِ ، غَرِيباً وَحِيداً فِي قَرْيَةٍ ، بِسَبَبِ أَسْرٍ شَاقٍّ ، أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ النَّفْيِ ، فِي نَاحِيَةِ **«بَارْلَا»** مِنْ وِلَايَةِ **«إِسْپَارْطَةَ»** ؛ وَكُنْتُ فِي حَالٍ مُخْتَلٍّ لِلْغَايَةِ ، بَيْنَ الْغُرْبَةِ وَالشَّيْبِ وَالْمَرَضِ ؛ إِذْ أَحْسَنَ اللّٰهُ تَعَالٰى إِلَيَّ ، مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ ، **نُوراً** عَائِداً إِلٰى أَسْرَارِ **الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** وَنِكَاتِهِ ؛ يَكُونُ لِي وَسِيلَةً لِلتَّسَلِّي ؛ فَكُنْتُ أَجْتَهِدُ بِهِ ، لِنِسْيَانِ ذٰلِكَ الْحَالِ الْأَلِيمِ الْحَزِينِ ؛ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْسٰى وَطَنِي وَأَحْبَابِي وَأَقَارِبِي ، بِذٰلِكَ **النُّورِ** ؛ وَلٰكِنْ وَاحَسْرَتَاهْ ! كُنْتُ لَا أَنْسٰى وَاحِداً ؛ وَهُوَ الْمَرْحُومُ **«عَبْدُ**

الرَّحْمٰنِ» ابْنُ أَخِي ، وَوَلَدِيَ الْمَعْنَوِيُّ ؛ وَكَانَ أَفْدٰى تَلامِيذِي ، وَأَشْجَعَ أَصْحَابِي ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فَارَقَنِي مُنْذُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سَنَوَاتٍ ؛ فَكَانَ لا يَعْلَمُ مَكَانِي ؛ كَيْ يَسْبِقَ إِلَى عَوْنِي ؛ وَيُسَلِّيَنِي ؛ وَلا كُنْتُ أَعْرِفُ حَالَهُ ؛ فَأُرَاسِلَهُ وَأَذْكُرَ لَهُ عِلَلِي ؛ وَكَانَ وَاحِدٌ صَادِقٌ وَفِدَائِيٌّ كَذٰلِكَ ، لازِماً لِي ، فِي زَمَانِي فِي حَالِ الشَّيْبِ هٰذَا ؛ ثُمَّ أَعْطَانِي أَحَدٌ فَجْأَةً رِسَالَةً ؛ فَفَتَحْتُ الرِّسَالَةَ ؛ فَرَأَيْتُهَا رِسَالَةً تَدُلُّ عَلٰى مَاهِيَّةِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» بِتَمَامِهَا ؛ وَقَدْ أُدْرِجَ بَعْضُ تِلْكَ الرِّسَالَةِ ، بَيْنَ فِقْرَاتِ «الْمَكْتُوبِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» ، بِوَجْهٍ يُظْهِرُ ثَلاثَ كَرَامَاتٍ ظَاهِرَةٍ ؛ وَلَقَدْ أَبْكَتْنِي تِلْكَ الرِّسَالَةُ كَثِيراً ؛ وَتُبْكِينِي إِلَى الْآنِ ؛ وَكَانَ الْمَرْحُومُ «عَبْدُ الرَّحْمٰنِ» ، يَقُولُ فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ ، بِوَجْهٍ جَادٍّ وَصَمِيمٍ : إِنَّهُ اسْتَكْرَهَ عَنْ أَذْوَاقِ الدُّنْيَا ؛ وَإِنَّ مَطْلَبَهُ الْأَعْظَمَ ، أَنْ يَصِلَ إِلَيَّ ؛ وَيَخْدُمَنِي فِي شَيْبِي ؛ كَمَا رَبَّيْتُهُ فِي صِبَاهُ ؛ وَأَنْ يُعِينَنِي بِقَلَمِهِ الْمَتِينِ ، فِي نَشْرِ الْأَسْرَارِ الْقُرْآنِيَّةِ ، الَّذِي هُوَ وَظِيفَتِيَ الْحَقِيقِيَّةُ فِي الدُّنْيَا ؛ حَتّٰى إِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ فِي رِسَالَتِهِ ؛ وَيَقُولُ : أَرْسِلْ إِلَيَّ عِشْرِينَ أَوْ ثَلاثِينَ رِسَالَةً ؛ فَأَكْتُبَ وَأُكْتِبَ مِنْهَا ، عِشْرِينَ أَوْ ثَلاثِينَ نُسْخَةً ؛ فَأَعْطَتْنِي تِلْكَ الرِّسَالَةُ ، أَمَلاً قَوِيّاً إِزَاءَ الدُّنْيَا ؛ فَنَسِيتُ ذٰلِكَ الْأَسْرَ الشَّاقَّ ، وَتِلْكَ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ وَالشَّيْبَ ، قَائِلاً : إِنِّي وَجَدْتُ تِلْمِيذاً جَسُوراً مِثْلَهُ ، مَالِكاً لِذَكَاءٍ فِي دَرَجَةِ الدَّهَاءِ ؛ سَيَخْدُمُنِي بِعَلاقَةٍ وَصَدَاقَةٍ ، فَوْقَ الْوَلَدِ الْحَقِيقِيِّ بِكَثِيرٍ ؛ وَقَدْ وَقَعَتْ بِيَدِهِ ، قَبْلَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ ، نُسْخَةٌ مِنَ «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» الْبَاحِثَةِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ ، الَّتِي طَبَعْتُهَا ؛ فَكَانَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ ، أَصْبَحَتْ تِرْيَاقاً لَهُ ؛ فَدَاوَتْ جَمِيعَ جِرَاحَاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي اجْتَرَحَهَا ، خِلالَ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سَنَوَاتٍ ؛ وَإِنَّهُ كَتَبَ تِلْكَ الرِّسَالَةَ ؛ كَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ أَجَلَهُ ، بِإِيمَانٍ مُشْرِقٍ وَقَوِيٍّ لِلْغَايَةِ ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي تَصَوُّرِ إِمْرَارِ حَيَاةٍ دُنْيَوِيَّةٍ سَعِيدَةٍ ، بِسَبَبِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» أَيْضاً ، بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ ؛ إِذْ تَلَقَّيْتُ خَبَرَ وَفَاتِهِ ؛ وَاحَسْرَتَاهْ ! وَقَدْ هَزَّنِي هٰذَا الْخَبَرُ ، بِحَيْثُ صَارَ خَمْسَ سِنِينَ ؛ وَأَنَا تَحْتَ ذٰلِكَ التَّأْثِيرِ ، إِلَى الْآنِ ؛ وَقَدْ أَوْرَثَنِي حُزْناً وَرِقَّةً وَفِرَاقاً ، فَوْقَ مَا كُنْتُ فِيهِ حِينَئِذٍ ، مِنْ ذٰلِكَ الْأَسْرِ الشَّاقِّ ، وَالْوَحْدَةِ وَالْغُرْبَةِ ، وَالشَّيْبِ وَالْمَرَضِ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ وَكُنْتُ أَقُولُ : إِنَّ دُنْيَايَ الْخَاصَّةَ ، قَدْ تُوُفِّيَ نِصْفُهَا ، بِوَفَاةِ وَالِدَتِيَ الْمَرْحُومَةِ ؛

وَرَأَيْتُ نِصْفَهَا الْآخَرَ الْبَاقِيَ ، تُوُفِّيَ بِوَفَاةِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ؛ فَانْقَطَعَتْ عَلاقَتِي كُلِّيّاً ، عَنِ الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا ؛ لَكَانَ وَسِيلَةً قَوِيَّةً ، لِوَظِيفَتِيَ الْأُخْرَوِيَّةِ فِي الدُّنْيَا ؛ وَلَأَصْبَحَ خَيْرَ خَلَفٍ ، يَقُومُ مَقَامِي تَمَاماً بَعْدِي ؛ وَصَارَ أَفْدٰى صَاحِبٍ ، وَمَدَارَ تَسَلٍّ لِي ، فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ وَقَدْ كَانَ مَالِكاً وَحَافِظاً أَمِيناً لِأَجْزَاءِ رِسَالَةِ النُّورِ ، وَأَذْكٰى تِلْمِيذٍ وَمُخَاطَبٍ لِي .

نَعَمْ : إِنَّ مِثْلَ هٰذَا الضَّيَاعِ ، مُحْرِقٌ كَثِيراً لِأَمْثَالِي مِنَ النَّاسِ ؛ وَإِنَّهُ يُحْرِقُ بِاعْتِبَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَجْتَهِدُ لِلصَّبْرِ ظَاهِراً ؛ وَلٰكِنْ كَانَ فِي رُوحِي ، عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ ؛ فَلَوْ لَمْ يُسَكِّنِّيَ التَّسَلِّي الْوَارِدُ عَنْ نُورِ الْقُرْآنِ أَحْيَاناً ؛ لَمْ يُمْكِنِ الصَّبْرُ ؛ فَكُنْتُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، أَمْشِي وَأَسِيرُ وَحْدِي ، فِي أَوْدِيَةِ نَاحِيَةِ «بَارْلَا» وَجِبَالِهَا ؛ فَأَقْعُدُ فِي أَمَاكِنَ خَالِيَةٍ ؛ فَكُلَّمَا مَضَتْ عَلٰى خَيَالِي ، أَلْوَاحُ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ ، الَّتِي قَضَيْتُهَا مَعَ طَلَبَتِيَ الصَّادِقِينَ ، مِثْلِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ، فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، كَالسِّينَمَا ، بَيْنَ تِلْكَ التَّأَثُّرَاتِ الْحَزِينَةِ ؛ كَانَ سُرْعَةُ التَّأَثُّرِ الَّذِي يُورِثُهُ الْغُرْبَةُ وَالشَّيْبُ ، يَكْسِرُ مُقَاوَمَتِي ؛ فَانْكَشَفَ فَجْأَةً ، سِرُّ هٰذِهِ الْآيَةِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؛ فَأَنْطَقَنِي بِقَوْلِ «يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي ؛ يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي» ؛ وَأَعْطَانِي بِذٰلِكَ ، تَسَلِّياً حَقِيقِيّاً . نَعَمْ : إِنِّي رَأَيْتُنِي فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْحَزِينَةِ ، وَفِي ذٰلِكَ الْوَادِي الْخَالِي ، عِنْدَ رَأْسِ ثَلَاثِ جَنَائِزَ كَبِيرَةٍ ، بِسِرِّ هٰذِهِ الْآيَةِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهَا فِي «رِسَالَةِ مِرْقَاةِ السُّنَّةِ» . .

اَلْأُولٰى : هِيَ جَنَازَةُ خَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ «سَعِيداً» ، مَاتُوا مِنْ أَوَّلِ عُمْرِي ، إِلٰى خَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ عَاماً مِنْ سِنِّي ؛ وَدُفِنُوا فِي حَيَاةِ عُمْرِي ؛ فَرَأَيْتُ نَفْسِي ، حَجَراً شَاهِداً عِنْدَ رَأْسِ قَبْرِهَا . .

وَالْجَنَازَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ الْجَنَازَةُ الْكَبِيرَةُ ، لِأَبْنَاءِ جِنْسِي وَنَوْعِي ، الَّذِينَ مَاتُوا مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ ؛ وَدُفِنُوا فِي قَبْرِ الزَّمَانِ الْمَاضِي ؛ فَرَأَيْتُ نَفْسِي بِصُورَةِ حَيٍّ صَغِيرٍ كَنَمْلٍ يَسِيرُ عَلٰى وَجْهِ هٰذَا الْعَصْرِ الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ حَجَرٍ شَاهِدٍ عِنْدَ رَأْسِ تِلْكَ الْجَنَازَةِ الْكَبِيرَةِ ، الَّتِي دُفِنَتْ فِي قَبْرِ الزَّمَانِ الْمَاضِي . .

وَأَمَّا الْجَنَازَةُ الثَّالِثَةُ : فَهِيَ جَنَازَةُ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهُ تَجَسَّمَ نُصْبَ خَيَالِي ، مَوْتُ الدُّنْيَا الْكَبِيرَةِ ، بِسِرِّ هٰذِهِ الْآيَةِ ، بِوَفَاةِ دُنْيَا سَيَّارَةٍ ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، كَالْإِنْسَانِ ؛ فَأَغَاثَتْنِي هٰذِهِ الْآيَةُ الَّتِي تُعْطِي نُوراً لَا يَنْطَفِئُ ، وَتَسَلِّياً حَقِيقِيّاً ؛ وَتُنَوِّرُ كُلَّ التَّنْوِيرِ ، هٰذَا الْمَعْنَى الْمُدْهِش النَّاشِئَ عَنْ حُزْنِ وَفَاةِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ؛ وَأَمَدَّتْنِي بِمَعْنَاهَا الْإِشَارِيِّ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ ، أَعْلَمَتْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللّٰهُ مَوْجُوداً ؛ كَانَ بَدَلاً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَإِذَا كَانَ بَاقِياً ؛ كَانَ كَافِياً الْبَتَّةَ ؛ فَتَقُومُ جِلْوَةٌ مِنْ عِنَايَتِهِ ، مَقَامَ الدُّنْيَا كُلِّهَا ؛ وَتُحْيِي جِلْوَةٌ مِنْ نُورِهِ ، الْجَنَائِزَ الثَّلَاثَ الْمَذْكُورَةَ ، حَيَاةً مَعْنَوِيَّةً ؛ وَتُظْهِرُ أَنَّهَا لَيْسَتْ جَنَائِزَ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ مُوَظَّفُونَ قَضَوْا وَظَائِفَهُمْ ؛ وَارْتَحَلُوا إِلٰى عَوَالِمَ أُخْرٰى . وَإِيضَاحُ هٰذَا السِّرِّ مَضٰى فِي «اللَّمْعَةِ الثَّالِثَةِ» ؛ فَلِذٰلِكَ أَكْتَفِي بِهِ ؛ وَإِنَّمَا أَقُولُ هُنَا : إِنَّ قَوْلَ «يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي ؛ يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي» مَرَّتَيْنِ ، الدَّالَّ عَلٰى فَحْوٰى آيَةِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ، إِلٰى آخِرِهَا ؛ أَنْقَذَنِي عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ الْحَزِينَةِ الْأَلِيمَةِ لِلْغَايَةِ ؛ وَذٰلِكَ : أَنِّي قُلْتُ الْمَرَّةَ الْأُولٰى : «يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي» ؛ فَابْتَدَأَتْ مُدَاوَاةٌ مِنْ قَبِيلِ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ ، بَيْنَ مَا لَا يُحَدُّ مِنْ جِرَاحَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ نَاشِئَةٍ عَنِ انْفِصَامِ رَوَابِطِي ، وَعَنْ زَوَالِ مَنْ لَا يُحَدُّ ، مِنْ أَحْبَابِيَ الَّذِينَ لِي بِهِمْ صِلَةٌ ، كَالدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا ، مِنْ أَمْثَالِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ؛ وَأَصْبَحَتْ جُمْلَةُ «يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي» ، الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ ، عِلَاجاً وَتِرْيَاقاً لِجَمِيعِ تِلْكَ الْجِرَاحَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَتَعْنِي : «أَنَّكَ بَاقٍ ؛ فَلْيَرْتَحِلِ الرَّاحِلُ ؛ فَإِنَّكَ تَكْفِي ؛ وَإِذَا كُنْتَ بَاقِياً ؛ تَكْفِي جِلْوَةٌ مِنْ رَحْمَتِكَ ، عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَزُولُ ؛ وَإِذَا كُنْتَ مَوْجُوداً ؛ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُوداً ، لِمَنْ يَعْلَمُ انْتِسَابَهُ إِلٰى وُجُودِكَ بِالْإِيمَانِ ؛ وَيَعْمَلُ حَسَبَ ذٰلِكَ الِانْتِسَابِ ، بِسِرِّ الْإِسْلَامِ ؛ وَيَكُونُ الْفَنَاءُ وَالزَّوَالُ ، وَالْمَوْتُ وَالْعَدَمُ ، حِجَاباً وَتَجَدُّداً ، وَفِي حُكْمِ السَّيْرِ فِي مَنَازِلَ مُخْتَلِفَةٍ» ؛ فَتَفَكَّرْتُ ذٰلِكَ ؛ وَانْقَلَبَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ الرُّوحِيَّةُ ، الْمُدْهِشَةُ الْمُظْلِمَةُ ، الْأَلِيمَةُ الْحَزِينَةُ ، ذَاتُ الْفُرْقَةِ وَالْحُرْقَةِ ، بِتَمَامِهَا ، إِلٰى حَالَةٍ أَنِيسَةٍ مَحْبُوبَةٍ مُنَوَّرَةٍ ، ذَاتِ لَذَّةٍ وَنَشْوَةٍ وَسُرُورٍ ؛ فَقَالَ

لِسَانِي وَقَلْبِي ، بَلْ وَجَمِيعُ ذَرَّاتِ بَدَنِي ، بِلِسَانِ الْحَالِ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ» . .

فَمِنْ أَلْفِ جُزْءٍ ، مِنْ جِلَوَاتِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ : أَنِّي رَجَعْتُ عَنْ ذٰلِكَ الْوَادِي الَّذِي هُوَ مَحَلُّ حُزْنِي ، وَعَنْ تِلْكَ الْحَالاَتِ الْمُحْزِنَةِ ، إِلٰى «بَارْلَا» ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ شَابّاً يُسَمّٰى بِـ«مُصْطَفٰى» ، مِنْ قَرْيَةِ (قُولَه أُونْلِي) ، أَيْ «وُجْهَةِ الْقَلْعَةِ» ، جَاءَ لِيَسْأَلَنِي عَنْ بَعْضِ مَسَائِلِ الْفِقْهِ ، فِي بَحْثِ الْوُضُوءِ وَالصَّلاٰةِ ؛ فَأَحَبَّ رُوحِي ، رُوحَ ذٰلِكَ الشَّابِّ ، بِحِسٍّ قَبْلَ الْوُقُوعِ ؛ وَذٰلِكَ لِلْإِخْلاَصِ الْمَوْجُودِ فِي رُوحِهِ ، وَلِخِدْمَتِهِ الْقَيِّمَةِ الَّتِي سَيُؤَدِّيهَا لِرِسَالَةِ النُّورِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ(١) ؛ فَمَا أَرْجَعْتُهُ ؛ وَقَبِلْتُهُ(٢) ؛ وَكُنْتُ لَمْ أَقْبَلِ الضُّيُوفَ فِي ذٰلِكَ الْحِينِ .

---

(١) فَـ(عَلِيٌّ الصَّغِيرُ) الَّذِي هُوَ الْأَخُ الصَّغِيرُ لِـ«مُصْطَفٰى» ذَاكَ ، كَانَ وَاحِداً مِثْلَ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ، بِالْفِعْلِ ؛ كَمَا خَرَّجَ كَثِيرِينَ مِنْ أَمْثَالِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ؛ وَذٰلِكَ بِكِتَابَتِهِ مَا يَزِيدُ عَلٰى سَبْعِمِئَةِ نُسْخَةٍ ، مِنْ رَسَائِلِ النُّورِ ، بِقَلَمِهِ الصَّحِيحِ الْجَمِيلِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(٢) اَلْحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لاَئِقاً بِالْقَبُولِ فَقَطْ ؛ بَلْ أَثْبَتَ أَنَّهُ يَلِيقُ(*) بِالاِسْتِقْبَالِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(*) حَادِثَةٌ تُصَدِّقُ حُكْمَ أُسْتَاذِي ، بِلِيَاقَةِ «مُصْطَفٰى» بِالاِسْتِقْبَالِ ، الَّذِي كَانَ أَوَّلَ تِلْمِيذٍ لِرِسَالَةِ النُّورِ ؛ وَهِيَ : أَنَّ أُسْتَاذِي كَانَ يَذْهَبُ إِلَى السِّيَاحَةِ ، قَبْلَ يَوْمِ عَرَفَةَ بِيَوْمٍ ؛ فَقُلْتُ لِأُسْتَاذِي ، حِينَمَا بَعَثَنِي لِآتِيَ بِالْفَرَسِ ؛ قُلْتُ : لاَ تَنْزِلْ إِلَى الْأَسْفَلِ ؛ فَإِنِّي أَسُدُّ الْبَابَ مِنْ وَرَائِهِ ؛ فَأَخْرُجُ عَنْ مَكَانِ الْحَطَبِ ؛ فَقَالَ أُسْتَاذِي : لاَ ؛ فَنَزَلَ إِلَى الْأَسْفَلِ ؛ وَقَالَ : اخْرُجْ عَنِ الْبَابِ ؛ فَبَعْدَمَا خَرَجْتُ عَنِ الْبَابِ ، أَغْلَقَ الْبَابَ مِنْ وَرَائِهِ ؛ فَذَهَبْتُ أَنَا ؛ وَطَلَعَ هُوَ إِلَى الْأَعْلٰى ؛ ثُمَّ نَامَ ؛ وَبَعْدَ فَتْرَةٍ يَجِيءُ «مُصْطَفٰى» مِنْ قَرْيَةِ (قُولَه أُونْلِي) ، مَعَ «الْحَاجِّ عُثْمَانَ» ؛ وَكَانَ أُسْتَاذِي ، لاَ يَقْبَلُ أَحَداً أَصْلاً ؛ وَلَنْ يَقْبَلَ ، وَلاَسِيَّمَا رَجُلَيْنِ مَعاً ، فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ لاَ يَقْبَلُهُمَا وَيُرْجِعُهُمَا . وَالْحَالُ أَنَّ أَخَانَا الْمَرْحُومَ «مُصْطَفٰى» مِنْ (قُولَه أُونْلِي) ، الَّذِي يُبْحَثُ عَنْهُ فِي هٰذَا الْمَقَامِ ، لَمَّا جَاءَ مَعَ «الْحَاجِّ عُثْمَانَ» ؛ كَأَنَّ الْبَابَ قَالَ لَهُ بِلِسَانِ الْحَالِ : إِنَّ أُسْتَاذَكَ لاَ يَقْبَلُكَ ؛ وَلٰكِنْ أَنَا أَنْفَتِحُ لَكَ ؛ فَفُتِحَ لَهُ الْبَابُ الْمَقْفُولُ ، بِنَفْسِهِ . فَإِذاً إِنَّ قَوْلَ أُسْتَاذِي ، فِي حَقِّهِ : إِنَّ «مُصْطَفٰى» لاَئِقٌ بِالاِسْتِقْبَالِ ، أَثْبَتَهُ الْمُسْتَقْبَلُ ؛ كَمَا أَنَّ الْبَابَ أَيْضاً ، أَصْبَحَ شَاهِداً لَهُ . خُسْرَوْ . . (رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ) . . =

ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى بَعَثَ لِي «مُصْطَفٰى» مِثَالاً ، فِي مَقَامِ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» الَّذِي كَانَ يُؤَدِّي تَمَاماً ، وَظِيفَةَ وَارِثٍ حَقِيقِيٍّ ؛ وَيَكُونُ خَيْرَ خَلَفٍ بَعْدِي ، فِي خِدْمَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالٰى مَعْنًى : إِنِّي قَبَضْتُ مِنْكَ أَحَدَ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ؛ وَسَأُعْطِيكَ ثَلاثِينَ «عَبْدَ الرَّحْمٰنِ» أَمْثَالَ «مُصْطَفٰى» هٰذَا الَّذِي تَرَاهُ ، أَصْحَاباً فِدَائِيِّينَ ، وَإِخْوَاناً وَأَوْلاداً مَعْنَوِيِّينَ ، وَأَبْنَاءَ إِخْوَةٍ وَتَلامِذَةً لَكَ ، عِوَضاً عَنْهُ ، فِي تِلْكَ الْخِدْمَةِ الدِّينِيَّةِ . نَعَمْ : لِلّٰهِ الْحَمْدُ ، إِنَّهُ أَعْطٰى ثَلاثِينَ «عَبْدَ الرَّحْمٰنِ» ؛ فَقُلْتُ حِينَئِذٍ ، لِقَلْبِيَ الْبَاكِي : إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ هٰذَا الْمِثَالَ ؛ وَدَاوٰى بِهِ أَهَمَّ تِلْكَ الْجِرَاحَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَقْتَنِعَ أَنَّهُ سَيُدَاوِي جَمِيعَ الْجِرَاحَاتِ الَّتِي تُؤْلِمُكَ . .

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَانُ الشِّيبُ ، وَالأَخَوَاتُ الشِّيبَاتُ ، الَّذِينَ فَقَدُوا فِي زَمَنِ الشَّيْبِ ، أَوْلادَهُمْ أَوْ أَقْرِبَاءَهُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ كَثِيراً ؛ وَحُمِلَتْ عَلٰى رُؤُوسِهِمْ ، غُمُومٌ ثَقِيلَةٌ نَاشِئَةٌ عَنِ الْفِرَاقِ ، مَعَ حِمْلِ الشَّيْبِ الثَّقِيلِ الَّذِي حُمِلَ عَلٰى ظُهُورِهِمْ ! . لَقَدْ فَهِمْتُمْ أَنَّ حَالِي كَانَ أَشَدَّ مِنْ أَحْوَالِكُمْ بِكَثِيرٍ ؛ فَإِذَا كَانَتْ آيَةٌ كَرِيمَةٌ ، دَاوَتْهُ وَشَفَتْهُ ؛ فَلا شَكَّ أَنَّهُ تُوجَدُ فِي صَيْدَلِيَّةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، تِلْكَ الصَّيْدَلِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ ، أَدْوِيَةٌ تَشْفِي جَمِيعَ أَمْرَاضِكُمْ ؛ فَإِنْ رَاجَعْتُمْ إِلَيْهَا بِالإِيمَانِ ؛ وَاسْتُعْمِلَتْ تِلْكَ الأَدْوِيَةُ ، بِالْعِبَادَةِ ؛ فَإِنَّ أَحْمَالَ الشَّيْبِ وَالْهُمُومِ الثَّقِيلَةِ ، عَلٰى ظُهُورِكُمْ وَرُؤُوسِكُمْ ، سَتُخَفَّفُ عَنْكُمْ غَايَةَ الْخِفَّةِ . .

وَإِنَّ سِرَّ كِتَابَةِ هٰذَا الْبَحْثِ طَوِيلاً، هُوَ تَصَوُّرُ زِيَادَةِ دُعَاءِ الرَّحْمَةِ لِـ «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ» ؛ فَلا يُمِلَّنَّكُمْ تَطْوِيلُهُ ؛ وَكَذَا أَنَّ مُرَادِي مِنْ إِظْهَارِ أَشَدِّ جِرَاحَاتِي أَلَماً ، الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُؤْلِمَكُمْ كَثِيراً ، وَمِنْ إِظْهَارِ أَدْهَشِ تِلْكَ الْجِرَاحَاتِ الَّتِي تُنَفِّرُكُمْ وَتُوَحِّشُكُمْ ، إِظْهَارِهَا بِصُورَةٍ أَلِيمَةٍ غَيْرِ مَرْضِيَّةٍ ، هُوَ إِعْلانُ أَنَّ تِرْيَاقَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، ذٰلِكَ التِّرْيَاقَ الْقُدُسِيَّ ، أَيُّ عِلاجٍ خَارِقٍ ، وَنُورٍ لامِعٍ . .

= نَعَمْ : إِنَّ مَا كَتَبَهُ «خُسْرَوْ» صَادِقٌ ؛ وَإِنِّي أُصَدِّقُهُ ؛ فَإِنَّ الْبَابَ اسْتَقْبَلَ هٰذَا «الْمُصْطَفٰى» الْمُبَارَكَ ؛ وَقَبِلَهُ بَدَلاً عَنِّي . . سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

اَلرَّجَاءُ الثَّالِثَ عَشَرَ : (١)

إِنِّي لَأَبْحَثُ فِي هٰذَا الرَّجَاءِ ، عَنْ لَوْحَةٍ مُهِمَّةٍ ، مِنْ تَرْجَمَةِ حَيَاتِي ؛ فَلِذٰلِكَ سَيَكُونُ طَوِيلاً بَعْضَ الطُّولِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ فَأَرْجُو أَنْ لا تَسْأَمُوا وَلا تَسْخَطُوا . .

وَذٰلِكَ : أَنِّي بَعْدَمَا نَجَوْتُ عَنْ أَسْرِ الرُّوسِ ، فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولٰى ، أَوْقَفَتْنِي الْخِدْمَةُ الدِّينِيَّةُ ، فِي «دَارِ الْحِكْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» بِـ «إِسْطَنْبُولَ» ، سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ؛ ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيَّ سَآمَةٌ عَنْ حَيَاةِ الْحَضَارَةِ ، فِي «إِسْطَنْبُولَ» ، وَكَرَاهَةٌ عَنْ حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ الْمُشْرِقَةِ ؛ وَذٰلِكَ بِإِرْشَادِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَبِهِمَّةِ «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ» ، وَبِإِيقَاظِ الشَّيْبِ ؛ فَسَاقَنِي حِسُّ اشْتِيَاقِ الْوَطَنِ ، الْمُعَبَّرُ عَنْهُ «بِدَاءِ الصِّلَةِ» ، إِلٰى وَطَنِي ؛ وَقُلْتُ : إِنِّي إِذَا كُنْتُ أَمُوتُ ؛ فَلْأَمُتْ بِوَطَنِي ؛ فَسَافَرْتُ إِلٰى مَدِينَةِ «وَانٍ» ؛ وَذَهَبْتُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلٰى زِيَارَةِ مَدْرَسَتِي «بِوَانٍ» ، الْمُسَمَّاةِ بِمَدْرَسَةِ (خُورْخُورَ) ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْأَرْمَنَ ، أَحْرَقُوهَا أَيْضاً ، كَسَائِرِ بُيُوتِ مَدِينَةِ «وَانٍ» ، فِي احْتِلَالِ الرُّوسِ ؛ وَكَانَتْ مَدْرَسَتِي ، تَحْتَ قَلْعَةِ «وَانٍ» ، وَمُتَّصِلَةً تَمَاماً ، بِتِلْكَ الْقَلْعَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قِطْعَةِ صَخْرَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْجَبَلِ ؛ فَأَتَتْ نُصْبَ عَيْنِي ، خَيَالَاتُ طَلَبَتِيَ الَّذِينَ كَانُوا إِخْوَاناً وَأَصْدِقَاءَ ، وَمُؤَانِسِينَ فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي تَرَكْتُهَا قَبْلَ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانِي سِنِينَ ؛ وَقَدْ تُوُفِّيَ بَعْضُ أُولَائِكَ الْأَصْحَابِ الْفِدَائِيِّينَ ، شُهَدَاءَ حَقِيقِيِّينَ ؛ وَبَعْضٌ آخَرُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ مَعْنَوِيِّينَ ، بِسَبَبِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ ؛ فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْسِكَنِي عَنِ الْبُكَاءِ ؛ فَصَعَدْتُ عَلٰى ذُرْوَةِ الْقَلْعَةِ النَّاظِرَةِ إِلٰى مَدْرَسَتِي ، عَلٰى ارْتِفَاعِ مَنَارَتَيْنِ ، فَوْقَ مَدْرَسَتِي ؛ وَجَلَسْتُ هُنَالِكَ ؛ فَسَافَرْتُ خَيَالاً ، إِلَى الزَّمَانِ الْمُتَقَدِّمِ سَبْعَ أَوْ ثَمَانِيَ سِنِينَ ؛ وَكَانَ خَيَالِي قَوِيّاً ؛ فَطَافَ بِي فَتْرَةً ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْجَوَانِبِ ، أَحَدٌ يَصْرِفُنِي عَنْ ذٰلِكَ الْخَيَالِ ؛ وَيَسْحَبُنِي عَنْ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ فَإِنِّي كُنْتُ عَلٰى

---

(١) وَإِنَّهُ لَتَوَافُقٌ لَطِيفٌ : أَنَّ قِصَّةَ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بَحَثَ عَنْهَا ، هٰذَا الرَّجَاءُ الثَّالِثَ عَشَرَ ، كَانَتْ قَبْلَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً . .[١٣] اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . . (١٣) أَيْ فِي عَامِ/١٩٢٣م . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (تَعَالَى عَنْهُ) . .

حِدَتِي ؛ وَإِنِّي فَتَحْتُ بَصَرِي ، خِلالَ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانِي سِنِينَ ؛ فَرَأَيْتُ تَحَوُّلاً مِقْدَارَ مُضِيِّ عَصْرٍ مِنَ الزَّمَنِ ؛ فَنَظَرْتُ أَنَّ مَوْقِعَ مَا تَحْتَ **الْقَلْعَةِ** ، وَدَاخِلَ **الْمَدِينَةِ** ، حَوْلَ **مَدْرَسَتِي** ، قَدْ أُحْرِقَ وَدُمِّرَ كُلُّهُ ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ؛ وَنَظَرْتُ بِنَظْرَةٍ حَزِينَةٍ ؛ كَأَنِّي أَتَيْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، بَعْدَ مِئَتَيْ سَنَةٍ ، مِنْ مُشَاهَدَتِيَ الْأُولٰى ، إِلٰى مُشَاهَدَتِيَ الْحَاضِرَةِ ؛ وَكُنْتُ صَدِيقاً وَخَلِيلاً ، مَعَ كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبُيُوتِ ؛ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ تَشَتَّتُوا فِي الْغُرْبَةِ ؛ وَمَاتُوا بِالْهِجْرَةِ ؛ **رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ** ؛ وَكَذَا رَأَيْتُ أَنَّ بُيُوتَ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهَا ، مِنْ مَدِينَةِ **«وَانٍ»** ، قَدْ هُدِّمَتْ سِوٰى حَيِّ الْأَرْمَنِ ؛ فَتَأَلَّمَ قَلْبِي لِذٰلِكَ ، مِنْ أَعْمَاقِهِ ؛ وَمَسَّ ذٰلِكَ ، رِقَّتِي ، بِحَيْثُ لَوْ كَانَتْ لِي آلافُ عُيُونٍ ؛ لَبَكَتْ مَعاً ؛ وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي رَجَعْتُ مِنَ الْغُرْبَةِ ، إِلٰى وَطَنِي ؛ فَنَجَوْتُ عَنِ الْغُرْبَةِ ؛ فَوَا أَسَفَاهْ ! إِنِّي رَأَيْتُ أَفْزَعَ الْغُرْبَةِ ، فِي وَطَنِي ؛ وَرَأَيْتُ مِئَاتٍ مِنْ أَحْبَابِي وَطُلّابِيَ ، الَّذِينَ لَهُمْ صِلَةٌ قَوِيَّةٌ بِرُوحِي ، مِثْلِ **«عَبْدِ الرَّحْمٰنِ»** الَّذِي سَبَقَ بَحْثُهُ فِي **الرَّجَاءِ الثَّانِيَ عَشَرَ** ؛ رَأَيْتُهُمْ فِي الْقُبُورِ ؛ وَرَأَيْتُ أَمَاكِنَ أُولٰئِكَ الْأَحْبَابِ ، خَرِبَاتٍ ؛ وَكَانَ بِبَالِي مُنْذُ الْقَدِيمِ ، فِقْرَةُ قَائِلٍ ، كُنْتُ لا أَجِدُ مَعْنَاهَا الْكَامِلَ ؛ فَرَأَيْتُ مَعْنَاهَا الْكَامِلَ ، إِزَاءَ تِلْكَ اللَّوْحَةِ الْحَزِينَةِ ؛ وَالْفِقْرَةُ ، هِيَ هٰذِهِ : **(لَوْلا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ ❁ لَهَا الْمَنَايَا إِلٰى أَرْوَاحِنَا سُبُلاً)** ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ لَوْلَا الْفِرَاقُ عَنِ الْأَحْبَابِ ؛ لَمَا وَجَدَ الْمَوْتُ ، سَبِيلاً إِلٰى أَرْوَاحِنَا ؛ كَيْ يَأْتِيَ وَيَقْبِضَهَا . فَإِذاً إِنَّ أَشَدَّ مَا يُمِيتُ الْإِنْسَانَ ، هُوَ الْفِرَاقُ عَنِ الْأَحْبَابِ . **نَعَمْ** : إِنَّنِي لَمْ يُحْرِقْنِي شَيْءٌ ؛ وَلَمْ يُبْكِنِي مِثْلُ ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ فَلَوْلا أَتَى الْمَدَدُ ، مِنَ **الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ** ؛ لَأَثَّرَ ذٰلِكَ الْغَمُّ وَالْكَدَرُ وَالْحُزْنُ ، تَأْثِيراً كَتَطْيِيرِ رُوحِي ، مِنْ جَسَدِي ؛ وَكَانَ الشُّعَرَاءُ يَبْكُونَ فِي أَشْعَارِهِمْ ، مُنْذُ الْقَدِيمِ ، عَلٰى خَرَابَاتِ الْمَنَازِلِ الَّتِي اجْتَمَعُوا فِيهَا ، مَعَ أَحْبَابِهِمْ ؛ وَخَرِبَتْ تِلْكَ الْمَنَازِلُ ، بِمُرُورِ الزَّمَانِ ؛ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ بِعَيْنِي ، لَوْحَةً مِنْ هٰذِهِ الْمَنَازِلِ ، أَزْيَدَ فُرْقَةً ؛ فَأَعَانَ رُوحِي وَقَلْبِي ، عَيْنِي ؛ فَبَكَيْنَ بِحُزْنِ إِنْسَانٍ مَرَّ بَعْدَ مِئَتَيْ عَامٍ ، عَلٰى مَسَاكِنِ أَصْدِقَائِهِ الَّذِينَ كَانَ يُحِبُّهُمْ كَثِيراً ؛ فَحَيِيَتْ حِينَئِذٍ ، صَفَحَاتُ حَيَاتِي ؛ وَتَظَاهَرَتْ تِلْكَ الصَّفَحَاتُ اللَّذِيذَةُ ، مِنْ حَيَاتِيَ الَّتِي قَضَيْتُهَا مَعَ طُلّابِيَ الْقَيِّمِينَ ، بِالتَّدْرِيسِ

فِي أَحْلٰى حَيَاةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ، حِينَمَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَمَاكِنُ الَّتِي عَادَتْ مُنْدَرِسَةً أَمَامَ عَيْنِي ؛ كَانَتْ عَلٰى صُورَةٍ عَامِرَةٍ وَحَافِلَةٍ ، مُفَرِّحَةٍ وَمُسِرَّةٍ ؛ وَتَرَاءَتْ تِلْكَ الصَّفَحَاتُ ، وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً ، كَأَلْوَاحِ السِّينَمَا ؛ ثُمَّ مَاتَتْ وَرَاحَتْ ؛ فَدَامَ خَيَالُهَا بِذٰلِكَ الْوَجْهِ ، نُصْبَ عَيْنِي ، فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ؛ فَعَجِبْتُ حِينَئِذٍ ، لِحَالِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، كَيْفَ يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ ؟ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْحَالَ يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ ، عَلٰى أَنَّ الدُّنْيَا ، فَانِيَةٌ بِتَمَامِهَا ؛ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ ، فِيهَا مُسَافِرٌ ؛ وَرَأَيْتُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْحَقِيقَةِ دَائِماً ، مِنْ «أَنَّ الدُّنْيَا غَدَّارَةٌ مَكَّارَةٌ وَخَبِيثَةٌ ؛ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهَا» ، صَادِقٌ حَقّاً ؛ وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ ، لَهُ صِلَةٌ بِجِسْمِهِ وَبَيْتِهِ ؛ كَذٰلِكَ رَأَيْتُ فِي نَفْسِي : أَنَّهُ ذُو عَلَاقَةٍ بِقَصَبَتِهِ وَمَمْلَكَتِهِ ، بَلْ وَبِدُنْيَاهُ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَبْكِي بِعَيْنَيَّ ، مِنْ رِقَّةِ الشَّيْبِ ، بِاعْتِبَارِ بَدَنِي ؛ كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَبْكِيَ بِعَشْرِ عُيُونٍ ، لَا مِنْ شَيْبِ جِسْمِي فَقَطْ ، بَلْ مِنْ وَفَاتِهِ ؛ وَكَانَ لِيَ احْتِيَاجٌ إِلَى الْبُكَاءِ بِمِئَةِ عَيْنٍ ، عَلٰى مَوْتِ وَطَنِيَ الطَّيِّبِ ، نِصْفَ مَوْتٍ ؛ وَيُوجَدُ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ : أَنَّ مَلَكاً يُنَادِي كُلَّ صَبَاحٍ : «لِدُوا لِلْمَوْتِ ؛ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ» ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّكُمْ تُولَدُونَ ؛ وَتَجِيئُونَ إِلَى الدُّنْيَا لِلْمَوْتِ ؛ وَتَبْنُونَ الْأَبْنِيَةَ لِلْخَرَابِ ؛ فَكُنْتُ أَسْمَعُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ ، بِعَيْنِي لَا بِأُذُنِي . نَعَمْ : إِنَّ ذٰلِكَ الْحَالَ ، كَمَا أَبْكَانِي فِي ذٰلِكَ الْحِينِ ؛ فَإِنَّهُ أَصْبَحَ عَشْرَ سِنِينَ ؛ كُلَّمَا مَرَّ خَيَالِي عَلٰى ذٰلِكَ الْحَالِ ؛ يَبْكِي أَيْضاً . نَعَمْ : إِنَّ خَرَابَ الْمَنَازِلِ الَّتِي فَوْقَ ذُرْوَةِ ذٰلِكَ الْحِصْنِ الْهَرِمِ ، الَّذِي عَاشَ آلَافَ السِّنِينَ ؛ وَإِنَّ شَيْبَ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَحْتَهُ ، فِي غُضُونِ ثَمَانِي سِنِينَ ، مِقْدَارَ ثَمَانِينَ عَاماً ، وَإِنَّ وَفَاةَ مَدْرَسَتِي الَّتِي تَحْتَ ذٰلِكَ الْحِصْنِ ، الَّتِي كَانَتْ عَامِرَةً وَمَجْمَعاً لِلْأَحْبَابِ ، تَدُلُّ عَلٰى وَفَاةِ جَمِيعِ الْمَدَارِسِ ، فِي «الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ» كُلِّهَا ؛ وَأَصْبَحَتْ قَلْعَةُ «وَانٍ» الْجَسِيمَةُ ، الَّتِي هِيَ قِطْعَةُ صَخْرَةٍ ، شَاهِدَةَ قَبْرِ مَدْرَسَتِي ، إِشَارَةً إِلٰى عَظَمَةِ جَنَازَتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ تَلَامِذَتِيَ الْمَرْحُومِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي قَبْلَ ثَمَانِي سِنِينَ ، فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ ؛ كَأَنَّهُمْ يَبْكُونَ مَعِي ، فِي قُبُورِهِمْ ؛ بَلْ إِنَّ الْحِيطَانَ الْمُنْهَدِمَةَ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، وَأَحْجَارَهَا الْمُتَنَاثِرَةَ ، تَبْكِي مَعِي ؛ وَرَأَيْتُهَا كَأَنَّهَا تَبْكِي ؛ فَعَلِمْتُ حِينَئِذٍ ، أَنِّي

لَا أَتَحَمَّلُ هٰذِهِ الْغُرْبَةَ الَّتِي فِي وَطَنِي ؛ فَتَفَكَّرْتُ أَنَّهُ يَلْزَمُ إِمَّا أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى الْقَبْرِ ؛ وَإِمَّا أَنْ أَعْتَزِلَ بِغَارٍ فِي جَبَلٍ ؛ فَأَنْتَظِرَ فِيهِ أَجَلِي ؛ وَقُلْتُ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ، مِثْلُ هٰذِهِ الْمُفَارَقَاتِ الْمُحْرِقَةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْمُقَاوَمَةَ ؛ وَتَكْسِرُ الصَّبْرَ ؛ وَلَا تُحَمَّلُ ؛ يَكُونُ الْمَوْتُ ، رَاجِحاً عَلَى الْحَيَاةِ ؛ وَإِنَّ هٰذَا الْحَالَ الثَّقِيلَ ، مِنَ الْحَيَاةِ ، لَيْسَ مِمَّا يُقَاسَى مِنَ الْبَلَاءِ ؛ فَسَيَّرْتُ نَظَرِي حِينَئِذٍ ، عَلَى الْجِهَاتِ الَّتِي تُسَمّٰى **بِالْجِهَاتِ السِّتِّ** ؛ فَرَأَيْتُهَا مُظْلِمَةً ؛ فَأَرَتْنِيَ الْغَفْلَةُ النَّاشِئَةُ عَنْ شِدَّةِ ذٰلِكَ التَّأَثُّرِ ، الدُّنْيَا عَلٰى وَجْهٍ هَائِلٍ خَالٍ وَفَارِغٍ ، تَنْهَدِمُ عَلٰى رَأْسِي ؛ فَبَيْنَمَا كَانَ رُوحِي يَتَحَرّٰى **نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ** ، إِزَاءَ مَا لَا حَدَّ لَهَا ، مِنَ الْبَلَايَا الَّتِي اتَّخَذَتْ شَكْلَ الْأَعْدَاءِ ؛ وَيَطْلُبُ **نُقْطَةَ اسْتِمْدَادٍ** ، تُسَكِّنُ مَا لَا حَدَّ لَهَا ، مِنَ الْآمَالِ الَّتِي امْتَدَّتْ فِي الرُّوحِ إِلَى الْأَبَدِ ؛ وَيَتَوَقَّعُ التَّسَلِّيَ إِزَاءَ ذٰلِكَ الْحُزْنِ وَالْغَمِّ النَّاشِئِ عَنِ الْفِرَاقِ وَالِافْتِرَاقِ ، وَالدَّمَارِ وَالْمَمَاتِ ، الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ؛ إِذْ تَجَلَّتْ حَقِيقَةُ هٰذِهِ الْآيَةِ ، مِنَ **الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ** ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ ؛ فَأَنْقَذَتْنِي عَنْ ذٰلِكَ الْخَيَالِ الَّذِي كَانَ ذَا رِقَّةٍ وَحُزْنٍ وَدَهْشَةٍ ؛ وَفَتَحَتْ بَصَرِي ؛ فَنَظَرْتُ أَنَّ الثِّمَارَ عَلٰى رُؤُوسِ الْأَشْجَارِ ، تَنْظُرُ إِلَيَّ مُتَبَسِّمَةً ؛ وَتَقُولُ : انْظُرْ إِلَيْنَا أَيْضاً ، بِالتَّدَبُّرِ ؛ وَلَا تَقِفْ نَاظِراً إِلَى الرُّسُومِ الْمُنْدَرِسَةِ فَقَطْ ؛ وَكَانَتْ حَقِيقَةُ هٰذِهِ الْآيَةِ ، تُخْطِرُ هٰكَذَا ؛ وَتَقُولُ :

لِمَاذَا يُؤَثِّرُ فِيكَ ، بِهٰذَا الْقَدْرِ ، مَحْوُ مَكْتُوبٍ مُصْطَنَعٍ ، كُتِبَ بِأَيْدِي النَّاسِ الْمُسَافِرِينَ ، فِي صَحِيفَةِ صَحْرَاءِ «وَانٍ» ؛ وَاتَّخَذَ صُورَةَ الْمَدِينَةِ ، حَيْثُ وَقَعَ ذٰلِكَ الْمَكْتُوبُ ، فِي مُصِيبَةِ سَيْلٍ مُدْهِشٍ ، يُقَالُ لَهَا : احْتِلَالُ الرُّوسِ ؟ فَانْظُرْ إِلَى النَّقَّاشِ الْأَزَلِيِّ الْمَالِكِ الْحَقِيقِيِّ ، وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكِهِ بِالْأَصَالَةِ ؛ فَإِنَّ مَكْتُوبَاتِهِ ، تُكْتَبُ فِي صَحِيفَةِ «وَانٍ» ، بِكَمَالِ الزِّينَةِ ؛ وَتَدُومُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا مُنْذُ الْقَدِيمِ ؛ وَإِنَّ بُكَاءَكَ عَلٰى تِلْكَ الْأَمَاكِنِ ، ظَانّاً أَنَّهَا بَقِيَتْ فَارِغَةً خَالِيَةً وَدَارِسَةً ، يَنْشَأُ عَنِ الْغَفْلَةِ مِنْ مَالِكِهَا الْحَقِيقِيِّ ، وَعَنْ عَدَمِ تَصَوُّرِ كَوْنِ الْإِنْسَانِ ، مُسَافِراً ، وَعَنْ خَطَأِ تَوَهُّمِ كَوْنِ الْإِنْسَانِ ، مَالِكاً ؛

وَلٰكِنْ فُتِحَ مِنْ ذٰلِكَ الْخَطأ، وَمِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ الْمُحْرِقَةِ، بَابٌ لِلْحَقِيقَةِ؛ وَاسْتَعَدَّتِ النَّفْسُ، لِقَبُولِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ تَمَاماً. نَعَمْ: كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ يُدْخَلُ فِي النَّارِ؛ لِيَلِينَ وَيُعْطٰى شَكْلاً نَافِعاً جَمِيلاً؛ كَذٰلِكَ إِنَّ تِلْكَ الْحَالَةَ الْحَزِينَةَ، وَالْكَيْفِيَّةَ الرَّهِيبَةَ، أَصْبَحَتَا نَاراً؛ فَأَلاَنَتَا نَفْسِي؛ وَأَرَاهَا الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ، فَيْضَ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، بِحَقِيقَةِ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَجَعَلَهَا بِحَيْثُ تَقْبَلُ ذٰلِكَ الْفَيْضَ كَامِلاً. نَعَمْ: لِلّٰهِ الْحَمْدُ؛ إِنَّ حَقِيقَةَ هٰذِهِ الْآيَةِ، أَعْطَتِ الرُّوحَ وَالْقَلْبَ، بِفَيْضِ الْإِيمَانِ، نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ، تَنْكَشِفُ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُوَّةِ إِيمَانِ كُلِّ أَحَدٍ، بِحَيْثُ تُعْطِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، قُوَّةً يُمْكِنُ أَنْ تُقَاوِمَ مُصِيبَاتٍ ضَارَّةً هَائِلَةً، تَزِيدُ عَلٰى تِلْكَ الْحَالَةِ، مِئَةَ دَرَجَةٍ؛ كَمَا أَثْبَتْنَاهُ قَطْعاً، فِي رَسَائِلَ مِثْلِ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ؛ وَأَخْطَرَتْ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ: أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ، مُسَخَّرٌ لِأَمْرِ مَالِكِ هٰذِهِ الْمَمْلَكَةِ، ذٰلِكَ الْمَالِكِ الْحَقِيقِيِّ، الَّذِي هُوَ خَالِقُكَ؛ وَأَنَّ زِمَامَ كُلِّ شَيْءٍ، بِيَدِهِ؛ فَيَكْفِي انْتِسَابُكَ إِلَيْهِ؛ فَبَعْدَ مَعْرِفَةِ ذٰلِكَ الْخَالِقِ، وَالِاسْتِنَادِ إِلَيْهِ، تَرَكَتْ جَمِيعُ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اتَّخَذَتْ صُورَةَ الْأَعْدَاءِ؛ تَرَكَتْ عَدَاوَتَهَا؛ وَشَرَعَتِ الْأَحْوَالُ الْحَزِينَةُ الْمُبْكِيَةُ، تَسُرُّنِي؛ وَكَذَا أَعْطَتْ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ، بِالنُّورِ الْوَارِدِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ، نُقْطَةَ اسْتِمْدَادٍ، إِزَاءَ تِلْكَ الْآمَالِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، بِحَيْثُ إِنَّهَا لَيْسَتْ تَكْفِي لِرَوَابِطِي وَآمَالِي، إِزَاءَ الْأَحْبَابِ الصِّغَارِ الْفَانِيَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْقَصِيرَةِ الْأَعْمَارِ فَقَطْ؛ بَلْ تَكْفِي لِمَا لَا يُحَدُّ مِنْ آمَالِيَ الطَّوِيلَةِ، فِي السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَعَالَمِ الْبَقَاءِ، وَفِي أَبَدِ الْآبَادِ؛ كَمَا أَثْبَتْنَا بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ، فِي رَسَائِلَ كَثِيرَةٍ؛ وَذٰلِكَ: لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ انْتِسَابَهُ، مُسْتَنِداً بِالْإِيمَانِ، إِلٰى رَحْمَةِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، الَّذِي مَلَأَ ثَمَانِيَ جِنَانٍ دَائِمَةٍ، لِعِبَادِهِ فِي مَسَاكِنِهِمُ الْأَبَدِيَّةِ، بِمَا لَا حَدَّ لَهَا، مِنْ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ، فِي زَمَانٍ لَا حَدَّ لَهُ؛ وَأَحْضَرَ تِلْكَ الْجِنَانَ لَهُمْ، بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ بِجِلْوَةٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ، بِمَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُعَدُّ، مِنْ نِعَمِهِ اللَّذِيذَةِ الْمُصَنَّعَةِ عَلٰى مَائِدَةِ الرَّبِيعِ، لِتَفْرِيحِ ضُيُوفِهِ، سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ، عَلٰى وَجْهِ هٰذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مَضِيفَةٌ مُؤَقَّتَةٌ لَهُ؛ وَأَطْعَمَهَا أُولٰئِكَ الضُّيُوفَ، بِمَثَابَةِ غَدَاءٍ لَهُمْ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَجِدُ نُقْطَةَ اسْتِمْدَادٍ، تَمُدُّ أَدْنٰى دَرَجَاتِهَا، الْآمَالَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا؛ وَتُدِيمُ

تِلْكَ الْآمَالَ ؛ وَكَذَا أَنَّ النُّورَ الْوَارِدَ عَنْ ضِيَاءِ الْإِيمَانِ بِحَقِيقَةِ تِلْكَ الْآيَةِ ، تَجَلّٰى بِصُورَةٍ لَامِعَةٍ ، بِحَيْثُ نَوَّرَ تِلْكَ الْجِهَاتِ السِّتَّ الْمُظْلِمَةَ ، كَالنَّهَارِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ النُّورَ ، نَوَّرَ حَالَةَ بُكَائِي وَبَقَائِي وَرَاءَ طُلَّابِي وَأَحْبَابِيَ ، الَّذِينَ كَانُوا فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَفِي مَدْرَسَتِي هٰذِهِ ؛ نَوَّرَهَا هٰكَذَا ؛ وَهُوَ : أَنَّهُ أَخْطَرَ لِي : أَنَّ الْعَالَمَ الَّذِي سَافَرَ إِلَيْهِ أَحْبَابُكَ ، لَيْسَ مُظْلِماً ؛ وَإِنَّمَا هُمْ بَدَّلُوا أَمَاكِنَهُمْ فَقَطْ ؛ وَسَتَجْتَمِعُونَ ؛ هٰكَذَا أَخْطَرَ ؛ فَقَطَّعَ الْبُكَاءَ تَمَاماً ؛ وَأَفْهَمَنِي أَنِّي سَأَجِدُ فِي الدُّنْيَا ، مَنْ يُشْبِهُونَهُمْ ؛ وَيَقُومُونَ مَقَامَهُمْ . نَعَمْ : فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ، إِنَّهُ تَعَالٰى ، أَحْيَا مَدْرَسَةَ «وَانٍ» الْمُتَوَفَّاةَ ، بِمَدْرَسَةِ «إِسْپَارْطَة» ؛ وَأَحْيَا أُولٰئِكَ الْأَحْبَابَ هُنَالِكَ ، مَعْنًى ، بِأَحْبَابٍ وَطُلَّابٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ عَدَداً ، وَأَزْيَدَ قِيمَةً ؛ وَكَذَا أَعْلَمَ ذٰلِكَ النُّورُ : أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ فَارِغَةً وَخَالِيَةً ؛ وَأَنِّي تَصَوَّرْتُهَا خَطَأً ، عَلٰى صُورَةِ مَمْلَكَةٍ أَصْبَحَتْ مُنْدَرِسَةً ؛ بَلْ إِنَّ الْمَالِكَ الْحَقِيقِيَّ ، يُغَيِّرُ لَوْحَةَ الْإِنْسَانِ الْمُصْطَنَعَةَ ؛ وَيُجَدِّدُ مَكْتُوبَهُ ، بِاقْتِضَاءِ حِكْمَتِهِ ؛ فَكَمَا أَنَّ بَعْضَ ثِمَارِ شَجَرَةٍ ، كُلَّمَا اقْتُطِفَتْ ؛ تَأْتِي ثِمَارٌ أُخْرٰى ، بَدَلاً عَنْهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ هٰذَا الزَّوَالَ وَالْفِرَاقَ ، فِي نَوْعِ الْبَشَرِ ، تَجَدُّدٌ أَيْضاً ؛ وَلَيْسَ حُزْناً أَلِيماً نَاشِئاً عَنْ عَدَمِ الْأَحْبَابِ ؛ بَلْ هُوَ فِي نُقْطَةِ الْإِيمَانِ ، تَجَدُّدٌ يُورِثُ حُزْناً لَذِيذاً يَنْشَأُ عَنْ فِرَاقٍ مَبْنِيٍّ عَلَى الْوِصَالِ فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ آخَرَ ؛ وَكَذَا نَوَّرَ ذٰلِكَ النُّورُ ، وَجْهَ مَوْجُودَاتِ الْكَائِنَاتِ ، ذٰلِكَ الْوَجْهَ الَّذِي كَانَ يُرَى مُظْلِماً ، مِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ الْمُدْهِشَةِ ؛ فَأَرَدْتُ حِينَئِذٍ ، أَنْ أَشْكُرَ عَلٰى تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ ؛ فَوَرَدَتْ هٰذِهِ الْفِقْرَةُ الْعَرَبِيَّةُ ؛ وَصَوَّرَتْ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، تَصْوِيراً تَامّاً ؛ وَذٰلِكَ أَنِّي قُلْتُ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ الْمُصَوِّرِ مَا يُتَوَهَّمُ أَجَانِبَ أَعْدَاءً أَمْوَاتاً مُوَحِّشِينَ أَيْتَاماً بَاكِينَ ، أَوِدَّاءَ وَأَحْيَاءً مُونِسِينَ مُرَخَّصِينَ مَسْرُورِينَ ذَاكِرِينَ مُسَبِّحِينَ» ؛ تَعْنِي : أَنَّ تِلْكَ اللَّوْحَةَ الْفَزِيعَةَ الَّتِي أَظْهَرَتْ لِنَفْسِيَ الْغَافِلَةِ ، بِالتَّوَهُّمِ وَبِالْغَفْلَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ تَأْثِيرِ تِلْكَ الْحَالَةِ الشَّدِيدَةِ ، بِأَنَّ قِسْماً مِنْ مَوْجُودَاتِ الْكَائِنَاتِ ، أَعْدَاءٌ وَأَجَانِبُ (١) ؛ وَقِسْماً مِنْهَا ، جَنَائِزُ هَائِلَةٌ ؛ وَقِسْماً

---

(١) كَالزَّلْزَلَةِ وَالْعَاصِفَةِ ، وَالطُّوفَانِ وَالطَّاعُونِ وَالنَّارِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

آخَرَ مِنْهَا ، أَيْتَامٌ بَاكُونَ ؛ رَأَيْتُ عَيْنَ الْيَقِينِ ، بِنُورِ الْإِيمَانِ ، أَنَّ مَا يُرَى أَجَانِبَ وَأَعْدَاءً ، هُمْ إِخْوَانٌ وَأَصْدِقَاءُ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْجَنَائِزَ الْهَائِلَةَ ، بَعْضُهَا أَحْيَاءٌ وَمُؤَانِسُونَ ؛ وَبَعْضُهَا مُرَخَّصُونَ وَمُسَرَّحُونَ عَنِ الْوَظِيفَةِ ؛ وَرَأَيْتُ بِنُورِ الْإِيمَانِ : أَنَّ نِيَاحَاتِ الْأَيْتَامِ الْبَاكِينَ ، هِيَ زَمْزَمَةُ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَحْمَدُ اللهَ الْخَالِقَ الْجَلِيلَ الَّذِي أَعْطَانِيَ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ مَنْبَعُ تِلْكَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحَدُّ ، حَمْداً لَا حَدَّ لَهُ ؛ وَنَقُولُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ ، بِأَلْسِنَةِ أَحْوَالِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَبِأَلْسِنَةِ أَحْوَالِ كُلٍّ مِنْهَا ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ مِنْ حَقِّي ، أَنْ أَسْتَعْمِلَ بِنِيَّتِي وَتَصَوُّرِي ، جَمِيعَ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ، وَفِي دُنْيَايَ الْخَاصَّةِ الَّتِي هِيَ بِقَدَرِهَا ، فِي الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَكَذَا أَنَّ أَذْوَاقَ الْحَيَاةِ ، الَّتِي سَقَطَتْ إِلٰى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ، وَالْآمَالَ الَّتِي يَبِسَتْ وَجَفَّتْ كُلِّيّاً ، وَاللَّذَائِذَ وَالنِّعَمَ الْعَائِدَةَ إِلٰى ذَاتِي ، الَّتِي تَقَلَّصَتْ فِي دَائِرَةٍ ضَيِّقَةٍ ؛ بَلْ هَلَكَتْ ؛ وَذٰلِكَ بِسَبَبِ تِلْكَ الْحَالَةِ الْهَائِلَةِ الْغَافِلَةِ ، قَدْ وَسَّعَ **نُورُ الْإِيمَانِ** ، تِلْكَ الدَّائِرَةَ الضَّيِّقَةَ ، حَوْلَ قَلْبِي ، فَجْأَةً ، بِحَيْثُ وَسِعَتِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَصَوَّرَ **ذٰلِكَ النُّورُ** ، دَارَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، بِشَكْلِ مَائِدَتَيْ نِعْمَةٍ ، وَسُفْرَتَيْ رَحْمَةٍ ، بَدَلاً عَنْ تِلْكَ النِّعَمِ الَّتِي يَبِسَتْ فِي حَدِيقَةِ **(خُورْخُورَ)** ؛ وَزَالَتْ لَذَّتُهَا ؛ كَمَا أَثْبَتْنَا بِوَجْهٍ قَاطِعٍ ، فِي رَسَائِلَ أُخْرٰى ؛ وَأَرٰى ذٰلِكَ النُّورُ : أَنَّهُ تَمُدُّ مِئَاتٌ ، لَا عَشَرَةٌ ، مِنْ أَجْهِزَةِ الْإِنْسَانِ ، كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقَلْبِ ، إِلٰى تَيْنِكَ السُّفْرَتَيْنِ مِنْ مَوَائِدِ الرَّحْمٰنِ ، كُلٌّ مِنْهَا ، بِصُورَةِ يَدٍ طَوِيلَةٍ ؛ فَتَجْمَعُ النِّعَمَ ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَسَبَ دَرَجَةِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ قُلْتُ فِي ذٰلِكَ الْحِينِ ، لِإِفَادَةِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، وَلِأَدَاءِ شُكْرِ تِلْكَ النِّعْمَةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا : **«اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ الْمُصَوِّرِ لِلدَّارَيْنِ ، سُفْرَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، لِكُلِّ مُؤْمِنٍ حَقّاً ، يَسْتَفِيدُ مِنْهُمَا ، بِحَوَاسِّهِ الْكَثِيرَةِ الْمُنْكَشِفَةِ بِإِذْنِ خَالِقِهِ»** ؛ يَعْنِي : أَنِّي أَحْمَدُ وَأَشْكُرُ لِخَالِقِيَ الَّذِي وَهَبَنِيَ الْإِيمَانَ ، بِجَمِيعِ ذَرَّاتِ وُجُودِي ، مِلْءَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ــ لَوِ اسْتَطَعْتُ ــ عَلٰى نِعْمَةِ نُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُصَوِّرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، بِصُورَةِ سُفْرَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ بِالنِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ وَيُحَصِّلُ الِاسْتِفَادَةَ مِنْ تَيْنِكَ السُّفْرَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ ، بِأَيْدِي جَمِيعِ حَوَاسِّ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقِيقِيِّينَ ،

الَّتِي انْبَسَطَتْ وَانْكَشَفَتْ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ . فَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ ، يُؤَثِّرُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ ، هٰذِهِ التَّأْثِيرَاتِ الْعَظِيمَةَ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَتَكُونُ لَهُ ثَمَرَاتٌ وَفُيُوضَاتٌ فِي دَارِ الْبَقَاءِ ، بِحَيْثُ لَا تُحَاطُ وَلَا تُوصَفُ بِالْعَقْلِ الْمَوْجُودِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا . .

فَيَا أَيُّهَا الشِّيبُ وَالشِّيبَاتُ الَّذِينَ يُعَانُونَ مِثْلِي ، آلَامَ فِرَاقِ كَثِيرِينَ ، مِنْ أَحْبَابِهِمْ ، بِسَبَبِ الشَّيْبِ ! . إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ أَشْيَبَكُمْ ، وَإِنْ كَانَ أَسَنَّ مِنِّي ظَاهِراً ؛ فَإِنِّي أَشْيَبُ مِنْهُ مَعْنًى ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّ الرِّقَّةَ الْجِنْسِيَّةَ ، وَحِسَّ التَّأَلُّمِ ، يُوجَدَانِ فِيَّ كَثِيراً ؛ فَلِذٰلِكَ أُقَاسِي بِسِرِّ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ، آلَامَ آلَافِ إِخْوَانِي أَيْضاً ، مَا عَدَا آلَامِي ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ ، أَنِّي شَائِبٌ ؛ كَأَنِّي عِشْتُ مِئَاتِ السِّنِينَ ؛ وَإِنَّكُمْ مَهْمَا عَانَيْتُمْ بَلَاءَ الْفِرَاقِ ؛ فَلَمْ تُصْبِحُوا عُرْضَةً لِذٰلِكَ الْبَلَاءِ ، بِقَدَرِي ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِي ابْنٌ أُلَاحِظُهُ فَقَطْ ؛ فَأَشْعُرُ بِسِرِّ تِلْكَ الشَّفَقَةِ ، وَهٰذَا التَّأَلُّمِ الزَّائِدِ الْفِطْرِيِّ فِيَّ ، بِأَلَمٍ وَرِقَّةٍ ، إِزَاءَ آلَامِ آلَافٍ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ وَإِزَاءَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَعْصُومَةِ أَيْضاً ؛ وَلَيْسَ لِي بَيْتٌ خُصُوصِيٌّ ، أَحْصُرُ فِكْرِي عَلَيْهِ فَقَطْ ؛ بَلْ إِنِّي ذُو صِلَةٍ فِي نُقْطَةِ الْحَمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بِهٰذَا الْوَطَنِ ، وَبِقَارَّةِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، كَبَيْتِي ؛ وَأَتَأَلَّمُ بِآلَامِ أَبْنَاءِ دِينِي فِي ذَيْنِكَ الْبَيْتَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ ؛ وَأَحْزَنُ بِفِرَاقِهِمْ ؛ فَكَفَانِي نُورُ الْإِيمَانِ تَمَاماً ، لِكُلِّ تَأَثُّرَاتِي النَّاشِئَةِ عَنْ شَيْبِي وَمَصَائِبِ الْفِرَاقِ ؛ وَأَعْطَانِي تَسَلِّياً لَا يَنْفَدُ ، وَضِيَاءً لَا يَنْطَفِئُ ، وَأَمَلاً لَا يَنْفَصِمُ ، وَرَجَاءً لَا يَنْقَطِعُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِيمَانَ ، كَافٍ وَوَافٍ لَكُمْ ، بِدَفْعِ التَّأَلُّمَاتِ وَالتَّأَثُّرَاتِ ، وَالْغَفْلَةِ وَالظُّلْمَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الشَّيْبِ . وَإِنَّ الشَّيْبَ الْمُظْلِمَ الَّذِي لَا نُورَ وَلَا تَسَلِّيَ فِيهِ ، وَالْفِرَاقَ الْأَلِيمَ الْفَزِيعَ ، هُوَ شَيْبُ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالسَّفَاهَةِ ، وَفِرَاقُهُمْ . . وَإِنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي يُعْطِي ذٰلِكَ الرَّجَاءَ وَالضِّيَاءَ وَالتَّسَلِّيَ ، إِنَّمَا يُذَاقُ وَيُحَسُّ بِتَأْثِيرَاتِهِ ، بِأَنْ يَتَلَبَّسَ بِطَوْرٍ يَعِي وَيَعْبُدُ مُوَافِقاً لِلْإِسْلَامِ ، وَلَائِقاً بِالشَّيْبِ . وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ بِأَنْ يَتَشَبَّهَ بِالشَّبَابِ ؛ وَيَغْمِسَ رَأْسَهُ ، فِي سُكْرِهِمْ ؛ وَيَنْسَى شَيْبَهُ ؛ فَاذْكُرُوا الْحَدِيثَ الْوَارِدَ بِهٰذَا الْمَعْنَى ؛ وَهُوَ : ﴿خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُمْ ؛ وَشَرُّ كُهُولِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ﴾ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ ؛ يَعْنِي : أَنَّ خَيْرَ شُبَّانِكُمْ ، هُمُ الَّذِينَ يُشْبِهُونَ الْكُهُولَ ، فِي السَّكِينَةِ وَالتَّجَنُّبِ عَنِ الْمَعَاصِي ؛

وَأَنَّ شَرَّ كُهُولِكُمْ ، هُمُ الَّذِينَ يَتَشَبَّهُونَ بِالشُّبَّانِ ، فِي السَّفَاهَةِ ، وَفِي إِدْخَالِ رُؤُوسِهِمْ فِي الْغَفْلَةِ . .

فَيَا إِخْوَانِيَ الشِّيبَ ، وَأَخَوَاتِيَ الشِّيبَاتِ ! لَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : «أَنَّ مُؤْمِناً شَائِباً فِي السِّتِّينَ أَوِ السَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ ، حِينَمَا يَدْعُو رَافِعاً يَدَيْهِ ، إِلَىٰ بَابِهِ تَعَالَىٰ ؛ تَسْتَحْيِي الرَّحْمَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، أَنْ تُرْجِعَ يَدَهُ خَالِيَةً» . فَإِذَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ ، تَحْتَرِمُكُمْ هٰكَذَا ؛ فَاحْتَرِمُوا هٰذَا الِاحْتِرَامَ ، بِعُبُودِيَّتِكُمْ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝﴾ . .

اَلرَّجاءُ الرَّابِعَ عَشَرَ :

إِنَّ خُلاصَةَ صَدْرِ رِسالَةِ الْآيَةِ النُّورِيَّةِ الْحَسْبِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ «الشُّعَاعُ الرَّابِعُ» ، تَقُولُ : إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا جَرَّدُونِي فِي زَمَنٍ مَّا ، عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَلِذٰلِكَ وَقَعْتُ فِي خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْغُرْبَةِ ؛ فَنَظَرْتُ أَوَّلاً إِلَى قَلْبِي ؛ وَتَحَرَّيْتُ رُوحِي ، بِدُونِ النَّظَرِ إِلَى أَنْوَارٍ مُمِدَّةٍ وَمُسَلِّيَةٍ ، مِنْ أَنْوَارِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ وَذٰلِكَ بِسَبَبِ غَفْلَةٍ نَشَأَتْ عَنْ الِانْقِبَاضِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ عِشْقاً قَوِيّاً لِلْبَقَاءِ ، وَحُبّاً شَدِيداً لِلْوُجُودِ ، وَاشْتِيَاقاً كَبِيراً إِلَى الْحَيَاةِ ، وَعَجْزاً بِلَا حَدٍّ ، وَفَقْراً بِلَا نِهَايَةٍ ، تَحْكُمُ فِيَّ ؛ وَالْحَالُ أَنَّ فَنَاءً مُدْهِشاً ، يُطْفِئُ ذٰلِكَ الْبَقَاءَ ؛ فَقُلْتُ فِي حَالَتِي تِلْكَ ، كَشَاعِرٍ مُحْتَرِقٍ : «إِنَّ الْقَلْبَ يَطْلُبُ بَقَاءَ مُلْكِ بَدَنِي ؛ وَالْحَقُّ تَعَالَىٰ يُرِيدُ فَنَاءَهُ ؛ فَآهاً ! قَدْ وَقَعْتُ فِي دَاءٍ بِلَا دَوَاءٍ ؛ وَلَيْسَ لِلُقْمَانَ ، عَنْهُ خَبَرٌ[1]» ؛ فَخَفَضْتُ رَأْسِي آيِساً ؛ فَإِذَا بِآيَةِ ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، أَمَدَّتْنِي وَقَالَتِ : اتْلُنِي بِالتَّدَبُّرِ ؛ فَتَلَوْتُهَا فِي الْيَوْمِ ، خَمْسَمِئَةِ مَرَّةٍ ؛ فَكُلَّمَا تَلَوْتُهَا ؛ كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي أَنْوَارُهَا ؛ فَانْكَشَفَتْ لِي ، مِنْ

(١) نَصُّ الْبَيْتِ التُّرْكِيِّ : أَيْ «دِلْ بَقَاسِي ؛ حَقْ فَنَاسِي ، إِيسْتَدِي مُلْكِ تَنِمْ ۝ بِرْدَوَاسِزْ دَرْدَه دُوشْدُمْ ؛ آهْ ! كِه لُقْمَانْ ، بِي خَبَرْ» . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . .

أَنْوَارِهَا الْقَيِّمَةِ الْكَثِيرَةِ ، بِعَيْنِ الْيَقِينِ ، لاَ بِعِلْمِ الْيَقِينِ فَقَطْ ، تِسْعُ مَرَاتِبَ حَسْبِيَّةٍ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الْأُولٰى : أَنَّ مَا فِيَّ ، مِنْ عِشْقِ الْبَقَاءِ ، لَيْسَ لِمَا فِيَّ ، مِنَ الْبَقَاءِ ؛ بَلْ إِنَّ جَلْوَةَ اسْمٍ ، مِنْ أَسْمَاءِ الْجَلِيلِ الْكَامِلِ ، صَاحِبِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ ، وَالْمَحْبُوبِ بِذَاتِهِ ، بِلاَ سَبَبٍ ، يُوجَدُ ظِلٌّ مِنْهَا ، فِي مَاهِيَّتِي ؛ فَلِذٰلِكَ شَوَّشَتِ الْمَحَبَّةُ الْفِطْرِيَّةُ فِي فِطْرَتِي ، وَالْمُتَوَجِّهَةُ إِلٰى وُجُودِ ذٰلِكَ الْكَامِلِ الْمُطْلَقِ ، وَإِلٰى كَمَالِهِ وَبَقَائِهِ ؛ شَوَّشَتْ طَرِيقَهَا ؛ وَالْتَصَقَتْ بِالظِّلِّ ؛ وَعَشِقَتْ بَقَاءَ الْمِرْآةِ ، بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ ؛ فَجَاءَتْ آيَةُ ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَرَفَعَتِ الْحِجَابَ ؛ فَرَأَيْتُ وَأَحْسَسْتُ وَذُقْتُ حَقَّ الْيَقِينِ : أَنَّ لَذَّةَ بَقَائِي ، وَسَعَادَتَهُ ، تُوجَدُ بِعَيْنِهَا ، وَبِوَجْهٍ أَكْمَلَ ، فِي بَقَاءِ الْبَاقِي الْكَامِلِ ، وَفِي إِذْعَانِي وَإِيمَانِي وَتَصْدِيقِي بِأَنَّهُ هُوَ ، رَبِّي وَإِلٰهِي . . وَقَدْ بُيِّنَتْ دَلاَئِلُ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ ، فِي «الرِّسَالَةِ الْحَسْبِيَّةِ» ، بِاثْنَيْ عَشَرَ بُرْهَاناً وَشُعُوراً ، إِيمَانِيَّةٍ دَقِيقَةٍ وَعَمِيقَةٍ ، مَبْدُوءَةٍ بِلَفْظِ كَذَا وَكَذَا ؛ تَتْرُكُ ذَوِي الْإِحْسَاسِ ، فِي الْحَيْرَةِ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الثَّانِيَةُ : أَنِّي حِينَمَا هَجَمَ عَلَيَّ ، أَهْلُ الدُّنْيَا ، بِدَسَائِسِهِمْ وَجَوَاسِيسِهِمْ ، بَيْنَ تَجْرِيدِي وَغُرْبَتِي ، وَشَيْبِي وَوَحْدَتِي ، مَعَ مَا لاَ حَدَّ لَهُ ، مِنَ الْعَجْزِ فِي فِطْرَتِي ؛ قُلْتُ فِي قَلْبِي : إِنَّ الْجُيُوشَ تَهْجُمُ عَلٰى إِنْسَانٍ وَاحِدٍ وَحِيدٍ ، مَرِيضٍ وَضَعِيفٍ ، مَغْلُولِ الْيَدَيْنِ ؛ أَفَلَيْسَ لِي نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ ؟ فَرَاجَعْتُ إِلٰى آيَةِ ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ فَأَعْلَمَتْنِي تِلْكَ الْآيَةُ : أَنَّكَ تَنْتَسِبُ بِوَثِيقَةِ انْتِسَابِ الْإِيمَانِ ، إِلٰى سُلْطَانٍ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، يُعْطِي بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ ، جَمِيعَ أَجْهِزَةِ جُيُوشِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ ، الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ قَوْمٍ ، فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَضَعُ أَرْزَاقَ جُيُوشِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا ، تِلْكَ الْجُيُوشِ الْعَظِيمَةِ ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهَا الْإِنْسَانُ ؛ يَضَعُهَا فِي خُلاَصَاتٍ رَحْمَانِيَّةٍ ، يُقَالُ لَهَا الْبُذُورُ وَالنَّوٰى ، مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَطْعِمَةِ ، لَيْسَتْ كَخُلاَصَاتِ اللَّحْمِ وَالسُّكَّرِ ، وَسَائِرِ الْأَطْعِمَةِ ، مِمَّا اكْتَشَفَهُ الْحَضَرِيُّونَ ، فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ ؛ بَلْ أَكْمَلَ مِنْ تِلْكَ الْخُلاَصَاتِ الْحَضَرِيَّةِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ وَيَلُفُّ تِلْكَ الْخُلاَصَاتِ ، فِي تَعْرِفَاتٍ قَدَرِيَّةٍ ، فِي حَقِّ انْبِسَاطِهَا

وَطَبْخِهَا ؛ وَيَضَعُهَا فِي صُنَيْدِيقَاتٍ صِغَارٍ ؛ وَيُوَدِّعُهَا إِلَيْهَا لِحِفْظِهَا ؛ وَيَكُونُ إِيجَادُ تِلْكَ الصُّنَيْدِيقَاتِ ، مِنْ مَصْنَعِ «الْكَافِ وَالنُّونِ» ، مِنْ أَمْرِ «كُنْ» ، بِسُرْعَةٍ وَسُهُولَةٍ وَكَثْرَةٍ ؛ بِحَيْثُ يَقُولُ الْقُرْآنُ : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ؛ فَإِذَا كُنْتَ تَجِدُ نُقْطَةَ اسْتِنَادٍ هٰكَذَا ، بِتَذْكِرَةِ انْتِسَابِ الْإِيمَانِ ؛ فَإِنَّكَ تَسْتَطِيعُ مِنْ ذٰلِكَ ، أَنْ تَسْتَنِدَ إِلىٰ قُدْرَةٍ وَقُوَّةٍ لا حَدَّ لَهُمَا ؛ فَلَمَّا أَخَذْتُ دَرْسِي هٰذَا ، مِنَ الْآيَةِ ؛ وَجَدْتُ قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً ، بِحَيْثُ شَعَرْتُ بِاقْتِدَارٍ إِيمَانِيٍّ ، يَتَحَدَّى الْعَالَمَ ، لا أَعْدَائِيَ الْحَاضِرِينَ فَقَطْ ؛ فَقُلْتُ بِكُلِّ رُوحِي : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الثَّالِثَةُ : أَنِّي وَجَدْتُ أَنَّ صِلَتِي بِالدُّنْيَا ، قَدْ قُطِعَتْ عَنْهَا ، بِشِدَّةِ تِلْكَ الْمَظَالِمِ وَالْأَمْرَاضِ ، وَأَنْوَاعِ الْغُرْبَةِ ؛ فَأَعْرَضْتُ عَنِ التَّأَفُّفِ الْمُسِيلِ لِلْحَسْرَةِ ؛ وَقُلْتُ : «بَخٍ بَخٍ» الْمُظْهِرِ لِلْبَشَاشَةِ ؛ وَذٰلِكَ : حِينَمَا لَقَّنَ الْإِيمَانُ ، أَنِّي مُرَشَّحٌ لِسَعَادَةٍ دَائِمَةٍ ، فِي وَطَنٍ بَاقٍ ، وَفِي عَالَمٍ دَائِمٍ ؛ وَلٰكِنْ لا يُمْكِنُ تَحَقُّقُ هٰذِهِ الْغَايَةِ الَّتِي هِيَ غَايَةُ الْخَيَالِ ، وَهَدَفُ الرُّوحِ ، وَنَتِيجَةُ الْفِطْرَةِ ، إِلَّا بِقُدْرَةِ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، لا حَدَّ لَهَا ، الَّذِي يَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِ وَأَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا ، وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا ، قَوْلاً وَفِعْلاً ؛ وَيُسَجِّلُهَا ؛ وَجَعَلَ هٰذَا النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ ، الصَّغِيرَ الْعَاجِزَ الْمُطْلَقَ ، مُخَاطَباً وَخَلِيلاً لَهُ ؛ وَأَعْطَاهُ مَقَاماً فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا ، وَإِلَّا بِإِعْطَائِهِ الْإِنْسَانَ ، اهْتِمَاماً وَعِنَايَةً بِلا نِهَايَةٍ ؛ فَبَيْنَمَا تَصَوَّرْتُ ذٰلِكَ ؛ إِذْ طَلَبْتُ إِيضَاحاً يُنْتِجُ انْكِشَافَ الْإِيمَانِ ، وَاطْمِئْنَانَ الْقَلْبِ ، فِي هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ : أَيْ فِي حَقِّ فَعَّالِيَّةِ قُدْرَةٍ هٰكَذَا ، وَفِي حَقِّ قِيمَةِ هٰذَا الْإِنْسَانِ حَقِيقَةً ، الَّذِي لا قِيمَةَ لَهُ ظَاهِراً ؛ فَرَاجَعْتُ أَيْضاً ، إِلىٰ تِلْكَ الْآيَةِ ؛ فَأَمَرَتْنِي وَقَالَتْ لِي : تَدَبَّرْ فِي ضَمِيرِ «نَا» فِي ﴿حَسْبُنَا﴾ ؛ وَاسْتَمِعْ : مَنْ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَعَكَ : ﴿حَسْبُنَا﴾ ، بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْقَالِ ؛ فَنَظَرْتُ ؛ فَإِذَا بِالطُّيُورِ وَالطُّوَيْرَاتِ ، الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، وَالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لا حِسَابَ لَهَا ، وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي لا نِهَايَةَ لَهَا ، وَالْأَشْجَارِ الَّتِي لا غَايَةَ لَهَا ؛ يَذْكُرْنَ أَيْضاً مِثْلِي ، بِلِسَانِ الْحَالِ ، مَعْنَى ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَيَجْذِبْنَ كُلَّ أَحَدٍ ، إِلَى

الذِّكْرِ ، حَيْثُ إِنَّ لَهَا ، وَكِيلاً يَتَكَفَّلُ جَمِيعَ شَرَائِطِ حَيَاتِهَا ؛ وَإِنَّ قُدْرَةً مَّا ، تَخْلُقُ مِئَاتِ آلاَفِ نَوْعٍ مِنَ الطُّيُورِ ، وَمِئَاتِ أُلُوفِ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَمِئَاتِ آلاَفِ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ ، وَمِئَاتِ أُلُوفِ صِنْفٍ مِنَ الأَشْجَارِ ؛ وَتَصْنَعُهَا مِنْ بَيْضَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ وَمُتَّحِدَةٍ مَوَادُّهَا ، وَمِنْ قَطَرَاتٍ مُتَمَاثِلَةٍ ، وَحَبَّاتٍ مُتَجَانِسَةٍ ، وَنَوَيَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ ؛ وَتَخْلُقُهَا أَمَامَ أَعْيُنِنَا مُزَيَّنَةً ، مَوْزُونَةً مُنْتَظِمَةً ، مُخْتَلِفَةً وَمُتَمَايِزَةً ، بِلاَ خَطَإٍ وَلاَ نُقْصَانٍ وَلاَ الْتِبَاسٍ ، فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَلاَسِيَّمَا فِي كُلِّ رَبِيعٍ ، بِغَايَةِ الْكَثْرَةِ وَالسُّهُولَةِ ، فِي دَائِرَةٍ وَاسِعَةٍ ؛ فَفَهِمْتُ أَنَّهُ يُرِينَا وَحْدَتَهُ وَأَحَدِيَّتَهُ ، بِإِيجَادِهَا عَلَىٰ نَمَطٍ وَاحِدٍ ، فِي اتِّحَادٍ وَتَشَابُهٍ وَتَدَاخُلٍ ، وَفِي حِشْمَةِ وَعَظَمَةِ قُدْرَةٍ كَذٰلِكَ ؛ وَيُعْلِمُنَا أَنَّ التَّدَخُّلَ وَالاشْتِرَاكَ ، فِي تَصَرُّفِ خَلاَّقِيَّةٍ ، وَفِعْلِ رُبُوبِيَّةٍ ، يُظْهِرَانِ مِثْلَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ ، الَّتِي لاَ حَدَّ لَهَا ، غَيْرُ مُمْكِنٍ ..

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْهَمَ مَاهِيَّتِي الإِنْسَانِيَّةَ ، وَهُوِيَّتِي الذَّاتِيَّةَ ، كَكُلِّ مُؤْمِنٍ ؛ وَيَتَمَنّى أَنْ يَكُونَ مِثْلِي ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِ ضَمِيرِ «أَنَا» : أَيْ نَفْسِيَ ، الْمَوْجُودِ فِي جَمْعِيَّةِ «نَا» فِي ﴿حَسْبُنَا﴾ ؛ وَلْيَفْهَمْ أَنَّهُ مَاذَا كَانَ وُجُودِي ، كَوُجُودِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، الَّذِي يُرى فَقِيراً وَحَقِيراً بِلاَ قِيمَةٍ ؟ وَمَا هِيَ الْحَيَاةُ ؟ وَمَا هِيَ الإِنْسَانِيَّةُ ؟ وَمَا هُوَ الإِسْلاَمُ ؟ وَمَا هُوَ الإِيمَانُ التَّحْقِيقِيُّ ؟ وَمَا هِيَ مَعْرِفَةُ اللهِ ؟ وَكَيْفَ كَانَ الْمَحَبَّةُ لَهُ ؟ وَلْيَتَلَقَّ دَرْسَهُ ، عَنْ ذٰلِكَ ..

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ الْعَوَارِضَ الَّتِي هَزَّتْ بَدَنِي ، كَالشَّيْبِ وَالْغُرْبَةِ ، وَالْمَرَضِ وَالذِّلَّةِ ، صَادَفَتْ زَمَناً مِنْ أَوْقَاتِ غَفْلَتِي ؛ فَأَوْرَثَتْ فَزَعاً أَلِيماً ؛ حَيْثُ إِنَّ وُجُودِيَ الَّذِي أَنَا مُفْتَتَنٌ وَمُتَعَلِّقٌ بِهِ شَدِيداً ، بَلْ وُوُجُودَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، يَذْهَبُ إِلَى الْعَدَمِ ؛ فَرَاجَعْتُ أَيْضاً ، إِلَىٰ هٰذِهِ الآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ ؛ فَقَالَتْ : تَأَمَّلْ فِي مَعْنَايَ ؛ وَانْظُرْ بِنَظَّارَةِ الإِيمَانِ ؛ فَنَظَرْتُ وَرَأَيْتُ بِعَيْنِ الإِيمَانِ : أَنَّ وُجُودِي ، كَوُجُودِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، الَّذِي يُشْبِهُ ذَرَّةً صَغِيرَةً ؛ إِنَّمَا هُوَ مِرْآةٌ لِوُجُودٍ لاَ حَدَّ لَهُ ، وَوَسِيلَةٌ لِتَحْصِيلِ أَنْوَاعِ وُجُودٍ ، لاَ حَدَّ لَهَا ، بِانْبِسَاطٍ لاَ نِهَايَةَ لَهُ ؛ وَكَلِمَةُ حِكْمَةٍ ، تُثْمِرُ أَنْوَاعَ وُجُودٍ ، مُتَعَدِّدَةً بَاقِيَةً ، أَغْلَىٰ مِنْهُ ؛ وَعَلِمْتُ بِعِلْمِ الْيَقِينِ : أَنَّ تَعَيُّشَهُ آناً وَاحِداً ، بِجِهَةِ الانْتِسَابِ إِلَى الصَّانِعِ ، أَغْلَىٰ

بِمِقْدَارِ وُجُودٍ أَبَدِيٍّ ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنّي عَلِمْتُ بِشُعُورِ الْإِيمَانِ : أَنّي حَيْثُ أَفْهَمُ أَنَّ وُجُودِي هٰذَا ، أَثَرُ وَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَصَنْعَتُهُ وَجِلْوَتُهُ ؛ أَنْجُو عَنْ آلَامِ أَنْوَاعِ الْفِرَاقِ وَالْمُفَارَقَةِ ، وَعَنْ أَوْهَامٍ وَحْشِيَّةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ ، بَيْنَ فِرَاقٍ مُؤَقَّتٍ ، وِصَالٌ دَائِمٌ ، إِلٰى جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي أُحِبُّهَا ؛ وَلِي بِهَا مُنَاسَبَةٌ بِرَوَابِطِ الْأُخُوَّةِ ، بِعَدَدِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَوْجُودَاتِ ، وَلَاسِيَّمَا بِذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَيَفُوزُ وُجُودِي هٰذَا ، كَوُجُودِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، بِأَنْوَارِ أَنْوَاعِ وُجُودٍ لَا حَدَّ لَهَا ، بِدُونِ فِرَاقٍ ، وَذٰلِكَ بِالْإِيمَانِ ، وَبِمَا فِيهِ مِنَ الِانْتِسَابِ ؛ فَلَوْ ذَهَبَ هُوَ نَفْسُهُ ؛ لَأَصْبَحَ مَسْرُوراً ؛ كَأَنَّهُ بَقِيَ هُوَ نَفْسُهُ ؛ حَيْثُ إِنَّ تِلْكَ الْأَنْوَاعَ مِنَ الْوُجُودِ ، تَبْقٰى وَرَاءَهُ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ الْمَوْتَ وِصَالٌ لَا فِرَاقٌ ، وَتَبْدِيلُ مَكَانٍ ، وَتَسَنْبُلُ ثَمَرَةٍ بَاقِيَةٍ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ الْخَامِسَةُ : أَنَّ حَيَاتِي تَزَلْزَلَتْ أَيْضاً فِي وَقْتٍ مَّا ، تَحْتَ شَرَائِطَ ثَقِيلَةٍ جِدّاً ؛ فَحَوَّلَتْ دِقَّةَ نَظَرِي ، إِلٰى حَيَاتِي وَعُمْرِي ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ عُمْرِي ، يَمْشِي عَادِياً ؛ وَاقْتَرَبَ إِلَى النِّهَايَةِ ؛ وَأَنَّ حَيَاتِي ، تَوَجَّهَتْ إِلٰى الِانْطِفَاءِ ، تَحْتَ الشَّدَائِدِ ؛ مَعَ أَنَّ وَظَائِفَ الْحَيَاةِ الْمُهِمَّةَ ، وَمَزَايَاهَا الْعَظِيمَةَ ، وَفَوَائِدَهَا الْقَيِّمَةَ ، الَّتِي أُوضِحَتْ فِي الرِّسَالَةِ الْبَاحِثَةِ عَنِ «اسْمِ الْحَيِّ» ، لَيْسَتْ تَلِيقُ بِمِثْلِ هٰذَا الِانْطِفَاءِ السَّرِيعِ ؛ بَلْ تَلِيقُ بِعَيْشٍ طَوِيلٍ ؛ هٰكَذَا تَصَوَّرْتُ مُتَأَلِّماً ؛ فَرَاجَعْتُ أَيْضاً ، إِلٰى آيَةِ ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، الَّتِي هِيَ أُسْتَاذِي ؛ فَقَالَتِ : انْظُرْ إِلَى الْحَيَاةِ ، بِحَسَبِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، الَّذِي وَهَبَكَ الْحَيَاةَ ؛ فَنَظَرْتُ وَرَأَيْتُ أَنَّ نَظَرَ حَيَاتِي ، إِلَيَّ ، إِنْ كَانَ وَاحِداً ؛ فَإِلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، مِئَةً ؛ وَأَنَّ نَتِيجَتَهَا الْعَائِدَةَ إِلَيَّ ، إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً ؛ فَالنَّتَائِجُ الْعَائِدَةُ إِلَى الْخَالِقِ ، أَلْفٌ . فَإِذاً يَكْفِي عَيْشُهَا فِي آنٍ وَاحِدٍ ، فِي دَائِرَةِ مَرْضَاةِ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ فَلَا تَقْتَضِي زَمَاناً مَدِيداً . . وَهٰذِهِ الْحَقِيقَةُ تُبَيَّنُ فِي «الشُّعَاعِ الرَّابِعِ» ، بِأَرْبَعِ مَسَائِلَ . فَالَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَمْوَاتاً ؛ أَوْ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَحْيَاءً ؛ فَلْيَطْلُبُوا مَاهِيَّةَ الْحَيَاةِ ، وَحَقِيقَتَهَا وَحُقُوقَهَا الْحَقِيقِيَّةَ ، فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ ؛ وَلْيَجِدُوهَا فِيهَا ؛ فَلْيَحْيَوْا بِهَا . .

وَخُلاصَتُهَا : أنَّ الْحَيَاةَ ، إذَا مَا نَظَرَتْ إلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ ؛ وَأَصْبَحَ الْإِيمَانُ ، حَيَاةً وَرُوحاً لِلْحَيَاةِ ؛ تَجِدُ الْبَقَاءَ ؛ وَتُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ بَاقِيَةً ؛ وَتَتَعَالَىٰ بِحَيْثُ تَتَّخِذُ جِلْوَةَ السَّرْمَدِيَّةِ ؛ فَلا تَنْظُرُ إلَىٰ قِصَرِ الْعُمُرِ ، وَطُولِهِ ، بَعْدُ . .

اَلْمَرْتَبَةُ النُّورِيَّةُ الْحَسْبِيَّةُ السَّادِسَةُ : أَنِّي ، حِينَمَا انْكَشَفَ مَا فِي فِطْرَتِي ، مِنْ حِسِّ الِافْتِتَانِ بِالْكَمَالاتِ ، وَعِشْقِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، بِحَسَّاسِيَّةٍ فَائِقَةٍ عَلَى الْعَادَةِ ، فِي آخِرِ عُمْرِي ، وَبِسَبَبِ الشَّيْبِ الَّذِي يُذَكِّرُ مُفَارَقَتِيَ الْخُصُوصِيَّةَ ، بَيْنَ أَحْدَاثِ آخِرِ الزَّمَانِ ، الَّتِي تُخْبِرُ عَنْ خَرَابِ الدُّنْيَا ، حِينَ الْمُفَارَقَةِ الْعُمُومِيَّةِ ؛ رَأَيْتُ بِتَأْثِيرٍ وَشُعُورٍ فَائِقَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ : أَنَّ الزَّوَالَ وَالْفَنَاءَ الْمُخَرِّبَيْنِ دَائِماً ، وَالْمَوْتَ وَالْعَدَمَ الْمُفَرِّقَيْنِ مُتَمَادِياً ؛ تَفْتِكُ بِهٰذِهِ الدُّنْيَا الْجَمِيلَةِ ، وَبِهٰؤُلاءِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَحْبُوبَةِ ؛ وَتُمَزِّقُهَا قِطَعاً ؛ وَتُفْسِدُ مَحَاسِنَهَا ، بِصُورَةٍ فَرِيعَةٍ ؛ فَلَمَّا عَصَىٰ مَا فِي فِطْرَتِي ، مِنَ الْعِشْقِ الْمَجَازِيِّ ؛ وَغَلَىٰ بِالشِّدَّةِ ، إزَاءَ هٰذَا الْحَالِ ؛ رَاجَعْتُ أَيْضاً ، إلَىٰ هٰذِهِ الْآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ ؛ لِأَجِدَ وَسِيلَةً لِلتَّسَلِّي ؛ فَقَالَتِ : اقْرَأْنِي ؛ وَانْظُرْ إلَىٰ مَعْنَايَ ، بِالْإِمْعَانِ ؛ فَدَخَلْتُ أنَا ، فِي مَرْصَدِ آيَةِ ﴿اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، إلَىٰ آخِرِهَا ، فِي سُورَةِ النُّورِ ؛ فَنَظَرْتُ بِنَظَّارَةِ الْإِيمَانِ ، إلَىٰ أَبْعَدِ طَبَقَاتِ هٰذِهِ الْآيَةِ الْحَسْبِيَّةِ ، وَبِمُجْهِرِ شُعُورِ الْإِيمَانِ ، إلَىٰ أَدَقِّ أَسْرَارِهَا ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ ، كَمَا أَنَّ الْمَرَايَا وَالزُّجَاجَاتِ ، وَالْأَشْيَاءَ الشَّفَّافَةَ ، حَتَّى الْحُبَابَاتِ ، تُظْهِرُ الْجَمَالَ الْمَخْفِيَّ الْمُتَنَوِّعَ ، مِنْ جَمَالِ ضِيَاءِ الشَّمْسِ ؛ وَتُظْهِرُ الْمَحَاسِنَ الْمُتَنَوِّعَةَ ، مِنْ مَحَاسِنِ أَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ ؛ وَتُجَدِّدُ ذٰلِكَ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ ، بِتَجَدُّدِهَا وَتَحَرُّكِهَا ؛ وَتُظْهِرُ بِقَابِلِيَّاتِهَا وَانْكِسَارَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، الْمَحَاسِنَ الْخَفِيَّةَ ، مِنْ مَحَاسِنِ الشَّمْسِ ، وَضِيَائِهَا وَأَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ ، إظْهَاراً جَمِيلاً ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ فَإِنَّ هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ الطَّيِّبَةَ ، وَالْمَخْلُوقَاتِ الْمَحْبُوبَةَ ، وَالْمَوْجُودَاتِ الْجَمِيلَةَ ، يَأْتِينَ وَيَذْهَبْنَ بِدُونِ أَنْ يَقِفْنَ أَصْلاً ؛ لِيُصْبِحْنَ مَرَايَا لِلْجَمَالِ الْقُدْسِيِّ ، مِنْ جَمَالِ الْجَمِيلِ الْجَلِيلِ ، الَّذِي هُوَ شَمْسُ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، وَلِلْمَحَاسِنِ السَّرْمَدِيَّةِ ، مِنْ مَحَاسِنِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ بِلا نِهَايَةٍ ؛ فَيَتَجَدَّدُ جِلْوَاتُهَا ؛ وَإنَّ مَا يُشَاهَدُ فِي هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْجَمَالِ ، لَيْسَتْ مُلْكَهَا ؛

بَلْ هِيَ جَلَوَاتٌ وَلَمَعَاتٌ ، وَعَلاَمَاتٌ وَإِشَارَاتٌ ، لِحُسْنٍ مُجَرَّدٍ وَمُنَزَّهٍ ، يَتَجَلّى وَيُرِيدُ الْمُشَاهَدَةَ دَائِماً ، وَلِجَمَالٍ مُقَدَّسٍ سَرْمَدِيٍّ ، يُرِيدُ التَّظَاهُرَ أَبَداً . .

وَقَدْ أُوضِحَ بِالتَّفْصِيلِ ، كَثِيرٌ مِنْ دَلاَئِلَ قَوِيَّةٍ ، عَلٰى هٰذَا ، فِي رِسَالَةِ النُّورِ ؛ وَذُكِرَ هٰهُنَا ، مِنْ تِلْكَ الدَّلاَئِلِ ، ثَلاَثَةُ بَرَاهِينَ ، بِاخْتِصَارٍ وَبِوَجْهٍ مَعْقُولٍ ؛ فَيَشْرَعُ فِي الْبَيَانِ . . وَكُلُّ مَنْ يَرٰى هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، مِنْ أَصْحَابِ الذَّوْقِ السَّلِيمِ ، يَبْقَوْنَ فِي الْحَيْرَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ السَّعْيَ لِاسْتِفَادَةِ غَيْرِهِمْ ، لاَزِماً مَاعَدَا اسْتِفَادَةَ أَنْفُسِهِمْ ؛ وَلاَسِيَّمَا أَنَّ الْبُرْهَانَ الثَّانِيَ ، تُبَيِّنُ فِيهِ ، خَمْسُ نِقَاطٍ . فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ فَاسِداً ؛ وَقَلْبُهُ رَمِيماً ؛ يَقُولُ لَهَا : «مَا شَاءَ اللّٰهُ ؛ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ» ، مَعَ التَّقْدِيرِ وَالتَّحْسِينِ وَالتَّصْوِيبِ لَهَا ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ وَيُعْلِي وُجُودَهُ الَّذِي يُرٰى فَقِيراً وَحَقِيراً ؛ وَيُدْرِكُ أَنَّ وُجُودَهُ ، مُعْجِزَةٌ خَارِقَةٌ ؛ وَيُصَدِّقُ ذٰلِكَ . .

فِهْرِسُ الشُّعَاعِ الرَّابِعِ : نُقِلَ إِلٰى هُنَا ، بِمُنَاسَبَةِ الْمَقَامِ . .

اَلرَّجَاءُ الْخَامِسَ عَشَرَ :(١)

أَنِّي كُنْتُ فِي وَقْتٍ مَّا ، مُكَلَّفاً بِالْإِقَامَةِ فِي قَضَاءِ «أَمِرْ دَاغِي» ؛ وَكُنْتُ مُنْفَرِداً فِي الْمَنْزِلِ ؛ كَأَنَّهُ سِجْنٌ مُفْرَدٌ ؛ فَسَئِمْتُ عَنِ الْحَيَاةِ ، مِنْ تَشْدِيدِهِمْ عَلَيَّ ، بِأَنْوَاعِ تَحَكُّمٍ وَتَرَصُّدٍ ، كَانَتْ تَثْقُلُ عَلَيَّ كَثِيراً ؛ فَتَأَسَّفْتُ عَلٰى خُرُوجِي عَنِ السِّجْنِ ؛ وَتَمَنَّيْتُ سِجْنَ مَدِينَةِ «دَنِزْلِي» ، بِرُوحِي وَقَلْبِي ؛ وَطَلَبْتُ الدُّخُولَ فِي الْقَبْرِ ؛ فَبَيْنَمَا عَزَمْتُ أَنْ أَدْخُلَ الْقَبْرَ أَوِ السِّجْنَ ؛ فَإِنَّ الْقَبْرَ وَالسِّجْنَ ، رَاجِحَانِ عَلٰى هٰذَا النَّوْعِ ، مِنَ الْحَيَاةِ ؛ إِذْ أَمَدَّتْنِي الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ؛ فَأَعْطَتْ جِهَازَ الْكِتَابَةِ وَالْاِسْتِنْسَاخِ ، الَّذِي صَدَرَ عَنْ جَدِيدٍ بِأَيْدِي «طَلَبَةِ الْمَدْرَسَةِ الزَّهْرَاءِ» الَّذِينَ أَقْلاَمُهُمْ ، جِهَازُ الْاِسْتِنْسَاخِ ؛ فَصَدَرَتْ دَفْعَةً ، كُلُّ مَجْمُوعَةٍ ، مِنْ مَجْمُوعَاتِ

---

(١) إِنَّ مُدَّةَ تَأْلِيفِ رِسَالَةِ النُّورِ ، انْتَهَتْ قَبْلَ ثَلاَثِ سِنِينَ ؛ فَكُتِبَ هٰذَا الرَّجَاءُ الْخَامِسَ عَشَرَ ، عَلٰى أَنْ يَكُونَ مَأْخَذاً لِتَكْمِيلِ «لَمْعَةِ الشِّيبِ» ، وَتَأْلِيفِ مَا بَقِيَ مِنْهَا ، مِنْ جَانِبِ طَالِبٍ مِنْ طَلَبَةِ النُّورِ ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

النُّورِ الْقَيِّمَة ، خَمْسَمِئَةِ نُسْخَةٍ ، بِقَلَمٍ وَاحِدٍ ؛ فَحَبَّبَ إِلَيَّ شُرُوعُهَا بِالْفُتُوحَات ، تِلْكَ الْحَيَاةَ الشَّدِيدَةَ ؛ وَأَنْطَقَنِي بِالشُّكْرِ لِلّهِ بِلا حَدٍّ ؛ فَبَعْدَ فَتْرَةٍ ، لَمْ يَتَحَمَّلِ الْأَعْدَاءُ الْأَخْفِيَاءُ ، لِرِسَالَةِ النُّورِ ، الْفُتُوحَ النُّورِيَّةَ ؛ فَسَاقُوا الْحُكُومَةَ عَلَيْنَا ؛ فَشَرَعَتِ الْحَيَاةُ ، بِالتَّثَاقُلِ عَلَيَّ أَيْضاً ؛ فَإِذَا بِالْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ تَجَلَّتْ ؛ فَطَالَعَ الْمُوَظَّفُونَ الْمُكَلَّفُونَ بِالْأَنْوَارِ ، الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ احْتِيَاجاً إِلَى الْأَنْوَارِ ؛ فَطَالَعُوا بِاعْتِبَارِ وَظِيفَتِهِمْ ، بِالْإِمْعَانِ وَالِاهْتِمَامِ ، مَا صُودِرَتْ مِنْ رَسَائِلِ النُّورِ ؛ وَلٰكِنَّ الْأَنْوَارَ أَمَالَتْ قُلُوبَهُمْ إِلَيْهَا ؛ فَاتَّسَعَتْ مَدْرَسَةُ النُّورِ كَثِيراً ، بِشُرُوعِهِمْ بِالتَّقْدِيرِ ، بَدَلاً عَنْ الِانْتِقَادِ ؛ فَأَنْتَجَ ذٰلِكَ ، نَفْعاً أَكْثَرَ مِنْ ضَرَرِنَا الْمَادِّيِّ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ فَنَزَّلَ فَزَعَنَا الشَّدِيدَ ، إِلٰى مَنْزِلَةِ الْعَدَمِ . .

ثُمَّ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْأَعْدَاءَ الْأَخْفِيَاءَ ، حَوَّلُوا نَظَرَ دِقَّةِ الْحُكُومَةِ ، إِلٰى شَخْصِي ؛ وَذَكَّرُوا حَيَاتِيَ السِّيَاسِيَّةَ الْقَدِيمَةَ ؛ فَأَوْهَمُوا الْعَدْلِيَّةَ ، وَدَائِرَةَ الْمَعَارِفِ ، وَدَائِرَةَ الشُّرْطَةِ ، وَوِزَارَةَ الدَّاخِلِيَّةِ ؛ فَاتَّسَعَتْ تِلْكَ الْأَوْهَامُ ، بِإِثَارَةِ الْفَوْضَوِيِّينَ ، تَحْتَ غِطَاءِ الشُّيُوعِيَّةِ ، وَتَيَّارِ الْأَحْزَابِ ؛ فَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَاعْتَقَلُونَا ؛ وَشَرَعُوا بِمُصَادَرَةِ مَا وَقَعَ بِأَيْدِيهِمْ ، مِنْ رَسَائِلِ النُّورِ ؛ فَطَرَأَ التَّعَطُّلُ ، عَلٰى فَعَّالِيَّةِ طَلَبَةِ النُّورِ ؛ وَوَقَعَ بَعْضُ الْمُوَظَّفِينَ الرَّسْمِيِّينَ ، فِي إِسْنَادِ أُمُورٍ لا يَعْتَقِدُهَا أَحَدٌ أَصْلاً ؛ وَاجْتَهَدُوا لِإِشَاعَةِ مُفْتَرَيَاتٍ عَجِيبَةٍ ؛ وَذٰلِكَ بِنِيَّةِ جَرْحِ شَخْصِي ؛ وَلٰكِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُقْنِعُوا أَحَداً ؛ ثُمَّ اعْتَقَلُونِي فِي أَشَدِّ أَيَّامِ الزَّمْهَرِيرِ بَرْداً ، بِوَسَائِلَ وَاهِيَةٍ جِدّاً ؛ فَسَجَنُونِي بَيْنَ تَجْرِيدٍ مُطْلَقٍ ، فِي غُرْفَةٍ كَبِيرَةٍ بَارِدَةٍ ، بِدُونِ مَوْقِدٍ ، مُنْذُ يَوْمَيْنِ ؛ وَقَدْ كُنْتُ أُوقِدُ الْمَوْقِدَ ، فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً ، فِي غُرْفَتِيَ الصَّغِيرَةِ ؛ وَكَانَتِ النَّارُ تُوجَدُ دَائِماً ، فِي مَنْقَلِي ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ كُنْتُ لا أَتَحَمَّلُهُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْمَرَضِ ، إِلّا بِكُلْفَةٍ ؛ وَإِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَرْتَجِفُ فِي هٰذَا الْحَالِ ، بَيْنَ حِدَّةٍ وَانْقِبَاضٍ شَدِيدٍ ، وَحُمّى مِنَ الْبُرُودَةِ ؛ إِذِ انْكَشَفَتْ حَقِيقَةٌ فِي قَلْبِي ، بِعِنَايَةٍ إِلٰهِيَّةٍ ؛ فَقِيلَ لِي مَعْنًى : إِنَّكَ سَمَّيْتَ السِّجْنَ ، بِالْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ نَتَائِجَ السِّجْنِ فِي مَدِينَةِ «دِنِزْلِي» ، مِثْلَ فُتُوحِ الْأَنْوَارِ ، فِي الدَّوَائِرِ الْكَبِيرَةِ ، وَاسْتِفَادَةِ الْمَسْجُونِينَ هُنَاكَ عَنِ الْأَنْوَارِ ، وَكَالرِّبْحِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْفَرَحِ الزَّائِدِ عَنِ

انْقِبَاضِكُمْ ، أَلْفَ دَرَجَةٍ ؛ جَعَلْتُكُمْ شَاكِرِينَ أَلْفَ شُكْرٍ ، عِوَضاً عَنِ الشَّكْوَى ؛ وَجَعَلْتُ كُلَّ سَاعَةٍ ، مِنْ سِجْنِكُمْ وَضِيقِكُمْ ، بِمَثَابَةِ عَشْرِ سَاعَاتٍ ، مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ وَجَعَلْتُ تِلْكَ السَّاعَاتِ الْفَانِيَةَ ، بَاقِيَةً ؛ وَإِنَّ اسْتِفَادَةَ الْمُصَابِينَ فِي هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الثَّالِثَةِ ، وَتَسَلِّيَهُمْ عَنِ الْأَنْوَارِ ، سَيُسَخِّنُ انْقِبَاضَكَ الْبَارِدَ الثَّقِيلَ هٰذَا ؛ وَيُحَوِّلُهُ إِلَى الْمَسَارِّ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ وَإِنَّ الَّذِينَ تُغِيظُهُمْ ، إِنْ خُدِعُوا ؛ فَإِنَّهُمْ يَظْلِمُونَكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؛ فَهُمْ غَيْرُ لَائِقِينَ بِالْغَيْظِ ؛ وَإِنْ كَانُوا يُعَذِّبُونَكَ ؛ وَيَظْلِمُونَكَ بِعَمْدٍ وَغَرَضٍ ، وَبِحِسَابِ الضَّلَالِ ؛ فَإِنَّهُمْ سَيَدْخُلُونَ سِجْنَ الْقَبْرِ الْمُفْرَدَ ، بِإِعْدَامِ الْمَوْتِ الْمُؤَبَّدِ ؛ وَيُقَاسُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الدَّائِمَ ، فِي زَمَنٍ قَرِيبٍ ؛ وَإِنَّكَ تَكْسِبُ مِنْ ظُلْمِهِمْ ، الثَّوَابَ وَاللَّذَائِذَ الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَإِبْقَاءَ سَاعَاتِكَ الْفَانِيَةِ ، وَأَدَاءَ خِدْمَةِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، بِالْإِخْلَاصِ ؛ هٰكَذَا أُخْطِرَ لِرُوحِي ؛ فَقُلْتُ بِكُلِّ قُوَّتِي : الْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ وَتَأَلَّمْتُ لِأُولَائِكَ الظَّلَمَةِ ، بِعَصَبِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَدَعَوْتُ لَهُمْ ؛ وَقُلْتُ : «اَللّٰهُمَّ أَصْلِحْهُمْ» ؛ فَكَمَا أَنَّ أُولَائِكَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ خِلَافَ الْقَانُونِ ، بِاسْمِ الْقَانُونِ ، هُمُ الْمُجْرِمُونَ بِالْأَصَالَةِ ؛ وَأَنَّ عَمَلَهُمْ ذٰلِكَ ، مُخَالِفٌ لِلْقَانُونِ ، بِعَشَرَةِ وُجُوهٍ ؛ كَمَا كَتَبْتُ ذٰلِكَ ، فِي إِفَادَتِي ، فِي هٰذِهِ الْحَادِثَةِ الْجَدِيدَةِ ، إِلَى وِزَارَةِ الدَّاخِلِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّهُمْ تَحَرَّوْا وَسَائِلَ تُضْحِكُ السَّامِعِينَ ، وَتُبْكِي الْمُحَقِّقِينَ ، بِحَيْثُ أَظْهَرُوا لِأَهْلِ الْإِنْصَافِ ، بِمُفْتَرَيَاتِهِمْ وَأَكَاذِيبِهِمْ : أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ الْإِمْكَانَ ، فِي جِهَةِ الْحَقِّ وَالْقَانُونِ ، أَنْ يَمَسُّوا «طَلَبَةَ رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِالضَّرَرِ ؛ فَيَقَعُونَ فِي الْجُنُونِ . .

فَمِنْهَا : أَنَّ الْمُوَظَّفِينَ الَّذِينَ تَجَسَّسُونَا شَهْراً ، لَمْ يَجِدُوا شَيْئاً ، وَسِيلَةً ؛ فَكَتَبُوا فِي وَرَقَةٍ : أَنَّ خَادِمَ «السَّعِيدِ» ، اشْتَرَى الْخَمْرَ مِنْ دُكَّانٍ ؛ وَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ ؛ فَلَا يَجِدُونَ أَحَداً ؛ لِيُوَقِّعَ عَلَى تِلْكَ الْوَرَقَةِ ؛ ثُمَّ يَعْتَقِلُونَ رَجُلاً غَرِيباً وَسَكْرَاناً ؛ فَيُهَدِّدُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ : تَعَالَ وَقِّعْ عَلَى هٰذِهِ الْوَرَقَةِ ؛ فَيَقُولُ الرَّجُلُ : تَوْبَةٌ عَلَى تَوْبَةٍ ، مَنِ الَّذِي يُوَقِّعُ عَلَى هٰذَا الْكَذِبِ الْعَجِيبِ ؟ فَأَجْبَرَهُمْ عَلَى شَقِّ الْوَرَقَةِ . .

وَالْمِثَالُ الثَّانِي : أَنَّ رَجُلاً لَا أَعْلَمُهُ وَلَا أَعْرِفُهُ الْآنَ أَيْضاً ، أَعْطَى فَرَسَهُ لِسِيَاحَتِي ؛

وَإِنِّي كُنْتُ أَسِيرُ فِي الصَّيْفِ ، فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ ، سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ ، بِقَصْدِ التَّنَفُّسِ ؛ وَذٰلِكَ ، لِأَنِّي كُنْتُ مَرِيضاً ؛ فَوَعَدْتُ صَاحِبَ ذٰلِكَ الْفَرَسِ وَالْعَرَبَةِ ، بِخَمْسِينَ لَيْرَةً ، مِنَ الْكِتَابِ ؛ كَيْلَا تَخْتَلَّ قَاعِدَتِي ؛ وَلَا أَدْخُلَ تَحْتَ الْمِنَّةِ . فَيَا عَجَباً ! هَلْ فِي هٰذَا الْأَمْرِ ، احْتِمَالُ ضَرَرٍ أَصْلاً ؟ مَعَ أَنَّ الْوَالِيَ ، وَمُوَظَّفِي الْعَدْلِيَّةِ ، وَقُوَّةَ الْأَمْنِ ، وَالشُّرْطَةَ ، سَأَلُونِي خَمْسِينَ مَرَّةً : لِمَنْ كَانَ ذٰلِكَ الْفَرَسُ ؟ فَكَأَنَّهَا حَادِثَةٌ سِيَاسِيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَوَاقِعَةٌ تَمَسُّ الْأَمْنَ ؛ حَتّٰى إِنَّ رَجُلَيْنِ ، قَالَ أَحَدُهُمَا حَمَاسَةً : إِنَّ الْفَرَسَ لِي ؛ وَالْآخَرُ : إِنَّ الْعَرَبَةَ لِي ، حَسْماً لِهٰذِهِ الْأَسْئِلَةِ الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا ؛ فَاعْتَقَلُوهُمَا مَعِي أَيْضاً . فَقِيَاساً عَلٰى هٰذَيْنِ الْمِثَالَيْنِ ، قَدْ تَفَرَّجْنَا عَلٰى كَثِيرٍ مِنْ أَلَاعِيبِهِمُ الطُّفُولِيَّةِ ؛ فَبَكَيْنَا ضَاحِكِينَ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ الَّذِينَ يَمَسُّونَ رِسَالَةَ النُّورِ ، وَطَلَبَتَهَا ، يُصْبِحُونَ سُخْرِيّاً . .

مُحَاوَرَةٌ لَطِيفَةٌ مِنْ تِلْكَ الْأَمْثِلَةِ : كُتِبَ فِي وَرَقَةِ اعْتِقَالِي : أَنَّ السَّبَبَ لِلِاعْتِقَالِ ، هُوَ جُرْمُ إِخْلَالِ الْأَمْنِ ؛ فَقُلْتُ لِلْمُدَّعِي الْعَامِّ ، قَبْلَ أَنْ أَرَى تِلْكَ الْوَرَقَةَ : إِنِّي اغْتَبْتُكَ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ ؛ وَقُلْتُ لِشُرْطِيٍّ أَنْطَقَنِي بِحِسَابِ مُدِيرِ الْأَمْنِ : إِنِّي إِنْ لَمْ أَخْدُمِ الْأَمْنَ الْعَامَّ ، فِي هٰذَا الْوَطَنِ ، مِقْدَارَ أَلْفِ مُدَّعٍ عَامٍّ ، وَأَلْفِ مُدِيرِ أَمْنٍ ؛ فَلْيَقْهَرْنِي اللهُ ؛ قُلْتُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . .

ثُمَّ إِنِّي اعْتَوَرَنِي غَيْظٌ وَاغْبِرَارٌ فَوْقَ الْعَادَةِ ، لِلَّذِينَ سَاقُونَا إِلٰى هٰذَا التَّهْجِيرِ وَالتَّجْرِيدِ ، وَالِاعْتِقَالِ وَالتَّضْيِيقِ ، فَوْقَ طَاقَتِي ، بِحَيْثُ يُشْعِرُ بِالْعَمْدِ وَالْغَرَضِ ؛ وَقَدْ كُنْتُ أَكْثَرَ مَا أَحْتَاجُ إِلَى الرَّاحَةِ وَعَدَمِ التَّبَرُّدِ ، وَتَرْكِ تَصَوُّرِ الدُّنْيَا ، فِي هٰذِهِ الْفَتْرَةِ ، وَفِي هٰذِهِ الْبُرُودَةِ ؛ فَأَمَدَّتْنِي عِنَايَةٌ ؛ وَأُخْطِرَ لِقَلْبِي ، إِخْطَاراً مَعْنَوِيّاً : أَنَّ فِي نَفْسِ ظُلْمِ النَّاسِ عَلَيْكَ ، حَظّاً عَظِيماً لِلْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ ، الَّذِي هُوَ عَيْنُ الْعَدْلِ ؛ وَأَنَّهُ يُوجَدُ فِي هٰذَا السِّجْنِ ، رِزْقُكَ الَّذِي تَطْعَمُهُ ؛ وَذٰلِكَ الرِّزْقُ دَعَاكَ إِلٰى هُنَا ؛ فَيَلْزَمُ اسْتِقْبَالُهُ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ؛ وَأَنَّ لِلْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ أَيْضاً ، نَصِيباً كَبِيراً ؛ وَهُوَ تَنْوِيرُ الَّذِينَ فِي هٰذَا السِّجْنِ ، وَتَسْلِيَتُهُمْ ، وَتَحْصِيلُ الثَّوَابِ لَكُمْ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَشْكُرَ آلَافَ الشُّكْرِ ، مَعَ الصَّبْرِ ، إِزَاءَ هٰذَا النَّصِيبِ ؛ وَكَذَا أَنَّ لِنَفْسِكَ أَيْضاً ، حِصَّةً

فِيهِ ، بِأَخْطَائِهَا الَّتِي لا تَعْلَمُهَا أَنْتَ ؛ فَعَلَيْكَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، أَنْ تَقُولَ لِنَفْسِكَ ، إِزَاءَ هٰذِهِ الْحِصَّةِ : إِنَّكِ اسْتَحَقْتِ هٰذِهِ الصَّفْعَةَ ؛ وَكَذَا أَنَّ لِلْأَعْدَاءِ الْأَخْفِيَاءِ أَيْضاً ، حِصَّةً ؛ حَيْثُ سَاقُوا بِالْإِغْفَالِ وَالدَّسَائِسِ ، بَعْضَ الْمُوَظَّفِينَ الْبُسَطَاءِ الْوَهَّامِينَ ، إِلٰى ذٰلِكَ الظُّلْمِ ؛ وَأَنَّ صَفَعَاتِ رِسَالَةِ النُّورِ ، الْمَعْنَوِيَّةَ الْمُدْهِشَةَ الَّتِي تَضْرِبُ بِهَا أُولٰئِكَ الْمُنَافِقِينَ ؛ تَنْتَقِمُ مِنْهُمْ تَمَاماً ؛ وَتَكْفِيهِمْ إِزَاءَ تِلْكَ الْحِصَّةِ ؛ وَأَنَّ الْحِصَّةَ الْأَخِيرَةَ ، هِيَ حِصَّةُ الْمُوَظَّفِينَ الرَّسْمِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا وَاسِطَةً لِذٰلِكَ الظُّلْمِ بِالْفِعْلِ ؛ فَمِنْ عُلُوِّ الْجَنَابِ ، أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُمْ ، إِزَاءَ هٰذِهِ الْحِصَّةِ ، بِدُسْتُورِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ؛ لِأَنَّهُمُ اسْتَفَادُوا بِالضَّرُورَةِ ، وَبِلا شَكٍّ ، مِنَ الْأَنْوَارِ ، فِي جِهَةِ الْإِيمَانِ ؛ حِينَمَا طَالَعُوهَا بِنِيَّةِ الِاعْتِرَاضِ .. فَمِنْ هٰذَا الْإِخْطَارِ الْحَقِيقِيِّ ، عَزَمْتُ عَلٰى فِعْلِ جُرْمٍ غَيْرِ ضَارٍّ ، وَمُوجِبٍ لِلْجَزَاءِ ، لِلْمُكْثِ فِي هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الْجَدِيدَةِ ، بِكَمَالِ الْفَرَحِ وَالشُّكْرِ ، بَلْ وَلِإِعَانَةِ الْمُعَارِضِينَ لِي ؛ وَأَيْضاً أَنَّ الْقَبْرَ خَيْرٌ مِنْ هٰذَا السِّجْنِ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ، لِإِنْسَانٍ مِثْلِي ، لا صِلَةَ لَهُ بِشَيْءٍ ؛ وَهُوَ فِي خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ مِنَ الْعُمْرِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْحَيَاةِ ، مِنْ أَحْبَابِهِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا ، إِلَّا خَمْسَةٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ ؛ وَلَهُ وَرَثَةٌ وَإِخْوَةٌ يُؤَدُّونَ خِدْمَةَ الْإِيمَانِ ، بِآلافِ الْأَلْسِنَةِ ، بَدَلاً عَنْ لِسَانٍ وَاحِدٍ ؛ وَبَقِيَتْ سَبْعُونَ أَلْفَ نُسْخَةٍ مِنْ رِسَالَةِ النُّورِ ، الَّتِي تُؤَدِّي الْوَظِيفَةَ النُّورِيَّةَ ؛ وَهِيَ تَطُوفُ حُرَّةً ؛ وَأَنَّ هٰذَا السِّجْنَ أَيْضاً ، أَزْيَدُ رَاحَةً ، وَأَكْثَرُ فَائِدَةً ، مِنَ السَّرَاحِ فِي خَارِجِهِ ، تَحْتَ تَحَكُّمَاتٍ لا حُرِّيَّةَ فِيهَا ؛ لِأَنَّهُ فِي السِّجْنِ يُضْطَرُّ مَعَ مِئَاتٍ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ، لِتَحَمُّلِ تَحَكُّمَاتٍ خَفِيفَةٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى الْمَصْلَحَةِ ، مِنْ طَرَفِ شَخْصٍ أَوْ شَخْصَيْنِ ، مِثْلِ رَئِيسِ الْحُرَّاسِ وَالْمُدِيرِ فَقَطْ ؛ وَذٰلِكَ ، إِزَاءَ مُقَاسَاتِهِ وَحْدَهُ ، فِي خَارِجِ السِّجْنِ ، تَحَكُّمَ مِئَاتٍ مِنْ مُوَظَّفِينَ لَهُمْ عَلاقَةٌ بِهِ ؛ وَأَنَّهُ يَجِدُ التَّسْلِيَةَ وَالتَّلْطِيفَ الْأَخَوِيَّ ، مِنْ كَثِيرِينَ مِنْ أَصْدِقَائِهِ ، فِي السِّجْنِ ، بَدَلاً عَنْ تِلْكَ التَّحَكُّمَاتِ الْخَفِيفَةِ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ تَرَحُّمَ شَفَقَةِ الْإِسْلامِ ، وَفِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ، عَلَى الْكُهُولِ فِي هٰذَا الْحَالِ ، يُحَوِّلُ الْمَشَقَّةَ إِلَى الرَّحْمَةِ ؛ فَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ ، رَضِيتُ بِالسِّجْنِ ؛ وَإِنِّي لَمَّا جِئْتُ إِلٰى هٰذِهِ

الْمَحْكَمَةِ الثَّالِثَةِ ؛ قَعَدْتُ عَلٰى كُرْسِيٍّ فِي خَارِجِ بَابِ الْمَحْكَمَةِ ، لِعَجْزِي عَنِ الْقِيَامِ ، مِنَ الضَّعْفِ وَالشَّيْبِ وَالْمَرَضِ ؛ فَإِذَا بِحَاكِمٍ ، جَاءَ وَغَضِبَ ؛ وَقَالَ مُسْتَحْقِراً : لِمَاذَا لَا يَنْتَظِرُ قَائِماً ؟ . فَغَضِبْتُ أَنَا ، لِهٰذَا الظُّلْمِ ، بِجِهَةِ الشَّيْبِ ؛ فَنَظَرْتُ ؛ فَإِذَا بِكَثِيرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا ، بِكَمَالِ الشَّفَقَةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ وَاجْتَمَعُوا حَوْلَنَا ؛ فَلَا يُفَرَّقُونَ ؛ فَإِذَا بِحَقِيقَتَيْنِ أُخْطِرَتَا عَلٰى قَلْبِي :

اَلْأُولٰى : هِيَ أَنَّ أَعْدَائِي وَأَعْدَاءَ النُّورِ ، السِّرِّيِّينَ ، أَغْفَلُوا بَعْضَ الْمُوَظَّفِينَ الرَّسْمِيِّينَ الْبُسَطَاءِ ، ظَانِّينَ أَنَّ فُتُوحَ النُّورِ ، تُسَدُّ بِنَقْضِ تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ ، فِي حَقِّي ، ذٰلِكَ التَّوَجُّهِ الَّذِي لَا أَطْلُبُهُ ؛ فَسَاقُوهُمْ إِلٰى مِثْلِ هٰذَا التَّعَامُلِ الْمُسْتَحْقِرِ ؛ وَذٰلِكَ بِنِيَّةِ جَرْحِ شَخْصِي ، فِي نَظَرِ الشَّعْبِ ؛ فَقَالَتِ الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ، إِزَاءَ هٰذَا الْحَالِ : انْظُرْ إِلٰى هٰؤُلَاءِ الْمِئَةِ مِنَ النَّاسِ ، بَدَلاً عَنْ إِهَانَةِ ذٰلِكَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَكُمْ وَيُشَيِّعُونَكُمْ مُلْتَزِمِينَ لَكُمْ ؛ وَيَتَأَلَّمُونَ لَكُمْ ، مُشْفِقِينَ عَلَيْكُمْ ، مَعَ تَقْدِيرِهِمْ لِخِدْمَتِكُمْ ، إِكْرَاماً إِلٰهِيّاً ، إِزَاءَ خِدْمَةِ الْأَنْوَارِ لِلْإِيمَانِ ، بَدَلاً عَنْ هٰذَا التَّعَامُلِ الْمُسْتَحْقِرِ ؛ حَتّٰى إِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أُجِيبُ عَلٰى أَسْئِلَةِ الْمُدَّعِي الْعَامِّ ، فِي دَائِرَةِ الْمُسْتَنْطِقِ ؛ إِذِ اجْتَمَعَ النَّاسُ ، مِقْدَارَ أَلْفٍ ، بِكَمَالِ الْعَلَاقَةِ ، فِي قَاعَةِ الْحُكُومَةِ ، وَأَمَامَ نَوَافِذِ الْمَحْكَمَةِ ؛ فَكَانَ يُشَاهَدُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، أَنَّهُمْ يُفِيدُونَ بِلِسَانِ الْحَالِ ، قَائِلِينَ : لَا تُشَدِّدُوا عَلٰى هٰؤُلَاءِ ؛ وَكَانَتِ الشُّرْطَةُ ، لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفَرِّقَهُمْ ؛ فَأُخْطِرَ عَلٰى قَلْبِي : أَنَّ هٰؤُلَاءِ النَّاسَ ، يَطْلُبُونَ فِي هٰذَا الْعَصْرِ الْمُهْلِكِ ، تَسَلِّياً تَامّاً ، وَنُوراً لَا يَنْطَفِئُ ، وَإِيمَاناً قَوِيّاً ، وَبِشَارَةً صَادِقَةً ، لِلسَّعَادَةِ الْبَاقِيَةِ ؛ وَيَتَحَرَّوْنَهَا فِطْرَةً ؛ وَسَمِعُوا أَنَّ مَطْلَبَهُمْ يُوجَدُ فِي رَسَائِلِ النُّورِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُظْهِرُونَ الِالْتِفَاتَ إِلٰى شَخْصِيَ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ ، أَزْيَدَ مِنْ حَدِّي بِكَثِيرٍ ؛ وَذٰلِكَ لِنَبْذَةٍ مِنْ خِدْمَتِي لِلْإِيمَانِ . .

اَلْحَقِيقَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ أُخْطِرَ لِي : أَنَّهُ يُوجَدُ لَكُمْ ، تَحْسِينُ الْحَقِيقَةِ وَالنَّسْلِ الْآتِي ، عَلٰى وَجْهِ التَّقْدِيرِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ ، إِزَاءَ التَّعَامُلِ السَّيِّئِ الْمُسْتَحْقِرِ ، مِنْ أَشْخَاصٍ مَحْدُودِينَ وَمَخْدُوعِينَ ؛ وَذٰلِكَ بِنِيَّةِ نَقْضِ تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ ، وَبِقَصْدِ الْإِهَانَةِ بِكُمْ ، بِتَوَهُّمِ إِخْلَالِ الْأَمْنِ .

نَعَمْ : إِنَّ رِسَالَةَ النُّورِ ، وَطَلَبَتَهَا ، يَجْتَهِدُونَ لِتَأْمِينِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ ، إِزَاءَ سَعْيِ الْفَوْضَوِيَّةِ ، تَحْتَ سِتَارِ الشُّيُوعِيَّةِ ، لِإِخْلَالِ الْأَمْنِ الْعَامِّ ، سَعْياً فَرِيعاً ؛ وَإِنَّهُمْ يُوقِفُونَ ذٰلِكَ الْإِفْسَادَ الْهَائِلَ ؛ وَيَنْقُضُونَهُمْ ، فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هٰذَا الْوَطَنِ ، بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تَجِدْ ثَلَاثُ مَحَاكِمَ ، أَوْ أَرْبَعٌ مِنَ الْمَحَاكِمِ الَّتِي لَهَا عَلَاقَةٌ بِرِسَالَةِ النُّورِ ، حَادِثَةً وَاحِدَةً ، تَعُودُ إِلَى إِخْلَالِ الْأَمْنِ ؛ وَلَمْ تُسَجِّلْهَا شُرْطَةُ عَشْرِ وِلَايَاتٍ ، فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الْعِشْرِينَ ، مِنْ طُلَّابِ النُّورِ ، الْكَثِيرِينَ جِدّاً ، فِي كُلِّ نَوَاحِي الْبِلَادِ ؛ وَإِنَّ قِسْماً مُنْصِفاً ، مِنْ شُرْطَةِ ثَلَاثِ وِلَايَاتٍ ، قَالُوا : إِنَّ طُلَّابَ النُّورِ ، شُرْطَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ؛ وَإِنَّهُمْ يُعِينُونَنَا فِي حِفْظِ الْأَمْنِ ؛ وَيَدَعُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ مَنْ يَقْرَأُ النُّورَ ، حَارِساً بِالْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ؛ وَيَعْمَلُونَ بِذٰلِكَ ، لِتَأْمِينِ الْأَمْنِ ؛ وَإِنَّ سِجْنَ وِلَايَةِ «دَنِزْلِي» ، مِثَالٌ لِهٰذَا الْحَالِ ؛ فَإِنَّ أُولٰئِكَ الْمَسْجُونِينَ الَّذِينَ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ مِئَتَيْنِ ، تَلَبَّسُوا بِصَلَاحِ الْحَالِ ؛ وَأَصْبَحُوا مُطِيعِينَ مُتَدَيِّنِينَ فَوْقَ الْعَادَةِ ، خِلَالَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ ، بِدُخُولِ الْأَنْوَارِ ، وَ«رِسَالَةِ الثَّمَرَةِ» الْمُؤَلَّفَةِ لِأُولٰئِكَ الْمَسْجُونِينَ هُنَاكَ ، بِحَيْثُ أَصْبَحَ رَجُلٌ قَتَلَ ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً قَتْلَى ، يَتَّقِي عَنْ قَتْلِ السُّوسِ ؛ فَشَرَعَ يَصِيرُ عُضْواً نَافِعاً ، غَيْرَ ضَارٍّ بِالْوَطَنِ ، رَحِيماً رَحْمَةً تَامَّةً ؛ حَتَّى إِنَّ الْمُوَظَّفِينَ الرَّسْمِيِّينَ ، كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى هٰذَا الْحَالِ ، بِالْحَيْرَةِ وَالتَّقْدِيرِ ؛ وَكَذَا أَنَّ بَعْضَ الشَّبَابِ ، قَالُوا قَبْلَ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِمْ ، بِالْجَزَاءِ : إِنَّ النُّورِيِّينَ إِذَا بَقُوا فِي السِّجْنِ ؛ نَجْعَلُ أَنْفُسَنَا مَحْكُوماً عَلَيْهَا ؛ وَنَسْعَى لِلْحُكْمِ عَلَيْنَا ، بِالْجَزَاءِ ؛ كَيْ نَأْخُذَ عَنْهُمُ الدَّرْسَ ؛ وَنُصْبِحَ مِثْلَهُمْ ؛ وَنُصْلِحَ أَنْفُسَنَا بِدُرُوسِهِمْ . فَإِذاً إِنَّ الَّذِينَ يَتَّهِمُونَ طَلَبَةَ النُّورِ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى هٰذِهِ الْمَاهِيَّةِ ، بِإِخْلَالِ الْأَمْنِ ؛ فَإِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إِمَّا انْخَدَعُوا أَوْ خُودِعُوا بِشَكْلٍ سَيِّئٍ جِدّاً ؛ وَإِمَّا أَنَّهُمْ يُغْفِلُونَ الْحُكُومَةَ ، بِحِسَابِ الْفَوْضَوِيَّةِ ، عِلْماً أَوْ بِدُونِ عِلْمٍ ؛ فَيَسْعَوْنَ لِسَحْقِنَا بِالْأَذَى . .

فَنَحْنُ نَقُولُ لِهٰؤُلَاءِ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُقْتَلُ ؛ وَالْقَبْرُ لَا يُسَدُّ ؛ وَالْمُسَافِرُونَ فِي مَضِيفَةِ الدُّنْيَا ، يَدْخُلُونَ وَرَاءَ التُّرَابِ ، رَكْباً بَعْدَ رَكْبٍ ؛ وَيَغِيبُونَ فِيهِ ، بِغَايَةِ السُّرْعَةِ وَالْحَذَرِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّنَا سَيَفْتَرِقُ بَعْضُنَا ، عَنْ بَعْضٍ ، مِنْ قَرِيبٍ جِدّاً ؛ فَتَجِدُونَ جَزَاءَ

ظُلْمِكُمْ ، بِوَجْهٍ فَزِيعٍ ؛ وَلا أَقَلَّ أَنْ تَصْعَدُوا عَلٰى مِشْنَقِ إِعْدَامِ الْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ الَّذِي هُوَ تَذْكِرَةُ التَّسْرِيحِ ، فِي حَقِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْمَظْلُومِينَ ؛ وَتَعُودُ الْأَذْوَاقُ الْفَانِيَةُ الَّتِي ذُقْتُمُوهَا بِتَوَهُّمِ الْأَبَدِيَّةِ فِي الدُّنْيَا ، إِلَى الْآلَامِ الْأَلِيمَةِ الْبَاقِيَةِ . .

وَإِنَّ أَعْدَاءَنَا الْأَخْفِيَاءَ الْمُنَافِقِينَ ، يُطْلِقُونَ أَحْيَاناً ، اسْمَ «الطَّرِيقَةِ» ، عَلٰى حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ ، الَّتِي حُفِظَتْ بِسُيُوفِ مِئَاتِ الْمَلَايِينِ ، مِنَ الْغُزَاةِ الْأَبْطَالِ ، وَالشُّهَدَاءِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَرْتَبَةِ الْأَوْلِيَاءِ ، مِنْ هٰذَا الشَّعْبِ الْمُتَدَيِّنِ ؛ وَظُفِرَ بِهَا بِدِمَائِهِمْ ؛ وَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ مَشْرَبَ «الطَّرِيقَةِ» الَّتِي هِيَ شُعَاعَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّمْسِ ، أَنَّهُ عَيْنُ تِلْكَ الشَّمْسِ ؛ فَيَخْدَعُونَ بِذٰلِكَ ، بَعْضَ الَّذِينَ لَا تَأَمُّلَ لَهُمْ ، مِنَ الْمُوَظَّفِينَ الرَّسْمِيِّينَ ؛ وَيُسَمُّونَ طَلَبَةَ النُّورِ ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ ، وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، بِصُورَةٍ مُؤَثِّرَةٍ ، يُسَمُّونَهُمْ بِأَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، وَبِجَمْعِيَّةِ السِّيَاسَةِ ؛ فَيُرِيدُونَ بِذٰلِكَ ، أَنْ يَسُوقُوا الْمُوَظَّفِينَ ، إِلٰى مُعَارَضَتِنَا ، مَعَ الْأَسَفِ . .

فَنَحْنُ نَقُولُ لَهُمْ ، وَلِلَّذِينَ يُصْغُونَ إِلَيْهِمْ ، فِي مُعَارَضَتِنَا ؛ كَمَا قُلْنَا فِي مَحْكَمَةِ «دِنِزْلِي» الْعَادِلَةِ : «فَلْتُفْدَ رُؤُوسُنَا أَيْضاً ، لِحَقِيقَةٍ قُدُسِيَّةٍ فُدِيَتْ لَهَا مِئَاتُ مَلَايِينِ الرُّؤُوسِ ؛ فَلَوْ أَوْقَدْتُمُ الدُّنْيَا ، عَلٰى رُؤُوسِنَا نَاراً ؛ لَمَا سَلَّمَتْ هٰذِهِ الرُّؤُوسُ الَّتِي فُدِيَتْ لِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ ، سِلَاحَهَا إِلَى الزَّنْدَقَةِ ؛ وَلَمَا تَخَلَّفَتْ عَنْ وَظِيفَتِهَا الْقُدُسِيَّةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ» . .

فَهَا إِنِّي لَا أُبَدِّلُ أَشَدَّ سَنَةٍ مِنْ شَيْبِي هٰذَا ، بِعَشْرِ سِنِينَ ، مِنْ أَفْرَحِ سَنَوَاتِ شَبَابِي ؛ وَذٰلِكَ بِسَبَبِ تَسْلِيَاتٍ قُدُسِيَّاتٍ أَدْرَكْتُ إِلٰى مَدَدِي ، مِنَ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ، لِلْيَأْسِ وَالْآلَامِ النَّاشِئَةِ عَنْ مَصَائِبَ مَضَتْ عَلٰى شَيْبِي ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ مَنْ تَابَ ؛ وَأَقَامَ صَلَوَاتِهِ الْمَفْرُوضَةَ ، فِي السِّجْنِ ، تُصْبِحُ فِي حُكْمِ عَشْرِ سَاعَاتٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ يَوْمٍ فَانٍ فِي الْمَرَضِ ، تَحْتَ الظُّلْمِ ، يُكْسِبُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ، مِنْ عُمْرٍ بَاقٍ ، فِي جِهَةِ الثَّوَابِ ؛ فَبِذٰلِكَ يُصْبِحُ الشَّيْبُ وَالسِّجْنُ ، وَسِيلَةَ الشُّكْرِ ، لِأَمْثَالِيَ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ دَوْرَتَهُمْ ، بِبَابِ الْقَبْرِ ؛ هٰكَذَا عَلِمْتُهُ مِنْ ذٰلِكَ الْإِخْطَارِ الْمَعْنَوِيِّ ؛ وَشَكَرْتُ اللهَ ، قَائِلاً : شُكْراً لِرَبِّي ، بِلَا حَدٍّ ؛ وَفَرِحْتُ بِشَيْبِي ؛ وَرَضِيتُ بِسَجْنِي ؛ وَذٰلِكَ ، لِأَنَّ الْعُمْرَ لَا يَمْكُثُ ؛ وَيَمْضِي سَرِيعاً ؛

فَإِذَا مَضَى بِالْفَرَحِ وَاللَّذَّةِ ؛ يَزُولُ فَانِياً ، مَعَ تَأَسُّفٍ ؛ لِأَنَّ زَوَالَ اللَّذَّةِ أَلَمٌ ؛ وَيَتْرُكُ فِي مَكَانِهِ ، بَعْضَ الذُّنُوبِ ، بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ ، وَتَرْكِ الشُّكْرِ ؛ وَإِنْ مَضَى الْعُمْرُ ، بِالسَّجْنِ وَالْمَشَقَّةِ ؛ يُصْبِحُ بَاقِياً ؛ لِأَنَّهُ يُعَدُّ نَوْعاً مِنَ الْعِبَادَةِ ؛ وَلِأَنَّ زَوَالَ الْأَلَمِ لَذَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ؛ وَيُحَصِّلُ عُمْراً بَاقِياً ، بِثَمَرَاتِهِ النَّافِعَةِ ؛ وَيُصْبِحُ كَفَّارَةً لِلذُّنُوبِ السَّالِفَةِ ؛ وَيُنَظِّفُ الْخَطَايَا الْمُوجِبَةَ لِلسَّجْنِ ؛ فَلْيَشْكُرْ مَعَ الصَّبْرِ ، الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْفَرَائِضَ ، مِنَ الْمَسْجُونِينَ ، مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ . .

اَلرَّجَاءُ السَّادِسَ عَشَرَ :

أَنِّي فِي زَمَنٍ مِنَ الشَّيْبِ ، قَضَيْتُ سَنَةً مِنَ الْجَزَاءِ ؛ فَخَرَجْتُ عَنْ سِجْنِ مُحَافَظَةِ «أَسْكِيشَهِرَ» ؛ فَنَفَوْنِي إِلَى مُحَافَظَةِ «قَسْطَمُونِي» ؛ وَأَضَافُونِي شَهْرَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، فِي مَخْفِرِ الشُّرْطَةِ . وَيُفْهَمُ أَنَّ مُنْعَزِلاً مِثْلِي ، الَّذِي يَنْقَبِضُ عَنْ زِيَارَةِ أَصْدِقَائِهِ الصَّادِقِينَ ؛ وَلَا يَتَحَمَّلُ تَبْدِيلَ زِيِّهِ الْخَاصِّ ، بِالزِّيِّ الرَّسْمِيِّ ، كَيْفَ يُقَاسِي الْعَذَابَ ، فِي مِثْلِ هٰذَا الْمَكَانِ ؟ فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي هٰذَا الْيَأْسِ ؛ إِذْ أَدْرَكَتِ الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ إِلَى مَدَدِ شَيْبِي ؛ فَأَصْبَحَ الشُّرْطَةُ مَعَ رُؤَسَائِهِمْ فِي ذٰلِكَ الْمَخْفِرِ ، بِمَثَابَةِ الْأَصْدِقَاءِ الصَّادِقِينَ ؛ وَلَمْ يُذَكِّرُوا وَقْتاً مَّا ، وَضْعَ الْقُبَّعَةِ عَلَى رَأْسِي ؛ كَمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ بِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، كَخُدَّامِي ، مَتَى شِئْتُ ؛ ثُمَّ دَخَلْتُ فِي مَدْرَسَةِ «قَسْطَمُونِي» النُّورِيَّةِ ، تِجَاهَ ذٰلِكَ الْمَخْفِرِ ؛ فَشَرَعْتُ بِتَأْلِيفِ الْأَنْوَارِ ؛ فَوَاظَبَ أَبْطَالُ طُلَّابِ النُّورِ مِثْلُ : «فَيْضِيٍّ ، أَمِينٍ ، حِلْمِيٍّ ، صَادِقٍ ، نَظِيفٍ ، وَصَلَاحِ الدِّينِ» عَلَى تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ ، لِنَشْرِ الْأَنْوَارِ وَاسْتِنْسَاخِهَا ؛ فَأَرَوْنِي بِأَشْرَقِ صُورَةٍ ، مَا قَضَيْتُهَا فِي شَبَابِي ، مِنَ الْمُذَاكَرَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْقَيِّمَةِ مَعَ طُلَّابِيَ الْمُتَقَدِّمِينَ ؛ ثُمَّ أَوْهَمَ أَعْدَاؤُنَا الْأَخْفِيَاءُ ، بَعْضاً مِنَ الْمُوَظَّفِينَ ، وَقِسْماً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ ، فِي حَقِّنَا ؛ فَأَصْبَحُوا وَسِيلَةً لِإِلْقَائِنَا فِي سِجْنِ مُحَافَظَةِ «دَنِزْلِي» ، وَلِجَمْعِ طُلَّابِ النُّورِ الْوَارِدِينَ عَنْ خَمْسٍ أَوْ سِتِّ مُحَافَظَاتٍ ، فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ . وَتَفَاصِيلُ هٰذَا الرَّجَاءِ السَّادِسَ عَشَرَ ، هِيَ الرَّسَائِلُ الَّتِي أُرْسِلَتْ مِنْ «قَسْطَمُونِي» ؛ وَدَخَلَتْ فِي الرَّسَائِلِ الْمُلْحَقَةِ ؛ وَالرَّسَائِلُ الصِّغَارُ الَّتِي أَرْسَلْتُهَا سِرّاً ، فِي

سِجْنِ «دَنِزْلِي» ، إِلٰى إِخْوَانِي فِيهِ ؛ وَرِسَالَةُ الدِّفَاعِ فِي مَحْكَمَتِهَا ؛ فَهٰذِهِ الرَّسَائِلُ تُبَيِّنُ حَقِيقَةَ هٰذَا الرَّجَاءِ ، بِصُورَةٍ لاَمِعَةٍ ؛ فَنُحِيلُ تَفْصِيلاَتِهِ إِلَى الْمُلْحَقَاتِ وَرِسَالَةِ الدِّفَاعِ ؛ وَنُشِيرُ إِلَيْهِ إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً جِدّاً ؛ وَهِيَ : أَنِّي كُنْتُ احْتَفَظْتُ الْمَجْمُوعَاتِ الْمُهِمَّةَ وَالْمُحَرَّمَةَ ، وَلاَسِيَّمَا الرَّسَائِلِ الْبَاحِثَةِ عَنِ السُّفْيَانِيِّ ، وَعَنْ كَرَامَاتِ النُّورِ ؛ وَاحْتَفَظْتُهَا تَحْتَ الْحَطَبِ وَالْفَحْمِ حَتّٰى تُنْشَرَ بَعْدَ وَفَاتِي ، أَوْ بَعْدَمَا يَتَّخِذُ الرُّؤَسَاءُ عُقُولَهُمْ إِلَى رُؤُوسِهِمْ ؛ فَيَسْتَمِعُونَ الْحَقِيقَةَ ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ مُسْتَرِيحاً ؛ فَإِذَا بِمُوَظَّفِي التَّحَرِّي ، وَنَائِبِ الْمُدَّعِي الْعَامِّ ، دَاهَمُوا مَنْزِلِي ؛ فَأَخْرَجُوا تِلْكَ الرَّسَائِلَ الْمُهِمَّةَ الْمَسْتُورَةَ ، مِنْ تَحْتِ الْأَحْطَابِ ؛ وَاعْتَقَلُونِي ؛ فَأَرْسَلُونِي إِلٰى سِجْنِ مُحَافَظَةِ «إِسْپَارْطَةَ» ، وَأَنَا مُخْتَلُّ الصِّحَّةِ ؛ فَكُنْتُ مُتَأَلِّماً كَثِيراً ، وَمُتَأَثِّراً تَأَثُّراً هَائِلاً ، عَنْ تِلْكَ الضَّرْبَةِ النَّازِلَةِ بِالْأَنْوَارِ ؛ فَإِذَا بِعِنَايَةٍ إِلٰهِيَّةٍ أَدْرَكَتْ إِلٰى مَدَدِنَا ؛ فَشَرَعَ مُوَظَّفُو الْحُكُومَةِ بِقِرَاءَةِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ الْمُهِمَّةِ الْمَخْفِيَّةِ ، الَّتِي كَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا كَثِيراً ؛ وَقَرَأُوهَا بِكَمَالِ الاِهْتِمَامِ وَالتَّدَبُّرِ ؛ حَتّٰى أَصْبَحَتِ الدَّوَائِرُ الرَّسْمِيَّةُ ، كَأَنَّهَا مَدَارِسُ نُورِيَّةٌ ؛ وَشَرَعُوا بِالتَّقْدِيرِ ، وَكَانَتْ نِيَّتُهُمُ الاِنْتِقَادَ ؛ حَتّٰى إِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الرِّجَالِ الرَّسْمِيِّينَ ، وَغَيْرِ الرَّسْمِيِّينَ فِي «دَنِزْلِي» ، كَانُوا قَرَأُوا رِسَالَةَ «الْآيَةِ الْكُبْرٰى» الْمَطْبُوعَةَ ؛ قَرَأُوهَا تَحْتَ السِّتَارِ ، بِصُورَةٍ فَوْقَ الْعَادَةِ ؛ وَأَنْقَذُوا إِيمَانَهُمْ بِهَا ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا خَبَرٌ عَنْ ذٰلِكَ ؛ فَأَنْزَلُوا مُصِيبَةَ سَجْنِنَا إِلٰى مَنْزِلَةِ الْعَدَمِ ؛ ثُمَّ نَقَلُونَا إِلٰى سِجْنِ «دَنِزْلِي» ؛ فَأَدْخَلُونِي فِي غُرْفَةٍ بَارِدَةٍ نَدِيَّةٍ وَمُتَعَفِّنَةٍ ، بَيْنَ التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ أَرْتَعِدُ بَيْنَ الشَّيْبِ وَالْمَرَضِ ، وَالتَّأَلُّمِ الْكَثِيرِ النَّازِلِ عَلَيَّ ، عَنْ مَشَقَّةِ إِخْوَانِيَ الْمَعْصُومِينَ ، الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الْمِحْنَةِ مِنْ أَجْلِي ، وَبَيْنَ التَّلَهُّفِ وَالاِنْقِبَاضِ الْكَثِيرِ ، النَّاشِئِ عَنْ تَعْطِيلِ الْأَنْوَارِ وَمُصَادَرَتِهَا ؛ إِذْ أَمَدَّتْنَا الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ؛ فَحَوَّلَتْ ذٰلِكَ السِّجْنَ الْكَبِيرَ ، إِلٰى مَدْرَسَةٍ نُورِيَّةٍ ؛ وَأَثْبَتَتْ أَنَّ السِّجْنَ مَدْرَسَةٌ يُوسُفِيَّةٌ ؛ فَشَرَعَتِ الْأَنْوَارُ بِالاِنْتِشَارِ ، بِأَقْلاَمِ أَبْطَالِ الْمَدْرَسَةِ الزَّهْرَاءِ ، تِلْكَ الْأَقْلاَمِ الْأَلْمَاسِيَّةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ بَطَلَ النُّورِ ، كَتَبَ مِنْ رِسَالَتَيِ «الثَّمَرَةِ وَالدِّفَاعِ» ، مَا يَزِيدُ عَلٰى عِشْرِينَ نُسْخَةً ، خِلاَلَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ ، بَيْنَ تِلْكَ الشَّرَائِطِ الثَّقِيلَةِ ؛ فَشَرَعَتَا بِالْفُتُوحَاتِ فِي السِّجْنِ ، وَفِي خَارِجِهِ ؛ وَحَوَّلَتِ

الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ضَرَرَنَا فِي تِلْكَ الْمُصِيبَةِ ، إِلَى مَنَافِعَ عَظِيمَةٍ ، وَانْقِبَاضَنَا إِلَى مَسَارَّ جَسِيمَةٍ ؛ وَأَظْهَرَتْ ثَانِياً سِرَّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ . .

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْخِبْرَةِ الْأُوَلَ ، انْتَقَدُوا عَلَيْنَا بِالشِّدَّةِ ، بِنَاءً عَلَى سِجِلَّاتٍ خَاطِئَةٍ سَطْحِيَّةٍ ؛ وَهَاجَمَ عَلَيْنَا وَزِيرُ الْمَعَارِفِ ؛ وَنَشَرَ بَيَاناً عَلَيْنَا ؛ حَتَّى إِنَّا سَمِعْنَا بِبَعْضِ الْأَخْبَارِ ، أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لِإِعْدَامِ بَعْضٍ مِنَّا ؛ فَأَمَدَّتْنَا عِنَايَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ؛ فَكُنَّا نَنْتَظِرُ الانْتِقَادَ الشَّدِيدَ ، عَنْ أَهْلِ الْخِبْرَةِ فِي «أَنْقَرَة» ، أَوَّلاً ؛ إِذَا بِمُصَدِّقَتِهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْدِيرِ ، وَرَدَتْ عَلَيْنَا ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ وَجَدُوا فِي خَمْسَةِ صَنَادِيقَ مِنْ رَسَائِلِ النُّورِ ، خَمْسَةَ أَخْطَاءٍ أَوْ عَشَرَةً ؛ فَأَثْبَتْنَا فِي الْمَحْكَمَةِ أَنَّ النِّقَاطَ الَّتِي بَيَّنُوا أَنَّهَا سَهْوٌ وَخَطَأٌ ، هِيَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ ؛ وَأَنَّهُمْ أَنْفُسَهُمْ سَهَوْا فِي الْمَوَادِّ الَّتِي قَالُوا : إِنَّهَا سَهْوٌ وَخَطَأٌ ؛ كَمَا أَثْبَتْنَا فِي مُصَدِّقَتِهِمُ الَّتِي هِيَ خَمْسَةُ أَوْرَاقٍ ، خَمْسَةَ أَوْ عَشَرَةَ أَخْطَاءٍ ؛ وَبَيْنَمَا كُنَّا نَنْتَظِرُ أَوَامِرَ شَدِيدَةً ، عَلَى وَجْهِ التَّهْدِيدِ ، إِزَاءَ رِسَالَتَيِ «الثَّمَرَةِ وَالدِّفَاعِ» ، اللَّتَيْنِ أَرْسَلْنَاهُمَا إِلَى سَبْعِ مَقَامَاتٍ ، وَإِزَاءَ جَمِيعِ رَسَائِلِ النُّورِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى وِزَارَةِ الْعَدْلِيَّةِ ، وَلَاسِيَّمَا إِزَاءَ صَفَعَاتِ الرَّسَائِلِ الْمُحَرَّمَةِ ، صَفَعَاتٍ شَدِيدَةً عَلَى وَجْهِ الانْتِقَادِ ؛ فَإِذَا هُمْ لَمْ يَمَسُّونَا بِسُوءٍ ؛ وَعَامَلُونَا عَلَى وَجْهِ الْمُسَالَمَةِ ، كَرِسَالَةِ رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيْنَا عَلَى وَجْهٍ مُلَائِمٍ ، بَلْ مُسَلٍّ ؛ فَأَثْبَتَ ذٰلِكَ قَطْعاً ، أَنَّ حَقَائِقَ رِسَالَةِ النُّورِ ، غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ بِكَرَامَةِ الْعِنَايَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَأَقْرَأَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِمْ مُرْشِدَةً لَهُمْ ؛ وَجَعَلَتْ تِلْكَ الدَّوَائِرَ الْوَاسِعَةَ ، نَوْعَ مَدْرَسَةٍ نُورِيَّةٍ ؛ وَأَنْقَذَتْ إِيمَانَ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُتَرَدِّدِينَ وَالْمُتَحَيِّرِينَ ؛ فَأَنْتَجَتْ أَفْرَاحاً ، وَفَوَائِدَ مَعْنَوِيَّةً ، أَزْيَدَ مِنِ انْقِبَاضِنَا مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ ثُمَّ سَمَّمَنِي أَعْدَاؤُنَا الْأَخْفِيَاءُ ؛ فَرَاحَ الْمَرْحُومُ الشَّهِيدُ «الْحَافِظُ عَلِيٌّ» بَطَلُ النُّورِ ، بَدَلاً عَنِّي إِلَى الْمُسْتَشْفَى ؛ وَسَاحَ فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ عِوَضاً عَنِّي ؛ فَأَبْكَانَا آيِسِينَ ؛ وَإِنِّي قَدْ قُلْتُ صَائِحاً ، قَبْلَ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ ، مِرَاراً مُتَكَرِّرَةً ، بِجَبَلِ «قَسْطَمُونِي» : يَا إِخْوَانِي ! «لَا تُلْقُوا اللَّحْمَ أَمَامَ الْفَرَسِ ؛ وَلَا تُعْلِفُوا الْأَسَدَ كَلَاءً» ؛ أَعْنِي : لَا تُعْطُوا كُلَّ أَحَدٍ ، كُلَّ رِسَالَةٍ ؛ حَتَّى لَا يُهْجَمَ عَلَيْنَا ؛ فَكَتَبَ إِلَيَّ «الْحَافِظُ عَلِيٌّ» ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، كَأَنَّهُ يَسْمَعُ بِهَاتِفِهِ الْمَعْنَوِيِّ ، فِي مَسَافَةِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ إِنْ كَانَ بِالْمَشْيِ : «نَعَمْ :

يَا أُسْتَاذِي ! إِنَّ مِنْ كَرَامَاتِ رِسَالَةِ النُّورِ ، أَنَّهَا لَا تُلْقِي اللَّحْمَ إِلَى الْفَرَسِ ، وَلَا الْكَلَاءَ إِلَى الْأَسَدِ ؛ بَلْ تَرْمِي بِالْكَلَاءِ إِلَى الْفَرَسِ ، وَبِاللَّحْمِ إِلَى الْأَسَدِ» ؛ فَأَعْطَتْ ذٰلِكَ الْعَالِمَ كَالْأَسَدِ ، رِسَالَةَ الْإِخْلَاصِ ؛ فَتَلَقَّيْنَا رِسَالَتَهُ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ؛ فَحَسَبْنَا الْأَيَّامَ ؛ فَإِذاً إِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَصْرُخُ عَلَى الْجَبَلِ ؛ كَانَ يَكْتُبُ فِي عَيْنِ الْوَقْتِ ، تِلْكَ الْأَقْوَالَ الْغَرِيبَةَ فِي رِسَالَتِهِ ؛ فَبَيْنَمَا كَانَ يَضْغَطُنَا وَفَاةُ مِثْلِ هٰذَا الْبَطَلِ الْمَعْنَوِيِّ النُّورِيِّ ، وَسَعْيُ الْمُنَافِقِينَ الْأَخْفِيَاءِ ، لِإِدَانَتِنَا بِالدَّسَائِسِ ، وَحَذَرُ أَنْ أُكْرَهَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْمُسْتَشْفٰى بِالْأَمْرِ الرَّسْمِيِّ ، بِوَسِيلَةِ مَرَضِيَ السُّمِّيِّ ؛ إِذْ أَمَدَّتْنَا الْعِنَايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ ؛ فَزَالَ خَطَرُ السُّمِّ بِالدَّعَوَاتِ الْخَالِصَةِ ، مِنْ دَعَوَاتِ إِخْوَانِيَ الْمُخْلِصِينَ ؛ وَثَبَتَ بِأَمَارَاتٍ قَوِيَّةٍ : أَنَّ ذٰلِكَ الشَّهِيدَ الْمَرْحُومَ يَشْتَغِلُ فِي قَبْرِهِ بِالْأَنْوَارِ ؛ وَأَنَّهُ أَجَابَ عَلٰى سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ بِالْأَنْوَارِ . وَإِنَّ «حَسَنَ فَيْضِيٍّ» ، بَطَلَ «دِنِزْلِي» الَّذِي سَيَعْمَلُ لِلْأَنْوَارِ عَلٰى نَمَطِ الشَّهِيدِ الْمَرْحُومِ ، يَخْدُمُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِلْأَنْوَارِ ، تَحْتَ السِّتَارِ ، بِصُورَةٍ مُؤَثِّرَةٍ . وَإِنَّ أَعْدَاءَنَا أَيْضاً طَلَبُوا سَرَاحَنَا عَنِ السِّجْنِ ؛ حَيْثُ صَلُحَ الْمَسْجُونُونَ دَفْعَةً بِالْأَنْوَارِ ؛ وَحَوَّلَ طُلَّابُ النُّورِ ، كَأَصْحَابِ الْكَهْفِ ، تِلْكَ الزَّاوِيَةَ الضَّيِّقَةَ مِنَ السِّجْنِ ، إِلٰى غَارِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَكُهُوفِ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ السَّالِفِينَ ؛ وَسَعَوْا لِكِتَابَةِ الْأَنْوَارِ ، وَنَشْرِهَا بِاسْتِرَاحَةِ الْقُلُوبِ ؛ فَأَثْبَتَتِ الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، بِهٰذِهِ الْأَحْوَالِ ، أَنَّهَا أَمَدَّتْنَا . وَكَذَا وَرَدَ عَلٰى قَلْبِي : أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَعَاظِمُ الْمُجْتَهِدِينَ ، مِثْلُ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ (رضي الله عنه) ، قَاسَوُا السِّجْنَ ؛ وَعُذِّبَ مُجَاهِدٌ أَكْبَرُ ، مِثْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (رضي الله عنه) ، فِي السِّجْنِ كَثِيراً ، لِمَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَثَبَتَ بِكَمَالِ الصَّبْرِ بِدُونِ الشَّكْوٰى ؛ وَلَمْ يَسْكُتْ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ ؛ وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالْمُتَبَحِّرِينَ ، عُذِّبُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بِكَثِيرٍ ؛ فَشَكَرُوا مَعَ كَمَالِ الصَّبْرِ ؛ وَلَمْ يَتَزَلْزَلُوا ؛ كَانَ مِنْ حَقِّكُمْ ، أَنْ تَشْكُرُوا آلَافَ الشُّكْرِ عَلٰى مُعَانَاتِكُمْ مَشَقَّةً قَلِيلَةً جِدّاً ، لِحَقَائِقَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، مَعَ أَخْذِكُمْ ثَوَاباً وَرِبْحاً كَثِيراً . نَعَمْ : إِنِّي أُبَيِّنُ بِاخْتِصَارٍ ، جِلْوَةً مِنْ جِلْوَاتِ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بَيْنَ ظُلْمِ الْبَشَرِ ؛ وَهِيَ : أَنِّي حِينَمَا كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِي ، كُنْتُ أَقُولُ بِتَكْرَارٍ : إِنِّي سَأَسْرَحُ عَنْ حَيَاةِ مُجْتَمَعِ النَّاسِ ؛ فَأَلْتَجِئُ

إلٰى غَارٍ وَجَبَلٍ فِي آخِرِ عُمْرِي ، كَزَاهِدِي الدُّنْيَا الَّذِينَ الْتَجأُوا إلَى الْكُهُوفِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ؛ وَكَذَا أَنِّي عَزَمْتُ فِي أَسْرِي ، فِي الشَّرْقِ الشَّمَالِيِّ ، فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولٰى : أَنِّي سَأَقْضِي عُمْرِي مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْحِينِ ، فِي الْكُهُوفِ ؛ وَأَتَجَرَّدُ عَنِ الْحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ يَكْفِي الاِخْتِلاطُ بِهَا بَعْدُ ؛ فَكُنْتُ أَقُولُ كَذٰلِكَ ؛ فَتَجَلَّتِ الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، وَالْعَدَالَةُ الْقَدَرِيَّةُ ؛ فَحَوَّلَتَا مَا تَصَوَّرْتُهُ مِنَ الْكُهُوفِ ، إلٰى بُيُوتِ التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ ، وَزَوَايَا الْوَحْدَةِ وَالْعُزْلَةِ وَالسُّجُونِ ، بِوَجْهٍ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ قَرَارِي وَمَطْلَبِي ، وَذٰلِكَ رَحْمَةً بِشَيْبِي ؛ وَأَعْطَتَا مَا هُوَ أَعْلٰى بِكَثِيرٍ مِنْ كُهُوفِ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ وَالْمُنْعَزِلِينَ فِي الْجِبَالِ ، مِنْ مَدَارِسَ يُوسُفِيَّةٍ ، وَبُيُوتِ تَجْرِيدٍ ؛ لِئَلّا تُضِيعَ أَوْقَاتَنَا ؛ فَأَعْطَتَا فَوَائِدَ الْكَهْفِ الْأُخْرَوِيَّةَ ، وَخِدْمَةَ الْجِهَادِ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ؛ حَتّٰى إِنِّي عَزَمْتُ أَنْ أُقِرَّ بِجُرْمٍ بَعْدَ بَرَاءَةِ أَصْحَابِي ؛ فَأَبْقٰى فِي السِّجْنِ ؛ وَيَبْقَى الْمُجَرَّدُونَ مِثْلُ «خُسْرَوْ وَفَيْضِيٍّ» ، عِنْدِي ؛ وَأَكُونَ فِي غُرْفَةِ التَّجْرِيدِ بِوَسِيلَةٍ مَّا ؛ لِئَلّا أَجْتَمِعَ بِالنَّاسِ ؛ وَلا أَقْضِيَ وَقْتِي بِالتَّصَنُّعِ وَالتَّفَاخُرِ ، وَبِمُصَاحَبَاتٍ غَيْرِ لازِمَةٍ ؛ وَلٰكِنَّ رِزْقَنَا وَقَدَرَ اللهِ تَعَالٰى ، سَاقَانَا إلٰى زَاوِيَةٍ أُخْرٰى ؛ فَأُعْطِينَا الْخِدْمَةَ فِي هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الثَّالِثَةِ ، فِي خَارِجِ قُدْرَتِنَا وَاخْتِيَارِنَا ، وَذٰلِكَ لِزِيَادَةِ الاِسْتِخْدَامِ فِي خِدْمَةِ الْإِيمَانِ ، وَرَحْمَةً بِشَيْبِي ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿عَسٰى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ، وَبِسِرِّ «اَلْخَيْرُ فِيمَا اخْتَارَهُ اللهُ» . نَعَمْ : إِنَّ الْعِنَايَةَ الْإِلٰهِيَّةَ ، حَوَّلَتْ كُهُوفِيَ الْمَخْصُوصَةَ بِشَبَابِي ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْدَاءٌ أَخْفِيَاءُ وَأَقْوِيَاءُ ، إلٰى مَنَازِلِ التَّجْرِيدِ الْمُفْرَدَةِ مِنَ السِّجْنِ ، رَحْمَةً بِشَيْبِي ؛ وَفِي ذٰلِكَ التَّحْوِيلِ ، ثَلاثُ حِكَمٍ وَفَوَائِدَ أَهَمَّ ، لِلْخِدْمَةِ النُّورِيَّةِ . .

اَلْأُولٰى : أَنَّ اجْتِمَاعَ تَلامِذَةِ النُّورِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، بِدُونِ ضَرَرٍ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ فِي الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ ؛ وَأَنَّ الاِجْتِمَاعَ وَالْمُصَاحَبَةَ فِي خَارِجِ السِّجْنِ ، يَكُونُ مُشْتَبِهاً وَإِسْرَافاً ؛ حَتّٰى إِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَصْرِفُ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ لَيْرَةً ؛ فَيَأْتِي لِزِيَارَتِي ؛ فَكَانَ يَزُورُنِي عِشْرِينَ دَقِيقَةً ؛ أَوْ يَرْجِعُ وَيُسَافِرُ بِدُونِ الزِّيَارَةِ ؛ وَإِنِّي كُنْتُ أَقْبَلُ مَشَقَّةَ السِّجْنِ عَلٰى حُبِّهَا ، لِمُشَاهَدَةِ بَعْضِ إِخْوَانِي مِنْ قُرْبٍ ؛ فَإِذاً إِنَّ السِّجْنَ نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ لَنَا . .

وَالثَّانِيَةُ : أَنَّ خِدْمَةَ الْإِيمَانِ بِالْأَنْوَارِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ بِالْإِعْلاَنَاتِ فِي كُلِّ جَانِبٍ ، وَبِجَلْبِ دِقَّةِ أَنْظَارِ الْمُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا ؛ فَيُجْذَبُ إِمْعَانُ النَّظَرِ إِلَى الْأَنْوَارِ بِسَجْنِنَا ؛ وَيُصْبِحُ فِي حُكْمِ الْإِعْلاَنِ ؛ فَيَجِدُهَا مَنْ هُوَ أَشَدُّ عِنَاداً ، أَوْ أَزْيَدُ احْتِيَاجاً ؛ فَيُنْقِذُ إِيمَانَهُ ؛ وَيَنْكَسِرُ عِنَادُهُ ؛ وَيَنْجُو عَنِ الْخَطَرِ ؛ وَتَتَوَسَّعُ مَدْرَسَةُ النُّورِ . .

وَالثَّالِثَةُ : أَنَّ تَلاَمِذَةَ النُّورِ الَّذِينَ دَخَلُوا السِّجْنَ ، لاَ يَتَحَرَّوْنَ بَعْدَ ذٰلِكَ ، مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةً فِي خِدْمَةِ الْأَنْوَارِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَدْرُسُونَ الْإِخْلاَصَ وَالْفِدَاءَ ، عَنْ أَحْوَالِ الْآخَرِينَ وَسَجَايَاهُمْ . نَعَمْ : إِنَّهُمْ رَأَوْا بِأَبْصَارِهِمْ ، وَبِأَمَارَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فِي الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ ، فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ ، النَّتَائِجَ الْجَمِيلَةَ ، وَالْفَوَائِدَ الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ ، وَالْخَدَمَاتِ الْخَالِصَةَ الْوَاسِعَةَ ، مِنْ خَدَمَاتِ الْإِيمَانِ ، عَشَرَةَ أَضْعَافِهَا ، بَلْ مِئَةَ ضِعْفِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ يُوَفَّقُونَ تَمَاماً لِلْإِخْلاَصِ التَّامِّ ؛ فَلاَ يَتَنَزَّلُونَ بَعْدُ إِلَى مَنَافِعَ جُزْئِيَّةٍ وَخُصُوصِيَّةٍ . .

وَهٰذِهِ الزَّوَايَا لَهَا لَطَافَةٌ مَخْصُوصَةٌ بِي ، وَحَالَةٌ حَزِينَةٌ ، وَلٰكِنْ حُلْوٌ لِي ؛ وَهِيَ : أَنِّي أَرَى عَيْنَ كَيْفِيَّةِ الْمَدَارِسِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي رَأَيْتُهَا فِي بِلاَدِنَا ، فِي زَمَنِ الشَّبَابِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْعَادَةَ الْقَدِيمَةَ فِي الْوِلاَيَاتِ الشَّرْقِيَّةِ ، هِيَ أَنَّ وَجَبَاتِ طُلاَّبِ بَعْضِ الْمَدَارِسِ ، كَانَتْ تَأْتِي عَنْ خَارِجِ الْمَدْرَسَةِ ؛ وَبَعْضُهَا تُطْبَخُ فِيهَا ؛ وَهٰكَذَا كَانَتْ تُشْبِهُ هٰذِهِ الزَّوَايَا فِي بَعْضِ جِهَاتٍ أُخْرَى . .

وَإِنِّي كُلَّمَا أَنْظُرُ إِلَى هُنَا فِي تَحَسُّرٍ لَذِيذٍ ؛ أَذْهَبُ خَيَالاً إِلَى ذٰلِكَ الزَّمَانِ اللَّذِيذِ ، وَالشَّبَابِ الْقَدِيمِ ؛ وَأَنْسَى أَحْوَالَ الشَّيْبِ . .

وَالْآنَ وَرَدَتْ نُقْطَتَانِ عَلَى الْبَالِ . . اَلْأُولَى : هِيَ أَنِّي إِذَا كُنْتُ أَشْكُرُ مَعَ الصَّبْرِ بِدُونِ الشَّكْوَى ؛ مَعَ أَنِّي أُقَاسِي مَشَقَّةَ نَفْسِي ، وَآلاَمَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ يُقَاسُونَ الْمِحْنَةَ بِسَبَبِي ؛ فَأُقَاسِيهَا أَزْيَدَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، بَلْ ثَلاَثِينَ دَرَجَةً ، بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ ؛ فَلاَ بُدَّ أَنْ لاَ يَتَخَلَّفَ أُولاَئِكَ الْمَسْجُونُونَ ، الشُّجَاعُ الْأَقْوِيَاءُ ، عَنْ هَرِمٍ وَضَعِيفٍ مِثْلِي . .

اَلنَّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ بَعْضُ إِخْوَانِنَا الْمَسْجُونِينَ لَا يَشْتَكُونَ عَنِ السِّجْنِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَمْكُثُونَ هٰهُنَا خَمْسَ سِنِينَ ، أَوْ عَشْرَ سِنِينَ ، مِنْ جَرَّاءِ ذَوْقِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَلَا بُدَّ لِتَلَامِذَةِ النُّورِ أَنْ لَا يَشْتَكُوا عَنْ مَشَقَّةِ سَجْنِ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ ، بَلْ وَمِئَةِ شَهْرٍ ، لِخِدْمَةِ الْإِيمَانِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ مِئَاتٍ مِنْ لَذَائِذَ وَسَعَادَاتٍ بَاقِيَةٍ ، آلَافَ السِّنِينَ ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ لَا يَتَخَلَّفُوا عَنْ إِخْوَانِهِمُ الْجُدُدِ الْمَسْجُونِينَ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

ذَيْلُ اللَّمْعَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ :

وَهُوَ الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ . .

اَللَّمْعَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

وَهِيَ رِسَالَةُ الدِّفَاعِ فِي سِجْنِ وِلاَيَةِ (أَسْكِيشَهِرَ) . .

وَسَتُنْشَرُ فِي مَجْمُوعَةِ الدِّفَاعَاتِ ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى . .

اَللَّمْعَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُون

بَعْضُ فِقْرَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ ، كَتَبْتُهَا لِتَسْلِيَةِ إِخْوَانِي الَّذِينَ كَانُوا تِجَاهِي ، حِينَمَا كُنْتُ مَمْنُوعاً عَنِ التَّكَلُّمِ وَالاِخْتِلاَطِ ، فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِر» (١) . .

....

﴿ مُحَاوَرَةٌ لَطِيفَةٌ مَعَ «سُلَيْمَانَ رُشْدِيٍّ» ، الْمُشْتَهِرِ فِي الصَّدَاقَةِ ، وَالْمُمْتَازِ فِي صَفْوَةِ الْقَلْبِ ﴾ . .

إِنَّ بَعْضَ الْمُعْجَبِينَ ، اسْتَعْمَلُوا فِي غُرْفَتِنَا ، عِلاَجاً لإِتْلاَفِ الذُّبَابِ ، لِتَعْجِيزِهَا الْجُزْئِيِّ ؛ وَذٰلِكَ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ ، فِي زَمَنٍ قَرِيبٍ مِنْ تَسْرِيحِهَا ؛ فَمَسَّ ذٰلِكَ رِقَّتِي كَثِيراً ؛ وَكَانَ فِي غُرْفَتِي حَبْلٌ لِتَنْشِيفِ الثِّيَابِ ؛ فَكَثُرَتِ الذُّبَابُ أَخِيراً ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أُولاَئِكَ النَّاسِ ؛ فَكَانَتْ تِلْكَ الطُّيُورُ الصِّغَارُ ، تَصْطَفُّ مَسَاءً ، عَلٰى ذٰلِكَ الْحَبْلِ ، بِغَايَةِ الاِنْتِظَامِ ؛ فَقُلْتُ «لِرُشْدِيٍّ» : لاَ تُخَالِطْ هٰؤُلاَءِ الطُّيُورَ الصِّغَارَ ، لِبَسْطِ الْمَلاَبِسِ ؛ وَابْسُطْهَا بِمَكَانٍ آخَرَ ؛ فَقَالَ بِكَمَالِ الْجِدِّ : إِنَّ هٰذَا الْحَبْلَ يَلْزَمُنَا ؛ فَلْتَجِدِ الذُّبَابُ لَهَا مَكَاناً آخَرَ . فَمَهْمَا كَانَ ؛ فَقَدْ فُتِحَ الْبَحْثُ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرَةِ الْكَثِيرَةِ ، كَالذُّبَابِ وَالنَّحْلِ ، فِي

---

(١) وَقَدْ طُوِيَ الْقِسْمُ الأَوَّلُ مِنْ هٰذِهِ اللَّمْعَةِ ؛ وَسَيُنْشَرُ فِي مَجْمُوعَةِ «سِكَّةِ التَّصْدِيقِ الْغَيْبِيِّ» ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى . . اَلْمُتَرْجِمُ ، (عفا الله عنه) . .

وَقْتِ السَّحَرِ ، بِمُنَاسَبَةِ هٰذِهِ اللَّطِيفَةِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْأَنْوَاعِ ، الَّتِي تُكْثَرُ نُسَخُهَا ، لَهَا قِيَمٌ وَأَعْمَالٌ مُهِمَّةٌ . نَعَمْ : إِنَّ كِتَاباً يُسْتَكْثَرُ مِنْ نُسَخِهِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قِيمَتِهِ ؛ فَإِذاً إِنَّ جِنْسَ الذُّبَابِ لَهُ قِيمَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَخِدْمَةٌ مُهِمَّةٌ ؛ فَلِذٰلِكَ يُكْثِرُ الْفَاطِرُ الْحَكِيمُ ، مِنْ نُسَخِ تِلْكَ الْمَكْتُوبَاتِ الْقَدَرِيَّةِ ، وَكَلِمَاتِ الْقُدْرَةِ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الطَّائِفَةَ الْمُتَنَظِّفَةَ الَّتِي تُنَظِّفُ وَجْهَهَا وَعَيْنَهَا وَجَنَاحَيْهَا ، كُلَّ وَقْتٍ ، كَأَنَّهَا تَتَوَضَّأُ ؛ وَالَّتِي تُشَكِّلُ مَوْضُوعاً أَهَمَّ لِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَهِيَ آيَةُ : ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُۥٓ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ؛ أَيْ أَنَّ الْأَسْبَابَ وَالْآلِهَةَ ، الَّتِي تُدْعٰى عَنْ جَانِبِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، مِنْ دُونِ اللهِ ، لَوِ اجْتَمَعَتْ لَمَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَخْلُقَ ذُبَاباً ؛ يَعْنِي : أَنَّ خِلْقَةَ الذُّبَابِ مُعْجِزَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ، وَآيَةٌ تَكْوِينِيَّةٌ ، بِحَيْثُ لَوِ اجْتَمَعَتِ الْأَسْبَابُ كُلُّهَا لَمَا خَلَقَتْ مِثْلَهَا ؛ وَمَا عَارَضَتْهَا ؛ وَمَا قَلَّدَتْ تِلْكَ الْآيَةَ الرَّبَّانِيَّةَ ؛ وَالَّتِي غَلَبَتْ عَلَى النُّمْرُودِ ؛ وَدَافَعَتْ عَنْ حِكْمَةِ خِلْقَتِهَا ، دِفَاعاً فِي قُوَّةِ أَلْفِ اعْتِرَاضٍ ، عَلٰى شَكْوٰى «مُوسٰى» (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ حَيْثُ قَالَ مُشْتَكِياً إِزَاءَ تَعْجِيزِهَا : يَا رَبِّ ! لِمَاذَا أَكْثَرْتَ مِنْ هٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُعَجِّزَةِ كَذٰلِكَ ؛ فَجَاءَ الْجَوَابُ إِلْهَاماً : أَنَّكَ اعْتَرَضْتَ مَرَّةً عَلَى الذِّبَّانِ ؛ وَهِيَ تَسْأَلُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً : يَا رَبِّ ! إِنَّ هٰذَا الْبَشَرَ ، الْكَبِيرَ الْهَامَةِ ، يَذْكُرُكَ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ وَأَحْيَاناً يَغْفُلُ عَنْهُ ؛ فَلَوْ خَلَقْتَنَا مِنْ هَامَتِهِ فَقَطْ ؛ لَوُجِدَتْ مَخْلُوقَاتٌ مِثْلُنَا يَذْكُرْنَكَ بِآلَافِ الْأَلْسِنَةِ . فَإِنَّ لِهٰذِهِ الطَّائِفَةِ وَظِيفَةً مُهِمَّةً قَطْعاً ؛ وَإِنَّ نَظَرَ حِكْمَةِ الْبَشَرِ ، قَاصِرٌ ، لَمْ يُحِطْ بِتِلْكَ الْوَظِيفَةِ بَعْدُ . .

نَعَمْ : إِنَّ اللهَ تَعَالٰى كَمَا خَلَقَ قِسْماً مُنْتَظِماً مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، مِنْ قَبِيلِ مُوَظَّفِي الصِّحِّيَّةِ ، يَأْكُلُ اللَّحْمَ لِتَنْظِيفِ وَجْهِ الْبَحْرِ ، وَلِجَمْعِ جَنَائِزِ[1] الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ ، الَّتِي لَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ سَمَكَةً تَبِيضُ ؛ وَتُفْرِخُ آلَافَ بَيْضَاتٍ وَفُرُوخٍ ؛ وَقَدْ تَكُونُ كُتْلَةُ بَذْرِهَا ، عِبَارَةً عَنْ مِلْيُونِ بَيْضَةٍ ؛ فَتَكُونُ وَفَيَاتُ الْأَسْمَاكِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى تَوَلُّدَاتِهَا ، حَتّٰى يُحَافَظَ عَلٰى مُوَازَنَةِ الْبَحْرِ . وَمِنَ =

مِلْيَارَاتُ أَمْوَاتٍ ، وَلِإِنْقَاذِ وَجْهِ الْبَحْرِ عَنِ الْمَنْظَرِ الْمُسْتَكْرَهِ الْمُتَغَيِّرِ بِالْجَنَائِزِ ؛ فَلَوْ لَمْ يُؤَدِّ أُولَائِكَ الْمُوَظَّفُونَ الصِّحِّيُّونَ الْبَحْرِيُّونَ ، وَظَائِفَهُمْ مُنْتَظِمَةً ؛ لَمَا تَلَأْلَأَ وَجْهُ الْبَحْرِ كَالْمِرْآةِ ؛ بَلْ أَبْدَى كُدُورَةً أَلِيمَةً وَحَزِينَةً . .

وَكَذَا خَلَقَ حَيَوَانَاتٍ وَحْشِيَّةً ، وَطُيُوراً جَارِحَةً ، تُحِسُّ مَوْضِعَ الْجَنَازَةِ ، حِسّاً شَبِيهاً بِالْكَرَامَةِ ؛ وَتَذْهَبُ تَرْفَعُ تِلْكَ الْجَنَازَةَ ، بِسَوْقٍ رَبَّانِيٍّ ، مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ خَفِيَّةٍ ، مِقْدَارَ خَمْسِ سَاعَاتٍ فَصَاعِداً ؛ وَذٰلِكَ مِثْلُ الطُّيُورِ الْجَارِحَةِ ، الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ مُوَظَّفِي الصِّحَّةِ وَالنَّظَافَةِ ؛ لِتُنَظِّفَ وَجْهَ الْبَرِّ عَنْ تِلْكَ الْعُفُونَاتِ ، بِجَمْعِ جَنَائِزِ الطُّيُورِ ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ ، بِالْمِلْيَارَاتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَلِإِنْقَاذِ ذَوِي الْحَيَاةِ عَنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْأَلِيمَةِ الْحَزِينَةِ ؛ فَلَوْلَا كَانَ هٰؤُلَاءِ الصِّحِّيُّونَ الْبَرِّيُّونَ ، مُوَظَّفِينَ قَائِمِينَ بِانْتِظَامٍ مُكَمَّلٍ ؛ لَاتَّخَذَ وَجْهُ الْبَرِّ صُورَةً يُبْكٰى عَلَيْهَا . نَعَمْ : إِنَّ الرِّزْقَ الْحَلَالَ لِلْحَيَوَانَاتِ الْجَارِحَةِ ، هُوَ لُحُومُ الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَوَفَّاةِ ؛ وَإِنَّ لُحُومَ الْحَيَوَانَاتِ الْحَيَّةِ حَرَامٌ عَلَيْهَا ؛ فَإِنْ أَكَلَتْهَا تَجِدُ الْجَزَاءَ ؛ فَإِنَّ إِفَادَةَ حَدِيثِ : ﴿حَتّٰى يَقْتَصَّ الْجَمَّاءُ عَنِ الْقَرْنَاءِ﴾ ، أَوْ كَمَا قَالَ ؛ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْبَاقِيَةَ الْأَرْوَاحِ ، وَإِنْ فَنِيَتْ أَجْسَادُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ تُوجَدُ بَيْنَهَا أَيْضاً ، مُجَازَاةٌ وَمُكَافَأَةٌ فِي دَارِ الْبَقَاءِ ، عَلٰى وَجْهٍ مُنَاسِبٍ لَهَا ؛ فَعَلٰى ذٰلِكَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ لُحُومَ الْحَيَوَانَاتِ الْحَيَّةِ ، حَرَامٌ عَلَى السِّبَاعِ . .

وَكَذَا أَنَّ النِّمَالَ وُظِّفَتْ كَمُوَظَّفِي النَّظَافَةِ ، بِوَظِيفَةِ جَمْعِ صِغَارِ قِطْعَاتِ النِّعَمِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَجَمْعِ حَبَّاتِهَا ، وَبِصِيَانَتِهَا عَنِ التَّلَفِ وَالدَّوْسِ ، وَعَنِ الْحَقْرِ وَالْعَبَثِ ، وَبِجَمْعِ جَنَائِزِ صِغَارِ الْحَيَوَانَاتِ ، كَمُوَظَّفِي الصِّحَّةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : أَنَّ الذِّبَّانَ الَّتِي هِيَ أَهَمُّ مِنْهَا ، مُوَظَّفَةٌ أَيْضاً

= الْجَلَوَاتِ اللَّطِيفَةِ لِلرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ : أَنَّ الْأَسْمَاكَ الْوَالِدَاتِ ، تَكُونُ فِي تَفَاوُتٍ مِنَ الْجِسْمِ ؛ لَا تُنَاسِبُ أَفْرَاخَهَا ؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُودَ أَفْرَاخَهَا ؛ لِأَنَّ الْأُمَّهَاتِ ، لَا تَسَعُ فِيمَا يَسَعُ فِيهِ الْأَفْرَاخُ ؛ فَيُخْرِجُ الْحَكِيمُ الرَّحِيمُ مِنْ بَيْنِ الْفُرُوخِ ، قَائِداً صَغِيراً لَهَا ؛ وَيُؤَدِّي وَظِيفَةَ الْأُمَّهَاتِ ، بِتِلْكَ الْقُوَّادِ الصِّغَارِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

بِتَنْظِيفِ مَوَادِّ السُّمُومِ ، وَجَرَاثِيمِ الْأَمْرَاضِ مِمَّا لَا يُرَى بِبَصَرِ الْإِنْسَانِ ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ نَاقِلَةً لِلْجَرَاثِيمِ ؛ بَلْ إِنَّهَا بِالْعَكْسِ ، تُهْلِكُ تِلْكَ الْجَرَاثِيمَ الضَّارَّةَ ، بِمَصِّهَا وَأَكْلِهَا ؛ وَتُحَوِّلُ تِلْكَ الْمَادَّةَ السُّمِّيَّةَ ، إِلَىٰ حَالَةٍ غَيْرِ ضَارَّةٍ ؛ فَتَسُدُّ بِذٰلِكَ ، أَمَامَ كَثِيرٍ مِنْ أَمْرَاضٍ سَارِيَةٍ ؛ وَزِيَادَةُ كَثْرَتِهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهَا عُمَّالُ الصِّحَّةِ ، وَمُوَظَّفُو التَّنْظِيفِ ؛ وَأَنَّهَا كِيمِيَائِيُّونَ ، وَمَظَاهِرُ لِحِكْمَةٍ وَاسِعَةٍ ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ النَّافِعَةَ الْقَيِّمَةَ ، يُكْثَرُ مِنْهَا . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمُعْجَبُ ! انْظُرْ إِلَىٰ هٰذِهِ الْفَائِدَةِ الصَّغِيرَةِ الْعَائِدَةِ إِلَيْكَ ، مِنْ بَيْنِ فَوَائِدِ الذِّبَّانِ ، مَا عَدَا الآلافَ حِكَمِهَا الْحَيَوِيَّةِ ؛ فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهَا ؛ وَهِيَ : أَنَّهَا تُؤَانِسُكَ فِي الْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ وَالِانْفِرَادِ ؛ كَمَا أَنَّهَا تُوقِظُكَ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْغَفْلَةِ ؛ وَتُوقِظُ فِكْرَكَ عَنِ التَّشَتُّتِ ؛ وَتُرَى أَنَّهَا تُذَكِّرُكَ وَظَائِفَ الْإِنْسَانِيَّةِ ، مِثْلَ الْوُضُوءِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالْحَرَكَةِ ، وَالنَّظَافَةِ ؛ وَتُدَرِّسُهَا لَكَ بِكَيْفِيَّتِهَا اللَّطِيفَةِ ، وَبِتَوَضُّئِهَا ، وَتَنْظِيفِ وَجْهِهَا وَعَيْنِهَا . **وَكَذَا** أَنَّ صِنْفاً مِنَ الذُّبَابِ ، وَهُوَ النَّحْلُ ، يُطْعِمُكَ الْعَسَلَ الَّذِي هُوَ أَحْلَى النِّعَمِ وَأَلْطَفُهَا ؛ كَمَا أَنَّهُ مُشَرَّفٌ بِمَظْهَرِيَّتِهِ لِلْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَلْزَمُ أَنْ تُحِبَّ النَّحْلَ . فَعَدَاوَةُ الذِّبَّانِ ، بَلِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعْدُو إِلَىٰ مُعَاوَنَةِ الْإِنْسَانِ بِالصَّدَاقَةِ ؛ وَتُقَاسِي كُلَّ بَلَائِهِ ، غَدْرٌ وَظُلْمٌ ؛ وَإِنَّمَا تَجُوزُ الْمُجَادَلَةُ لِدَفْعِ ضَرَرِ الضَّوَارِي مِنْهَا ؛ فَيَجُوزُ الدِّفَاعُ إِزَاءَ الذِّئَابِ مَثَلاً ، لِحِفْظِ الْأَغْنَامِ عَنِ اعْتِدَائِهَا . . فَيَا لَلْعَجَبِ ! أَلَيْسَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ تَكُونَ الْبَعُوضُ ، وَالْبَرْغُوثُ الْمُسَلَّطَةُ ، بَلِ الْمُوَظَّفَةُ بِمَصِّ الدَّمِ الْمُلَوَّثِ الْجَارِي فِي الْأَوْرِدَةِ ، الْحَامِلَةِ لِبَعْضِ الْمَوَادِّ الضَّارَّةِ السَّارِيَةِ ، حِينَ زِيَادَةِ الدَّمِ عَلَىٰ إِدَارَةِ الْبَدَنِ ، فِي زَمَنِ الْحَرِّ ، حَجَّامَاتٍ فِطْرِيَّةً ؟ . «**سُبْحَانَ مَنْ تَحَيَّرَ فِي صُنْعِهِ الْعُقُولُ**» . .

إِنَّ نَفْسِي تَوَهَّمَتْ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مُلْكاً لَهَا ؛ فَشَرَعَتْ بِالتَّمَدُّحِ وَالِافْتِخَارِ وَالْغُرُورِ ، حِينَمَا جَادَلْتُهَا وَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ هٰذَا الْمُلْكَ لَيْسَ لَكِ ؛ بَلْ هُوَ أَمَانَةٌ ؛ فَتَرَكَتِ الْغُرُورَ وَالْفَخْرَ ؛ وَلٰكِنْ بَدَأَتْ بِالْكَسَلِ ؛ وَقَالَتْ : لِمَاذَا أَخْدُمُ مَا لَيْسَ مُلْكِي ؟ فَمَا عَلَيَّ أَنْ يَضِيعَ ؟ فَرَأَيْتُ فَجْأَةً أَنَّ ذُبَاباً هَبَطَ عَلَىٰ يَدِي ؛ فَشَرَعَ بِتَنْظِيفِ وَجْهِهِ وَعَيْنِهِ

وَجَنَاحَيْهِ ، الَّتِي هِيَ أَمَانَاتُ اللهِ ، تَنْظِيفاً حَسَناً ؛ كَمَا يُنَظِّفُ مُجَنَّدٌ سِلاحَهُ ، وَمَلابِسَهُ الْأَمِيرِيَّةَ ؛ فَقُلْتُ لِنَفْسِيَ : انْظُرِي إِلَيْهِ ؛ فَنَظَرَتْ ؛ وَأَخَذَتْ دَرْسَهَا تَمَاماً ؛ فَأَصْبَحَ ذٰلِكَ الذُّبَابُ مُعَلِّماً وَمُدَرِّساً ، لِنَفْسِيَ الْكَسْلانَةِ الْمَغْرُورَةِ . وَقَذَرُ الذُّبَابِ مَادَّةٌ لَيْسَ لَهَا ضَرَرٌ ، مِنْ جِهَةِ الطِّبِّ ؛ وَقَدْ يَكُونُ مَشْرُوباً حُلْواً ؛ وَلٰكِنْ لَيْسَ بَعِيداً عَنِ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، بَلْ مِنْ شَأْنِهَا ، أَنْ تَكُونَ الذِّبَّانُ بِمَثَابَةِ الْأَجْهِزَةِ الصَّغِيرَةِ لِلاسْتِحَالَةِ وَالتَّصْفِيَةِ ؛ مَعَ كَوْنِهَا مَعْدِناً لِآلافِ مَوَادَّ ضَارَّةٍ ، وَجَرَاثِيمَ ، وَسُمُومٍ مُخْتَلِفَةٍ تَأْكُلُهَا الذِّبَّانُ . نَعَمْ : إِنَّ مِنْ طَوَائِفِ الذُّبَابِ ، مَا عَدَا النَّحْلَ ، طَائِفَةً [1] تَأْكُلُ مَوَادَّ مُتَعَفِّنَةً مُخْتَلِفَةً ؛ فَتَقْطُرُ دَائِماً مَشْرُوباً حُلْواً ، بَدَلاً عَنِ الْقَذَرِ ؛ وَتُبَدِّلُ تِلْكَ الْمَوَادَّ الْمُتَعَفِّنَةَ السَّامَّةَ ، بِمَشْرُوبٍ حُلْوٍ شَافٍ ، كَالْمَنِّ الَّذِي يَمْطُرُ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ ؛ فَتُثْبِتُ أَنَّهَا أَجْهِزَةُ الِاسْتِحَالَةِ ؛ وَتُظْهِرُ لِلْأَعْيُنِ ، أَنَّ هٰذِهِ الْأَفْرَادَ الصِّغَارَ ، مِلَّةٌ وَطَائِفَةٌ عَظِيمَةٌ ؛ وَتَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ : **لَا تَنْظُرْ إِلَى حَقَارَتِنَا ؛ وَانْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ طَائِفَتِنَا ؛ وَقُلْ : «سُبْحَانَ اللهِ»** . .

---

(١) نَعَمْ : إِنَّ طَائِفَةً صَغِيرَةً مِنَ الذُّبَابِ تُخْلَقُ عَلَى هَيْئَةِ كُتْلَةٍ سَوْدَاءَ ، فِي أَوْرَاقِ أَشْجَارِ الْبُطْمِ وَالْمُشْمُشِ ، فِي آخِرِ الرَّبِيعِ ؛ فَتَبْقَى مُلْتَصِقَةً بِالْوَرَقِ ؛ وَتَقْطُرُ مِنْهَا قُطَيْرَاتٌ بَدَلَ الْقَذَرِ ؛ وَهِيَ تُشْبِهُ الْعَسَلَ ؛ فَتَجْتَمِعُ حَوْلَهَا سَائِرُ الذُّبَابِ وَتَمُصُّهَا ؛ وَإِنَّ طَائِفَةً أُخْرَى مِنْهَا ، تُسْتَخْدَمُ فِي تَلْقِيحِ بَعْضِ الْأَشْجَارِ كَشَجَرَةِ التِّينِ ، وَفِي تَلْقِيحِ أَزْهَارِ النَّبَاتَاتِ ؛ وَإِنَّ الْحُبَاحِبَ ، وَهُوَ الذُّبَابُ ذُو النَّجْمِ وَالشُّعَاعِ مِنْ طَوَائِفِ الذِّبَّانِ ، جَدِيرٌ بِالتَّفَرُّجِ ؛ كَمَا أَنَّ قِسْماً مُذَهَّباً مُتَلَمِّعاً مِنْ طَوَائِفِهَا ، حَرِيٌّ بِالتَّدَبُّرِ . وَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَنْسَى الزَّنَابِيرَ الْوَحْشِيَّةَ ، الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ طُغَاةِ الذُّبَابِ ذَوِي الرِّمَاحِ ؛ فَلَوْ لَمْ يُمْسِكِ الْخَالِقُ الرَّحْمٰنُ زِمَامَهَا ؛ وَهَجَمَتْ هٰذِهِ الطَّوَائِفُ ذَوَاتُ الرِّمَاحِ ، عَلَى النَّاسِ كَالْبَرَاغِيثِ ؛ لَأَفْنَتْ نَوْعَ الْإِنْسَانِ ؛ كَمَا قَتَلَتِ النُّمْرُوذَ ؛ وَلَفَسَّرَتِ الْمَعْنَى الْإِشَارِيَّ لِآيَةِ : ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ . .

فَلِجِنْسِ الذُّبَابِ الَّذِي لَهُ مِئَةُ طَائِفَةٍ شَهِيرَةٍ ذَاتِ خَوَاصَّ ، قِيمَةٌ عَظِيمَةٌ ؛ فَلِذَا جَعَلَتْهُ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ الْعَظِيمَةُ ، مَوْضُوعاً لَهَا ؛ وَقَالَتْ : ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ إِلَى آخِرِهَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَقُولُ بِإِشَارَتِهَا : إِنَّ الْإِيجَادَ يَكُونُ بِالْأَمْرِ ؛ وَإِنَّ خَزَائِنَ الْقُدْرَةِ ، بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ ؛ وَلِهٰذَا السِّرِّ الدَّقِيقِ وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ ، ذُكِرَ بَعْضُهَا فِي الرَّسَائِلِ ؛ وَالْآنَ نَسْعٰى عَلٰى مِثَالٍ مَادِّيٍّ ، لِتَفْهِيمِ ذٰلِكَ السِّرِّ ، لِأَجْلِ تَقْرِيبِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي بَيَانِ خَوَاصِّ حُرُوفِ الْقُرْآنِ ، لَاسِيَّمَا الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ ، وَفِي بَيَانِ فَضَائِلِهَا ، وَتَأْثِيرَاتِهَا الْمَادِّيَّةِ ، إِلٰى نَظَرِ هٰذَا الْعَصْرِ الْمَادِّيِّ . .

وَذٰلِكَ : أَنَّ لِلْخَالِقِ الْجَلِيلِ ، صَاحِبِ الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ ، أَرْبَعَةَ عُرُوشٍ إِلٰهِيَّةٍ ، هِيَ مَدَارَاتٌ لِتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَوْجُودَةِ عَلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ مَرْكَزٍ مَعْنَوِيٍّ لِلْعَالَمِ ، وَقَلْبٍ وَقِبْلَةٍ لِلْكَائِنَاتِ . .

أَحَدُهَا : عَرْشُ الْحِفْظِ وَالْحَيَاةِ ؛ وَهُوَ التُّرَابُ ؛ فَإِنَّهُ مَظْهَرٌ لِاسْمِ الْحَفِيظِ وَالْمُحْيِي . .

وَثَانِيهَا : عَرْشُ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ؛ وَهُوَ عُنْصُرُ الْمَاءِ . .

وَثَالِثُهَا : عَرْشُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ؛ وَهُوَ عُنْصُرُ النُّورِ . .

وَرَابِعُهَا : عَرْشُ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ ؛ وَهُوَ عُنْصُرُ الْهَوَاءِ . . فَإِنَّ تَظَاهُرَ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ الصَّنْعَةِ ، فِي ذَوِي الْحَيَاةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، بِالْمَاءِ ، لَاسِيَّمَا نِطَافِ الْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي هِيَ مَادَّةٌ بَسِيطَةٌ كَالْمَاءِ ؛ كَمَا نَرٰى بِأَبْصَارِنَا الْمَعَادِنَ وَالنَّبَاتَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ غَيْرَ الْمَحْدُودَةِ ، الَّتِي هِيَ مَدَارَاتٌ لِحَاجَاتٍ حَيَوَانِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، عَنِ التُّرَابِ الْبَسِيطِ ؛ وَنَرٰى بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، عَنْ عُنْصُرٍ بَسِيطٍ ، كَثْرَةً غَيْرَ مَحْدُودَةٍ عَنِ الْوَحْدَةِ ، وَأَنْوَاعاً مُخْتَلِفَةً بِلَا نِهَايَةٍ عَنْ بَسِيطٍ ، وَنُقُوشاً مُنْتَظِمَةً بِلَا حَدٍّ فِي صَحِيفَةٍ بَسِيطَةٍ ؛ يَدُلُّ ذٰلِكَ عَلٰى أَنَّ النُّورَ وَالْهَوَاءَ أَيْضاً ، مِثْلَ هٰذَيْنِ الْعَرْشَيْنِ ، مَظْهَرَانِ مَعَ بَسَاطَتِهِمَا ، لِعَجَائِبِ مُعْجِزَاتِ قَلَمِ عِلْمِ النَّقَّاشِ الْأَزَلِيِّ ، الْعَلِيمِ الْجَلِيلِ ، وَقَلَمِ أَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ ، كَالْعَرْشَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ . .

فَالْآنَ نَتْرُكُ عُنْصَرَ النُّورِ ؛ وَنَجْتَهِدُ بِمُنَاسَبَةِ مَسْأَلَتِنَا ، لِبَعْضِ كَشْفِ الْحِجَابِ السَّاتِرِ لِعَجَائِبِ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ ، وَغَرَائِبِهِمَا ، فِي عُنْصُرِ الْهَوَاءِ ، الَّذِي هُوَ عَرْشُ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ . .

وَذٰلِكَ أَنَّنَا كَمَا نَزْرَعُ الْحُرُوفَ وَالْكَلِمَاتِ ، بِالْهَوَاءِ الْمَوْجُودِ فِي أَفْوَاهِنَا ؛ فَتُسَنْبِلُ دَفْعَةً ؛ أَيْ تُسَنْبِلُ كَلِمَةٌ ، حَبَّةً فِي الْهَوَاءِ تَتَسَنْبَلُ فِي الْهَوَاءِ الْخَارِجِ ؛ وَتُسَنْبِلُ هَوَاءً جَامِعاً لِعَيْنِ الْكَلِمَةِ ، صَغِيرَةً وَكَبِيرَةً بِلَا حَدٍّ ، فِي آنٍ كَأَنَّهُ بِدُونِ زَمَانٍ ؛ كَذٰلِكَ نَنْظُرُ إِلٰى عُنْصُرِ الْهَوَاءِ ؛ فَنَرٰى أَنَّهُ مُطِيعٌ لِأَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، وَمُسَخَّرٌ وَخَادِمٌ لَهُ ؛ كَأَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْهُ ، مُجَنَّدُ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ ، يَنْتَظِرُ أَمْرَهُ كُلَّ دَقِيقَةٍ ؛ وَيُظْهِرُ الْإِطَاعَةَ وَالِامْتِثَالَ بِلَا زَمَانٍ ، مِنْ أَبْعَدِ ذَرَّاتِهِ ، إِلٰى أَقْرَبِهَا ، لِإِرَادَةٍ مُتَجَلِّيَةٍ عَنْ أَمْرِ (كُنْ) . مَثَلاً : إِنَّ الْآلَةَ الْآخِذَةَ وَالنَّاقِلَةَ لِلْأَصْوَاتِ ، تُسْمِعُ نُطْقاً بَشَرِيّاً ، فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَ مِنَ الْهَوَاءِ ، بِوَاسِطَةِ أَجْهِزَةِ الْإِذَاعَةِ ؛ وَتُسْمِعُ عَيْنَ النُّطْقِ ، فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي عَيْنِ آنٍ ، بِلَا زَمَانٍ ، بِشَرْطِ أَنْ تُوجَدَ آخِذَةُ الْإِذَاعَةِ ؛ فَكَمَا أَنَّ إِسْمَاعَهَا ذَاكَ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ هَوَائِيَّةٍ تُطِيعُ بِكَمَالِ الِامْتِثَالِ ، جِلْوَةَ أَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ؛ كَذٰلِكَ أَنَّ الْحُرُوفَ الَّتِي لَهَا وُجُودٌ غَيْرُ ثَابِتٍ فِي الْهَوَاءِ ، يُمْكِنُ أَنْ تُصْبِحَ ، بِكَيْفِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ ، مَظْهَراً لِخَاصِّيَّاتٍ مَادِّيَّةٍ ، وَتَأْثِيرَاتٍ خَارِجِيَّةٍ كَثِيرَةٍ ، حَسَبَ سِرِّ الِامْتِثَالِ هٰذَا ؛ وَيُرٰى فِيهَا خَاصِّيَّةٌ ، كَأَنَّهَا تَقْلِبُ الْمَعْنَوِيَّاتِ بِالْمَادِّيَّاتِ ؛ وَتُحَوِّلُ الْغَيْبَ إِلَى الشَّهَادَةِ ؛ فَبِمِثْلِ هٰذِهِ الْأَمَارَةِ ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهَا ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ الْحُرُوفَ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَاتٌ هَوَائِيَّةٌ ، لَاسِيَّمَا الْحُرُوفُ الْقُدُسِيَّةُ وَالْقُرْآنِيَّةُ ، وَلَاسِيَّمَا حُرُوفُ الرُّمُوزِ الْإِلٰهِيَّةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ ، كَأَنَّهَا تَسْمَعُ الْأَوَامِرَ ؛ وَتَعْمَلُ لَهَا ، مُنْتَظِمَةً وَحَسَّاسَةً بِلَا نِهَايَةٍ ، بِدُونِ زَمَانٍ ؛ هٰكَذَا يُرٰى . فَمِنْ ذٰلِكَ ، أَنَّ الْحُرُوفَ الَّتِي يَنْعَكِسُ فِيهَا تَجَلِّي الْإِرَادَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، وَجِلْوَةُ أَمْرِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، فِي نُقْطَةِ الْقُدُسِيَّةِ ، فِي ذَرَّاتِ الْهَوَاءِ ، تُثْبِتُ خَوَاصَّهَا الْمَادِّيَّةَ ، وَفَضَائِلَهَا الْخَارِقَةَ الْمَرْوِيَّةَ ؛ وَتَجْعَلُهَا مُسَلَّمَةً . فَتَعْبِيرُ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ أَحْيَاناً ، بِوَجْهٍ كَأَنَّ أَثَرَ الْقُدْرَةِ يُنْشَأُ عَنْ

صِفَتَيِ الْإِرَادَةِ وَالْكَلَامِ ، مَبْنِيٌّ عَلٰى هٰذَا السِّرِّ ؛ فَتِلْكَ التَّعْبِيرَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ ، تَدُلُّ عَلٰى تَسْخِيرِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَانْقِيَادِ الْأَشْيَاءِ ، وَسُرْعَةِ الْإِيجَادِ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَتُفِيدُ مَا عَدَا ذٰلِكَ ، أَنَّ نَفْسَ الْأَمْرِ ، يَحْكُمُ كَالْقُدْرَةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الْحُرُوفَ الْوَارِدَةَ عَنِ الْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ ، تُؤَثِّرُ فِي وُجُودِ الْأَشْيَاءِ ، كَالْقُوَّةِ الْمَادِّيَّةِ ؛ وَأَنَّ الْأَمْرَ التَّكْوِينِيَّ ، يَتَظَاهَرُ كَأَنَّهُ عَيْنُ الْإِرَادَةِ ، وَعَيْنُ الْقُدْرَةِ . نَعَمْ : إِنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْخَفِيَّةَ ، الَّتِي وُجُودُهَا الْمَادِّيُّ هَوَائِيٌّ وَمَخْفِيٌّ لِلْغَايَةِ ؛ كَأَنَّهَا مِنْ قَبِيلِ مَوْجُودَاتٍ نِصْفُهَا مَعْنَوِيٌّ وَنِصْفُهَا مَادِّيٌّ ، يُرٰى فِيهَا آثَارُ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ ، بِحَيْثُ يُشْبِهُ الْأَمْرُ التَّكْوِينِيُّ ، نَفْسَ الْقُدْرَةِ ؛ بَلْ يَصِيرُ عَيْنَ الْقُدْرَةِ . فَلِجَلْبِ نَظَرِ التَّدَبُّرِ إِلٰى مَوْجُودَاتٍ كَأَنَّهَا بَرْزَخٌ بَيْنَ الْمَعْنَوِيَّاتِ وَالْمَادِّيَّاتِ ، قَالَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُنْ فَيَكُونُ ۝﴾ ؛ فَإِذاً مِنَ الْمَعْقُولِ لِلْغَايَةِ ، أَنْ تَكُونَ الْحُرُوفُ الْقُدْسِيَّةُ مِنَ الرُّمُوزِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مِثْلِ : ﴿الٓمٓ ، طٰسٓ ، حٰمٓ﴾ ، حُرُوفَ عُقَدٍ وَأَزْرَارٍ ، تَهُزُّ خُطُوطَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّقِيقَةِ الْخَفِيَّةِ ، بِدُونِ زَمَانٍ ، بَيْنَ ذَرَّاتِ الْهَوَاءِ ؛ وَمِنْ شَأْنِهَا وَوَظِيفَتِهَا ، أَنْ تُؤَدِّيَ مُخَابَرَاتٍ قُدْسِيَّةً ، مِنْ مُخَابَرَاتِ لَاسِلْكِيَّاتٍ ، وَهَوَاتِفَ مَعْنَوِيَّةٍ ، مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْعَرْشِ . نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ ، وَكُلَّ الذَّرَّاتِ مِنَ الْهَوَاءِ ، تَمْتَثِلُهَا الذَّرَّاتُ الْمُنْتَشِرَةُ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ ، مِثْلَ اللَّاسِلْكِيَّاتِ وَالْهَوَاتِفِ وَالْبَرْقِيَّاتِ ؛ وَتُؤَدِّي سَائِرَ الْوَظَائِفِ الْهَوَائِيَّةِ ، مِثْلَ وَظِيفَةِ الْأَخْذِ وَالنَّقْلِ لِلْكَهْرَبَاءِ وَالسَّيَّالَاتِ اللَّطِيفَةِ . وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا وَظِيفَةً أُخْرٰى ، سِوٰى تِلْكَ الْوَظَائِفِ ، فِي أَزْهَارِ شَجَرَةِ الْبُطْمِ ، بِحَدْسٍ قَطْعِيٍّ ، بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ وَهِيَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ الْمَشْهُودَةُ لِلْأَشْجَارِ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّهَا تَأْخُذُ عَيْنَ الْأَمْرِ ، فِي آنٍ وَاحِدٍ ، بِهُبُوبِ الْهَوَاءِ النَّسِيمِ ، عَنْ تِلْكَ الذَّرَّاتِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الْآلَاتِ الْآخِذَةِ ؛ فَأَوْرَثَتْنِي تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ ، قَنَاعَةً قَطْعِيَّةً بِدَرَجَةِ كَوْنِ الِاثْنَيْنِ فِي الِاثْنَيْنِ أَرْبَعَةً . فَإِذاً إِنَّ الْهَوَاءَ كَمَا أَنَّهُ خَادِمٌ شَاطِرٌ جَوَّالٌ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، يَخْدُمُ مَنْ عَلَيْهِ مِنْ ضُيُوفِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ؛ كَذٰلِكَ يُبَلِّغُ الْأَوَامِرَ الْقُدْسِيَّةَ ، إِلَى النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، بِحَيْثُ تَكُونُ ذَرَّاتُهُ كُلُّهَا بِمَثَابَةِ الْخُدَّامِ ، وَشِبْهِ

آخِذَاتِ اللاّسِلْكِيِّ وَالْهَاتِفِ ، لِتَبْلِيغِ أَوَامِرِ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنِ ؛ وَيُؤَدِّي بِأَمْرِ (كُنْ) ، وَظَائِفَ مُنْتَظِمَةً كَثِيرَةً ، مِثْلَ كَوْنِهِ مَدَاراً لِتَشَكُّلِ الْحُرُوفِ فِي الْفَمِ ، حِينَمَا يَخْرُجُ عَنِ الرِّئَةِ ، بَعْدَ أَنْ أَدّى وَظِيفَةَ الْمِرْوَحِ لِلْأَنْفَاسِ ، وَالتَّنَفُّسِ لِلنُّفُوسِ ، أَيْ وَظِيفَةَ تَصْفِيَةِ الدَّمِ الَّذِي هُوَ مَاءُ الْحَيَاةِ ، وَإِشْعَالِ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي هِيَ نَارُ الْحَيَاةِ . فَبِنَاءً عَلٰى خَاصِّيَّةِ الْهَوَاءِ هٰذِهِ ، أَنَّ الْحُرُوفَ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَاتٌ هَوَائِيَّةٌ كُلَّمَا اكْتَسَبَتْ قُدُسِيَّةً ، أَيِ اتَّخَذَتْ كَيْفِيَّةَ الْآخِذَةِ ؛ يَعْنِي أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ ، تَتَّخِذُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ ؛ وَتُصْبِحُ فِي حُكْمِ الْعُقَدِ ؛ وَأَنَّ مَا فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ مِنَ الْحُرُوفِ ، فِي حُكْمِ الْمَرْكَزِ لِرُؤُوسِ تِلْكَ الْمُنَاسَبَاتِ الْخَفِيَّةِ ، وَفِي حُكْمِ عُقَدِهَا وَأَزْرَارِهَا الْحَسَّاسَةِ ، أَزْيَدُ مِنْ غَيْرِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ يَكُونُ وُجُودُهَا الْهَوَائِيُّ ، مَالِكاً لِهٰذِهِ الْخَاصِّيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّ وُجُودَهَا الذِّهْنِيَّ ، بَلْ وُجُودَهَا النَّقْشِيَّ أَيْضاً ، لَهُمَا خَاصَّةٌ مِنْ هٰذِهِ الْخَاصِّيَّةِ ؛ فَإِذاً يَصِحُّ أَنْ يَحْصُلَ الشِّفَاءُ ، وَسَائِرُ الْمَقَاصِدِ ، بِقِرَاءَةِ تِلْكَ الْحُرُوفِ ، وَبِكِتَابَتِهَا ، كَالْعِلَاجِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بَحْرٌ عَظِيمٌ ، رَفِيعٌ وَمُحِيطٌ ؛ فَيَلْزَمُ لِبَيَانِ جَوَاهِرِهَا ، كِتَابَةُ جِلْدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْكِتَابِ ؛ فَلِذٰلِكَ نُؤَخِّرُ بَيَانَ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ الْغَالِيَةِ ، إِلٰى وَقْتٍ آخَرَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ تَرَاءٰى شُعَاعُ نُكْتَةٍ لَمَسَتْ نَظَرَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ ، قَبْلَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ ، فِيمَا بَعْدَ الصَّلَاةِ مِنَ التَّسَابِيحِ ، الَّتِي هِيَ زَمَانٌ أَهَمُّ لِي فِي نُقْطَةِ تَخَطُّرِ الْحَقَائِقِ ؛ فَمَا قَيَّدْنَاهَا فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَتَبَاعَدَتْ كُلَّمَا مَضَى الزَّمَانُ ؛ فَنَذْكُرُ بَعْضَ كَلِمَاتٍ ، كَدَائِرَةٍ حَوْلَهَا ، لِصَيْدِ جِلْوَةٍ مِنْ تِلْكَ النُّكْتَةِ ،

قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ كُلِّيّاً . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ الْكَلامَ الْأَزَلِيَّ ، غَيْرُ مُتَناهٍ ؛ لِأَنَّهُ صِفَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ، كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ ؛ فَمَا لا نِهايَةَ لَهُ ، لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لَهُ ؛ لَمَا أَنْفَدَهُ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ أَقْوىٰ أَثَرٍ يُشْعِرُ بِوُجُودِ شَخْصٍ ؛ وَأَظْهَرَهُ ، هُوَ تَكَلُّمُهُ ؛ وَأَنَّ سَمَاعَ كَلامِ شَخْصٍ ، يُثْبِتُ وُجُودَهُ بِقَدَرِ أَلْفِ دَلِيلٍ ، بَلْ بِدَرَجَةِ الشُّهُودِ ؛ فَمِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ ، تَقُولُ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ، بِمَعْنَاهَا الْإِشَارِيِّ : إِنَّ الْكَلامَ الْإِلٰهِيَّ الدَّالَّ عَلٰى وُجُودِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ ، لَوْ كَانَتِ الْبِحَارُ مِدَاداً ، وَالْأَشْجَارُ أَقْلاماً تَكْتُبُهُ ؛ لَمَا أَنْفَدَتَا عَدَدَهُ ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَا يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ ، دَلالَةَ الْكَلامِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ ، وَإِشْعَارَهُ بِهِ ، لا حَدَّ لَهُ وَلا يُعَدُّ ، بَدَلاً عَنْ دَلالَةِ كَلامٍ كَذٰلِكَ ، عَلٰى شَخْصٍ بِدَرَجَةِ الشُّهُودِ ؛ فَلَوْ كَانَتْ مِيَاهُ جَمِيعِ الْبِحَارِ مِدَاداً ؛ لَمَا كَفَتْ لِكِتَابَتِهِ . .

﴿اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ أَنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ جَوَابٌ فِي الْمَعْنٰى ، عَلَى اعْتِرَاضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ ، مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ ، اعْتِرَاضاً بَاطِلاً ، عَلٰى أُمِّيَّةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ (عليه الصلاة والسلام) ، وَعَلٰى قِلَّةِ عِلْمِهِ ؛ حَيْثُ يُكَرِّرُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، بَعْضَ الْحَقَائِقِ تَكْرَاراً ظَاهِراً ، لِحِكْمَةِ الْإِقْنَاعِ ، وَالتَّحْقِيقِ ، وَالتَّثْبِيتِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ يُدَرِّسُ جَمِيعَ طَبَقَاتِ الْبَشَرِ ، حَقَائِقَ الْإِيمَانِ ؛ فَتَقُولُ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : إِنَّ تَكْرَارَ مَسَائِلَ ، كُلٌّ مِنْهَا فِي قِيمَةِ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ ، وَمُتَضَمِّنَةٍ لِآلافِ الْحَقَائِقِ ، كَأَرْكَانِ الْإِيمَانِ ، وَذٰلِكَ لِتَمْكِينِهَا فِي قُلُوبِ الْعُمُومِ ، لاسِيَّمَا الْعَوَامِّ ؛ وَتَكْرَارَ حَقِيقَةٍ لَهَا نَتَائِجُ مُتَعَدِّدَةٌ كَثِيرَةٌ فِي جِهَةِ فَوَائِدَ مُخْتَلِفَةٍ ، لِحِكَمٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً مِثْلِ الْإِقْنَاعِ وَالتَّحْقِيقِ ، تَكْرَاراً مُعْجِزاً بِوُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ لَيْسَ ذٰلِكَ التَّكْرَارُ مِنْ حَصْرِ الْكَلامِ ، وَقِصَرِ الذِّهْنِ ، وَنَقْصِ الْبِضَاعَةِ ؛ بَلْ لَوْ كَانَتِ الْبِحَارُ مِدَاداً ، وَذَوُو الشُّعُورِ كُتَّاباً ، وَالنَّبَاتَاتُ أَقْلاماً ، بَلْ وَالذَّرَّاتُ رُؤُوسَ أَقْلامٍ ، لِتَعْدَادِ كَلِمَاتِ الْكَلامِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي هُوَ مَنْبَعُ الْقُرْآنِ ، الَّذِي يَتَرَنَّمُ فِي أُذُنِ كُلِّ فَرْدٍ ؛ وَيَتَكَلَّمُ مَعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، وَالْمَلائِكَةِ وَالْأَرْوَاحِ ؛ وَيَتَوَجَّهُ إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ بِحِسَابِ عَالَمِ الْغَيْبِ ؛ وَيُتَلَقّٰى مِنْ خَزِينَةِ الْكَلامِ الْإِلٰهِيِّ ، تِلْكَ

الْخَزِينَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، الَّتِي لا حَدَّ وَلا نِهَايَةَ لَهَا ؛ لَمَا أَنْفَدَتْهَا أَيْضاً ؛ لِأَنَّ هٰؤُلاءِ مُتَنَاهِيَةٌ ؛ وَتِلْكَ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ : ﴾ أَنَّ صُدُورَ الْكَلامِ مِمَّا لا يُتَوَقَّعُ مِنْهُ الْكَلامُ ، يُورِثُهُ اهْتِمَاماً ؛ وَيُسْمِعُ نَفْسَهُ لِلْغَيْرِ ؛ وَلاسِيَّمَا الْأَصْوَاتِ الشَّبِيهَةِ بِالتَّكَلُّمِ ، فِي الْأَجْرَامِ الْعَظِيمَةِ ، مِثْلِ السَّحَابِ وَجَوِّ السَّمَاءِ ، تُسْمِعُ نَفْسَهَا لِكُلِّ أَحَدٍ بِالْإِهْتِمَامِ أَيْضاً ؛ وَلاسِيَّمَا نَغَمَاتِ جِهَازٍ حَاكٍ فِي جَسَامَةِ الْجَبَلِ ، تَجْذِبُ نَظَرَ تَدَبُّرِ السَّمْعِ إِلَيْهَا أَكْثَرَ ؛ وَلاسِيَّمَا الصَّوْتِ السَّمَاوِيِّ الْقُرْآنِيِّ ، الَّذِي يَتَّخِذُ طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ أُسْطُوَانَاتِ الصَّدٰى ؛ لِيُسْمِعَ هَامَةَ كُرَةِ الْأَرْضِ . فَكَمَا أَنَّ ذَرَّاتِ الْهَوَاءِ ، تَكُونُ آخِذَةً وَنَاقِلَةً لِلْحُرُوفِ بِقُوَّةِ الرَّادِيُو ؛ كَذٰلِكَ تُصْبِحُ تِلْكَ الذَّرَّاتُ ، لِهٰذِهِ الْحُرُوفِ الْقُرْآنِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ ، بِمَثَابَةِ الْمَرَايَا وَالْأَلْسِنَةِ ، وَالْآذَانِ وَرُؤُوسِ إِبَرِ الْجِهَازِ الْحَاكِي ، بِلا شَكٍّ ؛ فَلِلرَّمْزِ إِلٰى ذٰلِكَ ، وَلِلْإِشَارَةِ إِلٰى أَنَّ حُرُوفَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، ذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ وَقِيمَةٍ ، وَذَاتُ خَاصِّيَّةٍ وَحَيَاةٍ ، تَقُولُ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ ، بِمَعْنَاهَا الْإِشَارِيِّ : إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ كَلامُ اللهِ ، ذُو حَيَاةٍ وَقِيمَةٍ ، بِحَيْثُ لَوْ كَانَتْ جَمِيعُ الْبِحَارِ مِدَاداً ؛ وَالْمَلائِكَةُ كُتَّاباً ؛ وَالذَّرَّاتُ وَالنِّطَافُ وَالنَّبَاتَاتُ وَالشَّعَرَاتُ أَقْلاماً ؛ لَمَا أَنْفَدَتْ أَعْدَادَ الْآذَانِ السَّامِعَةِ ، وَالْمُسْتَمِعَةِ إِلَى الْقُرْآنِ ، وَلا أَعْدَادَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْقُدُسِيَّةِ الدَّاخِلَةِ فِي تِلْكَ الْآذَانِ . نَعَمْ : إِنَّهَا لا تُنْفِدُهَا ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالٰى ، إِذَا أَكْثَرَ فِي الْهَوَاءِ ، مِنْ أَعْدَادِ كَلامِ الْبَشَرِ ، ذٰلِكَ الْكَلامِ الضَّعِيفِ الَّذِي لا رُوحَ لَهُ ، بِقَدَرِ الْمَلايِينِ ؛ فَلا شَكَّ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلامِ سُلْطَانِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، الَّذِي لا مِثَالَ لَهُ ، ذٰلِكَ الْكَلامِ النَّاظِرِ إِلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَالْمُخَاطِبِ لِجَمِيعِ ذَوِي الشُّعُورِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، تُصْبِحُ كَلِمَاتٍ عَدَدَ ذَرَّاتِ الْهَوَاءِ . .

﴿ اَلْكَلِمَةُ الْخَامِسَةُ : ﴾ حَرْفَانِ . .

الْحَرْفُ الْأَوَّلُ : أَنَّهُ كَمَا أَنَّ لِصِفَةِ الْكَلامِ كَلِمَاتٍ ؛ كَذٰلِكَ أَنَّ لِلْقُدْرَةِ أَيْضاً كَلِمَاتٍ مُجَسَّمَةً ؛ وَلِلْعِلْمِ أَيْضاً كَلِمَاتٍ قَدَرِيَّةً ذَاتَ حِكْمَةٍ ، وَهِيَ الْمَوْجُودَاتُ ، لاسِيَّمَا ذَوِي الْحَيَاةِ ،

وَلاَسِيَّمَا الْمَخْلُوقَاتِ الصَّغِيرَةِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، كَلِمَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ، تُشِيرُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ الْأَزَلِيِّ بِصُورَةٍ أَقْوَى مِنَ الْكَلاَمِ ؛ وَلَوْ كَانَتِ الْبِحَارُ مِدَاداً لِأَعْدَادِهَا ؛ لَمَا أَنْفَدَتْهُ . فَهٰذِهِ الْآيَةُ تَنْظُرُ رَمْزاً إِلٰى هٰذَا الْمَعْنٰى أَيْضاً . .

اَلْحَرْفُ الثَّانِي : أَنَّ جَمِيعَ الْإِلْهَامَاتِ الْوَارِدَةِ إِلٰى جَمِيعِ الْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ ، حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا ، مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلاَمِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَكَلِمَاتُ هٰذَا الْكَلاَمِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ قَطْعاً ؛ فَإِذاً إِنَّ الْآيَةَ تُخْبِرُ أَنَّ كَلِمَاتِ الْإِلْهَامِ وَالْأَوَامِرِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الَّتِي يَتَلَقَّاهَا جُنُودُ السَّلْطَنَةِ الْمُطْلَقَةِ ، مِمَّا لَا نِهَايَةَ لَهَا ، كَثِيرَةٌ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ . .

﴿ اَلْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ . . لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾ . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ . .

جَوَابٌ مُخْتَصَرٌ ، عَلٰى سُؤَالٍ عَائِدٍ إِلٰى هٰذِهِ الْآيَةِ ، اكْتَسَبَ اهْتِمَاماً بَالِغاً ؛ كَمَا أَفْحَمَ بِهِ شَخْصٌ مُهِمٌّ مُتَفَنِّنٌ ، بَعْضَ الْعُلَمَاءِ . .

اَلسُّؤَالُ : هُوَ أَنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ الْحَدِيدَ يُخْرَجُ عَنِ الْأَرْضِ ؛ وَلَا يَنْزِلُ مِنَ الْأَعْلٰى ؛ حَتّٰى يُقَالَ : ﴿أَنْزَلْنَا﴾ ؛ فَلِمَاذَا لَمْ يَقُلْ : (أَخْرَجْنَا) ؛ وَقَالَ : ﴿أَنْزَلْنَا﴾ ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ ظَاهِراً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، إِنَّمَا قَالَ ذٰلِكَ ، لِتَذْكِيرِ جِهَةِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُهِمَّةِ جِدّاً ، فِي الْحَدِيدِ ، بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ . فَإِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَنْظُرُ إِلٰى ذَاتِ الْحَدِيدِ فَقَطْ ؛ حَتّٰى يَقُولَ : (أَخْرَجْنَا) ؛ بَلْ يَنْظُرُ إِلَى الْحَدِيدِ لِتَذْكِيرِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فِيهِ ، وَتَذْكِيرِ مَدَى احْتِيَاجِ نَوْعِ الْبَشَرِ إِلَى الْحَدِيدِ ؛ فَجِهَةُ النِّعْمَةِ لَيْسَتْ فِي الْأَسْفَلِ ؛ حَتّٰى تَخْرُجَ النِّعْمَةُ عَنْهُ

إِلَى الْأَعْلٰى ؛ بَلْ تَنْزِلُ عَنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ خَزِينَةَ الرَّحْمَةِ ، عَالِيَةٌ وَفَائِقَةٌ ، وَفِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا مَعْنًى ؛ وَأَنَّ النِّعْمَةَ تَكُونُ مِنَ الْأَعْلٰى إِلَى الْأَسْفَلِ ؛ وَمَرْتَبَةُ الْبَشَرِ الْمُحْتَاجِ فِي الْأَسْفَلِ ؛ وَالْإِنْعَامُ فِيمَا فَوْقَ الِاحْتِيَاجِ ؛ فَحَقُّ تَعْبِيرِ مَجِيءِ النِّعْمَةِ مِنَ الرَّحْمَةِ لِإِمْدَادِ احْتِيَاجِ الْبَشَرِ ، هُوَ (الْإِنْزَالُ) ، لَا الْإِخْرَاجُ ؛ وَأَيْضاً أَنَّ كَلِمَةَ الْإِخْرَاجِ لَا تُشْعِرُ بِجِهَةِ الْإِحْسَانِ ، لِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ؛ لِأَنَّ الْإِخْرَاجَاتِ التَّدْرِيجِيَّةَ تَكُونُ بِيَدِ الْبَشَرِ . نَعَمْ : إِذَا كَانَتْ مَادَّةُ الْحَدِيدِ مُرَادَةً ؛ فَحَقُّ التَّعْبِيرِ هُوَ (الْإِخْرَاجُ) ، بِاعْتِبَارِ الْمَكَانِ الْمَادِّيِّ ؛ وَلٰكِنَّ فَائِدَةَ الْحَدِيدِ ، وَالنِّعْمَةَ الَّتِي هِيَ مَعْنَاهُ الْمَقْصُودُ هٰهُنَا ، هُمَا مَعْنَوِيَّتَانِ ؛ وَهٰذَا الْمَعْنٰى لَا يَنْظُرُ إِلَى الْمَكَانِ الْمَادِّيِّ ، بَلْ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَالنِّعْمَةُ الْوَارِدَةُ مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، الَّتِي هِيَ تَجَلٍّ مِنْ تَجَلِّيَاتِ مَرْتَبَةِ عُلُوِّ الرَّحْمٰنِ ، تَنْزِلُ مِنَ الْمَقَامِ الْأَعْلٰى إِلَى الْمَرْتَبَةِ السُّفْلٰى ؛ فَحَقُّ التَّعْبِيرِ هُوَ (أَنْزَلْنَا) ؛ فَيُذَكِّرُ بِهٰذَا التَّعْبِيرِ ، لِنَوْعِ الْبَشَرِ ، أَنَّ الْحَدِيدَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ إِلٰهِيَّةٍ . نَعَمْ : إِنَّ مَعْدِنَ جَمِيعِ صَنَائِعِ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَمَنْبَعَ تَرَقِّيَاتِهِ ، وَمَدَارَ قُوَّتِهِ ، هُوَ الْحَدِيدُ ؛ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالٰى ، بِكَمَالِ التَّعْظِيمِ وَالِاحْتِشَامِ ، فِي مَقَامِ الِامْتِنَانِ وَالْإِنْعَامِ : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ، لِتَذْكِيرِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ ؛ كَمَا يَقُولُ : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُعْجِزَةٌ أَهَمُّ لِدَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ يُبَيِّنُ تَلْيِينَ الْحَدِيدِ ، نِعْمَةً كَبِيرَةً جِدّاً ، وَمُعْجِزَةً عَظِيمَةً ، لِنَبِيٍّ عَظِيمٍ . .

وَثَانِياً : أَنَّ الْأَعْلٰى وَالْأَسْفَلَ نِسْبِيَّانِ ؛ فَالْأَعْلٰى يَكُونُ أَسْفَلَ ، بِالنَّظَرِ إِلٰى مَرْكَزِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ حَتّٰى إِنَّ مَا هُوَ أَسْفَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا ، يَصِيرُ أَعْلٰى بِالنَّظَرِ إِلٰى قَارَّةِ أَمْرِيكَا ؛ فَإِذاً إِنَّ الْمَوَادَّ الْوَارِدَةَ مِنَ الْمَرْكَزِ إِلٰى جَانِبِ سَطْحِ الْأَرْضِ ، تَتَغَيَّرُ كَيْفِيَّتُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلٰى مَنْ هُمْ عَلٰى سَطْحِ الْأَرْضِ ؛ فَيُفِيدُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، بِلِسَانِ الْإِعْجَازِ : أَنَّ الْحَدِيدَ فِيهِ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ، وَفَوَائِدُ وَاسِعَةٌ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَيْسَ مَادَّةً عَادِيَّةً تَخْرُجُ عَنْ مَخْزَنِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، الَّتِي هِيَ دَارُ الْإِنْسَانِ ؛ وَلَيْسَ مَعْدِناً فِطْرِيّاً اسْتُعْمِلَ فِي الْحَاجَاتِ تَصَادُفاً ؛ بَلْ إِنَّ الْحَدِيدَ نِعْمَةٌ أُعِدَّتْ فِي مَصْنَعِ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمِ ، وَفِي خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، مِنْ جَانِبِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ لِيَكُونَ

مَداراً لِحَاجَاتِ سُكَّانِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ فَقَالَ : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ، لِإِفَادَةِ النَّفْعِ الْعَامِّ فِي الْحَدِيدِ ، بِأَنَّ لَهُ فَوَائِدَ شَامِلَةً ، كَالرَّحْمَةِ وَالْحَرَارَةِ وَالضِّيَاءِ ، النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ ؛ كَأَنَّهُ يُرْسَلُ مِنْ مَصْنَعِ الْكَائِنَاتِ ، لَا مِنْ مُسْتَوْدَعِ الْأَرْضِ الضَّيِّقِ ؛ بَلْ أُعِدَّ فِي خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ فِي قَصْرِ الْعَالَمِ ؛ وَأُرْسِلَ مِنْهَا ؛ فَوُضِعَ فِي مُسْتَوْدَعِ كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ فَيُخْرَجُ قِطَعاً قِطَعاً عَنْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعِ ، حَسَبَ احْتِيَاجِ الْأَعْصَارِ . فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ ، لَا يُرِيدُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ صَرْفِ الْحَدِيدِ الْمُخْرَجِ قِطَعاً عَنْ هٰذَا الْمُسْتَوْدَعِ الصَّغِيرِ ؛ وَأَنْ يُفِيدَ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى فَقَطْ ؛ بَلْ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ : اعْمَلُوا لِإِخْرَاجِ الْحَدِيدِ الْمُنْزَلِ ؛ وَاسْتَفِيدُوا مِنْهُ ؛ وَأَدُّوا بِهٰذَا الْحَدِيدِ أَشْغَالَكُمْ ؛ لِيُفِيدَ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى أَنْزَلَ تِلْكَ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ ، مَعَ كُرَةِ الْأَرْضِ ، مِنَ الْخَزِينَةِ الْكُبْرٰى ؛ يَعْنِي : أَنَّ أَلْزَمَ شَيْءٍ لِبَيْتِ كُرَةِ الْأَرْضِ هٰذِهِ ، هُوَ الْحَدِيدُ ؛ فَكَأَنَّ الْخَالِقَ الْجَلِيلَ أَنْزَلَهُ مَعَ كُرَةِ الْأَرْضِ ، حِينَمَا شَقَّهَا عَنِ الشَّمْسِ ؛ وَأَنْزَلَهَا لِلنَّاسِ ؛ فَأُدِّيَ بِالْحَدِيدِ أَكْثَرُ حَاجَاتِ الْبَشَرِ . هٰكَذَا يَقُولُ الْقُرْآنُ عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ؛ فَيُبَيِّنُ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ نِعْمَتَيْنِ هُمَا مَدَارٌ لِدَفْعِ الْأَعْدَاءِ ، وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ ؛ وَيُفِيدُ أَنَّهُ قَدْ أُدِّيَ أَهَمُّ مَنَافِعِ الْبَشَرِ بِالْحَدِيدِ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ ؛ وَلٰكِنَّ الْحَدِيدَ سَيُظْهِرُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، قُوَّةً خَارِقَةً فِي شِبْهِ حَالَةِ الْمَوْتِ ؛ فَيُسَخِّرُ كُرَةَ الْأَرْضِ ؛ وَيَسِيرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْجَوِّ ، بِصُورَةٍ خَارِقَةٍ وَمُحَيِّرَةٍ لِلْعُقُولِ ؛ فَأَظْهَرَ لَمْعَةً مِنَ الْإِعْجَازِ ، مِنْ قَبِيلِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ ، لِكَلِمَةِ : ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ، لِإِفَادَةِ ذٰلِكَ . .

وَبَيْنَمَا كُنَّا نَبْحَثُ عَنْ هٰذِهِ النُّكْتَةِ السَّابِقَةِ ، إِذْ فُتِحَ الْبَحْثُ عَنْ هُدْهُدِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ فَقَالَ أَخٌ(١) سَائِلٌ وَمُلِحٌّ ، مِنْ إِخْوَانِنَا : مَا هُوَ السَّبَبُ لِذِكْرِ هٰذَا الْوَصْفِ الْخَفِيفِ نِسْبِيّاً ، بَيْنَ الْأَوْصَافِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمُهِمَّةِ ، فِي الْمَقَامِ الْأَهَمِّ ، فِي تَوْصِيفِ الْهُدْهُدِ ، لِلّٰهِ تَعَالٰى ، بِقَوْلِهِ : ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؟ .

---

(١) وَهُوَ رَأْفَتُ الْغَيُورُ فِي السُّؤَالِ ، وَالْكَسْلَانُ فِي الْكِتَابَةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

اَلْجَوَابُ : أَنَّ مِنْ مَزَايَا كَلامٍ بَلِيغٍ ، أَنْ يُشْعِرَ الْكَلامُ ، عَمَلَ الْمُتَكَلِّمِ ، وَصَنْعَتَهُ الَّتِي يَشْتَغِلُ بِهَا كَثِيراً ؛ وَأَنَّ الْهُدْهُدَ السُّلَيْمَانِيَّ ، كَانَ عَرِيفَ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ ، كَالْعُرَفَاءِ الْبَدَوِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْشِفُونَ بِالْفِرَاسَةِ ، شِبْهِ الْكَرَامَةِ ، أَمَاكِنَ الْمَاءِ الْمَخْفِيِّ ، فِي صَحْرَاءِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ الْقَلِيلَةِ الْمَاءِ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ طَيْراً مُبَارَكاً مُوَظَّفاً يَجِدُ الْمَاءَ ؛ وَيَعْمَلُ عَمَلَ الْمُهَنْدِسِ لِسُلَيْمَانَ (عليه السلام) ؛ فَلِذٰلِكَ يُثْبِتُ بِمِقْيَاسِ صَنْعَتِهِ الصَّغِيرِ ، كَوْنَ اللهِ تَعَالٰى مَعْبُوداً وَمَسْجُوداً ، بِأَنَّهُ يُخْرِجُ مَا خُبِئَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ وَيُعْلِمُ إِثْبَاتَهُ بِصَنْعَتِهِ الدَّقِيقَةِ ؛ وَيُفِيدُهُ بِهَا . نَعَمْ : إِنَّ الْهُدْهُدَ رَأٰى جَيِّداً جِدّاً ؛ لِأَنَّ مَا لا يُعَدُّ وَلا يُحْصٰى ، مِنَ الْمَعَادِنِ وَالنَّوٰى وَالْبُذُورِ تَحْتَ التُّرَابِ ، لَيْسَ مِنْ مُقْتَضٰى فِطْرَتِهَا ، أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْأَسْفَلِ إِلَى الْأَعْلٰى ؛ لِأَنَّ الْأَجْسَامَ الثَّقِيلَةَ ، الَّتِي لا رُوحَ وَلا اخْتِيَارَ لَهَا ، لا تَخْرُجُ إِلَى الْأَعْلٰى بِنَفْسِهَا ؛ وَإِنَّمَا تَسْقُطُ إِلَى الْأَسْفَلِ بِنَفْسِهَا ؛ فَإِذَا خَرَجَ جِسْمٌ جَامِدٌ فِي الْأَسْفَلِ ، وَلاسِيَّمَا إِذَا كَانَ مَخْبُوءاً تَحْتَ ثِقْلِ التُّرَابِ ؛ فَهَزَّ مَا عَلٰى كَتِفِهِ مِنَ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ ؛ وَخَرَجَ إِلَى الْأَعْلٰى ؛ فَلا يَكُونُ ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ ؛ فَإِذاً إِنَّهُ يُخْرَجُ بِقُدْرَةٍ خَارِقَةٍ ؛ فَالْهُدْهُدُ عَلِمَ بِعِرَافَتِهِ ، أَخْبَأَ بَرَاهِينِ كَوْنِهِ تَعَالٰى مَعْبُوداً وَمَسْجُوداً لَهُ ؛ وَوَجَدَ أَهَمَّ تِلْكَ الْبَرَاهِينِ بِصَنْعَتِهِ ؛ فَأَعْطَى الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، بَيَانَهُ فِي حَقِّ الْهُدْهُدِ ، إِعْجَازاً . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ . . إِلٰى آخِرِ الْآيَةِ . .

إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ ، تَتَضَمَّنُ عَيْنَ النُّكْتَةِ الَّتِي بَيَّنَّاهَا فِي آيَةِ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ؛ فَتُؤَيِّدُهَا وَتَتَأَيَّدُ بِهَا . نَعَمْ : إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ الْبَيَانِ ، لَمْ يَقُلْ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ : (وَخَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) ؛ فَيُفِيدُ بِقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ، أَنَّ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُبَارَكَةِ ، أُنْزِلَتْ لَكُمْ مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ وَأُرْسِلَتْ إِلَيْكُمْ

نِعْمَةً ؛ كَأَنَّهَا أُنْزِلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْحَيْوَانَاتِ الْمُبَارَكَةَ ، نِعْمَةٌ بِكُلِّ جِهَاتِهَا ، لِجَمِيعِ الْبَشَرِ ؛ فَإِنَّ ثِيَابَ الْبَدَوِيِّينَ وَبُيُوتَهُمُ السَّيَّارَةَ ، مِنْ أَشْعَارِهَا ؛ وَالْأَطْعِمَةَ الطَّيِّبَةَ ، مِنْ لُحُومِهَا ؛ وَالْأَغْذِيَةَ اللَّذِيذَةَ ، مِنْ أَلْبَانِهَا ؛ وَالنِّعَالَ وَسَائِرَ الْأَمْتِعَةِ ، مِنْ جُلُودِهَا ؛ حَتّٰى إِنَّ أَرْوَاثَهَا تَكُونُ وَقُوداً لِلنَّاسِ ، وَبِمَثَابَةِ الْأَرْزَاقِ لِلْمَزْرُوعَاتِ ؛ فَكَأَنَّ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُبَارَكَةَ ، هِيَ عَيْنُ **النِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ** ؛ فَتَجَسَّمَتْ ؛ **فَلِذٰلِكَ سُمِّيَتْ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْمُبَارَكَةُ بِالْأَنْعَامِ ؛ كَمَا سُمِّيَ الْمَطَرُ بِالرَّحْمَةِ ؛ فَكَأَنَّ الرَّحْمَةَ تَجَسَّمَتْ فَأَصْبَحَتْ مَطَراً ؛ وَالنِّعْمَةَ تَجَسَّدَتْ فَتَشَكَّلَتْ بِأَشْكَالِ الْمَعْزِ وَالضَّأْنِ ، وَالْبَقَرِ وَالْجَامُوسِ وَالْإِبِلِ** ؛ فَإِنَّ مَادَّتَهَا الْجِسْمَانِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ تُخْلَقُ فِي الْأَرْضِ ؛ إِلَّا أَنَّ صِفَةَ النِّعْمَةِ ، وَمَعْنَى الرَّحْمَةِ ، غَلَبَتَا تَمَاماً عَلٰى مَادَّتِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ يَقُولُ بِتَعْبِيرِ «**أَنْزَلَ**» : إِنَّ **الْخَالِقَ الرَّحِيمَ** ، أَنْزَلَ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُبَارَكَةَ ، الَّتِي هِيَ هَدَايَا خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، مِنْ مَرْتَبَةِ رَحْمَتِهِ الرَّفِيعَةِ ، وَمِنْ جَنَّتِهِ الْعَالِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ ، إِلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ . .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ مَادَّةً فِي قِيمَةِ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ ، تُدْرَجُ فِيهَا أَحْيَاناً ، صَنْعَةٌ بِقِيمَةِ خَمْسَةِ دَنَانِيرَ ؛ فَحِينَئِذٍ لَا يُنْظَرُ إِلٰى مَادَّةِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ فَيُقَوَّمُ فِي جِهَةِ الصَّنْعَةِ ، كَمَادَّةِ الذُّبَابِ الصَّغِيرَةِ ، وَالصَّنْعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْعَظِيمَةِ فِيهِ . وَقَدْ تُوجَدُ فِي مَادَّةٍ بِخَمْسَةِ دَنَانِيرَ ، صَنْعَةٌ بِقِيمَةِ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ ؛ فَالْحُكْمُ حِينَئِذٍ لِلْمَادَّةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، أَنَّ مَادَّةً جِسْمَانِيَّةً قَدْ يُوجَدُ فِيهَا مَعْنَى النِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ ، بِحَيْثُ يُصْبِحُ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى ، أَزْيَدَ قِيمَةً مِنْ مَادَّتِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ ؛ حَتّٰى كَأَنَّ مَادَّتَهُ الْجِسْمَانِيَّةَ تَخْتَفِي ؛ فَيَنْظُرُ الْحُكْمُ إِلٰى جِهَةِ كَوْنِهِ نِعْمَةً . فَكَمَا أَنَّ مَنَافِعَ الْحَدِيدِ الْعَظِيمَةَ ، وَثَمَرَاتِهِ الْكَثِيرَةَ ، أَخْفَتْ مَادَّتَهُ الْمَادِّيَّةَ ؛ كَذٰلِكَ وُجُودُ النِّعْمَةِ ، فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُبَارَكَةِ الْمَذْكُورَةِ ، كَأَنَّهُ قَلَبَ مَوَادَّهَا الْجِسْمَانِيَّةَ أَيْضاً بِالنِّعْمَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ نَظَرَ إِلٰى صِفَاتِهِمَا الْمَعْنَوِيَّةِ ، بِدُونِ النَّظَرِ إِلٰى حُكْمِ مَوَادِّهِمَا الْجِسْمَانِيَّةِ ؛ فَعَبَّرَ بِقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿أَنْزَلْنَا ، وَأَنْزَلَ﴾ . .

نَعَمْ : إِنَّ هٰذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ كَمَا أَفَادَا النُّكْتَةَ السَّابِقَةَ ، بِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهُمَا يُفِيدَانِ

عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، مَعْنًى أَهَمَّ فِي نَظَرِ الْبَلاغَةِ ؛ وَذٰلِكَ أَنَّهُ يُفِيدُ بِتَعْبِيرِ (أَنْزَلْنَا) ، أَنَّ الْحَدِيدَ مَعَ صَلابَتِهِ وَاخْتِفَائِهِ وَعُمْقِهِ فِطْرَةً ، قَدْ أُحْسِنَ بِهِ إِلَى النَّاسِ ، بِخَاصَّةِ تَلْيِينِهِ كَالْعَجِينِ ، وَحُضُورِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ يَحْصُلُ عَلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، بِالسُّهُولَةِ . فَلِإِفَادَةِ ذٰلِكَ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهُ أَنْزَلَ بِضَاعَةَ الْحَدِيدِ ، كَالنِّعَمِ السَّمَاوِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ ، مِنْ مَصْنَعٍ أَعْلٰى ؛ فَيَحْصُلُ عَلَيْهِ بِالسُّهُولَةِ ، كَأَنَّهُ أُعْطِيَ بِيَدِ الْبَشَرِ . .

وَكَذَا يُفِيدُ بِتَعْبِيرِ ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ : أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ ، مِثْلَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْجَامُوسِ الْجَسِيمَةِ ، الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُهِمَّةِ ، مُسَخَّرَةٌ وَمُطِيعَةٌ لِلْإِنْسَانِ غَايَةَ الْإِطَاعَةِ ؛ حَتّٰى إِنَّ الْإِبِلَ تُعْطِي زِمَامَهَا بِيَدِ صَبِيٍّ ضَعِيفٍ ؛ وَتُطِيعُهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الضَّارَّةَ ، مِنَ الْبَعُوضِ إِلَى الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، وَالذِّئْبِ وَالْأَسَدِ ، تَضُرُّ بِالْإِنْسَانِ ؛ فَلِإِفَادَتِهِ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُبَارَكَةَ ، لَيْسَتْ حَيَوَانَاتِ الدُّنْيَا ؛ حَتّٰى يُوجَدَ فِيهَا التَّوَحُّشُ وَالضَّرَرُ ؛ بَلْ إِنَّهَا نَافِعَةٌ ، وَغَيْرُ ضَارَّةٍ ، كَحَيَوَانَاتِ جَنَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ؛ فَأُنْزِلَتْ مِنَ الْأَعْلٰى ، أَيْ مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ ، فِي حَقِّ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ : إِنَّهَا أُنْزِلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ ، نَشَأَ عَنْ هٰذَا[1] الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ . . وَإِذَا كُتِبَتْ صَحِيفَةٌ عَلٰى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ لَا يُقَالَ : إِنَّهَا طَالَتْ ؛ إِذْ إِنَّهُ كَلَامُ اللّٰهِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ إِسْرَافٌ بِكِتَابَةِ صَحِيفَتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثِ صَحَائِفَ ، لِتَعْبِيرِ (أَنْزَلَ) ؛ فَإِنَّ حَرْفاً وَاحِداً مِنَ الْقُرْآنِ ، قَدْ يَكُونُ مِفْتَاحاً لِخَزِينَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ . .

---

(١) وَمُرَادُ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ قَوْلِهِمْ : إِنَّ مَبَادِئَ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاوَاتِ ، هُوَ : أَنَّ بَقَاءَ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ ، الْمُسَمَّاةِ بِالْأَنْعَامِ ، يَكُونُ بِالرِّزْقِ ؛ وَرِزْقُهَا هُوَ النَّبَاتُ ؛ وَرِزْقُ النَّبَاتِ ، الْمَطَرُ ؛ وَالْمَطَرُ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ ، وَمَاءُ حَيَاةٍ ، يَنْزِلُ هٰذَا الرِّزْقُ مِنَ السَّمَاءِ ؛ وَآيَةُ ﴿وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ ، تُشِيرُ إِلَى هٰذَا الْمَعْنٰى . فَإِذَا كَانَتْ أَبْدَانُ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي تَدُومُ مُتَجَدِّدَةً ، هِيَ فِي الْمَطَرِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَإِنَّ التَّعْبِيرَ بِقَوْلِهِ : (أَنْزَلَ) الَّذِي يُفِيدُ أَنَّهُ أَنْزَلَهَا مِنَ السَّمَاءِ ، يَكُونُ فِي مَحَلِّهِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

تَسْلِيَةٌ حَقِيقِيَّةٌ ، وَبَعْضُ فِقْرَاتٍ ، كُتِبَتْ لِطَلَبَةِ رِسَالَةِ النُّورِ فِي السِّجْنِ ، بِمَدِينَةِ «أَسْكِيشَهِرَ» . .

إِخْوَانِي الْأَعِزَّاءَ ! كُنْتُ مُتَأَثِّراً عَنْ هٰذَا الْحَادِثِ جِدّاً ؛ وَكَانَ الْأَلَمُ يَسْحَقُنِي ؛ وَلٰكِنْ أُخْطِرَ لِي : أَنَّهُ كَانَ فِي قَدَرِكُمْ وَنَصِيبِكُمْ ، أَنْ تَشْرَبُوا مَاءَ هٰذَا السِّجْنِ ؛ وَأَنْ تَأْكُلُوا طَعَامَهُ مَعاً ؛ وَأَنَّ أَسْهَلَ مَكَانٍ نَشْرَبُ وَنَأْكُلُ فِيهِ هٰذَا الطَّعَامَ وَالْمَاءَ مَعاً ، وَأَخَفَّ مَكَانٍ كَذٰلِكَ ، وَأَفْضَلَهُ ، وَأَزْيَدَهُ ثَوَاباً ، هُوَ هٰذَا السِّجْنُ الَّذِي هُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَجِلْوَةٌ مِنْ جَلَوَاتِ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَأَنَّهُ أَنْفَعُ مَدْرَسَةٍ لِطُلّابِ رِسَالَةِ النُّورِ ، وَأَفْيَضُ حُجْرَةٍ لَهُمْ ، وَأَشَدُّ مَيْدَانِ امْتِحَانٍ حَسَّاسٍ ، يُعَلِّمُ كَيْفِيَّةَ لُزُومِ الْعَمَلِ بِالْأَحْوَطِ ، إِزَاءَ أَعْدَائِهِمْ ، وَأَشْرَقُ زَاوِيَةٍ وَتَكِيَّةٍ ؛ لِيَسْتَفِيدَ هٰؤُلاءِ الْأَصْحَابُ ، الَّذِينَ فِي كُلٍّ مِنْهُمْ مَزَايَا جَمِيلَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ ؛ وَلِيَدْرُسُوا عَنْ خَصَائِلِهِمُ الْحَمِيدَةِ ، وَمَزَايَاهُمُ الْعَالِيَةِ ، وَعَنْ تَأْسِيسِ تَآخِيهِمْ ، وَتَجْدِيدِ أُخُوَّتِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَرَى هٰذَا السِّجْنَ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ ؛ فَلا أَشْتَكِي عَنْ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةِ ؛ بَلْ أَشْكُرُ عَلَيْهَا بِكُلِّ رُوحِي . **نَعَمْ : إِنَّ مَسْلَكَنَا هُوَ الشُّكْرُ ، وَمُشَاهَدَةُ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الرَّحْمَةِ ، وَجِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ النِّعْمَةِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ . .**

أَخُوكُمُ الْمُتَأَلِّمُ بِآلامِكُمْ جَمِيعاً : سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

دُسْتُورٌ :

إِنَّ تَلامِذَةَ رِسَالَةِ النُّورِ ، عَلَيْهِمْ أَنْ لا يَطْلُبُوا النُّورَ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ وَلَنْ يَطْلُبُوا ؛ فَإِنْ طَلَبَهُ أَحَدٌ ؛ يَجِدُ سِرَاجاً ، بَدَلاً عَنِ الشَّمْسِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، الَّتِي تُضِيءُ مِنْ نَافِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ بَلْ يَفْقِدُ الشَّمْسَ . . وَكَذَا أَنَّ مَشْرَبَ الْخُلَّةِ ، وَمَسْلَكَ الْأُخُوَّةِ ، فِي دَائِرَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، ذٰلِكَ الْمَشْرَبَ الْخَالِصَ الْمَتِينَ ، الَّذِي **يُكْسِبُ لِكُلِّ فَرْدٍ أَرْوَاحاً كَثِيرَةً** ؛ وَيُبَيِّنُ مَشْرَبَ **أُخُوَّةِ الصَّحَابَةِ بِسِرِّ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ** ، لا يَتْرُكُ الِاحْتِيَاجَ إِلَى أَنْ يَطْلُبَ

أَباً وَمُرْشِداً فَقَطْ ، فِي الدَّائِرَةِ الْخَارِجَةِ عَنْهُ ، عَلٰى صُورَةِ الْإِضْرَارِ بِذٰلِكَ الْأَبِ وَالْمُرْشِدِ ، بِثَلَاثِ جِهَاتٍ ؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ لَهُ كَثِيرِينَ مِنْ إِخْوَانٍ كِبَارٍ ، بَدَلاً عَنْ أَبٍ فَقَطْ ؛ فَإِنَّ شَفَقَاتٍ مُتَعَدِّدَةً ، مِنْ شَفَقَاتِ الْإِخْوَانِ الْكِبَارِ ، تُنَزِّلُ شَفَقَةَ أَبٍ وَاحِدٍ إِلٰى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؛ وَكُلُّ مَنْ وَجَدَ شَيْخَهُ وَمُرْشِدَهُ ، قَبْلَ الدُّخُولِ فِي دَائِرَةِ النُّورِ ، فَلَهُ أَنْ يَحْفَظَ شَيْخَهُ وَمُرْشِدَهُ ، فِي الدَّائِرَةِ أَيْضاً ؛ وَلٰكِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْخٌ ، فَإِنَّمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَطْلُبَ الْمُرْشِدَ ، فِي الدَّائِرَةِ فَقَطْ ، بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهَا .. وَكَذَا أَنَّ مَا فِي دَائِرَةِ دَرْسِ رِسَالَةِ النُّورِ لِلْحَقَائِقِ ، مِنْ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ ، الَّذِي يُعْطِي فَيْضَ الْوَلَايَةِ الْكُبْرٰى ، الَّتِي هِيَ سِرُّ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، لَا يُحَوِّجُ إِلَى الطَّرَائِقِ فِي خَارِجِ الدَّائِرَةِ ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُعْجَباً يَفْهَمُ الطَّرِيقَةَ خَطأً ؛ وَأَنْ يَكُونَ مَفْتُوناً بِالْخَيَالَاتِ وَالرُّؤْيَا الطَّيِّبَةِ ، وَالْأَنْوَارِ وَالْأَذْوَاقِ ، وَطَالِباً لِلْأَذْوَاقِ وَالْأَهْوَاءِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، مَا عَدَا فَضِيلَةَ الْآخِرَةِ ، وَحَرِيصاً لِمَقَامِ الْمَرْجِعِيَّةِ . وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا دَارُ الْخِدْمَةِ ؛ فَتُقَاسُ الْأُجْرَةُ بِالْكُلْفَةِ وَالْمَشَقَّةِ ؛ وَلَيْسَتْ دَارَ الْمُكَافَأَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يَهْتَمُّ أَهْلُ الْحَقِيقَةِ ، بِمَا فِي الْكَشْفِ وَالْكَرَامَاتِ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْأَنْوَارِ ؛ بَلْ يَفِرُّونَ عَنْهَا ؛ وَيَطْلُبُونَ سَتْرَهَا أَحْيَاناً .. وَكَذَا أَنَّ دَائِرَةَ رِسَالَةِ النُّورِ وَاسِعَةٌ جِدّاً ، وَتَلَامِذَتَهَا كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ فَلَا تَطْلُبُ الْهَارِبِينَ إِلَى الْخَارِجِ ؛ وَلَا تَهْتَمُّ بِهِمْ ؛ بَلْ لَا تَقْبَلُ إِلٰى دَائِرَتِهَا مَرَّةً أُخْرٰى ؛ فَإِنَّ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ ، قَلْباً وَاحِداً ؛ وَالْقَلْبُ الْوَاحِدُ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الدَّائِرَةِ وَالْخَارِجِ مَعاً .. وَكَذَا أَنَّ مَنْ فِي خَارِجِ الدَّائِرَةِ مِنَ الْمُشْتَهِينَ لِلْإِرْشَادِ ، عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَشْتَغِلُوا بِتَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ لِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَخْسَرُوا بِثَلَاثِ جِهَاتٍ ؛ وَإِنَّ التَّلَامِذَةَ فِي دَائِرَةِ التَّقْوٰى ، غَيْرُ مُحْتَاجِينَ إِلَى الْإِرْشَادِ ؛ كَمَا أَنَّ فِي الْخَارِجِ ، كَثِيرِينَ مِنْ تَارِكِي الصَّلَاةِ ؛ فَتَرْكُ أُولَائِكَ ، وَالِاشْتِغَالُ بِهٰؤُلَاءِ ، لَيْسَ إِرْشَاداً ؛ فَإِنْ أَحَبَّ هٰؤُلَاءِ التَّلَامِذَةَ ؛ فَلْيَدْخُلْ أَوَّلاً فِي الدَّائِرَةِ ؛ وَلَا يَكُنْ أَباً لِأُولَائِكَ التَّلَامِذَةِ ؛ بَلْ لِيَكُنْ أَخاً لَهُمْ ؛ وَإِنْ كَانَ فَضْلُهُ زَائِداً ؛ فَلْيَكُنْ أَخاً كَبِيراً لَهُمْ .. وَكَذَا شُوهِدَ فِي هٰذَا الْحَادِثِ : أَنَّ لِلِانْتِسَابِ إِلٰى رِسَالَةِ النُّورِ ، اهْتِمَاماً بَالِغاً ؛ وَأَنَّهُ وَقَعَ غَالِياً جِدّاً ؛ فَمَنْ كَانَ عَقْلُهُ بِرَأْسِهِ ، مِمَّنْ دَفَعَ هٰذَا الثَّمَنَ ، لِهٰذَا الِانْتِسَابِ ؛ وَاتَّخَذَ فِي سَبِيلِ

ذٰلِكَ كَيْفِيَّةَ الْجِهَادِ إِزَاءَ الْإِلْحَادِ ، بِاسْمِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتْرُكُ مَسْلَكَهُ ذٰلِكَ ، الشَّبِيهَ بِالْأَلْمَاسِ ؛ وَلَنْ يَدْخُلَ مَسَالِكَ أُخْرٰى . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (ﷺ) . .

فِقْرَةٌ كُتِبَتْ فِي سِجْنِ أَسْكِيشَهِر

إِخْوَانِي ! إِنِّي دَافَعْتُ عَنْ طَلَبَةِ رِسَالَةِ النُّور ، مِرَاراً عَدِيدَةً ، عَلٰى وَجْهٍ لَائِقٍ بِهِمْ ؛ وَإِنِّي لَأَذْكُرُ فِي الْمَحْكَمَةِ مُنَادِياً ؛ فَأُسْمِعُ الدُّنْيَا قِيمَةَ رِسَالَةِ النُّورِ وَطَلَبَتِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ . .

وَلٰكِنْ أُذَكِّرُكُمْ هٰذَا الْقَوْلَ فَقَطْ ؛ وَهُوَ : أَنَّ شَرْطَ الْحِفَاظِ عَلَى الْقِيمَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي دِفَاعِي هٰذَا ، هُوَ أَنْ لَا يَغِيظَ عَنْ رِسَالَةِ النُّور ؛ وَلَا يَسْخَطَ عَنْ أُسْتَاذِهِ ، بِاحْتِرَاقِ فَمِهِ فِي هٰذَا الْحَادِثِ ؛ وَأَنْ لَا يَنْفُرَ عَنْ إِخْوَانِهِ ، بِوَسَائِلَ تَنْشَأُ عَنِ الِانْقِبَاضِ ؛ وَأَنْ لَا يَجِدَ بَعْضٌ ، نَقِيصَةً لِآخَرَ ؛ وَلَا يُسْنِدَهَا إِلَيْهِ ؛ وَلٰكِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ أَنَّنَا أَثْبَتْنَا فِي رِسَالَةِ الْقَدَرِ : أَنَّ فِيمَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنَ الظُّلْمِ ، جِهَتَيْنِ وَحُكْمَيْنِ ؛ إِحْدَاهُمَا لِلْإِنْسَانِ ؛ وَالْأُخْرٰى لِلْقَدَرِ الْإِلٰهِيِّ . فَالْإِنْسَانُ يَظْلِمُ فِي عَيْنِ الْحَادِثِ ؛ وَلٰكِنَّ الْقَدَرَ عَادِلٌ ، وَهُوَ يَعْدِلُ فِيهِ ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي مَسْأَلَتِنَا هٰذِهِ ، سِرَّ الْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَعَدْلَ الْقَدَرِ ، فَضْلاً عَنْ ظُلْمِ الْإِنْسَانِ . نَعَمْ : إِنَّ الْقَدَرَ دَعَا طَلَبَةَ رِسَالَةِ النُّورِ إِلٰى هٰذَا الْمَجْلِسِ ؛ وَإِنَّ حِكْمَةَ انْكِشَافِ الْجِهَادِ الْمَعْنَوِيِّ ، سَاقَتْهُمْ إِلٰى هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الضَّيِّقَةِ حَقِيقَةً ؛ فَصَارَ ظُلْمُ الْإِنْسَانِ وَسِيلَةً لِذٰلِكَ ؛ فَإِيَّاكُمْ أَنْ يَقُولَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ : لَوْلَا فَعَلْتَ كَذَا ؛ لَمَا اعْتُقِلْتُ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (ﷺ) . .

جُزْءٌ مِنْ دِفَاعَاتٍ إِزَاءَ الْمَحْكَمَةِ

«كَيْفَمَا كَانَ ؛ دَخَلَ هٰذَا الْجُزْءُ هُنَا ؛ وَلَمْ يُخْرَجْ عَنْهُ ؛ فَبَقِيَ فِيهِ . .»

إِنِّي أَطْلُبُ مِنْ رَئِيسِ الْمَحْكَمَةِ وَأَعْضَائِهَا ، أَهَمَّ حَقٍّ لِي ؛ وَهُوَ : أَنَّ شَخْصِي وَحْدَهُ

لَيْسَ مَدَارَ الْبَحْثِ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؛ حَتّٰى تُحَلَّ الْقَضِيَّةُ بِتَبْرِئَتِكُمْ لِي عَنْهَا ، وَبِاطِّلَاعِكُمْ عَلٰى حَقِيقَةِ الْحَالِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الشَّخْصَ الْمَعْنَوِيَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ التَّقْوٰى ، دَخَلَ تَحْتَ التُّهْمَةِ ، فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، فِي نَظَرِ الشَّعْبِ ؛ وَعَرَضَ عَلَى الْحُكُومَةِ أَيْضاً عَدَمُ الْأَمْنِ ، إِزَاءَ أَهْلِ التَّقْوٰى وَالْعِلْمِ ؛ وَقَدْ لَزِمَ أَنْ يَعْلَمَ أَهْلُ التَّقْوٰى وَأَهْلُ الْعِلْمِ ، كَيْفَ يُجْتَنَبُ عَنْ تَدَابِيرَ ضَارَّةٍ خَطِرَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ أَطْلُبُ أَنْ يُنْتَشَرَ هٰذَا الْقِسْمُ الْأَخِيرُ ، الَّذِي كَتَبْتُهُ بِنَفْسِي مِنْ دِفَاعَاتِي ، بِوَاسِطَةِ الطِّبَاعَةِ بِالْحُرُوفِ الْجَدِيدَةِ ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ حَتّٰى لَا يَنْخَدِعَ أَهْلُ التَّقْوٰى وَأَهْلُ الْعِلْمِ ، بِالْحِيَلِ ؛ فَلَا يَقْتَرِبُوا إِلٰى تَدَابِيرَ خَطِرَةٍ ضَارَّةٍ ؛ وَيَنْجُوَ شَخْصُهُمُ الْمَعْنَوِيُّ عَنِ الِاتِّهَامِ فِي نَظَرِ النَّاسِ ؛ وَتَأْمَنَ الْحُكُومَةُ فِي حَقِّ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ وَيُرْفَعَ عَنِ الْبَيْنِ عَدَمُ التَّفَاهُمِ هٰذَا ؛ وَلَا يَتَكَرَّرَ بَعْدُ ، مِثْلُ هٰذِهِ الْأَحْدَاثِ ، وَعَدَمِ التَّفَاهُمِ ، الَّذِي يَضُرُّ كَثِيراً بِالْحُكُومَةِ وَالشَّعْبِ وَالْوَطَنِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (ﷺ) . .

إِخْوَتِي الْأَعِزَّةَ ! إِنِّي أُبَيِّنُ هٰذِهِ الْمَرَّةَ مَسْأَلَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ، مُنْتَقِداً لَا مُقَدِّراً ، بِشَرْطِ أَنْ لَا تَسْخَطُوا . .

اَلْأُولٰى : أَنِّي ادَّعَيْتُ دَعَاوٰى كَثِيرَةً ، لِدِفَاعِكُمْ وَدِفَاعِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ وَكَانَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ مِنْ شُهَدَائِي ، فِي تِلْكَ الدَّعَاوٰى ، أَنْتُمْ ؛ مَعَ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُونِي بِدُونِ شَاهِدٍ ، بِإِنْكَارِكُمْ ؛ وَأَيَّدْتُمْ مَا فِي حَقِّي مِنَ التُّهْمَةِ ؛ لِأَنَّ فِرَارَكُمْ وَإِنْكَارَكُمْ ، أَنْتَجَ فِكْراً هٰكَذَا : وَهُوَ أَنَّهُ يُوجَدُ شَيْءٌ ؛ فَلِذَا لَا يَقْتَرِبُ هٰؤُلَاءِ إِلَيْهِ . وَأَيْضاً ، كَمَا أَنِّي اجْتَهَدْتُ لِتَبْرِئَتِكُمْ ؛ كَانَ اللَّازِمُ أَنْ يَقْتَرِبَ إِلَيَّ ، الْقِسْمُ الَّذِي لَا أَهْلَ وَلَا عِيَالَ لَهُ ، اقْتِرَابَ الشُّجَاعِ ؛ لِئَلَّا يَتْرُكُونِي وَحْدِي ؛ وَلٰكِنْ مَضٰى ذٰلِكَ ؛ فَلَا لُزُومَ لِلتَّقَرُّبِ ، عَنْ جَدِيدٍ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ بَعْضَ إِخْوَانِنَا ، لَمْ يَقْنَعُوا بِالْفَيْضِ الْمَوْجُودِ فِي دَائِرَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، الَّتِي تُبَيِّنُ الْمَشْرَبَ النَّيِّرَ النَّبَوِيَّ ، وَسَجَايَا الصَّحَابَةِ الْعَالِيَةَ ؛ فَوَقَعُوا فِي هَوًى يَكُونُ مَدَاراً لِجَلْبِ دِقَّةِ أَنْظَارِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَجَسَّسُونَنَا بِالْإِمْعَانِ ، مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ وَيَكُونُ ضَرَراً

بِنَا ، وَبِرِسَالَةِ النُّورِ ، وَإِخْوَانِنَا الْمُصَابِينَ ، وَبِرُفَقَائِنَا الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي رِسَالَةِ النُّورِ بَعْدُ ؛ وَيَكُونُ بِدُونِ فَائِدَةٍ لَهُمْ ؛ وَذٰلِكَ بِهَوَى الطَّرِيقَةِ فِي مَكَانٍ آخَرَ ، بِدُونِ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا عَنِ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِإِخْوَانِهِمْ وَأُسْتَاذِهِمْ ؛ وَأَنْ يَسْتَرْضُوهُ . فَأَنَا الَّذِي ادَّعَيْتُ رَسْماً فِي الْمُحَاكَمَةِ ، أَنِّي لَا أُبَدِّلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، بِمِئَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِي ؛ وَادَّعَيْتُ أَمَامَ مَنْ كَانُوا يَزُورُونَنِي ، أَنِّي أَرٰى أَصْغَرَ طُلَّابِ رِسَالَةِ النُّورِ ، أَهَمَّ مِنْ وَلِيٍّ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ النُّورِ ؛ وَأُرَجِّحُ مِثْلَ «لُطْفِيٍّ وَعَلِيٍّ» ، مِنْ قَرْيَةِ «قُولَهْ أُونِي» ، مِنْ شُبَّانِ تَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، وَمِنْ مُخْلِصِيهِمْ ، عَلٰى أَكْبَرِ وَلِيٍّ فِي الْخَارِجِ ؛ وَمَعَ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ ذٰلِكَ مِنِّي ، بِأَمَارَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ أَنَّكُمْ لَا تَتَصَوَّرُونَ مَقَامَ الشَّخْصِ الْمَعْنَوِيِّ لِأَصْحَابِكُمْ ، الْمَعْلُومَ لَكُمْ ؛ وَلَا تُلَاحِظُونَ اسْتِخَارَةَ أُسْتَاذِكُمْ لَكُمْ ، الْمُسَلَّمَةَ لَدَيْكُمْ ؛ وَذٰلِكَ فِي سَبِيلِ هَوًى غَيْرِ نَافِعٍ ، بَلْ ضَارٍّ ؟ . فَمُصَاحَبَتُكُمْ مَعَ بَائِسٍ ، بِصُورَةِ تَحْرِيكِ عَصَبِ الشَّيْخِيَّةِ فِيهِ ، بِوَجْهٍ ضَارٍّ بِذٰلِكَ الْبَائِسِ الْخَارِجِ عَنِ الدَّائِرَةِ ، وَالْمَجْهُولِ الْمَقَامِ عِنْدَكُمْ ، غَيْرُ لَائِقٍ ؛ وَهٰذَا الِانْتِقَادُ لَيْسَ عَائِداً إِلٰى جَمِيعِكُمْ ، وَلَا إِلٰى أَكْثَرِكُمْ ، حَاشَاكُمْ ، وَلَا إِلٰى خَطَإِ عِدَّةِ أَشْخَاصٍ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ إِنَّمَا نَشَأَ عَنْ زِيَادَةِ صَفْوَةِ قُلُوبِهِمْ ، وَعَنِ ازْدِيَادِ هَوَاهُمْ بِالطَّرِيقَةِ . وَأَيْضاً إِنَّهُمْ أَظْهَرُوا الطَّرِيقَةَ الَّتِي هِيَ سَبَبُ اتِّهَامِنَا ، وَأَضْعَفُ عَصَبِ وِلَايَةِ (إِسْپَارْطَة) ، السَّبَبَ الْأَقْوٰى لِمُحَاكَمَتِنَا ؛ وَأَظُنُّ أَنَّ هٰذَا الْهَوَى الَّذِي لَا مَعْنٰى لَهُ ، صَارَ سَبَباً لِذٰلِكَ ؛ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ السَّبَبَ الْأَقْوٰى لِاعْتِقَالِنَا هٰذَا ، هٰهُنَا ، كَانَ مِنْ هَوٰى بَعْضِ هٰؤُلَاءِ الْبُسَطَاءِ ، وَمِنْ إِلْبَاسِهِمْ زُخْرُفَ الطَّرِيقَةِ عَلٰى مُنَاسَبَةِ هٰؤُلَاءِ مَعِي ؛ وَأَرْجُو كَثِيراً أَنْ لَا تَسْخَطُوا عَنِ انْتِقَادِي هٰذَا . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

إِخْوَانِي ! إِنَّ خَمْسَةً مِنْ إِخْوَانِنَا ، لَا بُدَّ أَنْ لَا يَتَخَلَّفُوا فِي الدِّفَاعِ عَنْ رِسَالَةِ النُّورِ وَحِفْظِهَا ، وَإِنْ أَعْرَضَ كُلُّ أَحَدٍ ؛ حَتّٰى وَإِنْ أَعْرَضْتُ أَنَا أَيْضاً ؛ فَهٰؤُلَاءِ الْأَصْحَابُ هُمْ : «حُسَيْنُ أُوسْتَه ، خَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ ، رَأْفَتُ الْكَرِيمُ ، خُسْرَوْ ، وَحَقِّيٌّ الْفَاضِلُ» . فَلَوْلَا أَنْتَجَتْ

رِسَالَةُ النُّورِ ، نِعْمَةً عُظْمٰى مِثْلَ اشْتِهَارِهَا وَانْتِشَارِهَا بِصُورَةٍ أَهَمَّ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى مَا كَانَ يُرَادُ أَنْ يَضُرَّ بِرِسَالَةِ النُّورِ كَثِيراً ، مِنْ عَدَمِ احْتِيَاطِ الثَّلَاثَةِ الْأُوَلِ ، وَمِنْ أَغْرَاضٍ شَخْصِيَّةٍ مِنْ جَانِبِ أَعْدَاءٍ ظَاهِرِيِّينَ لِلْآخَرِيْنِ ؛ لَانْقَبَضَتْ أَرْوَاحُ هٰؤُلَاءِ الْإِخْوَانِ كَثِيراً ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ صَارُوا سَبَباً لِتَأَلُّمَاتِ هٰذَا الْمِقْدَارِ مِنْ تَلَامِذَةِ رِسَالَةِ النُّورِ الْمَعْصُومِينَ وَالْمَعْذُورِينَ ؛ فَلَا بُدَّ أَنَّ يَتَّحِدَ هٰؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ مِنْ إِخْوَانِنَا ، كَجِسْمٍ وَاحِدٍ ؛ وَأَنْ يَحْتَاطُوا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

إِخْوَانِي ! لَقَدْ أُخْطِرَ عَلٰى قَلْبِي ، أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمَثْنَوِيَّ الشَّرِيفَ ، صَارَ مِرْآةً لِحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ السَّبْعِ الْمُتَظَاهِرَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَاتَّخَذَ شَرَفاً قُدُسِيّاً ؛ وَأَصْبَحَ مُرْشِداً لَا يَمُوتُ ، لِكَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَلْبِ ، مَا عَدَا الْمَوْلَوِيِّينَ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ رِسَالَةَ النُّورِ ، تُمَثِّلُ فِي مِرْآتِهَا دَفْعَةً ، مَا فِي ضِيَاءِ شَمْسِ الْقُرْآنِ ، مِنَ الْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ ، وَمَا فِي تِلْكَ الشَّمْسِ ، مِنَ الْأَنْوَارِ السَّبْعَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُتَلَوِّنَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَكُونُ شَرِيفَةً وَقُدُسِيَّةً بِسَبْعِ جِهَاتٍ ، وَمُرْشِدَةً وَمُعَلِّمَةً بَاقِيَةً ، لِأَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، بِقَدَرِ سَبْعِ مَثْنَوِيَّاتٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

إِخْوَانِي ! انْظُرُوا إِلٰى حِفْظِ الْحَفِيظِ الْجَلِيلِ ، وَإِلٰى حِمَايَتِهِ تَعَالٰى ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تُوجَدْ أَيَّةُ مَادَّةٍ تَدُلُّ عَلٰى مُنَاسَبَةِ أَيِّ تِلْمِيذٍ ، مِنْ تَلَامِيذِ رِسَالَةِ النُّورِ ، بِأَيَّةِ جَمْعِيَّةٍ مِنَ الْجَمْعِيَّاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْمَوْجُودَةِ بِحِيَلِ الْأَجَانِبِ ، وَبِدَوَالِيبِ مُمَثِّلِيهَا الْمُعَارِضِينَ ؛ مَعَ أَنَّ مِئَةً وَعِشْرِينَ وَنَيِّفاً ، مِنْ أَشْخَاصٍ يُوَافِقُ عَدَدُهُمْ عَدَدَ رَسَائِلِ النُّورِ ، كَانُوا مَعَ أَوْرَاقِهِمُ الْمُحَرَّمَةِ فِي الِاسْتِنْطَاقِ ، بِمُنَاسَبَةِ قَضِيَّتِنَا هٰذِهِ ؛ فَهٰذِهِ مُحَافَظَةٌ إِلٰهِيَّةٌ لَامِعَةٌ ، وَحِمَايَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَعِنَايَةٌ رَحْمَانِيَّةٌ تُؤَيِّدُ جِدّاً ، كَرَامَاتِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَالْغَوْثِ الْأَعْظَمِ ، الْغَيْبِيَّةَ الْعَائِدَةَ إِلٰى رِسَالَةِ النُّورِ ؛ فَأَوْقَفَتْ بِأَيْدِي اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنْ إِخْوَتِنَا ، الْمَفْتُوحَةِ إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ ، قَذِيفَةَ مِدْفَعِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِلِّيمِتْراً ؛ وَصَرَفَتْهَا إِلَى الْوَرَاءِ ؛ وَفَجَّرَتْهَا مَعْنًى عَلٰى رُؤُوسِ الْقَاذِفِينَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لَنَا ضَرَرُهَا ، سِوَى بَعْضِ جُرُوحٍ وَقُرُوحٍ ، خَفِيفَةٍ مُثِيبَةٍ ، غَيْرِ مُهِمَّةٍ .

وَالنَّجَاةُ بِضَرَرٍ قَلِيلٍ جِدّاً مِثْلِ هٰذَا، مِنْ مِدْفَعٍ عُبِّئَ هٰكَذَا مُنْذُ سَنَةٍ، خَارِقَةٌ؛ فَلا بُدَّ مِنَ الْمُقَابَلَةِ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالشُّكْرِ، إِزَاءَ مِثْلِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ جِدّاً؛ فَحَيَاتُنَا بَعْدَ هٰذَا، لَا تَكُونُ عَائِدَةً إِلَيْنَا؛ لِأَنَّنَا كُنَّا هَالِكِينَ مِئَةً فِي الْمِئَةِ، حَسَبَ تَخْطِيطِ الْمُفْسِدِينَ؛ فَإِذاً عَلَيْنَا أَنْ لا نَقِفَ هٰذِهِ الْحَيَاةَ مِنْ بَعْدُ، عَلَى أَنْفُسِنَا؛ بَلْ نَقِفَهَا عَلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ؛ وَعَلَيْنَا أَنْ لا نَشْتَكِيَ؛ بَلْ نَسْعَى لِمُشَاهَدَةِ آثَارِ الرَّحْمَةِ، وَأَلْطَافِهَا وَلُبَابِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي تُوجِبُ الشُّكْرَ..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رضي الله عنه)..

أَرْجُو مِنْ إِخْوَانِي: أَنْ لا يَسْخَطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، بِكَلِمَاتٍ شَنِيعَةٍ سَيِّئَةٍ، صَدَرَتْ عَنِ الرُّفَقَاءِ، إِمَّا مِنْ عَدَمِ الشُّعُورِ، أَوْ مِنَ الاِغْتِرَارِ بِدَسَائِسِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَإِمَّا مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، أَوْ مِنْ ضِيقِ الرُّوحِ، أَوْ مِنَ الشِّدَّةِ؛ وَأَنْ لا يَقُولُوا: إِنَّهَا مَسَّتْ عِزَّتِي؛ فَإِنِّي أَقْبَلُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ عَلَيَّ؛ فَلا تَمَسَّ أَعْصَابَكُمْ؛ فَلَوْ كَانَ لِي أَلْفُ عِزٍّ وَشَرَفٍ؛ لَفَدَيْتُ بِهِ لِمَا بَيْنَ إِخْوَتِي مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالصَّدَاقَةِ..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ، (رضي الله عنه)..

إِخْوَانِي! إِنِّي عَلِمْتُ بِاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، مُنْذُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، أَنَّ مَا أَصَابَنَا، هُوَ صَفْعَةُ شَفَقَةٍ، مَعَ الْأَسَفِ؛ حَتّى إِنِّي فَهِمْتُ أَنَّ إِشَارَةً مِنْ إِشَارَاتٍ كَثِيرَةٍ، لِآيَةٍ وَرَدَتْ فِي حَقِّ أَهْلِ الْعِصْيَانِ، كَأَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَيْنَا؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالٰى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا... أَخَذْنَاهُمْ﴾؛ يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمَّا نَسُوا مَا ذَكَّرْنَاهُمْ بِهِ، مِنَ النُّصْحِ وَالدَّرْسِ؛ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ؛ أَخَذْنَاهُمْ؛ وَأَلْقَيْنَاهُمْ تَحْتَ الْمُصِيبَةِ. نَعَمْ: قَدْ أُلِّفَ لَنَا أَخِيراً رِسَالَةٌ فِي سِرِّ الْإِخْلاصِ؛ الْحَقُّ أَنَّهَا كَانَتْ دُسْتُوراً نَيِّراً وَعَالِياً لِلْأُخُوَّةِ؛ وَكَانَتْ دُسْتُوراً قُدُسِيّاً، يُمْكِنُ أَنْ يُقَاوِمَ بِعَشَرَةِ أَشْخَاصٍ، بِذٰلِكَ السِّرِّ مِنَ الْإِخْلاصِ، أَمَامَ مَصَائِبَ وَأَحْدَاثٍ لا تُقَاوَمُ إِلّا بِقُوَّةِ عَشَرَاتِ الْآلافِ؛ فَمَا عَمِلْتُ أَنَا أَوَّلاً؛ وَمَا عَمِلْنَا بِذٰلِكَ التَّذْكِيرِ الْمَعْنَوِيِّ، مَعَ الْأَسَفِ؛ فَأُخِذْنَا؛ وَذٰلِكَ بِالْمَعْنَى الْإِشَارِيِّ لِهٰذِهِ الْآيَةِ، وَبِتَارِيخِ جَفْرِ ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾، الَّذِي يَصِيرُ

أَلْفاً وَثَلاثَمِئَةٍ وَاثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ ، بِعَيْنِ تَارِيخِهَا ؛ فَابْتُلِيَ بَعْضُنَا بِصَفْعَةِ الشَّفَقَةِ ؛ وَلَيْسَتْ صَفْعَةً فِي حَقِّ بَعْضِنَا ؛ بَلْ أُخِذَ إِلَى دَاخِلِ هٰذِهِ الصَّفْعَةِ ؛ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا ؛ وَتَكُونَ تِلْكَ الْمُصِيبَةُ مَدَارَ الثَّوَابِ لَهُ ؛ وَلِيَكُونَ ذٰلِكَ الْبَعْضُ ، وَسِيلَةَ التَّسَلِّي لِإِخْوَانِنَا الْمَعْرُوضِينَ لِلصَّفْعَةِ .

نَعَمْ : إِنَّهُ صَارَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ اطَّلَعْتُ عَلَى الْأَحْوَالِ الدَّاخِلِيَّةِ لِإِخْوَانِنَا ، حَيْثُ كُنْتُ مَمْنُوعاً عَنِ الاِخْتِلاطِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ ؛ وَقَدْ صَدَرَتْ أَعْمَالٌ مُنَافِيَةٌ لِسِرِّ الْإِخْلاصِ ، مِمَّا لا يَرِدُ بِبَالِي وَخَيَالِي ، مِمَّنْ كُنْتُ أَظُنُّهُمْ أَخْلَصَ إِخْوَانِي ؛ فَعَلِمْتُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ مَعْنًى إِشَارِيّاً مِنْ آيَةِ : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا . . . أَخَذْنَاهُمْ﴾ ، يَنْظُرُ إِلَيْنَا أَيْضاً ، مِنْ بَعِيدٍ ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي أَهْلِ الضَّلالِ ، هِيَ عَذَابٌ لَهُمْ ؛ وَلٰكِنَّهَا صَفْعَةُ شَفَقَةٍ لَنَا ، لِتَزْيِيدِ الدَّرَجَاتِ ، وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ ، وَتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّنَا ذُقْنَا الصَّفْعَةَ لِعَدَمِ مُرَاعَاتِنَا تَمَاماً لِلنِّعْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِينَا ، هُوَ أَنَّنَا لَمْ نَقْنَعْ بِخِدْمَتِنَا الْقُدُسِيَّةِ **بِرِسَالَةِ النُّورِ** ، **الَّتِي هِيَ مَدَارٌ لِسِرِّ مَشْرَبِ الصَّحَابَةِ (ﷺ) ، وَمَظْهَرٌ لِفَيْضِ الْوَلَايَةِ الْكُبْرَى بِسِرِّ وِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ ، وَمُتَضَمِّنَةٌ لِأَقْدَسِ جِهَادٍ مَعْنَوِيٍّ** . وَإِنَّ هَوَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي نَفْعُهَا لَنَا قَلِيلٌ جِدّاً الْآنَ ، وَضَرَرُهَا الْمُهِمُّ بِكَيْفِيَّتِنَا هٰذِهِ مُحْتَمَلٌ ، قَدْ سُدَّ أَمَامَهُ بِإِيقَاظِي بِالشِّدَّةِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً ؛ وَإِلَّا لَأَخَلَّ ذٰلِكَ الْهَوَى بِوَحْدَتِنَا ؛ وَأَدَّى إِلَى تَشَتُّتِ الْأَفْكَارِ ، الَّذِي يُنَزِّلُ قِيمَةَ التَّسَانُدِ ، مِنْ أَلْفٍ وَمِئَةٍ وَأَحَدَ عَشَرَ ، بِتَسَانُدِ أَرْبَعِ أَلِفَاتٍ ، إِلَى قِيمَةِ أَرْبَعَةِ آحَادٍ ؛ وَأَدَّى إِلَى تَنَافُرِ الْقُلُوبِ ، الَّذِي يُنَزِّلُ قُوَّتَنَا إِزَاءَ هٰذَا الْحَادِثِ الثَّقِيلِ ، إِلَى دَرَجَةِ الْعَدَمِ . .

نَقَلَ الشَّيْخُ سَعْدِيٌّ الشِّيرَازِيُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ **«گُلِسْتَانْ»** ، يَقُولُ : إِنِّي رَأَيْتُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْقَلْبِ فِي تَكِيَّةٍ ، كَانَ مُشْتَغِلاً بِالسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ ؛ ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ ، فِي الْمَدْرَسَةِ بَيْنَ الطُّلَّابِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : لِمَاذَا تَرَكْتَ تِلْكَ التَّكِيَّةَ الْمُفِيضَةَ ؛ فَأَتَيْتَ إِلَى هٰذِهِ الْمَدْرَسَةِ ؟ قَالَ : هُنَاكَ يُنْقِذُ كُلُّ أَحَدٍ نَفْسَهُ فَقَطْ ، إِنْ وُفِّقَ لِذٰلِكَ ؛ وَأَمَّا هٰهُنَا فَإِنَّ هٰؤُلاءِ الْعُلاةَ الْهِمَمِ ، يَجْهَدُونَ لِإِنْقَاذِ كَثِيرِينَ مَعَ أَنْفُسِهِمْ ؛ فَعُلُوُّ الْجَنَابِ وَعُلُوُّ الْهِمَّةِ ، يُوجَدُ عِنْدَ هٰؤُلاءِ ؛ وَالْفَضِيلَةُ وَالْهِمَّةُ عِنْدَ هٰؤُلاءِ ؛ فَلِذٰلِكَ جِئْتُ إِلَى هُنَا . هٰكَذَا كَتَبَ **الشَّيْخُ**

سَعْدِيٌّ ، خُلاصَةَ هٰذِهِ الْقِصَّةِ مُخْتَصَرَةً ، فِي كِتَابِهِ «گُلِسْتَانْ» . .

فَيَا لَلْعَجَبِ ! إِذَا رُجِّحَتِ الْمَسَائِلُ الصَّغِيرَةُ مِنَ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ ، مِثْلُ تَصْرِيفِ التَّلامِيذِ (نَصَرَ نَصَرَا نَصَرُوا . .) ، عَلٰى مَا فِي التَّكَايَا مِنَ الْأَوْرَادِ ؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ رِسَالَةَ النُّورِ ، وَهِيَ تُدَرِّسُ حَقَائِقَ إِيمَانِيَّةً قُدُسِيَّةً فِي : ﴿ آمَنْتُ بِاللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ، بِوَجْهٍ أَوْضَحَ وَأَقْطَعَ ؛ وَتُفْحِمُ أَشَدَّ الزَّنَادِقَةِ عِنَاداً ، وَأَلَدَّ الْفَلاسِفَةِ تَمَرُّداً ؛ أَوْ أَفْضٰى بِهَا إِلَى التَّعْطِيلِ ؛ أَوْ لَمْ يَقْنَعْ بِهَا ؛ وَدَخَلَ التَّكَايَا الْمَسْدُودَةَ ، بِهَوَى الطَّرِيقَةِ ، بِدُونِ اسْتِئْذَانٍ مِنْ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ أَفَلا يَدُلُّ ذٰلِكَ عَلٰى أَنَّهُ أَخْطَأَ ، أَيَّ خَطَإٍ ؛ وَأَنَّنَا اكْتَسَبْنَا اسْتِحْقَاقَ صَفْعَةِ الشَّفَقَةِ هٰذِهِ ، أَيَّ اسْتِحْقَاقٍ ؟ .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

تَنْبِيهٌ وَحِكَايَتَانِ صَغِيرَتَانِ

أُولاهُمَا : أَنَّنَا كُنَّا مَعَ تِسْعِينَ مِنْ ضُبَّاطِنَا الْأَسَارٰى فِي مَنَامَةِ مَصْنَعٍ كَبِيرٍ ، حِينَمَا كُنْتُ أَسِيراً فِي شِمَالِيِّ رُوسِيَا ، قَبْلَ هٰذَا الْعَامِ بِخَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً ؛ فَكَانَ يَكْثُرُ الصُّرَاخُ وَالنِّقَاشُ مِنَ الانْقِبَاضِ ، وَضِيقِ الرُّوحِ ؛ وَكُنْتُ أُسَكِّنُهُمْ ، حَيْثُ كَانُوا يَحْتَرِمُونَنِي كَثِيراً ؛ ثُمَّ عَيَّنْتُ أَرْبَعَةَ أَوْ خَمْسَةَ ضُبَّاطٍ ، لِلْحِفْظِ عَلَى الْهُدُوءِ ؛ وَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحاً فِي أَيِّ زَاوِيَةٍ ؛ فَأَدْرِكُوهُ فَوْراً ؛ وَأَيُّ جَانِبٍ كَانَ غَيْرَ مُحِقٍّ ؛ فَأَعِينُوهُ ؛ فَبِهٰذَا التَّدْبِيرِ سُدَّ أَمَامَ الصُّرَاخِ حَقِيقَةً ؛ فَسُئِلْتُ : لِمَاذَا تَقُولُ : أَعِينُوا غَيْرَ الْمُحِقِّ ؟ . فَأَجَبْتُ حِينَئِذٍ : بِأَنَّ غَيْرَ الْمُحِقِّ غَيْرُ مُنْصِفٍ ؛ فَلا يَرْفُضُ دِرْهَماً مِنْ نَفْعِهِ ، لِأَرْبَعِينَ دِرْهَماً مِنَ الاسْتِرَاحَةِ الْعَامَّةِ ؛ وَأَمَّا الْمُحِقُّ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُنْصِفاً ؛ فَيَتْرُكُ دِرْهَماً مِنْ حَقِّهِ ؛ وَيَفْدِي بِهِ لِأَرْبَعِينَ دِرْهَماً مِنْ مَصْلَحَةِ صَاحِبِهِ فِي الْهُدُوءِ الْعَامِّ ؛ فَيَزُولُ الصُّرَاخُ ؛ وَيُعَادُ الْهُدُوءُ ؛ فَيَسْتَرِيحُ تِسْعُونَ شَخْصاً فِي هٰذِهِ الْمَنَامَةِ ؛ وَإِنْ أُعِينَ الْمُحِقُّ ؛ يَزْدَادُ الصُّرَاخُ كَثِيراً . فَإِذَا يُنْظَرُ فِي هٰذَا النَّوْعِ مِنْ حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ ، إِلَى اهْتِمَامِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ . .

فَيَا إِخْوَانِي ! لَا تَقُولُوا فِي اجْتِمَاعِنَا هٰذَا ، فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ : إِنَّ أَخِي هٰذَا ظَلَمَنِي ؛ فَلِذَا سَخِطْتُ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ هٰذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ ؛ فَإِنَّ صَاحِبَكَ ذَاكَ إِنْ أَضَرَّ بِكَ دِرْهَماً ؛ فَإِنَّكَ تَضُرُّ بِنَا أَرْبَعِينَ دِرْهَماً بِالسُّخْطِ ؛ بَلْ يُحْتَمَلُ الْإِضْرَارُ بِرِسَالَةِ النُّورِ أَرْبَعِينَ دِينَاراً ؛ وَلٰكِنَّ دِفَاعَاتِنَا الْقَوِيَّةَ الْمُحِقَّةَ جِدّاً ، سَدَّتْ أَمَامَ اسْتِنْطَاقِ الْأَصْحَابِ ثَانِياً ؛ فَسُدَّ أَمَامَ الْفَسَادِ ، وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ . وَإِلَّا فَإِنَّ الْإِخْوَانَ الْمُتَغَاضِبِينَ ، يُمْكِنُ أَنْ يَضُرُّوا ضَرَراً عَظِيماً ، بِغَرَضٍ يَسِيرٍ ، كَدُخُولِ عُودٍ صَغِيرٍ بِقَدَرِ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ ، فِي الْعَيْنِ ، أَوْ كَوُقُوعِ شِهَابٍ فِي الْبَارُودِ . .

اَلْحِكَايَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ كَانَ لِعَجُوزٍ ثَمَانِيَةُ أَبْنَاءٍ ؛ فَأَعْطَتْ كُلّاً مِنْهُمْ رَغِيفاً ، مِمَّا وَجَدَتْ مِنَ الْأَرْغِفَةِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا شَيْءٌ ؛ ثُمَّ أَعْطَاهَا كُلٌّ مِنْهُمْ نِصْفَ رَغِيفِهِ ؛ فَأَصْبَحَتْ أَرْغِفَتُهَا أَرْبَعَةً ؛ وَنَزَلَتْ أَرْغِفَتُهُمْ إِلَى النِّصْفِ . .

فَيَا إِخْوَانِي ! إِنِّي أَشْعُرُ فِي نَفْسِي ، بِنِصْفِ الْأَلَمِ الْمَعْنَوِيِّ ، مِنْ حِصَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْبَعِينَ مِنْكُمْ ؛ فَلَا أُبَالِي بِأَلَمِ نَفْسِي ؛ وَقَدْ كُنْتُ يَوْماً مُضْطَرِباً كَثِيراً ؛ فَقُلْتُ : يَا لَلْعَجَبِ ! هَلْ هٰذَا جَزَاءُ خَطَأِي فَأُعَانِيَهُ ؟ . فَحَقَّقْتُ الْحَالَةَ السَّابِقَةَ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِي دَخْلٌ بِأَيِّ جِهَةٍ ، فِي تَحْرِيكِ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ وَتَهْيِيجِهَا ؛ وَكُنْتُ أَسْتَعْمِلُ بِالْعَكْسِ ، تَدَابِيرَ مُمْكِنَةً ، لِلْفِرَارِ عَنْهَا ؛ فَإِذاً إِنَّ هٰذَا قَضَاءٌ إِلٰهِيٌّ ، كَانَ يُهَيَّأُ عَلَيْنَا مِنْ طَرَفِ الْمُفْسِدِينَ ، مِنْ قَبْلِ سَنَةٍ ، بِالضَّرُورَةِ ؛ وَلَمْ يَكُنِ الْفِرَارُ عَنْهُ مُمْكِناً ؛ وَكَانُوا يُنَزِّلُونَهُ بِنَا عَلٰى كُلِّ حَالٍ . .

وَلِلّٰهِ الشُّكْرُ مِئَاتِ آلَافِ شُكْرٍ ، حَيْثُ نَزَلَتِ الْمُصِيبَةُ مِنَ الْمِئَةِ إِلَى الْوَاحِدِ ؛ فَعَلٰى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ، لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ ، فَتَقُولُوا : إِنَّا قَاسَيْنَا هٰذَا الْبَلَاءَ مِنْ أَجْلِكَ ؛ بَلْ سَامِحُونِي وَادْعُوا لِي ؛ وَلَا يَنْتَقِدْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ؛ وَلَا تَقُولُوا : لَوْلَا فَعَلْتَ كَذَا ؛ لَمَا وَقَعَ كَذَا . مَثَلاً : إِنَّ وَاحِداً مِنْ إِخْوَانِنَا ، صَغَّرَ مَا وَجَدَهُ الْمُفْسِدُونَ مِنَ التَّخْطِيطِ لِإِلْقَاءِ كَثِيرِينَ فِي الْبَلَاءِ ؛ وَأَنْقَذَ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ ؛ وَذٰلِكَ بِذِكْرِهِ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فَقَطْ مِنْ أَصْحَابِ التَّوْقِيعِ ؛ فَمَا وَقَعَ الضَّرَرُ ؛ بَلْ وُجِدَ نَفْعٌ عَظِيمٌ ؛ وَأَصْبَحَ ذٰلِكَ وَسِيلَةً لِإِنْقَاذِ كَثِيرِينَ مِنَ الْمَعْصُومِينَ ، عَنْ هٰذَا الْبَلَاءِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

﴿ وَهٰذَا الْجُزْءُ قَيِّمٌ جِدّاً ، وَلَهُ فَائِدَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ ، إِلَى النُّكْتَةِ الثَّانِيَةِ ﴾

وَهُوَ فِي بَيَانِ نُكْتَةِ آيَةٍ مَشْهُورَةٍ ، بَقِيَتْ مَسْتُورَةً ، مَعَ نُكْتَةٍ فِي حَقِّ الْأَخْلَاقِ ، بِمُنَاسَبَةِ بَعْضِ أَحْوَالٍ غَيْرِ طَيِّبَةٍ ، نَشَأَتْ فِي سِجْنِ (أَسْكِيشَهِر) ، لَا عَنْ سُوءِ الْأَخْلَاقِ ، بَلْ عَنِ انْقِبَاضِ الرُّوحِ . .

﴿ اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى : ﴾ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَدْرَجَ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ ، وَرَحْمَتِهِ ، وَعَدْلِهِ ، مُكَافَأَةً عَاجِلَةً فِي الْحَسَنَةِ ، وَمُجَازَاةً مُعَجَّلَةً فِي السَّيِّئَةِ ؛ وَأَدْخَلَ فِي الْحَسَنَاتِ لِذَائِذَ مَعْنَوِيَّةً ، تُشْعِرُ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ ؛ وَفِي السَّيِّئَاتِ عِقَابَاتٍ مَعْنَوِيَّةً ، تُنْذِرُ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ . مَثَلاً : إِنَّ الْمَحَبَّةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ فَأُدْرِجَ فِي تِلْكَ الْحَسَنَةِ انْشِرَاحُ قَلْبٍ ، وَذَوْقٌ ، وَلَذَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، تُذَكِّرُ الثَّوَابَ الْمَادِّيَّ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ؛ فَكُلُّ مَنْ رَاجَعَ إِلَى قَلْبِهِ يُحِسُّ بِهٰذَا الذَّوْقِ ؛ وَإِنَّ الْعَدَاوَةَ وَالْخُصُومَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مَثَلاً ، سَيِّئَةٌ تُشْعِرُ لِلْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ ، عَذَاباً وِجْدَانِيّاً يُغِصُّ الْقَلْبَ وَالرُّوحَ بِالْاِنْقِبَاضِ ؛ وَقَدْ جَرَّبْتُ مِرَاراً ، يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ : أَنِّي كُنْتُ أُقَاسِي فِي حِينِ عَدَاوَتِي لِأَخٍ مُؤْمِنٍ ، عَذَاباً مِنْ تِلْكَ الْعَدَاوَةِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَتْرُكْ شُبْهَةً أَنَّ هٰذَا الْعَذَابَ ، جَزَاءٌ مُعَجَّلٌ لِسَيِّئَتِي هٰذِهِ ؛ فَأُقَاسِيهِ ؛ وَإِنَّ الْاِحْتِرَامَ وَالْخِدْمَةَ وَالرَّحْمَةَ مَثَلاً ، لِمَنْ يَلِيقُونَ بِالْاِحْتِرَامِ وَالرَّحْمَةِ ، حَسَنَةٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ ، فِيهِ لَذَّةٌ وَذَوْقٌ يُشْعِرُ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ ؛ وَيَأْتِي بِذٰلِكَ الْاِحْتِرَامِ وَالرَّحْمَةِ ، إِلَى دَرَجَةٍ يَفْدِي بِحَيَاتِهِ ؛ وَيَرْتَقِي إِلَى حَيْثُ تَفْدِي الْوَالِدَةُ حَيَاتَهَا فِي سَبِيلِ الرَّحْمَةِ بِوَلَدِهَا ، وَذٰلِكَ لِلْمُكَافَأَةِ وَالذَّوْقِ الَّذِي تَفُوزُ بِهِ ، بِوَاسِطَةِ مَا فِي تِلْكَ الرَّحْمَةِ مِنَ الشَّفَقَةِ ؛ وَإِنَّ الدَّجَاجَةَ الصَّائِلَةَ عَلَى الْأَسَدِ لِإِنْقَاذِ فَرْخِهَا ، مِثَالٌ لِهٰذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي أُمَّةِ الْحَيَوَانَاتِ ؛ فَإِذاً إِنَّ فِي الْاِحْتِرَامِ وَالرَّحْمَةِ ، مُكَافَأَةً عَاجِلَةً يُحِسُّ بِهَا أَصْحَابُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ ؛ فَيَتَّخِذُونَ حَالَةً مِنَ الْبُطُولَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ فِي الْحِرْصِ وَالْإِسْرَافِ مَثَلاً ، جَزَاءً قَلْبِيّاً وَمَعْنَوِيّاً ، فِيهِ غَمٌّ وَشَكْوَى يَغْشَى عَلَى الْإِنْسَانِ ؛ وَفِي الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ ، جَزَاءً عَاجِلاً يُحْرِقُ الْحَاسِدَ ؛ وَكَذَا أَنَّ فِي التَّوَكُّلِ وَالْقَنَاعَةِ مُكَافَأَةً ، يُزِيلُ ذٰلِكَ الثَّوَابُ الْعَاجِلُ اللَّذِيذُ ، أَلَمَ الْفَقْرِ ، وَبَلَاءَ الْفَاقَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ

فِي الْغُرُورِ وَالْكِبْرِ مَثَلاً ، حِمْلاً ثَقِيلاً بِحَيْثُ يَطْلُبُ الإِنْسَانُ الْمَغْرُورُ ، الِاحْتِرَامَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَيُقَاسِي الْعَذَابَ مِنْ لِقَائِهِ الِاسْتِثْقَالَ بِذٰلِكَ الطَّلَبِ . نَعَمْ : إِنَّ الِاحْتِرَامَ يُعْطَى ؛ وَلَا يُطْلَبُ ؛ وَكَذَا أَنَّ فِي التَّوَاضُعِ وَتَرْكِ الْكِبْرِ ، مُكَافَأَةً لَذِيذَةً تُنْقِذُهُ عَنْ حِمْلٍ ثَقِيلٍ ، وَعَنْ إِعْجَابٍ بَارِدٍ بِنَفْسِهِ ؛ وَكَذَا أَنَّ فِي سُوءِ الظَّنِّ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَثَلاً ، جَزَاءً عَاجِلاً فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ فَمَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ ؛ يُصْبِحُ عُرْضَةً لِسُوءِ الظَّنِّ ، بِقَاعِدَةِ أَنَّ «مَنْ دَقَّ دُقَّ» ؛ وَمَنْ أَوَّلَ أَعْمَالَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ تَأْوِيلاً سَيِّئاً ؛ تُلَاقِي أَعْمَالُهُ سُوءَ التَّأْوِيلِ ؛ وَيُقَاسِي جَزَاءَهُ عَنْ قَرِيبٍ ؛ وَهٰكَذَا ، فَلْتُقَسْ جَمِيعُ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ حَسَبَ هٰذِهِ الْمُقَايَسَةِ . وَإِنِّي أَرْجُو مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ، أَنَّ مَنْ ذَاقُوا إِعْجَازَ الْقُرْآنِ الْمَعْنَوِيَّ ، الْمُتَظَاهِرَ مِنْ رِسَالَةِ النُّورِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، يُحِسُّونَ هٰذِهِ الْأَذْوَاقَ الْمَعْنَوِيَّةَ ؛ فَلَا يُفْتَنُونَ بِسُوءِ الْأَخْلَاقِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . .

﴿اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ أَنَّ آيَةَ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝﴾ ، لَا يُفِيدُ ظَاهِرُ مَعْنَى هٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، الْأُسْلُوبَ الْعَالِيَ مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، حَسَبَ بَيَانِ كَثِيرٍ مِنَ التَّفَاسِيرِ ؛ فَلِذَا كَانَتْ تَمَسُّ ذِهْنِي زَمَناً كَثِيراً ؛ فَنُبَيِّنُ إِجْمَالاً ، ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ مِنْ مَعَانِيهَا الْعَالِيَةِ الْجَمِيلَةِ ، الَّتِي وَرَدَتْ مِنْ فَيْضِ الْقُرْآنِ . .

اَلْأَوَّلُ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُسْنِدُ إِلَى نَفْسِهِ أَحْيَاناً ، مَا يَعُودُ إِلَى رَسُولِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَذٰلِكَ فِي جِهَةِ تَكْرِيمِ رَسُولِهِ وَتَشْرِيفِهِ ؛ فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هٰهُنَا ، الَّتِي تَدُلُّ بِفَحْوَاهَا عَلَى أَنِّي خَلَقْتُكُمْ لِلْعِبَادَةِ لَا لِرِزْقِي وَإِطْعَامِي ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهَا ، الْإِطْعَامَ وَالرِّزْقَ الْعَائِدَ إِلَى الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ؛ فَتَكُونُ بِمَعْنَى أَنَّ رَسُولِي لَا يُرِيدُ مِنْكُمْ إِطْعَاماً ؛ وَلَا يَطْلُبُ أَجْراً وَأُجْرَةً ، عَلَى خِدْمَةِ تَبْلِيغِ الْعُبُودِيَّةِ وَوَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ إِلَيْكُمْ ؛ وَإِلَّا تَكُونُ مِنْ قَبِيلِ إِعْلَامِ مَعْلُومٍ بَدِيهِيٍّ ؛ فَلَا يُنَاسِبُ بَلَاغَةَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ . .

الْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ الْإِنْسَانَ مُفْتَتَنٌ بِالرِّزْقِ كَثِيراً ؛ فَيَتَوَهَّمُ السَّعْيَ لِلرِّزْقِ وَسِيلَةً مَانِعَةً لِلْعُبُودِيَّةِ ؛ فَيَجِدُ لَهُ عُذْراً ؛ فَلِذٰلِكَ تَقُولُ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بِفَحْوَاهَا : إِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْعُبُودِيَّةِ ؛

وَإِنَّ نَتِيجَةَ خِلْقَتِكُمْ هِيَ الْعُبُودِيَّةُ ؛ وَإِنَّ السَّعْيَ لِلرِّزْقِ ، نَوْعٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ ، فِي نُقْطَةِ الْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا لِتَدَارُكِ أَرْزَاقِ مَخْلُوقَاتِي ، مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَحَيَوَانَاتِكُمْ ؛ يَعْنِي : أَنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا لِمَا يَعُودُ إِلَيَّ مِنْ إِحْضَارِ الرِّزْقِ وَالْإِطْعَامِ ؛ لِأَنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ، وَأَنَا أُعْطِي رِزْقَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُمْ مِنْ عِبَادِي ؛ فَلَا تَجْعَلُوا هٰذَا وَسِيلَةً ؛ فَتَتْرُكُوا الْعِبَادَةَ ؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا الْمَعْنَى ؛ لَكَانَتْ مِنْ قَبِيلِ إِعْلَامِ الْمَعْلُومِ ؛ إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ وَالْبَدِيهِيِّ ، أَنَّ إِعْطَاءَ الرِّزْقِ لِلّٰهِ ، وَإِطْعَامَهُ تَعَالٰى ، مُحَالٌ ؛ وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُقَرَّرَةِ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ : أَنَّ كَلَاماً إِذَا كَانَ مَعْنَاهُ مَعْلُوماً وَبَدِيهِيّاً ؛ لَا يَكُونُ ذٰلِكَ الْمَعْنَى مُرَاداً ؛ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ لَازِمُهُ ، أَوْ تَابِعٌ مِنْ تَوَابِعِهِ . مَثَلاً : إِذَا قُلْتَ لِأَحَدٍ حَافِظٍ : إِنَّكَ حَافِظٌ ؛ يَكُونُ ذٰلِكَ مِنْ قَبِيلِ إِعْلَامِ الْمَعْلُومِ ؛ فَإِذاً إِنَّ مَعْنَاهُ الْمَقْصُودَ هُوَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَافِظٌ ؛ فَأَعْلَمَهُ عِلْمَهُ بِذٰلِكَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَعْلَمُهُ ؛ فَعَلٰى هٰذِهِ الْقَاعِدَةِ ، يَكُونُ مَعْنَى هٰذِهِ الْآيَةِ ، الْمَكْنِيِّ بِهَا عَنْ نَفْيِ إِعْطَاءِ الرِّزْقِ لِلّٰهِ وَإِطْعَامِهِ تَعَالٰى ، هُوَ : أَنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا لِإِيصَالِ الرِّزْقِ إِلٰى مَخْلُوقَاتِيَ الَّتِي تَكَفَّلْتُ أَرْزَاقَهَا ؛ وَهِيَ عَائِدَةٌ إِلَيَّ ؛ بَلْ إِنَّ خِدْمَتَكُمُ الْأَصْلِيَّةَ هِيَ الْعُبُودِيَّةُ ؛ وَإِنَّ السَّعْيَ لِلرِّزْقِ حَسَبَ أَوَامِرِي ، نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ أَيْضاً . .

اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ : أَنَّهُ كَمَا أَنَّ ظَاهِرَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالٰى فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ، مَعْلُومٌ وَبَدِيهِيٌّ ؛ فَيَكُونُ لَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِ ذٰلِكَ الْمَعْنَى مُرَاداً ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ وَوَلَدٌ ، لَا يَكُونُ إِلٰهاً ؛ وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ، أَنَّهُ أَزَلِيٌّ وَأَبَدِيٌّ ؛ فَحُكِمَ عَلَى اللّٰهِ تَعَالٰى بِالْمَعْلُومِ وَالْبَدِيهِيِّ ، بِقَصْدِ نَفْيِ أُلُوهِيَّةِ عِيسٰى وَعُزَيْرٍ ، وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالنُّجُومِ ، وَالْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ : أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالٰى : ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۝﴾ ، فِي مِثَالِنَا هٰذَا ، يَكُونُ بِمَعْنَى أَنَّ مَا لَهُ احْتِيَاجٌ إِلَى الرِّزْقِ وَالْإِطْعَامِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ، لَا يَكُونُ إِلٰهاً وَمَعْبُوداً ؛ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْمُطْعَمَةَ ، وَالْمُحْتَاجَةَ إِلَى الرِّزْقِ ، لَا تَلِيقُ بِالْعُبُودِيَّةِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾

كُتِبَتْ هٰذِهِ الْفِقْرَةُ بِمُنَاسَبَةِ اغْتِمَامِ رَأْفَتَ لِمَعْنٰى كَلِمَةِ ﴿قَآئِلُونَ﴾ ، فِي هٰذِهِ الْآيَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَسُؤَالِهِ عَنْ مَعْنَاهَا ؛ وَلِئَلَّا يُعَطِّلَ قَلَمَهُ الشَّبِيهَ بِالْأَلْمَاسِ ، بِسَبَبِ الرَّخَاوَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ نَوْمِهِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، فِي السِّجْنِ ، كَالْآخَرِينَ . . إِنَّ النَّوْمَ عَلٰى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ . .

أَوَّلُهَا : الْغَيْلُولَةُ : وَهِيَ مِنْ بَعْدِ الْفَجْرِ إِلَى انْتِهَاءِ وَقْتِ الْكَرَاهَةِ . فَهٰذَا النَّوْمُ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ ؛ لِأَنَّهُ يُورِثُ نَقْصَ الرِّزْقِ ، وَزَوَالَ بَرَكَتِهِ ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ ؛ فَإِنَّ أَنْسَبَ زَمَنٍ بِإِحْضَارِ مُقَدَّمَاتِ السَّعْيِ لِلرِّزْقِ ، هُوَ زَمَنُ الْبُرُودَةِ ؛ فَبَعْدَ مُضِيِّ هٰذَا الْوَقْتِ ، تَطْرَأُ رَخَاوَةٌ تَضُرُّ بِسَعْيِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَبِالرِّزْقِ تَبَعاً ؛ كَمَا تُنْتِجُ زَوَالَ الْبَرَكَةِ ؛ كَذَا ثَبَتَ بِتَجَارِبَ كَثِيرَةٍ . .

وَثَانِيهَا : الْفَيْلُولَةُ : وَهِيَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَهٰذَا النَّوْمُ يُورِثُ نَقْصَ الْعُمُرِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ عُمُرَهُ يُبْدِي نَقْصاً مَادِّيّاً ؛ لِأَنَّ عُمُرَهُ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، يَتَّخِذُ شَكْلاً قَصِيراً ؛ وَيُصْبِحُ نَاقِصاً مَشُوباً بِالنَّوْمِ ؛ كَمَا أَنَّ نَتِيجَةَ حَيَاتِهِ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، مَادِّيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً ، تَتَظَاهَرُ عَلَى الْأَكْثَرِ بَعْدَ الْعَصْرِ ؛ فَيَصِيرُ إِمْرَارُ ذٰلِكَ الْوَقْتِ بِالنَّوْمِ ، فِي حُكْمِ عَدَمِ مُشَاهَدَةِ تِلْكَ النَّتِيجَةِ ؛ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعِشْ ذٰلِكَ الْيَوْمَ ، فِي جِهَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ . .

وَثَالِثُهَا : الْقَيْلُولَةُ : وَهٰذَا النَّوْمُ سُنَّةٌ سَنِيَّةٌ ؛ وَهُوَ مِنْ وَقْتِ الضُّحٰى إِلٰى زَمَنٍ يَسِيرٍ بَعْدَ الظُّهْرِ . وَهٰذَا النَّوْمُ مَعَ كَوْنِهِ سُنَّةً ؛ لِأَنَّهُ يُنْتِجُ قِيَامَ اللَّيْلِ ، يَزِيدُ تِلْكَ السُّنَّةَ السَّنِيَّةَ قُوَّةً ، حَيْثُ كَانَ تَعْطِيلُ الْأَشْغَالِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ ، الْمُسَمّٰى بِوَقْتِ الظَّهِيرَةِ ، كَانَ عَادَةً قَوْمِيَّةً وَإِقْلِيمِيَّةً فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ؛ وَهٰذَا النَّوْمُ سَبَبٌ لِزِيَادَةِ الْعُمُرِ وَالرِّزْقِ مَعاً ؛ لِأَنَّ نِصْفَ سَاعَةٍ مِنَ الْقَيْلُولَةِ ، يُعَادِلُ سَاعَتَيْنِ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ ؛ فَيُلْحِقُ سَاعَةً وَنِصْفاً بِعُمُرِهِ ، كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَيُنْقِذُ مِنْ مُدَّةِ السَّعْيِ لِلرِّزْقِ ، سَاعَةً وَنِصْفَ سَاعَةٍ أَيْضاً ، عَنْ يَدِ النَّوْمِ الرَّفِيقِ لِلْمَوْتِ ؛ وَيُحْيِيهِمَا ؛ وَيُلْحِقُهُمَا بِزَمَنِ السَّعْيِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

﴿ أَلْفُ أَلْفِ صَلاةٍ ، وَأَلْفُ أَلْفِ سَلامٍ ، عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ﴾
(وَهٰذِهِ الْفِقْرَةُ جَمِيلَةٌ أَيْضاً . .)

لَمَّا قَرَأْتُ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ ، فِي تَسَابِيحِ الصَّلاةِ ، انْكَشَفَتْ نُكْتَةٌ لَطِيفَةٌ ؛ فَرَأَيْتُهَا مِنْ بَعِيدٍ ؛ وَمَا قَبَضْتُ كُلَّهَا ؛ وَلٰكِنْ أَذْكُرُ مِنْهَا جُمْلَةً أَوْ جُمْلَتَيْنِ ، مِنْ قَبِيلِ الْإِشَارَاتِ ؛ فَرَأَيْتُ عَالَمَ اللَّيْلِ ، كَمَنْزِلٍ مِنَ الدُّنْيَا فُتِحَ عَنْ جَدِيدٍ ؛ فَدَخَلْتُ ذٰلِكَ الْعَالَمَ ، فِي صَلاةِ الْعِشَاءِ ؛ وَرَأَيْتُ الدُّنْيَا الْعَظِيمَةَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، كَمَنْزِلٍ ؛ وَذٰلِكَ مِنِ انْبِسَاطِ الْخَيَالِ ، وَتَعَلُّقِ مَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِ بِجَمِيعِ الدُّنْيَا ؛ فَتَصَاغَرَتْ ذَوَاتُ الْحَيَاةِ وَالنَّاسُ بِحَيْثُ لا تُرى ؛ فَشَاهَدْتُ خَيَالاً ، الشَّخْصِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ وَحْدَهَا ، مُنَوِّرَةً وَمُؤَانِسَةً وَعَامِرَةً لِذٰلِكَ الْمَنْزِلِ ؛ فَكَمَا أَنَّ إِنْسَاناً إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً عَنْ جَدِيدٍ ، يُسَلِّمُ عَلٰى مَنْ فِي الْمَنْزِلِ ؛ كَذٰلِكَ وَجَدْتُ فِي نَفْسِي اشْتِهَاءً فَوَّاراً لِأَقُولَ : ﴿ أَلْفُ أَلْفِ سَلامٍ ، عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ﴾ ؛ كَأَنِّي أُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِعَدَدِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ كُلِّهِمْ ؛ أَعْنِي : أَنِّي أُجَدِّدُ بَيْعَتِي لَكَ ؛ وَأَتَقَبَّلُ رِسَالَتَكَ ؛ وَأُطِيعُ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْقَوَانِينِ ؛ وَأَسْلِمُ لِأَوَامِرِكَ ؛ وَأُفِيدُ بِالسَّلامِ ، أَنْ تَسْلَمَ عَنْ تَعَرُّضِنَا لَكَ ؛ وَأَنْطَقْتُ جَمِيعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ الَّذِينَ هُمْ أَجْزَاءُ دُنْيَايَ ، وَمَخْلُوقَاتُهَا ذَوَاتُ الشُّعُورِ ؛ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِاسْمِ كُلٍّ مِنْهُمْ ، سَلاماً بِالْمَعَانِي الْمَذْكُورَةِ . وَكَذَا أَنَّهُ يُنَوِّرُ بِمَا أَتَى بِهِ مِنَ النُّورِ وَالْهِدَايَةِ ، دُنْيَايَ هٰذِهِ ؛ كَمَا يُنَوِّرُ بِذٰلِكَ النُّورِ دُنْيَا كُلِّ أَحَدٍ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ وَيُنَعِّمُهَا بِتِلْكَ الْهَدِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ قُلْتُ : ﴿ أَلْفُ أَلْفِ صَلاةٍ (١) عَلَيْكَ ﴾ ، مِنْ قَبِيلِ شُكْرَانٍ وَمُقَابَلَةٍ لِهَدِيَّتِهِ تِلْكَ ؛ أَعْنِي : أَنَّنَا

---

(١) إِنَّ الرَّحْمَةَ النَّازِلَةَ عَلَى الذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، تَنْظُرُ إِلَى حَاجَاتِ الْأُمَّةِ جَمِيعاً فِي زَمَانٍ أَبَدِيٍّ ؛ فَلِذَا تَكُونُ صَلَوَاتٌ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ ، فِي مَحَلِّهَا . فَيَا عَجَباً ! إِذَا دَخَلَ أَحَدٌ مَنْزِلاً مُحْتَشِماً ، عَظِيماً وَجَسِيماً بِقَدَرِ الدُّنْيَا ، خَالِياً وَمُظْلِماً بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ؛ كَيْفَ يَخَافُ وَيَتَوَحَّشُ وَيَتَدَهَّشُ ؛ وَإِذَا شُوهِدَ فَجْأَةً فِي صَدْرِ الْمَنْزِلِ ، رَسُولٌ أَكْرَمُ ، حَبِيبٌ وَمَحْبُوبٌ ، أَنِيسٌ وَمُؤْنِسٌ يُنَوِّرُ ذٰلِكَ الْمَنْزِلَ ؛ وَيُعَرِّفُ مَالِكَهُ الرَّحِيمَ الْكَرِيمَ بِكُلِّ مَا فِيهِ ؛ كَيْفَ يُنْتِجُ ذٰلِكَ فَرَحاً وَنُوراً ، وَأُنْساً وَسُرُوراً ؟ فَقِيسُوا عَلَيْهِ ؛ وَاقْدُرُوا قَدْرَ الصَّلَوَاتِ عَلٰى صَاحِبِ الرِّسَالَةِ ؛ وَاقْدُرُوا لَذَّاتِهَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُقَابِلَ إِحْسَانَكَ هٰذَا ؛ بَلْ نُظْهِرُ شُكْرَانَنَا لَكَ ، بِالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ ، أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ صَلَوَاتٌ بِعَدَدِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ ، نَازِلَاتٌ مِنْ خَزِينَةِ رَحْمَةِ خَالِقِنَا ؛ فَحَسِبْتُ هٰذَا الْمَعْنَى خَيَالاً . وَإِنَّ الذَّاتَ الْأَحْمَدِيَّةَ تَقْتَضِي الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ ، بِاعْتِبَارِ تَوَجُّهِهِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ بِجِهَةِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ وَإِنَّهَا تَقْتَضِي السَّلَامَ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ رَسُولٌ مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْخَلْقِ بِجِهَةِ الرِّسَالَةِ ؛ فَكَمَا أَنَّهُ يَلِيقُ بِالسَّلَامِ بِعَدَدِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؛ وَنُقَدِّمُ إِلَيْهِ تَجْدِيدَ الْبَيْعَةِ الْعَامَّةِ عَدَدَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّهُ يَلِيقُ بِالصَّلَاةِ مِنْ خَزِينَةِ الرَّحْمَةِ ، عَدَدَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ ، بِاسْمِ كُلٍّ مِنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُ يُرَى بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ النُّورِ ، كَمَالُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيَتَظَاهَرُ بِهِ قِيمَةُ كُلِّ مَوْجُودٍ ؛ وَيُشَاهَدُ بِهِ وَظِيفَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، تِلْكَ الْوَظِيفَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ؛ وَيَتَجَلَّى بِهِ مَا فِي كُلِّ مَصْنُوعٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْإِلٰهِيَّةِ . فَلِذٰلِكَ لَوْ كَانَ لِكُلِّ شَيْءٍ ، لِسَانُ الْقَالِ ؛ لَقَالَ بِهِ قَطْعاً ؛ كَمَا يَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ : ﴿الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ﴾ . فَلِذٰلِكَ نَقُولُ مَعْنًى بِاسْمِ جَمِيعِهَا : ﴿أَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ ، وَأَلْفُ أَلْفِ سَلَامٍ ، عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، بِعَدَدِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَبِعَدَدِ الْمَلَكِ وَالنُّجُومِ ۞﴾ . .

﴿فَيَكْفِيكَ أَنَّ اللهَ صَلَّى بِنَفْسِهِ ۞ وَأَمْلَاكَهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَتْ﴾ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله تعالى عنه) . .

أَخِي الْعَزِيزَ ! إِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ بَعْضَ إِيضَاحٍ فِي حَقِّ «وَحْدَةِ الْوُجُودِ» ؛ وَيُوجَدُ فِي لَمْعَةٍ فِي حَقِّ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ ، جَوَابٌ مُوضِحٌ قَوِيٌّ ، إِزَاءَ فِكْرِ «حَضْرَةِ مُحْيِي الدِّينِ» فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ . .

وَالْآنَ نَقُولُ هٰذَا الْقَدْرَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ تَلْقِينَ مَسْأَلَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ هٰذِهِ ، لِلْمُعَاصِرِينَ ، يَضُرُّ بِهِمْ جِدّاً ؛ فَكَمَا أَنَّ التَّشْبِيهَ وَالتَّمْثِيلَ ، إِذَا دَخَلَ مِنْ أَيْدِي الْخَوَاصِّ فِي أَيْدِي الْعَوَامِّ ، وَمِنْ يَدِ الْعِلْمِ فِي يَدِ الْجَهْلِ ، يُتَلَقَّى حَقِيقَةً (١) ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ مِثْلَ مَسْأَلَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ مِنَ

---

(١) وَذٰلِكَ كَمَا أَنَّ مَلَكَيْنِ مُسَمَّيَيْنِ بِالثَّوْرِ وَالْحُوتِ ، بِمُنَاسَبَةِ سِرِّ التَّشْبِيهِ ، ظُنَّا لَدَى الْعَوَامِّ ، ثَوْراً =

الْحَقَائِقِ الْعَالِيَةِ ، إِذَا دَخَلَتْ بَيْنَ الْعَوَامِّ وَأَهْلِ الْغَفْلَةِ الْمُنْهَمِكِينَ فِي الْأَسْبَابِ ؛ تُظَنُّ طَبِيعَةً ؛ وَتُورِثُ ثَلاثَ مَضَارَّ مُهِمَّةٍ . .

أَوَّلُهَا : أَنَّ مَشْرَبَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، وَكَأَنَّهُ كَانَ إِنْكَاراً لِلْكَائِنَاتِ بِحِسَابِ اللهِ ، كُلَّمَا دَخَلَ بَيْنَ الْعَوَامِّ ؛ يَذْهَبُ إِلٰى أَنْ يَصِلَ إِلٰى طَرِيقِ إِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ بِحِسَابِ الْكَائِنَاتِ وَالْمَادِّيَّاتِ ، لِلْعَوَامِّ الْغَافِلِينَ ، وَلاسِيَّمَا لِأَفْكَارٍ مَشُوبَةٍ بِأَفْكَارِ الْمَادِّيِّينَ . .

وَثَانِيهَا : أَنَّ مَشْرَبَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، يَرُدُّ رُبُوبِيَّةَ مَا سِوَى اللهِ تَعَالٰى بِالشِّدَّةِ ، بِحَيْثُ يُنْكِرُ مَا سِوَاهُ ؛ وَيَرْفَعُ الِاثْنَيْنِيَّةَ ؛ وَلا يَرَى الْوُجُودَ الْمُسْتَقِلَّ ، لا لِلنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، بَلْ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ إِذَا لُقِّنَ وَحْدَةُ الْوُجُودِ ، لِبَعْضِ نُفُوسٍ صَارَتْ فَرَاعِنَةً صِغَاراً ، بِحَيْثُ اسْتَعَدَّتْ أَنْ تَجْعَلَ نُفُوسَهَا مَعْبُودَةً ، وَذٰلِكَ بِسَبَبِ اسْتِيلاءِ فِكْرِ الطَّبِيعَةِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ، وَبِنَفْخِ الْغُرُورِ وَالْكِبْرِ فِي النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، وَبِجِهَةِ نِسْيَانِ الْخَالِقِ وَالْآخِرَةِ ، بِدَرَجَةٍ تَمْجُنُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ ، بِحَيْثُ لا يَسَعُهَا الْكَفُّ وَالْيَدُ . . الْعِيَاذُ بِاللهِ . .

وَثَالِثُهَا : أَنَّهُ يُورِثُ أَفْكَاراً لا تُنَاسِبُ وُجُوبَ وُجُودِ الذَّاتِ الْجَلِيلِ الْمُعَلّٰى وَالْمُبَرَّأِ ، الْمُنَزَّهِ وَالْمُقَدَّسِ عَنِ التَّحَيُّزِ وَالتَّجَزُّؤِ ، وَالتَّبَدُّلِ وَالتَّغَيُّرِ ؛ وَلا تُوَافِقُ تَنَزُّهَهُ وَتَقَدُّسَهُ ؛ وَيُصْبِحُ سَبَباً لِتَلْقِينَاتٍ بَاطِلَةٍ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، يَطْلَعُ فِكْراً مِنَ الثَّرٰى إِلَى الثُّرَيَّا ؛ وَيَتْرُكُ الْكَائِنَاتِ وَرَاءَهُ ؛ وَيَنْصِبُ نَظَرَهُ إِلَى الْعَرْشِ الْأَعْلٰى ، فَيَعُدُّ الْكَائِنَاتِ مَعْدُومَةً ، عَلٰى وَجْهِ الِاسْتِغْرَاقِ ؛ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ بِلا وَاسِطَةٍ ، مِنَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ ؛ وَإِلّا فَإِنَّ مَنْ يَقِفُ وَرَاءَ الْكَائِنَاتِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَيَرَى أَمَامَهُ الْأَشْيَاءَ ؛ وَيَنْظُرُ مِنَ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَقَعَ فِي وَحَلِ الطَّبِيعَةِ ؛ وَيَغْرَقَ فِي الْأَسْبَابِ ؛ وَمَنْ طَلَعَ فِكْراً إِلَى الْعَرْشِ ، مِثْلَ «جَلالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ» ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : «افْتَحْ سَمْعَكَ ؛ تَسْمَعْ مِنَ اللهِ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، مِنَ الْأَقْوَالِ ، كَالْحَاكِيَاتِ الْفِطْرِيَّةِ» ؛ وَإِلّا فَمَنْ لَمْ يَرْتَقِ إِلَى الْأَعْلٰى

= جَسِيماً ، وَحُوتاً عَظِيماً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، مِثْلَ «جَلَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ» ؛ وَلَمْ يَرَ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْفَرْشِ إِلَى الْعَرْشِ ، عَلٰى شَكْلِ الْمَرَايَا ؛ فَقُلْتَ لَهُ : أَصْغِ إِلٰى كُلِّ أَحَدٍ ؛ تَسْمَعْ مِنْهُ كَلَامَ اللّٰهِ ؛ فَإِنَّهُ يُفْتَتَنُ بِأَفْكَارٍ بَاطِلَةٍ ، مُخَالِفَةٍ لِلْحَقِيقَةِ ؛ كَأَنَّهُ يَسْقُطُ مَعْنًى ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْفَرْشِ . .

﴿قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ ؛ (مَا لِلتُّرَابِ وَلِرَبِّ الْأَرْبَابِ) ؛ «سُبْحَانَ مَنْ تَقَدَّسَ عَنِ الْأَشْبَاهِ ذَاتُهُ ۝ وَتَنَزَّهَتْ عَنْ مُشَابَهَةِ الْأَمْثَالِ صِفَاتُهُ ۝ وَشَهِدَ عَلٰى رُبُوبِيَّتِهِ آيَاتُهُ ۝ جَلَّ جَلَالُهُ ۝ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ۝» . .

جَوَابٌ عَلٰى سُؤَالٍ

إِنَّ وَقْتِي غَيْرُ مُسَاعِدٍ لِمُوَازَنَةِ أَفْكَارِ «مُوسٰى بَكُوفَ» ، مَعَ «مُصْطَفٰى صَبْرِيٍّ» ؛ وَإِنَّمَا أَقُولُ هٰذَا الْقَدَرَ فَقَطْ ؛ وَهُوَ : أَنَّ أَحَدَهُمَا أَفْرَطَ ؛ وَالْآخَرَ فَرَّطَ . فَـ «مُصْطَفٰى صَبْرِيٌّ» وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا فِي دِفَاعَاتِهِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى «مُوسٰى بَكُوفَ» ؛ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُحِقٍّ فِي تَزْيِيفِ شَخْصٍ مِثْلِ «مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ» ، الَّذِي هُوَ مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ «مُحْيِيَ الدِّينِ» نَفْسَهُ ، هَادٍ وَمَقْبُولٌ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَكُونُ فِي كُلِّ كُتُبِهِ مَهْدِيًّا وَمُرْشِدًا ؛ وَيُخَالِفُ قَوَاعِدَ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ لِأَنَّهُ يَسْلُكُ فِي الْحَقَائِقِ بِلَا مِيزَانٍ ، مِرَارًا كَثِيرَةً ؛ وَبَعْضُ كَلَامِهِ يُفِيدُ الضَّلَالَ ظَاهِرًا ؛ وَلٰكِنَّهُ هُوَ مُبَرَّأٌ عَنِ الضَّلَالِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُرَى الْكَلَامُ كُفْرًا ؛ وَلٰكِنْ لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ كَافِرًا ؛ فَلَمْ يَنْظُرْ «مُصْطَفٰى صَبْرِيٌّ» إِلٰى هٰذِهِ النِّقَاطِ ؛ وَفَرَّطَ فِي بَعْضِ نِقَاطٍ ، بِجِهَةِ التَّعَصُّبِ لِقَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ وَأَمَّا «مُوسٰى بَكُوفَ» ؛ فَإِنَّهُ يُخْطِئُ كَثِيرًا بِأَفْكَارِهِ الْمُتَمَاشِيَةِ مَعَ التَّمَدُّنِ ، وَالْمَائِلَةِ إِلَى التَّجَدُّدِ كَثِيرًا ؛ وَيُحَرِّفُ بَعْضَ حَقَائِقَ إِسْلَامِيَّةٍ ، بِتَأْوِيلَاتٍ خَاطِئَةٍ ؛ وَيُفْرِطُ كَثِيرًا ، حَيْثُ يَمِيلُ بِزِيَادَةٍ إِلٰى مَسَائِلِ «مُحْيِي الدِّينِ» الْمُخَالِفَةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمُوَافِقَةِ لِأَفْكَارِهِ ؛ وَيُرَجِّحُ شَخْصًا مَرْدُودًا مِثْلَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّي ، عَلَى الْمُحَقِّقِينَ . .

قَالَ مُحْيِي الدِّين : «تَحْرُمُ مُطَالَعَةُ كُتُبِنَا عَلىٰ مَنْ لَيْسَ مِنَّا» ؛ يَعْنِي : أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَّا ؛ وَلَمْ يَعْلَمْ مَقَامَنَا ؛ فَلَا يَقْرَأْ كُتُبَنَا ؛ فَإِنَّهُ يَتَضَرَّرُ مِنْهَا . نَعَمْ : إِنَّ قِرَاءَةَ كُتُبِ «مُحْيِي الدِّينِ» ، لاسِيَّمَا مَسَائِلِهِ الْعَائِدَةِ إِلىٰ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، ضَارَّةٌ فِي هٰذَا الزَّمَانِ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أُبَيِّنُ كَيْفِيَّةً انْكَشَفَتْ لِنَظَرِ خَيَالِي ؛ وَكُنْتُ أَنْظُرُ مِنْ نَافِذَةِ السِّجْنِ ، لَيْلَةَ عِيدٍ مُحْتَشِمٍ لِلْغَايَةِ ؛ فَنَظَرْتُ بِعَدَسَةِ دَرْكِ الْعَاقِبَةِ ، وَحَذَرِ الاسْتِقْبَالِ ، إِلىٰ مَا يُبْكىٰ عَلَيْهِ مِنْ ضَحِكِ نَوْعِ الْبَشَرِ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ أَمْوَاتاً فِي الْمَقْبَرَةِ قَدِيماً ، يُرىٰ أَحْوَالُ حَيَاتِهِمْ فِي السِّينَمَا ؛ كَذٰلِكَ صِرْتُ كَأَنِّي أَرىٰ جَنَائِزَ مُتَحَرِّكَةً ، مِنْ جَنَائِزِ مَنْ يَكُونُونَ أَهْلَ الْقُبُورِ فِي مُسْتَقْبَلٍ قَرِيبٍ ؛ فَبَكَيْتُ عَلىٰ أُولٰئِكَ الضَّاحِكَاتِ ؛ فَطَرَأَ عَلَيَّ فَجْأَةً تَوَحُّشٌ ، وَحِسُّ تَأَلُّمٍ ؛ فَرَاجَعْتُ الْعَقْلَ ؛ وَسَأَلْتُ الْحَقِيقَةَ : مَا هٰذَا الْخَيَالُ ؟ فَقَالَتِ الْحَقِيقَةُ : إِنَّ خَمْسَةً مِنْ هٰؤُلَاءِ الْخَمْسِينَ الْبَائِسَاتِ ، اللَّاتِي يَلْعَبْنَ وَيَضْحَكْنَ بِكَمَالِ النَّشْوَةِ ، سَيَكُنَّ بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً ، كَشَيِّبَاتٍ مُسِنَّةٍ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَقَدِ انْحَنَتْ ظُهُورُهُنَّ ؛ وَسَيَكُنَّ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِنْهُنَّ ، رُمُماً فِي الْقُبُورِ ؛ وَسَتَكُونُ تِلْكَ الْوُجُوهُ الْحِسَانُ ، وَتِلْكَ الضَّحِكَاتُ النَّشْوىٰ ، مُنْقَلِبَةً بِأَضْدَادِهَا . فَإِذَا كَانَ مُشَاهَدَةُ أَشْيَاءٍ تَأْتِي عَنْ قَرِيبٍ ، كَأَنَّهَا أَتَتْ ، حَقِيقَةً بِدَرَجَةٍ مَّا ، بِقَاعِدَةِ «إِنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ» ؛ فَإِنَّ مُشَاهَدَتَكَ لَيْسَتْ خَيَالاً ؛ وَإِذَا كَانَتْ ضَحِكَاتُ الدُّنْيَا عَلىٰ وَجْهِ الْغَفْلَةِ ، مُؤَقَّتَةً وَمَعْرُوضَةً لِلزَّوَالِ ، وَغِطَاءً عَلىٰ مِثْلِ هٰذِهِ الْأَحْوَالِ الْأَلِيمَةِ الَّتِي يُبْكىٰ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّ مَا يَسُرُّ الْإِنْسَانَ الْبَائِسَ ، وَقَلْبَهُ الْعَاشِقَ لِلْأَبَدِ ، وَرُوحَهُ الْمَفْتُونَ بِعِشْقِ الْبَقَاءِ ، إِنَّمَا هِيَ مَلَاهٍ مَعْصُومَةٌ مَعَ حُضُورٍ وَشُكْرٍ ، بِدُونِ غَفْلَةٍ ، وَمَسَارٌّ بَاقِيَةٌ بِجِهَةِ الثَّوَابِ . فَلِهٰذَا يُوجَدُ فِي الرِّوَايَاتِ كَثِيرٌ مِنَ التَّرْغِيبِ الْعَظِيمِ إِلَى الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ فِي الْأَعْيَادِ ؛

لِئَلّا يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ الغَفْلَةُ ؛ فَيَقَعَ فِي دَائِرَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ ؛ حَتّى يُحَوِّلَ تِلْكَ النِّعْمَةَ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ ، إِلَى الشُّكْرِ ؛ وَيُدِيمَ تِلْكَ النِّعْمَةَ وَيَزِيدَهَا ؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ يَزِيدُ النِّعْمَةَ ؛ وَيَطْرُدُ الْغَفْلَةَ . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

﴿ هٰذَا الْجُزْءُ مُفِيدٌ لِكُلِّ أَحَدٍ . . ﴾

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ ﴾ . . وَ ﴿ أَعْدَى عَدُوِّكَ ، نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ ﴾ . .

[نُكْتَةٌ لِهٰذِهِ الْآيَةِ وَلِهٰذَا الْحَدِيثِ :]

إِنَّ مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ ؛ وَأُعْجِبَ بِهَا ، لَا يُحِبُّ غَيْرَهُ ، بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِدُونِ تَزْكِيَةٍ ؛ وَإِنْ أَحَبَّهُ ظَاهِراً ؛ فَلَنْ يُحِبَّهُ صَمِيماً ؛ بَلْ يُحِبُّ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَصْلَحَتِهِ وَلَذَّتِهِ ؛ وَيَسْعَى دَائِماً لِيُحَبِّبَ نَفْسَهُ وَيُعْجِبَ بِهَا ؛ وَلَا يَقْبَلُ النَّقْصَ لِنَفْسِهِ ؛ بَلْ يُبَرِّئُهَا وَيُدَافِعُ عَنْهَا كَالْمُحَامِي ؛ وَيَمْدَحُ نَفْسَهُ وَيُنَزِّهُهَا بِمُبَالَغَاتٍ ، بَلْ بِأَكَاذِيبَ ؛ حَتّى كَأَنَّهُ يُقَدِّسُهَا ؛ فَيَذُوقُ حَسَبَ دَرَجَتِهِ ، صَفْعَةً مِنْ آيَةِ : ﴿ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَيٰهُ ﴾ ؛ وَيَجْلِبُ تَمَدُّحُهُ وَتَحَبُّبُهُ ، الِاسْتِثْقَالَ ؛ وَيَجْعَلُهُ بَارِداً بِعَكْسِ الْعَمَلِ ؛ وَيَفْقِدُ الْإِخْلَاصَ ، فِي أَعْمَالِ الْآخِرَةِ ؛ وَيَخْلِطُهَا بِالرِّيَاءِ ؛ وَيُصْبِحُ مَغْلُوباً لِلنَّفْسِ وَالْهَوَى وَالْحِسِّ ، الْمُفْتَتَنَةِ بِاللَّذَّةِ الْحَاضِرَةِ ، وَالَّتِي لَا تَتَصَوَّرُ النَّتِيجَةَ ؛ وَلَا تَرَى الْعَاقِبَةَ ؛ فَيَبِيتُ فِي السِّجْنِ سَنَةً لِأَجْلِ لَذَّةِ سَاعَةٍ ، بِفَتْوَى الْحِسِّ الَّذِي أَضَلَّ سَبِيلَهُ ؛ وَيُجْزَى عَشْرَ سِنِينَ ، مِنْ أَجْلِ غُرُورِ سَاعَةٍ ، أَوِ انْتِقَامِهَا ؛ حَتّى إِنَّهُ يَجْعَلُ حَسَنَاتِهِ الَّتِي هِيَ فِي قِيمَةِ الْأَلْمَاسِ ، وَسِيلَةً لِلتَّكَبُّرِ وَاللَّذَائِذِ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ كِسْرَاتِ الزُّجَاجِ ، الَّتِي لَا قِيمَةَ لَهَا ، وَذٰلِكَ لِتَسْكِينِ هَوَاهُ ، وَتَنْشِيطِ مُشْتَهَاهُ ، وَمُرَاعَاةِ حِسِّهِ ،

كَصَبِيٍّ مَغْرُورٍ يَبِيعُ مَا يَدْرُسُهُ مِنْ جُزْءِ «عَمَّ» ، بِسُكَّرٍ وَاحِدٍ ؛ فَيَخْسَرُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ فِي أُمُورٍ رَابِحَةٍ . .

﴿اَللّٰهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ﴾ . .

سُؤَالٌ : يُقَالُ : إِنَّ الْحَبْسَ فِي جَهَنَّمَ ، فِي زَمَنٍ بِلَا حَدٍّ ، إِزَاءَ كُفْرٍ فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ ، كَيْفَ يَكُونُ عَدْلاً ؟ .

اَلْجَوَابُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْ قَانُونِ الْعَدْلِ ، أَنْ تَسْتَلْزِمَ دَقِيقَةٌ مِنَ الْقَتْلِ ، حَبْسَ سَبْعَةِ مَلَايِينَ دَقِيقَةٍ ، وَثَمَانِيمِئَةِ أَلْفٍ ، وَأَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ دَقِيقَةً ، بِعَدِّ السَّنَةِ ثَلَاثَمِئَةِ يَوْمٍ ، وَخَمْسَةً وَسِتِّينَ يَوْماً ؛ فَإِنَّ شَخْصاً قَضَى عِشْرِينَ عَاماً مِنْ عُمْرِهِ فِي الْكُفْرِ ؛ وَمَاتَ عَلَيْهِ ، يَسْتَحِقُّ السِّجْنَ بِقَانُونِ الْعَدْلِ سَبْعاً وَخَمْسِينَ تِرِلْيُونَ سَنَةٍ ، وَوَاحِداً وَمِئَتَيْ مِلْيَارِ سَنَةٍ ، وَمِئَتَيْ مِلْيُونِ سَنَةٍ ، بِقَانُونِ عَدَالَةِ الْبَشَرِ ؛ حَيْثُ إِنَّ دَقِيقَةً مِنَ الْكُفْرِ ، فِي حُكْمِ أَلْفِ قَتْلٍ ؛ فَيُعْلَمُ مِنْ هٰذَا ، وَجْهُ مُوَافَقَتِهِ مَعَ الْعَدَالَةِ الْإِلٰهِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً﴾ . .

وَسِرُّ مُنَاسَبَةِ الْعَدَدَيْنِ الْمُتَبَاعِدَيْنِ لِلْغَايَةِ ، هُوَ : أَنَّ الْقَتْلَ وَالْكُفْرَ ، تَدْمِيرٌ وَاعْتِدَاءٌ ؛ فَيُؤَثِّرَانِ فِي الْغَيْرِ تَأْثِيراً كَبِيراً ؛ فَإِنَّ دَقِيقَةً مِنَ الْقَتْلِ ، تَسْلُبُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ حَيَاةِ الْقَتِيلِ ، عَلَى الْأَقَلِّ ، حَسَبَ ظَاهِرِ الْعَادَةِ ؛ فَيَقَعُ فِي السِّجْنِ بَدَلاً عَنْهَا ؛ وَإِنَّ دَقِيقَةً مِنَ الْكُفْرِ ، إِنْكَارٌ لِوَاحِدٍ وَأَلْفِ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَتَزْيِيفٌ لِنُقُوشِهَا ، وَاعْتِدَاءٌ عَلَى حُقُوقِ الْكَائِنَاتِ ، وَإِنْكَارٌ لِكَمَالَاتِهَا ، وَتَكْذِيبٌ لِدَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، وَرَدٌّ لِشَهَادَاتِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ تُلْقِي بِالْكَافِرِ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ ، أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ ؛ وَتَحْبِسُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿خَالِدِينَ﴾ . .

[تَوَافُقٌ لَطِيفٌ ذُو مَغْزًى]

إِنَّ الْمَادَّةَ الثَّالِثَةَ وَالسِّتِّينَ وَالْمِئَةَ ، الَّتِي تَتَّهِمُ طُلّاَبَ رِسَالَةِ النُّورِ ، وَتَطْلُبُ الْجَزَاءَ لَهُمْ ، تُوَافِقُ عَدَدَ النُّوَّابِ الثَّلاثَةِ وَالسِّتِّينَ وَالْمِئَةِ ، مِنْ مِئَتَيْ نَائِبٍ ، الَّذِينَ وَقَّعُوا اللاّئِحَةَ الْعَائِدَةَ إِلَى تَخْصِيصِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ لَيْرَةٍ ، لِبِنَاءِ مَدْرَسَةِ مُؤَلِّفِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ فَيَقُولُ ذٰلِكَ التَّوَافُقُ مَعْنًى : إِنَّ تَوْقِيعَ مِئَةٍ وَثَلاثَةٍ وَسِتِّينَ نَائِباً ، مِنْ نُوَّابِ الْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ ، عَلٰى وَجْهِ التَّقْدِيرِ لِخِدْمَتِهِ ، يُبْطِلُ فِي حَقِّهِ مَادَّةَ الْقَانُونِ الْمِئَةَ وَالثَّالِثَةَ وَالسِّتِّينَ . .

وَأَيْضاً مِنَ التَّوَافُقَاتِ اللَّطِيفَةِ الْمُفِيدَةِ : أَنَّ مِئَةً وَثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنْ رِسَالَةِ النُّورِ تَصِيرُ مِئَةً وَخَمْسَةَ عَشَرَ كِتَاباً ؛ وَمُدَّةُ اعْتِقَالِ مُؤَلِّفِ رِسَالَةِ النُّورِ وَتَلامِذَتِهَا تَكُونُ مِئَةً وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً ، بِالنَّظَرِ إِلٰى أَنَّ مَبْدَأَ اعْتِقَالِهِمْ كَانَ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ «نَيْسَانَ» ، عَامَ أَلْفٍ وَتِسْعِمِئَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ ، مَعَ كَوْنِ تَارِيخِ قَرَارِ الْمَحْكَمَةِ وَحُكْمِهَا ، هُوَ الْيَوْمَ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ «أُغُسْطُوسَ» ، عَامَ أَلْفٍ وَتِسْعِمِئَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ ؛ فَتُوَافِقُ مُدَّةُ الاِعْتِقَالِ ، عَدَدَ كُتُبِ رِسَالَةِ النُّورِ ؛ كَمَا أَنَّهَا تُوَافِقُ تَمَاماً عَدَدَ أَشْخَاصٍ اسْتُنْطِقُوا وَعُدُّوا مُجْرِمِينَ ، مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ شَخْصاً ؛ فَيَدُلُّ التَّوَافُقُ عَلٰى أَنَّ الْمُصِيبَةَ الَّتِي أَصَابَتْ مُؤَلِّفَ رِسَالَةِ النُّورِ وَطُلّاَبَهَا ، تُنَظَّمُ بِيَدٍ مِنَ الْعِنَايَةِ(١) . .

---

(١) وَمِنْ مَحَلِّ التَّدَبُّرِ : أَنَّ اعْتِقَالَ قِسْمٍ مِنْ تَلامِذَةِ النُّورِ ، بَدَأَ فِي تَارِيخِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَ ، عَامَ أَلْفٍ وَتِسْعِمِئَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ ؛ وَكَانَ عَدَدُ مَنْ عُدُّوا مُجْرِمِينَ فِي الْقَرَارِ ، مِئَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ شَخْصاً ، حَيْثُ كُرِّرَ اسْمَا شَخْصَيْنِ كَيْفَمَا كَانَ ؛ فَعَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، يُوَافِقُ عَدَدُ التَّلامِذَةِ الْمِئَةِ وَالسَّبْعَةَ عَشَرَ ، عَدَدَ أَيَّامِ اعْتِقَالِ ذٰلِكَ الْقِسْمِ إِلٰى تَارِيخِ الْحُكْمِ ، حَيْثُ كَانَ مِئَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْماً ؛ فَيُلْحِقُ هٰذَا التَّوَافُقُ لَطَافَةً أُخْرٰى بِالتَّوَافُقَاتِ الْأُولٰى . . سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رضي الله عنه) . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلٰى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۞.. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ..﴾

تُبَيِّنُ نُكْتَةً مُهِمَّةً مِنْ نِكَاتِ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْآيَاتِ، بِمُنَاسَبَةِ انْتِقَادٍ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ..

وَهِيَ جَوَابٌ مُخْتَصَرٌ عَلٰى سُؤَالٍ مُهِمٍّ، ذِي ثَلَاثَةِ رُؤُوسٍ، يُسْأَلُ بِمُنَاسَبَةِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي بَيَانِ رَجْمِ جَوَاسِيسِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، حَيْثُ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ لِأَخْبَارِ السَّمَاوَاتِ؛ فَيَأْتُونَ بِأَخْبَارٍ غَيْبِيَّةٍ؛ وَيُخْبِرُونَهَا لِمُخْبِرِي الْغَيْبِ كَالْكُهَّانِ وَالْمَادِّيِّينَ وَبَعْضِ الْمُنَوِّمِينَ؛ فَمُنِعُوا فِي بِدَايَةِ نُزُولِ الْوَحْيِ، عَنْ تَجَسُّسِهِمُ الدَّائِمِ؛ وَرُجِمُوا بِالشُّهُبِ أَكْثَرَ مِمَّا قَبْلَ ذٰلِكَ الزَّمَانِ؛ لِئَلَّا يُورِثَ أَخْبَارُ أُولَائِكَ الْجَوَاسِيسِ، شُبْهَةً عَلَى الْوَحْيِ..

وَالسُّؤَالُ: هُوَ أَنَّهُ يُفْهَمُ عَنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْآيَاتِ: أَنَّ جَوَاسِيسَ الشَّيَاطِينِ يَدْخُلُونَ مَمْلَكَةَ السَّمَاوَاتِ، الَّتِي هِيَ عَلٰى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ غَايَةَ الْبُعْدِ، لِاسْتِخْبَارِ حَادِثَةٍ غَيْبِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ، بَلْ لِحَادِثَةٍ شَخْصِيَّةٍ أَحْيَاناً؛ وَأَنَّ أَيَّ شَيْطَانٍ، كَانَ إِذَا دَخَلَ أَيَّ جَانِبٍ؛ يَسْتَمِعُ ذٰلِكَ الْخَبَرَ؛ وَيَأْتِي بِهِ مُخْتَلَقاً؛ كَأَنَّهُ يُوجَدُ بَحْثُ تِلْكَ الْحَادِثَةِ الْجُزْئِيَّةِ فِي كُلِّ جَوَانِبِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ الْوَاسِعَةِ جِدّاً؛ فَلَا يَقْبَلُ الْعَقْلُ وَالْحِكْمَةُ مِثْلَ هٰذَا الْمَعْنٰى؛ وَكَذَا أَنَّ بَعْضاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ كَانُوا يَأْخُذُونَ ثَمَرَاتِ الْجَنَّةِ، الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بِنَصِّ الْآيَةِ، كَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ؛ وَكَانُوا يَتَفَرَّجُونَ أَحْيَاناً عَلَى الْجَنَّةِ مِنْ قَرِيبٍ؛ وَهٰذِهِ مَسْأَلَةٌ يَكُونُ نِهَايَةُ الْبُعْدِ فِي نِهَايَةِ الْقُرْبِ؛ فَلَا يَسَعُهَا عَقْلُ هٰذَا الْعَصْرِ؛ وَكَذَا أَنَّهُ لَا يُوَافِقُ حِكْمَةَ تَدْوِيرِ الْكَائِنَاتِ تَدْوِيراً حَكِيماً، أَنْ يُجْعَلَ حَالٌ جُزْئِيٌّ مِنْ أَحْوَالِ شَخْصٍ جُزْئِيٍّ، مَدَارَ

الْبَحْثِ لِلْمَلَإِ الْأَعْلٰى ، فِي السَّمَاوَاتِ الْكُلِّيَّةِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَعَ أَنَّ هٰذِهِ الْمَسَائِلَ الثَّلاثَ ، مِنَ الْحَقَائِقِ الْإِسْلامِيَّةِ . .

اَلْجَوَابُ : أَوَّلاً : أَنَّ صُعُودَ جَوَاسِيسِ الشَّيَاطِينِ إِلَى السَّمَاوَاتِ ، وَطَرْدَهُمْ عَنْهَا بِالنُّجُومِ ، الَّذِي تُفِيدُهُ آيَةُ : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ ، قَدْ أُثْبِتَ فِي رِسَالَةٍ بِرَقْمِ «الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ» ، بِسَبْعِ مُقَدِّمَاتٍ قَاطِعَةٍ تُسَمّٰى بِالْمَرَاقِي السَّبْعِ ، بِحَيْثُ تُقْنِعُ أَشَدَّ الْمَادِّيِّينَ عِنَاداً ؛ وَتُفْحِمُهُ ؛ وَتُلْزِمُهُ أَيْضاً . .

وَثَانِياً : أَنَّنَا نُشِيرُ إِلٰى هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْإِسْلامِيَّةِ الثَّلاثِ الَّتِي تُظَنُّ بَعِيدَةً ، بِتَمْثِيلٍ لِيُقَرِّبَهَا إِلَى الْأَذْهَانِ الْقَاصِرَةِ . .

مَثَلاً : إِنَّ حُكُومَةً إِذَا كَانَتْ دَائِرَتُهَا الْعَسْكَرِيَّةُ فِي شَرْقِيِّ الْبِلادِ ؛ وَدَائِرَتُهَا الْعَدْلِيَّةُ فِي غَرْبِيِّهَا ؛ وَدَائِرَةُ مَعَارِفِهَا فِي شَمَالِيِّهَا ؛ وَدَائِرَتُهَا الْعِلْمِيَّةُ فِي جَنُوبِيِّهَا ؛ وَدَائِرَتُهَا الْمُلْكِيَّةُ فِي وَسَطِهَا ؛ وَرَأَتْ كُلُّ دَائِرَةٍ ، مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْأَوْضَاعِ ؛ وَتَلَقَّتْ أَخْبَارَهَا ، بِصُورَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، بِالْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ وَاللاَّسِلْكِيِّ ، تَكُونُ تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ كُلُّهَا ، كَأَنَّهَا دَائِرَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ ؛ مَعَ كَوْنِهَا دَائِرَةً عَدْلِيَّةً ؛ وَتَكُونُ دَائِرَةً عِلْمِيَّةً ؛ كَمَا تَكُونُ دَائِرَةً مُلْكِيَّةً . .

وَكَذَا مَثَلاً : إِنَّ دُوَلاً مُتَعَدِّدَةً ، وَحُكُومَاتٍ مُخْتَلِفَةَ الْعَوَاصِمِ ، قَدْ تَكُونُ لَهَا أَحْكَامٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي مَمْلَكَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِجِهَةِ الْمُسْتَعْمَرَاتِ ، أَوْ بِحَيْثِيَّةِ الْاِمْتِيَازَاتِ ، أَوْ بِمُنَاسَبَةِ التِّجَارَاتِ ؛ فَيَتَنَاسَبُ كُلُّ حُكُومَةٍ مَعَ تِلْكَ الرَّعِيَّةِ ، بِجِهَةِ امْتِيَازِهَا ؛ مَعَ أَنَّ الشَّعْبَ وَالرَّعِيَّةَ وَاحِدَةٌ ؛ وَتَتَلاقٰى مُعَامَلاتُ تِلْكَ الْحُكُومَاتِ الْمُتَبَاعِدَةِ جِدّاً ؛ وَتَتَقَارَبُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ؛ وَيَكُونُ لَهَا اشْتِرَاكٌ فِي كُلِّ شَخْصٍ ؛ وَتُرٰى مَسَائِلُهَا الْجُزْئِيَّةُ فِي تَصَرُّفَاتٍ جُزْئِيَّةٍ فِي نُقْطَةِ التَّمَاسِّ ؛ وَإِلَّا فَلا تُؤْخَذُ كُلُّ مَسْأَلَةٍ جُزْئِيَّةٍ عَنِ الدَّائِرَةِ الْكُلِّيَّةِ ؛ وَلٰكِنْ حِينَمَا يُبْحَثُ عَنْ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْجُزْئِيَّةِ ؛ تُفَادُ بِوَجْهٍ كَأَنَّهَا تُؤْخَذُ عَنِ الدَّائِرَةِ الْكُلِّيَّةِ ؛ وَتُعْطٰى شَكْلَ مَسْأَلَةٍ صَارَتْ مَدَارَ الْبَحْثِ فِي تِلْكَ الدَّائِرَةِ ؛ وَذٰلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَكُونُ بِقَانُونِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ الْكُلِّيَّةِ نَفْسِهَا بِدُونِ وَاسِطَةٍ . .

كَذٰلِكَ إِنَّ مَمْلَكَةَ السَّمَاوَاتِ ، مَعَ كَوْنِهَا بَعِيدَةً غَايَةَ الْبُعْدِ بِاعْتِبَارِ الْمَرْكَزِ وَالْعَاصِمَةِ ، لَهَا هَوَاتِفُ مَعْنَوِيَّةٌ فِي مَمْلَكَةِ الْأَرْضِ ، تَمْتَدُّ إِلٰى قُلُوبِ النَّاسِ ؛ كَمَا أَنَّ عَالَمَ السَّمَاوَاتِ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ فَقَطْ ؛ بَلْ يَتَضَمَّنُ عَالَمَ الْأَرْوَاحِ ، وَعَالَمَ الْمَلَكُوتِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُحِيطُ بِعَالَمِ الشَّهَادَةِ ، بِجِهَةٍ ، تَحْتَ الْحِجَابِ . وَكَذَا أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي هِيَ مِنْ دَارِ الْبَقَاءِ ، وَمِنَ الْعَالَمِ الْبَاقِي ، مَعَ بُعْدِهَا بِلَا حَدٍّ ، امْتَدَّتْ دَائِرَةُ تَصَرُّفَاتِهَا ؛ وَانْتَشَرَتْ بِوَجْهٍ نُورَانِيٍّ ، فِي كُلِّ جَانِبٍ ، تَحْتَ حِجَابِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ أَيْضاً ؛ فَكَمَا أَنَّ الْحَوَاسَّ الْمُودَعَةَ فِي رَأْسِ الْإِنْسَانِ ، مَعَ كَوْنِ مَرَاكِزِهَا مُخْتَلِفَةً ، يَحْكُمُ كُلٌّ مِنْهَا عَلٰى ذٰلِكَ الْبَدَنِ وَالْجِسْمِ كُلِّهِ ؛ وَيَأْخُذُهُ إِلٰى دَائِرَةِ تَصَرُّفِهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي هِيَ الْإِنْسَانُ الْأَكْبَرُ ، تَحْتَوِي عَلٰى آلَافِ عَوَالِمَ كَدَوَائِرَ مُتَدَاخِلَةٍ يُوجَدُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ؛ فَالْأَحْوَالُ وَالْحَادِثَاتُ الْجَارِيَةُ فِيهَا ، تَكُونُ مَدَارَ النَّظَرِ ، بِجِهَةِ كُلِّيَّتِهَا وَجُزْئِيَّتِهَا ، وَبِحَسَبِ خُصُوصِيَّتِهَا وَعَظَمَتِهَا ؛ يَعْنِي : أَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ ، تُرٰى فِي الْأَمَاكِنِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْقَرِيبَةِ ؛ وَأَنَّ الْكُلِّيَّاتِ وَالْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ ، تُرٰى فِي الْمَقَامَاتِ الْكُلِّيَّةِ وَالْعَظِيمَةِ ؛ وَلٰكِنْ قَدْ تَكُونُ حَادِثَةٌ خُصُوصِيَّةٌ وَجُزْئِيَّةٌ ، تَسْتَوْلِي عَلٰى عَالَمٍ عَظِيمٍ ؛ فَإِذَا اسْتُمِعَ إِلٰى أَيِّ زَاوِيَةٍ ، تُسْمَعُ تِلْكَ الْحَادِثَةُ ؛ وَقَدْ تَكُونُ الْحُشُودُ الْعَظِيمَةُ لَيْسَتْ إِزَاءَ قُوَّةِ الْعَدُوِّ ، بَلْ تُحْشَدُ لِإِظْهَارِ الْحِشْمَةِ . مَثَلاً : إِنَّ حَادِثَةَ مُحَمَّدٍ (ﷺ) وَوَحْيِ الْقُرْآنِ ، تِلْكَ الْحَادِثَةَ الْقُدُسِيَّةَ ، لِكَوْنِهَا أَهَمَّ حَادِثَةٍ فِي مَمْلَكَةِ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا ، حَتّٰى فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ، فَقَدْ صُفَّتْ لَهَا الْحُرَّاسُ عَلٰى بُرُوجِ السَّمَاوَاتِ نَفْسِهَا ، تِلْكَ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ الْعَالِيَةِ الْبَعِيدَةِ جِدّاً ؛ فَيَقْذِفُونَ الْمَجَانِيقَ مِنَ الْكَوَاكِبِ ؛ وَيَطْرُدُونَ جَوَاسِيسَ الشَّيَاطِينِ ؛ وَيُبْعِدُونَهُمْ . فَبِإِفَادَتِهَا وَإِظْهَارِهَا عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ ، يُعْلِنُ دَرَجَةَ حِشْمَةِ وَحْيِ الْقُرْآنِ ، وَإِشْرَاقِ سَلْطَنَتِهِ ، وَمَرْتَبَةَ حَقَّانِيَّتِهِ الَّتِي لَا تَدْخُلُهَا الشُّبْهَةُ بِأَيِّ جِهَةٍ ؛ وَلِلْإِشَارَةِ إِلٰى هٰذَا الْإِعْلَانِ ، إِشَارَةً رَبَّانِيَّةً ، كَانَتِ الْكَوَاكِبُ تَسْقُطُ وَتُقْذَفُ أَكْثَرَ ، فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ ، وَفِي ذٰلِكَ الْعَصْرِ ؛ فَالْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، يُتَرْجِمُ ذٰلِكَ الْإِعْلَانَ التَّكْوِينِيَّ ؛ وَيُعْلِنُهُ ؛ وَيُشِيرُ إِلٰى تِلْكَ الْإِشَارَةِ السَّمَاوِيَّةِ . .

نَعَمْ: إِنَّ إِبْرَازَ أُولٰئِكَ الشَّيَاطِينِ الْجَوَاسِيسِ، الَّذِينَ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَطَارُوا بِنَفْخَةِ مَلَكٍ، مُبَارِزِينَ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِثْلِ هٰذِهِ الْإِشَارَةِ السَّمَاوِيَّةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ رَجْمِهِمْ بِالْكَوَاكِبِ، إِنَّمَا هُوَ لِإِظْهَارِ حَشْمَةِ سَلْطَنَةِ ذٰلِكَ الْوَحْيِ الْقُرْآنِيِّ؛ وَأَيْضاً إِنَّ هٰذَا الْبَيَانَ الْقُرْآنِيَّ الْمُحْتَشِمَ، وَهٰذِهِ الْحُشُودَ السَّمَاوِيَّةَ الْعَظِيمَةَ، لَيْسَتَا لِإِفَادَةِ أَنَّ لِلْجَانِّ وَالشَّيَاطِينِ، اقْتِدَاراً وَتَدَخُّلاً يَسُوقُ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْمُبَارَزَةِ وَالدِّفَاعِ؛ بَلْ لِلْإِشَارَةِ إِلٰى أَنَّهُ لَا دَخْلَ لِلْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ الْمَدِيدِ مِنَ الْقَلْبِ الْمُحَمَّدِيِّ إِلٰى عَالَمِ السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ؛ فَإِذاً إِنَّ الْوَحْيَ الْقُرْآنِيَّ حَقِيقَةٌ تَكُونُ مَدَارَ الْبَحْثِ عِنْدَ جَمِيعِ الْمَلاَئِكَةِ فِي السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةِ؛ فَيُضْطَرُّ الشَّيَاطِينُ إِلَى الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، لِلتَّقَارُبِ مِنْهَا بِدَرَجَةٍ؛ فَيُرْجَمُونَ؛ وَلَا يَنَالُونَ شَيْئاً؛ فَيُشِيرُ بِذٰلِكَ الرَّجْمِ، إِلٰى أَنَّ الْوَحْيَ النَّازِلَ عَلَى الْقَلْبِ الْمُحَمَّدِيِّ، وَجِبْرِيلَ الْوَارِدَ إِلَى الْحُضُورِ الْمُحَمَّدِيِّ، وَالْحَقَائِقَ الْغَيْبِيَّةَ الْمَشْهُودَةَ لِلنَّظَرِ الْمُحَمَّدِيِّ، سَلِيمَةٌ وَمُسْتَقِيمَةٌ، لَا تَقْبَلُ الشُّبْهَةَ بِأَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً؛ هٰكَذَا يُخْبِرُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ، عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ..

وَأَمَّا مُشَاهَدَةُ الْجَنَّةِ فِي الْأَمَاكِنِ الْقَرِيبَةِ، وَأَخْذُ الثِّمَارِ مِنْهَا أَحْيَاناً، مَعَ بُعْدِهَا، وَكَوْنِهَا مِنْ عَالَمِ الْبَقَاءِ، فَذٰلِكَ أَنَّ هٰذَا الْعَالَمَ الْفَانِيَ وَعَالَمَ الشَّهَادَةِ، حِجَابٌ لِدَارِ الْبَقَاءِ وَعَالَمِ الْغَيْبِ، كَمَا فُهِمَ ذٰلِكَ بِسِرِّ التَّمْثِيلَيْنِ السَّابِقَيْنِ؛ وَأَنَّ مُشَاهَدَةَ الْجَنَّةِ، مَعَ كَوْنِ مَرْكَزِهَا الْأَكْبَرِ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ، مُمْكِنَةٌ فِي كُلِّ جَانِبٍ، بِوَاسِطَةِ مِرْآةِ عَالَمِ الْمِثَالِ؛ كَمَا أَنَّهُ يُوجَدُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ الْفَانِي، بِوَاسِطَةِ إِيمَانٍ بِدَرَجَةِ حَقِّ الْيَقِينِ، دَوَائِرُ الْجَنَّةِ، وَبَعْضُ مُسْتَعْمَرَاتِهَا – «لَا خَطَأَ فِي التَّمْثِيلِ» –؛ وَيُمْكِنُ الْمُخَابَرَةُ مَعَ الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ، بِهَاتِفِ الْقَلْبِ؛ وَتَأْتِي هَدَايَاهُمْ..

وَأَمَّا اشْتِغَالُ دَائِرَةٍ كُلِّيَّةٍ، بِحَادِثَةٍ شَخْصِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ، أَعْنِي بِذٰلِكَ مَا يُقَالُ فِي التَّفَاسِيرِ: مِنْ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَخْرُجُونَ إِلَى السَّمَاوَاتِ لِلْإِتْيَانِ بِأَخْبَارٍ غَيْبِيَّةٍ؛ فَيَسْتَمِعُونَ إِلَيْهَا؛ وَيَأْتُونَ بِأَخْبَارٍ كَاذِبَةٍ لِلْكُهَّانِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةُ تِلْكَ الْأَقْوَالِ، هٰكَذَا، وَهُوَ: أَنَّ ذٰلِكَ

لَيْسَ ذَهاباً إِلٰى مَرْكَزِ مَمْلَكَةِ السَّماوَاتِ ، لِنَقْلِ ذٰلِكَ الْخَبَرِ الْجُزْئِيِّ ؛ بَلْ إِنَّ لِمَمْلَكَةِ السَّماوَاتِ الشَّامِلَةِ عَلَى الْجَوِّ أَيْضاً ، بَعْضَ مَوَاقِعَ فِي حُكْمِ دَائِرَةِ الْمَخْفِرِ ـ «لَا خَطَأَ فِي التَّشْبِيهِ» ـ ؛ فَتُوجَدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ مُنَاسَبَةٌ مَعَ مَمْلَكَةِ الْأَرْضِ ؛ فَيَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ مِنْ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْجُزْئِيَّةِ ، لِحَادِثَاتٍ جُزْئِيَّةٍ ؛ حَتّٰى إِنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ ؛ فَيُبَارِزُ مَلَكُ الْإِلْهَامِ مَعَ الشَّيْطَانِ ، فِي ذٰلِكَ الْمَوْضِعِ الْخَاصِّ . .

وَيُبَيِّنُ الْقُرْآنُ أَنَّ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ وَالْقُرْآنِيَّةَ ، وَالْحَادِثَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، مَهْمَا كَانَتْ جُزْئِيَّةً ؛ تَكُونُ مَدَارَ الْبَحْثِ كَأَعْظَمِ حَادِثَةٍ كُلِّيَّةٍ ، فِي دَائِرَةِ السَّمَاءِ ، وَفِي دَائِرَةِ الْعَرْشِ الْأَعْظَمِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَائِرَةٍ ، وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ؛ كَأَنَّهَا تُنْشَرُ فِي الْجَرَائِدِ الْمَعْنَوِيَّةِ مِنْ صُحُفِ مُقَدَّرَاتِ الْكَائِنَاتِ ـ «لَا خَطَأَ فِي التَّمْثِيلِ» ـ ؛ مَعَ أَنَّهُ يُفِيدُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ إِمْكَانُ التَّدَخُّلِ فِي تِلْكَ الْحَقَائِقِ بِأَيِّ وَجْهٍ ، مِنَ الْقَلْبِ الْمُحَمَّدِيِّ إِلٰى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلٰى دَائِرَةِ الْعَرْشِ ؛ فَلَا يَبْقٰى وَسِيلَةٌ لِلشَّيَاطِينِ ، سِوَى الْاِسْتِمَاعِ إِلَى السَّمَاوَاتِ ؛ وَيُعْلِنُ بِهٰذِهِ الْإِفَادَةِ ، وَيُظْهِرُ بِوَجْهٍ بَلِيغٍ ، بَلْ مُعْجِزٍ : أَنَّ الْوَحْيَ الْقُرْآنِيَّ ، وَالنُّبُوَّةَ الْأَحْمَدِيَّةَ ، عَلٰى أَيِّ دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْحَقَّانِيَّةِ ؛ وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ قُرْبُ الْخِلَافِ وَالْخَطَإِ وَالْحِيلَةِ مِنْهُمَا ، بِأَيِّ وَجْهٍ . .

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . .

اَللَّمْعَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

تَفَكُّرٌ عَالٍ مَدَارٌ لِلْإِيمَانِ ، وَمَعْرِفَةٌ سَامِيَةٌ فِي التَّوْحِيدِ . .

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ :

إِخْوَانِي ! إِنَّ رِسَالَةَ التَّفَكُّرِ هٰذِهِ ، مُهِمَّةٌ جِدّاً ؛ وَإِنَّ تَسْمِيَةَ «الْإِمَامِ عَلِيٍّ» (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) لَهَا (بِالْآيَةِ الْكُبْرٰى) ، عَلٰى وَجْهٍ ، تُظْهِرُ قِيمَتَهَا تَمَاماً ؛ وَهِيَ رِسَالَةُ مَعْرِفَةٍ وَرَدَتْ عَلَى الْقَلْبِ ، بِدَرَجَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ ، فِي تَسَابِيحِ الصَّلَاةِ ؛ وَأَنْتَجَتْ رَسَآئِلَ كَثِيرَةً ؛ وَأَصْبَحَتْ غِذَآءً وَعِلَاجاً لِلْعَقْلِ وَالْفِكْرِ ، ثَلَاثِينَ عَاماً . . وَمِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ تُكْتَبَ هٰذِهِ اللَّمْعَةُ بَيْنَ اللَّمَعَاتِ ؛ وَأَنْ تُكْتَبَ مِنْهَا أَرْبَعُونَ ، أَوْ خَمْسُونَ نُسْخَةً مُسْتَقِلَّةً . .

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .

لَمْعَةٌ أُلِّفَتْ إِذْ كُنْتُ فِي التَّجْرِيدِ الْمُطْلَقِ ، فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِرَ» ، قَبْلَ عِشْرِينَ عَاماً . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . .

إِفَادَةُ الْمَرَامِ

لَقَدِ امْتَزَجَ قَلْبِي بِعَقْلِي مُنْذُ ثَلاثِينَ سَنَةً فِي مَسْلَكِ التَّفَكُّرِ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ؛ وَيُرَغِّبُهُ بِآيَاتٍ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ وَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وَ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيٓ أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ . . ﴾ وَ ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وَيُشَوِّقُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ : ﴿تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ﴾ ، تَشْوِيقاً عَظِيماً ؛ وَيُبَيِّنُ أَنَّ سَاعَةً مِنَ التَّفَكُّرِ قَدْ تَكُونُ فِي حُكْمِ عِبَادَةِ سَنَةٍ ؛ فَتَظَاهَرَ لِعَقْلِي وَقَلْبِي ، فِي مَسْلَكِ التَّفَكُّرِ ، حَقَآئِقُ مَبْسُوطَةٌ ، وَأَنْوَارٌ عَظِيمَةٌ ، مُنْذُ ثَلاثِينَ عَاماً ؛ فَوَضَعْتُ عَلَيْهَا بَعْضَ كَلِمَاتٍ مِنْ قَبِيلِ الْإِشَارَاتِ ، لِحِفْظِ تِلْكَ الْحَقَآئِقِ وَالْأَنْوَارِ لِنَفْسِي ، لا لِلدَّلالَةِ عَلَيْهَا ، بَلْ لِلْإِشَارَةِ إِلٰى وُجُودِهَا ، وَلِتَسْهِيلِ التَّفَكُّرِ ، وَلِلْمُحَافَظَةِ عَلٰى الِانْتِظَامِ ؛ وَكُنْتُ أَذْكُرُ لِنَفْسِي تِلْكَ الْكَلِمَاتِ ، بِاللِّسَانِ ، بِعِبَارَاتٍ عَرَبِيَّةٍ فِي غَايَةِ الِاخْتِلافِ ، حِينَمَا كُنْتُ أَسْلُكُ فِي ذٰلِكَ التَّفَكُّرِ ؛ وَلَمْ يَطْرَأْ عَلَيَّ الْمَلَلُ فِي هٰذَا الزَّمَانِ الْمَدِيدِ ، وَفِي تِكْرَارِهَا آلافَ الْمَرَّاتِ ؛ وَلَمْ يَنْقُصِ الذَّوْقُ الَّذِي يُورِثُهُ ؛ وَلَمْ يَزُلِ احْتِيَاجُ الرُّوحِ إِلَيْهَا ؛ وَذٰلِكَ : لِأَنَّ تِلْكَ التَّفَكُّرَاتِ ، لَمَعَاتُ آيَاتِ الْقُرْآنِ ؛ فَتَمَثَّلَتْ فِي مِرْآتِهَا جَلْوَةٌ مِنْ خَاصَّةِ الْآيَاتِ ، وَهِيَ عَدَمُ الْإِمْلالِ ، وَحِفْظُ الْحَلاوَةِ . . وَرَأَيْتُ فِي هٰذِهِ الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ : أَنَّ الْأَنْوَارَ اللّامِعَةَ ،

والْعُقْدَةَ الْحَيَوِيَّةَ الْقَوِيَّةَ فِي أَجْزَآءِ رِسَالَةِ النُّورِ ، هِيَ لَمَعَاتُ سِلْسِلَةِ تِلْكَ التَّفَكُّرَات . . وَقَدْ نَوَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ مَجْمُوعَهَا فِي آخِرِ عُمْرِي ، بِتَفَكُّرِ أَنَّهَا سَتُؤَثِّرُ عَلَى الْآخَرِينَ ، تَأْثِيرَهَا عَلَيَّ ؛ وَأَنَّ أَكْثَرَ أَجْزَآئِهَا الْمُهِمَّةِ ، وَإِنْ أُدْخِلَ فِي الرَّسَآئِلِ ، إِلَّآ أَنَّهُ سَتَكُونُ فِي هَيْئَةِ مَجْمُوعِهَا ، قِيمَةٌ وَقُوَّةٌ أُخْرٰى . وَلَمَّا كَانَ آخِرُ الْعُمُرِ غَيْرَ مُعَيَّنٍ ؛ وَكَانَتْ حَالَتِي وَكَيْفِيَّتِي فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِرَ» اتَّخَذَتْ شَكْلاً أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا انْتَظَرْتُ آخِرَ الْحَيَاةِ ؛ فَكَتَبْتُ سِلْسِلَةَ تِلْكَ التَّفَكُّرَاتِ بِدُونِ تَغْيِيرٍ ، عَلٰى سَبْعَةِ أَبْوَابٍ ؛ وَذٰلِكَ بِاقْتِرَاحِ إِخْوَانِي فِي النُّورِ ، وَبِإِلْحَاحِهِمْ ، وَبِقَصْدِ اسْتِفَادَتِهِمْ . .

وَإِنَّ الْأَكْثَرَ الْمُطْلَقَ مِنْ هٰذِهِ الْحَقَآئِقِ الْقُدُسِيَّةِ ، وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ فِي تَسَابِيحِ الصَّلاةِ ؛ فَلِذٰلِكَ أَصْبَحَ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقُدُسِيَّةِ ، وَهِيَ : (سُبْحَانَ اللهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ وَاللهُ أَكْبَرُ ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) ، بِمَثَابَةِ مَنْبَعٍ لِتِلْكَ الْحَقَآئِقِ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ اللَّازِمُ أَنْ تُكْتَبَ مِثْلَ مَا فِي تَسْبِيحَاتِ الصَّلاةِ مِنَ التَّرْتِيبِ بِعَيْنِهِ ؛ وَلٰكِنَّ تَشَوُّشَ الْحَالِ فِي التَّجْرِيدِ حِينَئِذٍ ، أَفْسَدَ ذٰلِكَ التَّرْتِيبَ . .

وَأَمَّا الْآنَ ، فَيَكُونُ الْبَابُ الْأَوَّلُ مِنْ تِلْكَ اللَّمْعَةِ ، فِي (سُبْحَانَ اللهِ) ؛ وَالْبَابُ الثَّانِي فِي (الْحَمْدُ لِلّٰهِ) ؛ وَالْبَابُ الثَّالِثُ فِي (اللهُ أَكْبَرُ) ؛ وَالْبَابُ الرَّابِعُ فِي (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الشَّافِعِيَّةِ يَقْرَأُونَ (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) بَعْدَ الدُّعَآءِ وَأَذْكَارِ الصَّلاةِ ، ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً ، مِثْلَ (سُبْحَانَ اللهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ؛ وَاللهُ أَكْبَرُ) بِعَيْنِهَا . .

اَلْبَابُ الْأَوَّلُ : فِي «سُبْحَانَ اللهِ» . .

وَهُوَ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ :

اَلْفَصْلُ الْأَوَّلُ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَسُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ السَّمَآءُ ، بِكَلِمَاتِ نُجُومِهَا ، وَشُمُوسِهَا ، وَأَقْمَارِهَا ، بِرُمُوزِ حِكَمِهَا ؛ وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْجَوُّ ، بِكَلِمَاتِ سَحَابَاتِهِ ، وَرُعُودِهَا ، وَبُرُوقِهَا ، وَأَمْطَارِهَا ، بِإِشَارَاتِ فَوَآئِدِهَا ؛ وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ رَأْسُ الْأَرْضِ ، بِكَلِمَاتِ مَعَادِنِهَا ، وَنَبَاتَاتِهَا ، وَأَشْجَارِهَا ، وَحَيْوَانَاتِهَا ، بِدَلَالَاتِ انْتِظَامَاتِهَا ؛ وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ النَّبَاتَاتُ وَالْأَشْجَارُ ، بِكَلِمَاتِ أَوْرَاقِهَا ، وَأَزْهَارِهَا ، وَثَمَرَاتِهَا ، بِتَصْرِيحَاتِ مَنَافِعِهَا ؛ وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْأَزْهَارُ وَالْأَثْمَارُ ، بِكَلِمَاتِ بُذُورِهَا ، وَأَجْنِحَتِهَا ، وَنَوَاتَاتِهَا ، بِعَجَآئِبِ صَنْعَتِهَا ؛ وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ النَّوَاتَاتُ وَالْبُذُورُ ، بِأَلْسِنَةِ سَنَابِلِهَا ، وَكَلِمَاتِ حَبَّاتِهَا ، بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ كُلُّ نَبَاتٍ ، بِغَايَةِ الْوُضُوحِ وَالظُّهُورِ ، عِنْدَ انْكِشَافِ أَكْمَامِهَا ، وَتَبَسُّمِ بَنَاتِهَا ، بِأَفْوَاهِ مُزَيَّنَاتِ أَزَاهِيرِهَا ، وَمُنْتَظَمَاتِ سَنَابِلِهَا ، بِكَلِمَاتِ مَوْزُونَاتِ بُذُورِهَا ، وَمَنْظُومَاتِ حَبَّاتِهَا ، بِلِسَانِ نِظَامِهَا ، فِي مِيزَانِهَا ، فِي تَنْظِيمِهَا ، فِي تَوْزِينِهَا ، فِي صَنْعَتِهَا ، فِي صِبْغَتِهَا ، فِي زِينَتِهَا ، فِي نُقُوشِهَا ، فِي رَوَآئِحِهَا ، فِي طُعُومِهَا ، فِيٓ أَلْوَانِهَا ، فِيٓ أَشْكَالِهَا[1] ؛ كَمَا تَصِفُ تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِكَ ؛ وَتُعَرِّفُ جَلَوَاتِ

---

(١) إِنَّ اثْنَيْ عَشَرَ حِجَاباً فَوْقَ حِجَابٍ ، وَبُرْهَاناً فِي بُرْهَانٍ ، وَدَلِيلاً فِي دَلِيلٍ ، تُرِي الْقَلْبَ ، النَّقَّاشَ الْأَزَلِيَّ ، وَتُنْظِرُ إِلَيْهِ عَيْنَ الْعَقْلِ ، بِلَمَعَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وَنَغَمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْ زَهْرَةٍ وَاحِدَةٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

أَسْمَآئِكَ ؛ وَتُفَسِّرُ تَوَدُّدَكَ وَتَعَرُّفَكَ ، بِمَا يَتَقَطَّرُ مِنْ ظَرَافَةِ عُيُونِ أَزَاهِيرِهَا ، وَمِنْ طَرَاوَةِ أَسْنَانِ سَنَابِلِهَا ، مِنْ رَشَحَاتِ لَمَعَاتِ جَلَوَاتِ تَوَدُّدِكَ وَتَعَرُّفِكَ إِلٰى عِبَادِكَ ؛ **سُبْحَانَكَ يَا وَدُودُ يَا مَعْرُوفُ** ؛ مَآ أَحْسَنَ صُنْعَكَ ؛ وَمَآ أَزْيَنَهُ ؛ وَمَآ أَبْيَنَهُ ؛ وَمَآ أَتْقَنَهُ ؛ **سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ جَمِيعُ الْأَشْجَارِ** ، بِكَمَالِ الصَّرَاحَةِ وَالْبَيَانِ ، عِنْدَ انْفِتَاحِ أَكْمَامِهَا ، وَانْكِشَافِ أَزْهَارِهَا ، وَتَزَايُدِ أَوْرَاقِهَا ، وَتَكَامُلِ أَثْمَارِهَا ، وَرَقْصِ بَنَاتِهَا عَلٰى أَيَادِيٓ أَغْصَانِهَا ، حَامِدَةً بِأَفْوَاهِ أَوْرَاقِهَا الْخَضِرَةِ بِكَرَمِكَ ، وَأَزْهَارِهَا الْمُتَبَسِّمَةِ بِلُطْفِكَ ، وَأَثْمَارِهَا الضَّاحِكَةِ بِرَحْمَتِكَ ، بِأَلْسِنَةِ نِظَامِهَا فِي مِيزَانِهَا ، فِي تَنْظِيمِهَا ، فِي تَوْزِينِهَا ، فِي صَنْعَتِهَا ، فِي صِبْغَتِهَا ، فِي زِينَتِهَا ، فِي نُقُوشِهَا ، فِي طُعُومِهَا ، فِي رَوَآئِحِهَا ، فِيٓ أَلْوَانِهَا ، فِيٓ أَشْكَالِهَا ، فِي اخْتِلَافِ لُحُومِهَا ، فِي كَثْرَةِ تَنَوُّعِهَا ، فِي عَجَآئِبِ[1] خِلْقَتِهَا ؛ كَمَا تَصِفُ صِفَاتِكَ ؛ وَتُعَرِّفُ أَسْمَآءَكَ ؛ وَتُفَسِّرُ تَحَبُّبَكَ وَتَعَهُّدَكَ لِمَصْنُوعَاتِكَ بِمَا يَتَرَشَّحُ مِنْ شِفَاهِ ثِمَارِهَا ، مِنْ قَطَرَاتِ رَشَحَاتِ لَمَعَاتِ جَلَوَاتِ تَحَبُّبِكَ وَتَعَهُّدِكَ لِمَخْلُوقَاتِكَ ؛ **حَتّٰى كَأَنَّ الشَّجَرَةَ الْمُزَهَّرَةَ ، قَصِيدَةٌ مَنْظُومَةٌ مُحَرَّرَةٌ ، لِتُنْشِدَ لِلصَّانِعِ الْمَدَآئِحَ الْمُبَهَّرَةَ ؛ أَوْ فَتَحَتْ بِكَثْرَةٍ عُيُونَهَا الْمُبَصَّرَةَ ، لِتَنْظُرَ لِلْفَاطِرِ الْعَجَآئِبَ الْمُنَشَّرَةَ ؛ أَوْ زَيَّنَتْ لِعِيدِهَآ أَعْضَآءَهَا الْمُخَضَّرَةَ ، لِيَشْهَدَ سُلْطَانُهَآ آثَارَهَا الْمُنَوَّرَةَ ؛ وَتُشْهِرَ فِي الْمَشْهَرِ مُرَصَّعَاتِ الْجَوْهَرِ ؛ وَتُعْلِنَ لِلْبَشَرِ حِكْمَةَ خَلْقِ الشَّجَرِ** ؛ **سُبْحَانَكَ** مَآ أَحْسَنَ إِحْسَانَكَ ؛ مَآ أَبْيَنَ تِبْيَانَكَ ؛ مَآ أَبْهَرَ بُرْهَانَكَ ؛ وَمَآ أَظْهَرَهُ ؛ وَمَآ أَنْوَرَهُ ؛ **سُبْحَانَكَ** مَآ أَعْجَبَ صَنْعَتَكَ . .

تَلَأْلُؤُ الضِّيَآءِ بِدَلَالَةِ حِكَمِهَا ، مِنْ تَنْوِيرِكَ تَشْهِيرَكَ ؛ تَمَوُّجُ الْأَعْصَارِ بِسِرِّ وَظَآئِفِهَا ، خُصُوصاً فِي نَقْلِ الْكَلِمَاتِ ، مِنْ تَصْرِيفِكَ تَوْظِيفَكَ ؛ تَفَجُّرُ الْأَنْهَارِ بِإِشَارَةِ فَوَآئِدِهَا ، مِنْ تَدْخِيرِكَ تَسْخِيرَكَ ؛ تَزَيُّنُ الْأَحْجَارِ وَالْحَدِيدِ بِرُمُوزِ خَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا ، خُصُوصاً فِي

---

(١) إِنَّ هٰذِهِ الدَّلَائِلَ وَالْبَرَاهِينَ الْخَمْسَةَ عَشَرَ الْمُتَدَاخِلَةَ ، تُشِيرُ إِلَى الصَّانِعِ ذِي الْجَلَالِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

نَقْلِ الْأَصْوَاتِ وَالْمُخَابَرَاتِ ، مِنْ تَدْبِيرِكَ تَصْوِيرِكَ ؛ تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ بِعَجَآئِبِ حِكَمِهَا ، مِنْ تَحْسِينِكَ تَزْيِينِكَ ؛ تَبَرُّجُ الْأَثْمَارِ بِدَلَالَةِ فَوَآئِدِهَا ، مِنْ إِنْعَامِكَ إِكْرَامِكَ ؛ تَسَجُّعُ الْأَطْيَارِ بِإِشَارَةِ انْتِظَامِ شَرَآئِطِ حَيَاتِهَا ، مِنْ إِنْطَاقِكَ إِرْفَاقِكَ ؛ تَهَزُّجُ الْأَمْطَارِ بِشَهَادَةِ فَوَآئِدِهَا ، مِنْ تَنْزِيلِكَ تَفْضِيلِكَ ؛ تَحَرُّكُ الْأَقْمَارِ بِشَهَادَةِ حِكَمِ حَرَكَاتِهَا ، مِنْ تَقْدِيرِكَ تَدْبِيرِكَ ، تَدْوِيرِكَ تَنْوِيرِكَ ؛ سُبْحَانَكَ مَآ أَنْوَرَ بُرْهَانَكَ ، مَآ أَبْهَرَ سُلْطَانَكَ . .

اَلْفَصْلُ الثَّانِي :

سُبْحَانَكَ لَآ أُحْصِي ثَنَآءً عَلَيْكَ ؛ أَنْتَ كَمَآ أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ فِي فُرْقَانِكَ ؛ وَأَثْنَىٰ عَلَيْكَ حَبِيبُكَ بِإِذْنِكَ ؛ وَأَثْنَتْ عَلَيْكَ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِكَ بِإِنْطَاقِكَ . .

سُبْحَانَكَ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ ! يَا مَعْرُوفاً بِمُعْجِزَاتِ جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِكَ ، وَبِتَوْصِيفَاتِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ ، وَبِتَعْرِيفَاتِ جَمِيعِ مَوْجُودَاتِكَ . .

سُبْحَانَكَ مَا ذَكَرْنَاكَ حَقَّ ذِكْرِكَ ! يَا مَذْكُوراً بِأَلْسِنَةِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ ، وَبِأَنْفُسِ جَمِيعِ كَلِمَاتِ كِتَابِ كَآئِنَاتِكَ ، وَبِتَحِيَّاتِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ مِنْ مَخْلُوقَاتِكَ لَكَ ، وَبِمَوْزُونَاتِ جَمِيعِ الْأَوْرَاقِ الْمُهْتَزَّةِ الذَّاكِرَةِ فِي جَمِيعِ أَشْجَارِكَ وَنَبَاتَاتِكَ . .

سُبْحَانَكَ مَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ ! يَا مَشْكُوراً بِأَثْنِيَةِ جَمِيعِ إِحْسَانَاتِكَ عَلَىٰ إِحْسَانِكَ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَبِإِعْلَانَاتِ جَمِيعِ نِعَمِكَ عَلَىٰ إِنْعَامِكَ فِي سُوقِ الْكَآئِنَاتِ ، وَبِمَنْظُومَاتِ جَمِيعِ ثَمَرَاتِ رَحْمَتِكَ وَنِعْمَتِكَ لَدَىٰ أَنْظَارِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَبِتَحْمِيدَاتِ جَمِيعِ مَوْزُونَاتِ أَزَاهِيرِكَ وَعَنَاقِيدِكَ الْمُنَظَّمَةِ فِي خُيُوطِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ . .

سُبْحَانَكَ مَآ أَعْظَمَ شَأْنَكَ ؛ وَمَآ أَزْيَنَ بُرْهَانَكَ ؛ وَمَآ أَظْهَرَهُ ؛ وَمَآ أَبْهَرَهُ . .

سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ! يَا مَعْبُودَ جَمِيعِ الْمَلَآئِكَةِ ، وَجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَجَمِيعِ الْعَنَاصِرِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، بِكَمَالِ الْإِطَاعَةِ وَالْاِمْتِثَالِ وَالْاِنْتِظَامِ وَالْاِتِّفَاقِ وَالْاِشْتِيَاقِ . .

سُبْحَانَكَ مَا سَبَّحْنَاكَ حَقَّ تَسْبِيحِكَ ! يَا مَنْ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ؛ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِكَ ، وَبِجَمِيعِ تَحْمِيدَاتِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ لَكَ . .

سُبْحَانَكَ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْأَرْضُ وَالسَّمَآءُ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ جَمِيعِ **أَنْبِيَآئِكَ وَأَوْلِيَآئِكَ وَمَلَآئِكَتِكَ ؛ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُكَ وَتَسْلِيمَاتُكَ . .**

سُبْحَانَكَ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْكَآئِنَاتُ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ **حَبِيبِكَ الْأَكْرَمِ ، (صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** ، وَبِجَمِيعِ تَحْمِيدَاتِ **رَسُولِكَ الْأَعْظَمِ لَكَ ؛ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَفْضَلُ صَلَوَاتِكَ وَأَتَمُّ تَسْلِيمَاتِكَ . .**

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ هٰذِهِ الْكَآئِنَاتُ بِأَصْدِيَةِ تَسْبِيحَاتِ **مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام)** لَكَ ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي تَتَمَوَّجُ أَصْدِيَةُ تَسْبِيحَاتِهِ لَكَ عَلَىٰ أَمْوَاجِ الْأَعْصَارِ ، وَأَفْوَاجِ الْأَجْيَالِ . .

اَللّٰهُمَّ فَأَبِّدْ عَلَى صَفَحَاتِ الْكَآئِنَاتِ وَأَوْرَاقِ الْأَوْقَاتِ ، إِلَى قِيَامِ الْعَرَصَاتِ ، أَصْدِيَةَ تَسْبِيحَاتِ **مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمَاتُ . .**

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الدُّنْيَا بِآثَارِ شَرِيعَةِ **مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام)** ؛ **اَللّٰهُمَّ فَزَيِّنِ** الدُّنْيَا بِآثَارِ دِيَانَةِ **مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام)** إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ . .

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْأَرْضُ سَاجِدَةً تَحْتَ عَرْشِ عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ ، بِلِسَانِ **مُحَمَّدِهَا (عليه الصلاة والسلام)** . .

اَللّٰهُمَّ فَأَنْطِقِ الْأَرْضَ بِأَقْطَارِهَا بِلِسَانِ **مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام)** إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ . .

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ **تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ، فِي جَمِيعِ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَوْقَاتِ ، بِلِسَانِ **مُحَمَّدِهِمْ (عليه الصلاة والسلام)** . .

اَللّٰهُمَّ فَأَنْطِقِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ ، بِأَصْدِيَةِ تَسْبِيحَاتِ **مُحَمَّدٍ** لَكَ **(عليه الصلاة والسلام)** . .

اَلْفَصْلُ الثَّالِثُ :

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْأَضْدَادِ ، وَالْأَنْدَادِ ، وَالشُّرَكَآءِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْمُعِينِ وَالْوُزَرَآءِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمُحْدَثَاتِ الزَّآئِلَاتِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْوَاجِبِ وُجُودُهُ ، الْمُمْتَنِعِ نَظِيرُهُ ، الْمُمْكِنِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنْ لَوَازِمِ مَاهِيَّاتِ الْمُمْكِنَاتِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، الْمُتَقَدِّسُ الْمُتَنَزِّهُ عَمَّا تَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ الْقَاصِرَةُ الْخَاطِئَةُ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الَّذِي لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، الْمُتَقَدِّسُ الْمُتَنَزِّهُ عَمَّا تَصِفُهُ الْعَقَآئِدُ النَّاقِصَةُ الْبَاطِلَةُ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ الْغَنِيِّ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْعَجْزِ وَالِاحْتِيَاجِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْكَامِلِ الْمُطْلَقِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْقُصُورِ وَالنُّقْصَانِ ، بِشَهَادَاتِ كَمَالَاتِ الْكَآئِنَاتِ ؛ إِذْ مَجْمُوعُ مَا فِي الْكَآئِنَاتِ مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ ظِلٌّ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ ، بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ ، وَبِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ ، وَبِالدَّلِيلِ الْوَاضِحِ ؛ إِذِ التَّنْوِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ النُّورَانِيِّ ؛ وَبِدَوَامِ تَجَلِّي الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ، مَعَ تَفَانِي الْمَرَايَا ، وَسَيَّالِيَّةِ الْمَظَاهِرِ ، وَبِإِجْمَاعِ وَاتِّفَاقِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَعَاظِمِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْمَشَارِبِ وَالْكَشْفِيَّاتِ ، الْمُتَّفِقِينَ عَلَى ظِلِّيَّةِ كَمَالَاتِ الْكَآئِنَاتِ لِأَنْوَارِ كَمَالِ

الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ السَّرْمَدِيِّ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ التَّغَيُّرِ والتَّبَدُّلِ اللّازِمَيْنِ لِلْمُحْدَثَاتِ الْمُتَكَامِلاتِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ خَالِقِ الْكَوْنِ والْمَكَانِ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ التَّحَيُّزِ والتَّجَزُّؤِ اللّازِمَيْنِ لِلْمَادِّيَّاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ ، الْكَثِيفَاتِ الْكَثِيرَاتِ ، الْمُقَيَّدَاتِ الْمَحْدُودَاتِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ . .

ذُو الْجَلَالِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ ، وَعَنِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ ، وَعَنِ الْحَصْرِ والتَّحْدِيدِ ، وَعَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ ، وَمَا لَا يُنَاسِبُ وُجُوبَ وُجُودِهِ ، وَعَمَّا لَا يُوَافِقُ أَزَلِيَّتَهُ وَأَبَدِيَّتَهُ ؛ جَلَّ جَلَالُهُ ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . .

اَلْبَابُ الثَّانِي : فِي «الْحَمْدُ لِلّٰهِ» . .

فِي هٰذَا الْبَابِ تِسْعُ نِقَاطٍ . .(١)

اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ ، الْمُزِيلِ عَنَّا ظُلُمَاتِ الْجِهَاتِ السِّتِّ :

إِذْ جِهَةُ الْمَاضِي ، فِي حُكْمِ يَمِينِنَا ، مُظْلِمَةٌ وَمُوحِشَةٌ بِكَوْنِهَا مَزَاراً أَكْبَرَ ؛ وَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ تَزُولُ تِلْكَ الظُّلْمَةُ ؛ وَيَنْكَشِفُ الْمَزَارُ الْأَكْبَرُ عَنْ مَجْلِسٍ مُنَوَّرٍ . .

وَيَسَارُنَا الَّذِي هُوَ الْجِهَةُ الْمُسْتَقْبَلَةُ ، مُظْلِمَةٌ وَمُوحِشَةٌ بِكَوْنِهَا قَبْراً عَظِيماً لَنَا ؛ وَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ تَنْكَشِفُ عَنْ جِنَانٍ مُزَيَّنَةٍ فِيهَا ضِيَافَاتٌ رَحْمَانِيَّةٌ . .

وَجِهَةُ الْفَوْقِ وَهُوَ عَالَمُ السَّمَاوَاتِ ، مُوحِشَةٌ مُدْهِشَةٌ بِنَظَرِ الْفَلْسَفَةِ ؛ فَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ تَتَكَشَّفُ تِلْكَ الْجِهَةُ عَنْ مَصَابِيحَ مُتَبَسِّمَةٍ ، مُسَخَّرَةٍ بِأَمْرِ مَنْ زَيَّنَ وَجْهَ السَّمَآءِ بِهَا ؛ يُسْتَأْنَسُ بِهَا ؛ وَلَا يُتَوَحَّشُ مِنْهَا . .

وَجِهَةُ التَّحْتِ وَهِيَ عَالَمُ الْأَرْضِ ، مُوحِشَةٌ بِوَضْعِيَّتِهَا فِي نَفْسِهَا بِنَظَرِ الْفَلْسَفَةِ الضَّالَّةِ ؛ فَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ تَتَكَشَّفُ عَنْ سَفِينَةٍ رَبَّانِيَّةٍ مُسَخَّرَةٍ ، وَمَشْحُونَةٍ بِأَنْوَاعِ اللَّذَآئِذِ وَالْمَطْعُومَاتِ ؛

---

(١) إِنَّ أَهَمَّ أَسَاسٍ مِنْ أُسُسِ «رِسَالَةِ النُّورِ» بَعْدَ الْفِكْرِ ، هُوَ الشُّكْرُ ؛ فَلِذٰلِكَ بُيِّنَ أَكْثَرُ مَرَاتِبِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ، وَحَقَائِقِهِمَا فِي أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، بِكَمَالِ الْإِيضَاحِ ؛ فَلِذَا يُذْكَرُ هٰهُنَا بَعْضُ مَرَاتِبِ الْحَمْدِ الْمُقَابِلِ لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ ، بِصُورَةٍ فِي غَايَةِ الِاخْتِصَارِ ، اكْتِفَاءً بِتِلْكَ الْمَرَاتِبِ الْمَذْكُورَةِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَإِنَّ لِلْحَمْدِ مَرَاتِبَ حَسَبَ مَرَاتِبِ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

قَدْ أَرْكَبَهَا صَانِعُهَا نَوْعَ الْبَشَرِ ، وَجِنْسَ الْحَيْوَانِ ، لِلسِّيَاحَةِ فِي أَطْرَافِ مَمْلَكَةِ الرَّحْمٰنِ . .

وَجِهَةُ الْأَمَامِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلٰى تِلْكَ الْجِهَةِ كُلُّ ذَوِي الْحَيَاةِ مُسْرِعَةً ، قَافِلَةً خَلْفَ قَافِلَةٍ ، تَغِيبُ تِلْكَ الْقَوَافِلُ فِي ظُلُمَاتِ الْعَدَمِ بِلَا رُجُوعٍ ؛ وَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ تَتَكَشَّفُ تِلْكَ السِّيَاحَةُ عَنِ انْتِقَالِ ذَوِي الْحَيَاةِ مِنْ دَارِ الْفَنَآءِ إِلٰى دَارِ الْبَقَآءِ ، وَمِنْ مَكَانِ الْخِدْمَةِ إِلٰى مَوْضِعِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ ، وَمِنْ مَحَلِّ الزَّحْمَةِ إِلٰى مَقَامِ الرَّحْمَةِ وَالِاسْتِرَاحَةِ . .

وَأَمَّا سُرْعَةُ ذَوِي الْحَيَاةِ فِيٓ أَمْوَاجِ الْمَوْتِ ؛ فَلَيْسَتْ سُقُوطاً وَمُصِيبَةً ؛ بَلْ هِيَ صُعُودٌ بِاشْتِيَاقٍ ، وَتَسَارُعٌ إِلٰى سَعَادَاتِهِمْ . .

وَجِهَةُ الْخَلْفِ أَيْضاً مُظْلِمَةٌ مُوحِشَةٌ ؛ فَكُلُّ ذِي شُعُورٍ يَتَحَيَّرُ مُتَرَدِّداً وَمُسْتَفْسِراً بِـ: «مِنْ أَيْنَ ؟ إِلٰىٓ أَيْنَ ؟» ؛ فَلِأَنَّ الْغَفْلَةَ لَا تُعْطِي لَهُ جَوَاباً ، يَصِيرُ التَّرَدُّدُ وَالتَّحَيُّرُ ظُلُمَاتٍ فِي رُوحِهِ ؛ فَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ تَنْكَشِفُ تِلْكَ الْجِهَةُ عَنْ مَبْدَإِ الْإِنْسَانِ وَوَظِيفَتِهِ ، وَبِأَنَّ السُّلْطَانَ الْأَزَلِيَّ أَرْسَلَهُمْ مُوَظَّفِينَ إِلٰى دَارِ الِامْتِحَانِ . .

فَمِنْ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ يَكُونُ «الْحَمْدُ» عَلٰى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ الْمُزِيلِ لِلظُّلُمَاتِ عَنْ هٰذِهِ الْجِهَاتِ السِّتِّ ، أَيْضاً ، نِعْمَةً عَظِيمَةً تَسْتَلْزِمُ «الْحَمْدَ» ؛ إِذْ بِـ «الْحَمْدِ» يُفْهَمُ دَرَجَةُ هٰذِهِ النِّعْمَةِ وَلَذَّتُهَا . فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ فِي تَسَلْسُلٍ يَتَسَلْسَلُ فِي دَوْرٍ دَآئِرٍ بِلَا نِهَايَةٍ ﴾ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ الْمُنَوِّرِ لَنَا الْجِهَاتِ السِّتَّ . فَكَمَآ أَنَّ الْإِيمَانَ بِإِزَالَتِهِ لِظُلُمَاتِ الْجِهَاتِ السِّتِّ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ جِهَةِ دَفْعِ الْبَلَايَا ؛ كَذٰلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ لِتَنْوِيرِهِ لِلْجِهَاتِ السِّتِّ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ أُخْرٰى مِنْ جِهَةِ جَلْبِ الْمَنَافِعِ . فَالْإِنْسَانُ لَهُ عَلَاقَةٌ بِجَامِعِيَّةِ فِطْرَتِهِ بِمَا فِي الْجِهَاتِ السِّتِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ اسْتِفَادَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ السِّتِّ أَيْنَمَا يَتَوَجَّهُ . فَبِسِرِّ ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ﴾ ، يَتَنَوَّرُ لَهُ تِلْكَ

الْجِهَةُ بِمَسَافتِهَا الطَّوِيلَةِ بِلا حَدٍّ ؛ حَتّى كَأَنَّ الإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ لَهُ عُمُرٌ مَعْنَوِيٌّ يَمْتَدُّ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلىٓ آخِرِهَا ، يَسْتَمِدُّ ذٰلِكَ الْعُمُرُ مِنْ نُورِ حَيَاةٍ مُمْتَدَّةٍ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ ؛ وَحَتّىٓ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِسِرِّ تَنْوِيرِ الْإِيمَانِ لِجِهَاتِهِ ، يَخْرُجُ عَنْ مَضِيقِ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ، والْمَكَانِ الضَّيِّقِ ، إِلٰى سَاحَةِ وُسْعَةِ الْعَالَمِ ؛ وَيَصِيرُ الْعَالَمُ كَبَيْتِهِ ، وَالْمَاضِي والْمُسْتَقْبَلُ زَمَاناً حَاضِراً لِرُوحِهِ وَقَلْبِهِ . وَهٰكَذَا فَقِسْ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :

اَلْحَمْدُ للهِ عَلَى الْإِيمَانِ الْحَاوِي لِنُقْطَتَيْ الِاسْتِنَادِ وَالِاسْتِمْدَادِ . **نَعَمْ :** بِسِرِّ غَايَةِ عَجْزِ الْبَشَرِ ، وَكَثْرَةِ أَعْدَآئِهِ ، يَحْتَاجُ الْبَشَرُ أَشَدَّ احْتِيَاجٍ إِلٰى نُقْطَةِ اسْتِنَادٍ يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ لِدَفْعِ أَعْدَآئِهِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ؛ وَبِغَايَةِ فَقْرِ الْإِنْسَانِ ، مَعَ غَايَةِ كَثْرَةِ حَاجَاتِهِ وآمَالِهِ ، يَحْتَاجُ أَشَدَّ احْتِيَاجٍ إِلٰى نَقْطَةِ اسْتِمْدَادٍ يَسْتَمِدُّ مِنْهَا ؛ وَيَسْأَلُ حَاجَاتِهِ بِهَا . **فَالْإِيمَانُ بِاللهِ هِيَ نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ لِفِطْرَةِ الْبَشَرِ ؛ وَالْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ هُوَ نُقْطَةُ اسْتِمْدَادٍ لِوِجْدَانِهِ** . . فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ ، يَتَوَحَّشُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ ؛ وَيُعَذِّبُهُ وِجْدَانُهُ دَآئِماً . وَمَنِ اسْتَنَدَ بِالْإِيمَانِ إِلَى النُّقْطَةِ الْأُولٰى ؛ وَاسْتَمَدَّ مِنَ النُّقْطَةِ الثَّانِيَةِ ، أَحَسَّ مِنْ أَعْمَاقِ رُوحِهِ لَذَآئِذَ مَعْنَوِيَّةً وَأُنْسِيَّةً مُسَلِّيَةً ، وَاعْتِمَاداً يَطْمَئِنُّ بِهَا وِجْدَانُهُ . .

اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ :

اَلْحَمْدُ للهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ الْمُزِيلِ لِلْآلَامِ عَنِ اللَّذَآئِذِ الْمَشْرُوعَةِ بِإِرَآءَةِ دَوَرَانِ الْأَمْثَالِ ، وَالْمُدِيمِ لِلنِّعَمِ بِإِرَآءَةِ شَجَرَةِ الْإِنْعَامِ ، وَالْمُزِيلِ آلامَ الْفِرَاقِ بِإِرَآءَةِ لَذَّةِ تَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ ؛ يَعْنِيٓ : أَنَّ فِي كُلِّ لَذَّةٍ آلاماً تَنْشَأُ مِنْ زَوَالِهَا ؛ **فَبِنُورِ الْإِيمَانِ يَزُولُ الزَّوَالُ ؛ وَيَنْقَلِبُ إِلٰى تَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ ؛ وَفِي التَّجَدُّدِ لَذَّةٌ أُخْرٰى** . .

فَكَمَآ أَنَّ الثَّمَرَةَ إِذَا لَمْ تُعْرَفْ شَجَرَتُهَا تَنْحَصِرُ النِّعْمَةُ فِي تِلْكَ الثَّمَرَةِ ؛ فَتَزُولُ بِأَكْلِهَا ؛ وَتُورِثُ تَأَسُّفاً عَلٰى فَقْدِهَا ؛ وَإِذَا عُرِفَتْ شَجَرَتُهَا وَشُوهِدَتْ ، يَزُولُ الْأَلَمُ فِي

زَوَالِهَا لِبَقَآءِ شَجَرَتِهَا الْحَاضِرَةِ ، وَتَبْدِيلِ الثَّمَرَةِ الْفَانِيَةِ بِأَمْثَالِهَا . وَكَذَآ إِنَّ مِنْ أَشَدِّ حَالاَتِ رُوحِ الْبَشَرِ هِيَ التَّأَلُّمَاتُ النَّاشِئَةُ مِنَ الْفِرَاقَاتِ ؛ فَبِنُورِ الْإِيمَانِ تَفْتَرِقُ الْفِرَاقَاتُ وَتَنْعَدِمُ ؛ بَلْ تَنْقَلِبُ بِتَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ الَّذِي فِيهِ لَذَّةٌ أُخْرٰى ؛ إِذْ : «كُلُّ جَدِيدٍ لَذِيذٌ» . .

اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُصَوِّرُ مَا يُتَوَهَّمُ أَعْدَآءً وَأَجَانِبَ وَأَمْوَاتاً مُوحِشِينَ ، وَأَيْتَاماً بَاكِينَ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ، أَحْبَاباً وَإِخْوَاناً وَأَحْيَآءً مُونِسِينَ ، وَعِبَاداً مُسَبِّحِينَ ذَاكِرِينَ . .

يَعْنِي أَنَّ نَظَرَ الْغَفْلَةِ يَرٰى مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ مُضِرِّينَ كَالْأَعْدَآءِ ؛ وَيَتَوَحَّشُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيَرَى الْأَشْيَآءَ كَالْأَجَانِبِ ؛ إِذْ فِي نَظَرِ الضَّلاَلَةِ تَنْقَطِعُ عَلاَقَةُ الْأُخُوَّةِ فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ وَالِاسْتِقْبَالِيَّةِ ؛ وَمَآ أُخُوَّتُهُ وَعَلاَقَتُهُ إِلَّا فِي زَمَانٍ حَاضِرٍ صَغِيرٍ قَلِيلٍ . فَأُخُوَّةُ أَهْلِ الضَّلاَلَةِ كَدَقِيقَةٍ فِي أُلُوفِ سَنَةٍ مِنَ الْأَجْنَبِيَّةِ ؛ وَأُخُوَّةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ تَمْتَدُّ مِنْ مَبْدَإِ الْمَاضِي إِلٰى مُنْتَهَى الِاسْتِقْبَالِ . . وَإِنَّ نَظَرَ الضَّلاَلَةِ يَرٰى أَجْرَامَ الْكَائِنَاتِ أَمْوَاتاً مُوحِشِينَ ؛ وَنَظَرُ الْإِيمَانِ يُشَاهِدُ أُولٰٓئِكَ الْأَجْرَامَ أَحْيَآءً مُونِسِينَ ، يَتَكَلَّمُ كُلُّ جِرْمٍ بِلِسَانِ حَالِهِ بِتَسْبِيحَاتِ فَاطِرِهِ ؛ فَلَهَا رُوحٌ وَحَيَاةٌ مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ ؛ فَلاَ تَكُونُ مُوحِشاً مُدْهِشاً ، بَلْ أَنِيساً مُونِساً . وَإِنَّ نَظَرَ الضَّلاَلَةِ يَرٰى ذَوِي الْحَيَاةِ ، الْعَاجِزِينَ عَنْ مَطَالِبِهِمْ ، لَيْسَ لَهُمْ حَامٍ مُتَوَدِّدٌ ، وَصَاحِبٌ مُتَعَهِّدٌ ؛ كَأَنَّهَا أَيْتَامٌ يَبْكُونَ مِنْ عَجْزِهِمْ وَحُزْنِهِمْ وَيَأْسِهِمْ ؛ وَنَظَرَ الْإِيمَانِ يَقُولُ : إِنَّ ذَوِي الْحَيَاةِ لَيْسُوٓا أَيْتَاماً بَاكِينَ ؛ بَلْ هُمْ عِبَادٌ مُكَلَّفُونَ ، وَمَأْمُورُونَ مُوَظَّفُونَ ، وَذَاكِرُونَ مُسَبِّحُونَ . .

اَلنُّقْطَةُ السَّادِسَةُ :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ الْمُصَوِّرِ لِلدَّارَيْنِ كَسُفْرَتَيْنِ مَمْلُوَّتَيْنِ مِنَ النِّعَمِ ، يَسْتَفِيدُ مِنْهُمَا الْمُؤْمِنُ بِيَدِ الْإِيمَانِ بِأَنْوَاعِ حَوَاسِّهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، وَأَقْسَامِ لَطَآئِفِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ الْمُنْكَشِفَةِ بِضِيَآءِ الْإِيمَانِ . .

نَعَمْ : إِنَّ فِي نَظَرِ الضَّلاَلَةِ تَتَصَاغَرُ دَآئِرَةُ اسْتِفَادَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ إِلٰى دَآئِرَةِ لَذَآئِذِهِ الْمَادِّيَّةِ الْمُنْغَصَّةِ بِزَوَالِهَا ؛ وَبِنُورِ الْإِيمَانِ تَتَوَسَّعُ دَآئِرَةُ الاِسْتِفَادَةِ إِلٰى دَآئِرَةٍ تُحِيطُ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، بَلْ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَالْمُؤْمِنُ يَرَى الشَّمْسَ كَسِرَاجٍ فِي بَيْتِهِ ، وَرَفِيقاً فِي وَظِيفَتِهِ ، وَأَنِيساً فِي سَفَرِهِ ؛ وَتَكُونُ الشَّمْسُ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِهِ ؛ وَمَنْ تَكُونُ الشَّمْسُ نِعْمَةً لَهُ ، تَكُونُ دَآئِرَةُ اسْتِفَادَتِهِ ، وَسُفْرَةُ نِعْمَتِهِ ، أَوْسَعَ مِنَ السَّمَاوَاتِ . .

فَالْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ بِأَمْثَالِ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ . .﴾ ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . .﴾ ، يُشِيرُ بِبَلاَغَتِهِ إِلٰى هٰذِهِ الْإِحْسَانَاتِ الْخَارِقَةِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْإِيمَانِ . .

اَلنُّقْطَةُ السَّابِعَةُ :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى اللهِ ؛ فَوُجُودُ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ نِعْمَةٌ لَيْسَتْ فَوْقَهَا نِعْمَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلِكُلِّ مَوْجُودٍ ؛ وَهٰذِهِ النِّعْمَةُ تَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ نِعَمٍ لاَ نِهَايَةَ لَهَا ، وَأَجْنَاسَ إِحْسَانَاتٍ لاَ غَايَةَ لَهَا ، وَأَصْنَافَ عَطِيَّاتٍ لاَ حَدَّ لَهَا ؛ قَدْ أُشِيرَ إِلٰى قِسْمٍ مِنْهَا فِيٓ أَجْزَآءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَبِالْخَاصَّةِ فِي (الْمَوْقِفِ الثَّالِثِ مِنَ الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاَثِينَ) . وَكُلُّ الرَّسَآئِلِ الْبَاحِثَةِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنْ أَجْزَآءِ رِسَالَةِ النُّورِ تَكْشِفُ الْحِجَابَ عَنْ وَجْهِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ ؛ فَاكْتِفَآءً بِهَا نَقْتَصِرُ هُنَا . .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى رَحْمَانِيَّتِهِ تَعَالٰى ، الَّتِي تَتَضَمَّنُ نِعَماً بِعَدَدِ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ الرَّحْمَةُ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ إِذْ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ بِسِرِّ جَامِعِيَّتِهِ ، عَلاَقَاتٌ بِكُلِّ ذَوِي الْحَيَاةِ ، تَحْصُلُ لَهُ سَعَادَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بِسَبَبِ سَعَادَاتِهِمْ ؛ وَفِي فِطْرَتِهِ تَأَثُّرٌ بِآلاَمِهِمْ ؛ فَالنِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ تَكُونُ نَوْعَ نِعْمَةٍ لِذٰلِكَ الْإِنْسَانِ . .

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى رَحِيمِيَّتِهِ تَعَالٰى ، بِعَدَدِ الْأَطْفَالِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بِشَفَقَاتِ وَالِدَاتِهِمْ ؛ إِذْ كَمَآ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ فِطْرَةٌ سَلِيمَةٌ يَتَأَلَّمُ وَيَتَوَجَّعُ مِنْ بُكَآءِ طِفْلٍ جَآئِعٍ لاَ وَالِدَةَ لَهَا ؛ كَذٰلِكَ يَتَنَعَّمُ بِتَعَطُّفِ الْوَالِدَاتِ عَلٰىٓ أَطْفَالِهَا . .

اَلْحَمْدُ لِلهِ عَلٰى حَكِيمِيَّتِهِ تَعَالٰى ، بِعَدَدِ دَقَآئِقِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ حِكْمَةِ الْكَآئِنَاتِ ؛ إِذْ كَمَا تَتَنَعَّمُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ بِجَلَوَاتِ رَحْمَانِيَّتِهِ ؛ وَيَتَنَعَّمُ قَلْبُ الْإِنْسَانِ بِتَجَلِّيَاتِ رَحِيمِيَّتِهِ ؛ كَذٰلِكَ يَتَلَذَّذُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ بِلَطَآئِفِ حِكْمَتِهِ . .

اَلْحَمْدُ لِلهِ عَلٰى حَفِيظِيَّتِهِ تَعَالٰى ، بِعَدَدِ تَجَلِّيَاتِ اسْمِهِ «الْوَارِثِ» ، وَبِعَدَدِ جَمِيعِ مَا بَقِيَ بَعْدَ فَوَاتِ أُصُولِهَا وَآبَآئِهَا وَصَوَاحِبِهَا ، وَبِعَدَدِ مَوْجُودَاتِ دَارِ الْآخِرَةِ ، وَبِعَدَدِ آمَالِ الْبَشَرِ الْمَحْفُوظَةِ لِأَجْلِ الْمُكَافَأَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ إِذْ دَوَامُ النِّعْمَةِ أَعْظَمُ نِعْمَةً مِنْ نَفْسِ النِّعْمَةِ ؛ وَبَقَآءُ اللَّذَّةِ أَعْلٰى لَذَّةً مِنْ نَفْسِ اللَّذَّةِ ؛ وَالْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ نِعْمَةٌ فَوْقَ نَفْسِ الْجَنَّةِ ؛ وَهٰكَذَا . . فَحَفِيظِيَّتُهُ تَعَالٰى تَتَضَمَّنُ نِعَماً أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَأَعْلٰى مِنْ جَمِيعِ النِّعَمِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ فِي جَمِيعِ الْكَآئِنَاتِ ؛ وَهٰكَذَا ، فَقِسْ عَلَى اسْمِ «الرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ وَالْحَكِيمِ وَالْحَفِيظِ» سَآئِرَ أَسْمَآئِهِ الْحُسْنٰى . .

فَالْحَمْدُ لِلهِ عَلٰى كُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَآئِهِ تَعَالٰى ، حَمْداً بِلَا نِهَايَةٍ ؛ كَمَآ أَنَّ فِي كُلِّ اسْمٍ مِنْهَا نِعَماً بِلَا نِهَايَةٍ . .

اَلْحَمْدُ لِلهِ عَلَى الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ تَرْجُمَانٌ لِكُلِّ مَا مَضٰى مِنْ جَمِيعِ الْإِنْعَامَاتِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، حَمْداً بِلَا نِهَايَةٍ . .

اَلْحَمْدُ لِلهِ عَلٰى مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) حَمْداً بِلَا نِهَايَةٍ ؛ إِذْ هُوَ الْوَسِيلَةُ لِلْإِيمَانِ الَّذِي فِيهِ جَمِيعُ الْمَفَاتِيحِ لِجَمِيعِ خَزَآئِنِ النِّعَمِ الَّتِيٓ أَشَرْنَآ إِلَيْهَا فِي هٰذَا الْبَابِ الثَّانِيٓ آنِفاً . .

اَلْحَمْدُ لِلهِ عَلٰى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَرْضِيَّاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَفِهْرِسْتَةٌ لِأَنْوَاعِ نِعَمِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ، حَمْداً بِلَا نِهَايَةٍ . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّامِنَةُ :

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي يَحْمَدُ لَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، بِإِظْهَارِ أَوْصَافِ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ، هٰذَا الْكِتَابُ الْكَبِيرُ الْمُسَمّٰى بِـ «الْكَآئِنَاتِ» ، بِجَمِيعِ أَبْوَابِهِ وَفُصُولِهَا ، وَبِجَمِيعِ صَحَآئِفِهِ وَسُطُورِهَا ،

وَبِجَمِيعِ كَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهَا ؛ كُلٌّ بِقَدَرِ نِسْبَتِهِ يَحْمَدُهُ تَعَالَى وَيُسَبِّحُهُ ، بِإِظْهَارِ بَوَارِقِ أَوْصَافِ جَلَالِ نَقَّاشِهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ ، بِمَظْهَرِيَّةِ كُلٍّ بِقَدَرِ نِسْبَتِهِ لِأَضْوَآءِ أَوْصَافِ جَمَالِ كَاتِبِهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، وَبِمَظْهَرِيَّةِ كُلٍّ بِقَدَرِ نِسْبَتِهِ لِأَنْوَارِ أَوْصَافِ كَمَالِ مُنْشِئِهَا وَمُنْشِدِهَا الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ ، الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، وَبِمِرْآتِيَّةِ كُلٍّ بِقَدَرِ نِسْبَتِهِ لِأَشِعَّةِ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَآءِ مَنْ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنٰى ؛ جَلَّ جَلَالُهُ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . .

اَلنُّقْطَةُ التَّاسِعَةُ :

اَلْحَمْدُ مِنَ اللّٰهِ ، بِاللّٰهِ ، عَلَى اللّٰهِ ، لِلّٰهِ ، بِعَدَدِ ضَرْبِ ذَرَّاتِ الْكَآئِنَاتِ ، مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَآ إِلَىٰٓ آخِرِ الْخِلْقَةِ ، فِي عَاشِرَاتِ دَقَآئِقِ الْأَزْمِنَةِ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ . .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى «الْحَمْدُ لِلّٰهِ» بِدَوْرٍ[1] دَآئِرٍ فِي تَسَلْسُلٍ يَتَسَلْسَلُ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى . .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نِعْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ، عَلَيَّ وَعَلَىٰٓ إِخْوَانِي ، بِعَدَدِ ضَرْبِ ذَرَّاتِ وُجُودِي فِي عَاشِرَاتِ دَقَآئِقِ عُمْرِي فِي الدُّنْيَا ، وَبَقَآئِي وَبَقَآئِهِمْ فِي الْآخِرَةِ . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . .

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰينَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدٰينَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ . .﴾

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ ، وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَصَحْبِهِ ؛ وَسَلِّمْ ؛ آمِينَ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

---

(١) إِنَّ الدَّوْرَ وَالتَّسَلْسُلَ مُحَالَانِ فِي دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ ، لِأَنَّهُمَا يَقْتَضِيَانِ عَدَمَ التَّنَاهِي ؛ وَدَائِرَةُ الْمُمْكِنَاتِ مُتَنَاهِيَةٌ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا تَسَعُ غَيْرَ الْمُتَنَاهِي . وَلٰكِنَّ الْحَمْدَ الْمُتَعَلِّقَ بِدَائِرَةِ الْوُجُوبِ ، غَيْرُ مُتَنَاهٍ ؛ فَيَدْخُلُ بِالدَّوْرِ وَالتَّسَلْسُلِ فِي دَائِرَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ ؛ فَتَسَعُهُ . . الْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْبَابُ الثَّالِثُ : فِي مَرَاتِبِ «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» . .[1]

اَلْمَرْتَبَةُ الْأُولىٰ :

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ . . لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . .

جَلَّ جَلاٰلُهُ ؛ اَللّٰهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الَّذِي صَنَعَ الْإِنْسَانَ بِقُدْرَتِهِ كَالْكَائِنَاتِ ؛ وَكَتَبَ الْكَائِنَاتِ بِقَلَمِ قَدَرِهِ ؛ كَمَا كَتَبَ الْإِنْسَانَ بِذٰلِكَ الْقَلَمِ ؛ إِذْ ذَاكَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ ، كَهٰذَا الْعَالَمِ الصَّغِيرِ ، مَصْنُوعُ قُدْرَتِهِ ، مَكْتُوبُ قَدَرِهِ ؛ إِبْدَاعُهُ لِذَاكَ صَيَّرَهُ مَسْجِداً ؛ إِيجَادُهُ لِهٰذَا صَيَّرَهُ سَاجِداً ؛ إِنْشَاؤُهُ لِذَاكَ صَيَّرَ ذَاكَ مُلْكاً ؛ بِنَاؤُهُ لِهٰذَا صَيَّرَهُ مَمْلُوكاً ؛ صَنْعَتُهُ فِي ذَاكَ تَظَاهَرَتْ كِتَاباً ؛ صِبْغَتُهُ فِي هٰذَا تَزَاهَرَتْ خِطَاباً ؛ قُدْرَتُهُ فِي ذَاكَ تُظْهِرُ حِشْمَتَهُ ؛ رَحْمَتُهُ فِي هٰذَا تَنْظِمُ نِعْمَتَهُ ؛ حِشْمَتُهُ فِي ذَاكَ تَشْهَدُ هُوَ الْوَاحِدُ ؛ نِعْمَتُهُ فِي هٰذَا تُعْلِنُ هُوَ الْأَحَدُ ؛ سِكَّتُهُ فِي ذَاكَ فِي الْكُلِّ وَالْأَجْزَاءِ سُكُوناً حَرَكَةً ؛ خَاتَمُهُ فِي هٰذَا فِي الْجِسْمِ وَالْأَعْضَاءِ حُجَيْرَةً ذَرَّةً . .

فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِهِ الْمُتَّسِقَةِ ، كَيْفَ تَرَى كَالْفَلَقِ سَخَاوَةً مُطْلَقَةً ، مَعَ انْتِظَامٍ مُطْلَقٍ فِي سُرْعَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ اتِّزَانٍ مُطْلَقٍ فِي سُهُولَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ اتِّقَانٍ مُطْلَقٍ فِي وُسْعَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ

---

(١) نَذْكُرُ مِنْ مَرَاتِبِهِ الثَّلاثِ وَالثَّلاثِينَ ، سَبْعَ مَرَاتِبَ . وَقَدْ أُوضِحَ قِسْمٌ مُهِمٌّ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ ، فِي الْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ ، وَفِي آخِرِ الْمَوْقِفِ الثَّانِي ، وَفِي أَوَّلِ الْمَوْقِفِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْهَمَ حَقِيقَةَ هٰذِهِ الْمَرَاتِبِ ؛ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ تَيْنِكَ الرِّسَالَتَيْنِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

حُسْنِ صُنْعٍ مُطْلَقٍ فِي بُعْدَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ اتِّفَاقٍ مُطْلَقٍ فِي خِلْطَةٍ مُطْلَقَةٍ ، مَعَ امْتِيَازٍ مُطْلَقٍ فِي رُخْصَةٍ مُطْلَقَةٍ مَعَ غُلُوٍّ مُطْلَقٍ . فَهٰذِهِ الْكَيْفِيَّةُ الْمَشْهُودَةُ شَاهِدَةٌ لِلْعَاقِلِ الْمُحَقِّقِ ، مُجْبِرَةٌ لِلْأَحْمَقِ الْمُنَافِقِ ، عَلٰى قَبُولِ الصَّنْعَةِ والْوَحْدَةِ لِلْحَقِّ ذِي الْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْمُطْلَقُ. وَفِي الْوَحْدَةِ سُهُولَةٌ مُطْلَقَةٌ ؛ وَفِي الْكَثْرَةِ وَالشِّرْكَةِ صُعُوبَةٌ مُنْغَلِقَةٌ . إِنْ أُسْنِدَ كُلُّ الْأَشْيَآءِ لِلْوَاحِدِ ، فَالْكَآئِنَاتُ كَالنَّخْلَةِ ، وَالنَّخْلَةُ كَالثَّمَرَةِ سُهُولَةً فِي الِابْتِدَاعِ ؛ وَإِنْ أُسْنِدَ لِلْكَثْرَةِ ، فَالنَّخْلَةُ كَالْكَآئِنَاتِ ، وَالثَّمَرَةُ كَالشَّجَرَاتِ صُعُوبَةً فِي الِامْتِنَاعِ ؛ إِذِ الْوَاحِدُ بِالْفِعْلِ الْوَاحِدِ ، يُحَصِّلُ نَتِيجَةً وَوَضْعِيَّةً لِلْكَثِيرِ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا مُبَاشَرَةٍ ؛ لَوْ أُحِيلَتْ تِلْكَ الْوَضْعِيَّةُ وَالنَّتِيجَةُ إِلَى الْكَثْرَةِ ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَآ إِلَّا بِتَكَلُّفَاتٍ ، وَمُبَاشَرَاتٍ ، وَمُشَاجَرَاتٍ ، كَالْأَمِيرِ مَعَ النَّفَرَاتِ ، وَالْبَانِي مَعَ الْحَجَرَاتِ ، وَالْأَرْضِ مَعَ السَّيَّارَاتِ ، وَالْفَوَّارَةِ مَعَ الْقَطَرَاتِ ، وَنُقْطَةِ الْمَرْكَزِ مَعَ النُّقَطِ فِي الدَّآئِرَةِ ؛ بِسِرِّ أَنَّ فِي الْوَحْدَةِ يَقُومُ الِانْتِسَابُ مَقَامَ قُدْرَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ؛ وَلَا يُضْطَرُّ السَّبَبُ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ ؛ وَيَتَعَاظَمُ الْأَثَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ؛ وَفِي الشِّرْكَةِ يُضْطَرُّ كُلُّ سَبَبٍ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ ؛ فَيَتَصَاغَرُ الْأَثَرُ بِنِسْبَةِ جِرْمِهِ ؛ وَمِنْ هُنَا غَلَبَتِ النَّمْلَةُ وَالذُّبَابَةُ عَلَى الْجَبَابِرَةِ ؛ وَحَمَلَتِ النَّوَاةُ الصَّغِيرَةُ شَجَرَةً عَظِيمَةً . وَبِسِرِّ أَنَّ فِيٓ إِسْنَادِ كُلِّ الْأَشْيَآءِ إِلَى الْوَاحِدِ ، لَا يَكُونُ الْإِيجَادُ ، مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ ؛ بَلْ يَكُونُ الْإِيجَادُ ، عَيْنَ نَقْلِ الْمَوْجُودِ الْعِلْمِيِّ إِلَى الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ ، كَنَقْلِ الصُّورَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْمِرْآةِ ، إِلَى الصَّحِيفَةِ الْفُوطُوغْرَافِيَّةِ ، لِتَثْبِيتِ وُجُودٍ خَارِجِيٍّ لَهَا ، بِكَمَالِ السُّهُولَةِ ؛ أَوْ إِظْهَارِ الْخَطِّ الْمَكْتُوبِ بِمِدَادٍ لَا يُرٰى ، بِوَاسِطَةِ مَادَّةٍ مُظْهِرَةٍ لِلْكِتَابَةِ الْمَسْتُورَةِ . وَفِيٓ إِسْنَادِ الْأَشْيَآءِ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْكَثْرَةِ ، يَلْزَمُ الْإِيجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ ؛ وَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالاً ؛ يَكُونُ أَصْعَبَ الْأَشْيَآءِ ؛ **فَالسُّهُولَةُ فِي الْوَحْدَةِ وَاصِلَةٌ إِلٰى دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَالصُّعُوبَةُ فِي الْكَثْرَةِ وَاصِلَةٌ إِلٰى دَرَجَةِ الِامْتِنَاعِ** . وَبِحِكْمَةِ أَنَّ فِي الْوَحْدَةِ يُمْكِنُ الْإِبْدَاعُ ، وَإِيجَادُ **«الْأَيْسِ مِنَ اللَّيْسِ»** ؛ يَعْنِي : إِبْدَاعَ الْمَوْجُودِ مِنَ الْعَدَمِ الصِّرْفِ بِلَا مُدَّةٍ وَلَا مَادَّةٍ ، وَإِفْرَاغَ الذَّرَّاتِ فِي الْقَالَبِ الْعِلْمِيِّ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا خِلْطَةٍ ؛ وَفِي الشِّرْكَةِ وَالْكَثْرَةِ لَا يُمْكِنُ الْإِبْدَاعُ مِنَ الْعَدَمِ ،

بِاتِّفَاقِ كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ ؛ فَلَا بُدَّ لِوُجُودِ ذِي حَيَاةٍ جَمْعُ ذَرَّاتٍ مُنْتَشِرَةٍ فِي الْأَرْضِ وَالْعَنَاصِرِ ؛ وَبِعَدَمِ الْقَالَبِ الْعِلْمِيِّ يَلْزَمُ لِمُحَافَظَةِ الذَّرَّاتِ ، فِي جِسْمِ ذِي الْحَيَاةِ ، وُجُودُ عِلْمٍ كُلِّيٍّ ، وَإِرَادَةٍ مُطْلَقَةٍ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ إِنَّ الشُّرَكَآءَ مُسْتَغْنًى عَنْهَا ، وَمُمْتَنِعَةٌ بِالذَّاتِ ، وَتَحَكُّمِيَّةٌ مَحْضَةٌ ، لَا أَمَارَةَ عَلَيْهَا ؛ وَلَا إِشَارَةَ إِلَيْهَا ، فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ إِذْ خِلْقَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، تَسْتَلْزِمُ قُدْرَةً كَامِلَةً غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ بِالضَّرُورَةِ ؛ فَاسْتُغْنِيَ عَنِ الشُّرَكَآءِ ؛ وَإِلَّا لَزِمَ تَحْدِيدُ وَانْتِهَآءُ قُدْرَةٍ كَامِلَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ ، فِي وَقْتِ عَدَمِ التَّنَاهِي ، بِقُوَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ ، بِلَا ضَرُورَةٍ ، مَعَ الضَّرُورَةِ فِي عَكْسِهِ ؛ وَهُوَ مُحَالٌ فِي خَمْسَةِ أَوْجُهٍ ؛ فَامْتَنَعَتِ الشُّرَكَآءُ ؛ مَعَ أَنَّ الشُّرَكَآءَ الْمُمْتَنِعَةَ بِتِلْكَ الْوُجُوهِ ، لَآ إِشَارَةَ إِلَى وُجُودِهَا ؛ وَلَآ أَمَارَةَ عَلَى تَحَقُّقِهَا ، فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ . .

فَقَدِ اسْتَفْسَرْنَا هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، فِي «الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ مِنَ الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ» ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، وَفِي «الْمَوْقِفِ الثَّانِي» ، مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى التَّشَخُّصَاتِ الْوَجْهِيَّةِ ؛ فَأَعْطَتْ جَمِيعُهَا جَوَابَ رَدِّ الشِّرْكِ ، بِإِرَآءَةِ سِكَّةِ التَّوْحِيدِ . .

فَكَمَا لَا شُرَكَآءَ لَهُ ؛ كَذٰلِكَ لَا مُعِينَ وَلَا وُزَرَآءَ لَهُ . وَمَا الْأَسْبَابُ إِلَّا حِجَابٌ رَقِيقٌ عَلَى تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، لَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ إِيجَادِيٌّ ، فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ إِذْ أَشْرَفُ الْأَسْبَابِ ، وَأَوْسَعُهَا اخْتِيَاراً ، هُوَ الْإِنْسَانُ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ ، مِنْ أَظْهَرِ أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ، كَـ «الْأَكْلِ وَالْكَلَامِ وَالْفِكْرِ» ، مِنْ مِئَاتِ أَجْزَآءٍ ، إِلَّا جُزْءٌ وَاحِدٌ مَشْكُوكٌ . فَإِذَا كَانَ السَّبَبُ الْأَشْرَفُ ، وَالْأَوْسَعُ اخْتِيَاراً ، مَغْلُولَ الْأَيْدِي عَنِ التَّصَرُّفِ الْحَقِيقِيِّ كَمَا تَرَى ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْبَهِيمَاتُ وَالْجَمَادَاتُ ، شَرِيكاً فِي الْإِيجَادِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ، لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ؟ فَكَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الظَّرْفُ الَّذِي وَضَعَ السُّلْطَانُ فِيهِ الْهَدِيَّةَ ، أَوِ الْمَنْدِيلُ الَّذِي لَفَّ فِيهِ الْعَطِيَّةَ ، أَوِ النَّفَرُ الَّذِيٓ أَرْسَلَ عَلَى يَدِهِ النِّعْمَةَ إِلَيْكَ ، شُرَكَآءَ لِلسُّلْطَانِ فِي سَلْطَنَتِهِ ؛ كَذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْأَسْبَابُ الْمُرْسَلَةُ عَلَىٓ أَيْدِيهِمُ النِّعَمُ إِلَيْنَا ، وَالظُّرُوفُ الَّتِي هِيَ صَنَادِيقُ لِلنِّعَمِ الْمُدَّخَرَةِ لَنَا ، وَالْأَسْبَابُ الَّتِي الْتَفَّتْ عَلَى

عَطَايَا إِلٰهِيَّةٍ مُهْدَاةٍ إِلَيْنَا ، شُرَكَآءَ أَعْوَاناً ، أَوْ وَسَآئِطَ مُؤَثِّرَةً . .

اَلْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ :

جَلَّ جَلاَلُهُ ؛ اَللّٰهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ، الصَّانِعُ الْحَكِيمُ ، الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتُ الْأَرْضِيَّةُ ، وَالْأَجْرَامُ الْعُلْوِيَّةُ ، فِي بُسْتَانِ الْكَآئِنَاتِ ، مُعْجِزَاتُ قُدْرَةِ خَلاَّقٍ عَلِيمٍ بِالْبَدَاهَةِ ؛ وَهٰذِهِ النَّبَاتَاتُ الْمُتَلَوِّنَةُ الْمُتَزَيِّنَةُ الْمَنْثُورَةُ ، وَهٰذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ الْمُتَبَرِّجَةُ الْمَنْشُورَةُ فِي حَدِيقَةِ الْأَرْضِ ، خَوَارِقُ صَنْعَةِ صَانِعٍ حَكِيمٍ بِالضَّرُورَةِ ؛ وَهٰذِهِ الْأَزْهَارُ الْمُتَبَسِّمَةُ ، وَالْأَثْمَارُ الْمُتَزَيِّنَةُ ، فِي جِنَانِ هٰذِهِ الْحَدِيقَةِ ، هَدَايَا رَحْمَةِ رَحْمٰنٍ رَحِيمٍ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ تَشْهَدُ هَاتِيكَ ؛ وَتُنَادِي تَاكَ ؛ وَتُعْلِنُ هٰذِهِ : بِأَنَّ خَلاَّقَ هَاتِيكَ ، وَمُصَوِّرَ تَاكَ ، وَوَاهِبَ هٰذِهِ ، عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؛ قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ؛ تَتَسَاوٰى بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَتِهِ الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ ، وَالْقَلِيلُ وَالْكَثِيرُ ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ، وَالْمُتَنَاهِي وَغَيْرُ الْمُتَنَاهِي ؛ وَكُلُّ الْوُقُوعَاتِ الْمَاضِيَةِ وَغَرَآئِبُهَا ، مُعْجِزَاتُ صَنْعَةِ صَانِعٍ حَكِيمٍ ؛ تَشْهَدُ أَنَّ ذٰلِكَ الصَّانِعَ قَدِيرٌ عَلٰى كُلِّ الْإِمْكَانَاتِ الِاسْتِقْبَالِيَّةِ وَعَجَآئِبِهَا ؛ إِذْ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ، وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . .

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ حَدِيقَةَ أَرْضِهِ ، مَشْهَرَ صَنْعَتِهِ ، مَحْشَرَ فِطْرَتِهِ ، مَظْهَرَ قُدْرَتِهِ ، مَدَارَ حِكْمَتِهِ ، مَزْهَرَ رَحْمَتِهِ ، مَزْرَعَ جَنَّتِهِ ، مَمَرَّ الْمَخْلُوقَاتِ ، مَسِيلَ الْمَوْجُودَاتِ ، مَكِيلَ الْمَصْنُوعَاتِ . .

فَمُزَيَّنُ الْحَيْوَانَاتِ ، مُنَقَّشُ الطُّيُورَاتِ ، مُثَمَّرُ الشَّجَرَاتِ ، مُزَهَّرُ النَّبَاتَاتِ ، مُعْجِزَاتُ عِلْمِهِ ، خَوَارِقُ صُنْعِهِ ، هَدَايَا جُودِهِ ، بَرَاهِينُ لُطْفِهِ . .

تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ مِنْ زِينَةِ الْأَثْمَارِ ، تَسَجُّعُ الْأَطْيَارِ فِي نَسْمَةِ الْأَسْحَارِ ، تَهَزُّجُ الْأَمْطَارِ عَلٰى خُدُودِ الْأَزْهَارِ ، تَرَحُّمُ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ ، تَعَرُّفُ وَدُودٍ ، تَوَدُّدُ رَحْمٰنٍ ، تَرَحُّمُ حَنَّانٍ ، تَحَنُّنُ مَنَّانٍ ، لِلْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ ، وَالرُّوحِ وَالْحَيْوَانِ ، وَالْمَلَكِ وَالْجَانِّ . .

وَالْبُذُورُ وَالْأَثْمَارُ ، وَالْحُبُوبُ وَالْأَزْهَارُ ، مُعْجِزَاتُ الْحِكْمَةِ ، خَوَارِقُ الصَّنْعَةِ ، هَدَايَا الرَّحْمَةِ ، بَرَاهِينُ الْوَحْدَةِ ، شَوَاهِدُ لُطْفِهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ ، شَوَاهِدُ صَادِقَةٌ بِأَنَّ خَلَّاقَهَا عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؛ قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ بِالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَالصُّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ . فَالشَّمْسُ كَالْبَذْرَةِ ؛ وَالنَّجْمُ كَالزَّهْرَةِ ؛ وَالْأَرْضُ كَالْحَبَّةِ ، لَا تَثْقُلُ عَلَيْهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَالصُّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ . فَالْبُذُورُ وَالْأَثْمَارُ ، مَرَايَا الْوَحْدَةِ فِي أَقْطَارِ الْكَثْرَةِ ، إِشَارَاتُ الْقَدَرِ ، رُمُوزَاتُ الْقُدْرَةِ : بِأَنَّ تِلْكَ الْكَثْرَةَ ، مِنْ مَنْبَعِ الْوَحْدَةِ ، تَصْدُرُ شَاهِدَةً لِوَحْدَةِ الْفَاطِرِ فِي الصُّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ ؛ ثُمَّ إِلَى الْوَحْدَةِ تَنْتَهِي ذَاكِرَةً لِحِكْمَةِ الصَّانِعِ فِي الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ ؛ وَتَلْوِيحَاتُ الْحِكْمَةِ : بِأَنَّ خَالِقَ الْكُلِّ ، بِكُلِّيَّةِ النَّظَرِ ، إِلَى الْجُزْئِيِّ يَنْظُرُ ، ثُمَّ إِلٰى جُزْئِهِ ؛ إِذْ إِنْ كَانَ ثَمَراً ؛ فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ مِنْ خَلْقِ هٰذَا الشَّجَرِ . فَالْبَشَرُ ثَمَرٌ لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ لِخَالِقِ الْمَوْجُودَاتِ . وَالْقَلْبُ كَالنَّوَاةِ ؛ فَهُوَ الْمِرْآةُ الْأَنْوَرُ لِصَانِعِ الْمَخْلُوقَاتِ . **وَمِنْ هٰذِهِ الْحِكْمَةِ ، فَالْإِنْسَانُ الْأَصْغَرُ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، هُوَ الْمَدَارُ الْأَظْهَرُ لِلنَّشْرِ وَالْحَشْرِ ، فِي هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَالتَّخْرِيبِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَالتَّحْوِيلِ وَالتَّجْدِيدِ لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ . .**

اَللهُ أَكْبَرُ ؛ يَا كَبِيرُ أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي الْعُقُولُ لِكُنْهِ عَظَمَتِهِ . .

«كه لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ❁ بَرَابَرْمِي زَنَنْدْ هَرْشَيْءْ

دَمَادَمْ جُو يَدَنْدْ يَا حَقْ ❁ سَرَاسَرْ كُوَيدَنْدْ يَا حَيّْ» . .

إِيضَاحُهَا فِي رَأْسِ «الْمَوْقِفِ الثَّالِثِ» مِنَ «الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ» . .

اَلْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : (١)

---

(١) إِنَّ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةَ الثَّالِثَةَ ، تَنْظُرُ إِلٰى زَهْرَةٍ جُزْئِيَّةٍ ، وَمَرْأَةٍ زَهْرَاءَ ؛ فَالرَّبِيعُ الْجَسِيمُ زَهْرَةٌ ؛ وَالْجَنَّةُ أَيْضاً زَهْرَةٌ ؛ هُمَا مَظْهَرَانِ لِتِلْكَ الْمَرْتَبَةِ . وَإِنَّ الْعَالَمَ إِنْسَانٌ كَبِيرٌ وَجَمِيلٌ ؛ وَنَوْعَ الْحُورِ ، وَطَائِفَةَ =

اَللّٰهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ الْقَدِيرُ الْمُقَدِّرُ ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، الْمُصَوِّرُ الْكَرِيمُ ، اللَّطِيفُ الْمُزَيِّنُ ، الْمُنْعِمُ الْوَدُودُ الْمُتَعَرِّفُ ، الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، الْمُتَحَنِّنُ الْجَمِيلُ ، ذُو الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ ، النَّقَّاشُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي مَا حَقَآئِقُ هٰذِهِ الْكَآئِنَاتِ كُلّاً وَأَجْزَآءً ، وَصَحَآئِفَ وَطَبَقَاتٍ ؛ وَمَا حَقَآئِقُ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيّاً وَجُزْئِيّاً ، وُجُوداً وَبَقَآءً ، إِلَّا خُطُوطُ قَلَمِ قَضَآئِهِ وَقَدَرِهِ ، بِتَنْظِيمٍ وَتَقْدِيرٍ ، وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ ؛ وَإِلَّا نُقُوشُ بِرْكَارِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ، بِصُنْعٍ وَتَصْوِيرٍ ؛ وَإِلَّا تَزْيِينَاتُ يَدِ بَيْضَآءِ صُنْعِهِ وَتَصْوِيرِهِ ، وَتَزْيِينِهِ وَتَنْوِيرِهِ ، بِلُطْفٍ وَكَرَمٍ ؛ وَإِلَّآ أَزَاهِيرُ لَطَآئِفِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ ، وَتَعَرُّفِهِ وَتَوَدُّدِهِ ، بِرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ ؛ وَإِلَّا ثَمَرَاتُ فَيَّاضِ عَيْنِ رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَتَرَحُّمِهِ وَتَحَنُّنِهِ ، بِجَمَالٍ وَكَمَالٍ ؛ وَإِلَّا لَمَعَاتُ جَمَالٍ سَرْمَدِيٍّ ، وَكَمَالٍ دَيْمُومِيٍّ ، بِشَهَادَةِ تَفَانِيَّةِ الْمَرَايَا ، وَسَيَّالِيَّةِ الْمَظَاهِرِ ، مَعَ دَوَامِ تَجَلِّي الْجَمَالِ ، عَلٰى مَرِّ الْفُصُولِ وَالْعُصُورِ وَالْأَدْوَارِ ، وَمَعَ دَوَامِ الْإِنْعَامِ ، عَلٰى مَرِّ الْأَنَامِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ . .

نَعَمْ : تَفَانِي الْمِرْآةِ ، زَوَالُ الْمَوْجُودَاتِ ، مَعَ التَّجَلِّي الدَّآئِمِ ، مَعَ الْفَيْضِ الْمُلَازِمِ ، مِنْ أَظْهَرِ الظَّوَاهِرِ ، مِنْ أَبْهَرِ الْبَوَاهِرِ ، أَنَّ الْجَمَالَ الظَّاهِرَ ، أَنَّ الْكَمَالَ الزَّاهِرَ ، لَيْسَا مُلْكَ الْمَظَاهِرِ ؛ مِنْ أَفْصَحِ تِبْيَانٍ ، مِنْ أَوْضَحِ بُرْهَانٍ ، لِلْجَمَالِ الْمُجَرَّدِ ، لِلْإِحْسَانِ الْمُجَدَّدِ ، لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، لِلْبَاقِي الْوَدُودِ . .

نَعَمْ : فَالْأَثَرُ الْمُكَمَّلُ ، يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْمُكَمَّلِ ؛ ثُمَّ الْفِعْلُ الْمُكَمَّلُ ، يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ عَلَى الْاِسْمِ الْمُكَمَّلِ ، وَالْفَاعِلِ الْمُكَمَّلِ ؛ ثُمَّ الْاِسْمُ الْمُكَمَّلُ ، يَدُلُّ بِلَا رَيْبٍ عَلَى الْوَصْفِ الْمُكَمَّلِ ؛ ثُمَّ الْوَصْفُ الْمُكَمَّلُ ، يَدُلُّ بِلَا شَكٍّ عَلَى الشَّأْنِ الْمُكَمَّلِ ؛ ثُمَّ الشَّأْنُ الْمُكَمَّلُ ، يَدُلُّ بِالْيَقِينِ عَلٰى كَمَالِ الذَّاتِ ، بِمَا يَلِيقُ بِالذَّاتِ ، وَهُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ . .

= الرُّوحَانِيِّينَ ، وَجِنْسَ الْحَيْوَانَاتِ ، وَصِنْفَ الْإِنْسَانِ ، كُلٌّ مِنْهَا ، فِي مَعْنٰى إِنْسَانٍ جَمِيلٍ يُظْهِرُ الْأَسْمَاءَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا هٰذِهِ الْمَرْتَبَةُ بِصَفَحَاتِهَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ :

جَلَّ جَلاَلُهُ ؛ اَللّٰهُ أَكْبَرُ ؛ إِذْ هُوَ الْعَدْلُ الْعَادِلُ ، الْحَكَمُ الْحَاكِمُ ، الْحَكِيمُ الْأَزَلِيُّ ، الَّذِي أَسَّسَ بُنْيَانَ شَجَرَةِ هٰذِهِ الْكَآئِنَاتِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ بِأُصُولِ مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ؛ وَفَصَّلَهَا بِدَسَاتِيرِ قَضَآئِهِ وَقَدَرِهِ ؛ وَنَظَّمَهَا بِقَوَانِينِ عَادَتِهِ وَسُنَّتِهِ ؛ وَزَيَّنَهَا بِنَوَامِيسِ عِنَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَنَوَّرَهَا بِجَلَوَاتِ أَسْمَآئِهِ وَصِفَاتِهِ ، بِشَهَادَاتِ انْتِظَامَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ ، وَتَزَيُّنَاتِ مَوْجُودَاتِهِ ، وَتَشَابُهِهَا وَتَنَاسُبِهَا ، وَتَجَاوُبِهَا وَتَعَاوُنِهَا وَتَعَانُقِهَا ، وَاتِّقَانِ الصَّنْعَةِ الشُّعُورِيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، عَلٰى مِقْدَارِ قَامَةِ قَابِلِيَّتِهِ الْمُقَدَّرَةِ بِتَقْدِيرِ الْقَدَرِ . .

فَالْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ فِي تَنْظِيمَاتِهَا ، وَالْعِنَايَةُ التَّامَّةُ فِي تَزْيِينَاتِهَا ، وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِي تَلْطِيفَاتِهَا ، وَالْأَرْزَاقُ وَالْإِعَاشَةُ الشَّامِلَةُ فِي تَرْبِيَتِهَا ، وَالْحَيَاةُ الْعَجِيبَةُ الصَّنْعَةِ بِمَظْهَرِيَّتِهَا لِلشُّؤُونِ الذَّاتِيَّةِ لِفَاطِرِهَا ، وَالْمَحَاسِنُ الْقَصْدِيَّةُ فِي تَحْسِينَاتِهَا ، وَدَوَامُ تَجَلِّي الْجَمَالِ الْمُنْعَكِسِ مَعَ زَوَالِهَا ، وَالْعِشْقُ الصَّادِقُ فِي قَلْبِهَا لِمَعْبُودِهَا ، وَالاِنْجِذَابُ الظَّاهِرُ فِي جَذْبَتِهَا ، وَاتِّفَاقُ كُلِّ كُمَّلِهَا عَلٰى وَحْدَةِ فَاطِرِهَا ، وَالتَّصَرُّفُ لِمَصَالِحَ فِيٓ أَجْزَآئِهَا ، وَالتَّدْبِيرُ الْحَكِيمُ لِنَبَاتَاتِهَا ، وَالتَّرْبِيَةُ الْكَرِيمَةُ لِحَيْوَانَاتِهَا ، وَالاِنْتِظَامُ الْمُكَمَّلُ فِي تَغَيُّرَاتِ أَرْكَانِهَا ، وَالْغَايَاتُ الْجَسِيمَةُ فِي انْتِظَامِ كُلِّيَّتِهَا ، وَالْحُدُوثُ دَفْعَةً مَعَ غَايَةِ كَمَالِ حُسْنِ صَنْعَتِهَا بِلَا احْتِيَاجٍ إِلٰى مُدَّةٍ وَمَادَّةٍ ، وَالتَّشَخُّصَاتُ الْحَكِيمَةُ مَعَ عَدَمِ تَحْدِيدِ تَرَدُّدِ إِمْكَانَاتِهَا ، وَقَضَآءُ حَاجَاتِهَا عَلٰى غَايَةِ كَثْرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا ، فِيٓ أَوْقَاتِهَا اللآَّئِقَةِ الْمُنَاسِبَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، مَعَ قَصْرِ أَيْدِيهَا مِنْ أَصْغَرِ مَطَالِبِهَا ، وَالْقُوَّةُ الْمُطْلَقَةُ فِي مَعْدِنِ ضَعْفِهَا ، وَالْقُدْرَةُ الْمُطْلَقَةُ فِي مَنْبَعِ عَجْزِهَا ، وَالْحَيَاةُ الظَّاهِرَةُ فِي جُمُودِهَا ، وَالشُّعُورُ الْمُحِيطُ فِي جَهْلِهَا ، وَالاِنْتِظَامُ الْمُكَمَّلُ فِي تَغَيُّرَاتِهَا ، الْمُسْتَلْزِمُ لِوُجُودِ الْمُغَيِّرِ الْغَيْرِ الْمُتَغَيِّرِ ، وَالاِتِّفَاقُ فِي تَسْبِيحَاتِهَا ، كَالدَّوَآئِرِ الْمُتَدَاخِلَةِ الْمُتَّحِدَةِ الْمَرْكَزِ ، وَالْمَقْبُولِيَّةُ فِي دَعَوَاتِهَا الثَّلَاثِ ، «بِلِسَانِ اسْتِعْدَادِهَا ، وَبِلِسَانِ احْتِيَاجَاتِهَا الْفِطْرِيَّةِ ، وَبِلِسَانِ اضْطِرَارِهَا» ، وَالْمُنَاجَاةُ

وَالشُّهُودَاتُ وَالْفُيُوضَاتُ فِي عِبَادَاتِهَا، وَالاِنْتِظَامُ فِي قَدَرَيْهَا، وَالاِطْمِئْنَانُ بِذِكْرِ فَاطِرِهَا، وَكَوْنُ الْعِبَادَةِ فِيهَا خَيْطَ الْوُصْلَةِ بَيْنَ مُنْتَهَاهَا وَمَبْدَئِهَا، وَسَبَبَ ظُهُورِ كَمَالِهَا، وَلِتَحَقُّقِ مَقَاصِدِ صَانِعِهَا، وَهٰكَذَا بِسَآئِرِ شُؤُونَاتِهَا وأَحْوَالِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا، شَاهِدَاتٌ بِأَنَّهَا كُلَّهَا، بِتَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ وَاحِدٍ، وَفِي تَرْبِيَةِ مُرَبٍّ كَرِيمٍ أَحَدٍ صَمَدٍ؛ وَكُلَّهَا خُدَّامُ سَيِّدٍ وَاحِدٍ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِ مُتَصَرِّفٍ وَاحِدٍ؛ وَمَصْدَرُهُمْ قُدْرَةٌ وَاحِدٍ، الَّذِي تَظَاهَرَتْ وَتَكَاثَرَتْ خَوَاتِمُ وَحْدَتِهِ، عَلٰى كُلِّ مَكْتُوبٍ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ، فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفَحَاتِ مَوْجُودَاتِهِ..

نَعَمْ: فَكُلُّ زَهْرَةٍ وَثَمَرٍ، وَكُلُّ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ، بَلْ كُلُّ حَيْوَانٍ وَحَجَرٍ، بَلْ كُلُّ ذَرٍّ وَمَدَرٍ، فِي كُلِّ وَادٍ وَجَبَلٍ، وَكُلِّ بَادٍ وَقَفَرٍ، خَاتَمٌ بَيِّنُ النَّقْشِ وَالْأَثَرِ، يُظْهِرُ لِدِقَّةِ النَّظَرِ، بِأَنَّ ذَا ذَاكَ الْأَثَرِ، هُوَ كَاتِبُ ذَاكَ الْمَكَانِ بِالْعِبَرِ؛ فَهُوَ كَاتِبُ ظَهْرِ الْبَرِّ وَبَطْنِ الْبَحْرِ؛ فَهُوَ نَقَّاشُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فِي صَحِيفَةِ السَّمَاوَاتِ ذَاتِ الْعِبَرِ. **جَلَّ جَلاَلُ نَقَّاشِهَا؛ اَللّٰهُ أَكْبَرُ..**

«كه لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُو ❁ بَرَابَرْ مِى زَنَدْ عَالَمْ»..

اَلْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ: (١)

اَللّٰهُ أَكْبَرُ؛ إِذْ هُوَ الْخَلّاَقُ الْقَدِيرُ، الْمُصَوِّرُ الْبَصِيرُ، الَّذِي هٰذِهِ الْأَجْرَامُ الْعُلْوِيَّةُ، وَالْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ، نَيِّرَاتُ بَرَاهِينِ أُلُوهِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَشُعَاعَاتُ شَوَاهِدِ رُبُوبِيَّتِهِ وَعِزَّتِهِ؛ تَشْهَدُ وَتُنَادِي عَلٰى شَعْشَعَةِ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ؛ وَتُنَادِي عَلٰى وُسْعَةِ حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَعَلٰى حِشْمَةِ عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ..

فَاسْتَمِعْ إِلٰىٓ آيَةِ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوٓا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ الَخ؛ ثُمَّ انْظُرْ إِلٰى وَجْهِ السَّمَآءِ: كَيْفَ تَرٰى سُكُوتاً فِي سُكُونَةٍ، حَرَكَةً فِي حِكْمَةٍ، تَلَأْلُؤاً

---

(١) إِنَّ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةَ قَدْ أُوضِحَتْ فِي ذَيْلِ الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ، وَفِي الْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

فِي حِشْمَةٍ ، تَبَسُّماً فِي زِينَةٍ ، مَعَ انْتِظَامِ الْخِلْقَةِ ، مَعَ اتِّزَانِ الصَّنْعَةِ . تَشَعْشُعُ سِرَاجِهَا لِتَبْدِيلِ الْمَوَاسِمِ ؛ تَهَلْهُلُ مِصْبَاحِهَا لِتَنْوِيرِ الْمَعَالِمِ ؛ تَلَأْلُؤُ نُجُومِهَا لِتَزْيِينِ الْعَوَالِمِ ؛ تُعْلِنُ لِأَهْلِ النُّهٰى ، سَلْطَنَةً بِلَا انْتِهَآءٍ ، لِتَدْبِيرِ هٰذَا الْعَالَمِ . .

فَذٰلِكَ الْخَلَّاقُ الْقَدِيرُ ، عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَمُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ شَامِلَةٍ ؛ **«مَا شَآءَ كَانَ ؛ وَمَا لَمْ يَشَأْ ، لَمْ يَكُنْ»** ؛ وَهُوَ قَدِيرٌ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ، بِقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ مُحِيطَةٍ ذَاتِيَّةٍ ؛ وَكَمَا لَا يُمْكِنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ هٰذِهِ الشَّمْسِ ، فِي هٰذَا الْيَوْمِ ، بِلَا ضِيَآءٍ وَلَا حَرَارَةٍ ؛ كَذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ إِلٰهٍ خَالِقٍ لِلسَّمَاوَاتِ ، بِلَا عِلْمٍ مُحِيطٍ ، وَبِلَا قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ ؛ فَهُوَ بِالضَّرُورَةِ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، بِعِلْمٍ مُحِيطٍ لَازِمٍ ذَاتِيٍّ لِلذَّاتِ ؛ يَلْزَمُ تَعَلُّقُ ذٰلِكَ الْعِلْمِ بِكُلِّ الْأَشْيَآءِ ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْهُ شَيْءٌ ، بِسِرِّ الْحُضُورِ وَالشُّهُودِ ، والنُّفُوذِ وَالْإِحَاطَةِ النُّورَانِيَّةِ . .

فَمَا يُشَاهَدُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الِانْتِظَامَاتِ الْمَوْزُونَةِ ، وَالِاتِّزَانَاتِ الْمَنْظُومَةِ ، وَالْحِكَمِ الْعَامَّةِ ، وَالْعِنَايَاتِ التَّامَّةِ ، وَالْأَقْدَارِ الْمُنْتَظَمَةِ ، وَالْأَقْضِيَةِ الْمُثْمِرَةِ ، وَالْآجَالِ الْمُعَيَّنَةِ ، وَالْأَرْزَاقِ الْمُقَنَّنَةِ ، وَالِاتِّقَانَاتِ الْمُفَنَّنَةِ ، وَالِاهْتِمَامَاتِ الْمُزَيَّنَةِ ، وَغَايَةِ كَمَالِ الِامْتِيَازِ وَالِاتِّزَانِ ، وَالِانْتِظَامِ وَالِاتِّقَانِ ، وَالسُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ ، شَاهِدَاتٌ عَلٰى إِحَاطَةِ عِلْمِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ، بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَإِنَّ آيَةَ : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝﴾ ، تَدُلُّ عَلٰى **أَنَّ الْوُجُودَ فِي الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِهِ ؛ وَنُورَ الْوُجُودِ فِي الْأَشْيَآءِ ، يَسْتَلْزِمُ نُورَ الْعِلْمِ فِيهَا** . فَنِسْبَةُ دَلَالَةِ حُسْنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ عَلٰى شُعُورِهِ ، إِلٰى نِسْبَةِ دَلَالَةِ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ عَلٰى عِلْمِ خَالِقِهِ ، كَنِسْبَةِ لُمَيْعَةِ نُجَيْمَةِ الذُّبَيْبَةِ فِي اللَّيْلَةِ الدَّهْمَآءِ ، إِلٰى شَعْشَعَةِ الشَّمْسِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ عَلٰى وَجْهِ الْغَبْرَآءِ . .

وَكَمَآ أَنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَهُوَ مُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ شَيْءٌ بِدُونِ مَشِيئَتِهِ ؛ وَكَمَآ أَنَّ الْقُدْرَةَ تُؤَثِّرُ ، وَأَنَّ الْعِلْمَ يُمَيِّزُ ؛ كَذٰلِكَ أَنَّ الْإِرَادَةَ تُخَصِّصُ ؛ ثُمَّ يَتَحَقَّقُ وُجُودُ الْأَشْيَآءِ . .

فَالشَّوَاهِدُ عَلٰى وُجُودِ إِرَادَتِهِ تَعَالٰى، وَاخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ، بِعَدَدِ كَيْفِيَّاتِ الْأَشْيَآءِ وَأَحْوَالِهَا وَشُؤُونَاتِهَا..

نَعَمْ: فَتَنْظِيمُ الْمَوْجُودَاتِ، وَتَخْصِيصُهَا بِصِفَاتِهَا، مِنْ بَيْنِ الْإِمْكَانَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الطُّرُقِ الْعَقِيمَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الاِحْتِمَالَاتِ الْمُشَوَّشَةِ، وَتَحْتَ أَيْدِي السُّيُولِ الْمُتَشَاكِسَةِ، بِهٰذَا النِّظَامِ الْأَدَقِّ الْأَرَقِّ؛ وَتَوْزِينُهَا بِهٰذَا الْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ الْجَسَّاسِ الْمَشْهُودَيْنِ؛ وَأَنَّ خَلْقَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ الْمُنْتَظَمَاتِ الْحَيَوِيَّةِ، مِنَ الْبَسَآئِطِ الْجَامِدَةِ، كَالْإِنْسَانِ بِجِهَازَاتِهِ مِنَ النُّطْفَةِ، وَالطَّيْرِ بِجَوَارِحِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وَالشَّجَرِ بِأَعْضَآئِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ مِنَ النَّوَاةِ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ تَخَصُّصَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَعَيُّنَهُ، بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ. فَكَمَآ أَنَّ تَوَافُقَ الْأَشْيَآءِ مِنْ جِنْسٍ، وَالْأَفْرَادِ مِنْ نَوْعٍ، فِيٓ أَسَاسَاتِ الْأَعْضَآءِ، يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ عَلٰىٓ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ؛ كَذٰلِكَ أَنَّ تَمَايُزَهَا فِي التَّشَخُّصَاتِ الْحَكِيمَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلٰى عَلَامَاتٍ فَارِقَةٍ مُنْتَظَمَةٍ، تَدُلُّ عَلٰىٓ أَنَّ ذٰلِكَ الصَّانِعَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ، هُوَ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ مُرِيدٌ، يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ؛ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ؛ جَلَّ جَلَالُهُ..

وَكَمَآ أَنَّ ذٰلِكَ الْخَلَّاقَ، الْعَلِيمَ الْمُرِيدَ، عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَهُ عِلْمٌ مُحِيطٌ، وَإِرَادَةٌ شَامِلَةٌ، وَاخْتِيَارٌ تَامٌّ؛ كَذٰلِكَ لَهُ قُدْرَةٌ كَامِلَةٌ، ضَرُورِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ، نَاشِئَةٌ مِنَ الذَّاتِ، وَلَازِمَةٌ لِلذَّاتِ؛ فَمُحَالٌ تَدَاخُلُ ضِدِّهَا؛ وَإِلَّا لَزِمَ جَمْعُ الضِّدَّيْنِ، الْمُحَالُ بِالاِتِّفَاقِ؛ فَلَا مَرَاتِبَ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ؛ فَتَتَسَاوٰى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ، وَالْقَلِيلُ وَالْكَثِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْجُزْئِيُّ وَالْكُلِّيُّ، وَالْجُزْءُ وَالْكُلُّ، وَالْإِنْسَانُ وَالْعَالَمُ، وَالنَّوَاةُ وَالشَّجَرُ، بِسِرِّ النُّورَانِيَّةِ، وَالشَّفَّافِيَّةِ، وَالْمُقَابَلَةِ، وَالْمُوَازَنَةِ، وَالاِنْتِظَامِ، وَالاِمْتِثَالِ، بِشَهَادَةِ الاِنْتِظَامِ الْمُطْلَقِ، وَالاِتِّزَانِ الْمُطْلَقِ، وَالاِمْتِيَازِ الْمُطْلَقِ، فِي السُّرْعَةِ، وَالسُّهُولَةِ، وَالْكَثْرَةِ الْمُطْلَقَاتِ؛ بِسِرِّ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ، وَيُسْرِ الْوَحْدَةِ، وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ؛ بِحِكْمَةِ الْوُجُوبِ وَالتَّجَرُّدِ وَمُبَايَنَةِ الْمَاهِيَّةِ؛ بِسِرِّ عَدَمِ التَّقَيُّدِ، وَعَدَمِ التَّحَيُّزِ، وَعَدَمِ التَّجَزُّؤِ؛ بِحِكْمَةِ انْقِلَابِ الْعَوَآئِقِ وَالْمَوَانِعِ إِلَى الْوَسَآئِلِ فِي التَّسْهِيلِ إِنِ احْتِيجَ إِلَيْهِ؛ وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا احْتِيَاجَ،

كَأَعْصَابِ الْإِنْسَانِ ، وَالْخُطُوطِ الْحَدِيدِيَّةِ ، لِنَقْلِ السَّيَّالاتِ اللَّطِيفَةِ ؛ بِحِكْمَةِ أَنَّ الذَّرَّةَ ، وَالْجُزْءَ وَالْجُزْئِيَّ ، وَالْقَلِيلَ وَالصَّغِيرَ ، وَالْإِنْسَانَ وَالنَّوَاةَ ، لَيْسَتْ بِأَقَلَّ جَزَالَةً مِنَ النَّجْمِ وَالنَّوْعِ ، وَالْكُلِّ وَالْكُلِّيِّ ، وَالْكَثِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَالْعَالَمِ وَالشَّجَرِ . فَمَنْ خَلَقَ هٰٓؤُلَآءِ ؛ لَا يُسْتَبْعَدُ مِنْهُ خَلْقُ هٰذِهِ ؛ إِذِ الْمُحَاطَاتُ ، كَالْأَمْثِلَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْمُصَغَّرَةِ ، أَوْ كَالنُّقَطِ الْمَحْلُوبَةِ الْمُعَصَّرَةِ ؛ فَلَا بُدَّ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الْمُحِيطُ ، فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِ خَالِقِ الْمُحَاطِ ؛ لِيُدْرِجَ مِثَالَ الْمُحِيطِ ، فِي الْمُحَاطَاتِ ، بِدَسَاتِيرِ عِلْمِهِ ؛ وَأَنْ يَعْصُرَهَا مِنْهُ ، بِمَوَازِينِ حِكْمَتِهِ . فَالْقُدْرَةُ الَّتِيٓ أَبْرَزَتْ هَاتِيكَ الْجُزْئِيَّاتِ ، لَا يَتَعَسَّرُ عَلَيْهَآ إِبْرَازُ تَاكَ الْكُلِّيَّاتِ . .

فَكَمَآ أَنَّ نُسْخَةَ قُرْآنِ الْحِكْمَةِ ، الْمَكْتُوبَةَ عَلَى الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ ، بِذَرَّاتِ الْأَثِيرِ ، لَيْسَتْ بِأَقَلَّ جَزَالَةً مِنْ نُسْخَةِ قُرْآنِ الْعَظَمَةِ ، الْمَكْتُوبَةِ عَلٰى صَحَآئِفِ السَّمَاوَاتِ ، بِمِدَادِ النُّجُومِ وَالشُّمُوسِ ؛ كَذٰلِكَ لَيْسَتْ خِلْقَةُ نَحْلَةٍ وَنَمْلَةٍ ، بِأَقَلَّ جَزَالَةً مِنْ خِلْقَةِ النَّخْلَةِ وَالْفِيلِ ؛ وَلَا صَنْعَةُ وَرْدِ الزَّهْرَةِ ، بِأَقَلَّ جَزَالَةً مِنْ صَنْعَةِ دُرِّيِّ نَجْمِ الزُّهَرَةِ ؛ وَهٰكَذَا فَقِسْ . .

فَكَمَآ أَنَّ غَايَةَ كَمَالِ السُّهُولَةِ فِيٓ إِيجَادِ الْأَشْيَآءِ ، أَوْقَعَتْ أَهْلَ الضَّلَالَةِ فِي الْتِبَاسِ التَّشْكِيلِ بِالتَّشَكُّلِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلْمُحَالاتِ الْخُرَافِيَّةِ الَّتِي تَمُجُّهَا الْعُقُولُ ؛ بَلْ تَتَنَفَّرُ عَنْهَا الْأَوْهَامُ ؛ كَذٰلِكَ أَثْبَتَتْ بِالْقَطْعِ وَالضَّرُورَةِ ، لِأَهْلِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، تَسَاوِيَ السَّيَّارَاتِ مَعَ الذَّرَّاتِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَآئِنَاتِ . .

جَلَّ جَلَالُهُ ؛ وَعَظُمَ شَأْنُهُ ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . .

اَلْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ : (١)

---

(١) لَوْ كُتِبَتْ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ ، كَسَائِرِ الْمَرَاتِبِ ؛ لَطَالَتْ كَثِيراً ؛ لِأَنَّ «الْإِمَامَ الْمُبِينَ ، وَالْكِتَابَ الْمُبِينَ» لَا يُبَيَّنَانِ بِإِفَادَةٍ قَصِيرَةٍ ؛ وَقَدْ ذُكِرَا نَبْذَةً فِي «الْمَقَالَةِ الثَّلَاثِينَ» ؛ فَلِذَا نَخْتَصِرُ هٰهُنَا كِتَابَةً ؛ وَأَوْضَحْنَاهُمَا فِي الدَّرْسِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

جَلَّ جَلاَلُهُ ؛ وَعَظُمَ شَأْنُهُ ؛ اَللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ ، الْقَادِرُ الْعَلِيمُ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، السُّلْطَانُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي هٰذِهِ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا فِي تَصَرُّفِ قَبْضَتَيْ نِظَامِهِ وَمِيزَانِهِ ، وَتَنْظِيمِهِ وَتَوْزِينِهِ ، وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَمَظْهَرُ سِرِّ وَاحِدِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ ، بِالْحَدْسِ الشُّهُودِيِّ ، بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ إِذْ لاَ خَارِجَ فِي الْكَوْنِ مِنْ دَآئِرَةِ النِّظَامِ وَالْمِيزَانِ ، وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ ؛ وَهُمَا بَابَانِ مِنَ «الْإِمَامِ الْمُبِينِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ» ؛ وَهُمَا عُنْوَانَانِ لِعِلْمِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ وَأَمْرِهِ ، وَقُدْرَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ وَإِرَادَتِهِ . فَذٰلِكَ النِّظَامُ مَعَ ذٰلِكَ الْمِيزَانِ ، فِي ذٰلِكَ الْكِتَابِ مَعَ ذٰلِكَ الْإِمَامِ ، بُرْهَانَانِ نَيِّرَانِ ، لِمَنْ لَهُ فِي رَأْسِهِ إِذْعَانٌ ، وَفِي وَجْهِهِ الْعَيْنَانِ ، أَنْ لاَ شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَآءِ ، فِي الْكَوْنِ وَالزَّمَانِ ، يَخْرُجُ مِنْ قَبْضَةِ تَصَرُّفِ رَحْمٰنٍ ، وَتَنْظِيمِ حَنَّانٍ ، وَتَزْيِينِ مَنَّانٍ ، وَتَوْزِينِ دَيَّانٍ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ تَجَلِّيَ الِاسْمِ «الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ» فِي الْخَلاَّقِيَّةِ ، النَّاظِرَيْنِ إِلَى الْمَبْدَإِ وَالْمُنْتَهٰى ، وَالْأَصْلِ وَالنَّسْلِ ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ، وَالْأَمْرِ وَالْعِلْمِ ، مُشِيرَانِ إِلَى «الْإِمَامِ الْمُبِينِ» ؛ وَتَجَلِّيَ الِاسْمِ «الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ» عَلَى الْأَشْيَآءِ فِي ضِمْنِ الْخَلاَّقِيَّةِ ، يُشِيرَانِ إِلَى «الْكِتَابِ الْمُبِينِ» . .

فَالْكَآئِنَاتُ كَشَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَكُلُّ عَالَمٍ مِنْهَآ أَيْضاً كَالشَّجَرَةِ ؛ فَنُمَثِّلُ شَجَرَةً جُزْئِيَّةً لِخِلْقَةِ الْكَآئِنَاتِ وَأَنْوَاعِهَا وَعَوَالِمِهَا ؛ وَهٰذِهِ الشَّجَرَةُ الْجُزْئِيَّةُ ، لَهَآ أَصْلٌ وَمَبْدَأٌ ؛ وَهُوَ النَّوَاةُ الَّتِي تَنْبُتُ عَلَيْهَا ؛ وَكَذَا نَسْلٌ يُدِيمُ وَظِيفَتَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا ؛ وَهُوَ النَّوَاةُ فِي ثَمَرَاتِهَا . فَالْمَبْدَأُ وَالْمُنْتَهٰى مَظْهَرَانِ لِتَجَلِّي الِاسْمِ «الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ» ؛ فَكَأَنَّ الْمَبْدَأَ وَالنَّوَاةَ الْأَصْلِيَّةَ ، بِالِانْتِظَامِ وَالْحِكْمَةِ ، فِهْرِسْتَةٌ وَتَعْرِفَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ دَسَاتِيرِ تَشَكُّلِ الشَّجَرَةِ ؛ وَالنَّوَاتَاتُ فِي ثَمَرَاتِهَا الَّتِي فِي نِهَايَاتِهَا ، مَظْهَرٌ لِتَجَلِّي الِاسْمِ «الْآخِرِ» . .

فَتِلْكَ النَّوَاتَاتُ فِي الثَّمَرَاتِ ، بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ ، كَأَنَّهَا صُنَيْدِيقَاتٌ صَغِيرَةٌ أُودِعَتْ فِيهَا فِهْرِسْتَةٌ وَتَعْرِفَةٌ لِتَشَكُّلِ مَا يُشَابِهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ ؛ وَكَأَنَّهَا كُتِبَ فِيهَا بِقَلَمِ الْقَدَرِ ، دَسَاتِيرُ تَشَكُّلِ شَجَرَاتٍ آتِيَةٍ . .

وَظَاهِرُ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّي الِاسْمِ «الظَّاهِرِ» ؛ فَظَاهِرُهَا بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالتَّزْيِينِ وَالْحِكْمَةِ ؛ كَأَنَّهَا حُلَّةٌ مَنْتَظَمَةٌ مُزَيَّنَةٌ مُرَصَّعَةٌ ؛ قَدْ قُدَّتْ عَلٰى مِقْدَارِ قَامَتِهَا بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ . .

وَبَاطِنُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّي الِاسْمِ «الْبَاطِنِ» ؛ فَبِكَمَالِ الِانْتِظَامِ وَالتَّدْبِيرِ الْمُحَيِّرِ لِلْعُقُولِ ، وَتَوْزِيعِ مَوَادِّ الْحَيَاةِ إِلَى الْأَعْضَآءِ الْمُخْتَلِفَةِ بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ؛ كَأَنَّ بَاطِنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، مَاكِينَةٌ خَارِقَةٌ فِي غَايَةِ الِانْتِظَامِ وَالِاتِّزَانِ . .

فَكَمَآ أَنَّ أَوَّلَهَا تَعْرِفَةٌ عَجِيبَةٌ ، وَآخِرَهَا فِهْرِسْتَةٌ خَارِقَةٌ تُشِيرَانِ إِلَى «الْإِمَامِ الْمُبِينِ» ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ ظَاهِرَهَا كَحُلَّةٍ عَجِيبَةِ الصَّنْعَةِ ؛ وَبَاطِنَهَا كَمَاكِينَةٍ فِي غَايَةِ الِانْتِظَامِ ، تُشِيرَانِ إِلَى «الْكِتَابِ الْمُبِينِ» . .

فَكَمَآ أَنَّ الْقُوَّاتِ الْحَافِظَاتِ فِي الْإِنْسَانِ تُشِيرُ إِلَى «اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ» ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ النَّوَاتَاتِ الْأَصْلِيَّةَ وَالثَّمَرَاتِ ، تُشِيرَانِ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ إِلَى «الْإِمَامِ الْمُبِينِ» ؛ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ يَرْمُزَانِ إِلَى «الْكِتَابِ الْمُبِينِ» ؛ فَقِسْ عَلٰى هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الْجُزْئِيَّةِ ، شَجَرَةَ الْأَرْضِ بِمَاضِيهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا ، وَشَجَرَةَ الْكَائِنَاتِ بِأَوَآئِلِهَا وَآتِيهَا ، وَشَجَرَةَ الْإِنْسَانِ بِأَجْدَادِهَا وَأَنْسَالِهَا ؛ وَهٰكَذَا . .

جَلَّ جَلَالُ خَالِقِهَا ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . .

يَا كَبِيرُ ! أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي الْعُقُولُ لِوَصْفِ عَظَمَتِهِ ؛ وَلَا تَصِلُ الْأَفْكَارُ إِلَى كُنْهِ جَبَرُوتِهِ . .

اَلْمَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ :

جَلَّ جَلَالُهُ ؛ اَللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً ؛ إِذْ هُوَ[1] الْخَلَّاقُ الْفَتَّاحُ ، الْفَعَّالُ

---

(١) يُنْتَقَلُ مِنْ هٰذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمُبَارَكَةِ ، إِلَى الْمُسَمّٰى ذِي الْجَلَالِ ، بِالنَّظَرِ بِنَظَّارَاتِهَا إِلٰى مَا تَحْتَ جَلَوَاتِهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ الْآثَارِ وَالْأَفْعَالِ الْإِلٰهِيَّةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْعَلّامُ ، الْوَهَّابُ الْفَيَّاضُ ، شَمْسُ الْأَزَلِ ، الَّذي هٰذِهِ الْكَآئِنَاتُ بِأَنْوَاعِهَا وَمَوْجُودَاتِهَا ، ظِلالُ أَنْوَارِهِ ، وَآثَارُ أَفْعَالِهِ ، وَأَلْوَانُ نُقُوشِ أَنْوَاعِ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَآئِهِ ، وَخُطُوطُ قَلَمِ قَضَآئِهِ وَقَدَرِهِ ، وَمَرَايَا تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلالِهِ وَكَمَالِهِ ، بِإِجْمَاعِ الشَّاهِدِ الْأَزَلِيِّ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ وَآيَاتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ ، وَبِإِجْمَاعِ الْأَرْضِ مَعَ الْعَالَمِ بِافْتِقَارَاتِهَا وَاحْتِيَاجَاتِهَا ، فِي ذَاتِهَا وَذَرَّاتِهَا ، مَعَ تَظَاهُرِ الْغَنَآءِ الْمُطْلَقِ ، وَالثَّرْوَةِ الْمُطْلَقَةِ عَلَيْهَا ؛ وَبِإِجْمَاعِ كُلِّ أَهْلِ الشُّهُودِ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ النَّيِّرَةِ ، وَالْقُلُوبِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَالْعُقُولِ النُّورَانِيَّةِ ، مِنَ الْأَنْبِيَآءِ وَالْأَوْلِيَآءِ وَالْأَصْفِيَآءِ ، بِجَمِيعِ تَحْقِيقَاتِهِمْ وَكُشُوفَاتِهِمْ وَفُيُوضَاتِهِمْ وَمُنَاجَاتِهِمْ . قَدِ اتَّفَقَ الْكُلُّ مِنْهُمْ ، وَمِنَ الْأَرْضِ وَالْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ ، بِمَا لا يُحَدُّ مِنْ شَهَادَاتِهِمُ الْقَطْعِيَّةِ ، وَتَصْدِيقَاتِهِمُ الْيَقِينِيَّةِ ، بِقَبُولِ شَهَادَاتِ الْآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ ، وَشَهَادَاتِ الصُّحُفِ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي هِيَ شَهَادَةُ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، عَلىٰ : أَنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ آثَارُ قُدْرَتِهِ ، وَمَرَايَآ أَسْمَآئِهِ ، وَتَمَثُّلاتُ أَنْوَارِهِ . .

جَلَّ جَلالُهُ ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلّا هُوَ . .

اَلْبَابُ الرَّابِعُ : «فَصْلَانِ» . .

اَلْفَصْلُ الْأَوَّلُ :(١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَللّٰهُمَّ إِنِّيۤ أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نِعْمَةٍ وَرَحْمَةٍ ، وَحِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْ كُلِّ حَيَاةٍ وَمَمَاتٍ ، وَحَيْوَانٍ وَنَبَاتٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْ كُلِّ زَهْرَةٍ وَثَمَرَةٍ ، وَحَبَّةٍ وَبَذْرَةٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْ كُلِّ صَنْعَةٍ وَصِبْغَةٍ ، وَنِظَامٍ وَمِيزَانٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْ كُلِّ تَنْظِيمٍ وَتَوْزِينٍ وَتَمْيِيزٍ ، فِي كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ وَذَرَّاتِهَا ، شَهَادَةً نَشْهَدُ(٢) أَنْ :

---

(١) إِنَّ وِرْداً مُهِمّاً مَشْهُوراً مِنْ أَوْرَادِ الْخِضْرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، يُشِيرُ مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأُ وَالْأَسَاسُ ، إِلٰى ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةِ اللهِ ؛ وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ مِنْهَا جُمْلَتَانِ ؛ فَجُمْلَةُ (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) تُثْبِتُ الْوَحْدَانِيَّةَ ؛ كَمَا أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْمَبْدُوءَةَ بِـ «هُوَ» تُثْبِتُ وُجُودَ الْوَاجِبِ ؛ كَأَنَّهُ لَمَّا تُثْبِتُ الْجُمْلَةُ الْأُولَى الْوَحْدَانِيَّةَ ، يَرِدُ بِالْبَالِ سُؤَالٌ مُقَدَّرٌ ، وَهُوَ : مَنْ هُوَ ذٰلِكَ الْوَاحِدُ ؛ وَكَيْفَ نَعْرِفُهُ ؟ فَيُجَابُ عَلٰى ذٰلِكَ السُّؤَالِ ، بِجُمْلَةِ (هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ) مَثَلاً . تَعْنِي : أَنَّ آثَارَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الَّتِي مَلَأَتِ الْكَائِنَاتِ ، هِيَ آثَارُ ذٰلِكَ الرَّحْمٰنِ ؛ وَتُعَرِّفُهُ ؛ وَهٰكَذَا فَقِسْ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

(٢) إِنَّ فِي هٰذِهِ الشَّهَادَاتِ حُكْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : (لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) ؛ وَالْآخَرُ يُثْبِتُ وُجُودَ ذٰلِكَ الْوَاحِدِ ، وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْمَبْدُوءَةُ بِـ«هُوَ» ؛ فَكُلَّمَا جَاءَ وَاحِدٌ مِنْ ضَمِيرِ «هُوَ» ، يَكُونُ جَوَاباً لِسُؤَالٍ مُقَدَّرٍ ؛ كَأَنَّهُ يُقَالُ : كَيْفَ نَعْرِفُ ذٰلِكَ الْإِلٰهَ الْوَاحِدَ ؟ فَيُجِيبُ بِقَوْلِهِ : (هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) مَثَلاً ؛ فَيَقُولُ فِي هٰذَا : إِنَّهُ يُوجَدُ وَاحِدٌ يَرَى وَيَسْمَعُ حَاجَاتِ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَدْعِيَتَهَا ؛ فَيَخْلُقُ مَا تَطْلُبُهُ . هٰكَذَا تُثْبِتُ الْآثَارُ ، الْأَفْعَالَ الْإِلٰهِيَّةَ ؛ وَتُثْبِتُ تِلْكَ الْأَفْعَالُ ، الْأَسْمَاءَ مِثْلَ (السَّمِيعِ =

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْبَاقِي الدَّيْمُومُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْغَفَّارُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْغَفُورُ الشَّكُورُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْخَلَّاقُ الْقَدِيرُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْمُصَوِّرُ الْبَصِيرُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْجَوَّادُ الْكَرِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْمُحْيِي الْعَلِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْمُغْنِي الْكَرِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْمُدَبِّرُ الْحَكِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْمُرَبِّي الرَّحِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْقَوِيُّ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْغَنِيُّ

= وَالْبَصِير) ؛ وَتَدُلُّ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ عَلٰى وُجُودِ الْمَوْصُوفِ ؛ فَجَمِيعُ هٰذِهِ الْجُمَلِ ، عَلٰى هٰذَا الْمِنْوَالِ ، تُثْبِتُ بِالْآثَارِ الْأَفْعَالَ ، وَبِالْأَفْعَالِ الْأَسْمَاءَ ، وَبِالْأَسْمَاءِ وُجُودَ الْوَاجِبِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الشَّهِيدُ الرَّقِيبُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْخَلّاقُ الْحَكِيمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْبَاقِي الْأَمْجَدُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَلِكُ الْوَارِثُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْبَاقِي الْبَاعِثُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ اللَّطِيفُ الْمُدَبِّرُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ السَّيِّدُ الدَّيَّانُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ (١)

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ السُّبُّوحُ الْقُدُّوسُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْعَدْلُ الْحَكَمُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْفَرْدُ الصَّمَدُ

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ النُّورُ الْهَادِي

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَعْرُوفُ لِكُلِّ الْعَارِفِينَ (٢)

---

(١) اَلْحَنَّانُ : هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ أَلْطَفَ جَلَوَاتِ الرَّحْمَةِ ؛ وَالْمَنَّانُ : الْمُنْعِمُ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(٢) وَفَحْوَى هٰذِهِ الْفِقْرَةِ وَالْفِقْرَاتِ الَّتِي تَلِيهَا ، هٰكَذَا : إِنَّكَ إِنْ تُرِدْ مَعْرِفَةَ ذٰلِكَ الْإِلٰهِ الْوَاحِدِ ؛ فَانْظُرْ =

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ لِكُلِّ الْعَابِدِينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَشْكُورُ لِكُلِّ الشَّاكِرِينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَذْكُورُ لِكُلِّ الذَّاكِرِينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَحْمُودُ لِكُلِّ الْحَامِدِينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَوْجُودُ لِكُلِّ الطَّالِبِينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ لِكُلِّ الْمُوَحِّدِينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَحْبُوبُ الْحَقُّ لِكُلِّ الْمُحِبِّينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَرْغُوبُ لِكُلِّ الْمُرِيدِينَ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لِكُلِّ الْمُنِيبِينَ (١)
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لِكُلِّ الْجَنَانِ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمُوجِدُ لِكُلِّ الْأَنَام
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَوْجُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَعْبُودُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَذْكُورُ بِكُلِّ لِسَانٍ

= أَنَّهُ يُوجَدُ مَعْرُوفٌ يَعْرِفُهُ الْعَارِفُونَ الَّذِينَ جَاؤُوا إِلٰى نَوْعِ الْبَشَرِ، بِدَلَائِلِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ، وَبِطُرُقٍ مُتَخَالِفَةٍ؛ فَذٰلِكَ الْمَعْرُوفُ هُوَ الْإِلٰهُ الْوَاحِدُ؛ فَيَظْهَرُ كَالشَّمْسِ وُجُودُ مَنْ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ، الَّذِينَ لَا يُعَدُّونَ وَلَا يُحْصَوْنَ، يَعْرِفُونَهُ بِوُجُوهٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى. وَكَذَا أَنَّ عِبَادَةَ مَنْ لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصٰى مِنَ الْعَابِدِينَ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ، لِمَعْبُودٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، وَلِقَاءَهُمْ مُقَابَلَةً مَعْنَوِيَّةً إِزَاءَ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ، وَوُرُودَ فُيُوضَاتٍ وَمُنَاجَيَاتٍ (وَمُنَاجَاةٍ) عَلَيْهِمْ، تَدُلُّ بِتَوَاتُرٍ مُضَاعَفٍ، عَلٰى وُجُودِ ذٰلِكَ الْمَعْبُودِ، كَالشَّمْسِ. وَهٰكَذَا فَقِسْ عَلَيْهِ سَائِرَ الْفِقْرَاتِ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

(١) اَلْمُنِيبُ: هُوَ الَّذِي يُحَوِّلُ وَجْهَهُ عَنِ الْكَائِنَاتِ؛ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى الْبَاقِي الْحَقِيقِيِّ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمَشْكُورُ بِكُلِّ إِحْسَانٍ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ هُوَ الْمُنْـعِمُ بِلَا امْتِـنَانٍ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ إِيـمَـانـاً بِـاللهِ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ أَمَـانـاً مِنَ اللهِ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ أَمَـانَـةً عِنْدَ اللهِ
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ حَـقّـاً حَـقّـاً
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ إِذْعَـاناً وَصِدْقـاً
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ تَعَـبُّـداً وَرِقّـاً
لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَادِقُ الْوَعْدِ الأَمِينُ

اَلْفَصْلُ الثَّانِي مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ : (١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) إِنَّ هٰذِهِ السُّطُورَ الْخَمْسَةَ أَوِ السِّتَّةَ مِنَ التَّمْجِيدِ وَالتَّعْظِيمِ ، الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ فَاتِحَةِ أَوْرَادِ كُلِّ صَبَاحٍ مِنْ أَوْرَادِ أَكْثَرِ الْأَقْطَابِ ، لاسِيَّمَا «الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ» ، أَصْبَحَتْ لِي بِمَثَابَةِ نَوَاةِ سِلْسِلَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ التَّفَكُّرِ ؛ فَأَنْتَجَتْ سُنْبُلاً مَعْنَوِيّاً ، مِنْ قَبِيلِ الْإِشَارَةِ إِلٰى تِسْعٍ وَتِسْعِينَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ . وَقَدْ ذُكِرَتْ هُنَا تِسْعٌ وَسَبْعُونَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِهَا التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ ؛ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، فِي كُلِّ فِقْرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ ، بِجِهَتَيْنِ . .
إِحْدَاهُمَا : أَنَّهَا تَشْهَدُ عَلَى اللهِ بِكَيْفِيَّتِهَا الْحَاضِرَةِ الْمَشْهُودَةِ ؛ فَيُفَادُ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى بِتَعْبِيرِ «لِلّٰهِ شَهِيدٌ» . .
وَالْأُخْرٰى : أَنَّهَا تَدُلُّ عَلٰى إِشَارَةِ السِّلْسِلَةِ الْمُتَظَاهِرَةِ مِنْ تَعَاقُبِ الْأَمْثَالِ بَعْضِهَا وَرَاءَ بَعْضٍ ؛ فَيُفَادُ ذٰلِكَ الْمَعْنٰى بِقَوْلِهِ : «عَلَى اللهِ دَلِيلٌ» . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

أَصْبَحْنَا(١) وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلهِ شَهِيدٌ ❁ وَالْكِبْرِيَآءُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ

وَالْعَظَمَةُ لِلهِ شَهِيدٌ ❁ وَالْهَيْـبَةُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ

وَالْـقُـوَّةُ لِلهِ شَهِيدٌ ❁ وَالْقُدْرَةُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ

وَالْآلَآءُ(٢) لِلهِ شَهِيدٌ(٣) ❁ وَالإِنْعَامُ الدَّآئِمُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ

---

(١) أَيْ دَخَلْنَا فِي الصَّبَاحِ ؛ وَمُلْكُ هٰذَا الصَّبَاحِ شَاهِدٌ لِلهِ ؛ وَفِي هٰذَا الْفَصْلِ نُكْتَتَانِ . .

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَشْهَدُ عَلٰى وُجُودِ اللهِ تَعَالٰى وَوَحْدَتِهِ ، بِوُجُودِهِ الْحَاضِرِ ؛ كَمَا أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، بِإِظْهَارِ سِلْسِلَةٍ عَظِيمَةٍ ، تَحْتَ صُورَةٍ مِنَ التَّجَدُّدِ ، بِذَهَابِهِ لِإِفْرَاغِ الْمَكَانِ لِأَمْثَالِهَا الْآتِيَةِ وَرَاءَهَا ، مُتَبَدِّلَةً بِالِانْتِظَامِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ يَدُلُّ بِفِقْرَةِ «شَهِيدٍ» عَلٰى وُجُودِهِ الْحَاضِرِ ، وَبِجُمْلَةِ «دَلِيلٍ» عَلٰى سِلْسِلَتِهِ الْمُتَشَكِّلَةِ عَنْ تَرْكِيبِ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَاقِبَةِ . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ كَانَ اللَّازِمُ بِقَاعِدَةِ النَّحْوِ ، أَنْ يُقَالَ : (الْآلَاءُ لِلهِ شَهِيدَةٌ) ؛ فَيُقَالُ : (لِلهِ شَهِيدٌ) لِأَنَّ كُلَّ أَلًى شَاهِدٌ عَلٰى وَحْدَتِهِ ؛ كَمَا أَنَّ الْمَجْمُوعَ أَيْضاً شَاهِدٌ ؛ فَيَدُلُّ (شَهِيدٌ) بِلَفْظِ الْمُذَكَّرِ عَلٰى أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَشْهَدُ ؛ فَلَوْ قَالَ : (شَهِيدَةٌ) لَأَفَادَ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ . وَيُقَالُ : (وَالرُّبُوبِيَّةُ لِلهِ شَهِيدٌ) مَثَلاً ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ ، التَّدَابِيرُ وَالتَّرْبِيَاتُ الَّتِي يَفْعَلُهَا اللهُ تَعَالٰى بِرُبُوبِيَّتِهِ ؛ فَيُرَادُ أَنَّهَا تَشْهَدُ ، لِأَنَّ نَفْسَ الرُّبُوبِيَّةِ لَا تُشَاهَدُ ؛ وَلٰكِنْ تُشَاهَدُ التَّدَابِيرُ الَّتِي هِيَ آثَارُ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ فَقِيلَ : (شَهِيدٌ) لِيُجْعَلَ كُلُّ شَيْءٍ مَشْهُودٍ ، شَاهِداً ؛ فَلَوْ قِيلَ : (شَهِيدَةٌ) لَرَجَعَتْ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ نَفْسِهَا . .

وَكَذَا أَنَّ آيَةَ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، لَا يُقَالُ فِيهَا (قَرِيبَةٌ) ، مَعَ أَنَّ الرَّحْمَةَ مُؤَنَّثَةٌ ؛ فَنُكْتَةُ لَفْظِ (قَرِيبٌ) هِيَ : أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الرَّحْمَةِ ، الْإِحْسَانَاتُ الْخَاصَّةُ الَّتِي هِيَ شُعَاعَاتُ الرَّحْمَةِ الْكُلِّيَّةِ الْعَالِيَةِ بِمَثَابَةِ الشَّمْسِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يُرَادَ إِفَادَةُ قُرْبِ تِلْكَ الشَّمْسِ ؛ فَإِنَّهُ يُشَاهَدُ إِحْسَانٌ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مُحْسِنٍ . فَلَفْظُ الْإِحْسَانِ مُذَكَّرٌ حَقُّهُ أَنْ يُقَالَ (قَرِيبٌ) . وَأَيْضاً لَمْ يَقُلْ (قَرِيبَةٌ) لِيُفِيدَ أَنَّ اللهَ تَعَالٰى قَرِيبٌ بِرَحْمَتِهِ إِلَى الْمُحْسِنِينَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

(٢) اَلْآلَاءُ : النِّعَمُ . وَالْبَهَاءُ : الْحُسْنُ . وَالْعَظَمُوتُ : الْعَظَمَةُ بِالْمُبَالَغَةِ . وَالْجَبَرُوتُ : الْعَظَمُوتُ الَّتِي هِيَ أَخْفٰى وَأَدْوَمُ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

(٣) كَانَ اللَّازِمُ فِي أَمْثَالِهِ أَنْ يُقَالَ (شَهِيدَةٌ) . وَمَجِيءُ لَفْظِ الْمُذَكَّرِ ، لِلنُّكْتَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي (قَرِيبٌ) =

وَالْبَهَـــآءُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْجَمَالُ السَّرْمَدُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالْـجَـلاَلُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْكَمَالُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالْعَـظَمُوتُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْجَبَرُوتُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالرُّبُـوبِيَّةُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْأُلُوهِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالسَّلْطَنَةُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَجُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالْأَقْضِيَةُ(١) لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالتَّـقْدِيرُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالتَّـرْبِـيَـةُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالتَّدْبِيرُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالتَّـصْوِيرُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالتَّنْظِيمُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالتَّـزْيِـينُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالتَّوْزِينُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالْإِتْقَانُ(٢) لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْـجُـودُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ
وَالْـخَـلْـقُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْإِيجَادُ الدَّآئِمُ عَلَى اللهِ دَلِيلٌ

= بَدَلاً عَنْ (قَرِيبَةٌ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. فَإِذَا جَاءَ الْجَمْعُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، يَكُونُ الْمُرَادُ مِنْهُ كُلَّ وَاحِدٍ؛ فَلِذَا يُذْكَرُ لَفْظُ (شَهِيدٌ) الْمُذَكَّرُ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

(١) اَلْأَقْضِيَةُ: يَعْنِي: أَنَّ الْمَقَادِيرَ الْمُنْتَظِمَةَ الْمَخْصُوصَةَ، مِنْ مَقَادِيرِ الْجُزْئِيَّاتِ فِي الْحَالِ الْحَاضِرِ، تَشْهَدُ لِوُجُودِ الْفَاطِرِ الْحَكِيمِ؛ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: (التَّقْدِيرُ)، بِمَعْنَى أَنَّ تَظَاهُرَ مِقْدَارٍ مُنْتَظِمٍ وَتَقْدِيرٍ آخَرَ، بِزَوَالِ الْجُزْئِيَّاتِ وَالْكُلِّيَّاتِ، يَدُلُّ أَيْضاً عَلَىٰ وُجُودِ ذٰلِكَ الْفَاطِرِ الْحَكِيمِ. كَأَنَّ الاِنْتِظَامَاتِ الْقَضَائِيَّةَ فِي الْحَيَاةِ، تَشْهَدُ لِوُجُودِهِ؛ وَالْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ وَتَجَلِّيَ الْقَدَرِ، وَالتَّقْدِيرَ الْمُنْتَظَمَ بَيْنَ مُنَاوَبَةِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، تَدُلُّ عَلَىٰ وُجُودِهِ. مَثَلاً: إِنَّ التَّرْبِيَةَ: هِيَ إِدَارَةُ وُجُودِ الشَّيْءِ فِي ضِمْنِ شَرَائِطِهِ؛ وَإِنَّ التَّدْبِيرَ هُوَ تَبْدِيلُهُ؛ فَكُلٌّ مِنْهُمَا يَدُلُّ دَلاَلَةً أُخْرَىٰ. فَقِسْ سَائِرَ الْفِقْرَاتِ عَلَىٰ هٰذِهِ الْفِقْرَةِ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

(٢) اَلْإِتْقَانُ: هُوَ الصُّنْعُ بِالاِهْتِمَامِ وَالصَّنْعَةِ. وَاللَّطَائِفُ: أُرِيدَ بِهَا صُوَرُ الْمَحَاسِنِ الْمَشْهُودَةِ، مِنْ صُوَرِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمِثَالِيَّةِ، بِزَوَالِ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ؛ أَوِ الْمُرَادُ بِهَا مَحَاسِنُ السِّلْسِلَةِ الْمُتَعَاقِبَةِ.. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

وَالْـحُـكْـمُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ❁ وَالْأَمْـرُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ
وَالْمَحَـاسِنُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ❁ وَاللَّطَآئِفُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ
وَالْمَحَامِدُ(١) لِلّٰهِ شَهِيدٌ ❁ وَالْمَدَآئِحُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ
وَالْعِبَـادَاتُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ❁ وَالْكَمَالاَتُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ
وَالتَّحِيَّاتُ(٢) لِلّٰهِ شَهِيدٌ ❁ وَالْبَرَكَاتُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ
وَالصَّلَوَاتُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ❁ وَالطَّيِّبَاتُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

---

(١) اَلْمَحَامِدُ : يُرَادُ بِهَا الْمَحَامِدُ الْحَاضِرَةُ . وَالْمَدَائِحُ : هِيَ الْأَثْنِيَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِمَةُ ؛ فَكَأَنَّهَا هِيَ الْأَثْنِيَةُ الْمُتَظَاهِرَةُ عَنْ سِلْسِلَةِ الْأَمْثَالِ الْمُحِيطَةِ بِالْمَحَامِدِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ . اَلْكَمَالاَتُ : وَهِيَ الْكَمَالاَتُ الْمُقْتَضِيَةُ لِلْعُبُودِيَّةِ ؛ يَعْنِي : أَنَّ الْعَابِدِينَ ، وَإِنْ ذَهَبُوا مَعَ عِبَادَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّ الْكَمَالاَتِ الْمُسْتَلْزِمَةَ لِلْعُبُودِيَّةِ ، بَاقِيَةٌ . فَجَمِيعُ السَّلاَسِلِ الْآتِيَةِ تَسُوقُ إِلَى الْعِبَادَةِ ، بَدَلاً عَنِ السَّلاَسِلِ الْمَاضِيَةِ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

(٢) يَعْنِي : أَنَّ جَمِيعَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، تُصَفِّقُ بِأَيْدِيهَا عَلٰى صَنْعَةِ صَانِعِهَا ذِي الْجَلاَلِ ، حَيْثُ إِنَّهَا تُظْهِرُ آثَارَ حَيَاتِهَا مُنْتَظِمَةً فِي دَائِرَةِ الْمُرَادِ الْإِلٰهِيِّ ؛ فَكَمَا أَنَّ صَانِعاً إِذَا صَنَعَ جِهَازاً خَارِقاً يُوجَدُ فِي رَأْسِ ذٰلِكَ الْجِهَازِ ، آلاَتٌ مُخْتَلِفَةٌ تَعْمَلُ بِنَفْسِهَا ، وَتَتَكَلَّمُ وَتَكْتُبُ وَتُخَابِرُ بِنَفْسِهَا مِثْلَ الْحَاكِي وَالْمُصَوِّرَةِ ؛ وَعَمِلَ ذٰلِكَ الْجِهَازُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرِيدُهُ ذٰلِكَ الصَّانِعُ ؛ وَأَنْتَجَ نَتَائِجَ جَمِيلَةً ؛ فَإِنَّ النَّاظِرَ إِلٰى ذٰلِكَ الْجِهَازِ يُصَفِّقُ لِذٰلِكَ الصَّانِعِ بِقَوْلِهِ : (مَا شَآءَ اللّٰهُ ، وَبَارَكَ اللّٰهُ) ؛ وَيُهْدِي إِلَيْهِ هَدَايَا مَعْنَوِيَّةً ؛ كَمَا أَنَّ ذٰلِكَ الْجِهَازَ نَفْسَهُ أَيْضاً يُبَارِكُ صَانِعَهُ ؛ وَيُصَفِّقُ لَهُ ؛ وَيُقَدِّمُ إِلَيْهِ تَحِيَّاتٍ وَهَدَايَا مَعْنَوِيَّةً بِقَوْلِهِ : (مَا شَآءَ اللّٰهُ) ، وَبِتَقْدِيرٍ وَتَحْسِينٍ بِلِسَانِ تِلْكَ الْآلاَتِ ، بِإِظْهَارِهَا آثَاراً وَنَتَائِجَ مُكَمَّلَةً تُقْصَدُ مِنْهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ كُلِّهَا ، يُوجَدُ فِي رَأْسِهِ أَجْهِزَةٌ كَثِيرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ ، مِثْلَ أَجْهِزَةِ الْحَاكِي وَالْمُصَوِّرَةِ ، وَالْبَرْقِ وَالْهَاتِفِ ، تُظْهِرُ مَا فِي خِلْقَتِهَا مِنَ النَّتَائِجِ وَالْمَقَاصِدِ ، مُكَمَّلَةً فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُعْلِنُ تَسْبِيحَاتِ صَانِعِهِ الْجَلِيلِ ، وَكَمَالاَتِ صَنْعَتِهِ ، بِتَظَاهُرَاتِ حَيَاتِهِ بِتَحْسِينَاتٍ وَتَحِيَّاتٍ ، وَهَدَايَا وَتَصْفِيقَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ يُعَبَّرُ عَنْهَا «بِالتَّحِيَّاتِ» . وَأَمَّا نَحْنُ فَنَذْكُرُ بِأَلْسِنَتِنَا تِلْكَ التَّحِيَّاتِ ، حِينَمَا نَقُولُ : (اَلتَّحِيَّاتُ لِلّٰهِ) وَنُقَدِّمُهَا إِلٰى بَابِهِ تَعَالٰى ، عَلٰى حِسَابِنَا . وَإِنَّ اللِّسَانَ نَفْسَهُ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَجْهِزَةِ ؛ وَالنَّتِيجَةُ الْأُولٰى مِنَ النَّتَائِجِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْهُ ، هِيَ أَنْ يَكُونَ تَرْجُمَاناً لِهٰذِهِ التَّحِيَّاتِ .. اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) ..

وَالْمَخْلُوقَاتُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْخَوارِقُ الْمَاضِيَةُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

وَالْمَوْجُودَاتُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْمُعْجِزَاتُ الْآتِيَةُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

وَالسَّمَاوَاتُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْعَرْشُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

وَالشُّمُوسُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْأَقْمَارُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

وَالنُّجُومُ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالسَّيَّارَاتُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

وَالْجَوُّ بِتَصَرُّفَاتِهِ وَأَمْطَارِهِ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْأَرْضُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

يَعْنِي : (وَالْقُدْرَةُ الظَّاهِرَةُ فِي الْأَرْضِ ، وَالْحِكْمَةُ الْبَاهِرَةُ فِيهَا ، وَالصَّنْعَةُ الْمُكَمَّلَةُ فِيهَا ، وَالصِّبْغَةُ الْمُتَزَيِّنَةُ فِيهَا ، وَالنِّعْمَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ فِيهَا ، وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِيهَا عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ) . .

وَالْقُرْآنُ بِأُلُوفِ آيَاتِهِ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَمُحَمَّدٌ بِآلَافِ مُعْجِزَاتِهِ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

وَالْبِحَارُ بِعَجَآئِبِهَا وَغَرَآئِبِهَا لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞

وَالنَّبَاتَاتُ بِأَوْرَاقِهَا بِأَزْهَارِهَا بِأَثْمَارِهَا عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ

يَعْنِي : (فَالدَّلَآئِلُ الْمُتَزَيِّنَاتُ الْمُتَزَهِّرَاتُ الْمُثْمِرَاتُ الْمُسَبِّحَاتُ بِأَوْرَاقِهَا ، وَالْحَامِدَاتُ بِأَزْهَارِهَا ، وَالْمُكَبِّرَاتُ بِأَثْمَارِهَا ، عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ) . .

وَالْأَشْجَارُ بِأَوْرَاقِهَا الْمُسَبِّحَاتِ ، وَأَزْهَارِهَا الْحَامِدَاتِ ، وَأَثْمَارِهَا الْمُكَبِّرَاتِ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞ وَالْحَيَوَانَاتُ الْمُكَبِّرَاتُ ، وَالْحُوَيْنَاتُ الْمُسَبِّحَاتُ ، وَالطُّوَيْرَاتُ الْحَامِدَاتُ ، وَالطُّيُورَاتُ الصَّافَّةُ الْمُهَلِّلَاتُ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ ۞

وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ بِعِبَادَاتِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ فِي مَسْجِدِ الْكَآئِنَاتِ لِلّٰهِ شَهِيدٌ ۞

وَالْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِي مَسْجِدِ الْعَالَمِ بِتَسْبِيحَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ عَلَى اللّٰهِ دَلِيلٌ ۞

وَالصَّنْعَةُ لِلّٰهِ ؛ فَالْمَدْحُ لِلّٰهِ ۞ وَالصِّبْغَةُ لِلّٰهِ ؛ فَالثَّنَآءُ لِلّٰهِ ۞

وَالنِّعْمَةُ لِلّٰهِ ؛ فَالشُّكْرُ لِلّٰهِ ۞ وَالرَّحْمَةُ لِلّٰهِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ . .

اَلْبَابُ الْخَامِسُ : «مَقَامَانِ» . .

اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ فِي الشَّهَادَةِ :

نَشْهَدُ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ . .

اَللّٰهُمَّ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ ؛ وَيَا رَبَّ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ؛ وَيَا رَبَّ النَّبِيِّينَ وَالْأَخْيَارِ ؛ يَا رَبَّ الصِّدِّيقِينَ وَالْأَبْرَارِ ؛ يَا رَبَّ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ ؛ يَا رَبَّ الْحُبُوبِ وَالْأَثْمَارِ ؛ يَا رَبَّ الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ ؛ يَا رَبَّ الصَّحَارىٰ وَالْقِفَارِ ؛ يَا رَبَّ الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ ؛ يَا رَبَّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ أَمْسَيْنَا وَأَصْبَحْنَا نُشْهِدُكَ وَنُشْهِدُ وَنَشْهَدُ جَمِيعَ صِفَاتِكَ الْمُتَقَدِّسَةِ ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ أَسْمَآئِكَ الْحُسْنٰى ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ مَلَآئِكَتِكَ الْعُلْيَا ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ أَنْبِيَآئِكَ الْعُظْمٰى ؛ وَجَمِيعَ أَوْلِيَآئِكَ الْكُبْرٰى ؛ وَجَمِيعَ أَصْفِيَآئِكَ الْعُلْيَا ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ آيَاتِكَ التَّكْوِينِيَّةِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ مَصْنُوعَاتِكَ الْمُزَيَّنَاتِ الْمَوْزُونَاتِ ، الْمَنْظُومَاتِ الْمُتَمَاثِلَاتِ ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ ذَرَّاتِ الْكَآئِنَاتِ الْعَاجِزَاتِ ، الْجَامِدَاتِ الْجَاهِلَاتِ ، وَالْحَامِلَةِ بِحَوْلِكَ وَطَوْلِكَ ، وَأَمْرِكَ وَإِذْنِكَ ، عَجَآئِبَ الْوَظَآئِفِ الْمُنْتَظَمَاتِ ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ مُرَكَّبَاتِ الذَّرَّاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَاتِ ، الْمُتَنَوِّعَاتِ الْمُنْتَظَمَاتِ الْمُتْقَنَاتِ ، الْمَصْنُوعَاتِ مِنَ الْبَسَآئِطِ الْجَامِدَاتِ ؛ وَنُشْهِدُ جَمِيعَ تَرَكُّبَاتِ الْمَوْجُودَاتِ النَّامِيَاتِ ، الْمُخْتَلِطَةِ مَوَادُّ حَيَاتِهَا فِي غَايَةِ الْاِخْتِلَاطِ ، وَالْمُتَمَيِّزَةِ دَفْعَةً فِي غَايَةِ الْاِمْتِيَازِ ؛ وَنُشْهِدُ حَبِيبَكَ الْأَكْرَمَ سُلْطَانَ الْأَنْبِيَآءِ وَالْأَوْلِيَآءِ ، أَفْضَلَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَا الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، (عَلَيْهِ وَعَلٰى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ) ؛ وَنُشْهِدُ فُرْقَانَكَ الْحَكِيمَ ذَا الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، وَالْبَرَاهِينِ النَّيِّرَاتِ ، وَالدَّلَآئِلِ الْوَاضِحَاتِ ، وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَاتِ : بِأَنَّا كُلَّنَا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الْحَيُّ

الْقَيُّومُ ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، الْقَدِيرُ الْمُرِيدُ ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، الْعَدْلُ الْحَكَمُ ، الْمُقْتَدِرُ الْمُتَكَلِّمُ ، لَكَ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنٰى ؛ وَكَذَا نَشْهَدُ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ؛ وَأَنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؛ وَكَذَا نَشْهَدُ بِكُلِّ مَا مَرَّ ، وَمَعَ كُلِّ مَا مَرَّ : بِأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ؛ وَصَفِيُّكَ وَخَلِيلُكَ ؛ وَجَمَالُ مُلْكِكَ ؛ وَمَلِيكُ صُنْعِكَ ؛ وَعَيْنُ عِنَايَتِكَ ؛ وَشَمْسُ هِدَايَتِكَ ؛ وَلِسَانُ مَحَبَّتِكَ ؛ وَمِثَالُ رَحْمَتِكَ ؛ وَنُورُ خَلْقِكَ ؛ وَشَرَفُ مَوْجُودَاتِكَ ؛ وَكَشَّافُ[1] طِلْسِمِ كَآئِنَاتِكَ ؛ وَدَلَّالُ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ؛ وَمُعَرِّفُ كُنُوزِ أَسْمَآئِكَ ؛ وَمُعَلِّمُ أَوَامِرِكَ لِعِبَادِكَ ؛ وَمُفَسِّرُ آيَاتِ كِتَابِ كَآئِنَاتِكَ ؛ وَمَدَارُ شُهُودِكَ وَإِشْهَادِكَ ؛ وَمِرْآةُ مَحَبَّتِكَ لِجَمَالِكَ وَأَسْمَآئِكَ ، وَمَحَبَّتِكَ لِصَنْعَتِكَ وَمَصْنُوعَاتِكَ ، وَلِمَحَاسِنِ مَخْلُوقَاتِكَ ؛ وَحَبِيبُكَ وَرَسُولُكَ الَّذِيٓ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ؛ وَلِبَيَانِ مَحَاسِنِ كَمَالَاتِ سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، بِحِكْمَةِ صَنْعَةِ صِبْغَةِ نُقُوشِ قَصْرِ الْعَالَمِينَ ؛ وَلِتَعْرِيفِ كُنُوزِ أَسْمَآئِكَ ، بِإِشَارَاتِ حِكَمِيَّاتِ كَلِمَاتِ آيَاتِ سُطُورِ كِتَابِ الْعَالَمِينَ ؛ وَلِبَيَانِ مَرْضِيَّاتِكَ يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ ؛ عَلَيْهِ وَعَلٰىٓ آلِهِ ، وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ ، أَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ وَسَلَامٍ ، فِي كُلِّ آنٍ وَزَمَانٍ . .

اَللّٰهُمَّ يَا حَفِيظُ يَا حَافِظُ يَا خَيْرَ الْحَافِظِينَ ، نَسْتَوْدِعُ حِفْظَكَ وَحِمَايَتَكَ وَرَحْمَتَكَ ، هٰذِهِ الشَّهَادَاتِ الَّتِيٓ أَنْعَمْتَهَا عَلَيْنَا ؛ فَاحْفَظْهَآ إِلٰى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ ، آمِينَ ؛ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

---

(١) كُلُّ كَلِمَةٍ فِي هٰذِهِ الشَّهَادَةِ الثَّانِيَةِ ، تُومِئُ إِلٰى بُرْهَانٍ حَقٍّ مِنْ بَرَاهِينِ النُّبُوَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَتُشِيرُ إِلٰى وَظِيفَةٍ مِنْ وَظَائِفِ النُّبُوَّةِ ، وَإِلٰى مَقَامٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّ كُلَّ فِقْرَةٍ فِي الشَّهَادَةِ الْأُولٰى ، أَيْضاً ، تَدُلُّ عَلٰى بَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ كُلِّيَّةٍ مِنْ بَرَاهِينِ الْوَحْدَانِيَّةِ ؛ فَكَأَنَّ كُلّاً مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ وَالْفِقْرَاتِ شَاهِدٌ لِي ؛ وَيَشْهَدُ مَعِي ؛ أَعْنِي : أَنِّي أَقْلِبُ بِنِيَّتِي ، شَهَادَاتِهَا بِلِسَانِ الْحَالِ ، إِلٰى لِسَانِ الْقَالِ . فَنَشْهَدُ مَعاً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَلْمَقَامُ الثَّانِي :(١)

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي دَلَّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ ؛ وَدَلَّ النَّاسَ عَلَىٰ أَوْصَافِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ؛ وَشَهِدَ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ : اَلشَّاهِدُ الصَّادِقُ الْمُصَدَّقُ ، وَالْبُرْهَانُ النَّاطِقُ الْمُحَقِّقُ ، سَيِّدُ الْأَنْبِيَآءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، اَلْحَاوِي لِسِرِّ إِجْمَاعِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَمُعْجِزَاتِهِمْ ؛ وَإِمَامُ الْأَوْلِيَآءِ وَالصِّدِّيقِينَ ، اَلْحَاوِي لِسِرِّ اتِّفَاقِهِمْ وَتَحْقِيقِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمْ ؛ ذُو الْإِرْهَاصَاتِ الْخَارِقَةِ ، وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ الْوَاضِحَةِ ؛ ذُو الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ فِي ذَاتِهِ ، وَالْخِصَالِ الْغَالِيَةِ فِي وَظِيفَتِهِ ، وَالسَّجَايَا السَّامِيَةِ فِي شَرِيعَتِهِ ؛ مَهْبَطُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ بِإِجْمَاعِ الْمُنْزِلِ بِتَوْفِيقٍ لَهُ ، وَالْمُنْزَلِ بِإِعْجَازِهِ ، وَالْمُنْزَلِ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ إِيمَانِهِ ، وَالْمُنْزَلِ إِلَيْهِمْ بِكُشُوفِهِمْ وَتَحْقِيقَاتِهِمْ ؛ سَيَّارُ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْمَلَكُوتِ ؛ مُشَاهِدُ الْأَرْوَاحِ ، وَمُصَاحِبُ الْمَلَآئِكَةِ ، مُرْشِدُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؛ وَأَنْوَرُ ثَمَرَاتِ شَجَرَةِ الْخِلْقَةِ ؛ سِرَاجُ الْحَقِّ ؛ بُرْهَانُ الْحَقِيقَةِ ؛ لِسَانُ الْمُحَبَّةِ ؛ مِثَالُ الرَّحْمَةِ ؛ كَاشِفُ طِلْسِمِ الْكَآئِنَاتِ ؛ حَلَّالُ مُعَمَّى الْخِلْقَةِ ؛ دَلَّالُ سَلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ مَدَارُ ظُهُورِ مَقَاصِدِ خَالِقِ الْكَآئِنَاتِ فِي خَلْقِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَوَاسِطَةُ تَظَاهُرِ كَمَالَاتِ الْكَآئِنَاتِ ؛ اَلْمُرْمِزُ بِشَخْصِيَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ إِلَىٰ أَنَّهُ نُصْبُ عَيْنِ فَاطِرِ الْكَوْنِ فِي خَلْقِ الْكَآئِنَاتِ ، «يَعْنِيَ : أَنَّ الصَّانِعَ نَظَرَ إِلَيْهِ وَخَلَقَ لِأَجْلِهِ وَلِأَمْثَالِهِ هٰذَا الْعَالَمَ» ؛ ذُو الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ بِدَسَاتِيرِهَا أُنْمُوذَجُ دَسَاتِيرِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ ؛ كَأَنَّ ذٰلِكَ الدِّينَ فِهْرِسْتَةٌ أُخْرِجَتْ مِنْ كِتَابِ الْكَآئِنَاتِ ؛ فَكَأَنَّ الْقُرْآنَ الْمُنْزَلَ عَلَيْهِ قِرَآءَةٌ لِآيَاتِ الْكَآئِنَاتِ ؛ اَلْمُشِيرُ دِينُهُ الْحَقُّ إِلَىٰ أَنَّهُ نِظَامُ نَاظِمِ

---

(١) إِنَّ إِيضَاحَ هٰذَا الْمَقَامِ ، فِي آخِرِ الْمَكْتُوبِ التَّاسِعَ عَشَرَ ؛ وَهُوَ رِسَالَةُ الْمُعْجِزَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ وَإِنَّ كُلَّ قَيْدٍ وَكُلَّ كَلِمَةٍ فِي هٰذَا الْمَقَامِ ، يُشِيرُ إِلَىٰ دَلِيلٍ مِنْ دَلَائِلِ الرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، وَيُومِئُ إِلَىٰ بَرَاهِينَ دَالَّةٍ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ، كَلَامُ اللهِ ؛ وَذُكِرَ هٰهُنَا النَّبِيُّ (عليه الصلاة والسلام) مَعَ الْقُرْآنِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمَا كِلَيْهِمَا دَلِيلَانِ مُشْرِقَانِ لِلْغَايَةِ ، لِلْوَحْدَانِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْكَوْنِ ؛ فَنَاظِمُ هٰذِهِ الْكَآئِنَاتِ ، بِهٰذَا النِّظَامِ الْأَتَمِّ الْأَكْمَلِ ، هُوَ نَاظِمُ ذٰلِكَ الدِّينِ الْجَامِعِ بِهٰذَا النَّظْمِ الْأَحْسَنِ الْأَجْمَلِ ؛ سَيِّدُنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ بَنِيٓ آدَمَ ، وَمُهْدِينَآ إِلَى الْإِيمَانِ نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ ، «مُحَمَّدٌ» (عَلَيْهِ وَعَلَىٓ آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمَاتِ) ، مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الشَّاهِدَ يَشْهَدُ عَنِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ عَلٰى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ بِطَوْرِ الْمُشَاهِدِ . .

نَعَمْ : يُشَاهَدُ أَنَّهُ يُشَاهِدُ ثُمَّ يَشْهَدُ مُنَادِياً لِأَجْيَالِ الْبَشَرِ خَلْفَ الْأَعْصَارِ وَالْأَقْطَارِ بِأَعْلٰى صَوْتِهِ . .

نَعَمْ : فَهٰذَا صَدٰى صَوْتِهِ يُسْمَعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْمَاضِي إِلٰى شَوَاهِقِ الِاسْتِقْبَالِ ، وَبِجَمِيعِ قُوَّتِهِ ؛ نَعَمْ : فَقَدِ اسْتَوْلٰى عَلٰى نِصْفِ الْأَرْضِ ؛ وَانْصَبَغَ بِصِبْغِهِ السَّمَاوِيِّ خُمُسُ بَنِيٓ آدَمَ ؛ وَدَامَتْ سَلْطَنَتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ أَلْفاً وَثَلَاثَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي كُلِّ زَمَانٍ ؛ يَحْكُمُ ظَاهِراً وَبَاطِناً عَلٰى ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِلْيُوناً مِنْ رَعِيَّتِهِ الصَّادِقَةِ الْمُطِيعَةِ ، بِانْقِيَادِ نُفُوسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ ، وَأَرْوَاحِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ، لِأَوَامِرِ سَيِّدِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ ؛ وَبِغَايَةِ جِدِّيَّتِهِ بِشَهَادَاتِ قُوَّةِ دَسَاتِيرِهِ الْمُسَمَّرَةِ عَلٰى صُخُورِ الدُّهُورِ وَعَلٰى جِبَاهِ الْأَقْطَارِ ؛ وَبِغَايَةِ وُثُوقِهِ بِشَهَادَةِ زُهْدِهِ وَاسْتِغْنَآئِهِ عَنِ الدُّنْيَا ؛ وَبِغَايَةِ اطْمِئْنَانِهِ وَوُثُوقِهِ بِشَهَادَةِ سِيَرِهِ ، وَبِغَايَةِ قُوَّةِ إِيمَانِهِ بِشَهَادَةِ أَنَّهُ أَعْبَدُ وَأَتْقٰى مِنَ الْكُلِّ بِاتِّفَاقِ الْكُلِّ ، شَهَادَةً جَازِمَةً مُكَرَّرَةً بِـ «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ» الَّذِي دَلَّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ ؛ وَصَرَّحَ بِأَوْصَافِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ ؛ وَشَهِدَ أَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، فَرْدٌ صَمَدٌ : «اَلْفُرْقَانُ الْحَكِيمُ» الْحَاوِي لِسِرِّ إِجْمَاعِ كُلِّ كُتُبِ الْأَنْبِيَآءِ وَالْأَوْلِيَآءِ ، وَالْمُوَحِّدِينَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْمَشَارِبِ وَالْمَسَالِكِ ، الْمُتَّفِقَةِ قُلُوبُ هٰؤُلَآءِ ، وَعُقُولُ أُولَآئِكَ بِحَقَآئِقِ كُتُبِهِمْ ، عَلٰى تَصْدِيقِ أَسَاسَاتِ الْقُرْآنِ الْمُنَوَّرِ جِهَاتُهُ السِّتُّ ؛ إِذْ عَلٰى ظَهْرِهِ سِكَّةُ الْإِعْجَازِ ؛ وَفِي بَطْنِهِ حَقَآئِقُ الْإِيمَانِ ؛ وَتَحْتَهُ بَرَاهِينُ الْإِذْعَانِ ؛ وَهَدَفُهُ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ ؛ وَنُقْطَةُ اسْتِنَادِهِ مَحْضُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ بِإِجْمَاعِ الْمُنْزِلِ بِآيَاتِهِ ، وَالْمُنْزَلِ بِإِعْجَازِهِ ، وَالْمُنْزَلِ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ إِيمَانِهِ وَأَمْنِيَّتِهِ ، وَكَمَالِ تَسْلِيمِيَّتِهِ وَصَفْوَتِهِ ، وَوَضْعِيَّتِهِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَ نُزُولِهِ ؛

مَجْمَعُ الْحَقَآئِقِ بِالْيَقِينِ ؛ وَمَنْبَعُ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ بِالْبَدَاهَةِ ؛ الْمُوصِلُ إِلَى السَّعَادَاتِ بِالْيَقِينِ ؛ ذُو الْأَثْمَارِ الْكَامِلِينَ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ مَقْبُولُ الْمَلَكِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ مِنْ تَفَارِيقِ الْأَمَارَاتِ ؛ الْمُؤَيَّدُ بِالدَّلَآئِلِ الْعَقْلِيَّةِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَآءِ الْكَامِلِينَ ؛ وَالْمُصَدَّقُ بِالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ بِشَهَادَةِ اطْمِئْنَانِ الْوِجْدَانِ بِهِ ؛ الْمُعْجِزَةُ الْأَبَدِيَّةُ بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ ذُو الْبَصَرِ الْمُطْلَقِ ؛ يَرَى الْأَشْيَآءَ بِكَمَالِ الْوُضُوحِ ، يَرَى الْغَآئِبَ الْبَعِيدَ كَالْحَاضِرِ الْقَرِيبِ ؛ ذُو الِانْبِسَاطِ الْمُطْلَقِ ؛ يُعَلِّمُ الْمَلَأَ الْأَعْلٰى مِنَ الْمُقَرَّبِينَ بِدَرْسٍ ؛ وَيُعَلِّمُ أَطْفَالَ الْبَشَرِ بِعَيْنِ ذٰلِكَ الدَّرْسِ ؛ وَيُشْمِلُ تَعْلِيمَهُ وَتَعْلِيمَاتِهِ طَبَقَاتِ ذَوِي الشُّعُورِ مِنْ أَعْلَى الْأَعَالِي إِلٰىٓ أَبْسَطِ الْبَسَآئِطِ ؛ لِسَانُ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، شَهَادَةً جَازِمَةً مُكَرَّرَةً بِـ «لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ» ، وَ «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ» . .

اَلْبَابُ السَّادِسُ :

فِي مَرَاتِبِ(١) «حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» . .

وَهُوَ خَمْسُ نُكَتٍ . .

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى :

هٰذَا الْكَلَامُ دَوَآءٌ مُجَرَّبٌ لِمَرَضِ الْعَجْزِ الْبَشَرِيِّ ، وَسَقَمِ الْفَقْرِ الْإِنْسَانِيِّ . .

حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(٢) ؛ إِذْ هُوَ الْمُوجِدُ الْمَوْجُودُ الْبَاقِي ؛ فَلَا بَأْسَ بِزَوَالِ

---

(١) إِنِّي قَبْلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَاماً نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، مِنْ تَلِّ «يُوشَعَ» ، وَهُوَ مَكَانٌ رَفِيعٌ مِنْ إِسْطَنْبُولَ ؛ فَكُنْتُ مَشْغُوفاً كَكُلِّ أَحَدٍ ، بِطَبَقَاتِ الْمَوْجُودَاتِ الْمُتَدَاخِلَةِ ، وَمَحَاسِنِهَا ؛ حَتّٰى إِنِّي كُنْتُ مُتَعَلِّقاً بِهَا بِحُبٍّ شَدِيدٍ ؛ مَعَ أَنِّي شَاهَدْتُ عَقْلاً ، أَنَّهَا تَتَدَحْرَجُ فِي الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ بِصُورَةٍ ظَاهِرَةٍ جِدّاً ؛ فَشَعَرْتُ بِفِرَاقٍ ، وَأَلَمٍ مُدْهِشٍ ، بَلْ بِظُلْمَةٍ نَاشِئَةٍ عَمَّا لَا يُحَدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الْفِرَاقِ ؛ فَإِذَا بِآيَةِ ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أَمَدَّتْنِي بِمَرَاتِبِهَا الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ ؛ فَكُنْتُ أَقْرَأُهَا بِالرَّمْزِ ، عَلَى الْوَجْهِ الْآتِي ؛ وَكَانَتِ الْجُمَلُ السَّبْعُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي كُنْتُ أُوَاظِبُ عَلَيْهَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ، يُصْبِحُ كُلٌّ مِنْهَا لَمْعَةً ؛ وَتَدْخُلُ فِي لَمَعَاتِ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلَاثِينَ ؛ فَدَخَلَتْ فِيهَا خَمْسُ جُمَلٍ مِنْهَا ؛ وَبَقِيَتْ هَاتَانِ الْجُمْلَتَانِ ؛ فَلِذٰلِكَ بَقِيَ مَوْضِعُ اللَّمْعَتَيْنِ الرَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ فَارِغاً ؛ فَكَانَتْ إِحْدَاهُمَا فِي مَرَاتِبِ ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ وَالْأُخْرٰى فِي مَرَاتِبِ ﴿لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾ . وَمَرَاتِبُ هٰذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ ، ذِكْرٌ وَفِكْرٌ أَزْيَدَ مِنْ أَنْ تَكُونَ عِلْماً ؛ فَلِذٰلِكَ صَارَ هٰذَا الْكَلَامُ ، «الْبَابَ السَّادِسَ» ؛ وَذُكِرَ عَرَبِيّاً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

(٢) إِنِّي فِي زَمَنٍ رَأَيْتُ كَثِيراً مِنْ أَنْوَارِ هٰذِهِ الْجُمْلَةِ وَمَقَامَاتِهَا ؛ فَأَنْقَذَتْنِي عَنْ وَرَطَاتٍ كَثِيرَةٍ ، =

الْمَوْجُودَاتِ ، لِدَوَامِ الْوُجُودِ الْمَحْبُوبِ ، بِبَقَآءِ مُوجِدِهِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ **وَهُوَ الصَّانِعُ الْفَاطِرُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا حُزْنَ عَلٰى زَوَالِ الْمَصْنُوعِ ، لِبَقَآءِ مَدَارِ الْمُحَبَّةِ فِي صَانِعِهِ ؛ **وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَالِكُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا تَأَسُّفَ عَلٰى زَوَالِ الْمُلْكِ الْمُتَجَدِّدِ فِي زَوَالٍ وَذَهَابٍ ؛ **وَهُوَ الشَّاهِدُ الْعَالِمُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا تَحَسُّرَ عَلٰى غَيْبُوبَةِ الْمَحْبُوبَاتِ مِنَ الدُّنْيَا ، لِبَقَآئِهَا فِي دَآئِرَةِ عِلْمِ شَاهِدِهَا وَفِي نَظَرِهِ ؛ **وَهُوَ الصَّاحِبُ الْفَاطِرُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا كَدَرَ عَلٰى زَوَالِ الْمُسْتَحْسَنَاتِ ، لِدَوَامِ مَنْشَأِ مَحَاسِنِهَا فِيٓ أَسْمَآءِ فَاطِرِهَا ؛ **وَهُوَ الْوَارِثُ الْبَاعِثُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا تَلَهُّفَ عَلٰى فِرَاقِ الْأَحْبَابِ ، لِبَقَآءِ مَنْ يَرِثُهُمْ وَيَبْعَثُهُمْ ؛ **وَهُوَ الْجَمِيلُ الْجَلِيلُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا تَحَزُّنَ عَلٰى زَوَالِ الْجَمِيلَاتِ الَّتِي هِيَ مَرَايَا لِلْأَسْمَآءِ الْجَمِيلَاتِ ، لِبَقَآءِ الْأَسْمَآءِ بِجَمَالِهَا بَعْدَ زَوَالِ الْمَرَايَا ؛ **وَهُوَ الْمَعْبُودُ الْمَحْبُوبُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا تَأَلُّمَ مِنْ زَوَالِ الْمَحْبُوبَاتِ الْمَجَازِيَّةِ ، لِبَقَآءِ الْمَحْبُوبِ الْحَقِيقِيِّ ؛ **وَهُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ الْوَدُودُ الرَّؤُوفُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا غَمَّ وَلَا مَأْيُوسِيَّةَ وَلَآ أَهَمِّيَّةَ مِنْ زَوَالِ الْمُنْعِمِينَ الْمُشْفِقِينَ الظَّاهِرِينَ ، لِبَقَآءِ مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ وَشَفَقَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ **وَهُوَ الْجَمِيلُ اللَّطِيفُ الْعَطُوفُ الْبَاقِي** ؛ فَلَا حِرْقَةَ وَلَا عِبْرَةَ بِزَوَالِ اللَّطِيفَاتِ الْمُشْفِقَاتِ ، لِبَقَآءِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَ كُلِّهَا ، وَلَا يَقُومُ الْكُلُّ مَقَامَ تَجَلٍّ وَاحِدٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ ؛ فَبَقَآؤُهُ بِهٰذِهِ الْأَوْصَافِ يَقُومُ مَقَامَ كُلِّ مَا فَنٰى وَزَالَ مِنْ أَنْوَاعِ مَحْبُوبَاتِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الدُّنْيَا . .

﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . .

نَعَمْ : حَسْبِي مِنْ بَقَآءِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، بَقَآءُ مَالِكِهَا وَصَانِعِهَا وَفَاطِرِهَا . .

= وَظُلُمَاتٍ هَائِلَةٍ ؛ فَوَضَعْتُ لِتَذَكُّرِي ، إِشَارَاتٍ بِفِقْرَاتٍ فِي غَايَةِ الْاِخْتِصَارِ ، وَأَحْيَاناً بِبَعْضِ كَلِمَاتٍ ، لِلْإِشَارَةِ إِلٰى تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ . فَأَمَّا تِلْكَ الْفِقْرَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الصَّدْرِ ، فَهِيَ أَنِّي تَصَوَّرْتُ زَوَالَ الدُّنْيَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مَحْبُوبَةٌ لِي كَكُلِّ أَحَدٍ ؛ وَتَصَوَّرْتُ فَنَاءَهَا ، وَمَوْتَ مَا فِيهَا مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ فَوَجَدْتُ آيَةَ ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ عِلَاجاً لِعِلَلِيَ الْعَمِيقَةِ الْأَلِيمَةِ كَثِيراً ؛ فَلِذٰلِكَ تَدُومُ الْجُمَلُ الْمَذْكُورَةُ فِي الصَّدْرِ ، حَسَبَ هٰذَا السِّرِّ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ :

حَسْبِي(١) مِنْ بَقَآئِيَ أَنَّ اللهَ هُوَ إِلٰهِيَ(٢) الْبَاقِي ، وَخَالِقِيَ الْبَاقِي ، وَمُوجِدِيَ الْبَاقِي ، وَفَاطِرِيَ الْبَاقِي ، وَمَالِكِيَ الْبَاقِي ، وَشَاهِدِيَ الْبَاقِي ، وَمَعْبُودِيَ الْبَاقِي ، وَبَاعِثِيَ الْبَاقِي ؛ فَلَا بَأْسَ وَلَا حُزْنَ ، وَلَا تَأَسُّفَ وَلَا تَحَسُّرَ عَلٰى زَوَالِ وُجُودِي لِبَقَآءِ مُوجِدِي ، وَإِيجَادِهِ بِأَسْمَآئِهِ ؛ وَمَا فِي شَخْصِي مِنْ صِفَةٍ إِلَّا وَهِيَ مِنْ شُعَاعِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَآئِهِ الْبَاقِيَةِ ؛ فَزَوَالُ تِلْكَ الصِّفَةِ وَفَنَآؤُهَا ، لَيْسَ إِعْدَاماً لَهَا ، لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي دَآئِرَةِ الْعِلْمِ ، وَبَاقِيَةٌ وَمَشْهُودَةٌ لِخَالِقِهَا . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْبَقَآءِ وَلَذَّتِهِ ، عِلْمِي وَإِذْعَانِي ، وَشُعُورِي وَإِيمَانِي ، بِأَنَّهُ إِلٰهِيَ الْبَاقِي ، الْمُتَمَثِّلُ شُعَاعُ اسْمِهِ الْبَاقِي فِي مِرْآةِ مَاهِيَّتِي ؛ وَمَا حَقِيقَةُ مَاهِيَّتِي إِلَّا ظِلٌّ لِذٰلِكَ الِاسْمِ ؛ فَبِسِرِّ تَمَثُّلِهِ فِي مِرْآةِ حَقِيقَتِي ، صَارَتْ نَفْسُ حَقِيقَتِي مَحْبُوبَةً ، لَا لِذَاتِهَا ، بَلْ بِسِرِّ

---

(١) إِنِّي كَمَا رَأَيْتُ وَرَاءَ فَنَاءِ الْآفَاقِ ، وَزَوَالِ الدُّنْيَا ، جَلَوَاتِ الْأَسْمَاءِ الْبَاقِيَةِ مِنْ أَسْمَاءِ الْبَاقِي الْجَلِيلِ ؛ كَذٰلِكَ نَظَرْتُ إِلَى نَفْسِي ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ طَبَقَاتِ مَوْجُودَاتٍ نَفْسِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ فِي شَخْصِي ، وَصِفَاتٍ وَحَقَائِقَ شَخْصِيَّةً أَنَا مَشْغُوفٌ بِهَا ، تَسْبِقُ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ إِلَى الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ؛ فَلِذٰلِكَ طَلَبْتُ بَقَاءً فِي تِلْكَ الْفَانِيَاتِ ، بِسِرِّ عِشْقِ الْبَقَاءِ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ؛ فَرَأَيْتُ جِلْوَةَ أَسْمَاءِ خَالِقِي مِنْ جَلَوَاتِهَا الْبَاقِيَةِ ؛ وَشَاهَدْتُ فِي زَوَالِ كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِي ، جِلْوَةً بَاقِيَةً مِنْ جَلَوَاتِ اسْمٍ يَتَمَثَّلُ فِيهَا ؛ وَعَلِمْتُ قَطْعاً أَنَّ مَا فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ عِشْقِ الْبَقَاءِ ، مَحَبَّةٌ تَشَعَّبَتْ مِنَ الْمَحَبَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فَتَطْلُبُ مَحْبُوبَهَا بِصُورَةٍ خَاطِئَةٍ ؛ وَقَدْ كَانَ مِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ أَنْ يَطْلُبَ مَا تَمَثَّلَ فِي الْمِرْآةِ ؛ وَيُحِبَّهُ ؛ فَإِنَّهُ شَرَعَ يُحِبُّ الْمِرْآةَ ، أَوْ كَيْفِيَّةَ التَّمَثُّلِ ، الَّتِي صَارَتْ بِمَثَابَةِ الزِّينَةِ لِلْمِرْآةِ ؛ فَيَعْبُدُ «أَنَا» بَدَلاً عَنْ «هُوَ» ؛ فَيَفْهَمُ خَطَأَهُ بَعْدَ زَوَالِهَا ؛ فَإِنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ وَمَاهِيَّتَهُ ، مِرْآةٌ ذَاتُ شُعُورٍ تُحِسُّ مَا تَمَثَّلَ فِيهَا ، بِالشُّعُورِ ؛ وَتُحِبُّهُ بِعِشْقِ الْبَقَاءِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

(٢) إِنَّ الْيَاءَ فِي هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّمَانِيَةِ ، ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ يُظْهِرُ نَفْسَهُ بِالْفَتْحِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

مَا فِيهَا ؛ وَبَقَآءُ مَا تَمَثَّلَ فِيهَآ أَنْوَاعُ بَقَآءٍ لَهَا . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : (١)

«حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» ؛ إِذْ هُوَ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ الَّذِي مَا هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتُ السَّيَّالاَتُ ، إِلّا مَظَاهِرُ لِتَجَدُّدِ تَجَلِّيَاتِ إِيجَادِهِ وَوُجُودِهِ ؛ بِهِ وَبِالاِنْتِسَابِ إِلَيْهِ وَبِمَعْرِفَتِهِ ، أَنْوَارُ الْوُجُودِ بِلاَ حَدٍّ ؛ وَبِدُونِهِ ظُلُمَاتُ الْعَدَمَاتِ وَآلاَمُ الْفِرَاقَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَاتِ . .

وَمَا هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتُ السَّيَّالَةُ ، إِلّا وَهِيَ مَرَايَا ؛ وَهِيَ مُتَجَدِّدَةٌ بِتَبَدُّلِ التَّعَيُّنَاتِ الاِعْتِبَارِيَّةِ فِي فَنَآئِهَا وَزَوَالِهَا وَبَقَآئِهَا بِسِتَّةِ وُجُوهٍ :

اَلْأَوَّلُ : بَقَآءُ مَعَانِيهَا الْجَمِيلَةِ وَهُوِيَّاتِهَا الْمِثَالِيَّةِ . .

وَالثَّانِي : بَقَآءُ صُوَرِهَا فِي الْأَلْوَاحِ الْمِثَالِيَّةِ . .

وَالثَّالِثُ : بَقَآءُ ثَمَرَاتِهَا الْأُخْرَوِيَّةِ . .

وَالرَّابِعُ : بَقَآءُ تَسْبِيحَاتِهَا الرَّبَّانِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ لَهَا ، الَّتِي هِيَ نَوْعُ وُجُودٍ لَهَا . .

وَالْخَامِسُ : بَقَآؤُهَا فِي الْمَشَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَالْمَنَاظِرِ السَّرْمَدِيَّةِ . .

---

(١) لَقَدْ كُنْتُ أَتَفَكَّرُ بِالتَّخَطُّرِ ، مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ ، تَفَكُّرَاتٍ مِنْ قَبِيلِ إِشَارَاتٍ مُجْمَلَةٍ غَايَةَ الْإِجْمَالِ ، إِلَى مَرَاتِبِ حَقِيقَةٍ مُهِمَّةٍ أُوضِحَتْ بِخَمْسِ إِشَارَاتٍ ، وَخَمْسَةِ رُمُوزٍ ، فِي «الْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» الَّذِي كَشَفَ طِلَسْمَ الْفَعَّالِيَّةِ الدَّائِمَةِ فِي الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ، وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، الْمُتَمَادِيَةِ الَّتِي هِيَ أَهَمُّ مُعَمَّى الْكَائِنَاتِ . وَتُبَيِّنُ تِلْكَ النُّكْتَةُ أَنَّ الْفَنَاءَ وَالزَّوَالَ وَالْعَدَمَ ، عُنْوَانٌ لِوُجُودَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَنَّهَا تُثْمِرُ وُجُودَاتٍ كَثِيرَةً ؛ وَأَنَّ شَيْئاً يَرْتَحِلُ إِلَى الزَّوَالِ ، يَتْرُكُ فِي مَكَانِهِ وُجُودَاتٍ كَثِيرَةً ؛ وَأَنَّ مَوْتَ ذِي حَيَاةٍ وَزَوَالَهُ ، يُثْمِرُ وُجُودَاتٍ كَثِيرَةً وَيَتْرُكُهَا وَرَاءَهُ ؛ ثُمَّ يَذْهَبُ . نَعَمْ : إِنَّ فَانِياً يَبْقَى بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَإِنَّ نَوَاةً تَمُوتُ بِالتَّفَسُّخِ ؛ وَتَتْرُكُ فِي مَوْضِعِهَا سُنْبُلاً جَامِعاً لِمِئَةِ حَبَّةٍ ؛ فَعَلَى هٰذَا السِّرِّ ، أَنَّ التَّوَحُّشَ مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ ، وَالتَّأَسُّفَ عَنِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ، لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

وَالسَّادِسُ : بَقَآءُ أَرْوَاحِهَآ إِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ[١] ؛ وَمَا وَظِيفَتُهَا فِي كَيْفِيَّاتِهَا الْمُتَخَالِفَةِ فِي مَوْتِهَا وَفَنَآئِهَا ، وَزَوَالِهَا وَعَدَمِهَا ، وَظُهُورِهَا وَانْطِفَآئِهَآ ، إِلَّآ إِظْهَارُ الْمُقْتَضَيَاتِ لِأَسْمَآءٍ إِلٰهِيَّةٍ . فَمِنْ سِرِّ هٰذِهِ الْوَظِيفَةِ ، صَارَتِ الْمَوْجُودَاتُ كَسَيْلٍ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ ، تَتَمَوَّجُ مَوْتاً وَحَيَاةً ، وَوُجُوداً وَعَدَماً ؛ وَمِنْ هٰذِهِ الْوَظِيفَةِ ، تَتَظَاهَرُ الْفَعَّالِيَّةُ الدَّآئِمَةُ ، وَالْخَلَّاقِيَّةُ الْمُسْتَمِرَّةُ ؛ فَلَا بُدَّ لِي وَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ : ﴿حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، يَعْنِي : حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ ، أَنِّيَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ وَاجِبِ الْوُجُودِ ؛ كَفَانِيَ آنٌ سَيَّالٌ مِنْ هٰذَا الْوُجُودِ الْمُنَوِّرِ الْمَظْهَرِ ، مِنْ مَلَايِينِ سَنَةٍ مِنَ الْوُجُودِ الْمُزَوَّرِ الْأَبْتَرِ . .

نَعَمْ : بِسِرِّ الِانْتِسَابِ الْإِيمَانِيِّ ، تَقُومُ دَقِيقَةٌ مِنَ الْوُجُودِ مَقَامَ أُلُوفِ سَنَةٍ بِلَا انْتِسَابٍ إِيمَانِيٍّ ؛ بَلْ تِلْكَ الدَّقِيقَةُ أَتَمُّ وَأَوْسَعُ بِمَرَاتِبَ مِنْ تِلْكَ الْآلَافِ السَّنَةِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ وَقِيمَتِهِ ، أَنِّي صَنْعَةُ مَنْ هُوَ فِي السَّمَآءِ عَظَمَتُهُ ، وَفِي الْأَرْضِ آيَاتُهُ ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ وَكَمَالِهِ ، أَنِّي مَصْنُوعُ مَنْ زَيَّنَ وَنَوَّرَ السَّمَآءَ بِمَصَابِيحَ ، وَزَيَّنَ وَبَهَّرَ الْأَرْضَ بِأَزَاهِيرَ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْفَخْرِ وَالشَّرَفِ ، أَنِّي مَخْلُوقٌ وَمَمْلُوكٌ وَعَبْدٌ لِمَنْ هٰذِهِ الْكَآئِنَاتُ

---

(١) وَذٰلِكَ كَمَا بُرْهِنَ عَلٰى بَقَائِهَا بِالْقَطْعِ وَبِالضَّرُورَةِ ، بِبَرَاهِينَ بَاهِرَةٍ فِي الْمَقَالَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ ، يَبْقَى قَوَانِينُ حَقِيقَتِهَا وَخِلْقَتِهَا ، وَنَوَامِيسُ مَاهِيَّتِهَا ، وَدَسَاتِيرُ تَشَكُّلِهَا ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْقَانُونَ وَالنَّامُوسَ وَالدُّسْتُورَ ، رُوحٌ أَمْرِيٌّ لِذٰلِكَ الْفَرْدِ وَنَوْعِهِ ؛ كَمَا أَنَّ شَجَرَةَ التِّينِ تَمُوتُ وَتَنْعَدِمُ ؛ وَيَبْقَى رُوحُهَا الْأَمْرِيُّ الَّذِي هُوَ قَوَانِينُ تَشَكُّلِهَا ؛ وَيَدُومُ فِي نَوَاتِهَا الشَّبِيهَةِ بِالذَّرَّةِ ؛ وَلَا يَمُوتُ ذٰلِكَ الرُّوحُ الْأَمْرِيُّ ؛ بَلْ يَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ الصُّوَرُ ؛ بَلْ تَدُومُ مَاهِيَّةُ ذِي الْحَيَاةِ ؛ إِذْ مَاهِيَّتُهُ ظِلُّ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الْبَاقِيَةِ ؛ فَتَبْقَى تِلْكَ الْمَاهِيَّةُ تَحْتَ شُعَاعِ ذٰلِكَ الِاسْمِ الْبَاقِي ؛ وَتَبْقَى هُوِيَّتُهُ أَيْضاً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْوَاحِ الْمِثَالِيَّةِ ؛ فَلَا يَكُونُ الْعَدَمُ إِلَّا عُنْوَاناً لِانْتِقَالِ وُجُودٍ زَائِلٍ إِلٰى وُجُودَاتٍ دَائِمَةٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

بِجَمِيعِ كَمَالاَتِهَا وَمَحَاسِنِهَا ، ظِلٌّ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى كَمَالِهِ وَجَمَالِهِ ، وَمِنْ آيَاتِ كَمَالِهِ وَإِشَارَاتِ جَمَالِهِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَنْ يَدَّخِرُ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصٰى مِنْ نِعَمِهِ فِي صُنَيْدِقَاتٍ لَطِيفَةٍ هِيَ بَيْنَ «الْكَافِ وَالنُّونِ» ؛ فَيَدَّخِرُ بِقُدْرَتِهِ مَلاَيِينَ قِنْطَارٍ فِي قَبْضَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهَا صُنَيْدِقَاتٌ لَطِيفَةٌ تُسَمّٰى بُذُوراً وَنَوَاةً . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ ذِي جَمَالٍ وَذِي إِحْسَانٍ ، الْجَمِيلُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي مَا هٰذِهِ الْمَصْنُوعَاتُ الْجَمِيلاَتُ ، إِلَّا مَرَايَا مُتَفَانِيَةٌ لِتَجَدُّدِ أَنْوَارِ جَمَالِهِ بِمَرِّ الْفُصُولِ ، وَالْعُصُورِ وَالدُّهُورِ ؛ وَهٰذِهِ النِّعَمُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَالْأَثْمَارُ الْمُتَعَاقِبَةُ فِي الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ ، مَظَاهِرُ لِتَجَدُّدِ مَرَاتِبِ إِنْعَامِهِ الدَّآئِمِ عَلٰى مَرِّ الْأَنَامِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَمَاهِيَّتِهَا ، أَنِّي خَرِيطَةٌ وَفِهْرِسْتَةٌ وَفَذْلَكَةٌ ، وَمِيزَانٌ وَمِقْيَاسٌ لِجَلَوَاتِ أَسْمَآءِ خَالِقِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَوَظِيفَتِهَا ، كَوْنِي كَكَلِمَةٍ مَكْتُوبَةٍ بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ ، وَمُفْهِمَةٍ دَالَّةٍ عَلَى أَسْمَآءِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ ، الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، بِمَظْهَرِيَّةِ حَيَاتِي لِلشُّؤُونِ الذَّاتِيَّةِ لِفَاطِرِي الَّذِي لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنٰى . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَحُقُوقِهَا ، إِعْلاَنِي وَتَشْهِيرِي بَيْنَ إِخْوَانِيَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَإِعْلاَنِي وَإِظْهَارِي لِنَظَرِ شُهُودِ خَالِقِ الْكَآئِنَاتِ ، بِتَزَيُّنِي بِجَلَوَاتِ أَسْمَآءِ خَالِقِيَ الَّذِي زَيَّنَنِي بِمُرَصَّعَاتِ حُلَّةِ وُجُودِي ، وَخِلْعَةِ فِطْرَتِي ، وَقِلاَدَةِ حَيَاتِيَ الْمُنْتَظَمَةِ الَّتِي فِيهَا مُزَيَّنَاتُ هَدَايَا رَحْمَتِهِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ حُقُوقِ حَيَاتِي ، فَهْمِي لِتَحِيَّاتِ ذَوِي الْحَيَاةِ لِوَاهِبِ الْحَيَاةِ ، وَشُهُودِي لَهَا وَشَهَادَاتٌ عَلَيْهَا . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ حُقُوقِ حَيَاتِي ، تَبَرُّجِي وَتَزَيُّنِي بِمُرَصَّعَاتِ جَوَاهِرِ إِحْسَانِهِ ،

بِشُعُورٍ إِيمَانِيٍّ ، لِلْعَرْضِ لِنَظَرِ شُهُودِ سُلْطَانِيَ الْأَزَلِيِّ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَلَذَّتِهَا ، عِلْمِي وَإِذْعَانِي ، وَشُعُورِي وَإِيمَانِي ، بِأَنِّي عَبْدُهُ وَمَصْنُوعُهُ ، وَمَخْلُوقُهُ وَفَقِيرُهُ ، وَمُحْتَاجٌ إِلَيْهِ ؛ وَهُوَ خَالِقِي رَحِيمٌ بِي ، كَرِيمٌ لَطِيفٌ ، مُنْعِمٌ عَلَيَّ ، يُرَبِّينِي كَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَقِيمَتِهَا ، مِقْيَاسِيَّتِي بِأَمْثَالِ عَجْزِيَ الْمُطْلَقِ ، وَفَقْرِيَ الْمُطْلَقِ وَضَعْفِيَ الْمُطْلَقِ ، لِمَرَاتِبِ قُدْرَةِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ ، وَدَرَجَاتِ رَحْمَةِ الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ ، وَطَبَقَاتِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ الْمُطْلَقِ . .

وَكَذَا حَسْبِي بِمَعْكَسِيَّتِي بِجُزْئِيَّاتِ صِفَاتِي مِنَ الْعِلْمِ ، وَالْإِرَادَةِ ، وَالْقُدْرَةِ الْجُزْئِيَّةِ ، لِفَهْمِ الصِّفَاتِ الْمُحِيطَةِ لِخَالِقِي . فَأَفْهَمُ عِلْمَهُ الْمُحِيطَ بِمِيزَانِ عِلْمِيَ الْجُزْئِيِّ ، وَهٰكَذَا . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْكَمَالِ ، عِلْمِي بِأَنَّ إِلٰهِي هُوَ الْكَامِلُ الْمُطْلَقُ ؛ فَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنَ الْكَمَالِ ، مِنْ آيَاتِ كَمَالِهِ ، وَإِشَارَاتٌ إِلَى كَمَالِهِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْكَمَالِ فِي نَفْسِي ، الْإِيمَانُ بِاللهِ ؛ إِذِ الْإِيمَانُ لِلْبَشَرِ ، مَنْبَعٌ لِكُلِّ كَمَالاتِهِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِأَنْوَاعِ حَاجَاتِيَ الْمَطْلُوبَةِ بِأَنْوَاعِ أَلْسِنَةِ جِهَازَاتِيَ الْمُخْتَلِفَةِ ، إِلٰهِي وَرَبِّي ، وَخَالِقِي وَمُصَوِّرِي ، الَّذِي لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَى ، الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ؛ وَيُرَبِّينِي وَيُدَبِّرُنِي وَيُكَلِّمُنِي ؛ جَلَّ جَلالُهُ ؛ وَعَمَّ نَوَالُهُ . .

اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ :

حَسْبِي لِكُلِّ مَطَالِبِي ، مَنْ فَتَحَ صُورَتِي وَصُورَةَ أَمْثَالِي مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ فِي الْمَآءِ ، بِلَطِيفِ صُنْعِهِ ، وَلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَلَطِيفِ رُبُوبِيَّتِهِ . .

وَكَذَا حَسْبِي لِكُلِّ مَقَاصِدِي ، مَنْ أَنْشَأَنِي ؛ وَشَقَّ سَمْعِي وَبَصَرِي ؛ وَأَدْرَجَ فِي جِسْمِي

لِسَاناً وَجَنَاناً ؛ وَأَوْدَعَ فِيهَا وَفِي جِهَازَاتِي ، مَوَازِينَ حَسَّاسَةً لَا تُعَدُّ ، لِوَزْنِ مُدَّخَرَاتِ أَنْوَاعِ خَزَآئِنِ رَحْمَتِهِ ؛ وَكَذَآ أَدْمَجَ فِي لِسَانِي وَجَنَانِي وَفِطْرَتِي ، آلَاتٍ حَسَّاسَةً لَا تُحْصٰى ، لِفَهْمِ أَنْوَاعِ كُنُوزِ أَسْمَآئِهِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ أَدْرَجَ فِي شَخْصِيَ الصَّغِيرِ الْحَقِيرِ ؛ وَأَدْمَجَ فِي وُجُودِيَ الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ ، هٰذِهِ الْأَعْضَآءَ وَالْآلَاتِ ، وَهٰذِهِ الْجَوَارِحَ وَالْجِهَازَاتِ ، وَهٰذِهِ الْحَوَاسَّ وَالْحِسِّيَّاتِ ، وَهٰذِهِ اللَّطَآئِفَ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ ، لِإِحْسَاسِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ ، وَلِإِذَاقَةِ أَكْثَرِ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَآئِهِ بِجَلِيلِ أُلُوهِيَّتِهِ ، وَجَمِيلِ رَحْمَتِهِ ، وَبِكَبِيرِ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَكَرِيمِ رَأْفَتِهِ ، وَبِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، وَلَطِيفِ حِكْمَتِهِ . .

اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ :

لَا بُدَّ لِي وَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ حَالاً وَقَالاً ، مُتَشَكِّراً وَمُفْتَخِراً : حَسْبِي مَنْ خَلَقَنِي ؛ وَأَخْرَجَنِي مِنْ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ ؛ وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنُورِ الْوُجُودِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي حَيّاً ؛ فَأَنْعَمَ عَلَيَّ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ الَّتِي تُعْطِي لِصَاحِبِهَا كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَتُمِدُّ يَدَ صَاحِبِهَآ إِلٰى كُلِّ شَيْءٍ . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِيَ إِنْسَاناً ؛ فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي صَيَّرَتِ الْإِنْسَانَ عَالَماً صَغِيراً ، أَكْبَرَ مَعْنًى مِنَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مُؤْمِناً ؛ فَأَنْعَمَ عَلَيَّ نِعْمَةَ الْإِيمَانِ الَّذِي يُصَيِّرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، كَسُفْرَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ مِنَ النِّعَمِ ، يُقَدِّمُهُمَآ إِلَى الْمُؤْمِنِ بِيَدِ الْإِيمَانِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مِنْ أُمَّةِ «حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ» (عليه الصلاة والسلام) ؛ فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا فِي الْإِيمَانِ مِنَ الْمُحَبَّةِ وَالْمَحْبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْلٰى مَرَاتِبِ الْكَمَالَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ وَبِتِلْكَ الْمُحَبَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، تَمْتَدُّ أَيَادِي اسْتِفَادَةِ الْمُؤْمِنِ ، إِلٰى مَا لَا يَتَنَاهٰى مِنْ مُشْتَمِلَاتِ دَآئِرَةِ الْإِمْكَانِ وَالْوُجُوبِ . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ فَضَّلَنِي جِنساً وَنَوْعاً ، وَدِيناً وَإِيمَاناً ، عَلٰى كَثِيرٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ؛ فَلَمْ يَجْعَلْنِي جَامِداً ، وَلَا حَيْوَاناً ، وَلَا ضَالّاً ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مَظْهَراً جَامِعاً لِتَجَلِّيَاتِ أَسْمَآئِهِ ؛ وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةٍ لَا تَسَعُهَا الْكَآئِنَاتُ ، بِسِرِّ حَدِيثِ : **(لَا يَسَعُنِيَ أَرْضِي وَلَا سَمَآئِي وَيَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ)** ؛ يَعْنِيَ : **أَنَّ الْمَاهِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ ، مَظْهَرٌ جَامِعٌ لِجَمِيعِ تَجَلِّيَاتِ الْأَسْمَآءِ الْمُتَجَلِّيَةِ فِي جَمِيعِ الْكَآئِنَاتِ** . .

وَكَذَا حَسْبِي مَنِ اشْتَرٰى مُلْكَهُ الَّذِي عِنْدِي مِنِّي ، لِيَحْفَظَهُ لِي ؛ ثُمَّ يُعِيدَهُ إِلَيَّ ؛ وَأَعْطَانَا ثَمَنَهُ الْجَنَّةَ ؛ فَلَهُ الشُّكْرُ ؛ وَلَهُ الْحَمْدُ ، بِعَدَدِ ضَرْبِ ذَرَّاتِ وُجُودِي فِي ذَرَّاتِ الْكَآئِنَاتِ . .

حَسْبِي رَبِّي جَلَّ اللّٰهْ ❁

نُورْ مُحَمَّدْ صَلَّى اللّٰهْ ❁

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهْ ❁

حَسْبِي رَبِّي جَلَّ اللّٰهْ ❁

سِرُّ قَلْبِي ذِكْرُ اللّٰهْ ❁

ذِكْرُ أَحْمَدْ صَلَّى اللّٰهْ ❁

لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهْ ❁

اَلْبَابُ السَّابِعُ :

فِي «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» . .(١)

وَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الْمُبَارَكَةُ ، خَامِسَةٌ مِنَ الْخَمْسِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الْمَشْهُورَاتِ الَّتِي هِيَ : «سُبْحَانَ اللهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلهِ ؛ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ؛ وَاللهُ أَكْبَرُ ؛ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَالِكِي ! لِي فَقْرٌ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ حَاجَاتِي وَمَطَالِبِي لَا تُعَدُّ وَلَا

(١) لَقَدْ بَيَّنَّا فِي كَثِيرٍ مِنَ الرَّسَائِلِ : أَنَّ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ ، عَجْزاً بِلَا حَدٍّ ، وَفَقْراً بِلَا نِهَايَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ لَهُ أَعْدَاءً لَا حَدَّ لَهَا ، وَمَطَالِبَ لَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ فَالْإِنْسَانُ يَحْتَاجُ فِطْرَةً مِنْ هٰذَا الْعَجْزِ وَالْفَقْرِ ، إِلَى الِالْتِجَاءِ إِلَى قَدِيرٍ رَحِيمٍ ؛ فَكَمَا أَنَّ آيَةَ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ تُظْهِرُ جُمْلَتُهَا الْأُولٰى عِلَاجاً لِعَجْزِهِ ، وَمَلْجَأً أَمَامَ كُلِّ أَعْدَائِهِ ، كَمَا تُظْهِرُ جُمْلَةُ : ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ دَوَاءً لِفَقْرِهِ ، وَوَسِيلَةً لِجَمِيعِ مَطَالِبِهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ جُمْلَةَ ﴿لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾ ، عِلَاجٌ لِعَجْزِ الْبَشَرِ وَفَقْرِهِ ، كَجُمْلَةِ ﴿حَسْبُنَا اللهُ﴾ بِعَيْنِهَا فِي صُورَةٍ أُخْرٰى ؛ فَإِنَّ كَلِمَةَ (لَا حَوْلَ) تُفِيدُ أَنَّ نُقْطَةَ اسْتِنَادِهِ ، هِيَ تَبَرُّؤُهُ مِنْ قُوَّتِهِ ، مَعَ الِالْتِجَاءِ إِلَى الْقُوَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتُفِيدُ كَلِمَةُ (لَا قُوَّةَ) أَنَّ الْوَسِيلَةَ الْمُطْلَقَةَ لِمَطَالِبِهِ وَحَاجَاتِهِ ، هِيَ التَّوَكُّلُ ، مَعَ الِاعْتِمَادِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ . وَإِنِّي كُنْتُ أَحْسَسْتُ بِالتَّجْرِبَةِ فِي نَفْسِي ، مَرَاتِبَ كَثِيرَةً جِدّاً ، مِنْ مَرَاتِبِ جُمْلَةِ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ» هٰذِهِ ؛ فَوَضَعْتُ عَلٰى تِلْكَ الْمَرَاتِبِ ، إِشَارَاتٍ بِكَلِمَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ ؛ فَأُلَاحِظُ تِلْكَ الْمَرَاتِبَ ، بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ . . وَيُذْكَرُ فِي هٰذَا الْبَابِ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَرْمُزُ إِلٰى تِلْكَ الْمَرَاتِبِ ، بِعَيْنِهَا . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

تُحْصٰى ؛ وَتَقْصُرُ يَدِي عَنْ أَدْنٰى مَطَالِبِي ؛ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِكَ يَا رَبِّيَ الرَّحِيمَ ! وَيَا خَالِقِيَ الْكَرِيمَ ! يَا حَسِيبُ يَا وَكِيلُ يَا كَافِي . .

إِلٰهِي ! اخْتِيَارِي كَشَعْرَةٍ ضَعِيفَةٍ ؛ وَآمَالِي لَا تُحْصٰى ؛ فَأَعْجِزُ دَآئِماً عَمَّا لَآ أَسْتَغْنِي عَنْهَآ أَبَداً ؛ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِكَ يَا غَنِيُّ يَا كَرِيمُ ، يَا كَفِيلُ يَا وَكِيلُ ، يَا حَسِيبُ يَا كَافِي . .

إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَمَالِكِي ! اقْتِدَارِي كَذَرَّةٍ ضَعِيفَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ الْأَعْدَآءَ وَالْعِلَلَ ، وَالْأَوْهَامَ وَالْأَهْوَالَ ، وَالْآلَامَ وَالْأَسْقَامَ ، وَالظُّلُمَاتِ وَالضَّلَالَ ، وَالْأَسْفَارَ الطِّوَالَ ، مَا لَا تُحْصٰى ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْهَا ، وَلَا قُوَّةَ عَلٰى مُقَابَلَتِهَآ ، إِلّا بِكَ يَا قَوِيُّ يَا قَدِيرُ ، يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ ، يَا حَفِيظُ يَا وَكِيلُ . .

إِلٰهِي ! حَيَاتِي كَشُعْلَةٍ تَنْطَفِئُ كَأَمْثَالِي ؛ وَآمَالِي لَا تُحْصٰى ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْ طَلَبِ تِلْكَ الْآمَالِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلٰى تَحْصِيلِهَآ ، إِلّا بِكَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا حَسِيبُ يَا كَافِي ، يَا وَكِيلُ يَا وَافِي . .

إِلٰهِي ! عُمُرِي كَدَقِيقَةٍ تَنْقَضِي كَأَقْرَانِي ؛ مَعَ أَنَّ مَقَاصِدِي وَمَطَالِبِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْهَا ، وَلَا قُوَّةَ عَلَيْهَآ ، إِلّا بِكَ يَآ أَزَلِيُّ يَآ أَبَدِيُّ ، يَا حَسِيبُ يَا كَافِي ، يَا وَكِيلُ يَا وَافِي . .

إِلٰهِي ! شُعُورِي كَلَمْعَةٍ تَزُولُ ؛ مَعَ أَنَّ مَا يَلْزَمُ مُحَافَظَتُهُ مِنْ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِكَ ؛ وَمَا يَلْزَمُ التَّحَفُّظُ مِنْهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالضَّلَالَاتِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَالضَّلَالَاتِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلٰى هَاتِيكَ الْأَنْوَارِ وَالْهِدَايَاتِ ، إِلّا بِكَ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ ، يَا حَسِيبُ يَا كَافِي ، يَا حَفِيظُ يَا وَكِيلُ . .

إِلٰهِي ! لِي نَفْسٌ هَلُوعٌ ، وَقَلْبٌ جَزُوعٌ ، وَصَبْرٌ ضَعِيفٌ ، وَجِسْمٌ نَحِيفٌ ، وَبَدَنٌ عَلِيلٌ ذَلِيلٌ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَحْمُولَ عَلَيَّ مِنَ الْأَحْمَالِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ثَقِيلٌ ثَقِيلٌ ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْ

تِلْكَ الْأَحْمَالِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى حَمْلِهَآ ، إِلَّا بِكَ يَا رَبِّي الرَّحِيمَ ، يَا خَالِقِيَ الْكَرِيمَ ، يَا حَسِيبُ يَا كَافِي ، يَا وَكِيلُ يَا وَافِي . .

إِلٰهِي ! لِي مِنَ الزَّمَانِ آنٌ يَسِيلُ فِي سَيْلٍ وَاسِعٍ سَرِيعِ الْجَرَيَانِ ؛ وَلِي مِنَ الْمَكَانِ مِقْدَارُ الْقَبْرِ ، مَعَ عَلَاقَتِي بِسَآئِرِ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ ؛ فَلَا حَوْلَ عَنِ الْعَلَاقَةِ عَنْهَا ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَا فِيهَآ ، إِلَّا بِكَ يَا رَبَّ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَكْوَانِ ، وَيَا رَبَّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ ، يَا حَسِيبُ يَا كَافِي ، يَا كَفِيلُ يَا وَافِي . .

إِلٰهِي ! لِي عَجْزٌ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَضَعْفٌ بِلَا غَايَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ أَعْدَآئِي وَمَا يُؤْلِمُنِي ، وَمَآ أَخَافُ مِنْهُ وَمَا يُهَدِّدُنِي مِنَ الْبَلَايَا وَالْآفَاتِ مَا لَا تُحْصَى ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْ هَجَمَاتِهَا ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى دَفْعِهَآ ، إِلَّا بِكَ يَا قَوِيُّ يَا قَدِيرُ ، يَا قَرِيبُ يَا رَقِيبُ ، يَا كَفِيلُ يَا وَكِيلُ ، يَا حَفِيظُ يَا كَافِي . .

إِلٰهِي ! لِي فَقْرٌ بِلَا غَايَةٍ ، وَفَاقَةٌ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ حَاجَاتِي وَمَطَالِبِي وَوَظَآئِفِي مَا لَا تُحْصَى ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْهَا ، وَلَا قُوَّةَ عَلَيْهَآ ، إِلَّا بِكَ يَا غَنِيُّ يَا كَرِيمُ ، يَا مُغْنِي يَا رَحِيمُ . .

إِلٰهِي ! تَبَرَّأْتُ إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي وَقُوَّتِي ؛ وَالْتَجَأْتُ إِلَى حَوْلِكِ وَقُوَّتِكَ ؛ فَلَا تَكِلْنِي إِلَى حَوْلِي وَقُوَّتِي ؛ وَارْحَمْ عَجْزِي وَضَعْفِي ، وَفَقْرِي وَفَاقَتِي ؛ فَقَدْ ضَاقَ صَدْرِي ؛ وَضَاعَ عُمْرِي ؛ وَفَنَى صَبْرِي ؛ وَتَاهَ فِكْرِي ؛ وَأَنْتَ الْعَالِمُ بِسِرِّي وَجَهْرِي ؛ وَأَنْتَ الْمَالِكُ لِنَفْعِي وَضَرِّي ؛ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى تَفْرِيجِ كَرْبِي ، وَتَيْسِيرِ عُسْرِي ؛ فَفَرِّجْ كُلَّ كَرْبَتِي ؛ وَيَسِّرْ عَلَيَّ وَعَلَى إِخْوَانِي كُلَّ عَسِيرٍ . .

إِلٰهِي ! لَا حَوْلَ عَنِ الزَّمَانِ الْآتِي وَعَنْ أَهْوَالِهِ مَعَ سَوْقٍ إِلَيْهِ ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْمَاضِي وَلَذَآئِذِهِ مَعَ عَلَاقَةٍ بِهِ ، إِلَّا بِكَ يَآ أَزَلِيُّ يَآ أَبَدِيُّ . .

إِلٰهِي ! لَا حَوْلَ عَنِ الزَّوَالِ الَّذِيٓ أَخَافُ وَلَآ أَخْلَصُ مِنْهُ ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى إِعَادَةِ مَا فَاتَ مِنْ حَيَاتِيَ الَّتِيٓ أَتَحَسَّرُهَا وَلَآ أَصِلُ إِلَيْهَآ ، إِلَّا بِكَ يَا سَرْمَدِيُّ يَا بَاقِي . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنْ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلىٰ نورِ الْوُجُودِ ، إِلّا بِكَ يا مُوجِدُ يا مَوْجُودُ يا قَديمُ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الْمَضارِّ اللّاحِقَةِ بِالْحَياةِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى الْمَسارِّ اللّازِمَةِ لِلْحَياةِ ، إِلّا بِكَ يا مُدَبِّرُ يا حَكيمُ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الْآلامِ الْهاجِمَةِ عَلىٰ ذِي الشُّعُورِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى اللَّذَآئِذِ الْمَطْلُوبَةِ لِذِي الْحِسِّ ، إِلّا بِكَ يا مُرَبِّي يا كَريمُ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الْمَساوِي الْعارِضَةِ لِذَوِي الْعُقُولِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى الْمَحاسِنِ الْمُزَيِّنَةِ لِذَوِي الْهِمَمِ ، إِلّا بِكَ يا مُحْسِنُ يا كَريمُ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ النِّقَمِ لِأَهْلِ الْعِصْيانِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى النِّعَمِ لِأَهْلِ الطّاعاتِ ، إِلّا بِكَ يا غَفُورُ يا مُنْعِمُ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الْأَحْزانِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى الْأَفْراحِ ، إِلّا بِكَ ؛ فَإِنَّكَ أَنْتَ الَّذي أَضْحَكَ وَأَبْكىٰ يا جَميلُ يا جَليلُ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الْعِلَلِ ، وَلا قُوَّةَ عَلَى الْعافِيَةِ ، إِلّا بِكَ يا شافِي يا مُعافِي . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الْآلامِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى الْآمالِ ، إِلّا بِكَ يا مُنْجِي يا مُغيثُ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الظُّلُماتِ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى الْأَنْوارِ ، إِلّا بِكَ يا نُورُ يا هادِي . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الشُّرُورِ مُطْلَقاً ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى الْخَيْراتِ أَصْلاً ، إِلّا بِكَ يا مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ؛ وَبِعِبادِهِ بَصيرٌ ؛ وَبِحَوائِجِ مَخْلُوقاتِهِ خَبيرٌ . .

إِلٰهي ! لا حَوْلَ عَنِ الْمَعاصِيَ إِلّا بِعِصْمَتِكَ ؛ وَلا قُوَّةَ عَلَى الطّاعَةِ ، إِلّا بِتَوْفيقِكَ يا مُوَفِّقُ يا مُعينُ . .

إِلٰهي ! لي عَلاقاتٌ شَديدَةٌ مَعَ نَوْعِيَ الْإِنْسانِيِّ ؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ

الْمَوْتِ﴾ ، تُهَدِّدُنِي وَتُطْفِئُ آمَالِيَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِنَوْعِي وَجِنْسِي ؛ وَتَنْعِي عَلَيَّ بِمَوْتِهِمَا ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْ ذَاكَ الْحُزْنِ الْأَلِيمِ النَّاشِئِ مِنْ ذٰلِكَ الْمَوْتِ وَالنَّعْيِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى تَسَلٍّ يَمْلَأُ مَحَلَّ مَا زَالَ عَنْ قَلْبِي وَرُوحِي ، إِلَّا بِكَ ؛ فَأَنْتَ الَّذِي تَكْفِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلَا يَكْفِي عَنْكَ كُلُّ شَيْءٍ . .

إِلٰهِي ! لِي عَلَاقَاتٌ شَدِيدَةٌ مَعَ دُنْيَايَ الَّتِي كَبَيْتِي وَمَنْزِلِي ؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، تُعْلِنُ خَرَابِيَّةَ بَيْتِي هٰذَا ، وَزَوَالَ مَحْبُوبَاتِيَ الَّتِي سَاكَنْتُهُمْ فِي ذٰلِكَ الْبَيْتِ الْمُنْهَدِمِ ؛ وَلَا حَوْلَ عَنْ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ الْهَآئِلَةِ ، وَعَنِ الْفِرَاقَاتِ مِنَ الْأَحْبَابِ الْآفِلَةِ ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى مَا يُسَلِّينِي عَنْهَا ؛ وَيَقُومُ مَقَامَهَا ، إِلَّا بِكَ يَا مَنْ يَقُومُ جِلْوَةٌ مِنْ تَجَلِّيَاتِ رَحْمَتِهِ مَقَامَ كُلِّ مَا فَارَقَنِي . .

إِلٰهِي ! لِي عَلَاقَاتٌ (١) بِجَامِعِيَّةِ مَاهِيَّتِي ، وَغَايَةِ كَثْرَةِ جِهَازَاتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ ، وَاحْتِيَاجَاتٌ شَدِيدَةٌ إِلَى الْكَآئِنَاتِ وَأَنْوَاعِهَا ؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ ، تُهَدِّدُنِي وَتَقْطَعُ عَلَاقَاتِيَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الْأَشْيَآءِ ؛ وَبِانْقِطَاعِ كُلِّ عَلَاقَةٍ يَتَوَلَّدُ جَرْحٌ وَأَلَمٌ مَعْنَوِيٌّ فِي رُوحِي ؛ وَلَا حَوْلَ عَنْ تِلْكَ الْجُرُوحَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَىٰٓ أَدْوِيَتِهَآ ، إِلَّا بِكَ يَا مَنْ يَكْفِي لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلَا يَكْفِي عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ تَوَجُّهِ رَحْمَتِهِ كُلُّ الْأَشْيَآءِ ؛ وَيَا مَنْ إِذَا كَانَ لِشَيْءٍ ؛ كَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ؛ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ ؛ لَا يَكُونُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَآءِ . .

إِلٰهِي ! لِي عَلَاقَاتٌ شَدِيدَةٌ وَابْتِلَآءٌ وَمَفْتُونِيَّةٌ مَعَ شَخْصِيَّتِيَ الْجِسْمَانِيَّةِ ، حَتّٰى كَأَنَّ

---

(١) لَقَدْ أُشِيرَ إِلٰى حَقَائِقِ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ . .» هٰذِهِ ، فِي مَرَاتِبِهَا ، بِإِشَارَاتٍ فَقَطْ ؛ وَلَمْ تُذْكَرْ دَلَائِلُهَا وَبَرَاهِينُهَا ؛ لِأَنَّ مِئَاتٍ ، بَلْ آلَافاً مِنْ بَرَاهِينِ الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَدَلَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ ، الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَبْوَابِ السَّابِقَةِ ، هِيَ دَلَائِلُ بِعُمُومِهَا لِحَقَائِقِ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ» ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تُذْكَرْ دَلَائِلُ أُخْرٰى . .
اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

جِسْمِي عَمُودٌ فِي نَظَرِيَ الظَّاهِرِيِّ لِسَقْفِ جَمِيعِ آمَالِي وَمَطَالِبِي ؛ وَفِيَّ عِشْقٌ شَدِيدٌ لِلْبَقَآءِ ؛ مَعَ أَنَّ جِسْمِي لَيْسَ مِنْ حَدِيدٍ وَلاَ حَجَرٍ لِيَدُومَ فِي الْجُمْلَةِ ، بَلْ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَعَظْمٍ عَلَى جَنَاحِ التَّفَرُّقِ فِي كُلِّ آنٍ ؛ وَمَعَ أَنَّ حَيَاتِي كَجِسْمِي مَحْدُودَةُ الطَّرَفَيْنِ ، سَتُخْتَمُ بِخَاتَمِ الْمَوْتِ عَنْ قَرِيبٍ ؛ مَعَ أَنِّي قَدِ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً مِنِّي ؛ وَقَدْ ضَرَبَ السَّقَمُ ظَهْرِي وَصَدْرِي ؛ فَأَنَا فِي قَلَقٍ وَضَجَرٍ ، وَاضْطِرَابٍ وَتَأَلُّمٍ ، وَتَحَزُّنٍ شَدِيدٍ مِنْ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةِ ؛ فَلاَ حَوْلَ عَنْ هٰذِهِ الْحَالَةِ الْهَآئِلَةِ ؛ وَلاَ قُوَّةَ عَلَى مَا يُسَلِّينِي عَمَّا يَحْزُنُنِي ، وَعَلٰى مَا يُعَوِّضُنِي مَا يَضِيعُ مِنِّي ، وَعَلٰى مَا يَقُومُ مَقَامَ مَا يَفُوتُ مِنِّي ، إِلاَّ بِكَ يَا رَبِّيَ الْبَاقِي ، وَالْبَاقِي بِبَقَآئِهِ وَإِبْقَآئِهِ مَنْ تَمَسَّكَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَآئِهِ الْبَاقِيَةِ . .

إِلٰهِي ! لِي وَلِكُلِّ ذِي حَيَاةٍ خَوْفٌ شَدِيدٌ مِنَ الْمَوْتِ وَالزَّوَالِ اللَّذَيْنِ لاَ مَفَرَّ مِنْهُمَا ؛ وَلِي مَحَبَّةٌ شَدِيدَةٌ لِلْحَيَاةِ وَالْعُمُرِ اللَّذَيْنِ لاَ دَوَامَ لَهُمَا ؛ مَعَ أَنَّ تَسَارُعَ الْمَوْتِ إِلٰىٓ أَجْسَامِنَا بِهُجُومِ الْآجَالِ ، لاَ يُبْقِي لِي وَلاَ لِأَحَدٍ ، أَمَلاً مِنَ الْآمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِلاَّ وَيَقْطَعُهَا ، وَلاَ لَذَّةً إِلاَّ وَيَهْدِمُهَا ؛ فَلاَ حَوْلَ عَنْ تِلْكَ الْبَلِيَّةِ الْهَآئِلَةِ ؛ وَلاَ قُوَّةَ عَلٰى مَا يُسَلِّينَا عَنْهَآ ، إِلاَّ بِكَ يَا خَالِقَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ! وَيَا مَنْ لَهُ الْحَيَاةُ السَّرْمَدِيَّةُ ، الَّذِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ؛ وَيَعْرِفُهُ وَيُحِبُّهُ ؛ يَدُومُ حَيَاتُهُ ؛ وَيَكُونُ الْمَوْتُ لَهُ تَجَدُّدَ حَيَاةٍ ، وَتَبْدِيلَ مَكَانٍ . فَإِذاً فَلاَ حُزْنَ لَهُ وَلآَ أَلَمَ عَلَيْهِ بِسِرِّ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . .

إِلٰهِي ! لِي لِأَجْلِ نَوْعِي وَجِنْسِي عَلاَقَاتٌ بِتَأَلُّمَاتٍ وَتَمَنِّيَاتٍ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَبِأَحْوَالِهَا ؛ فَلاَ قُوَّةَ لِي بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ عَلٰىٓ إِسْمَاعِ أَمْرِي لَهُمَا ، وَتَبْلِيغِ أَمَلِي لِتِلْكَ الْأَجْرَامِ ؛ وَلاَ حَوْلَ عَنْ هٰذَا الاِبْتِلآَءِ وَالْعَلاَقَةِ إِلاَّ بِكَ يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ! وَيَا مَنْ سَخَّرَهُمَا لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ . .

إِلٰهِي ! لِي وَلِكُلِّ ذِي عَقْلٍ عَلاَقَاتٌ مَعَ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْأَوْقَاتِ الاِسْتِقْبَالِيَّةِ ؛ مَعَ أَنَّنَا قَدِ انْحَبَسْنَا فِي زَمَانٍ حَاضِرٍ ضَيِّقٍ ، لاَ يَصِلُ أَيْدِينَآ إِلٰىٓ أَدْنٰى زَمَانٍ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ ،

لِجَلْبٍ مِنْ ذَاكَ مَا يُفَرِّحُنَا ، أَوْ لِدَفْعٍ مِنْ هٰذَا مَا يُحْزِنُنَا ؛ فَلَا حَوْلَ عَنْ هٰذِهِ الْحَالَةِ ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلٰى تَحْوِيلِهَآ إِلٰىٓ أَحْسَنِ الْحَالِ ، إِلّا بِكَ يَا رَبَّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ . .

إِلٰهِي ! لِي فِي فِطْرَتِي وَلِكُلِّ أَحَدٍ فِي فِطْرَتِهِمْ ، آمَالٌ أَبَدِيَّةٌ ، وَمَطَالِبُ سَرْمَدِيَّةٌ تَمْتَدُّ إِلٰىٓ أَبَدِ الْآبَادِ ؛ إِذْ قَدْ أَوْدَعْتَ فِي فِطْرَتِنَا اسْتِعْدَاداً عَجِيباً جَامِعاً ، فِيهِ احْتِيَاجٌ وَمَحَبَّةٌ لَا يُشْبِعُهُمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ؛ وَلَا يَرْضٰى ذٰلِكَ الِاحْتِيَاجُ وَتِلْكَ الْمَحَبَّةُ إِلّا بِالْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ ؛ وَلَا يَطْمَئِنُّ ذٰلِكَ الِاسْتِعْدَادُ إِلّا بِدَارِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ؛ يَا رَبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَيَا رَبَّ الْجَنَّةِ وَدَارِ الْقَرَارِ(١) . .

---

(١) لَقَدْ نُوِيَ أَوَّلًا أَنْ يُكْتَبَ عِشْرُونَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ» ؛ فَأَخَّرْتُهَا بِنِيَّةِ أَنْ أَكْتُبَهَا أَخِيراً ؛ فَلَمَّا أَتَيْنَا إِلَى الْآخِرِ ، أَخَّرْتُهَا الْآنَ ؛ لِأَنَّهَا لَوْ أُوضِحَتْ لَطَالَتْ كَثِيراً ؛ وَإِنْ كُتِبَتْ بِإِشَارَاتٍ تَخُصُّنِي فَقَطْ ؛ يَقِلُّ الِاسْتِفَادَةُ مِنْهَا ؛ فَلِذٰلِكَ أُخِّرَتْ إِلٰى وَقْتٍ آخَرَ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

اَللَّمعَةُ الثَّلاثُونَ

مِنَ ﴿ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلاثِينَ ﴾..

ثَمرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ سِجْنِ «أَسْكِيشَهِرَ» ، وَذَيْلٌ لِذَيْلِ «الْمَقَالَةِ الثَّلاثِينَ» ؛ وَهِيَ سِتُّ نِكَاتٍ.. فَكَمَا أَنَّ «رِسَالَةَ الثَّمَرَةِ» ، أَعْظَمُ دَرْسٍ مِنْ دُرُوسِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ فِي «دَنِزْلِي» ؛ وَ«الْحُجَّةَ الزَّهْرَاءَ» ، أَكْمَلُ دَرْسٍ قَيِّمٍ مِنْ دُرُوسِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ فِي مَدِينَةِ «أَفْيُونَ» ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ هٰذِهِ «اللَّمْعَةَ الثَّلاثِينَ» الَّتِي تُبَيِّنُ سِتَّ نِكَاتٍ مِنْ نِكَاتِ الْأَسْمَاءِ السِّتَّةِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ لِلاسْمِ الْأَعْظَمِ ، هِيَ أَعْظَمُ دَرْسٍ قَوِيٍّ مِنْ دُرُوسِ الْمَدْرَسَةِ الْيُوسُفِيَّةِ فِي «أَسْكِيشَهِرَ» . .

إِنَّ الْجُزْءَ الْبَاحِثَ عَنِ اسْمِ «الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ» مِنَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، لا يَفْهَمُ كُلُّ أَحَدٍ ، مَسَائِلَهُ الْعَمِيقَةَ الْوَاسِعَةَ ؛ وَلا يَذُوقُهَا دَفْعَةً ؛ وَلٰكِنْ لا يَبْقَى بِدُونِ حَظٍّ . .

اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلاثِينَ :

فِي بَيَانِ نُكْتَةٍ مِنْ نِكَاتِ اسْمِ «الْقُدُّوسِ» . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾

لَقَدْ تَظَاهَرَ لِي فِي آخِرِ شَعْبَانَ الشَّرِيفِ ، فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِر» ، نُكْتَةٌ مِنْ نِكَاتِ هٰذِهِ الْآيَةِ ، وَجَلْوَةٌ مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْقُدُّوس» الَّذِي هُوَ اسْمٌ أَعْظَمُ ، أَوْ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِهِ السِّتَّةِ ؛ فَأَظْهَرَتِ الْوُجُودَ الْإِلٰهِيَّ بِكَمَالِ الظُّهُورِ ؛ وَأَوْضَحَتِ الْوَحْدَةَ الرَّبَّانِيَّةَ بِكَمَالِ الْوُضُوحِ . .

وَذٰلِكَ : أَنِّي رَأَيْتُ أَنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَكُرَةَ الْأَرْضِ هٰذِهِ ، مَصْنَعٌ كَبِيرٌ يَشْتَغِلُ دَائِماً ، وَخَانٌ وَمَضِيفٌ يُمْلَأُ وَيُفْرَغُ كُلَّ وَقْتٍ ؛ مَعَ أَنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْمَصَانِعِ وَالْخَانَاتِ وَالْمَضَايِفِ الْفَعَّالَةِ ، يَتَوَسَّخُ بِالْأَقْذَارِ وَالْأَنْقَاضِ ؛ وَيَتَلَوَّثُ بِالْكُنَاسِ كَثِيراً ؛ وَتَتَرَاكَمُ فِي كُلِّ جَوَانِبِهَا مَوَادُّ مُنْتِنَةٌ ؛ فَإِنْ لَمْ يُعْتَنَ بِهَا ؛ وَلَمْ تُنَظَّفْ بِالدِّقَّةِ ؛ وَلَمْ تُكَنَّسْ ؛ وَلَمْ تُنَقَّ كَثِيراً ؛ لَا يُلْبَثُ فِيهَا ؛ وَيَغْرَقُ فِيهَا النَّاسُ ؛ مَعَ أَنَّ مَصْنَعَ الْكَائِنَاتِ ، وَمَضِيفَ الْأَرْضِ ، صَافٍ نَقِيٌّ وَنَظِيفٌ ، وَبِدُونِ قَذَرٍ وَتَغَيُّرٍ وَعُفُونَةٍ ، بِحَيْثُ لَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ غَيْرُ لَازِمٍ ، وَمَادَّةٌ غَيْرُ نَافِعَةٍ ، وَوَسَخٌ مُتَصَادَفٌ ؛ وَإِنْ وُجِدَ ظَاهِراً ؛ يُلْقَى فَوْراً فِي جِهَازٍ مِنْ أَجْهِزَةِ التَّنْقِيَةِ ؛ فَيُنْقَى سَرِيعاً . فَإِذاً إِنَّ مَنْ يَتَعَهَّدُ الْكَائِنَاتِ ؛ يَعْتَنِي بِهَا جِدّاً ؛ وَإِنَّ لَهَا مَالِكاً نَظَّافاً يُكَنِّسُ ذٰلِكَ الْمَصْنَعَ الْكَبِيرَ ، وَالْقَصْرَ الْعَظِيمَ ؛ وَيُنَقِّيهِ ؛ وَيُنَظِّمُهُ وَيُنَظِّفُهُ كَغُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ . فَلِذَا

لَا يُوجَدُ فِي ذٰلِكَ الْمَصْنَعِ الْكَبِيرِ جِدّاً ، قَاذُورَاتُهُ وَكُنَاسُهُ ، وَمَوَادُّهُ الْمُسْتَقْذَرَةُ الْمَتْرُوكَةُ مِنْ أَنْقَاضِهِ ، حَسَبَ عَظَمَتِهِ ؛ بَلْ يُعْتَنٰى بِطَهَارَتِهِ وَنَظَافَتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى عَظَمَتِهِ . وَذٰلِكَ : أَنَّ إِنْسَاناً إِذَا لَمْ يَغْتَسِلْ شَهْراً ؛ وَلَمْ يَكْنُسْ غُرْفَتَهُ الصَّغِيرَةَ زَمَناً ؛ يَتَوَسَّخُ وَيَتَلَوَّثُ . فَإِذاً إِنَّ الطَّهَارَةَ وَالصَّفْوَةَ ، وَالتَّلَمُّعَ وَالنَّظَافَةَ ، فِي قَصْرِ هٰذَا الْعَالَمِ ، إِنَّمَا تَنْشَأُ عَنْ تَطْهِيرٍ دَقِيقٍ ، وَتَنْظِيفٍ حَكِيمٍ دَائِماً . وَلَوْلَا ذٰلِكَ الِاعْتِنَاءُ بِالدِّقَّةِ ، وَالتَّطْهِيرُ وَالتَّكْنِيسُ الدَّائِمُ ؛ لَغَرِقَتْ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، مِئَاتُ آلَافِ مِلَلِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا ؛ وَشَجَّتْ أَنْقَاضُ الْكُرَاتِ وَتَوَابِعِهَا ، بَلِ الْكَوَاكِبُ الْمَعْرُوضَةُ لِلْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ فِي فَضَاءِ السَّمَاوَاتِ ، رُؤُوسَنَا وَرُؤُوسَ الْحَيَوَانَاتِ ، بَلْ وَرَأْسَ كُرَةِ الْأَرْضِ ، بَلْ رَأْسَ دُنْيَانَا ؛ وَأَمْطَرَتْ عَلٰى رُؤُوسِنَا حِجَارَةً فِي عَظَمَةِ الْجِبَالِ ؛ وَشَرَّدَتْنَا عَنْ وَطَنِنَا الدُّنْيَوِيِّ هٰذَا ؛ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَحْجَارٍ سَمَاوِيَّةٍ ، وَإِنْ سَقَطَتْ مِنَ التَّدْمِيرِ وَالْإِنْشَاءِ فِي تِلْكَ الْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّةِ مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ ؛ لِتَكُونَ وَسِيلَةً لِلْعِبْرَةِ ، فَلَمْ تَشُجَّ رَأْسَ أَحَدٍ أَصْلاً ؛ وَلَلَوَّثَتْ أَيْضاً أَنْقَاضُ مِئَتَيْ أَلْفِ طَائِفَةٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ ، وَجَنَائِزُ مِئَةِ أَلْفِ مِلَّةٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَجْهَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، مِنْ تَقَاتُلِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، وَتَبَادُلِهَا كُلَّ سَنَةٍ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، تَلْوِيثاً يَفُوقُ عَلَى الْعَادَةِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ ذَوُو الشُّعُورِ يُحِبُّونَ ذٰلِكَ الْوَجْهَ وَيَعْشَقُونَهُ ؛ بَلْ كَرِهُوا عَنْ قُبْحٍ كَذٰلِكَ ؛ فَفَرُّوا إِلَى الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ ؛ مَعَ أَنَّ أَجْنِحَةَ هٰذِهِ الطَّائِرَةِ الْأَرْضِيَّةِ ، وَهٰؤُلَاءِ الطُّيُورِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَصَحَائِفَ كِتَابِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، تُنَظَّفُ كَمَا يُنَظِّفُ طَائِرٌ أَجْنِحَتَهُ ، وَكَاتِبٌ صَحَائِفَهُ هَيِّناً ؛ وَتُزَيَّنُ بِحَيْثُ إِنَّ مَنْ لَمْ يُشَاهِدُوا مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ جَمَالِ الْآخِرَةِ ؛ وَلَمْ يَتَصَوَّرُوهُ بِالْإِيمَانِ ؛ يَعْشَقُونَ جَمَالَ هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ وَيُشْغَفُونَ بِنَظَافَتِهَا هٰذِهِ . فَإِذاً إِنَّ قَصْرَ هٰذَا الْعَالَمِ ، وَمَصْنَعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، مَظْهَرَانِ لِجَلْوَةٍ عُظْمٰى مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْقُدُّوسِ» ، بِحَيْثُ لَيْسَ جَوَارِحُ الْبَرِّ وَالصَّحَارٰى وَمُنَظِّفَاتُ الْبَحْرِ ، الْآكِلَاتُ اللَّحْمِ فَقَطْ ، تَسْتَمِعُ إِلٰى أَوَامِرَ تَرِدُ عَنْ ذٰلِكَ التَّنْظِيفِ الْقُدُسِيِّ ؛ بَلْ يَسْتَمِعُ إِلٰى تِلْكَ الْأَوَامِرِ ، أَمْثَالُ الدِّيدَانِ وَالنِّمَالِ ، مِنْ مُوَظَّفِي الصِّحَّةِ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الْجَنَائِزَ ؛ بَلْ إِنَّ الْكُرَيْوَاتِ الْبَيْضَاءَ وَالْحَمْرَاءَ ، فِي الدَّمِ الْجَارِي فِي الْبَدَنِ ، تَسْتَمِعُ إِلٰى تِلْكَ الْأَوَامِرِ

التَّنْظِيفِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ فَتَعْمَلُ أَعْمَالَ التَّنْظِيفِ فِي خَلايَا الْبَدَنِ ؛ كَمَا أَنَّ النَّفَسَ يُصَفِّي ذٰلِكَ الدَّمَ وَيُنَظِّفُهُ ؛ وَإِنَّ الْجُفُونَ تُصْغِي إِلَى تِلْكَ الْأَوَامِرِ لِتَنْظِيفِ الْعُيُونِ ؛ وَإِنَّ الذُّبَابَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهَا لِتَكْنِيسِ أَجْنِحَتِهِ ؛ كَمَا أَنَّ الْهَوَاءَ وَالسَّحَابَ الْجَسِيمَ أَيْضاً ، يَسْتَمِعَانِ إِلَى تِلْكَ الْأَوَامِرِ ؛ فَيَنْفُخُ الْهَوَاءُ فِي الزِّبَالِ وَالْغُبَارِ وَالتُّرَابِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَسَطْحِهَا ؛ وَيُنَظِّفُهَا ؛ وَيَرُشُّ إِسْفِنْجُ السَّحَابِ الْمَاءَ عَلَى حَدِيقَةِ الْأَرْضِ ؛ فَيُهَدِّئُ الْغُبَارَ وَالتُّرَابَ ؛ ثُمَّ يَجْمَعُ بِضَاعَتَهُ فَوْراً ؛ فَيَرْجِعُ إِلَى الْوَرَاءِ ؛ وَيَخْتَفِي بِكَمَالِ الانْتِظَامِ ، كَيْلا يُلَوِّثَ وَجْهَ السَّمَاءِ زَمَناً كَثِيراً ؛ فَيَظْهَرُ عَيْنُ السَّمَاءِ ، وَوَجْهُهَا الْجَمِيلُ ، قَدْ كُنِّسَا وَنُظِّفَا مُتَلَأْلِئَيْنِ . وَكَمَا أَنَّ الْكَوَاكِبَ وَالْعَنَاصِرَ ، وَالْمَعَادِنَ وَالنَّبَاتَاتِ ، تَسْتَمِعُ إِلَى تِلْكَ الْأَوَامِرِ التَّنْظِيفِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ جَمِيعُ الذَّرَّاتِ تَسْتَمِعُ إِلَيْهَا أَيْضاً ، بِحَيْثُ تَعْتَنِي تِلْكَ الذَّرَّاتُ بِالنَّظَافَةِ بَيْنَ عَوَاصِفِ تَحَوُّلاتٍ مُوجِبَةٍ لِلْحَيْرَةِ ؛ فَلا تَجْتَمِعُ فِي مَكَانٍ ؛ وَلا تَزْدَحِمُ بِدُونِ لُزُومٍ ؛ وَإِنْ تَلَوَّثَتْ تُنَظَّفُ فَوْراً ؛ فَتُسَاقُ مِنْ جَانِبِ يَدٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ؛ لِتَتَّخِذَ أَلْطَفَ الصُّوَرِ وَأَجْمَلَهَا وَأَصْفَاهَا ، وَأَقْدَسَ الْكَيْفِيَّاتِ وَأَشْرَقَهَا ، وَأَنْظَفَهَا وَأَنْقَاهَا . فَهٰذَا الْفِعْلُ الْوَاحِدُ ، أَيِ التَّنْظِيفُ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ ، جَلْوَةٌ عُظْمٰى مِنِ اسْمٍ أَعْظَمَ مِثْلِ «الْقُدُّوسِ» ، تُشَاهَدُ فِي الدَّائِرَةِ الْعُظْمٰى مِنْ دَوَائِرِ الْكَائِنَاتِ ، بِحَيْثُ تُظْهِرُ تِلْكَ الْجَلْوَةُ ، الْوُجُودَ الرَّبَّانِيَّ ، وَالْوَحْدَانِيَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ ، مَعَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنٰى ، كَالشَّمْسِ ، بِدُونِ تَوَسُّطٍ ، لِلْعُيُونِ الْوَاسِعَةِ الْحَادَّةِ كَالنَّظَّارَاتِ . .

نَعَمْ : لَقَدْ أُثْبِتَ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ ، فِي أَجْزَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» : أَنَّ فِعْلَ التَّنْظِيمِ وَالنِّظَامِ ، الَّذِي هُوَ جَلْوَةٌ مِنِ اسْمِ «الْحَكَمِ وَالْحَكِيمِ» ، وَفِعْلَ التَّوْزِينِ وَالْمِيزَانِ الَّذِي هُوَ جَلْوَةٌ مِنِ اسْمِ «الْعَدْلِ وَالْعَادِلِ» ، وَفِعْلَ التَّزْيِينِ وَالْإِحْسَانِ الَّذِي هُوَ جَلْوَةٌ مِنِ اسْمِ «الْجَمِيلِ وَالْكَرِيمِ» ، وَفِعْلَ التَّرْبِيَةِ وَالْإِنْعَامِ الَّذِي هُوَ جَلْوَةٌ مِنِ اسْمِ «الرَّبِّ وَالرَّحِيمِ» ، تَدُلُّ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ ذَاتٍ وَاحِدٍ ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ ؛ لِأَنَّ كُلّاً مِنْهَا فِعْلٌ وَاحِدٌ ، وَحَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ ، فِي هٰذِهِ الدَّائِرَةِ الْعُظْمٰى مِنَ الْعَالَمِ ؛ كَمَا أَنَّ فِعْلَ التَّنْظِيفِ وَالتَّطْهِيرِ أَيْضاً ، الَّذِي هُوَ مَظْهَرٌ لِاسْمِ «الْقُدُّوسِ» ، وَجَلْوَةٌ مِنْهُ ، يَدُلُّ عَلٰى وُجُودِ ذٰلِكَ الذَّاتِ الْوَاجِبِ

الْوُجُودِ ، كَالشَّمْسِ ، وَعَلٰى وَحْدَانِيَّتِهِ كَالنَّهَارِ . وَإِنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ الْحَكِيمَةَ ، مِثْلَ التَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ ، وَالتَّزْيِينِ وَالتَّنْظِيفِ ، تَدُلُّ فِي الدَّائِرَةِ الْعُظْمٰى ، فِي نُقْطَةِ وَحْدَتِهَا النَّوْعِيَّةِ ، عَلٰى صَانِعٍ وَاحِدٍ ؛ كَمَا أَنَّ لِأَكْثَرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، بَلْ لِكُلِّ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ ، جَلْوَةً عُظْمٰى كَذٰلِكَ ، فِي هٰذِهِ الدَّائِرَةِ الْعُظْمٰى ؛ وَإِنَّ الْفِعْلَ الْوَارِدَ مِنْ تِلْكَ الْجَلْوَةِ ، يَدُلُّ بِقَطْعٍ وَوُضُوحٍ ، بِنِسْبَةِ عَظَمَتِهِ ، عَلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ . .

نَعَمْ : إِنَّ الْأَفْعَالَ الْوَحْدَانِيَّةَ وَالْحَقَائِقَ الْبَدِيهِيَّةَ الَّتِي تُضِيءُ وَجْهَ الْكَائِنَاتِ وَتُضْحِكُهُ ، مِثْلَ الْحِكْمَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي سَخَّرَتْ كُلَّ شَيْءٍ لِقَانُونِهَا وَنِظَامِهَا ، وَالْعِنَايَةِ الشَّامِلَةِ الَّتِي زَيَّنَتْ وَجْهَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَضْحَكَتْهُ ، وَالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي فَرَّحَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَأَرْضَتْهُ ، وَالرِّزْقِ وَالْإِعَاشَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي رَبَّتْ كُلَّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَأَعْطَتْهُ اللَّذَّةَ ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْحَيَاةِ الَّتِي جَعَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ مُتَنَاسِباً مَعَ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَمُسْتَفِيداً مِنْهَا ، وَمَالِكاً لِهَا بِدَرَجَةٍ ، تَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلٰى ذَاتٍ وَاحِدٍ «حَكِيمٍ كَرِيمٍ ، رَحِيمٍ رَزَّاقٍ ، حَيٍّ وَمُحْيٍ» ، كَمَا تَدُلُّ الضِّيَاءُ عَلَى الشَّمْسِ . فَإِنْ لَمْ يُسْنَدْ إِلَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، مِنَ الْمِئَةِ ، فِعْلٌ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْوَاسِعَةِ ، الَّتِي كُلٌّ مِنْهَا بُرْهَانٌ بَاهِرٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ ؛ يَلْزَمُ مُحَالَاتٌ فِي مِئَاتِ جِهَاتٍ . مَثَلاً : إِذَا لَمْ يُسْنَدْ مِنْهَا ، لَا مِثْلُ الْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، وَالرَّحْمَةِ وَالْإِعَاشَةِ ، وَالْإِحْيَاءِ ، مِنَ الْحَقَائِقِ الْبَدِيهِيَّةِ ، وَالدَّلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ ، بَلْ فِعْلُ التَّنْظِيفِ فَقَطْ ، إِلٰى خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ فِي مَسْلَكِ كُفْرِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِالتَّنْظِيفِ ، مِنَ الذَّرَّةِ وَالذُّبَابِ ، إِلَى الْعَنَاصِرِ وَالْكَوَاكِبِ ، عَلَى اسْتِعْدَادٍ يَتَفَكَّرُ وَيَعْلَمُ تَزْيِينَ الْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةِ ، وَتَوْزِينَهَا وَتَنْظِيمَهَا وَتَنْظِيفَهَا ؛ وَيَعْمَلُ حَسَبَ ذٰلِكَ ؛ وَإِمَّا أَنْ تُوجَدَ فِيهِ صِفَاتٌ قُدُسِيَّةٌ مِنْ صِفَاتِ خَالِقِ الْعَالَمِ ؛ وَإِمَّا أَنْ يُؤَسَّسَ مَجْلِسٌ لِلشُّورٰى فِي عَظَمَةِ الْكَائِنَاتِ ، لِتَنْظِيمِ مُوَازَنَةِ وَارِدَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَمَصَارِفِهَا ، وَلِتَنْظِيمِ تَزْيِينَاتِهَا وَتَنْظِيفَاتِهَا ، وَتَكُونَ الذَّرَّاتُ وَالذُّبَّانُ وَالْكَوَاكِبُ ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهَا ، أَعْضَاءً لِذٰلِكَ الْمَجْلِسِ . وَهٰكَذَا تُوجَدُ مِئَاتُ مُحَالَاتٍ خُرَافِيَّةٍ وَسَفْسَطِيَّةٍ مِثْلِ هٰذِهِ الْمُحَالَاتِ ، حَتّٰى

يُوجَدَ التَّنْظِيفُ وَالتَّطْهِيرُ وَالتَّزْيِينُ ، الْعَالِيَةُ الْمُحِيطَةُ ، وَالْمَشْهُودَةُ فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ وَهٰذَا لَيْسَ مُحَالاً وَاحِداً ؛ بَلْ يَقَعُ مِئَاتُ أُلُوفِ مُحَالٍ فِي الْمَيْدَانِ . .

نَعَمْ : إِذَا لَمْ يُسْنَدْ إِلَى الشَّمْسِ ، ضِيَاءُ النَّهَارِ ، وَالشُّمَيْسَاتُ الْخَيَالِيَّةُ الْمُتَمَثِّلَةُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ الشَّفَّافَةِ عَلَى الْأَرْضِ ؛ وَلَمْ يُحْكَمْ بِأَنَّهَا جَلَوَاتُ انْعِكَاسِ شَمْسٍ وَاحِدَةٍ ؛ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ وُجُودُ شُمُوسٍ حَقِيقِيَّةٍ ، فِي كُلِّ قِطَعِ الزُّجَاجَاتِ الْمُتَلَمِّعَةِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَفِي قَطَرَاتِ الْمَاءِ وَزُجَيْجَاتِ الثَّلْجِ ، بَلْ وَفِي ذَرَّاتِ الْهَوَاءِ أَيْضاً ، حَتّٰى تُوجَدَ تِلْكَ الضِّيَاءُ الْعَامَّةُ . . فَالْحِكْمَةُ أَيْضاً ضِيَاءٌ ؛ وَالرَّحْمَةُ الْمُحِيطَةُ ضِيَاءٌ ؛ وَالتَّزْيِينُ وَالتَّوْزِينُ ، وَالتَّنْظِيمُ وَالتَّنْظِيفُ ، أَضْوَاءٌ مُحِيطَةٌ ؛ فَهِيَ شُعَاعَاتٌ لِتِلْكَ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ . . فَتَعَالَ انْظُرْ كَيْفَ يَدْخُلُ الْكُفْرُ وَالضَّلَالُ فِي وَحَلٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ ؛ وَأَبْصِرْ أَنَّ مَا فِي الضَّلَالِ مِنَ الْجَهْلِ ، أَيُّ دَرَجَةٍ مِنَ الْحُمْقِ ؛ وَقُلْ : **اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَكَمَالِ الْإِيمَانِ . .**

نَعَمْ : إِنَّ هٰذَا التَّنْظِيفَ الْعَامَّ الْعَالِيَ ، الْمُنَظِّفَ لِقَصْرِ الْكَائِنَاتِ ، جَلْوَةُ اسْمِ «الْقُدُّوسِ» ، وَمُقْتَضَاهُ قَطْعاً . . **نَعَمْ** : كَمَا أَنَّ تَسَابِيحَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، تَنْظُرُ إِلَى اسْمِ «الْقُدُّوسِ» ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ اسْمَ «الْقُدُّوسِ» ، يَقْتَضِي جَمِيعَ نَظَافَاتِهَا أَيْضاً [١] . . فَمِنْ هٰذَا الِانْتِسَابِ الْقُدُسِيِّ ، عَدَّ حَدِيثُ : ﴿**النَّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ**﴾ ، **النَّظَافَةَ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ** ؛ وَدَلَّتْ آيَةُ : ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝﴾ ، عَلٰى **أَنَّ الطَّهَارَةَ وَسِيلَةٌ لِلْمَحَبَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ** ، أَيْضاً . .

---

(١) **عَلَيْنَا أَنْ** لَا نَنْسَى أَنَّ الْخَصَائِلَ السَّيِّئَةَ ، وَالْمُعْتَقَدَاتِ الْبَاطِلَةَ ، وَالذُّنُوبَ وَالْبِدَعَ ، هِيَ مِنَ الْخَبَائِثِ الْمَعْنَوِيَّةِ . . **اَلْمُؤَلِّفُ** ، (رضي الله عنه) . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلاثِين :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا عِنْدَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ . .

لَقَدْ ظَهَرَتْ لِي مِنْ بَعِيدٍ ، فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِرَ» ، نُكْتَةٌ مِنْ نِكَاتِ هٰذِهِ الْآيَةِ كَالنُّكْتَةِ الْأُولٰى ، وَجِلْوَةٌ مِنْ جِلْوَاتِ اسْمِ «الْعَدْلِ» الَّذِي هُوَ اسْمٌ أَعْظَمُ ، أَوْ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِهِ السِّتَّةِ . .

فَنَقُولُ بِطَرِيقِ التَّمْثِيلِ أَيْضاً ، لِتَقْرِيبِهَا : إِنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ قَصْرٌ فِيهِ بَلَدٌ يَتَمَوَّجُ بَيْنَ التَّخْرِيبِ وَالتَّرْمِيمِ دَائِماً ؛ وَفِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ مَمْلَكَةٌ تَغْلِي بَيْنَ الْحَرْبِ وَالْهِجْرَةِ كُلَّ وَقْتٍ ؛ وَفِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ عَالَمٌ يَتَدَحْرَجُ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ كُلَّ زَمَانٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَحْكُمُ فِي ذٰلِكَ الْقَصْرِ وَالْبَلَدِ ، وَفِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ ، وَفِي ذٰلِكَ الْعَالَمِ ، مُوَازَنَةٌ وَمِيزَانٌ وَتَوْزِينٌ ، مُوجِبَةٌ لِلْحَيْرَةِ ، بِحَيْثُ تُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّ هٰذِهِ التَّحَوُّلاتِ وَالْوَارِدَاتِ وَالْمَصَارِفَ ، فِي هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، تُكَالُ وَتُوزَنُ بِمِيزَانِ ذَاتٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، يَرىٰ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُجْرِيهَا مِنْ نَظَرِ تَفْتِيشِهِ ، فِي آنٍ وَاحِدٍ . وَإِلّا فَإِنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُرِيدُ الإِسْتِيلاءَ ؛ وَتَعْمَلُ لِإِفْسَادِ الْمُوَازَنَةِ بِالشِّدَّةِ ، بِهُجُومِ الإِنْقِلابَاتِ وَالْعَنَاصِرِ الْجَارِيَةِ كَالسَّيْلِ ، وَبِعِشْرِينَ أَلْفَ بَذْرَةٍ تُنْتِجُهَا زَهْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّبَاتَاتِ ، كَالْخَشْخَاشِ ، وَبِمِئَةِ أَلْفِ بَيْضَةٍ تَبِيضُهَا سَمَكَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْأَسْمَاكِ ، لَوْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مُطْلَقَةَ الرُّؤُوسِ ؛ أَوْ أُسْنِدَتْ إِلَى الصُّدْفَةِ الْهَائِمَةِ الَّتِي لا مَقْصَدَ لَهَا ، وَإِلَى الْقُوَّةِ الْعَمْيَاءِ الَّتِي لا مِيزَانَ لَهَا ، وَإِلَى الطَّبِيعَةِ الْمُظْلِمَةِ الَّتِي لا شُعُورَ لَهَا ؛ لَفَسَدَتْ مُوَازَنَةُ الْأَشْيَاءِ وَمُوَازَنَةُ الْكَائِنَاتِ تِلْكَ ، بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ هَرْجاً وَمَرْجاً فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، بَلْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ : أَيِ امْتَلَأَ الْبَحْرُ بِأَشْيَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَأَنْتَنَ بِهَا ؛ وَتَسَمَّمَ الْهَوَاءُ بِغَازَاتٍ ضَارَّةٍ ؛ وَتَحَوَّلَتِ الْأَرْضُ إِلَى حَمْأَةٍ وَمَجْزَرَةٍ وَمَزْبَلَةٍ ؛ وَغَرِقَتِ الدُّنْيَا . .

فَهَا إِنَّ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنْ خَلايَا جَسَدِ الْحَيَوَانِ ، وَمِنَ الْكُرَيْوَاتِ الْحَمْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ فِي الدَّمِ ، وَمِنْ تَحَوُّلاتِ الذَّرَّاتِ ، وَمِنْ تَنَاسُبِ أَجْهِزَةِ الْبَدَنِ ، إِلٰى مَوَارِدِ الْبِحَارِ وَمَصَارِفِهَا ، وَإِلٰى وَارِدَاتِ الْعُيُونِ وَصَرْفِيَّاتِهَا ، وَإِلٰى تَوَلُّدَاتِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ وَوَفَيَاتِهَا ، وَإِلٰى تَخْرِيبَاتِ الْخَرِيفِ وَتَرْمِيمَاتِ الرَّبِيعِ ، وَإِلٰى خَدَمَاتِ الْعَنَاصِرِ وَالْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِهَا ، وَإِلٰى تَبَادُلِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، وَالضِّيَاءِ وَالظُّلْمَةِ ، وَالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ ، وَتَنَاحُرِهَا وَتَصَادُمِهَا ، تُنَظَّمُ وَتُوزَنُ بِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ ، وَبِمِقْيَاسٍ دَقِيقٍ ، بِحَيْثُ لا يَرٰى عَقْلُ الْبَشَرِ فِيهَا ، فِي أَيِّ مَكَانٍ ، عَبَثاً وَإِسْرَافاً حَقِيقِيّاً أَصْلاً ؛ كَمَا أَنَّ حِكْمَةَ الْإِنْسَانِ ، تَرٰى أَجْمَلَ اتِّزَانٍ ، وَأَكْمَلَ انْتِظَامٍ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَتُبَيِّنُهُمَا ؛ بَلْ إِنَّ الْحِكْمَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ ، تَظَاهُرٌ وَتَرْجُمَانٌ لِذٰلِكَ الاتِّزَانِ وَالانْتِظَامِ . .

فَتَعَالَ انْظُرْ إِلٰى مُوَازَنَةِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، مَعَ الشَّمْسِ . . فَيَا عَجَباً ! أَلا تَدُلُّ هٰذِهِ الْمُوَازَنَةُ كَالشَّمْسِ ، عَلَى الذَّاتِ الْجَلِيلِ «الْقَدِيرِ الْعَدْلِ» ؟ وَلاسِيَّمَا أَنَّ سَفِينَتَنَا ـ أَيْ كُرَةَ الْأَرْضِ ـ مِنْ بَيْنِ السَّيَّارَاتِ ، تَسِيرُ وَتَسِيحُ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي دَائِرَةٍ عَلٰى مَسَافَةِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ وَمَعَ تِلْكَ السُّرْعَةِ الْخَارِقَةِ ، لا تُفَرِّقُ أَشْيَاءَ اصْطُفَّتْ وَرُتِّبَتْ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ وَلا تُزَلْزِلُهَا ؛ وَلا تُطِيرُهَا إِلَى الْفَضَاءِ ؛ فَلَوْ زِيدَتْ سُرْعَتُهَا ؛ أَوْ نَقَصَتْ نَبْذَةً ؛ لَطَيَّرَتْ سُكَّانَهَا إِلَى الْهَوَاءِ ؛ وَفَرَّقَتْهُمْ فِي الْفَضَاءِ ؛ وَإِنْ أَفْسَدَتْ مُوَازَنَتَهَا دَقِيقَةً ، بَلْ ثَانِيَةً ؛ تُفْسِدُ دُنْيَانَا ؛ بَلْ تُصَادِمُ غَيْرَهَا ؛ فَتُقِيمُ قِيَامَةً ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ مُوَازَنَةَ أَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ طَائِفَةٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، تَوَلُّداً وَوَفَاةً ، وَإِعَاشَةً وَحَيَاةً ، تَدُلُّ تِلْكَ الْمُوَازَنَةُ الرَّحِيمَةُ ، عَلٰى ذَاتٍ وَاحِدٍ «عَدْلٍ وَرَحِيمٍ» ، دَلالَةَ الضِّيَاءِ عَلَى الشَّمْسِ ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ أَعْضَاءَ فَرْدٍ وَاحِدٍ مِنْ أَفْرَادٍ لا حَدَّ لَهَا ، مِنْ تِلْكَ الْمِلَلِ الَّتِي لا تُحَدُّ ، وَجِهَازَاتِ ذٰلِكَ الْفَرْدِ ، وَحَوَاسَّهُ ، مُتَنَاسِبَةٌ وَمُتَوَازِنَةٌ بِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ ، بِحَيْثُ يَدُلُّ ذٰلِكَ التَّنَاسُبُ وَالتَّوَازُنُ ، عَلٰى صَانِعٍ «عَدْلٍ حَكِيمٍ» ؛ وَلاسِيَّمَا أَنَّ الْخَلايَا فِي بَدَنِ كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَمَجَارِيَ الدَّمِ ، وَمَا فِي الدَّمِ مِنَ الْكُرَيْوَاتِ ، وَمَا فِي الْكُرَيْوَاتِ مِنَ الذَّرَّاتِ ، بَيْنَهَا مُوَازَنَةٌ

خَارِقَةٌ حَسَّاسَةٌ وَدَقِيقَةٌ ، بِحَيْثُ تُثْبِتُ بِالْبَدَاهَةِ : أَنَّهَا تُرَبَّى وَتُدَارُ بِمِيزَانِ خَالِقٍ وَاحِدٍ «عَدْلٍ وَحَكِيمٍ» ، وَبِقَانُونِهِ وَنِظَامِهِ ، ذٰلِكَ الْخَالِقِ الَّذِي بِيَدِهِ زِمَامُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَعِنْدَهُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ؛ وَيُدِيرُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ هَيِّناً كَشَيْءٍ وَاحِدٍ . فَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِمُوَازَنَةِ أَعْمَالِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي مِيزَانِ عَدْلِهِ الْعَظِيمِ ، فِي مَحْكَمَةِ الْحَشْرِ الْكُبْرٰى ؛ وَيَسْتَبْعِدُ ذٰلِكَ ؛ إِذَا تَأَمَّلَ فِي هٰذِهِ الْمُوَازَنَةِ الْكُبْرَى الَّتِي يُشَاهِدُهَا بِعَيْنِهِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ لَمْ يَبْقَ اسْتِبْعَادُهُ قَطْعاً . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ الْمُسْرِفُ غَيْرَ الْمُقْتَصِدِ ، وَالظَّالِمُ غَيْرَ الْعَادِلِ ، وَالْقَذِرُ غَيْرَ النَّظِيفِ ! إِنَّكَ بِمُخَالَفَتِكَ لِكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ، حَيْثُ لَا تَعْمَلُ بِالِاقْتِصَادِ وَالنَّظَافَةِ وَالْعَدْلِ ، الَّتِي هِيَ دَسَاتِيرُ أَعْمَالِ الْمَوْجُودَاتِ وَالْكَائِنَاتِ كُلِّهَا ، تُصْبِحُ عُرْضَةً لِغَضَبِهَا وَكَرَاهَتِهَا عَنْكَ مَعْنًى . فَإِلٰى مَاذَا تَسْتَنِدُ ؟ حَتّٰى تُسْخِطَ كُلَّ الْمَوْجُودَاتِ بِظُلْمِكَ وَفَسَادِكَ ، وَبِإِسْرَافِكَ وَقَذَرِكَ . .

نَعَمْ : إِنَّ مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَامَّةِ الْوَارِدَةِ عَنِ الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْحَكِيمِ» ، تَعْمَلُ بِالِاقْتِصَادِ وَعَدَمِ الْإِسْرَافِ ؛ وَتَأْمُرُ بِهِ ؛ وَإِنَّ مَا فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ التَّامِّ الْوَارِدِ عَنِ الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْعَدْلِ» ، يُدِيرُ مُوَازَنَةَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ ؛ وَيَأْمُرُ الْبَشَرَ أَيْضاً بِالْعَدْلِ . وَذِكْرُ الْمِيزَانِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، الَّتِي تُشِيرُ إِلٰى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ وَأَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمِيزَانِ ، فِي سُورَةِ الرَّحْمٰنِ فِي آيَةِ ﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝﴾ ، يَدُلُّ عَلٰى دَرَجَةِ عَظَمَةِ الْمِيزَانِ ، وَعَلٰى عَظَمَةِ قِيمَتِهِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، فِي الْكَائِنَاتِ . نَعَمْ : لَا إِسْرَافَ فِي شَيْءٍ ؛ كَمَا لَا يُوجَدُ فَسَادٌ وَظُلْمٌ حَقِيقِيٌّ فِي شَيْءٍ أَصْلاً . وَإِنَّ التَّنْظِيفَ وَالنَّظَافَةَ الْوَارِدَةَ عَنِ الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْقُدُّوسِ» ، تُنَظِّفُ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ جَمِيعاً ؛ وَتُزَيِّنُهَا . وَلَا يُرٰى قُبْحٌ وَقَذَرٌ حَقِيقِيٌّ فِي شَيْءٍ أَصْلاً ، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ يَدُ الْبَشَرِ الْمُلَوَّثَةُ . .

فَافْهَمْ : أَنَّ الْعَدْلَ وَالِاقْتِصَادَ وَالنَّظَافَةَ ، الَّتِي هِيَ مِنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ ، وَمِنْ دَسَاتِيرِ

الْإِسْلَامِ ، أَيَّةُ دَسَاتِيرَ أَسَاسِيَّةٍ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، أَيَّ صِلَةٍ بِالْكَائِنَاتِ ؛ وَأَنَّهَا كَيْفَ امْتَدَّتْ جُذُورُهَا فِي الْكَائِنَاتِ ؛ وَالْتَفَّتْ بِهَا ؟ وَأَنَّ هَدْمَ تِلْكَ الْحَقَائِقِ لَيْسَ مُمْكِناً كَهَدْمِ الْكَائِنَاتِ ، وَتَبْدِيلِ صُورَتِهَا . وَإِنَّ مِئَاتِ حَقَائِقَ مُحِيطَةٍ ، مِثْلِ الرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ وَالْحِفْظِ ، تَقْتَضِي الْحَشْرَ ؛ وَتَسْتَلْزِمُ الْآخِرَةَ ، كَهٰذِهِ الْأَضْوَاءِ الثَّلَاثَةِ الْعُظْمَى ؛ وَمَعَ هٰذَا ، فَهَلْ يُمْكِنُ قَطُّ ، أَنْ تَنْقَلِبَ الْحَقَائِقُ الْمُحِيطَةُ الْقَوِيَّةُ جِدّاً ، مِثْلُ الرَّحْمَةِ وَالْعِنَايَةِ ، وَالْعَدَالَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالِاقْتِصَادِ وَالنَّظَافَةِ ، الْحَاكِمَةِ عَلَى الْكَائِنَاتِ وَكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ، بِالظُّلْمِ وَعَدَمِ الرَّحْمَةِ ، وَبِالْإِسْرَافِ وَعَدَمِ الْحِكْمَةِ ، وَبِالْعَبَثِ وَعَدَمِ النَّظَافَةِ ، بِعَدَمِ الْحَشْرِ ، وَبِعَدَمِ مَجِيءِ الْآخِرَةِ ؟ . حَاشَاهَا مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ . .

فَيَا عَجَباً ! إِنَّ رَحْمَةً وَحِكْمَةً تَحْفَظَانِ حَقَّ حَيَاةِ ذُبَابَةٍ ، حِفْظاً رَحِيماً ، هَلْ تُضِيعَانِ بِعَدَمِ إِتْيَانِ الْحَشْرِ ، مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ حُقُوقِ حَيَاةِ جَمِيعِ ذَوِي الشُّعُورِ ، وَمَا لَا نِهَايَةَ لَهَا مِنْ حُقُوقِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي لَا تَتَنَاهَى ؟ وَإِنَّ حَشْمَةَ رُبُوبِيَّةٍ تُظْهِرُ فِي الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ، وَفِي الْعَدَالَةِ وَالْحِكْمَةِ ، دِقَّةً وَحَسَّاسِيَّةً بِلَا حَدٍّ ـ إِنْ جَازَ تَعْبِيرُهُ ـ ؛ وَسَلْطَنَةَ أُلُوهِيَّةٍ تُزَيِّنُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ بِنِعَمٍ وَصَنَائِعَ خَارِقَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، لِإِظْهَارِ كَمَالَاتِهِ ، وَلِتَعَرُّفِهِ وَتَحَبُّبِهِ ، هَلْ تَسْمَحَانِ بِعَدَمِ الْحَشْرِ ، عَدَماً يُنْكِرُ جَمِيعَ كَمَالَاتِهِ ؛ وَيُنَزِّلُ كُلَّ مَخْلُوقَاتِهِ إِلَى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؟ حَاشَاهُمَا ؛ فَإِنَّ جَمَالاً مُطْلَقاً هٰكَذَا ، لَا يَسْمَحُ بِالْبَدَاهَةِ ، بِقُبْحٍ مُطْلَقٍ كَذٰلِكَ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْكِرَ الْآخِرَةَ ، لَا بُدَّ لَهُ أَوَّلاً أَنْ يُنْكِرَ جَمِيعَ الدُّنْيَا بِجَمِيعِ حَقَائِقِهَا ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الدُّنْيَا بِجَمِيعِ حَقَائِقِهَا ، تُكَذِّبُهُ بِمِئَاتِ أُلُوفِ الْأَلْسِنَةِ ؛ وَتُثْبِتُ فِي كَذِبِهِ هٰذَا ، مِئَةَ أَلْفِ دَرَجَةٍ مِنْ أَكَاذِيبِهِ . .

وَقَدْ أَثْبَتَتِ «الْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ» بِدَلَائِلِهَا الْقَاطِعَةِ : أَنَّ وُجُودَ الْآخِرَةِ قَطْعِيٌّ لَا شُبْهَةَ فِيهِ بِقَدَرِ وُجُودِ الدُّنْيَا . .

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ :

الَّتي تُشيرُ إِلَى النُّورِ الثَّالِثِ مِنَ الْأَنْوَارِ السِّتَّةِ لِلاسْمِ الْأَعْظَمِ . .

لَقَدْ تَظَاهَرَ لِي فِي رَمَضَانَ الشَّرِيفِ ، نُكْتَةٌ مِنْ آيَةِ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ ، وَجَلْوَةٌ مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْحَكَمِ» الَّذِي هُوَ اسْمٌ أَعْظَمُ ، أَوْ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِهِ السِّتَّةِ . .

إِنَّ هٰذِهِ «النُّكْتَةَ الثَّالِثَةَ» الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ خَمْسِ نِقَاطٍ ، كُتِبَتْ سَرِيعاً عَلٰى وَجْهِ الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا فَقَطْ ؛ وَبَقِيَتْ فِي حَالِ الْمُسَوَّدَةِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى مِنْهَا :﴾ إِنَّ التَّجَلِّيَ الْأَعْظَمَ لِاسْمِ «الْحَكَمِ» ، صَيَّرَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ بِمَثَابَةِ كِتَابٍ كُتِبَ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ مِنْهُ مِئَاتُ كُتُبٍ ؛ وَأُدْرِجَ فِي كُلِّ سَطْرٍ مِنْهُ مِئَاتُ صُحُفٍ ؛ وَيُوجَدُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ مِئَاتُ سُطُورٍ ؛ وَفِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ مِئَاتُ كَلِمَاتٍ ؛ وَيُوجَدُ فِي كُلِّ نُقْطَةٍ مِنْهُ فِهْرِسٌ صَغِيرٌ مُخْتَصَرٌ مِنَ الْكِتَابِ ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» ؛ فَتَدُلُّ صُحُفُ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ، وَسُطُورُهُ إِلَى نِقَاطِهِ ، بِمِئَاتِ جِهَاتٍ ، عَلٰى نَقَّاشِهِ وَكَاتِبِهِ بِوُضُوحٍ يُثْبِتُ مُشَاهَدَةَ ذٰلِكَ الْكِتَابِ ، وُجُودَ كَاتِبِهِ وَوَحْدَتَهُ ، أَزْيَدَ مِنْ وُجُودِ نَفْسِهِ ، بِمِئَةِ دَرَجَةٍ ؛ لِأَنَّ حَرْفاً يُفِيدُ وُجُودَهُ بِقَدَرِ حَرْفٍ ؛ وَيُفِيدُ كَاتِبَهُ مِقْدَارَ سَطْرٍ . .

نَعَمْ : إِنَّ صَحِيفَةً مِنْ هٰذَا الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، هِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ ؛ فَيُرٰى بِالْبَصَرِ : أَنَّهُ يُكْتَبُ فِيهَا كُتُبٌ عَدَدَ طَوَائِفِ النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، مَعاً مُتَدَاخِلَةً ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ ، عَلٰى أَكْمَلِ صُورَةٍ بِلَا خَطَأٍ . وَإِنَّ سَطْراً مِنْ هٰذِهِ الصَّحِيفَةِ ، حَدِيقَةٌ ؛ فَنَرٰى بِأَعْيُنِنَا : أَنَّهُ تُكْتَبُ فِيهَا قَصَائِدُ مَنْظُومَةٌ ، عَدَدَ مَا فِي تِلْكَ الْحَدِيقَةِ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَزْهَارِ ، مَعاً مُتَدَاخِلَةً ، بِلَا خَطَأٍ . وَإِنَّ كَلِمَةً مِنْ ذٰلِكَ السَّطْرِ ، هِيَ شَجَرَةٌ فَتَحَتِ الْأَزْهَارَ ؛ وَأَوْرَقَتْ مُثْمِرَةً . فَهٰذِهِ الْكَلِمَةُ فِقْرَاتٌ مُفِيدَةٌ فِي مَدْحِ «الْحَكَمِ الْجَلِيلِ» وَثَنَائِهِ ، عَدَدَ أَثْمَارِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَوْرَاقِهَا ، الْمُزَيَّنَةِ الْمَوْزُونَةِ الْمُنْتَظَمَةِ ؛ كَأَنَّ تِلْكَ الشَّجَرَةَ

أَيْضاً ، قَصِيدَةٌ مَنْظُومَةٌ تُغَنِّي مَدَائِحَ نَقَّاشِهَا ، كَكُلِّ شَجَرَةٍ أَوْرَقَتْ ؛ وَكَذَا كَأَنَّ تِلْكَ الشَّجَرَةَ تُرِيدُ أَنْ تَنْظُرَ بِآلافِ الْعُيُونِ ، إِلٰى مَا يَعْرِضُهَا «الْحَكَمُ الْجَلِيلُ» فِي مَعْرِضِ الْأَرْضِ ، مِنْ آثَارِهِ الْخَارِقَةِ الْعَجِيبَةِ ؛ وَأَيْضاً كَأَنَّ تِلْكَ الشَّجَرَةَ اتَّخَذَتْ شَكْلاً مُزَيَّناً وَمَوْزُوناً ، مُنْتَظِماً وَمُفِيداً كَذٰلِكَ ؛ لِتَعْرِضَ عَلٰى نَظَرِ سُلْطَانِهَا ، فِي الرَّبِيعِ الَّذِي هُوَ عِيدُهَا الْخُصُوصِيُّ ، وَعَرْضُهَا الرَّسْمِيُّ ، الْهَدَايَا وَالْأَوْسَامَ وَالْعَلاَمَاتِ الْمُرَصَّعَةَ ، الَّتِي وَهَبَهَا ذٰلِكَ السُّلْطَانُ الْأَزَلِيُّ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ ؛ وَأَنَّهَا أُعْطِيَتْ شَكْلاً حَكِيماً يَشْهَدُ عَلٰى وُجُودِ نَقَّاشِهَا وَعَلٰى أَسْمَائِهِ ، فِي كُلِّ زَهْرَةٍ وَثَمَرَةٍ مِنْ أَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا ، بِدَلاَئِلَ وَوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ مُتَدَاخِلَةٍ . مَثَلاً : إِنَّ فِي كُلِّ زَهْرَةٍ وَثَمَرَةٍ ، مِيزَاناً ؛ وَذٰلِكَ الْمِيزَانُ فِي انْتِظَامٍ ؛ وَذَاكَ الاِنْتِظَامُ فِي تَنْظِيمٍ وَتَوْزِينٍ مُتَجَدِّدَيْنِ ؛ وَذَانِكَ التَّنْظِيمُ وَالتَّوْزِينُ فِي زِينَةٍ وَصَنْعَةٍ ؛ وَتَانِكَ الزِّينَةُ وَالصَّنْعَةُ فِي رَوَائِحَ طَيِّبَةٍ وَطُعُومٍ حَكِيمَةٍ ؛ فَلِذٰلِكَ تُشِيرُ زَهْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، إِلٰى ذٰلِكَ «الْحَكَمِ الْجَلِيلِ» ، عَدَدَ أَزْهَارِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . وَإِنَّ نُقْطَةَ نَوَاةٍ فِي ثَمَرَةٍ ، هِيَ بِمَثَابَةِ حَرْفٍ فِي هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الَّتِي هِيَ كَلِمَةٌ ؛ تِلْكَ النُّقْطَةُ صُنْدُوقٌ صَغِيرٌ مُتَضَمِّنٌ لِفِهْرِسِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ كُلِّهَا ، وَلِمَنْهَجِهَا ، وَهٰكَذَا . .

فَقِيَاساً عَلٰى هٰذَا ، جُعِلَتْ جَمِيعُ سُطُورِ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ ، وَصُحُفِهِ ، بَلْ كُلُّ سَطْرٍ وَكُلُّ كَلِمَةٍ وَكُلُّ حَرْفٍ وَكُلُّ نُقْطَةٍ مِنْهُ ، لا كُلُّ صَحِيفَةٍ فَقَطْ ، مِثْلَ الْمُعْجِزَاتِ ، بِجَلْوَةِ اسْمِ «الْحَكَمِ وَالْحَكِيمِ» ؛ بِحَيْثُ لَوِ اجْتَمَعَتِ الْأَسْبَابُ كُلُّهَا ؛ لَمَا أَتَتْ بِنَظِيرَةِ نُقْطَةٍ ؛ وَلا عَارَضَتْهَا . .

نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ آيَةٍ تَكْوِينِيَّةٍ مِنْ آيَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، ذٰلِكَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، تُظْهِرُ مُعْجِزَاتٍ عَدَدَ نِقَاطِهَا وَحُرُوفِهَا ؛ فَلِذٰلِكَ لا تَسْتَطِيعُ الصُّدْفَةُ الْهَائِمَةُ ، وَالْقُوَّةُ الْعَمْيَاءُ ، وَالطَّبِيعَةُ الصَّمَّاءُ ، الَّتِي لا شُعُورَ وَلا مِيزَانَ لَهَا ، أَنْ تَتَدَخَّلَ بِأَيِّ جِهَةٍ قَطْعاً ، فِي ذٰلِكَ الاِنْتِظَامِ الدَّقِيقِ وَالْمِيزَانِ الْخَاصِّ الْبَصِيرِ الْحَكِيمِ ؛ فَلَوْ تَدَخَّلَتْ فِيهِمَا لَظَهَرَ أَثَرُ التَّدَخُّلِ قَطْعاً ؛ مَعَ أَنَّهُ لا يُشَاهَدُ الْفَسَادُ وَعَدَمُ الاِنْتِظَامِ ، فِي أَيِّ جِهَةٍ أَصْلاً . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : مِنَ النُّكْتَةِ الثَّالِثَةِ ، **مَسْأَلَتَانِ** . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : إِنَّ أَهَمَّ قَاعِدَةٍ أَسَاسِيَّةٍ ، هِيَ : أَنَّ جَمَالاً فِي نِهَايَةِ الْكَمَالِ ، وَكَمَالاً فِي نِهَايَةِ الْجَمَالِ ، يَقْتَضِيَانِ تَشْهِيرَهُمَا وَشُهُودَهُمَا وَإِشْهَادَهُمَا ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي **«الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ»** . فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا الدُّسْتُورِ الْعَامِّ الْأَسَاسِيِّ ، يُعَرِّفُ النَّقَّاشُ الْأَزَلِيُّ لِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ذٰلِكَ الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، جَمَالَ كَمَالِهِ وَكَمَالَ جَمَالِهِ ؛ وَيُحَبِّبُهُمَا بِأَلْسِنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ، مِنْ أَصْغَرِ جُزْئِيٍّ إِلٰى أَكْبَرِ كُلِّيٍّ ؛ لِيُعَرِّفَ نَفْسَهُ وَيُحَبِّبَهَا ؛ وَيُعْلِنَ كَمَالاتِهِ ؛ وَيُظْهِرَ جَمَالَهُ ، بِهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَبِكُلِّ صَحِيفَةٍ وَكُلِّ سَطْرٍ مِنْهَا ، بَلْ وَبِحُرُوفِهَا وَنِقَاطِهَا . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْغَافِلُ ! إِنَّ هٰذَا «الْحَاكِمَ الْحَكَمَ الْحَكِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ» ، يُرِيدُ أَنْ يُعَرِّفَ نَفْسَهُ لَكَ ؛ وَيُحَبِّبَهَا إِلَيْكَ بِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ ، بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ لَا حَدَّ لَهَا كَذٰلِكَ ؛ وَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَعْرِفْهُ بِالْإِيمَانِ ، إِزَاءَ تَعَرُّفِهِ لَكَ ؛ وَلَمْ تُحَبِّبْ نَفْسَكَ إِلَيْهِ بِعُبُودِيَّتِكَ ، إِزَاءَ تَحَبُّبِهِ إِلَيْكَ ؛ يَكُونُ جَهْلاً وَخُسْرَاناً مُضَاعَفَيْنِ بِلَا حَدٍّ . فَاعْلَمْ ذٰلِكَ ؛ وَانْتَبِهْ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : إِنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، ذٰلِكَ الصَّانِعَ **«الْقَدِيرَ الْحَكِيمَ»** ، لَا مَحَلَّ لِلاشْتِرَاكِ فِي مُلْكِهِ ؛ لِأَنَّ الانْتِظَامَ يُوجَدُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يَقْبَلُ الاشْتِرَاكَ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْأَيْدِيَ الْمُتَعَدِّدَةَ ، إِذَا خَالَطَتْ عَمَلاً ؛ يَخْتَلِطُ ذٰلِكَ الْعَمَلُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا وُجِدَ مَلِكَانِ فِي مَمْلَكَةٍ ، أَوْ وَالِيَانِ فِي وِلَايَةٍ ، أَوْ مُدِيرَانِ فِي قَرْيَةٍ ؛ يَشْرَعُ الْفَسَادُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ ، وَذٰلِكَ الْبَلَدِ ، وَتِلْكَ الْقَرْيَةِ ؛ كَمَا أَنَّ عَدَمَ قَبُولِ أَدْنٰى مُوَظَّفٍ ، تَدَخُّلَ الْغَيْرِ فِي وَظِيفَتِهِ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ أَهَمَّ خَاصَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ لِلْحَاكِمِيَّةِ ، هُوَ الاسْتِقْلَالُ وَالانْفِرَادُ . فَإِذاً **إِنَّ الانْتِظَامَ يَقْتَضِي الْوَحْدَةَ ؛ وَإِنَّ الْحَاكِمِيَّةَ تَسْتَلْزِمُ الانْفِرَادَ** ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ ظِلٌّ مُؤَقَّتٌ مِنَ الْحَاكِمِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ الْعَاجِزِ الْمُحْتَاجِ إِلَى الْعَوْنِ ، هٰكَذَا يَرُدُّ التَّدَخُّلَ ؛ فَإِنَّ حَاكِمِيَّةً مُطْلَقَةً حَقِيقِيَّةً فِي دَرَجَةِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، لَا بُدَّ أَنْ تَرُدَّ

بِكُلِّ شِدَّتِهَا ، ذٰلِكَ التَّدَخُّلَ . فَلَوْ وُجِدَ التَّدَخُّلُ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ ؛ لَفَسَدَ الاِنْتِظَامُ ؛ مَعَ أَنَّ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ قَدْ خُلِقَتْ عَلٰى وَجْهٍ يَلْزَمُ لِخَلْقِ نَوَاةٍ ، قُدْرَةٌ تَخْلُقُ شَجَرَةً ؛ وَلاَ بُدَّ لِخَلْقِ شَجَرَةٍ ، مِنْ وُجُودِ قُدْرَةٍ تَخْلُقُ الْكَائِنَاتِ . فَلَوْ وُجِدَ شَرِيكٌ يُدْخِلُ إِصْبَعَهُ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ ذَا حِصَّةٍ فِي أَصْغَرِ نَوَاةٍ ؛ لِأَنَّهَا مِثَالُ الْكَائِنَاتِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَلْزَمُ أَنْ تَسَعَ نَوَاةٌ بَلْ ذَرَّةٌ ، رُبُوبِيَّتَيْنِ لاَ تَسَعُهُمَا مَمْلَكَةٌ عَظِيمَةٌ ؛ وَهٰذَا أَبْعَدُ الْمُحَالاَتِ وَالْخَيَالاَتِ الْبَاطِلَةِ ، وَأَشَدُّهَا بُطْلاَناً . فَاعْلَمْ أَنَّ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ الْمُقْتَضِيَيْنِ لِعَجْزِ قَدِيرٍ مُطْلَقٍ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ، حَتّٰى نَوَاةٍ أَيْضاً ـ ذٰلِكَ الْقَدِيرِ الَّذِي يَقْبِضُ جَمِيعَ أَحْوَالِ الْكَائِنَاتِ وَكَيْفِيَّاتِهَا ، فِي مِيزَانِ عَدْلِهِ ، وَفِي حُكْمِ نِظَامِهِ ـ افْتِرَاءٌ وَخَطَأٌ وَكَذِبٌ مُضَاعَفٌ بِلاَ حَدٍّ ؛ وَأَنَّ التَّوْحِيدَ ، صِدْقٌ وَحَقٌّ وَحَقِيقَةٌ مُضَاعَفَةٌ بِدُونِ حَدٍّ . فَقُلْ : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى الْإِيمَانِ» . .

اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : إِنَّ الصَّانِعَ «الْقَدِيرَ» ، أَدْخَلَ بِاسْمِهِ «الْحَكَمِ وَالْحَكِيمِ» ، أُلُوفَ عَوَالِمَ مُنْتَظِمَةٍ فِي هٰذَا الْعَالَمِ ؛ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مَدَارٍ وَمَظْهَرٍ لِمَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنَ الْحِكَمِ ، بِمَثَابَةِ مَرْكَزٍ وَمَدَارٍ بَيْنَ تِلْكَ الْعَوَالِمِ ؛ وَإِنَّ أَهَمَّ حِكَمِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ ، وَأَهَمَّ فَوَائِدِهَا ، يَنْظُرَانِ إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ وَجَعَلَ الرِّزْقَ بِمَثَابَةِ مَرْكَزٍ فِي دَائِرَةِ الْإِنْسَانِ أَيْضاً ؛ فَيَنْظُرُ أَكْثَرُ الْمَصَالِحِ وَالْحِكَمِ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ ، إِلٰى ذٰلِكَ الرِّزْقِ ؛ وَيَتَظَاهَرُ بِهِ تِلْكَ الْمَصَالِحُ وَالْحِكَمُ ؛ وَيُرٰى جَلْوَةُ اسْمِ «الْحَكِيمِ» بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ ، بِوَاسِطَةِ الذَّوْقِ فِي الرِّزْقِ ، وَالشُّعُورِ فِي الْإِنْسَانِ ؛ وَيُعَرِّفُ كُلُّ فَنٍّ مِنْ مِئَاتِ فُنُونٍ اكْتُشِفَتْ بِوَاسِطَةِ شُعُورِ الْإِنْسَانِ ، جَلْوَةً مَّا لِاسْمِ «الْحَكَمِ» ، فِي نَوْعٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ . .

مَثَلاً : لَوْ سُئِلَ فَنُّ الطِّبِّ : مَا هِيَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ ؟ يَقُولُ قَطْعاً : إِنَّهَا صَيْدَلِيَّةٌ كُبْرٰى مُكَمَّلَةٌ وَمُنْتَظَمَةٌ غَايَةَ الاِنْتِظَامِ ، أُعِدَّ فِيهَا كُلُّ أَدْوِيَةٍ ؛ وَنُضِّدَتْ تَنْضِيداً جَيِّداً . .

وَلَوْ سُئِلَ فَنُّ الْكِيمِيَاءِ : مَا هِيَ هٰذِهِ الْكُرَةُ الْأَرْضِيَّةُ ؟ يُجِيبُ : أَنَّهَا مَصْنَعٌ كِيمَوِيٌّ مُكَمَّلٌ وَمُنْتَظَمٌ جِدّاً . .

وَيقُولُ فَنُّ الْآلاَت : إِنَّهَا مَعْمَلٌ مُكَمَّلٌ لِلْغَايَةِ لا نَقْص فِيهِ . .

وَيقُولُ فَنُّ الزِّرَاعَةِ : إِنَّهَا حَدِيقَةٌ مُكَمَّلَةٌ ، وَمَزْرَعَةٌ مُنْتَظَمَةٌ ، ذَاتُ مَحْصُولاَتٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، تُنْضِجُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْحُبُوبِ فِي أَوْقَاتِهَا . .

وَيقُولُ فَنُّ التِّجَارَةِ : إِنَّهَا مَعْرِضٌ مُنْتَظَمٌ لِلْغَايَةِ ، وَسُوقٌ مُنَظَّمٌ جِدّاً ، وَدُكَّانٌ مُصَنَّعَةُ الْبَضَائِعِ . .

وَيقُولُ فَنُّ الْإِعَاشَةِ : إِنَّهَا مُسْتَوْدَعٌ مُنْتَظَمٌ ، جَامِعٌ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْأَرْزَاقِ . .

وَيقُولُ فَنُّ الرِّزْقِ : إِنَّهَا مَطْبَخٌ رَبَّانِيٌّ ، وَجَفْنَةٌ رَحْمَانِيَّةٌ ، تُطْبَخُ فِيهَا مِئَاتُ أُلُوفِ أَطْعِمَةٍ لَذِيذَةٍ ، مَعاً ، بِكَمَالِ الاِنْتِظَامِ . .

وَيقُولُ فَنُّ الْعَسْكَرِيَّةِ : إِنَّ الْأَرْضَ مُعَسْكَرٌ ، يُوجَدُ فِيهِ أَرْبَعُمِئَةِ أَلْفِ مِلَّةٍ مُختَلِفَةٍ ، اجْتُلِبَتْ إِلَى التَّدْرِيبِ عَنْ جَدِيدٍ ؛ وَنُصِبَتْ خِيَامُهَا عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فِي كُلِّ فَصْلِ رَبِيعٍ ؛ مَعَ أَنَّ أَرْزَاقَهَا مُخْتَلِفَةٌ ؛ وَأَلْبِسَتَهَا وَأَسْلِحَتَهَا مُتَغَايِرَةٌ ؛ وَتَدْرِيبَاتِهَا وَتَسْرِيحَاتِهَا مُتَبَايِنَةٌ ؛ فَتُصْنَعُ مُنْتَظَمَةً غَايَةَ الاِنْتِظَامِ ؛ وَتُدَارُ بِكَمَالِ النِّظَامِ ، بِأَمْرِ قَائِدٍ أَعْظَمَ وَحِيدٍ ، وَبِقُوَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَخَزِينَتِهِ ، دُونِ أَنْ يُخْطِئَ أَوْ يَنْسَى أَحَداً . .

وَلَوْ سُئِلَ فَنُّ الْكَهْرَبَاءِ ، يَقُولُ قَطْعاً : إِنَّ سَقْفَ قَصْرِ هٰذَا الْعَالَمِ الْمُحْتَشِمِ ، قَدْ زُيِّنَ بِمَا لا حَدَّ لَهَا مِنْ سُرُجٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ مُنْتَظَمَةٍ مَوْزُونَةٍ ؛ لٰكِنَّهَا بِانْتِظَامٍ وَمِيزَانٍ خَارِقَيْنِ ؛ فَلِذٰلِكَ لا تَنْفَجِرُ تِلْكَ السُّرُجُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهَا الشَّمْسُ ؛ وَلاَ تُنْتِجُ الْحَرِيقَ ؛ وَلاَ تُفْسِدُ مُوَازَنَتَهَا . فَمِنْ أَيْنَ تَجِيءُ وَارِدَاتُهَا وَنِفْطُهَا وَمَوَادُّ اشْتِعَالِهَا ؛ وَلِمَاذَا لا تَنْفَدُ ؛ وَلاَ تَخْتَلُّ مُوَازَنَةُ اشْتِعَالِهَا ؟ مَعَ أَنَّهَا تَتَوَقَّدُ دَائِماً ؛ وَمَصَارِفُهَا لا حَدَّ لَهَا . وَالْحَالُ : أَنَّ سِرَاجاً صَغِيراً أَيْضاً ، لَوْ لَمْ يُعْتَنَ بِهِ مُنْتَظَماً لاَنْطَفَأَ . فَانْظُرْ إِلٰى حِكْمَةِ «الْحَكِيمِ ذِي الْجَلاَلِ» وَإِلٰى قُدْرَتِهِ ، الَّذِي يُشْعِلُ الشَّمْسَ الَّتِي عَاشَتْ أَكْثَرَ مِنْ مِلْيُونِ سَنَةٍ ؛ وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَزْيَدَ مِنْ مِلْيُونِ مَرَّةٍ ، لَدٰى عِلْمِ الْفَلَكِ ؛ وَيُوقِدُهَا

بِلا فَحْمٍ وَبِدُونِ نِفْطٍ[١] ؛ وَلا يُطْفِئُهَا ؛ وَقُلْ : «سُبْحَانَ اللهِ» ؛ وَاذْكُرْ : «مَا شَاءَ اللهُ ، وَبَارَكَ اللهُ ، وَلا إِلٰهَ إِلّا هُوَ» ، عَدَدَ عَاشِرَاتِ دَقَائِقَ مَضَتْ فِي مُدَّةِ عُمُرِ الشَّمْسِ . فَإِذاً إِنَّ فِي هٰذِهِ السُّرُجِ السَّمَاوِيَّةِ انْتِظاماً خَارِقاً ؛ وَإِنَّهُ يُهْتَمُّ بِهَا بِدِقَّةٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَكَأَنَّ خِزَانَةَ بُخَارِ تِلْكَ الْكُتَلِ النَّارِيَّةِ وَالْقَنَادِيلِ النُّورِيَّةِ ، الْكَثِيرَةِ الْعَظِيمَةِ جِدّاً ، هِيَ جَهَنَّمُ لا يَنْفَدُ حَرُّهَا ؛ فَتُعْطِيهَا الْحَرَارَةَ بِدُونِ النُّورِ ؛ وَكَأَنَّ مَعْمَلَ تِلْكَ السُّرُجِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ ، وَمَرْكَزَهَا وَمَصْنَعَهَا ، جَنَّةٌ دَائِمَةٌ تُعْطِيهَا النُّورَ وَالضِّيَاءَ ؛ فَيَدُومُ اشْتِعَالُهَا بِالانْتِظَامِ ، بِالْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْحَكَمِ وَالْحَكِيمِ» ، وَهٰكَذَا . .

فَقِيَاساً عَلٰى هٰذِهِ الْفُنُونِ ، زُيِّنَتْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ بِمَا لا يُحَدُّ مِنَ الْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ ، فِي انْتِظَامٍ أَكْمَلَ بِدُونِ نُقْصَانٍ ، بِشَهَادَةِ كُلِّ فَنٍّ مِنْ مِئَاتِ الْفُنُونِ ، شَهَادَةً قَاطِعَةً ؛ وَأُدْرِجَ فِي أَصْغَرِ حَيٍّ وَنَوَاةٍ ، بِمِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، مَا أُعْطِيَ مَجْمُوعُ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْحِكَمِ وَالانْتِظَامِ ، بِتِلْكَ الْحِكْمَةِ الْمُحِيطَةِ الْخَارِقَةِ . .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ وَالْبَدِيهِيِّ : أَنَّ رِعَايَةَ الْفَوَائِدِ وَالْحِكَمِ وَالْغَايَاتِ ، إِنَّمَا يُمْكِنُ بِالاخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ ، وَبِالْقَصْدِ وَالْمَشِيئَةِ ؛ وَلا يُمْكِنُ غَيْرُهُ ؛ وَأَنَّ ذٰلِكَ لا يَكُونُ مِنْ شَأْنِ الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي لا شُعُورَ وَلا قَصْدَ وَلا إِرَادَةَ وَلَا اخْتِيَارَ لَهَا ؛ كَمَا لا يُمْكِنُ لَهَا تَدَخُّلٌ أَيْضاً . فَإِذاً إِنَّ الْإِنْكَارَ وَعَدَمَ الْمَعْرِفَةِ بِصَانِعٍ حَكِيمٍ وَفَاعِلٍ مُخْتَارٍ ، تَسْتَلْزِمُهُ جَمِيعُ مَوْجُودَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ بِانْتِظَامَاتِهَا وَحِكَمِهَا الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، جَهْلٌ وَجُنُونٌ عَجِيبَانِ لا يُعَرَّفَانِ . . نَعَمْ : إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مَا يُتَحَيَّرُ مِنْهُ أَكْثَرَ ؛ فَهُوَ هٰذَا

---

(١) فَيَا لَلْعَجَبِ ! فَلْيُحْسَبْ مَا يَلْزَمُ لِسِرَاجِ الشَّمْسِ ، أَوْ لِمَوْقِدِهَا الَّذِي يُدْفِئُ قَصْرَ الدُّنْيَا ، مِنَ الْحَطَبِ وَالْفَحْمِ وَالنِّفْطِ ؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ لِاشْتِعَالِهَا كُلَّ يَوْمٍ ، كُتَلُ حَطَبٍ مِقْدَارَ مِلْيُونٍ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَالنِّفْطُ مِقْدَارَ آلافِ بِحَارٍ مِنْهَا ، إِنْ نُظِرَ إِلٰى قَوْلِ عِلْمِ الْفَلَكِ . وَالْآنَ تَفَكَّرْ وَقُلْ : «سُبْحَانَ اللهِ ؛ مَا شَاءَ اللهُ ؛ بَارَكَ اللهُ» ، عَدَدَ ذَرَّاتِ الشَّمْسِ ، لِقُدْرَةِ وَحِكْمَةِ وَحِشْمَةِ الْقَدِيرِ ذِي الْجَلالِ ، الَّذِي يُشْعِلُ الشَّمْسَ دَائِماً ، بِدُونِ حَطَبٍ وَنِفْطٍ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

الْإِنْكَارُ؛ لِأَنَّ عَدَمَ مُشَاهَدَتِهِ لِذٰلِكَ الصَّانِعِ؛ وَعَدَمَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ؛ مَعَ أَنَّ لَهُ شَوَاهِدَ عَلٰى وُجُودِهِ وَوَحْدَتِهِ، بِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنِ انْتِظَامَاتِ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ، وَحِكَمِهَا، يَفْهَمُ جَاهِلٌ أَعْمٰى أَيْضاً، مَدٰى دَرَجَةِ كَوْنِهِ جَهْلاً وَعَمًى؛ حَتّٰى إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ: إِنَّ السُّوفَسْطَائِيِّينَ الَّذِينَ يُظَنُّونَ حَمَاقٰى مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْكُفْرِ، لِإِنْكَارِهِمْ وُجُودَ الْعَالَمِ، هُمْ أَعْقَلُهُمْ؛ لِأَنَّ قَبُولَ وُجُودِ الْعَالَمِ مَعَ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِإِلٰهِهِ وَخَالِقِهِ، غَيْرُ قَابِلٍ وَمُمْكِنٍ؛ فَلِذٰلِكَ شَرَعُوا فِي إِنْكَارِ الْعَالَمِ؛ وَأَنْكَرُوا أَنْفُسَهُمْ أَيْضاً؛ فَقَالُوا لَا يُوجَدُ شَيْءٌ؛ وَاسْتَقَالُوا عَنِ الْعَقْلِ؛ فَنَجَوْا عَمَّا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ سَخَافَاتِ سَائِرِ الْمُنْكِرِينَ، تَحْتَ غِطَاءِ الْعَقْلِ؛ فَاقْتَرَبُوا مِنَ الْعَقْلِ بِدَرَجَةٍ مَّا..

﴿اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ:﴾ إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ أَيُّ ذِي شُعُورٍ، أَنْ يُرَاعِيَ صَانِعٌ «حَكِيمٌ»، وَبَنَّاءٌ «ذُو حِكْمَةٍ»، مِئَاتِ حِكَمٍ، بِالْحَسَّاسِيَّةِ، فِي كُلِّ حَجَرٍ مِنْ أَحْجَارِ قَصْرٍ؛ ثُمَّ لَا يَصْنَعَ لِذٰلِكَ الْقَصْرِ سَقْفاً؛ فَيُضِيعَ بِخَرَابِهِ هَبَاءً، مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ حِكَمِهِ الَّتِي رَاعَاهَا فِيهِ. وَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ بِأَيِّ جِهَةٍ، أَنْ يَصْرِفَ «حَكِيمٌ مُطْلَقٌ»، نَفَقَاتٍ كَثِيرَةً، لِشَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ كَجَبَلٍ، لِإِنْتَاجِ ثَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَغَايَةٍ صَغِيرَةٍ، وَفَائِدَةٍ وَحِيدَةٍ، مِقْدَارَ دِرْهَمٍ، مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْجَسِيمَةِ؛ وَيَفْعَلَ بِذٰلِكَ سَفَاهَةً مُسْرِفَةً مُخَالِفَةً وَمُضَادَّةً لِحِكْمَتِهِ كُلِّيّاً؛ مَعَ أَنَّهُ يُرَاعِي بِالدِّقَّةِ مِنْ كَمَالِ حِكْمَتِهِ، مِئَاتِ رَطْلٍ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْغَايَاتِ وَالْحِكَمِ، مِنْ نَوَاةٍ مِثْلِ دِرْهَمٍ؛ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ»؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ، إِنَّ صَانِعاً حَكِيماً عَلَّقَ مِئَاتِ حِكَمٍ، عَلٰى كُلِّ مَوْجُودٍ مِنْ مَوْجُودَاتِ قَصْرِ هٰذَا الْعَالَمِ؛ وَجَهَّزَ كُلّاً مِنْهَا بِمِئَاتِ وَظَائِفَ؛ حَتّٰى إِنَّهُ أَعْطٰى كُلَّ شَجَرَةٍ حِكَماً عَدَدَ أَثْمَارِهَا، وَوَظَائِفَ عَدَدَ أَزْهَارِهَا، إِذَا أَضَاعَ مَا لَا نِهَايَةَ لَهَا مِنْ جَمِيعِ الْوَظَائِفِ وَالْحِكَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصٰى، عَبَثاً لَا مَعْنٰى لَهُ، وَهَبَاءً بِدُونِ فَائِدَةٍ، بِعَدَمِ إِيجَادِ الْحَشْرِ، وَعَدَمِ الْإِتْيَانِ بِالْقِيَامَةِ؛ يُورِثُ ذٰلِكَ عَجْزاً مُطْلَقاً، لِكَمَالِ قُدْرَةِ ذٰلِكَ «الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ»؛ كَمَا يَكُونُ بِمَعْنٰى إِيرَاثِ الْعَبَثِ وَعَدَمِ الْفَائِدَةِ بِلَا حَدٍّ، لِكَمَالِ حِكْمَةِ ذٰلِكَ «الْحَكِيمِ الْمُطْلَقِ»، وَإِيرَاثِ الْقُبْحِ بِلَا

نِهَايَةٍ ، لِجَمَالِ رَحْمَةِ ذٰلِكَ «الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ» ، وَإِيرَاثِ الظُّلْمِ بِلا حَدٍّ ، لِكَمَالِ عَدَالَةِ ذٰلِكَ «الْعَادِلِ الْمُطْلَقِ» ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُنْكِرُ بِذٰلِكَ ، مَا يُرى فِي الْكَائِنَاتِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، مِنَ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدَالَةِ . وَمَا هٰذَا إِلّا أَعْجَبُ مُحَالٍ يُوجَدُ فِيهِ أُمُورٌ بَاطِلَةٌ لا حَدَّ لَهَا . .

فَلْيَأْتِ أَهْلُ الضَّلالِ ؛ وَلْيَنْظُرُوا إِلٰى ضَلالِهِمْ ؛ وَلْيَرَوْا أَنَّ فِيهِ أَيَّ ظُلْمَةٍ هَائِلَةٍ ؛ وَأَنَّهُ بِئْرٌ هِيَ وَكْرٌ لِلْعَقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ كَقَبْرِهِمُ الَّذِي يَتَصَوَّرُونَهُ وَسَيَدْخُلُونَهُ ؛ وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ ، طَرِيقٌ نَيِّرٌ جَمِيلٌ كَالْجَنَّةِ ؛ فَلْيَدْخُلُوا فِي الْإِيمَانِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ :﴾ مَسْأَلَتَانِ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : إِنَّ الصَّانِعَ «الْجَلِيلَ» يُرَاعِي بِالِاهْتِمَامِ أَنْفَعَ شَكْلٍ ، وَأَسْهَلَ نَمَطٍ ، وَأَقْصَرَ طَرِيقٍ ، وَأَخَفَّ صُورَةٍ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ، بِمُقْتَضَى اسْمِ «الْحَكِيمِ» ؛ فَيَدُلُّ ذٰلِكَ عَلٰى أَنَّهُ لا إِسْرَافَ ، وَلا عَبَثَ ، وَلا بَاطِلَ فِي الْفِطْرَةِ ؛ فَإِنَّ الْإِسْرَافَ ضِدٌّ لِاسْمِ «الْحَكِيمِ» ؛ كَمَا أَنَّ الِاقْتِصَادَ ، لازِمُهُ وَدُسْتُورُهُ الْأَسَاسِيُّ . .

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمُسْرِفُ غَيْرَ الْمُقْتَصِدِ ! اعْلَمْ أَنَّكَ تَعْمَلُ أَيَّ عَمَلٍ مُخَالِفٍ لِلْحَقِيقَةِ ؛ حَيْثُ لا تَعْمَلُ بِالِاقْتِصَادِ الَّذِي هُوَ أُسُّ أَسَاسِ دَسَاتِيرِ الْكَائِنَاتِ كُلِّهَا ؛ وَافْهَمْ أَنَّ آيَةَ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ تُدَرِّسُ أَيَّ دُسْتُورٍ وَاسِعٍ أَسَاسِيٍّ . .

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اسْمَ «الْحَكَمِ وَالْحَكِيمِ» ، يَدُلّانِ عَلٰى رِسَالَةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ؛ وَيَسْتَلْزِمَانِ رِسَالَتَهُ بِدَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ . نَعَمْ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ كِتَابٌ مُفِيدٌ لِلْغَايَةِ ، يَسْتَدْعِي مُعَلِّماً يُدَرِّسُهُ ؛ وَكَانَ جَمَالٌ جَمِيلٌ ، يَقْتَضِي مِرْآةً تَرٰى ذٰلِكَ الْجَمَالَ ؛ وَتُرِيهِ غَيْرَهَا ؛ وَكَانَتْ صَنْعَةٌ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ ، تَسْتَلْزِمُ دَلّالاً مُشَهِّراً ؛ فَإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ مُعَلِّمٌ أَكْبَرُ ، وَمُرْشِدٌ أَكْمَلُ ، بَيْنَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ مُخَاطَبٌ لِكِتَابِ الْكَائِنَاتِ ، هٰذَا الْكِتَابِ الْكَبِيرِ الَّذِي يُوجَدُ فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ

مِئَاتُ مَعَانٍ وَحِكَمٍ ، حتّى يُدَرِّسَ مَا فِي ذٰلِكَ الْكِتَابِ مِنَ الْحِكَمِ الْحَقِيقِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ بَلْ لِيُعْلِمَ وُجُودَ الْحِكَمِ فِي الْكَائِنَات ؛ بَلْ لِيَكُونَ وَسِيلَةً لِظُهُورِ الْمَقَاصِدِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي خِلْقَةِ الْكَائِنَات ، بَلْ وَسِيلَةً لِحُصُولِهَا ؛ وَيُعْلِمَ جَمالَ أَسْمَاءِ الْخَالِقِ ، وَكَمَالَ صَنْعَتِهِ ، اللَّذَيْنِ أُرِيدَ إِظْهَارُهُمَا بِالِاهْتِمَامِ مِنْ جَانِبِ الْخَالِقِ ، فِي جَمِيعِ الْكَائِنَات ؛ وَيَكُونَ مِرْآةً لِذٰلِكَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ؛ وَأَنْ يُقَابِلَ أَحَدٌ بِاسْمِ ذَوِي الشُّعُورِ مِنْ مَخْلُوقَاتِ ذٰلِكَ الْخَالِقِ ، بِعُبُودِيَّةٍ وَاسِعَةٍ ، إِزَاءَ تَظَاهُرَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ الْوَاسِعَةِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ الْخَالِقَ يَطْلُبُ الْمُقَابَلَةَ مِنْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ الشُّعُورِ ؛ وَيُرِيدُ التَّحَبُّبَ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَات ؛ وَأَنْ يُقِيمَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ إِلَى جَذْبَةِ الذِّكْرِ ؛ وَيُطَنِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ وَيُحَوِّلَ أَنْظَارَ ذَوِي الشُّعُورِ ، بِصِيَاحِ التَّشْهِيرِ وَالتَّقْدِيسِ ، إِلَى صَانِعِ تِلْكَ الصَّنَائِعِ ؛ وَيُظْهِرَ بِأَجْمَلِ صُورَةٍ ، مَقَاصِدَ ذٰلِكَ الصَّانِعِ «الْحَكَمِ الْحَكِيمِ» ، مِنْ مَقَاصِدِهِ الْإِلٰهِيَّةِ ، بِقُرْآنٍ عَظِيمِ شَأْنٍ يَصْرِفُ إِلَى نَفْسِهِ ، آذَانَ أَهْلِ الْعَقْلِ كُلِّهِمْ ، بِدُرُوسٍ وَآدَابٍ قُدُسِيَّةٍ ؛ وَأَنْ يُقَابِلَ أَكْمَلَ مُقَابَلَةٍ إِزَاءَ تَظَاهُرَاتِهِ الْجَمَالِيَّةِ وَالْجَلَالِيَّةِ ، وَتَظَاهُرِ جَمِيعِ حِكَمِهِ . فَوُجُودُ مِثْلِ هٰذَا الْإِنْسَانِ ، لَازِمٌ وَضَرُورِيٌّ لِهٰذِهِ الْكَائِنَات ، كَوُجُودِ الشَّمْسِ . وَإِنَّ الَّذِي يَفْعَلُ كَذٰلِكَ ؛ وَيُؤَدِّي تِلْكَ الْوَظَائِفَ بِأَكْمَلِ صُورَةٍ ، هُوَ «الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، بِالْمُشَاهَدَةِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنَ الْحِكَمِ ، تَسْتَلْزِمُ الرِّسَالَةَ الْأَحْمَدِيَّةَ ، بِدَرَجَةِ اسْتِلْزَامِ الشَّمْسِ لِلضِّيَاءِ ، وَاسْتِلْزَامِ الضِّيَاءِ لِلنَّهَارِ . . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ اسْمَ «الْحَكِيمِ» يَقْتَضِي بِجَلْوَتِهِ الْعُظْمَى ، الرِّسَالَةَ الْأَحْمَدِيَّةَ بِالدَّرَجَةِ الْعُظْمَى ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى مِثْلِ : «اللهِ وَالرَّحْمٰنِ وَالرَّحِيمِ ، وَالْوَدُودِ وَالْمُنْعِمِ وَالْكَرِيمِ ، وَالْجَمِيلِ وَالرَّبِّ» ، يَسْتَلْزِمُ كُلٌّ مِنْهَا بِأَعْظَمِ جَلْوَةٍ تُشَاهَدُ فِي الْكَائِنَات ، الرِّسَالَةَ الْأَحْمَدِيَّةَ بِالدَّرَجَةِ الْعُظْمَى ، وَالْمَرْتَبَةِ الْقُصْوَى . مَثَلاً : إِنَّ الرَّحْمَةَ الْوَاسِعَةَ الَّتِي هِيَ جَلْوَةُ اسْمِ «الرَّحْمٰنِ» ، تَتَظَاهَرُ بِذٰلِكَ الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ؛ وَإِنَّ التَّعَرُّفَ الرَّبَّانِيَّ وَالتَّحَبُّبَ الْإِلٰهِيَّ الَّذِي هُوَ جَلْوَةُ اسْمِ «الْوَدُودِ» ، يَرَى الْمُقَابَلَةَ وَيُفِيدُ النَّتِيجَةَ ، بِذٰلِكَ

الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَإِنَّ كُلَّ أَنْوَاعِ الْجَمَالِ الَّتِي هِيَ جَلْوَةٌ مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْجَمِيلِ» ، أَعْنِي : جَمَالَ الذَّاتِ ، وَجَمَالَ الصِّفَاتِ ، وَجَمَالَ الْأَسْمَاءِ ، وَجَمَالَ الصَّنْعَةِ ، وَجَمَالَ الْمَصْنُوعَاتِ ، تُرٰى وَتَظْهَرُ فِي تِلْكَ الْمِرْآةِ الْأَحْمَدِيَّةِ أَيْضاً ؛ وَإِنَّ جَلَوَاتِ سَلْطَنَةِ الْأُلُوهِيَّةِ وَحِشْمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ أَيْضاً ، تُعْلَمُ بِرِسَالَةِ الذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ دَلّالُ سَلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَتُرٰى بِتِلْكَ الرِّسَالَةِ ؛ وَتُفْهَمُ وَتُقْبَلُ بِهَا . وَهٰكَذَا فَإِنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَكْثَرِ الْأَسْمَاءِ أَيْضاً ، بُرْهَانٌ لَامِعٌ لِلرِّسَالَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْمَذْكُورَةِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْكَائِنَاتُ مَوْجُودَةً لَا تُنْكَرُ ؛ فَإِنَّ حَقَائِقَ مَشْهُودَةً مِثْلَ «الْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَالْجَمَالِ وَالنِّظَامِ وَالْمِيزَانِ» ، الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ الْأَلْوَانِ وَالزِّينَةِ ، وَالْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ ، وَالصِّفَاتِ وَالْحَيَاةِ وَالرَّوَابِطِ لِلْكَائِنَاتِ ، لَا تُنْكَرُ بِأَيِّ جِهَةٍ قَطْعاً ؛ وَإِذَا كَانَ إِنْكَارُ هٰذِهِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ غَيْرَ مُمْكِنٍ ؛ فَإِنَّ الذَّاتَ الْوَاجِبَ الْوُجُودِ ، «الْحَكِيمَ الْكَرِيمَ الرَّحِيمَ ، الْجَمِيلَ الْحَكَمَ الْعَدْلَ» ، الْمَوْصُوفَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ، وَالْفَاعِلَ لِتِلْكَ الْأَفْعَالِ ، وَشَمْسَ تِلْكَ الْأَضْوَاءِ ، لَا يُنْكَرُ بِأَيِّ وَجْهٍ أَصْلاً ؛ وَإِنْكَارُهُ غَيْرُ قَابِلٍ ؛ وَإِنَّ رِسَالَةَ «مُحَمَّدٍ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، ذٰلِكَ الْحَبِيبِ الرَّحْمَانِيِّ ، وَالْمِعْكَسِ الصَّمَدَانِيِّ ، وَكَشَّافِ طِلْسِمِ الْعَالَمِ ، وَالدَّلَّالِ الْأَعْظَمِ ، وَالْمُعَلِّمِ الْأَكْمَلِ ، وَالْمُرْشِدِ الْأَكْبَرِ ، الَّذِي هُوَ مَدَارٌ لِظُهُورِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ ، بَلْ مَدَارٌ لِكَمَالِهَا ، بَلْ لِتَحَقُّقِهَا ، لَا تُنْكَرُ بِأَيَّةِ جِهَةٍ قَطْعاً ؛ وَإِنَّ رِسَالَةَ هٰذَا الرَّسُولِ ، أَشْرَقُ ضِيَاءٍ لِعَالَمِ الْحَقِيقَةِ ، وَحَقِيقَةِ الْعَالَمِ ، مِثْلَ أَضْوَائِهِمَا الْمَذْكُورَةِ . .

عَلَيْهِ وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بِعَدَدِ عَاشِرَاتِ الْأَيَّامِ ، وَذَرَّاتِ الْأَنَامِ . .

اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلاثِينَ :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ﴾ . .

لَقَدْ ظَهَرَتْ لِي فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِر» ، فِي شَوَّالِ الشَّرِيفِ ، نُكْتَةٌ مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ ، وَجَلْوَةٌ مِنِ اسْمِ «الْفَرْدِ» ، الَّذِي هُوَ اسْمٌ أَعْظَمُ يَتَضَمَّنُ اسْمَيِ «الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ» ، أَوْ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِهِ السِّتَّةِ . .

وَنُحِيلُ تَفَاصِيلَ تِلْكَ الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى ، إِلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ فَنُبَيِّنُ هٰهُنَا مُخْتَصَراً ، بِسَبْعِ إِشَارَاتٍ مُخْتَصَرَةٍ ، التَّوْحِيدَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْمُ «الْفَرْدِ» بِتَجَلِّيهِ الْأَعْظَمِ . .

اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى :

إِنَّ اسْمَ «الْفَرْدِ» ، ذٰلِكَ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ ، وَضَعَ سِكَكَ التَّوْحِيدِ ، وَخَوَاتِمَ الْوَحْدَانِيَّةِ ، بِتَجَلٍّ أَعْظَمَ ، عَلٰى هَيْئَةِ مَجْمُوعِ الْكَائِنَاتِ ، وَعَلٰى كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا ، وَعَلٰى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُ ؛ وَقَدْ بَيَّنَ ذٰلِكَ مُفَصَّلاً ، «الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ ، وَالْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ» . وَنَحْنُ هٰهُنَا نُشِيرُ إِلٰى ثَلَاثِ سِكَكٍ فَقَطْ . .

﴿اَلسِّكَّةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّ جَلْوَةَ الْفَرْدِيَّةِ ، وَضَعَتْ عَلٰى وَجْهِ الْكَائِنَاتِ ، سِكَّةً مِنْ سِكَكِ الْوَحْدَةِ ؛ بِحَيْثُ جَعَلَتِ الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ كُلٍّ لَا يَقْبَلُ تَجَزُّؤاً ؛ فَمَنْ لَا يَتَصَرَّفُ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ لَا يَكُونُ مَالِكاً حَقِيقِيّاً لِجُزْءٍ مِنْهَا أَصْلاً . وَتِلْكَ السِّكَّةُ هِيَ أَنَّ مَوْجُودَاتِ الْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعَهَا ، يَتَعَاوَنُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ ؛ وَيَعْمَلُ بَعْضُهَا لِتَكْمِيلِ عَمَلِ الْآخَرِ ، كَآلَاتِ مَصْنَعٍ مُنْتَظِمٍ ؛ فَتُشَكِّلُ وَحْدَةَ وُجُودٍ بِصُورَةِ تَدَاخُلِهَا وَتَعَانُقِهَا ، وَسَبْقِ بَعْضٍ إِلٰى إِمْدَادِ

بَعْضِهَا ، وَإِجَابَةِ بَعْضٍ لِسُؤَالِ بَعْضِهَا ، وَبِتَعَاوُنِهَا وَتَسَانُدِهَا ؛ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ تَفْرِيقُ بَعْضِهَا عَنِ الْبَعْضِ ، كَالْعَنَاصِرِ الْمَوْجُودَةِ فِي جَسَدِ إِنْسَانٍ . فَمَنْ أَمْسَكَ بِزِمَامِ عُنْصُرٍ ؛ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُمْسِكَ أَزِمَّةَ الْكُلِّ ؛ لَا يَضْبِطُ زِمَامَ ذٰلِكَ الْعُنْصُرِ الْوَحِيدِ .. فَهٰذَا **التَّعَاوُنُ وَالتَّسَانُدُ ، وَالتَّجَاوُبُ وَالتَّعَانُقُ ، سِكَّةٌ كُبْرٰى مُشْرِقَةٌ جِدّاً مِنْ سِكَكِ الْوَحْدَةِ ..**

﴿**اَلسِّكَّةُ الثَّانِيَةُ :**﴾ أَنَّهُ تُرٰى بِجَلْوَةِ اسْمِ «**الْفَرْدِ**» ، سِكَّةٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ سِكَكِ الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَخَاتَمٌ لَامِعٌ مِنْ خَوَاتِمِ الْأَحَدِيَّةِ ، فِي سِيمَا الرَّبِيعِ ، وَعَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ بِحَيْثُ تُثْبِتُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُدِيرَ جَمِيعَ ذَوِي الْحَيَاةِ عَلٰى سَطْحِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، بِجَمِيعِ أَفْرَادِهَا وَأَحْوَالِهَا وَشُؤُونِهَا ؛ وَأَنْ يَرٰى جَمِيعَهَا وَيَعْلَمَهَا وَيَخْلُقَهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ لَا يَتَدَخَّلُ فِي شَيْءٍ أَصْلاً ، بِجِهَةِ الْإِيجَادِ . فَانْظُرْ إِلٰى هٰذِهِ السِّكَّةِ فَقَط ، الْمَنْقُوشَةِ الْمَنْسُوجَةِ بِوَشَائِجِ مِئَتَيْ أَلْفِ طَائِفَةٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَمِئَتَيْ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ السِّكَكِ الْخَفِيَّةِ الْمُنْتَظَمَةِ لِلْغَايَةِ ، مِنْ سِكَكِ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَامِدَةِ ، وَالْعَنَاصِرِ وَالْمَوَادِّ الْمَعْدِنِيَّةِ ، عَلٰى سَطْحِ الْأَرْضِ ؛ وَتِلْكَ السِّكَّةُ هِيَ : أَنَّنَا نَرٰى بِأَبْصَارِنَا أَنَّهَا تُعْطٰى دَفْعَةً ، فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ ، عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، أَشْكَالَهَا الْمُخْتَلِفَةَ ، وَخِدَمَاتِهَا الْمُتَخَالِفَةَ ، وَأَرْزَاقَهَا الْمُتَغَايِرَةَ ، وَأَجْهِزَتَهَا الْمُتَبَايِنَةَ ، مَعاً مُتَدَاخِلَةً ، بِدُونِ أَنْ يُخْطَأَ ، أَوْ يُلْتَبَسَ أَحَدٌ مِنْهَا أَصْلاً ، بِتَمْيِيزٍ وَتَفْرِيقٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، وَبِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ ، فِي نِهَايَةِ الِاخْتِلَاطِ ؛ وَأَنَّهُ يُعْطٰى كُلُّ شَيْءٍ ، كُلَّ مَا يَلْزَمُهُ ، بِدُونِ كُلْفَةٍ ، فِي وَقْتِهِ الْمُنَاسِبِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . فَمِنْ ذٰلِكَ تَكُونُ تِلْكَ الْإِدَارَةُ وَالتَّدْبِيرُ وَالْكَيْفِيَّةُ ، فِي سِيمَا الْأَرْضِ ، خَاتَمَ وَحْدَانِيَّةٍ ، وَسِكَّةَ أَحَدِيَّةٍ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْلُقْ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَلَمْ يُدِرْهَا مَعاً ؛ لَا يَتَدَخَّلُ فِي شَيْءٍ أَصْلاً بِجِهَةِ الْإِيجَادِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ لَوِ اخْتَلَطَهُ ؛ لَفَسَدَتْ مُوَازَنَةُ الْإِدَارَةِ الْوَاسِعَةِ بِلَا حَدٍّ ؛ إِلَّا أَنَّ لِلْإِنْسَانِ خِدْمَةً صُورِيَّةً بِأَمْرِهِ تَعَالٰى أَيْضاً ، لِحُسْنِ جَرَيَانِ تِلْكَ الْقَوَانِينِ مِنْ قَوَانِينِ الرُّبُوبِيَّةِ ..

﴿**اَلسِّكَّةُ الثَّالِثَةُ :**﴾ أَنَّ عَلٰى وَجْهِ الْإِنْسَانِ سِكَّةً مِنْ سِكَكِ الْأَحَدِيَّةِ ؛ بَلْ هُوَ

نَفْسُهُ سِكَّةٌ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ سَبَباً لَمْ يَكُنْ فِي نَظَرِ مُطَالَعَتِهِ دَفْعَةً، جَمِيعُ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ، مُنْذُ زَمَنِ آدَمَ إِلَى الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يَضَعْ فِي ذٰلِكَ الْوَجْهِ الْوَاحِدِ عَلَامَاتٍ فَارِقَةً إِزَاءَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهَا، وَلَمْ يَدَعْ فِي ذٰلِكَ الْوَجْهِ الصَّغِيرِ مَا لَا يُحَدُّ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْفَارِقَةِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بِجِهَةِ الْإِيجَادِ، إِلٰى خَاتَمِ الْوَحْدَانِيَّةِ عَلٰى وَجْهِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ فَقَطْ. نَعَمْ: إِنَّ مَنْ وَضَعَ تِلْكَ السِّكَّةَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْسَانِ، يَكُونُ أَفْرَادُ الْإِنْسَانِ كُلُّهَا حَاضِرَةً فِي نَظَرِ شُهُودِهِ، وَفِي دَائِرَةِ عِلْمِهِ؛ فَلِذَا لَا تُشْبِهُ سِيمَا كُلِّ إِنْسَانٍ، تَمَاماً، بِسِيمَا أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَذٰلِكَ بِبَعْضِ عَلَامَاتٍ فَارِقَةٍ؛ مَعَ أَنَّهُ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فِي الْأَعْضَاءِ الْأَسَاسِيَّةِ؛ فَكَمَا أَنَّ تَشَابُهَ الْأَعْضَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي تِلْكَ السِّيمَا، فِي كُلِّ الْأَفْرَادِ، سِكَّةُ تَوْحِيدٍ تَشْهَدُ عَلٰى أَنَّ صَانِعَ ذٰلِكَ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَاحِدٌ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ تَمَايُزَهُمْ بِكَثِيرٍ مِنْ عَلَامَاتٍ فَارِقَةٍ حَكِيمَةٍ، لِتَفْرِيقِهِمْ، وَلِئَلَّا يَلْتَبِسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي تِلْكَ السِّيمَا، وَذٰلِكَ فَوْقَ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ، لِلْحِفْظِ عَلَى الْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَدُلُّ عَلٰى إِرَادَةِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْوَاحِدِ، وَعَلَى اخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ يَكُونُ سِكَّةً أَحَدِيَّةٍ أُخْرٰى، دَقِيقَةً جِدّاً، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ صَانِعاً أَوْ سَبَباً لَمْ يَخْلُقْ جَمِيعَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، بَلِ الْعَالَمِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضَعَ تِلْكَ السِّكَّةَ..

اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ:

إِنَّ عَوَالِمَ الْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعَهَا وَعَنَاصِرَهَا، تَدَاخَلَتْ مُشْتَبِكَةً بِحَيْثُ إِنَّ سَبَباً لَمْ يَكُنْ مَالِكاً لِهَيْئَةِ مَجْمُوعِ الْكَائِنَاتِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَرَّفَ حَقِيقِيّاً، فِي نَوْعٍ، وَفِي عُنْصُرٍ مِنْهَا أَصْلاً؛ فَكَأَنَّ جِلْوَةَ وَحْدَةِ اسْمِ «الْفَرْدِ»، أَخَذَتْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ، دَاخِلَ الْوَحْدَةِ؛ فَلِذَا يُعْلِنُ كُلُّ شَيْءٍ تِلْكَ الْوَحْدَةَ. مَثَلاً: إِنَّ وَحْدَةَ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ سِرَاجُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، تُشِيرُ إِلٰى أَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ لِوَاحِدٍ؛ كَمَا أَنَّ وَحْدَةَ الْهَوَاءِ الَّذِي هُوَ الْخَادِمُ الْجَوَّالُ الْفَعَّالُ لِذَوِي الْحَيَاةِ، وَوَحْدَةَ النَّارِ الَّتِي هِيَ طَبَّاخُهُمْ، وَوَحْدَةَ إِسْفِنْجِ السَّحَابِ السَّاقِي لِحَدِيقَةِ الْأَرْضِ، وَوَحْدَةَ الْغَيْثِ الْمُغِيثِ لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ، وَوُصُولَهُ إِلٰى كُلِّ مَكَانٍ، وَانْتِشَارَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ طَوَائِفِ أَكْثَرِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ، انْتِشَاراً ذَرِيعاً عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا،

وَوَحْدَتَهَا النَّوْعِيَّةَ ، وَوَحْدَةَ مَسْكَنِهَا ، هِيَ إِشَارَاتٌ وَشَهَادَاتٌ قَاطِعَةٌ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا ، مَعَ مَسَاكِنِهَا ، مُلْكُ مَالِكٍ وَاحِدٍ .. فَقِيَاساً عَلٰى هٰذَا ، جَعَلَتِ الْأَنْوَاعُ الْمُتَشَابِكَةُ مِنَ الْكَائِنَاتِ ، مَجْمُوعَ الْعَالَمِ ، فِي حُكْمِ كُلٍّ لَا يَقْبَلُ التَّجَزُّؤَ ، فِي جِهَةِ الْإِيجَادِ . فَأَيُّ سَبَبٍ لَا يَنْفُذُ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ عَلٰى أَيِّ شَيْءٍ أَصْلاً ، فِي جِهَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَفِي كَيْفِيَّةِ الْإِيجَادِ ؛ وَلَا أَنْ يُسْمِعَ رُبُوبِيَّتَهُ لِذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ..

اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ :

إِنَّ اسْمَ «الْفَرْدِ» ، جَعَلَ الْكَائِنَاتِ ، بِتَجَلِّيهِ الْأَعْظَمِ ، فِي حُكْمِ مَكْتُوبَاتٍ مُتَدَاخِلَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ فَيَحْمِلُ كُلُّ مَكْتُوبٍ ، خَوَاتِمَ الْأَحَدِيَّةِ ، عَدَدَ كَلِمَاتِهِ ؛ كَأَنَّهُ طُبِعَتْ عَلٰى كُلِّ مَكْتُوبٍ ، خَوَاتِمُ وَحْدَانِيَّةٍ غَيْرُ مَحْدُودَةٍ ، وَسِكَكُ أَحَدِيَّةٍ ، كَثِيرَةٌ جِدّاً ؛ فَيَدُلُّ كُلُّ مَكْتُوبٍ عَلٰى كَاتِبِهِ ، عَدَدَ تِلْكَ الْخَوَاتِمِ ..

نَعَمْ : إِنَّ كُلَّ زَهْرَةٍ ، وَكُلَّ ثَمَرَةٍ ، وَكُلَّ نَبَاتٍ ، بَلْ وَكُلَّ حَيَوَانٍ وَشَجَرٍ ، خَوَاتِمُ الْأَحَدِيَّةِ ، وَسِكَكُ الصَّمَدِيَّةِ ؛ وَإِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي هِيَ فِيهِ ، يَتَشَكَّلُ بِشَكْلِ مَكْتُوبٍ ؛ فَيَتَّخِذُ كُلٌّ مِنْ تِلْكَ الْخَوَاتِمِ ، شَكْلَ تَوْقِيعٍ يَدُلُّ عَلٰى كَاتِبِ ذٰلِكَ الْمَكَانِ . مَثَلاً : إِنَّ زَهْرَةً صَفْرَاءَ فِي حَدِيقَةٍ ، هِيَ بِمَثَابَةِ خَاتَمٍ لِنَقَّاشِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ ؛ فَتَدُلُّ عَلٰى أَنَّ مَنْ كَانَتْ تِلْكَ الزَّهْرَةُ ، خَاتَمَهُ ، يَكُونُ ذٰلِكَ النَّوْعُ مِنَ الْأَزْهَارِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، بِمَثَابَةِ الْكَلِمَاتِ لَهُ ؛ وَتَكُونُ تِلْكَ الْحَدِيقَةُ أَيْضاً ، كِتَابَهُ . فَإِذاً إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسْنِدُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ إِلٰى خَالِقِهِ ؛ فَيُشِيرُ بِذٰلِكَ إِلٰى تَوْحِيدٍ أَعْظَمَ ..

اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ :

إِنَّ الْجِلْوَةَ الْعُظْمٰى مِنْ جِلْوَاتِ اسْمِ «الْفَرْدِ» ، ظَاهِرَةُ ظُهُورِ الشَّمْسِ ؛ مَعَ أَنَّهَا تُقْبَلُ بِسُهُولَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَبِدَرَجَةٍ مَعْقُولَةٍ فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ .. وَقَدْ بُيِّنَ فِي أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ» بَرَاهِينُ كَثِيرَةٌ ، تُثْبِتُ أَنَّ الشِّرْكَ الْمُخَالِفَ وَالْمُضَادَّ لِتِلْكَ الْجِلْوَةِ ، مُشْكِلٌ فِي نِهَايَةِ

الدَّرَجَاتِ ، وَبَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ فِي غَايَةِ الدَّرَجَاتِ ؛ بَلْ هُوَ فِي دَرَجَةِ الْمُحَالِ وَالْمُمْتَنِعِ . .
وَالْآنَ نُحِيلُ تَفَاصِيلَ تِلْكَ النِّقَاطِ فِي تِلْكَ الدَّلَائِلِ ، إِلَى تِلْكَ الرَّسَائِلِ ؛ وَنُبَيِّنُ هٰهُنَا ثَلَاثَ نِقَاطٍ مِنْهَا فَقَطْ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الْأُولَى :﴾ إِنَّا أَثْبَتْنَا فِي أَوَاخِرِ الْمَقَالَتَيْنِ الْعَاشِرَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ إِجْمَالاً ، وَفِي آخِرِ الْمَكْتُوبِ الْعِشْرِينَ تَفْصِيلاً : أَنَّ إِيجَادَ أَكْبَرِ شَيْءٍ ، هَيِّنٌ كَأَصْغَرِ شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ «الْفَرْدِ الْأَحَدِ» ؛ فَيَخْلُقُ بِالسُّهُولَةِ رَبِيعاً كَزَهْرَةٍ ؛ وَيُنْشِئُ بِالْيُسْرِ أَمَامَ أَعْيُنِنَا ، آلَافَ أَمْثِلَةِ الْحَشْرِ فِي كُلِّ رَبِيعٍ ؛ وَيُدِيرُ بِخِفَّةٍ ، شَجَرَةً عَظِيمَةً ، كَثَمَرَةٍ صَغِيرَةٍ . فَلَوْ أُحِيلَ عَلَى أَسْبَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ لَكَانَ كُلُّ ثَمَرَةٍ ، مُشْكِلاً وَغَالِياً مِقْدَارَ شَجَرَةٍ ؛ وَكَانَتْ زَهْرَةٌ ، صَعْبَةً وَشَاقَّةً بِقَدْرِ رَبِيعٍ . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ الْأَجْهِزَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ لِجَيْشٍ ، إِذَا أُعْمِلَتْ فِي مَصْنَعٍ وَاحِدٍ ، بِأَمْرِ قَائِدٍ وَاحِدٍ ؛ تَهُونُ أَجْهِزَةُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كَأَجْهِزَةِ مُجَنَّدٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنْ أُعْمِلَتْ أَجْهِزَةُ كُلِّ مُجَنَّدٍ فِي مَصَانِعَ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَدَخَلَتْ إِدَارَتُهُ الْعَسْكَرِيَّةُ مِنَ الْوَحْدَةِ ، فِي الْكَثْرَةِ ؛ يَقْتَضِي حِينَئِذٍ كُلُّ فَرْدٍ ، مَصَانِعَ مِقْدَارَ مَصَانِعِ جَيْشٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِذَا أُسْنِدَ إِلَى «الْفَرْدِ الْأَحَدِ» ؛ يَسْهُلُ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ أَفْرَادِ كُلِّ نَوْعٍ ، كَفَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنْ أُسْنِدَ إِلَى الْأَسْبَابِ ؛ يُشْكِلُ كُلُّ فَرْدٍ مِقْدَارَ ذٰلِكَ النَّوْعِ . نَعَمْ : إِنَّ فِي الْوَحْدَةِ وَالْفَرْدِيَّةِ يُوجَدُ كُلُّ شَيْءٍ بِالْانْتِسَابِ إِلَى ذٰلِكَ الْوَاحِدِ ، وَيَسْتَنِدُ إِلَيْهِ ؛ وَيُصْبِحُ هٰذَا الاِسْتِنَادُ وَالِانْتِسَابُ ، بِمَثَابَةِ قُدْرَةٍ وَقُوَّةٍ بِلَا حَدٍّ ، لِذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ فَحِينَئِذٍ يُؤَدِّي شَيْءٌ صَغِيرٌ ، أُمُوراً فَوْقَ قُوَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ بِأُلُوفِ دَرَجَةٍ ، بِقُوَّةِ ذٰلِكَ الِانْتِسَابِ وَالِاسْتِنَادِ ؛ وَيُنْتِجُ نَتَائِجَ كَذٰلِكَ . وَإِنَّ شَيْئاً لَمْ يَسْتَنِدْ وَلَمْ يَنْتَسِبْ إِلَى «الْفَرْدِ الْوَاحِدِ الْقَوِيِّ» ، يَعْمَلُ أَعْمَالاً صَغِيرَةً حَسَبَ قُوَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ؛ وَيَتَصَاغَرُ نَتِيجَتُهَا حَسَبَ تِلْكَ الْقُوَّةِ . .

مَثَلاً : إِنَّ إِنْسَاناً مَدَنِيّاً ، قَوِيّاً وَجَسُوراً لِلْغَايَةِ ، يُضْطَرُّ لِحَمْلِ مُعِدَّاتِهِ وَذَخِيرَتِهِ مَعَهُ ، وَعَلَى ظَهْرِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ يُقَاوِمُ مُؤَقَّتاً ، إِزَاءَ عَشَرَةِ أَشْخَاصٍ مِنْ أَعْدَائِهِ ؛ لِأَنَّ قُوَّتَهُ الذَّاتِيَّةَ تُظْهِرُ ذٰلِكَ الْقَدَرَ مِنَ الْأَثَرِ . وَلٰكِنَّ شَخصاً انْتَسَبَ وَاسْتَنَدَ إِلَى قَائِدٍ أَعْظَمَ ، بِالتَّذْكِرَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ،

يُصْبِحُ لَهُ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابُ وَالاِسْتِنَادُ ، بِمَثَابَةِ قُوَّةٍ وَخَزِينَةٍ لاَ تَنْفَدَانِ ؛ فَلا يَحْتَاجُ إِلَى حَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ ، وَمَعَادِنِ مُؤْنَتِهِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْسِرَ بِقُوَّةِ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ ، مُشِيرَ جَيْشِ الْعَدُوِّ الْمَغْلُوبِ ، بَلْ مَعَ آلافِ الْجُنُودِ . فَإِذاً إِنَّ فِي الْوَحْدَةِ وَالْفَرْدِيَّةِ ، تَسْتَطِيعُ نَمْلَةٌ أَنْ تَغْلِبَ عَلَى فِرْعَوْنٍ ، وَذُبَابَةٌ عَلَى نُمْرُودٍ ، وَجُرْثُومَةٌ عَلَى جَبَّارٍ ، بِقُوَّةِ ذٰلِكَ الاِنْتِسَابِ ؛ كَمَا أَنَّ نَوَاةً فِي صِغَرِ حِمَّصَةٍ أَيْضاً ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ عَلَى كَاهِلِهَا ، شَجَرَةَ صَنَوْبَرٍ هَائِلَةً كَجَبَلٍ . .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ قَائِداً أَعْظَمَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْعَثَ جَيْشاً إِلَى إِمْدَادِ جُنْدِيٍّ ، وَأَنْ يَحْشُدَ وَرَاءَهُ جَيْشاً ؛ فَيُصْبِحُ ذٰلِكَ الْجُنْدِيُّ بِتِلْكَ الْجِهَةِ ، مَظْهَراً لِأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ بِاسْمِ قَائِدِهِ ، بِقُوَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ؛ كَأَنَّهُ يُوجَدُ مَعْنًى وَرَاءَهُ جَيْشٌ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ السُّلْطَانَ الْأَزَلِيَّ لِكَوْنِهِ «فَرْداً وَاحِداً» ، يَبْعَثُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ إِلَى إِمْدَادِ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَيَحْشُدُ الْكَائِنَاتِ وَرَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ إِنْ حَدَثَ احْتِيَاجٌ – وَلَا احْتِيَاجَ بِجِهَةٍ أَصْلاً – وَيَسْتَنِدُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى قُوَّةٍ مِقْدَارَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُصْبِحُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ بِمَثَابَةِ قُوَّةِ ذٰلِكَ الْقَائِدِ الْفَرْدِ ، إِزَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ إِنْ وَقَعَ الاِحْتِيَاجُ فَرْضاً . وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْفَرْدِيَّةُ ؛ يَفْقِدُ كُلُّ شَيْءٍ ، هٰذِهِ الْقُوَّةَ كُلَّهَا ؛ وَيَسْقُطُ إِلَى مَنْزِلَةِ الْعَدَمِ ؛ وَتَنْزِلُ نَتَائِجُهُ أَيْضاً إِلَى دَرَجَةِ الْعَدَمِ . فَتَظَاهُرُ هٰذِهِ الْآثَارِ الْخَارِقَةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي نُشَاهِدُهَا بِأَبْصَارِنَا كُلَّ وَقْتٍ ، مِنْ أَشْيَاءٍ صَغِيرَةٍ جِدّاً لاَ قِيمَةَ لَهَا ، يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى الْفَرْدِيَّةِ وَالْأَحَدِيَّةِ ؛ وَإِلَّا لَتَصَاغَرَ أَثَرُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَثَمَرَتُهُ وَنَتِيجَتُهُ ، كَمَادَّةِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ وَقُوَّتِهِ ؛ وَنَزَلَتْ إِلَى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؛ وَمَا بَقِيَ بَذْلُ الْأَشْيَاءِ الْقَيِّمَةِ ، الَّتِي أَمَامَ أَعْيُنِنَا ، وَلاَ رُخْصُهَا فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ؛ وَمَا أَكَلْنَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، مَا نَشْتَرِيهِ الْآنَ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَماً ، مِنْ بِطِّيخٍ وَرُمَّانٍ . نَعَمْ : إِنَّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْيُسْرِ وَالرُّخْصِ وَالرَّخَاءِ ، يَنْشَأُ عَنِ الْوَحْدَةِ ؛ وَيَشْهَدُ لِلْأَحَدِيَّةِ . .

﴿النُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ إِنَّ الْمَوْجُودَاتِ تُخْلَقُ بِوَجْهَيْنِ . أَحَدُهُمَا : إِيجَادٌ مِنَ الْعَدَمِ ؛ وَيُقَالُ لَهُ الْإِبْدَاعُ وَالاِخْتِرَاعُ . وَالْآخَرُ : إِيجَادٌ بِصُورَةِ الْجَمْعِ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْعَنَاصِرِ الْمَوْجُودَةِ ؛ وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ الْإِنْشَاءُ وَالتَّرْكِيبُ . فَإِنْ كَانَ حَسَبَ جَلْوَةِ الْفَرْدِيَّةِ ، وَسِرِّ الْأَحَدِيَّةِ ؛ يُوجَدُ

سُهُولَةٌ بِدَرَجَةٍ لا حَدَّ لَهَا ، بَلْ يُسْرٌ بِدَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَإِنْ لَمْ يُسْنَدْ إِلَى الْفَرْدِيَّةِ ؛ يَكُونُ مُشْكِلاً وَغَيْرَ مَعْقُولٍ ، بِدَرَجَةٍ لا حَدَّ لَهَا ؛ بَلْ يُوجَدُ صُعُوبَةٌ فِي دَرَجَةِ الامْتِنَاعِ ؛ مَعَ أَنَّ مَجِيءَ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْعَالَمِ ، إِلَى الْوُجُودِ ، بِدُونِ كُلْفَةٍ ، وَبِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، وَبِصُورَةٍ مُكَمَّلَةٍ لِحَدِّ الْغَايَةِ ؛ فَيَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى جَلْوَةِ الْفَرْدِيَّةِ ؛ وَيُثْبِتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعُ «الْخَالِقِ الْفَرْدِ ذِي الْجَلالِ» ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ . .

نَعَمْ : إِنْ أُسْنِدَتِ الْأَشْيَاءُ إِلَى «الْفَرْدِ الْوَاحِدِ» ؛ فَإِنَّهُ يُوجِدُهَا كَإِيقَادِ ثِقَابٍ ، بِمَا لا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ الَّتِي يُفْهَمُ عَظَمَتُهَا بِآثَارِهَا ؛ وَيُعَيِّنُ بِعِلْمِهِ الْمُحِيطِ الَّذِي لا نِهَايَةَ لَهُ ، لِكُلِّ شَيْءٍ ، مِقْدَاراً بِمَنْزِلَةِ قَالَبٍ مَعْنَوِيٍّ ؛ فَتَتَمَكَّنُ ذَرَّاتُ كُلِّ شَيْءٍ فِي ذٰلِكَ الْقَالَبِ الْعِلْمِيِّ ، حَسَبَ مَا فِي مِرْآةِ عِلْمِهِ مِنْ صُورَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَخُطَّتِهِ ؛ وَتُحَافِظُ عَلَى أَوْضَاعِهَا مُنْتَظِمَةً . وَإِنْ لَزِمَ جَمْعُ الذَّرَّاتِ مِنَ الْأَطْرَافِ ؛ تَأْتِي تِلْكَ الذَّرَّاتُ بِقَانُونِ الْعِلْمِ ، وَسَوْقِ الْقُدْرَةِ ، مُنْتَظِمَةً كَأَفْرَادِ جَيْشٍ مُطِيعٍ ، وَذٰلِكَ بِجِهَةِ دَسَاتِيرِ الْقُدْرَةِ ، وَقَوَانِينِ الْعِلْمِ ، الْمُحِيطَةِ ، وَبِكَيْفِيَّةِ ارْتِبَاطِ تِلْكَ الذَّرَّاتِ ، بِقَانُونِ الْعِلْمِ ، وَسَوْقِ الْقُدْرَةِ ؛ فَتَدْخُلُ فِي ذٰلِكَ الْمِقْدَارِ الْقَدَرِيِّ ، وَالْقَالَبِ الْعِلْمِيِّ الْمُحِيطِ بِوُجُودِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ؛ وَتُشَكِّلُ وُجُودَهُ بِسُهُولَةٍ ؛ بَلْ إِنَّ الْقُدْرَةَ تُلْبِسُ الْوُجُودَ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، بِغَايَةِ السُّهُولَةِ ، بِصُوَرِهَا وَمَاهِيَّاتِهَا الْمَوْجُودَةِ فِي عِلْمِ «الْفَرْدِ الْوَاحِدِ» ، ذٰلِكَ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَتَأْتِي بِهَا مِنْ عَالَمِ الْمَعْنٰى إِلٰى عَالَمِ الظُّهُورِ ؛ وَتُظْهِرُهَا لِلْأَبْصَارِ ، كَمَا يَلْبَسُ الْعَكْسُ الْمَوْجُودُ فِي الْمِرْآةِ ، الْوُجُودَ الْخَارِجِيَّ ، عَلَى الْوَرَقَةِ ، بِوَاسِطَةِ الْمُصَوِّرَةِ ؛ أَوْ كَمَا يُرَى كِتَابٌ مَكْتُوبٌ بِخَطٍّ لا يُرَى ، وَذٰلِكَ بِطِلاءِ مَادَّةٍ مُظْهِرَةٍ . وَإِنْ لَمْ يُسْنَدْ إِلَى «الْفَرْدِ الْوَاحِدِ» ؛ يَلْزَمُ جَمْعُ بَدَنِ ذُبَابَةٍ مِنَ الْعَنَاصِرِ وَمِنْ جَوَانِبِ سَطْحِ الْأَرْضِ ، بِمِيزَانٍ حَسَّاسٍ إِلٰى غَايَةِ الْحَدِّ ، بِأَنْ تُنْخَلَ الْعَنَاصِرُ وَسَطْحُ الْأَرْضِ ؛ فَيُؤْتٰى مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، بِذَرَّاتٍ مَخْصُوصَةٍ بِذٰلِكَ الْبَدَنِ الْخَاصِّ ؛ فَيَلْزَمُ حِينَئِذٍ قَالَبٌ مَادِّيٌّ ، بَلْ قَوَالِبُ بِعَدَدِ أَعْضَائِهِ ، لِإِسْكَانِ تِلْكَ الذَّرَّاتِ مُنْتَظِمَةً فِي بَدَنِهَا الْمُصَنَّعِ ؛ وَكَذَا يَلْزَمُ جَلْبُ مَا فِي ذٰلِكَ الْبَدَنِ مِنَ الْحَوَاسِّ ، وَاللَّطَائِفِ الْمَعْنَوِيَّةِ

الدَّقِيقَةِ الرَّقِيقَةِ ، مِثْلِ الرُّوحِ ، مِنَ الْعَوَالِمِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، بِمِيزَانٍ مَخْصُوصٍ . فَإِيجَادُ ذُبَابَةٍ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ ، يُشْكِلُ مِقْدَارَ إِيجَادِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَكُونُ مُشْكِلاً فِي مُشْكِلٍ ، وَمُحَالاً فِي مُحَالٍ ، مِئَةَ دَرَجَةٍ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ أَهْلَ الدِّينِ ، وَأَصْحَابَ الْفَنِّ ، مُتَّفِقُونَ عَلٰى أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْءٌ أَنْ يَخْلُقَ مِنَ الْعَدَمِ وَاللَّيْسِ ، سِوَى الْخَالِقِ الْفَرْدِ . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنْ أُحِيلَ الْإِيجَادُ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ؛ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِأَنْ يُعْطَى كُلُّ شَيْءٍ ، الْوُجُودَ ، بِصُورَةِ الْجَمْعِ مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ . .

﴿اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ :﴾ إِنَّنَا نُبَيِّنُ مُخْتَصَراً ، بَعْضَ تَمْثِيلَاتٍ أُوضِحَتْ فِي سَائِرِ الرَّسَائِلِ ، تُشِيرُ إِلٰى أَنَّهُ إِنْ أُسْنِدَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ إِلٰى ذَاتٍ «فَرْدٍ وَاحِدٍ» ؛ تَكُونُ هَيِّنَةً كَشَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنْ أُسْنِدَتْ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ؛ يَكُونُ وُجُودُ شَيْءٍ وَاحِدٍ ، مُشْكِلاً بِقَدَرِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ . .

اَلتَّمْثِيلُ الْأَوَّلُ : أَنَّهُ إِذَا أُحِيلَ إِدَارَةُ أَلْفِ مُجَنَّدٍ وَتَدْبِيرُهُمْ ، عَلٰى ضَابِطٍ وَاحِدٍ ؛ وَأُسْنِدَ جُنْدِيٌّ وَاحِدٌ أَيْضاً ، إِلٰى إِدَارَةِ عَشَرَةِ ضُبَّاطٍ ؛ يُشْكِلُ إِدَارَةُ ذٰلِكَ الْجُنْدِيِّ الْوَاحِدِ أَزْيَدَ مِنْ إِدَارَةِ كَتِيبَةٍ ، عَشْرَ دَرَجَاتٍ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُ يَمْنَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ فَلَا يَرٰى ذٰلِكَ الْجُنْدِيُّ وَجْهَ الِاسْتِرَاحَةِ أَصْلاً ، بِسَبَبِ الِاخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ . وَكَذَا إِذَا أُحِيلَ نَتِيجَةٌ وَكَيْفِيَّةٌ مَطْلُوبَةٌ مِنْ كَتِيبَةٍ ، عَلٰى ضَابِطٍ وَاحِدٍ ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَحْصِلُ تِلْكَ النَّتِيجَةَ ؛ وَيُنْتِجُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ ، سَهْلاً بِدُونِ كُلْفَةٍ ؛ وَإِنْ أُحِيلَ اتِّخَاذُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ ، وَاسْتِحْصَالُ تِلْكَ النَّتِيجَةِ ، عَلٰى أَفْرَادٍ لَا رَئِيسَ وَلَا آمِرَ وَلَا عَرِيفَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْكَتِيبَةِ ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ شَيْءٌ إِلَّا صُورَةٌ نَاقِصَةٌ مِنْهَا فَقَطْ ، بِمَشَاكِلَ وَمُنَافَسَاتٍ ، فِي اخْتِلَاطٍ كَثِيرٍ ، لِاتِّخَاذِ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ وَالنَّتِيجَةِ الْمَطْلُوبَتَيْنِ . .

اَلتَّمْثِيلُ الثَّانِي : أَنَّهُ إِذَا أُسْنِدَتْ كَيْفِيَّةُ إِمْسَاكِ الْحِجَارَةِ فِي قُبَّةِ جَامِعٍ مُحَدَّبٍ ، مِثْلِ جَامِعِ «آيَا صُوفِيَا» ، وَإِسْكَانِهَا فِي الْهَوَاءِ ، إِلٰى بَنَّاءٍ ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِيهَا تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ بِسُهُولَةٍ ؛ وَإِنْ أُحِيلَ دُخُولُهَا فِي تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ ، عَلَى الْأَحْجَارِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ حَجَرٍ ، حَاكِماً مُطْلَقاً ، وَمَحْكُوماً مُطْلَقاً ، لِجَمِيعِ الْحِجَارَةِ ؛ حَتّٰى يُسْنِدَ بَعْضُهَا رَأْسَهُ إِلٰى رَأْسِ الْآخَرِ ؛

فَيُمْكِنَ أَنْ تَقِفَ فِي الْهَوَاءِ ؛ فَحِينَئِذٍ تُؤَدّٰى أَعْمَالٌ أَكْثَرُ مِنْ عَمَلِ ذٰلِكَ الْبَنَّاءِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، وَمِقْدَارَ عَمَلِ مِئَةِ بَنَّاءٍ ، لِإِيفَاءِ عَمَلٍ كَانَ يُؤَدِّيهِ سَهْلاً ؛ ثُمَّ تُسْتَنْتَجُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّاتُ . .

اَلتَّمْثِيلُ الثَّالِثُ : أَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ مَثَلاً ، مُوَظَّفٌ وَمُجَنَّدٌ لِلذَّاتِ «الْفَرْدِ الْوَاحِدِ» ؛ فَلِذٰلِكَ يَسْتَمِعُ ذٰلِكَ الْجُنْدِيُّ الْوَاحِدُ ، إِلٰى أَمْرِ ذٰلِكَ الذَّاتِ «الْفَرْدِ» ؛ فَيَقُومُ مُجَنَّدٌ مِثْلُ الْأَرْضِ ، إِلَى الرَّقْصِ وَالسَّمَاعِ ، كَالْمَوْلَوِيِّ الْمَجْذُوبِ ، بِجَذْبَةٍ نَاشِئَةٍ عَنْ نَشْوَةِ تِلْكَ الْوَظِيفَةِ ، بِتَلَقِّي أَمْرٍ وَاحِدٍ مِنْ آمِرٍ وَاحِدٍ ، لِاسْتِحْصَالِ نَتَائِجَ مِثْلِ حُصُولِ الْفُصُولِ ، وَحُدُوثِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَظُهُورِ حَرَكَاتٍ مُحْتَشِمَةٍ عُلْوِيَّةٍ فِي السَّمَاءِ ، وَتَبْدِيلِ أَلْوَاحٍ سَمَاوِيَّةٍ شَبِيهَةٍ بِالسِّينَمَا ؛ فَيُصْبِحُ ذٰلِكَ الْمُوَظَّفُ الْوَاحِدُ ، وَسِيلَةً لِحُصُولِ جَمِيعِ تِلْكَ النَّتَائِجِ الْمُحْتَشِمَةِ ، وَلِظُهُورِهَا ؛ فَكَأَنَّ ذٰلِكَ الْمُجَنَّدَ الْوَاحِدَ ، يَقُودُ مُنَاوَرَةً مُحْتَشِمَةً عَلٰى سَطْحِ الْكَائِنَاتِ . وَإِنْ لَمْ يُسْنَدْ ذٰلِكَ الْعَمَلُ إِلَى الذَّاتِ «الْفَرْدِ» ، الَّذِي تُحِيطُ حَاكِمِيَّةُ أُلُوهِيَّتِهِ ، وَسَلْطَنَةُ رُبُوبِيَّتِهِ ، بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَنْفُذُ حُكْمُهُ وَأَمْرُهُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ فَلَا يُمْكِنُ حِينَئِذٍ أَنْ تُسْتَحْصَلَ تِلْكَ النَّتَائِجُ ، إِلَّا بِأَنْ تَسِيحَ مَلَايِينُ الْكُرَاتِ وَالْكَوَاكِبِ ، الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ آلَافَ الْمَرَّاتِ ؛ وَتَسِيرَ تِلْكَ الْكُرَاتُ مَسَافَةً مَدِيدَةً بِمَلَايِينِ السِّنِينَ ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً ، لِتَحْصِيلِ تِلْكَ النَّتَائِجِ ، وَتِلْكَ الْمُنَاوَرَةِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَالْفُصُولِ الْأَرْضِيَّةِ . .

فَحُصُولُ تِلْكَ النَّتَائِجِ الْمُحْتَشِمَةِ ، الْحَاصِلَةِ بِحَرَكَتَيْ مُوَظَّفٍ وَاحِدٍ ، مِثْلِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، يَدُورُ عَلٰى مِحْوَرِهَا وَمَدَارِهَا كَمَوْلَوِيٍّ مَجْذُوبٍ ، يَكُونُ مِثَالاً لِمَا يُوجَدُ فِي الْوَحْدَةِ مِنْ سُهُولَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ كَمَا أَنَّ تَحْصِيلَ تِلْكَ النَّتَائِجِ بِطُرُقٍ مَدِيدَةٍ بِلَا حَدٍّ ، وَأَزْيَدَ إِشْكَالاً مِنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ ، مَلَايِينَ الْمَرَّاتِ ، يَكُونُ مُشْكِلاً بَلْ مُحَالاً ؛ وَذٰلِكَ مِثَالٌ لِمَا يُوجَدُ فِي طَرِيقِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ، مِنَ الْمُحَالَاتِ وَالْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ . .

وَانْظُرْ إِلٰى جَهْلِ مُعْتَقِدِي الْأَسْبَابِ ، وَعُبَّادِ الطَّبِيعَةِ ، بِهٰذَا الْمِثَالِ وَهُوَ : أَنَّ صَانِعاً يُعِدُّ بِصَنْعَتِهِ الْفَائِقَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، آلَاتِ مَصْنَعٍ أَوْ سَاعَةٍ ، وَأَجْزَاءَ قَصْرٍ مُحْتَشِمٍ أَوْ كِتَابٍ

مُكَمَّلٍ ، وَذٰلِكَ بِصُورَةٍ مُنْتَظَمَةٍ لِغَايَةِ الْحَدِّ ؛ ثُمَّ لا يُرَكِّبُ هُوَ الْأَجْزَاءَ وَالْآلَاتِ ؛ وَلَا يَسْتَعْمِلُهَا بِسُهُولَةٍ ؛ بَلْ يَجْعَلُ كُلَّ جُزْءٍ وَكُلَّ آلَةٍ مِنْهَا ، حَتَّى الْوَرَقَ وَالْقَلَمَ ، شِبْهَ جِهَازٍ خَارِقٍ ، بِنَفَقَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛ لِتَعْمَلَ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ وَالْآلَاتُ بِنَفْسِهَا ؛ وَتَصْنَعَ الْمَصْنَعَ وَالْقَصْرَ وَالسَّاعَةَ ؛ وَتَكْتُبَ الْكِتَابَ ، بَدَلاً عَنِ الصَّانِعِ ؛ وَيُحِيلُ عَلَى تِلْكَ الْأَجْزَاءِ وَالْآلَاتِ ، مَهَارَتَهُ وَصَنْعَتَهُ الْوَسِيلَتَيْنِ لِإِظْهَارِ جَمِيعِ آثَارِهِ وَكَمَالَاتِهِ ، الَّتِي يَطْلُبُ تَشْهِيرَهَا كَثِيراً ؛ وَإِنَّكَ تَفْهَمُ أَنَّ الظَّنَّ هٰكَذَا ، جَهْلٌ ، وَبَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ أَيَّ بُعْدٍ . كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، إِنَّ مَنْ يُسْنِدُونَ الْإِيجَادَ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالطَّبِيعَةِ ، يَقَعُونَ فِي جَهْلٍ مُضَاعَفٍ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ يُوجَدُ عَلَى الطَّبَائِعِ وَالْأَسْبَابِ أَيْضاً ، أَثَرُ صَنْعَةٍ مُنْتَظَمَةٍ ؛ وَأَنَّهَا أَيْضاً مَصْنُوعَةٌ كَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ . فَمَنْ صَنَعَهَا كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ نَتَائِجَهَا أَيْضاً ؛ وَيُظْهِرُهَا مَعاً ؛ وَمَنْ صَنَعَ النَّوَاةَ ؛ يَصْنَعُ عَلَيْهَا الشَّجَرَةَ ؛ وَمَنْ يَصْنَعُ الشَّجَرَةَ ؛ يَخْلُقُ عَلَيْهَا الثَّمَرَةَ أَيْضاً ؛ وَإِلَّا فَإِنَّهَا تَقْتَضِي طَبَائِعَ وَأَسْبَاباً مُنْتَظَمَةً أُخْرَى أَيْضاً ، لِإِيجَادِ طَبَائِعَ وَأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ أُخْرَى ؛ وَهٰكَذَا هَلُمَّ جَرّاً ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ يَقْبَلَ وُجُودَ سِلْسِلَةِ مَوْهُومَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ ، لَا مَعْنَى وَلَا إِمْكَانَ لَهَا . وَهٰذَا أَعْجَبُ أَنْوَاعِ الْجَهْلِ . .

اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ :

إِنَّا قَدْ أَثْبَتْنَا بِدَلَائِلَ قَاطِعَةٍ ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ : أَنَّ أَهَمَّ أَسَاسِ خَاصَّةِ الْحَاكِمِيَّةِ ، هُوَ الِاسْتِقْلَالُ وَالِانْفِرَادُ ؛ حَتَّى إِنَّ ظِلّاً ضَعِيفاً مِنَ الْحَاكِمِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ الْعَاجِزِ ، يَرُدُّ تَدَخُّلَ الْغَيْرِ أَيْضاً ، لِحِفْظِ اسْتِقْلَالِهِ ؛ وَلَا يَسْمَحُ بِتَدَخُّلِ غَيْرِهِ فِي وَظِيفَتِهِ ؛ وَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ السَّلَاطِينِ ذَبَحُوا بِدُونِ رَحْمَةٍ ، أَوْلَادَهُمُ الْمَعْصُومِينَ ، وَإِخْوَانَهُمُ الْمَحْبُوبِينَ ، بِجِهَةِ رَدِّ التَّدَخُّلِ هٰذَا . فَإِذاً إِنَّ أَهَمَّ أَسَاسِ خَاصَّةِ الْحَاكِمِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَمُقْتَضَاهَا الدَّائِمِ ، وَلَازِمَهَا غَيْرَ الْقَابِلِ لِلِانْفِكَاكِ ، هُوَ الِاسْتِقْلَالُ وَالِانْفِرَادُ ، وَرَدُّ تَدَخُّلِ الْغَيْرِ . فَلِهٰذِهِ الْخَاصَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الْمُهِمَّةِ جِدّاً ، تَرُدُّ الْحَاكِمِيَّةُ الْإِلٰهِيَّةُ فِي دَرَجَةِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، الشِّرْكَ وَالِاشْتِرَاكَ وَتَدَخُّلَ الْغَيْرِ ، بِغَايَةِ الشِّدَّةِ . فَلِذٰلِكَ يُوضِحُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ التَّوْحِيدَ ، بِغَايَةِ الْحَرَارَةِ وَالشِّدَّةِ ،

وَبِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ جِدّاً ؛ وَيَرِدُ الشِّرْكَ وَالاِشْتِرَاكَ ، بِتَهْدِيدَاتٍ عَظِيمَةٍ . .

فَالْحَاكِمِيَّةُ الْإِلٰهِيَّةُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ ، تَقْتَضِي التَّوْحِيدَ وَالْوَحْدَةَ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ وَتُظْهِرُ دَاعِياً قَوِيّاً ، وَمُقْتَضِياً شَدِيداً ، لَهُمَا ؛ كَمَا أَنَّ الاِنْتِظَامَ الْأَكْمَلَ ، وَالاِنْسِجَامَ الْأَجْمَلَ ، فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، عَلٰى وَجْهِ الْكَائِنَاتِ ، مِنْ مَجْمُوعِ الْعَالَمِ وَمِنَ الْكَوَاكِبِ ، إِلَى النَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْمَعَادِنِ ، حَتَّى الْجُزْئِيَّاتِ وَالْأَفْرَادِ وَالذَّرَّاتِ ، شَاهِدٌ عَدْلٌ ، وَبُرْهَانٌ بَاهِرٌ ، عَلٰى تِلْكَ الْفَرْدِيَّةِ وَالْوَحْدَةِ ، لَا يَقْبَلُ الشُّبْهَةَ بِجِهَةٍ أَصْلاً ؛ إِذْ لَوْ كَانَ تَدَخُّلُ الْغَيْرِ ؛ لَفَسَدَ هٰذَا النِّظَامُ وَالاِنْتِظَامُ ، وَمُوَازَنَةُ الْكَائِنَاتِ ، الْحَسَّاسَةُ لِغَايَةِ الْحَدِّ ؛ وَرُئِيَ أَثَرُ الْفَسَادِ ؛ وَاخْتَلَطَ نِظَامُ الْعَالَمِ ، هٰذَا النِّظَامُ الْمُكَمَّلُ الْخَارِقُ ؛ وَوَقَعَ فِي الْفَسَادِ ، بِسِرِّ آيَةِ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُرَى الْقُصُورُ وَالنَّقْصُ وَالتَّشَوُّشُ ، بِأَيِّ وَجْهٍ أَصْلاً ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السَّيَّارَاتِ ، وَمِنَ الْفَرْشِ إِلَى الْعَرْشِ ، بِدَلَالَةِ آيَةِ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرٰى مِنْ فُطُورٍ﴾ ؛ فَلِذٰلِكَ يَدُلُّ نِظَامُ الْكَائِنَاتِ ، وَانْتِظَامُ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَمُوَازَنَةُ الْمَوْجُودَاتِ هٰذِهِ ، عَلَى الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْفَرْدِ» ؛ وَتَشْهَدُ عَلَى الْوَحْدَةِ ؛ وَكَذَا أَنَّ أَصْغَرَ مَخْلُوقٍ حَيٍّ ، بِمَثَابَةِ مِثَالٍ مُصَغَّرٍ ، وَفِهْرِسٍ صَغِيرٍ لِلْكَائِنَاتِ ، بِسِرِّ جَلْوَةِ الْأَحَدِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْلِكَ ذٰلِكَ الْحَيَّ الْوَاحِدَ ، إِلَّا مَنْ يُمْسِكُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِهِ . وَإِنَّ نَوَاةً لَا تَتَخَلَّفُ خِلْقَةً عَنْ شَجَرَةٍ ؛ وَشَجَرَةٌ تَكُونُ فِي حُكْمِ عَالَمٍ صَغِيرٍ ؛ وَكُلُّ ذِي حَيَاةٍ يَكُونُ فِي حُكْمِ عَالَمٍ وَكَوْنٍ صَغِيرٍ ؛ فَلِذٰلِكَ تَأْتِي جَلْوَةُ سِرِّ الْأَحَدِيَّةِ هٰذِهِ ، بِالشِّرْكِ وَالاِشْتِرَاكِ ، إِلٰى دَرَجَةِ الْمُحَالِ . . فَهٰذِهِ الْكَائِنَاتُ بِهٰذَا السِّرِّ ، لَيْسَتْ كُلّاً لَا يَقْبَلُ تَجَزُّؤاً ، فَقَطْ ؛ بَلْ هِيَ فِي حُكْمِ كُلِّيٍّ لَا يَقْبَلُ أَيْدِياً مُتَعَدِّدَةً ؛ وَلَا يُمْكِنُ انْقِسَامُهُ وَاشْتِرَاكُهُ وَتَجَزُّؤُهُ مَاهِيَّةً ؛ فَلِذٰلِكَ يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ فِيهَا ، فِي حُكْمِ جُزْئِيٍّ وَفَرْدٍ مِنْهَا ؛ وَيَكُونُ ذٰلِكَ الْكُلُّ فِي حُكْمِ الْكُلِّيِّ أَيْضاً ؛ فَلَا يُمْكِنُ الاِشْتِرَاكُ فِيهِ بِجِهَةٍ أَصْلاً . فَهٰذِهِ الْجَلْوَةُ الْعُظْمٰى مِنْ جَلْوَاتِ اسْمِ «الْفَرْدِ» ، تُثْبِتُ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ ، بِسِرِّ الْأَحَدِيَّةِ هٰذَا ، فِي دَرَجَةِ الْبَدَاهَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ أَنْوَاعَ الْكَائِنَاتِ ، بِجِهَةِ تَشَابُكِهَا وَتَدَاخُلِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ وَظِيفَةَ كُلٍّ مِنْهَا تَنْظُرُ إِلَى الْكُلِّ ، جَعَلَتِ الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ كُلٍّ لَا يَقْبَلُ التَّجَزُّؤَ ، فِي نُقْطَةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِيجَادِ ؛ كَمَا أَنَّ الْأَفْعَالَ الْعَامَّةَ الْمُحِيطَةَ ، الَّتِي تُظْهِرُ الْفَعَّالِيَّةَ فِي الْكَائِنَاتِ ، جَعَلَتِ الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ كُلٍّ لَا يَقْبَلُ التَّجَزُّؤَ أَيْضاً ، بِاعْتِبَارِ اسْتِيلَاءِ كُلٍّ مِنْهَا عَلَى كُلِّ الْكَائِنَاتِ ، وَاتِّحَادِهِ عَلَى وَجْهِ التَّعَاوُنِ ، مَعَ سَائِرِ الْأَفْعَالِ ، بِاعْتِبَارِ كَوْنِ فَاعِلِهَا وَاحِداً عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ حَيْثُ إِنَّ كُلّاً مِنْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ ، فِعْلٌ وَحْدَانِيٌّ شَامِلٌ وَمُحِيطٌ بِأَكْثَرِ الْمَوْجُودَاتِ ، مَعَ وَحْدَتِهِ مَاهِيَّةً ، وَبِحَيْثِيَّةِ امْتِزَاجِهَا ، بَلِ اتِّحَادِهَا ، كَالْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ فِي الضِّيَاءِ ، وَبِجِهَةِ تَدَاخُلِ هٰذِهِ الْأَفْعَالِ الْعَامَّةِ الْمُحِيطَةِ ، وَاشْتِبَاكِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ؛ فَإِنَّهُ يُرَى فِعْلُ الْإِعَاشَةِ وَالتَّرْزِيقِ مَثَلاً ، فِي فِعْلِ الْإِحْيَاءِ ، فِي عَيْنِ الْآنِ ؛ وَيُشَاهَدُ فِعْلُ تَنْظِيمِ جَسَدِ ذٰلِكَ الْحَيِّ ، وَتَجْهِيزِهِ ، فِي فِعْلِ الْإِعَاشَةِ وَالْإِحْيَاءِ ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ ؛ وَيُصَادِفُ النَّظَرَ ، فِعْلُ التَّصْوِيرِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّدْبِيرِ ، فِي فِعْلِ الْإِعَاشَةِ وَالْإِحْيَاءِ وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّجْهِيزِ ، فِي عَيْنِ الْوَقْتِ ، وَهٰكَذَا . كَمَا أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، لِكَوْنِهِ نَوَاةً وَفِهْرِساً وَمِثَالاً لِلْكَائِنَاتِ ، جَعَلَ الْكَائِنَاتِ كُلِّيّاً يَكُونُ تَجَزُّؤُهُ وَانْقِسَامُهُ ، خَارِجاً عَنِ الْإِمْكَانِ ، فِي نُقْطَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . **فَإِذاً إِنَّ الْكَائِنَاتِ كُلٌّ يَكُونُ الرُّبُوبِيَّةُ لِجُزْءٍ مِنْهُ ، بِالرُّبُوبِيَّةِ لِجَمِيعِ ذٰلِكَ الْكُلِّ ؛ وَإِنَّهَا كُلِّيٌّ ، يُصْبِحُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ فِي حُكْمِ فَرْدٍ ؛ فَلَا يُمْكِنُ إِسْمَاعُ رُبُوبِيَّتِهِ لِفَرْدٍ وَاحِدٍ ، إِلَّا بِتَسْخِيرِ عُمُومِ ذٰلِكَ الْكُلِّيِّ . .**

اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ :

إِنَّ **الْفَرْدِيَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ ، وَالْوَحْدَةَ الْإِلٰهِيَّةَ** ، مَدَارُ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ(١) وَأَسَاسُهَا ، وَمَنْشَأُ

(١) حَتّٰى إِنَّ أَظْهَرَ بُرْهَانٍ ، وَأَقْوَى دَلِيلٍ ، عَلَى تَحَقُّقِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ الْإِلٰهِيَّيْنِ بِلَا حَدٍّ ، هُوَ الْوَحْدَةُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عُلِمَ أَنَّ صَانِعَ الْكَائِنَاتِ وَاحِدٌ أَحَدٌ ؛ يُعْلَمُ أَنَّ أَنْوَاعَ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ فِي الْكَائِنَاتِ كُلِّهَا ، هِيَ ظِلَالُ أَنْوَاعِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ الْقُدُسِيَّيْنِ فِي ذٰلِكَ الصَّانِعِ الْوَاحِدِ ، وَجَلَوَاتُهَا ، وَإِشَارَاتُهَا ، =

الْمَقَاصِدِ وَالْحِكَمِ فِي خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَمَعْدِنُهَا ؛ كَمَا أَنَّهَا مَنْبَعٌ لِحُصُولِ مَطَالِبِ ذَوِي الشُّعُورِ وَذَوِي الْعُقُولِ ، لاسِيَّمَا الْإِنْسَانِ ، وَلِحُصُولِ آمَالِهِمْ ، وَوَسِيلَةٌ وَحِيدَةٌ لِحُصُولِ مَطَالِبِهِمْ وَآمَالِهِمْ ؛ فَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْفَرْدِيَّةُ ؛ لَانْطَفَأَتْ آمَالُ الْبَشَرِ وَمَطَالِبُهُمْ ؛ وَنَزَلَتْ نَتَائِجُ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، إِلَى دَرَجَةِ الْعَدَمِ ؛ وَكَانَ عَدَمُهَا وَسِيلَةً لِانْعِدَامِ أَكْثَرِ الْكَمَالَاتِ الْمَوْجُودَةِ وَالْمُحَقَّقَةِ . مَثَلاً : إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ أَمَلَ بَقَاءٍ شَدِيدٍ وَمَتِينٍ فِي دَرَجَةِ الْعِشْقِ ؛ فَمَنْ يُمْسِكُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِهِ ، بِسِرِّ الْفَرْدِيَّةِ ؛ وَيَقْتَدِرُ أَنْ يَسُدَّ الدُّنْيَا ؛ فَيَفْتَحَ الْآخِرَةَ بِوَجْهٍ هَيِّنٍ ، كَسَدِّ مَنْزِلٍ ، وَفَتْحِ آخَرَ ؛ فَهُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوفِيَ بِذٰلِكَ الْأَمَلِ ، لِإِعْطَاءِ ذٰلِكَ الْمَطْلَبِ . وَإِنَّ آلافاً مِنْ آمَالِ الْبَشَرِ ، الْمُنْتَشِرَةِ فِي أَقْطَارِ الْكَائِنَاتِ ، وَالْمُمْتَدَّةِ إِلَى الْأَبَدِ ، مِثْلِ هٰذَا الْأَمَلِ ، مُرْبُوطَةٌ بِسِرِّ الْفَرْدِيَّةِ ، وَبِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ ؛ وَلَوْلَا الْفَرْدِيَّةُ ؛ لَا تَكُونُ تِلْكَ الْآمَالُ ؛ وَتَبْقَى عَقِيمَةً ؛ وَلَوْلَا مُتَصَرِّفٌ فَرْدٌ يَتَصَرَّفُ بِالْوَحْدَةِ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ دَفْعَةً ؛ لَا تَحْصُلُ تِلْكَ الْمَطَالِبُ ؛ وَإِنْ حَصَلَتْ تَكُونُ نَاقِصَةً جِدّاً . فَلِهٰذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ ، يُدَرِّسُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، التَّوْحِيدَ وَالْفَرْدِيَّةَ ، بِحَلَاوَةٍ عُلْوِيَّةٍ ، وَحَرَارَةٍ قَوِيَّةٍ ، بِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ جِدّاً ؛ كَمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ كُلَّهُمْ ، يَجِدُونَ أَعْظَمَ أَذْوَاقِهِمْ وَسَعَادَاتِهِمْ ، فِي ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، الَّتِي هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ . .

اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ :

إِنَّ مُحَمَّداً (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الَّذِي يُدَرِّسُ هٰذَا التَّوْحِيدَ الْحَقِيقِيَّ ؛ وَيُثْبِتُهُ وَيُعْلِنُهُ بِجَمِيعِ مَرَاتِبِهِ ، بِأَكْمَلِ صُورَةٍ ، يَلْزَمُ ثُبُوتُ رِسَالَتِهِ فِي دَرَجَةِ قَطْعِيَّةِ ذٰلِكَ التَّوْحِيدِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ ذٰلِكَ الرَّسُولُ يُدَرِّسُ التَّوْحِيدَ ، بِجَمِيعِ مَرَاتِبِهِ ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ حَقِيقَةٍ مِنْ حَقَائِقِ دَائِرَةِ

= وَرَشَحَاتُهَا ؛ وَإِلَّا يَبْقَى أَنْوَاعُ كَمَالِ الْكَائِنَاتِ وَجَمَالِهَا ، عَائِدَةً إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ ، وَإِلَى بَعْضِ أَسْبَابٍ لَا شُعُورَ لَهَا ؛ فَتَبْقَى حِينَئِذٍ الْخَزِينَةُ السَّرْمَدِيَّةُ مِنَ الْكَمَالَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ، مَجْهُولَةً وَبِدُونِ مِفْتَاحٍ ، فِي نَظَرِ عَقْلِ الْبَشَرِ . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . .

الْوُجُوبِ ؛ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ جَمِيعَ الْبَرَاهِينِ الَّتِي تُثْبِتُ التَّوْحِيدَ ، تُثْبِتُ قَطْعاً رِسَالَتَهُ ، وَحَقَّانِيَّةَ وَظِيفَتِهِ ، وَصِدْقَ دَعْوَاهُ أَيْضاً ، ثَانِياً وَبِالتَّبَعِ . نَعَمْ : إِنَّ رِسَالَةً تَكْشِفُ الْفَرْدِيَّةَ وَالْوَحْدَانِيَّةَ الْجَامِعَةَ لِآلَافِ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْحَقَائِقِ الْعَالِيَةِ ؛ وَتُدَرِّسُهَا حَقّاً ، هِيَ لَازِمَةٌ لِذٰلِكَ التَّوْحِيدِ ، وَمُقْتَضَاةٌ لِتِلْكَ الْفَرْدِيَّةِ ، بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ لِغَايَةِ الْحَدِّ ؛ وَإِنَّهُمَا يَقْتَضِيَانِهَا عَلٰى كُلِّ حَالٍ . .

فَنَحْنُ نُبَيِّنُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالدَّلَائِلِ الْكَثِيرَةِ جِدّاً ، الَّتِي تَشْهَدُ عَلٰى دَرَجَةِ قِيمَةِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، الَّتِي أَدَّتْ تِلْكَ الْوَظِيفَةَ أَتَمَّ أَدَاءٍ ، وَعَلٰى عُلُوِّ دَرَجَتِهَا ، وَعَلٰى أَنَّ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ هِيَ شَمْسُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، نُبَيِّنُ ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ مِنْهَا عَلٰى سَبِيلِ الْمِثَالِ . .

أَوَّلُهَا : أَنَّ مِثْلاً مِنْ كُلِّ الْحَسَنَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا كُلُّ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ الْأَعْصَارِ ، يَجْرِي إِلٰى صَحِيفَةِ حَسَنَاتِ الذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، بِسِرِّ أَنَّ السَّبَبَ كَالْفَاعِلِ ؛ كَمَا أَنَّ الصَّلَوَاتِ الَّتِي يُصَلِّيهَا عَلَيْهِ كُلُّ الْأُمَّةِ كُلَّ يَوْمٍ ، تَقْتَضِي تِلْكَ الدَّعَوَاتُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، بِجِهَةِ قَبُولِهَا قَطْعاً ، مَقَاماً وَمَرْتَبَةً ، يُفْهَمُ بِتَصَوُّرِهِمَا ، أَنَّ الشَّخْصِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ (عليه الصلاة والسلام) ، أَيَّةُ شَمْسٍ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ . .

وَثَانِيهَا : أَنَّهُ (عليه الصلاة والسلام) ، ذَاقَ الْكَلِمَاتِ وَالتَّسْبِيحَاتِ وَالْعِبَادَاتِ الَّتِي تُشَكِّلُ مَعْنَوِيَّاتِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَدَّاهَا بِكُلِّ مَعَانِيهَا ، قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ ، بِاسْتِعْدَادَاتٍ وَأَجْهِزَةٍ فَائِقَةٍ عَلَى الْعَادَةِ ، مِنْ أَجْهِزَةِ الْمَاهِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْمَدَارُ وَالْحَيَاةُ ، وَالنَّوَاةُ وَالْمَنْشَأُ ، لِشَجَرَةِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ، تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَتَرَقّٰى بِذٰلِكَ رُوحاً . فَتَصَوَّرْ تِلْكَ الِاسْتِعْدَادَاتِ وَالْأَجْهِزَةَ ، مَعَ تَرَقِّيَاتِهِ الرُّوحِيَّةِ النَّاشِئَةِ عَنْ ذٰلِكَ ، تَفْهَمْ أَنَّ وَلَايَةَ الْعُبُودِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ (عليه الصلاة والسلام) ، الَّتِي تَرَقَّتْ إِلٰى دَرَجَةِ الْحَبِيبِيَّةِ ، أَعْلٰى مِنْ سَائِرِ الْوَلَايَاتِ أَيَّ عُلُوٍّ . . وَقَدِ انْكَشَفَتْ لِي فِي وَقْتٍ ، تَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ ، فِي صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ ، بِصُورَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ تَلَقِّي الصَّحَابَةِ ؛ فَظَهَرَتْ لِي أَهَمَّ بِدَرَجَةِ عِبَادَةِ شَهْرٍ ؛ فَفَهِمْتُ بِذٰلِكَ ، مَا لِلصَّحَابَةِ مِنَ

الْقِيمَةِ الْعَالِيَةِ. وَإِنَّ النُّورَ وَالْفَيْضَ الَّذِي تُفِيضُهُ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ الْقُدُسِيَّةُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، لَهُ مَزَايَا أُخْرٰى؛ وَلِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ بِتَجَدُّدِهَا، لَطَافَةٌ وَطَرَاوَةٌ وَلَذَّةٌ أُخْرٰى، تَخْتَفِي وَتَقِلُّ بِمُرُورِ الزَّمَانِ؛ وَتَسْتَتِرُ تَحْتَ حِجَابِ الْغَفْلَةِ. فَالذَّاتُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، تَلَقَّتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ فِي طَرَاوَتِهَا جَدِيدَةً عَنْ مَنْبَعِهَا الْحَقِيقِيِّ، مِنَ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ؛ وَمَصَّهَا بِاسْتِعْدَادِهِ الْفَائِقِ عَلَى الْعَادَةِ. فَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا السِّرِّ، كَانَ ذٰلِكَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ يَسْتَفِيضُ عَنْ تَسْبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، مِقْدَارَ سَنَةٍ مِنْ سَنَوَاتِ الْآخَرِينَ. فَقِسْ مِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ، دَرَجَةَ تَرَقِّي الذَّاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فِي مَرَاتِبِ الْكَمَالَاتِ الَّتِي لَا حَدَّ وَلَا نِهَايَةَ لَهَا..

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْمَدَارَ الْأَهَمَّ لِجَمِيعِ مَا فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، مِنْ مَقَاصِدِ خَالِقِهَا، هُوَ نَوْعُ الْإِنْسَانِ؛ وَأَنَّ أَعْلَمَ مُخَاطَبٍ بِجَمِيعِ الْخِطَابَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ، هُوَ نَوْعُ الْبَشَرِ؛ فَلِذٰلِكَ جَعَلَ «الْخَالِقُ الْفَرْدُ ذُو الْجَلَالِ»، الذَّاتَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، الَّتِي هِيَ فَرْدٌ أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ بَيْنَ ذٰلِكَ النَّوْعِ، وَأَكْمَلُ وَأَجَلُّ احْتِشَاماً بِآثَارِهِ وَإِجْرَاءَاتِهِ، مُخَاطَباً لَهُ، بِاسْمِ ذٰلِكَ النَّوْعِ، بَلْ بِحِسَابِ عُمُومِ الْكَائِنَاتِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ جَعَلَهُ مَظْهَراً لِمَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ فَيْضِهِ، فِي كَمَالَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا..

وَتُوجَدُ نِقَاطٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ هٰذِهِ النِّقَاطِ الثَّلَاثِ، تُثْبِتُ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ: أَنَّ الشَّخْصِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، شَمْسٌ مَعْنَوِيَّةٌ لِلْكَائِنَاتِ؛ كَمَا أَنَّهَا آيَةٌ كُبْرٰى مِنْ هٰذَا الْقُرْآنِ الْكَبِيرِ الْمُسَمّٰى بِالْعَالَمِ، وَاسْمٌ أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ الْفُرْقَانِ الْأَعْظَمِ، وَمِرْآةٌ لِلْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْفَرْدِ».. فَنَرْجُو مِنْ ذٰلِكَ الذَّاتِ «الْفَرْدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ»، أَنْ يُنْزِلَ مِنْ خَزِينَةِ رَحْمَتِهِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا، عَلٰى تِلْكَ الذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ، (الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ)، عَدَدَ حَاصِلِ ضَرْبِ جَمِيعِ دَقَائِقِ جَمِيعِ أَزْمِنَةِ جَمِيعِ ذَرَّاتِ الْكَائِنَاتِ، فِي عَاشِرَاتِهَا..

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾..

اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلاثِينَ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَانْظُرْ إِلٰٓى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۤ إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتٰى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ . . وَ . . اَللهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . .﴾

لَقَدْ ظَهَرَتْ لِعَقْلِي مِنْ بُعْدٍ بَعِيدٍ ، فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِر» ، فِي شَوَّالِ الشَّرِيفِ ، نُكْتَةٌ مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ الْعُظْمٰى ، وَنُكْتَةٌ مِنْ تِلْكَ الْآيَةِ الْكُبْرٰى ، مَعَ جَلْوَةٍ مِن اسْمِ «الْحَيِّ» الَّذِي هُوَ اسْمٌ أَعْظَمُ ، أَوْ ضِيَاءٌ مِنْ ضِيَاءَيْ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، أَوْ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِهِ السِّتَّةِ ؛ فَلَمْ تُقَيَّدْ فِي وَقْتِهَا ؛ وَلَمْ نَصِدْ ذٰلِكَ الطَّائِرَ الْقُدُسِيَّ فَوْراً ؛ فَبَعْدَمَا تَبَاعَدَ ؛ فَلَا أَقَلَّ أَنْ نُظْهِرَ مُخْتَصَراً ، بَعْضَ شُعَاعَاتِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْكُبْرٰى ، وَذٰلِكَ النُّورِ الْأَعْظَمِ ، بِبَعْضِ رُمُوزٍ . .

اَلرَّمْزُ الْأَوَّلُ :

مَا هِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي هِيَ جَلْوَةٌ عُظْمٰى مِنْ جَلَوَاتِ اسْمَيِ «الْحَيِّ وَالْمُحْيِي» ؟ . وَمَا هِيَ مَاهِيَّتُهَا وَوَظِيفَتُهَا ؟ .

وَالْجَوَابُ الشَّبِيهُ بِالْفِهْرِسِ ، عَلٰى هٰذَا السُّؤَالِ ، هُوَ : أَنَّ الْحَيَاةَ أَهَمُّ غَايَاتِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَعْظَمُ نَتَائِجِهَا ؛ وَأَشْرَقُ أَنْوَارِهَا ؛ وَأَلْطَفُ خَمِيرَتِهَا ؛ وَأَصْفٰى خُلَاصَةٍ مُسْتَقْطَرَةٍ مِنْهَا ؛ وَأَكْمَلُ ثَمَرَاتِهَا ؛ وَأَعْلٰى كَمَالِهَا ؛ وَأَجْمَلُ جَمَالِهَا ؛ وَأَزْيَنُ زِينَتِهَا ؛ وَسِرُّ وَحْدَتِهَا ؛ وَرَابِطَةُ اتِّحَادِهَا ؛ وَمَنْشَأُ كَمَالَاتِهَا ؛ وَأَعْجَبُ ذِي رُوحٍ مِنْهَا ، خَارِقٍ صَنْعَةً وَمَاهِيَّةً ؛ وَحَقِيقَةٌ

مُعْجِزَةٌ مِنْهَا ، تَجْعَلُ أَصْغَرَ مَخْلُوقٍ فِي حُكْمِ عَالَمٍ ؛ وَأَغْرَبُ مُعْجِزَةٍ خَارِقَةٍ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُدْرَةِ ، تُصَيِّرُ حَيّاً صَغِيراً فِي حُكْمِ عَالَمٍ صَغِيرٍ ؛ وَتَجْعَلُهُ ذَا مُنَاسَبَةٍ بِأَكْثَرِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ مَعَ أَنَّهَا تُظْهِرُ ذٰلِكَ الْحَيَّ ، شِبْهَ فِهْرِسٍ لِلْكَائِنَاتِ الْعَظِيمَةِ ؛ فَكَأَنَّهَا تَكُونُ وَسِيلَةً لِتَوْطِينِ الْكَائِنَاتِ فِي حَيٍّ صَغِيرٍ ؛ وَصَنْعَةٌ إِلٰهِيَّةٌ خَارِقَةٌ فَوْقَ الْعَادَةِ ، تُكَبِّرُ جُزْءاً بِقَدَرِ كُلٍّ كَبِيرٍ ؛ وَتَجْعَلُ فَرْداً كَكُلِّيٍّ فِي حُكْمِ عَالَمٍ ؛ وَتُظْهِرُ الْكَائِنَاتِ ، فِي حُكْمِ كُلٍّ وَكُلِّيٍّ لَا يَقْبَلَانِ تَجَزُّؤاً وَاشْتِرَاكاً وَانْقِسَاماً فِي جِهَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ وَأَكْمَلُ بَرَاهِينَ تَشْهَدُ عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ الذَّاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، وَعَلٰى وَحْدَتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ ؛ وَأَقْطَعُ تِلْكَ الْبَرَاهِينِ وَأَشْرَقُهَا ، مِنْ بَيْنِ مَاهِيَّاتِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَخْفٰى نَقْشٍ مِنْ نُقُوشِ الصَّنْعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَظْهَرُهُ ، وَأَغْلَاهُ وَأَرْخَصُهُ ، وَأَنْزَهُهُ وَأَزْهَرُهُ ، وَأَدَلُّ عَلَى الْمَعَانِي بَيْنَ الْمَصْنُوعَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَجَلْوَةٌ لَطِيفَةٌ ظَرِيفَةٌ وَمُتَدَلِّلَةٌ مِنْ جَلَوَاتِ رَحْمَةِ «الرَّحْمٰنِ» ، تَجْعَلُ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ خَادِمَةً لَهَا ؛ وَمِرْآةٌ جَامِعَةٌ غَايَةَ الْجَمْعِ لِلشُّؤُونِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَأُعْجُوبَةٌ مِنْ أَعَاجِيبِ الْخِلْقَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ مَنْشَأٌ وَمَعْدِنٌ لِجَمِيعِ الْحَوَاسِّ ، كَالْحِسِّ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ؛ وَجَامِعَةٌ لِجَلَوَاتِ أَكْثَرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى «كَالرَّحْمٰنِ وَالرَّزَّاقِ وَالرَّحِيمِ ، وَالْكَرِيمِ وَالْحَكِيمِ» ؛ وَتَجْعَلُ حَقَائِقَ كَثِيرَةً مِثْلَ الرِّزْقِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ ، تَابِعَةً لِنَفْسِهَا . وَكَذَا أَنَّ الْحَيَاةَ جِهَازٌ لِلتَّصْفِيَةِ فِي مَصْنَعِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، الْأَعْظَمِ ، يُصَفِّي الْأَشْيَاءَ وَيُطَهِّرُهَا ؛ وَيُرَقِّيهَا وَيُنَوِّرُهَا دَائِماً فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ وَكَأَنَّ ذٰلِكَ الْجِسْمَ الَّذِي هُوَ وَكْرُ الْحَيَاةِ ، مَضِيفٌ وَمُعَسْكَرٌ وَمَدْرَسَةٌ لِقَوَافِلِ الذَّرَّاتِ ، لِتَوْظِيفِهَا وَتَدْرِيبِهَا وَتَنْوِيرِهَا ؛ فَكَأَنَّ الذَّاتَ «الْحَيَّ الْمُحْيِيَ» ، يُلَطِّفُ هٰذَا الْعَالَمَ الدُّنْيَوِيَّ السُّفْلِيَّ الْمُظْلِمَ وَيُنَوِّرُهُ ؛ وَيُعْطِيهِ نَوْعَ بَقَاءٍ ؛ وَيُعِدُّهُ لِلسَّفَرِ إِلٰى عَالَمٍ بَاقٍ ، وَذٰلِكَ بِوَاسِطَةِ جِهَازِ الْحَيَاةِ هٰذَا . وَكَذَا أَنَّ وَجْهَيِ الْحَيَاةِ ، أَيِ الْمُلْكَ وَالْمَلَكُوتَ ، مُشْرِقَانِ وَعَالِيَانِ ، بِدُونِ قَذَرٍ وَلَا نَقْصٍ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَتْ مَخْلُوقَةً مُمْتَازَةً ، لَمْ تُجْعَلِ الْأَسْبَابُ الظَّاهِرَةُ حُجُباً لِتَصَرُّفَاتِ الْقُدْرَةِ فِي الْحَيَاةِ كَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ ؛ لِتُعْلِنَ أَنَّهَا تَخْرُجُ عَنْ يَدِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ نَفْسِهَا ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ وَلَا حِجَابٍ . وَكَذَا أَنَّ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ تَنْظُرُ إِلَى الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ السِّتَّةِ ؛ وَتُثْبِتُهَا

رَمْزاً وَمعْنًى ؛ أَيْ أَنَّها حَقِيقَةٌ نَيِّرَةٌ تَقْتَضِي وُجودَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ وَحَيَاتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ ، وَدَارَ الْآخِرَةِ وَحَيَاتَهَا الْبَاقِيَةَ ، وَوُجُودَ الْمَلائِكَةِ ؛ وَتَنْظُرُ إِلَى سَائِرِ الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ نَظَراً قَوِيّاً جِدّاً وَتَقْتَضِيهَا . وَكَذَا أَنَّ الْحَيَاةَ أَصْفَى خُلاصَةٍ اسْتُقْطِرَتْ مِنْ كُلِّ الْكَائِنَاتِ ؛ كَمَا أَنَّهَا سِرٌّ أَعْظَمُ يُنْتِجُ الشُّكْرَ وَالْعِبَادَةَ ، وَالْحَمْدَ وَالْمَحَبَّةَ ، الَّتِي هِيَ أَهَمُّ مَقَاصِدَ إِلٰهِيَّةٍ فِي الْكَائِنَاتِ ، وَأَعْظَمُ نَتَائِجِ خِلْقَةِ الْعَالَمِ . .

فَخُذْ هٰذِهِ الْخَوَاصَّ التِّسْعَ وَالْعِشْرِينَ الْمَذْكُورَةَ ، مِنْ خَوَاصِّ الْحَيَاةِ الْقَيِّمَةِ الْمُهِمَّةِ ، وَوَظَائِفِهَا الْعَامَّةِ الْعَالِيَةِ ، أَمَامَ نَظَرِكَ ؛ ثُمَّ انْظُرْ إِلَيْهَا فَأَبْصِرْ عَظَمَةَ اسْمِ «الْحَيِّ» وَرَاءَ اسْمِ «الْمُحْيِي» ؛ وَاعْلَمْ مِنْ نُقْطَةِ هٰذِهِ الْخَوَاصِّ وَالثَّمَرَاتِ الْعَظِيمَةِ لِلْحَيَاةِ ، أَنَّ اسْمَ «الْحَيِّ» أَيُّ اسْمٍ أَعْظَمَ ؛ وَاعْلَمْ أَيْضاً أَنَّ هٰذِهِ الْحَيَاةَ إِذَا كَانَتْ أَكْبَرَ نَتَائِجِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَعْظَمَ غَايَاتِهَا ، وَأَغْلَى ثَمَرَاتِهَا ؛ فَلا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لِهٰذِهِ الْحَيَاةِ أَيْضاً ، نَتِيجَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَغَايَةٌ كَبِيرَةٌ ، بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ ؛ إِذْ كَمَا أَنَّ نَتِيجَةَ الشَّجَرَةِ هِيَ ثَمَرَتُهَا ؛ فَإِنَّ نَتِيجَةَ الثَّمَرَةِ أَيْضاً ، هِيَ شَجَرَةٌ آتِيَةٌ بِوَاسِطَةِ نَوَاتِهَا . نَعَمْ : كَمَا أَنَّ غَايَةَ هٰذِهِ الْحَيَاةِ وَنَتِيجَتَهَا ، هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ؛ فَإِنَّ ثَمَرَةً مِنْهَا ، هِيَ الشُّكْرُ وَالْعِبَادَةُ ، وَالْحَمْدُ وَالْمَحَبَّةُ ، «لِلْحَيِّ الْمُحْيِي» الْوَاهِبِ لِلْحَيَاةِ ؛ وَإِنَّ هٰذَا الشُّكْرَ وَالْمَحَبَّةَ ، وَالْحَمْدَ وَالْعِبَادَةَ ، كَمَا هِيَ ثَمَرَةُ الْحَيَاةِ ، فَهِيَ غَايَةُ الْكَائِنَاتِ . فَافْهَمْ مِنْ هٰذَا ، أَنَّ مَنْ يَقُولُونَ : إِنَّ غَايَةَ هٰذِهِ الْحَيَاةِ ، هِيَ التَّعَيُّشُ بِرَاحَةٍ ، وَالتَّلَذُّذُ بِغَفْلَةٍ ، وَالتَّنَعُّمُ بِشَهْوَةٍ ، يَسْتَخِفُّونَ إِحْسَانَ الْعَقْلِ ، وَهَدِيَّةَ الشُّعُورِ ، وَنِعْمَةَ الْحَيَاةِ ؛ وَيَسْتَحْقِرُونَ هٰذِهِ النِّعَمَ الْقَيِّمَةَ جِدّاً ، عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ ، بَلِ الْكُفْرِ ، بِجَهْلٍ شَنِيعٍ لِلْغَايَةِ ؛ وَيَكْفُرُونَ بِالنِّعْمَةِ كُفْرَاناً رَهِيباً . .

اَلرَّمْزُ الثَّانِي :

أَنَّهُ يَلْزَمُ لِبَيَانِ جَمِيعِ مَرَاتِبِ هٰذِهِ الْحَيَاةِ ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ جَلْوَةٍ لِاسْمِ «الْحَيِّ» ، وَأَلْطَفُ تَجَلٍّ مِنْ تَجَلِّيَاتِ اسْمِ «الْمُحْيِي» ، وَلِبَيَانِ جَمِيعِ أَوْصَافِهَا وَوَظَائِفِهَا ، الْمَذْكُورِ

فِهْرِسُهَا فِي الرَّمْزِ الْأَوَّلِ، تَأْلِيفُ رَسَائِلَ بِعَدَدِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ؛ فَلِذٰلِكَ نُحِيلُ بَعْضَ تَفْصِيلَاتِهَا عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْأَوْصَافِ وَالْمَرَاتِبِ وَالْوَظَائِفِ، أُوضِحَ فِي أَجْزَاءِ «رِسَالَةِ النُّورِ»؛ فَنُشِيرُ هٰهُنَا إِلٰى بَعْضٍ مِنْهَا، إِشَارَةً مُخْتَصَرَةً، وَهِيَ: أَنَّهُ قِيلَ فِي الْخَاصَّةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ خَوَاصِّ الْحَيَاةِ التِّسْعِ وَالْعِشْرِينَ: إِنَّ وَجْهَيِ الْحَيَاةِ شَفَّافَانِ، وَغَيْرُ قَذِرَيْنِ؛ فَلِذٰلِكَ لَمْ تُجْعَلِ الْأَسْبَابُ الظَّاهِرَةُ حِجَاباً لِتَصَرُّفَاتِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِيهَا. نَعَمْ: إِنَّ سِرَّ هٰذِهِ الْخَاصَّةِ هُوَ: أَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ فِي الْكَائِنَاتِ حُسْنٌ وَجَمَالٌ وَخَيْرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ وَكَانَ الشَّرُّ وَالْقُبْحُ وَاحِداً قِيَاسِيّاً، وَجُزْئِيّاً لِلْغَايَةِ، بِحَيْثُ يُصْبِحُ ذٰلِكَ الشَّرُّ خَيْراً، وَذٰلِكَ الْقُبْحُ حُسْناً، بِجِهَةِ إِظْهَارِ مَرَاتِبِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ، وَإِظْهَارِ تَكَثُّرِ حَقَائِقِهِ وَتَعَدُّدِهَا؛ إِلَّا أَنَّ الْأَسْبَابَ الظَّاهِرَةَ جُعِلَتْ فِيهَا حِجَاباً عَلٰى تَصَرُّفَاتِ الْقُدْرَةِ الْقُدُسِيَّةِ الْمُنَزَّهَةِ؛ لِئَلَّا يَتَوَجَّهَ الْقُبْحُ وَالسُّوءُ الظَّاهِرُ، الْمَشْهُودُ فِي النَّظَرِ الظَّاهِرِ لِذَوِي الشُّعُورِ، وَالسُّخْطُ وَالشَّكَايَا النَّاشِئَةُ عَنِ الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ، إِلَى الذَّاتِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ؛ وَلِئَلَّا يُنَافِيَ عِزَّةَ تِلْكَ الْقُدْرَةِ، مُبَاشَرَتُهَا بِالذَّاتِ بِدُونِ حِجَابٍ، بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى قَبِيحَةً وَخَسِيسَةً فِي نَظَرِ الْعَقْلِ الظَّاهِرِ. وَإِنَّ تِلْكَ الْأَسْبَابَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئاً؛ بَلْ وُضِعَتْ لِحِفْظِ عِزَّةِ الْقُدْرَةِ وَقُدُسِيَّتِهَا وَتَنَزُّهِهَا؛ وَلِتَكُونَ هَدَفاً لِاعْتِرَاضَاتٍ وَشَكَايَا بَاطِلَةٍ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي مُقَدِّمَةِ الْمَقَامِ الثَّانِي مِنَ «الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ»: أَنَّ «عَزْرَائِيلَ» (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، نَاجَى اللّٰهَ تَعَالٰى فِي حَقِّ وَظِيفَةِ قَبْضِ الْأَرْوَاحِ؛ فَقَالَ: إِنَّ عِبَادَكَ سَيَسْخَطُونَ عَنِّي؛ فَقِيلَ لَهُ جَوَاباً: إِنِّي سَأَضَعُ حِجَابَ الْأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ بَيْنَ وَظِيفَتِكَ، وَبَيْنَ مَنْ يَمُوتُونَ؛ فَلَا يَرْمُونَ إِلَيْكَ أَسْهَامَ الِاعْتِرَاضِ وَالشَّكْوٰى؛ بَلْ يَرْمُونَهَا إِلٰى تِلْكَ الْحُجُبِ. فَعَلٰى سِرِّ هٰذِهِ الْمُنَاجَاةِ، تَكُونُ وَظِيفَةُ «عَزْرَائِيلَ» (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حِجَاباً؛ لِئَلَّا يَرِدَ عَلَى الذَّاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ»، الِاعْتِرَاضَاتُ وَالسُّخْطُ، مِمَّنْ لَا يَرَوْنَ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ الْحَقِيقِيَّ لِلْمَوْتِ وَالْوَفَاةِ فِي حَقِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ وَلَا يَعْلَمُونَ جِلْوَةَ الرَّحْمَةِ فِي الْمَوْتِ؛ كَمَا أَنَّ سَائِرَ الْأَسْبَابِ أَيْضاً حُجُبٌ ظَاهِرَةٌ..

نَعَمْ : إِنَّ الْعِزَّةَ وَالْعَظَمَةَ ، تَسْتَلْزِمَانِ أَنْ تَكُونَ الْأَسْبَابُ سَاتِرَةً لِيَدِ الْقُدْرَةِ ، فِي نَظَرِ الْعَقْلِ ؛ وَلٰكِنَّ الْوَحْدَةَ وَالْجَلَالَ ، يَقْتَضِيَانِ أَنْ تَكُفَّ الْأَسْبَابُ أَيْدِيَهَا عَنِ التَّأْثِيرِ الْحَقِيقِيِّ . وَلٰكِنَّ الْحَيَاةَ لَا يُوجَدُ فِيهَا مَا يُنَافِي عِزَّةَ الْقُدْرَةِ وَقُدْسِيَّتَهَا ، مِنَ الْقُبْحِ وَالسُّوءِ ؛ كَمَا لَا يُوجَدُ فِيهَا مَوَادُّ تَدْعُو إِلَى الِاعْتِرَاضِ وَالشَّكْوٰى ؛ لِأَنَّ وَجْهَيِ الْحَيَاةِ ، الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ ، وَالْمُلْكَ وَالْمَلَكُوتَ ، لَا وَسَخَ وَلَا نَقْصَ وَلَا قُصُورَ فِيهِمَا ؛ فَلِذَا سُلِّمَتِ الْحَيَاةُ نَفْسُهَا بِدُونِ حِجَابٍ ، إِلَى أَسْمَاءِ الذَّاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، مِنِ اسْمِ «الْمُحْيِي وَالْوَهَّابِ وَمُعْطِي الْحَيَاةِ» . وإِنَّ النُّورَ وَالْوُجُودَ وَالْإِيجَادَ أَيْضاً كَذٰلِكَ . فَلِذَا يَنْظُرُ الْخَلْقُ وَالْإِيجَادُ بِلَا وَاسِطَةٍ ، وَبِدُونِ حِجَابٍ ، إِلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ ذِي الْجَلَالِ ؛ حَتّٰى إِنَّ الْمَطَرَ لَمْ يُجْعَلْ وَقْتُ نُزُولِهِ تَابِعاً لِقَانُونٍ مُطَّرِدٍ ، لِكَوْنِهِ نَوْعاً مِنَ الْحَيَاةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ حَتّٰى تُفْتَحَ الْأَيْدِي إِلَى الْبَابِ الْإِلٰهِيِّ فِي كُلِّ أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ ، لِطَلَبِ الرَّحْمَةِ . فَلَوْ كَانَ الْمَطَرُ تَابِعاً لِقَانُونٍ ، كَطُلُوعِ الشَّمْسِ ؛ لَمَا سُئِلَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ الْحَيَوِيَّةُ كُلَّ وَقْتٍ بِالرَّجَاءِ . .

اَلرَّمْزُ الثَّالِثُ :

أَنَّهُ قِيلَ فِي خَاصَّةِ الْحَيَاةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ : إِنَّ الْحَيَاةَ نَتِيجَةُ الْكَائِنَاتِ ؛ كَمَا أَنَّ الشُّكْرَ وَالْعِبَادَةَ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْحَيَاةِ ، سَبَبُ خِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَعِلَّتُهَا الْغَائِيَّةُ ، وَنَتِيجَتُهَا الْمَقْصُودَةُ . .

نَعَمْ : إِنَّ صَانِعَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، «الْحَيَّ الْقَيُّومَ» ، يَطْلُبُ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ ، إِزَاءَ تَعَرُّفِهِ وَتَحَبُّبِهِ إِلَيْهِمْ بِهٰذَا الْقَدَرِ مِنْ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، الشُّكْرَ إِزَاءَ تِلْكَ النِّعَمِ ؛ وَيَطْلُبُ مَحَبَّتَهُمْ لَهُ ، إِزَاءَ تَحَبُّبِهِ إِلَيْهِمْ ، وَمَدْحَهُمْ وَثَنَاءَهُمْ عَلَيْهِ ، إِزَاءَ صَنَائِعِهِ الْقَيِّمَةِ ، وَمُقَابَلَتَهُمْ بِالْإِطَاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، إِزَاءَ أَوَامِرِهِ الرَّبَّانِيَّةِ . فَعَلٰى هٰذَا السِّرِّ مِنْ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ ، كَانَ الشُّكْرُ وَالْعُبُودِيَّةُ ، أَهَمَّ غَايَةٍ لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَلِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ بِالتَّبَعِ ؛ فَلِذٰلِكَ يَسُوقُ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيَانِ ، إِلَى الشُّكْرِ وَالْعِبَادَةِ بِحَلَاوَةٍ وَشِدَّةٍ ، وَحَرَارَةٍ كَثِيرَةٍ جِدّاً ؛

وَيُبَيِّنُ بِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ : أَنَّ الْعِبَادَةَ مَخْصُوصَةٌ بِاللهِ تَعَالٰى ؛ وَالشُّكْرَ لَائِقٌ بِهِ ؛ وَالْحَمْدَ خَاصٌّ بِهِ تَعَالٰى . فَإِذاً إِنَّ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلٰى إِمْسَاكِهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ ، بِجَمِيعِ شُؤُونِهَا ، فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِهِ بِدُونِ حِجَابٍ ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضٰى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ۝﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ، تَنْفِي الْوَسَائِطَ بِصُورَةٍ صَرِيحَةٍ جِدّاً ؛ وَتُسَلِّمُ الْحَيَاةَ إِلٰى يَدِ قُدْرَةِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» نَفْسِهَا مُنْحَصِرَةً عَلَيْهَا ؛ لِتُفِيدَ أَنَّ اللَّازِمَ ، أَنْ يَذْهَبَ هٰذَا الشُّكْرُ وَالْعِبَادَةُ إِلٰى مَالِكِهِ الْحَقِيقِيِّ ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ . .

نَعَمْ : يُفِيدُ الْقُرْآنُ بِآيَاتٍ مِثْلِ قَولِهِ تَعَالٰى : ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ۝﴾ ، وَ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ۝﴾ ، وَ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ ، أَنَّ مَا يَكُونُ وَسِيلَةَ الشُّكْرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، مِثْلِ الرِّزْقِ وَالشِّفَاءِ وَالْغَيْثِ ، بَعْدَ الْحَيَاةِ الَّتِي تَدْعُو إِلٰى الِامْتِنَانِ وَالشُّكْرِ ؛ وَتُحَرِّكُ حِسَّ الثَّنَاءِ وَالْمَحَبَّةِ ، عَائِدَةٌ أَيْضاً إِلَى «الرَّزَّاقِ الشَّافِي» ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ ؛ وَأَنَّ الْأَسْبَابَ وَالْوَسَائِطَ حِجَابٌ ؛ فَلِذٰلِكَ ذَكَرَ لَفْظَ ﴿هُوَ الَّذِي﴾ ، وَ ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ ، الَّذِي هُوَ عَلَامَةُ الْحَصْرِ وَالتَّخْصِيصِ بِقَاعِدَةِ النَّحْوِ ؛ لِيُفِيدَ أَنَّ الرِّزْقَ وَالشِّفَاءَ وَالْغَيْثَ ، تَأْتِي مِنْ جَانِبِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» بِدُونِ حِجَابٍ ؛ وَتَخُصُّ بِقُدْرَتِهِ ؛ وَتَنْحَصِرُ عَلَيْهَا ؛ وَإِنَّ ذٰلِكَ «الشَّافِيَ» الْحَقِيقِيَّ ، هُوَ الَّذِي أَعْطَى الْأَدْوِيَةَ ، الْخَوَاصَّ ؛ وَخَلَقَ فِيهَا التَّأْثِيرَ . .

اَلرَّمْزُ الرَّابِعُ :

أَنَّهُ قَدْ بُيِّنَ فِي الْخَاصَّةِ الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ خَوَاصِّ الْحَيَاةِ : «أَنَّ الْحَيَاةَ تَنْظُرُ إِلٰى أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ ؛ وَتُثْبِتُهَا ؛ وَتُشِيرُ إِلٰى تَحَقُّقِهَا» . نَعَمْ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ أَهَمُّ نَتِيجَةِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ وَخَمِيرَتُهَا ، وَحِكْمَةُ خِلْقَتِهَا ، هِيَ الْحَيَاةَ ؛ فَإِنَّهُ لَا تَنْحَصِرُ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الْعَالِيَةُ ، عَلٰى هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْأَلِيمَةِ النَّاقِصَةِ ، الْقَصِيرَةِ الْفَانِيَةِ ؛ بَلْ إِنَّ غَايَةَ شَجَرَةِ

الْحَيَاةِ الَّتِي تُفْهَمُ عَظَمَتُهَا بِخَوَاصِّهَا التِّسْعِ وَالْعِشْرِينَ؛ وَنَتِيجَةَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ؛ وَثَمَرَتَهَا اللاّئِقَةَ بِعَظَمَتِهَا، هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ وَالْأُخْرَوِيَّةُ، فِي دَارِ السَّعَادَةِ الْحَيَّةِ بِأَحْجَارِهَا وَأَشْجَارِهَا وَتُرَابِهَا؛ وَإِلاّ يَلْزَمُ أَنْ تَبْقَى شَجَرَةُ الْحَيَاةِ الْمُجَهَّزَةُ بِمَا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ الْأَجْهِزَةِ الْمُهِمَّةِ، بِدُونِ حَقِيقَةٍ وَلَا فَائِدَةٍ وَلَا ثَمَرَةٍ، فِي حَقِّ ذَوِي الشُّعُورِ، لَاسِيَّمَا الْإِنْسَانِ؛ وَأَنْ يَسْقُطَ الْإِنْسَانُ، الَّذِي هُوَ الْمَخْلُوقُ الْأَعْلَى وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، وَالْأَغْنَى بِالْحَيَاةِ وَالْجِهَازَاتِ مِنَ الْعُصْفُورِ مَثَلاً، عِشْرِينَ دَرَجَةً؛ وَأَنْ يَنْزِلَ إِلٰى دَرَجَةٍ أَسْفَلَ مِنَ الْعُصْفُورِ عِشْرِينَ دَرَجَةً؛ وَيَكُونَ بَائِساً أَشْقٰى وَأَذَلَّ فِي جِهَةِ سَعَادَةِ الْحَيَاةِ؛ وَيَكُونَ الْعَقْلُ الَّذِي هُوَ أَغْلٰى نِعْمَةٍ، أَشَدَّ بَلاءٍ وَمُصِيبَةٍ؛ لِأَنَّهُ يُؤْلِمُ قَلْبَ الْإِنْسَانِ دَائِماً بِتَصَوُّرِ أَحْزَانِ الزَّمَانِ الْمَاضِي، وَأَهْوَالِ الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَيَخْلِطُ تِسْعَةَ آلَامٍ بِلَذَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَهٰذَا بَاطِلٌ مِئَةَ دَرَجَةٍ..

فَإِذاً إِنَّ هٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، تُثْبِتُ رُكْنَ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ قَطْعاً؛ وَتُرِي أَعْيُنَنَا أَمْثِلَةَ الْحَشْرِ فِي كُلِّ رَبِيعٍ، أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِمِئَةِ أَلْفِ مِثَالٍ. فَيَا لَلْعَجَبِ! إِنَّ مُتَصَرِّفاً قَدِيراً يُعِدُّ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ، جَمِيعَ اللَّوَازِمِ وَالْأَجْهِزَةِ، الْمُنَاسِبَةِ وَاللاّزِمَةِ لِحَيَاتِكَ؛ وَيُحْضِرُهَا فِي جِسْمِكَ وَحَدِيقَتِكَ وَوَطَنِكَ؛ وَيُوصِلُهَا إِلَيْكَ فِي أَوْقَاتِهَا؛ حَتّٰى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ وَيَعْلَمُ دُعَاءَ الرِّزْقِ الْجُزْئِيِّ الْخَاصِّ، الَّذِي تَدْعُوهُ مَعِدَتُكَ بِطَلَبِ الْبَقَاءِ وَالْعَيْشِ؛ وَيُظْهِرُ قَبُولَ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ، بِأَطْعِمَةٍ لَذِيذَةٍ لَا حَدَّ لَهَا؛ وَيُرْضِي الْمَعِدَةَ بِتِلْكَ الْأَطْعِمَةِ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ لَا يَعْلَمَكَ ذٰلِكَ الْمُتَصَرِّفُ؛ وَلَا يَرَاكَ؛ وَأَنْ لَا يُعِدَّ الْأَسْبَابَ اللاّزِمَةَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ غَايَةٍ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ؛ وَأَنْ لَا يَتَقَبَّلَ دَعَاءَ الْبَقَاءِ، الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ دَعَاءِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، وَأَهَمُّهُ وَأَلْيَقُهُ وَأَعَمُّهُ، بِإِنْشَاءِ الْحَيَاةِ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَبِإِيجَادِ الْجَنَّةِ؛ وَأَنْ لَا يَسْمَعَ دَعَاءَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، الَّذِي هُوَ أَهَمُّ مَخْلُوقَاتِ الْكَائِنَاتِ، بَلْ سُلْطَانُ الْأَرْضِ وَنَتِيجَتُهَا، ذٰلِكَ الدُّعَاءَ الْعَامَّ الْقَوِيَّ لِلْغَايَةِ الَّذِي يُطَنِّنُ الْعَرْشَ وَالْفَرْشَ؛ وَأَنْ لَا يَهْتَمَّ بِذٰلِكَ الدُّعَاءِ؛ وَلَا يُرْضِيَ ذٰلِكَ النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ، مِقْدَارَ مَعِدَةٍ صَغِيرَةٍ؛ وَأَنْ يُنْكِرَ كَمَالَ

حِكْمَتِهِ ، وَنِهَايَةَ رَحْمَتِهِ ؟ . حَاشَاهُ عَنْ ذٰلِكَ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ . .

وَكَذَا هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَسْمَعَ ذٰلِكَ الْمُتَصَرِّفُ ، أَخْفَى صَوْتٍ ، مِنْ أَصْغَرِ جُزْئِيٍّ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ وَيَسْتَمِعَ إِلٰى شَكْوَاهُ ؛ وَيُعْطِيَهُ الدَّوَاءَ ؛ وَيَتَحَمَّلَ تَدَلُّلَهُ ؛ وَيُرَبِّيَهُ بِكَمَالِ الاعْتِنَاءِ وَالاهْتِمَامِ ؛ وَيَسْتَخْدِمَ لَهُ مَخْلُوقَاتِهِ الْكَبِيرَةَ ؛ وَيَجْعَلَهَا خُدَّاماً لَهُ بِاعْتِنَاءٍ ؛ ثُمَّ لَا يَسْمَعَ صَوْتَ أَعْظَمِ حَيَاةٍ قَيِّمَةٍ ، بَاقِيَةٍ وَمُتَدَلِّلَةٍ ، ذٰلِكَ الصَّوْتَ الْعَالِيَ مِثْلَ الرَّعْدِ ؛ وَلَا يَنْظُرَ بِنَظَرِ الاعْتِبَارِ ، إِلٰى تَضَرُّعِ تِلْكَ الْحَيَاةِ ، وَإِلٰى تَدَلُّلِهَا وَدُعَائِهَا الْمُهِمِّ الْعَائِدِ إِلَى الْبَقَاءِ ؛ كَأَنْ يُوفِيَ إِدَارَةَ جُنْدِيٍّ وَمُعِدَّاتِهِ ، بِكَمَالِ اعْتِنَاءٍ ؛ وَلَا يَنْظُرَ أَصْلاً إِلَى الْجَيْشِ الْمُطِيعِ الْمُحْتَشِمِ ؛ وَأَنْ يَرَى الذَّرَّةَ ؛ وَلَا يَرَى الشَّمْسَ ؛ وَأَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ الْبَعُوضِ ؛ وَلَا يَسْمَعَ صَوْتَ الرَّعْدِ ؟ . حَاشَاهُ عَنْ ذٰلِكَ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ . .

وَكَذَا هَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ بِجِهَةٍ ، أَنْ يُعْدِمَ «قَدِيرٌ حَكِيمٌ» ، ذُو رَحْمَةٍ وَمَحَبَّةٍ بِلَا حَدٍّ ، وَذُو شَفَقَةٍ فِي دَرَجَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، يُحِبُّ صُنْعَهُ كَثِيراً ؛ وَيُحَبِّبُ نَفْسَهُ جِدّاً ؛ وَيُحِبُّ أَحِبَّاءَهُ كَثِيراً ، أَنْ يُعْدِمَ بِالْمَوْتِ الأَبَدِيِّ ، الْحَيَاةَ الْحَبِيبَةَ وَالْمَحْبُوبَةَ ، الَّتِي تُحِبُّ صَانِعَهَا كَثِيراً ؛ وَتَعْبُدُهُ فِطْرَةً ؛ وَأَنْ يُعْدِمَ الرُّوحَ الَّذِي هُوَ ذَاتُ الْحَيَاةِ وَجَوْهَرُهَا ؛ وَيُسْخِطَ عَنْهُ ذٰلِكَ الْحَبِيبَ الْمُحِبَّ لَهُ ؛ وَيُغْضِبَهُ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ وَيُؤْلِمَهُ أَلَماً مُدْهِشاً ؛ فَيُنْكِرَ سِرَّ رَحْمَتِهِ ، وَنُورَ مَحَبَّتِهِ ؛ وَيُنْكِرَهُمَا بِغَيْرِهِ ؟ كَلَّا ؛ وَحَاشَاهُ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ؛ فَإِنَّ جَمَالاً مُطْلَقاً زَيَّنَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ بِجِلْوَتِهِ ، وَرَحْمَةً مُطْلَقَةً سَرَّتْ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ ، مُنَزَّهَانِ وَمُقَدَّسَانِ قَطْعاً بِدَرَجَاتٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا ، عَنْ مِثْلِ هٰذَا الْقُبْحِ وَالظُّلْمِ الْمُطْلَقَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا حَدَّ لَهُمَا . .

نَتِيجَةُ الْكَلَامِ : أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ مَوْجُودَةً فِي الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ فَهِمُوا سِرَّ الْحَيَاةِ مِنَ النَّاسِ ؛ وَلَمْ يُسِيئُوا اسْتِعْمَالَ حَيَاتِهِمْ ، سَيُصْبِحُونَ مَظَاهِرَ لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ فِي دَارِ الْبَقَاءِ ، وَفِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ قَطْعاً . آمَنَّا . .

وَكَذَا كَمَا أَنَّ تَلَألُؤَ الْأَشْيَاءِ الشَّفَّافَةِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، بِعَكْسِ الشَّمْسِ ؛ وَتَلَألُؤَ الْحَبَابَاتِ عَلٰى وُجُوهِ الْبِحَارِ بِلَمَعَاتِ الضِّيَاءِ ، فَانْطِفَاءَهَا ، وَانْعِكَاسَ الْحَبَابَاتِ الْآتِيَةِ مِنْ وَرَائِهَا لِشُمَيْسَاتٍ خَيَالِيَّةٍ أَيْضاً ، تَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلٰى أَنَّ تِلْكَ اللَّمَعَاتِ جَلَوَاتُ انْعِكَاسَاتِ شَمْسٍ وَاحِدَةٍ عَالِيَةٍ ؛ وَأَنَّهَا تَذْكُرُ وُجُودَ الشَّمْسِ بِأَلْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَتُشِيرُ إِلَيْهَا بِأَصَابِعِ الضِّيَاءِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ ، إِنَّ تَلَألُؤَ ذَوِي الْحَيَاةِ بِالْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، فِي دَاخِلِ الْبَحْرِ ، وَعَلٰى وَجْهِ الْبَرِّ ، بِالْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْمُحْيِي» ، مِنْ أَسْمَاءِ الذَّاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، وَاسْتِتَارَهَا فِي حِجَابِ الْغَيْبِ قَائِلَةً «يَا حَيُّ !» ، لِتَخْلِيَةِ الْمَكَانِ لِمَا يَأْتِي مِنْ وَرَائِهَا ، يُشِيرَانِ وَيَشْهَدَانِ عَلٰى حَيَاةِ الذَّاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، صَاحِبِ الْحَيَاةِ السَّرْمَدِيَّةِ ، وَعَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ ؛ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الدَّلَائِلِ الشَّاهِدَةِ عَلَى الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ، الْمَشْهُودَةِ آثَارُهُ فِي تَنْظِيمِ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ ، وَجَمِيعَ الْبَرَاهِينِ الْمُثْبِتَةِ لِلْقُدْرَةِ الْمُتَصَرِّفَةِ فِي الْكَائِنَاتِ ، وَجَمِيعَ الْحُجَجِ الْمُثْبِتَةِ لِلْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ الْحَاكِمَتَيْنِ فِي تَنْظِيمِ الْكَائِنَاتِ وَإِدَارَتِهَا ، وَجَمِيعَ الْأَمَارَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْمُثْبِتَةِ لِلرِّسَالَاتِ ، الَّتِي هِيَ مَدَارَاتُ الْكَلَامِ الرَّبَّانِيِّ ، وَالْوَحْيِ الْإِلٰهِيِّ ، وَهٰكَذَا جَمِيعُ الدَّلَائِلِ الشَّاهِدَةِ عَلَى الصِّفَاتِ السَّبْعِ الْإِلٰهِيَّةِ ، تُشِيرُ وَتَشْهَدُ وَتَدُلُّ بِالِاتِّفَاقِ ، عَلٰى حَيَاةِ الذَّاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ؛ إِذْ كَمَا أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ الْبَصَرُ فِي شَيْءٍ ؛ تُوجَدُ حَيَاتُهُ ؛ وَإِذَا وُجِدَ السَّمْعُ فَهُوَ عَلَامَةُ الْحَيَاةِ ؛ وَإِذَا وُجِدَ الْكَلَامُ يُشِيرُ إِلٰى وُجُودِ الْحَيَاةِ ؛ وَإِذَا وُجِدَ الِاخْتِيَارُ وَالْإِرَادَةُ يَدُلُّ عَلَى الْحَيَاةِ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ الصِّفَاتِ الْبَدِيهِيَّةَ الْمُحَقَّقَةَ الْوُجُودِ بِآثَارِهَا فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، كَالْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَالْإِرَادَةِ الشَّامِلَةِ ، وَالْعِلْمِ الْمُحِيطِ ، تَشْهَدُ بِجَمِيعِ دَلَائِلِهَا عَلٰى حَيَاةِ الذَّاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، وَعَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ ، وَعَلٰى حَيَاتِهِ السَّرْمَدِيَّةِ ، الَّتِي تُضِيءُ بِظِلٍّ مِنْ ظِلَالِهَا جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتُحْيِي بِجَلْوَةٍ مِنْ جَلَوَاتِهَا دَارَ الْآخِرَةِ كُلَّهَا مَعَ ذَرَّاتِهَا . .

وَكَذَا أَنَّ الْحَيَاةَ تَنْظُرُ إِلٰى رُكْنِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ؛ وَتُثْبِتُهُ رَمْزاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ أَهَمُّ النَّتَائِجِ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ هِيَ الْحَيَاةَ ؛ وَكَانَ مَا يَنْتَشِرُ أَزْيَدَ انْتِشَارٍ ؛ وَتُكَثَّرُ نُسَخُهُ لِقِيمَتِهِ ؛

وَيُعْمَرُ مَضِيفُ الْأَرْضِ بِمَا تَأْتِي وَتَمُرُّ مِنْ قَوَافِلِهِ ، هُمْ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَامْتَلَأَتْ كُرَةُ الْأَرْضِ بِأَنْوَاعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، بِهٰذَا الْقَدَرِ ؛ وَتُمْلَأُ وَتُفْرَغُ كُلَّ وَقْتٍ ، بِحِكْمَةِ تَجْدِيدِ أَنْوَاعِ ذَوِي الْحَيَاةِ ، وَتَكْثِيرِهَا دَائِماً ؛ وَيُخْلَقُ ذَوُو الْحَيَاةِ بِالْكَثْرَةِ فِي أَخَسِّ مَوَادِّهَا وَأَفْسَدِهَا ؛ فَتَكُونُ مَحْشَرَ حُوَيْنَاتٍ ؛ وَكَانَ الْعَقْلُ وَالشُّعُورُ اللَّذَانِ هُمَا أَصْفٰى خُلَاصَةٍ مُسْتَقْطَرَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ أَلْطَفُ جَوْهَرِهَا الثَّابِتِ ، تُخْلَقُ بِغَايَةِ الْكَثْرَةِ فِي كُرَةِ الْأَرْضِ هٰذِهِ ؛ حَتّٰى كَأَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ أُحْيِيَتْ بِالْحَيَاةِ وَالْعَقْلِ ، وَالشُّعُورِ وَالْأَرْوَاحِ ؛ وَعُمِرَتْ كَذٰلِكَ ؛ كَانَ بَقَاءُ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ أَلْطَفُ وَأَنْوَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ ، وَأَكْبَرُ وَأَهَمُّ مِنْهَا ، مَيِّتَةً وَجَامِدَةً بِدُونِ حَيَاةٍ وَلَا شُعُورٍ ، خَارِجاً عَنِ الْإِمْكَانِ قَطْعاً . . فَإِذاً تُوجَدُ فِي السَّمَاوَاتِ ، بِسِرِّ الْحَيَاةِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ، ذَوُو شُعُورٍ وَحَيَاةٍ ، وَسُكَّانٌ مُنَاسِبُونَ بِهَا ، يَكُونُونَ مَظَاهِرَ لِلْخِطَابَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ؛ وَيُعْلِنُونَ نَتِيجَةَ خِلْقَةِ السَّمَاوَاتِ ؛ وَيَعْمُرُونَ السَّمَاوَاتِ ، وَالشُّمُوسَ ، وَالْكَوَاكِبَ ؛ وَيَجْعَلُونَهَا عَلٰى كَيْفِيَّةٍ ذَاتِ حَيَاةٍ . . وَأُولَائِكَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ . .

وَكَذَا أَنَّ سِرَّ مَاهِيَّةِ الْحَيَاةِ ، يَنْظُرُ إِلٰى رُكْنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ ؛ وَيُثْبِتُهُ رَمْزاً . .

نَعَمْ : إِذَا كَانَتِ الْكَائِنَاتُ مَخْلُوقَةً لِأَجْلِ الْحَيَاةِ ؛ وَكَانَتِ الْحَيَاةُ جِلْوَةً عُظْمٰى ، وَنَقْشاً أَكْمَلَ ، وَصُنْعاً أَجْمَلَ ، «لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ الْأَزَلِيِّ» ؛ وَكَانَتِ الْحَيَاةُ السَّرْمَدِيَّةُ تُظْهِرُ نَفْسَهَا بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ ، وَبِإِنْزَالِ الْكُتُبِ ؛ ـ نَعَمْ : لَوْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ ؛ لَمَا عُلِمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ الْأَزَلِيَّةُ ؛ فَإِنَّهُ كَمَا يُعْلَمُ بِتَكَلُّمِ شَخْصٍ ، أَنَّهُ حَيٌّ يَعِيشُ ؛ كَذٰلِكَ فَإِنَّ مَا يَدُلُّ عَلٰى كَلِمَاتِ مُتَكَلِّمٍ يَتَكَلَّمُ وَيَنْطِقُ ؛ فَيَأْمُرُ وَيَنْهٰى وَرَاءَ عَالَمِ الْغَيْبِ الَّذِي تَحْتَ حِجَابِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَمَا يَدُلُّ عَلٰى خِطَابَاتِهِ ، هُوَ الرُّسُلُ وَالْكُتُبُ النَّازِلَةُ عَلٰى أَيْدِيهِمْ ـ فَلَا رَيْبَ أَنَّ مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنَ الْحَيَاةِ ، تَشْهَدُ قَطْعاً عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِ «الْحَيِّ الْأَزَلِيِّ» بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ ؛ كَمَا تَنْظُرُ إِلٰى رُكْنَيْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ ، اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ شَعَاعَاتِ تِلْكَ الْحَيَاةِ الْأَزَلِيَّةِ ، وَمِنْ جِلْوَاتِهَا وَمُنَاسَبَاتِهَا ؛ وَتُثْبِتُهُمَا رَمْزاً ، وَلَاسِيَّمَا الرِّسَالَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ،

وَالْوَحْيِ الْقُرْآنِيِّ ؛ فَإِنَّهُمَا فِي حُكْمِ رُوحِ الْحَيَاةِ وَعَقْلِهَا ؛ فَلِذَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ حَقَّانِيَّتَهُمَا قَاطِعَةٌ كَوُجُودِ هٰذِهِ الْحَيَاةِ . .

نَعَمْ : كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ خُلَاصَةٌ مُصَفَّاةٌ مِنْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَنَّ الشُّعُورَ وَالْحِسَّ أَيْضاً خُلَاصَةٌ لِلْحَيَاةِ مُصَفَّاةٌ مِنْهَا ؛ وَالْعَقْلَ أَيْضاً خُلَاصَةٌ مُسْتَقْطَرَةٌ مِنَ الشُّعُورِ وَالْحِسِّ ؛ وَأَنَّ الرُّوحَ أَيْضاً جَوْهَرٌ خَالِصٌ وَصَافٍ لِلْحَيَاةِ ، وَذَاتٌ ثَابِتَةٌ وَمُسْتَقِلَّةٌ لَهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْحَيَاةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ أَيْضاً ، خُلَاصَةُ الْخُلَاصَةِ ، اسْتُقْطِرَتْ مِنْ حَيَاةِ الْكَائِنَاتِ وَرُوحِهَا ؛ وَإِنَّ الرِّسَالَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ أَيْضاً ، أَصْفٰى خُلَاصَةِ الْكَائِنَاتِ ، صُفِّيَتْ مِنَ الْحِسِّ وَالشُّعُورِ وَالْعَقْلِ ؛ بَلْ إِنَّ الْحَيَاةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ ، حَيَاةٌ لِحَيَاةِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِنَّ الرِّسَالَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، شُعُورُ الْكَائِنَاتِ وَنُورُهَا ، بِشَهَادَةِ آثَارِهَا ؛ وَإِنَّ الْوَحْيَ الْقُرْآنِيَّ ، رُوحُ حَيَاةِ الْكَائِنَاتِ ، وَعَقْلُ شُعُورِهَا ، بِشَهَادَةِ حَقَائِقِهِ الْحَيَّةِ . . نَعَمْ ، نَعَمْ ، نَعَمْ : لَئِنْ خَرَجَ نُورُ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَنِ الْكَائِنَاتِ ؛ تُوُفِّيَ الْكَائِنَاتُ ؛ وَإِنْ ذَهَبَ الْقُرْآنُ تُجَنُّ الْكَائِنَاتُ ؛ وَتَفْقِدُ جُمْجُمَةُ كُرَةِ الْأَرْضِ عَقْلَهَا ؛ بَلْ تُصَادِمُ سَيَّارَةً بِرَأْسِهَا الَّذِي بَقِيَ بِدُونِ شُعُورٍ ؛ فَتُقِيمُ قِيَامَةً . .

وَكَذَا أَنَّ الْحَيَاةَ تَنْظُرُ إِلٰى رُكْنِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ؛ وَتُثْبِتُهُ رَمْزاً ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ ضِيَاءَ عَالَمِ الشَّهَادَةِ ، وَمُسْتَوْلِيَةً عَلَيْهِ ، وَنَتِيجَةَ الْوُجُودِ وَغَايَتَهُ ، وَأَجْمَعَ مِرْآةٍ لِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَأَكْمَلَ مِثَالٍ وَفِهْرِسٍ لِلْفَعَّالِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَفِي حُكْمِ نَوْعِ مَنْهَجٍ لَهَا ــ لَا خَطَأَ فِي التَّمْثِيلِ ــ فَلَا شَكَّ أَنَّ سِرَّ الْحَيَاةِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ عَالَمُ الْغَيْبِ ، أَيِ الزَّمَانُ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ ، أَيِ الْمَخْلُوقَاتُ الْمَاضِيَةُ وَالْمُسْتَقْبَلَةُ فِيهِمَا ، عَلٰى كَيْفِيَّةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ التَّكْوِينِيَّةِ ، وَلِلتَّعَيُّنِ وَالْمَشْهُودِيَّةِ وَالْمَعْلُومِيَّةِ ، وَالنِّظَامِ وَالِانْتِظَامِ ، الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ حَيَاتِهِمَا الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ عِرْقَ شَجَرَةٍ ، وَنَوَاتَهَا الْأَصْلِيَّةَ ، وَنَوَاهَا الَّتِي فِي ثِمَارِهَا وَمُنْتَهَاهَا ، مَظْهَرٌ لِنَوْعِ حَيَاةٍ ، كَالشَّجَرَةِ بِعَيْنِهَا ؛ بَلْ إِنَّ النَّوٰى تَتَضَمَّنُ قَوَانِينَ حَيَوِيَّةً أَدَقَّ مِنْ قَوَانِينِ حَيَاةِ الشَّجَرَةِ ؛ وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْبُذُورَ وَالْعُرُوقَ الَّتِي تَرَكَهَا الْخَرِيفُ الْمَاضِي الْمُقَدَّمُ عَلٰى

هٰذَا الرَّبِيعِ الْحَاضِرِ ، وَالْبُذُورَ وَالْعُرُوقَ الَّتِي سَيَتْرُكُهَا هٰذَا الرَّبِيعُ بَعْدَ ذَهَابِهِ ، لِلرِّبَاعِ الْآتِيَةِ ، مُتَضَمِّنَةٌ لِجَلْوَةِ الْحَيَاةِ ، وَتَابِعَةٌ لِقَوَانِينَ حَيَوِيَّةٍ ؛ كَذٰلِكَ بِعَيْنِهِ إِنَّ شَجَرَةَ الْكَائِنَاتِ مَعَ جَمِيعِ أَغْصَانِهَا وَفُرُوعِهَا ، لِكُلٍّ مِنْهَا مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٌ ، وَسِلْسِلَةٌ مُتَشَكِّلَةٌ مِنْ أَطْوَارِهِ وَأَوْضَاعِهِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ؛ وَكُلُّ نَوعٍ ، وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا ، تُشَكِّلُ وُجُودَاتُهَا الْمُتَعَدِّدَةُ بِأَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ ، سِلْسِلَةً مِنَ الْوُجُودِ الْعِلْمِيِّ فِي الْعِلْمِ الْإِلٰهِيِّ ؛ وَذٰلِكَ الْوُجُودُ الْعِلْمِيُّ ، مَظْهَرٌ لِجَلْوَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ مِنَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ ، كَالْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ ؛ فَتُؤْخَذُ الْمُقَدَّرَاتُ الْحَيَوِيَّةُ ، مِنْ تِلْكَ الْأَلْوَاحِ الْقَدَرِيَّةِ الْحَيَّةِ الْمُفِيدَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ امْتِلَاءَ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ، الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، بِالْأَرْوَاحِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْحَيَاةِ وَمَادَّتُهَا ، وَجَوَاهِرُ الْحَيَاةِ وَذَوَاتُهَا ، يَقْتَضِي وَيَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ النَّوْعُ الْآخَرُ ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، الْمُسَمّى بِالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ، مَظْهَراً لِجَلْوَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً . .

وَكَذَا أَنَّ الِانْتِظَامَ الْأَكْمَلَ لِشَيْءٍ ، وَأَوْضَاعَهُ الْمُفِيدَةَ ، وَأَثْمَارَهُ وَأَطْوَارَهُ الْحَيَّةَ ، فِي وُجُودِهِ الْعِلْمِيِّ ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ ذٰلِكَ الْوُجُودَ الْعِلْمِيَّ ، مَظْهَرٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْحَيَاةِ الْمَعْنَوِيَّةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الْجَلْوَةِ مِنْ جَلَوَاتِ الْحَيَاةِ ، الَّتِي هِيَ ضِيَاءُ شَمْسِ الْحَيَاةِ الْأَزَلِيَّةِ ، لَا تَنْحَصِرُ عَلٰى هٰذَا الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ ، وَهٰذَا الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ، وَعَالَمِ الشَّهَادَةِ ، قَطْعاً ؛ بَلْ إِنَّ كُلَّ عَالَمٍ ، مَظْهَرٌ لِجَلْوَةِ تِلْكَ الضِّيَاءِ ، حَسَبَ قَابِلِيَّتِهِ ؛ وَإِنَّ الْكَائِنَاتِ بِجَمِيعِ عَوَالِمِهَا ، حَيَّةٌ وَمُضِيئَةٌ بِتِلْكَ الْجَلْوَةِ ؛ وَإِلَّا لَكَانَ كُلُّ عَالَمٍ ، جَنَازَةً كَبِيرَةً رَهِيبَةً ، وَعَالَماً مُنْهَدِماً مُظْلِماً ، تَحْتَ حَيَاةٍ مُؤَقَّتَةٍ ظَاهِرَةٍ ، كَمَا يَرٰى نَظَرُ الضَّلَالِ . . فَيُفْهَمُ رُكْنُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ ؛ وَيُثْبَتُ بِسِرِّ الْحَيَاةِ أَيْضاً ، بِوَجْهٍ وَاسِعٍ ؛ وَذٰلِكَ كَمَا أَنَّ عَالَمَ الشَّهَادَةِ وَالْأَشْيَاءَ الْمَوْجُودَةَ الْحَاضِرَةَ ، تُرٰى حَيَوِيَّتُهَا بِانْتِظَامَاتِهَا وَنَتَائِجِهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَاضِيَةَ وَالْمُسْتَقْبَلَةَ ، الْمَعْدُودَةَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ، لَهَا وُجُودٌ مَعْنَوِيٌّ ذُو حَيَاةٍ ، وَثُبُوتٌ عِلْمِيٌّ ذُو رُوحٍ ؛ فَيُرٰى أَثَرُ تِلْكَ الْحَيَاةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ؛ وَيَتَظَاهَرُ بِاسْمِ الْمُقَدَّرَاتِ ، بِوَاسِطَةِ لَوْحِ الْقَضَاءِ

وَالْقَدَرِ . .

اَلرَّمْزُ الْخَامِسُ :

أَنَّهُ قِيلَ فِي خَاصَّةِ الْحَيَاةِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : إِنَّ الْحَيَاةَ إِذَا دَخَلَتْ فِي شَيْءٍ ؛ تَجْعَلُ ذٰلِكَ الشَّيْءَ فِي حُكْمِ عَالَمٍ ؛ فَتُعْطِي الْجُزْءَ جَامِعِيَّةً مِثْلَ الْكُلِّ ، وَالْجُزْئِيَّ جَامِعِيَّةً كَالْكُلِّيِّ . .

نَعَمْ : إِنَّ لِلْحَيَاةِ جَامِعِيَّةً كَذٰلِكَ ؛ كَأَنَّهَا مِرْآةٌ جَامِعَةٌ لِلْأَحَدِيَّةِ ، تُظْهِرُ فِي نَفْسِهَا أَكْثَرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الْمُتَجَلِّيَةِ عَلٰى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَإِذَا دَخَلَتِ الْحَيَاةُ فِي جِسْمٍ ؛ تَجْعَلُهُ فِي حُكْمِ عَالَمٍ صَغِيرٍ ؛ كَأَنَّهُ يُصْبِحُ فِي حُكْمِ نَوْعِ نَوَاةٍ مِنْ شَجَرَةِ الْكَائِنَاتِ ، مُتَضَمِّناً لِنَوْعٍ مِنْ فِهْرِسِهَا . فَكَمَا أَنَّ نَوَاةً إِنَّمَا تَكُونُ أَثَرَ قُدْرَةٍ تَقْتَدِرُ أَنْ تَخْلُقَ شَجَرَتَهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ مَنْ خَلَقَ أَصْغَرَ ذِي حَيَاةٍ ، فَإِنَّهُ خَالِقٌ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ قَطْعاً . فَهٰذِهِ الْحَيَاةُ بِجَامِعِيَّتِهَا هٰذِهِ ، تُظْهِرُ فِي نَفْسِهَا أَخْفٰى سِرٍّ لِلْأَحَدِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ : كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ الْعَظِيمَةَ تُوجَدُ بِضِيَائِهَا وَعَكْسِهَا وَأَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ ، فِي كُلِّ قَطْرَةِ مَاءٍ ، وَكُلِّ ذَرَّةِ زُجَاجٍ مُتَقَابِلَةٍ لِلشَّمْسِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ يَتَجَلّٰى فِيهِ مَعاً ، جِلْوَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِالْكَائِنَاتِ . فَمِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ ، جَعَلَتِ الْحَيَاةُ الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ كُلٍّ لَا يَقْبَلُ الِانْقِسَامَ وَالتَّجَزُّؤَ ؛ بَلْ فِي حُكْمِ كُلِّيٍّ يَكُونُ اشْتِرَاكُهُ وَتَجَزُّؤُهُ خَارِجاً عَنِ الْإِمْكَانِ ، فِي جِهَةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِيجَادِ . .

نَعَمْ : إِنَّ الَّذِي خَلَقَكَ تَدُلُّ سِكَّتُهُ الَّتِي عَلٰى وَجْهِكَ ، بِالْبَدَاهَةِ ، عَلٰى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّ الْمَاهِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَاحِدَةٌ ، غَيْرُ مُمْكِنَةِ الِانْقِسَامِ . وَكَذَا أَنَّ أَجْزَاءَ الْكَائِنَاتِ تُصْبِحُ فِي حُكْمِ أَفْرَادِهَا ؛ وَالْكَائِنَاتُ تَصِيرُ فِي حُكْمِ النَّوْعِ ، بِوَاسِطَةِ الْحَيَاةِ ؛ فَتَظْهَرُ سِكَّةُ الْأَحَدِيَّةِ فِي مَجْمُوعِهَا ؛ كَمَا تَظْهَرُ تِلْكَ السِّكَّةُ وَخَاتَمُ الصَّمَدِيَّةِ ، فِي كُلِّ جُزْئِيٍّ مِنْهَا أَيْضاً ؛ فَتَطْرُدُ الشِّرْكَ وَالِاشْتِرَاكَ بِكُلِّ جِهَةٍ . .

وَكَذَا أَنَّ فِي الْحَيَاةِ مُعْجِزَاتٍ خَارِقَةً وَعَجِيبَةً فَوقَ الْعَادَةِ ، مِنْ مُعْجِزَاتِ الصَّنْعَةِ

الرَّبَّانِيَّةِ ؛ بِحَيْثُ إِنَّ شَخْصاً وَقُدْرَةً لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَخْلُقَا جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، لَا يَخْلُقَانِ أَصْغَرَ ذِي حَيَاةٍ . نَعَمْ : إِنَّ الْقَلَمَ الَّذِي كَتَبَ فِهْرِسَ شَجَرِ الصَّنَوْبَرِ الْعَظِيمِ ؛ وَكَتَبَ مُقَدَّرَاتِهِ فِي بَذْرٍ صَغِيرٍ لِلْغَايَةِ مِنْ بُذُورِهِ ، كَمَا يُكْتَبُ الْقُرْآنُ فِي حَبَّةِ حِمَّصٍ ؛ فَهُوَ الْقَلَمُ الَّذِي كَتَبَ السَّمَاوَاتِ بِالْكَوَاكِبِ . نَعَمْ : إِنَّ مَنْ أَدْرَجَ فِي رَأْسِ النَّحْلِ الصَّغِيرِ اسْتِعْدَاداً وَقَابِلِيَّةً وَجِهَازاً يَعْرِفُ بِهِ مَا فِي حَدِيقَةِ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْأَزْهَارِ ؛ وَيَتَنَاسَبُ مَعَ أَكْثَرِ أَنْوَاعِهَا ؛ وَيَأْتِي بِهَدِيَّةٍ مِثْلِ الْعَسَلِ مِنْ هَدَايَا الرَّحْمَةِ ؛ وَيَعْلَمُ بِهِ شَرَائِطَ الْحَيَاةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَأْتِي إِلَى الدُّنْيَا ، فَهُوَ الَّذِي يَكُونُ خَالِقَ الْكَائِنَاتِ . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ سِكَّةٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ سِكَكِ التَّوْحِيدِ عَلَى وَجْهِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ ذِي رُوحٍ سِكَّةٌ مِنْ سِكَكِ الْأَحَدِيَّةِ فِي نُقْطَةِ الْحَيَاةِ ؛ وَأَنَّ نَقْشَ الصَّنْعَةِ فِي كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْحَيَاةِ ، خَاتَمٌ لِلصَّمَدِيَّةِ ؛ وَأَنَّ تِلْكَ الْأَفْرَادَ تَخْتِمُ بِحَيَاتِهَا عَلَى كِتَابِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ عَدَدَ ذَوِي الْحَيَاةِ ، بِاسْمِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ» ؛ وَأَنَّهَا طُرَرُ التَّوْحِيدِ ، وَخَوَاتِمُ الْأَحَدِيَّةِ ، وَسِكَكُ الصَّمَدِيَّةِ ، فِي ذٰلِكَ الْكِتَابِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ كُلَّ ذِي حَيَاةٍ ، طُرَّةٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ فِي كِتَابِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، كَالْحَيَاةِ ؛ كَمَا وُضِعَ عَلَى وَجْهِ كُلٍّ مِنْهُ ، وَعَلَى سِيمَاهُ ، خَاتَمٌ مِنْ خَوَاتِمِ الْأَحَدِيَّةِ . .

وَكَذَا كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ بِعَدَدِ جُزْئِيَّاتِهَا ، وَذَوَاتِ الْحَيَاةِ عَدَدَ أَفْرَادِهَا ، تَوْقِيعٌ وَخَوَاتِمُ شَاهِدَةٌ عَلَى وَحْدَةِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ فِعْلَ الْإِحْيَاءِ يُوَقِّعُ عَدَدَ أَفْرَادِهِ ، عَلَى التَّوْحِيدِ . مَثَلاً : إِنَّ إِحْيَاءَ الْأَرْضِ الَّذِي هُوَ فَرْدٌ مِنْ فِعْلِ الْإِحْيَاءِ ، شَاهِدٌ مُشْرِقٌ لِلتَّوْحِيدِ كَالشَّمْسِ ؛ لِأَنَّ مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ أَفْرَادِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ ، تُحْيَا مُنْتَظَمَةً وَمُكَمَّلَةً ، مُجْتَمِعَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، بِلَا نَقْصٍ وَلَا خَطَأٍ . نَعَمْ : إِنَّ الَّذِي يَفْعَلُ هٰكَذَا بِفِعْلٍ وَاحِدٍ ، مَا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ أَفْعَالٍ مُنْتَظَمَةٍ ، فَإِنَّهُ هُوَ خَالِقُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَهُوَ «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» الَّذِي يُحْيِي كُلَّ ذَوِي الْحَيَاةِ ، «وَالْوَاحِدُ الْأَحَدُ» الَّذِي لَا يُمْكِنُ الِاشْتِرَاكُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ . .

وَالْآنَ كُتِبَ هٰذَا الْمِقْدَارُ الْقَلِيلُ الْمُخْتَصَرُ مِنْ خَوَاصِّ الْحَيَاةِ ؛ فَنُحِيلُ بَيَانَ الْخَوَاصِّ الْأُخْرٰى وَتَفَاصِيلَهَا ، عَلٰى «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَعَلٰى زَمَانٍ آخَرَ . .

خَاتِمَةٌ :

إِنَّ الاِسْمَ الْأَعْظَمَ لَيْسَ وَاحِداً لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ بَلْ يَخْتَلِفُ . مَثَلاً : إِنَّ الاِسْمَ الْأَعْظَمَ فِي حَقِّ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) ، سِتَّةُ أَسْمَاءٍ ؛ وَهِيَ : «فَرْدٌ ، حَيٌّ ، قَيُّومٌ ، حَكَمٌ ، عَدْلٌ ، قُدُّوسٌ» . وَإِنَّ الاِسْمَ الْأَعْظَمَ لِلْإِمَامِ الْأَعْظَمِ أَبِي حَنِيفَةَ ، اسْمَانِ ؛ وَهُمَا : «حَكَمٌ ، عَدْلٌ» . وَلِلْغَوْثِ الْأَعْظَمِ الْجِيْلَانِيِّ ، هُوَ «يَا حَيُّ» . وَلِلْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ الْفَارُوقِيِّ ، هُوَ «الْقَيُّومُ» . وَهٰكَذَا رَأٰى كَثِيرُونَ أَسْمَاءً أُخْرٰى ، الاِسْمَ الْأَعْظَمَ . .

إِنَّنَا نَذْكُرُ ذٰلِكَ الدُّعَاءَ الَّذِي بَيَّنَ فِيهِ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ (عليه الصلاة والسلام) ، مَعْرِفَةَ اللهِ تَعَالٰى بِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ وَجَامِعَةٍ لِلْغَايَةِ ، فِي مُنَاجَاتِهِ الْعُظْمَى الْمُسَمَّاةِ بِـ«الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ» ، فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالٰى ؛ وَقَالَ : «يَا حَيُّ قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ ، يَا حَيُّ بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ» ، إِلٰى آخِرِهِ . فَنَذْكُرُهُ تَبَرُّكاً وَشَاهِداً وَدَلِيلاً ، وَحُجَّةً قُدُسِيَّةً ، وَدُعَاءً لَنَا ، وَحُسْنَ خَاتِمَةٍ لِهٰذِهِ الرِّسَالَةِ ، بِمُنَاسَبَةِ كَوْنِ هٰذِهِ النُّكْتَةِ الْخَامِسَةِ فِي حَقِّ اسْمِ «الْحَيِّ» ؛ فَنَذْهَبُ نَحْنُ خَيَالاً إِلٰى ذٰلِكَ الزَّمَانِ ؛ وَنُؤَمِّنُ عَلٰى دُعَائِهِ (عليه الصلاة والسلام) ؛ وَنَدْعُو بِالنِّدَاءِ الْمُحَمَّدِيِّ كَأَنَّنَا نَحْنُ نَذْكُرُ عَيْنَ الْمُنَاجَاةِ ؛ فَنَقُولُ :

﴿يَا حَيُّ قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ ۞ يَا حَيُّ بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ ۞ يَا حَيُّ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ حَيٌّ ۞ يَا حَيُّ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ۞ يَا حَيُّ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلٰى حَيٍّ ۞ يَا حَيُّ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ حَيٌّ ۞ يَا حَيُّ الَّذِي يُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ ۞ يَا حَيُّ الَّذِي يَرْزُقُ كُلَّ حَيٍّ ۞ يَا حَيُّ الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتٰى ۞ يَا حَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ۞ سُبْحَانَكَ يَا لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ ؛ اَلْأَمَانُ الْأَمَانُ ؛ نَجِّنَا مِنَ النَّارِ﴾ .

(آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ) . .

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞﴾ . .

اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ :

مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلاثِينَ ؛ تَنْظُرُ إِلَى اسْمِ «الْقَيُّومِ» . .

وَقَدْ أَصْبَحَتْ خُلاصَةُ اسْمِ «الْحَيِّ» ذَيْلاً لِرِسَالَةِ «يَنْبُوعِ النُّورِ» ؛ وَنَاسَبَ أَنْ تَكُونَ نُكْتَةُ اسْمِ «الْقَيُّومِ» هٰذِهِ ، ذَيْلاً «لِلْمَقَالَةِ الثَّلاثِينَ» أَيْضاً . .

اِعْتِذَارٌ

إِنَّ هٰذِهِ الْجَلْوَةَ الْعُظْمَى الْوَاسِعَةَ الْعَمِيقَةَ جِدّاً ، مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْقَيُّومِ» ، وَهٰذِهِ الْمَسَائِلَ الْمُهِمَّةَ كَثِيراً فِي هٰذِهِ النُّكْتَةِ ، لَيْسَتْ مُنْتَظِمَةً ؛ بَلْ خَطَرَتْ عَلَى الْقَلْبِ بِصُورَةِ لَمَعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَيُوجَدُ فِي أَلْفَاظِهَا وَعِبَارَاتِهَا خَلَلٌ ، وَنَقَائِصُ كَثِيرَةٌ ؛ لِأَنَّهَا بَقِيَتْ فِي حَالِ مُسَوَّدَةٍ ، مُسْتَعْجَلَةٍ وَمُشَوَّشَةٍ لِلْغَايَةِ ، بِدُونِ تَدْقِيقٍ ؛ فَتَعْفُونَ عَنْ نَقَائِصِي ، لِمَحَاسِنِ الْمَسَائِلِ . .

إِخْطَارٌ

إِنَّ النِّكَاتَ الْعَائِدَةَ إِلَى الاسْمِ الْأَعْظَمِ ، وَاسِعَةٌ بِأَعْظَمِ صُورَةٍ ، وَعَمِيقَةٌ لِلْغَايَةِ ، لاسِيَّمَا مَا يَعُودُ إِلَى اسْمِ «الْقَيُّومِ» مِنَ الْمَسَائِلِ ؛ فَإِنَّهَا أَزْيَدُ عُمْقاً ، وَلاسِيَّمَا الشُّعَاعُ[١] الْأَوَّلُ مِنْهَا ؛ فَإِنَّهُ غَامِضٌ جِدّاً ؛ لِأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَادِّيِّينَ ؛ فَلِذٰلِكَ لا يَفْهَمُ كُلُّ أَحَدٍ ، كُلَّ مَسْأَلَةٍ مِنْهَا ، بِكُلِّ جِهَةٍ ؛ وَلٰكِنْ يَأْخُذُ كُلُّ أَحَدٍ ، حِصَّتَهُ مِنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِدَرَجَةٍ . وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ أَنْ يُعْرِضَ عَنْ هٰذِهِ الْحَدِيقَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ قَائِلاً : إِنِّي لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْتَطِفَ

---

(١) إِنَّ مَنْ يَقْرَأُ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَفَنِّناً ؛ فَلَهُ أَنْ لا يَقْرَأَ الشُّعَاعَ الْأَوَّلَ ؛ أَوْ لِيَقْرَأْهُ فِي الْآخِرِ ؛ وَلْيَبْدَأْ مِنَ الشُّعَاعِ الثَّانِي . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (ﷺ) . .

جَمِيعَ ثِمَارِهَا ؛ فَإِنَّ مَا اقْتَطَفَهُ الْإِنْسَانُ ، فَهُوَ رِبْحُهُ بِقَاعِدَةِ : «أَنَّ مَا لَا يُدْرَكُ كُلُّهُ ، لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ» . . وَإِنَّ مِنْ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْعَائِدَةِ إِلٰى الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، مَا هُوَ وَاسِعٌ بِحَيْثُ لَا يُحَاطُ بِهِ ؛ كَمَا أَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ دَقِيقٌ لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ ، لَاسِيَّمَا اسْمَي «الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ» ، وَلَاسِيَّمَا رُمُوزِ الْحَيَاةِ إِلٰى أَرْكَانِ الْإِيمَانِ ، وَلَاسِيَّمَا إِشَارَةِ الْحَيَاةِ إِلٰى رُكْنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَالشُّعَاعِ الْأَوَّلِ مِن اسْمِ «الْقَيُّومِ» ؛ فَإِنَّهَا لَا يُدْرِكُهَا فِكْرُ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَلٰكِنْ لَا يَبْقٰى بِدُونِ نَصِيبٍ ؛ بَلْ يُقَوِّي إِيمَانَهُ عَلٰى كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوِيَةَ الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، لَهُ قِيمَةٌ عَظِيمَةٌ جِدّاً ؛ وَإِنَّ زِيَادَةَ قُوَّةِ الْإِيمَانِ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ ، خَزِينَةٌ . . وَيَقُولُ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ أَحْمَدُ الْفَارُوقِيُّ (رضي الله عنه) : «إِنَّ انْكِشَافَ مَسْأَلَةٍ إِيمَانِيَّةٍ صَغِيرَةٍ ، رَاجِحٌ فِي نَظَرِي ، عَلٰى مِئَاتِ الْأَذْوَاقِ وَالْكَرَامَاتِ» . .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ . . لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ . . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَآئِنُهُ . . مَا مِنْ دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ . .

لَقَدْ تَرَاءٰى لِعَقْلِي فِي شَهْرِ ذِي الْقِعْدَةِ ، نُكْتَةٌ مِنْ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْآيَاتِ الْمُشِيرَةِ إِلٰى الْقَيُّومِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَجِلْوَةٌ عُظْمٰى مِنْ جِلْوَاتِ اسْمِ «الْقَيُّومِ» ، الَّذِي هُوَ اسْمٌ أَعْظَمُ ، أَوِ الضِّيَاءُ الثَّانِي مِنْ ضِيَاءَيْ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، أَوِ النُّورُ السَّادِسُ مِنْ أَنْوَارِهِ السِّتَّةِ ؛ وَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبَيِّنَ ذٰلِكَ النُّورَ الْأَعْظَمَ بِتَمَامِهِ ؛ حَيْثُ لَا يُسَاعِدُنِي حَالِي فِي سِجْنِ «أَسْكِيشَهِرَ» ؛ وَلٰكِنْ لَا أَقَلَّ أَنْ نُشِيرَ إِلٰى اسْمِ «الْقَيُّومِ» هٰذَا ، ذٰلِكَ النُّورِ الْأَعْظَمِ ، أَيْضاً بِخَمْسَةِ شُعَاعَاتٍ ، عَلٰى صُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ ، كَالْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ الْأُولٰى ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْإِمَامَ عَلِيّاً (رضي الله عنه) ، جَعَلَهَا الِاسْمَ الْأَعْظَمَ الَّذِي بَيَّنَهُ فِي قَصِيدَةِ الْأُرْجُوزَةِ ، بِاسْمِ السَّكِينَةِ ، ذٰلِكَ الِاسْمِ الْعَالِي ؛ وَاعْتَبَرَهَا فِي قَصِيدَتِهِ الْجَلْجَلُوتِيَّةِ أَيْضاً ، أَعْظَمَ الْأَسْمَاءِ

وَأَهَمَّهَا فِي ضِمْنِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، مَعَ أَسْمَاءٍ مُحْتَشِمَةٍ جِدّاً ؛ وَسَلّانَا عَلٰى وَجْهِ الْكَرَامَةِ ، بَيْنَ الْبَحْثِ عَنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ . .

اَلشُّعَاعُ الْأَوَّلُ :

إِنَّ خَالِقَ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، ذٰلِكَ الْخَالِقَ الْجَلِيلَ ، قَيُّومٌ ؛ أَيْ إِنَّهُ بَاقٍ دَائِمٌ وَقَائِمٌ بِذَاتِهِ ؛ وَإِنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ قَائِمَةٌ بِهِ ، تَدُومُ وَتَبْقٰى بِهِ فِي الْوُجُودِ ؛ وَتَجِدُ الْبَقَاءَ بِهِ ؛ فَلَو انْفَصَلَتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ دَقِيقَةً وَاحِدَةً ، لَهَلَكَتِ الْكَائِنَاتُ . .

وَكَذَا أَنَّ ذٰلِكَ «الْخَالِقَ الْجَلِيلَ» ، مَعَ قَيُّومِيَّتِهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؛ كَمَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ؛ يَعْنِي : أَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ ؛ وَلَا يُمْكِنُ مِثْلُهُ ؛ وَلَا شَبِيهَ لَهُ ؛ وَلَا يُمْكِنُ شَرِيكُهُ ، لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ . نَعَمْ : إِنَّ ذَاتاً أَقْدَسَ يُمْسِكُ فِي قَبْضَةِ رُبُوبِيَّتِهِ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، بِجَمِيعِ شُؤُونَاتِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا ؛ وَيُدَبِّرُهَا وَيُدِيرُهَا وَيُرَبِّيهَا بِكَمَالِ الِانْتِظَامِ ، بِمَثَابَةِ بَيْتٍ وَقَصْرٍ ، لَا يُمْكِنُ لَهُ مِثْلٌ وَمَثِيلٌ ، وَشَبِيهٌ وَشَرِيكٌ ؛ وَإِنَّهَا مُحَالٌ . .

نَعَمْ : إِنَّ ذَاتاً قَيُّوماً ذَا جَلَالٍ ، يَهُونُ عَلَيْهِ إِيجَادُ النُّجُومِ بِقَدَرِ الذَّرَّاتِ ؛ وَيُسَخِّرُ لِقُدْرَتِهِ أَكْبَرَ شَيْءٍ كَأَصْغَرِهِ ؛ وَلَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، وَلَا فِعْلٌ عَنْ فِعْلٍ أَصْلاً ؛ وَيَحْضُرُ فِي نَظَرِهِ أَفْرَادٌ لَا حَدَّ لَهَا ، كَفَرْدٍ وَاحِدٍ ؛ وَيَسْمَعُ كُلَّ الْأَصْوَاتِ دَفْعَةً ؛ وَيُوفِي مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ حَاجَاتِ الْجَمِيعِ دَفْعَةً ؛ وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ وَلَا حَالٌ أَصْلاً ، عَنْ دَائِرَةِ مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ وَذٰلِكَ بِشَهَادَةِ جَمِيعِ الِانْتِظَامَاتِ وَالْمِيزَانَاتِ فِي مَوْجُودَاتِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيَحْضُرُ بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَمَكَانٍ ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي أَيِّ مَكَانٍ ؛ وَيَقْرُبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي نِهَايَةِ دَرَجَاتِ الْقُرْبِ ؛ مَعَ أَنَّهُ يَبْعُدُ عَنْهُ كُلُّ شَيْءٍ فِي نِهَايَةِ دَرَجَاتِ الْبُعْدِ ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ ذَاتاً هٰكَذَا ، لَا يُمْكِنُ مِثْلُهُ وَنَظِيرُهُ ، وَشَرِيكُهُ وَوَزِيرُهُ ، وَضِدُّهُ وَنِدُّهُ ؛ وَيَسْتَحِيلُ وُجُودُهَا ؛ وَلٰكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يُنْظَرَ إِلٰى شُؤُونِهِ الْقُدْسِيَّةِ ، بِصُورَةِ الْمَثَلِ وَالتَّمْثِيلِ فَقَطْ . وَجَمِيعُ التَّمْثِيلَاتِ وَالتَّشْبِيهَاتِ فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» ، هِيَ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ

الْمَثَلِ وَالتَّمْثِيلِ . .

وَإِنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ الضَّلالِ ، الَّذِينَ تَوَهَّمُوا بَعْضَ جَلَوَاتٍ تَجَلَّتْ فِي صَفَحَاتِ الْكَائِنَاتِ ، وَفِي طَبَقَاتِ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنْ جَلَوَاتِ هٰذَا الذَّاتِ الْأَقْدَسِ الَّذِي لا مِثْلَ لَهُ ، الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَالْمُجَرَّدِ عَنِ الْمَادَّةِ ، وَالْمُنَزَّهِ عَنِ الْمَكَانِ ، وَالْمُسْتَحِيلِ بِكُلِّ جِهَةٍ تَجَزُّؤُهُ وَانْقِسَامُهُ ، وَالْمُمْتَنِعِ تَغَيُّرُهُ وَتَبَدُّلُهُ ، وَالْخَارِجِ عَنِ الْإِمْكَانِ عَجْزُهُ وَاحْتِيَاجُهُ ؛ وَظَنُّوا بَعْضَ تِلْكَ الْجَلَوَاتِ ، عَيْنَ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ؛ فَأَسْنَدُوا بَعْضَ أَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ إِلٰى بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ ، يُسْنِدُونَ بَعْضَ آثَارِ ذٰلِكَ الذَّاتِ الْجَلِيلِ ، إِلَى الطَّبِيعَةِ ؛ مَعَ أَنَّهُ قَدْ أُثْبِتَ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» : أَنَّ الطَّبِيعَةَ صَنْعَةٌ إِلٰهِيَّةٌ ، فَلا تَكُونُ صَانِعاً ؛ وَكِتَابٌ رَبَّانِيٌّ ، فَلا تَكُونُ كَاتِباً ؛ وَنَقْشٌ ، فَلا تَكُونُ نَقَّاشاً ؛ وَدَفْتَرٌ ، فَلا تَكُونُ صَاحِبَ الدَّفْتَرِ ؛ وَقَانُونٌ ، فَلا تَكُونُ قُدْرَةً ؛ وَمِسْطَرٌ ، فَلا تَكُونُ مَصْدَراً ؛ وَقَابِلَةٌ تَكُونُ مُنْفَعِلَةً ، فَلا تَكُونُ فَاعِلَةً ؛ وَنِظَامٌ ، فَلا تَكُونُ نَاظِماً ؛ وَشَرِيعَةٌ فِطْرِيَّةٌ ، فَلا تَكُونُ شَارِعاً . فَإِنْ أُحِيلَ أَصْغَرُ مَخْلُوقٍ حَيٍّ ، عَلَى الطَّبِيعَةِ بِفَرْضِ الْمُحَالِ ؛ وَقِيلَ : اصْنَعِي هٰذَا الْمَصْنُوعَ ؛ فَلا بُدَّ أَنْ تَصْنَعَ قَوَالِبَ ، بَلْ أَدَوَاتٍ ، عَدَدَ أَعْضَاءِ ذٰلِكَ الْحَيِّ الصَّغِيرِ ، وَأَجْهِزَتِهِ ؛ حَتّٰى تَسْتَطِيعَ الطَّبِيعَةُ أَنْ تُؤَدِّيَ ذٰلِكَ الْعَمَلَ ؛ كَمَا أُثْبِتَ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

وَكَذَا أَنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ الضَّلالِ ، الَّذِينَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمُ الْمَادِّيُّونَ ، شَعَرُوا بِجَلْوَةٍ عُظْمٰى مِنْ جَلَوَاتِ الْخَلّاقِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، فِي التَّحَوُّلاتِ الْمُنْتَظَمَةِ فِي الذَّرَّاتِ ؛ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا تَجِيءُ عَنْهُ تِلْكَ الْجَلْوَةُ ؛ وَلَمْ يَفْهَمُوا مَا تُدَارُ مِنْهُ تِلْكَ الْقُوَّةُ الْعَامَّةُ الَّتِي تَرِدُ عَنْ جَلْوَةِ الْقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ ؛ فَلِذٰلِكَ تَوَهَّمُوا الْمَادَّةَ وَالْقُوَّةَ أَزَلِيَّتَيْنِ ؛ فَشَرَعُوا فِي إِسْنَادِ الْآثَارِ الْإِلٰهِيَّةِ إِلَى الذَّرَّاتِ وَحَرَكَاتِهَا . .

فَسُبْحَانَ اللهِ ! هَلْ يُمْكِنُ فِي النَّاسِ هٰذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْجَهَالَةِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ؟ فَإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ لَهُ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَقْلِ : أَنَّ إِسْنَادَ أَفْعَالٍ وَآثَارٍ ، يَفْعَلُهَا الصَّانِعُ

بِكَيْفِيَّةٍ تَكُونُ عَلٰى وَجْهٍ يَرٰى كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَيَعْلَمُهُ وَيُدِيرُهُ ، فِي إِيجَادِ كُلِّ شَيْءٍ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ ، مَعَ تَنَزُّهِهِ عَنِ الْمَكَانِ ، إِلٰى ذَرَّاتٍ جَامِدَةٍ عَمْيَاءَ ، لَا شُعُورَ وَلَا إِرَادَةَ وَلَا مِيزَانَ لَهَا ، مُتَحَوِّلَةٍ بَيْنَ عَوَاصِفِ التَّصَادُفِ ، وَإِلٰى حَرَكَاتِ تِلْكَ الذَّرَّاتِ ، فِكْرٌ عَلٰى وَجْهِ الْجَهَالَةِ ، وَأُسْلُوبِ الْخُرَافَةِ . .

نَعَمْ : إِنَّ هٰؤُلَاءِ الْأَشْخَاصَ أَعْرَضُوا عَنِ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛ فَلِذَا سَقَطُوا فِي كَثْرَةٍ مُطْلَقَةٍ لَا حَدَّ وَلَا نِهَايَةَ لَهَا ؛ أَيْ إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ إِلٰهاً وَاحِداً فَقَطْ ؛ فَلِذٰلِكَ يُضْطَرُّونَ إِلٰى قَبُولِ آلِهَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ أَيْ إِنَّهُمْ لَا يُوَسِّعُونَ عُقُولَهُمُ الْفَاسِدَةَ ، لِلْأَزَلِيَّةِ وَالْخَالِقِيَّةِ اللَّتَيْنِ هُمَا خَاصَّتَانِ وَلَازِمَانِ ذَاتِيَّانِ لِذَاتٍ وَاحِدٍ أَقْدَسَ فَقَطْ ؛ فَلِذٰلِكَ يُضْطَرُّونَ حَسَبَ مَسْلَكِهِمْ ، إِلٰى قَبُولِ أَزَلِيَّةِ تِلْكَ الذَّرَّاتِ الْجَامِدَةِ الَّتِي لَا حَدَّ وَلَا نِهَايَةَ لَهَا ، بَلْ إِلٰى قَبُولِ أُلُوهِيَّتِهَا . . فَتَعَالَ انْظُرْ إِلٰى دَرَجَةِ أَجْهَلِيَّةٍ بِلَا نِهَايَةٍ . . نَعَمْ : إِنَّ مَا فِي الذَّرَّاتِ مِنَ الْجَلْوَةِ ، صَيَّرَتْ طَائِفَةَ الذَّرَّاتِ ، بِحَوْلِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، وَبِقُدْرَتِهِ وَأَمْرِهِ ، فِي حُكْمِ جَيْشٍ مُنْتَظِمٍ وَمُحْتَشِمٍ ؛ فَلَوْ تَخَلَّفَ أَمْرُ ذٰلِكَ الْقَائِدِ الْأَعْظَمِ وَقُدْرَتُهُ ، ثَانِيَةً وَاحِدَةً ؛ لَأَصْبَحَتْ تِلْكَ الطَّوَائِفُ الْجَامِدَةُ الْجَاهِلَةُ ، الْكَثِيرَةُ جِدّاً ، فِي حُكْمِ الْفَوْضٰى ، بَلْ فَنِيَتْ مِنْ آخِرِهَا . .

وَكَذَا أَنَّ بَعْضَ أُنَاسٍ ، كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْأَمَامَ أَكْثَرَ ، تَوَهَّمُوا بِضَلَالَةٍ أَزْيَدَ جَهَالَةً ، مَادَّةَ الْأَثِيرِ الَّتِي هِيَ صَحِيفَةٌ لِإِجْرَاءَاتِ «الصَّانِعِ ذِي الْجَلَالِ» ، صَحِيفَةٌ لَطِيفَةٌ وَظَرِيفَةٌ ، مُطِيعَةٌ وَمُسَخَّرَةٌ ، وَوَاسِطَةٌ لِنَقْلِ أَوَامِرِهِ ، وَحِجَابٌ رَقِيقٌ لِتَصَرُّفَاتِهِ ، وَحِبْرٌ وَمِدَادٌ لَطِيفٌ لِكِتَابَتِهِ ، وَأَلْطَفُ حُلَّةٍ لِإِيجَادَاتِهِ ، وَخَمِيرَةٌ لِمَصْنُوعَاتِهِ ، وَمَزْرَعَةٌ لِحُبُوبَاتِهِ ؛ وَظَنُّوهَا مَصْدَراً وَفَاعِلاً ؛ وَذٰلِكَ لِمَعْكَسِيَّتِهَا لِجَلْوَةِ رُبُوبِيَّتِهِ . فَهٰذَا الْجَهْلُ الْعَجِيبُ ، يَسْتَلْزِمُ مُحَالَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ مَادَّةَ الْأَثِيرِ ، هِيَ مَادَّةٌ جَامِدَةٌ بِلَا اخْتِيَارٍ وَلَا شُعُورٍ ، أَلْطَفُ مِنْ مَادَّةِ الذَّرَّاتِ الَّتِي أَغْرَقَتِ الْمَادِّيِّينَ ، وَأَكْثَفُ مِنْ فِهْرِسْتِ الْهَيُولَى الَّتِي ضَلَّ فِيهَا قُدَمَاءُ الْحُكَمَاءِ . فَإِسْنَادُ أَفْعَالٍ وَآثَارٍ تُوجَدُ بِاخْتِيَارٍ وَاقْتِدَارٍ ، يَرَى الْفَاعِلُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَيَعْلَمُهُ وَيُدِيرُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِلٰى هٰذِهِ الْمَادَّةِ الْمُنْقَسِمَةِ الْمُتَجَزِّئَةِ بِصُورَةٍ لَا حَدَّ لَهَا ، وَالْمُجَهَّزَةِ بِخَاصَّةِ الِانْفِعَالِ وَوَظِيفَةِ

النَّقْلِ، بَلْ إِلٰى ذَرَّاتِ تِلْكَ الْمَادَّةِ، الَّتِي هِيَ أَصْغَرُ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الذَّرَّةِ، خَطَأٌ بِعَدَدِ ذَرَّاتِ الْأَثِيرِ. نَعَمْ: إِنَّ فِعْلَ الْإِيجَادِ الْمَشْهُودِ فِي الْمَوْجُودَاتِ، هُوَ عَلٰى كَيْفِيَّةٍ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ وَرَدَ عَنِ اقْتِدَارٍ وَاخْتِيَارٍ، يَرٰى صَاحِبُهُمَا أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ، بَلْ كُلَّ الْكَائِنَاتِ؛ وَيَعْلَمُهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لاسِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَا حَيَاةٍ؛ وَيَعْرِفُ مُنَاسَبَةَ ذٰلِكَ الْحَيِّ إِزَاءَ الْكَائِنَاتِ وَيُوفِيهَا؛ فَلَا يَكُونُ ذٰلِكَ الْفِعْلُ بِأَيِّ جِهَةٍ، فِعْلَ أَسْبَابٍ مَادِّيَّةٍ لَا إِحَاطَةَ لَهَا. نَعَمْ: إِنَّ أَصْغَرَ فِعْلٍ إِيجَادِيٍّ، يَتَضَمَّنُ سِرّاً أَعْظَمَ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ ذٰلِكَ الْفِعْلَ، هُوَ فِعْلُ خَالِقِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ نَفْسِهِ، بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ. نَعَمْ: إِنَّ فِعْلاً يَتَوَجَّهُ إِلٰى إِيجَادِ نَحْلٍ مَثَلاً، يَدُلُّ عَلٰى خُصُوصِيَّتِهِ بِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ بِجِهَتَيْنِ..

اَلْأُولٰى: أَنَّ مَظْهَرِيَّةَ أَمْثَالِ ذٰلِكَ النَّحْلِ، لِعَيْنِ الْفِعْلِ، فِي عَيْنِ الزَّمَانِ، فِي كُلِّ الْأَرْضِ، تَدُلُّ عَلٰى أَنَّ هٰذَا الْفِعْلَ الْجُزْئِيَّ الْخُصُوصِيَّ، سِنُّ فِعْلٍ مُحِيطٍ اسْتَوْلٰى عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ. فَإِذاً إِنَّ مَنْ كَانَ فَاعِلَ ذٰلِكَ الْفِعْلِ الْعَظِيمِ، وَصَاحِبَهُ، يَكُونُ ذٰلِكَ الْفِعْلُ الْجُزْئِيُّ أَيْضاً فِعْلَهُ..

وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: هِيَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِكَوْنِهِ فَاعِلَ الْفِعْلِ، الْمُتَوَجِّهِ إِلٰى خَلْقِ هٰذَا النَّحْلِ الْحَاضِرِ، مِنِ اقْتِدَارٍ وَاخْتِيَارٍ عَظِيمَيْنِ جِدّاً، بِحَيْثُ يَعْلَمُ جِهَازَاتِ ذٰلِكَ النَّحْلِ، وَمُنَاسَبَاتِهِ مَعَ الْكَائِنَاتِ، وَشَرَائِطَهُ الْحَيَوِيَّةَ؛ وَيُوفِيهَا. فَلِذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ الْفِعْلَ الْجُزْئِيَّ، فَاعِلُهُ كَذٰلِكَ، إِلَّا بِإِجْرَاءِ حُكْمِهِ عَلٰى أَكْثَرِ الْكَائِنَاتِ. فَإِذاً إِنَّ أَصْغَرَ فِعْلٍ، يَدُلُّ بِجِهَتَيْنِ، عَلٰى أَنَّهُ خَاصٌّ بِخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ..

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يَكُونُ مَحَلَّ التَّدَبُّرِ وَالتَّحَيُّرِ: أَنْ تُسْنَدَ الْأَزَلِيَّةُ الَّتِي هِيَ أَخَصُّ خَوَاصِّ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ، الَّذِي هُوَ مَالِكُ الْوُجُوبِ، الَّذِي هُوَ أَقْوٰى مَرَاتِبِ الْوُجُودِ، وَصَاحِبُ التَّجَرُّدِ عَنِ الْمَادَّةِ، الَّذِي هُوَ أَثْبَتُ دَرَجَاتِ الْوُجُودِ، وَمَالِكُ التَّنَزُّهِ عَنِ الْمَكَانِ، الَّذِي هُوَ أَبْعَدُ أَطْوَارِ الْوُجُودِ عَنِ الزَّوَالِ، وَصَاحِبُ الْوَحْدَةِ الَّتِي هِيَ أَسْلَمُ صِفَاتِ الْوُجُودِ، وَأَقْدَسُهَا عَنِ التَّغَيُّرِ وَالْعَدَمِ؛ وَأَنْ تُسْنَدَ السَّرْمَدِيَّةُ الَّتِي هِيَ لَازِمُهُ

الذَّاتِيُّ ، إِلٰى أَشْيَاءٍ مِثْلِ الذَّرَّاتِ وَالْأَثِيرِ ، الَّتِي هِيَ مَادَّةٌ مَادِّيَّةٌ مُتَكَثِّرَةٌ بِلا حَدٍّ ، وَأَضْعَفُ مَرْتَبَةٍ ، وَأَدَقُّ دَرَجَةٍ مِنَ الْوُجُودِ ، وَأَزْيَدُ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ تَغَيُّراً وَتَحَوُّلاً ، وَأَكْثَرُهُ انْتِشَاراً فِي الْمَكَانِ ؛ وَأَنْ تُتَصَوَّرَ أَزَلِيَّةً ؛ وَيُتَوَهَّمَ صُدُورُ بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلٰهِيَّةِ مِنْهَا . .

وَقَدْ أُثْبِتَ بِبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ فِي أَجْزَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» : أَنَّ ذٰلِكَ فِكْرٌ بَاطِلٌ مُنَافٍ لِلْحَقِيقَةِ ، وَمُخَالِفٌ لِلْوَاقِعِ ، وَبَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ . .

اَلشُّعَاعُ الثَّانِي : مَسْأَلَتَانِ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى :﴾ إِنَّ وَجْهاً أَعْظَمَ ، مِنْ وُجُوهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا آيَاتُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ، وَ ﴿مَا مِنْ دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ، وَ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلٰى جَلْوَةٍ عُظْمٰى مِنْ جَلَوَاتِ اسْمِ «الْقَيُّومِ» ، هُوَ : أَنَّ قِيَامَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ فِي هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ، وَدَوَامَهَا وَبَقَاءَهَا ، مُرْتَبِطٌ بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ؛ فَإِنْ حَوَّلَتْ تِلْكَ الْجَلْوَةُ وَجْهَهَا عَنِ تِلْكَ الْأَجْرَامِ دَقِيقَةً وَاحِدَةً ؛ تَنْتَثِرُ مَلَايِينُ كُرَاتٍ بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ ، فِي فَرَاغِ الْفَضَاءِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ ؛ وَيَتَصَادَمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ وَتَنْسَكِبُ فِي الْعَدَمِ . .

مَثَلاً : كَمَا أَنَّ مَنْ يُمْسِكُ فِي الْهَوَاءِ أُلُوفَ قُصُورٍ مُحْتَشِمَةٍ ، بَدَلاً عَنِ الطَّائِرَاتِ ؛ وَيُسَيِّرُهَا فِي الْهَوَاءِ بِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ ، يُقَاسُ اقْتِدَارُ قَيُّومِيَّتِهِ ، عَلٰى ثَبَاتِ تِلْكَ الْقُصُورِ السَّائِحَةِ فِي الْهَوَاءِ ، وَعَلٰى نِظَامِهَا وَدَوَامِهَا ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ ذٰلِكَ الذَّاتَ «الْقَيُّومَ ذَا الْجَلَالِ» ، أَعْطَى الْأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، فِي مَادَّةِ الْأَثِيرِ ، قِيَاماً وَبَقَاءً وَدَوَاماً ، فِي نِهَايَةِ دَرَجَاتِ الْإِنْتِظَامِ وَالْمِيزَانِ ؛ وَوَظَّفَ كُلَّ كُرَةٍ بِوَظِيفَةٍ ، مِنْ مَلَايِينِ الْكُرَاتِ الْعَظِيمَةِ ، الَّتِي قِسْمٌ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ وَبَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْهَا مِلْيُونَ مَرَّةٍ ، مَعَ إِمْسَاكِهَا فِي الْفَرَاغِ بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ، بِغَيْرِ عَمَدٍ وَلَا مُسْتَنَدٍ . فَإِطَاعَتُهَا بِكَمَالِ الْإِنْقِيَادِ لِأَوَامِرَ تَرِدُ عَنْ أَمْرِ : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، عَلٰى شَكْلِ جَيْشٍ مُحْتَشِمٍ لِلْغَايَةِ ، هِيَ مِقْيَاسٌ لِلْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى مِنْ

جَلَوَات اسْمِ «الْقَيُّومِ» ؛ كَمَا أَنَّ ذَرَّاتِ كُلِّ مَوْجُودٍ ، قَائِمَةٌ بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ؛ وَتَبْقَى وَتَدُومُ بِذٰلِكَ السِّرِّ ، كَالنُّجُومِ . .

نَعَمْ : إِنَّ اجْتِمَاعَ الذَّرَّاتِ فِي جَسَدِ ذِي حَيَاةٍ ، كُتْلَةً فَكُتْلَةً ، عَلٰى هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ ، وَعَدَمَ افْتِرَاقِهَا ، وَحِفْظَهَا عَلٰى كَيْفِيَّاتِهَا ، وَبَقَاءَهَا مُنْتَظِمَةً ، وَعَدَمَ تَفَرُّقِهَا بَيْنَ عَوَاصِفِ الْعَنَاصِرِ السَّائِلَةِ كَالسَّيْلِ ، لَا تَكُونُ بِنَفْسِهَا ؛ بَلْ تَكُونُ بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ، بِالْبَدَاهَةِ ؛ فَلِذٰلِكَ تُعْلِنُ هٰذِهِ الذَّرَّاتُ سِرَّ الْقَيُّومِيَّةِ أَيْضاً ، بِأَلْسِنَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ ، كَسُكُونِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَالْمُرَكَّبَاتِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَكَسِيَاحَةِ الْكَوَاكِبِ فِي فَضَاءِ الْعَالَمِ ؛ فَكَأَنَّ كُلَّ جَسَدٍ ، فَوْجٌ مُنْتَظِمٌ ؛ وَكُلَّ نَوْعٍ ، جَيْشٌ مُنَظَّمٌ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :﴾ إِنَّ هٰذَا الْمَقَامَ ، يَقْتَضِي أَنْ يُشَارَ إِلٰى بَعْضِ فَوَائِدِ الْأَشْيَاءِ وَحِكَمِهَا ، الَّتِي تُنَاسِبُ سِرَّ الْقَيُّومِيَّةِ . نَعَمْ : إِنَّ حِكْمَةَ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَايَةَ فِطْرَتِهِ ، وَفَائِدَةَ خِلْقَتِهِ ، وَنَتِيجَةَ حَيَاتِهِ ، عَلٰى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ . .

اَلنَّوْعُ الْأَوَّلُ : يَنْظُرُ إِلٰى نَفْسِ ذٰلِكَ الشَّيْءِ ، وَإِلَى الْإِنْسَانِ وَمَصَالِحِهِ . .

اَلنَّوْعُ الثَّانِي : أَهَمُّ ؛ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِمَثَابَةِ آيَةٍ وَرِسَالَةٍ ، وَكِتَابٍ وَقَصِيدَةٍ ، تُطَالِعُهَا جَمِيعُ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَتُعْلِنُ هِيَ جَلَوَاتِ أَسْمَاءِ «الْفَاطِرِ ذِي الْجَلَالِ» ؛ وَتُفِيدُ قُرَّاءَهَا ، مَعَانِيَهَا الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا . .

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّالِثُ : فَهُوَ عَائِدٌ إِلَى «الصَّانِعِ ذِي الْجَلَالِ» ؛ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ . فَإِنَّ فَائِدَةَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَنَتِيجَتَهُ الَّتِي تَنْظُرُ إِلٰى نَفْسِهِ ، إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً ؛ فَإِنَّ النَّتَائِجَ النَّاظِرَةَ إِلَى «الصَّانِعِ الْجَلِيلِ» ، مِئَاتٌ ؛ لِأَنَّ «الصَّانِعَ الْجَلِيلَ» نَفْسَهُ ، يَتَفَرَّجُ عَلٰى عَجَائِبِ صَنْعَتِهِ ؛ وَيَنْظُرُ إِلٰى جَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ فِي مَصْنُوعَاتِهِ ؛ فَيَكْفِي فِي هٰذَا النَّوْعِ الثَّالِثِ الْعَظِيمِ ، أَنْ يَعِيشَ مِقْدَارَ ثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ . وَكَذَا يُوجَدُ سِرُّ قَيُّومِيَّةٍ يَقْتَضِي وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَسَيُوضَحُ فِي الشُّعَاعِ الثَّالِثِ . .

وَإِنِّي فِي زَمَنٍ نَظَرْتُ إِلٰى حِكَمِ الْمَوْجُودَاتِ وَفَوَائِدِهَا ، بِجَلْوَةِ طِلْسِمِ الْكَائِنَاتِ ، وَمُعَمَّى الْخِلْقَةِ ؛ فَقُلْتُ مَتَعَجِّباً : لِمَاذَا تُظْهِرُ هٰذِهِ الْأَشْيَاءُ أَنْفُسَهَا ؛ فَتَذْهَبُ وَتَغِيبُ هٰكَذَا سَرِيعاً ؟ وَإِنِّي أَنْظُرُ إِلٰى ذَوَاتِهَا ؛ أَرٰى أَنَّهَا لَبِسَتْ ؛ وَأُلْبِسَتْ ؛ وَزُيِّنَتْ مُنْتَظَمَةً حَكِيمَةً ؛ فَأُرْسِلَتْ إِلَى الْمَعْرِضِ وَالْمُتَنَزَّهِ ؛ مَعَ أَنَّهَا تَغِيبُ فِي يَوْمٍ ، أَوْ يَوْمَيْنِ ؛ بَلْ يَغِيبُ بَعْضُهَا فِي بِضْعِ دَقَائِقَ ؛ وَتَذْهَبُ هَبَاءً بِدُونِ فَائِدَةٍ ؛ فَكُنْتُ أَغْتَمُّ كَثِيراً ، أَنَّهُ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ ظُهُورِهَا لَنَا ، فِي هٰذَا الزَّمَانِ الْقَصِيرِ ؟ . فَحِينَئِذٍ وَجَدْتُ بِاللُّطْفِ الْإِلٰهِيِّ ، حِكْمَةً مُهِمَّةً لِمَجِيءِ الْمَوْجُودَاتِ ، لَاسِيَّمَا ذَوِي الْحَيَاةِ إِلٰى مَدْرَسَةِ الدُّنْيَا ؛ وَهِيَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَاسِيَّمَا ذِي حَيَاةٍ ، كَلِمَةٌ وَرِسَالَةٌ وَقَصِيدَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ، وَإِعْلَانٌ إِلٰهِيٌّ ، دَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي ؛ فَبَعْدَمَا يُصْبِحُ مَظْهَراً لِمُطَالَعَةِ جَمِيعِ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ وَيُفِيدُ مَعْنَاهُ لِمَنْ لَا حَدَّ لَهُمْ مِنَ الْمُطَالِعِينَ ، تَغِيبُ صُورَتُهُ الْجِسْمَانِيَّةُ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ لَفْظِهِ وَحُرُوفِهِ . وَلَقَدْ كَفَتْنِي هٰذِهِ الْحِكْمَةُ مِقْدَارَ سَنَةٍ . وَبَعْدَ سَنَةٍ ، انْكَشَفَ لِي مَا فِي الْمَصْنُوعَاتِ ، لَاسِيَّمَا ذَوِي الْحَيَاةِ ، مِنْ مُعْجِزَاتِ الصَّنْعَةِ الْخَارِقَةِ كَثِيراً ، وَالدَّقِيقَةِ جِدّاً ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ هٰذِهِ الدَّقَائِقَ اللَّطِيفَةَ الْخَارِقَةَ جِدّاً ، لَيْسَتْ لِإِفَادَةِ الْمَعْنٰى عَلٰى أَنْظَارِ ذَوِي الشُّعُورِ ، فَقَطْ ؛ وَأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ ، وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يُطَالِعَهُ مَا لَا حَدَّ لَهُ مِنْ ذَوِي الشُّعُورِ ؛ إِلَّا أَنَّ مُطَالَعَتَهُمْ مَحْدُودَةٌ ؛ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَنْفُذُ فِي جَمِيعِ دَقَائِقِ صَنْعَةِ ذٰلِكَ الْحَيِّ . فَإِذاً إِنَّ أَهَمَّ نَتَائِجِ خِلْقَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَأَعْظَمَ غَايَاتِ فِطْرَتِهَا ، هِيَ أَنْ تَعْرِضَ عَلٰى نَظَرِ «الْقَيُّومِ الْأَزَلِيِّ» نَفْسِهِ ، عَجَائِبَ صَنْعَتِهِ ، وَهَدَايَاهُ ، وَإِحْسَانَاتِهِ الرَّحِيمَةَ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُمْ . فَهٰذِهِ الْغَايَةُ أَقْنَعَتْنِي زَمَناً كَثِيراً ؛ وَعَلِمْتُ مِنْهَا أَنَّ وُجُودَ دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، فِي كُلِّ مَوْجُودٍ ، لَاسِيَّمَا فِي ذَوِي الْحَيَاةِ ؛ وَعَرْضَهَا عَلٰى نَظَرِ «الْقَيُّومِ الْأَزَلِيِّ» ؛ أَيْ تَفَرُّجَ ذٰلِكَ «الْقَيُّومِ الْأَزَلِيِّ» نَفْسِهِ عَلٰى صَنْعَتِهِ ، الَّذِي هُوَ حِكْمَةُ الْخِلْقَةِ ، كَانَتْ هٰذِهِ الْحِكْمَةُ تَكْفِي لِتِلْكَ الْمَصَارِفِ الْعَظِيمَةِ . وَبَعْدَ زَمَنٍ ، رَأَيْتُ أَنَّ دَقَائِقَ الصَّنْعَةِ فِي ذَوَاتِ الْمَوْجُودَاتِ وَفِي صُوَرِهَا ، لَا تَدُومُ ؛ فَتُجَدَّدُ وَتُبَدَّلُ بِغَايَةِ السُّرْعَةِ ؛ وَتَتَحَوَّلُ بَيْنَ فَعَّالِيَّةٍ وَخَلَّاقِيَّةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ حِكْمَةُ هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةِ ، عَظِيمَةً بِدَرَجَةِ

تِلْكَ الْفَعَّالِيَّةِ . فَبَدَأْتُ بِالتَّفَكُّرِ ؛ فَشَرَعَتِ الْحِكْمَتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ بِعَدَمِ الْكِفَايَةِ ؛ وَأَصْبَحَتَا نَاقِصَتَيْنِ هٰذِهِ الْمَرَّةَ . فَشَرَعْتُ فِي تَحَرِّي حِكْمَةٍ أُخْرىٰ وَطَلَبِهَا بِنِهَايَةِ التَّطَلُّعِ . فَبَعْدَ زَمَنٍ ، ظَهَرَتْ حِكْمَةٌ وَغَايَةٌ عَظِيمَةٌ بِلا حَدٍّ ، فِي نُقْطَةِ سِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ، بِفَيْضِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ؛ وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ، فُهِمَ بِتِلْكَ الْحِكْمَةِ ، سِرٌّ إِلٰهِيٌّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِطِلْسِمِ الْكَائِنَاتِ ، وَمُعَمَّى الْخِلْقَةِ . .

وَقَدْ بُيِّنَ ذٰلِكَ السِّرُّ مَفَصَّلاً فِي «الْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» ؛ فَلِذٰلِكَ نَذْكُرُ هٰهُنَا فِي الشُّعَاعِ الثَّالِثِ نُقْطَتَيْنِ ، أَوْ ثَلاثَ نِقَاطٍ مُجْمَلَةً . نَعَمْ : اُنْظُرْ إِلٰى جَلْوَةِ سِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ، مِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ ؛ وَهِيَ : أَنَّهُ يُخْرِجُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ عَنِ الْعَدَمِ ؛ وَيُمْسِكُ كُلّاً مِنْهَا فِي هٰذِهِ الْفَضَاءِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿اَللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ؛ وَيُعْطِيهَا الْقِيَامَ وَالْبَقَاءَ ؛ وَيَجْعَلُ جَمِيعَهَا مَظْهَراً لِتَجَلِّي سِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ هٰكَذَا . فَلَوْلا نُقْطَةُ الاِسْتِنَادِ هٰذِهِ ؛ لَمْ يَقِفْ شَيْءٌ بِنَفْسِهِ أَصْلاً ؛ وَيَتَدَحْرَجُ فِي فَرَاغٍ بِلا حَدٍّ ؛ وَيَسْقُطُ إِلَى الْعَدَمِ . .

وَكَذَا كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ تَسْتَنِدُ إِلَى «الْقَيُّومِ ذِي الْجَلالِ» ، فِي جِهَةِ وُجُودِهَا وَقِيَامِهَا وَبَقَائِهَا ؛ وَتَقُومُ بِهِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ رُؤُوسَ آلافِ السَّلاسِلِ ، فِي كَيْفِيَّاتِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَحْوَالِهَا ، مُرْتَبِطَةٌ بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ عَمُودِ سَلاسِلِ الْهَاتِفِ وَالْبَرْقِ ، وَمَرْكَزِهَا – لا خَطَأَ فِي التَّمْثِيلِ – ؛ وَذٰلِكَ بِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ؛ فَلَوْ لَمْ تَسْتَنِدْ تِلْكَ السَّلاسِلُ إِلٰى تِلْكَ النُّقْطَةِ النَّيِّرَةِ ؛ يَلْزَمُ آلافُ دَوْرٍ مُحَالٍ ، وَتَسَلْسُلٍ بَاطِلٍ ، عِنْدَ أَهْلِ الْعَقْلِ ؛ بَلْ يَلْزَمُ دَوْرَاتٌ وَتَسَلْسُلاتٌ بَاطِلَةٌ عَدَدَ الْمَوْجُودَاتِ . مَثَلاً : إِنَّ هٰذَا الشَّيْءَ ، مِثْلَ الْحِفْظِ ، أَوِ النُّورِ ، أَوِ الْوُجُودِ ، أَوِ الرِّزْقِ ، يَسْتَنِدُ إِلٰى هٰذَا ؛ وَهٰذَا يَسْتَنِدُ إِلٰى ذَاكَ ؛ وَذَاكَ إِلٰى آخَرَ ؛ وَهَلُمَّ جَرّاً ؛ فَلا يَكُونُ بِدُونِ نِهَايَةٍ ؛ وَيَكُونُ لَهُ نِهَايَةٌ عَلٰى كُلِّ حَالٍ . فَمُنْتَهٰى أَمْثَالِ هٰذِهِ السَّلاسِلِ كُلِّهَا ، هُوَ سِرُّ الْقَيُّومِيَّةِ ؛ فَبَعْدَمَا يُفْهَمُ سِرُّ الْقَيُّومِيَّةِ ، تَرْتَفِعُ رَابِطَةُ اسْتِنَادِ بَعْضٍ إِلٰى آخَرَ ، فِي تِلْكَ السَّلاسِلِ الْمَوْهُومَةِ ؛ وَلا يَبْقٰى لِذٰلِكَ الاِسْتِنَادِ مَعْنًى ؛ فَيَنْظُرُ كُلُّ شَيْءٍ إِلٰى سِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ نَفْسِهِ ، بِدُونِ تَوَسُّطٍ . .

اَلشُّعاعُ الثَّالِثُ :

إِنَّا نُشِيرُ بِمُقَدِّمَةٍ أَوْ مُقَدِّمَتَيْنِ ، إِلى سِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ فِي الْخَلّاقِيَّةِ الإِلٰهِيَّةِ ، وَالْفَعَّالِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، اللَّتَيْنِ تُشِيرُ إِلَيْهِمَا هٰذِهِ الآيَاتُ ، وَهِيَ : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وَ ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ وَ ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ وَ ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وَ ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ؛ وَذٰلِكَ لِيَنْكَشِفَ هٰذَا السِّرُّ بَعْضَ انْكِشَافٍ . .

﴿اَلْمُقَدِّمَةُ الْأُولٰى :﴾ أَنَّنَا حِينَمَا نَنْظُرُ إِلٰى هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ نَرٰى أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْمُتَمَوِّجَةَ دَائِماً فِي سَيْلِ الزَّمَانِ ، وَالْمُتَعَاقِبَةَ قَافِلَةً وَرَاءَ قَافِلَةٍ ، يَجِيءُ قِسْمٌ مِنْهَا فِي ثَانِيَةٍ ؛ وَيَغِيبُ فِي عَقِيبِهَا ؛ وَتَجِيءُ طَائِفَةٌ مِنْهَا فِي دَقِيقَةٍ ؛ وَتَمْضِي فِيهَا ؛ وَيَرِدُ نَوْعٌ مِنْهَا إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ ؛ وَيَذْهَبُ إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ فِي سَاعَةٍ ؛ وَيَجِيءُ قِسْمٌ مِنْهَا إِلٰى عَالَمِ الشَّهَادَةِ هٰذَا ، فِي يَوْمٍ ؛ وَقِسْمٌ فِي سَنَةٍ ؛ وَقِسْمٌ فِي عَصْرٍ ؛ وَقِسْمٌ فِي عُصُورٍ ؛ وَتَنْزِلُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ ؛ وَتُؤَدِّي الْوَظِيفَةَ ؛ فَتَذْهَبُ مِنْهُ . فَسِيَاحَةُ الْمَوْجُودَاتِ وَسَيَرَانُهَا ، وَسَفَرُ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَيَلَانُهَا ، الْمُحَيِّرَةُ هٰذِهِ ، تُسَاقُ وَتُدَارُ بِانْتِظَامٍ وَمِيزَانٍ وَحِكْمَةٍ ؛ وَيَقُودُ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْقَوَافِلَ ، مَنْ يَقُودُهَا ، قِيَادَةً بَصِيرَةً حَكِيمَةً وَمُدَبِّرَةً ؛ بِحَيْثُ لَوِ اتَّحَدَتِ الْعُقُولُ كُلُّهَا ، فَرْضاً ؛ لَمَا أَدْرَكَتْ كُنْهَ تِلْكَ الْإِدَارَةِ الْحَكِيمَةِ ؛ وَمَا وَجَدَتِ الْفُطُورَ فِيهَا ؛ فَتَنْتَقِدَ عَلَيْهَا . .

فَبَيْنَ هٰذِهِ الْخَلّاقِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، يُرْسِلُ تِلْكَ الْمَصْنُوعَاتِ ، لَاسِيَّمَا ذَوَاتِ الْحَيَاةِ الْجَمِيلَةِ الْمَحْبُوبَةِ ، إِلٰى عَالَمِ الْغَيْبِ ، بِدُونِ أَنْ يَفْتَحَ لِوَاحِدٍ مِنْهَا عَيْنَهُ ؛ وَيُسَرِّحُ تِلْكَ الْمَصْنُوعَاتِ عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُمْهِلَ أَحَداً مِنْهَا أَنْ يَتَنَفَّسَ ؛ وَيَمْلَأُ مَضِيفَ هٰذَا الْعَالَمِ دَائِماً ؛ فَيُفْرِغُهُ بِدُونِ رِضَا الضُّيُوفِ ؛ وَجَعَلَ قَلَمُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، كُرَةَ الْأَرْضِ كَلَوْحِ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ ؛ فَيَكْتُبُ مَكْتُوبَاتِهِ فِي كُرَةِ الْأَرْضِ ؛ وَيُجَدِّدُ تِلْكَ الْمَكْتُوبَاتِ وَيُبَدِّلُهَا ، بِجَلَوَاتِ قَوْلِهِ تَعَالٰى : ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ . .

فَسِرُّ حِكْمَةِ هٰذِهِ الْخَلّاقِيَّةِ الإِلٰهِيَّةِ ، وَمُقْتَضِيهَا الْأَسَاسِيُّ ، وَسَبَبُهَا الدَّاعِي ، حِكْمَةٌ لَا

حَدَّ لَهَا ، تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاثِ شُعَبٍ مُهِمَّةٍ . .

فَالشُّعْبَةُ الْأُولَى مِنْ تِلْكَ الْحِكْمَةِ : هِيَ أَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الْفَعَّالِيَّةِ ، جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً ، يُورِثُ لَذَّةً ؛ بَلْ فِي كُلِّ فَعَّالِيَّةٍ لَذَّةٌ ؛ بَلِ الْفَعَّالِيَّةُ عَيْنُ اللَّذَّةِ ؛ بَلِ الْفَعَّالِيَّةُ تَظَاهُرُ الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ اللَّذَّةِ ، وَتَنْفِيضُ الْوُجُودِ ، بِتَبَاعُدِهِ عَنِ الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ الْأَلَمِ . .

نَعَمْ : إِنَّ صَاحِبَ كُلِّ اسْتِعْدَادٍ ، يُتَابِعُ بِاللَّذَّةِ ، انْكِشَافَ اسْتِعْدَادِهِ بِفَعَّالِيَّةٍ مَّا . وَإِنَّ تَظَاهُرَ الِاسْتِعْدَادِ بِالْفَعَّالِيَّةِ ، يَنْشَأُ عَنْ لَذَّةٍ ؛ وَيُنْتِجُ لَذَّةً . وَإِنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَمَالٍ ، يُتَابِعُ بِاللَّذَّةِ ، تَظَاهُرَ كَمَالاتِهِ بِالْفَعَّالِيَّةِ . فَإِذَا كَانَ فِي كُلِّ فَعَّالِيَّةٍ ، كَمَالٌ مَحْبُوبٌ ، وَلَذَّةٌ مَطْلُوبَةٌ هٰكَذَا ؛ وَكَانَتِ الْفَعَّالِيَّةُ كَمَالاً أَيْضاً ؛ وَتَرَى فِي عَالَمِ ذَوِي الْحَيَاةِ جَلَوَاتُ رَحْمَةٍ بِلا نِهَايَةٍ ، وَمَحَبَّةٍ بِلا حَدٍّ ، تَنْشَأُ عَنْ حَيَاةٍ دَائِمَةٍ وَأَزَلِيَّةٍ ؛ فَلا شَكَّ أَنَّ تِلْكَ الْجَلَوَاتِ ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ الْمُقَدَّسَةِ ، شُؤُونَاتٍ قُدُسِيَّةً ، مِثْلَ الْعِشْقِ اللّاهُوتِيِّ ، وَالْمَحَبَّةِ الْقُدُسِيَّةِ ، وَاللَّذَّةِ الْمُقَدَّسَةِ ــ لا خَطَأَ فِي التَّمْثِيلِ ــ ، بِدَرَجَاتٍ لا حَدَّ لَهَا ، مِنْ شُؤُونٍ لائِقَةٍ بِقُدُسِيَّةِ الذَّاتِ الَّذِي يُحِبُّ هٰكَذَا ذَاتَهُ ؛ وَيُحَبِّبُهُ ؛ وَيُشْفِقُ وَيُحْسِنُ بِالْأَلْطَافِ ، وَمِنْ شُؤُونٍ مُنَاسِبَةٍ بِوُجُوبِ وُجُودِهِ ، وَمُقْتَضَاةٍ لِتِلْكَ الْحَيَاةِ السَّرْمَدِيَّةِ . فَتِلْكَ الشُّؤُونُ تُجَدِّدُ الْكَائِنَاتِ دَائِماً بِفَعَّالِيَّةٍ لا حَدَّ لَهَا ، وَبِخَلّاقِيَّةٍ لا نِهَايَةَ لَهَا ؛ وَتُمَوِّجُهَا وَتُبَدِّلُهَا هٰكَذَا . .

اَلشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ : مِنَ الْحِكْمَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْفَعَّالِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا ، النَّاظِرَةِ إِلَى سِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ، تَنْظُرُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ . وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ جَمَالٍ ، يَطْلُبُ رُؤْيَةَ جَمَالِهِ وَإِرَاءَتَهُ ؛ وَأَنَّ كُلَّ مَالِكِ أَثَرٍ يُحِبُّ أَثَرَهُ ؛ وَيُرِيدُ جَلْبَ إِمْعَانِ النَّظَرِ إِلَيْهِ بِتَشْهِيرِهِ وَإِعْلانِهِ ؛ وَأَنَّ مَعْنًى جَمِيلاً وَحَقِيقَةً جَمِيلَةً بَقِيَ أَثَرُهُمَا خَفِيّاً ، تُحِبُّ أَنْ تَظْهَرَ ؛ وَتَطْلُبُ أَنْ تَجِدَ الْمُشْتَرِينَ ؛ وَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْقَوَاعِدُ الْأَسَاسِيَّةُ تَجْرِي فِي كُلِّ شَيْءٍ حَسَبَ دَرَجَتِهِ ؛ فَلا شَكَّ أَنَّ «الْقَيُّومَ الْجَلِيلَ ، وَالْجَمِيلَ الْمُطْلَقَ» ، يُوجَدُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةِ كُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْأَلْفِ وَالْوَاحِدِ ، حُسْنٌ حَقِيقِيٌّ ، وَكَمَالٌ حَقِيقِيٌّ ، وَجَمَالٌ حَقِيقِيٌّ ، وَحَقِيقَةٌ جَمِيلَةٌ

لِلْغَايَةِ ؛ بَلْ يُوجَدُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ كُلِّ اسْمٍ مِنْهَا ، حَقَائِقُ جَمِيلَةٌ بِلا حَدٍّ ، مَعَ أَنْوَاعِ حُسْنٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ وَذٰلِكَ بِشَهَادَةِ الْكَائِنَاتِ ، وَبِدَلَالَةِ جَلَوَاتِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ ، وَبِإِشَارَةِ نُقُوشِهَا . فَإِذَا كَانَتِ الْمَرَايَا الَّتِي تُظْهِرُ جَمَالَهَا الْقُدُسِيَّ ، وَالْأَلْوَاحُ الَّتِي تُبَيِّنُ نُقُوشَهَا الْجَمِيلَةَ ، وَالصَّحَائِفُ الَّتِي تُفِيدُ حَقَائِقَهَا اللَّطِيفَةَ ، هِيَ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَهٰذِهِ الْكَائِنَاتِ ؛ فَلا بُدَّ أَنْ تُجَدِّدَ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ ، الْكَائِنَاتِ ؛ وَتُبَدِّلَهَا دَائِماً بِجَلَوَاتِهَا ، اسْتِنَاداً إِلٰى ذٰلِكَ الْعِشْقِ الْمُقَدَّسِ الْإِلٰهِيِّ ، وَبِنَاءً عَلٰى سِرِّ تِلْكَ الْقَيُّومِيَّةِ ؛ وَذٰلِكَ لِتَعْرِضَ جَلَوَاتِهَا الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا ، وَنُقُوشَهَا وَكُتُبَهَا الْمُفِيدَةَ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا ، عَلٰى نَظَرِ مُشَاهَدَةِ مُسَمَّاهَا «الْقَيُّومِ ذِي الْجَلَالِ» ، وَعَلٰى نَظَرِ مُطَالَعَةِ ذَوِي الْأَرْوَاحِ وَذَوِي الشُّعُورِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، الَّتِي لَا حَدَّ وَلَا حِسَابَ لَهَا ؛ وَلِتُظْهِرَ عَنْ شَيْءٍ مَحْدُودٍ وَمُتَنَاهٍ ، أَلْوَاحاً غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ ، وَعَنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ ، أَشْخَاصاً كَثِيرَةً ، وَعَنْ حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، حَقَائِقَ كَثِيرَةً جِدّاً . .

اَلشُّعَاعُ الرَّابِعُ :

إِنَّ الشُّعْبَةَ الثَّالِثَةَ مِنْ حِكْمَةِ الْفَعَّالِيَّةِ الدَّائِمَةِ الْمُحَيِّرَةِ ، فِي الْكَائِنَاتِ ، هِيَ : أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ رَحْمَةٍ ، يُسَرُّ عَنْ إِرْضَاءِ غَيْرِهِ ؛ وَكُلَّ صَاحِبِ شَفَقَةٍ ، يَفْرَحُ عَنْ مَسَرَّةِ غَيْرِهِ ؛ وَكُلَّ صَاحِبِ مَحَبَّةٍ ، يَفْرَحُ بِتَفْرِيحِ مَخْلُوقَاتٍ لَائِقَةٍ بِالتَّفْرِيحِ ؛ وَكُلَّ إِنْسَانٍ عَالِي هِمَّةٍ ، يَتَلَذَّذُ بِإِسْعَادِ غَيْرِهِ ؛ وَكُلَّ إِنْسَانٍ عَادِلٍ ، يُسَرُّ بِإِرْضَاءِ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ ، فِي إِحْقَاقِ الْحَقِّ ، وَإِدَانَةِ الْمُسْتَحِقِّينَ بِالْجَزَاءِ ؛ وَكُلَّ صَانِعِ أَثَرٍ ، يَفْتَخِرُ بِتَشْهِيرِ صَنْعَتِهِ ، وَبِعَمَلِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ ، وَبِإِنْتَاجِهَا نَتَائِجَ يَطْلُبُهَا مِنْهَا ؛ فَكُلُّ دُسْتُورٍ مِنْ هٰذِهِ الدَّسَاتِيرِ الْمَذْكُورَةِ ، قَاعِدَةٌ أَسَاسِيَّةٌ تَجْرِي فِي الْكَائِنَاتِ ، وَفِي عَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ . وَقَدْ أُوضِحَ فِي الْمَوْقِفِ الثَّالِثِ مِنَ «الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ» ، ثَلَاثَةُ أَمْثِلَةٍ تُبَيِّنُ جَرَيَانَ هٰذِهِ الْقَوَاعِدِ فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَتُنَاسِبُ خُلَاصَةٌ مِنْهَا بِهٰذَا الْمَقَامِ . فَلِذٰلِكَ نَقُولُ : كَمَا أَنَّ شَخْصاً رَحِيماً ، سَخِيّاً كَرِيماً ، عَالِيَ هِمَّةٍ لِلْغَايَةِ ، يُرْكِبُ كَثِيرِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، عَلٰى سَفِينَةٍ سِيَاحِيَّةٍ عَظِيمَةٍ ؛

وَيُرْضِيهِمْ بِإِكْرَامَاتٍ وَضِيَافَاتٍ مُكَمَّلَةٍ لِلْغَايَةِ ، بِمُقْتَضَى مَا فِي فِطْرَتِهِ مِنْ سَجَايَا عَالِيَةٍ ؛ وَيَسِيحُ بِهِمْ فِي الْبِحَارِ حَوْلَ الْأَرْضِ ؛ وَيَتَفَرَّجُ هُوَ نَفْسُهُ عَلَيْهِمْ مَسْرُوراً ؛ وَيَسْتَلِذُّ عَنِ امْتِنَانِ أُولَائِكَ الْمُحْتَاجِينَ ؛ وَيُسَرُّ عَنْ تَلَذُّذِهِمْ ؛ وَيَفْرَحُ عَنْ سُرُورِهِمْ ؛ وَيَفْتَخِرُ بِذٰلِكَ ؛ فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ هٰكَذَا بِمَثَابَةِ مُوَظَّفِ تَوْزِيعٍ ، يَفْرَحُ وَيُسَرُّ بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ ، بِإِعْطَاءِ ضِيَافَةٍ جُزْئِيَّةٍ هٰكَذَا ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ الشُّؤُونَ الْإِلٰهِيَّةَ ، وَمَعَانِيَ الرُّبُوبِيَّةِ ـ الَّتِي نَعْجِزُ عَنْ مَعْرِفَتِهَا ؛ وَلَسْنَا مَأْذُونِينَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْهَا ؛ وَيُشَارُ إِلَيْهَا بِأَسْمَاءٍ مِثْلِ السُّرُورِ الْمُقَدَّسِ ، وَالِافْتِخَارِ الْقُدُسِيِّ ، وَاللَّذَّةِ الْمُقَدَّسَةِ ؛ وَتَرِدُ عَنْ تَشَكُّرِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَعَنِ امْتِنَانِهَا وَسُرُورِهَا وَفَرَحِهَا ؛ وَتَعُودُ إِلَى الذَّاتِ «الْقَيُّومِ» ، الَّذِي أَرْكَبَ جَمِيعَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، وَمَنْ لَا حَدَّ لَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْأَرْوَاحِ ، عَلٰى كُرَةِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ سَفِينَةٌ «لِلرَّحْمٰنِ» ؛ وَبَسَطَ لَهُمْ سَطْحَ الْأَرْضِ بِصُورَةِ مَائِدَةٍ رَبَّانِيَّةٍ مُلِئَتْ بِأَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ ، وَبِأَرْزَاقِ جَمِيعِ الْحَوَاسِّ وَأَذْوَاقِهَا ؛ وَيَسِيحُ بِمَخْلُوقَاتِهِ ، تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُحْتَاجَةِ الْمُتَشَكِّرَةِ الْمَسْرُورَةِ ، فِي أَقْطَارِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَيُفَرِّحُهُمْ بِهٰذَا الْمِقْدَارِ مِنَ الْإِكْرَامَاتِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ؛ مَعَ أَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ جَنَّةٍ مِنْ جِنَانِهِ ، مَائِدَةً لِلضِّيَافَةِ الدَّائِمَةِ فِي دَارِ الْبَقَاءِ ـ هِيَ الَّتِي تَقْتَضِي هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةَ الدَّائِمَةَ ، وَالْخَلَّاقِيَّةَ الْمُتَمَادِيَةَ . .

وَكَذَا مَثَلاً : إِنَّ صَانِعاً حَاذِقاً إِذَا صَنَعَ حَاكِياً بِلَا أُسْطُوَانَةٍ ؛ وَعَمِلَ ذٰلِكَ الْجِهَازُ الْحَاكِي ؛ وَنَطَقَ كَمَا شَاءَ الصَّانِعُ ؛ يَفْتَخِرُ صَانِعُهُ وَيَتَلَذَّذُ أَيَّ تَلَذُّذٍ ؛ وَيَقُولُ هُوَ لِنَفْسِهِ : «مَا شَاءَ اللّٰهُ» . فَإِذَا نَبَّهَتْ صَنْعَةٌ صَغِيرَةٌ صُورِيَّةٌ بِدُونِ إِيجَادٍ ، فِي رُوحِ صَانِعِهَا ، حِسَّ افْتِخَارٍ وَسُرُورٍ هٰكَذَا ؛ فَإِنَّ الصَّانِعَ «الْحَكِيمَ» لِهٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ ، جَعَلَ مَجْمُوعَ الْكَائِنَاتِ مَصْنَعاً عَجِيباً ، وَمُوسِيقِيّاً إِلٰهِيّاً ، يَصِيحُ وَيُصَوِّتُ ؛ وَيُسَبِّحُ وَيَذْكُرُ ؛ وَيَنْطِقُ بِأَنْوَاعِ نَغَمَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا ؛ مَعَ أَنَّهُ أَظْهَرَ كُلَّ نَوْعٍ وَكُلَّ عَالَمٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ ، بِصَنَائِعَ مُخْتَلِفَةٍ ، وَبِمُعْجِزَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ الصَّنْعَةِ ؛ وَخَلَقَ فِي رُؤُوسِ كُلِّ ذَوِي الْحَيَاةِ ، حَتّٰى أَصْغَرِ رَأْسٍ مِنْهَا ، أَجْهِزَةً كَثِيرَةً مِثْلَ الْحَاكِي وَالْهَاتِفِ وَالْبَرْقِ ؛ مَعَ أَنَّهُ خَلَقَ فِي رَأْسِ كُلِّ إِنْسَانٍ ، جِهَازاً لَيْسَ كَحَاكٍ بِلَا

أُسْطُوَانَةٍ، وَمُصَوِّرَةٍ بِلا مِرْآةٍ، وَبَرْقٍ بِلا سِلْكٍ، بَلْ أَعْجَبَ مِنْهَا عِشْرِينَ مَرَّةً؛ لا شَكَّ أَنَّ كَثِيراً مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّةِ ذٰلِكَ الصَّانِعِ، وَمِنْ شُؤُونِهَا الْعَالِيَةِ مِنْ هٰذَا النَّوْعِ، مِثْلِ الافْتِخَارِ الْقُدُسِيِّ، وَالسُّرُورِ الْمُقَدَّسِ، النَّاشِئَةِ عَنْ خَلْقِ تِلْكَ الْأَجْهِزَةِ الْخَارِقَةِ، وَعَنْ عَمَلِهَا وَإِنْتَاجِهَا كَمَا شَاءَ صَانِعُهَا، تَسْتَلْزِمُ هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةَ الدَّائِمَةَ، قَطْعاً عَلٰى كُلِّ حَالٍ..

وَكَذَا مَثَلاً: إِنَّ حَاكِماً عَادِلاً، يَتَلَذَّذُ بِأَخْذِ حُقُوقِ الْمَظْلُومِينَ عَنِ الظَّالِمِينَ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ؛ وَيَفْتَخِرُ بِحِفْظِ الْفُقَرَاءِ عَنْ شَرِّ الْأَقْوِيَاءِ؛ وَيُسَرُّ بِإِعْطَاءِ كُلِّ أَحَدٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ حَقِّهِ؛ وَتِلْكَ قَاعِدَةٌ أَسَاسِيَّةٌ لِلْحَاكِمِيَّةِ وَالْعَدَالَةِ؛ فَلِذٰلِكَ تَقْتَضِي شُؤُونُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الْقُدُسِيَّةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِإِعْطَاءِ «الذَّاتِ الْحَيِّ الْقَيُّوم، الْحَاكِمِ الْحَكَم، وَالْعَدْلِ الْعَادِلِ»، شَرَائِطَ الْحَيَاةِ الْمُعَبَّرَ عَنْهَا بِحُقُوقِ الْحَيَاةِ، لِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، لَاسِيَّمَا ذَوِي الْحَيَاةِ، وَبِإِحْسَانِهِ عَلَيْهَا بِالْأَجْهِزَةِ لِلْحِفْظِ عَلٰى حَيَاتِهَا، وَبِحِمَايَةِ الضُّعَفَاءِ عَنْ شَرِّ الْأَقْوِيَاءِ عَلٰى وَجْهِ الرَّحْمَةِ، وَبِإِجْرَاءِ سِرِّ الْعَدَالَةِ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لِجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ؛ أَمَّا مَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ إِحْقَاقِ الْحَقِّ، فَبِتَمَامِهِ؛ وَأَمَّا مَا هُوَ مِنْ نَوْعِ الْإِدَانَةِ، فَبَعْضٌ مِنْهُ، لَاسِيَّمَا مَا يَحْصُلُ بِتَجَلِّي الْعَدْلِ الْأَكْبَرِ فِي مَحْكَمَةِ الْحَشْرِ الْكُبْرٰى؛ وَتَسْتَلْزِمُ تِلْكَ الشُّؤُونَ وَالْمَعَانِي الَّتِي نَعْجِزُ فِي التَّعْبِيرِ عَنْهَا، هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةَ الدَّائِمَةَ فِي الْكَائِنَاتِ.. فَكُلُّ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى، يُصْبِحُ مَدَاراً لِبَعْضِ هٰذِهِ الشُّؤُونِ الْإِلٰهِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ فِي هٰذِهِ الْفَعَّالِيَّةِ الدَّائِمَةِ، كَهٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْمَذْكُورَةِ الثَّلَاثَةِ؛ فَلِذٰلِكَ تَقْتَضِي الْخَلَّاقِيَّةَ الدَّائِمَةَ..

وَكَذَا إِذَا كَانَتْ كُلُّ قَابِلِيَّةٍ وَاسْتِعْدَادٍ، تُورِثُ فَرَحاً وَانْبِسَاطاً وَلَذَّةً، بِإِثْمَارِهَا وَانْبِسَاطِهَا وَانْكِشَافِهَا؛ وَكَانَ كُلُّ مُوَظَّفٍ يُحِسُّ بِرَاحَةٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، فِي تَسْرِيحِهِ عَنْ وَظِيفَتِهِ بِإِيفَائِهَا وَأَدَائِهَا؛ وَكَانَ إِنْتَاجُ ثَمَرَاتٍ كَثِيرَةٍ عَنْ بَذْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَرِبْحُ مِئَةِ دِرْهَمٍ، مِنْ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ، حَالَةً مُسِرَّةً، وَتِجَارَةً مُفَرِّحَةً لِأَصْحَابِهَا؛ فَلَا شَكَّ يُفْهَمُ مَدٰى قِيمَةِ الْمَعَانِي الْقُدُسِيَّةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ، النَّاشِئَةِ عَنِ الْفَعَّالِيَّةِ الدَّائِمَةِ، وَالْخَلَّاقِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ، الَّتِي تَفْتَحُ اسْتِعْدَادَاتٍ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ فِي كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَتُسَرِّحُ جَمِيعَهَا سَرَاحاً شَبِيهاً بِالتَّرَقِّي،

بَعْدَمَا تَسْتَخْدِمُهَا فِي وَظَائِفَ قَيِّمَةٍ ، أَيْ تُرَقِّي الْعَنَاصِرَ إِلٰى مَرْتَبَةِ الْمَعَادِنِ ، وَالْمَعَادِنَ إِلٰى حَيَاةِ النَّبَاتَاتِ ، وَالنَّبَاتَاتِ إِلٰى دَرَجَةِ حَيَاةِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَالْحَيَوَانَاتِ إِلٰى حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْعَالِيَةِ ذَاتِ الشُّعُورِ ، بِوَاسِطَةِ الرِّزْقِ ؛ فَتَتْرُكُ وَرَاءَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ أَنْوَاعاً كَثِيرَةً مِنَ الْوُجُودِ ، مِثْلَ رُوحِهِ وَمَاهِيَّتِهِ ، وَهُوِيَّتِهِ وَصُورَتِهِ ؛ وَتُوَظِّفُهَا فِي مَكَانِهِ ، بِزَوَالِ وُجُودٍ ظَاهِرِيٍّ لَهُ ؛ كَمَا أُوضِحَ فِي «الْمَكْتُوبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ» . .

[جَوَابٌ قَاطِعٌ عَلٰى سُؤَالٍ مُهِمٍّ :]

يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الضَّلَالِ : إِنَّ مَنْ يُغَيِّرُ الْكَائِنَاتِ وَيُبَدِّلُهَا بِفَعَّالِيَّةٍ دَائِمَةٍ ، يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مُتَغَيِّراً وَمُتَحَوِّلاً أَيْضاً . .

فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ : أَنَّهُ حَاشَاهُ عَنْ ذٰلِكَ مِئَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ؛ فَإِنَّ تَغَيُّرَ الْمَرَايَا فِي الْأَرْضِ ، لَا يَدُلُّ عَلٰى تَغَيُّرِ الشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ ؛ بَلْ يَدُلُّ عَلٰى تَجَدُّدِ جَلَوَاتِهَا . وَأَيْضاً إِنَّهُ يَسْتَحِيلُ تَغَيُّرُ ذَاتٍ أَقْدَسَ أَزَلِيٍّ ، أَبَدِيٍّ سَرْمَدِيٍّ ، وَهُوَ عَلٰى كَمَالٍ مُطْلَقٍ ، وَاسْتِغْنَاءٍ مُطْلَقٍ بِكُلِّ جِهَةٍ ، وَمُجَرَّدٍ عَنِ الْمَادَّةِ ، وَمُنَزَّهٍ عَنِ الْمَكَانِ ، وَمُبَرَّإٍ عَنِ الْقَيْدِ ، وَمُعَلًّى عَنِ الْإِمْكَانِ ؛ وَيَسْتَحِيلُ تَبَدُّلُهُ . وَإِنَّ تَغَيُّرَ الْكَائِنَاتِ لَيْسَ دَلِيلاً عَلٰى تَغَيُّرِهِ ، بَلْ دَلِيلٌ عَلٰى عَدَمِ تَغَيُّرِهِ ، وَعَدَمِ كَوْنِهِ مُتَحَوِّلاً ؛ لِأَنَّ مَنْ يُغَيِّرُ أَشْيَاءَ مُتَعَدِّدَةً ؛ وَيُحَرِّكُهَا دَائِماً بِالِانْتِظَامِ ، لَا بُدَّ أَنْ لَا يَتَحَرَّكَ وَلَا يَتَغَيَّرَ . مَثَلاً : إِنَّكَ إِذَا دَوَّرْتَ كَثِيراً مِنْ مَدَافِعَ وَقَذَائِفَ مَرْبُوطَةٍ بِحِبَالٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَحَرَّكْتَهَا دَائِماً ؛ وَأَعْطَيْتَهَا أَوْضَاعاً بِانْتِظَامٍ ؛ لَا بُدَّ أَنْ تَسْكُنَ فِي مَكَانِكَ ؛ وَأَنْ لَا تَتَغَيَّرَ وَلَا تَتَحَرَّكَ ؛ وَإِلَّا تُفْسِدُ ذٰلِكَ الِانْتِظَامَ . وَمِنَ الْمَشْهُورِ أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَتَحَرَّكَ الْمُحَرِّكُ بِالِانْتِظَامِ ؛ وَأَنْ لَا يَتَغَيَّرَ الْمُغَيِّرُ بِالدَّوَامِ ؛ حَتّٰى يُدِيمَ ذٰلِكَ الْأَمْرَ بِالِانْتِظَامِ . .

اَلشُّعَاعُ الْخَامِسُ : مَسْأَلَتَانِ . .

[اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى :] إِنَّنَا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَرَى الْجَلْوَةَ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْقَيُّومِ» ؛ نَجْعَلُ خَيَالَنَا نَظَّارَتَيْنِ تَرَيَانِ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ؛ إِحْدَاهُمَا تَرَى أَبْعَدَ الْأَشْيَاءِ ؛ وَالْأُخْرٰى تَرَى

أَصْغَرَ الذَّرَّاتِ. فَنَنْظُرُ بِالنَّظَّارَةِ الْأُولٰى؛ فَنَرىٰ أَنَّ مَلايِينَ مِنَ الْكُرَاتِ وَالْكَوَاكِبِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ أَلْفَ مَرَّةٍ، قَدْ ثُبِّتَ بَعْضُهَا؛ وَيُسَيَّرُ بَعْضٌ آخَرُ لِلْخِدْمَةِ، بِجَلْوَةِ اسْمِ «الْقَيُّومِ»، بِلَا عَمَدٍ، فِي مَادَّةِ الْأَثِيرِ الَّتِي هِيَ أَلْطَفُ مِنَ الْهَوَاءِ؛ ثُمَّ نَنْظُرُ بِالنَّظَّارَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي هِيَ مُجْهِرُ الْخَيَالِ، بِحَيْثُ تَرَى الذَّرَّاتِ الصَّغِيرَةَ؛ فَنَرىٰ أَنَّ ذَرَّاتِ جِسْمِ كُلِّ حَيٍّ مِنْ مَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ، تَتَّخِذُ كَيْفِيَّةً مُنْتَظِمَةً؛ وَتَتَحَرَّكُ كَالنُّجُومِ؛ وَتُؤَدِّي وَظَائِفَ بِسِرٍّ تِلْكَ الْقَيُّومِيَّةِ؛ وَلَاسِيَّمَا أَنَّ الْكُتَلَ الصَّغِيرَةَ الْمُتَشَكِّلَةَ مِنْ ذَرَّاتٍ يُقَالُ لَهَا الْكُرَيْوَاتُ الْحَمْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ، فِي دِمَاءِ ذَوِي الْحَيَاةِ، تَتَحَرَّكُ كَالنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، بِحَرَكَتَيْنِ مُنْتَظِمَتَيْنِ، شِبْهِ الْمَوْلَوِيِّ..

خُلاصَةُ الْخُلاصَةِ: وَمِنَ الْمُنَاسِبِ ذِكْرُ خُلاصَةٍ، لِلنَّظَرِ إِلَى الضِّيَاءِ الْقُدُسِيَّةِ، الَّتِي شَكَّلَتْهَا الْأَسْمَاءُ[1] السِّتَّةُ الَّتِي هِيَ الاسْمُ الْأَعْظَمُ؛ وَمَزَجَتْهَا كَالْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ فِي الضِّيَاءِ..

فَانْظُرْ وَرَاءَ هٰذِهِ الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْقَيُّومِ» الَّذِي أَمْسَكَ هٰكَذَا، جَمِيعَ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ؛ وَأَعْطَاهَا الْبَقَاءَ وَالْقِيَامَ، أَنَّ الْجَلْوَةَ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْحَيِّ» أَضَاءَتْ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْحَيَّةَ؛ وَنَوَّرَتِ الْكَائِنَاتِ؛ وَتُذَهِّبُ جَمِيعَهَا بِجَلْوَتِهِ. وَالْآنَ انْظُرْ وَرَاءَ اسْمِ «الْحَيِّ»، أَنَّ الْجَلْوَةَ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْفَرْدِ»، تَحْوِي جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَجْزَائِهَا، دَاخِلَ وَحْدَةٍ؛ وَتَضَعُ سِكَّةَ وَحْدَةٍ عَلٰى جَبْهَةِ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَتَخْتِمُ خَاتَمَ أَحَدِيَّةٍ عَلٰى وَجْهِ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَتُعْلِنُ جَلْوَتَهَا بِأَلْسِنَةٍ لَا نِهَايَةَ وَلَا حَدَّ لَهَا. وَالْآنَ انْظُرْ مِنْ وَرَاءِ اسْمِ «الْفَرْدِ»، إِلَى الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْحَكِيمِ»؛ فَإِنَّهَا جَمَعَتْ كُلَّ مَوْجُودٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي تَفَرَّجْنَا عَلَيْهَا بِنَظَّارَتَيِ الْخَيَالِ، مِنَ الْكَوَاكِبِ إِلَى الذَّرَّاتِ، فِي نِظَامٍ مُثْمِرٍ، وَانْتِظَامٍ حَكِيمٍ، وَانْسِجَامٍ مُفِيدٍ، عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ وَالْمُنَاسِبِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ، جُزْئِيّاً كَانَ أَوْ كُلِّيّاً؛ وَزَيَّنَتْ

---

(١) **خُلاصَةٌ** مُخْتَصَرَةٌ لِلْغَايَةِ، لِلْأَسْمَاءِ السِّتَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ سِرَّ الاسْمِ الْأَعْظَمِ، وَأَسَاسُ وَمَوْضُوعُ لِلرَّسَائِلِ السِّتِّ الصَّغِيرَةِ مِنَ «اللَّمْعَةِ الثَّلَاثِينَ».. اَلْمُؤَلِّفُ، (رضي الله عنه)..

جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ وَذَهَبْتَهَا ، مِنْ أَكْبَرِ الدَّائِرَةِ ، إِلٰى أَصْغَرِهَا . ثُمَّ انْظُرْ مِنْ وَرَاءِ الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لاِسْمِ «الْحَكَمِ» ، أَنَّهُ يُدِيرُ جَمِيعَ الْعَوَالِمِ بِمَوْجُودَاتِهَا ، بِالْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْعَدْلِ» ، بِمَوَازِينَ وَمَقَايِيسَ وَمَكَايِيلَ ، فِي الْفَعَّالِيَّةِ الدَّائِمَةِ ، بِحَيْثُ لَوْ فَقَدَ جِرْمٌ مِنَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ، مُوَازَنَتَهُ ثَانِيَةً وَاحِدَةً ؛ ـ أَيْ خَرَجَ عَنْ جَلْوَةِ اسْمِ «الْعَدْلِ» ـ لَأَنْتَجَ هَرْجاً وَمَرْجاً ؛ وَأَقَامَ قِيَامَةً بَيْنَ الْكَوَاكِبِ ، عَلٰى مَا أُوضِحَ فِي النُّكْتَةِ الثَّانِيَةِ . فَكُلُّ دَائِرَةٍ وَكُلُّ مَوْجُودٍ ، مِنَ الدَّائِرَةِ الْعُظْمٰى لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَمِنْ مَجَرَّةِ السَّمَاءِ ، أَيِ الْمِنْطَقَةِ الْكُبْرٰى لِدَرْبِ التَّبَّانَةِ ، إِلٰى دَائِرَةِ حَرَكَاتِ الْكُرَيْوَاتِ الْحَمْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ فِي الدَّمِ ، يَدُلُّ بِشَكْلِهِ وَوَضْعِهِ ، الَّذِي قُصَّ عَلَيْهِ بِمِقْيَاسٍ وَمِيزَانٍ حَسَّاسٍ ، عَلٰى أَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلٰى آخِرِهَا ، مِنْ جَيْشِ النُّجُومِ إِلٰى جَيْشِ الذَّرَّاتِ ، تُطِيعُ بِكَمَالِ التَّسْخِيرِ ، مَا يَرِدُ مِنْ أَمْرِ (كُنْ فَيَكُونُ) مِنَ الْأَوَامِرِ . وَالْآنَ انْظُرْ مِنْ وَرَاءِ الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْعَدْلِ» ، إِلَى الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْقُدُّوسِ» ؛ كَمَا أُوضِحَ فِي النُّكْتَةِ الْأُولٰى ؛ فَإِنَّهَا تَجْعَلُ جَمِيعَ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ ، نَظِيفَةً وَلَطِيفَةً ، صَافِيَةً وَجَمِيلَةً ، مُتَزَيِّنَةً وَمُتَلَأْلِئَةً ؛ وَتُظْهِرُهَا كَذٰلِكَ بِحَيْثُ أَعْطَتِ الْكَائِنَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، شَكْلَ مَرَايَا جَمِيلَةٍ تَلِيقُ بِجَمَالِ «الذَّاتِ الْجَمِيلِ الْمُطْلَقِ» الَّذِي لَا حَدَّ لِجَمَالِهِ ؛ وَتُنَاسِبُ أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا نِهَايَةَ لِحُسْنِهَا . .

اَلْحَاصِلُ : أَنَّ هٰذِهِ الْأَسْمَاءَ السِّتَّةَ ، وَالْأَنْوَارَ السِّتَّةَ مِنَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، لَفَّتِ الْكَائِنَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، فِي حُجُبٍ مُذَهَّبَةٍ ، عَلٰى أَلْوَانٍ جَمِيلَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَنُقُوشٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وَمَحَاسِنَ مُتَغَايِرَةٍ . .

﴿اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الشُّعَاعِ الْخَامِسِ :﴾ أَنَّ جَلْوَةَ الْقَيُّومِيَّةِ الْمُتَجَلِّيَةِ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، كَمَا تَكُونُ فِي نَقْطَةِ الْوَاحِدِيَّةِ وَالْجَلَالِ ؛ كَذٰلِكَ لَهَا تَظَاهُرٌ فِي نُقْطَةِ الْأَحَدِيَّةِ وَالْجَمَالِ أَيْضاً ، فِي الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ مَرْكَزُ الْكَائِنَاتِ وَمَدَارُهَا ، وَثَمَرَتُهَا ذَاتُ الشُّعُورِ ؛ أَيْ كَمَا أَنَّ الْكَائِنَاتِ قَائِمَةٌ بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّهَا تَقُومُ بِجِهَةٍ ، بِالْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ الْمَظْهَرُ الْأَكْمَلُ لِاسْمِ «الْقَيُّومِ» ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ أَكْثَرَ حِكَمِ الْكَائِنَاتِ وَمَصَالِحِهَا وَغَايَاتِهَا ،

تَنْظُرُ إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ فَكَأَنَّ جَلْوَةَ الْقَيُّومِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ ، عَمُودٌ لِلْكَائِنَاتِ . .

نَعَمْ : يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الذَّاتَ «الْحَيَّ الْقَيُّومَ» ، أَرَادَ الْإِنْسَانَ فِي الْكَائِنَاتِ ؛ فَخَلَقَهَا لَهُ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْهَمُ بِالْجَامِعِيَّةِ التَّامَّةِ ، جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيَذُوقُهَا بِهَا ، لَاسِيَّمَا أَنَّهُ يَفْهَمُ كَثِيراً مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ، بِمَا فِي الرِّزْقِ مِنَ الذَّوْقِ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَعْلَمُونَهَا بِذٰلِكَ الذَّوقِ . فَلِهٰذِهِ الْجَامِعِيَّةِ الْأَهَمِّ لِلْإِنْسَانِ ، أَعْطَاهُ «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» مَعِدَةً مُشْتَهِيَةً ؛ لِيُحِسَّ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ لِلْإِنْسَانِ ؛ وَلِيُذِيقَهُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ إِحْسَانِهِ ؛ فَمَلَأَ عَلٰى وَجْهِ الْكَرَمِ ، سُفْرَتَهَا الْوَاسِعَةَ ، بِأَنْوَاعِ مَطْعُومَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا . وَكَذَا جَعَلَ الْحَيَاةَ مَعِدَةً أَيْضاً مِثْلَ هٰذِهِ الْمَعِدَةِ الْمَادِّيَّةِ ؛ فَفَتَحَ سُفْرَةً وَاسِعَةً لِلْغَايَةِ مِنَ النِّعَمِ ، تَكُونُ الْحَوَاسُّ فِي حُكْمِ الْأَيْدِي لِتِلْكَ الْمَعِدَةِ ؛ فَتِلْكَ الْحَيَاةُ تُؤَدِّي كُلَّ أَنْوَاعِ الشُّكْرِ ، بِكُلِّ أَنْوَاعِ الِاسْتِفَادَةِ عَنْ تِلْكَ السُّفْرَةِ ، بِوَاسِطَةِ الْحَوَاسِّ . وَأَعْطَاهُ بَعْدَ مَعِدَةِ الْحَيَاةِ هٰذِهِ ، مَعِدَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ فَتَطْلُبُ الرِّزْقَ وَالنِّعْمَةَ فِي دَائِرَةٍ أَوْسَعَ مِنْ مَعِدَةِ الْحَيَاةِ ؛ وَتَسْتَفِيدُ مِنْ مَائِدَةِ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ فِي وُسْعَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَأَنَّ الْعَقْلَ وَالْفِكْرَ وَالْخَيَالَ ، فِي حُكْمِ الْأَيْدِي لِتِلْكَ الْمَعِدَةِ ، تَسْتَفِيدُ عَنْ تِلْكَ الْمَائِدَةِ وَتَشْكُرُ عَلَيْهَا . وَجَعَلَ بَعْدَ مَعِدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، عَقِيدَةَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ، فِي حُكْمِ مَعِدَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ تَطْلُبُ الرِّزْقَ كَثِيراً ؛ لِيَفْتَحَ مَائِدَةً أُخْرٰى وَاسِعَةً بِلَا حَدٍّ ، مِنْ مَوَائِدِ النِّعَمِ ؛ وَوَسَّعَ دَائِرَةَ مَائِدَةِ رِزْقِهَا إِلٰى خَارِجِ الْمُمْكِنَاتِ ، بِحَيْثُ تَسْتَوْعِبُ دَائِرَةَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ أَيْضاً ؛ فَيُحِسُّ بِتِلْكَ الْمَعِدَةِ اسْمَ «الرَّحْمٰنِ وَالْحَكِيمِ» ، بِأَكْبَرِ ذَوْقٍ مِنْ أَذْوَاقِ الرِّزْقِ ؛ وَيَقُولُ : «الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى رَحْمَانِيَّتِهِ وَحَكِيمِيَّتِهِ» . وَهٰكَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَفِيدَ بِتِلْكَ الْمَعِدَةِ الْكُبْرٰى الْمَعْنَوِيَّةِ ، عَمَّا لَا حَدَّ لَهَا مِنَ النِّعَمِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَلَاسِيَّمَا أَنَّ لِذَوْقِ مَحَبَّةِ اللّٰهِ فِي تِلْكَ الْمَعِدَةِ ، دَائِرَةً أُخْرٰى . . فَحِكْمَةُ جَعْلِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، الْإِنْسَانَ مَرْكَزاً وَمَدَاراً لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ، وَفَتْحِ مَائِدَةٍ وَاسِعَةٍ بِقَدَرِ الْكَائِنَاتِ ، لِلْإِنْسَانِ ، وَحِكْمَةُ كَوْنِ الْكَائِنَاتِ قَائِمَةً بِجِهَةٍ ، بِسِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ الَّتِي صَارَتِ الْكَائِنَاتُ مَظْهَراً لَهَا ، بِوَاسِطَةِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ جِهَةِ كَوْنِهَا مُسَخَّرَةً لَهُ ، هِيَ

ثَلاثُ وَظَائِفَ مُهِمَّةٍ مِنْ وَظَائِفِهِ..

فَوَظِيفَتُهُ الْأُولٰى: هِيَ أَنَّهُ يُنَظِّمُ بِالْإِنْسَانِ جَمِيعَ أَنْوَاعِ النِّعَمِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْكَائِنَاتِ؛ وَتُنَظَّمُ فِي سِلْكِ مَنَافِعِهِ كَخَيْطِ السُّبْحَةِ؛ وَيَرْبِطُ رُؤُوسَ خُيُوطِ النِّعَمِ بِرَأْسِهِ؛ وَيُجْعَلُ كَجَدْوَلٍ وَلائِحَةٍ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ خَزَائِنِ الرَّحْمَةِ..

وَوَظِيفَتُهُ الثَّانِيَةُ: هِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَصِيرُ بِجِهَةِ جَامِعِيَّتِهِ، أَكْمَلَ مُخَاطَبٍ لِخِطَابَاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ»؛ وَيَكُونُ دَلَّالاً رَفِيعَ الصَّوْتِ، بِتَقْدِيرِ صَنَائِعِهِ وَتَحْسِينِهَا عَلٰى وَجْهِ الْحَيْرَةِ؛ وَيَشْكُرُهُ وَيَحْمَدُ لَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الشُّكْرِ الشُّعُورِيِّ، عَلٰى جَمِيعِ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانَاتِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي لا حَدَّ لَهَا..

وَوَظِيفَتُهُ الثَّالِثَةُ: هِيَ أَنَّهُ يُصْبِحُ بِحَيَاتِهِ مِرْآةً لِذَاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ»، وَشُؤُونِهِ وَصِفَاتِهِ الْمُحِيطَةِ، بِثَلاثَةِ أَوْجُهٍ..

اَلْوَجْهُ الْأَوَّلُ: هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْهَمُ قُدْرَةَ خَالِقِهِ الْمُطْلَقَةَ، بِعَجْزِهِ الْمُطْلَقِ؛ وَيَفْهَمُ دَرَجَاتِ قُدْرَتِهِ، بِدَرَجَاتِ عَجْزِهِ؛ وَيُدْرِكُ رَحْمَتَهُ وَدَرَجَاتِهَا، بِفَقْرِهِ الْمُطْلَقِ؛ وَيَفْهَمُ قُوَّةَ خَالِقِهِ، بِضَعْفِ نَفْسِهِ؛ وَهٰكَذَا يَصِيرُ بِصِفَاتِهِ النَّاقِصَةِ، مِرْآةً شِبْهَ مِقْيَاسٍ لِأَوْصَافِ كَمَالِ خَالِقِهِ. فَكَمَا أَنَّ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ تَكُونُ مِرْآةً تُظْهِرُ سُرُجَ الْكَهْرَبَاءِ حَسَبَ زِيَادَةِ تَلَمُّعِ النُّورِ فِي اللَّيْلِ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَصِيرُ مِرْآةً لِلْكَمَالاتِ الْإِلٰهِيَّةِ، بِمِثْلِ هٰذِهِ الصِّفَاتِ النَّاقِصَةِ مِنْ صِفَاتِهِ..

اَلْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْهَمُ مَالِكِيَّةَ صَانِعِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ، وَصَنْعَتَهُ، وَإِرَادَتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَعِلْمَهُ، بِنِسْبَةِ عَظَمَةِ الْكَائِنَاتِ، بِإِرَادَتِهِ الْجُزْئِيَّةِ، وَعِلْمِهِ الْقَلِيلِ، وَقُدْرَتِهِ الصَّغِيرَةِ، وَمَالِكِيَّتِهِ الظَّاهِرَةِ، وَبِبِنَائِهِ لِدَارِهِ؛ فَيَصِيرُ مِرْآةً لِتِلْكَ الْأَوْصَافِ..

اَلْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ لِمِرْآتِيَّةِ هٰذَا الْوَجْهِ وَجْهَيْنِ..

اَلْأَوَّلُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يُظْهِرُ فِي نَفْسِهِ نُقُوشاً مُخْتَلِفَةً لِلْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ؛ فَكَأَنَّهُ بِجَامِعِيَّتِهِ،

يُصْبِحُ فِي حُكْمِ فِهْرِسٍ صَغِيرٍ ، وَمِثَالٍ مُصَغَّرٍ لِلْكَائِنَاتِ ؛ فَيُظْهِرُ نُقُوشَ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ . .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ الْإِنْسَانَ يُصْبِحُ مِرْآةً لِلشُّؤُونِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ أَيْ إِنَّهُ كَمَا يُشِيرُ بِحَيَاتِهِ إِلٰى حَيَاةِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ؛ كَذٰلِكَ يُصْبِحُ بِوَاسِطَةِ الْحَوَاسِّ الْمُنْكَشِفَةِ فِي حَيَاتِهِ مِثْلِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، مِرْآةً لِصِفَاتِ «الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، مِثْلِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ؛ وَيُعْلِمُ تِلْكَ الصِّفَاتِ ، بِهٰذِهِ الْحَوَاسِّ . .

وَكَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُصْبِحُ مِرْآةً لِلشُّؤُونِ الْقُدُسِيَّةِ «لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» ، بِوَاسِطَةِ كَثِيرٍ مِنْ مَشَاعِرَ وَمَعَانٍ وَحَوَاسَّ حَيَوِيَّةٍ دَقِيقَةٍ لَمْ تَنْكَشِفْ ؛ وَتُوجَدُ فِي حَيَاتِهِ عَلٰى صُوَرٍ كَثِيرَةٍ ؛ وتَغْلِي فِي صُورَةِ الْحِسِّ وَالْحَسَّاسِيَّةِ . مَثَلاً : يُوجَدُ فِي تِلْكَ الْحَسَّاسِيَّةِ مَعَانٍ مِثْلُ الْحُبِّ وَالِافْتِخَارِ ، وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ ، يُصْبِحُ بِهَا مِرْآةً لِشُؤُونِ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ مِنْ ذٰلِكَ النَّوْعِ ؛ إِنْ كَانَ مُنَاسِباً وَلَائِقاً بِقُدُسِيَّتِهِ تَعَالٰى وَغِنَاهُ الْمُطْلَقِ . وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ بِحَيَاتِهِ الْجَامِعَةِ مِقْيَاسٌ لِمَعْرِفَةِ صِفَاتِ «الذَّاتِ الْجَلِيلِ» وَشُؤُونِهِ ، وَفِهْرِسٌ وَمِرْآةٌ ذَاتُ شُعُورٍ لِجَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ ؛ وَهٰكَذَا يَصِيرُ مِرْآةً «لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» بِجِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ وَاحِدٌ قِيَاسِيٌّ ، وَفِهْرِسٌ وَمِقْيَاسٌ وَمِيزَانٌ لِحَقَائِقِ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ . مَثَلاً : إِنَّ مِثَالَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي الْإِنْسَانِ ، وَالدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلٰى وُجُودِهِ فِي الْكَائِنَاتِ ، هُوَ الْقُوَّةُ الْخَيَالِيَّةُ [1] . وَإِنَّ مِثَالًا وَدَلِيلاً عَلٰى وُجُودِ الرُّوحَانِيِّينَ فِي الْكَائِنَاتِ ، هُوَ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْقُوَى وَاللَّطَائِفِ . وَهٰكَذَا يُمْكِنُ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ فِي دَرَجَةِ الشُّهُودِ ، بِمِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ . فَالْإِنْسَانُ لَهُ خَدَمَاتٌ مُهِمَّةٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ الْوَظَائِفِ الْمَذْكُورَةِ ؛ وَهُوَ مِرْآةٌ

---

(١) نَعَمْ : كَمَا أَنَّهُ تُخْبِرُ عَنَاصِرُ الْإِنْسَانِ عَنْ عَنَاصِرِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَعِظَامُهُ عَنْ أَحْجَارِهَا وَصُخُورِهَا ؛ وَأَشْعَارُهُ عَنْ نَبَاتَاتِهَا وَأَشْجَارِهَا ؛ وَالدَّمُ الْجَارِي فِي بَدَنِهِ ، وَالْمِيَاهُ الْمُخْتَلِفَةُ السَّائِلَةُ عَنْ عَيْنِهِ وَأُذُنِهِ وَأَنْفِهِ وَفَمِهِ ، تُنْبِئُ عَنْ عُيُونِ الْأَرْضِ وَمِيَاهِهَا الْمَعْدِنِيَّةِ ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهَا وَتُشِيرُ إِلَيْهَا ؛ كَذٰلِكَ يُخْبِرُ رُوحُ الْإِنْسَانِ عَنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ؛ وَحَافِظَتُهُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ؛ وَقُوَّتُهُ الْخَيَالِيَّةُ عَنْ عَالَمِ الْمِثَالِ ؛ وَهٰكَذَا يُخْبِرُ كُلُّ جِهَازٍ مِنْهُ عَنْ عَالَمٍ ؛ وَيَشْهَدُ عَلٰى وُجُودِهِ قَطْعاً . . اَلْمُؤَلِّفُ ، (رضي الله عنه) . .

لِلْجَمَالِ الْبَاقِي ، وَدَلّالٌ مَظْهَرٌ لِلْكَمَالِ السَّرْمَدِيِّ ، وَمُحْتَاجٌ شَاكِرٌ لِلرَّحْمَةِ الْأَبَدِيَّةِ . فَإِذَا كَانَ الْجَمَالُ وَالْكَمَالُ وَالرَّحْمَةُ بَاقِيَةً ؛ فَلا رَيْبَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ مِرْآةٌ مُشْتَاقَةٌ لِذٰلِكَ الْجَمَالِ الْبَاقِي ، وَدَلّالٌ عَاشِقٌ لِذٰلِكَ الْكَمَالِ السَّرْمَدِيِّ ، وَمُحْتَاجٌ شَاكِرٌ لِتِلْكَ الرَّحْمَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، سَيَدْخُلُ دَارَ الْبَقَاءِ لِيُصْبِحَ بَاقِياً ؛ وَسَيَذْهَبُ إِلَى الْأَبَدِ لِيُرَافِقَ أُولٰئِكَ الْبَاقِينَ ؛ وَلا بُدَّ أَنْ يُرَافِقَ ذٰلِكَ الْجَمَالَ الْأَبَدِيَّ ، وَالْكَمَالَ السَّرْمَدِيَّ ، وَالرَّحْمَةَ الدَّائِمَةَ ، فِي أَبَدِ الْآبَادِ ؛ وَيَلْزَمُ ذٰلِكَ لِأَنَّ الْجَمَالَ الْأَبَدِيَّ ، لا يَرْضٰى بِمُشْتَاقٍ فَانٍ ، وَصَدِيقٍ زَائِلٍ ؛ لِأَنَّ الْجَمَالَ يُحِبُّ نَفْسَهُ ؛ فَيَقْتَضِي الْمَحَبَّةَ إِزَاءَ حُبِّهِ ؛ وَأَنَّ الزَّوَالَ وَالْفَنَاءَ ، يَقْلِبُ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ ؛ وَيُحَوِّلُهَا إِلَى الْعَدَاوَةِ . فَلَوْلا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَذْهَبُ إِلَى الْأَبَدِ ؛ وَيُصْبِحُ بَاقِياً ؛ لَوُجِدَتْ فِي فِطْرَتِهِ عَدَاوَةٌ لِلْجَمَالِ السَّرْمَدِيِّ ، بَدَلاً عَنِ الْمَحَبَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ فِيهَا . وَفِي زَمَنٍ طَرَدَتْ حَسْنَاءُ شَهِيرَةٌ فِي الْعَالَمِ ، عَاشِقاً عَنْ حُضُورِهَا ؛ فَانْقَلَبَ فَجْأَةً ، مَا فِي ذٰلِكَ الشَّخْصِ مِنَ الْعِشْقِ ، بِالْعَدَاوَةِ ؛ فَسَخِطَ عَنْ جَمَالِهَا ؛ وَأَنْكَرَهُ وَقَالَ : تُفّاً لَهَا مَا أَقْبَحَهَا ؛ وَذٰلِكَ لِيُسَلِّيَ نَفْسَهُ ؛ كَمَا بُيِّنَ فِي حَاشِيَةِ «الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ» . .

نَعَمْ : إِنَّ الْإِنْسَانَ يَتَحَرّٰى عَلٰى وَجْهِ الْعَدَاءِ ، نَقَائِصَ مَا لا يُدْرِكُهُ أَوْ لا يُمْسِكُهُ ؛ حَتّٰى إِنَّهُ يُرِيدُ الْعَدَاوَةَ لَهُ ؛ كَمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ لِمَا يَجْهَلُهُ . فَإِذَا كَانَ «الْمَحْبُوبُ الْحَقِيقِيُّ ، وَالْجَمِيلُ الْمُطْلَقُ» ، يُحَبِّبُ نَفْسَهُ وَأَسْمَاءَهُ الْحُسْنٰى إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ وَيُحِبُّ أَنْ يُحِبَّهُ الْإِنْسَانُ ؛ وَذٰلِكَ بِشَهَادَةِ الْكَائِنَاتِ كُلِّهَا ؛ فَلا شَكَّ أَنَّهُ لا يُعْطِي الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ حَبِيبُهُ وَمَحْبُوبُهُ ، عَدَاوَةً فِطْرِيَّةً ؛ وَلا يُسْخِطُهُ عَنْهُ سُخْطاً عَمِيقاً ، عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ وَأَنَّهُ لا يُعْطِي رُوحَ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَعْلٰى حَبِيبٍ وَمَحْبُوبٍ خُلِقَ لِلتَّعَبُّدِ ، عَدَاوَةً خَفِيَّةً مُضَادَّةً لِفِطْرَةِ الْإِنْسَانِ كُلِّيّاً ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لا يُدَاوِي جُرْحَهُ الْعَمِيقَ ، النَّاشِئَ عَنِ الْفِرَاقِ الْأَبَدِيِّ مِنْ جَمَالٍ مُطْلَقٍ ، يُحِبُّهُ وَيَقْدِرُ قِيمَتَهُ ، إِلّا بِالْإِنْكَارِ وَالْعَدَاوَةِ لَهُ ، وَالسُّخْطِ عَنْهُ . وَمِنْ هٰذِهِ النُّقْطَةِ يَنْشَأُ كَوْنُ الْكُفَّارِ أَعْدَاءَ اللهِ تَعَالٰى . فَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ الْجَمَالَ الْأَزَلِيَّ ، يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ مِرْآتُهُ الْمُشْتَاقَةُ ، مَظْهَراً لِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ فِي دَارِ بَقَاءٍ عَلٰى كُلِّ حَالٍ ؛ لِيَكُونَ مَعَهُ فِي طَرِيقِ

أَبَدِ الْآبَادِ ، وَسِيَاحَتِهِ . نَعَمْ : إِنَّهُ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَخْلُوقاً بِصُورَةِ مُشْتَاقٍ وَمُحِبٍّ فِطْرَةً لِجَمَالٍ بَاقٍ ؛ وَكَانَ جَمَالٌ بَاقٍ لَا يَرْضَى بِمُشْتَاقٍ زَائِلٍ ؛ وَكَانَ الْإِنْسَانُ يُسَكِّنُ نَفْسَهُ بِأَنْ يَجِدَ نَقْصَ مَطْلُوبٍ يَجْهَلُهُ وَلَا يُدْرِكُهُ ؛ أَوْ لَا يُمْسِكُهُ ، بَلْ بِعَدَاوَةٍ خَفِيَّةٍ لَهُ ؛ لِيَجِدَ التَّسَلِّيَ عَنِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ النَّاشِئِ عَنْ ذٰلِكَ الْمَقْصُودِ ؛ وَكَانَتْ هٰذِهِ الْكَائِنَاتُ خُلِقَتْ لِلْإِنْسَانِ ؛ وَالْإِنْسَانُ خُلِقَ لِلْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَكَانَ خَالِقُ هٰذِهِ الْكَائِنَاتِ سَرْمَدِيّاً مَعَ أَسْمَائِهِ ؛ وَتَكُونُ جَلَوَاتُ أَسْمَائِهِ دَائِمَةً بَاقِيَةً وَأَبَدِيَّةً ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ الْإِنْسَانَ سَيَذْهَبُ إِلَى دَارِ بَقَاءٍ ؛ وَيُصْبِحُ مَظْهَراً لِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ ، قَطْعاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّ مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ (عليه الصلاة والسلام) ، ذٰلِكَ الْمُرْشِدَ الْأَعْظَمَ وَالْإِنْسَانَ الْأَكْمَلَ ، الَّذِي يُعَلِّمُ قِيمَةَ الْإِنْسَانِ وَوَظَائِفَهُ وَكَمَالَاتِهِ ، يُثْبِتُ بِإِظْهَارِهِ جَمِيعَ الْكَمَالَاتِ وَالْوَظَائِفِ الَّتِي بَيَّنَّاهَا فِي حَقِّ الْإِنْسَانِ ، فِي نَفْسِهِ وَدِينِهِ بِأَكْمَلِ صُورَةٍ ، أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْكَائِنَاتِ خُلِقَتْ لِلْإِنْسَانِ ؛ وَأَنَّ الْمَقْصُودَ وَالْمُنْتَخَبَ عَنِ الْكَائِنَاتِ ، هُوَ الْإِنْسَانُ ؛ كَذٰلِكَ إِنَّ الْمَقْصُودَ الْأَعْظَمَ ، وَالْمُنْتَخَبَ الْأَقْوَمَ ، عَنِ الْإِنْسَانِ ، وَالْمِرْآةَ الزَّهْرَاءَ «لِلْأَحَدِ الصَّمَدِ» ، هُوَ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ (عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، بِعَدَدِ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ . .

﴿ يَا اَللهُ ، يَا رَحْمٰنُ ، يَا رَحِيمُ ، يَا فَرْدُ ، يَا حَيُّ ، يَا قَيُّومُ ، يَا حَكَمُ ، يَا عَدْلُ ، يَا قُدُّوسُ ! . نَسْأَلُكَ بِحَقِّ فُرْقَانِكَ الْحَكِيمِ ، وَبِحُرْمَةِ حَبِيبِكَ الْأَكْرَمِ ، وَبِحَقِّ أَسْمَائِكَ الْحُسْنٰى ، وَبِحُرْمَةِ اسْمِكَ الْأَعْظَمِ ، أَنْ تَحْفَظَنَا مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ ، آمِينَ . . ﴾

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

دُعَاءُ الْإِمَامِ النُّورْسِيِّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا اَللهُ يَا رَحْمٰنُ يَا رَحِيمُ ، يَا فَرْدُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ،
يَا حَكَمُ يَا عَدْلُ يَا قُدُّوسُ !.

بِحَقِّ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ ، وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، وَبِجَاهِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ، (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، اجْعَلْ مَنْ كَتَبُوا مَجْمُوعَةَ اللَّمَعَاتِ ، وَأَعْوَانَهُمُ الْمُخْلِصِينَ ، وَرُفَقَاءَهُمُ النُّورِيِّينَ ، نَائِلِينَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ ، آمِينَ ؛ وَوَفِّقْهُمْ دَائِماً فِي خِدْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، آمِينَ ؛ وَاكْتُبْ فِي صَحِيفَةِ حَسَنَاتِهِمْ ، إِزَاءَ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ مَجْمُوعَةِ اللَّمَعَاتِ ، أَلْفَ حَسَنَةٍ ، آمِينَ ؛ وَأَحْسِنْ بِالثَّبَاتِ وَالدَّوَامِ وَالْإِخْلَاصِ ، فِي نَشْرِ الْأَنْوَارِ ، آمِينَ ..

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! اجْعَلْ جَمِيعَ طَلَبَةِ رِسَالَةِ النُّورِ ، سُعَدَاءَ فِي الدَّارَيْنِ ، آمِينَ ؛ وَاحْفَظْهُمْ عَنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، آمِينَ ؛ وَاعْفُ عَنْ سَيِّئَاتِ هٰذَا «السَّعِيدِ الْعَاجِزِ الْبَائِسِ ، آمِينَ ..

سَعِيدٌ النُّورْسِيُّ ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) ..
بِاسْمِ جَمِيعِ طُلَّابِ النُّورِ ..

اَللَّمْعَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلاٰثُونَ :

هِيَ «مَجْمُوعَةُ الشُّعَاعَاتِ» ؛ وَهِيَ خَمْسَةَ عَشَرَ شُعَاعاً ؛ وَقَدْ نُشِرَتْ مَجْمُوعَةً مُسْتَقِلَّةً.. وَسَتُنْشَرُ كَذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى..

كَلِمَةُ اخْتِتَامٍ لِلْمُتَرْجِمِ ، (عفا الله تعالى عنه) :

لَقَدْ يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى لَنَا ، بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِ عِنَايَتِهِ ، إِتْمَامَ تَبْيِيضِ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ لَمَعَاتِ «كُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ» ، فِي مَدْرَسَةِ أَزْهَرِ لُبْنَانَ بِعَرَمُونَ ؛ زَادَهَا اللهُ فَيْضاً وَبَرَكَةً ، وَتَوْفِيقاً وَعِنَايَةً ؛ وَوَفَّقَ أَسَاتِذَتَهَا الْفُضَلاءَ ، وَتَلامِذَتَهَا النُّبَلاءَ ، لِنَشْرِ الْعُلُومِ الْإِسْلامِيَّةِ ، وَرَفْعِ لِوَاءِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ ، فِي دَائِرَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْأَهْوَاءِ ؛ آمِينَ . .

وَقَدْ كَمُلَ تَبْيِيضُهَا وَتَصْحِيحُهَا ، بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى وَبِعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ، عَلَى يَدَيْ مُتَرْجِمِهَا الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ ، إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْقَدِيرِ الْغَنِيِّ ، مُحَمَّدٍ زَاهِدٍ ابْنِ مَلَّا عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَلَّا قَاسِمٍ الْمَلازْكِرْدِيِّ ؛ (غَفَرَ اللهُ لَهُمْ ؛ وَعَفَا عَنْهُمْ ، وَعَنْ جَمِيعِ طَلَبَةِ رِسَالَةِ النُّورِ الصَّادِقِينَ) . .

وَكَانَ الْفَرَاغُ عَنْ تَبْيِيضِهَا ، لَيْلَةَ السَّبْتِ ، الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الْمُبَارَكَةِ ، الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ (ذِي الْحِجَّةِ) ، سَنَةَ وَاحِدَةٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ هِجْرِيَّةٍ ، وَالْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ (تَشْرِينَ الْأَوَّلِ) ، عَامَ وَاحِدٍ وَثَمَانِينَ وَتِسْعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِيلادِيَّةٍ . .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ . . وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ . .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۞ . .

رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ . .

اَللّٰهُمَّ وَفِّقْنَا بِرَحْمَتِكَ وَعِنَايَتِكَ ؛ وَيَسِّرْ لَنَا بِتَوْفِيقِكَ وَهِدَايَتِكَ ، تَبْيِيضَ جَمِيعِ أَجْزَاءِ «كُلِّيَّاتِ رِسَالَةِ النُّورِ» ؛ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَلُطْفِكَ ، تَصْحِيحَهَا وَطَبْعَهَا وَنَشْرَهَا بِكَمَالِ الرَّوَاجِ بَيْنَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ ؛ وَسَخِّرْ قُلُوبَ عِبَادِكَ «لِرِسَالَةِ النُّورِ» ، لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ ؛ آمِينَ آمِينَ آمِينَ . .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ . .

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلٰى آلِهِ الْبَرَرَةِ الطَّيِّبِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْخِيَرَةِ الطَّاهِرِينَ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً . .

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلاً وَآخِراً ۞ . .

لَيْلَةَ السَّبْتِ { ذَا الْحِجَّةِ / ١٢ / ١٤٠١ هـ . .
تَشْرِينَ الْأَوَّل / ١٠ / ١٩٨١ م . . }

مُحَمَّدٌ زَاهِدُ الْمَلَازْكَرْدِيُّ ، عَفَا عَنْهُ اللّٰهُ الْمُبْدِئُ . .

أَزْهَرَ لُبْنَانَ / دَوْحَةَ عَرَمُونَ ـ بَيْرُوتَ ـ لُبْنَانَ . .

اَلْكَاشِفُ الْوَاضِحُ

﴿ لِمَجْمُوعَةِ اللَّمعَاتِ ﴾

اَللَّمعَاتُ وَالأَبْحَاث :

٥ اَللَّمْعَةُ الْأُولٰى : تُبَيِّنُ سِرّاً مُهِمّاً وَحَقِيقَةً عَظِيمَةً لِآيَةِ : ﴿فَنَادٰى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، الَّتِي هِيَ مُنَاجَاةُ «يُونُسَ» (عليه السلام) الْمَشْهُورَةُ ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَكُونُ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا «يُونُسُ» (عليه السلام) ؛ وَلٰكِنَّ حَالَةَ الْإِنْسَانِ فِي مِقْيَاسٍ كَبِيرٍ ؛ وَمَاذَا كَانَتِ الْحُوتُ وَالْبَحْرُ وَاللَّيْلُ «لِيُونُسَ» (عليه السلام) ، فَإِنَّ نَفْسَ كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَدُنْيَاهُ وَاسْتِقْبَالَهُ ، هِيَ نَفْسُهَا لِلْإِنْسَانِ . .

٩ اَللَّمْعَةُ الثَّانِيَةُ : تُفَسِّرُ سِرّاً مُهِمّاً وَحَقِيقَةً عَظِيمَةً لِآيَةِ : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادٰى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ، الَّتِي هِيَ مُنَاجَاةُ «أَيُّوبَ» (عليه السلام) الْمَشْهُورَةُ ؛ وَتُبَيِّنُهَا بِخَمْسِ نِكَاتٍ . وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ فِي حُكْمِ تِرْيَاقٍ مَعْنَوِيٍّ ، وَعِلَاجٍ نَافِعٍ جِدّاً لِكُلِّ الْمُصَابِينَ ؛ وَتُخْرِجُ الْمُصِيبَةَ الْمَادِّيَّةَ ، عَنْ كَوْنِهَا مُصِيبَةً لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّ الْمُصِيبَةَ الْأَصْلِيَّةَ الْمُهِمَّةَ ، هِيَ مَصَائِبُ الضَّلَالَةِ النَّازِلَةَ عَلَى الْقَلْبِ وَالرُّوحِ ؛ كَمَا تُبَيِّنُ أَنَّ دَقَائِقَ عُمْرِ الْمُصَابِينَ ، تَصِيرُ بِمَثَابَةِ سَاعَاتِ الْعِبَادَةِ فِي حَقِّ أَهْلِ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ ؛ فَتَسُدُّ بَابَ الشَّكْوٰى ؛ وَتَفْتَحُ بَابَ الشُّكْرِ دَائِماً . .

١٧ اَللَّمْعَةُ الثَّالِثَةُ : رِسَالَةٌ قَيِّمَةٌ تُفَسِّرُ حَقِيقَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ مِنْ آيَةِ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، بِبَيَانِ حَقِيقَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ تُفِيدُهُمَا الْجُمْلَتَانِ الْمَشْهُورَتَانِ ؛ وَهُمَا : «يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي ؛ يَا بَاقِي أَنْتَ الْبَاقِي» ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّ الرُّوحَ الْإِنْسَانِيَّ الْمَخْلُوقَ لِأَجْلِ الْبَقَاءِ ، وَالْعَاشِقَ لِلْبَقَاءِ ، إِذَا عَلِمَ مُنَاسَبَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ إِزَاءَ «الْبَاقِي ذِي الْجَلَالِ» ؛ يُبَدِّلُ عُمُرَهُ الْفَانِيَ بِعُمُرٍ بَاقٍ ؛ وَتَصِيرُ ثَوَانِيهِ بِمَثَابَةِ السِّنِينَ ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ رُوحَ الْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ «الْبَاقِيَ ذَا الْجَلَالِ» ، تَكُونُ سَنَوَاتُهُ فِي حُكْمِ الثَّوَانِي . وَمَنْ يَرَى الْفَنَاءَ قَبِيحاً وَيَتَطَلَّعُ لِلْبَقَاءِ ؛ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ بِالِاهْتِمَامِ . .

٢٣ اَللَّمْعَةُ الرَّابِعَةُ : رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ جِدّاً تُسَمّٰى «بِمِنْهَاجِ السُّنَّةِ» ؛ وَتَحُلُّ مَسْأَلَةَ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ أَهَمُّ مَسْأَلَةٍ اخْتِلَافِيَّةٍ بَيْنَ الشِّيعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ ؛ وَتُفَصِّلُهَا بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ وَاضِحَةٍ جِدّاً ؛ وَتُفَسِّرُ حَقِيقَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، مِنَ الْحَقَائِقِ الْعَظِيمَةِ الْكَثِيرَةِ ، لِهٰذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إِلٰى آخِرِ السُّورَةِ ، وَآيَةُ : ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبٰى﴾ ؛ وَتُفَسِّرُهَا بِأَرْبَعِ نِكَاتٍ . وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ قَيِّمَةٌ وَنَافِعَةٌ جِدّاً لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَلِلْعَلَوِيِّينَ ؛ وَهِيَ مِنْهَاجُ السُّنَّةِ حَقِيقَةً ، تُبَيِّنُ طَرِيقَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ بَيَاناً تَامّاً . .

٣٤ اَللَّمْعَةُ السَّابِعَةُ : تُبَيِّنُ ثَمَانِيَةَ أَخْبَارٍ ، مِنْ وَجْهِ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ فَقَطْ ، مِنْ عَشَرَةِ وُجُوهٍ إِعْجَازِيَّةٍ ، مِنَ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الْعَظِيمَةِ فِي آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالٰى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ إِلٰى آخِرِ السُّورَةِ ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ هٰذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ ، مُعْجِزَةٌ بَاهِرَةٌ عَلٰى حِدَتِهَا ؛ وَتُبَيِّنُ فِي تَتِمَّتِهَا نُكْتَةً إِعْجَازِيَّةً مُهِمَّةً مِنْ آيَةِ : ﴿فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ﴾ إِلٰى آخِرِ الْآيَةِ ؛

وَتُشِيرُ إِلٰى أَخْبَارِهَا الْغَيْبِيَّةِ ، مِنْ قَبِيلِ عَيْنِ الْإِخْبَارِ الْغَيْبِيِّ لِلْآيَةِ فِي آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ ..

٤٥ اَللَّمْعَةُ التَّاسِعَةُ : جَوَابٌ عَلٰى أَسْئِلَةِ خُلُوصِيٍّ الْكَرِيمِ ، الَّذِي هُوَ أَخٌ لَنَا مُهِمٌّ جِدّاً فِي الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، عَنْ عِدَّةِ أَسْرَارٍ لِآيَةِ : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ، وَآيَةِ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسٰى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ ..

٤٦ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : يَحُلُّ جَوَابُهُ مَسْأَلَةً عَائِدَةً إِلَى الرُّوحِ ، بِتَحْقِيقٍ مُهِمٍّ جِدّاً إِزَاءَ قَوْلِ مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ : إِنَّ خَلْقَ الرُّوحِ عِبَارَةٌ عَنِ انْكِشَافِهِ ..

٤٩ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : عَائِدٌ إِلٰى عِلْمِ الْجَفْرِ ؛ يُبَيِّنُ جَوَابُهُ حِكْمَةَ اكْتِفَاءِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُخْبِرِينَ عَنِ الْغَيْبِ ، بِالْإِشَارَةِ فَقَطْ ..

٥٠ اَلسُّؤَالُ الرَّابِعُ : يُفْحِمُ جَوَابُهُ طَبِيباً شَقِيّاً ، يَتَخَيَّلُ «لِسَيِّدِنَا عِيسٰى» (عليه السلام) أَباً ؛ وَيَحْكُمُ بِجَوَازِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ فِي جِهَةٍ ؛ وَيَضْرِبُ الْجَوَابُ بِضَلَالَتِهِ عَلٰى رَأْسِهِ ..

٥٣ ذَيْلُ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ : مُهِمٌّ جِدّاً ، يُبَيِّنُ مَاهِيَّةَ مَشْرَبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ؛ كَمَا يُبَيِّنُ أَنَّ هٰذَا الْمَشْرَبَ لَيْسَ مَشْرَباً أَهَمَّ وَأَعْلٰى ؛ وَيُبَيِّنُ أَسْبَابَ سُلُوكِ أَمْثَالِ مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ عَلٰى ذٰلِكَ الْمَشْرَبِ . وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ فِي حُكْمِ إِكْسِيرٍ أَعْظَمَ لِمَنِ اسْتَأْنَسَ بِمَشْرَبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، أَوْ بِآثَارِ مُحْيِي الدِّينِ الْعَرَبِيِّ ..

٥٨ اَللَّمْعَةُ الْعَاشِرَةُ : تُفَسِّرُ سِرّاً لِآيَةِ : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، بِبَيَانِ «صَفَعَاتِ الشَّفَقَةِ» الَّتِي ذَاقَهَا أَصْحَابِي فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ، فِي نَتِيجَةِ سَهْوِهِمْ وَخَطَإِهِمْ بِمُقْتَضَى الْبَشَرِيَّةِ . وَهِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ حَادِثَةً مِنْ قَبِيلِ الْمِثَالِ مِنْ مِئَاتِ الْأَحْدَاثِ ؛ وَحَصَلَتْ بِهَا قَنَاعَتُنَا ، بِأَنَّنَا لَسْنَا سُدًى فِي هٰذِهِ الْخِدْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ؛ بَلْ تَحْتَ نَظَرِ عِنَايَةٍ ..

٦٩ اَللَّمْعَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ جِدّاً تُفَسِّرُ حَقِيقَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ مِنْ حَقَائِقِ آيَةِ :

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، وَآيَةِ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ بِإِحْدٰى عَشْرَةَ نُكْتَةً . .

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : تُبَيِّنُ سِرَّ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، وَهُوَ : ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي﴾ إِلٰى آخِرِهَا . . ٦٩

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : فِيمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ أَحْمَدُ الْفَارُوقِيُّ : «إِنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، أَلْطَفُ طَرِيقَةٍ وَأَسْلَمُهَا ، وَأَكْثَرُهَا احْتِشَاماً» . . ٧٠

اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : تُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، الَّتِي شَاهَدَهَا هٰذَا السَّعِيدُ الْبَائِسُ فِي رُوحِهِ . . ٧٠

اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : تُبَيِّنُ سِيَاحَةً رُوحِيَّةً فِي عَالَمٍ مَعْنَوِيٍّ عَجِيبٍ ، بِبَابِ حَقِيقَةِ «أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ» . . ٧١

اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : فِي إِنْتَاجِ مَحَبَّةِ اللهِ ، اتِّبَاعَ السُّنَّةِ ، بِقِيَاسٍ مَنْطِقِيٍّ قَطْعِيٍّ ، بِصَرَاحَةِ آيَةِ : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ . . ٧٣

اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : تُفَسِّرُ سِرّاً مُهِمّاً لِحَدِيثِ : ﴿كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ؛ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ﴾ ؛ وَتُفَسِّرُ حَقِيقَةً مِنْ آيَةِ : ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ . . ٧٤

اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ تَحْتَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، أَدَباً . وَهِيَ جَوَابٌ لَطِيفٌ عَلَى السُّؤَالِ بِأَنَّهُ : كَيْفَ يُمْكِنُ الْأَدَبُ وَالْحِجَابُ أَمَامَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ؟ وَمَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْهُ ؟ . ٧٥

اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ قِسْماً مِنَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، رَشَحَاتُ الشَّفَقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ ؛ كَمَا تُبَيِّنُ مَدٰى كَوْنِ الذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ مَعْدِناً لِلشَّفَقَةِ . . ٧٦

اَلنُّكْتَةُ التَّاسِعَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ الِاتِّبَاعَ التَّامَّ بِالْفِعْلِ لِكُلِّ أَنْوَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ ، وَإِنْ كَانَ ٧٧

مَخْصُوصاً بِأَخَصِّ الْخَوَاصِّ ، إِلّا أَنَّهُ يُمْكِنُ لِكُلِّ أَحَدٍ ، أَنْ يَكُونَ ذَا حِصَّةٍ تَامَّةٍ مِنْ ذٰلِكَ الِاتِّبَاعِ التَّامِّ ، **بِالنِّيَّةِ وَالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ** ؛ وَتُبَيِّنُ أَنَّ أَذْكَارَ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَوْرَادَهُمْ وَمَشَارِبَهُمْ ، لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي الْبِدْعَةِ ، إِذَا لَمْ تُخَالِفْ أَسَاسَاتِ السُّنَّةِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ بِدْعَةً ؛ فَهِيَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ . .

٧٨ **اَلنُّكْتَةُ الْعَاشِرَةُ** : فِيهَا بَيَانَاتٌ لَطِيفَةٌ مُهِمَّةٌ جِدّاً ، بِثَلَاثِ نِقَاطٍ عَائِدَةٍ إِلَى الْمَحَبَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَإِلَى اتِّبَاعِ **السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ** فِي نَتِيجَةِ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا آيَةُ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ . .

٨١ **اَلنُّكْتَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ** : تُثْبِتُ أَنَّ مَنَابِعَ سُنَّةِ الذَّاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ ، هِيَ أَقْوَالُهُ وَأَحْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ ؛ وَأَنَّ كُلّاً مِنْهَا يَنْقَسِمُ إِلَى الْفَرْضِ وَالنَّوَافِلِ وَالْعَادَاتِ ؛ **وَأَنَّ «الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، فَرْدٌ فَرِيدٌ بَيْنَ نَوْعِ الْبَشَرِ ، مَعْنًى وَرُوحاً ؛ كَمَا أَنَّهُ كَذٰلِكَ فِي الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ ، وَفِي وَسَطِ نُقْطَةِ الِاعْتِدَالِ وَالْكَمَالِ** . وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ تِرْيَاقٌ أَنْفَعُ وَإِكْسِيرٌ أَعْظَمُ . .

٨٤ **اَللَّمْعَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ** : تُفَسِّرُ حَقِيقَتَيْنِ مِنْ حَقَائِقِ آيَةِ : ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ، وَآيَةِ : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، اللَّتَيْنِ صَارَتَا مَدَارَ انْتِقَادِ أَهْلِ الْفَنِّ وَالْجُغْرَافِيِّينَ وَالْفَلَكِيِّينَ الْمُعَاصِرِينَ ؛ وَتُبَيِّنُهُمَا **بِنُكْتَتَيْنِ** . .

٨٤ **اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى** : تُبَيِّنُ أَنَّ عُمُومَ الْأَرْزَاقِ بِيَدِ **«الْقَدِيرِ ذِي الْجَلَالِ»** ؛ وَتَخْرُجُ مِنْ خَزِينَةِ رَحْمَتِهِ مُبَاشَرَةً ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ الْمَوْتَ لَا يَكُونُ مِنْ عَدَمِ الرِّزْقِ . .

٨٧ **اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ** : **مَسْأَلَتَانِ** مُهِمَّتَانِ . .

٨٧ **الْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى** : تُثْبِتُ أَنَّ كُرَةَ الْأَرْضِ سَبْعُ طَبَقَاتٍ ، بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ ، رَغْماً عَلَى الْفَلَاسِفَةِ الْجُغْرَافِيِّينَ الْمُنْكِرِينَ . .

٩٠ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : تُثْبِتُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ أَيْضاً ، سَبْعُ طِبَاقٍ ، بِسَبْعَةِ وُجُوهٍ ، رَغْماً عَلَى الْفَلاَسِفَةِ الْفَلَكِيِّينَ . وَهٰذِهِ الرِّسَالَةُ لِجَامٌ ، أَيْ زِمَامٌ لِأَمْثَالِ أُولٰئِكَ الْمُلْحِدِينَ الْمُفْسِدِينَ . .

٩٥ اَللَّمْعَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : رِسَالَةٌ قَوِيَّةٌ جِدّاً وَذَاتُ حَقِيقَةٍ ، تُعْرَفُ بِاسْمِ «حِكْمَةِ الاِسْتِعَاذَةِ» ، تُفَسِّرُ حَقِيقَةً أَهَمَّ مِنْ سُورَةِ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، وَحِكْمَةً مُهِمَّةً لِآيَةِ : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، وَسِرّاً أَهَمَّ مِنْ أَسْرَارِ : ﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ، بِثَلاَثَ عَشْرَةَ إِشَارَةً ؛ وَتَفْتَحُ الْبَابَ لِلدُّخُولِ فِي قَلْعَةِ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞﴾ الْحَصِينَةِ ، بِثَلاَثَةَ عَشَرَ مِفْتَاحاً ؛ وَتُظْهِرُهَا مَلْجَأً . .

٩٥ اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى : جَوَابٌ وَاضِحٌ وَقَاطِعٌ جِدّاً ، عَلَى السُّؤَالِ عَنْ حِكْمَةِ غَلَبَةِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ عَلَى حِزْبِ اللهِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا دَخْلَ لِلشَّيَاطِينِ فِي الْكَائِنَاتِ أَصْلاً ، فِي جِهَةِ الْإِيجَادِ . .

٩٦ اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : جَوَابٌ مُقْنِعٌ وَقَوِيٌّ جِدّاً ، عَلَى السُّؤَالِ بِأَنَّهُ كَيْفَ تَسْمَحُ رَحْمَةُ الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ ، وَجَمَالُ الْجَمِيلِ عَلَى الْإِطْلاَقِ ، بِإِيجَادِ الشَّيَاطِينِ ، وَتَسْلِيطِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَدُخُولِ كَثِيرِينَ فِي الْكُفْرِ وَفِي جَهَنَّمَ ؟ .

٩٧ اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : جَوَابٌ مُهِمٌّ وَقَاطِعٌ لِلْغَايَةِ ، عَلَى السُّؤَالِ بِأَنَّ الشَّكَايَا الْعَظِيمَةَ ، وَالتَّحْشِيدَاتِ الْكَثِيرَةَ ، وَالتَّهْدِيدَاتِ الشَّدِيدَةَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ضِدَّ أَهْلِ الضَّلاَلَةِ ، لَا تُنَاسِبُ بَلاَغَتَهُ وَاسْتِقَامَتَهُ . .

٩٨ اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ الْعَدَمَ شَرٌّ مَحْضٌ ؛ وَالْوُجُودَ خَيْرٌ مَحْضٌ ؛ فَتَسْتَنِدُ الْمَحَاسِنُ وَالْكَمَالاَتُ إِلَى الْوُجُودِ ؛ وَالشُّرُورُ وَالْمَصَائِبُ إِلَى الْعَدَمِ . .

٩٩ اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ : جَوَابٌ مُقْنِعٌ عَلَى السُّؤَالِ الْمُدْهِشِ عَنْ سِرِّ انْهِزَامِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ،

مَعَ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ وَالاِسْتِقَامَةِ ، أَمَامَ دَسَائِسِ الشَّيْطَانِ ، الضَّعِيفَةِ الْقَبِيحَةِ . .

١٠١ اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ : جَوَابٌ عِلْمِيٌّ مَنْطِقِيٌّ ، عَلٰى إِلْقَاءِ الشَّيَاطِينِ إِلٰى أَصْحَابِ الْحَسَّاسِيَّةِ ، بِتَصَوُّرِ الْكُفْرِ وَالضَّلاٰلِ ، فِي صُورَةِ التَّصْدِيقِ بِهِمَا ؛ وَهِيَ أَخْطَرُ دَسِيسَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ . .

١٠٢ اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ : جَوَابٌ مُسْكِتٌ وَمَنْطِقِيٌّ ، إِزَاءَ تَلَقِّي الْمُعْتَزِلَةِ إِيجَادَ الشَّرِّ شَرّاً ، وَتَلَقِّي الْمَجُوسِ إِلٰهَ الشَّرِّ غَيْرَ خَالِقِ الْخَيْرِ ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْمُعْتَزِلَةِ . .

١٠٥ اَلْإِشَارَةُ الثَّامِنَةُ : جَوَابٌ مَنْطِقِيٌّ وَقَطْعِيٌّ ، عَلَى السُّؤَالِ بِأَنَّ مَا أَثْبَتُّمْ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ مِنْ صُعُوبَةِ طَرِيقِ الْكُفْرِ وَالضَّلاٰلِ ، يُنَافِي مَا ذَكَرْتُمْ هُنَا مِنْ سُهُولَتِهِمَا ، وَكَوْنِهِمَا تَخْرِيباً وَتَجَاوُزاً . .

١٠٨ اَلْإِشَارَةُ التَّاسِعَةُ : جَوَابٌ لَطِيفٌ وَقَوِيٌّ ، عَلَى السُّؤَالِ عَنْ حِكْمَةِ انْهِزَامِ حِزْبِ اللهِ ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ ، وَعَلٰى رَأْسِهِمْ فَخْرُ الْعَالَمِ ، (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ) ، أَمَامَ حِزْبِ الشَّيْطَانِ ، مَعَ مَظْهَرِيَّتِهِمْ لِذٰلِكَ الْقَدَرِ مِنَ الْعِنَايَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْإِمْدَادَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ ؛ وَعَنْ حِكْمَةِ إِصْرَارِ الْمُنَافِقِينَ فِي الضَّلاٰلَةِ ، وَعَدَمِ هِدَايَتِهِمْ وَهُمْ فِي جِوَارِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ وَرِسَالَتِهِ الْمُشْرِقَةِ . .

١١٠ اَلْإِشَارَةُ الْعَاشِرَةُ : تَشُقُّ سُتْرَةَ دَسِيسَةِ إِبْلِيسَ فِي صُورَةِ إِنْكَارِ نَفْسِهِ بِمَنِ اتَّبَعُوهُ ؛ فَتُظْهِرُ وَجْهَهُ الْخَبِيثَ الْمُلَوَّثَ ؛ وَتُثْبِتُ وُجُودَهُ . .

١١٢ اَلْإِشَارَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : بَيَانٌ مُهِمٌّ فِي حَقِّ إِفَادَةِ «الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» ، عَلٰى وَجْهِ الْإِعْجَازِ ، غَضَبَ الْكَائِنَاتِ ، وَغَيْظَ الْعَنَاصِرِ وَالْمَوْجُودَاتِ ، عَنْ شَرِّ أَهْلِ الضَّلاٰلَةِ . .

١١٣ اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَرْبَعَةُ أَجْوِبَةٍ قَوِيَّةٍ ، عَلٰى أَرْبَعَةِ أَسْئِلَةٍ مُهِمَّةٍ . .

١١٧ اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : ثَلاثُ نِقَاطٍ مُهِمَّةٍ ، تَرُدُّ شُبُهَاتٍ كَثِيرَةً . .

١٢١ اَللَّمْعَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : مَقَامَانِ . .

١٢١ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ : فِي الْجَوَابِ عَلٰى سُؤَالَيْنِ . .

١٢١ اَلسُّؤَالُ الْأَوَّلُ : فِي حَقِّ الثَّوْرِ وَالْحُوتِ ؛ وَيُجِيبُ عَلَيْهِ بِثَلاثَةِ أُسُسٍ وَثَلاثَةِ أَوْجُهٍ ، بِحَيْثُ يُثْبِتُ أَنَّ هٰذَا الْحَدِيثَ مُعْجِزَةٌ بَاهِرَةٌ . .

١٢٦ اَلسُّؤَالُ الثَّانِي : فِي حَقِّ آلِ الْعَبَاءِ ، وَبَيَانِ حِكْمَتِهِ . .

١٢٧ اَلْمَقَامُ الثَّانِي : فِي بَيَانِ سِتَّةِ أَسْرَارٍ مِنْ أَهَمِّ أَسْرَارِ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ . .

١٣٨ اَللَّمْعَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : تُبَيِّنُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ صَغِيرَةٍ مُهِمَّةٍ . .

١٤٢ خَاتِمَةٌ : فِي الْجَوَابِ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ شَعَرَاتِ لِحْيَةِ السَّعَادَةِ النَّبَوِيَّةِ ، الْمُنْتَشِرَةِ فِي أَكْثَرِ بِلادِ الْإِسْلامِ . .

١٤٣ اَلْأَجْوِبَةُ الثَّلاثَةُ : عَلَى الْمَسَائِلِ الثَّلاثِ الَّتِي يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا الْمُلْحِدُونَ مُنْذُ الْقَدِيمِ . .

١٤٧ بَيَانُ سِرِّ الْغَيْبِ فِي نُزُولِ الْغَيْثِ ، وَسِيمَا الْجَنِينِ ؛ وَهُمَا مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ الْخَمْسَةِ . .

١٥١ بَيَانُ اللَّطَائِفِ الْعَشْرِ ، وَإِيضَاحُ الْمَعْنٰى الِاسْمِيِّ وَالْحَرْفِيِّ ، فِي «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

١٥٣ اَللَّمْعَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : سَبْعَ عَشْرَةَ مُذَكِّرَةً . .

١٥٤ اَلْمُذَكِّرَةُ الْأُولٰى : فِي قَطْعِ عَلاقَةِ الْقَلْبِ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْفَانِيَةِ الَّتِي تُفَارِقُ الْإِنْسَانَ . .

١٥٤ اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّانِيَةُ : فِي بَيَانِ دُسْتُورٍ مِنْ دَسَاتِيرِ الْقُرْآنِ ، فِي الْأَمْرِ بِالتَّوَاضُعِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ التَّكَبُّرِ . .

١٥٥ اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّالِثَةُ : تُبَيِّنُ «حَقِيقَةَ الْمَوْتِ» بِتَمْثِيلٍ لَطِيفٍ ؛ وَتَقْطَعُ الْآلامَ وَالْآمَالَ الطَّوِيلَةَ . .

اَلْمُذَكِّرَةُ الرَّابِعَةُ : تُثْبِتُ إِعَادَةَ الْإِنْسَانِ فِي فَصْلِ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ ، بِبَيَانِ قَانُونٍ مُطَّرِدٍ مِنْ عَادَاتِ اللهِ فِي إِعَادَةِ الْأَشْيَاءِ الْقَيِّمَةِ ، بِعَيْنِهَا ، فِي الْفُصُولِ وَالْعُصُورِ . . ١٥٥

اَلْمُذَكِّرَةُ الْخَامِسَةُ : تَكْشِفُ الْغِطَاءَ عَنْ وَجْهِ الْمَدَنِيَّةِ السَّقِيمَةِ السَّفِيهَةِ ؛ وَتُبَيِّنُ مَاهِيَّتَهَا الشَّبِيهَةَ بِجَهَنَّمَ ، عَلٰى وَجْهِ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ دَهَائِهَا ، وَبَيْنَ هُدَى الْقُرْآنِ . . ١٥٦

اَلْمُذَكِّرَةُ السَّادِسَةُ : تُبَيِّنُ ضَعْفَ اتِّفَاقِ الْمُنْكِرِينَ ، وَقُوَّةَ اتِّحَادِ الْمُثْبِتِينَ . . ١٦٣

اَلْمُذَكِّرَةُ السَّابِعَةُ : تُحَذِّرُ الْمُتَحَمِّسِينَ الْمُتَصَنِّعِينَ ، الَّذِينَ يُجْبِرُونَ الْمُسْلِمِينَ عَلٰى رُقِيِّ الْأَجَانِبِ ، عَنِ انْفِصَامِ أَوَاصِرِهِمْ بِالدِّينِ ، وَصَيْرُورَتِهِمْ سُمُوماً فِي الْمُجْتَمَعِ . . ١٦٤

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّامِنَةُ : تُفَسِّرُ سِرّاً مِنْ آيَةِ : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، وَأَمْثَالِهَا ؛ وَتُثْبِتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى الشُّمُوسِ ، مُوَظَّفٌ بِوَظِيفَةٍ مِفْتَاحُهَا اللَّذَّةُ الْمُودَعَةُ فِيهَا . . ١٦٦

اَلْمُذَكِّرَةُ التَّاسِعَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالْكَمَالَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالشَّرَّ وَالضَّلَالَ مَعَ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ . . ١٧١

اَلْمُذَكِّرَةُ الْعَاشِرَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ شَوَاهِدَ نُورِ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالٰى ، عَلٰى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ . . ١٧٢

اَلْمُذَكِّرَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : تُبَيِّنُ حِكْمَةَ «الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ» الَّتِي فِي إِفَادَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ . . ١٧٣

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : مُنَاجَاةٌ وَابْتِهَالٌ لِلْمُؤَلِّفِ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) . . ١٧٤

اَلْمُذَكِّرَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : خَمْسُ مَسَائِلَ صَارَتْ مَدَارَ الِالْتِبَاسِ . . ١٧٥

اَلْمُذَكِّرَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَرْبَعَةُ رُمُوزٍ صَغِيرَةٍ فِي التَّوْحِيدِ . . ١٨١

اَلْمُذَكِّرَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ : فِيهَا بَيَانُ تَجَلِّي اسْمِ «الْحَفِيظِ» ، الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ آيَةُ : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ إِلَى آخِرِهَا . . ١٨٤

١٨٨ اَللَّمْعَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : فِي الاِقْتِصَادِ وَالْقَنَاعَةِ ، وَفِي الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ . وَفِيهَا سَبْعُ نِكَاتٍ مِنْ آيَةِ : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ . .

١٨٨ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : أَنَّ الْإِسْرَافَ ضِدٌّ لِلشُّكْرِ ، وَاسْتِخْفَافٌ بِالنِّعْمَةِ ؛ وَالاِقْتِصَادَ احْتِرَامٌ لَهَا . .

١٨٨ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْقُوَّةَ الذَّائِقَةَ كَالْحَاجِبِ لِقَصْرِ الْبَدَنِ ؛ وَالْمَعِدَةَ بِمَثَابَةِ الْحَاكِمِ . .

١٩٠ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ الْقُوَّةَ الذَّائِقَةَ لِأَهْلِ الشُّكْرِ وَالْقَلْبِ ، فِي حُكْمِ الْمُفَتِّشِ لِمَطَابِخِ الرَّحْمَةِ . .

١٩١ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ الْمُقْتَصِدَ لَا يُعَانِي مِحْنَةَ الْعِيَالِ وَكُلْفَةَ الْعَيْشِ كَثِيراً . .

١٩٣ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : أَنَّ لَذَّةَ الْفَقِيرِ مِنْ خُبْزٍ يَابِسٍ ، تَفُوقُ لَذَّةَ السُّلْطَانِ مِنْ أَعْلَى الْحَلْوَيَاتِ . .

١٩٤ اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الاِقْتِصَادِ وَالْخِسَّةِ ، وَبَيَانِ أَنَّ الاِقْتِصَادَ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ ، وَمِنْ نِظَامِ الْحِكْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ . .

١٩٥ اَلنُّكْتَةُ السَّابِعَةُ : فِي بَيَانِ نَتَائِجِ الْإِسْرَافِ وَالْحِرْصِ . .

١٩٩ اَللَّمْعَةُ الْعِشْرُونَ : فِي حَقِّ «الْإِخْلَاصِ» . .

١٩٩ اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى : فِي بَيَانِ سَبْعَةِ أَسْبَابٍ لِاخْتِلَافِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ . .

٢٠٠ اَلسَّبَبُ الْأَوَّلُ : تَزَاحُمُ أَهْلِ الْحَقِّ فِي وَظَائِفِهِمُ النَّاظِرَةِ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ ، وَفِي أُجُورِهِمُ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ . وَعِلَاجُ هٰذَا الْمَرَضِ ، هُوَ الْإِخْلَاصُ . .

٢٠١ اَلسَّبَبُ الثَّانِي : الْعِزَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ النَّاشِئَةُ عَنْ مَسْلَكِ أَهْلِ الْهِدَايَةِ ، بِالاِسْتِنَادِ إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، وَالاِعْتِمَادِ عَلٰى تَوْفِيقِ رَبِّهِمْ . وَالْوَسِيلَةُ لِلْخَلَاصِ عَنْ نَتَائِجِهِ الْوَخِيمَةِ ، تِسْعَةُ أُمُورٍ . .

٢٠٣ اَلسَّبَبُ الثَّالِثُ : سُوءُ اسْتِعْمَالِ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، الْمُوجِبُ لِلاخْتِلافِ وَالْحَسَدِ . وَعِلاجُهُ مَعْرِفَةُ أَنَّ رِضَاءَ اللّٰهِ تَعَالٰى يُحَصَّلُ بِالْإِخْلاصِ ، لا بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ ، وَزِيَادَةِ النَّجَاحِ . .

٢٠٥ اَلسَّبَبُ الرَّابِعُ : عَدَمُ الْمُحَافَظَةِ عَلٰى الاسْتِقَامَةِ وَالْإِخْلاصِ ، لِاتِّبَاعِهِمْ لِمُيُولاتِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ ، لا لِحِسِّيَّاتِ النَّفْسِ . وَعِلاجُهُ الْإِخْلاصُ ، وَالْمُتَابَعَةُ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، وَتَرْكُ شَرَفِ الْقُدْوَةِ لَهُمْ . .

٢٠٦ اَلسَّبَبُ الْخَامِسُ : وُجُودُ الْقُوَّةِ النَّاشِئَةِ عَنْ نُقْطَةِ الاسْتِنَادِ ، الْوَارِدَةِ عَنِ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ . وَدَوَاؤُهُ : الْعَمَلُ بِدُسْتُورِ النَّهْيِ عَنِ التَّنَازُعِ ، وَالْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ بِالتَّعَاوُنِ ، وَمَعْرِفَةُ ضَرَرِ الاخْتِلافِ بِالْإِسْلامِ . .

٢٠٨ اَلسَّبَبُ السَّادِسُ : انْقِسَامُ حَمِيَّتِهِمْ وَهِمَّتِهِمْ إِلٰى مَسَائِلَ مُهِمَّةٍ كَثِيرَةٍ . وَدَعْوَةُ الْمُؤَلِّفِ (رضي الله عنه) ، لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالطَّرِيقَةِ ، إِلَى التَّأَدُّبِ بِالْأَدَبِ الْفُرْقَانِيِّ ، وَتَرْكِ الْمُنَازَعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ . .

٢٠٩ اَلسَّبَبُ السَّابِعُ : عَدَمُ الْمُحَافَظَةِ عَلٰى عُلُوِّ الْجَنَابِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَإِسَاءَةُ اسْتِعْمَالِهِ . .

٢١٢ اَلْوَسِيلَةُ لِدَفْعِ هٰذَا الْمَرَضِ : هُوَ اتِّهَامُ نَفْسِهِ ، وَالْتِزَامُ أَهْلِ مَسْلَكِهِ ، وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ . .

٢١٣ اَللَّمْعَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : فِي «الْإِخْلاصِ» ؛ وَلا بُدَّ أَنْ تُقْرَأَ هٰذِهِ اللَّمْعَةُ كُلَّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً ، مَرَّةً وَاحِدَةً عَلَى الْأَقَلِّ . وَفِيهَا أَرْبَعَةُ دَسَاتِيرَ لِتَحْصِيلِ الْإِخْلاصِ وَحِفْظِهِ ، وَلِدَفْعِ الْمَوَانِعِ . .

٢١٤ اَلدُّسْتُورُ الْأَوَّلُ : بِنَاءُ الْعَمَلِ عَلٰى رِضَاءِ اللّٰهِ تَعَالٰى ؛ وَجَعْلُهُ أَسَاسَ الْمَقْصَدِ . .

٢١٤ اَلدُّسْتُورُ الثَّانِي : تَرْكُ الانْتِقَادِ عَلٰى إِخْوَانِهِ فِي خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَالاجْتِنَابُ عَنِ

التَّفَاخُرِ عَلَيْهِمْ . .
اَلدُّسْتُورُ الثَّالِثُ : مَعْرِفَةُ أَنَّ الْقُوَّةَ كُلَّهَا فِي الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصِ . . ٢١٦
اَلدُّسْتُورُ الرَّابِعُ : تَصَوُّرُ مَزَايَا إِخْوَانِهِ وَسَجَايَاهُمْ فِي نَفْسِهِ ؛ وَالِافْتِخَارُ بِشَرَفِهِمْ . . ٢١٧
اَلسَّبَبُ الْأَوَّلُ : لِتَحْصِيلِ الْإِخْلَاصِ وَحِفْظِهِ ، هُوَ رَابِطَةُ الْمَوْتِ ، وَتَصَوُّرُ فَنَاءِ الدُّنْيَا . . ٢١٨
اَلسَّبَبُ الثَّانِي : كَسْبُ نَوْعٍ مِنَ الْحُضُورِ بِالْإِيمَانِ التَّحْقِيقِيِّ ، وَبِاللَّمَعَاتِ الْوَارِدَةِ عَنِ التَّفَكُّرِ الْإِيمَانِيِّ . . ٢١٩
اَلْمَانِعُ الْأَوَّلُ لِلْإِخْلَاصِ : التَّحَاسُدُ فِي جِهَةِ الْمَنْفَعَةِ الْمَادِّيَّةِ . وَفِيهِ مِثَالَانِ يُقَوِّيَانِ سِرَّ الْإِخْلَاصِ . . ٢١٩
اَلْمَانِعُ الثَّانِي : حُبُّ الْجَاهِ ، وَتَكَبُّرُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، وَتَحْصِيلُ تَوَجُّهِ الْعَامَّةِ . . ٢٢١
بَيَانُ مَسْلَكِ «رِسَالَةِ النُّورِ» : وَهُوَ الْحَقِيقَةُ وَالْأُخُوَّةُ ، لَا الْمَشْيَخَةُ . . ٢٢٢
رِسَالَةٌ فِي فَضَائِلِ كِتَابَةِ «رَسَائِلِ النُّورِ» ، بِدَلَالَةِ حَدِيثَيْنِ عَلَيْهَا . . ٢٢٣
اَللَّمْعَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : ثَلَاثُ إِشَارَاتٍ . . ٢٢٥
اَلْإِشَارَةُ الْأُولَى : سُؤَالٌ مُهِمٌّ فِي حَقِّ «الْمُؤَلِّفِ وَرَسَائِلِ النُّورِ» ؛ وَجَوَابٌ عَلَيْهِ بِعَقْلِيَّةِ السَّعِيدِ الْقَدِيمِ ؛ وَجَوَابُ السَّعِيدِ الْجَدِيدِ ، هُوَ السُّكُوتُ . . ٢٢٦
اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : سُؤَالٌ مُنْتَقِدٌ مِنْ طَرَفِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، عَلَى عُزْلَةِ الْمُؤَلِّفِ وَتَجَنُّبِهِ عَنِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ وَجَوَابُ الْمُؤَلِّفِ عَلَيْهِ . . ٢٢٧
اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : سُؤَالٌ عَلَى وَجْهِ الْمُغَالَطَةِ وَالْجُنُونِ ، مِنْ طَرَفِ بَعْضِ الْحُكَّامِ ، عَنْ رَفْضِ الْمُؤَلِّفِ قَوَانِينَ الْجُمْهُورِيَّةِ تَحْتَ غِطَاءِ الْعُزْلَةِ ؛ وَجَوَابُ الْمُؤَلِّفِ وَرَدُّهُ عَلَيْهِ . . ٢٣٠

٢٣٣ مُعَامَلَةٌ مُوجِبَةٌ لِلْحَيْرَةِ : حَيْثُ لَمْ يَحْتَرِمْ أَهْلُ الْمَعَارِفِ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ، أَيِ الْمُؤَلِّفَ . .

٢٣٤ خَاتِمَةٌ : فِي بَيَانِ حَسَّاسِيَّةِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي أَمْرِ التَّكَبُّرِ . .

٢٣٦ اَللَّمْعَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ : «رِسَالَةُ الطَّبِيعَةِ» . . تَقْتُلُ فِكْرَ كُفْرِ الطَّبِيعَةِ . .

٢٣٦ إِخْطَارٌ : فِي بَيَانِ بَاطِنِ مَذْهَبِ الطَّبِيعِيِّينَ الْمُنْكِرِينَ . .

٢٣٧ إِخْطَارٌ ثَانٍ : فِي بَيَانِ سَبَبِ تَأْلِيفِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ أَوَّلاً بِالْعَرَبِيَّةِ ، ثُمَّ بِالتُّرْكِيَّةِ . .

٢٣٨ مُقَدِّمَةٌ : فِي ثَلاثِ كَلِمَاتٍ تَخْرُجُ عَنْ أَفْوَاهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتُشْعِرُ بِالْإِلْحَادِ . .

٢٣٨ اَلطَّرِيقُ الْأَوَّلُ : هُوَ تَشَكُّلُ الْأَشْيَاءِ بِاجْتِمَاعِ الْأَسْبَابِ . يَذْكُرُ مِنْ مُحَالاٰتِهِ الْكَثِيرَةِ ثَلَاثَةً . .

٢٣٨ اَلْمُحَالُ الْأَوَّلُ : أَنَّ اجْتِمَاعَ الْمَوَادِّ وَالْعَنَاصِرِ بِنَفْسِهَا ، فِي جِسْمِ الْحَيَوَانِ أَوِ النَّبَاتِ ، بِمَوَازِينَ حَسَّاسَةٍ ، وَمَقَايِيسَ مُخْتَلِفَةٍ ، مُسْتَحِيلٌ وَبَاطِلٌ كَاجْتِمَاعِ أَجْزَاءِ الْأَدْوِيَةِ كَذٰلِكَ ، بِسَيَلانِهَا عَنِ الْقَنَانِيِّ بِنَفْسِهَا أَثَرَ عَاصِفَةٍ هَائِجَةٍ ؛ فَإِذاً إِنَّ مَوَادَّ الْحَيَاةِ تُؤْخَذُ بِمِيزَانِ الْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ . .

٢٤٠ اَلْمُحَالُ الثَّانِي : أَنَّ تَدَخُّلَ الْأَسْبَابِ فِي وُجُودِ الْأَشْيَاءِ ، وَاجْتِمَاعَهَا مَعَ تَبَايُنِهَا وَتَضَادِّهَا ، بِكَمَالِ الْاِنْتِظَامِ ، وَالْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ ، وَالْاِتِّفَاقِ التَّامِّ ، فِي جِسْمِ مَخْلُوقٍ صَغِيرٍ كَالذُّبَابِ ، مُحَالٌ ظَاهِرٌ . .

٢٤٠ اَلْمُحَالُ الثَّالِثُ : أَنَّ إِسْنَادَ الْمَوْجُودِ الْوَاحِدِ الْمَوْزُونِ الْمُنْتَظِمِ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ الْجَامِعَةِ ، وَالْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ ، وَالْاِتِّفَاقِ التَّامِّ ، إِلَى أَيْدِي الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ الصُّمِّ الْعُمْيِ ، الْمُخْتَلِطَةِ الْمُعْتَدِيَةِ ، الْجَاهِلَةِ الْجَامِدَةِ ، بِلا حَدٍّ وَلا شُعُورٍ ، بَيْنَ طُرُقِ إِمْكَانَاتٍ لا حَدَّ لَهَا ؛ وَيَزْدَادُ صَمُّهَا وَعَمْيُهَا بِالْاِجْتِمَاعِ وَالْاِخْتِلاطِ ، بَعِيدٌ

عَنِ الْعَقْلِ كَقَبُولِ مِئَةِ مُحَالٍ دَفْعَةً وَاحِدَةً . .

٢٤١ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : هِيَ تَشَكُّلُ الْمَوْجُودَاتِ بِنَفْسِهَا . يَذْكُرُ مِنْ مُحَالَاتِهِ الْكَثِيرَةِ ، ثَلَاثَةً . .

٢٤١ اَلْمُحَالُ الْأَوَّلُ : أَنَّ الذَّرَّاتِ الْعَامِلَةَ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ الشَّبِيهِ بِجِهَازٍ مُنْتَظِمٍ وَمُتَجَدِّدٍ ، وَبِقَصْرٍ مُتَحَوِّلٍ وَمُتَبَدِّلٍ دَائِماً ، الَّتِي لَهَا عَلَاقَةٌ وَمُبَايَعَةٌ مَعَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ وَتَنْظُرُ إِلَى مُنَاسَبَاتِهِ مَعَهَا ، إِذَا لَمْ يُقْبَلْ أَنَّهَا مَأْمُورَاتٌ صِغَارٌ تَتَحَرَّكُ بِقَانُونِ «الْحَكِيمِ الْأَزَلِيِّ» ؛ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ ذَرَّةٍ فِي الْجِسْمِ ، عَيْنٌ تَرَى كُلَّ جَوَانِبِ الْجِسْمِ وَجَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ، وَعَقْلٌ بِقَدَرِ مِئَةِ دَاهِيَةٍ ، يَعْلَمُ مَعَادِنَ أَرْزَاقِهِ وَمَنَابِعَ عَنَاصِرِهِ ؛ وَيَعْرِفُ أَصْلَهُ وَنَسْلَهُ وَمَاضِيَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ . فَإِسْنَادُ عَقْلٍ وَشُعُورٍ بِقَدَرِ عَقْلِ أَلْفِ أَفْلَاطُونَ ، لِذَرَّةٍ لَا عَقْلَ لَهَا ، خُرَافَةٌ ، وَأَلْفُ دَرَجَةٍ مِنَ الْجُنُونِ . .

٢٤٢ اَلْمُحَالُ الثَّانِي : أَنَّ الذَّرَّاتِ الْمُتَسَانِدَةَ بِكَمَالِ الْمُوَازَنَةِ وَالِانْتِظَامِ ، فِي قِبَابِ قَصْرِ الْجِسْمِ الْمُتَجَدِّدِ دَائِماً بِالِانْتِظَامِ ؛ وَإِظْهَارَهَا بِنَايَةً خَارِقَةً ، وَمُعْجِزَاتٍ عَجِيبَةً كَالْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالسَّمْعِ ، مَا عَدَا الْقَلْبَ وَالرُّوحَ وَاللَّطَائِفَ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مَأْمُورَاتٍ تَابِعَةً لِأَمْرِ صَانِعِ هٰذَا الْعَالَمِ ؛ تَكُونُ كُلُّ ذَرَّةٍ فِي الْجِسْمِ حَاكِماً مُطْلَقاً عَلٰى كُلِّ الذَّرَّاتِ ، وَمَحْكُوماً مُطْلَقاً لِكُلٍّ مِنْهَا ، وَمِثْلاً لِكُلٍّ ، وَضِدّاً لَهَا فِي الْحُكْمِ ، وَمُقَيَّدَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَمُطْلَقَةً مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ ، وَمَصْدَراً وَمَنْبَعاً لِأَكْثَرِ الصِّفَاتِ الْمَخْصُوصَةِ بِالْوَاجِبِ الْوُجُودِ . .

٢٤٢ اَلْمُحَالُ الثَّالِثُ : أَنَّ الْجِسْمَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَكْتُوباً بِقَلَمِ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ ؛ وَكَانَ مَطْبُوعاً وَمَنْسُوباً إِلَى الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ تُوجَدَ قَوَالِبُ عَدَدَ آلَافِ مُرَكَّبَاتٍ شَبِيهَةٍ بِدَوَائِرَ مُتَدَاخِلَةٍ ، مِنْ خَلَايَا الْيَدِ ، إِلٰى آلَافِ مُرَكَّبَاتِ الْبَدَنِ ؛

وَيَلْزَمُ لِصُنْعِ تِلْكَ الْقَوَالِبِ ، قَوَالِبُ مَصْنُوعَةٌ مُنْتَظِمَةٌ أُخْرٰى ؛ وَهٰكَذَا تَتَسَلْسَلُ إِلٰى مَا لَا نِهَايَةَ لَهَا . .

٢٤٣ اَلْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ : «اقْتَضَتْهُ الطَّبِيعَةُ» . وَلِهٰذَا الْحُكْمِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَالِ ؛ يَذْكُرُ ثَلَاثَةً مِنْهَا . .

٢٤٣ اَلْمُحَالُ الْأَوَّلُ : أَنَّ الْإِيجَادَ الْحَكِيمَ وَالصُّنْعَ الْبَصِيرَ الْمَشْهُودَيْنِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، لَاسِيَّمَا فِي ذَوِي الْحَيَاةِ ، إِذَا لَمْ يُسْنَدَا إِلٰى قَلَمِ الْقَدَرِ وَالْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ بَلْ أُسْنِدَا إِلَى الْقُوَّةِ وَالطَّبِيعَةِ الْعَمْيَاءِ وَالصَّمَّاءِ ، الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا ؛ يَلْزَمُ أَنْ تَضَعَ الطَّبِيعَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، أَجْهِزَةً وَمَطَابِعَ مَعْنَوِيَّةً بِلَا حَدٍّ ؛ أَوْ تُدْرِجَ فِيهِ قُدْرَةً تَخْلُقُ الْكَائِنَاتِ ، وَحِكْمَةً تُدِيرُ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَأَنْ يُقْبَلَ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ ، لَاسِيَّمَا فِي كُلِّ حَيٍّ ، قُوَّةٌ وَطَبِيعَةٌ حَامِلَتَانِ لِقُدْرَةٍ وَإِرَادَةٍ بِلَا حَدٍّ ، وَلِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، كَأَنْ يُقْبَلَ فِيهِ إِلٰهٌ . .

٢٤٤ اَلْمُحَالُ الثَّانِي : أَنَّ هٰذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْحَكِيمَةَ الْمُصَنَّعَةَ ، الْمَوْزُونَةَ الْمُنْتَظِمَةَ ، إِنْ لَمْ تُسْنَدْ إِلٰى حَكِيمٍ قَدِيرٍ بِلَا نِهَايَةٍ ؛ بَلْ أُسْنِدَتْ إِلَى الطَّبِيعَةِ ؛ يَلْزَمُ أَنْ تُنْشِئَ الطَّبِيعَةُ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنَ التُّرَابِ ، أَجْهِزَةً وَمَطَابِعَ عَدَدَ مَطَابِعِ أُورُوبَّا وَمَصَانِعِهَا ، فِي مِقْيَاسٍ صَغِيرٍ ، حَتّٰى يَصِيرَ ذٰلِكَ الْجُزْءُ مِنَ التُّرَابِ وَسِيلَةً لِتَشْكِيلِ أَزْهَارٍ بِلَا حَدٍّ ، وَلِنُضْجِ أَثْمَارٍ بِلَا نِهَايَةٍ . .

٢٤٥ سُؤَالٌ : كَيْفَ تَرْتَفِعُ تِلْكَ الْمَشَاكِلُ وَالْمُحَالَاتُ ، إِذَا أُسْنِدَتِ الْمَوْجُودَاتُ إِلَى «الْأَحَدِ الصَّمَدِ» ؟ .

٢٤٥ اَلْجَوَابُ : تَرْتَفِعُ بِالِانْتِسَابِ إِلَيْهِ ، وَبِانْعِكَاسِ جَلْوَةِ قُدْرَتِهِ فِيهَا بِسُهُولَةٍ ، كَانْتِسَابِ مُجَنَّدٍ إِلَى السُّلْطَانِ وَإِمْدَادِهِ لَهُ بِالْجَيْشِ وَالْمُعِدَّاتِ ، بِيُسْرٍ . .

٢٤٧ اَلْمُحَالُ الثَّالِثُ : يُذْكَرُ لِإِيضَاحِهِ مِثَالَانِ . .

٢٤٧ اَلْمِثَالُ الْأَوَّلُ : يَدْخُلُ رَجُلٌ وَحْشِيٌّ ، قَصْراً مُزَيَّناً ، فِيهِ أَشْيَاءٌ مُنَظَّمَةٌ ؛ وَلَا يَرٰى صَانِعَهَا ؛ فَيَبْحَثُ عَنْهُ فِي دَاخِلِ الْقَصْرِ ؛ فَلَا يَجِدُ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ صَانِعاً ؛ ثُمَّ يُصَادِفُ كِتَاباً فِيهِ مَنْهَجُ الْقَصْرِ ، وَفِهْرِسُ الْأَشْيَاءِ ، وَقَوَانِينُ التَّدْبِيرِ ؛ فَيَظُنُّ ذٰلِكَ الْكِتَابَ بَانِيَ الْقَصْرِ ، وَنَاظِمَ الْأَشْيَاءِ . كَذٰلِكَ الطَّبِيعِيُّ الْوَحْشِيُّ الْمُنْكِرُ ، لَا يَرٰى صَانِعَ قَصْرِ هٰذَا الْعَالَمِ ؛ وَلَا يَعْرِفُهُ ؛ فَيَظُنُّ مِنْ وَحْشَتِهِ ، مَجْمُوعَةَ قَوَانِينِ عَادَاتِ اللهِ تَعَالٰى ، وَفِهْرِسَ صَنْعَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ ، ذٰلِكَ اللَّوْحَ الْمَعْرُوضَ لِلْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ فِي دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ ، الْمُسَمّٰى بِالطَّبِيعَةِ خَطَأً ، صَانِعاً لِهٰذَا الْعَالَمِ الْخَارِقِ . .

٢٤٨ اَلْمِثَالُ الثَّانِي : يَدْخُلُ إِنْسَانٌ وَحْشِيٌّ ، مُعَسْكَراً مُحْتَشِماً ؛ فَيَرٰى أَنْوَاعَ تَدْرِيبِ الْجَيْشِ ، وَحَرَكَاتِهِ الْمُنْتَظِمَةَ ؛ فَلَا يَعْرِفُ أَنَّ ذٰلِكَ يَجْرِي بِنِظَامِ الدَّوْلَةِ ، وَقَانُونِ السُّلْطَانِ ؛ فَيَتَخَيَّلُ أَنَّ الْجُنُودَ مَرْبُوطُونَ بِالْحِبَالِ ؛ فَيَتَحَيَّرُ مِنْ ذٰلِكَ ؛ ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَدْخُلُ جَامِعاً عَظِيماً مِثْلَ «آيَا صُوفِيَا» يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ وَيَرٰى جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ يَقُومُونَ وَيَرْكَعُونَ وَيَسْجُدُونَ وَيَجْلِسُونَ بِصَوْتِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ فَلَا يَعْرِفُ الشَّرِيعَةَ الَّتِي هِيَ مَجْمُوعَةُ الْقَوَانِينِ الْمَعْنَوِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ ؛ فَيَتَخَيَّلُ أَنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ مَعْقُودَةٌ بِحِبَالٍ مَادِّيَّةٍ . كَذٰلِكَ يَدْخُلُ الْمُنْكِرُ الطَّبِيعِيُّ هٰذَا الْكَوْنَ ، مُعَسْكَرَ جُنُودِ سُلْطَانِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ ، وَمَسْجِدَ عِبَادِ ذٰلِكَ الْمَعْبُودِ الْأَزَلِيِّ ؛ فَلَا يَعْرِفُ الصَّانِعَ ؛ فَيَتَصَوَّرُ قَوَانِينَ نِظَامِ الْكَوْنِ ، وَأَحْكَامَ سَلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَدَسَاتِيرَ الشَّرِيعَةِ الْفِطْرِيَّةِ ؛ وَيَظُنُّهَا مَوْجُودَاتٍ خَارِجِيَّةً ، وَمَوَادَّ مَادِّيَّةً ؛ فَيُقِيمُ تِلْكَ الْقَوَانِينَ الْعِلْمِيَّةَ ، مُقَامَ الْقُدْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ؛ وَيُسْنِدُ إِلَيْهَا الْإِيجَادَ ؛ ثُمَّ يُسَمِّيهَا بِالطَّبِيعَةِ ؛ وَيَظُنُّ الْقُوَّةَ النَّاشِئَةَ عَنِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، صَاحِبَ قُدْرَةٍ ، وَقَدِيراً مُسْتَقِلّاً . .

٢٥٢ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ مُهِمَّانِ . .

٢٥٢ جَوَابٌ عَلٰى شُبْهَةِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي آمَنَ وَتَرَكَ الطَّبِيعَةَ . .

٢٥٤ خَاتِمَةٌ فِي الْإِجَابَةِ عَلىٰ بَعْضِ أَسْئِلَةِ تَارِكِ فِكْرِ الطَّبِيعَةِ . .

٢٥٤ جَوَابُ سُؤَالِهِ الْأَوَّلِ فِي حَقِّ تَرْكِ الصَّلاةِ ، وَتَهْدِيدِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ عَلَيْهِ . .

٢٥٦ جَوَابُ سُؤَالِهِ الثَّانِي بِأَنَّ إِسْنَادَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَكُلِّ شَأْنٍ ، وَكُلِّ حَالٍ ، إِلَى الْمَشِيئَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، حَقِيقَةٌ عَظِيمَةٌ لا تَسَعُهَا الْأَذْهَانُ الضَّيِّقَةُ . .

٢٥٨ اَلسُّؤَالُ الثَّالِثُ : فِيمَا يَقُولُهُ الْفَلاسِفَةُ : إِنَّهُ لا يُعْدَمُ شَيْءٌ ؛ وَلا يُحْدَثُ عَنِ الْعَدَمِ . وَجَوَابُهُ : بِأَنَّ الْإِيجَادَ قِسْمَانِ : إِبْدَاعٌ وَإِنْشَاءٌ ؛ وَأَنَّ إِيجَادَ الْمَعْدُومِ ، وَإِعْدَامَ الْمَوْجُودِ ، قَانُونٌ أَسْهَلُ ، بَلْ دَائِمٌ . .

٢٦١ اَللَّمْعَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ : فِي حَقِّ التَّسَتُّرِ ؛ تُفَسِّرُ آيَةَ : ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا . وَتُبَيِّنُ أَرْبَعَ حِكَمٍ مِنْ حِكَمِهَا الْكَثِيرَةِ . .

٢٦٢ اَلْحِكْمَةُ الْأُولَى : أَنَّ فِطْرَةَ النِّسَاءِ ـ مَا لَمْ تَتَفَسَّخْ ، أَوْ لَمْ تَتَفَحَّشْ ـ تَقْتَضِي الْحِجَابَ وَالتَّسَتُّرَ ، لِضَعْفِهَا وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى زَوْجِهَا ؛ وَتُحَبِّبُهَا إِلَيْهِ بِدُونِ تُهْمَةٍ ؛ لِيَحْفَظَهَا وَمَنْ تُحِبُّهُمْ مِنْ أَوْلادِهَا . .

٢٦٣ اَلْحِكْمَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْمُنَاسَبَةَ وَالْمَحَبَّةَ وَالْعَلاقَةَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، لا تَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَطْ ؛ بَلْ تَدُومُ فِي الْآخِرَةِ أَيْضاً ؛ فَتَقْتَضِي الْحِجَابَ لِتَحْصُرَ مَحَاسِنَهَا عَلَى رَفِيقِهَا الْأَبَدِيِّ ، بِلا خِيَانَةٍ . .

٢٦٤ اَلْحِكْمَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ سَعَادَةَ الْأُسْرَةِ تَقُومُ عَلَى الْحُبِّ الْخَالِصِ ، وَالِاحْتِرَامِ الصَّمِيمِ ، وَالْأَمْنِ الْمُتَقَابِلِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ؛ مَعَ أَنَّ الْعُرْيَةَ وَالْخَلاعَةَ وَالتَّبَرُّجَ ، تَنْقُضُ ذٰلِكَ الْحُبَّ وَالِاحْتِرَامَ ؛ وَتُفْسِدُ الْأَمْنَ بَيْنَهُمَا . .

٢٦٥ اَلْحِكْمَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ كَثْرَةَ التَّنَاسُلِ مَطْلُوبَةٌ لَدَى كُلِّ مِلَّةٍ وَحُكُومَةٍ ؛ مَعَ أَنَّ رَفْعَ

الْحِجَابِ لا يُكْثِرُ الازْدِوَاجَ ؛ بَلْ يُقَلِّلُهُ ؛ إِذْ أَيُّ شَابٍّ سَفِيهٍ ، لا يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَتُهُ عَارِيَةً غَيْرَ عَفِيفَةٍ . .

٢٦٧ مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ : تَدُلُّ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّ أَشَدَّ الْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، تَكُونُ بِسَبَبِ النِّسَاءِ . .

٢٦٨ مُحَاوَرَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ مَعَ أَخَوَاتِهِ الْأُخْرَوِيَّاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ، بِمُنَاسَبَةِ عَلاقَتِهِنَّ «بِرِسَالَةِ النُّورِ» ، بِسَبَبِ مَا فِي فِطْرَتِهِنَّ مِنَ الشَّفَقَةِ ، الَّتِي هِيَ أَسَاسٌ مُهِمٌّ مِنَ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ «لِرِسَالَةِ النُّورِ» . .

٢٦٩ اَلنُّكْتَةُ الْأُولَى : تَبَيِّنُ بُطُولَةَ النِّسَاءِ فِي الشَّفَقَةِ وَالْفِدَاءِ ، لاسِيَّمَا لِأَوْلادِهِنَّ . .

٢٧١ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : تُبَيِّنُ أَنَّ بَعْضَ جَمْعِيَّاتٍ مُفْسِدَةٍ تَعْمَلُ تَحْتَ الْغِطَاءِ لِإِضْلالِ الطَّائِفَةِ الْغَافِلَةِ مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَأَنَّ الْوَسِيلَةَ لِإِنْقَاذِ سَعَادَةِ دُنْيَاهُنَّ كَآخِرَتِهِنَّ ، لَيْسَتْ إِلّا تَرْبِيَةُ الْإِسْلامِ . .

٢٧٤ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : أَثْبَتَتْ «رَسَائِلُ النُّورِ» بِالدَّلائِلِ وَالتَّجَارِبِ : أَنَّ فِي الْأَذْوَاقِ الْمُحَرَّمَةِ آلاماً كَثِيرَةً ؛ وَأَنَّ اللَّذَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ ، إِنَّمَا هِيَ فِي دَائِرَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَأَنَّ فِي الْإِيمَانِ نَوَاةَ الْجَنَّةِ ؛ وَفِي الضَّلالِ نَوَاةَ جَهَنَّمَ . .

٢٧٦ اَللَّمْعَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ : خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دَوَاءً . .

٢٧٧ اَلدَّوَاءُ الْأَوَّلُ لِلْمَرِيضِ الْبَائِسِ : الصَّبْرُ ، وَتَرْكُ الْحُزْنِ . .

٢٧٧ اَلدَّوَاءُ الثَّانِي لِلْمَرِيضِ الْجَزُوعِ : الصَّبْرُ ، بَلِ الشُّكْرُ . .

٢٧٨ اَلدَّوَاءُ الثَّالِثُ لِلْمَرِيضِ الضَّجُورِ : تَصَوُّرُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَزَوَالِهَا ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْقَبْرِ وَمَا بَعْدَهُ . .

٢٧٨ اَلدَّوَاءُ الرَّابِعُ : أَنَّ حَقَّ الْمَرِيضِ الْمُشْتَكِي ، الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ ، لَا الشَّكْوَى ؛ لِأَنَّ

جِسْمَهُ لَيْسَ مُلْكَهُ . .

٢٧٩ اَلدَّوَاءُ الْخَامِسُ : أَنَّ الْمَرَضَ إِحْسَانٌ إِلٰهِيٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ؛ لِأَنَّهُ يُوقِظُهُ عَنِ الْغَفْلَةِ . .

٢٨٠ اَلدَّوَاءُ السَّادِسُ : أَنَّ زَوَالَ الْأَلَمِ لَذَّةٌ ؛ وَفِي زَوَالِ اللَّذَّةِ أَلَمٌ . .

٢٨٠ اَلدَّوَاءُ السَّادِسُ أَيْضاً : أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ حُبِّ الدُّنْيَا ، قَبْلَ أَنْ تَطْرُدَ الْإِنْسَانَ عَنْهَا . .

٢٨١ اَلدَّوَاءُ السَّابِعُ : أَنَّ تَبَدُّلَ الصِّحَّةِ بِالْمَرَضِ ، يُذِيقُ الصِّحَّةَ وَيَزِيدُهَا ؛ وَيَسُوقُ إِلَى الشُّكْرِ . .

٢٨٢ اَلدَّوَاءُ الثَّامِنُ : أَنَّ الْمَرَضَ يَغْسِلُ الذُّنُوبَ وَيُنَظِّفُهَا ؛ لِأَنَّ الذُّنُوبَ أَمْرَاضٌ دَائِمَةٌ فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ . .

٢٨٣ اَلدَّوَاءُ التَّاسِعُ: أَنَّ الْخَوْفَ وَالتَّوَحُّشَ عَنِ الْمَرَضِ ، لِكَوْنِهِ وَسِيلَةَ الْمَوْتِ ؛ وَالْمَوْتُ هَائِلٌ فِي نَظَرِ الْغَفْلَةِ . وَلٰكِنَّ الْمَوْتَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، تَسْرِيحٌ عَنْ كُلْفَةِ الْحَيَاةِ ، وَتَعْطِيلٌ عَنْ خِدْمَةِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَوُصُولٌ إِلٰى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ مِنَ الْأَحْبَابِ وَالْأَقَارِبِ الَّذِينَ ارْتَحَلُوا إِلٰى عَالَمِ الْآخِرَةِ . .

٢٨٣ اَلدَّوَاءُ الْعَاشِرُ : أَنَّ الْحُزْنَ مِنْ ثِقَلِ الْمَرَضِ يُثْقِلُ الْمَرَضَ ؛ وَتَرْكَ الْحُزْنِ يُخَفِّفُ الْمَرَضَ . .

٢٨٤ اَلدَّوَاءُ الْحَادِيَ عَشَرَ : أَنَّ الْمَرَضَ يُورِثُكَ لَذَّةً رُوحِيَّةً فِي ثَوَابِهِ ، وَلَذَّةً مَعْنَوِيَّةً فِي زَوَالِهِ ، مَعَ أَلَمٍ خَفِيفٍ حَاضِرٍ . .

٢٨٥ اَلدَّوَاءُ الثَّانِيَ عَشَرَ : أَنَّ الْمُؤْمِنَ التَّقِيَّ يَفُوزُ بِثَوَابِ أَوْرَادِهِ وَنَوَافِلِهِ الَّتِي يَتْرُكُهَا بِسَبَبِ الْمَرَضِ ؛ وَتَقُومُ الْفَرَائِضُ مَقَامَهَا ؛ وَيَصِيرُ الضَّعْفُ وَالْعَجْزُ لِسَانَ الدُّعَاءِ حَالاً وَقَالاً . .

٢٨٥ اَلدَّوَاءُ الثَّالِثَ عَشَرَ : أَنَّ الْمَرَضَ دَفِينَةٌ مُهِمَّةٌ ، وَهَدِيَّةٌ إِلٰهِيَّةٌ قَيِّمَةٌ لِبَعْضِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَعِدُّ لِلْآخِرَةِ ؛ وَيَفُوزُ فِي عِشْرِينَ يَوْماً مِنَ الْمَرَضِ ، بِمَرْتَبَةٍ لَا يَفُوزُ بِهَا فِي عِشْرِينَ عَاماً . .

٢٨٦ اَلدَّوَاءُ الرَّابِعَ عَشَرَ : أَنَّ تَحْتَ الْحَائِلِ النَّازِلِ عَلٰى بَصَرِ الْمُؤْمِنِ ، نُوراً وَبَصَراً مَعْنَوِيّاً ، لَوْ عَلِمَهُ الْمُؤْمِنُ ؛ لَشَكَرَ «رَبَّهُ الرَّحِيمَ» مِئَةَ أَلْفِ شُكْرٍ . .

٢٨٧ اَلدَّوَاءُ الْخَامِسَ عَشَرَ : أَنَّ الْمَرَضَ لَوْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً حَسَناً ؛ لَمَا أَعْطَاهُ «الْخَالِقُ الرَّحِيمُ» ، أَحَبَّ عِبَادِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَعَلٰى مُقَدِّمَتِهِمْ أَيُّوبُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . .

٢٨٨ اَلدَّوَاءُ السَّادِسَ عَشَرَ : أَنَّ الْمَرَضَ يُلَقِّنُ الْإِنْسَانَ ، الرَّحْمَةَ وَالِاحْتِرَامَ ، اللَّذَيْنِ هُمَا أَهَمُّ الْخَصَائِلِ وَأَجْمَلُهَا فِي الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ . .

٢٨٩ اَلدَّوَاءُ السَّابِعَ عَشَرَ : أَنَّ الْمَرَضَ يَفْتَحُ بَابَ أَخْلَصِ الْخَيْرَاتِ ؛ وَيَكُونُ أَهَمَّ وَسِيلَةٍ لِقَبُولِ الدَّعَوَاتِ ؛ وَيُحَصِّلُ الثَّوَابَ لِلْمَرِيضِ ، وَلِمَنْ يَخْدُمُونَهُ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالٰى . .

٢٩٠ اَلدَّوَاءُ الثَّامِنَ عَشَرَ : لَا بُدَّ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَنْظُرَ إِلٰى مَنْ فَوْقَهُ فِي الْمُصِيبَةِ ، حَتّٰى يَشْكُرَ لِلّٰهِ . .

٢٩١ اَلدَّوَاءُ التَّاسِعَ عَشَرَ : أَنَّ الْحَيَاةَ أَجْمَلُ الْمَرَايَا لِلْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ؛ فَمَا يُصِيبُهَا مِنَ الْمَصَائِبِ جَمِيلَةٌ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهَا تُظْهِرُ نُقُوشَ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنٰى ؛ وَإِذَا دَامَتْ صِحَّةُ الْحَيَاةِ ؛ تَكُونُ مِرْآةً نَاقِصَةً . .

٢٩٣ اَلدَّوَاءُ الْعِشْرُونَ : أَنَّ الْمَرَضَ قِسْمَانِ : حَقِيقِيٌّ وَوَهْمِيٌّ . فَالْحَقِيقِيُّ يُوجَدُ لَهُ دَوَاءٌ ، لِأَنَّ «الشَّافِيَ الْحَكِيمَ» خَلَقَ لِكُلِّ دَاءٍ ، دَوَاءً ؛ وَأَمَّا الْوَهْمِيُّ فَعِلَاجُهُ الْمُؤَثِّرُ ، هُوَ عَدَمُ الِاهْتِمَامِ بِهِ . .

٢٩٣ اَلدَّوَاءُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ : أَنَّ الْمَرَضَ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ أَلَمٌ مَادِّيٌّ ؛ لٰكِنْ تُحِيطُ

بِالْمَرِيضِ لَذَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ تَنْشَأُ عَنْ شَفَقَةِ أَقْرِبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ ؛ وَتُزِيلُ تَأْثِيرَ ذٰلِكَ الْأَلَمِ الْمَادِّيِّ . .

٢٩٤ اَلدَّوَاءُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : أَنَّ مَرَضَ الشَّلَلِ يُعَدُّ مَرَضاً مُبَارَكاً لِلْمُؤْمِنِ ؛ وَلَهُ سِرٌّ مَعْنَوِيٌّ يَصِيرُ فِي دَرَجَةِ مُجَاهَدَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَرِيَاضَاتِهِمْ . .

٢٩٥ اَلدَّوَاءُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّ الْمَرَضَ مَعَ الْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ ، إِذَا رَقَّتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْقَاسِيَةُ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَجْذِبُ نَظَرَ رَحْمَةِ «الْخَالِقِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» . .

٢٩٥ اَلدَّوَاءُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّ أَمَامَ الْمُمَرِّضِينَ تِجَارَةً أُخْرَوِيَّةً ، فِي خِدْمَتِهِمْ لِلْمَرْضٰى . .

٢٩٦ اَلدَّوَاءُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّ الْمَرْضَى الَّذِينَ يُرِيدُونَ التِّرْيَاقَ النَّافِعَ ، وَالدَّوَاءَ النَّاجِعَ ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَزِيدُوا فِي انْكِشَافِ إِيمَانِهِمْ ، بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ ، وَالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ . .

٢٩٨ اَللَّمْعَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ : فِي حَقِّ الشَّيْبِ . وَهِيَ جَامِعَةٌ لِسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ رَجَاءً وَضِيَاءً ؛ وَلَمْ يُؤَلَّفْ مِنْ طَرَفِ الْمُؤَلِّفِ ، إِلَّا سِتَّةَ عَشَرَ رَجَاءً . .

٢٩٩ اَلرَّجَاءُ الْأَوَّلُ : يُخَاطِبُ الْمُؤَلِّفُ ، الْإِخْوَةَ وَالْأَخَوَاتِ الشَّيْبَ ، بِأَنَّ مَا وَجَدَهُ مِنْ أَبْوَابِ الرَّجَاءِ ؛ وَمَا رَآهُ مِنَ الضِّيَاءِ حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ ، سَيُلَمِّعُهُ اسْتِعْدَادَاتُهُمُ الصَّافِيَةُ . .

٣٠٠ اَلرَّجَاءُ الثَّانِي : هُوَ تَجَلِّي الرَّحْمَةِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي تُحَوِّلُ الْحُزْنَ وَالْفِرَاقَ ، إِلٰى نُورِ الرَّجَاءِ وَالتَّسَلِّي . .

٣٠٠ اَلرَّجَاءُ الثَّالِثُ : هُوَ انْكِشَافُ نُورِ النَّبِيِّ (عليه الصلاة والسلام) ، وَشَفَاعَتُهُ ، وَهَدِيَّةُ هِدَايَتِهِ الَّتِي تَصِيرُ تِرْيَاقاً نَاجِعاً لِدَاءٍ يُظَنُّ بِلَا دَوَاءٍ ؛ وَتُحَوِّلُ الْيَأْسَ الْمُظْلِمَ إِلَى الرَّجَاءِ الْمُضِيءِ . .

٣٠٢ اَلرَّجَاءُ الرَّابِعُ : هُوَ «إِمْدَادُ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ» ، وَفَتْحُهُ بَابَ الرَّجَاءِ الَّذِي يُزِيلُ الْيَأْسَ الْمُضَاعَفَ ، وَإِعْطَاؤُهُ ضِيَاءَ التَّسَلِّي الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يُفَرِّقُ الظُّلُمَاتِ الْمُتَكَاثِفَةَ . .

٣٠٣ اَلرَّجَاءُ الْخَامِسُ : هُوَ «إِمْدَادُ نُورِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ» ، وَإِعْطَاؤُهُ نُوراً لَا يَنْطَفِئُ ، وَرَجَاءً لَا يَنْقَطِعُ . .

٣٠٥ اَلرَّجَاءُ السَّادِسُ : هُوَ «إِمْدَادُ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى» ، وَإِعْطَاؤُهُ أُنْساً يَكْفِي لِلْوَحْشَةِ الْمُتَضَاعِفَةِ . .

٣٠٧ اَلرَّجَاءُ السَّابِعُ : هُوَ «إِمْدَادُ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ» الْمُتَلَأْلِئَةِ فِي سَمَاءِ الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْبَيَانِ ، وَتَنْوِيرُهَا لِلْجِهَاتِ السِّتِّ الْمُظْلِمَةِ بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ ، وَتَحْوِيلُهَا الْأَهْوَالَ وَالْوَحْشَةَ إِلَى الْأُنْسِ وَالتَّسَلِّي . .

٣١٠ اَلرَّجَاءُ الثَّامِنُ : الْبَشَائِرُ السَّمَاوِيَّةُ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَى آخِرِهَا ، الَّتِي تُنْتِجُ النُّورَ وَالرَّجَاءَ وَالتَّسَلِّيَ ، بَدَلاً عَنِ الْوَحْشَةِ وَالدَّهْشَةِ وَالْيَأْسِ . .

٣١٤ اَلرَّجَاءُ التَّاسِعُ : هُوَ «إِمْدَادُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» بِآيَةِ : ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الَّتِي تَجْعَلُ الْعَجْزَ وَالضَّعْفَ شَفِيعاً ، وَوَسِيلَةً عَظِيمَةً بِبَابِهِ تَعَالَى . .

٣١٨ اَلرَّجَاءُ الْعَاشِرُ : هُوَ انْقِلَابُ حَالَةِ الْحُزْنِ بِحَالَةِ السُّرُورِ ، بِنُورِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَبِإِرْشَادِ حَضْرَةِ الْغَوْثِ الْأَعْظَمِ الشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ . .

٣٢١ اَلرَّجَاءُ الْحَادِي عَشَرَ : هُوَ «إِمْدَادُ الْحِكْمَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ» ، لِلْمُؤَلِّفِ ، بِرَحْمَةِ اللهِ وَكَرَمِهِ تَعَالَى ، وَتَطْهِيرُهَا لِأَوْسَاخِ الْمَسَائِلِ الْفَلْسَفِيَّةِ الْعَائِقَةِ عَنِ الرُّقِيِّ الْمَعْنَوِيِّ . .

٣٢٧ اَلرَّجَاءُ الثَّانِي عَشَرَ : هُوَ انْكِشَافُ سِرِّ آيَةِ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ، الْقُدُسِيَّةِ . .

٣٣٣ اَلرَّجَاءُ الثَّالِثَ عَشَرَ : هُوَ تَجَلِّي حَقِيقَةِ آيَةِ : ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِلٰى آخِرِهَا . .

٣٤١ اَلرَّجَاءُ الرَّابِعَ عَشَرَ : هُوَ خُلَاصَةُ الرِّسَالَةِ الْحَسْبِيَّةِ بِسِتِّ مَرَاتِبَ ، كُلٌّ مِنْهَا رَجَاءٌ بِحِدَتِهَا . .

٣٤٧ اَلرَّجَاءُ الْخَامِسَ عَشَرَ : هُوَ انْكِشَافُ حَقِيقَةٍ مُسَلِّيَةٍ ، فِي قَلْبِ الْمُؤَلِّفِ ، بِعِنَايَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى . .

٣٥٥ اَلرَّجَاءُ السَّادِسَ عَشَرَ : إِدْرَاكُ الْعِنَايَةِ الْإِلٰهِيَّةِ إِلٰى إِمْدَادِ مُؤَلِّفِ «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَطَلَبَتِهَا ، بِانْكِشَافِ خِدْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ ، فِي دَاخِلِ السِّجْنِ وَخَارِجِهِ ، وَفِي الدَّوَائِرِ الرَّسْمِيَّةِ ، وَاتِّسَاعِ دَائِرَةِ النُّورِ . وَسَائِرُ أَبْوَابِ الرَّجَاءِ لَمْ يُؤَلَّفْ مِنْ طَرَفِ الْمُؤَلِّفِ (رضي الله عنه) . .

٣٦٣ اَللَّمْعَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ : بَعْضُ فِقْرَاتٍ لِتَسْلِيَةِ تَلَامِذَةِ «رَسَائِلِ النُّورِ» ، حِينَمَا كَانُوا فِي سِجْنِ مَدِينَةِ (أَسْكِيشَهِرَ) . .

٣٦٣ مُحَاوَرَةٌ لَطِيفَةٌ مَعَ سُلَيْمَانَ رُشْدِيٍّ ، فِي حَقِّ الذُّبَابِ ، وَبَيَانِ أَنَّهَا لَيْسَتْ نَاقِلَةَ الْجَرَاثِيمِ ؛ بَلْ هِيَ جِهَازٌ لِاسْتِحَالَةِ أَنْوَاعِ السُّمُومِ وَالْمَوَادِّ الضَّارَّةِ ؛ وَلَمْ تَكْشِفِ الْحِكْمَةُ الْبَشَرِيَّةُ عَنْ سِرِّهَا بَعْدُ . .

٣٦٨ فِقْرَةٌ فِي بَيَانِ سِرِّ تَعَدُّدِ الْكَلِمَاتِ فِي عُنْصُرِ الْهَوَاءِ الَّذِي هُوَ عَرْشُ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَبَيَانِ تَأْثِيرِ حُرُوفِ الْقُرْآنِ الْقُدُسِيَّةِ ، لَاسِيَّمَا الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ ، وَتَأْثِيرِ قِرَاءَتِهَا حَتّٰى نُقُوشِهَا ، لِلْأَمْرَاضِ وَالْمَطَالِبِ . .

٣٧١ فِقْرَةٌ تُفَسِّرُ آيَةَ : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ . .

٣٧٤ فِقْرَةٌ تُفَسِّرُ آيَةَ : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ؛ وَتُبَيِّنُ سِرَّ عُلُوِّ جِهَةِ النِّعْمَةِ فِي

الْحَدِيدِ ، وَتَرْجِيحِ الْإِنْزَالِ عَلَى الْإِخْرَاجِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ . .

فِقْرَةٌ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ : ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، وَبَيَانِ سِرِّ تَرْجِيحِ هٰذِهِ الصِّفَةِ عَلٰى سَائِرِ الصِّفَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ . . ٣٧٦

فِقْرَةٌ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ، وَبَيَانِ سِرِّ إِنْزَالِهَا كَالْحَدِيدِ . . ٣٧٧

تَسْلِيَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِطَلَبَةِ «رِسَالَةِ النُّورِ» الَّذِينَ كَانُوا فِي سِجْنِ (أَسْكِيشَهِرَ) . . ٣٨٠

دُسْتُورٌ فِي بَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الِانْتِسَابِ إِلَى «رِسَالَةِ النُّورِ» ، وَأَنَّهَا تُبَيِّنُ مَشْرَبَ الصَّحَابَةِ (رِضْوَانُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ) . . ٣٨٠

فِقْرَةٌ فِي الدِّفَاعِ عَنْ «رِسَالَةِ النُّورِ» وَتَلَامِذَتِهَا . . ٣٨٢

جُزْءٌ مِنْ دِفَاعَاتٍ أَمَامَ الْمَحْكَمَةِ ، وَبَيَانُ لُزُومِ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الْحُكُومَةِ وَالْعُلَمَاءِ . . ٣٨٢

بَعْضُ فِقْرَاتٍ لِلْمُؤَلِّفِ يُخَاطِبُ إِخْوَانَهُ الْمَسْجُونِينَ مَعَهُ ، إِرْشَاداً وَتَسْلِيَةً لَهُمْ . . ٣٨٣

حِكَايَةٌ نَقَلَهَا الشَّيْخُ سَعْدِيٌّ الشِّيرَازِيُّ ، فِي تَرْجِيحِ عُلُومِ الْإِيمَانِ ، عَلَى الْأَوْرَادِ وَالرِّيَاضَةِ . . ٣٨٧

حِكَايَتَانِ صَغِيرَتَانِ فِي أَهَمِّيَّةِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ ، وَفِي تَأَلُّمِ الْمُؤَلِّفِ أَضْعَافَ تَأَلُّمِ إِخْوَتِهِ الْمَسْجُونِينَ . . ٣٨٨

اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : فِي بَيَانِ وُجُودِ الْمُكَافَأَةِ الْعَاجِلَةِ فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، وَوُجُودِ الْمُجَازَاةِ الْعَاجِلَةِ فِي الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ . . ٣٩٠

اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : فِي بَيَانِ ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ إِلٰى آخِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ . . ٣٩١

فِقْرَةٌ فِي تَفْسِيرِ كَلِمَةِ : ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝﴾ ، وَبَيَانِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ مِنَ النَّوْمِ . . ٣٩٣

٣٩٤ فِقْرَةٌ جَمِيلَةٌ فِي سِرِّ جُمْلَتَيْ : (أَلْفُ أَلْفِ صَلاةٍ ، وَأَلْفُ أَلْفِ سَلامٍ ، عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ !) . .

٣٩٥ إِيضَاحٌ فِي حَقِّ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ؛ وَبَيَانُ ثَلاثَةِ وُجُوهٍ مِنْ أَضْرَارِهَا . .

٣٩٧ جَوَابٌ عَلَى سُؤَالٍ عَنْ أَفْكَارِ شَيْخَيْنِ مِنْ شُيُوخِ الإِسْلامِ الْعُثْمَانِيِّينَ ؛ وَبَيَانُ إِفْرَاطِ أَحَدِهِمَا وَتَفْرِيطِ الآخَرِ . .

٣٩٨ اِنْكِشَافُ كَيْفِيَّةٍ لِلْمُؤَلِّفِ ، فِي مُسْتَقْبَلِ الْبَشَرِ الْمُنْهَمِكِينَ فِي أَهْوَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ . .

٣٩٩ نُكْتَةٌ لآيَةِ : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ، وَلِحَدِيثِ : ﴿أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ﴾ . .

٤٠٠ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ فِي تَفْسِيرِ كَلِمَةِ : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ؛ وَبَيَانِ سِرِّ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْخُلُودِ وَالذُّنُوبِ الْمُؤَقَّتَةِ . .

٤٠١ تَوَافُقٌ لَطِيفٌ وَمُفِيدٌ ، بَيْنَ أَعْدَادِ أَيَّامِ الاعْتِقَالِ ، وَأَعْدَادِ الْمُعْتَقَلِينَ مِنْ تَلامِيذِ «رِسَالَةِ النُّورِ» . .

٤٠٢ اَلنُّكْتَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْجَوَابِ عَلَى سُؤَالٍ عَنْ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ ، وَالرَّدِّ عَلَى انْتِقَادِ أَهْلِ الضَّلالِ ، وَبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الْوَحْيِ الْقُرْآنِيِّ وَالنُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَحِرَاسَةِ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِنَ الْعَرْشِ الأَعْظَمِ إِلَى الْقَلْبِ الْمُحَمَّدِيِّ . .

٤٠٧ اَللَّمْعَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ : تَفَكُّرٌ عَالٍ مَدَارٌ لِلإِيمَانِ ، وَمَعْرِفَةٌ سَامِيَةٌ فِي التَّوْحِيدِ . .

٤٠٨ إِفَادَةُ الْمَرَامِ : فِي بَيَانِ تَظَاهُرِ حَقَائِقَ مَبْسُوطَةٍ وَأَنْوَارٍ عَظِيمَةٍ لِعَقْلِ الْمُؤَلِّفِ وَقَلْبِهِ ، فِي مَسْلَكِ التَّفَكُّرِ . .

٤١٠ اَلْبَابُ الأَوَّلُ : فِي : «سُبْحَانَ اللهِ» ؛ وَهُوَ ثَلاثَةُ فُصُولٍ . .

٤١٠ اَلْفَصْلُ الأَوَّلُ : فِي تَسْبِيحِ السَّمَاءِ وَالْجَوِّ ، وَالأَرْضِ وَالنَّبَاتِ ، وَالأَشْجَارِ وَالأَزْهَارِ

وَالْأَثْمَارِ . .

٤١٢ اَلْفَصْلُ الثَّانِي : فِي تَسْبِيحِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِتَسْبِيحِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَفِي تَسْبِيحِ الْكَائِنَاتِ بِتَسْبِيحَاتِ الْحَبِيبِ الْأَكْرَمِ (عليه الصلاة والسلام) . .

٤١٤ اَلْفَصْلُ الثَّالِثُ : فِي التَّسْبِيحِ «لِلّٰهِ ذِي الْجَلَالِ» ، بِالصِّفَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ . .

٤١٦ اَلْبَابُ الثَّانِي : فِي : «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ» ؛ وَفِيهِ تِسْعُ نِقَاطٍ . .

٤١٦ اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ الْمُزِيلِ عَنَّا ظُلُمَاتِ الْجِهَاتِ السِّتِّ . .

٤١٧ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ الْمُنَوِّرِ لَنَا الْجِهَاتِ السِّتَّ . .

٤١٨ اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى الْإِيمَانِ الْحَاوِي لِنُقْطَتَيِ الِاسْتِنَادِ وَالِاسْتِمْدَادِ . .

٤١٨ اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ الْمُزِيلِ لِلْآلَامِ عَنِ اللَّذَائِذِ الْمَشْرُوعَةِ . .

٤١٩ اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُصَوِّرُ مَا يُتَوَهَّمُ أَعْدَاءَ وَأَجَانِبَ وَأَمْوَاتاً ، أَحْبَاباً وَإِخْوَاناً وَأَحْيَاءً . .

٤١٩ اَلنُّقْطَةُ السَّادِسَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى نُورِ الْإِيمَانِ الْمُصَوِّرِ لِلدَّارَيْنِ ، كَالسُّفْرَتَيْنِ . .

٤٢٠ اَلنُّقْطَةُ السَّابِعَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى اللّٰهِ ؛ فَوُجُودُ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ ، نِعْمَةٌ لَيْسَ فَوْقَهَا نِعْمَةٌ . .

٤٢١ اَلنُّقْطَةُ الثَّامِنَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يَحْمَدُ لَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، هٰذَا الْكِتَابُ الْكَبِيرُ الْمُسَمّٰى بِالْكَائِنَاتِ . .

٤٢٢ اَلنُّقْطَةُ التَّاسِعَةُ : فِي الْحَمْدُ لِلّٰهِ مِنَ اللّٰهِ بِاللّٰهِ ، عَلَى اللّٰهِ لِلّٰهِ . .

٤٢٣ اَلْبَابُ الثَّالِثُ : فِي مَرَاتِبِ : «اَللّٰهُ أَكْبَرُ» ؛ ذُكِرَ مِنْ مَرَاتِبِهِ الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ ،

سَبْعُ مَرَاتِبَ . .
٤٢٣ اَلْمَرْتَبَةُ الْأُولٰى : أَنَّهُ تَعَالٰى صَنَعَ الْإِنْسَانَ بِقُدْرَتِهِ كَالْكَائِنَاتِ ؛ وَكَتَبَ الْكَائِنَاتِ بِقَلَمِ قَدَرِهِ كَالْإِنْسَانِ . .
٤٢٦ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْأَرْضِيَّةَ ، وَالْأَجْرَامَ الْعُلْوِيَّةَ ، تَدُلُّ عَلٰى كِبْرِيَائِهِ تَعَالٰى . .
٤٢٧ اَلْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ حَقَائِقَ الْكَائِنَاتِ كُلّاً وَجُزْءاً ، مَا هِيَ إِلّا خُطُوطُ قَلَمِ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ . .
٤٢٩ اَلْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ تَعَالٰى أَسَّسَ بُنْيَانَ شَجَرَةِ الْكَائِنَاتِ بِأُصُولِ مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ . .
٤٣٠ اَلْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ : أَنَّ الْأَجْرَامَ الْعُلْوِيَّةَ تَشْهَدُ ؛ وَالْكَوَاكِبَ الدُّرِّيَّةَ تُنَادِي عَلٰى سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ . .
٤٣٣ اَلْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ : أَنَّ جَمِيعَ الْعَوَالِمِ فِي قَبْضَتَيْ نِظَامِهِ وَمِيزَانِهِ ، وَتَنْظِيمِهِ وَتَوْزِينِهِ . .
٤٣٥ اَلْمَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ : أَنَّ الْكَائِنَاتِ بِأَنْوَاعِهَا ظِلَالُ أَنْوَارِهِ ، وَآثَارُ أَفْعَالِهِ تَعَالٰى . .
٤٣٧ اَلْبَابُ الرَّابِعُ : فِي «لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» ؛ وَفِيهِ فَصْلَانِ . .
٤٣٧ اَلْفَصْلُ الْأَوَّلُ : فِي التَّهْلِيلِ بِالصِّفَاتِ الْقُدُسِيَّةِ ؛ وَهُوَ وِرْدٌ مَشْهُورٌ «لِسَيِّدِنَا الْخِضْرِ» (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . .
٤٤١ اَلْفَصْلُ الثَّانِي : فِي الشَّهَادَةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الذَّاتِ الْأَقْدَسِ ، بِالْآثَارِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَوْصَافِ . .
٤٤٦ اَلْبَابُ الْخَامِسُ : فِي الشَّهَادَتَيْنِ ؛ وَهُوَ مَقَامَانِ . .
٤٤٦ اَلْمَقَامُ الْأَوَّلُ : فِي الشَّهَادَةِ ، وَإِشْهَادِ اللهِ تَعَالٰى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَإِشْهَادِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى الْمُرَكَّبَاتِ ، وَإِشْهَادِ الْحَبِيبِ الْأَكْرَمِ

سُلْطَانِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ (عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) . .
٤٤٨ اَلْمَقَامُ الثَّانِي : فِي دَلاَلَةِ أَوْصَافِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، عَلٰى وُجُوبِ وُجُودِهِ وَوَحْدَتِهِ تَعَالٰى . .
٤٥١ اَلْبَابُ السَّادِسُ : فِي مَرَاتِبِ «حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» ؛ وَهُوَ خَمْسُ نُكَتٍ . .
٤٥١ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : أَنَّ هٰذَا الْكَلاَمَ دَوَاءٌ مُجَرَّبٌ لِمَرَضِ الْعَجْزِ الْبَشَرِيِّ ، وَسَقَمِ الْفَقْرِ الْإِنْسَانِيِّ . .
٤٥٣ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : حَسْبُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْبَقَاءِ ، أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى خَالِقُهُ وَإِلٰهُهُ وَفَاطِرُهُ الْبَاقِي . .
٤٥٤ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : حَسْبُنَا اللّٰهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ؛ إِذْ هُوَ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ . .
٤٥٧ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : حَسْبُ الْإِنْسَانِ لِكُلِّ مَطَالِبِهِ ، اللّٰهُ الَّذِي صَوَّرَهُ وَأَنْشَأَهُ ؛ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ . .
٤٥٨ اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : لاَ بُدَّ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ : حَسْبِي مَنْ خَلَقَنِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ ؛ وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنُورِ الْوُجُودِ . .
٤٦٠ اَلْبَابُ السَّابِعُ : فِي : «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» . .
٤٦٧ اَللَّمْعَةُ الثَّلاَثُونَ : مِنَ الْمَكْتُوبِ الْحَادِي وَالثَّلاَثِينَ ؛ وَهِيَ سِتُّ نِكَاتٍ . .
٤٦٨ اَلنُّكْتَةُ الْأُولٰى : فِي بَيَانِ نُكْتَةٍ مِنْ آيَةِ : ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ، وَجَلْوَةٍ مِنِ اسْمِ «الْقُدُّوسِ» ؛ وَهٰذِهِ النُّكْتَةُ تُثْبِتُ وُجُودَ الْوَاجِبِ وَوَحْدَتَهُ ، بِحَقِيقَةِ فِعْلِ التَّنْظِيفِ الْعَامِّ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ الْكُرَيْوَاتِ وَالذَّرَّاتِ ، إِلَى الشُّمُوسِ وَالسَّيَّارَاتِ . .
٤٧٣ اَلنُّكْتَةُ الثَّانِيَةُ : فِي بَيَانِ نُكْتَةٍ مِنْ آيَةِ : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَآئِنُهُ﴾ إِلٰى

آخِرِهَا ، وَجَلْوَةٍ مِن اسْمِ «الْعَدْلِ» ؛ وَهِيَ تُثْبِتُ وُجُودَهُ وَوَحْدَتَهُ تَعَالٰى ، بِالْمِيزَانِ الْأَكْمَلِ الْعَامِّ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى الشُّمُوسِ . .

٤٧٧ اَلنُّكْتَةُ الثَّالِثَةُ : فِي حَقِّ نُكْتَةٍ مِنْ آيَةِ : ﴿اُدْعُ إِلٰى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ ، وَبَيَانِ جَلْوَةٍ مِن اسْمِ «الْحَكَمِ» ؛ وَهُوَ النُّورُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَنْوَارِ السِّتَّةِ لِلِاسْمِ الْأَعْظَمِ ؛ وَهِيَ خَمْسُ نِقَاطٍ . .

٤٧٧ اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى : أَنَّ تَجَلِّيَ اسْمِ «الْحَكَمِ» ، جَعَلَ الْكَائِنَاتِ كَكِتَابٍ كُتِبَ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ مِنْهُ مِئَاتُ كُتُبٍ . .

٤٧٩ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : مَسْأَلَتَانِ . .

٤٧٩ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : فِي بَيَانِ قَاعِدَةٍ مُهِمَّةٍ لِلْجَمَالِ وَالْكَمَالِ ؛ وَهِيَ أَنَّهُمَا يَسْتَلْزِمَانِ تَشْهِيرَهُمَا ، وَشُهُودَهُمَا ، وَإِشْهَادَهُمَا . .

٤٧٩ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ الِانْتِظَامَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي نِهَايَةِ الدَّرَجَةِ ، لَا يَقْبَلُ الِاشْتِرَاكَ فِي مُلْكِهِ تَعَالٰى . .

٤٨٠ اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ الْإِنْسَانَ مَرْكَزٌ بَيْنَ الْعَوَالِمِ ؛ وَالرِّزْقَ مَرْكَزٌ فِي دَائِرَةِ الْإِنْسَانِ ؛ وَجَمِيعَ فُنُونِ الْأَكْوَانِ تَدُلُّ عَلَى الْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ الْعَائِدَةِ إِلَى الرِّزْقِ ، الدَّالَّةِ عَلٰى جَلْوَةِ اسْمِ «الْحَكَمِ» . .

٤٨٣ اَلنُّقْطَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ الْحِكْمَةَ الْجَارِيَةَ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ، تَدُلُّ عَلٰى وُجُودِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الْحِكْمَةُ الْأَصْلِيَّةُ . .

٤٨٤ اَلنُّقْطَةُ الْخَامِسَةُ : مَسْأَلَتَانِ . .

٤٨٤ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : أَنَّ اهْتِمَامَ الصَّانِعِ بِأَنْفَعِ شَكْلٍ ، وَأَسْهَلِ أُسْلُوبٍ ، وَأَقْصَرِ طَرِيقٍ ، يَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ لَا إِسْرَافَ وَلَا عَبَثَ وَلَا بَاطِلَ فِي الْفِطْرَةِ . .

٤٨٤ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ اسْمَ «الْحَكَمِ» يَدُلُّ عَلٰى رِسَالَةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (عليه الصلاة والسلام) ، بِالْبَدَاهَةِ . .

٤٨٧ اَلنُّكْتَةُ الرَّابِعَةُ : فِي بَيَانِ نُكْتَةٍ لِآيَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ﴾ ، وَجَلْوَةٍ لِاسْمِ «الْفَرْدِ» ؛ وَفِيهَا سَبْعُ إِشَارَاتٍ . .

٤٨٧ اَلْإِشَارَةُ الْأُولٰى : تُبَيِّنُ ثَلَاثَ سِكَكٍ مِنْ خَوَاتِمِ الْوَحْدَةِ . الْأُولٰى : سِكَّةُ التَّعَاوُنِ وَالتَّدَاخُلِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْكَائِنَاتِ . . الثَّانِيَةُ : سِكَّةُ الْأَشْكَالِ وَالْخِدَمَاتِ ، وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَجْهِزَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، لِأَرْبَعِمِئَةِ أَلْفِ طَائِفَةٍ مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ عَلٰى وَجْهِ الْأَرْضِ . . الثَّالِثَةُ : سِكَّةُ سِيمَا الْإِنْسَانِ ، الَّتِي فِيهَا عَلَامَاتٌ فَارِقَةٌ عَدَدَ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلٰى آخِرِهَا . .

٤٨٩ اَلْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ تَدَاخُلَ الْعَوَالِمِ ، وَتَشَابُكَ الْأَنْوَاعِ ، وَوَحْدَةَ الْعَنَاصِرِ ، تَدُلُّ عَلٰى وَحْدَةِ الصَّانِعِ . .

٤٩٠ اَلْإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ اسْمَ «الْفَرْدِ» جَعَلَ الْكَائِنَاتِ فِي حُكْمِ الْمَكْتُوبَاتِ الْمُتَدَاخِلَةِ ؛ كُلٌّ مِنْهَا يَحْمِلُ خَوَاتِمَ كَثِيرَةً . .

٤٩٠ اَلْإِشَارَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ جَلْوَةَ اسْمِ «الْفَرْدِ» ، ظَاهِرَةٌ وَمَقْبُولَةٌ وَمَعْقُولَةٌ ، فِي دَرَجَةِ الْوُجُوبِ ؛ وَفِيهَا ثَلَاثُ نِقَاطٍ . .

٤٩١ اَلنُّقْطَةُ الْأُولٰى : أَنَّ إِيجَادَ أَكْبَرِ شَيْءٍ ، هَيِّنٌ كَأَصْغَرِ شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُدْرَةِ «الْفَرْدِ الْأَحَدِ . .

٤٩٢ اَلنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ إِيجَادَ الْمَوْجُودَاتِ ، إِنْ كَانَ بِجَلْوَةِ الْفَرْدِيَّةِ ، وَسِرِّ الْأَحَدِيَّةِ ؛ يَسْهُلُ بِلَا حَدٍّ ؛ وَإِنْ لَمْ يُسْنَدْ إِلَيْهَا ؛ يَكُونُ مُشْكِلاً وَغَيْرَ مَعْقُولٍ . وَلَهُ بَرَاهِينُ كَثِيرَةٌ . .

٤٩٤ اَلنُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ : فِي بَيَانِ ثَلَاثَةِ أَمْثِلَةٍ تَدُلُّ عَلٰى سُهُولَةِ الْفَرْدِيَّةِ ، وَيُسْرِ الْأَحَدِيَّةِ . .

اَلْإِشَارَةُ الْخَامِسَةُ : أَنَّ أَهَمَّ أَسَاسِ خَاصَّةِ الْحَاكِمِيَّةِ ، الِاسْتِقْلَالُ وَالِانْفِرَادُ . . ٤٩٦

اَلْإِشَارَةُ السَّادِسَةُ : أَنَّ الْفَرْدِيَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ مَدَارُ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ وَأَسَاسُهَا ، وَمَنْشَأُ الْحِكَمِ وَمَعْدِنُهَا . . ٤٩٨

اَلْإِشَارَةُ السَّابِعَةُ : أَنَّ ثُبُوتَ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام) ، الَّذِي يُدَرِّسُ هٰذَا التَّوْحِيدَ الْحَقِيقِيَّ ، قَاطِعٌ فِي دَرَجَةِ قَطْعِيَّةِ ذٰلِكَ التَّوْحِيدِ ؛ وَفِيهَا ثَلَاثَةُ دَلَائِلَ عَلٰى دَرَجَةِ قِيمَةِ شَخْصِيَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ . . ٤٩٩

اَلنُّكْتَةُ الْخَامِسَةُ : فِي بَيَانِ نُكْتَةٍ مِنْ آيَةِ : ﴿فَانْظُرْ إِلٰٓى آثَارِ رَحْمَتِ اللّٰهِ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، وَآيَةِ : ﴿اللّٰهُ لَٓا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إِلٰى آخِرِهَا ، وَبَيَانِ جَلْوَةٍ لِاسْمِ «الْحَيِّ» ؛ وَفِيهَا خَمْسَةُ رُمُوزٍ . . ٥٠٢

اَلرَّمْزُ الْأَوَّلُ : فِي تَعْرِيفِ الْحَيَاةِ وَوَظِيفَتِهَا ، وَبَيَانِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ خَاصَّةً مِنْ خَوَاصِّهَا . . ٥٠٢

اَلرَّمْزُ الثَّانِي : فِي الْإِشَارَةِ إِلٰى خَاصَّةِ كَوْنِ وَجْهَيِ الْحَيَاةِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، شَفَّافَيْنِ . . ٥٠٤

اَلرَّمْزُ الثَّالِثُ : فِي بَيَانِ خَاصَّةِ كَوْنِ الْحَيَاةِ ، نَتِيجَةَ الْكَائِنَاتِ . . ٥٠٦

اَلرَّمْزُ الرَّابِعُ : فِي إِيضَاحِ أَنَّ الْحَيَاةَ تَنْظُرُ إِلَى الْأَرْكَانِ الْإِيمَانِيَّةِ السِّتَّةِ ؛ وَتُثْبِتُهَا ؛ وَتُشِيرُ إِلٰى تَحَقُّقِهَا . . ٥٠٧

اَلرَّمْزُ الْخَامِسُ : أَنَّ الْحَيَاةَ إِذَا دَخَلَتْ فِي شَيْءٍ ؛ تَجْعَلُهُ فِي حُكْمِ عَالَمٍ . . ٥١٤

اَلنُّكْتَةُ السَّادِسَةُ : مِنَ اللَّمْعَةِ الثَّلَاثِينَ ، تَنْظُرُ إِلَى اسْمِ «الْقَيُّومِ» . . ٥١٧

إِخْطَارٌ : فِي الْإِشَارَةِ إِلٰى أَنَّ النِّكَاتِ السِّتَّ الْعَائِدَةَ إِلٰى الِاسْمِ الْأَعْظَمِ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ السِّتَّةُ ، وَاسِعَةٌ وَغَامِضَةٌ لِلْغَايَةِ ، لَاسِيَّمَا مَسَائِلِ اسْمِ «الْقَيُّومِ» ، لَاسِيَّمَا الشُّعَاعِ ٥١٧

الْأَوَّلِ مِنْهَا ، وَخَاصَّةً رُمُوزَ الْحَيَاةِ إِلٰى أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ ، وَلاَسِيَّمَا رَمْزِهَا إِلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . .

٥١٩ اَلشُّعَاعُ الْأَوَّلُ : فِي إِيضَاحِ قَيُّومِيَّةِ اللهِ تَعَالٰى ، وَإِثْبَاتِ أَزَلِيَّتِهِ ، وَالرَّدِّ عَلَى الْمَذَاهِبِ الثَّلاَثَةِ الْبَاطِلَةِ ، مِنْ مَذْهَبِ الْمَادِّيِّينَ وَالطَّبِيعِيِّينَ وَالْهَيُولاَئِيِّينَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَإِبْطَالِهَا بِالْبَرَاهِينِ الْبَاهِرَةِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ ؛ وَبَيَانِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ صَنْعَةُ اللهِ ؛ وَالذَّرَّاتِ جَيْشٌ مِنْ جُيُوشِهِ ؛ وَأَنَّ مَادَّةَ الْأَثِيرِ الَّتِي هِيَ أَلْطَفُ مِنَ الذَّرَّاتِ ، وَأَكْثَفُ مِنَ الْهَيُولٰى ، هِيَ حُلَّةُ صَنْعَتِهِ ، وَمَزْرَعَةُ مَوْجُودَاتِهِ تَعَالٰى . .

٥٢٣ اَلشُّعَاعُ الثَّانِي : مَسْأَلَتَانِ . .

٥٢٣ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : فِي بَيَانِ حَقِيقَةٍ مِنْ وُجُوهِ الْآيَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْقَيُّومِيَّةِ . .

٥٢٤ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : تُشِيرُ إِلٰى بَعْضِ فَوَائِدِ الْأَشْيَاءِ وَحِكَمِهَا ؛ وَهِيَ عَلٰى ثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ . .

٥٢٧ اَلشُّعَاعُ الثَّالِثُ : يُشِيرُ إِلٰى سِرِّ الْقَيُّومِيَّةِ فِي الْخَلاَّقِيَّةِ الْإِلٰهِيَّةِ ، وَالْفَعَّالِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ وَتَنْقَسِمُ حِكْمَتُهَا إِلٰى ثَلاَثِ شُعَبٍ مُهِمَّةٍ . .

٥٢٩ اَلشُّعَاعُ الرَّابِعُ : فِي بَيَانِ الشُّعْبَةِ الثَّالِثَةِ مِنْهَا . .

٥٣٢ جَوَابٌ قَاطِعٌ عَلٰى سُؤَالٍ مُهِمٍّ . .

٥٣٢ اَلشُّعَاعُ الْخَامِسُ : مَسْأَلَتَانِ . .

٥٣٢ اَلْمَسْأَلَةُ الْأُولٰى : فِي النَّظَرِ إِلَى الْجَلْوَةِ الْعُظْمٰى لِاسْمِ «الْقَيُّومِ» ، بِنَظَّارَتَيِ الْخَيَالِ الْمُقَرِّبَةِ وَالْمُجْهِرَةِ . .

٥٣٣ خُلاَصَةُ الْخُلاَصَةِ : فِي تَلْخِيصِ النِّكَاتِ السِّتِّ السَّابِقَةِ . .

٥٣٤ اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : فِي بَيَانِ جَلْوَةِ الْقَيُّومِيَّةِ الْمُتَجَلِّيَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ ، فِي نُقْطَةِ الْأَحَدِيَّةِ وَالْجَمَالِ . .

٥٣٦ بَيَانُ الْوَظَائِفِ الثَّلاثِ لِلْإِنْسَانِ ؛ وَبَيَانُ وُجُوهِهَا . .
٥٣٨ إِيضَاحُ أَنَّ «مُحَمَّداً الْعَرَبِيَّ» (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، الَّذِي يُعَلِّمُ قِيمَةَ الْإِنْسَانِ وَوَظَائِفَهُ وَكَمَالَاتِهِ ، هُوَ الْمَقْصُودُ وَالْمُنْتَخَبُ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُنْتَخَبِ عَنِ الْأَكْوَانِ ؛ (عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ، عَدَدَ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ . .
٥٤٠ دُعَاءُ آخِرِ الْكِتَابِ . .
٥٤٢ كَلِمَةُ اخْتِتَامِ لِلْمُتَرْجِمِ ، (عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) . .
٥٤٤ اَلْكَاشِفُ الْوَاضِحُ . .

لَقَدْ تَمَّ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ ، تَبْيِيضُ هٰذَا الْفِهْرِسِ ، عَلَى يَدَيِ الْمُصَحِّحِ ، الْعَبْدِ الْمُقَصِّرِ ، مُحَمَّدٍ زَاهِدِ ابْنِ مَلَّا عَبْدِ اللهِ الْمَلَازْكِرْدِيِّ ، لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ ، رَجَباً الْأَصَمَّ / ٥ / ١٤٠٢ هـ ، نَيْسَانَ / ٨٢ / ١٩٨٢ م ، بِمَدْرَسَةِ أَزْهَرِ لُبْنَانَ بِعَرَمُونَ ؛ زَادَهَا اللهُ فَيْضاً وَبَرَكَةً ؛ آمِينَ . . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ؛ آمِينَ . .

مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ الْمَلَازْكِرْدِيُّ ، (عَفَا عَنْهُ اللهُ الْمُبْدِئُ) . . بَيْرُوت ـ لُبْنَانَ . .